

# فهرست الموضوعات

صفحة

تصدير لعالي الشيخ أحمد زكي يماني ..... ١٥-١٦

## مقدمة المحقق

موضوع المجلد الثاني ..... ١٧-١٩

مصادر المجلد الثاني ..... ١٩-٤٩

مُسَوِّدَاتُ الْمُقْرِيزِيِّ وَبَقِيَّةُ مَخْطُوطَاتِ الْخِطَّاطِ (تِمَّة) ..... ٥٠-٧٠

النُّسخُ الْمُسْتَخْدَمَةُ فِي نَشْرِ هَذَا الْمَجْلَدِ ..... ٧١-٩٨

طَرِيقَتِي فِي إِخْرَاجِ النَّصِّ ..... ٩٩-١٠٠

## ذِكْرُ فُسْطَاطِ مِصْرَ

ذِكْرُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ فُسْطَاطِ مِصْرَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ اخْتَطَّهُ الْمُسْلِمُونَ مَدِينَةً ..... ٤-٦

ذِكْرُ الْحِضْنِ الَّذِي يُعْرَفُ بِقَصْرِ الشَّمْعِ ..... ٦-١٠

ذِكْرُ حِصَارِ الْمُسْلِمِينَ لِلْقَصْرِ وَفَتْحِ مِصْرَ ..... ١٠-٢٤

ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي مِصْرَ هَلْ قُتِحَتْ بِصُلْحٍ أَوْ عَنُودٍ ..... ٢٤-٢٩

ذِكْرُ مَنْ شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ..... ٢٩-٣٠

ذِكْرُ السَّبَبِ فِي تَسْمِيَةِ مَدِينَةِ مِصْرَ بِالْفُسْطَاطِ ..... ٣٠-٣٢

ذِكْرُ الْخِطَّاطِ الَّتِي كَانَتْ بِمَدِينَةِ مِصْرَ ..... ٢٣-٢٩

ذِكْرُ أَمْرَاءِ الْفُسْطَاطِ مِنْ حِينَ قُتِحَتْ مِصْرَ إِلَى أَنْ بُنِيَ الْعَسْكَرُ ..... ٤٠-٥٩

[الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ] ..... ٤٥-٥٥

[الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ] ..... ٥٥

ذِكْرُ الْعَسْكَرِ الَّذِي بُنِيَ بِظَاهِرِ مَدِينَةِ فُسْطَاطِ مِصْرَ ..... ٥٦-٨٠

صفحة	
٨٠ - ٥٩	ذِكْرُ مَنْ نَزَلَ الْعَشْكَرَ مِنْ أَمْرَاءِ مِصْرَ مِنْ حِينَ بُنِيَ إِلَى أَنْ بُنِيَ الْقَطَائِعُ
١١٢ - ٨٠	ذِكْرُ الْقَطَائِعِ وَدَوْلَةِ بَنِي طُولُونَ
١١٢ - ٨٣	[الدَّوْلَةُ الطُّولُونِيَّةُ]
	ذِكْرُ مَنْ وَلِيَ مِصْرَ مِنَ الْأَمْرَاءِ بَعْدَ خَرَابِ الْقَطَائِعِ إِلَى أَنْ بُنِيَ قَاهِرَةُ الْمُعِزِّ عَلَى يَدِ
١٢٢ - ١١٣	الْقَائِدِ جَوْهَرَ
١٢٢ - ١١٩	[الدَّوْلَةُ الْإِخْشِيدِيَّةُ]
١٣٢ - ١٢٢	ذِكْرُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مَدِينَةُ الْفُسْطَاطِ مِنْ كَثْرَةِ الْعِمَارَةِ
١٣٤ - ١٣٣	ذِكْرُ الْأَثَارِ الْوَارِدَةِ فِي خَرَابِ مِصْرَ
١٤٦ - ١٣٥	ذِكْرُ خَرَابِ الْفُسْطَاطِ
١٤٢ - ١٣٥	الشَّدَّةُ الْعُظْمَى
١٤٦ - ١٤٢	حَرِيقُ مِصْرَ
١٥٥ - ١٤٧	ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي مَدِينَةِ فُسْطَاطِ مِصْرَ
١٥٧ - ١٥٥	ذِكْرُ مَا عَلَيْهِ مَدِينَةُ مِصْرَ الْآنَ وَصِفَتُهَا
١٦٣ - ١٥٨	ذِكْرُ سَاحِلِ النَّيْلِ بِمَدِينَةِ مِصْرَ
١٦٦ - ١٦٤	ذِكْرُ الْمُنْشَأَةِ
١٦٨ - ١٦٦	المَوْقِفُ
١٧٠ - ١٦٩	ذِكْرُ أَبْوَابِ مَدِينَةِ مِصْرَ
١٦٩	بَابُ الصَّفَا
١٦٩	بَابُ السَّاحِلِ
١٧٠ - ١٦٩	بَابُ مِصْرَ
١٧٠	بَابُ الْقَنْطَرَةِ

### ذِكْرُ قَاهِرَةِ الْمُعِزِّ

١٧٦ - ١٧٢	ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي نَسَبِ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ
٢٠٦ - ١٧٦	ذِكْرُ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ
٢٠٩ - ٢٠٧	ذِكْرُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ الْقَاهِرَةِ قَبْلَ وَضْعِهَا



صفحة	
٢١٢-٢٠٩	ذِكْرُ حَدِّ الْقَاهِرَةِ .....
٢٢٢-٢١٢	ذِكْرُ بِنَاءِ الْقَاهِرَةِ وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ .....
٢٢٥-٢٢٢	ذِكْرُ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ الْقَاهِرَةُ بَعْدَ اسْتِيلَاءِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ عَلَيْهَا .....
٢٤١-٢٢٥	ذِكْرُ طَرَفٍ مِمَّا قَبِلَ فِي الْقَاهِرَةِ وَمُتَنَزَّهَاتِهَا .....
٢٤٣-٢٤١	ذِكْرُ مَا قَبِلَ فِي مُدَّةِ بَقَاءِ الْقَاهِرَةِ وَوَقْتُ خَرَابِهَا .....
٢٥٣-٢٤٤	ذِكْرُ مَسَالِكِ الْقَاهِرَةِ وَشَوَارِعِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ .....
٢٤٩-٢٤٤	الْشَّارِعُ الْأَوَّلُ وَالطَّرِيقُ الْعُظْمَى قِصَّةُ الْقَاهِرَةِ .....
٢٥١-٢٤٩	الْشَّارِعُ الْمَسْلُوكُ فِيهِ إِلَى بَابِ الْفُتُوحِ .....
٢٥٣-٢٥١	الْشَّارِعُ الْمَسْلُوكُ فِيهِ إِلَى بَابِ النَّصْرِ .....
٢٦٧-٢٥٤	ذِكْرُ سُورِ الْقَاهِرَةِ .....
٢٥٥-٢٥٤	السُّورُ الْأَوَّلُ .....
٢٦٠-٢٥٥	جَوْهَرُ الْقَائِدِ .....
٢٦٤-٢٦٠	السُّورُ الثَّانِي .....
٢٦٧-٢٦٤	السُّورُ الثَّلَاثُ .....
٢٨٣-٢٦٧	ذِكْرُ أَبْوَابِ الْقَاهِرَةِ .....
٢٧١-٢٦٧	بَابُ زَوَيْلَةَ .....
٢٧٢-٢٧١	بَابُ النَّصْرِ .....
٢٧٥-٢٧٢	بَابُ الْفُتُوحِ .....
٢٧٩-٢٧٦	أَمِيرُ الْجَيْشِ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ .....
٢٧٩	بَابُ الْقَنْطَرَةِ .....
٢٧٩	بَابُ الشُّعْرِيَّةِ .....
٢٨٠	بَابُ سَعَادَةَ .....
٢٨٠	بَابُ الْفَرَجِ .....
٢٨٢-٢٨١	الباب المَحْرُوقُ .....
٢٨٣-٢٨٢	بابُ الْبِرْقِيَّةِ .....
٤٣٨-٢٨٤	ذِكْرُ قُصُورِ الْخُلَفَاءِ وَمَنَاطِرِهِمْ وَالْإِمَاعِ بِطَرَفٍ مِنْ مَآثِرِهِمْ وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ أَسْمَاؤُهَا مِنْ بَعْدِهِمْ .....

صفحة	
٤٣٨-٢٨٤	القصر الكبير
٢٨٧	قاعة الذهب
٢٩٣-٢٨٨	هيئة مجلس الخليفة بمجلس الملك
٢٩٣	كيفية سباط شهر رمضان بهذه القاعة
٢٩٨-٢٩٣	عمل سباط عيد الفطر بهذه القاعة
٣٠٥-٢٩٨	الإيوان الكبير
٣٠٥-٢٩٨	عيد القدير
٣٠٨-٣٠٥	ذكر المحول
٣١٧-٣٠٨	وصف الدعوة وتزيينها
٣١١-٣٠٨	الدعوة الأولى
٣١٢-٣١١	الدعوة الثانية
٣١٢	الدعوة الثالثة
٣١٤-٣١٢	الدعوة الرابعة
٣١٤	الدعوة الخامسة
٣١٥	الدعوة السادسة
٣١٦-٣١٥	الدعوة السابعة
٣١٧-٣١٦	الدعوة الثامنة
٣١٨-٣١٧	ابتداء هذه الدعوة
٣٢٠-٣١٨	صفة العهد الذي يؤخذ على المدعو
٣٢١	ذكر الديوان
٣٣١-٣٢٢	ديوان المجلس
٣٣٢-٣٣١	ديوان النظر
٣٣٣-٣٢٣	ديوان التحقيق
٣٣٦-٣٣٣	ديوان الجيوش والرواتب
٣٣٣	ديوان الجيش
٣٣٦-٣٣٤	ديوان الرواتب



صفحة	
٣٣٦	ديوانُ الإنشاء والمكاتبات .....
٣٣٧-٣٣٦	التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم .....
٣٣٧	التوقيع بالقلم الجليل .....
٣٣٩-٣٣٧	مجلس النظر في المظالم .....
٣٤٠-٣٣٩	رتبُ الأمراء .....
٣٤٢-٣٤٠	قاضي القضاة .....
٣٤٢	عُودٌ إلى القصر الكبير .....
٣٤٢	ذِكْرُ قاعةِ الفضة .....
٣٤٣-٣٤٢	ذِكْرُ قاعةِ السندرة .....
٣٤٣	ذِكْرُ قاعةِ الخيم .....
٣٤٣	ذِكْرُ المناظرِ الثلاث .....
٣٤٣	ذِكْرُ قَصْرِ الشوك .....
٣٤٤	ذِكْرُ قَصْرِ أولادِ الشيخ .....
٣٤٥-٣٤٤	قَصْرُ الزمرد .....
٣٤٥	ذِكْرُ الركنِ المخلوق .....
٣٤٨-٣٤٥	السفينة .....
٣٥٠-٣٤٩	ذِكْرُ دارِ الضروب .....
٣٥٠	ذِكْرُ خزائنِ السلاح .....
٣٥١-٣٥٠	ذِكْرُ المارستانِ العتيق .....
٣٥٣-٣٥١	ذِكْرُ الثربة .....
٣٥٤	ذِكْرُ القصرِ النافعي .....
٤٠١-٣٥٥	ذِكْرُ الخزائنِ التي كانت بالقصر .....
٣٥٩-٣٥٥	خزانةُ الكتب .....
٣٧٠-٣٥٩	خزانةُ الكُشوات .....
٣٧٧-٣٧٠	خزائنُ الجواهرِ الطيبِ والطرائف .....
٣٨٠-٣٧٧	خزائنُ الفُروشِ والأمتعة .....

صفحة	
٣٨١-٣٨٠	خزائن السلاح
٣٨٣-٣٨١	خزائن الشروج
٣٨٦-٣٨٣	خزائن الخيم
٣٩٢-٣٨٧	خزائن الثوابل
٣٩٣-٣٩٢	دار التعبئة
٣٩٣	خزائن الأدم
٣٩٥-٣٩٣	خزائن دار أفتكين
٤٠١-٣٩٥	خزائن البئود
٤٠٥-٤٠١	دار الفطرة
٤٢١-٤٠٥	المشهد الحسيني
٤١٧-٤١١	خبر الحسين
٤٢١-٤١٧	ما كان يعمل في يوم عاشوراء
٤٣١-٤٢١	ذكر أبواب القصر الكبير الشرقي
٤٢٥-٤٢١	باب الذهب
٤٢٧-٤٢٥	باب البحر
٤٢٩-٤٢٧	باب الرياح
٤٢٩	باب الزمرد
٤٣٠	باب العسيد
٤٣٠	باب قصر الشوك
٤٣١	باب الديلم
٤٣١	باب تربة الزعفران
٤٣١	باب الزهومة
٤٣٢-٤٣١	ذكر المنخر
٤٣٦-٤٣٢	ما كان يعمل في عيد النخر
٤٣٨-٤٣٦	المخلقات بركوب الخليفة في عيد النخر
٤٤٢-٤٣٨	ذكر دار الوزارة الكبرى



صفحة	
٤٤٢-٤٥٣	ذِكْرُ رُتْبَةِ الْوِزَارَةِ وَهَيْئَةِ خِلْعَتِهِمْ وَمَقْدَارِ جَارِيَتِهِمْ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ
٤٥٣-٤٥٥	ذِكْرُ الْحُجَرِ الَّتِي كَانَتْ يَرَسُمُ الصُّبْيَانَ الْحُجْرِيَّةَ
٤٥٦	ذِكْرُ الْمَنَاحِ الشَّعِيدِ
٤٥٧-٤٥٩	ذِكْرُ إِسْطَبْلِ الطَّارِمَةِ
٤٥٩-٤٦٠	ذِكْرُ دَارِ الضَّرْبِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا
٤٦٠-٤٦١	ذِكْرُ دَارِ الْعِلْمِ الْجَدِيدَةِ
٤٦١-٤٧٦	ذِكْرُ مَوْسِمِ أَوَّلِ الْعَامِ
٤٦٨-٤٧١	[آلاتُ الْمُؤَكَّبِ]
٤٧١-٤٧٦	[طَرِيقُ الْمُؤَكَّبِ]
٤٧٦-٤٧٧	دَنَانِيرُ الْعُرَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُضْرَبُ وَتُفَرَّقُ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ فِي أَيَّامِ الْخُلَفَاءِ
٤٧٧	ذِكْرُ مَا كَانَ يُضْرَبُ فِي خَمِيسِ الْعَدَسِ مِنْ خَرَارِيبِ الذَّهَبِ
٤٧٨	ذِكْرُ دَارِ الْوَكَاةِ الْأَمْرِيَّةِ
٤٧٨-٤٩٤	ذِكْرُ مُصَلَّى الْعِيدِ
٤٧٨-٤٩٢	ذِكْرُ هَيْئَةِ صَلَاةِ الْعِيدِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا
٤٩٢-٤٩٤	الْمُخَلَّقَاتُ بِرُكُوبِ الْخَلِيفَةِ لَصَلَاةِ الْعِيدِ
٤٩٥-٥٠١	ذِكْرُ الْقَصْرِ الصَّغِيرِ الْغَرْبِيِّ
٤٩٦	الْمَيْسَدَانِ
٤٩٦-٤٩٧	الْبَيْسْتَانِ الْكَافُورِيِّ
٤٩٧-٤٩٨	السَّرَادِيبِ
٤٩٩-٥٠٠	الْقَاعَةُ
٥٠١	أَبْوَابُ الْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ
٥٠١	بَابُ السَّابِاطِ
٥٠١	بَابُ التَّجَانِينِ
٥٠١	بَابُ الزُّمْرُودِ
٥٠٢-٥٠٨	ذِكْرُ دَارِ الْعِلْمِ
٥٠٤-٥٠٨	نُوبَةُ الْقَصَارِ



صفحة	
٥١٠-٥٠٨	ذِكْرُ دار الضيافة .....
٥١٠	ذِكْرُ إسْطَبَل الحُجْرِيَّة .....
٥١١-٥١٠	ذِكْرُ مَطْبَخ القَصْر .....
٥١٢-٥١١	دَرْبُ السُّلَيْلَة .....
٥١٢	ذِكْرُ الدَّارِ المأمونية .....
٥١٥-٥١٣	ذِكْرُ المَأْمُونِ البَطَائِحِي .....
٥١٦-٥١٥	حَبْسُ المَعُونَة .....
٥١٨-٥١٦	ذِكْرُ الحَيْشَبَة ودار العِيَار .....
٥١٩-٥١٨	إِسْطَبَلُ الجَمِيْزَة .....
٥٢٠-٥١٩	دارُ الدِّيَسَاج .....
٥٢٢-٥٢٠	الأهْرَاءُ السُّلْطَانِيَّة .....
	ذِكْرُ المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين ومواضع تزهرهم وما كان لهم فيها من أمور
٥٩٠-٥٢٢	جميلة .....
٥٢٨-٥٢٢	مَنْظَرَةُ الجامع الأزهر .....
٥٢٩-٥٢٢	ذِكْرُ ليالي الوَقُود .....
٥٣٣-٥٢٨	مَنْظَرَةُ اللُّؤْلُؤَة .....
٥٣٦-٥٣٣	مَنْظَرَةُ العَزَالَة .....
٥٣٦-٥٣٤	الطَّرَازُ الشَّرِيف .....
٥٣٧-٥٣٦	دارُ الذهب .....
٥٦١-٥٣٧	مَنْظَرَةُ السُّكْرَة .....
٥٥١-٥٣٨	ذِكْرُ ما كان يُعْمَلُ يوم فَتْحِ الخَلِيج .....
٥٦١-٥٥١	وَفَاءُ التَّيْلِ .....
٥٦٢	مَنْظَرَةُ الدُّكَّة .....
٥٦٥-٥٦٢	ذِكْرُ مَنْظَرَةِ المَقْس .....
٥٦٧-٥٦٥	مَنْظَرَةُ البَعْلِ .....
٥٦٧	مَنْظَرَةُ التَّاج .....



صفحة

٥٦٨-٥٦٧	.....	منظرة الخمس الوجوه
٥٧٠-٥٦٨	.....	منظرة باب الفتح
٥٧٣-٥٧٠	.....	منظرة الصناعة
٥٧٦-٥٧٣	.....	دار الملك
٥٧٦	.....	منازل العز
٥٨٠-٥٧٧	.....	الهودج
٥٨١-٥٨٠	.....	قصر الأندلس بالقراة
٥٨٢-٥٨١	.....	المنظرة ببركة الحبش
٥٨٤-٥٨٢	.....	البتاتين
٥٨٤	.....	قبة الهواء
٥٨٧-٥٨٤	.....	بعر أبي المنجأ
٥٨٨-٥٨٧	.....	قصر الورد بالحاقاينة
٥٩٠-٥٨٨	.....	بركة الحب
٥٩٠	.....	المشتهى
		ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية
٥٩١	.....	وتكثر نعمهم
٥٩١	.....	موسم رأس السنة
٥٩٢	.....	موسم أول العام
٥٩٣-٥٩٢	.....	يوم عاشوراء
٥٩٣	.....	عيد النصر
٥٩٣	.....	المواليد الستة
٥٩٤	.....	ليالي الوفود الأربع
٥٩٤	.....	موسم شهر رمضان
٥٩٤	.....	إبطال المنكرات
٥٩٥-٥٩٤	.....	غرة رمضان
٥٩٥	.....	ركوب الخليفة في أول رمضان

صفحة	
٥٩٥	سِمَاطُ شَهْرِ رَمَضَانَ
٥٩٦-٥٩٥	سُحُورُ الْخَلِيفَةِ
٥٩٧-٥٩٦	الْحَتْمُ فِي آخِرِ رَمَضَانَ
٥٩٨-٥٩٧	ذِكْرُ مَذَاهِبِهِمْ فِي أَوَّلِ الشُّهُورِ
٥٩٨	قَافِلَةُ الْحَاجِّ
٥٩٨	مَوْسِمُ عِيدِ الْفِطْرِ
٥٩٩	عِيدُ النَّخْرِ
٥٩٩	عِيدُ الْغَدِيرِ
٥٩٩	كُنُوزُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ
٥٩٩	مَوْسِمُ فَتْحِ الْخَلِيجِ
٦٠٣-٦٠٠	ذِكْرُ النَّوْزِ
٦٠٣	الْمِيلَادُ
٦٠٥-٦٠٣	الْغَطَّاسُ
٦٠٥	نَحْمِيسُ الْعَهْدِ
٦٠٥	أَيَّامُ الرُّكُوبَاتِ
٦٠٥	صَلَاةُ الْجُمُعَةِ
٦٠٧-٦٠٦	قَصِيدَةُ عُمَارَةَ الْيَمَنِيِّ فِي رِثَاءِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ
٦٠٨	عُمَارَةُ الْيَمَنِيِّ
٦١٢-٦٠٨	ذِكْرُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْقَصْرَيْنِ وَالْمَنَاطِرِ بَعْدَ زَوَالِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُسْتَعَانُ

ذَكَرْتُ قِسْطَ مِصْرَ

قال الجوهري: القسطنطية بيت من شعر. قال: ومنه قسطنطية مدينة مصر<sup>١</sup>.

٥ اعلم أن قسطنطية مصر اختط في الإسلام بعدما فتحت أرض مصر، وصارت دار إسلام، وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصاري ملكانية ويعقوبية ومنانية<sup>(a)</sup>. وحين اختط المسلمون القسطنطية، انتقل كرسي المملكة من مدينة «الإسكندرية»، بعد ما كانت منزل الملك ودار الإمارة زيادة على تسع مائة سنة، وصار من حينئذ «القسطنطية» دار إمارة ينزل به أمراء مصر. فلم ينزل على ذلك حتى بني «العسكر» بظاهر القسطنطية، فنزل فيه أمراء مصر وسكنوه، ورثها سكن بعضهم القسطنطية.

١٠ فلما أنشأ الأمير أبو العباس أحمد بن طولون «القطائع» بجانب العسكر، سكن فيها، واتخذها الأمراء من بعده منزلاً إلى أن انقضت دولة بني طولون، فصار أمراء مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج القسطنطية. وما زالوا على ذلك، حتى قدمت عساكر الإمام المعز لدين الله أبي تميم معد الفاطمي مع كاتبه جوهر القائد، فبني «القاهرة»<sup>(b)</sup> ونزل فيها بمن معه من العساكر ثم قديم المعز فنزل في قصره من القاهرة وصارت دار خلافة<sup>(b)</sup>.

(a) بولاق: مياينة. (b-b) ساقطة من بولاق.



واستمر سُكْنَى الرَّعِيَّةِ بالفُسطاط ، وَبَلَغَ من وَفُورِ العِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الخَلَائِقِ ما أُرْتَبَى على عَامَّةِ مُدُنِ المعمور - حاشا بَعْدَاداً<sup>١</sup> - وما زال على ذلك حتى تَغَلَّبَ الفِرِنجُ على سِوَا حِلِّ البِلادِ الشَّامِيَّةِ ، وَنَزَلَ مُرِّي [Amaury] مَلِكُ الفِرِنجِ بِجُمُوعِهِ الكَثِيرَةِ على بَرْكَةِ الحَبَشِ يُرِيدُ الاِسْتِيلاءَ على مَمْلَكَةِ مِصرَ وَأَخَذَ الفُسطاطَ والقَاهِرَةَ . فَعَجَزَ الوَزِيرُ شَاوَرُ بنُ مُجِيرِ السَّعْدِيِّ عَنِ حِفْظِ البَلَدَيْنِ مَعًا ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِإِخْلَاءِ مَدِينَةِ الفُسطاطِ واللُّحاقِ بالقَاهِرَةَ لِلاِمْتِناعِ مِنَ الفِرِنجِ - وَكَانَتِ القَاهِرَةُ إِذْ ذَاكَ مِنَ الحِصَانَةِ وَالِامْتِناعِ بِحَيْثُ لا تُرَامُ - فَارْتَحَلَ النَّاسُ مِنَ الفُسطاطِ ، وَسارُوا بِأَسْرِهِمُ إلى القَاهِرَةَ ، وَأَمَرَ شَاوَرُ فَأَلْقَى العَبِيدُ النَّارَ فِي الفُسطاطِ ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ بَضْعًا وَخَمْسِينَ يَوْمًا حَتَّى اخْتَرَقَتْ أَكْثَرُ مَسَاكِينِهِ<sup>٢</sup> .

فَلَمَّا رَحَلَ مُرِّي [Amaury] عَنِ القَاهِرَةَ ، وَاسْتَوْلَى شِيرِكُوهُ على الوَزارَةِ ، تَرَجَعَ النَّاسُ إلى الفُسطاطِ وَرَمَوْا بَعْضَ شَعْبِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ فِي نَقْصٍ وَخَرَابٍ إلى يَوْمِنَا هَذَا .

وَقَدْ صَارَ الفُسطاطُ يُعْرَفُ فِي زَمَانِنَا بِـ «مَدِينَةِ مِصرَ» ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

### زَكَرَ ما كانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ الفُسطاطِ قَبْلَ الإِسْلامِ

#### إلى أنِ اخْتُطِبَ المُسْلِمُونَ مَدِينَةً

اعْلَمَ أَنَّ مَوْضِعَ «الفُسطاطِ» - الَّذِي يُقَالُ لَهُ اليَوْمَ «مَدِينَةِ مِصرَ» - كانَ قِصَاةً وَمَزَارِعَ فيما بَيْنَ النَّيْلِ والجَبَلِ الشَّرْقِيِّ الَّذِي يُعْرَفُ بالجَبَلِ المُقَطَّمِ ، لَيْسَ فِيهِ مِنَ البِناءِ وَالعِمَارَةِ سِوَى حِصْنٍ ، يُعْرَفُ اليَوْمَ بَعْضُهُ بِـ «قِصْرِ الشَّمْعِ» وَبِـ «المُعَلَّقَةِ» ، يَنْزِلُ بِهِ شِخْنَةُ الرُّومِ المُتَوَلِّيُ على مِصرَ مِنَ قِبَلِ القِياصِرَةِ مُلُوكِ الرُّومِ ، عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنَ مَدِينَةِ الإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَيُقِيمُ فِيهِ ما شاءَ ، ثُمَّ يَعُودُ إلى دارِ الإِمَارَةِ وَمَنْزِلِ المُلْكِ مِنَ الإِسْكَندَرِيَّةِ .

وَكانَ هَذَا الحِصْنُ مُطِلاً على النَّيْلِ ، وَتَصِلُ الشُّفُنُ فِي النَّيْلِ إلى بابِهِ الغَرْبِيِّ الَّذِي كانَ يُعْرَفُ بِبابِ الحَدِيدِ ، وَمِنْهُ رَكِبَ المُقَوِّقُسُ فِي الشُّفْنِ<sup>(a)</sup> حِينَ غَلَبَهُ المُسْلِمُونَ على الحِصْنِ المَذْكَورِ ، وَصارَ

(a) بَعْدَ ذَلِكَ فِي بُولاقَ : فِي النَّيْلِ مِنَ بابِهِ الغَرْبِيِّ !

<sup>١</sup> ذَكَرَ الرِّحالَةَ المُقَدِّسِي البِشارِي الَّذِي زارَ مِصرَ فِي نِهايةِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ بَعْدَ تَأْسيِسِ الفاطِمِيِّينَ لِدَوْلَتِهِمْ فِي مِصرَ فِي حَديثِهِ عَنِ الفُسطاطِ أَنَّهُ «مِصرَ مِصرَ وَناسِخَ بَغدادَ وَمُفَخَّرَ الإِسْلامِ وَمُتَجَرَ الأَنامِ ، وَأَجَلَ مِنَ مَدِينَةِ السَّلَامِ ... لَيْسَ فِي

الأَمْصارِ أَهْلٌ مِنْهُ ...» (المُقَدِّسِي : أَحْسَنُ التَّقاسِيمِ فِي مَعْرِفَةِ الأَقالِيمِ ١٩٧) ، وَانظُرْ فيما يَلِي ٢٠٧ .

<sup>٢</sup> فيما يَلِي ١٤٢ - ١٤٦ .



ذُكِرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ الْفُسْطَاطِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ اخْتَطَّهُ الْمُسْلِمُونَ مَدِينَةً ٥

فيه إلى الجزيرة التي تجاه الحصن ، وهي التي تُعْرَفُ اليوم بـ «الرَّوَضَةِ» قُبَالَةَ مِصْرَ .  
وكان مِقْيَاسُ النَّيْلِ بِجَانِبِ الْحِصْنِ . قَالَ ابْنُ الْمُتَوَجِّحِ : وَعَمُودُ الْمِقْيَاسِ مَوْجُودٌ فِي زُقَاقِ مَسْجِدِ  
ابن النُّعْمَانِ ؛ قُلْتُ : وَهُوَ بَاقٍ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، أَعْنِي سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةَ <sup>١</sup> .

وكان هذا الحصن لا يزال مَشْحُونًا بِالْمُقَاتِلَةِ ، وَسِيرِدٌ فِي هَذَا الْكِتَابِ خَبْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
وكان بجوار هذا الحصن من بَحْرِيهِ - وهي الْجِهَةُ الشَّمَالِيَّةُ - أَشْجَارٌ وَكُرُومٌ صَارَ مَوْضِعَهَا  
الْجَامِعُ الْعَتِيقُ . وَفِيمَا بَيْنَ الْحِصْنِ وَالْجَبَلِ عِدَّةٌ كَنَائِسَ وَدِيَارَاتٍ لِلنُّصَارَى ، أَكْثَرُهَا <sup>(a)</sup> فِي الْمَوْضِعِ  
الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِرَاشِدَةَ .

وبجانب الحصن - فيما بين الكُروم التي كانت بجانيه وبين الجُزْفِ الذي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِجَبَلِ  
يَشْكُرُ حَيْثُ جَامِعُ ابْنِ طُولُونَ وَالْكَبْشِ - عِدَّةٌ كَنَائِسَ وَدِيَارَاتٍ لِلنُّصَارَى ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ  
يُعْرَفُ فِي أَوَائِلِ الْإِسْلَامِ بِالْحَمْرَاءِ ، وَعُرِفَ الْآنَ بِحُطِّ قَنَاطِرِ السُّبَاعِ وَالسُّبُعِ سِقَايَاتِ . وَبَقِيَ  
بِالْحَمْرَاءِ <sup>(b)</sup> عِدَّةٌ مِنَ الدِّيَارَاتِ إِلَى أَنْ هُدِمَتْ فِي سَلْطَنَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، عَلَى مَا  
ذُكِرَ فِي هَذَا الْكِتَابِ عِنْدَ ذِكْرِ كَنَائِسِ النُّصَارَى <sup>٢</sup> .

فَلَمَّا افْتَتَحَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَدِينَةَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ الْفَتْحَ الْأَوَّلَ ، نَزَلَ بِجِوَارِ هَذَا الْحِصْنِ ، وَاخْتَطَّ  
الْجَامِعَ الْمَعْرُوفَ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ وَبِجَامِعِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، وَاخْتَطَّتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ مِنْ حَوْلِهِ ،  
فَصَارَتْ مَدِينَةً عُرِفَتْ بِـ «الْفُسْطَاطِ» ، وَنَزَلَ النَّاسُ بِهَا .

فَانْحَسَرَ بَعْدَ الْفَتْحِ بِأَعْوَامِ مَاءِ النَّيْلِ عَنْ أَرْضِ تَجَاهِ الْحِصْنِ وَالْجَامِعِ الْعَتِيقِ ، فَصَارَ الْمُسْلِمُونَ  
يُعْرِقُونَ <sup>(c)</sup> <sup>٣</sup> هُنَاكَ ذَوَابَّهُمْ ، ثُمَّ اخْتَطُّوا فِيهِ الْمَسَاكِينَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ . وَصَارَ سَاحِلُ الْبَلَدِ حَيْثُ  
الْمَوْضِعِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ فِي مِصْرِ الْمَعَارِيحِ ، مَارًا إِلَى الْكُومِ الَّذِي عَلَى يَسْرَةِ الدَاخِلِ مِنْ بَابِ مِصْرَ  
بِحَدِّ الْكِبَارَةِ ، وَفِي مَوْضِعِ هَذَا الْكُومِ كَانَتْ الدُّورُ الْمُطَّلَّةُ عَلَى النَّيْلِ . وَيُمَيِّزُ السَّاحِلُ مِنْ بَابِ مِصْرَ  
الْمَذْكُورِ إِلَى حَيْثُ بُشْتَانِ ابْنِ كَيْسَانَ ، الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِبُشْتَانَ الطُّوَّاشِيِّ ، فِي أَوَّلِ مَرَاغَةِ مِصْرَ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) ساقطة من ظ . (c) بولاق : يوقفون .

<sup>١</sup> فيما يلي ٢ : ٥١٠ ، وهذه التواريخ تفيدنا في التعرف على  
الفترات المختلفة التي كان يدون فيها المقرئ في فصول كتابه .  
<sup>٢</sup> انظر فيما يلي ٢ : ٥١٢ - ٥١٣ .  
<sup>٣</sup> حاشية بخط المؤلف : «أعرق الفرس وعرقته ، أجرته  
ليعرق ، ويقول أعرق الفرس يريد أعده لأنه إذا أعد أعرق  
فيكتفي بذكر العرق من ذكر الفرس» .



وجميع الأماكن التي تُعرف اليوم بمراغة مصر وبالجزف إلى الخليج عرضًا، ومن حيث قنطرة  
السند إلى سوق المعاريج طولًا، كان غامرًا بماء النيل، إلى أن انحسر عنه ماء النيل بعد سنة ست  
مائة من سني الهجرة، فصار رَمْلَةً. ثم اختط فيه الأمراء مما يلي النيل آدرًا عندما عمّر الملك  
الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة<sup>١</sup>، واختط بعضه شوتًا إلى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن  
قلاوون جامعته المعروف بالجامع / الجديد الناصري، ظاهر مصر، فعمر ما حوله<sup>٢</sup>.

وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التي من منشأة المهراي إلى بركة الحبش طولًا، ومن  
ساحل النيل بموردة الحلفاء، وتجاه الجامع الجديد إلى سوق المعاريج، وما على سمته إلى تجاه  
المشهد الذي يُقال له مشهد الرأس - وتسميه العامة اليوم مشهد زين العابدين - كلها بحرًا لا  
يحول بين الحوض والجامع، وما على سمتيهما إلى الحمراء الدنيا التي منها اليوم خط قناطر  
السباع، وبين جزيرة مصر التي تُعرف اليوم بالروضة، شيء سوى ماء النيل. وجميع ما في هذه  
المواضع من الأبنية، انكشفت عنه النيل قليلًا قليلًا<sup>٣</sup>، واختط على ما يتبين لك في هذا الكتاب.

### ذكر الحصن الذي يُعرف بقصر الشمع

اعلم أن هذا القصر أُخِذ بعد خراب مصر على يد بُخت نصر، وقد اختلِف في الوقت الذي  
بني فيه ومن أنشأه من الملوك، (فذكر الواقدي أن الذي بناه اسمه الريان بن الوليد بن أرسلاوس<sup>٤</sup> .  
وكان هذا القصر يُوقد عليه الشمع في رأس كل شهر، وذلك أنه إذا حلت الشمس في بُرج  
من البروج، أُوقد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر، فيعلم الناس بوقود الشمع أن  
الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه إلى بُرج آخر غيره.

فلم<sup>(b)</sup> يزل القصر على حاله إلى أن خربت مصر زمن بُخت نصر بن نيروز الكلداني، فأقام  
خرابًا خمس مائة سنة، ولم يبق منه إلا أثره فقط؛ فلما غلب الروم على مصر وملكوها من أيدي

(a-a) غير موجود في ظ . (b) بولاق : ولم .

- ١٦٣ .

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٢: ١٨٣-١٨٥ .

<sup>٤</sup> الواقدي : فتوح مصر والإسكندرية ٤١ .

<sup>٢</sup> انظر فيما يلي ٢: ٣٠٤ .

<sup>٣</sup> عن انحسار ماء النيل وانتقاله غربًا انظر فيما يلي ١٥٨



اليونانيين ، وليّ مصر من قبيلهم رجلٌ يُقال له أرجاليس بن مقرطيس ، فبنّى القصر على ما وجد من أسابيه<sup>(a)</sup> .<sup>١</sup>

وقال ابنُ سعيد : وصارت مصر والشام بعد بُخت نصر في مملكة الفُرس ، فولّيتها منهم كَشْرَجُوش الفارسي باني قَصْرِ الشَّمْعِ ، وبعده طخارست الطويل الولاية ، وتوالت بعده نوابُ الفُرس إلى ظهور الإسكندر .

وقال غيره : إن الذي بناه طخشاسنت ، أخذ ملوك الفُرس ، عندما سارَ لمحاربة أهل مصر ، فلما غلبَ قَسْطَرًا<sup>(b)</sup> ملك مصر الذي يُعْرَفُ بيفرعون سابان ، وفرّ منه إلى مقدونية ، غلبَ على ملك مصر ، واستولى عليها ، وبنى للفُرس قَصْرًا ، وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي ، وعرفَ بقصر الشَّمْعِ لأنه كان له بابٌ يُقال له بابُ الشَّمْعِ ، وجعل في القصر بيت نار ، وهو باقٍ .

وقال ابنُ عبد الحكم ، عن اللّيث بن سعد : وكانت الفُرس قد أسست بناء الحِصْنِ الذي يُقال له باب أليون ، وهو الحِصْنِ الذي بقسطنطاط مصر اليوم ، فلما انكشفت<sup>(c)</sup> جموع فارس عن الروم ، وأخرجتهم الروم من الشام ، أتمت بناء ذلك الحِصْنِ وأقامت به . فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين<sup>٢</sup> .

قال : وكان أبو الأسود نُضر بن عبد الجبار<sup>٣</sup> يقولها بالميم - يعني باب اليوم -

(a-a) غير موجودة في ظ . (b) بولاق : قسطور . (c) بولاق : انكشف .

*Islam VIII* (1918), pp. 1-14, 136-37; Monneret de Villard, U., «Recherche sulls topographia di Qasr eš-Šam», *BSRGEXII* (1923-24), pp. 205-32; Toy, S., «Babylone of Egypt», *JBAA 3<sup>e</sup> Dérie* (1937); Loukianoff, E., «La forteresse romaine du Vieux-Caire», *BIE XXXIII* (1950-51), pp. 285-93; Becker, C.H., *El<sup>2</sup> art. Babalyun I*, pp. 867-68; Fu'ād Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte jusou'à l'époque fatimide*, pp. 6-8.

<sup>٢</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ٣٤ - ٣٥ .

<sup>٣</sup> أبو الأسود النضر بن عبد الجبار بن نضير المرادي =

<sup>١</sup> لا نعرف على وجه الدقة إن كان قصر الشمع الذي يتحدث عنه المقرئ هو نفسه الأثر الموجود الآن ويطلق عليه قصر الشمع في مصر القديمة ، ولتفاصيل أكثر راجع ، باقوت : معجم البلدان ٤ : ٣٥٧ - ٣٥٨ ; Abbate, W., «Les origines du Caire . Esquisse historique sur Babylone et Fostat», *BIE 3<sup>e</sup> série I* (1890), pp. 5-18; Butler, A.J., *The Arab Conquest of Egypt*, Oxford 1902, pp. 238-48 (بتلر ، الفريد ج : فتح العرب لمصر ، القاهرة ١٩٣٣ ، ٢٠٩ - ٢١٧) ; id., *Babylon of Egypt, a study in the History of Old Cairo*, Oxford 1914; Herz, M., «Babylon und Qasr eš-Šam», *Der*



(<sup>a</sup> ويقول (<sup>b</sup>) إنما سُمِّيَ كذا لأنهم كانوا يقولون : من يُقاتِل اليوم (<sup>a</sup>) ؟

وقال القُضاعي : ذَكَرَ الحِصْنُ المعروف بقصر السَّمْع : يُقالُ إنَّ فارسَ لما ظَهَرَت على الروم ، ومَلَكَت عليهم الشَّامَ ومَلَكَت مصر ، بدأتُ ببناء هذا القصر ، وبَنَت فيه هَيْكَلًا لبيت النار ، ولم يتم بناؤه على أيديهم إلى أن ظَهَرَت الرومُ عليهم ، فَتَمَّت بِناءه وَحَصَّنَتْه ، ولم تَزَل فيه إلى حين الفتح . وهَيْكَلُ النَّارِ هو القُبَّةُ المعروفة اليوم بقُبَّة الدُّخَان ، وبحضرتها مَسْجِدٌ مُعلَّقٌ أَخَذَتْهُ المسلمون .

(<sup>a</sup>) وقال أبو عُبيد البكري : باب أَلْيُونٍ بِمِصرٍ إن كان عَرَبِيًّا فَإِنَّهُ مِثْلُ يَوْمٍ وَيَوْحٍ مِمَّا فَاوَهُ ياء وَعَيْنُهُ واو ، وقد يَجُوزُ أن يكون فُعلًا من يين ، وهو اسم مَوْضِعٍ على مَذْهَبِ أَبِي الحَسَنِ في «فُعل» من البيع بُوع . قال : وَلَيْسَتْ الألف واللام فيه للتعريف ، فعلى هذا يجب أن تُثَبَّت في الرِّسْم . وقال أبو صَخْر :<sup>١</sup>

[الطويل]

جَلَوْا من (<sup>c</sup>) تَهَامٍ أَرْضِنَا وَتَبَدَّلُوا  
بِمَكَّةَ بابِ أَلْيُونِ ، والرَّيْطُ بالعَصَبِ  
والرِّوَايَةُ في شِجْرِ كَثِيرٍ عَزَّةٌ في قَوْلِهِ <sup>٢</sup> :

[الطويل]

جَزَى بين بابِ أَلْيُونِ وَالهِضْبِ (<sup>d</sup>) دونه  
رِيَاخٌ أَسْفَتُ بِالنُّقَا وَأَسْمَتِ  
بِالباءِ وَبِفَتْحِ النونِ غيرَ مَجْرُورٍ لِلعُجْمَةِ ، على أَنَّ هَمْزَتَهُ مَقْطُوعَةٌ وَصَلَّهَا لِلضَّرُورَةِ <sup>٤</sup> .  
وقال الحازمي <sup>٥</sup> : باب أَلْيُونِ - بالياء - اسم مَدِينَةٍ بِمِصرَ ، فَتَحَّهَا المسلمون وَسَمَّوْها الفُسطاط (<sup>a</sup>) .

(a-a) ساقطة من ظ . (b) بولاق : يقال . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : العصب .

= البصري ، كاتب الحكم لقاضي مصر لهيعة بن عيسى بن

لهيعة المتوفى سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م (الذهبي : سير أعلام النبلاء

١٠ : ٥٦٧-٥٦٨) .

<sup>١</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٢٨٠ .

<sup>٢</sup> أي أبو صخر الهذلي .

<sup>٣</sup> البيت في ديوان كُتَيْبِ عَزَّة ، تحقيق إحسان عباس ،

بيروت - دار الثقافة ١٩٧١ ، ٣٢٦ ، وهو من قصيدة يرثي

فيها عبد العزيز بن مروان ؛ وورد عند ياقوت : معجم البلدان

١ : ٣١١ .

<sup>٤</sup> أبو عبيد البكري : معجم ما استعجم ١٨٩ وأيضًا

٢١٨ ، ١٤٠٣ .

<sup>٥</sup> هو الحافظ النُّشابة أبو بكر محمد موسى بن عثمان

الحازمي الهَمْدَانِي الشافعي المتوفى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م

(المنذري : التكملة لوفيات النقلة ١ : ٨٩-٩٢ ؛ ابن خلكان :

وفيات الأعيان ٤ : ٢٩٤-٢٩٥ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء

٢١ : ١٦٧-١٧٢ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٥ : ٤٨٨ =



<sup>(a)</sup> وقال عبدُ الملك بن هشام : بابليون المنسوب إليه مصر ، هو بابليون بن سبأ بن يشجب بن يعزب بن قحطان ، وإن من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبأ ، وهو الملك على مصر لما قدم إليها إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه . والقبط تُسمى عمراً هذا طوطيس ، ومن ولده حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس ، وبه سُميت حلوان <sup>(a)</sup> .<sup>١</sup>

٥ وقال القاضي القضاعي : في ظاهر الفسطاط القصر المعروف باب ليون بالشرف - ليون اسم بلد مصر بلغة السودان والروم - وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة/ على طرف الجبل بالشرف ، وعليه اليوم مسجد .

قال كاتبه <sup>(b)</sup> : فهذا - كما ترى - صريح في أن قصر باب أليون غير قصر الشمع ، فإن قصر الشمع في داخل الفسطاط ، وقصر باب أليون هذا - عند القضاعي - على الجبل المعروف بالشرف ، والشرف خارج الفسطاط ، وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم في كتاب «فتوح مصر» والله أعلم .  
١٠ ويُقال إن في زمن ناحور بن شاروع - وهو الثامن عشر من آدم - ملك مصر رجل اسمه أفطوطس مدة اثنتين وثلاثين سنة ، وإنه أول من أظهر علم الحساب والشعر ، وحمل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين إلى مصر . وفي ذلك الزمان بُنيت بابليون على بحر النيل بمصر ، وذلك لتمام ثلاثة آلاف وثلاث مائة وتسعين للعالم .

١٥ وقال ابن سعيد في كتاب «المغرب» : وأما فسطاط مصر فإن مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس ، وجاء الإسلام وبها بناء يُعرف بالقصر حوله مساكن ، وعليه نزل عمرو ابن العاص ، وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه <sup>٢</sup> .

وهذا وهم من ابن سعيد ، فإن فسطاط عمرو إنما كان مضروباً عند دزب حمام شمول بخط الجامع <sup>٣</sup> ، كذا <sup>(c)</sup> هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجواني النصابة ، وهو أقعد بخط مصر وأعرف من ابن سعيد .

(a-a) ساقط من ظ . (b) بولاق : المؤلف . (c) بولاق : هكذا .

<sup>١</sup> = السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٧ : ١٣-١٤ .

<sup>٢</sup> ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب (قسم مصر) ١ .

<sup>٣</sup> انظر فيما يلي ٣١ وأبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٦٥ .



وأما موضع الجامع فكان كروماً وجناتاً، وحاز موضعه قيسبة الثجبي ثم تصدق به على المسلمين، فعُمل المسجد. وستقف على هذا إن شاء الله تعالى في ذكر جامع عمرو، عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب<sup>١</sup>.

وقال ابن المتوج: حُطَّ قَصْرُ الشَّمْعِ، هذا الخطُّ يُعْرَفُ بِقَصْرِ الشَّمْعِ، وفيه قَصْرُ الرُّومِ، وفيه أَرْقَةُ وَدُورٌ<sup>(a)</sup> وَدُزُوبٌ؛ قَالَ: وَكَنِيسَةُ الْمُعَلَّقَةِ بِمِصْرَ بِيَابِ الْقَصْرِ، وَهُوَ قَصْرُ الرُّومِ. وقال ابن عبد الحكم: وَأَقْرَبُ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ الْقَصْرَ لَمْ يُقْسِمَهُ وَوَقَّعَهُ<sup>٢</sup>.

وقال أبو عمر الكندي في كتاب «الأمرء»، وقد ذكر قيام علي بن محمد بن عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب وطروق المسجد، في إمارة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة على مصر: وَوَرَدَ كِتَابُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ عَلَى يَزِيدِ بْنِ حَاتِمٍ بِأَمْرِهِ بِالتَّحْوِيلِ مِنَ الْعَسْكَرِ إِلَى الْقُسْطَاطِ، وَأَنْ يَجْعَلَ الدِّيوانَ فِي كَنَائِسِ الْقَصْرِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ<sup>٣</sup>.

### ذِكْرُ حِصَارِ الْمُسْلِمِينَ لِلْقَصْرِ وَفَتْحِ مِصْرَ

اختلف الناس في فتح مصر، فقال محمد بن إسحاق وأبو معشر ومحمد بن عمر الواقدي ويزيد بن أبي حبيب وأبو عمر الكندي: فُتِحَتْ سَنَةَ عَشْرِينَ؛ وَقَالَ سَيْفُ بْنُ عُمَرَ: فُتِحَتْ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةٍ؛ وَقِيلَ فُتِحَتْ سَنَةَ سِتِّ وَعَشْرِينَ، وَقِيلَ سَنَةَ إِحْدَى وَعَشْرِينَ، وَقِيلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ؛ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَأَشْهَرُ<sup>٤</sup>.

(a) زيادة من ظ.

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٢: ٢٤٦.  
<sup>٢</sup> ابن عبد الحكم: فتوح مصر ١١٤.  
<sup>٣</sup> الكندي: ولاة مصر ١٣٧؛ وانظر فيما يلي ٦٢.  
<sup>٤</sup> يعد كتاب عبد الرحمن بن عبد الحكم «فتوح مصر وأخبارها» المصدر الرئيس الذي تناول تفاصيل فتح العرب له P.M. Fraser نشرة مراجعة ضمنها دراسات أخرى =

المسلمين لمصر، واعتمد عليه كل المؤرخين اللاحقين الذين بنوا روايتهم للفتح عليه (وانظر فيما تقدم ١: ٤٤١-٤٥١ فتح الإسكندرية). أما أهم الدراسات الحديثة التي درست موضوع الفتح فأهمها كتاب الفرد بتلر Butler, A.J., *The Arab Conquest of Egypt and the Last Thirty Years of Roman Domination*, Oxford 1902، وقدم له



- قال ابن عبد الحكم : لما قَدِمَ عُمَرُ بن الخطَّاب - رضي الله عنه - الجايبة ، قام إليه عمرو بن العاص فخلا به ، فقال : يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير إلى مصر وحرصه عليها وقال : إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم ، وهي أكثر الأرض أموالاً ، وأعجزها<sup>(a)</sup> عن القتال والحرب . فتخوَّف عمر بن الخطَّاب وكرة ذلك ، فلم يزل عمرو يُعظِّم أمرها عند عمر بن الخطَّاب ويُخبره بحالها ، ويُهَوِّن عليه فتحها حتى ركن لذلك . فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك ، ويُقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة . وقال له عمر : سير وأنا مُستخير الله في مسيرك ، وسيأتيك كتابي سريعاً إن شاء الله تعالى ، فإن أدركك كتابي أمرُك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ، وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك ، واستعن بالله واستنصره . فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ، ولم يشعر به أحدٌ من الناس .
- واستخار عمر الله ، فكأنه تخوَّف على المسلمين في وجههم ذلك ، فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين ، فأدرك عمراً الكتاب إذ هو برّح ؛ فتخوَّف عمرو إن هو أخذ الكتاب وفتح أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول<sup>١</sup> ودافعه ، وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش ، فسأل عنها ، فقيل إنها من مصر . فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين ، فقال عمرو لمن معه : ألسنتم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى . قال : فإن أمير المؤمنين عهد إلي ، وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أراجع ، ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله .
- ويقال بل كان عمرو بفلسطين ، فتقدم عمرو بأصحابه إلى مصر بغير إذن ، فكتب فيه إلى عمر - رضي الله عنه - فكتب إليه عمر وهو دون العريش ، فحبس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش فقرأه ، فإذا فيه :

(a) النسخ . وأعجز والتصويب من ابن عبد الحكم .

29; Cristidis, V., *El*<sup>2</sup> art. *Misr* VII, pp. 154-55; Kaegi, W., «Egypte on the Eve of the Muslim Conquest» in *The Cambridge History of Egypt*, I, pp. 34-61.

<sup>١</sup> هو عقبة بن عامر الجهني (فيما يلي ٣٠؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١: ٢٢) .

= لبتلر حول موضوع الفتح ظهرت في أكسفورد سنة ١٩٧٨ (نقله إلى العربية عن الطبعة الأولى محمد فريد أبو حديد بعنوان : فتح العرب لمصر ، القاهرة ١٩٣٣) ؛ وانظر كذلك سيدة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٤٧ ، بيروت ١٩٨٦ ؛ Jarry, J., «L'Égypte et l'invasion musulmane», *An. Isl.* 6 (1966), pp. 1-



«من عُمر بن الخطَّاب إلى العاصي ابن العاصي . أمَّا بعدُ ، فإنَّك سيَّرت  
إلى مصر ومن / معك ، وبها جُموعُ الرُّوم ، وإمَّا معك نَفْرٌ يَسِير ، ولعَمري  
لو كان ثكل أمك<sup>(a)</sup> ما سيَّرت بهم ، [فإذا جاءكَ كتابي هذا]<sup>(b)</sup> فإن لم تكن  
بَلَّغْتَ مصر فازِجِع» .

فقال عمرو : الحمد لله أيُّه أرض هذه ؟ قالوا : من مصر ، فتقدَّم كما هو<sup>٥</sup> .

ويقال بل كان عمرو في جُنْدِه على قيسارية مع مَنْ كان بها من أجناد المسلمين وعمر بن  
الخطَّاب - رضي الله عنه - إذ ذاك بالجابية ، فكتب سيرًا فاستأذن أن يسير إلى مصر ، وأمر  
أصحابه ، فتنحَّوا كالقوم الذين يريدون أن يتنحَّوا من منزل إلى منزل قريب ، ثم سار بهم ليلاً .  
فلما فقدَه أمراء الأجناد ، استنكروا الذي فعل ، ورأوا أن قد غرَّز<sup>(c)</sup> ، فرفعوا ذلك إلى عمرو بن  
الخطَّاب - رضي الله عنه - فكتب إليه عمرو :

«إلى العاصي ابن العاصي أمَّا بعدُ ، فإنَّك قد غرَّزت بمن معك ، فإن  
أذرك كتابي ولم تدخل مصر فازِجِع ، وإن أذركك وقد دخلت فامض ،  
واعلم أنني مُمِدِّك» .

ويقال إنَّ عمرو بن الخطَّاب - رضي الله عنه - كتب إلى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام : أن  
انذب النَّاس إلى المسير معك إلى مصر ، فمن خفَّ معك فسير به ؛ وبعتَّ به مع شريك بن عبدة ؛  
فندبهم عمرو ، فأسرَّعوا إلى الخروج مع عمرو .

ثم إنَّ عثمان بن عفَّان - رضي الله عنه - دخل على عمرو بن الخطَّاب ، فقال عمرو : كتبتُ إلى عمرو  
ابن العاص يسير إلى مصر من الشام ؛ فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ، إنَّ عمرًا لجرَّؤ فيه<sup>(d)</sup> إقدام وحب  
للإمارة ، فأخشى أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة ، فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فُرصة لا  
يُدري تكون أم لا ؛ فتدبَّ عمرو على كتابه إلى عمرو ، وإشفاقًا<sup>(e)</sup> ممَّا قال عثمان ، فكتب إليه : «إن  
أذرك كتابي هذا<sup>(f)</sup> قبل أن تدخل إلى مصر فازِجِع إلى موضِعك ، وإن كنت دخلت فامض لوجهك» .

(a) بولاق : لو نكل بك ، ظ : نكلت أمك . فتوح : كانوا ثكل أمك ، الكندي : لو كان ثكل أمك . (b) زيادة من  
الكندي . (c) بولاق : غدر . (d) بولاق : لجرئ وفيه . (e) بولاق : أشفق . (f) زيادة من ظ .

<sup>١</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٥٦-٥٧ ؛ الكندي : ولاية مصر ٣٠-٣١ ؛ ابن سعيد : المغرب ١٩-٢٠ ؛ أبو المحاسن :  
النجوم الزاهرة ١: ٥-٦ ؛ وفيما تقدم ١: ٤٣٠ .



فَلَمَّا بَلَغَ الْمُقَوْسَ قُدُومَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ إِلَى مِصْرَ ، تَوَجَّهَ إِلَى مَوْضِعِ الْفُسْطَاطِ ، فَكَانَ يُجَهِّزُ عَلَى عَمْرُو الْجِيُوشِ ، وَكَانَ عَلَى الْقَصْرِ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ يُقَالُ لَهُ الْأُعْيَرِجُ وَالْيَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ تَحْتَ يَدَيْهِ<sup>(a)</sup> الْمُقَوْسِ . وَأَقْبَلَ عَمْرُو حَتَّى إِذَا كَانَ بِجَبَلِ الْحَلَالِ نَفَرَتْ مَعَهُ رَاشِدَةٌ وَقَبَائِلٌ مِنَ لَحْمٍ ، فَتَوَجَّهَ عَمْرُو حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْعَرِيشِ أَدْرَكَهُ النَّحْرُ ، فَضَحَّى عَنْ أَصْحَابِهِ يَوْمئِذٍ بِكَيْشٍ . وَتَقَدَّمَ فَكَانَ أَوَّلُ مَوْضِعِ قُوتِلَ فِيهِ الْفَرَمَا ، قَاتَلَتْهُ الرُّومُ قِتَالًا شَدِيدًا نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ ، ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ .  
وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَمْرُو مِنْذُ تَوَجَّهَ مِنْ قَيْسَارِيَّةَ إِلَى أَنْ فَرَّغَ مِنْ حَرْبِهِ . وَكَانَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ أُسْقُفٌ لِلْقَيْطِ يُقَالُ لَهُ أَبُو مِيَامِينَ<sup>(b)</sup> ، فَلَمَّا بَلَغَهُ قُدُومَ عَمْرُو إِلَى مِصْرَ ، كَتَبَ إِلَى الْقَيْطِ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِلرُّومِ دَوْلَةٌ ، وَأَنَّ مُلْكَهُمْ قَدْ انْقَطَعَ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِتَلْقَى عَمْرُو ، فَيُقَالُ إِنَّ الْقَيْطِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْفَرَمَا كَانُوا يَوْمئِذٍ لِعَمْرُو أَعْوَانًا .

ثُمَّ تَوَجَّهَ عَمْرُو لَا يُدَافِعُ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْخَفِيفِ<sup>(c)</sup> ، حَتَّى نَزَلَ الْقَوَاصِرَ ، فَسَمِعَ رَجُلٌ مِنَ لَحْمٍ نَفَرًا مِنْ الْقَيْطِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، يُقَدِّمُونَ عَلَى جُمُوعِ الرُّومِ وَإِنَّمَا هُمْ فِي قِلَّةٍ مِنَ النَّاسِ ؟ فَأَجَابَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا ظَهَرُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى يَقْتُلُوا خَيْرَهُمْ . وَتَقَدَّمَ عَمْرُو لَا يُدَافِعُ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْخَفِيفِ حَتَّى أَتَى بَلْبَيْسَ ، فَقَاتَلُوهُ بِهَا نَحْوًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ . ثُمَّ مَضَى لَا يُدَافِعُ إِلَّا بِالْأَمْرِ الْخَفِيفِ حَتَّى أَتَى أُمَّ دُنَيْنَ ، فَقَاتَلُوهُ بِهَا قِتَالًا شَدِيدًا .

وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ الْفَتْحُ ، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ يَسْتَمِدُّهُ ، فَأَمَدَّهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ تَمَامَ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ ، وَقِيلَ بِلِ أَمَدَّهُ بِاِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، فَوَصَلُوا إِلَيْهِ أَرْسَالًا يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَكَانَ فِيهِمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةٌ : الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَمَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ ؛ وَقِيلَ إِنَّ الرَّابِعَ خَارِجَةَ بِنَ مُحَمَّدَانَ دُونَ مَسْلَمَةَ .

ثُمَّ أَحَاطَ الْمُسْلِمُونَ بِالْحِصْنِ ، وَأَمِيرُهُ يَوْمئِذٍ الْمُنْدَقُورُ<sup>(d)</sup> - الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْأُعْيَرِجُ - مِنْ قِبَلِ الْمُقَوْسِ بْنِ قُرْقُبِ الْيُونَانِيِّ ، وَكَانَ الْمُقَوْسُ يَنْزِلُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ وَهُوَ فِي سُلْطَانِ هِرَقْلَ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ

(a) بولاق : يد . (b) كذا في جميع النسخ وهو المعروف عند الأقباط باسم بنيامين . (c) ظ : الأخف . (d) بولاق :

المندفور .

<sup>1</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٥٧-٥٩ ، ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ٢٠-٢١ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة



حاضر الحِصْن حين حاصره المسلمون ، فقاتل عمرو بن العاص من الحِصْن<sup>١</sup> .

وجاء رجل إلى عمرو فقال : انذب معي خيلاً حتى آتي من ورائهم<sup>(a)</sup> عند القتال . فأخرج معه خمس مائة فارس ، عليهم خارجة بن خذافة في قول ، فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل قبل الصُّبْح . وكانت الروم قد خندقوا خندقاً ، وجعلوا له أبواباً ، وبثوا في أفئيتها حَسَك الحديد ، فالتقى القوم حين أصبحوا ، وخرج خارجة من ورائهم ، فانهزموا حتى دخلوا الحِصْن ، وكانوا قد خندقوا حوله<sup>٢</sup> .

فنزَلَ عمرو على الحِصْن ، وقاتلهم قتالاً شديداً يُصْبِحهم ويُمسيهم . وقيل إنه لما أبطأ الفتح على عمرو ، كتب إلى عُمر بن الخطَّاب يستمده ويُعلمه بذلك ، فأمدّه بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل<sup>(b)</sup> مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصَّامِت ، ومسلمة بن مخلد ، وقيل بل خارجة بن خذافة لا يعدون مسلمة ؛ وقال عُمر : اعلم أن معك اثني عشر ألفاً ، ولا تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة<sup>٣</sup> .

وقيل قديم الزبير في اثني عشر ألفاً ؛ وإن عمراً لما قدم من الشام كان في عِدَّة قليلة ، فكان يُفَرِّق أصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم . فلما انتهى إلى الخندق نادوه : أن قد رأينا ما صنعت ، وإنما معك من أصحابك كذا وكذا ؛ فلم يُخطبوا برجلٍ واحد . فأقام عمرو على ذلك أياماً ، يَغْدو في السَّحر فيصِف أصحابه على أفواه الخندق عليهم السلاح ، فبينما هو على ذلك إذ جاءه خبر الزبير ابن العوام أنه قديم / في اثني عشر ألفاً ، فتلقاه عمرو ، ثم أقبل يسيّران . ثم لم يلبث الزبير أن ركب ، ثم طاف بالخندق ، ثم فرَّق الرجال حول الخندق ، وألحَّ عمرو على القصر ، ووضع عليه المنجنيق . ودخل عمرو إلى صاحب الحِصْن ، فتناظرَا في شيءٍ مما هم فيه ، فقال عمرو : أخرج وأستشير أصحابي ؛ وقد كان صاحب الحِصْن أوصى الذي على الباب إذا مرَّ به عمرو أن يُلقِي عليه صخرة

(a) بولاق : دياراتهم . (b) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ٣١ وانظر حول شخصية

المقوقس الذي دارت معه المفاوضة من المسلمين الفاتحين والخلاف حولها - *Öhrenberg, K., EI<sup>2</sup> art. al-*

*Mukawkis VII, pp. 511-13* ؛ أحمد فؤاد : تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ،

<sup>٢</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٥٩ ؛ أبو المحاسن : النجوم

الزاهرة ١ : ٨ .

<sup>٣</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٦١ ؛ أبو المحاسن : النجوم



فَيَقْتُلُهُ ، فَمَرَّ عَمْرُو وَهُوَ يُرِيدُ الْخُرُوجَ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ دَخَلْتُ ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ تَخْرُجُ .  
فَرَجَعَ عَمْرُو إِلَى صَاحِبِ الْحِصْنِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيكَ بِتَقْرِيرٍ مِنْ أَصْحَابِي حَتَّى يَسْمَعُوا مِنْكَ  
مِثْلَ الَّذِي سَمِعْتَ . فَقَالَ الْعِلْجُ فِي نَفْسِهِ : قَتَلُ جَمَاعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِ وَاحِدٍ . وَأَرْسَلَ  
إِلَى الَّذِي كَانَ أَمْرَهُ بِمَا أَمْرَهُ بِهِ مِنْ قَتْلِ عَمْرُو : أَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ ، رَجَاءً أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَصْحَابِهِ  
فَيَقْتُلُهُمْ <sup>١</sup> .

فَخَرَجَ عَمْرُو ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ فِي نَاحِيَةِ يُصَلِّي وَفَرَسُهُ عِنْدَهُ ، فَرَأَاهُ قَوْمٌ مِنَ الرُّومِ ، فَخَرَجُوا  
إِلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ حِلْيَةٌ وَبِزَّةٌ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ سَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ ، وَوَثَبَ عَلَى فَرَسِهِ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا  
رَأَوْهُ وَلُّوا رِجْلَيْهِمْ ، فَاتَّبَعَهُمْ فَجَعَلُوا يُلْقُونَ مَنَاطِقَهُمْ وَمَتَاعَهُمْ لِيَشْعَلُوهُ بِذَلِكَ عَنْ طَلَبِهِمْ ، وَهُوَ لَا  
يَلْتَمِثُ إِلَيْهِ ، حَتَّى دَخَلُوا الْحِصْنَ ، وَرُمِيَ عُبَادَةُ مِنْ فَوْقِ الْحِصْنِ بِالْحِجَارَةِ ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ  
لِشَيْءٍ مِمَّا طَرَحُوا مِنْ مَتَاعِهِمْ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ فَاسْتَقْبَلَ الصَّلَاةَ ، وَخَرَجَ الرُّومُ  
إِلَى مَتَاعِهِمْ يَجْمَعُونَهُ <sup>٢</sup> .

فَلَمَّا أَبْطَأَ الْفَتْحُ عَلَى عَمْرُو ، قَالَ الزُّبَيْرُ : إِنِّي أَهْبُ نَفْسِي لِلَّهِ <sup>(a)</sup> أَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَلَى  
الْمُسْلِمِينَ ؛ فَوَضَعَ سُلْمًا <sup>٣</sup> إِلَى جَانِبِ الْحِصْنِ مِنْ نَاحِيَةِ سُوقِ الْحَمَّامِ ، ثُمَّ صَعِدَ فَأَمَرَهُمْ إِذَا سَمِعُوا  
تَكْبِيرَهُ أَنْ يَجِيبُوهُ جَمِيعًا ، فَمَا سَعَرُوا إِلَّا وَالزُّبَيْرُ عَلَى رَأْسِ الْحِصْنِ يُكَبِّرُ وَمَعَهُ السَّيْفُ ، وَتَحَامَلُ  
النَّاسُ عَلَى السَّلْمِ حَتَّى نَهَاهُمْ عَمْرُو خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْكَسِرَ . وَكَبَّرَ الزُّبَيْرُ ، فَكَبَّرَتِ النَّاسُ مَعَهُ ،  
وَأَجَابَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ خَارِجٍ ، فَلَمْ يَشُكَّ أَهْلُ الْحِصْنِ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ اقْتَحَمُوا جَمِيعًا ، فَهَرَبُوا .  
وَعَمَدَ الزُّبَيْرُ وَأَصْحَابُهُ إِلَى بَابِ الْحِصْنِ فَفَتَحُوهُ ، وَاقْتَحَمَ الْمُسْلِمُونَ الْحِصْنَ . فَخَافَ الْمُقْرَقِسُ عَلَى  
نَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ ، فَحِينَئِذٍ سَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الصُّلْحَ وَدَعَاهُ إِلَيْهِ ، عَلَى أَنْ يَفْرَضَ لِلْعَرَبِ عَلَى  
الْقَيْطِ دِينَارَيْنِ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَأَجَابَهُ عَمْرُو إِلَى ذَلِكَ . وَكَانَ مُكْتَبُهُمْ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ حَتَّى  
فَتَحُوهُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ <sup>٤</sup> .

(a) بولاق : أهب الله نفسي .

<sup>١</sup> ابن سعيد : المغرب ٢٢ .

القضاعي .

<sup>٢</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٦١-٦٢ .

<sup>٤</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٦٣ ؛ ابن سعيد : المغرب

<sup>٣</sup> حاشية بخط المؤلف : وهذا السلم أُحرق بعضه ثم

٢٣-٢٤ أبو المحاسن : النجوم ٩:١-١٠ .

أُحرق ما بقي منه بعد سنة تسعين وثلاث مائة ، قاله



قال: وقد سمعتُ في فتح القصر وجهًا آخر، هو أن المسلمين لما حاصروا<sup>(a)</sup> باب أليون، كان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس، فقاتلوهم شهيرًا. فلما رأى القوم الجدد من العرب على فتحه والحيرص، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه، خافوا أن يظهروا عليهم، فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط، وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يُقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة<sup>١</sup> - موضع الصناعة اليوم - وأمروا بقطع الجسر وذلك في جري النيل. ويُقال إن الأعيرج تخلف في الحصن بعد المقوقس، وقيل خرج معهم، فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف، وكانت سفنهم ملصقة بالحصن، ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة<sup>٢</sup>.

فأرسل المقوقس إلى عمرو:

«إنكم قوم قد ولجتم في بلادنا، وألحتم على قتالنا، وطال مقامكم في أرضنا، وإنما أنتم غضبة يسيرة، وقد أظللتم الروم، وجهزوا إليكم ومعهم من العدة والسلاح، وقد أحاط بكم هذا النيل، وإنما أنتم أسارى في أيدينا، فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم، فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تُحِبُّون ونُحِبُّ، ويتقطع عَنَّا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم، فلا ينفعنا الكلام ولا تقدير عليه، ولعلكم أن تئدموا إن كان الأمر مخالفاً لطلبتكم ورجائكم، فابعثوا إلينا رجالاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيء».

فلما أتت عمرو بن العاص رُسُلُ المقوقس، حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس، فقال لأصحابه: أتروُن أنهم يقتلون الرُسُل، ويستحلُّون ذلك في دينهم؟ وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين. فرد عليهم عمرو مع رُسُله:

«إنه ليس يتيي وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إما أن تدخلتم في الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا، وإن أبيتم فأعطيتُم الجزية عن يدي

(a) بولاق: حصروا.

<sup>٢</sup> ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٦٤.

<sup>١</sup> حاشية بخط المؤلف: وهذه الجزيرة هي الروضة، والصناعة كانت في القديم بها وقد ذكرت في موضعه من هذا الكتاب.



وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، وَإِنَّمَا أَنْ جَاهِدْنَاكُمْ بِالصَّبْرِ وَالْقِتَالِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَكُمْ ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

فَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُ الْمُقَوِّسِ إِلَيْهِ قَالَ : كَيْفَ رَأَيْتُمْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا : رَأَيْنَا قَوْمًا الْمُؤْتِ أَحَبُّ إِلَى  
أَحَدِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَالتَّوَاضُّعُ أَحَبُّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنَ الرَّفْعَةِ ، لَيْسَ لِأَحَدِهِمْ فِي الدُّنْيَا رَغْبَةٌ وَلَا  
نَهْمَةٌ ، إِنَّمَا جُلُوسُهُمْ عَلَى التُّرَابِ ، وَأَكْلُهُمْ عَلَى رُكْبِهِمْ ، وَأَمِيرُهُمْ كَوَاجِدٍ مِنْهُمْ ، مَا يُعْرِفُ  
رَفِيعُهُمْ مِنْ وَضِيعُهُمْ ، وَلَا الشَّيْءُ مِنْهُمْ مِنَ الْعَبْدِ ، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهَا مِنْهُمْ  
أَحَدٌ ، يَغْسِلُونَ أَطْرَافَهُمْ بِالْمَاءِ ، وَيَخْشَعُونَ فِي صَلَاتِهِمْ . فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُقَوِّسُ : وَالَّذِي يُخَلَّفُ  
بِهِ ، لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ اسْتَقْبَلُوا الْجِبَالَ لِأَزَالُوهَا ، وَمَا يَقْوَى عَلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ ، وَلَئِنْ لَمْ نَعْتَمِدْ  
صُلْحَهُمْ الْيَوْمَ وَهُمْ مَخْصُورُونَ بِهَذَا النَّيْلِ ، لَمْ يُجِيبُوا بَعْدَ الْيَوْمِ إِذَا أَمَكْنَتْهُمْ الْأَرْضُ ، وَقَوُوا/ عَلَى  
الخُرُوجِ مِنْ مَوْضِعِهِمْ . فَرَدَّ إِلَيْهِمُ الْمُقَوِّسُ رُسُلَهُ : ابْعَثُوا إِلَيْنَا رُسُلًا مِنْكُمْ نُعَامِلُهُمْ ، وَنَتَدَاعَى نَحْنُ  
وَهُمْ إِلَى مَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ صَلَاحٌ لَنَا وَلَكُمْ .

فَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَشْرَةَ نَفَرٍ ، أَحَدُهُمْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَكَانَ طَوْلُهُ عَشْرَةَ أَشْبَارٍ ،  
وَأَمْرُهُ أَنْ يَكُونَ مُتَكَلِّمُ الْقَوْمِ ، وَلَا يُجِيبُهُمْ إِلَى شَيْءٍ دَعَاهُ إِلَيْهِ إِلَّا إِحْدَى هَذِهِ الثَّلَاثِ خِصَالٍ ، فَإِنَّ  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ ، وَأَمَرَنِي إِلَّا أَقْبَلَ شَيْئًا سِوَى خِصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ خِصَالٍ .  
وَكَانَ عُبَادَةُ أَسْوَدَ ، فَلَمَّا رَكِبُوا السُّفُنَ إِلَى الْمُقَوِّسِ وَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، تَقَدَّمَ عُبَادَةُ ، فَهَابَهُ الْمُقَوِّسُ  
لَسْوَادِهِ ، وَقَالَ : نَحْنُوا عَنِّي هَذَا الْأَسْوَدَ ، وَقَدَّمُوا غَيْرَهُ يُكَلِّمُنِي . فَقَالُوا جَمِيعًا : إِنَّ هَذَا الْأَسْوَدَ  
أَفْضَلُنَا رَأْيًا وَعِلْمًا ، وَهُوَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَالْمُقَدَّمُ عَلَيْنَا ، وَإِنَّمَا نَرْجِعُ جَمِيعًا إِلَى قَوْلِهِ وَرَأْيِهِ ، وَقَدْ أَمَرَهُ  
الْأَمِيرُ دُونَنَا بِمَا أَمَرَهُ ، وَأَمَرْنَا إِلَّا نُخَالِفُ رَأْيَهُ وَقَوْلَهُ ؛ قَالَ : وَكَيْفَ رَضِيتُمْ أَنْ يَكُونَ هَذَا  
الْأَسْوَدَ أَفْضَلَ لَكُمْ ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ دُونَكُمْ ؟ قَالُوا : كَلَّا ، إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ كَمَا  
تَرَى ، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِنَا مَوْضِعًا وَأَفْضَلِنَا سَابِقَةً وَعَقْلًا وَرَأْيًا ، وَلَيْسَ يُنْكَرُ السُّوَادُ فِينَا ؛ فَقَالَ  
الْمُقَوِّسُ لِعُبَادَةَ : تَقَدَّمَ يَا أَسْوَدَ وَكَلِّمْنِي بِرِفْقٍ ، فَإِنِّي أَهَابُ سَوَادَكَ ، وَإِنْ اشْتَدَّ كَلَامُكَ عَلَيَّ ،  
ازددت لك هيبة .

فَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ عُبَادَةُ فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَاتِكَ ، وَإِنَّ فِيمَنْ نَخَلَّفْتُ مِنْ أَصْحَابِي أَلْفَ رَجُلٍ أَسْوَدَ  
كُلِّهِمْ أَشَدَّ سَوَادًا مِنِّي وَأَفْظَعَ مَنَظَرًا ، وَلَوْ رَأَيْتَهُمْ لَكُنْتُ أَهْيَبُ لَهُمْ مِنْكَ لِي ، وَأَنَا قَدْ وَلَّيْتُ وَأَذْبَرْتُ  
شِبَابِي ، وَإِنِّي مَعَ ذَلِكَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - مَا أَهَابُ مِائَةَ رَجُلٍ مِنْ عَدُوِّي لَوْ اسْتَقْبَلُونِي جَمِيعًا ،  
وَكَذَلِكَ أَصْحَابِي ؛ وَذَلِكَ إِنَّمَا رَغَبْتُنَا وَهَمَمْتُنَا الْجِهَادَ فِي اللَّهِ وَاتِّبَاعَ رِضْوَانِهِ ، وَلَيْسَ غَرُوبُنَا عَدُوًّا مِنْ



حَارَبَ اللهُ لِرَغْبَةِ فِي دُنْيَا وَلَا طَلَبَ لِلِاسْتِشْكَارِ مِنْهَا ، إِلَّا أَنْ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ أَحَلَّ لَنَا ذَلِكَ ، وَجَعَلَ مَا غَنِمْنَا مِنْ ذَلِكَ حَلَالًا ؛ وَمَا يُيَالِي أَحَدُنَا إِنْ كَانَ لَهُ قِنطَارٌ مِنْ ذَهَبٍ أَمْ كَانَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمًا ، لِأَنَّ غَايَةَ أَحَدِنَا مِنَ الدُّنْيَا أَكْلَةُ يَأْكُلُهَا يَسُدُّ بِهَا جُوعَهُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ، وَسَمَلَةٌ يَلْتَحِفُهَا ، فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَا يَمْلِكُ إِلَّا ذَلِكَ كَفَاهُ ، وَإِنْ كَانَ لَهُ قِنطَارٌ مِنْ ذَهَبٍ أَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى هَذَا الَّذِي بِيَدِهِ وَيَبْلُغُهُ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا ، لِأَنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَيْسَ بِنَعِيمٍ وَرِخَاءِهَا لَيْسَ بِرِخَاءٍ ، إِنَّمَا النَّعِيمُ وَالرِّخَاءُ فِي الْآخِرَةِ . وَبِذَلِكَ أَمَرَنَا اللهُ <sup>(a)</sup> ، وَأَمَرْنَا بِهِ نَبِيَّنَا وَعَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا تَكُونَ هِمَّةُ أَحَدِنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا يُمْسِكُ جُوعَتَهُ وَيَشْتُرُ عَوْرَتَهُ ، وَتَكُونَ هِمَّتُهُ وَسُغْلُهُ فِي رِضَاءِ رَبِّهِ وَجِهَادِ عَدُوِّهِ .

فَلَمَّا سَمِعَ الْمُقَوِّسُ ذَلِكَ مِنْهُ ، قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : هَلْ سَمِعْتُمْ مِثْلَ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ ؟ لَقَدْ هَبْتُ مَنْظَرَهُ ، وَإِنَّ قَوْلَهُ لِأَهْيَبَ عِنْدِي مِنْ مَنْظَرِهِ ، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ أَخْرَجَهُمُ اللهُ لِحَرَابِ الْأَرْضِ ، مَا أَظُنُّ مُلْكَهُمْ إِلَّا سَيَغْلِبُ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا .

ثُمَّ أَقْبَلَ الْمُقَوِّسُ عَلَى عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَاتِكَ وَمَا ذَكَرْتَ عِنْدَكَ وَعَنْ أَصْحَابِكَ . وَلَعَمْرِي مَا بَلَغْتُمْ مَا بَلَغْتُمْ إِلَّا بِمَا ذَكَرْتَ ، وَمَا ظَهَرْتُمْ عَلَى مَنْ ظَهَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا لِحُبِّهِمُ الدُّنْيَا وَرَغْبَتِهِمْ فِيهَا . وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْنَا لِقِتَالِكُمْ مِنْ جَمْعِ الرُّومِ مَا لَا يُحْصَى عَدْدُهُ ، قَوْمٌ مَعْرُوفُونَ بِالنَّجْدَةِ وَالشَّدَّةِ ، مَا يُيَالِي أَحَدُهُمْ مَنْ لَقِيَ وَلَا مَنْ قَاتَلَ ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ، وَلَنْ تُطِيقُوهُمْ لَضَعْفِكُمْ وَقِلَّتِكُمْ . وَقَدْ أَقَمْتُمْ بَيْنَ أَظْهَرِنَا أَشْهُرًا وَأَنْتُمْ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ مِنْ مَعَاشِكُمْ وَحَالِكُمْ ، وَنَحْنُ نَرِقُّ عَلَيْكُمْ لَضَعْفِكُمْ وَقِلَّتِكُمْ وَقِلَّةَ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ، وَنَحْنُ تَطِيبُ أَنْفُسِنَا أَنْ نُصَالِحَكُمْ عَلَى أَنْ نَفْرُضَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ دِينَارَيْنِ دِينَارَيْنِ ، وَلَأَمِيرِكُمْ مِائَةَ دِينَارٍ ، وَلِحَلِيفَتِكُمْ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَتَقْبِضُونَهَا وَتَنْصَرِفُونَ إِلَى بِلَادِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكُمْ مَا لَا قَوَامَ لَكُمْ بِهِ .

فَقَالَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ : يَا هَذَا لَا تَغْرُنْ نَفْسَكَ وَلَا أَصْحَابَكَ ، أَمَا مَا تُخَوِّفُنَا بِهِ مِنْ جَمْعِ الرُّومِ وَعَدَدِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ وَأَنَا لَا نَقْوَى عَلَيْهِمْ ، فَلَعَمْرِي مَا هَذَا بِالَّذِي تُخَوِّفُنَا بِهِ ، وَلَا بِالَّذِي يَكْسِرُنَا عَمَّا نَحْنُ فِيهِ . وَإِنْ كَانَ مَا قُلْتُمْ حَقًّا فَذَلِكَ وَاللَّهِ أَرْغَبُ مَا يَكُونُ فِي قِتَالِهِمْ ، وَأَشَدُّ لِحِرْصِنَا عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَعْدَرُ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا إِذَا قَدِمْنَا عَلَيْهِ ؛ إِنْ قُتِلْنَا عَنْ آخِرِنَا ، كَانَ أَمْكَنَ لَنَا فِي رِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ ، وَمَا شَيْءٌ أَقْرَ لِأَعْيُنِنَا ، وَلَا أَحَبُّ لَنَا مِنْ ذَلِكَ . وَإِنَّا مِنْكُمْ حَيْثُ لَعَلَى إِحْدَى

(a) فتوح مصر: رُبْنَا .



الْحُسَيْنِيِّينَ : إِمَّا أَنْ تَعْظُمَ لَنَا بِذَلِكَ غَنِيمَةُ الدُّنْيَا إِنْ ظَفِرْنَا بِكُمْ ، أَوْ غَنِيمَةُ الْآخِرَةِ إِنْ ظَفِرْتُمْ بِنَا ،  
وَأَنَّهَا<sup>(a)</sup> لِأَحَبِّ الْخِصْلَتَيْنِ إِلَيْنَا بَعْدَ الْجَاهِدِ مِنَّا ؛ وَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ لَنَا فِي كِتَابِهِ : ﴿ كَرَّمَ

مَنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الآية ١٤٩ سورة البقرة] ؛ وَمَا مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا  
وَهُوَ يَدْعُو رَبَّهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ ، وَالْأَيُّدُ إِلَى بَلَدِهِ وَلَا إِلَى أَرْضِهِ وَلَا إِلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ،  
وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا هَمٌّ فِيمَا خَلْفَهُ ، وَقَدْ اسْتَوَدَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا رَبَّهُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ ، وَإِنَّمَا هَمُّنَا مَا أَمَانَا .

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ مِنْ مَعَايِشِنَا وَحَالِنَا ، فَنَحْنُ فِي أَوْسَعِ السَّعَةِ ، لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا  
لَنَا ، مَا أَرَدْنَا مِنْهَا لِأَنفُسِنَا أَكْثَرِمًا نَحْنُ عَلَيْهِ . فَانظُرْ الَّذِي تُرِيدُ فَبَيْنَهُ لَنَا ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ خِصْلَةٌ  
تَقْبَلُهَا مِنْكَ وَلَا تُجِيبُكَ إِلَيْهَا ، إِلَّا خِصْلَةٌ مِنْ ثَلَاثٍ ، فَاخْتَرِ أَيُّهَا شِئْتَ ، وَلَا تُطْمِعْ نَفْسَكَ فِي  
الْبَاطِلِ ، بِذَلِكَ أَمَرَنِي / الْأَمِيرُ ، وَبِهَا أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهُوَ عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِلَيْنَا .  
إِمَّا أَجَبْتُمْ<sup>(b)</sup> إِلَى الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ ، وَهُوَ دِينُ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ ، أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُقَاتِلَ مَنْ خَالَفَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ حَتَّى يَدْخُلَ فِيهِ ، فَإِنْ فَعَلَ كَانَ لَهُ مَا لَنَا  
وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا ، وَكَانَ أَخَانًا فِي دِينِ اللَّهِ ؛ فَإِنْ قَبِلْتَ ذَلِكَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ ، فَقَدْ سَعِدْتُمْ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ ، وَرَجَعْنَا عَنْ قِتَالِكُمْ ، وَلَمْ نَسْتَجِلْ أَذَاكُمْ وَلَا التَّعَرُّضَ لَكُمْ ؛ وَإِنْ أَيْتُمُ إِلَّا الْجِزْيَةَ ، فَأَدُّوا  
إِلَيْنَا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ ، وَأَنْ نُعَامِلَكُمْ عَلَى شَيْءٍ نَرْضَى بِهِ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي كُلِّ عَامٍ أَبَدًا  
مَا بَقِينَا وَبَقِيتُمْ ، وَنُقَاتِلَ عَنْكُمْ مِنْ نَاوَأِكُمْ وَعَرَضَ لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْضِكُمْ وَدِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ،  
وَنَقُومَ بِذَلِكَ عَنْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ فِي ذِمَّتِنَا ، وَكَانَ لَكُمْ بِهِ عَهْدٌ عَلَيْنَا ؛ وَإِنْ أَيْتُمُ فَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا  
الْمُحَاكَمَةُ بِالسَّيْفِ حَتَّى تَمُوتَ مِنْ آخِرِنَا ، أَوْ نُصِيبَ مَا تُرِيدُ مِنْكُمْ . هَذَا دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللَّهُ تَعَالَى  
بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ لَنَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ غَيْرُهُ ، فَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ .

فَقَالَ الْمُقَوِّسُ : هَذَا مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا ، مَا تُرِيدُونَ إِلَّا أَنْ تَتَّخِذُونَا عِبِيدًا مَا كَانَتْ الدُّنْيَا ؛ فَقَالَ  
لَهُ عُبَادَةُ : هُوَ ذَاكَ ، فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ ؛ فَقَالَ الْمُقَوِّسُ : أَفَلَا تُجِيبُونَا إِلَى خِصْلَةٍ غَيْرِ هَذِهِ  
الثَّلَاثِ خِصَالٍ ؟ فَرَفَعَ عُبَادَةُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : لَا وَرَبِّ هَذِهِ السَّمَاءِ وَرَبِّ هَذِهِ الْأَرْضِ وَرَبِّ  
كُلِّ شَيْءٍ ، مَا لَكُمْ عِنْدَنَا خِصْلَةٌ غَيْرَهَا ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ .

فَالْتَفَتَ الْمُقَوِّسُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : قَدْ فَرَعَ الْقَوْمُ فَمَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالُوا : أَوْ يَرْضَى أَحَدٌ  
بِهَذَا الذَّلَّ ! أَمَّا مَا أَرَادُوا مِنْ دُخُولِنَا فِي دِينِهِمْ ، فَهَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا أَنْ نَتْرِكَ دِينَ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ



وَنَدْخُلُ فِي دِينِ غَيْرِهِ لَا نَعْرِفُهُ ؛ وَأَمَّا مَا أَرَادُوا أَنْ يَسْتَبُونَا وَيَجْعَلُونَا عِبِيدًا ، فَاَلْمُوتُ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ،  
لَوْ رَضُوا مِنَّا أَنْ نَضْعِفَ لَهُمْ مَا أَعْطَيْنَاهُمْ مِرَارًا كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا .

فَقَالَ الْمُقَوِّسُ لِعِبَادَةِ : قَدْ أَتَى الْقَوْمُ فَمَا تَرَى ، فَرَجِعْ صَاحِبِكَ عَلَى أَنْ نُعْطِيَكُمْ فِي مَرَّتِكُمْ  
هَذِهِ مَا تَمَنَّيْتُمْ وَتَنْصَرِفُونَ ؛ فَقَالَ عِبَادَةُ وَأَصْحَابُهُ : لَا .

فَقَالَ الْمُقَوِّسُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَطِيعُونِي وَأَجِيبُوا الْقَوْمَ إِلَى خَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَكُمْ  
بِهِمْ طَاقَةٌ ، وَلَكِنْ لَمْ تُجِيبُوا إِلَيْهَا طَائِعِينَ لِتُجِيبْتَهُمْ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ كَارِهِينَ ؛ فَقَالُوا : وَأَيَّ خَصْلَةٍ  
تُجِيبُهُمْ إِلَيْهَا ؟ قَالَ : إِذَنْ أَخْبِرْكُمْ ، أَمَّا دُخُولُكُمْ فِي غَيْرِ دِينِكُمْ فَلَا أَمْرُكُمْ بِهِ ، وَأَمَّا قِتَالُهُمْ فَأَنَا أَعْلَمُ  
أَنَّكُمْ لَنْ تَقُورُوا عَلَيْهِمْ وَلَنْ تَصْبِرُوا صَبْرَهُمْ ، وَلَا بُدَّ مِنَ الثَّلَاثَةِ ؛ قَالُوا : فَكَوْنُوا لَهُمْ عِبِيدًا أَبَدًا . قَالَ :  
نَعَمْ تَكُونُونَ عِبِيدًا مُسَلِّطِينَ فِي بِلَادِكُمْ ، آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ ، خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ  
أَنْ تَمُوتُوا مِنْ آخِرِكُمْ ، وَتَكُونُوا عِبِيدًا تُبَاعُوا وَتُمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، مُسْتَعْبِدِينَ أَبَدًا أَنْتُمْ وَأَهْلِيكُمْ  
وَذَرَارِيكُمْ ؛ قَالُوا : فَاَلْمُوتُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا . وَأَمَرُوا بِقَطْعِ الْجِسْرِ مِنَ الْفُسْطَاطِ وَبِالْجَزِيرَةِ وَبِالْقَصْرِ مِنْ  
جَمْعِ الْقَيْبِطِ وَالرُّومِ كَثِيرٍ .

فَأَلْحَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْقِتَالِ عَلَى مَنْ بِالْقَصْرِ حَتَّى ظَفِرُوا بِهِمْ ، وَأَمَكَنَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، فَقُتِلَ  
مِنْهُمْ نَحْلَقُ كَثِيرًا ، وَأُسِرَ مِنْ أُسِيرٍ ، وَانْجَرَّتِ الشُّفُنُ كُلُّهَا إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ يُرَاقِبُونَهُمْ ،  
وَقَدْ أَخَذَ بِهِمُ الْمَاءُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَنْقُذُوا نَحْوَ الصَّعِيدِ ، وَلَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الْمُدُنِ وَالْقُرَى . وَالْمُقَوِّسُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : أَلَمْ أُعَلِّمِكُمْ هَذَا<sup>(a)</sup> وَأَخَافُهُ عَلَيْكُمْ ، مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ فَوَاللَّهِ  
لِتُجِيبْتَهُمْ إِلَى مَا أَرَادُوا طَوْعًا ، أَوْ لِتُجِيبْتَهُمْ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ كَرْهًا ، فَأَطِيعُونِي مِنْ قَبْلِ أَنْ  
تَنْدُمُوا . فَلَمَّا رَأَوْا مِنْهُمْ مَا رَأَوْا ، وَقَالَ لَهُمُ الْمُقَوِّسُ مَا قَالَ ، أَدْعَنُوا بِالْجَزِيرَةِ ، وَرَضُوا بِذَلِكَ عَلَى  
صُلْحٍ يَكُونُ بَيْنَهُمْ يَعْرِفُونَهُ .

وَأَرْسَلَ الْمُقَوِّسُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : لِأَنِّي لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى إِجَابَتِكُمْ إِلَى خَصْلَةٍ مِنْ تِلْكَ  
الْخِصَالِ الَّتِي أَرْسَلْتُ إِلَيْهَا ، فَأَتَى عَلِيٌّ مِنْ حَضْرَتِي مِنَ الرُّومِ وَالْقَيْبِطِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَفْتَاتَ  
عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ ، وَقَدْ عَرَفُوا نُصْحِي لَهُمْ وَحُبِّي صَلَاحَهُمْ ، وَرَجَعُوا إِلَى قَوْلِي ، فَأَعْطَانِي أَمَانًا  
أَجْتَمِعُ أَنَا وَأَنْتَ : أَنَا فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِي ، وَأَنْتَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِكَ ، فَإِنْ اسْتَقَامَ الْأَمْرُ بَيْنَنَا تَمَّ  
ذَلِكَ جَمِيعًا ، وَإِنْ لَمْ يَتَمَّ رَجَعْنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ .

(a) ساقطة من بولاق .



فاستشار عمرو أصحابه في ذلك ، فقالوا : لا نجيبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا ، وتصير الأرض كلها لنا فيتأ وغنيمة ، كما صار لنا القصر وما فيه . فقال عمرو : قد علمتم ما عهد إلي أمير المؤمنين في عهده ، فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد إلي فيها ، أحببتهم إليها وقبيلت منهم ، مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم .

فاجتمعوا على عهد بينهم ، واضطلحوا على أن يفرض لهم على جميع من بمصر ، أغلاها وأسفلها ، من القبط : ديناران ديناران عن كل نفس ، شريفهم ووضعهم ، ممن بلغ منهم الحلم ، ليس على الشيخ الفاني ، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، ولا على النساء شيء<sup>١</sup> . وعلى أن للمسلمين عليهم التزل بجماعتهم حيث نزلوا ، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك ، كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم ، وأن لهم أرضهم وأموالهم ، لا يعرض لهم في شيء منها ؛ فشرط ذلك كله على القبط خاصة .

وأحصوا عدد القبط يومئذ ، خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض / عليهم الديناران - رفع ذلك عرفاؤهم بالآيمان المؤكدة - فكان جميع من أحصي يومئذ بمصر - أغلاها وأسفلها - من جميع القبط ، فيما أخصوا وكتبوا ورفعوا ، أكثر من ستة آلاف ألف نفس ، فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف دينار في كل سنة<sup>٢</sup> .

وقال ابن لهيعة ، عن يحيى بن ميثون الحضرمي : لما فتح عمرو مصر ، صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ، ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي ، فأخصوا بذلك على دينارين دينارين ، فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف .

قال : وشرط المقوقس للروم أن يخيروا : فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا ، أقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ، ممن أقام بالإسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم ، خرج ؛ وعلى أن للمقوقس الخيار في الروم خاصة ، حتى يكتب إلى ملك الروم ويؤلمه ما فعل ، فإن قبل ذلك ورضيته ، جاز عليهم ، وإلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> انظر عن الجزية (الجالية جـ. الحوالي) فيما تقدم المغرب ٢٤ - ٢٩؛ أبو الحسن : النجوم الزاهرة ١٠١ - ١٩ .

<sup>٢</sup> نفسه ٧٠ - ٧١ .

<sup>٣</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٦٤ - ٧٠ ؛ ابن سعيد :



وكتبوا به كتابًا ، وكتبَ المُقَوِّسُ إلى ملك الروم كتابًا يُعلِّمه بالأمر كُلِّهِ . فكتبَ إليه ملكُ  
الروم يُقَبِّحُ رأيه ويعجزه ، ويرد عليه ما فَعَلَ ، ويقول في كتابه :

«إِنَّمَا أَنَاكَ مِنَ الْعَرَبِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ، وَبِمَصْرَ مَنْ بَهَا مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِ الْقَيْبُطِ مَا  
لَا يُحْصَى ، فَإِنْ كَانَ الْقَيْبُطُ كَرِهُوا الْقِتَالَ وَأَحْبَبُوا أَدَاءَ الْجِزْيَةِ إِلَى الْعَرَبِ  
وَاخْتَارُوهُمْ عَلَيْنَا ، فَإِنَّ عِنْدَكَ بِمَصْرَ مِنَ الرُّومِ ، وَبِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَمِنْ مَعَكَ ،  
أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مَعَهُمُ الْعُدَّةُ وَالْقُوَّةُ ، وَالْعَرَبُ وَحَالُهُمْ وَضَعْفُهُمْ عَلَى مَا  
قَدْ رَأَيْتَ ، فَعَجَزْتَ عَنْ قِتَالِهِمْ ، وَرَضَيْتَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ  
الرُّومِ فِي حَالِ الْقَيْبُطِ أَذْلَاءً ، فَقَاتِلْهُمْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الرُّومِ حَتَّى تَمُوتَ أَوْ  
تُظْهَرَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ فِيكُمْ ، عَلَى قَدْرِ كَثْرَتِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ وَعَلَى قَدْرِ قِلَّتِهِمْ  
وَضَعْفِهِمْ ، كَأَكَلَةِ ، نَاهِضُهُمُ الْقِتَالَ ، وَلَا يَكُنْ لَكَ رَأْيٌ غَيْرَ ذَلِكَ» .

وكتبَ ملكُ الرومِ بِمِثْلِ ذَلِكَ كِتَابًا إِلَى جَمَاعَةِ الرُّومِ ؛ فَقَالَ الْمُقَوِّسُ لَمَّا أَتَاهُ كِتَابُ مَلِكِ الرُّومِ :  
وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَنَّهُمْ عَلَى قِلَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ أَقْوَى وَأَشَدَّ مِنَّا عَلَى قُوَّتِنَا وَكَثْرَتِنَا ؛ إِنَّ الرَّجُلَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ  
لَيَعْدِلُ مِائَةَ رَجُلٍ مِنَّا ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ الْحَيَاةِ ، يُقَاتِلُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ وَهُوَ  
مُسْتَقْبَلٌ يَتَمَنَّى أَلَّا يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَلَا بَلَدِهِ وَلَا وِلْدِهِ ، وَيُرُونَ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا فَيَمْنُ قَتْلَهُ مِنَّا ،  
وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ إِنْ قُتِلُوا دَخَلُوا الْجَنَّةَ ، وَلَيْسَ لَهُمْ رَغْبَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا لَذَّةٌ إِلَّا قَدْرُ بُلْغَةِ الْعَيْشِ مِنْ  
الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ ؛ وَنَحْنُ قَوْمٌ نَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَنَحِبُّ الْحَيَاةَ وَلَذَّتِهَا ، فَكَيْفَ نَسْتَقِيمُ نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ ،  
وَكَيفَ صَبَّرْنَا مَعَهُمْ ؟

وَاعْلَمُوا مَعْشَرَ الرُّومِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَخْرُجُ مِمَّا دَخَلْتُ فِيهِ ، وَلَا صَالِحَتِ الْعَرَبُ عَلَيْهِ ، وَإِنِّي  
لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ سَتَرْجِعُونَ عَدَا إِلَى قَوْلِي وَرَأْيِي ، وَتَتَمَنَّوْنَ أَنْ لَوْ كُنْتُمْ أَطْعُمُونِي ، وَذَلِكَ أَنِّي قَدْ  
عَايَنْتُ وَرَأَيْتُ وَعَرَفْتُ مَا لَمْ يُعَايِنِ الْمَلِكُ وَلَمْ يَرِهِ وَلَمْ يَعْرِفِهِ ، أَمَا يُرْضِي أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ آمِنًا فِي  
دَهْرِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ بِدِينَارَيْنِ فِي السَّنَةِ .

ثُمَّ أَقْبَلَ الْمُقَوِّسُ إِلَى عَمْرٍو فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ كَرِهَ مَا فَعَلْتَ وَعَجَّزَنِي ، وَكَتَبَ إِلَيَّ وَإِلَى  
جَمَاعَةِ الرُّومِ إِلَّا تَرْضَى بِمُصَالِحَتِكَ ، وَأَمَرَهُمْ بِقِتَالِكَ حَتَّى يَظْفَرُوا بِكَ أَوْ تَظْفَرَ بِهِمْ ، وَلَمْ أَكُنْ  
لَأَخْرُجَ مِمَّا دَخَلْتُ فِيهِ وَعَاقَدْتُكَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا سُلْطَانِي عَلَى نَفْسِي وَمَنْ أَطَاعَنِي . وَقَدْ تَمَّ صُلْحُ الْقَيْبُطِ  
فِي مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ وَلَمْ يَأْتْ مِنْ قِبَلِهِمْ نَقْضٌ ، وَأَنَا مَتَمُّ لَكَ عَلَى نَفْسِي ، وَالْقَيْبُطُ مَتَمُّونَ لَكَ عَلَى  
الصُّلْحِ الَّذِي صَالِحْتَهُمْ عَلَيْهِ وَعَاقَدْتَهُمْ ، وَأَمَّا الرُّومُ فَأَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ . وَأَنَا أَطْلُبُ إِلَيْكَ أَنْ تُعْطِيَنِي



ثَلَاثَ خِصَالٍ : لَا تَنْقُضُ بِالْقَيْطِ وَأَدْخِلْنِي مَعَهُمْ وَأَلْزِمْنِي مَا لَزِمَهُمْ ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتِي وَكَلِمَتُهُمْ عَلَى مَا عَاقَدْتِكَ عَلَيْهِ فَهَمُّ مُتِمُّونَ لَكَ عَلَى مَا تُحِبُّ . وَأَمَّا الثَّانِيَةُ إِنْ سَأَلْتُكَ الرَّوْمَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ تُصَالِحَهُمْ فَلَا تُصَالِحَهُمْ حَتَّى تَجْعَلَهُمْ فَيْئًا وَعَبِيدًا ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ ذَلِكَ لِأَنِّي نَصَحْتُهُمْ فَاسْتَعَشُونِي ، وَنَظَرْتُ لَهُمْ فَاتَّهَمُونِي . وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ أَطْلُبُ إِلَيْكَ إِنْ أَنَا مِتُّ أَنْ تَأْمُرَهُمْ أَنْ يَدْفِنُونِي فِي أَبِي يُحَنَسَ بِالإِسْكَانْدَرِيَّةِ (a) .

فَأَنْعَمَ لَهُ عَمْرُو بِذَلِكَ ، وَأَجَابَهُ إِلَى مَا طَلَبَ ، عَلَى أَنْ يَضْمَنُوا لَهُ الْجِسْرَيْنِ جَمِيعًا ، وَيُقِيمُوا لَهُمُ الْأَنْزَالَ وَالضِّيَافَةَ وَالْأَسْوَاقَ وَالْجُسُورَ ، مَا بَيْنَ الْفُسْطَاطِ إِلَى الإِسْكَانْدَرِيَّةِ . فَفَعَلُوا ، وَصَارَتْ لَهُمُ الْقَيْطُ أَعْوَانًا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ (1) .

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَرِيحٍ : فَسَارَ عَمْرُو بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ عَلَى الْحِصْنِ ، فَخَاصَرَهُمْ حَتَّى سَأَلُوهُ أَنْ يَسِيرَ مِنْهُمْ بِضِعَّةٍ عَشْرَ أَهْلِ بَيْتٍ وَيَفْتَحُوا لَهُ الْحِصْنَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَفَرَضَ عَلَيْهِمْ عَمْرُو لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ دِينَارًا وَجُبَّةً وَبُرْتُسًا وَعِمَامَةً وَخُفَيْنِ . وَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ أَنْ يُهَيِّئُوا لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ صَنِيعًا ، فَفَعَلَ ، وَأَمَرَ عَمْرُو أَصْحَابَهُ فَتَهَيَّئُوا وَلَبَسُوا الْبُرُودَ ثُمَّ أَقْبَلُوا .

فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ طَعَامِهِمْ سَأَلَهُمْ عَمْرُو : كَمْ أَنْفَقْتُمْ ؟ قَالُوا : عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ قَالَ عَمْرُو : لَا حَاجَةَ لَنَا بِصَنِيعِكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ ، أَدُّوا إِلَيْنَا عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَجَاءَهُ النَّفْرُ مِنَ الْقَيْطِ ، فَاسْتَأْذَنُوهُ إِلَى قُرَاهِمِ وَأَهْلِيهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ عَمْرُو : كَيْفَ رَأَيْتُمْ أَمْرَنَا ؛ قَالُوا : لَمْ تَرَ إِلَّا حَسَنًا ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ الَّذِي قَالَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى [ مَا قَالَ لَهُمْ ] (b) : إِنَّكُمْ لَنْ تَرَالُوا تَظْهَرُونَ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقَيْتُمْ حَتَّى تَقْتُلُوا خَيْرَكُمْ رَجُلًا . فَغَضِبَ عَمْرُو وَأَمَرَ بِهِ ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَصْحَابَهُ وَأَخْبَرُوهُ / أَنَّهُ لَا يَذْرِي مَا يَقُولُ حَتَّى يَخْلُصُوهُ .

فَلَمَّا بَلَغَ عُمَرُ قَتْلَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَرْسَلَ فِي طَلَبِ ذَلِكَ الْقَيْطِيِّ فَوَجَدُوهُ قَدْ هَلَكَ ، فَعَجِبَ عَمْرُو مِنْ قَوْلِهِ . وَيُقَالُ إِنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ قَالَ : فَلَمَّا طَعِنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، قُلْتُ : هُوَ مَا قَالَ الْقَيْطِيُّ ، فَلَمَّا حَدَّثْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ ، قُلْتُ :

(a) بولاق : يدفنونني بجسر الإسكندرية . (b) زيادة من فتوح مصر .

(1) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٧١ - ٧٢ ؛ ابن سعيد : المغرب ٢٩ - ٣١ .



لم يعن هذا إنما عني من قتله المسلمون . فلما قُتِلَ عُثْمَانُ ، عَرَفْتُ أَنَّ ما قال الرجلُ حَقٌّ . فلما فَرَعَ القَيْطُ من صَنِيعِهِمْ ، أَمَرَ عَمْرُو بن العاصِ بَطْعَامٍ فَصَنَعَ لَهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْضُرُوا لذلك ، فَصَنَعَ لَهُمُ الثَّرِيدَ والعُراقَ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بلباس الأَكْسِيَةِ واشتعال الصَّمَاءِ والقُعودِ على الرُّكْبِ . فلما حَضَرَتِ الرُّومُ ، وَضَعُوا كُرَاسِي الدُّيَاجِ فَجَلَسُوا عَلَيْهَا ، وَجَلَسَتِ العَرَبُ إلى جَوَانِبِهِمْ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنَ العَرَبِ يَلْتَقِمُ اللَّقْمَةَ العَظِيمَةَ مِنَ الثَّرِيدِ ، وَيَنْهَشُ مِنْ ذَلِكَ اللَّحْمِ ، فَيَطَّأِرُ عَلَى مَنْ إلى جَنْبِهِ مِنَ الرُّومِ . فَبَشِعَتِ الرُّومُ بِذَلِكَ وَقَالَتْ : أَيْنَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ كَانُوا أَتَوْنَا قَبْلَ ؟ فَقِيلَ لَهُمْ أَوْلِيكَ أَصْحَابُ المَشُورَةِ ، وهؤلاء أَصْحَابُ الحَزْبِ <sup>١</sup> .

وقال الكِنْدِيُّ : وَذَكَرَ يَزِيدُ بن أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ عَدَدَ الجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَمْرُو بن العاصِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا وخمسة مائة . وَذَكَرَ عبد الرَّحْمَنِ بن سَعِيدِ بن مِقْلَاصٍ أَنَّ الَّذِينَ جَرَّتْ سِيَاهُهُمْ فِي الحِصْنِ مِنَ المَسْلَمِينَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، بَعْدَ مَنْ أُصِيبَ مِنْهُمْ فِي الحِصَارِ بِالقَتْلِ والمَوْتِ <sup>٢</sup> .

ويُقالُ إِنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي هَذَا الحِصَارِ مِنَ المَسْلَمِينَ دُفِنُوا فِي أَضَلِّ الحِصْنِ . وَذَكَرَ القَضَاعِيُّ أَنَّ مِصرَ فُتِحَتْ يَوْمَ الجُمُعَةِ مَسْتَهْلَ الحَرَمِ سَنَةَ عَشْرِينَ ، وَقِيلَ فُتِحَتْ سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ ، وَهُوَ قَوْلُ الوائِقِدِيِّ ، وَقِيلَ فُتِحَتْ والإِسْكَندَرِيَّةُ سَنَةَ خَمْسَ وَعَشْرِينَ ، والأَكْثَرُ عَلَى أَنَّهَا فُتِحَتْ قَبْلَ عامِ الرَّمَادَةِ ، وَكَانَتِ الرَّمَادَةُ فِي آخِرِ سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَوَّلِ ثَمَانِ عَشْرَةَ <sup>٣</sup> .

### ذَكَرَ مَا قِيلَ فِي مِصرَ هَلْ فُتِحَتْ بِصُلْحِ أَوْ عُنْوَةٍ

وقد اِخْتَلَفَ فِي فَتْحِ مِصرَ فَقَالَ قَوْمٌ : فُتِحَتْ صُلْحًا ، وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا فُتِحَتْ عُنْوَةً . فَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا : كَانَ فَتْحُ مِصرَ بِصُلْحٍ ، فَإِنَّ حُسَيْنَ بن شَفِيٍّ قَالَ : لما فَتَحَ عَمْرُو بن العاصِ الإِسْكَندَرِيَّةَ بَقِيَ مِنَ الأَسَارِيِّ بِهَا ، مِمَّنْ بَلَغَ الخِرَاجَ وَأُخْصِيَ يَوْمئِذٍ ، سِتِّ مِائَةِ أَلْفِ سِوَى النِّسَاءِ وَالصُّبْيَانِ ؛ فَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى عَمْرُو فِي قِسْمِهِمْ ، فَكَانَ أَكْثَرُ المَسْلَمِينَ يُرِيدُ قِسْمَهَا . فَقَالَ عَمْرُو : لا أَقْدِرُ عَلَى قِسْمِهَا حَتَّى أَكْتُبَ إلى أميرِ المُؤْمِنِينَ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعَلِّمُهُ بِفَتْحِهَا وشَأْنِهَا وَأَنَّ المَسْلَمِينَ طَلَبُوا قِسْمَهَا ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : لا تُقْسِمِهَا ، وَذَرِهِمْ يَكُونُ خِرَاجَهُمْ

<sup>٢</sup> الكندي: ولاية مصر ٣٢.

<sup>١</sup> ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٦٠؛ ابن سعيد: المغرب

<sup>٣</sup> انظر فيما تقدم ١٠.



فِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَقُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ . فَأَقْرَبُهَا عَمْرُو ، وَأَخْصَى أَهْلَهَا ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمُ  
الْخَرَاجَ .

فَكَانَتْ مِصْرُ كُلُّهَا صُلْحًا بِفَرِيضَةِ دِينَارَيْنِ دِينَارَيْنِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَلْزَمُ بِقَدْرٍ مَا يَتَوَسَّعُ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ  
وَالزَّرْعِ ، إِلَّا الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُؤَدُّونَ الْخَرَاجَ وَالْجِزْيَةَ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مَنْ وَلِيَهُمْ ، لِأَنَّ  
الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ قُتِبَتْ عَنُودًا بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ صُلْحٌ وَلَا ذِمَّةٌ <sup>١</sup> .

وَقَالَ اللَّيْثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ : مِصْرُ كُلُّهَا صُلْحٌ ، إِلَّا الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ فَإِنَّهَا قُتِبَتْ عَنُودًا .  
وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ <sup>٢</sup> بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِمَّنْ أَدْرَكَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ قَالَ : لِلْقَبِيْطِ عَهْدٌ عِنْدَ  
فُلَانٍ ، وَعَهْدٌ عِنْدَ فُلَانٍ ، فَسَمِّيَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ . وَفِي رِوَايَةٍ : أَنَّ عَهْدَ أَهْلِ مِصْرَ كَانَ عِنْدَ كِبْرَائِيهِمْ .

وَفِي رِوَايَةٍ : سَأَلْتُ شَيْخًا مِنَ الْقَدَمَاءِ عَنْ فَتْحِ مِصْرَ قُلْتُ لَهُ : فَإِنَّ نَاسًا يَذْكُرُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ  
لَهُمْ عَهْدٌ ؛ فَقَالَ : مَا يُبَالِي أَلَا يُصَلِّيَ مِنْ قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ ؛ فَقُلْتُ : فَهَلْ كَانَ لَهُمْ كِتَابٌ ؟  
فَقَالَ : نَعَمْ ، كُتِبَ ثَلَاثَةٌ : كِتَابٌ عِنْدَ طَلْمَا صَاحِبِ إِجْنَا <sup>٣</sup> ، وَكِتَابٌ عِنْدَ قُزْمَانَ صَاحِبِ  
رَشِيدٍ ، وَكِتَابٌ عِنْدَ يُحْنَسِ صَاحِبِ الْبُرُّسِ . قُلْتُ : كَيْفَ كَانَ صُلْحُهُمْ ؟ قَالَ : دِينَارَيْنِ عَلَى  
كُلِّ إِنْسَانٍ جِزْيَةً ، وَأَرْزَاقَ الْمُسْلِمِينَ ؛ قُلْتُ : فَتَعَلَّمَ مَا كَانَ مِنَ الشُّرُوطِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، سِتَّةَ  
شُرُوطٍ : لَا يُخْرَجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَلَا تُنَزَّعَ نِسَاؤُهُمْ ، وَلَا تُكْفَرُهُمْ ، وَلَا أَرْضِيهِمْ ، وَلَا يُزَادُ  
عَلَيْهِمْ <sup>٤</sup> .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ أَبِي جُمُعَةَ مَوْلَى عُقْبَةَ ، قَالَ : كَتَبَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ  
ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَسْأَلُهُ أَرْضًا يَسْتَرْفِقُ بِهَا عِنْدَ قَرْيَةِ عُقْبَةَ ؛ فَكَتَبَ لَهُ مُعَاوِيَةَ بِأَلْفِ  
ذِرَاعٍ فِي أَلْفِ ذِرَاعٍ ؛ فَقَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ كَانَ عِنْدَهُ : انظُرْ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - أَرْضًا صَالِحَةً . فَقَالَ لَهُ  
عُقْبَةُ : لَيْسَ لَنَا ذَلِكَ ، إِنَّ فِي عَهْدِهِمْ شُرُوطًا سِتَّةَ : لَا يُؤْخَذُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ ، وَلَا مِنْ نِسَائِهِمْ ،  
وَلَا مِنْ أَوْلَادِهِمْ ، وَلَا يُزَادُ عَلَيْهِمْ ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ مَوْضِعُ الْخَوْفِ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَأَنَا شَاهِدٌ لَهُمْ  
بِذَلِكَ .

(a) بولاق : عبد الله . (b) بولاق : إحننا .

<sup>١</sup> انظر فيما تقدم ١ : ٤٥٠ ؛ وقارن مع ابن عبد الحكم : <sup>٢</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ١٩٠ - ٢٠٠ .

فتوح مصر ٨٨ - ٩٠ .



وعن يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن حطان ، أنه كان لقريبات من مصر - منهن أم دنين وبلهيب - عهد ، وأن عمراً بن الخطاب - رضي الله عنه - لما سمع بذلك ، كتب إلى عمرو يأمره أن يخيّرهم : فإن دخلوا في الإسلام فذاك ، وإن كرهوا فازددهم إلى قراهم<sup>١</sup> .

وقال يحيى بن أيوب وخالد بن حميد : ففتح الله أرض مصر كلها بصلح غير الإسكندرية ، وثلاث قريبات ظاهرت الروم على المسلمين - سلطيس ، ومصيل ، وبلهيب - فإنه كان للروم جمع ، فظاهروا الروم على المسلمين . فلما ظهر عليها المسلمون اشتحلوها ، وقالوا : هؤلاء لنا فيء مع الإسكندرية .

٢٩٥:١ فكتب / عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، فكتب إليه عمر أن يجعل الإسكندرية وهؤلاء الثلاث قريبات ذمة للمسلمين ، ويضربون عليهم الخراج ، ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين ، لا يجعلون فيئاً ولا عبيداً ، ففعلوا ذلك إلى اليوم<sup>٢</sup> .

وقال آخرون : بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد . قال سفيان بن وهب الخولاني : لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد ، قام الزبير بن العوام فقال : أقسمها يا عمرو بن العاص ؛ فقال عمرو : والله لا أقسمها ؛ فقال الزبير : والله لنقسمها كما قسم رسول الله ﷺ خير ؛ فقال عمرو : والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين . فكتب إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أقرها حتى يغزو منها جبل الحبلّة . وصولح الزبير على شيء أرضي به<sup>٣</sup> .

وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة : إن مصر فتحت عنوة . وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال : سمعت أسياننا يقولون إن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ، منهم أبي يحدثنا عن أبيه ، وكان فيمن شهد فتح مصر . وعن أبي الأسود ، عن عروة ، أن مصر فتحت عنوة<sup>٤</sup> .

وعن عمرو بن العاص أنه قال : لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر علي عهد ولا عقد إلا أهل أنطابلس ، كان لهم عهد يوفى به : إن شئت قتلت ، وإن شئت خمست ، وإن شئت بعت .

<sup>٣</sup> نفسه ٨٨ وفيما تقدم ٤٥٠:١ ، ٢٤:٢ - ٢٥ .

<sup>٤</sup> نفسه ٨٨ - ٨٩ .

<sup>١</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٨٦ .

<sup>٢</sup> نفسه ٨٧ - ٨٨ .



وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد، وأن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - حبس ذرّها وضرعها أن يخرج منه شيء، نظرًا للإسلام وأهله.

وعن زيد بن أسلم قال: كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد من عاهده، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد فمن أسلم منهم فأمة<sup>(a)</sup>، ومن أقام منهم فديمة.

وكتب حيان بن شريح إلى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم. فسأل عمر عراك بن مالك، فقال عراك: ما سمعت لهم بعهدي ولا عقدي، وإنما أخذوا عثوة بمنزلة العبيد. فكتب عمر إلى حيان أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم<sup>٥</sup>.

وقال يحيى بن عبد الله بن بكير: خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الإسكندرية في سفينة، فاحتاج إلى رجل يجذف، فتسخر<sup>(b)</sup> رجلاً من القبط، فكلم في ذلك، فقال: إنما هم بمنزلة العبيد إن احتجنا إليهم.

وقال ابن لهيعة عن الصلت بن أبي عاصم: إنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن شريح أن مصر فتحت عثوة بغير عهد ولا عقد.

وعن عبيد الله بن أبي جعفر أن كاتب حيان حدثه أنه احتج إلى خشب لصناعة الجزيرة، فكتب حيان إلى عمر بن عبد العزيز يذكر ذلك له، وأنه وجد خشبًا عند بعض أهل الذمة، وأنه كره أن يأخذ<sup>(c)</sup> منهم حتى يعلمه. فكتب إليه عمر: أخذها منهم بقيمة عدل، فإنني لم أجد لأهل مصر عهدًا أفي لهم به.

وقال عمر بن عبد العزيز لسالم: أنت تقول ليس لأهل مصر عهد؟ قال: نعم.

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب في رهبان يترهبون بمصر، فيموت أحدهم وليس له وارث. فكتب إليه عمر: «إن من كان منهم له عقب فادفع ميراثه إلى عقبه، فإن لم يكن له عقب فاجعل ماله في بيت مال المسلمين، فإن ولاءه للمسلمين».

(a) بولاق: أقامه. (b) بولاق: فسخر. (c) بولاق: يأخذها.



وقال ابن شهاب : كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة ، وبعضها عنوة ، فجعلها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جميعها ذمة ، وحمّلهم على ذلك ، فمضى ذلك فيهم إلى اليوم <sup>١</sup> .  
 و<sup>(a)</sup> قال القضاعي : فلما رأى المقوقس أن العرب قد ظفروا بالحصن جلسوا في سفينة هو وأهل القوة فلاحقوا بالجزيرة ، وسأل المقوقس في الصلح فبعث إليه عمرو بعبادة بن الصّاميت فصالحه المقوقس عن القبط والرّوم على أن للرّوم الخيار في الصلح إلى أن يوافي كتاب ملكهم ، فإن رضي تم ذلك وإن سخط انتقض الصلح ما بينه وبين الرّوم ، وأمّا القبط فبغير خيار . فمن قال إن مصر فتحت صلحا تعلق بهذا الصلح . وقال : إن الأمر لم يتم إلا بما جرى بين عبادة بن الصّاميت وبين المقوقس وعلى ذلك أكثر علماء أهل مصر مهم : عتبة بن عامر ويزيد بن أبي حبيب والليث بن سعد وغيرهم .

وذهب الذين قالوا إنها فتحت عنوة إلى أن الحصن فتح عنوة فكان حكم جميع الأرض كذلك .  
 وممن قال إنها فتحت عنوة : عبيد الله بن المغيرة النّسائي وعبد الله بن وهب ومالك بن أنس وغيرهم .  
 وذهب قوم إلى أن بعضها فتح عنوة وبعضها فتح صلحا منهم ابن شهاب وابن لهيعة . وكان منها يوم الجمعة مستهلّ المحرم سنة عشرين ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : اشتبه على الناس أمر مصر والصلح في أمرها : إن أبي قديمها فقاتله أهل أليون ففتحها قهرا ودخلها المسلمون . وكان الزبير أول من علا حصنها فقال صاحبها لأبي : إنه قد بلغني فعلكم بالشام ووضعكم الجزية على النصارى واليهود وإقراركم الأرض في الأيدي أهلها يعمرونها ويؤدّون خراجها وإن فعلتم بنا مثل ذلك كان أردّ عليكم من قبلنا وسيينا واحلاينا فاستشار أبي المسلمين فأشاروا عليه بأن يفعل ذلك إلا نفر منهم سألوا أن يقسم الأرض بينهم فوضع على كل رجل حالم دينارين جزية إلا أن يكون فقيرا وألزم كل ذي أرض مع الدينارين ثلاثة أراذب حنطة وقشطي زيت وقشطي عسل وقشطي نخل رزقا للمسلمين يجمع في دار الرزق ويقسم فيهم وأخصى المسلمين فالزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم جبة صوف وبزئنا وعمامة وسراويل وخفين في كل عام أو عدل الجبة الصوف سويا قبطيا وكتب بذلك إلى عمر بن الخطاب فأجاز ذلك ، وصارت الأرض أرض خراج ، إلا أنه لما وقع هذا الشرط والكتاب ظن بعض الناس أنها فتحت صلحا . وقال ابن عبد البر : إن عمر بن الخطاب لم يقسم أرض السواد ومصر والشام وجعلها

(a-a) هذه الفقرة حتى بداية الصفحة التالية من النسخ المنقولة من خط المؤلف ، وساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٩٠ .



مادة للمسلمين ولمن يجيء بعد العالمين واحتج بالآية في سورة الحشر، ولا أعلم أحدا من الصحابة روي عنه - بعد عمر - إنكار لفعل عمر، وروي مالك عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن عمر بن الخطاب، قال: لولا آخر الناس ما فتحت قزينة إلا قسمتها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر<sup>(a)</sup>.  
 و<sup>(b)</sup> اشتري الليث بن سعد شيئا من أرض مصر لأنه كان يحدث عن يزيد بن أبي حبيب أن مضر صلح. وكان مالك بن أنس يثكر على الليث ذلك، وأنكر عليه أيضا عبد الله بن لهيعة ونافع بن يزيد لأن مضر عندهم كانت غنوة<sup>(b)</sup>.

### ذَكَرَ مَنْ شَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

- قال ابن عبد الحكم: وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر، من أصحاب رسول الله ﷺ من قرين وغيرهم، ومن لم يكن له برسول الله ﷺ صحبة: الزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص - وكان أمير القوم - وعبد الله بن عمرو، وخارجة بن خذافة العدوي، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وقيس بن أبي العاص السهمي، والمقداد بن الأسود، وعبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح العامري، ونافع بن عبد قيس الفهري - ويقال بل هو عقبة بن نافع - وأبو عبد الرحمن يزيد بن أنس الفهري، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ، وابن عبدة، وعبد الرحمن وربيعة ابنا شريحيل بن حسنة، ووزدان مولى عمرو بن العاص، وكان حاملا لواء عمرو بن العاص. وقد اختلف في سعد بن أبي وقاص، ف قيل إنما دخلها بعد الفتح.  
 وشهد الفتح من الأنصار: عبادة بن الصامت، وقد شهد بدرًا وبيعة العقبة، ومحمد بن مسلمة الأنصاري - وقد شهد بدرًا وهو الذي بعثه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى مصر، فقام عمرو ابن العاص ماله، وهو أحد من كان صعيد الحِصن مع الزبير بن العوام - ومسلمة بن مخلد الأنصاري يقال له صحبة، وأبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، وأبو الدرداء عويمر بن عامر، وقيل عويمر بن زيد.  
 ومن أفاء<sup>(c)</sup> القبائل: أبو بصرة<sup>(d)</sup> جميل بن نصر الغفاري، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري وشهد الفتح مع عمرو بن العاص، وهيب بن مغيبل<sup>(e)</sup> - وإليه ينسب وادي هيب الذي بالمغرب -

(a) نهاية الفقرة الساقطة من بولاق. (b-b) هذه الفقرة ساقطة من أباصوفيا. (c) بولاق: أحياء. (d) بولاق:

نصرة. (e) بولاق: معقل.

<sup>1</sup> هذا النص الطويل المنقول عن القضاعي ساقط من بولاق ومن نشرة G. Wiet.



وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي ، وكعب بن ضبة العبسي - ويقال كعب بن يسار بن ضبة<sup>(a)</sup> - وعقبة بن عامر الجهني - وهو كان رسول عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه يأمره أن يرجع إن لم يكن دخل أرض مصر - وأبو زمعة البلوي ، وبزح بن حشك - ويقال بزح بن عسكر - وشهد فتح مصر واختط بها ، وجنادة بن أمية الأزدي ، وسفيان بن وهب الخولاني وله ضحبة ، ومعاوية بن حديج الكندي - وهو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية وقد اختلف فيه : فقال قوم له ضحبة ، وقال آخرون : ليست له ضحبة - وعامر مولى جمل ، الذي يقال له عامر جمل ، شهد الفتح وهو مملوك ، وعمار بن ياسر ، ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان ، وجهه إليها في بعض أموره<sup>١</sup> .

قال ابن عبد الحكم : منهم من اختط بالبلد فذكرنا خطته ، ومنهم من لم يذكر له خطة ؛ قال : فاختلف عمرو بن العاص داره التي عند باب المسجد بينهما الطريق ، وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها ، وفيها دفن عبد الله بن عمرو - فيما زعم بعض مشايخ البلد - لحديث كان يومئذ في البلد ، والحمام الذي يقال له حمام الفار - وإنما قيل له حمام الفار ، لأن حمامات الروم كانت ديماسات كبارا ، فلما بُني هذا الحمام ورأوا صغره ، قالوا : من يدخل هذا ؟ هذا حمام الفار<sup>٢</sup> .

### ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط

قال ابن عبد الحكم ، عن يزيد بن أبي حبيب : إن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية ، ورأى بيوتها وبنائها مفروغا منها ، هم أن يسكنها وقال : مساكن قد كفيئناها . فكتب إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول : هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل .

فكتب عمر إلى عمرو : «إني لا أحب أن تنزل المسلمين<sup>(b)</sup> منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف» . فتحول عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط .

(a) بولاق : ضبة . (b) النسخ : تنزل بالمسلمين والمثبت من فتوح مصر .

<sup>١</sup> ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٩٢-٩٥ ، وانظر كتاب «دور الصحابة في من دخل مصر من الصحابة» لجلال الدين السيوطي الذي أورده فيه زيادة على ثلاث مائة ترجمة لمن دخل مصر من الصحابة (السيوطي : حسن المحاضرة ١٦٦:١-٢٥٤) .  
<sup>٢</sup> نفسه ٩٦ .



قَالَ: وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَهُوَ نَازِلٌ بِمَدَائِنَ كِشْرَى، وَإِلَى عَامِلِهِ بِالْبَصْرَةِ، وَإِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ: «أَلَا تَجْعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَاءً، فَتَمْتَنِي أَنْ أَزُكَّبَ إِلَيْكُمْ رَاجِلَتِي حَتَّى أَقْدِمَ عَلَيْكُمْ قَدِمْتُ». فَتَحَوَّلَ سَعْدٌ مِنْ مَدَائِنَ كِشْرَى إِلَى الْكُوفَةِ، وَتَحَوَّلَ صَاحِبُ الْبَصْرَةِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ فَتَنَزَلَ الْبَصْرَةَ، وَتَحَوَّلَ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ إِلَى الْفُسْطَاطِ<sup>١</sup>.

قَالَ: وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الْفُسْطَاطُ لِأَنَّ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ لَمَّا أَرَادَ التَّوَجُّهَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ لِقِتَالِ مَنْ بِهَا مِنَ الرُّومِ، أَمَرَ بِنَزْعِ فُسْطَاطِهِ فَإِذَا فِيهِ يَمَامٌ قَدْ فَرَّخَ، فَقَالَ عَمْرٍو: لَقَدْ تَحَرَّمَ مِنَّا بِمُتَحَرِّمٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُقِرَّ كَمَا هُوَ، وَأَوْصَى بِهِ صَاحِبَ الْقَصْرِ. فَلَمَّا قَفَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ قَالُوا: أَيْنَ نَنْزِلُ؟ قَالُوا: الْفُسْطَاطُ، لِفُسْطَاطِ عَمْرٍو الَّذِي كَانَ خَلْفَهُ، وَكَانَ مَضْرُوبًا فِي مَوْضِعِ الدَّارِ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِدَارِ الْحَصَا<sup>(a)</sup> عِنْدَ دَارِ عَمْرٍو الصَّغِيرَةِ<sup>٢</sup>.

قَالَ الشَّرِيفُ مُحَمَّدُ بْنُ أَشْعَدِ الْجَوَانِي: كَانَ فُسْطَاطُ عَمْرٍو عِنْدَ دَرْبِ حَمَامِ شَمُولِ بِخَطِّ الْجَامِعِ<sup>٣</sup>.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، إِنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْفُسْطَاطِ» يَرْوِيهِ سُؤَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، عَنِ مَكْحُولٍ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

الْفُسْطَاطُ الْمَدِينَةُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ فُسْطَاطٌ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمِصْرَ فُسْطَاطٌ.  
(b) وَأَخْبَرَنِي أَبُو حَاتِمٍ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَالَ: قَرَأْتُ فِي كِتَابِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ: هَذَا مَا اشْتَرَى فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ مِنْ عَجَلَانَ مَوْلَى زِيَادٍ، اشْتَرَى مِنْهُ خَمْسَ مِائَةِ جَرِيبٍ حِيَالَ الْفُسْطَاطِ، يُرِيدُ الْبَصْرَةَ.

وَمِنْهُ قَوْلُ الشُّعْبِيِّ فِي الْآبِقِ: إِذَا أَخَذَ فِي الْفُسْطَاطِ عَشْرَةَ، وَإِذَا أَخَذَ خَارِجًا عَنْ

(a) بولاق: دار الحصار. (b-b) هذه الفقرة - وهي بقية رواية ابن قتيبة، وردت في بولاق في آخر الفصل، وهي - مرة أخرى - نتيجة إساءة نقل الطُّبَّارَاتِ الَّتِي كَانَ يَسْتَعْمِدُهَا الْمُقْرِيزِيُّ فِي نَسَخَتِهِ.

<sup>١</sup> فيما تقدم ٤٥٢:١.

الزاهرة ١: ٦٤-٦٥.

<sup>٢</sup> ابن عبد الحكم: فتوح مصر ٩١؛ ابن سعيد: المغرب  
<sup>٣</sup> انظر فيما تقدم ٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة  
٣٩-٤٠؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ٢؛ أبو المحاسن: النجوم ١: ٦٥.



الفُسطاط أربعون . وأراد أن يد الله على أهل الأمصار ، وأن من شد عنهم ، وفارقهم في الرأي ، فقد خرج عن يد الله . وفي ذلك آثار (b) ١ .

وقال البكري : الفُسطاط - بضم أوله وكسره وإسكان ثانيه - اسم لمصر . ويقال فُسطاط وبُسطاط . قال المطرزي : وفُسطاط وفُستاد ، وبكسر أوائل جميعها ، فهي عشر لغات . وقال ابن قتيبة : كل مدينة فُسطاط ، وذكر حديث «عليكم بالجماعة ، فإن يد الله على الفُسطاط» ٢ .

### ذكر الحِطَط التي كانت بمدينة الفُسطاط

اعلم أن الحِطَط التي كانت بمدينة فُسطاط مصر ، بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة ، فقبل تلك في مصر حِطَّة /، وقيل لها في القاهرة حارة ٣ .

قال القضاعي : ولما رجع عمرو من الإسكندرية ، ونزل موضع فُسطاطه ، انضمت القبائل بعضها إلى بعض ، وتنافسوا في المواضع . فولى عمرو على الحِطَط معاوية بن حديج الشجيب ، وشريك بن سمي الغطيفي ، وعمرو بن قحزم الخولاني ، وحنويل بن ناشرة

*fouilles d'al-Foustât et les origines de la maison arabe en Égypte*, Paris 1921; Kubiak, W., «The Circulation Tracks of al-Fustat. One Aspect of the Physionomy of a Mediaeval Arab City», *Africana Bulletin XXV* (1976), pp. 51-64; id., *Al-Fustat. Its Foundation and Early Urban Development*, Cairo - AUC 1987; Denoix, S., *Décrire le Caire, Fusât Misr d'après Ibn Duqmâq et Maqrîzî*, Le Caire - IFAO 1992; Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte jusqu'à l'époque fatimide*, Beirut 1998, pp. 591-664; Becker, C.H., *El* ٢ art. *Misr VII*, pp. 149-50.

وعن معنى الحِطَّة والمصطلحات الخاصة بالمدينة الإسلامية في الفسطاط والقاهرة ، انظر دراسة جارسان الهامة *Toponymie et topographie urbaines médiévales à Foustât et au Caire*», *JESHO XXXII* (1984), pp. 116-17, 122; Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 24-25.

١ ابن قتيبة : غريب الحديث ١: ٣١٨؛ وانظر الزمخشري : الفائق في غريب الحديث ٣: ١١٦؛ ياقوت : معجم البلدان ٤: ٢٦٣-٢٦٤ .

٢ مادة «فُسطاط» ساقطة من نشرة معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ؛ وانظر كذلك *El* ٢ Bosworth, C.E., art. *Misr VII*, p. 148.

٣ قامت دراسات عديدة حول إعادة تخطيط مدينة الفُسطاط اعتمادًا على المصادر الأدبية وعلى الحفائر المتعددة التي تمت في موقع الفُسطاط أهمها : Guest, R., «The Foundation of Fustat and the Khittahs of that Town», *JRAS* (1907), pp. 49-83; Casanova, P., *Essai de reconstitution topographique de la ville d'al-Foustât ou Misr*, Le Caire - MIFAO 35, 1913-19; Bahgat, A. & Gabriel. A., *Les fouilles d'al-Foustât*, Le Caire - Paris 1921 علي بهجت ومحمود عكوش بعنوان «حفريات الفُسطاط» ، القاهرة - دار الآثار العربية ١٩٢٨؛ Gabriel, A., *Les*



المعافري، وكانوا هم الذين أُنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل، وذلك في سنة إحدى وعشرين<sup>١</sup>.

خِطَّةُ أَهْلِ الرَّايَةِ - أَهْلُ الرَّايَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَخُزَاعَةَ وَأَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَجُهَيْنَةَ وَثَقِيفَ وَدَوْسَ وَعَبْسَ بْنَ بَغِيضَ وَجَزْشَ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَلَيْثَ بْنَ بَكْرَ، وَالْعَتَقَاءَ مِنْهُمْ، إِلَّا أَنْ مَنَزَلَ الْعَتَقَاءَ فِي غَيْرِ الرَّايَةِ<sup>٢</sup>. وَإِنَّمَا سُمُّوا أَهْلَ الرَّايَةِ، وَنُسِبَتْ الْخِطَّةُ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهِمْ جَمَاعَةٌ لَمْ يَكُنْ لِكُلِّ بَطْنٍ مِنْهُمْ الْعَدَدُ مَا يَنْفَرُ بِدَعْوَةِ مِنَ الدِّيَّانِ، فَكَرِهَ كُلُّ بَطْنٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْعَى بِاسْمِ قَبِيلَةٍ غَيْرِ قَبِيلَتِهِ؛ فَجَعَلَ لَهُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَايَةً وَلَمْ يَنْسِبْهَا إِلَى أَحَدٍ، فَقَالَ: يَكُونُ مَوْقِفُكُمْ تَحْتَهَا، فَكَانَتْ لَهُمْ كَالنَّسَبِ الْجَامِعِ، وَكَانَ دِيْوَانُهُمْ عَلَيْهَا. وَكَانَ اجْتِمَاعُ هَذِهِ الْقَبَائِلِ لَمَّا عَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوِلَايَةِ بَيْنَهُمْ.

١٠ وهذه الخِطَّةُ مُحِيطَةٌ بِالْجَامِعِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، ابْتَدَأُوا مِنَ الْمَصَفِّ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ فِي حِصَارِهِمُ الْحِصْنَ - وَهُوَ بَابُ الْحِصْنِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَابُ السَّمْعِ - ثُمَّ مَضَوْا بِخِطَّتِهِمْ إِلَى حَمَّامِ الْفَارِ، وَشَرَعُوا بِغَرِيبِهَا إِلَى النَّيْلِ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِلَى النَّحَّاسِينَ، فَالْجَانِبَانِ لِأَهْلِ الرَّايَةِ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، الْمَعْرُوفِ بِبَابِ الْوَرَّاقِينَ، ثُمَّ يَسْلُكُ عَلَى حَمَّامِ شَمُولِ.

وفي هذه الخِطَّةِ زُقَاقُ الْقَنَادِيلِ إِلَى تَرْبَةِ عَقَّانَ، إِلَى سُوقِ الْحَمَّامِ، إِلَى بَابِ الْقَصْرِ الَّذِي بَدَأْنَا بِذِكْرِهِ.

١٥ خِطَّةُ مَهْرَةَ بَنِي حِيدَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ<sup>٣</sup> - وَخِطَّةُ مَهْرَةَ هَذِهِ قَبَلِيَّ خِطَّةِ الرَّايَةِ. وَاخْتَطَّتْ مَهْرَةَ أَيْضًا عَلَى سَفْحِ الْجَبَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ جَبَلُ يَشْكُرُ مِمَّا يَلِي الْحُنْدُقَ، إِلَى شَرْقِيِّ الْعَشْكَرِ، إِلَى جِنَانِ بَنِي مِسْكِينَ. وَمِنْ جُمْلَةِ خِطَّةِ مَهْرَةَ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِمَسَاطِبِ الطَّبَّاحِ، وَاسْمُهُ حَمَدُ.

٢٠ وَيُقَالُ إِنَّ الْخِطَّةَ الَّتِي لَهُمْ قَبَلِيَّ الرَّايَةِ، كَانَتْ حَوْزًا لَهُمْ يَرْبُطُونَ فِيهَا خَيْلَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَى الْجُمُعَةِ، ثُمَّ انْقَطَعُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوا مَنَازِلَهُمْ يَشْكُرُ.

خِطَّةُ نُجَيْبٍ - وَنُجَيْبٌ هُمْ بَنُو عَدِيٍّ وَسَعْدِ ابْنِي الْأَشْرَسِ بْنِ شَيْبِ بْنِ الشَّكَنِ بْنِ الْأَشْرَسِ بْنِ كِنْدَةَ<sup>٤</sup>، فَمَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ عَدِيٍّ وَسَعْدِ يُقَالُ لَهُمْ نُجَيْبٌ. وَنُجَيْبٌ أُمَّهُمْ: وَهَذِهِ الْخِطَّةُ تَلِي خِطَّةَ مَهْرَةَ، وَفِيهَا دَرْبُ الْمَمْصُوصَةِ، آخِرُهُ حَائِطٌ مِنَ الْحِصْنِ الشَّرْقِيِّ.

<sup>١</sup> ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٦٥.

<sup>٢</sup> نفسه ٤: ٣.

<sup>٣</sup> نفسه ٤: ٣.

<sup>٤</sup> نفسه ٤: ٣.



وخطط لَحْم في موضعين - فمنها خِطَّة لَحْم بن عِدِّي بن مُرَّة بن أَدَد ومن خالطها من جذام<sup>١</sup>، فابتدأت لَحْم بِخِطَّتِهَا من الذي انتهت إليه خِطَّة الرَّاية، وَأَصْعَدَت ذات الشَّمال. وفي هذه الخِطَّة سُوقُ بَزْبَر، وشارعه مُخْتَلَط فيما بين لَحْم والرَّاية.

ولهم خِطَّتَان أُخْرِيَان: إحداهما منسوبة إلى بني رِيَّة بن عمرو بن الحارث بن وائل ابن راشد من لَحْم، وأولها شَرْقي الكَنِيسَة المعروفة بميكائيل التي عند خَلِيج بني وائل<sup>٢</sup>. وهذا المَوْضِع اليوم وَرَاقَات يُعْمَل فيها الوَرَقُ بالقرب من باب القَنْطَرَة خارج مصر.

والخِطَّة الثانية خِطَّة رَايِدَة بن أَدَب بن جَزَيْلَة من لَحْم<sup>٣</sup>، وهي مُتَاخِمَة للخِطَّة التي قَبَلَهَا. وفي هذه الخِطَّة جَامِع رَايِدَة<sup>٤</sup>، وجِنَان كَهَمَس بن مَعْمَر الذي عُرِف بالمَاذِرَائِي، ثم عُرِفَ بجِنَان الأمير تَمِيم، وهو اليوم يُقَالُ له المَعشُوق<sup>٥</sup>، بجوار رِبَاط<sup>(a)</sup> الآثار التَّبَوِيَّة. ولهم مَوَاضِع مع اللَّفِيف، وخطط بالحَمْرَاء أيضًا<sup>(b)</sup>.

خِطَطُ اللَّفِيف - إِنَّمَا سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَلْتِفَاف بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ عَمْرُو بن العاص لما فَتَحَ الإسْكَندَرِيَّة، أُخْبِرَ أَنَّ مَرَاكِبَ الرُّومِ قَدْ تَوَجَّهَتْ إِلَى الإسْكَندَرِيَّة لِقِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَبَعَثَ عَمْرُو بِعَمْرُو بن جَمَالَة الأَزْدِي الحَجْرِي لِيَأْتِيَهُ بِالخَبَرِ، فَمَضَى. وَتَسَرَّعَتْ<sup>(c)</sup> هذه القبائل التي تُدْعَى اللَّفِيف، وَتَعَاقَدُوا عَلَى اللُّحَاقِ بِهِ، وَاسْتَأْذَنُوا عَمْرُو بن العاص فِي ذَلِكَ، فَأَذِنَ لَهُمْ، وَهَمَّ جَمْعٌ كَثِيرٌ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ عَمْرُو بن جَمَالَة اسْتَكْرَهَم، وَقَالَ: تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ قَوْمًا قَدْ سَدُّوا الأَفُقَ مِثْلَكُم، وَإِنِّكُمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الآية ١٠٤ سورة الإسراء]، فَبِذَلِكَ سُمُّوا مِنْ يَوْمِئِذٍ اللَّفِيف. وَسَأَلُوا عَمْرُو بن العاص أَن يُفَرِّدَ لَهُمْ دَعْوَةً، فَامْتَنَعَتْ عَشَائِرُهُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا لِعَمْرُو: فَإِنَّا نَجْتَمِعُ فِي المَنْزِلِ حَيْثُ كُنَّا؛ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ. فَكَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِي المَنْزِلِ مُتَفَرِّقِينَ فِي الدِّيَوَانِ، إِذَا دُعِيَ كُلُّ بَطْنٍ مِنْهُمْ انْضَمَّ إِلَى بَنِي أَبِيهِ. قَالَ قَتَادَةَ وَمُجَاهِدَ وَالضُّحَّاكُ بن مَزَاحِمٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ قَالَ: جَمِيعًا.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: أيضًا بالحمرء. (c) بولاق: وأسرعت.

<sup>١</sup> ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣.  
<sup>٢</sup> انظر فيما يلي ٥١٧: ٢.  
<sup>٣</sup> ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٤٢٣، ٤٧٧.  
<sup>٤</sup> انظر فيما يلي ٢٨٢: ٢.  
<sup>٥</sup> انظر فيما يلي ١٥٩: ٢ - ١٦٠.



وكان عامتهم من الأزد من الحجر ومن غسان ومن شجاعة ، والتف بهم نفر من جذام ولخم والوحاف<sup>(a)</sup> وتوخ من قضاة ، فهم مجتمعون في المنزل ، متفرقون في الديوان<sup>(١)</sup> .

وهذه الخطة أولها مما يلي الراية ، سالكا ذات الشمال إلى نقاشي البلاط ، وفيها دار ابن عشرات إلى نحو من سوق وزدان .

خط أهل الظاهر - إنما سمي هذا المنزل بالظاهر ، لأن القبائل التي نزلته كانت بالإسكندرية ، ثم قفلت بعد قول عمرو بن العاص ، وبعد أن اختط الناس خطهم . فخاصمت إلى عمرو ، فقال لهم معاوية بن حديج ، وكان ممن يتولى الخط يومئذ : أرى لكم أن تظهروا على أهل هذه القبائل ، فتخذوا منزلاً ، فسمي الظاهر بذلك .

وكانت القبائل التي نزلت الظاهر / العتقاء ، وهم جماع من القبائل كانوا يقطعون الطريق<sup>(b)</sup> على أيام النبي ﷺ ، فبعث إليهم ، فأتى بهم أسرى فأعتقهم ، فقبل لهم العتقاء<sup>(٢)</sup> ؛ وديوانهم مع أهل الراية ، وخطتهم بالظاهر متوسطة فيه ، وكان منهم<sup>(c)</sup> طوائف من الأزد وفهم .

وأول هذه الخطة من شرقي خطة لحم ، وتتصل بموضع العسكر . ومن هذه الخطة سويقة العراقيين ، وعرفت بذلك لأن زياداً لما ولأه معاوية بن أبي سفيان البصرة ، غرب جماعة من الأزد إلى مصر ، - وبها مسلمة بن مخلد - في سنة ثلاث وخمسين ، فنزل منهم هنا نحو من مائة وثلاثين ، فقبل لموضعهم من خطة الظاهر سويقة العراقيين<sup>(٣)</sup> .

خط غافق - هو غافق بن الحارث بن عك بن عدثان بن عبد الله بن الأزد<sup>(٤)</sup> . وهذه الخطة تلي خطة لحم إلى خطة الظاهر ، بجوار دزب الأعلام .

خط الصدف - واسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير ، ودعوتهم مع كندة<sup>(٥)</sup> .

وخط خولان بن عمرو بن مالك بن يزيد بن عريب . وهذه الخطة تتصل بالقطائع<sup>(d)</sup> .

(a) بولاق : الزحاف . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : فيهم . (d-d) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٣-٤ ، والوحاف هو الوحاف بن العتيك من لحم ينسب إليه سوق الوحاف والعامية يقولون سوق لحاف (نفسه ٤ : ٣٤ عن القضاة) .  
<sup>٢</sup> نفسه ٤ : ٤ .  
<sup>٣</sup> نفسه ٤ : ٣٤ .  
<sup>٤</sup> نفسه ٤ : ٤ وفيه : والغفق الهجوم على الشيء فجأة .  
<sup>٥</sup> نفسه ٤ : ٤ وأضاف أنه سمي الصدف لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل القرم فأجمعوا على ردمه فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت فسمي الصدف .....



خِطَطُ الفَارِسِيِّينَ - وَاسْتَنَدَ الخِطَّةُ خَوَّلَانَ مِنْ حَضَرَ فَتَحَ مِصرَ مِنَ الفَارِسِيِّينَ ، وَهَمَّ بِقَايَا جُنْدِ بَاذَانَ عَامِلِ كِشْرَى عَلَى اليَمَنِ قَبْلَ الإِسْلَامِ ، أَسْلَمُوا بِالشَّامِ ، وَرَغِبُوا فِي الجِهَادِ ؛ فَتَفَرَّوْا مَعَ عَمْرُو ابْنِ العَاصِ إِلَى مِصرَ ، فَاخْتَطَطُوا بِهَا <sup>١</sup> ، وَأَخَذُوا فِي سَفْحِ الجَبَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ جَبَلُ بَابِ أَلْيُونَ . وَهَذَا الجَبَلُ اليَوْمَ شَرَفٌ <sup>٥</sup> مِنْ وَرَاءِ خِطَّةِ جَامِعِ ابْنِ طُولُونَ ، تُعْرَفُ أَرْضُهُ بِالْأَرْضِ الصَّفْرَاءِ ، وَهِيَ مِنْ جَمَلَةِ العَشْكَرِ .

خِطَّةُ مَذْجِجٍ - بِالْحَاءِ قَبْلَ الجِيمِ - وَهُوَ مَالِكُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ أَدَدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ [بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاجِيَةَ] <sup>(b)</sup> <sup>٢</sup> .  
خِطَّةُ غَطِيفِ بْنِ مُرَادٍ <sup>٣</sup> .

خِطَّةُ وَعْلَانَ بْنِ قَزَنَ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ مُرَادٍ ، وَكُلُّهُمُ مِنْ مَذْجِجٍ <sup>٤</sup> ، فَاخْتَطَطَتْ وَعْلَانَ مِنَ الرُّقَاقِ الَّذِي فِيهِ الصَّنَمُ المَعْرُوفُ بِسَرِيَّةِ فِرْعَوْنَ ، وَهَذَا الرُّقَاقُ أَوَّلُهُ بَابُ السُّوقِ الكَبِيرِ ، وَاخْتَطَطَتْ أَيْضًا بِخَوَّلَانَ .

ثُمَّ انْفَرَدَتْ وَعْلَانَ بِخِطَطِهَا مُقَابِلَ المَسْجِدِ المَعْرُوفِ بِالدُّيْنُورِيِّ ، وَأَسْنَدَتْ إِلَى خَوَّلَانَ . وَهَذِهِ الخِطَّةُ اليَوْمَ كَيْمَانَ تُطَلَّ عَلَى قَبْرِ القَاضِي بَكَّارٍ .  
خِطَّةُ يَخْضُبِ [وَهُوَ حَيٌّ مِنَ اليَمَنِ وَإِذَا نَسَبَتْ إِلَيْهِ قُلْتَ يَخْضُبِي مِثْلَ ثَعْلَبِي ، وَهُوَ يَخْضُبُ] <sup>(b)</sup> <sup>٥</sup> ابْنِ مَالِكِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَوْثٍ ، وَهَذِهِ الخِطَّةُ مَوْضِعُهَا كَيْمَانَ ، وَهِيَ تُتَّصَلُ بِالشَّرَفِ الَّذِي يُعْرَفُ اليَوْمَ بِالرَّضْدِ ، المُطَلَّ عَلَى رَاشِدَةَ .

خِطَّةُ رُغَيْنَ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلٍ [بْنِ عَمْرُو بْنِ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، مِنْ حِمْيَرٍ وَخِطَطَتْهُمُ قَبْلِي مَذْجِجٍ] <sup>(b)</sup> <sup>٦</sup> .  
خِطَّةُ ذِي الكِلَاعِ بْنِ شُرْحَبِيلِ بْنِ سَعْدِ بْنِ حِمْيَرٍ [وَخِطَّةُ الكِلَاعِ مُتَّصِلَةٌ بِخِطَّةِ رُغَيْنَ إِلَى بَحْرِي مَسْجِدِ الأَقْدَامِ] <sup>(b)</sup> <sup>٧</sup> .

خِطَّةُ المَعَاوِرِ بْنِ يَعْفُرَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَدَ - وَهَذِهِ الخِطَّةُ مِنَ الرَّضْدِ إِلَى سِقَايَةَ ابْنِ طُولُونَ . وَهِيَ القَنَاطِرُ الَّتِي تُطَلَّ عَلَى عَفْصَةَ ، وَتَفْصِلُ بَيْنَ القَرَاةَيْنِ . وَالقَنَاطِرُ لِلْمَعَاوِرِ ، وَلَهُمْ إِلَى مُصَلَّى خَوَّلَانَ ، وَإِلَى الكُومِ المَشْرُوفِ عَلَى المُصَلَّى .

(a) بولاق : شرقي . (b) زيادة من ابن دقماق .

<sup>٤</sup> نفسه ٤ : ٤ .

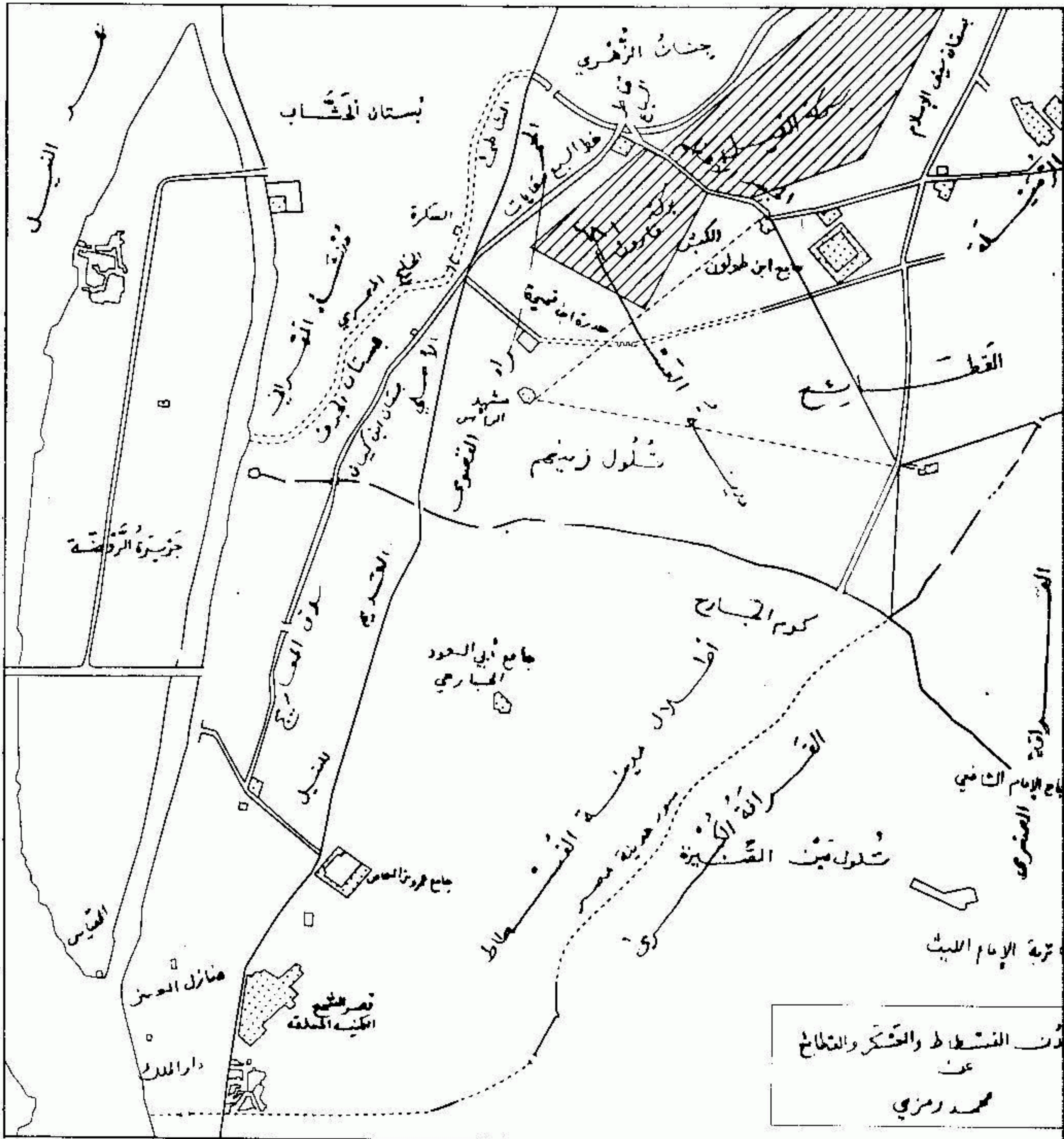
<sup>٣</sup> نفسه ٤ : ٤ .

<sup>٢</sup> نفسه ٤ : ٤ .

<sup>١</sup> ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٤ .

<sup>٥</sup> نفسه ٤ : ٤ . <sup>٦</sup> نفسه ٤ : ٤ . <sup>٧</sup> نفسه ٤ : ٤ .





بستان القشطاط والعسكر والقطايع  
عن  
محمد رمزي



- خِطَّةُ سَبَأَ وَخِطَّةُ الرَّحْبَةِ بْنِ زُرْعَةَ بْنِ كَعْبٍ <sup>١</sup> .
- خِطَّةُ السُّلَفِ بْنِ سَعْدٍ <sup>٢</sup> - فيما بين الكوم المِطْلَ على قَبْرِ القَاضِي بَكَّارٍ وَبَيْنَ المَعَاوِرِ .
- خِطَّةُ بَنِي وَايِلَ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ أَفْصَى بْنِ إِيَّاسَ بْنِ حَرَامِ بْنِ جُذَامِ بْنِ عَدِيِّ <sup>٣</sup> - وَهِيَ مِنْ سَفْحِ الشَّرَفِ المَعْرُوفِ بِالرَّضْدِ إِلَى خِطَّةِ خَوْلَانَ .
- خِطَّةُ القَبْضِ (بِالتَّحْرِيكِ) ابْنِ مُرَيْدٍ <sup>٤</sup> - وَهِيَ بِجَانِبِ خِطَّةِ بَنِي وَايِلَ إِلَى نَحْوِ بَرْكَةِ الحَبَشِ .
- قَالَ : وَكَانَ سَبَبُ نَزُولِ بَنِي وَايِلَ وَالقَبْضِ وَرِيَّةَ وَرَاشِدَةَ وَالفَارِسِيِّينَ هَذِهِ المَوَاضِعِ ، أَنَّهُمْ كَانُوا فِي طَوَالِحِ عَمْرُو بْنِ العَاصِ ، فَنَزَلُوا فِي مُقَدِّمَةِ النَّاسِ ، وَحَازُوا هَذِهِ المَوَاضِعَ قَبْلَ الفَتْحِ .
- خِطَّةُ الحَمْرَاوَاتِ الثَّلَاثِ - قَالَ الكِنْدِيُّ : وَكَانَتِ الحَمْرَاءُ عَلَى ثَلَاثَةِ قُؤَادٍ <sup>(a)</sup> : بَنُو يَثْبَ <sup>(b)</sup> ، وَرُوبِيلَ ، وَالأَزْرَقِ ، وَكَانُوا مَعِ سَارٍ مَعَ عَمْرُو بْنِ العَاصِ مِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ مِنَ عَجَمِ الشَّامِ ، مِمَّنْ كَانَ رَغِبَ فِي الإِسْلَامِ مِنْ قَبْلِ البَيْتُومُوكِ ، وَمِنْ أَهْلِ قَيْسَارِيَّةَ وَغَيْرِهِمْ .
- وَقَالَ القُضَاعِيُّ : وَأَمَّا قَبِيلُ لَهَا الحَمْرَاءُ لِنَزُولِ الرُّومِ بِهَا ؛ وَهِيَ خِطَّةُ بَلِيٍّ بْنِ عَمْرُو بْنِ إِحْفَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، وَفَهْمُ ، وَعَدْوَانُ ، وَبَعْضُ الأَزْدِ وَهُمْ تُرَادُ ، وَبَنِي بَحْرَ ، وَبَنِي سَلَامَانَ ، وَيَشْكُرُ مِنْ <sup>(c)</sup> الحَمِّ ، وَهُذَيْلُ بْنُ مُدْرِكَةَ ابْنِ إِيَّاسَ مِنْ <sup>(d)</sup> مُضَرَ ، وَبَنِي يَثْبَ <sup>(b)</sup> ، وَبَنِي الأَزْرَقِ وَهُمْ مِنَ الرُّومِ ، وَبَنِي رُوبِيلَ وَكَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ <sup>(e)</sup> .
- فَأَوَّلُ ذَلِكَ : الحَمْرَاءُ الدُّنْيَا خِطَّةُ بَلِيٍّ بْنِ عَمْرُو بْنِ إِحْفَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، وَمِنْهَا خِطَّةُ تُرَادَ مِنَ الأَزْدِ ، وَخِطَّةُ فَهْمِ بْنِ عَمْرُو بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ ، وَمِنْهَا خِطَّةُ بَنِي بَحْرَ بْنِ سَوَادَةَ مِنَ الأَزْدِ .
- وَمِنْ ذَلِكَ : الحَمْرَاءُ الوُسْطَى : مِنْهَا خِطَّةُ بَنِي يَثْبَ <sup>(b)</sup> وَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الرُّومِ حَضَرَ الفَتْحَ مِنْهُمْ مِائَةٌ رَجُلًا ، وَمِنْهَا خِطَّةُ هُذَيْلِ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ مِنْ مُضَرَ ، وَمِنْهَا خِطَّةُ بَنِي سَلَامَانَ مِنَ الأَزْدِ ، وَمِنْهَا خِطَّةُ عَدْوَانَ .
- وَمِنْ ذَلِكَ : الحَمْرَاءُ القُصُوى ، وَهِيَ خِطَّةُ بَنِي الأَزْرَقِ ، وَكَانَ رُومِيًّا ، حَضَرَ الفَتْحَ مِنْهُمْ أَرْبَعٌ مِائَةً ، وَخِطَّةُ بَنِي رُوبِيلَ ، وَكَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ ، وَحَضَرَ الفَتْحَ مِنْهُمْ أَلْفٌ رَجُلًا ، وَخِطَّةُ بَنِي يَشْكُرَ ابْنِ جُزَيْلَةَ مِنْ <sup>(c)</sup> الحَمِّ . وَكَانَتِ مَنَازِلُ يَشْكُرَ مُفَرَّقَةً فِي الجَبَلِ <sup>(d)</sup> الَّذِي عَلَيْهِ الآنَ جَمَاعُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ <sup>(d)</sup> ، فَذُبِرَتْ قَدِيمًا وَعَادَتْ صَحْرَاءَ ، حَتَّى جَاءَتِ المُسَوَّدَةُ - يَعْنِي جُيُوشَ بَنِي العَبَّاسِ - فَعَمَّرُوهَا ، وَهِيَ الآنَ خَرَابٌ <sup>(e)</sup> .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : نيه . (c) بولاق : بن والتصويب من مسودة الخطط . (d-d) زيادة من المسودة .

<sup>١</sup> ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٤ . <sup>٢</sup> نفسه ٤ : ٤ . <sup>٣</sup> نفسه ٤ : ٤ . <sup>٤</sup> نفسه ٤ : ٤ . <sup>٥</sup> نفسه ٤ : ٥ .

مسودة الخطط ٥١ ظ . <sup>٦</sup> مسودة الخطط ٤٦ ظ ، ٥١ ظ .



وقال ابنُ المتَّوِّجِ : الحَمْرَاوَاتُ ثلاثٌ : أُولَى ، وَوُسْطَى ، وَقُصْوَى : فَأَمَّا الأُولَى فَتَجَمَّعَ حَائِزُ الإِوَرِّ وَعَقَبَةُ العَدَّاسِينَ ، وَسُوقُ وَرْدَانَ ، وَخِطَّةُ الزُّبَيْرِ ، إِلَى نَقَّاشِينَ<sup>(a)</sup> البَلَّاطِ ، طُولًا وَعَرْضًا ، عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ ؛ وَأَمَّا الوُسْطَى ، فَمِنْ دَرْبِ نَقَّاشِينَ<sup>(a)</sup> البَلَّاطِ إِلَى دَرْبِ مَعَانِي ، طُولًا وَعَرْضًا عَلَى قَدْرِهِ ؛ وَأَمَّا القُصْوَى فَمِنْ دَرْبِ مَعَانِي إِلَى القَنْطَرَةِ<sup>(b)</sup> الظَّاهِرِيَّةِ - يَعْنِي قَنَاطِرِ السَّبَاعِ - ، وَهِيَ حَدُّ وُلايَةِ مِصْرَ مِنَ القَاهِرَةِ .

وكانت هذه الحَمْرَاوَاتُ مَجْلَى عِمَارَةِ مِصْرَ فِي زَمَنِ الرُّومِ . فَإِذَا الحَمْرَاءُ الأُولَى وَالوُسْطَى هُمَا الآنَ خَرَابٌ ، وَمَوْضِعُهُمَا فِيمَا بَيْنَ سُوقِ المَعَارِيحِ ، وَحَمَامِ ظَنَّ<sup>(c)</sup> مِنْ شَرْقِيَهُمَا / إِلَى مَا يُقَابِلُ المَرَاغَةَ فِي الشَّرْقِ<sup>(١)</sup> .

وَأَمَّا الحَمْرَاءُ الدُّنْيَا فَهِيَ الآنَ تُعْرَفُ بِخُطِّ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ ، وَبِخُطِّ السَّبْعِ سِقَايَاتِ ، وَبِحِجْرِ الخَلِيلِي وَحِجْرِ آقْبَعَا ، وَالكُومِ حَيْثُ الأَسْرَى ، وَمِنْهَا أَيْضًا خُطُّ الكَبْشِ ، وَخُطُّ الجَامِعِ الطُّولُونِي والعَسْكَرِ ، وَمِنْهَا حَدْرَةُ ابْنِ قَمِيحَةَ إِلَى حَيْثُ قَنْطَرَةُ السَّدِّ ، وَبُشْتَانُ الطُّواشِي وَمَا فِي شَرْقِيهِ إِلَى مَشْهَدِ الرَّأْسِ المَعْرُوفِ بِزَيْنِ العَايِدِينَ . وَسَيَأْتِي لِذَلِكَ مَزِيدُ بَيَانٍ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، عِنْدَ ذِكْرِ العَسْكَرِ .

وكانت مَدِينَةُ الفُسطاطِ عَلَى قِسْمَيْنِ : هُمَا «عَمَلُ فَوْقِ» ، وَ«عَمَلُ أَسْفَلِ» . فَعَمَلُ فَوْقِ<sup>(٢)</sup> لَهُ طَرَفَانِ : غَرْبِيٌّ ، وَشَرْقِيٌّ . فَالغَرْبِيُّ مِنْ شَاطِئِ النَّيْلِ فِي الجِهَةِ القِبْلِيَّةِ وَأَنْتَ مَارٌّ فِي الشَّرْفِ ، المَعْرُوفِ اليَوْمَ بِالرَّضْدِ ، إِلَى القَرَاةِ الكُبْرَى . وَالشَّرْقِيُّ مِنَ القَرَاةِ الكُبْرَى إِلَى العَسْكَرِ . وَعَمَلُ أَسْفَلِ<sup>(٣)</sup> مَا عَدَا ذَلِكَ إِلَى حَدِّ القَاهِرَةِ .

(a) بولاق : نقاشي ، والتصويب من المسودة . (b) بولاق : القناطر . (c) بولاق : حمام طن .

الغربية وتمثل حثيًا سكنيًا خاليًا من المراكز التجارية والحرفية التي تركزت في الجانب الآخر من المدينة . وقد دُمِّرَ هذا القسم من المدينة تمامًا منذ الشدَّة العظيمة في زمن المستنصر بالله في منتصف القرن الخامس الهجري ولم يُعَدَّ سكنه بعد ذلك بسبب الأوبئة ، ولكن أعيد استخدام أنقاضه في بناء مناطق أخرى خاصة منطقة المشاهد بين المشهد الثقيسي جنوبًا وباب زويلة شمالًا (انظر فيما تقدم ٩:١ وفيما يلي ٥٨ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٦٧ - ٢٢٤ ؛ ٢ : ١٠٠ ، ٢٦٥ ؛ Fu'ad Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 595-96; Kubiak, F., *al-Fustât* p. 36 .

<sup>٣</sup> عمل أسفل هو الجزء الغربي للفُسطاط الواقع على =

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ١٥٨ ؛ المسودة ٥٠ ظ .

<sup>٢</sup> عمل فوق . هو جزء مدينة الفُسطاط الشرقي الممتد حتى المقابر القديمة في سفح المقطم . وتمثل بركة الحبش الحد الجنوبي الطبيعي لهذا الجزء حيث توجد اليوم ضاحية القاهرة الجنوبية البساتين . أمَّا الحد الشمالي لهذا القسم فكان يمتد إلى ما يلي الخليج في منطقة يصعب تحديدها تُعادل ميدان السيدة زينب الحالي وهي تشغل أرضًا غير متساوية تتكوَّن أساسًا من هَضْبَةٍ صخرية تنحدر بميل تجاه النيل وتُحيط بها مجموعة من التلال يحدُّها من الجنوب الشرف المعروف بالرَّضْدِ . ونظرًا لأنها كانت أكثر ارتفاعًا من المنطقة الغربية أُطلقَ عليها «المَوْقِفِ» أو «عَمَلُ فَوْقِ» . وكانت أكثر اتساعًا من المنطقة



## ذكر أمراء الفسطاط

### من حين فتحت مصر إلى أن بُني العسكر

اعلم أن عِدَّة مَنْ وُلِّيَ مصر من الأمراء في الإسلام - منذ فُتِحَتْ وشيكنَ الفُسطاط إلى أن بُني العسكر - تسعة وعشرون أميرًا في مُدَّة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر. أولها يوم الجمعة مستهلَّ المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية - وهو يومُ فُتِحَ مصر - وآخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة، آخر ولاية صالح بن علي بن عبد الله بن عباس على مصر، وأول ولاية أبي عؤن عبد الملك، وهو أول من سَكَنَ العسكر من أمراء مصر.

وأولُ أمراء الفُسطاط بعد الفُتْح - على ما ذَكَرَ الكِنْدِيُّ وغيره<sup>١</sup> - عمرو بن العاص بن وائل ابن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْنِص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، أبو عبد الله. كان تاجرًا في الجاهلية، وكان يَخْتَلِفُ بِتِجَارَتِهِ إلى مصر - وهي الأدم والعطر - ثم ضَرَبَ الدَّهْرُ ضَرْبَاتِهِ حَتَّى فَتَحَ المسلمون الشَّامَ، فَخَلَا بَعْمَرُ بن الخطَّاب - رضي الله عنه - فاستأذنه في المسير إلى مصر، فسارَ في سنة تسع عشرة، وأتى الحِصْنَ فحاصره سبعة أشهر، إلى أن فَتَحَهُ في يوم الجمعة مستهلَّ المحرم سنة عشرين<sup>٢</sup>.

وقيل كان فَتْحُ مصر في ثاني عشر بئونة سنة سبع وخمسين وثلاث مائة ليدقطنانوس، فعلى هذا يكون فَتْحُ مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة.

كتاب «عقد جواهر الأسفاط» الذي خصَّصه المقرئ تاريخ مصر في القرون الثلاثة الأولى للإسلام - لو كان وصل إلينا - لأمدنا فيه المقرئ بتفاصيل أكثر عن هذه الفترة. وانظر كذلك، سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة د.ت، Kennedy, H., «Egypt as a province in the Islamic Caliphate, 641-868», *The Cambridge History of Egypt*, pp. 62-85; Cristidies, V. & Kennedy, H., *El<sup>2</sup> art. Misr VII*, pp. 155-63.

<sup>٢</sup> الكندي: ولاية مصر ٢٩، ٣٠.

= شاطئ النيل، ورغم أنه أكثر رطوبة وأقل صحية عن الجزء الآخر إلا أنه يشتمل على أهم منشآت المدينة: المسجد الجامع ودار الضرب والأسواق والقياسر. وهذا الجزء الغربي هو الشاهد على جميع الأحداث التي مرّت بها الفسطاط (Fu'ad Sayyid, A., *op. cit.*, p. 594; Kubiak, F., *op. cit.* pp. 34-36).

<sup>١</sup> اعتمد المقرئ في سزود أسماء ولاة وأمراء مصر حتى العصر الإخشيدى على كتاب «ولاة مصر» للكندي والترجم بنص عباراته (انظر المقدّمة)، وراجع كذلك أبا المحاسن: النجوم الزاهرة الأجزاء من الأول إلى الثالث. ولاشك أن



وَتَحْرِيرُ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي بَيْنَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ مُلْكِ دِقْلَطِيَانُوسِ ، وَبَيْنَ يَوْمِ الْخَمِيسِ أَوَّلُ سَنَةِ الْهَجْرَةِ ، ثَمَانٌ وَثَلَاثُونَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ سَنَةٍ فَارِسِيَّةٍ وَتِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ يَوْمًا .  
فَإِذَا أَلْغَيْنَا ذَلِكَ مِنْ تَارِيخِ مِصْرَ فِي ثَانِي عَشْرَ بَعُوثَةَ سَنَةٍ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، بَقِيَ ثَمَانُ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . وَهَذِهِ سُتُونٌ شَمْسِيَّةٌ ، عَنْهَا مِنْ سِنِي الْقَمَرِ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرًا وَثَلَاثَةَ عَشْرَ يَوْمًا ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي ثَالِثِ عَشْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ عَشْرِينَ ، فَلَعَلَّ الْوَهْمُ وَقَعَ فِي الشَّهْرِ الْقِبْطِيِّ .

وَحَازَ الْحِصْنَ بِمَا فِيهِ ، وَسَارَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا ، فَحَاصَرَهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ فَتَحَهَا عَنَوَةً - وَهُوَ الْفَتْحُ الْأَوَّلُ - وَيُقَالُ بَلْ فَتَحَهَا مُسْتَهْلٌ سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ ، ثُمَّ سَارَ عَنْهَا إِلَى بَرْقَةَ ، فَافْتَتَحَهَا <sup>(a)</sup> بِصُلْحٍ فِي آخِرِ سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ وَمَضَى مِنْهَا إِلَى أَطْرَابُلُسَ فَفَتَحَهَا <sup>(a)</sup> عَنَوَةً فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ ، وَقِيلَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ .

١٠ وَقَدِمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدَمَتَيْنِ : اسْتَخْلَفَ فِي إِحْدَاهُمَا زَكْرِيَّا بْنَ جَهْمِ الْعَبْدَرِيِّ ، وَفِي الثَّانِيَةِ ابْنَهُ عَبْدِ اللَّهِ .

وَتُوْفِيَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ ، وَتُوْبِعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَوَقَدَ عَلَيْهِ عَمْرُو ، وَسَأَلَهُ عَزَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ عَنْ صَعِيدِ مِصْرَ - وَكَانَ عُمَرُ وَأَوَاهُ الصَّعِيدَ - فَاذْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ عُثْمَانُ ، وَعَقَدَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ عَلَى مِصْرَ كُلِّهَا . فَكَانَتْ

١٥ وَوَلَايَةُ عَمْرُو عَلَى مِصْرَ ، صَلَاتِيهَا وَخَرَاجِيهَا ، مِنْذُ افْتَتَحَهَا إِلَى أَنْ صُرِفَ عَنْهَا ، أَرْبَعِ سِنِينَ وَأَشْهُرًا <sup>١</sup> .

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، وَاسْمُهُ الْحُسَامُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبِ بْنِ جَذِيمَةَ بْنِ نَضْرَ ابْنِ مَالِكِ بْنِ حِشْلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَلِيٍّ مِنْ قَبْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَجَاءَهُ الْكِتَابُ بِالْفَيْئِومِ ، فَجَعَلَ لِأَهْلِ أَطْوَابِ <sup>(b)</sup> جُغَلًا ، فَقَدِمُوا بِهِ الْفُسْطَاطَ <sup>٢</sup> .

٢٠ ثُمَّ إِنَّ مَنُوبِلَ الْخَصِيَّيَّ سَارَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ ، فَسَأَلَ أَهْلَ مِصْرَ عُثْمَانَ أَنْ يَرُدُّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ لِمَحَارِبَتِهِ ، فَرَدَّهُ وَإِلَيَّا عَلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، فَحَارَبَ الرُّومَ بِهَا حَتَّى افْتَتَحَهَا ، وَعَبَدَ

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : أطواف .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٣٣ ، وانظر كذلك عن عمرو بن

العاص : حسن إبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص ،

القاهرة ١٩٢٦ ، Wensinck, A.J., *El*<sup>2</sup> art. *Amr b.*

<sup>٢</sup> نفسه ٣٤ .

*As* I pp. 464 ; عباس محمود العقاد : عمرو بن

العاص ، القاهرة ١٩٥٠ .



الله بن سعد مقيمًا بالفسطاط، حتى فتحت الإسكندرية الفتح الثاني عنوةً في سنة خمس وعشرين<sup>١</sup>.

ثم جُمِعَ لعبد الله بن سعد أمر<sup>(a)</sup> مصر، صلاحها وخراجها، ومكث أميرًا مدة ولاية عثمان - رضي الله عنه - كلها، محمودًا في ولايته. وغزا ثلاث غزوات كلها لها شأن: غزا إفريقية سنة سبع وعشرين، وقتل ملكها جرجير. وغزا غزوة الأساود حتى بلغ دُمُقْلَةَ في سنة إحدى وثلاثين. وغزا ذا الصواري في سنة أربع وثلاثين، فلقبهم قسطنطين بن هرقل في ألف مَرَكَب، وقيل في سبع مائة مَرَكَب والمسلمون في مائتي مَرَكَب، فهزَمَ الله الروم؛ وإنما سُمِّيَتْ غزوة ذي الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها<sup>٢</sup>.

ووفد على عثمان/ حين تكلم الناس بالطعن على عثمان، واشتخلف عقبه بن عامر الجهني - وقيل السائب بن هشام العامري - وجعل على خراجها سليم<sup>(b)</sup> بن عثر التميمي، وكان ذلك سنة خمس وثلاثين في رجب<sup>٣</sup>.

محمَّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف: انتزى<sup>(c)</sup> في سؤال سنة خمس وثلاثين، على عقبه بن عامر خليفة عبد الله بن سعد، فأخرجه من الفسطاط، ودعا إلى خلع عثمان، وأسعر البلاد، وخرض على عثمان بكل شر يقدر عليه<sup>٤</sup>. فاعتزله شيعة عثمان وناذبوه - وهم معاوية بن حديج، وخارجة بن حذافة، وبشر بن أبي<sup>(d)</sup> أخطاة، ومسلمة بن مخلد، في جمع كثير - وبعثوا إلى عثمان بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة<sup>٥</sup>.

فبعث سعد بن أبي وقاص ليضلع أمرهم، فخرج إليه جماعة، فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه، فركب وعاد راجعًا، ودعا عليهم.

واقبل عبد الله بن سعد، فمَنَعُوهُ أَنْ يَدْخُلَ، فأنصرف إلى عسقلان. وقُتِلَ عثمان - رضي الله عنه - وسعد<sup>(e)</sup> بعسقلان.

(a) بولاق: أمير. (b) بولاق: سليمان. (c) بولاق: أمر. (d) ساقطة من بولاق. (e) بولاق: ابن سعد.

<sup>١</sup> الكندي: ولاية مصر ٣٥؛ وانظر فيما تقدم ١: ٤٤٨. <sup>٤</sup> نفسه ٣٨.

<sup>٢</sup> نفسه ٣٥-٣٧، وانظر فيما تقدم ١: ٤٥٦-٤٥٨. <sup>٥</sup> نفسه ٣٩.

<sup>٣</sup> نفسه ٣٧.



ثم أجمع ابن أبي حذيفة على بعث جيش إلى عثمان، فجهز إليه ست مائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي<sup>١</sup>.

ثم قتل عثمان في ذي الحجة منها<sup>٢</sup>، فثار شيعة عثمان بمصر، وعقدوا لمعاوية بن حذيج، وبايعوه على الطلب بدم عثمان، وساروا إلى الصعيد، فبعث إليهم ابن أبي حذيفة خيلاً فهزمت.

ومضى ابن حذيج إلى بركة، ثم رجع إلى الإسكندرية، فبعث إليه ابن أبي حذيفة بجيش آخر، فاقتتلوا بحزبًا في أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين، فانهزم الجيش، وأقامت شيعة عثمان بحزبًا<sup>٣</sup>.

وقدم معاوية بن أبي سفيان يريد الفسطاط، فنزل سلمت في شوال، فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فمنعوه، ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركوا الحرب. فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت، وخرج في الرهن هو وابن عديس وعدة من قتلة عثمان، فلما بلغوا لدا سجنهم معاوية بها وسار إلى دمشق، فهربوا من السجن، وتبعهم أمير فلسطين فقتلهم في ذي الحجة سنة ست وثلاثين<sup>٤</sup>.

قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ولأه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لما بلغه مصاب ابن أبي حذيفة، وجمع له الخراج والصلاة. فدخل مصر مستهل ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، فاستمال الخارجي بحزبًا شيعة عثمان، وبعث إليهم أعطياتهم، ووفد عليه وفدهم فأكرمهم. وكان من ذوي الرأي، فجهد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها، فإنها كانت من جيش علي - رضي الله عنه - فامتنع منهما بالدهاء والمكايذة، فلم يقدر على مصر، حتى كاد معاوية قيسًا من قبل علي - رضي الله عنه - فأشاع أن قيسًا من شيعته، وأنه يبعث إليه بالكُتُب والنصيحة سرًا<sup>٥</sup>.

١ نقلها إلى العربية خليل أحمد خليل بعنوان: الفتن - جدلية الدين

والسياسة في الإسلام المبكر، بيروت - دار الطليعة ١٩٩٢.

٢ الكندي: ولاية مصر ٤١ - ٤٢.

٣ نفسه ٤٢ - ٤٣.

٤ نفسه ٤٤ - ٤٥.

١ الكندي: ولاية مصر ٣٩ - ٤١.

٢ انظر حول مقتل عثمان والفتنة: Hinds, G. M., «The Murder of the Caliph 'Uthmân», *IJMES* 3 (1972), pp. 450-69 ودراسة هشام جعيط المتميزة، H., *La grande discorde. Religion et politique dans l'Islam des origines*, Paris - Gallimard 1989



فَسَمِعَ ذَلِكَ جَوَاسِيسُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَا زَالَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَتَّى كَتَبَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ بِأَمْرِهِ بِالْقُدُومِ إِلَيْهِ ؛ فَوَلِيَّتَهَا إِلَى أَنْ عُزِلَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَضُرِفَ لِحْمِ خَلَوْنٍ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ <sup>١</sup> .

فَوَلِيَّتَهَا الْأَشْتَرُ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدِ النَّخَعِيِّ ، مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْقَلْزُومَ شَرِبَ عَسَلًا فَمَاتَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرًا وَمُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّ اللَّهَ مُجْنُودًا مِنْ عَسَلٍ <sup>٢</sup> .

ثُمَّ وَلِيَّتَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصُّدِّيقُ مِنْ قِبَلِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَجَمَعَ لَهُ صَلَاتَهَا وَخَرَّاجَهَا ، فَدَخَلَهَا لِلنِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، فَهَدَمَ دُورَ شَيْعَةِ عُثْمَانَ ، وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ ، وَسَجَنَ ذُرَارِيَهُمْ ، فَتَصَبَّوْا لَهُ الْحَرْبَ ، ثُمَّ صَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يُسَيِّرَهُمْ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَلَحِقُوا بِمُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ <sup>٣</sup> .

فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ فِي جُيُوشِ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى الْفُسْطَاطِ ، وَتَغَيَّبَ ابْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَظَفِرَ بِهِ مُعَاوِيَةَ بْنُ حُدَيْجٍ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ جَعَلَهُ فِي جَيْفَةِ حِمَارٍ مَيِّتٍ ، وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ نَحْلَتٍ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ . فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ <sup>٤</sup> .

ثُمَّ وَلِيَّتَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَوِلَايَتُهُ الثَّانِيَةَ ، مِنْ قِبَلِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَاسْتَقْبَلَ بِوِلَايَتِهِ شَهْرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالْخَرَاجَ جَمِيعًا ، وَجَعَلَتْ مِصْرَ لَهُ طُعْمَةً بَعْدَ عَطَاءِ جُنْدِهَا وَالنَّفَقَةَ فِي مَصْلَحَتِهَا .

ثُمَّ خَرَجَ عَمْرُو لِلْحُكُومَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مِصْرِ ابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَقِيلَ بِلِ خَارِجَةَ بْنِ حُذَافَةَ ، وَرَجَعَ إِلَى مِصْرٍ .

وَتَعَاقَدَ بَنُو مُلْجَمٍ <sup>(a)</sup> : عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَقَيْسٌ وَيَزِيدٌ عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَعَمْرُو ، وَتَوَاعَدُوا لَيْلَةً مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ ، فَمَضَى كُلُّ مَنْهُمْ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَكَانَ يَزِيدُ هُوَ صَاحِبَ عَمْرُو ، فَعَرَضَتْ لِعَمْرُو عِيْلَةٌ مَنَعَتْهُ مِنْ حُضُورِ الْمَسْجِدِ ، فَصَلَّى خَارِجَةَ بِالنَّاسِ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ يَزِيدُ فَضْرَبَتْهُ حَتَّى قَتَلَهُ ؛ فَدُخِلَ بِهِ

(a) بولاق : بنو لحم .

<sup>٣</sup> نفسه ٥٠ ، ٥١ .

<sup>٢</sup> نفسه ٤٦ ، ٤٧ .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ٤٥ ، ٤٦ .

<sup>٤</sup> نفسه ٥٢ .



على عمرو، فقال: أما والله ما أزدتُ غيرك يا عمرو؛ قال عمرو: ولكن الله أرادَ خارجة<sup>١</sup>.  
ولله دَرُّ القائل:

[البيط]

وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمْرًا بِخَارِجَةٍ فَدَتْ عَلِيًّا بَمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ

## [الدولة الأموية]

وعقد عمرو لشريك بن سميّ على غزو لواتة من البزبر، فغزاهم في سنة أربعين وصالحهم. ثم انتقضوا، فبعث إليهم عقبة بن نافع، في سنة إحدى وأربعين، فغزاهم حتى هزمهم. وعقد لعقبة أيضًا على غزو هوزارة، وعقد لشريك/ بن سميّ على غزو لبدة، فغزواهما في سنة ثلاث وأربعين، فقلا وعمرو شديد الدنف في مرض موته<sup>٢</sup>.

وتوفي ليلة الفطر، فعسله عبد الله بن عمرو، وأخرجه إلى المصلّى وصلى عليه؛ فلم يبق أحدٌ شهد العيد إلا صلى عليه، ثم صلى بالناس صلاة العيد، وكان أبوه استخلفه<sup>٣</sup>.

وخلف عمرو بن العاص سبعين بهارًا دنانير (والبهار جلد ثور، ومبلغه إزدبان بالمصري)، فلما حضرته الوفاة أخرجه، وقال: من يأخذه بما فيه؟ فأبى ولداه أخذه وقالوا: حتى نرد إلى كل ذي حق حقه. فقال: والله ما أجمع بين اثنين منهم. فبلغ معاوية، فقال: نحن نأخذه بما فيه:

ثم وليها عتبة بن أبي سفيان من قبل أخيه معاوية بن أبي سفيان، على صلابتها، فقدم في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين، وأقام شهرًا<sup>(a)</sup>. ثم وفد على أخيه، واستخلف عبد الله بن قيس ابن الحارث - وكان فيه شدة - فكره الناس ولايته، وامتنعوا منها. فبلغ ذلك عتبة، فرجع إلى مصر وصعد المنبر فقال: «يا أهل مصر! قد كنتم تغدرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم، وقد وليكم من إن<sup>(b)</sup> قال فعل، فإن أبيتكم ذرأكم بيده، فإن أبيتكم ذرأكم بسيفه، ثم رجأ<sup>(c)</sup> في الأخير ما أدراك في الأول، إن البيعة شائعة، لنا عليكم السمع، ولكم علينا العدل، وأينا غدر فلا

(a) بولاق: شهرًا والكندي: بها أشهرًا. (b) بولاق: إذا. (c) الكندي: ثم جاء.

<sup>١</sup> الكندي: ولاية مصر ٥٤-٥٥. <sup>٢</sup> نفسه ٥٥-٥٦. <sup>٣</sup> نفسه ٥٦-٥٧.



ذِمة له عند صاحبه» ؛ فناداه المصريون من جنّات المسجد : سَمْعًا سَمْعًا ، فناداهم : عَدْلًا عَدْلًا ، ثم نَزَلَ<sup>١</sup> .

ثم جَمَعَ له مُعَاوِيَةَ الصَّلَاة والخِراج .

وَعَقَدَ عُقْبَةَ لِعَلْقَمَةَ بن يزيد على الإسكندرية في اثني عشر ألفًا من أهل الدِّيوان تكون لها رابطة . ثم خَرَجَ إليها مُرَابِطًا في ذي الحِجَّة سنة أربع وأربعين ، فماتَ بها ، واستخلف على مصر عُقْبَةَ بن عامر الجُهَنِي . فكانت ولايته ستَّة أشهر<sup>٢</sup> .

ثم وليها عُقْبَةَ بن عامر بن عَبَس الجُهَنِي ، من قِبَل مُعَاوِيَةَ ، وَجَعَلَ له صَلَاتُهَا وخِراجُهَا ، وكان قَارِنًا فقيها مُفْرَضًا شاعرًا ، له الهِجْرَةُ والصُّحْبَةُ والسَّابِقَةُ<sup>٣</sup> .

ثم وَفَدَ مَسْلَمَةَ بن مَخْلَد<sup>(a)</sup> الأَنْصَارِي على مُعَاوِيَةَ ، فوَلَّاه مصر وأَمَرَه أن يَكْتُمَ ذلك عن عُقْبَةَ ابن عامر ، وَجَعَلَ عُقْبَةَ على البَحْر ، وأَمَرَه أن يَسِيرَ إلى رُودِس .

فَقَدِمَ مَسْلَمَةَ فلم يَعلَم بِإِمَارَتِهِ ، وَخَرَجَ مع عُقْبَةَ إلى الإسكندرية ، فلَمَّا تَوَجَّه سائِرًا استوى مَسْلَمَةَ على سَرِيرِ إِمَارَتِهِ ، فَبَلَغَ ذلك عُقْبَةَ فقال : أَخْلَعَانَا وَغُرَبَةَ<sup>(b)</sup>؟! وكان صَرَفُهُ لِعَشْرٍ بَقِيْنَ من ربيع الأول سنة سبع وأربعين ، وكانت ولايته ستين وثلاثة أشهر<sup>٤</sup> .

فَوَلَّى مَسْلَمَةَ بن مَخْلَد بن صامِت بن نيار الأَنْصَارِي ، من قِبَل مُعَاوِيَةَ ، وَجَمَعَ له الصَّلَاة والخِراج والغزُو ، فانتظمت غزواته في البرِّ والبَحْر . وفي إِمَارَتِهِ نَزَلَت الرُّومُ البُرُوسُ في سنة ثلاث وخمسين ، فاستشهد يَوْمَئِذٍ وَرَدَان مَوْلَى عَمْرُو بن العاص في جَمْعٍ من المسلمين<sup>٥</sup> .

وهَدَمَ ما كان عَمْرُو بن العاص بَنَاه من المَسْجِدِ وَبَنَاه ، وَأَمَرَ بِإِيتِنَاءِ مَنَارَاتِ المَسَاجِدِ كُلِّهَا إِلَّا خَوْلَانَ وَجُيُب . وَخَرَجَ إلى الإسكندرية في سنة ستين ، واستخلف عابِس بن سَعِيد<sup>٦</sup> .

ومَاتَ مُعَاوِيَةَ بن أبي سُفْيَانَ في رَجَبِ مَنَاهَا ، واستخلف ابنه يزيد بن مُعَاوِيَةَ ، فَأَقْرَبَ مَسْلَمَةَ ، وَكَتَبَ إليه بِأَخْذِ البَيْعَةِ ، فبايعه الجُنْدُ إِلَّا عبد الله بن عَمْرُو بن العاص ، فدَعَا عابِس بالنَّارِ لِيَحْرَقَ عليه بابَه ، فحينئذٍ بايع ليزيد<sup>٧</sup> .

(a) بولاق : محمد بن . (b) بولاق : أخلعا وغربة .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٥٧-٥٨ . <sup>٢</sup> نفسه ٥٩ . <sup>٣</sup> نفسه ٥٩-٦٠ . <sup>٤</sup> نفسه ٦٠-٦١ . <sup>٥</sup> نفسه ٦١ . <sup>٦</sup> نفسه ٦١ . <sup>٧</sup> نفسه ٦٢ .



- وَقَدِيمَ مَسْلَمَةَ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، فَجَمَعَ لِعَائِسٍ مَعَ الشُّرْطِ الْقَضَاءِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ <sup>١</sup> .  
 وَقَالَ مُجَاهِدٌ : صَلَّىتْ خَلْفَ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ ، فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَمَا تَرَكَ أَلْفًا وَلَا وَاوًا . وَقَالَ  
 ابْنُ لَهْيَعَةَ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَزِيدَ : كَانَ مَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ يُصَلِّي بِنَا ، فَيَقُومُ فِي الظُّهْرِ ، فَرَبَّمَا قَرَأَ  
 الرَّجُلُ الْبَقَرَةَ .
- ٥ وَتُوفِّيَ مَسْلَمَةُ وَهُوَ وَالِ لِحَمِيسٍ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ  
 سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَاسْتَخْلَفَ عَائِسُ بْنُ سَعِيدٍ <sup>٢</sup> .
- ثُمَّ وَلِيَهَا سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَوْفِ الْأَزْدِيِّ مِنْ أَهْلِ فَلَسْطِينِ ، فَقَدِمَ  
 مُسْتَهْلَ رَمَضَانَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، فَتَلَقَّاهُ عَمْرُو بْنُ قَحْزَمِ الْخَوْلَانِيِّ فَقَالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
 أَمَا كَانَ فِينَا مِائَةَ شَابٍ كُلُّهُمْ مِثْلَكَ يَوْلِي عَلَيْنَا أَحَدَهُمْ ! وَلَمْ تَزَلْ أَهْلُ مِصْرَ عَلَى الشُّتَّانِ لَهُ ،  
 ١٠ وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُ ، وَالتَّكْبِيرَ عَلَيْهِ حَتَّى تُوْفِيَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ . وَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -  
 إِلَى نَفْسِهِ ، فَقَامَتِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ بِمِصْرَ وَأَظْهَرُوا دَعْوَتَهُ ، وَسَارَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ ، فَبَعَثَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ  
 جَعْدَمَ فَقَدِمَ .
- وَاعْتَزَلَ سَعِيدًا ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ سِتِّينَ غَيْرِ شَهْرٍ <sup>٣</sup> .
- ثُمَّ وَلِيَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ جَعْدَمَ ، مِنْ قِبَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَدَخَلَ فِي شَعْبَانَ  
 ١٥ سَنَةِ أَرْبَعِ وَسِتِّينَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَأَظْهَرُوا التُّحْكِيمَ وَدَعَاوُا إِلَيْهِ ، فَاسْتَعْظَمَ الْجَنْدُ ذَلِكَ ،  
 وَبَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى غِلٍّ فِي قُلُوبِ شَيْعَةِ بَنِي أُمَيَّةَ .
- ثُمَّ بُويعَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْخِلَافَةِ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَهْلُ مِصْرَ مَعَهُ فِي الْبَاطِنِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ،  
 وَبَعَثَ ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ فِي جَيْشٍ إِلَى أَيْلَةَ لِيَدْخُلَ مِصْرَ مِنْ هُنَاكَ .
- وَأَجْمَعَ ابْنُ جَعْدَمَ عَلَى حَزْبِهِ ، وَحَفَرَ الْخَنْدَقَ فِي شَهْرِ ، وَهُوَ الَّذِي فِي شَرْقِيِّ الْقَرَّافَةِ <sup>(a)</sup> <sup>٤</sup> .
- ٢٠ وَقَدِيمَ مَرْوَانَ فَحَارَبَهُ ابْنُ جَعْدَمَ ، وَقُتِلَ بَيْنَهُمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، ثُمَّ اضْطَلَحَا ، وَدَخَلَ مَرْوَانَ  
 لِعُرَّةَ <sup>(b)</sup> جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ خَمِيسٍ وَسِتِّينَ . فَكَانَتْ مُدَّةُ ابْنِ جَعْدَمَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ <sup>٥</sup> .

(a) الكندي : في مقبرة الفسطاط اليوم . (b) بولاق : لعشرين .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٦٢ . <sup>٢</sup> نفسه ٦٢-٦٣ . <sup>٣</sup> نفسه ٦٣-٦٤ . <sup>٤</sup> نفسه ٦٤-٦٥ .  
<sup>٥</sup> نفسه ٦٧ .



وَوَضَعَ مَرْوَانَ الْعَطَاءَ ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ ، إِلَّا نَفَرًا مِنَ الْمَعَاوِرِ قَالُوا : لَا نَخْلَعُ بَيْعَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَضَرَبَ  
أَعْنَاقَهُمْ - وَكَانُوا ثَمَانِينَ رَجُلًا - وَذَلِكَ لِلنَّصَفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ <sup>١</sup> .

ويومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص /، فلم يُسْتَطِعْ أَنْ يُخْرَجَ بِجَنَازَتِهِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ لِشَغَبِ  
الْجُنْدِ عَلَى مَرْوَانَ <sup>٢</sup> .

وَجَعَلَ مَرْوَانَ صَلَاةَ مِصْرَ وَخَرَّاجَهَا إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَسَارَ ، وَقَدْ أَقَامَ بِهَا شَهْرَيْنِ لِهَيْلَالِ  
رَجَبٍ <sup>(a)</sup> <sup>٣</sup> .

عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ أَبُو الْأَصْبَغِ ، وَلِيٌّ مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ ، لِهَيْلَالِ رَجَبِ  
سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ . وَمَاتَ أَبُوهُ ، وَبُوعَ مِنْ بَعْدِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ،  
فَأَقْرَبَ أَخَاهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ <sup>٤</sup> .

وَوَقَعَ الطَّاعُونَ بِمِصْرَ سَنَةَ سَبْعِينَ ، فَخَرَجَ عَبْدُ الْعَزِيزِ مِنْهَا ، وَنَزَلَ حُلْوَانَ فَاتَّخَذَهَا دَارًا  
وَسَكَنَهَا ، وَجَعَلَ بِهَا <sup>(b)</sup> الْحَرَسَ وَ <sup>(b)</sup> الْأَعْوَانَ ، وَبَنَى بِهَا الدُّورَ وَالْمَسَاجِدَ ، وَعَمَّرَهَا أَحْسَنَ عِمَارَةٍ ،  
وَعَرَّسَ نَخْلَهَا وَكَرَّمَهَا <sup>٥</sup> .

وعرّف بمصر - وهو أول من عرف بها - في سنة إحدى وسبعين <sup>٦</sup> .

وجَهَّزَ الْبَغْتَّ فِي الْبَحْرِ لِقِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ <sup>٧</sup> .

ثُمَّ مَاتَ لثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ ، فَكَانَتْ وَلايَتُهُ عِشْرِينَ  
سَنَةً وَعَشْرَةَ أَشْهُرَ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا <sup>٨</sup> .

فَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ عَلَى صَلَاتِهَا وَخَرَاجِهَا ، فَدَخَلَ يَوْمَ  
الْإِثْنَيْنِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ <sup>(c)</sup> وَعِشْرِينَ  
سَنَةً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَبُوهُ أَنْ يُعْفَى <sup>(d)</sup> آثَارَ عَمِّهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَاسْتَبَدَلَ بِالْعُمَّالِ وَبِالْأَصْحَابِ <sup>٩</sup> .

(a) بولاق : رمضان . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : تسع . (d) بولاق : يقتفي .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٦٧ . <sup>٢</sup> نفسه ٦٨ ، ٧٠ . <sup>٣</sup> نفسه ٦٨ . <sup>٤</sup> نفسه ٧٠ ، وقد فصل المقرئ ترجمته  
عبد العزيز بن مروان فيما تقدم ١ : ٥٦٩ - ٥٧٢ . <sup>٥</sup> نفسه ٧١ . <sup>٦</sup> نفسه ٧٢ وفيما تقدم ١ : ٥٧٠ .  
<sup>٧</sup> نفسه ٧٢ . <sup>٨</sup> نفسه ٧٧ . <sup>٩</sup> نفسه ٧٩ .



وماتَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَبُويعَ ابْنُهُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَقْرَهُ أَخَاهُ عَبْدُ اللَّهِ <sup>١</sup> .

وَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ فَتَسَخَّتْ دَوَاوِينُ مِصْرَ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَكَانَتْ بِالْقِبْطِيَّةِ <sup>٢</sup> .

وَفِي وِلَايَتِهِ غَلَّتِ الْأَشْعَارُ ، فَتَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ - وَهِيَ أَوَّلُ شِدَّةٍ رَأَوْهَا بِمِصْرَ - وَكَانَ يَزْتَشِي . ثُمَّ وَقَدَّ عَلَى أَخِيهِ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَحْزَمِ الْخَوْلَانِي ، وَأَهْلَ مِصْرَ فِي شِدَّةٍ عَظِيمَةٍ <sup>٣</sup> .

وَرَفَعَ سَقْفَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ، ثُمَّ صُرِفَ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ وَعَشْرَةَ أَشْهُرٍ <sup>٤</sup> .

فَوَلِيَ قُرَّةَ بْنَ شَرِيكَ بْنِ مَرْثَدِ بْنِ الْحَارِثِ الْعَيْسِيِّ لِلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ <sup>٥</sup> ، عَلَى صِلَاةِ مِصْرَ وَخَرَايِجِهَا ، فَقَدِمَهَا يَوْمَ الْاِثْنِينَ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ تَحَلَّتْ مِنْ رَيْبِ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعِينَ <sup>٦</sup> .

وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ مِصْرَ بِكُلِّ مَا مَلَكَه ، فَأُحِيطَ بِهِ فِي الْأَزْدُنِ ، وَأُخِذَ سَائِرُ مَا مَعَهُ ، وَحُمِلَ إِلَى أَخِيهِ <sup>٧</sup> .

وَأَمَرَ الْوَلِيدُ بِهِدْمَ مَا بَنَاهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَهَدِمَ أَوَّلَ سَنَةِ اِثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَبُنِيَ . وَاسْتَنْبَطَ قُرَّةَ <sup>٨</sup> بِرُكَّةِ الْحَبَشِ مِنَ الْمَوَاتِ وَأَحْيَاهَا ، وَغَرَسَ فِيهَا الْقَصَبَ ، فَقِيلَ لَهَا إِسْطَبَلُ قُرَّةَ وَإِسْطَبَلُ الْقَاشِ <sup>٩</sup> .

(a) بولاق : قرّة بن شريك .

d'Égypte Qorra b. Sharik d'après les papyrus arabes», dans *Études sur le siècle des Omayyades*, Beyrouth 1930, pp. 305-23; Abbot, N., *The Kurra Papyri from Aphrodito in the Oriental Institute, Studies in Ancient Oriental Civilisation* XX, Chicago 1938؛ إبراهيم أحمد العدوي : «ولاية قرّة ابن شريك على مصر في ضوء الأوراق البردية»، المجلة التاريخية المصرية ١١ (١٩٦٣)، ٤٩ - ٦٤، Râgib, Y., «Lettres nouvelles de Qorra b. Sharik», *JNES* 40 (1981), pp. 173-88; Bosworth, C.E., *El* <sup>2</sup> art. *Kurra b. Sharik* V, pp. 503-504.

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٨٤ .

<sup>٢</sup> نفسه ٨٥ . <sup>٣</sup> نفسه ٨٦ .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٧٩ - ٨٠ .

<sup>٢</sup> نفسه ٨٠ ، وفيما تقدم ١ : ٢٦٤ .

<sup>٣</sup> نفسه ٨٠ . <sup>٤</sup> نفسه ٨١ ، ٨٢ .

<sup>٥</sup> صوّرت المصادر العربية قرّة بن شريك على أنه مثال للقسوة والجور (ابن الأثير : الكامل ٤ : ٥٨٣ - ٥٨٤ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٢١٧ - ٢١٨) . ولكن أوراق البردي التي كشفت في مستهل القرن العشرين في قرية كوم أشقاو بمحافظة سوهاج بصعيد مصر ، صوّحت الكثير من المعلومات التي وردت في كتابات المؤرخين المسلمين ، وكانت محطّ دراسات متعدّدة من العلماء انظر Lammens, H., «Un gouverneur omayyade



ثم مات وهو وال ليلة الخميس لست بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين ، واستخلف على الجند والحراج عبد الملك بن رفاعه ، فكانت ولايته ست سنين (أ) أياماً ١ .

ثم ولي عبد الملك بن رفاعه بن خالد بن ثابت الفهمي ، من قبل الوليد بن عبد الملك ، على صلاتها . وتوفي الوليد ، واستخلف سليمان بن عبد الملك ، فأقر ابن رفاعه .

وتوفي سليمان ، وبويع عمر بن عبد العزيز فعزل ابن رفاعه ، فكانت ولايته ثلاث سنين . ثم ولي أيوب بن شرحبيل بن أكتوم بن أبرهة بن الصباح ، من قبل عمر بن عبد العزيز ، على صلاتها في ربيع الأول سنة تسع وتسعين . فورد كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة في أعطيات الناس عامة ، وحرمت (ب) الخمر وكسرت وعطلت حاناتها ، وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار ، ونزعت مواريت القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها ، ومنع النساء (ج) الحمامات ٢ .

وتوفي عمر بن عبد العزيز ، واستخلف يزيد بن عبد الملك ، فأقر أيوب على الصلاة ، إلى أن مات لإحدى عشرة ، وقيل لسبع عشرة ، نزلت من رمضان سنة إحدى ومائة ، فكانت ولايته سنتين ونصفاً ٣ .

فولي بشر بن صفوان الكلبي ، من قبل يزيد بن عبد الملك ، قديمها لسبع عشرة نزلت من رمضان سنة إحدى ومائة .

وفي إمرته نزل الروم تيس ٤ .

ثم ولأه يزيد على إفريقية ، فخرج إليها في شوال سنة اثنتين ومائة ، واستخلف أخاه حنظلة ٥ . فولي حنظلة بن صفوان باستخلاف أخيه ، فأقره يزيد بن عبد الملك ، وخرج إلى الإسكندرية في سنة ثلاث ومائة ، واستخلف عقبه بن مسلم (د) الشجيري .

وكتب يزيد بن عبد الملك ، في سنة أربع ومائة ، بكسر الأصنام والتماثيل ، فكسرت كلها ومجيت التماثيل .

(a) بولاق : و . (b) بولاق : خمرت . (c) بولاق : الناس . (d) بولاق : مسلمة .

٤ نفسه ٩١ .

٣ نفسه ٩٠ .

٢ نفسه ٨٩ .

١ الكندي : ولاية مصر ٨٨ .

٥ نفسه ٩٢ .



ومات يزيد بن عبد الملك ، وبُويعَ هِشَامُ بن عبد الملك ، فَصَرَفَ حَنْظَلَةَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسِ وَمِائَةٍ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ <sup>١</sup> .

وَوَلِيَ مُحَمَّدُ بن عبد الملك بن مَرْوَانَ بن الحَكَمِ ، مِنْ قِبَلِ أَخِيهِ هِشَامِ بن عبد الملك ، عَلَى الصَّلَاةِ ، فَدَخَلَ مِصْرَ لِاحْدَى عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسِ وَمِائَةٍ . وَوَقَعَ وَبَاءٌ شَدِيدٌ بِمِصْرَ ، فَتَرَفَّعَ مُحَمَّدٌ إِلَى الصُّعَيْدِ هَارِبًا مِنَ الْوَبَاءِ أَيَّامًا ، ثُمَّ قَدِيمٌ وَخَرَجَ عَنْ مِصْرَ لَمْ يَلْهَا إِلَّا نَحْوًا مِنْ شَهْرٍ ، وَأَنْصَرَفَ إِلَى الْأَزْدُونَ <sup>٢</sup> .

فَوَلِيَ الْحَرَّ بن يُوْسُفَ بن يَحْيَى بن الحَكَمِ ، مِنْ قِبَلِ هِشَامِ بن عبد الملك ، عَلَى صَلَاتِهَا ، فَدَخَلَ لثَلَاثَ نَحَلُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ خَمْسِ وَمِائَةٍ .

وَفِي إِمْرَتِهِ كَانَ أَوَّلَ انْتِقَاضِ الْقِبْطِ فِي سَنَةِ سَبْعِ وَمِائَةٍ ، وَرَابَطَ بِدُمِيَّاطِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ وَقَدَّ إِلَى هِشَامِ بن عبد الملك ، فَاسْتَخْلَفَ حَفْصُ بن الْوَلِيدِ . وَقَدِيمٌ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعِ ، وَأَنْكَشَفَ النَّيْلُ عَنْ أَرْضِ <sup>(a)</sup> فَبَتِيَ فِيهَا <sup>٣</sup> .

وَصُرِفَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِائَةٍ بِاسْتِعْفَائِهِ ، لِمُغَاضَبَةِ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ <sup>(b)</sup> بن الْحَبَّابِ مُتَوَلِّيِ خَرَاجِ مِصْرَ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ثَلَاثَ سِنِينَ سَوَاءً <sup>٤</sup> .

وَوَلِيَ حَفْصُ بن الْوَلِيدِ بن سَيْفِ بن عبد الله ، مِنْ قِبَلِ هِشَامِ بن عبد الملك ، ثُمَّ صُرِفَ بَعْدَ جُمُعَتَيْنِ يَوْمَ الْأَضْحَى بِشَكْوَى ابْنِ الْحَبَّابِ مِنْهُ ، وَقِيلَ صُرِفَ سَلْخَ سَنَةٍ <sup>(c)</sup> ثَمَانٍ وَمِائَةٍ <sup>٥</sup> .

فَوَلِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ بن رِفَاعَةَ ثَانِيًا عَلَى الصَّلَاةِ ، فَقَدِيمٌ مِنَ الشَّامِ عَلِيًّا لثَنَتِي عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةَ تِسْعِ وَمِائَةٍ ، وَكَانَ أَخُوهُ الْوَلِيدُ يَخْلُقُهُ مِنْ أَوَّلِ الْمَحْرَمِ . وَقِيلَ بَلِ وَلِيَ أَوَّلَ الْمَحْرَمِ ، وَمَاتَ لِلنَّصَفِ مِنْهُ . وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً <sup>٦</sup> .

(a) بولاق : الأرض . (b) بولاق : عبد الله . (c) ساقطة من بولاق .

Review of the Administration of 'Ubaid Allâh ibn al- Habhab»in George Makdisi (ed.), *Arabic and Islamic Studies in honour of Hamilton A.R. Gibb*, Leiden 1965, pp. 21-35.

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٩٣ .

<sup>٢</sup> نفسه ٩٤ .

<sup>٣</sup> نفسه ٩٥ ، وفيما تقدم ١ : ٢١٣ .

<sup>٥</sup> الكندي : ولاية مصر ٩٦ ، ٩٧ .

<sup>٤</sup> نفسه ٩٦ ، وانظر عن إدارة عبد الله بن الحَبَّابِ

<sup>٦</sup> نفسه ٩٧ .

للخَراجِ فِي مِصْرَ Abbot, N., «A New Papyrus and a



ثم وُلِّيَ أخوه الوليدُ بن رِفاعَةَ باستِخلاف أخيه ، فأقرّه هشامُ بن عبد الملك على الصَّلَاة .  
وفي ولايته نُقِلَتْ قَيْسُ إلى مصر ولم يكن بها أحدٌ منهم ، وخرَجَ وَهَيْبُ اليَحْضِبي شارِدًا في  
سنة سبعِ عشرة ومائة من أجل أن الوليدَ أذنَ للنَّصارَى في ائْتِئاءِ كَنيسةِ بُومينا<sup>(a)</sup> بالحمراء<sup>١</sup> .  
وتُوفِّي وهو والٍ أوَّلِ جُمادى الآخرة سنة سبعِ عشرة ، واستخلفَ عبد الرَّحْمَن بن خالد ،  
فكانت إمرته تسع سنين وخمسة أشهر<sup>٢</sup> .

فولِّيَ عبدُ الرَّحْمَن بن خالد بن مُسافرِ الفَهْمي أبو الوليد ، من قِبَلِ هشام بن عبد الملك ،  
على صلاتِها<sup>٣</sup> .

وفي إمرته نزل الروم على تَرْوِجَةَ فحاصروها ثم اقتتلوا فأَسروا ، فصَرَفَهُ هشام ، فكانت ولايته  
سبعة أشهر<sup>٤</sup> .

وولِّيَ حَنْظَلَةَ بن صَفْوان ثانيا ، فَقَدِمَ لخمِيسِ نَحْلُونِ من المحرم سنة تسع ومائة ، فانتَقَضَ  
القِبْطُ ، وحارَبَهم في سنة إحدى وعشرين ومائة<sup>٥</sup> .

وقَدِمَ رَأْسُ زَيْدِ بن عَلِيٍّ إلى مصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة<sup>٦</sup> .

ثم وُلَّاهِ هشامُ إفریقیةً ، فاستخلفَ حَفْصُ بن الوليدَ بأمر<sup>(b)</sup> هشام . وخرَجَ لسبعِ نَحْلُونِ من ربيع  
الآخر سنة أربع وعشرين ومائة ، فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة أشهر<sup>٧</sup> .

وولِّيَ حَفْصُ بن الوليدَ الحَضْرَمِي ثانيا ، باستخلاف حَنْظَلَةَ له ، على صلاتِها ، فأقرّه هشامُ  
ابن عبد الملك إلى ليلة الجُمُعَةِ لثلاثِ عشرة خَلَّتْ من شَعْبَانَ سنة أربع وعشرين ، فجمَعَ له  
الصَّلَاةَ والخَرَاجَ جميعًا ، واشتَشَقَى بالنَّاسِ<sup>(c)</sup> وخطَبَ ودَعَا ، ثم صَلَّى بهم<sup>٨</sup> .

وماتَ هشامُ بن عبد الملك ، واستخلفَ من بعده الوليدُ بن يزيد ، فأقرَّ حَفْصًا على الصَّلَاةِ  
والخَرَاجِ . ثم صُرِفَ عن الخَرَاجِ بعيسى بن أبي عطاء ، لسبعِ بقين من شِوَالِ سنة خمسِ  
وعشرين ومائة ، وانفَرَدَ بالصَّلَاةِ ، ووَفَدَ على الوليدِ بن يزيد ، واستخلفَ عُقْبَةَ بن نُعَيمِ  
الرُّعَيْنِي .

(a) بولاق : بومنا ، والكندي : أبو مينا . (b) بولاق : بامرة . (c) بولاق : الناس .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٩٨ ، ١٠٠ . <sup>٢</sup> نفسه ١٠١ . <sup>٣</sup> نفسه ١٠١ . <sup>٤</sup> نفسه ١٠٢ .

<sup>٥</sup> نفسه ١٠٣ . <sup>٦</sup> نفسه ١٠٣ ، وفيما يلي ٤٣٦ : ٢ . <sup>٧</sup> نفسه ١٠٤ . <sup>٨</sup> نفسه ١٠٤ ، ١٠٥ .



وَقُتِلَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ وَحَفْصُ بِالشَّامِ ، وَبُويعَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَمَرَ حَفْصًا بِاللُّحَاقِ بِجُنْدِهِ ، وَأَمَرَهُ بِفُرُضِ<sup>(a)</sup> ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَقَدِمَ<sup>(b)</sup> وَفَرَضَ الْفُرُوضِ ، وَبَعَثَ بَيْتَعَةً<sup>(c)</sup> أَهْلَ مِصْرَ إِلَى يَزِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ<sup>١</sup> .

ثُمَّ تُوْفِيَ يَزِيدُ ، وَبُويعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَخَلَعَهُ مَرْوَانَ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَعْفَدِيُّ ، فَكَتَبَ حَفْصُ يَسْتَعْفِيهِ مِنْ وِلَايَةِ مِصْرَ ، فَأَعْفَاهُ مَرْوَانُ ؛ فَكَانَتْ وِلَايَةُ حَفْصِ هَذِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ إِلَّا شَهْرًا<sup>٢</sup> .  
وَوَلِيَ حَسَّانُ بْنُ عَتَاهِيَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثُّجَيْبِيِّ وَهُوَ بِالشَّامِ ، فَكَتَبَ إِلَى خَيْرِ بْنِ نَعِيمٍ بِاسْتِخْلَافِهِ ، فَسَلَّمَ حَفْصُ إِلَى خَيْرِ .

ثُمَّ قَدِمَ حَسَّانُ لِثِنْتِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةَ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَعَيْسَى بْنُ أَبِي عَطَاءٍ عَلَى الْخَرَاجِ ، فَأَسْقَطَ حَسَّانُ فُرُوضَ حَفْصِ كُلِّهَا . فَوَثَّبُوا بِهِ وَقَالُوا : لَا نَرْضَى إِلَّا بِحَفْصِ . وَرَكِبُوا إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَدَعَوْا إِلَى خَلْعِ مَرْوَانَ ، وَحَصَرُوا حَسَّانَ فِي دَارِهِ ، وَقَالُوا لَهُ : اخْرُجْ عَنَّا ، فَإِنَّكَ لَا تُقِيمُ مَعَنَا بَيْتًا<sup>٣</sup> .

وَأَخْرَجُوا عَيْسَى بْنَ أَبِي عَطَاءٍ صَاحِبَ الْخَرَاجِ وَذَلِكَ فِي آخِرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَأَقَامُوا حَفْصًا ، فَكَانَتْ وِلَايَةُ حَسَّانَ سِتَّةَ عَشْرَ يَوْمًا<sup>٤</sup> .

فَوَلِيَ حَفْصُ بْنُ الْوَلِيدِ الثَّلَاثَةَ كَرَّهَا ، أَخَذَهُ قُوَادُ الْفُرُوضِ بِذَلِكَ ، فَأَقَامَ عَلَى مِصْرَ رَجَبَ وَشَعْبَانَ ، وَلَحِقَ حَسَّانَ بِمَرْوَانَ .  
وَقَدِمَ حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ - وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَهْلُهَا - فَتَزَلَّ الْجِيْزَةَ ، وَكَتَبَ مَرْوَانَ بِوِلَايَتِهِ عَلَى مِصْرَ .

فَامْتَنَعَ الْمِصْرِيُّونَ مِنْ وِلَايَةِ حَنْظَلَةَ ، وَأَظْهَرُوا الْخَلْعَ ، وَأَخْرَجُوا حَنْظَلَةَ إِلَى الْحَوْفِ الشَّرْقِيِّ ، وَمَنَعُوهُ مِنَ الْمَقَامِ بِالْفُشْطَاطِ .

وَهَرَبَ ثَابِتُ بْنُ نَعِيمٍ مِنْ فِلَسْطِينِ يُرِيدُ الْفُشْطَاطَ ، فَحَارَبُوهُ وَهَزَمُوهُ<sup>٥</sup> .  
وَسَكَتَ مَرْوَانَ عَنْ مِصْرَ بَقِيَّةَ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةَ ، ثُمَّ عَزَلَ حَفْصًا مُسْتَهْلًا سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ<sup>٦</sup> .

(a) بولاق : وأمره على . (b) ساقطة من بولاق .. (c) بولاق : بيعة .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ١٠٥ . <sup>٢</sup> نفسه ١٠٦ . <sup>٣</sup> نفسه ١٠٧ . <sup>٤</sup> نفسه ١٠٨ .  
<sup>٥</sup> نفسه ١٠٩ . <sup>٦</sup> نفسه ١١٠ .



وَوَلِيَّ الحَوْثِرَةِ بن سُهَيْل بن العَجْلان البَاهِلِي ، فسارَ إليها في آلاف ، وقَدِمَ أوَّل المحرَّم وقد اجتمعَ الجُنْدُ على منعه ، فأبى عليهم حفص ، فخافوا حَوْثِرَةَ وسألوه الأمان ، فأمنتهم . ونزلَ ظاهرَ الفسطاط وقد اطمأنوا إليه ، فخرجَ إليه حفصُ ووجوهُ الجُنْدِ ، فقبضَ عليهم وقيدَهم ، فانهزمَ الجُنْدُ <sup>١</sup> .

٥ ودخلَ ومعه <sup>a</sup> عيسى بن أبي عطاء على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرَّم ، وبعثَ في طلب رؤساء الفِئْتَةِ ، فجمعوا له وضربَ أعناقهم ، وقتلَ حفص بن الوليد <sup>٢</sup> .

ثم صُرفَ في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وبعثه مزوان إلى العراق فقتل ، واستخلف على مصر حسان بن عتاهية ، وقيل أبا الجراح <sup>b</sup> بشر بن أوس <sup>٣</sup> ، وخرجَ لعشرِ خلونٍ من رجب . وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر <sup>٤</sup> .

١٠ ثم وليَ المغييرة بن عبيد الله بن المغييرة الفزاري على الصلاة من قبل مزوان ، فقدمَ لست بقين من رجب سنة إحدى وثلاثين ، وخرجَ إلى الإسكندرية ، واستخلفَ أبا الجراح الجرشى . وتوفي لثنتي عشرة خلت من جمادى الأولى / سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فكانت ولايته عشرة أشهر . واستخلفَ ابنه الوليد بن المغييرة ، ثم صُرفَ الوليدُ في النصف من جمادى الآخرة <sup>٥</sup> .

١٥ ووليَ عبد الملك بن مزوان بن موسى بن نصير ، من قبل مزوان ، على الصلاة والخراج - وكان واليًا على الخراج قبل أن يولى الصلاة - في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فأمرَ بأخذ المناير في الكور ولم تكن قبله ، وإنما كانت ولاة الكور يخطبون على العصي إلى جانب القبلة <sup>٦</sup> .

٢٠ وخرجَ القبطُ فحاربهم ، وقتلَ كثيرًا منهم <sup>٧</sup> .  
وخالفَ عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مزوان على مزوان ، فاجتمع <sup>c</sup> عليه جمعٌ من قيس في الحوف الشرقي ، فبعثَ إليهم عبد الملك بجيش ، فلم تكن حرب <sup>٨</sup> .

(a) بولاق : ودخل معه . (b) آياصوفيا : أبا الخراج . (c) بولاق : واجتمع .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ١١٠ ، ١١١ . <sup>٢</sup> نفسه ١١١ . <sup>٣</sup> انظر ترجمته عند المقرئ : المقفى الكبير ٢ : ٤٣٤ .

<sup>٤</sup> الكندي : ولاة مصر ١١٤ . <sup>٥</sup> نفسه ١١٥ . <sup>٦</sup> نفسه ١١٦ . <sup>٧</sup> نفسه ١١٦ . <sup>٨</sup> نفسه ١١٦ .



وسارَ مَرْوَانَ بنَ مُحَمَّدٍ إِلَى مِصْرٍ مُنْهَزِمًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَقَدِمَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ سُؤَالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَقَدْ سَوَّدَ أَهْلُ الْخَوْفِ الشَّرْقِيِّ وَأَهْلُ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ وَأَهْلُ الصُّعَيْدِ وَأَسْوَانَ . فَغَزَمَ مَرْوَانَ عَلَى تَعْدِيَةِ النَّيْلِ ، وَأَحْرَقَ وَأَزَالَ<sup>(a)</sup> دَارَ آلِ مَرْوَانَ الْمَذْهَبَةَ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْجِيْزَةِ وَحَرَقَ الْجِسْرَيْنِ ، وَبَعَثَ بِجَيْشٍ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، فَاقْتَتَلُوا بِالْكَرْبِيِّونَ . وَخَالَفَتِ الْقَيْطُ بِرَشِيدٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ وَهَزَمَهُمْ ، وَبَعَثَ إِلَى الصُّعَيْدِ<sup>١</sup> .

فَقَدِمَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي طَلَبِ مَرْوَانَ ، هُوَ وَأَبُو عَوْنٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ يَزِيدٍ ، يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِلنَّصَفِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، فَأَذْرَكَ صَالِحُ مَرْوَانَ بِبُوصَيْرٍ مِنَ الْجِيْزَةِ - بَعْدَ مَا اسْتَحْلَفَ عَلَى الْفُسْطَاطِ مُعَاوِيَةَ<sup>(b)</sup> بْنِ بَحِيرٍ<sup>(c)</sup> بْنِ رَيْسَانَ - فَحَارَبَ مَرْوَانَ حَتَّى قُتِلَ بِبُوصَيْرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ . وَدَخَلَ صَالِحٌ إِلَى الْفُسْطَاطِ يَوْمَ الْأَحَدِ لثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِ مَرْوَانَ إِلَى الْعِرَاقِ<sup>٢</sup> .  
وَأَنْقَضَتْ أَيَّامُ بَنِي أُمَيَّةٍ .

### [ الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ]

فَوَلَّى صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَلِيَّ مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ السُّفَّاحِ ، فَاسْتَقْبَلَ بِوَلَايَتِهِ الْحَرَمَ سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَبَعَثَ بِوَفْدٍ أَهْلٍ مِصْرَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السُّفَّاحِ بِيَتَّةِ أَهْلِ مِصْرٍ ، وَأَسَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ [بَنَ مَرْوَانَ]<sup>(d)</sup> بْنَ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ وَجَمَاعَةَ ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْ شِيعَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ ، وَحَمَلَ طَائِفَةً مِنْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ<sup>٣</sup> ، فَقَتَلُوا بِقَلَنْسُوَّةٍ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ . وَأَمَرَ لِلنَّاسِ بِأَعْطِيَاتِهِمْ لِلْمُقَاتِلَةِ وَالْعِيَالِ ، وَقُسِمَتِ الصَّدَقَاتُ عَلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَزَادَ صَالِحٌ فِي [مُؤَخَّرِ]<sup>(d)</sup> الْمَسْجِدِ [الْجَامِعِ بِالْفُسْطَاطِ أَرْبَعَةَ أَسَاطِينِ]<sup>(d)</sup><sup>٤</sup> .

وَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ السُّفَّاحِ بِإِمَارَتِهِ عَلَى فِلَسْطِينَ وَالْإِسْتِخْلَافِ عَلَى مِصْرٍ ، فَاسْتَحْلَفَ أَبَا عَوْنٍ مُسْتَهْلًا شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ ، وَسَارَ وَمَعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ [بَنَ مَرْوَانَ] ابْنَ مُوسَى<sup>(d)</sup> بْنِ نُصَيْرٍ مُلْزَمًا وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ صَحَابَةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَقْطَعَ الَّذِينَ

(a) ساقطة من بولاق . (b) عند الكندي : محمد بن معاوية . (c) بولاق : بحيرة . (d) إضافة من الكندي .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ١١٦ ، ١١٧ . <sup>٢</sup> نفسه ١١٨ . <sup>٣</sup> نفسه ١١٩ . <sup>٤</sup> نفسه ١٢٢ .



سَوَّدُوا قَطَائِعَ، منها مُنْبِئَةٌ بُولاق<sup>(a)</sup> وَقَرَى أَهْنَسَ وَغَيْرَهَا<sup>١</sup>.  
ثم من بعد صالح بن عليّ، سَكَنَ أُمَرَاءُ مِصْرَ الْعَسْكَرِ، وَأَوَّلُ مَنْ سَكَنَهُ أَبُو عَوْنٍ.

### ذِكْرُ الْعَسْكَرِ الَّذِي بَنِي بَطْشَاهُ مَدِينَةَ فُسْطَاطِ مِصْرَ

اعْلَمَ أَنَّ مَوْضِعَ الْعَسْكَرِ كَانَ<sup>(b)</sup> يُعْرَفُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ بِالْحَمْرَاءِ الْقُصْوَى. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ  
الْحَمْرَاءَ الْقُصْوَى كَانَتْ خِطَّةَ بَنِي الْأَزْرَقِ وَبَنِي رُوَيْلٍ وَبَنِي يَشْكُرَ بْنِ جُزَيْلَةَ، ثُمَّ ذَثُرَتْ هَذِهِ  
الْخِطَّةُ بَعْدَ الْعِمَارَةِ بِتِلْكَ الْقَبَائِلِ حَتَّى صَارَتْ صَخْرَاءً. فَلَمَّا قَدِمَ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ - آخِرَ خُلَفَاءِ  
بَنِي أُمَيَّةٍ - إِلَى مِصْرَ مُنْهَزِمًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، نَزَلَتْ عَسَاكِرُ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَبِي عَوْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ  
يَزِيدٍ فِي هَذِهِ الصَّخْرَاءِ - حَيْثُ جَبَلُ يَشْكُرَ - حَتَّى مَلَأُوا الْفَضَاءَ، وَأَمَرَ أَبُو عَوْنٍ أَصْحَابَهُ بِالْبِنَاءِ  
فِيهِ، فَبَنَوْا وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ.

فَلَمَّا خَرَجَ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ مِنْ مِصْرَ، خَرِبَ أَكْثَرُ مَا بُنِيَ فِيهِ إِلَى زَمَنِ مُوسَى بْنِ عَيْسَى  
الْهَاشِمِيِّ، فَابْتَنَى فِيهِ دَارًا أَنْزَلَ فِيهَا حَشَمَهُ وَعَبِيدَهُ، وَعَمَّرَ النَّاسُ.  
ثُمَّ وَلِيَ الشَّرِيُّ بْنُ الْحَكَمِ، فَأَذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْبِنَاءِ، فَابْتَنَوْا فِيهِ وَصَارَ تَمْلُوكًا بِأَيْدِيهِمْ، وَاتَّصَلَ  
بِنَاؤُهُ بِنَاءَ الْفُسْطَاطِ، وَبُنِيَتْ فِيهِ دَارُ الْإِمَارَةِ وَمَسْجِدُ جَامِعِ عُرْفِ بـ «جَامِعِ الْعَسْكَرِ»، ثُمَّ عُرِفَ  
بـ «جَامِعِ سَاحِلِ الْغَلَّةِ».

وَعَمِلَتْ الشَّرْطَةُ أَيْضًا فِي الْعَسْكَرِ، وَقِيلَ لَهَا «الشَّرْطَةُ الْعُلْيَا»، وَإِلَى جَانِبِهَا بَنَى أَحْمَدُ بْنُ  
طُؤْلُونَ جَامِعَهُ الْمَوْجُودَ الْآنَ. وَسُمِّيَ مِنْ حَيْثُ ذَلِكَ الْفَضَاءُ بـ «الْعَسْكَرِ»، وَصَارَ أُمَرَاءُ مِصْرَ إِذَا  
وُلُوا يَنْزِلُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِ أَبِي عَوْنٍ، فَقَالَ النَّاسُ مِنْ يَوْمَئِذٍ: «كُنَّا بِالْعَسْكَرِ، وَخَرَجْنَا إِلَى الْعَسْكَرِ<sup>٢</sup>»،  
وَكُتِبَ مِنَ الْعَسْكَرِ، وَصَارَ مَدِينَةً ذَاتَ مَحَالٍّ وَأَسْوَاقٍ وَدُورٍ عَظِيمَةٍ.

وَفِيهِ بَنَى أَحْمَدُ بْنُ طُؤْلُونَ مَارِسْتَانَهُ، فَاتَّفَقَ عَلَيْهِ وَعَلَى مُسْتَعْلِهِ سِتِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَكَانَ  
بِالْقُرْبِ مِنْ بَرْكَةِ قَارُونَ الَّتِي صَارَتْ كَيْمَانًا، وَبَعْضُهَا بَرْكَةٌ عَلَى يَمِينِهِ مِنْ سَارٍ مِنْ حُدْرَةِ ابْنِ

(a) الكندي: قطائع بالميمون وهي في الواحات الخارجة. (b) بولاق: قد كان.

<sup>١</sup> الكندي: ولاية مصر ١٢٢. وفيما يلي ٢٦٤:٢ - ٢٦٥.

<sup>٢</sup> انظر Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 28-34



قَمِيحَةً يُرِيدُ قَنْطَرَةَ الشَّدِّ . وَعَلَى بِرْكَةِ قَارُونَ هَذِهِ كَانَتْ جِنَانُ بَنِي مِشْكِينَ ، وَبَنَى كَافُورُ الْإِخْشِيدِي دَارًا أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَسَكَنَهَا فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتِّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَانْتَقَلَ مِنْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ لَوْبَاءٍ وَقَعَ فِي غِلْمَانِهِ مِنْ بُخَارِ الْبِرْكَةِ .

وَعَظُمَتِ الْعِمَارَةُ فِي الْعَسْكَرِ جِدًّا ، إِلَى أَنْ قَدِمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى مِصْرَ ، فَتَنَزَلَ بِدَارِ الْإِمَارَةِ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَكَانَ لَهَا بَابٌ إِلَى جَامِعِ الْعَسْكَرِ ، وَتَنَزَلَهَا الْأَمْرَاءُ مِنْذُ بَنَاهَا صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بَعْدَ قَتْلِهِ مَرْوَانَ . / وَمَا زَالَ بِهَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ إِلَى أَنْ بَنَى الْقَصْرَ وَالْمَيْدَانَ بِالْقَطَائِعِ ، فَتَحَوَّلَ مِنَ الْعَسْكَرِ وَسَكَنَ قَصْرَهُ بِالْقَطَائِعِ .

فَلَمَّا وُلِيَ أَبُو الْجَيْشِ شُحْمَارُوتَيْهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ بَعْدَ أَبِيهِ ، جَعَلَ دَارَ الْإِمَارَةِ دِيْوَانَ الْخَرَاجِ ، ثُمَّ فُرِّقَتْ مُحَجَّرًا بَعْدَ دُخُولِ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْكَاتِبِ إِلَى مِصْرَ وَزَوَالَ دَوْلَةِ بَنِي طُولُونَ ، فَسَكَنَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بِدَارِ<sup>(a)</sup> فِي الْعَسْكَرِ عِنْدَ الْمُصَلَّى الْقَدِيمِ ، وَكَانَ الْمُصَلَّى الْقَدِيمَ حَيْثُ الْكُومِ الْمَطْلُ الْآنَ عَلَى قَبْرِ الْقَاضِي بَكَارٍ . وَمَا زَالَتِ الْأَمْرَاءُ تَنْزِلُ بِالْعَسْكَرِ ، إِلَى أَنْ قَدِمَ الْقَائِدُ جَوْهَرُ بْنُ الْمَغْرِبِ ، وَبَنَى «الْقَاهِرَةَ الْمُعِزِّيَّةَ» .

وَلَمَّا بَنَى أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ الْقَطَائِعَ ، اتَّصَلَتْ مَبَانِيهَا بِالْعَسْكَرِ ، وَبَنَى جَامِعَهُ عَلَى جَبَلِ يَشْكُرَ ، فَعَمَّرَ مَا هُنَالِكَ عِمَارَةً عَظِيمَةً تَخْرُجُ عَنِ الْحَدِّ فِي الْكثْرَةِ . وَقَدِمَ جَوْهَرُ الْقَائِدُ بِعَسَاكِرِ مَوْلَاهُ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَالْعَسْكَرُ عَامِرٌ ، إِلَّا أَنَّهُ مُنْذُ بُنِيَ الْقَطَائِعُ هَجَرَ اسْمُ الْعَسْكَرِ ، وَصَارَ يُقَالُ «مَدِينَةُ الْفُسْطَاطِ وَالْقَطَائِعِ» ، وَرُبَّمَا قِيلَ «وَالْعَسْكَرُ» أَحْيَانًا . فَلَمَّا خَرَّبَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَصْرَ ابْنِ طُولُونَ وَمَيْدَانَهُ ، بَقِيَ فِي الْقَطَائِعِ مَسَاكِينُ جَلِيلَةٌ حَيْثُ كَانَ الْعَسْكَرُ . وَأَنْزَلَ الْمُعِزُّ لَدَيْنَ اللَّهِ عَمَّهُ أَبَا عَلِيٍّ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ أَهْلُهُ بِهَا إِلَى أَنْ خَرِبَتِ الْقَطَائِعُ فِي الشَّدَّةِ الْعُظْمَى الَّتِي كَانَتْ فِي خِلَافَةِ الْمُشْتَمِرِ ، أَعْوَامَ بَضْعِ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ . فَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ هُنَاكَ زِيَادَةٌ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دَارِ سِوَى الْبَسَاتِينَ<sup>٢</sup> ؛ وَمَا هَذَا بِيَعِيدُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مَا بَيْنَ سَفْحِ الشَّرْفِ الَّذِي عَلَيْهِ الْآنَ قَلْعَةُ الْجَبَلِ ، وَبَيْنَ سَاحِلِ مِصْرِ الْقَدِيمِ حَيْثُ الْآنَ الْكِبَارَةُ خَارِجَ مِصْرَ ، وَمَا

(a) بولاق : بدار الإمارة .

<sup>١</sup> أضافت نشرة بولاق أن محمد بن سليمان الكاتب سكن بدار الإمارة في العسكر، وهي إضافة لم ترد في النسخ التي اعتمدت عليها، فيكون محمد بن سليمان قد نزل في دار عند المصلى القديم في العسكر حيث الكوم المطل على قبر القاضي بكار لا في دار إمارة العسكر .  
<sup>٢</sup> فيما يلي ١١٢ .



على سعتها إلى كوم الجارح ، ومن كوم الجارح إلى جامع ابن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع سقايات ، إلى قنطرة السد ومراغة مصر ، إلى المعاريج بمصر ، وإلى كوم الجارح ؛ ففي هذه المواضع كان العسكر والقطايع .

ويخص العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحادرة ابن قميحة إلى كوم الجارح ، حيث الفضاء الذي يتوسط ما بين قنطرة السد وبين سور القرافة الذي يعرف بباب المجدم ؛ فهذا هو العسكر .

ولما استولى الخراب في المحنة ، أمر ببناء حائط يشتر الخراب عن نظر الخليفة إذا سار من القاهرة إلى مصر ، فيما بين العسكر والقطايع وبين الطريق ، وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون .

فلما كان في خلافة الأمير بأحكام الله أبي علي منصور بن المستعلي ، أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالأجل المأمون بن البطايعي فتودي مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر : بأن من كان له دار في الخراب أو مكان فليعمره ، ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه ، ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه ، وأباح تعمیر جميع ذلك بغير طلب حق<sup>١</sup> .

وكان سبب هذا النداء أنه لما قديم أمير الجيوش بدر الجمالي في آخر الشدة العظمى وقام بعمارة إقليم مصر ، أخذ الناس في نقل ما كان بالقطايع والعسكر من أنقاض المساكن ، حتى أتى على معظم ما هنالك الهدم ، فصار موجشا ، وخرب ما بين القاهرة ومصر من المساكن ، ولم يبق هنالك إلا بعض البساتين .

فلما نادى الوزير المأمون ، عمّر الناس ما كان من ذلك مما يلي القاهرة من جهة المشهد النفيسي إلى ظاهر باب زويلة - كما يرد خبر ذلك في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله<sup>٢</sup> - ونقلت أنقاض العسكر كما تقدم ؛ فصار هذا الفضاء الذي يتوصل إليه من مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولوني ومن قنطرة السد ومن باب المجدم في سور القرافة ، ويسلك في هذا الفضاء إلى كوم الجارح .

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٤-١٣٥، وفيما يلي ٢: ٢٠، ١٠٠؛ وأيضا ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٤-١٣٥ .

يلي ٢: ٢٠، ١٠٠، ٢٦٥ .



ولم يبق الآن من العسكر ما هو عامرٌ سوى جبل يشكر الذي عليه جامع ابن طولون ، وما حوله من الكباش وحذرة ابن قميحة ، إلى حط السبع سقايات وحط قناطر السباع إلى جامع ابن طولون . وأما سوق الجامع من قبله ، وما وراء ذلك إلى المشهد النفيسي وإلى القبيبات والرُميلة تحت القلعة ، فإنما هو من القطائع ، كما ستقف عليه عند ذكر القطائع ، وعند ذكر هذه الحطط إن شاء الله .

وطال ما سلكت هذا الفضاء الذي بين جامع ابن طولون وكوم الجارح حيث كان العسكر ، وتذكرت ما كان هنالك من الدور الجليلة والمنازل العظيمة والمساجد والأشواق والحمامات والبساتين والبركة البديعة والمارستان العجيب ، وكيف بادت حتى لم يبق لشيء منها أثر البتة ، فأنشدت أقول :

[المقارب]

وبادوا فلا مخبر عنهم  
فمن كان ذا عيرة فليكن  
وماتوا جميعاً وهذا الخبر  
فأين هم ثم أين الأثر؟

وسياتي لذلك مزيد بيان عند ذكر القطائع ، وعند ذكر حط قناطر السباع وغيره من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .<sup>١</sup>

### اذكروا من نزل العسكر من أمراء مصر من حين بني إلى أن بنيت القطائع

اعلم أن أمراء مصر ما برحوا ينزلون فسطاط مصر ، منذ انحط بعد الفتح إلى أن بنى أبو عون العسكر ، فصارت أمراء مصر من عهد أبي عون إنما ينزلون بالعسكر . وما برحوا على ذلك إلى أن أنشأ الأمير أبو العباس أحمد بن طولون القصر والميدان والقطائع ، فتحول من العسكر إلى القصر وسكن فيه ، وسكنه الأمراء من أولاده بعده إلى أن زالت دولتهم . فسكن الأمراء بعد ذلك العسكر إلى أن زالت دولة الإخشيدية ، بقدم جوهر القائد من المغرب .

وأول من سكن العسكر من أمراء مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد ، من أهل جرجان ، ولي صلاة مصر وخراجها باستخلاف صالح بن علي له في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة .<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٢: ١٣٥-١٣٦ ، وانظر وصفه للقطائع

<sup>٢</sup> الكندي : ولاة مصر ١٢٣ .



وَوَقَعَ الْوَبَاءُ بِمِصْرَ ، فَهَرَبَ أَبُو عَوْنٌ إِلَى يَشْكُرَ ، وَاسْتَخْلَفَ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ عِكْرِمَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ عَمْرٍو بْنِ قَحْزَمٍ . وَخَرَجَ إِلَى دِمْيَاطَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَاسْتَخْلَفَ عِكْرِمَةَ ، وَجَعَلَ عَلَى الْخَرَاجِ عَطَاءَ بْنَ شُرْحَبِيلٍ . وَخَرَجَ الْقِبْطُ بِسَمْنُودَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ وَقَتْلَهُمْ <sup>١</sup> .

وَوَرَدَ الْكِتَابُ بِوِلَايَةِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى مِصْرَ وَفِلَسْطِينَ وَالْمَغْرِبِ ، جُمِعَتْ لَهُ ، وَوَرَدَتْ الْجُيُوشُ مِنْ قِبَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّفَّاحِ لِعَزْوِ الْمَغْرِبِ <sup>٢</sup> .

فَوَلَّى صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ الثَّانِيَةَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ ، فَدَخَلَ لِحَمْسٍ نَحْلُونَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، فَأَقَرَّ عِكْرِمَةَ عَلَى شُرْطَةِ الْفُسْطَاطِ ، وَجَعَلَ عَلَى شُرْطَتِهِ بِالْعَشْكَرِ يَزِيدَ بْنَ هَانِيٍّ الْكِنْدِيَّ ، وَوَلَّى أَبَا عَوْنٍ جُيُوشَ الْمَغْرِبِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ دُعَاةً لِأَهْلِ إِفْرِيقِيَّةٍ . وَخَرَجَ أَبُو عَوْنٌ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَجُهِّزَتِ الْمَرَائِكِبُ مِنَ الْإِسْكَنْدرِيَّةِ إِلَى بَرْقَةَ <sup>٣</sup> .

فَمَاتَ الشَّفَّاحُ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَاسْتَخْلَفَ أَبُو جَعْفَرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَنْصُورِ ، فَأَقَرَّ صَالِحَ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي عَوْنٍ بِالرُّجُوعِ ، وَرَدَّ الدُّعَاةَ وَقَدْ بَلَغُوا سُورَةَ <sup>٤</sup> . وَبَلَغَ أَبُو عَوْنٌ بَرْقَةَ ، فَأَقَامَ بِهَا أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ فِي جَيْشِهِ ، فَجَهَّزَهُ صَالِحُ إِلَى فِلَسْطِينَ لِحَرْبِهِ ، فَعَلَبَ وَسَيَّرَ إِلَى مِصْرَ ثَلَاثَةَ آلَافِ رَأْسٍ . ثُمَّ خَرَجَ صَالِحُ إِلَى فِلَسْطِينَ ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ الْفَضْلَ ، فَبَلَغَ بَلْبَيْسَ وَرَجَعَ <sup>٥</sup> .

ثُمَّ خَرَجَ لِأَرْبَعِ نَحْلُونَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ ، فَلَقِيَ أَبَا عَوْنَ بِالْقَرَمَا ، فَأَمَرَهُ عَلَى مِصْرَ صَلَاتِهَا وَخَرَاجِهَا وَمَضَى ؛ فَدَخَلَ أَبُو عَوْنُ الْفُسْطَاطَ لِأَرْبَعِ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ <sup>٥</sup> .

فَوَلَّى أَبُو عَوْنٌ وِلَايَتَهُ الثَّانِيَةَ مِنْ قِبَلِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ أَفْرَدَهُ أَبُو جَعْفَرٍ بِوِلَايَتِهَا . وَقَدِيمَ أَبُو جَعْفَرٍ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي عَوْنٍ بِأَنْ يَسْتَخْلَفَ عَلَى مِصْرَ وَيَخْرُجَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَخْلَفَ عِكْرِمَةَ عَلَى الصَّلَاةِ وَعَطَاءَ عَلَى الْخَرَاجِ ، وَخَرَجَ لِلنَّصَفِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ . فَلَمَّا صَارَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، بَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ مُوسَى بْنَ كَعْبٍ ، فَكَانَتْ وِلَايَةَ أَبِي عَوْنٍ هَذِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ <sup>٦</sup> .

(a) بولاق : شيرت .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ١٢٣ . <sup>٢</sup> نفسه ١٢٣ . <sup>٣</sup> نفسه ١٢٣-١٢٤ . <sup>٤</sup> نفسه ١٢٤-١٢٥ . <sup>٥</sup> نفسه ١٢٦ . <sup>٦</sup> نفسه ١٢٧ .



فَوَلِيَّهَا مُوسَى بْنُ كَعْبِ بْنِ عُيَيْنَةَ ابْنِ عَائِشَةَ أَبُو عُيَيْنَةَ مِنْ تَمِيمٍ ، مِنْ قِتْلِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ -  
وَكَانَ أَحَدَ نِقَبَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ - فَدَخَلَهَا لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ  
وَمِائَةَ ، عَلَى صِلَاتِهَا وَخَرَجَهَا . وَنَزَلَ الْعَسْكَرَ وَبِهَا النَّاسُ مِنَ الْجُنْدِ يَغْدُونَ وَيُرْوَحُونَ إِلَيْهِ كَمَا  
كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالْأَمْرَاءِ قَبْلَهُ ، فَانْتَهَوْا عَنْهُ حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَلْزَمُ بَابَهُ <sup>١</sup> .

وَكَانَ قَدْ أَتَاهُمْ فِي خُرَاسَانَ بِأَمْرِ أَبِي مُسْلِمٍ ، فَأَمَرَ بِهِ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ ، وَالِي خُرَاسَانَ ،  
فَأُلْجِمَ بِلِجَامٍ ، ثُمَّ كُسِرَتْ أَسْنَانُهُ ، فَكَانَ يَقُولُ بِبَصْرَ : كَانَتْ لَنَا أَسْنَانٌ وَلَيْسَ عِنْدَنَا حُبْرٌ ، فَلَمَّا  
جَاءَ الْحُبْرُ ذَهَبَتْ الْأَسْنَانُ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ : «إِنِّي عَزَلْتُكَ مِنْ غَيْرِ سَخَطٍ <sup>(a)</sup> ، وَلَكِنْ بَلَّغَنِي أَنَّ عَامِلًا <sup>(b)</sup> يُقْتَلُ  
بِمِصْرَ يُقَالُ لَهُ مُوسَى ، فَكَرِهْتُ أَنْ تَكُونَ» ، فَكَانَ ذَلِكَ مُوسَى بْنُ مُضْعَبِ زَمَنِ الْمَهْدِيِّ ،  
كَمَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَوَلِيَّ مُوسَى بْنُ كَعْبِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَصُرِفَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ،  
وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْجُنْدِ خَالِدٌ <sup>(c)</sup> بْنُ حَبِيبٍ ، وَعَلَى الْخَرَاجِ نَوْفَلُ بْنُ الْقُرَاتِ ، وَخَرَجَ لَسْتُ بِقَيْنٍ  
مِنْهُ <sup>٢</sup> .

فَوَلِيَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ عُقْبَةَ الْخُرَاعِيَّ مِنْ قِتْلِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ ، وَقَدِمَ  
لِخَمْسِ نَحْلُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةَ . وَبَعَثَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى نَوْفَلِ بْنِ الْقُرَاتِ «أَنْ  
اغْرَضَ عَلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ضَمَانَ خَرَاجِ مِصْرَ ، فَإِنْ ضَمِنَهُ فَأَشْهَدُ عَلَيْهِ وَأَشْخِصُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ  
أَتَى فَاغْمَلَ عَلَى الْخَرَاجِ» . فَعَرَضَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَأَتَى ، فَانْتَقَلَ نَوْفَلٌ بِالْدَّوَاوِينِ [إِلَى دَارِ الرَّمْلِ] <sup>(d)</sup> ،  
فَأَتَقَدَّ ابْنُ الْأَشْعَثِ النَّاسَ ، فَقِيلَ لَهُ «هَمَّ عِنْدَ صَاحِبِ الْخَرَاجِ» ، فَتَدِيمَ عَلَى تَسْلِيمِهِ ؛ وَعَقَدَ عَلَى  
جَيْشٍ بَعَثَ بِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ لِحَرْبِ <sup>(e)</sup> فَانْهَزَمَ <sup>٣</sup> .

وَخَرَجَ ابْنُ الْأَشْعَثِ يَوْمَ الْأَضْحَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وَاسْتَخْلَفَ  
مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَحِيرِ بْنِ رَيْسَانَ <sup>(f)</sup> صَاحِبَ شُرْطَتِهِ . ثُمَّ صُرِفَ ابْنُ الْأَشْعَثِ ، فَكَانَتْ وِلايَتَهُ  
سَنَةَ وَشَهْرًا <sup>٤</sup> .

(a) بولاق : سخطة . (b) بولاق : غلامًا . (c) بولاق : ابن خاله . (d) بولاق والأصل : الدواوين والمثبت من  
الكندي . (e) بولاق : لحره . (f) بولاق : بهجير بن رسان .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ١٢٨ . <sup>٢</sup> نفسه ١٢٩ . <sup>٣</sup> نفسه ١٣٠ - ١٣١ . <sup>٤</sup> نفسه ١٣١ .



وولي حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان<sup>a</sup> الطائي من قبل أبي جعفر، على الصلاة والخراج، فدخل في عشرين ألفاً من الجند لخمس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة، ثم قدم عسكر آخر في شوال<sup>١</sup>.

وقدم علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لأبيه وعمه، فدرس إليه حميد فتغيب، فكتب بذلك إلى أبي جعفر، فصرفه/ في ذي القعدة، وخرج لثمان بقين من ذي القعدة سنة أربع وأربعين<sup>٢</sup>.

فولي يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، من قبل أبي جعفر، على الصلاة والخراج، فقدم على البريد للنصف من ذي القعدة، فاستخلف على الخراج معاوية بن مزوان بن موسى بن نصير<sup>٣</sup>.

وفي إمرته ظهرت دغوة بني الحسن بن علي بمصر، وتكلم بها الناس، وبايع كثير منهم لعلي ابن محمد بن عبد الله. وطرق المسجد لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين، كما يذكر في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى<sup>٤</sup>.

ثم قدمت الخطباء برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي في ذي الحجة فتصبت في المسجد<sup>٥</sup>.

وورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر إلى الفسطاط، وأن يجعل الديوان في كنائس القصر، وذلك في سنة ست وأربعين ومائة، من أجل ليلة المسجد<sup>٦</sup>.

ومنع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين، فلم يحج أحد منهم ولا من أهل الشام، لما كان بالحجاز من الاضطراب بأمر بني حسن. ثم حج يزيد في سنة سبع وأربعين، واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج صاحب شرطته<sup>٧</sup>.

(a) بولاق: سعدان.

<sup>١</sup> الكندي: ولاية مصر ١٢٢. <sup>٢</sup> نفسه ١٣٢-١٣٣. <sup>٣</sup> نفسه ١٣٣. <sup>٤</sup> نفسه ١٣٣ وفيما يلي ٢: .  
<sup>٥</sup> نفسه ١٣٦. <sup>٦</sup> نفسه ١٣٧ وفيما تقدم ١٠. <sup>٧</sup> نفسه ١٣٧.



وَبَعَثَ جَيْشًا لِعَزْوِ الْحَبَشَةِ مِنْ أَجْلِ خَارِجِيِّ ظَهَرَ هُنَاكَ ، فَظَفِرَ بِهِ الْجَيْشُ ، وَقَدِمَ رَأْسُهُ فِي عِدَّةِ رُؤُوسٍ ، فَحَمِلَتْ إِلَى بَغْدَادٍ <sup>١</sup> .

وَضَمَّ يَزِيدُ بَرْقَةَ إِلَى عَمَلِ مِصْرَ - وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ ضَمَّهَا إِلَى مِصْرَ - وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ <sup>٢</sup> .

٥. وَخَرَجَ الْقَيْطُ بِسَخَا ، فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا ، فَشَتَّتَهُ الْقَيْطُ وَرَجَعَ مُنْهَزِمًا . فَصَرَفَهُ أَبُو جَعْفَرٍ فِي رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ سَبْعَ سِنِينَ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ <sup>٣</sup> .

١٠. وَوَلِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ ، مِنْ قَبْلِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَلَى الصَّلَاةِ لِثَنِي عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ رَجَبِ الْآخِرِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَطَبَ بِالسُّوَادِ . وَخَرَجَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ لِعَشْرِ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ مُحَمَّدًا ، وَرَجَعَ فِي آخِرِهَا <sup>٤</sup> .

وَمَاتَ وَهُوَ وَالٍ مُسْتَهْلٍ صَفَرِ سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَةٍ ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ مُحَمَّدًا ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ سَنَتَيْنِ وَشَهْرَيْنِ <sup>٥</sup> .

١٥. فَوَلِيَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ بِاسْتِخْلَافِ أَخِيهِ ، فَأَقْرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى الصَّلَاةِ . وَمَاتَ وَهُوَ وَالٍ لِلنَّصَفِ مِنْ شَوَّالٍ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، وَاسْتَخْلَفَ مُوسَى بْنَ عَلِيٍّ <sup>٦</sup> .

٢٠. فَوَلِيَ مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ رَبَاحٍ بِاسْتِخْلَافِ مُحَمَّدِ بْنِ حُدَيْجٍ ، فَأَقْرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى الصَّلَاةِ . وَخَرَجَ الْقَيْطُ بِبُلْهَيْبٍ <sup>(a)</sup> فِي سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ وَهَزَمَهُمْ . وَكَانَ يَرُوحُ إِلَى الْمَسْجِدِ مَاشِيًا وَصَاحِبُ شُرْطَتِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ يَحْمِلُ الْحَزْبَةَ . وَإِذَا أَقَامَ صَاحِبُ الشَّرْطَةِ الْحُدُودَ يَقُولُ لَهُ : « اِرْحَمِ أَهْلَ الْبَلَاءِ <sup>(b)</sup> » ، فَيَقُولُ : « أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا مَا يُفْعَلُ بِهِمْ » ، وَكَانَ يُحَدِّثُ فَيَكْتُبُ النَّاسَ عَنْهُ <sup>٧</sup> .

(a) بولاق : بهيب . (b) بولاق : البلاد .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ١٣٧ . <sup>٢</sup> نفسه ١٣٧ . <sup>٣</sup> نفسه ١٣٧ ، ١٣٨ . <sup>٤</sup> نفسه ١٣٩ . <sup>٥</sup> نفسه ١٤٠ .

<sup>٦</sup> نفسه ١٤٠ . <sup>٧</sup> نفسه ١٤١ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢ : ٢٦ .



ومات أبو جعفر لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، وبويع ابنه محمد المهدي، فأقر موسى بن علي إلى سابع عشر ذي الحجة سنة إحدى وستين ومائة، فكانت ولايته ست سنين وشهرين<sup>١</sup>.

وولي عيسى بن لقمان بن محمد الجمحي، من قبل المهدي، على الصلاة والخراج، فقدم لثلاث عشرة بقية من ذي الحجة سنة إحدى وستين ومائة، وصرف لثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى سنة اثنتين وستين ومائة، فوليتها أربعة أشهر<sup>٢</sup>.

ثم ولي واضح مولى أبي جعفر، من قبل المهدي، على الصلاة والخراج، فدخل لست بقية من جمادى الأولى، وصرف في رمضان<sup>٣</sup>.

فولي منصور بن يزيد بن منصور الرعيني - وهو ابن خال المهدي - (من قبل المهدي<sup>a</sup>) على الصلاة، فقدم لإحدى عشرة خلعت من رمضان سنة اثنتين وستين ومائة، وصرف للنصف من ذي الحجة، فكان مقامه شهرين وثلاثة أيام<sup>٤</sup>.

ثم ولي يحيى بن داود أبو صالح من أهل خراسان، من قبل المهدي، على الصلاة والخراج. فقدم في ذي الحجة، وكان أبوه تركياً، وهو من أشد الناس وأعظمهم هينة وأقدمهم على الدم، وأكثرهم عقوبة<sup>٥</sup>.

فمنع من غلق الدروب باللليل ومن غلق الحوانيت، حتى جعلوا عليها شرائح<sup>b</sup> القصب لمنع الكلاب. ومنع خراسان الحمامات أن يجلسوا فيها، وقال: من ضاع له شيء فقلبي أداؤه. وكان الرجل يذخل الحمام، فيضع ثيابه ويقول: يا أبا صالح احرسها؛ فكانت الأمور على هذا مدة ولايته<sup>٦</sup>.

وأمر الأشراف والفقهاء وأهل الثوبات بلبس القلائس الطوال، والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بلا أزدية. وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكره قال: «هو

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: شرائح.

<sup>١</sup> الكندي: ولاية مصر ١٤٢. نفسه ١٤٢، ١٤٣.

<sup>٥</sup> نفسه ١٤٤، ١٤٥.

<sup>٢</sup> نفسه ١٤٣ وورد اسمه عند أبي المحاسن: واضح بن

<sup>٦</sup> الشرائح ج. شريحة، وهي باب من القصب يُقتل

عبد الله المنصوري الخيصي (النجوم الزاهرة ٢: ٤٠).

للكاكين.

<sup>٤</sup> نفسه ١٤٤.

<sup>٧</sup> الكندي: ولاية مصر ١٤٥.



رَجُلٌ يَخَافُنِي وَلَا يَخَافُ اللَّهَ»، فَوَلِيَ إِلَى الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ<sup>١</sup>.

وَقَدِمَ سَالِمُ بْنُ سَوَادَةَ التَّمِيمِيُّ، مِنْ قِبَلِ الْمَهْدِيِّ، عَلَى الصَّلَاةِ، وَمَعَهُ أَبُو قَطِيفَةَ<sup>٢</sup> إِسْمَاعِيلُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْخَرَاجِ لِثِنْتِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنَ الْحَرَمِ<sup>٣</sup>.

ثُمَّ وَلِيَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَالِحِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، مِنْ قِبَلِ الْمَهْدِيِّ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ، فَقَدِمَ لِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِينَ، وَابْتَنَى دَارًا عَظِيمَةً بِالْمَوْقِفِ مِنَ الْعَشْرِ<sup>٤</sup>.

وَخَرَجَ دِخْيَةَ بْنُ الْمُعْصَبِ بْنِ الْأَصْبَغِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بِالصُّعَيْدِ، وَنَابَذَ وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ بِالْخِلَافَةِ، فَتَرَاخَى عَنْهُ / إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ يَخْفَلْ بِأَمْرِهِ حَتَّى مَلَكَ عَامَّةَ الصُّعَيْدِ؛ فَسَخِطَ الْمَهْدِيُّ لِذَلِكَ، وَعَزَلَهُ عَزْلًا قَبِيحًا لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِينَ، فَوَلَّيْتُهَا ثَلَاثَ سِنِينَ<sup>٥</sup>.

ثُمَّ وَلِيَ مُوسَى بْنُ مُضْعَبِ بْنِ الرَّبِيعِ مِنْ أَهْلِ الْمُؤَصِّلِ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ، مِنْ قِبَلِ الْمَهْدِيِّ، فَقَدِمَ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ الْمَذْكُورِ، فَرَدَّ إِبْرَاهِيمَ، وَأَخَذَ مِنْهُ وَمِنْ عُمَّالِهِ ثَلَاثَ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ سَيَّرَهُ إِلَى بَغْدَادِ.

وَتَشَدَّدَ<sup>٦</sup> مُوسَى فِي اسْتِخْرَاجِ الْخَرَاجِ، وَزَادَ عَلَى كُلِّ فِدَّانٍ ضِعْفَ مَا تُقْبَلُ<sup>٧</sup> بِهِ، وَارْتَشَى فِي الْأَحْكَامِ، وَجَعَلَ خَرْجًا<sup>٨</sup> عَلَى أَهْلِ الْأَسْوَاقِ وَعَلَى الدُّوَابِ، فَكَرِهَهُ الْجُنْدُ وَنَابَذُوهُ، وَثَارَتْ قَيْسُ وَالْيَمَانِيَّةُ، وَكَاتَبُوا أَهْلَ الْفُسْطَاطِ فَاتَّفَقُوا عَلَيْهِ<sup>٩</sup>.

وَبَعَثَ بِجَيْشٍ إِلَى قِتَالِ دِخْيَةَ بِالصُّعَيْدِ، وَخَرَجَ فِي جُنْدٍ مِصْرَ كُلَّهُمْ لِقِتَالِ أَهْلِ الْحَوْفِ. فَلَمَّا اتَّفَقُوا، انْهَزَمَ عَنْهُ أَهْلُ مِصْرَ بِأَجْمَعِهِمْ وَأَسْلَمُوهُ، فَقُتِلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُكَلَّمَ<sup>١٠</sup> أَخَذَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَمِائَةٍ، فَكَانَتْ وَلايَتُهُ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ<sup>١١</sup>.

(a) بولاق : أبو قطيفة . (b) بولاق : شدد . (c) بولاق : يقبل . (d) بولاق : خراجا . (e) بولاق : يتكلم .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ١٤٥ . <sup>٢</sup> نفسه ١٤٦ . وهبها عند خروجه لآل عبد الرحمن بن عبد الجبار .  
<sup>٣</sup> نفسه ١٤٧ وفيه : «وابتنى إبراهيم بن صالح داره العظمى المعروفة اليوم بدار عبد العزيز التي في الموقف ، ثم  
<sup>٤</sup> نفسه ١٤٧ . <sup>٥</sup> نفسه ١٤٨ .  
<sup>٦</sup> نفسه ١٤٩ ، ١٥٠ .



وكان ظالماً غاشماً ، سمعه الليث بن سعد يقرأ في خطبته ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الآية ٢٩ سورة الكهف] ، فقال الليث : اللهم لا تقه منها<sup>(١)</sup> .

ثم ولي عسامة بن عمرو باشتخلاف موسى بن مضع ، وبعث إلى دحية جيشاً مع أخيه بكار بن عمرو ، فحارب يوسف بن نصير وهو على جيش دحية ، فتطاعنا ، ووضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ، ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف ، فقتلا معاً ، ورجع الجيشان منهزمين وذلك في ذي الحجة<sup>(٢)</sup> .

وصرف عسامة ، لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة ، بكتاب ورد عليه من الفضل بن صالح بأنه ولي مصر وقد اشتخلفه ، فخلعه إلى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة<sup>(٣)</sup> .

ثم قدم الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، سلخ المحرم المذكور ، في جيوش الشام . ومات المهدي في المحرم هذا ، وبويع موسى الهادي ، فأقر الفضل<sup>(٤)</sup> .

وقدم ومصر تضطرب<sup>(ب)</sup> من أهل الخوف ومن خروج دحية ، فإن الناس كانوا قد كاتبوه ودعوه ، فسير العساكر حتى هزم دحية وأسير وسيق إلى الفسطاط ، فضربت عنقه وُصِّلَ في جمادى الآخرة سنة تسع وستين . فكان الفضل يقول : أنا أولى الناس بولاية مصر ، لقيامي في أمر دحية وقد عجز عنه عميري ، فغزل وندم على قتل دحية .

والفضل هو الذي بنى الجامع بالعسكر في سنة تسع وستين ، فكانوا يجتمعون فيه<sup>(٥)</sup> .

ثم ولي علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قبل الهادي ، على الصلاة والخراج ، فدخل في سنة تسع وستين ومائة . ومات الهادي للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وبويع هارون بن محمد الرشيد ، فأقر علي بن سليمان . وأظهر في ولايته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنع الملاهي والخمور ، وهدم الكنائس المحدثّة بمصر ، وبذل له في تزكيتها خمسون ألف دينار فامتنع<sup>(٦)</sup> .

(a) الشيخ وبولاق : لا تمقتنا ، والتصويب من الكندي . (b) بولاق : وقدم مصر يضطرب .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ١٥١ .

<sup>٥</sup> فيما يلي ٢ : ٢٦٤ .

<sup>٢</sup> نفسه ١٥١ . <sup>٣</sup> نفسه ١٥١ - ١٥٢ .

<sup>٦</sup> أي امتنع عن أخذ الدنانير وأصر على هدم الكنائس

<sup>٤</sup> نفسه ١٥٢ . (أبو المحاسن : النجوم ٢ : ٦١) .



وكان كثير الصدقة في الليل، وأظهر أنه تصلح له الخلافة وطمع فيها، فسخط عليه هارون الرشيد، وعزله لأربع بقين من ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائة<sup>١</sup>.

ثم ولي موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، من قبل الرشيد، على الصلاة. فأذن للنصارى في بئان الكنائس التي هدمها علي بن سليمان، فبئت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة<sup>٢</sup>. ثم صرف لأربع عشرة خلعت من رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة، فكانت ولايته سنة وخمسة أشهر ونصفًا<sup>٣</sup>.

ثم ولي مسلمة بن يحيى بن قرة بن عبدة الله البجلي من أهل جرجان<sup>٤</sup>، من قبل الرشيد، على الصلاة، ثم صرف في شعبان سنة ثلاث وسبعين فوليتها أحد عشر شهرًا<sup>٥</sup>.

ثم ولي محمد بن زهير الأزدي على الصلاة والخراج لحمس خلون من شعبان، فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج، فلم يدفع عنه، فصرف بعد خمسة أشهر في سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة<sup>٦</sup>.

فولي داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، وقدم هو وإبراهيم بن صالح بن علي، فولي داود الصلاة، وبعث إبراهيم لإخراج الجند الذين ثاروا من مصر. فدخل لأربع عشرة خلعت من المحرم سنة أربع وسبعين ومائة، فأخرجت الجند العديدة إلى المشرق والمغرب في عالم كثير، فساروا في البحر فأسرتهم الروم. وصرِفَ لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين، فكانت ولايته سنة ونصف شهر<sup>٧</sup>.

ثم ولي موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، على الصلاة والخراج، من قبل الرشيد. فدخل لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين، وصرِفَ لليلتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين ومائة، فولي سنة واحدة<sup>٨</sup>.

<sup>١</sup> الكندي: ولاية مصر ١٥٤، ١٥٥.  
<sup>٢</sup> انظر أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٢: ٦٦.  
<sup>٣</sup> الكندي: ولاية مصر ١٥٥-١٥٦.  
<sup>٤</sup> في النجوم الزاهرة ٢: ٧١، أصله من أهل خراسان وقيل من جرجان.  
<sup>٥</sup> الكندي: ولاية مصر ١٥٦.  
<sup>٦</sup> نفسه ١٥٧-١٥٨.  
<sup>٧</sup> نفسه ١٥٨-١٥٩، وفي النجوم الزاهرة ٢: ٨٠، إلا أياما قليلة وأن سبب عزله أنه هتم بالخروج على الرشيد.  
<sup>٨</sup> نفسه ١٥٧-١٥٨.



ثم ولي إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ثانيًا من قبل الرشيد ، فكتب إلى عسامة بن عمرو فاستخلفه . ثم قديم نصر بن كلثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الأول . وتوفي عسامة لسبع بقين من ربيع الآخر ، فقديم رُوح بن رُوح بن زنباع خليفة لإبراهيم على الصلاة والخراج . ثم قديم إبراهيم للنصف من جمادى الأولى ، وتوفي وهو والٍ لثلاث خلون من شعبان . فكان مقامه بمصر شهرين / وثمانية عشر يومًا . وقام بالأمر بعده ابنه صالح بن إبراهيم ، مع صاحب شرطته خالد بن يزيد <sup>١</sup> .

ثم ولي عبد الله بن المسيب بن زهير بن عمرو الضبي ، من قبل الرشيد ، على الصلاة لإحدى عشرة بقية من رمضان سنة ست وسبعين ومائة ، وصرف في رجب سنة سبع وسبعين ومائة <sup>٢</sup> .

فولي إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قبل الرشيد ، على الصلاة والخراج مستهل رجب . فكشف أمر الخراج ، وزاد على المزارعين زيادة أجهفت بهم . فخرج عليه أهل الحوف ، فحاربهم فقتل كثير من أصحابه . فكتب إلى الرشيد بذلك ، فعقد لهزيمة بن أعين في جيش عظيم وبعث به ، فنزل الحوف ، فلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا ، فقبل منهم واستخرج الخراج كله . فكان صرف إسحاق في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة <sup>٣</sup> .

فولي هزيمة بن أعين من قبل الرشيد ، على الصلاة والخراج لليلتين خلتا من شعبان ، ثم سار إلى إفريقية لثنتي عشرة خلّت من شوال ، فأقام بمصر شهرين ونصفًا <sup>٤</sup> .

ثم ولي عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، من قبل الرشيد ، على الصلاة والخراج . فلم يدخل مصر ، واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبي ، وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة <sup>٥</sup> .

فولي عبّيد الله بن المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس ، من قبل الرشيد ، على الصلاة والخراج في يوم الاثنين لثنتي عشرة خلّت من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة ، فاستخلف ابن المسيب ، ثم قديم لإحدى عشرة خلّت من ربيع الأول ، وصرف في شهر رمضان ، فولي تسعة أشهر ، وخرج من مصر لليلتين خلتا من شوال <sup>٦</sup> .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ١٥٩ - ١٦٠ . <sup>٢</sup> نفسه ١٦٠ . <sup>٣</sup> نفسه ١٦٠ - ١٦١ . <sup>٤</sup> نفسه ١٦١ .

<sup>٥</sup> نفسه ١٦٢ . <sup>٦</sup> نفسه ١٦٢ .



فَاعَادَ الرَّشِيدُ مُوسَى بْنَ عَيْسَى وَوَلَاهُ مَرَّةً ثَلَاثَةَ عَشْرَةَ عَلَى الصَّلَاةِ ، فَقَدِمَ ابْنُهُ يَحْيَى بْنَ مُوسَى خَلِيفَةً لَهُ لثَلَاثِ خَلْوَنٍ مِنْ رَمَضَانَ ، ثُمَّ قَدِمَ آخِرَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَصُرِفَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَمِائَةَ ١ .

فَوَلَّى الرَّشِيدُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُهْدِيِّ ثَانِيًا عَلَى الصَّلَاةِ ، فَقَدِمَ دَاوُدُ بْنُ حَبَّاشٍ خَلِيفَةً لَهُ لِسَبْعِ خَلْوَنٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، ثُمَّ قَدِمَ لِأَرْبَعِ خَلْوَنٍ مِنْ شَعْبَانَ ، وَصُرِفَ لثَلَاثِ خَلْوَنٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَمِائَةَ ٢ .

فَوَلَّى إِسْمَاعِيلَ بْنَ صَالِحِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَلَى الصَّلَاةِ لِسَبْعِ خَلْوَنٍ مِنْ رَمَضَانَ ، فَاسْتَخْلَفَ عَوْنُ بْنُ وَهْبِ الْخَزَاعِيِّ ، ثُمَّ قَدِمَ لِخَمْسِ بَقِيْنَ مِنْهُ .  
قَالَ ابْنُ عُفَيْرٍ : مَا رَأَيْتُ عَلَى هَذِهِ الْأَعْوَادِ أُخْطَبَ مِنْ إِسْمَاعِيلِ بْنِ صَالِحٍ . ثُمَّ صُرِفَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةَ ٣ .

فَوَلَّى إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَيْسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، مِنْ قَبْلِ الرَّشِيدِ ، عَلَى الصَّلَاةِ . فَقَدِمَ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَصُرِفَ فِي رَمَضَانَ ٤ .  
فَوَلَّى اللَّيْثُ بْنُ الْفَضْلِ الْأَبْيُورْدِي ، مِنْ أَهْلِ أَبِيوَرْدٍ (a) ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخَرَاجِ ، وَقَدِمَ لِخَمْسِ خَلْوَنٍ مِنْ سُؤَالٍ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الرَّشِيدِ لِسَبْعِ خَلْوَنٍ (b) مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ وَمِائَةَ بِالْمَالِ وَالْهَدَايَا ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ عَلِيَّ بْنَ الْفَضْلِ (c) ، ثُمَّ عَادَ فِي آخِرِ السَّنَةِ . وَخَرَجَ ثَانِيًا بِالْمَالِ لِتِسْعِ بَقِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسِ وَثَمَانِينَ ، وَاسْتَخْلَفَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ ، وَقَدِمَ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ . فَكَانَ كَلَّمَا أُغْلِقَ (d) خَرَاجَ سَنَةَ ، وَقَرَعَ مِنْ حِسَابِهَا ، خَرَجَ بِالْمَالِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَمَعَهُ الْحِسَابُ ٥ .

ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْخَوْفِ ، وَسَارُوا إِلَى الْفُسْطَاطِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ لِيَوْمَيْنِ بَقِيَا مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَمِائَةَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحِ عَلَى الْجُنْدِ ٦ .

(a) النسخ وبولاق : البيوردي ... بيورد والصواب ما أثبتته فاسم البلد أبيورد . (b) بولاق : بقين ، والمثبت من الأصل والكندي . (c) الأصل وبولاق : الفضل بن علي . (d) بولاق : غلق .

١ الكندي : ولاية مصر ١٦٣ . ٢ نفسه ١٦٣ . ٣ نفسه ١٦٤ . ٤ نفسه ١٦٤ - ١٦٥ . ٥ نفسه ١٦٥ - ١٦٦ .



والخِراج . فَوَاقَعَ أَهْلَ الحَوْفِ ، وَانْهَزَمَ عَنْهُ الجُنْدُ فَبَقِيَ فِي نَحْوِ المائَتَيْنِ ، فَحَمَلَ بِهِم وَهَزَمَ القَوْمَ مِنْ أَرْضِ الجُبِّ إِلَى غِيْفًا<sup>(a)</sup> ، وَبَعَثَ إِلَى الفُسْطَاطِ بِثمانينَ رَأْسًا وَقَدَّمَ . فَرَجَعَ أَهْلُ الحَوْفِ ، وَمَنَعُوا الخِراجَ . فَخَرَجَ لَيْثٌ إِلَى الرُّشِيدِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُ بِالجُيُوشِ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الخِراجِ مِنْ أَهْلِ الأَخْوَافِ إِلَّا بِجَيْشٍ<sup>١</sup> .

٥ فَرَفَعَ مَحْفُوظُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ يَضْمَنُ خِراجَ مِصرَ عَنْ آخِرِهِ بِغَيْرِ سَوَاطِئٍ وَلَا عَصَا . فَوَلَّاهُ الرُّشِيدُ الخِراجَ ، وَصَرَفَ لَيْثًا عَنِ الصَّلَاةِ وَالخِراجِ ، وَبَعَثَ أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ عَلَى الصَّلَاةِ مَعَ مَحْفُوظٍ . وَكَانَتْ وَلايَةُ لَيْثٍ أَرْبَعَ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ<sup>٢</sup> .

١٠ فَوَلَّى أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، مِنْ قِبَلِ الرُّشِيدِ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالخِراجِ . وَقَدِيمَ لِحَمِيسٍ بَقِيْنَ مِنْ جُمادَى الآخِرَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثمانينَ ، ثُمَّ صَرَفَ لثمانَ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثمانينَ ، فَوَلَّى سَتِينَ وَشَهْرًا وَنِصْفًا<sup>٣</sup> .

ثم وَلى عَبْدِ اللَّهِ<sup>(b)</sup> بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبراهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَاسْتُخْلِفَ لَهُيَعَةَ بْنُ عَيْسَى بْنِ لَهُيَعَةَ الحَضْرَمِيِّ ، ثُمَّ قَدِيمَ لِلنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ . وَصَرَفَ لِإِحدى عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعِينَ وَمِائَةً وَخَرَجَ ، وَاسْتُخْلِفَ هاشِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ<sup>٤</sup> .

١٥ فَوَلَّى الحُسَيْنُ بْنُ جَمِيلٍ ، مِنْ قِبَلِ الرُّشِيدِ ، عَلَى الصَّلَاةِ ، وَقَدِيمَ لِعَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضانَ ، ثُمَّ جُمِعَ لَهُ الخِراجُ مَعَ الصَّلَاةِ فِي رَجَبِ سَنَةِ إِحدى وَتِسْعِينَ<sup>٥</sup> .

١٠ وَخَرَجَ أَهْلُ الحَوْفِ ، وَامْتَنَعُوا مِنْ / أَداءِ الخِراجِ . وَخَرَجَ أَبُو النَّدَاءِ بِأَيْلَةٍ فِي نَحْوِ أَلْفِ رَجُلٍ ، فَقَطَعَ الطَّرِيقَ بِأَيْلَةٍ وَشُعَيْبٍ وَمَدْيَنٍ ، وَأَغَارَ عَلَى بَعْضِ قُرَى الشَّامِ ، وَضَوَى إِلَيْهِ مِنْ جُدَامِ جَماعَةٍ ، فَبَلَغَ مِنَ النَّهْبِ وَالقَتْلِ مَبْلَغًا عَظِيمًا .

٢٠ فَبَعَثَ الرُّشِيدُ مِنْ بَغْدَادِ جَيْشًا لِذَلِكَ ، وَبَعَثَ الحُسَيْنُ بْنُ جَمِيلٍ مِنْ مِصرَ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ الوَازِئِ ابنَ ضابئِ الجَزَوِيِّ فِي عَشْكَرٍ . فَالتَقَى العَشْكَرَانِ بِأَيْلَةٍ ، فَظَفِرَ عَبْدُ العَزِيزِ بِأَبِي النَّدَاءِ . وَسَارَ

(a) الأصل وبولاق : غيفة . (b) بولاق : عبید الله .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ١٦٦ . <sup>٢</sup> نفسه ١٦٧ . <sup>٣</sup> نفسه ١٦٧ . <sup>٤</sup> نفسه ١٦٨ . <sup>٥</sup> نفسه ١٦٨ - ١٦٩ .



جَيْشُ الرَّشِيدِ إِلَى بَلْبَيْسِ فِي شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ، فَأَذْعَنَ أَهْلُ الْخَوْفِ بِالْخِرَاجِ .  
وَصُرِفَ ابْنُ جَمِيلٍ لِسِتِّيْ عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ١ .

فَوَلِيَّ مَالِكِ بْنِ دَلْهَمِ بْنِ عُمَيْرِ الْكَلْبِيِّ عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخِرَاجِ ، وَقَدِيمَ لَسْبَعِ بَقِينَ مِنْ رَبِيعِ  
الْآخِرِ ٢ . وَفَرَعَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذِ أَمِيرِ جَيْشِ الرَّشِيدِ مِنْ أَمْرِ الْخَوْفِ ، وَقَدِيمَ الْفُسْطَاطِ لِعَشْرِ بَقِينَ مِنْ  
جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْأَخْوَافِ : « أَنْ أَقْدَمُوا حَتَّى أُوصِيَّ بِكُمْ مَالِكُ بْنُ دَلْهَمٍ » .  
فَدَخَلَ الرُّؤَسَاءُ مِنَ الْيَمَانِيَّةِ وَالْقَيْسِيَّةِ ، فَأَخَذَتْ عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابُ وَقِيدُوا ، وَسَارَ بِهِمْ لِلنِّصْفِ مِنْ  
رَجَبٍ ٣ .

وَصُرِفَ مَالِكُ لِأَرْبَعِ نَحَلَتْ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ثَلَاثِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ٤ .

فَوَلِيَّ الْحَسَنِ بْنِ التَّخْتَاخِ<sup>(a)</sup> بْنِ الْبَحْتِكَانِ<sup>(b)</sup> عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخِرَاجِ ، فَاسْتَخْلَفَ الْعَلَاءُ بْنُ  
عَاصِمِ الْخَوْلَانِيِّ ، وَقَدِيمَ لثَلَاثِ نَحَلُونَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .

وَمَاتَ الرَّشِيدُ ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ الْأَمِينَ ، فَتَارَ الْجُنْدُ بِمِصْرَ ، وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ قُتِلَ  
فِيهَا عِدَّةٌ . وَسَيَّرَ الْحَسَنُ مَالَ مِصْرَ ، فَوَثَبَ أَهْلُ الرَّمْلَةِ وَأَخَذُوهُ ٥ .

وَبَلَغَ الْحَسَنُ عَزْلَهُ ، فَسَارَ مِنْ طَرِيقِ الْحِجَازِ لِفَسَادِ طَرِيقِ الشَّامِ لِثَمَانِ بَقِينَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ  
أَرْبَعِ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَاسْتَخْلَفَ عَوْفَ بْنَ وَهْبِ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ زِيَادِ بْنِ طَبَقِ الْقَيْسِيِّ  
عَلَى الْخِرَاجِ ٦ .

فَوَلِيَّ حَاتِمِ بْنِ هَرْتَمَةَ بْنِ أَعْيَنَ ، مِنْ قِبَلِ الْأَمِينَ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالْخِرَاجِ . وَقَدِيمَ فِي أَلْفِ مِنْ  
الْأَبْنَاءِ فَتَزَلَ بَلْبَيْسَ ، فَصَالَحَهُ أَهْلُ الْأَخْوَافِ عَلَى خِرَاجِهِمْ .

وَتَارَ عَلَيْهِ أَهْلُ نَسُو وَتَمِّي وَعَشْكُرُوا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا فَانْهَزَمُوا ، وَدَخَلَ حَاتِمٌ إِلَى الْفُسْطَاطِ  
وَمَعَهُ نَحْوُ مِائَةٍ مِنَ الرَّهَائِنِ لِأَرْبَعِ نَحَلُونَ مِنْ شَوَّالِ . وَصُرِفَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسِ  
وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ٧ .

(a) بولاق : التختاخ . (b) بولاق : التختكان . (c) بولاق : تم .

١ الكندي : ولاية مصر ١٦٩ - ١٧٠ . ٢ نفسه ١٧١ . ٣ نفسه ١٧٢ . ٤ نفسه ١٧٢ . ٥ نفسه  
١٧٣ - ١٧٢ . ٦ نفسه ١٧٣ . ٧ نفسه ١٧٣ - ١٧٤ .



فولبي جابر بن الأشعث بن يحيى الطائي ، من قِبَل الأمين ، على الصَّلَاة والخِرَاج الخَمْسِ بقين من جُمادى الآخرة ، وكان لَيْتًا . فلَمَّا حَدَّثَتْ فِتْنَةُ الأَمِينِ والمَأْمُونِ ، قامَ السَّرِيُّ بنَ الحَكَمِ غَضَبًا للمَأْمُونِ ، ودَعَا النَّاسَ إلى نَحْلِ الأَمِينِ ، فأجابوه وبايَعُوا المَأْمُونِ لثمانِ بقين من جُمادى الآخرة سنة ستِّ وتسعين ، وأَخْرَجُوا جَابِرَ بنَ الأَشْعَثِ ، وكانت ولايته سنة ١ .

فولبي عَبَّادُ بن محمد بن حَيَّان أبو نصر ، من قِبَلِ المَأْمُونِ ، على الصَّلَاة والخِرَاج لثمانِ نَحْلُونَ من رَجَبِ ، بكتابِ هَزْمَةِ بنِ أَثَعَيْنِ - وكان وَكِيلَهُ على ضِياعِهِ بمصر - في الثامن من رَجَبِ سنة ستِّ وتسعين .

فبَلَغَ الأَمِينُ ما كان بمصر ، فكَتَبَ إلى رَيْبَعَةَ بنِ قَيْسِ بنِ الزُّبَيْرِ الجُرَشِيِّ - رَئِيسِ قَيْسِ الخَوْفِ - بولاية مصر ، وَكَتَبَ إلى جَماعَةٍ بِمُعاوَنَتِهِ ؛ فقامُوا بِبَيْعَةِ الأَمِينِ ، وَنَحَلُوا المَأْمُونِ ، وسارُوا لمُحارَبَةِ أهلِ الفُسطاطِ فَخَنَدَقَ عَبَّادُ .

وكانت حُرُوبٌ ، فَقُتِلَ الأَمِينُ . وَصُرِفَ عَبَّادُ في صَفَرِ سنة ثمانِ وتسعين ومائة ، فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر ٢ .

فولبي المَطْلِبُ بن عبد الله بن مالِكِ الخُزاعِيِّ ، من قِبَلِ المَأْمُونِ ، على الصَّلَاة والخِرَاجِ . فَدَخَلَ من مَكَّةَ لِلنَّصَفِ من ربيعِ الأَوَّلِ ، فكانت في أَيامِهِ حُرُوبٌ ، وَصُرِفَ في شَوَّالِ بعد سبعة أشهر ٣ .

فولبي العَبَّاسُ بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عَبَّاسِ ، من قِبَلِ المَأْمُونِ ، على الصَّلَاة والخِرَاجِ ؛ فَقَدِمَ ابنُه عبد الله ، ومعه الحُسَيْنُ بن عُبيد بن لُوطِ الأَنْصاري ، في آخِرِ شَوَّالِ فَسَجَنَّا المَطْلِبَ ٤ .

فثارَ الجُنْدُ مِرارًا ، فَمَنَعَهُمُ الأَنْصاري أُعْطِيائِهِمْ وَتَهَدَّدَهُمْ ، وَتَحامَلَ على الرِّعِيَّةِ وَعَسَفَهَا وَتَهَدَّدَ الجَمِيعَ ، فَثارُوا وَأَخْرَجُوا المَطْلِبَ من الحَبَسِ ، وأقاموه لأربعِ عشرة نَحَلَتْ من المحَرَّمِ سنة تسعٍ وتسعين ومائة .

(a) النجوم الزاهرة : وهيب .

٣ نفسه ١٧٨ ، ١٧٩ .

١ الكندي : ولاة مصر ١٧٤ ، ١٧٥ .

٤ نفسه ١٧٩ - ١٨٠ .

٢ نفسه ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ؛ وانظر فيما تقدم ١ : ٤٨١ .



وَأَقْبَلَ الْعَبَّاسُ فَنَزَلَ بِبَيْتِيسَ ، وَدَعَا قَيْسًا إِلَى نُصْرَتِهِ ، وَمَضَى إِلَى الْجَزَوِيِّ بِبَيْتِيسَ ، ثُمَّ عَادَ فَمَاتَ فِي بَيْتِيسَ لثَلَاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ <sup>١</sup> .

وَيُقَالُ إِنَّ الْمُطَّلِبَ دَسَّ إِلَيْهِ سُمًّا فِي طَعَامِهِ فَمَاتَ مِنْهُ . وَكَانَتْ حُرُوبٌ وَفِتْنٌ ، فَكَانَتْ وَلَايَةُ الْمُطَّلِبِ هَذِهِ سَنَةَ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ <sup>٢</sup> .

٥ ثُمَّ وَلِيَ السَّرِيِّ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ يُوسُفَ - مِنْ قَوْمِ الرُّطِّ وَمِنْ أَهْلِ بَلْخَ - بِاجْتِمَاعِ الْجُنْدِ عَلَيْهِ عِنْدَ قِيَامِهِ عَلَى الْمُطَّلِبِ فِي مَسْتَهْلَ رَمَضَانَ سَنَةَ مَائَتَيْنِ <sup>٣</sup> .

ثُمَّ وَلِيَ سُلَيْمَانَ بْنَ غَالِبِ بْنِ جَبْرِيلَ الْبَجَلِيِّ عَلَى الصَّلَاةِ وَالخِرَاجِ ، بِمُبَايَعَةِ الْجُنْدِ لَهُ ، لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى وَمَائَتَيْنِ ، فَكَانَتْ حُرُوبٌ . ثُمَّ صُرِفَ بَعْدَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ <sup>٤</sup> .

١٠ وَأُعِيدَ السَّرِيُّ بْنُ الْحَكَمِ ثَانِيًا ، مِنْ قِبَلِ الْمَأْمُونِ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالخِرَاجِ . فَذُمَّتْ وَلَايَتُهُ ، وَأُخْرِجَهُ الْجُنْدُ مِنَ الْحَبْسِ لثَنَتِي عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْ شَعْبَانَ ، وَتَبَّعَ مِنْ حَارَبَةَ وَقَوِي أَمْرَهُ ، وَمَاتَ وَهُوَ وَالِ لَانِشْلَاخِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ خَمْسِ وَمَائَتَيْنِ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ هَذِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَثَمَانِيَةَ عَشْرٍ يَوْمًا <sup>٥</sup> .

١٥ فَوَلِيَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ السَّرِيِّ أَبُو نَصْرٍ ، أَوَّلَ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالخِرَاجِ ، وَكَانَ الْجَزَوِيُّ قَدْ غَلَبَ عَلَى أَشْفَلِ الْأَرْضِ / ، فَجَزَّتْ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ . ثُمَّ مَاتَ لثَمَانِ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ سِتِّ وَمَائَتَيْنِ . وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ أَرْبَعَةَ عَشْرَ شَهْرًا <sup>٦</sup> .

ثُمَّ وَلِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ السَّرِيِّ بْنِ الْحَكَمِ ، بِمُبَايَعَةِ الْجُنْدِ ، لِتَسْعِ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالخِرَاجِ . فَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَزَوِيِّ حُرُوبٌ إِلَى أَنْ قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ، وَأَذْعَنَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي آخِرِ صَفْرِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمَائَتَيْنِ <sup>٧</sup> .

٢٠ فَوَلِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُضْعَبٍ ، مِنْ قِبَلِ الْمَأْمُونِ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالخِرَاجِ . فَدَخَلَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِلَّيْلَتَيْنِ خَلْنَا مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمَائَتَيْنِ ، وَأَقَامَ فِي مُعَشَكَرِهِ حَتَّى خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّرِيِّ إِلَى بَغْدَادَ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى <sup>٨</sup> .

<sup>١</sup> الكندي: ولاية مصر ١٨٠ . <sup>٢</sup> نفسه ١٨١ . <sup>٣</sup> نفسه ١٨٦ . <sup>٤</sup> نفسه ١٩٠ ، ١٩١ .

<sup>٥</sup> نفسه ١٩١ ، ١٩٦ . <sup>٦</sup> نفسه ١٩٦ ، ١٩٨ . <sup>٧</sup> نفسه ١٩٨ ؛ وفيما تقدم ٤٨٣:١ . <sup>٨</sup> نفسه ٢٠٦ .



ثم سار إلى الإسكندرية مستهل صفر سنة اثنتي عشرة، واستخلف عيسى بن يزيد الجلودى، فحصرها بضع عشرة ليلة، ورجع في جمادى الآخرة، وأمر بالزيادة في الجامع العتيق فزيد فيه مثله<sup>١</sup>. وركب النيل متوجهاً إلى العراق لخمس بقين من رجب، وكان مقامه بمصر واليا سبعة عشر شهراً وعشرة أيام<sup>٢</sup>.

ثم ولي عيسى بن يزيد الجلودى، باستخلاف ابن طاهر، على صلاتها إلى سابع عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة، فصرف ابن طاهر. وولي الأمير أبو إسحاق بن هارون الرشيد مصر، فأقر عيسى على الصلاة فقط، وجعل على الخراج صالح بن شيرازاد، فظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم. فانتفض أهل أسفل الأرض وعشكروا، فبعث عيسى بابنه محمد في جيش، فحاربوه، فانهزم وقتل أصحابه في صفر سنة أربع عشرة<sup>٣</sup>.

فولي عمير بن الوليد التميمي، باستخلاف أبي إسحاق بن الرشيد، على الصلاة لسبع عشرة خلعت من صفر، وخرج معه عيسى الجلودى لقتال أهل الحوف في ربيع الآخر، واستخلف ابنه محمد بن عمير. فاقتتلوا، وكانت بينهم معارك قتل فيها عمير لسبب عشرة خلعت من ربيع الآخر، فكانت مدة إمرته ستين يوماً<sup>٤</sup>.

فولي عيسى الجلودى ثانياً لأبي إسحاق على الصلاة، فحارب أهل الحوف بمئة ماطر، ثم انهزم في رجب. وأقبل أبو إسحاق إلى مصر في أربعة آلاف من أتراكه، فقاتل أهل الحوف في شعبان، ودخل إلى مدينة القسطنطين لثمان بقين منه، وقتل أكابر أهل<sup>٥</sup> الحوف.

ثم خرج إلى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين في أتراكه، ومعه جمع من الأسارى في ضر وجهد شديد<sup>٦</sup>.

وولي على مصر عبدويه بن جبلة من الأبناء على الصلاة، فخرج ناس بالحوف في شعبان، فبعث إليهم وحرابهم حتى ظفروا بهم<sup>٧</sup>.

(a) ساقطة من بولاق.

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ٢٠٧، وانظر تفصيل ذلك فيما يلي ٢: ٢٤٩. <sup>٢</sup> نفسه ٢٠٧-٢٠٨. <sup>٣</sup> نفسه ٢٠٨. <sup>٤</sup> نفسه ٢٠٩، ٢١٠. <sup>٥</sup> نفسه ٢١١، ٢١٢. <sup>٦</sup> نفسه ٢١٣. <sup>٧</sup> نفسه ٢١٣.



ثم قَدِمَ الْأَفْشِينُ خَيْدَرًا<sup>(a)</sup> بنَ كَاوَسِ الصُّغْدِيِّ<sup>(b)</sup> إلى مِصْرَ لثَلَاثِ خَلَوْنٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَمَعَهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَزَوِيُّ لِأَخْذِ مَالِهِ ، فَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِ شَيْئًا فَقَتَلَهُ . وَصُرِفَ عَبْدُ وَثَنُهُ ، وَخَرَجَ إِلَى بَرْقَةَ<sup>٢</sup> .

وَوَلِيَ عَيْسَى بْنُ مَنْصُورِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَيْسَى الرَّافِعِيِّ<sup>(c)</sup> ، فَوَلِيَ مِنْ قَبْلِ أَبِي إِسْحَاقَ أَوَّلَ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ عَلَى الصَّلَاةِ ، فَانْتَقَضَتْ أَسْفَلُ الْأَرْضِ - غَرْبُهَا وَقِبْطُهَا - فِي جُمَادَى الْأُولَى ، وَأَخْرَجُوا الْعُمَّالَ لِسُوءِ سِيرَتِهِمْ ، وَخَلَعُوا الطَّاعَةَ . فَقَدِمَ الْأَفْشِينُ مِنْ بَرْقَةَ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، ثُمَّ خَرَجَ هُوَ وَعَيْسَى فِي سَوَالٍ ، فَأَوْقَعَا بِالْقَوْمِ وَأَسْرَا مِنْهُمْ وَقَتَلَا ، وَمَضَى الْأَفْشِينُ وَرَجَعَ عَيْسَى ، فَسَارَ الْأَفْشِينُ إِلَى الْحَوْفِ وَقَتَلَ جَمَاعَتَهُمْ<sup>٣</sup> .

وَكَانَتْ حُرُوبٌ إِلَى أَنْ قَدِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَأْمُونُ ، لِعَشْرِ خَلَوْنٍ مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ ، فَسَخِطَ عَلَى عَيْسَى ، وَحَلَّ لِوَأَتِهِ ، فَأَخَذَهُ بِلِبَاسِ الْبِيَاضِ ، وَنَسَبَ الْحَدِيثَ إِلَيْهِ وَإِلَى عُمَّالِهِ . وَسَيَّرَ الْجِيُوشَ ، وَأَوْقَعَ بِأَهْلِ الْفَسَادِ ، وَسَبَى الْقِبْطَ وَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ ، ثُمَّ رَحَلَ لِثَمَانَ عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْ صَفَرٍ بَعْدَ تِسْعَةِ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا<sup>٤</sup> .

وَوَلِيَ كَيْدَرًا - وَهُوَ نَصْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو مَالِكِ الصُّغْدِيِّ<sup>(b)</sup> - فَوَرَدَ كِتَابُ الْمَأْمُونِ عَلَيْهِ بِأَخْذِ النَّاسِ بِالْمِحْنَةِ<sup>٥</sup> فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ ، وَالْقَاضِي بِمِصْرَ يَوْمئِذٍ هَارُونَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيُّ ، فَأَجَابَ وَأَجَابَ الشُّهُودَ ، وَمَنْ وَقَفَ مِنْهُمْ سَقَطَتْ شَهَادَتُهُ ، وَأَخَذَ بِهَا الْقُضَاةَ وَالْمُحَدِّثُونَ وَالْمُؤَدِّبُونَ ، فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ سَنَةِ ثَمَانَ عَشْرَةَ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ<sup>٦</sup> .

(a) بولاق : حيدر . (b) بولاق : الصفدي . (c) بولاق : الرافي .

<sup>١</sup> الأفشين خيدر بن كاوس الصغددي ، قال ابن خلكان : «والأفشين ... بكسر الهمزة وفتحها واسمه خيدر - بفتح الحاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وبعدها راء - وإنما قيده لأنه يتصحف على كثير من الناس بخيدر ، بالحاء المهملة» . (وفيات الأعيان ٥ : ١٢٣) .

<sup>٢</sup> الكندي : ولاة مصر ٢١٤ .

<sup>٣</sup> نفسه ٢١٤ - ٢١٥ .

<sup>٤</sup> نفسه ٢١٦ .

المأمون الذي كانت ميوله الفارسية سببًا في مناقشته بحماس نظريات المعتزلة الذين أباحوا حرية التفكير ، ومن بينها القول بأن القرآن - وإن كان وحيا - إلا أنه مخلوق ، فخالف بذلك ما كان مستقرا من أن القرآن أزلي غير مخلوق . وجاءت «المحنة» نتيجة لإلزام المأمون العلماء ومجلة الفقهاء الأخذ بذهبه . (أحمد فريد رفاعي : عصر المأمون ، القاهرة Hinds, M., *El* art. *Mihna* : ٣٩٥-٣٩٨ ، ١٩٢٨ ، (VII, pp. 2-7) .

<sup>٦</sup> الكندي : ولاة مصر ٢١٧ .

<sup>٥</sup> المحنة ، هي ميحنة «خلق القرآن» التي تبناها الخليفة



ومات المأمون في رجب سنة ثمان عشرة ، وبُويَع أبو إسحاق المعتصم ، فوردَ كتابه على كئيدر بيئته ، ويأمره بإسقاط مَنْ في الديوان من العربِ وقطع العطاء عنهم ، ففعل ذلك <sup>١</sup> .

فخرج يحيى ابن الوزير الجزوي في جمع من لحم ومُجذام . ومات كئيدر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين <sup>٢</sup> .

فولي ابنه المظفر بن كئيدر ، باستخلاف أبيه ، وخرج إلى يحيى بن وزير ، وقاتله وأسره في جمادى الآخرة . ثم صرِفَ <sup>٣</sup> مصر إلى أبي جعفر أشناس ، فدعي له بها ، وصرِفَ مظفر في شعبان <sup>٤</sup> .

فولي موسى بن أبي العباس ، من قبل أشناس ، على الصلاة مستهل شهر رمضان سنة تسع عشرة ، وصرِفَ في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين ، فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر <sup>٥</sup> .

فولي مالك بن كئيدر بن عبد الله الصُّغدي <sup>٦</sup> ، من قبل أشناس ، على الصلاة ، وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر ، وصرِفَ لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين . فولي سنتين وأحد عشر يوماً ، وتوفي لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين / ومائتين <sup>٧</sup> .

فولي علي بن يحيى الأزمني ، من قبل أشناس ، على صلاتها . وقدم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين ومائتين . ومات المعتصم في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ، وبُويَع الواثق بالله ، فأقره إلى سابع ذي الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين ، فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر <sup>٨</sup> .

ثم ولي عيسى بن منصور الثانية ، من قبل أشناس ، على صلاتها ، فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومائتين . ومات أشناس سنة ثلاثين ، وجعل مكانه إيتاخ ، فأقر عيسى <sup>٩</sup> .

ومات الواثق ، وبُويَع المتوكل ، فصرف عيسى للنصف من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، وقدم على ابن مَهرويه خليفة هَرثمة بن النضر . ثم مات عيسى في قبة الهواء بعد عزله لإحدى عشرة خلّت من ربيع الآخر <sup>١٠</sup> .

(a) بولاق : صرف . (b) بولاق : الصفدي .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٢١٧ . <sup>٢</sup> نفسه ٢١٧ ، ٢١٨ . <sup>٣</sup> نفسه ٢١٨ . <sup>٤</sup> نفسه ٢١٩ . <sup>٥</sup> نفسه ٢١٩ -  
٢٢٠ . <sup>٦</sup> نفسه ٢٢٠ . <sup>٧</sup> نفسه ٢٢١ . <sup>٨</sup> نفسه ٢٢١ .



فَوْلِيُّ هَرَثِمَةَ بْنِ نَضْرَ الْجَبَلِيِّ ، مِنْ أَهْلِ الْجَبَلِ ، لِإِيتَاخِ عَلَى الصَّلَاةِ . وَقَدِيمٌ لَسْتُ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ . فَوَرَدَ كِتَابُ الْمُتَوَكَّلِ بِتَرْكِ الْجِدَالِ فِي الْقُرْآنِ لِحَمْسِ خَلَوْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ . وَمَاتَ هَرَثِمَةُ وَهُوَ وَالِيٌ ، لَسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ ، وَاسْتُخْلِفَ ابْنَهُ حَاتِمُ بْنُ هَرَثِمَةَ <sup>١</sup> .

٥ فَوْلِيُّ حَاتِمُ بْنُ هَرَثِمَةَ بْنِ النَّضْرِ بِاسْتِخْلَافِ أَبِيهِ لَهُ ، عَلَى الصَّلَاةِ ، وَصُرِفَ لَسْتُ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ <sup>٢</sup> .

فَوْلِيُّ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْأَزْمِنِيِّ الثَّانِيَةِ ، مِنْ قَبْلِ إِيْتَاخِ عَلَى الصَّلَاةِ لَسْتُ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ . وَصُرِفَ إِيْتَاخُ فِي الْحَرَمِ سَنَةِ خَمْسِ وَثَلَاثِينَ ، وَاسْتُضْفِيَتْ أَمْوَالُهُ بِمِصْرَ ، وَتُرِكَ الدُّعَاءُ لَهُ ، وَدُعِيَ لِلْمُنْتَصِرِ <sup>٣</sup> مَكَانَهُ ، وَصُرِفَ عَلِيُّ فِي ذِي الْحِجَّةِ <sup>٤</sup> مِنْهَا <sup>٥</sup> .

١٠ فَوْلِيُّ إِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُعَاذِ بْنِ مُسْلِمِ الْخُثَلِيِّ <sup>٦</sup> ، مِنْ قَبْلِ الْمُنْتَصِرِ وَلِيٌّ عَهْدَ أَبِيهِ الْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالخَرَاجِ ، فَقَدِيمٌ لِأَحَدِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، فَوَرَدَ كِتَابُ الْمُتَوَكَّلِ وَالْمُنْتَصِرِ بِإِخْرَاجِ الطَّالِبِينَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَأُخْرِجُوا . وَمَاتَ إِسْحَاقُ بَعْدَ عَزْلِهِ أَوَّلَ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ <sup>٧</sup> .

١٥ فَوْلِيُّ خَوْطِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَنصُورِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ زُرَيْقٍ ، مِنْ قَبْلِ الْمُنْتَصِرِ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَالخَرَاجِ . فَقَدِيمٌ لَسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ ، وَصُرِفَ عَنِ الخَرَاجِ لَسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ ، وَأُقِرَّ عَلَى الصَّلَاةِ . ثُمَّ صُرِفَ سَلَخَ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ بِخَلِيفَتِهِ عَنبَسَةَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالشَّرْكَةِ فِي الخَرَاجِ مُسْتَهْلَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ <sup>٨</sup> .

٢٠ فَوْلِيُّ عَنبَسَةَ بْنِ إِسْحَاقِ بْنِ شَمِيرِ بْنِ عَبَّاسِ أَبِي جَابِرٍ ، مِنْ قَبْلِ الْمُنْتَصِرِ ، عَلَى الصَّلَاةِ وَشَرِيكًا لِأَحْمَدَ بْنِ خَالِدِ الصُّرَيْفِيِّ صَاحِبِ الخَرَاجِ . فَقَدِيمٌ لِحَمْسِ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ثَمَانِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ ، وَأَخَذَ الْعُمَّالَ بَرْدَ الْمَظَالِمِ ، وَأَقَامَهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَنْصَفَ مِنْهُمْ ، وَأَظْهَرَ مِنَ الْعَدْلِ مَا لَمْ يُسْمَعِ بِمِثْلِهِ فِي زَمَانِهِ . وَكَانَ يَرُوحُ مَاشِيًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَكَانَ يُنَادِي

(a) آياصوفيا : للمنتصر . (b) الكندي : في ذي القعدة . (c) بولاق : الجبلي .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٢٢ . <sup>٢</sup> نفسه ٢٢٢ . <sup>٣</sup> نفسه ٢٢٣ . <sup>٤</sup> نفسه ٢٢٣ ، ٢٢٤ . <sup>٥</sup> نفسه ٢٢٥ ، ٢٢٦ .



في شهر رَمَضان : السُّحور ، وكان يُزَمَى بمَذْهَب الخَوارج <sup>١</sup> .

وفي ولايته نَزَلَ الرُّومُ دِمِياط ومَلَكُوها وما فيها ، وَقَتَلُوا بها جَمْعًا كثيرًا من النَّاسِ ، وَسَبَّوا  
النِّسَاءَ والأَطْفَالَ . فَتَفَرَّ إليهم يَوْمَ النَّحْرِ من سنة ثمانٍ وثلاثين في جَيْشِهِ وكثير من النَّاسِ ، فلم  
يُذَرِّكُهُم <sup>٢</sup> .

وأفرد بالخِراج <sup>٣</sup> مع الصَّلَاة ، ثم صُرِفَ عن الخِراج أولَ جُمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين  
وأفرد بالصَّلَاة ، ووَزِدَ الكِتَابُ بالدُّعاء للفتح بن خاقان في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين ، فدَعَا  
له . وَعَنْبَسَةُ هذا أَخْرَجَ من وَلِيٍّ مصر من العَرَبِ ، وأَجْرُ أميرِ صُلَى بالنَّاسِ في المَسْجِدِ الجامِعِ ،  
وصُرِفَ أولَ شهر <sup>٤</sup> رَجَبٍ منها .

فَقَدِمَ العَبَّاسُ بن عبد الله بن دينار خَلِيفَةَ يزيد بن عبد الله ، بولاية يزيد . وكانت ولاية عُنْبَسَةَ  
أربع سنين وأربعة أشهر ، وخَرَجَ إلى العراق في رَمَضان سنة أربع وأربعين <sup>٥</sup> .

فولِيَ يزيد بن عبد الله بن دينار أبو خالد من الموالي ، ولأه المُنْتَصِرَ على الصَّلَاة ، فَقَدِمَ لعشر  
بقيين من رَجَبِ سنة اثنتين وأربعين ، فَأَخْرَجَ المُوَثِّينَ من مصر وضرَبَهُم وطافَ بهم ، وَمَنَعَ من  
الدُّعاء على الجَنَائِزِ ، وضرَبَ فيه ، وخَرَجَ إلى دِمِياط مُرابِطًا في المحرَّم سنة خمسٍ وأربعين ، ورَجَعَ  
في ربيع الأول ، فبَلَغَهُ نُزولُ الرُّومِ الفَرَمَا ، فرَجَعَ إليها فلم يَلْقَهُم <sup>٦</sup> .

وعَطَّلَ الرُّهَانَ ، وباعَ الخَيْلَ التي تُتَّخَذُ للسلطان ، فلم تَجْرَ إلى سنة تسعٍ وأربعين . وتَبَع  
الرُّوافِضَ ، وحَمَلَهُم إلى العراق ، وبَنَى مِقْيَاسَ النِّيلِ في سنة سبعٍ وأربعين <sup>٧</sup> . وجَرَّتْ على العَلَوِيِّينَ  
في ولايته شَدَائِدٌ <sup>٨</sup> .

ومَاتَ المُنْتَوَكُّلُ في شَوَّال ، وبُويِعَ ابنُه محمد المُنْتَصِرُ ، ومَاتَ الفَتْحُ بن خاقان ، فَأَقْرَأَ  
المُنْتَصِرُ يزيدَ على مصر . ثم مات المُنْتَصِرُ في ربيع الأول سنة ثمانٍ وأربعين ، وبُويِعَ  
المُسْتَعِينُ ، فوَزِدَ كِتَابُهُ بالاسْتِشْقَاءَ لِقَحْطِ كان بالعِراقِ ، فاستَشَقُّوا لسبع عشرة خَلَّتْ من

(a) بولاق : وأضيف له الخراج . (b) ساقطة من بولاق .

<sup>٤</sup> نفسه ٢٢٨-٢٢٩ .

<sup>٥</sup> فيما تقدم ١ : ١٥٢ .

<sup>٦</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٢٩ .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٢٦ .

<sup>٢</sup> فيما تقدم ١ : ٥٨٢ .

<sup>٣</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٢٧-٢٢٨ .



ذي القعدة، واستسقى أهل الآفاق في يوم واحد<sup>١</sup>.

وخلع المستعين في المحرم سنة اثنتين وخمسين، وبُوعِ الْمُعْتَرُ، فخرج جابر بن الوليد بأرض الإسكندرية، وكانت هناك حروب ابتدأت من ربيع الآخر<sup>٢</sup>، فقدم مزاحم بن خاقان من العراق معيناً ليزيد في جيش كثيف لثلاث عشرة بقية من رجب، فواقعهم حتى ظفر بهم<sup>٣</sup>. ثم صرف يزيد، وكانت مدته عشر سنين وسبعة أشهر وعشرة أيام<sup>٤</sup>.

فولي مزاحم بن خاقان بن / غرطوح أبو الفوارس التركي، لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائتين، على الصلاة من قبل المعتز. وخرج إلى الحوف فأوقع بأهله وعاد، ثم خرج إلى الجيزة، فسار إلى تروجة فأوقع بأهلها وأسرع عدة من أهل البلاد، وقتل كثيراً، وسار إلى الفيوم فطاش سيفه وكثر إيقاعه بشكان النواحي، وعاد<sup>٥</sup>.

- ١٠ وولي الشرطة أرجوز<sup>(a)</sup>، فمَنَعَ النِّسَاءَ مِنَ الْحَمَامَاتِ وَالْمَقَابِرِ، وَسَجَنَ الْمُؤَنَّثِينَ وَالنَّوَائِحَ، وَمَنَعَ مِنَ الْجَهْرِ بِالْبِسْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ بِالْجَامِعِ فِي رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ مِصْرَ عَلَى الْجَهْرِ بِهَا فِي الْجَامِعِ مِنْذَ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ مَنَعَ مِنْهَا أَرْجُوزٌ<sup>(a)</sup>. وَأَخَذَ أَهْلَ الْجَامِعِ بِتَمَامِ الصُّفُوفِ، وَوَكَّلَ بِذَلِكَ رَجُلًا مِنَ الْعَجَمِ يَقُومُ بِالسُّوْطِ مِنْ مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ، وَأَمَرَ أَهْلَ الْحِلْقِ بِالتَّحَوُّلِ إِلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَمَنَعَ مِنَ الْمَسَائِدِ الَّتِي يُسْتَنَدُ إِلَيْهَا، وَمَنِ الْحُضْرَ الَّتِي كَانَتْ لِلْمَجَالِسِ فِي الْجَامِعِ. وَأَمَرَ أَنْ تُصَلَّى التَّرَاوِيحُ فِي رَمَضَانَ خَمْسَ تَرَاوِيحَ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ مِصْرَ يُصَلُّونَهَا سِتًّا إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ. وَمَنَعَ مِنَ التَّثْوِيبِ، وَأَمَرَ بِالْأَذَانِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسْجِدِ، وَأَنْ يُغْلَسَ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ. وَنَهَى أَنْ يُشَقَّ ثَوْبٌ عَلَى مَيِّتٍ، أَوْ يُسَوَّدَ وَجْهٌ، أَوْ يُحْلَقَ شَعْرٌ، أَوْ تَصِيحَ امْرَأَةٌ، وَعَاقَبَ فِي ذَلِكَ وَشَدَّدَ فِيهِ.

ثم مات مزاحم لخمس مضي من المحرم سنة أربع وخمسين<sup>٦</sup>.

- ٢٠ فاستخلف ابنه أحمد بن مزاحم، فولي باستخلاف أبيه على الصلاة، إلى أن مات لسبع خلون من ربيع الآخر، فكانت ولايته شهرين ويوماً<sup>٧</sup>. فاستخلف أرجوز<sup>(a)</sup> بن أولغ طرخان

(a) بولاق : أرجور وعند الكندي : أرجور .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٣٠ . <sup>٢</sup> نفسه ٢٣١ . <sup>٣</sup> نفسه ٢٣٣ . <sup>٤</sup> نفسه ٢٣٤ . <sup>٥</sup> نفسه ٢٣٤ ، ٢٣٥ . <sup>٦</sup> نفسه ٢٣٦ - ٢٣٧ . <sup>٧</sup> نفسه ٢٣٧ .



التركي على الصلاة، فولِّي خمسة أشهر ونصفًا. وخرَج أوَّل ذي القعدة بعد أن صُرِفَ بأحمد بن طولون في شهر رَمَضان سنة أربع وخمسين ومائتين<sup>١</sup>.  
وإليه كان أمرُ البلدِ جميعه من أيَّام مُزاجِم، وفي أيَّام ابنه أحمد أيضًا، والله أعلم.

### ذكر القطائع ودولة بني طولون

اعلم أن «القطائع» قد زالت آثارها، ولم يبق لها رسمٌ يُعرف. وكان موضعها من قبة الهواء - التي صار مكانها قلعةُ الجبل - إلى جامع ابن طولون، وهذا أشبه أن يكون طول القطائع. وأما عرضها فإنه من أوَّل الرميثة تحت القلعة إلى الموضع الذي يُعرف اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يُقال له الآن زين العابدين<sup>٢</sup>.

وكانت مساحة القطائع ميلًا في ميل، فقبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعةُ الجبل، وتحت قبة الهواء قصرُ ابن طولون، وموضع هذا القصر الميدانُ السلطاني تحت القلعة، والرميثة التي تحت القلعة مكان سوق الخيل والحُمير والجمال كانت بُشتانًا، ويُجاورها الميدانُ، في الموضع الذي يُعرف اليوم بالقبببات، فيصير الميدانُ فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه أحمد ابن طولون. وبجذاء الجامع دارُ الإمارة في جهته القبليَّة، ولها بابٌ من جدار الجامع يُخرج منه إلى المقصورة المحيطة بمصلى الأمير إلى جوار المحراب. وهناك أيضًا دارُ الحرم.

والقطائع عدَّة قطع تسكن فيها عبيدُ ابن طولون وعساكره وغلمانه، وكلُّ قطعة لطائفة. فيقال قطعة السودان، وقطعة الروم، وقطعة الفَرَّاشين، ونحو ذلك، فكانت كلُّ قطعة لسكنى جماعةٍ بمنزلة الحارات التي بالقاهرة<sup>٣</sup>.

وكان ابتداءُ عمارة هذه القطائع وسببها أن أمير المؤمنين المعتصم بالله، أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد، لما اختص بالأتراك، ووضع من العرب وأخرجهم من الديوان وأسقط أسماءهم

<sup>١</sup> الكندي: ولاية مصر ٢٣٨.  
<sup>٢</sup> أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤.  
<sup>٣</sup> نفسه ٣: ١٥؛ ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢١ -  
١٢٢؛ وعن تاريخ مدينة القطائع، العاصمة الإسلامية الثالثة  
في مصر، انظر - Salmon, G., Étude sur la topogra-  
phie du Caire: la Kal'at al-Kabch et la Birkat al-Fil, Le Caire 1902; Hassan, Z.M., Les Tulunides, pp. 288-92؛ زكي محمد حسن: الفن الإسلامي في مصر، القاهرة ١٩٣٧؛ فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة)، القاهرة ١٩٧٠؛ Fu'ad Sayyid, A., La Capitale de l'Égypte, pp. 34-36.



وَمَتَّعَهُمُ الْعَطَاءَ ، وَجَعَلَ الْأَثْرَاكَ أَنْصَارَ دَوْلَتِهِ وَأَعْلَامَ دَعْوَتِهِ ؛ كَانَ مِنْ عَظُمَاتٍ عِنْدَهُ مَنْزِلَتُهُ ، قَلَّدَهُ الْأَعْمَالَ الْجَلِيلَةَ الْخَارِجَةَ عَنِ الْحَضْرَةِ ، فَيَسْتَخْلِفُ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ الَّذِي تَقَلَّدَهُ مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِ ، وَيَحْمِلُ إِلَيْهِ مَالَهُ ، وَيُدْعَى لَهُ عَلَى مَنَابِرِهِ كَمَا يُدْعَى لِلْخَلِيفَةِ . وَكَانَتْ مِصْرُ عِنْدَهُمْ بِهَذِهِ السَّبِيلِ . وَقَصَدَ الْمُعْتَصِمُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ بِذَلِكَ الْعَمَلِ مَعَ الْأَثْرَاكِ ، مُحَاكَاةً مَا فَعَلَهُ الرَّشِيدُ بَعْدَ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ ، وَالْمَأْمُونُ بِطَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ ؛ فَفَعَلَ الْمُعْتَصِمُ مِثْلَ ذَلِكَ بِالْأَثْرَاكِ ، فَقَلَّدَ أُسْنَانَ ، وَقَلَّدَ الْوَائِقَ إِيْتَاخَ ، وَقَلَّدَ الْمُتَوَكَّلَ بُعَاً<sup>(a)</sup> وَوَصِيفَ ، وَقَلَّدَ الْمُهْتَدِيَّ يَارْجُوخَ<sup>(b)</sup> ، وَغَيْرَ مِنْ ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَعْمَالِ الْأَقَالِيمِ مَا قَدْ تَضَمَّنَتْهُ كُتُبُ التَّارِيخِ<sup>١</sup> .

فَتَقَلَّدَ بِأَكْبَاكِ مِصْرَ ، وَطَلَبَ مِنْ يَخْلُفُهُ عَلَيْهَا ؛ وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ طُوْلُوْنَ قَدْ مَاتَ أَبُوهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَخْمَدُ عَشْرُونَ سَنَةً مِنْذُ وُلِدَ مِنْ جَارِيَةٍ كَانَتْ تُدْعَى قَاسِمَ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ عَشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَوَلَدَتْ أَيْضًا أَخَاهُ مُوسَى وَحَبَشِيَّةَ وَشُمَانَةَ .

وَكَانَ طُوْلُوْنَ مِنَ الطُّغْرُغْزُ<sup>٢</sup> مِمَّا حَمَلَهُ نُوحُ بْنُ أَسَدٍ عَامِلِ بُخَارَى إِلَى الْمَأْمُونِ - فِيمَا كَانَ مُوَظَّفًا عَلَيْهِ - مِنَ الْمَالِ وَالرَّقِيقِ وَالْبَرَّادِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ مِائَتَيْنِ<sup>٣</sup> .

فَنَشَأَ أَحْمَدُ بْنُ طُوْلُوْنَ نَشْأً جَمِيلًا غَيْرَ نَشْءِ أَوْلَادِ الْعَجَمِ ، فَوُصِفَ بِعُلُوِّ الْهَيْمَةِ ، وَحُسْنِ الْأَدَبِ ، وَالذَّهَابِ بِنَفْسِهِ عَمَّا كَانَ يَتَرَامَى إِلَيْهِ أَهْلُ طَبَقَتِهِ ، وَطَلَبَ الْحَدِيثَ ، وَأَحَبَّ الْغَزْوَ ، وَخَرَجَ إِلَى طَرَسُوسَ / مَرَّاتٍ ، وَلَقِيَ الْمُحَدِّثِينَ وَسَمِعَ مِنْهُمْ وَكَتَبَ الْعِلْمَ ، وَصَحِبَ الزُّهَادَ وَأَهْلَ الْوَرَعِ فَتَأَدَّبَ بِأَدَابِهِمْ .

وَظَهَرَ فَضْلُهُ ، فَاشْتَهَرَ عِنْدَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَتَمَيَّزَ عَلَى الْأَثْرَاكِ ، وَصَارَ فِي عِدَادِ مَنْ يُوثَقُ بِهِ ، وَيُؤْتَمَنُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْأَشْرَارِ فَزَوَّجَهُ يَارْجُوخَ<sup>(b)</sup> ابْنَتَهُ ، وَهِيَ أُمُّ ابْنِ الْعَبَّاسِ وَابْنَتُهُ فَاطِمَةُ . ثُمَّ إِنَّهُ سَأَلَ

(a) بولاق : نقا . (b) بولاق : ماجور .

<sup>٢</sup> الطُّغْرُغْزُ . مصطلح استخدمه المؤرخون المسلمون للتدليل على جنس الأوغور حتى نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي (انظر المسعودي : التنبيه والإشراف ٨٣ ؛ Golden, P.B., *El<sup>2</sup> art. Toghuzghuz* (X, pp. 596-98) .

<sup>٣</sup> نقلًا عن ابن الداية مصدر ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ٧٣؛ أبو المحاسن : النجوم ٣ : ٣ .

<sup>١</sup> هذا نوع من الإقطاع الإداري يعود إلى الفترة التي استولى فيها الأتراك على السلطة في سامراء ، وبلغ هذا الإقطاع الإداري ذروته في عهدي المعتمد والموفق طلحة ، وقد أتاح هذا النظام للوالي أن يستغل عائد ولايته لدفع مرتبات رجاله في مقابل مبلغ متفق عليه يدفع مقدمًا إلى بيت المال المركزي ( Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, p. 35 ) .



الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على الثغر، فأجابته، وخرج إلى طرسوس فأقام بها، وشق على أمه مفارقتها، فكاتبته بما أفلقه.

فلما قفل الناس إلى سر من رأى، سار معهم<sup>(a)</sup> إلى لقاء أمه، وكان في القافلة نحو خمس مائة رجل، والخليفة إذ ذاك المستعين بالله أحمد بن المعتصم، وكان قد أنفذ خادماً إلى بلاد الروم لعمل أشياء نفيسة، فلما عاد بها - وهي وقر بغل - إلى طرسوس، خرج مع القافلة. وكان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين، فطرق الأعراب بعض سوادهم، وجاء الصائح، فبدر أحمد بن طولون لقتالهم وتبعوه، فوضع السيف في الأعراب، ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وفرّوا منه. وكان من جملة ما استنقذ من الأعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة، فعظم أحمد بما فعل عند الخادم، وكبر في أعين القافلة.

فلما وصلوا إلى العراق، وشاهد المستعين ما أحضره الخادم أعجب به، وعرفه الخادم خروج الأعراب وأخذهم البغل بما عليه، وما كان من صنع أحمد بن طولون، فأمر له بألف دينار، وسلم عليه مع الخادم، وأمره أن يعرفه به إذا دخل مع المسلمين، ففعل ذلك. وتوالت عليه صلات الخليفة حتى حسنت حاله، ووهبه جارية اسمها مياس استولدها ابنه خمارويه في النصف من المحرم سنة خمس مائة ومائتين.

فلما خلع المستعين، وبويع المعتز، أخرج بالمستعين إلى واسط، واختار الأتراك أحمد بن طولون أن يكون معه، فسلم إليه ومضى به، فأحسن عشرته، وأطلق له التزّه والصيد، وخشي أن يلحقه منه احتشام، فألزمه كاتبه أحمد بن محمد الواسطي، وهو إذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر النادرة، فأنس به المستعين.

ثم إن قبيحة<sup>(b)</sup> أم المعتز كتبت إلى أحمد بن طولون بقتل المستعين وقتلته واسط، فامتنع من ذلك، وكتب إلى الأتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة. فزاد محله عند الأتراك بذلك، ووجهوا سعيداً الحاجب، وكتبوا إلى ابن طولون بتسليم المستعين له، فتسلمه منه وقتله، وواراه ابن طولون، وعاد إلى سر من رأى، وقد تقلد باكباك مصر وطلب من يوجهه إليها، فذكر له أحمد بن طولون، فقلده خلاقته، وضم إليه جيشاً.

وسار إلى مصر، فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين، متقلداً للقصة دون غيرها من الأعمال الخارجة عنها كالإسكندرية ونحوها. ودخل معه أحمد

(a) آياصوفيا: وكاتبته بما فعل الناس إلى سر من رأى سار معهم. (b) بولاق: فتيحة.



ابن محمد الواسطي . وجلس الناس لرؤيته ، فسأل بعضهم غلام أبي قبيل صاحب الملاجم - وكان مكفوفاً - عما يجده في كتبهم . فقال : هذا رجلٌ نجد صِفته كذا وكذا ، وأنه يتقلد الملك هو وولده قريباً من أربعين سنة . فما تمَّ كلامه حتى أقبل أحمد بن طولون ، وإذا هو على الثَّغْتِ الذي قال .

### [ الدَّوْلَةُ الطُّولُونِيَّةُ ]<sup>١</sup>

ولما تسلَّم أحمد بن طولون مصر ، كان على الخراج أحمد بن محمد بن المدبر - وهو من ذُهاة الناس وشياطين الكتاب - فأهدى إلى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار ، بعد ما خرَّج إلى لقاءه هو وشقيق الخادم ، غلام قبيحة<sup>(a)</sup> أم المعتز ، وهو يتقلد البريد . فرأى ابن طولون بين يدي ابن المدبر مائة غلام من الغور ، قد انتخبهم وصيرهم عُدَّةً وجمالاً ، وكان لهم خلقٌ حسن وطولُ أجسام وبأسٌ شديد ، وعليهم أقبية ومناطق يقال عراض ، وبأيديهم مقارِع غلاظ على طرف كلِّ مِقرعةٍ مِقمعة من فضة ، وكانوا يقفون بين يديه في حافتي مجلسه إذا جلس ، فإذا ركب ركبوا بين يديه ، فيصير له بهم هيئة عظيمة في صدور الناس .

فلما بعث ابن المدبر بهديته إلى ابن طولون ردَّها عليه ، فقال ابن المدبر : إنَّ هذه لهيئة عظيمة ، من كانت هذه هيئته لا يؤمن على طرف من الأطراف . فخافه وكره مقامه بمصر معه ، وسار إلى شقيق الخادم صاحب البريد ، واتَّفقا على مكاتبة الخليفة بإزالة ابن طولون .

(a) بولاق : فتحة .

<sup>١</sup> عن تاريخ الدولة الطولونية ، وهي أول الدول المستقلة في مصر الإسلامية ، راجع ، إضافة إلى كتابي «سيرة أحمد ابن طولون» للنبلوي و«المغرب في حلى المغرب» (قسم مصر) لابن سعيد المغربي ، ابن ظافر الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ، نشرة علي محمد عمر ، ٦٥-٧٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ١١:٢٨ - ٣٦ ؛ ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ٥: ٢٦٨-٢٧٢ ، ٣١٨-٣٢١ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١:٣-١٤٣ ؛ Hassan, Z.M., *Les Tulunides. Étude de l'Égypte musulmane à la fin du IX<sup>e</sup> siècle 868-905*, Paris 1933; Grabar, O., *The*

*Coinage of the Tulunids*, New York 1957 سيدة إسماعيل كاشف وحسن أحمد محمود : مصر في عصر الطولونيين والإخشيديين ، القاهرة ١٩٦٠ ؛ حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني ، القاهرة د.ت. ؛ Gordon, M.S., *El<sup>2</sup> art. Tulunides X*, pp. 662-65; Bianquis, Th., «Autonomous Egypt from Ibn Tûlûn to Kâfûr 868-969», *The Cambridge History of Egypt*, pp. 86-119 وانظر فيما يلي ٩٦ .



فلم يكن غير أيام حتى بعث ابن طولون إلى ابن المدبر يقول له : قد كنت - أعزك الله - أهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ، ولم يجر أن يغتنم مالك - كثره الله - فرددناها<sup>(a)</sup> توفيرا عليك ، ونحِبُّ أن تجعل العوض منها العلمان الذين رأيتهم بين يديك ، فأنا إليهم أخوج منك . فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة : هذه أخرى أعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل ، إذ كان يرِدُّ الأعراض والأموال ، ويستهدي الرجال ويثاير عليهم ، ولم يجد بُدًّا من أن بعثهم إليه . فتحوّلت هيئة ابن المدبر إلى ابن طولون ، ونقصت مهابة ابن المدبر بمفارقة العلمان مجلسه . فكتب ابن المدبر فيه إلى الحضرة يُغري به ويُخرض على عزله ، فبلغ ذلك ابن طولون فكتب في نفسه ولم يُعده .

واتفق موت المعتز في رجب سنة خمس وخمسين ، وقيام المهدي بالله محمد بن الواثق ، وقتل بابك ورد جميع ما كان بيده إلى يارجوخ<sup>(b)</sup> التركي ، حمو ابن طولون ، فكتب إليه : «تسلم من نفسك لنفسك» ، وزاده الأعمال الخارجة عن قسبة مصر ، وكتب إلى إسحاق بن دينار وهو يتقلد الإسكندرية / أن يسلمها لأحمد بن طولون . فعظمت لذلك منزلة ، وكثر قلق ابن المدبر وعمه ، ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون إلى ملاقفته والتقرب من خاطره . وخرج ابن طولون إلى الإسكندرية ، وتسلمها من إسحاق بن دينار ، وأقره عليها .

وكان<sup>(c)</sup> عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندى فلسطين والأردن ، فلما مات وثب ابنه على الأعمال واستبد بها ، فبعث ابن المدبر سبع مائة ألف وخمسين ألف دينار حملا من مال مصر إلى بغداد ، فقبض ابن شيخ عليها ، وفرقها في أصحابه ، وكانت الأمور قد اضطربت ببغداد ، فطمع ابن شيخ في التغلب على الشامات ، وشيع<sup>(d)</sup> أنه يريد مصر . فلما قتل المهدي في رجب سنة ست وخمسين ، وبويع المعتد بالله أحمد بن المتوكل ، لم يدع ابن شيخ له ، ولا بايع هو ولا أصحابه فبعث إليه بتقليد أزمينية زيادة على ما معه من بلاد الشام ، وفسخ له في الاستخلاف عليها والإقامة على عمله ، فدعا حينئذ للمعتد . وكتب إلى ابن طولون أن يتأهب لحرب ابن شيخ ، وأن يزيد في عدته ، وكتب لابن المدبر أن يطلق له من المال ما يريد<sup>(e)</sup> .

فعرض ابن طولون الرجال ، وأثبت من يصلح ، واشترى العبيد من الروم والشودان ، وعمل سائر ما يحتاج إليه ، وخرج في تجمل كبير وجيش عظيم ، وبعث إلى ابن شيخ يدعوه إلى طاعة

(a) بولاق : فرددتها . (b) بولاق : ماجور . (c) تضيف النسخ هنا : أحمد بن قبل عيسى بن شيخ وهو خلط والنص موجود عند الكندي وابن سعيد . (d) بولاق : أشيع . (e) بولاق : يريد .



الخليفة ، وَرَدَّ مَا أَخَذَ مِنَ الْمَالِ ، فَأَجَابَ بِجَوَابٍ قَبِيحٍ . فَسَارَ لَسْتُ نَحْلُونَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ مُوسَى بْنَ طُولُونَ عَلَى مِصْرَ ، ثُمَّ رَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ بِكِتَابٍ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَدَخَلَ الْفُسْطَاطَ فِي شَعْبَانَ ١ .

وَقَدِيمٌ مِنَ الْعِرَاقِ أَمَاجُورُ<sup>(a)</sup> ٢ الْتُرْكِي الْمُحَارَبَةُ ابْنُ شَيْخٍ ، فَلَقِيَهُ أَصْحَابُ ابْنِ شَيْخٍ وَعَلَيْهِمْ ابْنُهُ فَانْهَزَمُوا مِنْهُ وَقُتِلَ الْإِبْنُ ، وَاسْتَوْلَى أَمَاجُورُ عَلَى دِمَشْقَ ، وَلَحِقَ ابْنُ شَيْخٍ بِنَوَاحِي أَرْمِينِيَّةَ ، وَتَقَلَّدَ أَمَاجُورُ<sup>(a)</sup> أَعْمَالَ الشَّامِ كُلَّهُ .

وَصَارَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ ، مِنْ كَثْرَةِ الْعَبِيدِ وَالرِّجَالِ وَالْآلَاتِ بِحَالٍ يَضِيقُ بِهِ دَارَهُ وَلَا يَتَّسِعُ لَهُ ، فَزَكَبَ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ فِي شَعْبَانَ وَأَمَرَ بِحَرْثِ قُبُورِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَاخْتَطَّ مَوْضِعَهَا ، فَبَنَى الْقَصْرَ وَالْمَيْدَانَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَغِلْمَانِهِ وَأَتْبَاعِهِ أَنْ يَخْتَطُّوا لِأَنْفُسِهِمْ حَوْلَهُ ، فَاخْتَطُّوا وَبَنَوْا حَتَّى اتَّصَلَ الْبِنَاءُ بِعِمَارَةِ الْفُسْطَاطِ ٣ . ثُمَّ قَطَعَتِ الْقَطَائِعُ ، وَسُمِّيَتْ كُلُّ قَطِيعَةٍ بِاسْمِ مَنْ سَكَنَهَا : فَكَانَتْ لِلثُّوبَةِ قَطِيعَةٌ<sup>(b)</sup> مَفْرَدَةٌ تُعْرَفُ بِهِمْ ، وَلِلرُّومِ قَطِيعَةٌ<sup>(b)</sup> مُفْرَدَةٌ تُعْرَفُ بِهِمْ ، وَلِلْفَرَّاشِينَ قَطِيعَةٌ<sup>(b)</sup> مَفْرَدَةٌ تُعْرَفُ بِهِمْ ، وَلِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْغِلْمَانِ قَطِيعَةٌ<sup>(b)</sup> مُفْرَدَةٌ تُعْرَفُ بِهِمْ . وَبَنَى الْقَوَادِمَ مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةً ، فَعَمَّرَتِ الْقَطَائِعَ عِمَارَةً حَسَنَةً ، وَتَفَرَّقَتْ فِيهَا السُّكَّكَ وَالْأَرْقَةُ ، وَبُنِيَتْ فِيهَا الْمَسَاجِدُ الْحِيسَانُ وَالطُّوَاحِينَ وَالْحَمَّامَاتُ وَالْأَفْرَانُ ٤ .

١٥ وَسُمِّيَتْ أَسْوَاقُهَا : فَقِيلَ سُوقُ الْعَيْتَارِينَ وَكَانَ يَجْمَعُ الْعَطَّارِينَ وَالْبَزَّازِينَ ، وَسُوقُ الْقَامِيِّينَ وَيَجْمَعُ الْجَزَارِينَ وَالْبُقَالِينَ وَالشَّوَّائِينَ ، فَكَانَ فِي دَكَكَيْنِ الْقَامِيِّينَ جَمِيعَ مَا فِي دَكَكَيْنِ نَظْرَائِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ وَأَكْثَرَ وَأَحْسَنَ ، وَسُوقُ الطَّبَّاخِينَ وَيَجْمَعُ الصَّيَارِفَ وَالخَبَّازِينَ وَالْحَلْوَاتِيِّينَ ، وَلِكُلِّ مَنْ

(a) النسخ وكذلك الكندي : ماجور والصواب ما أثبتته . (b) آياصوفيا وثبتت : قطعة ، وقد فضلت إثبات رواية بولاق ورواية النجوم الزاهرة .

١ الكندي : ولاة مصر ٢٤١ - ٢٤٢ .  
٢ وَرَدَّ هَذَا الْاسْمَ بِصِيغَةِ خَاطِطَةٍ فِي جَمِيعِ مَخْطُوطَاتِ الْكِتَابِ : مَاجُورٌ ، مَاخُورٌ (فِيمَا يَلِي ٢ : ١٧٩ ، ١٨٠) كَمَا لَمْ يَصُوبْهُ فَبَيَّتَ . وَصَوَابُ اسْمِهِ أَمَاجُورٌ كَمَا وَرَدَ عَلَى الْمَصْحَفِ الَّذِي وَقَّفَهُ فِي سَنَةِ ٢٦٢ هـ عَلَى أَحَدِ مَسَاجِدِ مَدِينَةِ صُورَ . وَكَانَ أَمَاجُورُ التُّرْكِي هُوَ وَالِي دِمَشْقَ الْعَبَّاسِي بَيْنَ

سَنَتَيْ ٢٥٦ - ٢٦٤ هـ / ٨٧٠ - ٨٧٨ م . (الصفدي : الوافي بالوفيات ٩ : ٣٧٥ - ٣٧٦ ؛ Déroche, F., «The Qur'ân (of Amâgûr)», MME V (1990-91), pp. 59-66 .  
٣ أَبُو الْحَاسَنِ : النجوم الزاهرة ٣ : ١٥ ؛ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢١ (عن القضاعي) .  
٤ نفسه ٣ : ١٥ عن القضاعي .



الباعة شوق حسن عامر نبيل<sup>(a)</sup>. فصارت «القطائع» مدينة كبيرة أعمر من أكبر مدن الشام وأحسن<sup>(b)</sup>.

وبنى ابن طولون قصره ووسّعه وحسنه ، وجعل له ميداناً كبيراً يضرب فيه بالصوالجة ، فسُمي القصر كله الميدان ، وكان كل من أراد الخروج من صغير وكبير إذا سُئِلَ عن ذهابه يقول : «إلى الميدان» .

وعمل للميدان أبواباً لكل باب اسم ، وهي : باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وباب الصوالجة ، وباب الخاصة ولا يدخل منه إلا خاصة ابن طولون ، وباب الجبل لأنه مما يلي جبل المقطم ، وباب الحرم ولا يدخل منه إلا خادِم نَحِصِيّ أو حُرْمَة ، وباب الدّرمون لأنه كان يجلس عنده حاجب أسود عظيم الخلقَة يتقلّد جنّيات الغلمان السودان الرّجالة فقط ، يُقال له الدّرمون ، وباب دَعْتاج لأنه كان يجلس عنده حاجب يقال له دَعْتاج ، وباب السّاج لأنه عمل من خشب السّاج ، وباب الصلاة لأنه كان في الشّارع الأعظم ومنه يتوصّل إلى جامع ابن طولون ، وعُرفَ هذا الباب أيضاً بباب السّباع لأنه كان عليه صورة سبّعين من جنس<sup>١</sup>.

وكان الطّريق الذي يخرج منه ابن طولون - وهو الذي يخرج منه إلى القصر - طريقاً واسعاً ، فقطعه بحائط ، وعمل فيه ثلاثة أبواب كأبواب ما يكون من الأبواب ، وكانت متصلة بعضها ببعض واحداً بجانب الآخر . فكان<sup>(c)</sup> ابن طولون إذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة ، ثم يخرج ابن طولون من الباب الأوسط من الأبواب الثلاثة بمفرده من غير أن يختلط به أحد من الناس .

وكانت الأبواب المذكورة تُفتح كلها في يوم العيد ، أو يوم عرض الجيش ، أو يوم صدقة ، وما عدا هذه الأيام لا تُفتح إلا بترتيب في أوقات معروفة<sup>٢</sup>.

وكان القصر له مجلس يُشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من أعلاه من يدخل ويخرج . وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ، ويخرجون من باب السباع . وكان

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : أعمر وأحسن من الشام . (c) بولاق : وكان .

<sup>١</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ٢١٦ ، وانظر كذلك الفسطاط فيما يلي ٥٧٥ .

الشارع الأعظم بالقاهرة فيما يلي ٢٤٤ وامتداده إلى <sup>٢</sup> نفسه ٣ : ١٦ .



على باب السُّبَاعِ مَجْلِسٌ يُشْرِفُ مِنْهُ ابْنُ طُولُونَ لَيْلَةَ الْعِيدِ عَلَى الْقَطَائِعِ ، لِيرَى حَرَكَاتِ الْغِلْمَانِ وَتَأْهِبِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ ، فَإِذَا رَأَى فِي حَالِ أَحَدٍ مِنْهُمْ نَقْصًا أَوْ خَلَلًا ، أَمَرَ لَهُ بِمَا يَتَّسِعُ بِهِ وَيَزِيدُ فِي تَجَمُّلِهِ ؛ وَكَانَ يُشْرِفُ مِنْهُ أَيْضًا/ عَلَى الْبَحْرِ ، وَعَلَى بَابِ مَدِينَةِ الْفُسْطَاطِ وَمَا يَلِي ذَلِكَ ؛ فَكَانَ مَتَرُهَا حَسَنًا .

٥ وَبَنَى الْجَامِعَ فَعَرَفَ بِالْجَامِعِ الْجَدِيدِ ، وَبَنَى الْعَيْنَ وَالسُّقَايَةَ بِالْمَعَاوِنِ ، وَبَنَى تَنْوُرَ فِرْعَوْنَ فَوْقَ الْجَبَلِ . وَاتَّسَعَتْ أَحْوَالُهُ ، وَكَثُرَتْ إِسْطَبْلَاتُهُ وَكِرَاعُهُ ، وَعَظُمَ صَيْتُهُ ، فَخَافَهُ أَمَاجُورٌ<sup>(a)</sup> ، وَكَتَبَ فِيهِ إِلَى الْحَضْرَةِ يُغْرِي بِهِ ، وَكَتَبَ فِيهِ ابْنُ الْمُدَبِّرِ وَشُقَيْرُ الْخَادِمِ .

وَكَانَتْ لَابْنِ طُولُونَ أَعْيُنٌ وَأَصْحَابٌ أَخْبَارُ يُطَالِعُونَهُ بِسَائِرِ مَا يَخْدُثُ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ ، تَلَطَّفَ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ لَهُ بِبَغْدَادٍ عِنْدَ الْوَزِيرِ ، حَتَّى سَيَّرَ إِلَى ابْنِ طُولُونَ بِكُتُبِ ابْنِ الْمُدَبِّرِ وَكُتُبِ شُقَيْرٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَا بِذَلِكَ ، فَإِذَا فِيهَا «إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ عَزَمَ عَلَى الثَّغْلِبِ عَلَى مِصْرَ وَالْعِضْيَانِ بِهَا» . فَكَتَمَ خَبَرَ الْكُتُبِ ، وَمَا زَالَ بِشُقَيْرٍ حَتَّى مَاتَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْحَضْرَةِ يَسْأَلُ صَرْفَ ابْنِ الْمُدَبِّرِ عَنِ الْخَرَاجِ وَتَقْلِيدِ هِلَالٍ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، وَقَبِضَ عَلَى ابْنِ الْمُدَبِّرِ وَحَبَسَهُ ، وَكَانَتْ لَهُ مَعَهُ أُمُورٌ آلَتْ إِلَى خُرُوجِ ابْنِ الْمُدَبِّرِ عَنْ مِصْرَ .

١٠ وَتَقَلَّدَ ابْنُ طُولُونَ خَرَاجَ مِصْرَ مَعَ الْمُعْتُونَةِ وَالثُّغُورِ الشَّامِيَةِ ، فَأَسْقَطَ «الْمَعَاوِنَ وَالْمُرَافِقَ»<sup>١</sup> - وَكَانَتْ بِمِصْرَ خَاصَّةً فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ - فَأَظْفَرَهُ اللَّهُ عَقِيبَ ذَلِكَ بِكَتْرِ فِيهِ أَلْفِ دِينَارٍ بَنَى مِنْهُ الْمَارِسْتَانَ<sup>٢</sup> .

١٥ وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ وَقَدْ تَقَلَّدَهَا ، فَتَسَلَّمَ دِمَشْقَ وَحِمَصَ ، وَنَازَلَ أَنْطَاكِيَةَ حَتَّى أَخَذَهَا . وَكَانَتْ صَدَقَاتُهُ عَلَى أَهْلِ الْمَسْكِنَةِ وَالسُّرِّ وَعَلَى الضُّعْفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ التَّجْمُلِ مُتَوَاتِرَةً ، وَكَانَ رَاتِبُهُ لَذَلِكَ فِي كُلِّ شَهْرٍ أَلْفِي دِينَارٍ سِوَى مَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّدُورِ وَصَدَقَاتِ الشُّكْرِ عَلَى تَجْدِيدِ النَّعْمِ ، وَسِوَى مَطَابِيخِهِ الَّتِي أُقِيمَتْ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلصَّدَقَاتِ فِي دَارِهِ وَغَيْرِهَا ، يَذْبَحُ فِيهَا الْبَقَرِ وَالْكَبَاشِ ، وَيَعْرِفُ لِلنَّاسِ فِي الثَّدُورِ الْفَخَّارِ وَالْقِصَاعِ ، عَلَى كُلِّ قَدِيرٍ أَوْ قِصْعَةٍ لِكُلِّ مَسْكِينٍ أَرْبَعَةَ أَرْغِفَةَ ، فِي اثْنَيْنِ مِنْهَا فَالْوَدَجِ ، وَالْإِثْنَانِ الْآخِرَانِ عَلَى الْقَدْرِ . وَكَانَتْ تُعْمَلُ فِي دَارِهِ وَيُنَادَى : مَنْ

(a) بولاق : ماجور .

<sup>٢</sup> انظر خبر الكنز فيما يلي ٢: ٢٦٦-٢٦٧ .<sup>١</sup> عن «المعاون والمرافق» انظر فيما تقدم ١: ٢٧٩ .



أحب أن يحضر دار الأمير فليحضر . وتفتح الأبواب ، ويدخل الناس الميدان وابن طولون في المجلس الذي تقدم ذكره ينظر إلى المساكين ، ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون ، فيستره ذلك ويحمد الله على نعمته <sup>١</sup> .

ولقد قال له مرة إبراهيم بن قراطغان ، وكان على صدقاته : أيّد الله الأمير ، إننا نكيف في المواضع التي تفرق فيها الصدقة ، فتخرج لنا الكف الناعمة المحضوبة نقشا ، والمعصم الرائع فيه الحديد ، والكف فيها الخاتم . فقال : يا هذا ، كل من مدّ إليك يده فأعطه ، فهذه هي اللطيفة المستورة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال : ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ﴾ [الآية ٢٧٣ سورة البقرة] ، فاحذر أن تردّ يدا امتدّت إليك ، وأعط كل من يطلب منك .

فلما مات أحمد بن طولون ، وقام من بعده ابنه حمارويه ، أقبل على [عمارة] <sup>a</sup> قصر أبيه وزاد فيه ، وأخذ الميدان الذي كان لأبيه فجعله كله بستانا ، وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر ، ونقل إليه الودى اللطيف الذي ينال ثمره القائم ، ومنه ما يتناوله الجالس من أصناف خيار النخل ، وحمل إليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد ، وزرع فيه الزعفران ؛ وكسا أجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة ، وجعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص ، وأجرى فيها الماء المدبر ، فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء ؛ فتصدر إلى فساق مغمولة ، ويفيض منها الماء إلى مجار تسقي سائر البستان . وغرس فيه من الرياحان المزروع على نقوش مغمولة وكتابات مكتوبة ، يتعاهد البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة ، وزرع فيه النيلوفر الأحمر والأزرق والأصفر والخيري <sup>b</sup> العجيب ، وأهدى إليه من خراسان وغيرها كل أصل عجيب ، وطعموا له شجر المشمش باللوز ، وأشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن <sup>٢</sup> .

وبنى فيه بروجاً من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ [وطعمه] <sup>a</sup> ليقوم مقام الأقفاص ، وزوّقه بأصناف الأصباغ ، وبلط أرضه ، وجعل في تضاعيفه أنهارا لطافا ، جداولها يجري فيها الماء مدبرا من الشواقي التي تدور على الآبار العذبة ، ويُسقي منها الأشجار وغيرها .

(a) زيادة من النجوم الزاهرة . (b) بولاق : الجنوي .

<sup>٢</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ٥٣ - ٥٤ .

<sup>١</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ١٧ .



وَمَرَجٌ<sup>(a)</sup> فِي هَذَا الْبُرْجِ مِنْ أَصْنَافِ الْقَمَارِيِّ وَالذَّبَاسِيِّ وَالتَّوْبِيَّاتِ<sup>(b)</sup> وَكُلُّ طَائِرٍ مُسْتَحْسَنٍ حَسَنِ الصَّوْتِ ، فَكَانَتْ الطُّيُورُ تَشْرَبُ وَتَغْتَسِلُ مِنْ تِلْكَ الْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ فِي الْبُرْجِ ، وَجَعَلَ فِيهَا أَوْكَارًا فِي قَوَادِيسٍ لَطِيفَةً مُمْكِنَةً فِي جَوْفِ الْحَيْطَانِ لِتُفْرِخَ الطُّيُورُ فِيهَا ، وَعَارِضٌ لَهَا فِيهِ عِيدَانًا مُمْكِنَةً فِي جَوَانِبِهِ لَتَقِفَ عَلَيْهَا إِذَا تَطَايَرَتْ حَتَّى يُجَاوِبَ بَعْضُهَا بِالصِّيَاحِ ، وَسَرْحٌ فِي الْبُسْتَانِ مِنَ الطُّيُورِ الْعَجِيبِ ، كَالطَّوَاوِيسِ وَدَجَاجِ الْحَبَشِ وَنَحْوِهَا ، شَيْئًا كَثِيرًا<sup>١</sup> .

وَعَمِلَ فِي دَارِهِ مَجْلِسًا بِرِوَاقِهِ سَمَّاهُ «بَيْتَ الذَّهَبِ»<sup>(c)</sup> ، طَلَى حَيْطَانَهُ كُلَّهَا بِالذَّهَبِ الْمَجَاوِلِ بِاللَّازُورِدِ ، الْمَعْمُولِ فِي أَحْسَنِ نَقْشٍ وَأَطْرَفَ تَفْصِيلِ ، وَجَعَلَ فِيهِ - عَلَى مِقْدَارِ قَامَةِ وَنِصْفِ - صُورًا فِي حَيْطَانِهِ بَارِزَةً مِنْ خَشَبٍ مَعْمُولٍ عَلَى صُورَتِهِ وَصُورِ حِطَايَاهُ وَالْمَغْنِيَّاتِ اللَّاتِي تَغْنِيْنَهُ ، بِأَحْسَنِ تَصْوِيرٍ وَأَبْهَجِ تَزْوِيقٍ ، وَجَعَلَ عَلَى رُؤُوسِهَا الْأَكَالِيلَ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ الْإِبْرِيْزِ الرَّزِينِ ، وَالكَوَادِنِ الْمَرْصُوعَةِ بِأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ ، وَفِي آذَانِهَا الْأَخْرَاصَ<sup>(d)</sup> الثَّقَالَ الْوِزْنَ الْمَحْكَمَةَ الصَّنِيعَةَ ، وَهِيَ مُسَمَّرَةٌ فِي الْحَيْطَانِ ، وَلُوْنَتْ / أَجْسَامُهَا بِأَصْنَافِ أَشْبَاهِ الثِّيَابِ مِنَ الْأَصْبَاغِ الْعَجِيبَةِ ، فَكَانَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَعْجَبِ مَبَانِي الدُّنْيَا<sup>(e)</sup> .<sup>٢</sup>

وَجَعَلَ بَيْنَ يَدَيْ هَذَا الْبَيْتِ<sup>(f)</sup> «فَسْقِيَّةً» مُقَدَّرَةً ، وَمَلَأَهَا زَيْبِقًا ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ شَكَا إِلَى طَبِيبِهِ كَثْرَةَ السُّهْرِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالتَّغْمِيزِ<sup>(g)</sup> ، فَأَيْفَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : لَا أَقْدِرُ عَلَى وَضْعِ يَدٍ أَحَدٍ عَلَيَّ ؛ فَقَالَ لَهُ : تَأْمُرُ بِعَمَلِ بِرْكَةٍ مِنَ الزُّبَيْقِ ، فَعَمِلَ بِرْكَةً - يُقَالُ إِنَّهَا خَمْسُونَ ذِرَاعًا طُولًا فِي خَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضًا - وَمَلَأَهَا مِنَ الزُّبَيْقِ ، فَأَنْفَقَ فِي ذَلِكَ أَمْوَالًا عَظِيمَةً ، وَجَعَلَ فِي أَرْكَانِ الْبِرْكَةِ سِكِّكَا مِنَ الْفِضَّةِ الْخَالِصَةِ ، وَجَعَلَ فِي السُّكِّكَ زَنَانِيرَ مِنْ حَرِيرٍ مَحْكَمَةَ الصَّنِيعَةَ فِي جِلْقٍ مِنَ الْفِضَّةِ ، وَعَمِلَ فَرَشًا مِنْ أَدَمٍ يُحْسَى بِالرِّيحِ حَتَّى يَنْتَفِخَ فَيُحْكَمَ حَيْثُ شَدُّهُ ، وَيُلْقَى عَلَى تِلْكَ الْبِرْكَةِ الزُّبَيْقُ ، وَتُشَدُّ زَنَانِيرُ الْحَرِيرِ الَّتِي فِي جِلْقِ الْفِضَّةِ بِسِكِّكَ الْفِضَّةِ ، وَيَنَامُ عَلَى هَذَا الْفَرَشِ ، فَلَا يَزَالُ الْفَرَشُ يَرْتَجُّ وَيَتَحَرَّكُ بِحَرَكَةِ الزُّبَيْقِ مَا دَامَ عَلَيْهِ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْبِرْكَةُ مِنْ أَعْظَمِ مَا سُمِعَ بِهِ مِنَ الْهَيْمِ الْمَلُوكِيَةِ ، فَكَانَ يُرَى لَهَا فِي اللَّيَالِي الْمَقْمَرَةِ مَنَظَرٌ عَجِيبٌ إِذَا تَأَلَّفَ نَوْرُ الْقَمَرِ بِنُورِ الزُّبَيْقِ . وَلَقَدْ أَقَامَ النَّاسُ بَعْدَ خَرَابِ الْقَصْرِ مُدَّةً يَخْفَرُونَ

(a) بولاق : وسرح . (b) بولاق : النونيات . (c) النجوم الزاهرة : دار الذهب . (d) بولاق : الأجراس . (e) النجوم الزاهرة : هذا القصر من أعجب ما بني في الدنيا . (f) النجوم الزاهرة : القصر . (g) النجوم : التكيس .



لأخذ الزُّبُّبِق من سُقُوق البِرِّوَكَة . وما عُرِفَ مَلِكٌ قَطُّ تَقَدَّمَ خُمَارَوَيْه في عَمَلٍ مِثْلَ هَذِهِ البِرِّوَكَة <sup>١</sup> .  
 وَبَنَى أَيْضًا فِي القَصْرِ قُبَّةً تُضَاهِي قُبَّةَ الهَوَاءِ سَمَّاهَا «الدُّكَّة» ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ شَيْءٍ بَنَى ، وَجَعَلَ  
 لَهَا الشُّتْرَ الَّتِي تَقِي الحَرَّ وَالبَرْدَ ، فَتَشْدَلُ <sup>(a)</sup> إِذَا شَاءَ وَتُرْفَعُ إِذَا أَحَبَّ ، وَفَرَشَ أَرْضَهَا بِالفُرَشِ السَّرِيَّةِ ،  
 وَعَمِلَ لِكُلِّ فَضْلٍ فَرَشًا يَلِيقُ بِهِ . وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَجْلِسُ فِي هَذِهِ القُبَّةِ لِيُشْرِفَ مِنْهَا عَلَى جَمِيعِ مَا  
 فِي دَارِهِ مِنَ البُسْتَانِ وَغَيْرِهِ ، وَيَرَى الصَّحْرَاءَ وَالنَّيْلَ وَالجَبَلَ وَجَمِيعَ المَدِينَةِ . وَبَنَى مَيْدَانًا آخَرَ أَكْبَرَ  
 مِنْ مَيْدَانِ أَبِيهِ <sup>٢</sup> .

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَدْ اتَّخَذَ حُجْرَةً بِقَرْبِهِ فِيهَا رِجَالٌ سَمَّاهُمْ بِالمُكَبِّرِينَ ، عِدَّتُهُمْ اثْنَا عَشَرَ  
 رِجَالًا ، يَبِيتُ مِنْهُمْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَرْبَعَةَ يَتَعَاقَبُونَ اللَّيْلَ نَوْبًا ، يُكَبِّرُونَ وَيُسَبِّحُونَ وَيُحَمِّدُونَ وَيُهَلِّلُونَ ،  
 وَيَقْرَأُونَ القُرْآنَ تَطْرِيًّا بِالْحَانَ ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِقِصَائِدِ زُهْدِيَّةٍ ، وَيُؤَذِّنُونَ أَوْقَاتَ الأَذَانِ <sup>٣</sup> .

فَلَمَّا وَلِيَ خُمَارَوَيْه ، أَقْرَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ ، وَأَجْرَاهُمْ عَلَى رَسْمِهِمْ . وَكَانَ يَجْلِسُ لِلشُّرْبِ مَعَ  
 حِظَايَاهُ فِي اللَّيْلِ وَقَيْنَاتِهِ تُعْنِيهِ ، فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَ هَوْلَاءٍ يَذْكُرُونَ اللهَ وَالقَدْحَ فِي يَدِهِ وَضَعَهُ  
 بِالأَرْضِ وَأَشْكَتْ مُغْنِيَاتِهِ ، وَذَكَرَ اللهُ مَعَهُمْ أَبَدًا حَتَّى يَسْكُتَ القَوْمُ لَا يُضْجِرُهُ ذَلِكَ ، وَلَا يَغِيظُهُ  
 أَنْ قَطَعَ عَلَيْهِ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ لَذَّةِ السَّمَاعِ .

وَبَنَى أَيْضًا فِي دَارِهِ دَارًا لِلسَّبَاعِ ، عَمِلَ فِيهَا بِيوتًا بِأَزَاجٍ ، كُلُّ بَيْتٍ يَسَعُ سَبْعًا وَلَبْوَةً ، وَعَلَى  
 تِلْكَ البِيوتِ أَبْوَابٌ تُفْتَحُ مِنْ أَعْلَاهَا بِحَرَكَاتٍ ، وَلِكُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا طَاقٌ صَغِيرٌ يَدْخُلُ مِنْهُ الرَّجُلُ  
 المَوْكَلُ بِخِدْمَةِ ذَلِكَ البَيْتِ لِقَرَشِهِ بِالرَّمْلِ <sup>(b)</sup> ، وَفِي جَانِبِ كُلِّ بَيْتٍ حَوْضٌ مِنْ رُخَامٍ بِمِيزَابٍ مِنْ  
 نُحَاسٍ يَصُبُّ فِيهِ المَاءُ . وَبَيْنَ يَدَيْ هَذِهِ البِيوتِ قَاعَةٌ <sup>(c)</sup> فَسِيحَةٌ مُتَّسِعَةٌ ، فِيهَا رَمْلٌ مَفْرُوشٌ بِهَا ، وَفِي  
 جَانِبِهَا حَوْضٌ كَبِيرٌ مِنْ رُخَامٍ يُصَبُّ فِيهِ مَاءٌ مِنْ مِيزَابٍ كَبِيرٍ .

فَإِذَا أَرَادَ سَائِسُ سَبْعٍ مِنْ تِلْكَ السَّبَاعِ تَنْظِيفَ بَيْتِهِ ، أَوْ وَضَعَ وَظِيفَةَ اللَّحْمِ الَّتِي لِغِذَائِهِ ، رَفَعَ  
 البَابَ بِحِيلَةٍ مِنْ أَعْلَى البَيْتِ ، وَصَاحَ بِالسَّبْعِ فَيَخْرُجُ إِلَى القَاعَةِ <sup>(d)</sup> المَذْكُورَةِ ، وَيُرْدُّ البَابَ ، ثُمَّ يَنْزِلُ  
 إِلَى البَيْتِ مِنَ الطَّاقِ ، فَيَكْنِسُ الرَّمْلَ ، وَيَبْدُلُ الرَّمْلَ بِغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ نَظِيفٌ ، وَيَضَعُ الوَظِيفَةَ مِنَ اللَّحْمِ

(a) بولاق : فتيل . (b) بولاق : يفرشه بالزبل . (c) النجوم الزاهرة : رحبة . (d) النجوم : الرحبة .

<sup>١</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥٥:٣ ومصدره فيه  
<sup>٢</sup> نفسه ٥٦:٣  
<sup>٣</sup> نفسه ١٧:٣  
 القضاءي .



في مكانٍ مُعَدٍّ لذلك بعدما يُخَلِّص ما فيه من الغُدَدِ ، ويقطعه لهما ، وَيَغْسِلُ الحَوْضَ ويملأه ماءً ، ثم يخرج ويَرَفَعُ البابَ من أعلاه . وقد عَرَفَ السَّبْعَ ذاك ، فحال ما يَرَفَعُ السَّائِسُ بابَ البيتِ ، دَخَلَ إليه الأسدُ فأَكَلَ ما هُيئَ له من اللُّحْمِ حتى يستوفيه ، ويشرب من الماءِ كِفَايَتَهُ .

فكانت هذه مملوءةً من السَّبْعِ ، ولهم أوقاتٌ يُفْتَحُ فيها سائرُ بُيُوتِ السَّبْعِ ، فتخرج إلى القاعة<sup>(a)</sup> وتتشمس<sup>(b)</sup> فيها ، وتمرح وتلعب ويهارش بعضها بعضاً ، فتقيم يوماً كاملاً إلى العشيِّ ، فيصيح بها السُّوَّاسُ ، فيدخل كلُّ سَبْعٍ إلى بيته لا يتخطأه إلى غيره . وكان من جملة هذه السَّبْعِ سَبْعٌ أزرقُ العينين يُقال له «زُرَيْقٌ» قد أنس بخمارَوَيْهِ ، وصار مُطْلَقاً في الدار لا يُؤْذِي أحداً ، ويقام له بوظيفته من الغداء في كلِّ يوم . فإذا نُصِبَت مائدةُ خُمارَوَيْهِ ، أقبل زُرَيْقٌ معها ، وربض بين يديه ، فرمى إليه بيده الدُّجاجةَ بعد الدُّجاجةَ ، والفضلة الصالحة من الجدِّي ، ونحو ذلك مما على المائدةِ ، فبتفكُّه به . وكانت له لَبْوَةٌ لم تأنس<sup>(c)</sup> كما أنس ، فكانت مقصورة في بيتٍ ، ولها وقتٌ معروفٌ يجتمع معها فيه .

فإذا نام خُمارَوَيْهِ جاء زُرَيْقٌ ليحرسه ، فإن كان قد نام على سريرِ رَبَضٍ بين يدي السريرِ ، وجعل يُراعيه ما دام نائماً ، وإن كان إنما نام على الأرض ، بقي قريباً منه ، وتفطن لمن يدخل ويقصد خُمارَوَيْهِ ، لا يغفل عن ذلك لحظةً واحدةً . وكان على ذلك دَهْرَهُ ، قد أَلِفَ ذلك ودُرِبَ عليه ، وكان في عُتْقِهِ طَوْقٌ من ذهبٍ ، فلا يقدر أحدٌ أن يذنو من خُمارَوَيْهِ ما دام نائماً لمراعاة زُرَيْقٍ له وجراسته إِيَّاهُ ؛ حتى إذا شاء الله إنفاذ قضائه في خُمارَوَيْهِ ، كان بدمشق وزُرَيْقٌ غائبٌ عنه بمصر ، ليَعْلَمَ أنه لا يُعْنِي حَدْرٌ من قدر<sup>١</sup> .

وبنَى أيضاً «دار الحُرْمِ» ، ونقل إليها أمهات أولاد أبيه مع أولادهن ، وجعل معهن المغزولات من أمهات أولاده ، وأفرد لكلِّ واحدة حُجْرَةً واسعةً ، نزلَ في كلِّ حجرة منها بعد زوال دولتهم ، قائداً جليلٌ فوسيعته ، وفضلٌ عنه منها شيءٌ . وأقام / لكلِّ حُجْرَةٍ ، من الأتزال والوظائف الواسعة ، ما كان يُفضل عن أهلها منه شيءٌ كثيرٌ ؛ فكان الخدمُ الموكِّلون بالحُرْمِ ، من الطبَّانحين وغيرهم ، يُفضل لكلِّ منهم - مع كثرة عددهم - بعد التوسُّع في قوته ، الزُّلَّةُ الكبيرة والتي فيها العِدَّةُ من

(a) النجوم : الرحبة . (b) بولاق : وتشمس . (c) بولاق : تستأسن .

<sup>١</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ٥٦ - ٥٧ .



الدجاج ، فمنها ما قُلِعَ فَخَذُهَا ومنها ما قد تَشَعَّبَ صَدْرُهَا ، ومن الفِراخ مثل ذلك ، مع القِطْع الكِبَار من الجَدِي وِجُوم الضَّان ، والِعِدَّة من ألوان عديدة ، والقِطْع الصَّالِحَة من الفَالُوذَج ، والكثير من اللُّوزِينَج والقَطَائِف والهَبْرَات<sup>(a)</sup> من العَصِيدَة - التي تُعْرَف اليوم في وَقْتنا هذا بالمأمونية - وأشباه ذلك مع الأَزْغَفَة الكِبَار . واشْتَهَرَ بِمِصْر يَبْعُهُمْ لَدَيْكَ وَعُرِفُوا بِهِ ، فَكَانَ النَّاسُ يَتَنَاقَشُونَ بِمِصْرٍ لَدَيْكَ وَأَكْثَرُ مَا تُبَاعُ الزُّلَّةُ الكَبِيرَة مِنْهَا بِدِرْهَمَيْنِ ، وَمِنْهَا مَا يُبَاعُ بِدِرْهَمٍ ، فَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَفَكَّهُونَ مِنْ هَذِهِ الزُّلَّاتِ . وَكَانَ شَيْئًا مَوْجُودًا فِي كُلِّ وَقْتٍ لِكَثْرَتِهِ وَأُتْسَاعِهِ ، بِحَيْثُ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا طَرَقَهُ ضَيْفٌ خَرَجَ مِنْ قَوْرِهِ إِلَى بَابِ دَارِ الْحَرَمِ ، فَيَجِدُ مَا يَشْتَرِيهِ لِيَتَجَمَّلَ بِهِ لَضَيْفِهِ ، ثُمَّ لَا يَقْدِرُ عَلَى عَمَلِ مِثْلِهِ ، وَلَا يَتَهَيَّأُ لَهُ مِنَ اللَّحُومِ وَالْفِراخِ وَالذُّجَاجِ وَالْحَلْوَى مِثْلَ ذَلِكَ<sup>١</sup> .

وَأُتْسَعَتْ أَيْضًا إِسْطَبَلَاتُ خُمَارَوَيْهِ ، فَعَمِلَ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنَ الدُّوَابِ إِسْطَبَلًا مُفْرَدًا : فَكَانَ لِلْحَيْلِ الْخَاصِّ إِسْطَبَلٌ مُفْرَدٌ ، وَالدُّوَابِ الْغُلْمَانِ إِسْطَبَلَاتٌ عِدَّةٌ ، وَلِبِغَالِ الْقِيَابِ إِسْطَبَلَاتٌ ، وَلِبِغَالِ النَّقْلِ غَيْرِ بِيغَالِ الْقِيَابِ إِسْطَبَلَاتٌ ، وَلِلشَّجَائِبِ وَالْبِخَاتِي إِسْطَبَلَاتٌ لِكُلِّ صِنْفٍ إِسْطَبَلٌ مُفْرَدٌ ، لِلاتِّسَاعِ فِي الْمَوَاضِعِ ، وَالتَّفَنُّنِ فِي الْأَثْقَالِ .

وَعَمِلَ لِلنُّمُورِ دَارًا مَفْرَدَةً ، وَلِلْفُهُودِ دَارًا مَفْرَدَةً ، وَلِلْفَيْلَةِ دَارًا ، وَلِلزَّرَافَاتِ دَارًا . كُلُّ ذَلِكَ سِوَى الْإِسْطَبَلَاتِ الَّتِي بِالْحَيْزَةِ ، فَإِنَّهُ كَانَ لَهُ فِي عِدَّةِ ضِيَاعٍ مِنَ الْحَيْزَةِ إِسْطَبَلَاتٌ ، مِثْلَ نَهْيَا وَوَسِيمٍ وَسَفْطٍ وَطُهْرُؤْمَسٍ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَتْ هَذِهِ الضِّيَاعُ لَا تَنْزَعُ إِلَّا الْقُرُوطُ بِرِسْمِ الدُّوَابِ . وَكَانَ لِلخَلِيفَةِ أَيْضًا بِمِصْرٍ إِسْطَبَلَاتٌ ، سِوَى مَا ذُكِرَ ، تَنْتَجِ فِيهَا الْحَيْلُ لِحَلْبَةِ السُّبَاقِ ، وَلِلرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى بِرِسْمِ الْغَزْوِ . وَكَانَ لِكُلِّ دَارٍ مِنَ الدُّوَابِ الْمَذْكُورَةِ ، وَلِكُلِّ إِسْطَبَلٍ ، وَكَلَاءٌ لَهُمْ الرِّزْقُ السَّنِيَّ وَالْوِظَائِفَ الْكَثِيرَةَ وَالْأَمْوَالَ الْمُتَّسِعَةَ<sup>٢</sup> .

وَبَلَغَ رِزْقُ الْجَيْشِ فِي أَيَّامِ خُمَارَوَيْهِ تِسْعَ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَقَامَ مَطْبَخُهُ الْمَعْرُوفُ بِـ«مَطْبَخِ الْعَامَّةِ» ، بِثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، سِوَى مَا هُوَ مُوَظَّفٌ لِحَوَارِيهِ وَأَرْزَاقٍ مِنْ يَخْدُمِهِمْ وَيَتَصَرَّفُ فِي حَوَائِجِهِمْ .

وَكَانَ قَدْ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ ، مِنْ مَوْلَدِي<sup>(b)</sup> الْحَوْفِ وَشَنَائِرَةِ الضِّيَاعِ ، قَوْمًا مَعْرُوفِينَ بِالشُّجَاعَةِ

(a) بولاق : الهرائس . (b) بولاق : ولد .

<sup>٢</sup> نفسه ٣: ٥٨ - ٥٩ .

<sup>١</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ٥٧ - ٥٨ .



- والبأس، لهم خَلْقٌ عَظِيمٌ تامٌ وَعِظَمُ أجسام. وَأَدْرَجَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، وَوَسَّعَ لَهُمُ فِي الْعَطَاءِ، وَشَغَلَهُمْ عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَأَذِيَّةِ النَّاسِ بِخِدْمَتِهِ، وَأَلْبَسَهُمُ الْأَقْبِيَّةَ وَجَوَاشِينَ الدِّيَابِجِ، وَصَاغَ لَهُمُ الْمَنَاطِقَ الْعِرَاضَ الثَّقَالَ، وَقَلَّدَهُمُ الشُّيُوفَ الْمُحَلَّلَةَ يَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِهِمْ إِذَا مَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ<sup>(a)</sup> وَسَمَّاهُمْ «الْمُخْتَارَةَ»، فَكَانَ إِذَا رَكِبَ وَمَضَى الْحُجَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ<sup>(b)</sup> وَمَوَكَّبَهُ عَلَى تَرْتِيبِهِ، وَمَضَتْ أَصْنَافُ الْعَسْكَرِ وَطَوَائِفُهُ، تَلَاهُمُ السُّودَانُ وَعِدَّتُهُمْ أَلْفُ أَسْوَدٍ، لَهُمْ دَرَقٌ مِنْ حَدِيدٍ مُخَكَّمِ الصَّنْعَةِ، وَعَلَيْهِمْ أَقْبِيَّةٌ سُودٌ وَعَمَائِمٌ سُودٌ، فَيَخَالَهُمُ النَّاطِرُ إِلَيْهِمْ بَحْرًا أَسْوَدًا يَسِيرَ لِسَوَادِ أَلْوَانِهِمْ وَسَوَادِ ثِيَابِهِمْ، وَيَصِيرُ لِتَرْيِيقِ دَرَقِهِمْ وَحُلِيِّ سُيُوفِهِمْ وَالْبَيْضِ الَّتِي تَلْمَعُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ مِنْ تَحْتِ الْعَمَائِمِ زِيٌّ يَهْجُ؛ فَإِذَا مَضَى السُّودَانُ قَدِيمَ خُمَارَوَيْهِ وَقَدْ انْفَرَدَ عَنْ مَوَكَّبِهِ، وَصَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَوَكَّبِ نَحْوُ نِصْفِ غَلْوَةٍ<sup>١</sup> سَهْمٍ وَالْمُخْتَارَةَ تَحْفُ بِهِ، وَكَانَ تَامَ الظَّهْرَ وَيَرْكَبُ فَرَسًا تَامًا، فَيَصِيرُ كَالْكَوْكَبِ إِذَا أَقْبَلَ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ، كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ جَبَلٍ فِي وَسْطِ الْمُخْتَارَةِ.
- وكان مُهَابًا<sup>(b)</sup> ذَا سَطْوَةٍ، وَقَدْ وَقَعَ فِي قُلُوبِ الْكُفَّاءِ أَنَّهُ مَتَى أَشَارَ إِلَيْهِ أَحَدٌ بِأَصْبُعِهِ أَوْ تَكَلَّمَ أَوْ قَرَّبَ مِنْهُ، لَحِقَهُ مَكْرُوهٌ عَظِيمٌ؛ فَكَانَ إِذَا أَقْبَلَ كَمَا ذَكَرْنَا، لَا يُسْمَعُ مِنْ أَحَدٍ كَلِمَةً وَلَا شِعْلَةً وَلَا عَطْسَةً، وَلَا نَحْنَحَةَ أَلْبَتَّةِ، كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ؛ وَكَانَ يَتَّقَلَّدُ فِي يَوْمِ الْعِيدِ سَيْفًا بِحَمَائِلِ، وَلَا يَزَالُ يَتَفَرَّجُ وَيَتَنَزَّهُ، وَيَخْرُجُ إِلَى مَوَاضِعَ لَمْ يَكُنْ أَبُوهُ يَهْشُ إِلَيْهَا، كَالْأَهْرَامِ وَمَدِينَةِ الْعُقَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، لِأَجْلِ الصَّيْدِ فَإِنَّهُ كَانَ مَشْغُوفًا بِهِ، لَا يَكَاذُ يَسْمَعُ بِسَبْعٍ إِلَّا قَصَدَهُ وَمَعَهُ رِجَالٌ عَلَيْهِمْ لُبُودٌ، فَيَدْخُلُونَ إِلَى الْأَسَدِ وَيَتَنَاوَلُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ غَايَةِ عَنُوتِهِ وَهُوَ سَلِيمٌ، فَيَضَعُونَهُ فِي أَقْفَاصٍ مِنْ خَشَبٍ مُحْكَمَةِ الصَّنْعَةِ يَسَعُ الْوَاحِدُ مِنْهَا السَّبْعَ وَهُوَ قَائِمٌ، فَإِذَا قَدِمَ خُمَارَوَيْهِ مِنْ الصَّيْدِ، سَارَ الْقَفْصُ فِيهِ السَّبْعُ بَيْنَ يَدَيْهِ.
- وَكَانَتْ حَلْبَةُ السَّبَاقِ فِي أَيَّامِهِمْ تَقُومُ مَقَامَ الْأَعْيَادِ، لِكثْرَةِ الزَّيْنَةِ وَرُكُوبِ سَائِرِ الْغُلَّامِ وَالْعَسَاكِرِ - عَلَى كَثْرَتِهِمْ - بِالسَّلَاحِ التَّامِ وَالْعُدَدِ الْكَامِلَةِ، فَيَجْلِسُ النَّاسُ لِمَشَاهِدَةِ ذَلِكَ كَمَا يَجْلِسُونَ فِي الْأَعْيَادِ، وَتُطَلَّقُ الْخَيْلُ مِنْ غَايَتِهَا، فَتَمَرُّ مَتَفَاوِتَةً يَتَقَدَّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى يَتَمَّ السَّبْقُ<sup>٢</sup>.

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: مهيا.

<sup>٢</sup> أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٥٩-٦٠.<sup>١</sup> الغلوة. زمنية سهم أبعد ما يُقدر عليه.



قال القضاعي: «المنظر» بناه أحمد بن طولون في ولايته لعرض الخيل. وكان عرض الخيل من عجائب الإسلام الأربعة التي منها هذا العرض، ورمضان بمكة، والعيد كان بطرسوس، والجمعة ببغداد؛ فبقي من هذه الأربعة شهر رمضان بمكة، والجمعة ببغداد، وذهبت اثنتان<sup>١</sup>. قال كاتبه: وقد ذهبت الجمعة من بغداد<sup>(a)</sup> أيضا بعد القضاعي، بقتل هولاء للخليفة المستعصم، وزوال شعائر الإسلام من العراق، وبقيت مكة - شرفها / الله تعالى - وليس في شهر رمضان الآن بها ما يُقال فيه إنه من عجائب الإسلام<sup>٢</sup>.

ولما تكامل عز خمارويه وانتهى أمره، بدأ يسترجع منه الدهر ما أعطاه؛ فأول ما طرقه موت خطيبه بوران التي من أجلها بنى بيت الذهب، وصور فيه صورتها وصورتته كما تقدم، وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له إلا بسلامتها وبنظره إليها وتمتعه بها، فكدر موتها عيشه، وانكسر انكسارًا بان عليه.

ثم إنه أخذ في تجهيز ابنته، فجهزها جهازًا ضاهى به نعم الخلافة، فلم يُتقى خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس إلا حملة معها. فكان من جملته دكة أربع قطع من ذهب، عليها قبة من ذهب مشبك، في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يُعرف لها قيمة، ومائة هون من ذهب<sup>٣</sup>.

قال القضاعي: وعقد المعتضد النكاح على ابنته - يعني ابنة خمارويه - قطر الندى، فحملها أبو الجيش خمارويه مع أبي<sup>(b)</sup> عبد الله بن الجصاص<sup>(c)</sup><sup>٤</sup>، وحمل معها ما لم يُر مثله، ولا يُسمع به.

ولما دخل إليه ابن الجصاص<sup>(c)</sup> يودعه، قال له خمارويه: هل بقي بيني وبينك حساب؟ فقال: لا؛ فقال: انظر حسنًا<sup>(d)</sup>، فقال: كثر بقي من الجهاز؛ فقال: أحضروه، فأخرج ربع طومار فيه

(a) بولاق: بغداد. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الجصاص. (d) بولاق: حسابك.

<sup>١</sup> أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٦٠ وانظر كذلك عرض الخيل عند الفاطميين فيما يلي ٤٦٧.

<sup>٢</sup> نفسه ٣: ٦١.

<sup>٣</sup> راجع سبب زواج الخليفة المعتضد العباسي بقطر الندى ابنة خماروية عند أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٥٢-٥٣.

<sup>٤</sup> أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الحسين بن الجصاص الجوهري المتوفى سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، أحد أعيان التجار ذوي الثروة الواسعة واليسار، أصله من العراق ثم رحل إلى مصر زمن خمارويه بن أحمد بن طولون الذي قربه وجعله وكيله الوحيد في تجهيز قصره بالأحجار الكريمة، وهو الذي =



تَبَتْ ذِكْرَ النَّفَقَةِ، فَإِذَا هِيَ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْمَازَرَانِيِّ: فَتَنظَرْتُ فِي الطُّومَارِ، فَإِذَا فِيهِ «وَأَلْفُ تِكَّةٍ»، الثَّمَنُ عَنْهَا عَشْرَةُ أَلْفِ دِينَارٍ؛ فَأَطْلَقَ لَهُ الْكُلَّ. قَالَ الْقَضَائِعِيُّ: وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا الْخَبَرَ لِتَسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى أَشْيَاءَ: مِنْهَا سَعَةٌ نَفْسِ أَبِي الْجَيْشِ، وَمِنْهَا كَثْرَةُ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ ابْنُ الْجِصَّاصِ<sup>(a)</sup>، حَتَّى إِنَّهُ قَالَ: «كَسَّرْتُ بَقِيَّةَ مِنَ الْجِهَازِ»، وَهُوَ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، لَوْ لَمْ يَقْتَضِهِ ذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْهُ. وَمِنْهَا مَيْسُورُ ذَلِكَ الزَّمَانِ، لَمَّا طُلِبَ فِيهِ أَلْفُ تِكَّةٍ مِنْ أَثْمَانِ عَشْرَةِ دَنَانِيرٍ قَدِرَ عَلَيْهَا فِي أَيْسَرِ وَقْتٍ وَبَأَهْوَنِ سَعْيٍ، وَلَوْ طُلِبَ الْيَوْمَ خَمْسُونَ لَمْ يُقَدَّرْ عَلَيْهَا<sup>١</sup>.

قَالَ كَاتِبُهُ: وَلَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ، فِي أَسْوَاقِ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، تِكَّةٌ بِعَشْرَةِ دَنَانِيرٍ إِذَا طُلِبَتْ تُوجَدُ فِي الْحَالِ، وَلَا بَعْدَ شَهْرٍ، إِلَّا أَنْ يُعْتَنِيَ بِعَمَلِهَا فَتَعْمَلَ.

وَلَمَّا فَرَعَ خُمَارَوَيْهَ مِنْ جِهَازِ ابْنَتِهِ، أَمَرَ فُبْنِيَّ لَهَا - عَلَى رَأْسِ كُلِّ مَرِحَلَةٍ تَنْزِلُ بِهَا - قَصْرًا فِيمَا بَيْنَ مِصْرَ وَبَغْدَادَ، وَأَخْرَجَ مَعَهَا أَخَاهُ شَيْبَانَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ ابْنِ الْجِصَّاصِ<sup>(a)</sup>، فَكَانُوا يَسِيرُونَ بِهَا سَيْرَ الطُّفْلِ فِي الْمَهْدِ، فَإِذَا وَافَتْ الْمَنْزِلَ وَجَدَتْ قَصْرًا قَدْ فُرِشَ فِيهِ جَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَعُلِقَتْ فِيهِ الشُّتُورُ، وَأُعِدَّ فِيهِ كُلُّ مَا يَصْلُحُ لِمِثْلِهَا فِي حَالِ الْإِقَامَةِ. فَكَانَتْ فِي مَسِيرِهَا مِنْ مِصْرَ إِلَى بَغْدَادَ - عَلَى بُعْدِ الشُّقَّةِ - كَأَنَّهَا فِي قَصْرِ أَبِيهَا، تَنْتَقِلُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلَى مَجْلِسٍ، حَتَّى قَدِمَتْ بَغْدَادَ أَوَّلَ الْحَرَمِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، فَزُفَّتْ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُعْتَصِدِ<sup>٢</sup>.

وَبَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ خُمَارَوَيْهَ بِدِمَشْقَ:

وَكَانَتْ مُدَّةُ بَنِي طُولُونَ بِمِصْرَ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَوَلِيَّ مِنْهُمْ خَمْسَةُ أَمْرَاءَ. أَوْلَاهُمْ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ: وَوَلِيَّ مِصْرَ مِنْ قِبَلِ الْمُعْتَزِّ عَلَى صَلَاتِهَا، فَدَخَلَ يَوْمَ

(a) بولاق: الخصاص.

٣٩١؛ ابن شاکر: فوات الوفيات ١: ٣٧٢-٣٧٦؛  
المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٥٢٠-٥٣٤؛ عبد العزيز  
الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع  
الهجري، بيروت - دار المشرق ١٩٧٤، ١٢٢ -  
١٢٤، Pellat, Ch., *El<sup>2</sup> art. Ibn al-Djassâs III*, p. (773).

<sup>١</sup> ابن دقماق: الانتصار ٤: ٦٧.

<sup>٢</sup> أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٦١-٦٣.

= جَهْزُ قَطْرِ النَّدَى ابْنَةُ خُمَارَوَيْهَ عِنْدَ زَوَاجِهَا مِنَ الْخَلِيفَةِ  
الْمُعْتَصِدِ الْعَبَّاسِيِّ فَأَفْرَغَ خَزَائِنَ خُمَارَوَيْهَ حَتَّى قَالَ هَذَا: «لَعَنَ  
اللَّهُ ابْنَ الْجِصَّاصِ، أَفْقَرَنِي فِي السَّرِّ» (التنوخني: نشوار  
المحاضرة ٢: ٣١٥). وَفِي أَعْقَابِ ذَلِكَ نَقَلَ ابْنُ الْجِصَّاصِ  
مَرْكَزَهُ إِلَى بَغْدَادَ حَيْثُ زَادَتْ ثَرْوَتُهُ وَأَتَّسَعَتْ نَفْوَدُهُ. (رَاجِعْ،  
المسعودي: مروج الذهب ٥: ١٣٩-١٤٠، ١٧٣؛  
التنوخني: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ١: ٢٥-٣٧،  
٢: ٣١٢-٣١٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢: ٣٨٦-



الخميس لسبع بقين من شهر رَمَضان سنة أربع وخمسين ومائتين<sup>١</sup>.

وخرَج بُغا الأَصغر، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طَباطبَا<sup>٢</sup>، فيما بين بَرَقَة والإسكَنْدَرِيَّة، في جُمادى الأولى سنة خمس وخمسين، وسارَ إلى الصَّعيد، فقتلَ في الحَرْب، وُحِمِلَ رأسُه إلى القُسْطاط لإحدى عشرة بقيت من شَعْبان.

وخرَج ابنُ الصُّوفي العلوي، وهو إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عُمر ابن علي بن أبي طالب، ودَخَلَ إسْنا في ذي القعدة، فنَهَبَ وقتلَ. فبَعَثَ إليه ابنُ طُولون جيشًا، فهزَمَ الجَيْش في ربيع الأوَّل سنة ست وخمسين، فبَعَثَ بجيشٍ آخَرَ، فواقَعَه بإخميم في ربيع الآخر، فانهزم ابنُ الصُّوفي إلى ألواح فأقامَ به<sup>٣</sup>.

وخرَج أحمد بن طُولون يُريدُ حَرْبَ عيسى بن الشيخ، ثم عادَ فابتدأ في بناء المَيْدان. وقَدِمَ العَبَّاسُ وخَمَارَوَيْه من أبناء أحمد<sup>(a)</sup> بن طُولون، من العراق على طريقِ مَكَّة سنة سبع وخمسين<sup>٤</sup>. ووَزِدَ كتابُ يارجوخ<sup>(b)</sup> بتَسَلُّم أحمد بن طُولون الأعمال الخارجة عن يده من أرض مصر، فتسَلَّم الإسكَنْدَرِيَّة، وخرَجَ إليها لثمانِ خَلَوْن من شهر رَمَضان، واستخلف طَغَلَج<sup>(c)</sup> صاحب

(a) بولاق: وخمارويه ابنا أحمد. (b) بولاق: ماجور. (c) بولاق: طنج.

المغرب (قسم مصر) ٧٣-١٤٦؛ المقرئ: المقفى الكبير ٤١٧:١-٤٥٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١:٣-٤٩؛ وراجع من الدراسات الحديثة: Corbett, E.R., «The Life and Works of Ahmed ibn Tulun», *JRAS* XVIII (1891), pp. 527-62; Hassan, Z.M., *El<sup>2</sup> art. Ahmad b. Tûlûn I*, pp. 287-88؛ سيدة إسماعيل كاشف: أحمد ابن طولون، القاهرة ١٩٦٥.

<sup>٢</sup> توفي بُغا الأصغر سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م (راجع، المقرئ: المقفى الكبير ١:٦٢٠).

<sup>٣</sup> راجع أخبار ابن الصوفي العلوي، المتوفى بعد سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٣م عند الكندي: ولاية مصر ٢٤٠، ٢٤١؛ المقرئ: المقفى الكبير ١:٣١٨-٣١٩؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٣:٦-٧).

<sup>٤</sup> الكندي: ولاية مصر ٢٤٢.

<sup>١</sup> أهم مصادر سيرة ابن طولون كتاب «المشتخسن من أخبار أحمد بن طولون» لأبي جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكاتب المعروف بابن الذاية المتوفى بعد سنة ٣٣٠هـ / ٩٤٢م (انظر ياقوت: معجم الأدياء ٢:١٥٧-١٦٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٨:٢٨٢-٢٨٣). ولم يصل إلينا أصل هذا الكتاب وإن كان ابن سعيد المغربي قد ضمَّنه في كتاب «الترُّ المكنون في حُلَى دولة بني طولون» أحد أقسام قسم مصر من كتاب «المغرب في حلى المغرب»، وأيضًا كتاب «سيرة أحمد بن طولون» لأبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي المتوفى في النصف الثاني للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وقد وصل إلينا هذا الكتاب ونشره علامة الشام محمد كردعلي في دمشق سنة ١٣٥٨هـ، واعتمد المقرئ كثيرًا على كتاب البلوي ونقل منه نقولًا مطوَّلة. وأخبار ابن طولون كثيرة في كتب التاريخ، انظر على الأخص ابن سعيد:



الشُّرَط . ثم قَدِمَ لأربع عشرة بقيت من شَوَّال ، وَسَخِطَ على أخيه مُوسَى ، وأَمَرَهُ بلباس البِياض ،  
وخرَجَ إلى الإسكَنْدَرِيَّة ثانياً لثمانٍ بقين من شَعْبَانَ سنة تسع وخمسين ، واستخلف ابنه العَبَّاس .  
وقَدِمَ لثمانٍ خَلَوْنَ من شَوَّال ، وأَمَرَ ببناء المَسْجِدِ الجامِعِ على الجَبَلِ في صَفَرِ سنة تسع وخمسين ،  
وبناء المَارِشْتان للمَرَضَى <sup>١</sup> .

٥ وورَدَ كِتَابُ المُعْتَمِدِ يَسْتَحِثُّه في حَمْلِ الأَمْوَالِ ، فَكَتَبَ إليه : «لَسْتُ أَطِيقُ ذلكَ والخَرَاجَ بيدِ  
غيري» . فَأَنفَذَ المُعْتَمِدُ نَفِيسَ الخَادِمِ بِتَقْلِيدِ أحمد بن طُولون الخَرَاجَ ، وبولايته الثُّغُورَ الشَّامِيَّةَ . فَأَقْرَبَ  
أبا أَيُّوبَ أحمد بن محمد بن شُجاعَ على الخَرَاجِ خَلِيفَةً له عليه ، وَعَقَدَ لَطَخْشِي بن بَلْبَرْدَ على  
الثُّغُورِ ، فَخَرَجَ في جُمَادَى الأولى سنة أربع وستين <sup>٢</sup> .

١٠ وتقدَّم أبو أحمد المَوْقُوقُ إلى مُوسَى بن بُغَا في صَفَرِ أحمد بن طُولون وتَقْلِيدِهَا أَمَاجُور<sup>a</sup>  
التركي والي دِمَشْقَ ، فَكَتَبَ إليه بذلك ، فَتَوَقَّفَ لَعَجْزِهِ عن مُقاوَمَةِ ابنِ طُولون ، فَخَرَجَ مُوسَى بن  
بُغَا ونَزَلَ الرِّقَّةَ . فَبَلَغَ ابنَ طُولون أَنَّهُ سائِرٌ إليه ، فابتدأ في بناء الحِصْنَ بِالجزيرة ليكون مَعْقِلاً لِمَالِهِ  
وخرمِهِ في سنة ثلاث وستين ، واجتهد في عَمَلِ المراكبِ الحربيَّةِ ، وأطافها بِالجزيرة . فأقام مُوسَى  
بِالرِّقَّةِ عشرة أشهر ، واضْطَرَبَتِ أُمُورُهُ <sup>٣</sup> .

١٥ ومات في صَفَرِ سنة / أربع وستين . ومات أَمَاجُور<sup>a</sup> بِدِمَشْقَ ، واستخلف ابنه علي بن  
أَمَاجُور<sup>a</sup> . فَخَرَكَ ذلكَ أحمد بن طُولون على المسير ، وَكَتَبَ إلى ابنِ أَمَاجُور<sup>a</sup> أَنَّهُ سائِرٌ إليه وأَمَرَهُ  
بإقامة الأَنْزَالِ والميْرَةِ ، فَأجابَ بِجوابٍ حَسَنٍ .

٢٠ وشكَا أَهْلُ مِصرَ إلى ابنِ طُولون ضيقَ المَسْجِدِ الجامِعِ يومَ الجُمُعَةِ بِجُنْدِهِ وسُودانِهِ ، فَأَمَرَ ببناء  
المَسْجِدِ الجامِعِ بِجَبَلِ يَشْكُرَ ، فابتدأ بِنائِهِ في سنة أربع ، وَتَمَّ في سنة ستِّ وستين ومائتين <sup>٤</sup> .  
وخرَجَ في جُيُوشِهِ لثمانٍ بقين من شَعْبَانَ سنة أربع وستين ، واستخلف ابنه العَبَّاس <sup>٥</sup> ، وَصَمَّ إليه  
أحمد بن محمد الواسِطِي مُدَبِّرًا ووزيرًا ، فَبَلَغَ الرَّمْلَةَ ، وتلقاه محمد بن رافع واليها ، وأقام له بها

(a) بولاق : ماجور . (b) بولاق : طفج .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ٢٤٢-٢٤٣ ؛ أبو المحاسن : <sup>٤</sup> نفسه ٢٤٥ ، وانظر عن الجامع فيما يلي ٢٦٥:٢-  
النجوم ٧:٣ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢٤٣-٢٤٤ ؛ نفسه ٧:٣ . <sup>٥</sup> انظر عن العباس بن أحمد بن طولون El<sup>2</sup> art.

al-<sup>٥</sup> Abbās b. Ahmad b. Tūlūn, Suppl. p. 1.

<sup>٣</sup> نفسه ٢٤٤ .



الدَّعْوَةَ ، فَأَقْرَه . وَمَضَى إِلَى دِمَشْق ، فَتَلَقَاهُ عَلِيٌّ بْنُ أَمَاجُور<sup>(a)</sup> ، وَأَقَامَ لَهُ بِهَا الدَّعْوَةَ ، فَأَقَامَ حَتَّى اسْتَوْتَقَ لَهُ أَمْرَهَا . وَمَضَى إِلَى حِمص فَتَسَلَّمَهَا ، وَبَعَثَ إِلَى سَيْمَى الطَّوِيلِ - وَهُوَ بِأَنْطَاكِيَّة - بِأَمْرِهِ بِالدُّعَاءِ لَهُ ، فَأَتَى ، فَسَارَ إِلَيْهِ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ وَحَاصِرِهِ ، وَرَمَاهُ بِالْمَجَانِيْقِ حَتَّى دَخَلَهَا فِي الْحَرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِينَ ، فَقَتَلَ سَيْمَى ، وَاسْتَبَاحَ أَمْوَالَهُ وَرَجَالَهُ<sup>١</sup> .

وَمَضَى إِلَى طَرَسُوسٍ فَدَخَلَهَا فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، فَضَاقَتْ بِهِ وَغَلَا السُّعْرُ بِهَا ، فَتَابَذَهُ أَهْلُهَا فَقَاتَلَهُمْ ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَنْهَزُمُوا عَنْ أَهْلِ طَرَسُوسٍ لِيَبْلُغَ طَاغِيَةُ الرُّومِ فَيَعْلَمُ أَنَّ جَيْوشَ ابْنِ طُولُونَ - مَعَ كَثْرَتِهَا وَشِدَّتِهَا - لَمْ تَقُمْ لِأَهْلِ طَرَسُوسٍ فَانْهَزَمُوا . وَخَرَجَ عَنْهُمْ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا طَخْشِي ، فَوَزَدَ الْخَبْرُ عَلَيْهِ أَنَّ ابْنَ الْعَبَّاسِ قَدْ خَالَفَ عَلَيْهِ ، فَأَزْعَجَهُ ذَلِكَ وَسَارَ . فَخَافَ الْعَبَّاسُ وَقَيْدَ الْوَاسِطِيِّ ، وَخَرَجَ بِطَائِفَتِهِ إِلَى الْجِيْزَةِ لِثَمَانٍ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِينَ وَمِائَتَيْنِ فَعَسَكَرَ بِهَا ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ رَبِيعَةَ بْنَ أَحْمَدَ ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ وَسَارَ إِلَى بَرْقَةَ<sup>٢</sup> .

فَقَدِمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ مِنَ الشَّامِ لِأَرْبَعِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، فَأَنْقَذَ الْقَاضِيَّ بَكَارَ بْنَ قُتَيْبَةَ فِي نَقْرِ بَيْتَابِهِ إِلَى الْعَبَّاسِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ بِبَرْقَةَ ، فَأَتَى أَنْ يَرْجِعَ ، وَعَادَ بَكَارٌ فِي أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ ؛ وَمَضَى الْعَبَّاسُ يُرِيدُ إِفْرِيقِيَّةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ سِتِّ وَسِتِينَ ، فَتَهَبَ لِبَدَّةَ ، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا عِدَّةً ، وَضَجَّتْ نِسَاؤُهُمْ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَيْشُ ابْنِ الْأَغْلَبِ وَالْأَبَاضِيَّةِ ، فَقَاتَلَهُمْ بِنَفْسِهِ وَحَسُنَ بِلَاؤُهُ يَوْمَئِذٍ ، وَقَالَ :

[البسيط]

لِلَّهِ دَرِّي إِذْ أَعْدُو عَلَى فَرَسِي  
وَفِي يَدِي صَارِمٌ أَفْرِي الرُّؤُوسِ بِهِ  
إِنْ كُنْتُ سَائِلَةً عَنِّي وَعَنْ خَبْرِي  
مَنْ آلِ طُولُونَ أَصْلِي إِنْ سَأَلْتَ فَمَا  
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَةً كَرِّي بِلَبْدَةِ إِذْ  
إِذَنْ لَعَايَنْتِ مِنِّي مَا تَنَادَرُوهُ<sup>(b)</sup>

إِلَى الْهَيْتَاجِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَشْتَعِرُ  
فِي حَدِّهِ الْمَوْتُ لَا يُتَّقِي وَلَا يَنْدُرُ  
فَهَا أَنَا اللَّيْثُ وَالصُّمُصَامَةُ الذُّكْرُ  
فَوْقِي لِمُقْتَخِرٍ بِالْجُودِ مُفْتَخِرُ  
بِالسَّيْفِ أَضْرِبُ وَالْهَامَاتِ تُبْتَدَرُ  
عَنِّي الْأَحَادِيثُ وَالْأَنْبَاءُ وَالْخَبْرُ

(a) بولاق : ماجور . (b) بولاق : تبادره .

<sup>٣</sup> نفسه ٢٤٧-٢٤٨ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢٤٦-٢٤٧ .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٤٦ .



وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ صِنَادِيدُ عَسْكَرِهِ وَوُجُوهُ أَصْحَابِهِ ، وَنُهَبَتْ أَمْوَالُهُ ، وَفَرَّ إِلَى بَرْقَةَ فِي ضُرِّ ١ .

وَعَقَدَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ عَلَى جَيْشِهِ ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى بَرْقَةَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ . ثُمَّ خَرَجَ بِنَفْسِهِ فِي عَسْكَرٍ عَظِيمٍ ، يُقَالُ إِنَّهُ بَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ ، لِثِنْتِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِينَ ، فَأَقَامَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وَفَرَّ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَأَسِطِيُّ مِنَ عِنْدِ الْعَبَّاسِ ، فَصَغُرَ عِنْدَهُ أَمْرُ الْعَبَّاسِ ، فَعَقَدَ عَلَى جَيْشِ سَيِّرِهِ إِلَى بَرْقَةَ ، فَوَاقَعُوا أَصْحَابَ الْعَبَّاسِ وَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ كَثِيرًا ، وَأَذْرَكُوا الْعَبَّاسَ لِأَرْبَعِ نَحْلُونَ مِنْ رَجَبٍ .

وَعَادَ أَحْمَدُ إِلَى الْفُسْطَاطِ لثَلَاثِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْهُ ، وَقَدِيمَ الْعَبَّاسِ وَالْأَسْرَى فِي سُؤَالٍ ، ثُمَّ أَخْرَجُوا أَوَّلَ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَقَدْ بُنِيَتْ لَهُمْ دِكَّةٌ عَالِيَةٌ ، فَضَرِبُوا وَأَلْقَوْا مِنْ أَغْلَاهَا ٢ .

ثُمَّ بَعَثَ بِلُؤْلُؤٍ فِي جَيْشِهِ إِلَى الشَّامِ ، فَخَالَفَ عَلَى أَحْمَدَ وَمَالَ مَعَ الْمُؤَفَّقِ وَصَارَ إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ أَحْمَدُ ، وَاسْتَخْلَفَ ابْنَهُ خُمَارَوَيْهَ فِي صَفَرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِينَ ، فَنَزَلَ دِمَشْقَ - وَمَعَهُ ابْنُ الْعَبَّاسِ مُقَيَّدٌ - فَخَالَفَ عَلَيْهِ أَهْلَ طَرَسُوسَ ، فَخَرَجَ يُرِيدُ مُحَارَبَتَهُمْ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ لُورُودُ كِتَابِ الْمُعْتَمِدِ عَلَيْهِ ؛ أَنَّهُ قَائِمٌ عَلَيْهِ لِيَلْتَجِيَ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ كَالْمُتَّصِدِ مِنْ بَغْدَادَ ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الرَّقَّةِ ؛ فَبَلَغَ أَبَا أَحْمَدَ الْمُؤَفَّقَ مَسِيرَهُ - وَهُوَ مُحَارِبٌ لِصَاحِبِ الزُّنْجِ ٣ - فَعَمِلَ عَلَيْهِ حَتَّى عَادَ إِلَى سَامَرَّا ، وَوَكَّلَ بِهِ جَمَاعَةً ، وَعَقَدَ لِإِسْحَاقَ بْنِ كِنْدَاجِ الْحَزْرِيِّ عَلَى مِصْرَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ طُولُونَ ، فَرَجَعَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَأَخْضَرَ الْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَكَتَبَ إِلَى مِصْرَ كِتَابًا قُرِئَ عَلَى النَّاسِ : بِأَنَّ أَبَا أَحْمَدَ الْمُؤَفَّقَ نَكَثَ بَيْعَةَ الْمُعْتَمِدِ ، وَأَسْرَهُ فِي دَارِ أَحْمَدَ بْنِ الْخَصِيبِ ، وَأَنَّ الْمُعْتَمِدَ قَدْ صَارَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا لَا يَجُوزُ ذِكْرُهُ وَأَنَّهُ بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا . فَلَمَّا خَطَبَ الْخَطِيبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ذَكَرَ مَا نَبِلَ مِنَ الْمُعْتَمِدِ ، وَقَالَ :  
اللَّهُمَّ فَانْكُفِهِ مَنْ حَصَرَهُ وَظَلَمَهُ .

وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ بَكَّارُ بْنُ قُتَيْبَةَ وَجَمَاعَةٌ إِلَى دِمَشْقَ ، وَقَدْ حَصَرَ أَهْلَ الشَّامَاتِ وَالشُّغُورَ ، فَأَمَرَ ابْنَ طُولُونَ بِكِتَابٍ فِيهِ خَلَعَ الْمُؤَفَّقُ مِنْ وِلَايَةِ الْعَهْدِ مُخَالَفَةَ الْمُعْتَمِدِ وَحَصْرَهُ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ فِيهِ : «إِنَّ أَبَا أَحْمَدَ الْمُؤَفَّقَ خَلَعَ الطَّاعَةَ وَبَرَى مِنَ الذُّمَّةِ ، فَوَجِبَ جِهَادُهُ عَلَى الْأُمَّةِ» . وَشَهِدَ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعُ ٢٠

١ الكندي : ولاة مصر ٢٤٨-٢٤٩ .  
٢ نفسه ٢٤٩-٢٥٠ ؛ وقارن البلوي : سيرة أحمد بن

طولون ٢٦٨-٢٦٩ .  
(راجع ، فيصل السامر : ثورة الزنج ، بغداد ١٩٥٤ ؛

Popovic, A., *La révolte des esclaves en Iraq au*

*III° / IX° siècle*, Paris 1976 .

٣ أفلقت ثورة الزنج التي اشتعلت لمدة أربع عشرة سنة



من حضر، إلا بكار بن قتيبة/ وآخرين، وقال بكار: لم يصح عندي ما فعله أبو أحمد ولم أعلمه، وامتنع من الشهادة والخلع، وكان ذلك لإحدى عشرة<sup>a</sup> نزلت من ذي القعدة<sup>١</sup>.

فبلغ ذلك الموفق، فكتب إلى عماله ببلغن أحمد بن طولون على المنابر، فلين عليها بما صيغته: «اللهم العنه لغنا يقل حده ويثعبس جدده، واجعله مثلاً للغابرين، إنك لا تضيع عمل المفسدين». ومضى أحمد إلى طرسوس فنازلها، وكان البرد شديداً، ثم رحل عنها إلى أدنة<sup>٢</sup>.

وسار إلى المصيصة فنزلت به علة الموت. فأعد السير يريد مصر حتى بلغ الفرما، فركب النبل إلى القسطنطين، فدخل لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين، فأوقف بكار بن قتيبة، وبعث به إلى السجن. وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الأحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين. فلما بلغ المعتد موته اشتد وجده وجزعه عليه، وقال يزيه<sup>٣</sup>:

[المقارب]

إلى الله أشكو أسى	عزاني كوقع الأسل
على رجل أزوع	يزى منه فضل الرجل <sup>b</sup>
شهاب حبا وفده	وعارض غيب أقل
شكت دولتي فقده	وقد <sup>c</sup> كان زين <sup>d</sup> الدول

فقام بعده ابنه أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، وبايعه الجند يوم الأحد لعشر خلون من ذي القعدة<sup>٤</sup>، فأمر بقتل أخيه العباس لامتناعه عن مبايعته. وعقد لأبي عبد الله أحمد الواسطي على جيش إلى الشام لست خلون من ذي الحجة، وعقد لسعد الأيسر على جيش آخر، وبعث بمراكب في البحر لتقيم على السواحل الشامية. فنزل الواسطي فلسطين، وهو خائف من

(a) عند الكندي لاثني عشرة ليلة. (b) بولاق: الوجل. (c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: بزین.

الأعيان ٢: ٢٤٩-٢٥١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء

١ الكندي: ولاية مصر ٢٥١-٢٥٢.

١٣: ٤٤٦-٤٤٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات

٢ نفسه ٢٥٤.

١٣: ٤١٦-٤١٨؛ المقرئ: المقفى الكبير ٣: ٨١١-

٣ نفسه ٢٥٦-٢٥٧.

٨٣٣؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ٤٩-٨٧؛

Haarmann, U., *El<sup>2</sup> art. Khumârawayh V*, pp.

50-52.

٤ راجع أخبار أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون

أيضاً عند، الكندي: ولاية مصر ٢٥٨-٢٦٤؛ ابن سعيد:

المغرب (قسم مصر) ١٣٤-١٤٠؛ ابن خلكان: وفيات



خُمارَوَيْه أن يُوقِعَ به لأنَّه كان أشارَ عليه بقتل أخيه العبَّاس ، فكُتِبَ إلى أبي أحمد المَوْفَّقِ يُصَغِّرُ أَمْرَ خُمارَوَيْه ، ويُحَرِّضُه على المَسِيرِ إليه <sup>١</sup> .

فأقْبَلَ من بَغْداد ، وانضمَّ إليه إسحاقُ بن كنداج ومحمد بن أبي الشَّاج ، ونَزَلَ الرِّقَّةَ فتَسَلَّمَ قَتَّاشِينَ والعواصِمَ ، وسارَ إلى شَيْزَرَ ، فقاتَلَ أصحابَ خُمارَوَيْه وهَزَمَهُمْ ، ودَخَلَ دِمَشقَ . فخرَجَ خُمارَوَيْه في جَيْشٍ عَظِيمٍ ، لعشرِ خَلَوْنٍ من صَفَرِ سنةِ إحدى وسبعين ، فالتَقَى مع أحمد بن المَوْفَّقِ <sup>٥</sup> بنَهْرَ أبي فُطْرُسٍ <sup>(a)</sup> - المعروف بالطَّواجِينِ - من أَرْضِ فِلَسْطِينِ ، واقتَتَلَ ، فانهَزَمَ أصحابُ خُمارَوَيْه ، وكان في سبعين ألفًا وابن المَوْفَّقِ في نحو أربعة آلاف ، واحتوى على عَسْكَرِ خُمارَوَيْه بما فيه . ومَضَى خُمارَوَيْه إلى الفُسطاطِ ، وأقْبَلَ كمينَ كان <sup>(b)</sup> له عليه سَعْدُ الأَيْسَرِ <sup>(c)</sup> ، ولم يَعْلَمْ بهزيمةِ خُمارَوَيْه ، فحاربَ ابن المَوْفَّقِ حتى أزاله عن المُعَسْكَرِ ، وهزَمَه اثني عشر ميلًا ، ومَضَى إلى دِمَشقَ فلم يُفْتَحَ له <sup>٢</sup> .

ودَخَلَ خُمارَوَيْه إلى الفُسطاطِ لثلاثِ خَلُونٍ من ربيعِ الأوَّلِ ، وسارَ سَعْدُ الأَيْسَرِ <sup>(c)</sup> والواسِطِي فمَلَكَ دِمَشقَ . وخرَجَ خُمارَوَيْه من مصرَ لسبعِ بقين من رَمَضانَ ، فوصلَ إلى فِلَسْطِينِ ، ثم عادَ لاثني عشرة بقيت من شَوَّالٍ ، ثم خرَجَ في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ، فقتَلَ سَعْدًا الأَيْسَرِ <sup>(c)</sup> ، ودَخَلَ دِمَشقَ لسبعِ خَلَوْنٍ من المحرَّمِ سنة ثلاثِ وسبعين <sup>٣</sup> .

١٥ وسارَ لِقِطالِ ابنِ كَنداجِ ، فكانت على خُمارَوَيْه فانهَزَمَ أصحابُه ، وثَبَّتَ هو في طائِفَةٍ ، فهزَمَ ابن كَنداجِ واتَّبَعَه حتى بَلَغَ أصحابُه سُرَّ من رَأى ، ثم اضْطَلَحَا وتَصَاهَرَا <sup>(d)</sup> ، وأقْبَلَ إلى خُمارَوَيْه فأقامَ في عَسْكَرِه ، ودَعَا له في أعمالِه التي بيده <sup>٤</sup> .

٢٠ وكاتبَ خُمارَوَيْه أبا أحمد المَوْفَّقِ في الصُّلحِ ، فأجابَه إلى ذلك ، وكُتِبَ له بذلك كِتَابًا ، فوردَ عليه به فالقُ الخادِمِ إلى مصرَ في رَجَبِ ، ذَكَرَ فيه أنَّ المُعْتَمِدَ والمَوْفَّقِ وابنه كَتَبوه بأيديهم ، وبولايةِ خُمارَوَيْه وولَدَه ثلاثين سنة على مصر والشَّامات . ثم قَدِمَ خُمارَوَيْه سَلخَ رَجَبِ ، فأمرَ بالدُّعاء

(a) بولاق : بطرس . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : الأعسر والمثبت من آياصوفيا والظاهرية والكندي .

(d) بولاق : تظاهرا .

<sup>٣</sup> نفسه ٢٦٠ .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٥٨ .

<sup>٤</sup> نفسه ٢٦٠ - ٢٦١ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢٥٩ - ٢٦٠ .



لأبي أحمد الموفق وترك الدعاء عليه ، وجعل على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب . وبلغه مسير محمد بن أبي الشاج إلى أعماله ، فخرج إليه في ذي القعدة ، ولقيه بشيعة العقاب<sup>a</sup> من دمشق ، فانهزم أصحاب خمارويه ، وثبت هو فحاربه حتى هزمه أقبح هزيمة<sup>١</sup> .

وعاد إلى مصر ، فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ، ثم خرج إلى الإسكندرية لأربع خلون من شوال ، وورد الخبر أنه دعي له بطرسوس في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين ، وخرج إلى الشام لسبع عشرة من ذي القعدة .

ومات الموفق في سنة ثمان وسبعين ، ثم مات المعتضد في رجب سنة تسع وسبعين ؛ وتويع المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفق ، فبعث إليه خمارويه بالهدايا ، وقدم من الشام لست خلون من ربيع الأول سنة ثمانين . فورد كتاب المعتضد بولاية خمارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة ، من الفرات إلى بركة ، وجعل له الصلاة والخراج والقضاء وجميع الأعمال ، على أن يحمل في كل عام مائتي ألف دينار عمًا مضى ، وثلاث مائة ألف للمستقبل<sup>٢</sup> .

ثم قدم رسول المعتضد بالخلع ، وهي اثنا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح ، مع خادم في رمضان . وعقد المعتضد نكاح قطر الندى بنت خمارويه في سنة إحدى وثمانين<sup>٣</sup> .

وفيهما خرج خمارويه إلى نزهته بتزيوط<sup>b</sup> في شعبان ، ومضى إلى الصعيد فبلغ شيوط ، ثم رجع في<sup>c</sup> الشرق إلى القسطنطين أول ذي القعدة . وخرج إلى الشام لثمان خلون من شعبان سنة اثنتين وثمانين ، فأقام بمثية الأصبغ ومثية مطر ، ثم رحل حتى أتى دمشق ، فقتل بها على فراشه ذبحه جواريه / وخذائمه<sup>d</sup> .<sup>٤</sup>

وحمل في صندوق إلى مصر ، وكان لدخول تابوته يوم عظيم ، واستقبله جواريه وجواري غلمانهم ونساء قواده ونساء القطائع بالصياح وما يوضع في الماتم ، وخرج الغلمان وقد حلوا أقبيتهم ، وفيهم من سود ثيابه وشققها ، وكانت في البلد ضجة عظيمة وصرخة<sup>٥</sup> .

(a) بولاق : شية العقاب . (b) الكندي : بمريوط . (c) بولاق : من . (d) بولاق : خدمه .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ٢٦١-٢٦٢ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢٦٣-٢٦٤ .

<sup>٣</sup> نفسه ٢٦٤ ، وانظر نكاح قطر الندى فيما تقدم ٩٤ - ١٣٤ .

<sup>٤</sup> انظر أسباب قتل خمارويه عند ، ابن الأثير : الكامل في

التاريخ ٧: ٤٧٤-٤٧٥ ؛ ابن سعيد : المغرب (قسم مصر)



تَتَفَتَّحَ الْقُلُوبَ حَتَّى دُفِنَ . وَكَانَتْ مُدَّتُهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ عَشْرٍ يَوْمًا <sup>١</sup> .

ثُمَّ وَلِيَ أَبُو الْعَسَاكِرِ جَيْشُ بْنُ خُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، بِدِمَشْقَ . فَسَارَ إِلَى مِصْرَ ، وَاشْتَمَلَ عَلَى أُمُورِ أَنْكِرَتْ عَلَيْهِ ، فَاسْتَوْحَشَ مِنْ عُظَمَاءِ الْجُنْدِ وَتَنَكَّرَ لَهُمْ ، فَخَافُوهُ وَدَابُّوا فِي الْفَسَادِ . فَخَرَجَ مُتَنَزِّهًا إِلَى مِثْبَةِ الْأَصْبَحِ ، فَفَرَّ جَمَاعَةٌ مِنْ عُظَمَاءِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمُعْتَصِدِ ، وَخَلَعَهُ أَحْمَدُ بْنُ طُعَانَ وَكَانَ عَلَى الشَّغْرِ ، وَخَلَعَهُ طُغَيْجُ بْنُ جُفِّ بِدِمَشْقَ ، فَوَثَبَ جَيْشٌ عَلَى عَمِّهِ مُضَرَّ <sup>(a)</sup> بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ فَقَتَلَهُ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الْجَيْشُ وَخَلَعُوهُ ، وَجَمَعُوا الْفُقَهَاءَ وَالْقُضَاةَ ، فَتَبَّرُوا مِنْ بَيْعَتِهِ وَخَلَّلَهُمْ مِنْهَا .

وَكَانَ خَلَعَهُ لِعَشْرِ خَلُونَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ ، فَوَلِيَ سَنَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنَيْ عَشْرَ يَوْمًا ، وَمَاتَ فِي السُّجْنِ بَعْدَ أَيَّامٍ <sup>٢</sup> .

ثُمَّ وَلِيَ أَبُو مُوسَى هَارُونَ بْنُ خُمَارَوَيْهِ يَوْمَ خَلَعَ جَيْشٌ ، فَقَامَ طَائِفَةٌ مِنَ الْجُنْدِ ، وَكَاتَبُوا رَبِيعَةَ ابْنَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ وَكَانَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَدَعَاوَهُ وَوَعَدُوهُ بِالْقِيَامِ مَعَهُ . فَجَمَعَ جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْبَحِيرَةِ وَمِنَ الْبَرْبَرِ وَغَيْرِهِمْ ، وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ ظَاهِرَ قُسْطَاطِ مِصْرَ ، فَخَذَلَهُ الْقَوْمُ وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْقَوَادُّ ، فَقَاتَلُوهُ وَأَسْرَوْهُ لِاحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، وَضُرِبَ أَلْفَ سَوْطٍ وَمِائَتَيْ سَوْطٍ ، فَمَاتَ <sup>٣</sup> .

وَمَاتَ الْمُعْتَصِدُ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ، وَبُوِيَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ الْمُكْتَفِيَّ بِاللَّهِ ، وَخَرَجَ الْقَرْمَطِيُّ بِالشَّامِ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ ، فَخَرَجَ الْقَوَادُّ مِنْ مِصْرَ وَحَارَبُوهُ فَهَزَمَهُمْ <sup>٤</sup> .

وَبَعَثَ الْمُكْتَفِيُّ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ الْكَاتِبَ فَنَزَلَ حِمَصَ ، وَبَعَثَ بِالْمَرَائِبِ مِنَ الشَّغْرِ إِلَى سَوَاحِلِ مِصْرَ ، وَأَقْبَلَ إِلَى فِلَسْطِينَ . فَخَرَجَ هَارُونَ يَوْمَ الثَّرْوِيَّةِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَسَيَّرَ الْمَرَائِبَ الْحَرَبِيَّةَ ، فَالْتَقَوْا بِمَرَائِبِ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ فِي تَيْسِ فَعَلَبُوا ، وَمَلَكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ تَيْسَ وَدِمِيَاطَ . فَسَارَ هَارُونَ إِلَى الْعَبَّاسَةِ ، وَمَعَهُ أَهْلُهُ وَأَعْمَامُهُ فِي ضَيْقٍ

(a) الكندي : نصر .

١١٧؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٣: ٨٨-٩٨ .

١ الكندي : ولاية مصر ٢٦٤ .

٣ نفسه ٢٦٦ .

٢ نفسه ٢٦٥-٢٦٦؛ وانظر كذلك ابن سعيد : المغرب

٤ نفسه ٢٦٧ .

(قسم مصر) ١٤٣-١٤٤؛ الصفدي : الوافي بالوفيات

١١: ٢٢٩-٢٣٠؛ المقرئ : المقفى الكبير ٣: ١١٦-



وجُهد، فتفرق عنه كثير من أصحابه، وبقي في نفي يسير وهو مُتشاغل باللُّهو. فأجمع عمّاه شيبان وعديّ ابنا أحمد بن طولون على قتله، فدخلا عليه وهو ثمل، فقتلاه ليلة الأحد لإحدى عشرة بقية من صفر سنة اثنتين وتسعين، وسنه يومئذ اثنان وعشرون سنة، فكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وأياماً<sup>١</sup>.

ثم ولي شيبان بن أحمد بن طولون أبو المقانب<sup>٢</sup> لعشر بقين من صفر، فرجع إلى القسطنطاط. وبلغ طنج بن جف وغيره من القواد قتل هارون، فأنكروه وخالفوا على شيبان، وبعثوا إلى محمد بن سليمان فأمنهم، وحرّكوه على المسير إلى مصر، فسار حتى نزل العباسة، فلقيه طنج في ناس من القواد كثير، فساروا به إلى القسطنطاط، وأقبل إليهم عامة أصحاب شيبان. فخاف حينئذ شيبان، وطلب الأمان، فأمنه محمد بن سليمان، وخرج إليه لليلة خلّت من ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وكانت ولايته اثني عشر يوماً<sup>٣</sup>.

ودخل محمد بن سليمان يوم الخميس أول ربيع الأول، فألقى النار في القطائع، ونهب أصحابه القسطنطاط، وكسروا الشجون وأخرجوا من فيها، وهجموا الدور، واشتباحوا الحرم، وقتكوا في الرعيّة<sup>٤</sup>، واقتضوا الأبقار، وساقوا النساء، وفعلوا كل قبيح، من إخراج الناس من دورهم وغير ذلك. وأخرج ولد أحمد بن طولون وهم عشرون إنساناً، وأخرج قوادهم فلم يتق بمصر منهم أحد يُذكر، وخلّت منهم الديار، وعفت منهم الآثار، وتعلّط منهم المنازل، وحلّ بهم الدل بعد العز، والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونصرة الملك ومساعدة الأيام<sup>٥</sup>.

ثم سيق أصحاب شيبان إلى محمد بن سليمان وهو راكب، فدبخوا بين يديه كما تُدبج الشياه، وقتل من السودان - سكان القطائع - خلقاً كثيراً؛ فقال أحمد بن محمد الحبشي<sup>٥</sup>:

(a) بولاق : أبو الواقيت . (b) آياصوفيا وبولاق : وهتكوا الرعية والتمت من الظاهرية .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٦٨ - ٢٦٩ ؛ وانظر كذلك ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ١٤٤ - ١٤٥ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٩٨ : ٣ - ١٣٤ .  
<sup>٢</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٧١ ، وقارن مع أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ١٣٨ - ١٣٩ .

<sup>٣</sup> نفسه ٢٧٠ ؛ وانظر كذلك ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ١٤٥ - ١٤٦ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٣٤ - ١٣٨ وفيه أن مدة تغلب شيبان على مصر تسعة أيام، منها

<sup>٤</sup> آخر ما نشره جاستون فييت من الخطط وهو يعادل نهاية ملزمة .

<sup>٥</sup> الأبيات عند الكندي : ولاية مصر ٢٧١ - ٢٧٢ .



[البسيط]

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِفْرَارًا بِمَا وَهَبَا  
 اللَّهُ أَصْدَقَ هَذَا الْفَتْحِ لَا كَذِبٌ  
 فَتَحَ بِهِ فَتَحَ الدُّنْيَا مُحَمَّدُهَا  
 لَا رَيْبَ رَبِّ هِيَاجٍ يَفْتَضِي دَعَا  
 رَمَى الْإِمَامُ بِهِ عَذْرَاءَ غَادِرَةَ  
 مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَعْرَهُمْ  
 سَرَى بِأَسَدِ الشَّرَى لَوْ لَمْ يُرَوْا بَشَرًا  
 حُمَّ الْقَضَاءِ عَلَى الْيَحْمُومِ حِينَ أَتَوْا  
 /إِيهَا عَلَوْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مَرْتَبَةً  
 لَمَّا أَطَالَ بَنُو طَوْلُونَ خُطْبَتَهُمْ  
 هَارَتْ بِهَارُونَ مِنْ ذِكْرِكَ بُقْعَتُهُ  
 فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ  
 وَكَمْ تُرَى لَهُمْ مِنْ جَنَّةِ أَنْفِ

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ ١:

إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ عَنْ جَلَالَةِ مُلْكِهِمْ  
 وَأَنْظُرْ إِلَى تِلْكَ الْقُصُورِ وَمَا حَوَتْ  
 وَإِنْ اعْتَبَرْتَ فِيهِ أَيْضًا عَيْرَةً  
 يَا قَتْلَ هَارُونَ اجْتَنَنْتَ أَصُولَهُمْ  
 لَمْ يُغْنِ عَنْهُ<sup>(a)</sup> بَأْسُ قَيْسٍ إِذْ عَدَا  
 وَعُدِيَّةُ الْبَطْلُ الْكَمِيِّ وَخَزْرَجِ  
 زُفَّتْ إِلَى آلِ النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ ٢:

قَدْ لَمْ بِالْأَمْنِ شَعْبَ الْحَقِّ فَاثْشَعْبَا  
 فَسُوءُ عَاقِبَةِ الْمَثْوَى لِمَنْ كَذَبَا  
 وَفَرَجَ الظُّلْمِ وَالْإِظْلَامِ وَالْكُرْبَا  
 وَفِي الْقَصَاصِ حَيَاةٌ تُذْهِبُ الرِّيبَا  
 فَافْتَضَّ عُدْرَتَهَا بِالسَّيْفِ وَأَقْتَضَبَا  
 نَفْسًا وَأَكْرَمَهُمْ فِي الدَّاهِبِينَ أَبَا  
 أَضْحَى عَرِيئَهُمِ الْخَطِيءِ لَا الْقُضْبَا  
 مِثْلَ الدَّبِيِّ يَمْتَحُونَ الدَّبَةَ الدَّأْبَا  
 أَبَا عَلِيٍّ تَرَى مِنْ دُونِهَا الرُّتْبَا  
 مِنَ الْخُطُوبِ وَعَافَتْ مِنْهُمْ الْخُطْبَا  
 وَشَيْبَ الرَّغْبِ شَيْبَانًا وَقَدْ رَغَبَا  
 كَأَنَّهَا مِنْ زَمَانٍ غَابِرٍ ذَهَبَا  
 وَمَنْ نَعِيمٍ جَنَى مِنْ عُدْرِهِمْ عَطْبَا

[الكامل]

فَارْتَعُ وَعُجْجَ بِمَرَايِعِ الْمَيْدَانِ  
 وَأَسْرَخَ بِزَهْرَةِ ذَلِكَ الْبُسْتَانِ  
 تُشْبِكُ كَيْفَ تَصْرَفُ الْعَصْرَانِ  
 وَأَشْبَتَ رَأْسَ أَمِيرِهِمْ شَيْبَانِ  
 فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ وَلَا غَسَانِ  
 لَمْ يُنْصَرَا بِأَخِيهِمَا عَدْنَانِ  
 وَتَمَزَّقَتْ عَنْ شَيْعَةِ الشَّيْطَانِ

[الكامل]

(a) بولاق: عنكم، الكندي: عنهم.

١ المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤٠.

٢ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٧٢-٢٧٣.

٣ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٧٤؛ أبي



وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرَفَاتِ وَالْأَبْرَاجِ  
بَعْدَ الْإِقَامَةِ أَيَّمَا إِزْعَاجِ  
يَشْرِي بِهَا السَّارُونَ فِي الْإِذْلَاجِ  
مِنْ فِضَّةٍ مَصْنُوعَةٍ أَوْ عَاجٍ<sup>(d)</sup>  
فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ وَكُلِّ هَيْبَاجِ  
عَلَّمَا بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ وَفِجَاجِ  
مَعَ كُلِّ ذِي نَظَرٍ وَطَرَفٍ سَاجِي  
قَفٌّ وَقَفَّةٌ بِفِنَاءٍ<sup>(a)</sup> بَابِ السَّاجِ  
وَرُبُوعٌ قَوْمٌ أَزْعَجُوا عَنْ دَارِهِمْ  
كَانُوا مَصَابِيحًا لَدَى<sup>(b)</sup> ظُلْمِ الدُّجَى  
وَكَأَنَّ أَوْجَهُهُمْ<sup>(c)</sup> إِذَا أَبْصَرَتْهَا  
كَانُوا لُيُوثًا<sup>(e)</sup> لَا يُرَامُ جِمَاهُمْ  
فَانظُرْ إِلَى آثَارِهِمْ تَلْقَى لَهُمْ  
وَعَلَيْهِمْ مَا عِشْتُ لَا أَدْعُ الْبُكَاءَ  
وَقَالَ سَعِيدُ الْقَاصِ<sup>١</sup>:

[الطويل]

وَلَمْ يَجْرِ حَتَّى أَسْلَمْتُهُ يَدُ الصَّبْرِ  
يَقْنُ كَمَا أَنَّ الْأَسِيرَ مِنَ الْأَسْرِ  
يَبِيْتُ عَلَى جَمْرٍ وَيُضْحِي عَلَى جَمْرٍ  
وَعَذَّرَ مِنَ الْأَيَّامِ وَالذُّهْرُ ذُو غَدْرِ  
ذَوِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ  
بَفَقْدِ بَنِي طُولُونَ وَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ  
أَضْرَّ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَدَا مِنَ الْقَطْرِ<sup>(g)</sup>  
أَحَادِيثَ لَا تَخْفَى عَلَى كُلِّ ذِي حِجْرِ  
جَمِيلَ الْحَيَا لَا يَبِيْتُ عَلَى وَثْرِ  
وَإِشْرَاقِهَا فِي عَصْرِهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ<sup>(h)</sup>  
مُحَلَّقَةً بَيْنَ السُّمَّاكَيْنِ وَالغَفْرِ  
يُحَبَّرُ عَنْهُ بِالْحَلِيِّ مِنَ الْأَمْرِ  
لَهُ (مَسْجِدٌ) يُغْنِي عَنِ الْمَنْطِقِ الْهَذْرِ  
جَزَى دَمْعُهُ مَا بَيْنَ سَجْرِ إِلَى نَحْرِ  
وَبَاتَ وَقِيدًا لِلَّذِي خَافَرَ الْحَشَا  
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرُ مَنْ كَانَ ذَا أَسَى  
تَتَابَعُ أَحْدَابُ تَحْيِفْنَ<sup>(f)</sup> صَبْرَهُ  
أَصَابَ عَلَى رَغَمِ الْأُتُوفِ وَجَدَعِهَا  
طَوَى زِينَةَ الدُّنْيَا وَمِضْبَاحَ أَهْلِهَا  
وَقَدَّ بَنِي طُولُونَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ  
فَبَادُوا وَأَضْحَوْا بَعْدَ عِزٍّ وَمَنْعَةٍ  
وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ مَا جَدَا  
كَأَنَّ لِيَالِي الدُّهْرِ كَانَتْ لِحُسْنِهَا  
يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ ابْنِ طُولُونَ هِمَّةٌ  
فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي شَاهِدًا ذَا عَدَالَةٍ  
فَبِالْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ نِحْطَةً يَشْكُرُ

(a) بولاق : بقباب . (b) الكندي : إذا . (c) الكندي : وجوههم . (d) بولاق : من فضة يضاء أو من عاج . (e) الكندي : ثريا . (f) بولاق : يضيمن . (g) هذا البيت ساقط من الكندي والنجوم . (h) الكندي : البدر .

<sup>١</sup> الأبيات عند الكندي : ولاية مصر ٢٧٤-٢٧٧ ، ٣ : ١٤١ ، وقارن هذه القصيدة بالقصيدة التي رثي فيها عمارة وأورد منها بعض أبيات أبو المحاسن : النجوم الزاهرة اليمنى الدولة الفاطمية فيما يلي ٦٠٦-٦٠٧ .



يُدِلُّ ذَوِي الْأَلْبَابِ أَنْ بِنَاءَهُ  
 بَنَاهُ بِأَجْرٍ وَسَاجٍ<sup>(a)</sup> وَعَزَعَرِ  
 بَعِيدُ مَدَى الْأَقْطَارِ سَامٍ بِنَاؤُهُ  
 فَسَيْحُ الرِّحَابِ يَحْسِرُ<sup>(b)</sup> الطَّرْفُ دُونَهُ  
 / (وَتَنُورُ فِرْعَوْنَ) الَّذِي فَوْقَ قَلْبِهِ  
 بَنَى مَسْجِدًا فِيهِ يُرْوَقُ<sup>(d)</sup> بِنَاؤُهُ  
 تَخَالُ سَنَا قِنْدِيلِهِ وَضِيَاءُهُ  
 وَعَيْنٌ مَعِينُ الشَّرْبِ غَيْرُ<sup>(e)</sup> رَكِيكَةٍ  
 كَأَنَّ وَفُودَ النَّيْلِ فِي جَنْبَاتِهَا  
 فَأَرْقَاهَا<sup>(f)</sup> مُسْتَتِيبًا لِمَعِينِهَا  
 بِنَاءٌ لَوْ أَنَّ الْحَيَّ جَاءَتْ بِمِثْلِهِ  
 يَمُرُّ عَلَى أَرْضِ الْمَعَاوِرِ كُلِّهَا  
 قَبَائِلُ لَا تَوْءُ السَّحَابِ يَمُدُّهَا  
 وَلَا تَنْسَ (مَارِشْتَانَهُ) وَأَتْسَاعُهُ  
 وَمَا فِيهِ مِنْ قَوَائِمِهِ وَكُفَاتِهِ  
 فَلِلْمَيِّتِ الْمَقْبُورِ حُشْنُ جَهَّازِهِ  
 وَإِنْ جِثَّتْ رَأْسَ الْجَيْشِ فَانْظُرْ تَأْمَلًا  
 تَرَى أَثْرًا لَمْ يَبْقَ مَنْ يَسْتَطِيعُهُ  
 مَائِرٌ لَا تَبْلَى وَإِنْ بَادَ أَهْلُهَا  
 لَقَدْ ضَمَّنَ الْقَبْرُ الْمُقَدَّرُ ذَرْعُهُ  
 وَقَامَ أَبُو الْجَيْشِ ابْنُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ  
 أَتَتْهُ الْمَنَائِبَا وَهُوَ فِي أَمْنِ دَارِهِ  
 كَذَاكَ اللَّيَالِي مَنْ أَعَارَتْهُ بِهَجَّةٍ  
 وَوَرَّثَ هَارُونَ ابْنَهُ تَاجَ مُلْكِهِ<sup>(g)</sup>  
 وَقَدْ كَانَ جَيْشٌ قَبْلَهُ فِي مَحَلِّهِ

وَبَانِيهِ لَا بِالضَّنِينِ وَلَا الْعُمَرِ  
 وَبِالْمَزْمَرِ الْمَسْنُونِ وَالْجَصِّ وَالصُّخْرِ  
 وَثِقُ الْمَبَانِي مِنْ عُقُودٍ وَمِنْ جُذْرِ  
 رَقِيقِ النَّسِيمِ<sup>(c)</sup> طَيِّبُ الْعَرَفِ وَالنَّشْرِ  
 ٥ عَلَى جَبَلٍ عَالٍ عَلَى شَاهِقِي وَعَيْرِ  
 وَيَهْدِي بِهِ فِي اللَّيْلِ إِنْ ضَلَّ مِنْ يَشْرِي  
 سَهَيْلًا إِذَا مَا لَاحَ فِي اللَّيْلِ لِلسُّفْرِ  
 وَغَيْرُ<sup>(e)</sup> أَجَاجٍ لِلرُّوَاةِ وَلِلطُّهْرِ  
 ١٠ تَرُوحُ وَتَعْدُو بَيْنَ مَدِّ إِلَى خَزْرِ  
 مِنْ الْأَرْضِ مِنْ بَطْنٍ عَمِيقٍ إِلَى ظَهْرِ  
 لَقِيلُ : لَقَدْ جَاءَتْ بِمُسْتَقْطَعِ نُكْرِ  
 وَسَعْبَانَ وَالْأَحْمُورِ وَالْحَيِّ مِنْ يَشْرِ  
 وَلَا النَّيْلُ يَزُوبُهَا وَلَا جَذُولٌ يَجْرِي  
 وَتَوْسِيعَةُ الْأَرْزَاقِ لِلْحَوْلِ وَالشَّهْرِ  
 ١٥ وَرِفْقُهُم بِالْمُعْتَفِينَ ذَوِي الْفَقْرِ  
 وَلِلْحَيِّ رِفْقٌ فِي عِلَاجٍ وَفِي جَبْرِ  
 إِلَى (الْحِضْنِ) أَوْ فَاغْبُرْ إِلَيْهِ عَلَى الْجَيْشِ  
 مِنْ النَّاسِ فِي بَدْوِ الْبِلَادِ وَلَا حَضْرِ  
 وَمَجْدٌ يُوَدِّي وَارِثِيهِ إِلَى الْفَخْرِ  
 ٢٠ أَجَلٌ إِذَا مَا قَيْسٌ مِنْ قَبْتِي حَجْرِ  
 كَمَا قَامَ لَيْثُ الْغَابِ فِي الْأَمَلِ السَّمْرِ  
 فَأَصْبَحَ مَسْلُوبًا مِنَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ  
 فَيَأْتِيكَ مِنْ نَابِ حَدِيدٍ وَمِنْ ظَفْرِ  
 كَذَاكَ أَبُو الْأَشْبَالِ ذُو النَّابِ وَالْهَضْرِ  
 ٢٥ وَلَكِنْ جَيْشًا كَانَ مُسْتَقْصِرَ<sup>(h)</sup> الْعُمَرِ

(a) الكندي : أس . (b) بولاق : يحصر . (c) بولاق : نسيم . (d) الكندي : يفوق . (e) بولاق : عين .

(f) بولاق : فارك بها . (g) الكندي : تاج ماجد . (h) الكندي : مستقص .



فقام بأمر الملك هازون مدة  
وما زال حتى زال والدهر كاشح  
تذكرتهم لما مضوا فتتابعوا  
فمن يتك شيئا ضاع من بعد أهله  
ليتك بني طولون إذ بان عصرهم  
ثم أمر الحسين بن أحمد الماذرائي ، متولي خراج مصر ، بهدم الميدان<sup>(b)</sup> ، فابثدى في هدمه في  
شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وبيعت أنقاضه ودثر كأن لم يكن<sup>١</sup> .  
وقال محمد بن طشويه<sup>٢</sup> :

[البيط]

مَنْ لَمْ يَرِ الْهَدْمَ لِلْمَيْدَانِ لَمْ يَرِهِ  
لو أَنَّ عَيْنَ الَّذِي أَنْشَأَهُ تُبْصِرُهُ  
كَانَتْ عُيُونُ الْوَرَى تَعْشُو لَهَيْبَتِهِ  
أَيْنَ الْمَلُوكِ الَّتِي كَانَتْ تَحُلُّ بِهِ  
وَأَيْنَ مِنْ كَانَ يَحْمِيهِ وَيَحْرُسُهُ  
صَاحِ الزَّمَانِ بَمَنْ فِيهِ فَفَرَّقَهُمْ  
وَأَخْلَقَ الدَّهْرُ مِنْهُ حُسْنَ جِدَّتِهِ  
دُكَّتْ مَنَاطِرُهُ وَاجْتَثَّ جَوْسِقُهُ  
أَوْ هَبَّ إِعْصَارُ نَارٍ فِي جَوَانِبِهِ  
كَمْ كَانَ يَأْوِي إِلَيْهِ فِي مَقَاصِرِهِ  
كَمْ كَانَ فِيهِ لَهُمْ مِنْ مَشْرَبٍ غَدَقِي  
أَيْنَ ابْنِ طُولُونَ بَانِيهِ وَسَاكِنُهُ  
/ مَا أَوْضَحَ الْأَمْرَ لَوْ صَحَّتْ لَنَا فِكْرُ

تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَعْلَاهُ وَأَقْدَرُهُ  
وَالْحَادِثَاتُ تُعَادِيهِ لِأَكْبَرِهِ  
إِذَا أَضَافَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ عَشْكَرَهُ  
وَأَيْنَ مِنْ كَانَ بِالْإِثْقَانِ<sup>(c)</sup> دَبَّرَهُ  
مِنْ كُلِّ لَيْثٍ يَهَابُ اللَّيْثُ مَنَظَرَهُ  
وَحَطَّ رَيْبَ الْبَلَى فِيهِ فَدَعَّعْتَهُ  
مِثْلَ الْكِتَابِ مَحَا الْعَصْرَانَ أَشْطَرَهُ  
كَأَنَّمَا الْخَسْفُ فَاجَأَهُ فَدَمَّرَهُ  
فَعَادَ مَعْرُوفُهُ لِلْعَيْنِ مُنْكَرَهُ  
أَحْوَى أَعْرُنْ غَضِيضِ الطَّرْفِ أَحْوَرَهُ  
فَعَبَّ صَرْفَ الرَّدَى فِيهِ فَكَدَّرَهُ  
أَمَاتَهُ الْمَلِكُ الْأَعْلَى فَأَقْبَرَهُ  
طُوبَى لِمَنْ خَصَّهُ رُشْدٌ فَذَكَرَهُ

(a) الكندي : نكد . (b) بولاق : الديوان . (c) بولاق : بالإنقاذ .

<sup>١</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣ : ١٤١-١٤٢ وهو  
ينقل عن الخطط ، ووردت هذه الفقرة في غير موضعها  
الصحيح في بولاق .  
<sup>٢</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٨٣ ؛ واختار أبو المحاسن ستة  
أبيات من القصيدة أوردها في النجوم الزاهرة ٣ : ١٤٢ .



وقال أحمد بن إسحاق الجفري<sup>(a)</sup> ١:

[الخفيف]

وَإِذَا مَا أَرَدْتَ أَعْجُوبَةَ الدَّهْرِ  
تَنْظُرِ البَيْتَ<sup>(b)</sup> وَالهُمُومَ وَأَنْوَا  
يَعْلَمُ الْعَالِمُ الْمُبْصِرُ أَنَّ السَّ  
أَيْنَ مَا فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ وَمِنْ عَيْبٍ  
أَيْنَ ذَاكَ المِشْكُ الَّذِي دِيفَ بِالْعَنْفِ  
أَيْنَ ذَاكَ الحَزَّ المَضَاعِفُ وَالوَشَّ  
أَيْنَ تِلْكَ القِيَانُ تَشْدُو عَلَى الفُرِّ  
دَوْرًا<sup>(c)</sup> الدَّهْرُ آلَ طُولُونَ فِي هـ  
وَأَعَاضَ المَيْدَانِ مِنْ بَعْدِ أَهْلِيـ

رِ تَرَاهَا فَانظُرْ إِلَى المَيْدَانِ  
عَا تَوَالَتْ بِهِ مِنَ الأشْجَانِ  
دَهْرًا فِيمَا يَرَاهُ ذُو أَلْوَانِ  
شِ رَاحِيٍّ وَنَضْرَةَ وَجِسَانِ  
سَبْرٍ بَحْتًا وَعُغْلَ بِالزُّعْفَرَانِ  
يُ وَمَا اسْتَخْلَصُوا مِنَ الكَثَّانِ  
شِ بِمَا اسْتَحْسَنُوا مِنَ الأَلْحَانِ  
سُوءَ قَفْرِ مَسْكُونِهَا غَيْرُ دَانِ  
بِهِ ذُنَابًا تَعْوِي بِتِلْكَ المَغَانِي

وقال سعيد القاص ٢:

[الخفيف]

وَكَأَنَّ المَيْدَانَ تَكَلَّى أُصِيبَتْ  
تَتَغَشَّى الرِّيحُ مِنْهُ مَحَلًّا  
وَلْفَرْشِ الإِضْرِيحِ وَالبُسْطِ وَالدَّيْ  
وَوُجُوهِ مِنْ الوُجُوهِ جِسَانِ  
كُلَّ كَخَلَاءٍ<sup>(d)</sup> كَالغَزَالِ وَنَجَلَا  
آلَ طُولُونَ كَنْتُمْ زِينَةَ الأُرِّ

بِحَبِيبِ صَبَاحٍ<sup>(e)</sup> لَيْلَةَ عُرْسِ  
كَانَ لِلصُّونِ فِي سُتُورِ الدَّمَقْسِ  
سَبَاحٍ فِي نِعْمَةٍ وَفِي لَيْلِنِ مَسِّ<sup>(f)</sup>  
وَتُخْدُودِ مِثْلِ اللَّالِي مُلْسِ  
رَدَاحٍ مِنْ بَيْنِ حُورٍ وَلُغْسِ  
ضِ فَأَضْحَى الجَدِيدُ أَهْدَامَ لُبْسِ

وقال ابن أبي هاشم ٣:

[البسيط]

يَا مَنزِلًا لِبَنِي طُولُونَ قَدْ دَثَرَا  
يَا مَنزِلًا صِرْتُ أَجْفُوهُ وَأَهْجُرُهُ

مَقَاكَ صَوَّبُ العَوَادِي القَطَرِ وَالمَطَرَا  
وَكَانَ يَعدِلُ عِنْدِي السَّمْعَ وَالبَصْرَا

(a) الكندي: الحكر. (b) بولاق: البين. (c) بولاق: حوز. (d) بولاق: قد ضاع. (e) بولاق: لمس. (f) بولاق: بخلاء.

١ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٨٤.

٢ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٨٤-٢٨٥ وأورد

منها أبو المحاسن بعض أبيات، النجوم الزاهرة ٣: ١٤٢-١٤٣.

٣ الأبيات عند الكندي: ولاية مصر ٢٨٥ وأبي =



بِاللَّهِ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْ أَحِبَّتِنَا      أَمْ هَلْ سَمِعْتَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِنَا نَحْبَرًا

وقال :

[الطويل]

أَلَا فَاسْأَلِ (الْمَيْدَانَ) ثُمَّ اسْأَلِ (الْجَيْلَ)      عَنِ الْمَلِكِ الْمَاضِي ابْنَ طُولُونَ مَا فَعَلَ  
وَعَنْ ابْنِ الْعَبَّاسِ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا      وَأَيْنَ أَبُو الْجَيْشِ الْفَضَافِضَةُ الْبَطْلُ  
وَجَيْشٌ وَهَارُونَ الَّذِي قَامَ بَعْدَهُ      وَسَيِّئَانُ بِالْأَمْسِ الَّذِي خَانَهُ الْأَمَلُ  
وَمَنْ قَبْلَهُ أَزْدَى رَبِيعَةَ يَوْمَهُ      وَكَانَ هِزْبَرًا لَا يُطَاقُ إِذَا حَمَلَ  
وَأَيْنَ ذَرَارِيهِمْ وَأَيْنَ جُمُوعِهِمْ      وَكَيْفَ تَقْضِي عَنْهُمْ الْمَلِكُ فَاضْتَحَلَ  
وَأَيْنَ بِنَاءَ الْقَصْرِ وَالْجَوْسَقِ الَّذِي      عَهْدِنَاهُ مَعْمُورَ الْفَنَاءِ لَهُ زَجَلُ  
لَقَدْ مَلَكَوهُ بُرْهَةً مِنْ زَمَانِنَا      بِدَوْلَتِهِمْ ثُمَّ انْقَضُوا بِانْقِضَاءِ الدُّوَلِ  
فَمَا مِنْهُمْ خَلْقٌ يُحْسِنُ وَلَا يُزِي      بِذِكْرِ طَوَالِ الدَّهْرِ لَمَّا انْقَضَى الْأَجَلُ  
وَصَارُوا أَحَادِيثًا لَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ      وَكَانَ بِهِمْ فِي مُلْكِهِمْ يُضْرَبُ الْمَثَلُ

وقال :

[الكامل]

قِفْ وَقِفَةً وَأَنْظُرْ إِلَى (الْمَيْدَانَ)      وَ(الْجَوْسَقِ) الْعَالِي الْمَنِيْفِ بِنَاؤُهُ  
أَيْنَ الَّذِينَ لَهَوُا بِهِ وَغَنُّوا بِهِ      يُعْجِبِي الْخَرَاجَ إِلَيْهِمْ فِي دَارِهِمْ  
جَمَعُوا الْجُمُوعَ مَعَ الْجُمُوعِ فَأَكْتَرُوا      جَمَعُوا الْجُمُوعَ مَعَ الْجُمُوعِ فَأَكْتَرُوا  
/فَانْظُرْ إِلَى مَا شِئِدُوا مِنْ بَقْدِهِمْ      أَيْنَ الْأَلَى حَفَرُوا الْعُيُونَ بِأَرْضِهِ  
غَرَسُوا صُنُوفَ النَّخْلِ فِي سَاحَاتِهِ      وَالزُّعْفَرَانَ مَعَ الْبَهَارِ بِأَرْضِهِ  
كَانُوا مُلُوكَ الْأَرْضِ فِي أَيَّامِهِمْ      فَتَمَزَّقُوا وَتَفَرَّقُوا فَهُنَاكَ هُمْ  
أَلَا أَعْيَلَمَةَ أَسَارِي بَعْدَهُمْ      مُتَلَذِّدِينَ بِأَسْرِهِمْ قَدْ شَرِدُوا



وَاللَّهِ وَارِثُ كُلِّ حَيٍّ بَعْدَهُمْ      وَلَهُ الْبَقَاءُ وَكُلُّ شَيْءٍ فَانِي

وقال :

[ مجزوء الخفيف ]

إِنَّ فِي قُبَّةِ الْهَوَاءِ لَدِي اللَّبِّ مُعْتَبِرُ  
وَالْقُصُورِ الْمُسَيِّدَاتُ مَعَ الدُّورِ وَالْحَجَرِ  
وَالْبَسَاتِينِ وَالْمَجَالِسِ وَالْبَيْتِ وَالزَّهْرِ  
وَالجَوَارِي الْمُعْنِيَاتِ ذَوِي الدُّلِّ وَالْحَفْرِ  
يَتَبَخَّرُونَ فِي الْحَرِيرِ وَفِي الْوَشِيِّ وَالْحَبْرِ  
وَمُلُوكٌ عَبِيدُهُمْ عَدَدَ الشُّوكِ وَالشُّجَرِ  
وَجُيُوشٌ مُؤَيَّدُونَ لَدِي الْبَأْسِ وَالظُّفْرِ<sup>a</sup>  
مِنْ صُنُوفِ السُّودَانِ وَالتُّرُكِ وَالتُّرُومِ وَالْحَزْرِ  
عَمَرُوا الْأَرْضَ مُدَّةً ثُمَّ صَارُوا إِلَى الْحَفْرِ  
وَاسْتَدَلُّ<sup>b</sup> الزَّمَانُ مِنْ عَاشٍ مِنْهُمْ فَلَمْ يَذُرْ  
فَهُمْ فِي الْهَوَانِ وَالدُّلُّ أَسْرَى عَلَى خَطَرِ  
وَهُمْ بَعْدَ صَفْوِ عَيْشٍ مِنَ الدُّلِّ فِي كَدْرِ  
يَا لَطُولُونَ مَا لَكُمْ صِرْتُمْ لِلوَرَى سَمَرُ  
يَا لَطُولُونَ كُنْتُمْ تَحْبِرًا فَاثْقَلِي الْحَبْرُ

وقال :

[ الطويل ]

مَرَزْتُ عَلَى (الْمَيْدَانِ) مُعْتَبِرًا بِهِ  
خَمَارَ وَعَبَّاسٍ وَأَحْمَدَ قَبْلَهُمْ  
وَأَيْنَ دَرَارِي آلِ طُولُونَ بَعْدَهُمْ  
وَأَيْنَ ثِيَابُ الْحَزْرِ وَالْوَشِيِّ وَالْحَلِيِّ  
وَأَيْنَ قُنَاتُ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الَّذِي  
لَقَدْ غَالَكَ الدَّهْرُ الْحَمُونَ بِصَرْفِهِ  
فَنَادَيْتَهُ أَيْنَ الْجِيَالِ الشُّوَامِخُ  
وَأَيْنَ تُرَى شَيْبَانِهِمُ وَالْمَشَائِخُ  
أَمَا فَيْكَ مِنْهُمْ أَيُّهَا الرَّبُّعُ صَارِخُ  
وَأَرْبَابُهَا، أَمْ أَيْنَ تِلْكَ الْمَطَابِخُ  
عُنَيْتَ بِهِ دَهْرًا وَتِلْكَ اللَّطَائِخُ  
فَأَصْبَحْتَ مُنْحَطًّا وَغَيْرِكَ بَاذِخُ



وقال :

[الطويل]

مَرَزْتُ عَلَى الْمَيْدَانِ بِالْأَمْسِ ضَاحِحًا  
فَنَادَيْتُ فِيهِ : يَا آلَ طُولُونَ مَا لَكُمْ  
فَأَذْرَيْتُ عَيْنًا ذَاتَ دَمْعٍ غَزِيرَةٍ  
وَإِنِّي عَلَيْهِمْ مَا بَقِيَتْ كَمْوَاجِعُ  
فَأَبْصَرْتُهُ قَفَرَ الْجَنَابِ قِرَاعِنِي  
هُمُودًا<sup>(a)</sup> فَمَا خَلَقَ بِحَرْفٍ أَجَابِنِي  
وَرُحْتُ كَمَيْبِ الْقَلْبِ مِمَّا أَصَابِنِي  
وَلَسْتُ أَبَالِي مَنْ لِحَانِي وَعَابِنِي

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ الْكَاتِبَ<sup>١</sup> ، قَالَ : لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ عِيدِ الْفِطْرِ ، مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، تَذَكَّرْتُ مَا كَانَ فِيهِ آلُ طُولُونَ فِي مِثْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، مِنَ الزَّيِّ الْحَسَنِ بِالسَّلَاحِ وَمُلَوَّنَاتِ الْبُنُودِ ، وَالْأَعْلَامِ ، وَشَهْرَةِ الشُّيَابِ ، وَكَثْرَةِ الْكُرَاعِ ، وَأَصْوَاتِ الْأَبْوَابِ وَالطُّبُولِ ، فَاعْتَرَانِي لِذَلِكَ فِكْرَةٌ ، وَنَمَتْ فِي لَيْلَتِي فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَقُولُ : ذَهَبَ الْمَلِكُ وَالتَّمَلُّكُ وَالزَّيْنَةُ لَمَّا مَضَى بَنُو طُولُونَ .

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ النَّابُلُوسِيُّ فِي كِتَابِ «مُحَسِّنِ الشَّرِيرَةِ»<sup>(b)</sup> فِي اتِّخَاذِ الْحِصْنِ بِالْجَزِيرَةِ<sup>٢</sup> : رَأَيْتُ كِتَابًا قَدَّرَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ كُرَّاسَةً ، مَضْمُونُهُ فِيهِرَسَتْ شُعْرَاءَ الْمَيْدَانِ الَّذِي لِأَحْمَدَ ابْنِ طُولُونَ قَالَ : فَإِذَا كَانَتْ أَسْمَاءُ الشُّعْرَاءِ فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ كُرَّاسَةً ، كَمْ يَكُونُ شِعْرُهُمْ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُوجَدَ مِنْ ذَلِكَ الْآنَ دِيْوَانٌ وَاحِدٌ<sup>٣</sup>!

وَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ فِي كِتَابِ «النَّبْرَاسِ» : وَخُرِّبَتْ قَطَائِعُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ - يَعْنِي فِي الشُّدَّةِ الْعَظْمَى زَمَنَ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَنْصِرِ - ، وَهَلَكَ جَمِيعٌ مِنْهَا مِنْ السَّائِكِينَ ، وَكَانَتْ نَيْفًا عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دَارِ نَزْهَةٍ لِلنَّاطِرِينَ مُخَدِّقَةً بِالْجِنَانِ وَالتَّبَسَاتِينِ ، وَاللَّهِ يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ<sup>٤</sup> .

(a) بولاق : فهود . (b) بولاق : السيرة .

١ المقرئزي: المقفى الكبير ١: ٧٣٨؛ اليعقوبي: البلدان (٣٧٢).

٢ انظر فيما تقدم ١: ٢٣١.

٣ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٣٩-١٤٠.

٤ ابن دحية: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس

١٤٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤٠؛ وانظر فيما يلي

١ كذا في سائر النسخ ولعل المقصود أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م، وهو جغرافي ومؤرخ وُلِدَ فِي بَغْدَادَ وَلَكِنه غادرها إلى خراسان وأرمينية وفلسطين والمغرب وأقام في مصر وتمتع برعاية الطولونيين. (راجع، ياقوت: معجم الأدباء ٥: ١٥٣-١٥٤)



ذِكْر مَنْ وَلِيَ مِصْرَ مِنَ الْأَمْرَاءِ بَعْدَ خَرَابِ الْقَطَائِعِ

إِلَى أَنْ بُنِيَتْ قَاهِرَةُ الْمُعَرَّ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ جَوْهَرَ

وكان أول من ولي مصر - بعد زوال دولة بني طولون وخراب القطائع - محمد بن سليمان الكاتب، كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون، دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائتين، ودعا على المنبر لأمر المؤمنين المكتفي بالله وحده، وجعل أبا علي الحسين ابن أحمد الماذرائي على الخراج، عوضاً عن أحمد بن علي الماذرائي<sup>١</sup>.

ثم ورد كتاب المكتفي بولاية عيسى بن محمد التوشري أبي موسى، فولي على الصلاة، ودخل خليفته لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى، فتسلم الشرطتين وسائر الأعمال. ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى الآخرة<sup>٢</sup>، وخرج محمد بن سليمان مستهل رجب، وكان مقامه بمصر أربعة أشهر.

وأخرج كل من بقي من الطولونية، فلما بلغوا دمشق، اتخس عنهم محمد بن علي بن الخليلج<sup>٣</sup> في جمع كثير ممن كره مفارقة مصر من القواد، فعقدوا له عليهم، وبايعوه بالإمارة في شعبان، ورجع إلى مصر.

فبعث إليه التوشري<sup>٤</sup> بجيش أول رمضان وقد دخل أرض مصر، ثم خرج إليه التوشري<sup>٥</sup>، وعسكر بباب المدينة أول ذي القعدة، وسار إلى العباسية، ثم رجع لثلاث عشرة خلت منه،

(a) في المصادر الأخرى: الخنج، الخنجي. (b-b) ساقطة من آياصوفيا نتيجة انتقال نظر.

<sup>١</sup> ولم يولّه عملها؛ وعندما بلغ الخليفة المكتفي فتح مصر ولي عليها في الحال عيسى التوشري...؛ ومن الناس من عدّه من جملة أمراء مصر بواسطة تحكّمه وتصرفه في الديار المصرية؛ وانظر كذلك المقرئ: المقفى الكبير ٥: ٧٠٠-٧٠٥.

<sup>٢</sup> الكندي: ولاية مصر ٢٧٨ ويوجد بعد ذلك سقط قدر صفحة أو صفحتين في نشرة ولاية مصر للكندي موجود في أصل النسخة الوحيدة المعتمد عليها في النشر.

<sup>١</sup> الكندي: ولاية مصر ٢٧٧-٢٧٨، وانفرد المقرئ بأن جعل محمد بن سليمان الكاتب أول من ولي مصر بعد سقوط الدولة الطولونية، وتبعه في ذلك أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣: ١٤٤ ولكنه أضاف: «وفي ولايته أقوال كثيرة فمن الناس من لا يعدّه من الأمراء بمصر بل ذكر دخوله لفتح مصر وأنه كان مقدم العساكر لا غير؛ وقائلو هذه المقالة هم الأكثر، ووافقهم أنا أيضًا على ذلك، لأن المكتفي لما خلّع عليه أمره بالتوجه لقتال مصر وأمر أصحابه بالشفع والطاعة



وخرَج إلى الجيزة من غده ، وأحرق الجسرَيْن ، وسار يُريد الإسكندرية ، ففر عنه طائفة إلى ابن الخليج<sup>(a)</sup> ، فبعث إليه بجيش فهزّمه ، وسار إلى الصعيد . ودخل محمد بن الخليج<sup>(a)</sup> القسطنط لأربع عشرة بقيت من ذي القعدة ، فوضع العطاء ، وفرض القروض .

وقدم أبو الأغر من قبل المكتفي في طلب ابن الخليج<sup>(a)</sup> ، فخرج إليه لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين وحرابه ، فانهزم منه أبو الأغر<sup>(b)</sup> ، وأسر من أصحابه جمعا كثيرا ، وعاد لثمان بقين منه<sup>١</sup> . فقدم فاتك المعتضدي من بغداد في البر فعسكر ، وقدم دميانة في المراكب ، فنزل فاتك الثوية . فخرج ابن الخليج<sup>(a)</sup> وعسكر بباب المدينة ، وقام في الليل بأربعة آلاف من أصحابه ليبيت فاتكا ، فأصلوا الطريق ، وأصبحوا قبل أن يتلغوا الثوية ، فعلم بهم فاتك ، فنهض بأصحابه وحراب ابن الخليج<sup>(a)</sup> ، فانهزم عنه أصحابه ، وثبت في طائفة ، ثم انهزم إلى القسطنط لثلاث خلون من رجب فاستتر<sup>٢</sup> .

ودخل دميانة في مراكب الثغور ، وأقبل عيسى التوشري ، ومعه الحسين الماذرائي ومن كان معهما ، لخمس خلون منه ، فعاد التوشري إلى ما كان عليه من صلاتها ، والماذرائي إلى ما كان عليه من الخراج . وعرف التوشري بمكان ابن الخليج<sup>(a)</sup> ، فهجم عليه وقبده لست خلون من رجب . وكانت مدة ابن الخليج<sup>(a)</sup> بمصر سبعة أشهر وعشرين يوما<sup>٣</sup> .

ودخل فاتك في عسكره إلى القسطنط لعشر خلون من رجب ، فأخرج ابن الخليج<sup>(a)</sup> في البحر لست خلون من شعبان ، فلما قدم بغداد طيف به وبأصحابه وهم ثلاثون نفرا ، فكان يوما مذكورا<sup>٤</sup> .

وابتدى في هدم ميدان بني طولون في شهر رمضان ، وبيعت أنقاضه<sup>٥</sup> .

وخرج فاتك إلى العراق للنصف من جمادى الأولى سنة أربع وتسعين<sup>٦</sup> .

وأمر التوشري بتقي المؤثنين ، ومنع النوح والنداء على الجنائز ، وأمر بإغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين ، ثم أمر بفتحه بعد أيام<sup>٧</sup> .

(a) في المصادر الأخرى : الخليج ، الخلنجي . (b) بولاق : الأعز .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٧٩ . <sup>٢</sup> نفسه ٢٨٠ - ٢٨١ . <sup>٣</sup> نفسه ٢٨١ - ٢٨٢ . <sup>٤</sup> نفسه ٢٨٢ . <sup>٥</sup> نفسه ٢٨٢ . <sup>٦</sup> نفسه ٢٨٥ . <sup>٧</sup> نفسه ٢٨٥ .



ومات المكنفي في ذي القعدة سنة خمس وتسعين، فشعب الجند بمصر، وحاربوا النوشري على طلب مال البيعة، فظفر بجماعة منهم. وبويع جعفر المقتدر، فأقر النوشري على الصلاة<sup>١</sup>.

وقدم زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية مهزوماً من أبي عبد الله الشيعي، في رمضان سنة ست وتسعين إلى الجزيرة، فمنعه النوشري من العبور، وكانت بين أصحابه وبين جند مصر منافسة، ثم أذن له أن يعبر وخذته<sup>٢</sup>.

ومات النوشري لأربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو وال، فكانت ولايته خمس سنين وشهرين ونصفاً، منها مدة ابن الخليفة<sup>٣</sup> سبعة أشهر وعشرون يوماً. وقام من بعده ابنه أبو الفتح محمد بن عيسى<sup>٤</sup>.

ثم ولي تكين الخزري أبو منصور من قبل المقتدر على الصلاة، فدعي له بها يوم الجمعة لإحدى عشرة خلّت من شوال، وقدم خليفته لسبع بقين منه، ثم قدم تكين ليلتين خلّتا من ذي الحجة<sup>٥</sup>.

وتقدم إليه بالجد في أمر المغرب والاختيراس منه، فبعث جيشاً إلى بركة عليه أبو اليمن، فحاربه حباثة بن يوسف بعساكر المهدي عبيد الله الفاطمي صاحب إفريقية، واستولى على بركة، وسار إلى الإسكندرية في زيادة على مائة ألف، فدخلها في المحرم سنة اثنتين وثلاث مائة<sup>٦</sup>.

فقدمت الجيوش من العراق مدداً لتكين في صفر، وقدم الحسين الماذرائي وأحمد بن كئغلغ في جمع من القواد، وبرزت العساكر إلى الجزيرة في جمادى الأولى، وخرج تكين فكانت واقعة حباثة قتل فيها آلاف من الناس، وعاد حباثة إلى المغرب<sup>٧</sup>.

وقدم مؤنس الخادم من بغداد في جيوشه للنصف من رمضان ومعه جمع من الأمراء، فنزل الحمراء، ولقي الناس منهم شدايد، وخرج ابن كئغلغ إلى الشام في رمضان<sup>٨</sup>.

(a) في المصادر الأخرى: الخنج، الخنجي.

<sup>١</sup> الكندي: ولاية مصر ٢٨٥. <sup>٢</sup> نفسه ٢٨٦. <sup>٣</sup> نفسه ٢٨٦. <sup>٤</sup> نفسه ٢٨٦. <sup>٥</sup> نفسه ٢٨٧، ٢٨٨. <sup>٦</sup> نفسه ٢٨٨. <sup>٧</sup> نفسه ٢٩١.



وَصُرِفَ تَكِينٍ لِأَرْبَعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ صَرْفَهُ مُؤْنِسٌ ، فَخَرَجَ لِسَبْعِ خَلْوَنٍ مِنْ / ذِي الْحِجَّةِ ، وَأَقَامَ مُؤْنِسٌ يُدْعَى وَيُخَاطَبُ بِالْأُسْتَاذِ <sup>١</sup> .

ثُمَّ وَلِيَ ذَكَا الرُّومِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَعْمُورُ مِنْ قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الصَّلَاةِ ، فَدَخَلَ لثَنَتِي عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، وَخَرَجَ مُوسَى بِجَمِيعِ جُيُوشِهِ لثَمَانِ خَلْوَنٍ مِنْ رَيْعِ الْآخِرِ <sup>٢</sup> .

وَخَرَجَ ذَكَا إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، ثُمَّ عَادَ فِي ثَامِنِ رَيْعِ الْأَوَّلِ ، وَتَتَبَعَ كُلٌّ مِنْ يَوْمًا إِلَيْهِ بِمُكَاتَبَةِ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيْقِيَّةِ ، فَسَجَنَ مِنْهُمْ وَقَطَعَ أَيْدِي أُنَاسٍ وَأَرْجُلَهُمْ ، وَجَلَّأَ أَهْلَ لُؤَيْيَةَ وَمِرَاقِيَّةِ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ خَوْفًا مِنْ صَاحِبِ بَرْقَةَ ، وَسَيَّرَ الْعَسَاكِرَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، ثُمَّ فَسَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّعِيَّةِ بِسَبَبِ ذِكْرِ <sup>٣</sup> الصُّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَالْقُرْآنِ [بِمَا لَا يَلِيْقُ] <sup>٤</sup> <sup>٥</sup> .

وَقَدِمَتِ عَسَاكِرُ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيْقِيَّةِ إِلَى لُؤَيْيَةَ وَمِرَاقِيَّةِ عَلَيْهَا أَبُو الْقَاسِمِ ، فَدَخَلَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ ثَامِنِ صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، وَفَرَّ النَّاسُ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ ، فَهَلَكَ أَكْثَرُهُمْ . <sup>٦</sup> وَخَرَجَ ذَكَا وَالْجُنْدُ مُخَالَفُونَ <sup>٧</sup> لَهُ ، فَعَسَكَرَ بِالْجِيْزَةِ <sup>٨</sup> .

وَقَدِمَ الْحُسَيْنُ <sup>٩</sup> دُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَادْرَائِيَّ وَالْيَا عَلَى الْخَرَاجِ ، فَوَضَعَ الْعَطَاءَ <sup>١٠</sup> .

وَجَدَّ ذَكَا فِي أَمْرِ الْحَرْبِ ، وَاحْتَفَرَ خَنْدَقًا عَلَى عَسَاكِرِهِ بِالْجِيْزَةِ ، فَمَرِضَ وَمَاتَ لِأَحْدَى عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَيْعِ الْأَوَّلِ بِالْجِيْزَةِ ، فَكَانَتْ إِمْرَتُهُ أَرْبَعِ سِنِينَ وَشَهْرًا <sup>١١</sup> .

فَوَلِيَ تَكِينُ مَرَّةً ثَانِيَةً مِنْ قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ ، وَقَدِمَتِ جُيُوشُ الْعِرَاقِ عَلَيْهَا مَحْمُودُ بْنُ حَمَكٍ <sup>١٢</sup> وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ كَيْغَلُغٍ فِي رَيْعِ الْأَوَّلِ ، وَدَخَلَ تَكِينٌ لِأَحْدَى عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ ، فَتَزَلَ الْجِيْزَةَ وَحَفَرَ خَنْدَقًا ثَانِيًا ، وَأَقْبَلَتْ مَرَائِكِبُ الْمَغْرِبِ فَظَفَرَتْ بِهَا فِي شَوَّالٍ <sup>١٣</sup> .

وَقَدِمَ مُؤْنِسُ الْخَادِمِ مِنْ بَغْدَادَ بِعَسَاكِرِهِ لِحَمِيسِ خَلْوَنٍ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَمَانِ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، فَتَزَلَ الْجِيْزَةَ وَكَانَ فِي نَحْوِ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَسَيَّرَ ابْنَ كَيْغَلُغٍ إِلَى الْأَشْمُونِيِّينَ ، فَمَاتَ بِالْبَهْنَسَا أَوَّلَ ذِي الْقَعْدَةِ <sup>١٤</sup> .

(a) بولاق : سب . (b) إضافة من الكندي . (c-c) بولاق : وأخرج ذكا الجند المخالفون . (d) بولاق : أبو الحسن . (e) بولاق : حمل .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٩١ . <sup>٢</sup> نفسه ٢٩١ . <sup>٣</sup> نفسه ٢٩٢ . <sup>٤</sup> نفسه ٢٩٢-٢٩٣ . <sup>٥</sup> نفسه ٢٩٣ . <sup>٦</sup> نفسه ٢٩٣ . <sup>٧</sup> نفسه ٢٩٣ ، ٢٩٤ . <sup>٨</sup> نفسه ٢٩٤ .



وَمَلَكَ أَصْحَابُ الْمَهْدِيِّ الْفَيْيُومَ وَجَزِيرَةَ الْأَشْمُونِيِّينَ ، فَقَدِمَ جُنِّي الْخَادِمِ مِنْ بَغْدَادِ فِي عَشْكَرٍ آخَرَ ذِي الْحِجَّةِ ، فَعَسَكَرَ بِالْجِيزَةِ ، فَكَانَتْ حُرُوبٌ مَعَ أَصْحَابِ الْمَهْدِيِّ بِالْفَيْيُومِ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَرَجَعَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْمَهْدِيِّ إِلَى بَرْقَةِ <sup>١</sup> .

وَصُرِفَ تَكِينٌ لِثَلَاثِ عَشْرَةِ نَحَلَتْ مِنْ رَيْبِ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ <sup>٢</sup> .

٥ فَوَلَّى مُؤَنِّسَ أَبِي قَائِبُوسَ مَحْمُودَ بْنِ حَمَكٍ <sup>٣</sup> ، فَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَعَزَلَهُ ، وَرَدَّ تَكِينَ لِحْمِيسَ بَقِينِ مِنْ رَيْبِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ صَرَفَهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَأَخْرَجَهُ إِلَى الشَّامِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الدِّيَّوَانِ <sup>٤</sup> .  
ثُمَّ وَلِيَ هِلَالَ بْنَ بَدْرٍ مِنْ قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الصَّلَاةِ ، فَدَخَلَ لَسْتُ نَحْلُونَ مِنْ رَيْبِ الْآخِرِ ، وَخَرَجَ مُؤَنِّسُ لَثْمَانَ عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْهُ وَمَعَهُ ابْنُ حَمَكٍ <sup>٥</sup> ، فَشَغَبَ الْجُنْدُ عَلَى هِلَالٍ ، وَخَرَجُوا إِلَى مِثْنَةِ الْأَصْبَغِ وَمَعَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ صَاحِبِ الشَّرْطِ ، فَكَثُرَ النَّهْبُ وَالْقَتْلُ وَالْفَسَادُ بِمِصْرَ ، إِلَى أَنْ صُرِفَ عَنْهَا فِي رَيْبِ الْآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، وَخَرَجَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ <sup>٦</sup> .

١٠ فَوَلَّى أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلُغٍ مِنْ قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَقَدِمَ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ خَلِيفَةً لَهُ أَوَّلَ جُمَادَى الْأُولَى ، ثُمَّ قَدِمَ وَمَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْمَادْرَائِيِّ عَلَى الْخَرَاجِ فِي رَجَبٍ ، فَأَخْضَرَ الْجُنْدُ وَوَضَعَ الْعَطَاءَ ، وَأَسْقَطَا كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ - وَكَانَ ذَلِكَ بِمِثْنَةِ الْأَصْبَغِ - فَتَارَ الرِّجَالَةَ بِهِ ، فَفَرَّ إِلَى فَاقُوسَ ، وَأَدْخَلَ الْمَادْرَائِيَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لَثْمَانَ نَحْلُونَ مِنْ سَوَّالٍ ، وَأَقَامَ ابْنُ كَيْغَلُغٍ بِفَاقُوسَ إِلَى أَنْ صُرِفَ بِقُدُومِ رَسُولِ تَكِينٍ فِي ثَالِثِ ذِي الْقِعْدَةِ <sup>٧</sup> .

١٥ فَوَلَّى تَكِينُ الْمَرَّةَ الثَّلَاثَةَ مِنْ قِبَلِ الْمُقْتَدِرِ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَخَلَفَهُ ابْنُ مَنْجُورٍ إِلَى أَنْ قَدِمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، فَأَسْقَطَ كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ - وَكَانُوا أَهْلَ الشَّرِّ وَالنَّهْبِ - وَنَادَى بِبِرَاءَةِ الذُّمَّةِ مِمَّنْ أَقَامَ مِنْهُمْ بِالْفُسْطَاطِ <sup>٨</sup> .

٢٠ وَصَلَّى الْجُمُعَةَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ بِالْعَشْكَرِ . وَتَرَكَ حُضُورَ الْجُمُعَةِ فِي مَسْجِدِ الْعَشْكَرِ وَالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ ، وَلَمْ يُصَلِّ قَبْلَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ الْجُمُعَةَ <sup>٩</sup> .

(a) بولاق : حمل .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٢٩٤ ، ٢٩٥ . <sup>٢</sup> نفسه ٢٩٥ . <sup>٣</sup> نفسه ٢٩٥ ، ٢٩٦ . <sup>٤</sup> نفسه ٢٩٦ ، ٢٩٧ .  
<sup>٥</sup> نفسه ٢٩٧ . <sup>٦</sup> نفسه ٢٩٨ . <sup>٧</sup> نفسه ٢٩٨ .



ثم قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ فِي شَوَّالِ سَنَةِ عَشْرِينَ ، وَبُوعِ أَبُو مَنْصُورِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ ، فَأَقْرَبُ تَكِينٍ حَتَّى مَاتَ فِي سَادِسِ عَشْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَحُمِلَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَكَانَتْ إِمْرَتُهُ هَذِهِ تِسْعَ سِنِينَ وَشَهْرَيْنِ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ <sup>١</sup> .

فَقَامَ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ تَكِينٍ مَوْضِعَهُ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْمَازَرَانِيِّ بِأَمْرِ الْبَلَدِ كُلِّهِ ، وَنَظَرَ فِي أَعْمَالِهِ ، فَشَغَبَ الْجُنْدُ عَلَيْهِ فِي طَلَبِ أَرْزَاقِهِمْ ، وَأَخْرَقُوا دُورَهُ وَدُورَ أَهْلِهِ . فَخَرَجَ ابْنُ تَكِينٍ إِلَى مِثْبَةِ الْأَصْبَغِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَازَرَانِيَّ بِأَمْرِهِ بِالْخُرُوجِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، وَعَسْكَرَ بِيَابَ الْمَدِينَةِ وَأَقَامَ هُنَاكَ بَعْدَمَا رَحَلَ ابْنُ تَكِينٍ إِلَى سَلَخِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، فَلَجِحُّ ابْنُ تَكِينٍ بِدِمَشْقَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ يُرِيدُ مِصْرَ فَمَنَعَهُ الْمَازَرَانِيَّ <sup>٢</sup> . ثُمَّ وَلِيَ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجِ بْنِ جُفَّ الْفَرَّغَانِيَّ أَبُو بَكْرٍ ، مِنْ قِبَلِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ ، عَلَى الصَّلَاةِ . فَوَرَدَ كِتَابُهُ لِسَبْعِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ وَدُعِيَ لَهُ وَهُوَ بِدِمَشْقَ مُدَّةَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا <sup>٣</sup> ، إِلَى أَنْ قَدِمَ رَسُولُ أَحْمَدَ بْنِ كَيْغَلُغِ بَوْلَايَتَهُ الثَّانِيَةَ مِنْ قِبَلِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ لِتِسْعِ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالِ ، وَاسْتَخْلَفَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ عَيْسَى الْتُوشَرِيَّ <sup>٤</sup> .

فَشَغَبَ الْجُنْدُ فِي أَرْزَاقِهِمْ عَلَى الْمَازَرَانِيِّ صَاحِبِ الْخَرَاجِ ، فَاسْتَرَّ مِنْهُمْ ، فَأَخْرَقُوا دُورَهُ وَدُورَ أَهْلِهِ ، وَكَانَتْ فِتْنٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ <sup>٥</sup> ، إِلَى أَنْ أَتَاهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ تَكِينٍ مِنْ فِلَسْطِينَ لِثَلَاثِ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ / وَعَشْرِينَ ، فَأَنْكَرَ الْمَازَرَانِيَّ وَوَلَايَتَهُ ، وَتَعَصَّبَ لَهُ طَائِفَةٌ ، وَدُعِيَ لَهُ بِالْإِمَارَةِ ، وَخَرَجَ قَوْمٌ إِلَى الصَّعِيدِ فِيهِمْ ابْنُ الْتُوشَرِيَّ ، فَأَمَّرُوهُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ عَلَى الدُّعَاءِ لِابْنِ كَيْغَلُغِ ، <sup>٦</sup> وَكَانَتْ حُرُوبٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ وَأَقْبَلَ أَحْمَدُ بْنُ كَيْغَلُغِ <sup>٥</sup> فَنَزَلَ مِثْبَةَ الْأَصْبَغِ لِثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبِ ، فَلَجِحُّ بِهِ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ تَكِينٍ ، فَفَرَّ ابْنُ تَكِينٍ لَيْلًا ، وَدَخَلَ ابْنُ كَيْغَلُغِ الْمَدِينَةَ لِسِتِّ خَلَوْنَ مِنْهُ ؛ وَكَانَ مُقَامُ ابْنِ تَكِينٍ بِالْفَسْطَاطِ مِائَةَ يَوْمٍ وَاثْنِي عَشَرَ يَوْمًا <sup>٦</sup> .

وَنُحِلَّ الْقَاهِرُ ، وَبُوعِ أَبُو الْعَبَّاسِ الرَّاضِي بِاللَّهِ ، فَعَادَ ابْنُ تَكِينٍ وَأَظْهَرَ أَنَّ الرَّاضِيَّ وَوَلَاهُ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْعَسْكَرُ وَحَارَبُوهُ فِيمَا بَيْنَ بَلْبَيْسَ وَفَاقُوسَ ، فَانْهَزَمَ وَأَسِيرَ <sup>٦</sup> وَجِيءَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَحُمِلَ إِلَى الصَّعِيدِ <sup>٧</sup> .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) ساقطة من بولاق .

<sup>٤</sup> نفسه ٣٠٠ . <sup>٥</sup> نفسه ٣٠٠ .

<sup>٦</sup> نفسه ٣٠١ ، ٣٠٢ .

<sup>٧</sup> نفسه ٣٠٣ .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢٩٩ ، وانظر ترجمة أبي بكر محمد بن علي

المازرائي عند المقرئ : المقفى الكبير ٦ : ٢٣٤ - ٢٤٧ .

<sup>٣</sup> نفسه ٢٩٩ .



فورد كتاب يُخبر<sup>(a)</sup> بأنَّ محمد بن طُغج سارَ إلى مصر بولاية الرّاضي له ، فبعثَ إليه ابنُ كَيْغَلغ بجيشٍ ليتمنّوه من دُخول الفرما ، فأقبلت مراكبُ ابن طُغج إلى تَيْس ، وسارت مُقدّمته في البرّ ، وكانت بينهما حرب<sup>(b)</sup> في تاسع عشر شعبان سنة ثلاثٍ وعشرين كانت لأصحاب ابن طُغج ، وأقبلت مراكبه إلى القسطنطينة ، فأقبل عسكر<sup>(c)</sup> ابن كَيْغَلغ للنصف من رمضان ، ولاقاه لسبع بقين منه ، فسلم ابن كَيْغَلغ إلى محمد بن طُغج من غير قتال<sup>١</sup> .

### [ الدولة الإخشيدية ]<sup>٢</sup>

وولي محمد بن طُغج الثانية من قبل الرّاضي على الصّلاة والخراج ، فدخل لست بقين من رمضان ، وقدم أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات بالخلع لمحمد بن طُغج . وكانت حروب مع أصحاب ابن كَيْغَلغ انتهزوا منها إلى بَرْقَة ، وساروا إلى القائم بأمر الله محمد بن المهدي بالمغرب ، فحرّضوه على أخذ مصر ، فجهز جيشًا سار إلى مصر ، فبعث ابن طُغج عسكره إلى الإسكندرية والصّعيد<sup>٣</sup> .

(a) الأصول وبولاق : فورد الخبر ، والمثبت من الظاهرية . (b) بولاق : حروب . (c) الأصول وبولاق : وأقبل فسكرك، والمثبت من الظاهرية .

النجوم الزاهرة ٣: ٢٣٥-٢٤٣ و ١: ٤-٣٠ .  
وأشمل دراسة كُيّت عن الدولة الإخشيدية ، دراسة الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، القاهرة ١٩٥٠ ، ١٩٧٠ ؛ وعن محمد بن طغج الإخشيد مؤسس الدولة انظر كذلك المقرئ : المقفى الكبير ٥: ٧٤٥-٧٥٢ ، «The Career of Muhammad Ibn Tughj al-Ikhshid. A Tenth Century Governor of Egypt», *Speculum* I (1975), pp. 586-612; id., *El*<sup>2</sup> art. *Muhammad b. Tughdj al-Ikhshid* VII, pp. 412-13.

<sup>٣</sup> الكندي : ولاية مصر ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

<sup>١</sup> الكندي : ولاية مصر ٣٠٣ ، ٣٠٤ .  
<sup>٢</sup> المصدر الرئيس لدراسة تاريخ الدولة الإخشيدية في مصر هو «سيرة محمد بن طُغج» لابن زولاق ، التي فقدت اليوم ، وإن كان من حسن الحظ أن صُنّ لها ابن سعيد المغربي في الجزء الرابع من كتابه «المغرب في حلى المغرب» في القسم الذي خصّصه للدولة الإخشيدية وسماه «كتاب القُيون الدّعج في حلى دولة بني طُغج» وهو ضمن الجزء الخاص بمصر من الكتاب والذي نشره أولًا تالكوست Tallqvist في ليدن سنة ١٨٩٩ ، ثم زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة إسماعيل كاشف في القاهرة سنة ١٩٥٣ ؛ وانظر كذلك ابن ظافر الأزدي : أخبار الدول المنقطعة (نشرة علي عم) ٧٥-٨٦ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٤٤-٤٤ ؛ أبا المحاسن :



ثم وَرَدَ الْكِتَابُ مِنْ بَعْدَادَ بِالزِّيَادَةِ فِي اسْمِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجٍ ، فَلُقِّبَ «الْإِخْشِيدُ»<sup>١</sup> وَدُعِيَ لَهُ بِذَلِكَ عَلَى الْمَيْبَرِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ<sup>٢</sup> .

وَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ إِلَى الشَّامَاتِ فَعَرَّضَ الْإِخْشِيدَ الْفُرُوزَ وَبَعَثَ بِرَاكِبٍ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ سَارَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ الْحَسَنَ بْنَ طُغْجٍ ، فَتَزَلَّ الْفَرَمَا وَابْنُ رَائِقٍ بِالرَّمْلَةِ ، فَسَفَّرَ بَيْنَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ يَحْيَى الْعَلَوِيُّ فِي الصُّلْحِ حَتَّى تَمَّ ، وَعَادَ إِلَى الْفُسْطَاطِ مُسْتَهْلَ جُمَادَى الْأُولَى . ثُمَّ أَقْبَلَ ابْنُ رَائِقٍ مِنْ دِمَشْقَ فِي شَعْبَانَ ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِ الْإِخْشِيدَ الْجَيْوُشَ ، ثُمَّ خَرَجَ لِسِتِّ عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْ شَعْبَانَ وَالتَّقْيَا لِلنَّصَفِ مِنْ رَمَضَانَ بِالْعَرِيشِ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ انْكَسَرَتْ فِيهَا مَيْسِرَةٌ الْإِخْشِيدِ ، ثُمَّ حَمَلَ بِنَفْسِهِ فَهَزَمَ أَصْحَابَ ابْنِ رَائِقٍ ، وَأَسَرَ كَثِيرًا مِنْهُمْ ، وَأَثَخَنَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا<sup>٣</sup> .

وَمَضَى ابْنُ رَائِقٍ فَقَتَلَ الْحُسَيْنَ بْنَ طُغْجٍ بِاللُّجُونَ ، وَدَخَلَ الْإِخْشِيدُ الرَّمْلَةَ بِخَمْسِ مِائَةِ أَسِيرٍ ، فَتَدَاعَى ابْنُ طُغْجٍ وَابْنُ رَائِقٍ إِلَى الصُّلْحِ ، فَمَضَى ابْنُ رَائِقٍ إِلَى دِمَشْقَ عَلَى صُلْحٍ ، وَقَدِمَ الْإِخْشِيدُ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجٍ إِلَى مِصْرَ لثَلَاثِ نَحْلُونَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ<sup>٤</sup> .

وَمَاتَ الرَّاضِي بِاللَّهِ ، وَتُوِيَعَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ إِبْرَاهِيمَ فِي شَعْبَانَ ، فَأَقْرَأَ الْإِخْشِيدُ ، وَقُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ رَائِقٍ بِالْمَوْصِلِ ، قَتَلَهُ بَنُو حَمْدَانَ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَبَعَثَ الْإِخْشِيدُ بِجَيْوشِهِ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ سَارَ لِسِتِّ نَحْلُونَ مِنْ شَوَّالٍ ، وَاسْتَخْلَفَ أَخَاهُ أَبَا الْمُظْفَرَ الْحَسَنَ بْنَ طُغْجٍ ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ<sup>٥</sup> .

ثُمَّ عَادَ لثَلَاثِ عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ ، فَتَزَلَّ الْبُيُوتَانِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْكَافُورِيِّ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ دَخَلَ دَارَهُ وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لِابْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ أُونُوجُورٍ عَلَى جَمِيعِ الْقَوَادِ آخِرَ ذِي الْقَعْدَةِ .

<sup>٣</sup> نفسه ٣٠٦، ٣٠٧ وأبو بكر محمد بن رائق المتوفى سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م، هو أول من تلقب بـ «أمير الأمراء» سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م، وتمكن من الخليفة الراضي بالله وأصبح يعين الوزراء ويعزلهم وهو الذي قطع يد ابن مقله ولسانه. (راجع أخباره عند الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، القاهرة ١٩٣٥، ٢٣٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٨: ٣٢٢-٣٨٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥: ٣٢٥-٣٢٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٣: ٦٩؛ Sourdel, D., *El*<sup>2</sup> art. *Ibn Râ'ik* III, p. 926-27).

<sup>٤</sup> نفسه ٣٠٨.

<sup>٥</sup> نفسه ٣٠٨، ٣٠٩.

<sup>١</sup> الإخشيد. لُقِّبَ - بمعنى ملك الملوك - كان يُنْتَحَ حُكَّامَ إِيْرَانِ مِنَ الصُّغْدِ وَالْفَرْغَانِيْنَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَفِي بَدَايَةِ الْإِسْلَامِ . وَفِي الْفَتْرَةِ الَّتِي فَتَحَ فِيهَا الْعَرَبُ بِلَادَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ كَانَ حُكَّامَ الصُّغْدِ يَحْمِلُونَ لِقَبِّ «إِخْشِيدٍ» ؛ فَيَذْكُرُ الْمُقَدِّسِيُّ أَنَّ مَلِكَ سَمَرْقَنْدٍ كَانَ يَعْرِفُ بِالْإِخْشِيدِ ، كَمَا أَنَّ الْحُكَّامَ الْمَحَلِّيْنَ فِي فَرْغَانَةَ كَانُوا أَيْضًا يَحْمِلُونَ هَذَا اللَّقْبَ . وَظَلَّ اللَّقْبُ يَحْتَفِظُ بِسِحْرِهِ حَتَّى مَنَحَهُ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ الرَّاضِيَّةُ مُحَمَّدُ بْنُ طُغْجٍ سَنَةَ ٣٢٧هـ / ٩٣٩م (انظر Bosworth, (C.E., *El*<sup>2</sup> art. *Ikhshîd* III, p. 1097).

<sup>٢</sup> الكندي: ولاة مصر ٣٠٦.



وسارَ المُتَّقِي لله إلى بلاد الشَّام ومعه بنو حَمْدان ، فسارَ الإخشيديُّ لثمانٍ خَلَوْنَ من رَجَب سنة اثنتين وثلاثين ، واشتخَلَف أخاه الحَسَن ، فلقِيَ المُتَّقِي ، ثم رَجَعَ فنَزَلَ البُيُوتان لأربعِ خَلَوْنَ من جُمادى الأولى سنة ثلاثٍ وثلاثين . وتخلَّع المُتَّقِي ، وبُويعَ عبد الله المُشْتَكْفِي لسبعِ خَلَوْنَ من جُمادى الآخرة ، فأقَرَّ الإخشيديُّ<sup>١</sup> .

٥ وبَعَثَ الإخشيديُّ بحانِك وكافور في الجيُوش إلى الشَّام ، ثم خَرَجَ لخميسِ خَلَوْنَ من شَعْبَانَ سنة ستٍ وثلاثين ، واشتخَلَف أخاه الحَسَن . فلقِيَ عليَّ بن عبد الله بن حَمْدان بأرضِ قَنَسرين وحارِبِهِ ، ومَضَى فَأَخَذَ منه حَلَب .

وتخلَّع المُشْتَكْفِي ، ودُعِيَ للمُطِيع لله الفُضَّل بن جَعْفَر في شَوَّال سنة أربعٍ وثلاثين ، فأقَرَّ الإخشيديُّ إلى أن ماتَ بِدِمَشق يوم الجُمُعة لثمانٍ بقين من ذي الحِجَّة<sup>٢</sup> .

١٠ فوَلِيَ بعده ابنه أُونوَجُور أبو القاسِم بِاستِخلافِهِ إيَّاه ، وقَبِضَ على أبي بَكْرٍ محمد بن عليَّ بن مُقاتِل في ثالثِ المحَرَّم سنة خمسٍ وثلاثين ، وجَعَلَ مكانَهُ على الخِراجِ محمد بن علي المادْراني ، وقَدِمَ العسْكَرُ من الشَّام أوَّلَ صَفَر .

فلم يَزَلْ أُونوَجُور واليًا إلى أن ماتَ لسبعِ خَلَوْنَ من ذي القِعدة سنة تسعٍ وأربعين وثلاث مائة ، وحَمِلَ إلى القُدس فدُفِنَ عند أبيه . وكان كَافُورُ مُتَحَكِّمًا في أَيَّامِهِ ، ويُطَلَقُ له في السنة أربع مائة ألف دينار ، فلمَّا ماتَ قوي كَافُورُ ، وكانت وِلايَتُهُ أربع عشرة سنة وعشرة أشهر .

١٥ فأقامَ كَافُورُ أخاه عليَّ بن الإخشيديُّ أبا الحَسَن لثلاث عشرة خَلَت من ذي القِعدة ، فأقَرَّهُ المُطِيع لله على الحَرْبِ والخِراجِ بِمصر والشَّام والحَرَمين ، وصارَ خَلِيفَتَهُ على ذلك كَافُورُ غُلامَ أبيه ، وأَطْلَقَ له ما كان يُطَلَقُ لأخيه في كلِّ سنة .

٢٠ وفي سنة إحدى وخمسين تَرَفَّعَ السُّعْرُ ، واضْطَرَبَتِ الإسْكَندَريَّةُ والبُحَيْرَةُ بِسَبَبِ المغارِبَةِ الواردين إليها ، وتَزايَدَ الغَلَاءُ ، وعَزَّ وَجُودُ القَمَحِ . وقَدِمَ القَرَمَطِيُّ إلى الشَّام في سنة ثلاثٍ وخمسين ، وقَلَّ ماءُ النِّيلِ ، ونُهِبَتِ ضِياغُ مصر ، وتَزايَدَ الغَلَاءُ . وسارَ / مَلِكُ الثُّوبَةِ إلى أُسْوان ، ووَصَلَ إلى إخْمِيم ، فقتَلَ ونَهَبَ وأحْرَقَ ، واشتَدَّ اضْطِرابُ الأعمالِ .

<sup>١</sup> الكندي : ولاة مصر ٣٠٩ . بعد ذلك ليس من كلام أبي عمر<sup>١</sup> ويختلف النص بعد ذلك

<sup>٢</sup> نفسه ٣١٠ ، وجاء هنا على هامش نسخة ولاة مصر : بين المقرئ وما ورد في بقية كتاب أبي عمر الكندي ،

إلى هنا انتهى ما كتبه أبو عمر وأخرسته المنيَّة قبل إكماله . واعتمد المقرئ على ما أورده ابن زولاق من أخبار

قال ذلك ابن زولاق في أوَّل كتابه أخبار قضاة مصره . وما الإخشيديين .



وقَسَدَ ما بين كافرٍ وبين عليّ بن الإخشيد ، فَمَنَعَ كافرٍ من الاجتماع به ، واعتلّ عليّ بعد ذلك عِلَّةً أخيه ، ومات لإحدى عشرة نَحَلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاث مائة ، فحَمِلَ إلى القُدس . وبقيت مصرُ بغير أميرٍ أيَّامًا ، ولم يُدْعَ بها إلا للمُطيع لله وحده ، وكافور يُدبِّرُ أمورها ومعه أبو الفضل جعفر بن الفرات .

ثم ولي كافرُ الخَصِيَّ الأسود مولى الإخشيد ، من قِبَل المُطيع ، على الحزب والخراج وجميع أمور مصر والشَّام والحَزَمَيْن . فلم يُغَيَّر لِقَبه ، وإنما كان يُدعى ويُخاطب بـ«الأستاذ» ، وأُخْرِجَ كِتَابُ المُطيع بولايته لأربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين ، فلم يَزَلْ إلى أن تُوفِّي لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاث مائة <sup>١</sup> .

فولي أحمد بن عليّ الإخشيد أبو الفوارس سنة إحدى عشرة سنة ، في يوم وفاة كافور ، وجعل الحسن <sup>(a)</sup> بن عُبيد الله بن طُغج يَخْلُفه ، وأبو الفضل جعفر بن الفرات يُدبِّرُ الأمور ، وشمول الإخشيدي يُدبِّرُ <sup>(b)</sup> العساكر ؛ إلى أن قَدِمَ جَوْهَرُ القَائِد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة ، ففرَّ الحسن <sup>(a)</sup> بن عُبيد الله ، وتسلَّم جَوْهَرُ البلاد كما سيأتي إن شاء الله . فكانت مُدَّةُ الدُّعاء لبني العبَّاس بمصر ، منذ ابتدأت دَوْلَتهم إلى أن قَدِمَ القَائِدُ جَوْهَرُ إلى مصر ، مائتي سنة وخمسة وعشرين سنة ، ومُدَّةُ الدُّوَلَةِ الإخشيدِيَّةِ بها أربعًا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يومًا . ومنذ افتتحت مصر إلى أن انتقل كُزَيْبِي الإِمَارَةَ منها إلى القَاهِرَةَ ثلاث مائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر <sup>٢</sup> .

### ذَكَرَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مَدِينَةُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ كَثْرَةِ الْعِمَارَةِ

قال ابنُ يونس ، عن اللَّيْث بن سَعْدٍ : إنَّ حَكِيم بن أبي راشد حَدَّثَهُ ، عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرَّحْمَنِ ، أَنَّهُ وَقَفَ على جَزَارٍ فسأله عن السُّعْر ، فقال : بأربعة أفلُس الرُّطْل ؛ فقال له أبو سَلَمَةَ : هل لك أن تُعطينا بهذا السُّعْر ما بَدَا لنا وبَدَا لك ؟ قال : نعم . فأخذ منه أبو سَلَمَةَ ، وحز في <sup>(c)</sup> القَصْبَةِ حتى إذا أراد أن يُوفِّيهِ ، قال : بِعْتَنِي بدينار ، ثم قال : اضرفه فلو سَأَا ثم وَفَّه .

(a) بولاق : الحسين . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : ومر في .

<sup>١</sup> انظر ترجمة كافور الإخشيدي فيما يلي ٢٦٠:٢-٢٧٠ . <sup>٢</sup> انظر عن الفترة السابقة للفتح الفاطمي لمصر بعد =



وقال الشَّريفُ أبو عبد الله محمد بن أسعد الجَوَانِي النَّسَّابَةُ فِي كِتَابِ «النَّقْطِ عَلَى كِتَابِ<sup>a</sup> الْخِطَطِ»: سَمِعْتُ الْأَمِيرَ تَأْيِيدَ الدَّوْلَةَ تَمِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ، الْمَعْرُوفَ بِالصُّنْمَصَامِ، يَقُولُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ: «حَدَّثَنِي<sup>b</sup> الْقَاضِي أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْخَلَعِيِّ، عَنِ الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْقُضَاعِيِّ، قَالَ: كَانَ فِي مِصْرَ الْفُسْطَاطِ مِنَ الْمَسَاجِدِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ مَسْجِدٍ<sup>١</sup>، وَثَمَانِيَةَ أَلْفِ شَارِعٍ مَسْلُوكٍ، وَأَلْفَ وَمِائَةَ وَسَبْعُونَ حَمَامًا، وَأَنَّ حَمَامَ جُنَادَةَ فِي الْقِرَافَةِ مَا كَانَ يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ عَنَاءٍ مِنَ الزُّحَامِ، وَأَنَّ قِبَالَتَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٌ خَمْسٌ مِائَةَ دِرْهَمٍ».

وقال القَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامَةَ الْقُضَاعِيُّ فِي كِتَابِ «الْخِطَطِ»: إِنَّهُ طُلِبَ لِقَطْرِ الثَّدْيِ ابْنَةَ خُمَارَوَيْهَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ أَلْفَ تِكَّةَ بَعَشْرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، مِنْ أَثْمَانِ كُلِّ تِكَّةَ بَعَشْرَةَ دِنَانِيرٍ، فَوُجِدَتْ فِي الشُّوقِ فِي أَيْسَرِ وَقْتٍ وَبَأَهْوَنِ سَعْيٍ<sup>٢</sup>.

وَذُكِرَ عَنِ الْقَاضِي أَبِي عُثَيْبٍ أَنَّهُ لَمَّا صُرِفَ عَنْ قَضَاءِ مِصْرَ، كَانَ فِي الْمَوْدِعِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَأَنَّ فَائِقًا مَوْلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ اشْتَرَى دَارًا بَعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَسَلَّمَ الثَّمَنَ إِلَى الْبَائِعِينَ وَأَجَّلَهُمْ شَهْرَيْنِ؛ فَلَمَّا انْقَضَى الْأَجَلُ، سَمِعَ فَائِقٌ صِيَاخًا عَظِيمًا وَبُكَاءً، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُمُ الَّذِينَ بَاعُوا الدَّارَ، فَدَعَاهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالُوا: إِنَّمَا نَبِكِي عَلَى جِوَارِكٍ. فَأَطْرَقَ وَأَمَرَ بِالْكَتْئِ فَزُدَّتْ عَلَيْهِمْ، وَوَهَبَ لَهُمُ الثَّمَنَ، وَرَكِبَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ فَأَخْبَرَهُ، فَاسْتَضَوَّبَ رَأْيَهُ وَاسْتَحْسَنَ فِعْلَهُ.

وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ لِفَائِقٍ ثَلَاثَ مِائَةِ فَرَسَةٍ، كُلُّ فَرَسَةٍ لِحِطَّةٍ مُثَمَّنَةٍ. وَأَنَّ دَارَ الْحَرَمِ بَنَاهَا خُمَارَوَيْهَ لِحَرَمِهِ، وَكَانَ أَبُوهُ اشْتَرَاهَا لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ الثَّمَنُ وَأُجِرَةَ الصَّنَاعِ وَالْبِنَاءِ بِسَبْعِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ.

وَأَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ طَبَّاطِبَا الْحُسَيْنِي دَخَلَ الْجَامِعَ، فَلَمْ يَحِدْ مَكَانًا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فَوَقَّفَ فِي الصَّفِّ الثَّانِي، فَالْتَفَتَ أَبُو خَفْصَ بْنِ الْجَلَّابِ، فَلَمَّا رَأَاهُ تَأَخَّرَ، وَتَقَدَّمَ الشَّارِفُ مَكَانَهُ، فَكَافَاهُ عَلَى ذَلِكَ بِنِعْمَةٍ حَمَلَهَا إِلَيْهِ وَدَارَ ابْتِاعَهَا لَهُ، وَنَقَلَ أَهْلَهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَنْ كَسَاهُمْ وَحَلَّاهُمْ.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: وحدثني.

de succession de Kâfûr d'après Maqrîzî», *An. Isl*  
XII (1974), pp. 263-69.

= وفاة كافور، النويري: نهاية الأرب ٥٩: ٢٨ - ٦٠،  
المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٣٤٤، ١: ٥٣٦، ٥٣٧، أبا  
المحسن: النجوم ٤: ١٠، ٢١، «L'acte Bianquis, Th.,

<sup>١</sup> فيما يلي ٤٠٩: ٢. <sup>٢</sup> فيما تقدم ٩٥.



وذكر غير القاضي<sup>(a)</sup> أنه دفع إليه خمس مائة دينار قال : ويقال إنه أهدى إلى أبي جعفر الطحاوي كُتُبًا قيمتها ألف دينار . وأن رشيقا الإخشيدى استخجبه أبو بكر محمد بن علي الماذرائي ، فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار ، فخاطبه في ذلك ، فحلف بالأيمان الغليظة على بطلان ذلك ، فأقسم أبو بكر الماذرائي بمثل ما أقسم به : لئن خرّجت سنننا هذه ولم تكسب هذه الجملة ، لا صحبتي ! ولم يزل في صحبته إلى أن صودر أبو بكر ، فأخذ منه ومن رشيقي مالاً جزيل .

وذكر أن الحسن بن أبي المهاجر ، موسى بن إسماعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد ، كان / على البريد في زمن أحمد بن طولون وقتله خمارويه . وسبب ذلك ما كان في نفس علي بن أحمد الماذرائي منه ، فأغرى خمارويه به ، وقال : قد بقي لأبيك مال غير الذي ذكره في وصيته ، ولم يقف عليه غير ابن مهاجر ، فطالبه .

فلم يزل خمارويه بابن مهاجر إلى أن وصف له موضع المال من دار خمارويه ، فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار ، فسلمه إلى أحمد الماذرائي ، فحمّله إلى داره .

وأقبلت توقيعات خمارويه ترد إليه بالصلوات والتفقات ، فيخرجها من فصول أموال الضياع والمرافق ، وحصّلت له تلك الأموال ، ولم يضع يده عليها إلى أن قُتل .

وصودر أبو بكر محمد بن علي في أيام الإخشيد وقبضت ضياعه ، فعاد إلى تلك الألف ألف دينار مع ما سواها من ذخائره وأغراضه وعقده ، فما ظنك برجل ذخيرته ألف ألف دينار ! سوى ما ذكر .

وذكر<sup>(b)</sup> عن أبي بكر محمد بن علي الماذرائي أنه قال : بعث إلي أبو الجيش خمارويه أن اشترى له أزدية وأقنعة للجواري ، وعمل دعوة خلا فيها بنفسه وبهم ، وغدوت متعرفاً لخبره ، فقبل لي إنه طرب لما هو فيه ، فنثر دنائير على الجواري والغلمان ، وتقدم إليهم أن ما سقط من ذلك في البركة فهو لمحمد بن علي كاتبي . فلما حضرت وبلغني ذلك ، أمرت الغلمان فنزلوا في البركة ، فأصعدوا إلي منها سبعين ألف دينار ، فما ظنك بمالي نثر على أناس فتطائر منه إلى بركة ماء هذا المبلغ !؟

(a) بولاق : غير القضاعي ، الظاهرية : عن القضاعي . (b) ساقطة من بولاق .

<sup>1</sup> المقصود القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي في كتابه «الخطط» .



وقال ابنُ سَعِيدٍ فِي كِتَابِ «الْمَغْرِبِ فِي حُلِيِّ الْمَغْرِبِ»: وَفِي الْفُسْطَاطِ دَارٌ تُعْرَفُ بِعَبْدِ الْعَزِيزِ، يُصَبُّ فِيهَا لِمَنْ بَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعٌ مِائَةَ رَاوِيَةَ مَاءٍ. وَحَسْبُكَ مِنْ دَارٍ وَاحِدَةٍ يَخْتَانُجُ أَهْلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَى هَذَا الْقَبْرِ مِنَ الْمَاءِ<sup>١</sup>

وقال ابنُ الْمُتَوَجِّحِ فِي كِتَابِ «إِيقَاطِ الْمُتَغَفَّلِ وَأَتْعَاطِ الْمُتَأَمِّلِ» عَنْ سَاحِلِ مِصْرَ: وَرَأَيْتُ مَنْ نَقَلَ عَمَّنْ نَقَلَ عَمَّنْ رَأَى الْأَسْطَالَ الَّتِي كَانَتْ بِالطَّاقَاتِ الْمُطَّلَّةِ عَلَى النَّيْلِ، وَكَانَ عَدَدُهَا سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ سَطْلٍ مُؤَبَّدَةٍ يَبْكُرُ وَأَطْنَابَ بِهَا تُرْخَى وَتَمْلَأُ، أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مِنْ أَثِقٍ بِنَقْلِهِ<sup>٢</sup>.

قَالَ: وَكَانَ بِالْفُسْطَاطِ فِي جِهَتِهِ الشَّرْقِيَّةِ حَمَّامٌ مِنْ بِنَاءِ الرَّومِ عَامِرَةٌ زَمَنَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ، قَالَ الرَّاوي: دَخَلْتُهَا فِي زَمَنِ حُمَارَوَيْهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ، وَطَلَبْتُ بِهَا صَانِعًا يَخْدِمَنِي، فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا صَانِعًا مُتَفَرِّغًا لِحَدْمَتِي، وَقِيلَ لِي إِنَّ كُلَّ صَانِعٍ مَعَهُ اثْنَانِ يَخْدِمُهُمْ وَثَلَاثَةٌ. فَسَأَلْتُ: كَمْ فِيهَا مِنْ صَانِعٍ؟ فَأُخْبِرْتُ أَنَّ بِهَا سَبْعِينَ صَانِعًا قَلَّ مِنْ مَعَهُ دُونَ ثَلَاثَةٍ، سِوَى مَنْ قَضَى حَاجَتَهُ وَخَرَجَ. قَالَ: فَخَرَجْتُ وَلَمْ أَذْخُلْهَا لِعَدَمِ مَنْ يَخْدِمَنِي بِهَا، ثُمَّ طُفْتُ غَيْرَهَا، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مَنْ أَجِدُهُ فَارِغًا إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِ حَمَّامَاتٍ، وَكَانَ الَّذِي خَدَمَنِي فِيهَا نَائِبًا<sup>٣</sup>.

فَانظُرْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْخَبْرُ، مَعَ مَا ذَكَرَهُ الْقَضَاعِيُّ مِنْ عَدَدِ الْحَمَّامَاتِ وَأَنَّهَا أَلْفٌ وَمِائَةٌ وَسَبْعُونَ حَمَّامًا<sup>٤</sup>، تُعْرَفُ مِنْ ذَلِكَ كَثْرَةُ مَا كَانَ بِمِصْرَ مِنَ النَّاسِ، هَذَا وَالسُّعْرُ رَاخٍ فَالْقَمْحُ<sup>(a)</sup> كُلُّ خَمْسَةِ أَرَادِبٍ بَدِينَارٍ، وَأُبَيْعَ<sup>(b)</sup> عَشْرَةَ أَرَادِبٍ بَدِينَارٍ فِي أَيَّامِ<sup>(c)</sup> أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ. قَالَ ابْنُ الْمُتَوَجِّحِ: حُطَّ<sup>(d)</sup> مَسْجِدُ عَبْدِ اللَّهِ<sup>(e)</sup> أَدْرَكَتْ بِهِ<sup>(e)</sup> آثَارُ دَارٍ عَظِيمَةٍ قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ دَارَ كَافُورِ الْإِنْخَشِيدِيِّ. وَيُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْخِطَّةَ تُعْرَفُ بِسُوقِ الْعَشْكَرِ، وَكَانَ بِهِ مَسْجِدُ الْوَكْرَةَ<sup>(f)</sup>، وَقِيلَ

(a) بولاق: والقمح. (b) بولاق: بيعت. (c) بولاق: زمن. (d) بولاق: خطة. (e) بولاق: بها. (f) بولاق: الزكاة.

<sup>١</sup> ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ٣، وفيما يلي ١٣٢، ١٥١.  
<sup>٢</sup> ابن دقماق: الانتصار ٤: ٧٧-٧٨، وفيما يلي ١٦٠.  
<sup>٣</sup> نفسه ٤: ١٠٦-١٠٧.  
<sup>٤</sup> فيما يلي ٢: ٨٠.  
<sup>٥</sup> مسجد عبد الله بناه عبد الله بن عبد الملك بن مروان  
والى مصر الأموي بين سنتي ٨٦-٩٠ هـ. كان يقع في المنطقة الواقعة بين درب المعاصر وباب الصفا شمالي الفسطاط. ويجعل مؤلفو الخطط المتقدمون مسجد عبد الله هو الحد الفاصل بين جانبي الفسطاط الشرقي والغربي - أي عمل فوق وعمل أسفل - وقد تخرب هذا المسجد قبل عصر ابن دقماق والمقريري. ويمكن تحديد موضعه إلى الجنوب قليلا من الجامع الحالي المعروف بجامع أبي السعود الجارحي الذي =



إنه كان منه قَصَبَةٌ سُوقٌ مُتَّصِلَةٌ إِلَى جَامِعِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ . وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْمَشَايخِ الْعُدُولِ عَنْ وَالِدِهِ - وَكَانَ مِنْ أَكْبَارِ الصُّلَحَاءِ - أَنَّهُ قَالَ : عَدَدَتْ مِنْ مَسْجِدِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى جَامِعِ ابْنِ طُولُونَ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَتِسْعِينَ قَدْرَ حِمُّصٍ مَضْلُوقٍ بِقَصَبَةِ هَذَا السُّوقِ بِالْأَرْضِ ، سِوَى الْمَقَاعِدِ وَالْحَوَانِيتِ الَّتِي بِهَا الْحِمُّصُ <sup>١</sup> .

فتأمل - أعزك الله - ما في هذا الخبر مما يدلُّ على عَظَمَةِ مِصْرَ ، فَإِنَّ هَذَا السُّوقَ كَانَ خَارِجَ مَدِينَةِ الْفُسْطَاطِ ، وَمَوْضِعُهُ الْيَوْمَ الْفَضَاءُ الَّذِي بَيْنَ كُومِ الْجَارِحِ وَبَيْنَ جَامِعِ ابْنِ طُولُونَ .

ومن المعروف أنَّ الأسواقَ التي تكونُ بِدَاخِلِ الْمَدِينَةِ أَعْظَمُ مِنَ الْأَسْوَاقِ الَّتِي هِيَ خَارِجُهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي هَذَا السُّوقِ مِنْ صِنْفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمَأْكَلِ هَذَا الْقَدْرُ ، فَكَمْ تُرَى تَكُونُ جَمَلَةٌ مَا فِيهِ مِنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الْمَأْكَلِ ، وَقَدْ كَانَ إِذْ ذَاكَ بِمِصْرَ عَشْرَاتٌ <sup>(a)</sup> أَسْوَاقٍ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا أَجَلٌ مِنْ هَذَا السُّوقِ !؟

قَالَ : وَدَرَبُ السَّفَافِرِيِّينَ <sup>(b)</sup> فِيهِ زُقَاقُ بَنِي الرَّصَاصِ ، كَانَ بِهِ جَمَاعَتُهُمْ <sup>(c)</sup> إِذَا عُقِدَ عِنْدَهُمْ عَقْدٌ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى غَرِيبٍ ، وَكَانُوا هُمْ وَأَوْلَادُهُمْ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ نَفْسًا <sup>٢</sup> .

وقال ابنُ زُولَاقٍ فِي كِتَابِ «سِيرَةِ الْمَادْرَائِيِّينَ» : وَلَمَّا قَدِمَ الْأُسْتَاذُ مُؤَنِّسُ الْخَادِمِ مِنْ بَغْدَادٍ إِلَى مِصْرَ ، اسْتَدْعَى أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَادْرَائِيَّ الْمَعْرُوفَ بِأَبِي زُنْبُورٍ ، الدَّقَاقَ - وَهُوَ الَّذِي نُسِّمِيهِ الْيَوْمَ الطُّبَّحَانَ - وَقَالَ : إِنَّ الْأُسْتَاذَ مُؤَنِّسًا قَدْ وَافَى ، وَلِي بِمَشْتُولٍ قَدْرُ سِتِينَ أَلْفَ أَرْدَبٍ قَمَحًا ، فَإِذَا وَافَى فَتَمِّمْ لَهُ بِالْوِظِيفَةِ . فَكَانَ يَقُومُ لَهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ دَقِيقِ حُوَارِيٍّ مُدَّةَ شَهْرٍ . فَلَمَّا كَمَلَ الشَّهْرَ ، قَالَ [لَهُ عَلْوَانٌ] <sup>(d)</sup> كَاتِبُ مُؤَنِّسٍ لِلدَّقَاقِ : كَمْ لَكَ حَتَّى نَدْفَعَهُ إِلَيْكَ ؟ فَأَعْلَمَهُ الْخَبْرَ ، فَقَالَ : مَا أَحْسَبُ الْأُسْتَاذَ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ فِي ضِيَاةٍ أَبِي عَلِيٍّ . وَأَعْلَمَ مُؤَنِّسًا بِذَلِكَ ، فَقَالَ : أَنَا أَكُلُ خُبْزَ حُسَيْنٍ ! لَا يَبْرَحُ الرَّجُلُ حَتَّى يَقْبِضَ مَالَهُ .

(a) بولاق : عشرة . (b) بولاق : السفافير بني . (c) بولاق : جماعة . (d) إضافة من المقفى .

= أقامه الأمير عبد الرحمن كنعخدا على ضريح الشيخ . ٢ : ٢٧٠ ، ٢٨٢ .

المتوفى سنة ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م . (الكندي : ولاة مصر <sup>١</sup> ابن دقماق : الانتصار : ٤ : ٩١ ، ٥ : ٤٢ .

٨٠ : ابن دقماق : الانتصار : ٤ : ٩١ ، ٥ : ٤٢ ؛ وفيما يلي <sup>٢</sup> نفسه ٤ : ١٩ .



فَمَضَى الدُّقَّاقُ وَأَعْلَمَ أَبُو زُنْبُورٍ ، فَقَامَ مِنْ قُورِهِ إِلَى مُؤَنَسٍ فَأَكَبَّ عَلَى رِجْلَيْهِ [يُقْبَلُهُمَا] <sup>(a)</sup> ،  
فَاخْتَشَمَ مِنْهُ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُجِيئُكَ إِلَّا هَذَا الشَّهْرَ الَّذِي مَضَى ، وَلَا تُعَاوِدُ . ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ  
لِلدُّقَّاقِ : قُمْ لِي بِالْوِزْيَافَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَاعْمَلْ مَا يُرِيدُهُ . قَالَ : فَجِئْتُهُ وَقَدْ فَرَعَ الْقَمْحَ ، وَمَعِيَ  
الْحِسَابُ وَأَرْبَعُ مِائَةِ دِينَارٍ ؛ قَالَ : إِيْشَ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : بَقِيَّةُ ذَلِكَ الْقَمْحِ . / فَقَالَ : أَعْنِي مِنْهُ ،  
وَتَرَكَهٗ <sup>١</sup> .

فَتَأَمَّلَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْخَبْرُ مِنْ سَعَةِ حَالِ كَاتِبِ مِنْ كُتَّابِ مِصْرَ ، كَيْفَ كَانَ لَهُ فِي قَرْيَةٍ  
وَاجِدَةٌ هَذَا الْقَدْرُ مِنْ صِنْفِ الْقَمْحِ ، وَكَيْفَ صَارَ مِمَّا يُفْضَلُ عَنْهُ حَتَّى يَجْعَلَهُ ضِيَاغَةً ، وَكَيْفَ لَمْ  
يَقْبَأْ بِأَرْبَعِ مِائَةِ دِينَارٍ حَتَّى وَهَبَهَا لِلدُّقَّاقِ قَمْحًا . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ كَثْرَةِ الْغِنَى <sup>(b)</sup> ، وَقَسَ عَلَيْهِ بَاقِي  
الْأَحْوَالِ .

١٠ وَقَالَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الْمَازَرَانِيِّ : إِنَّهُ حَجَّ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ حَجَّةً مُتَوَالِيَةً ، أَنْفَقَ فِي  
كُلِّ حَجَّةٍ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ مَعَهُ بِتِسْعِينَ نَاقَةً لِقَيْبِهِ <sup>(c)</sup> الَّتِي  
يُرْكَبُهَا ، وَأَرْبَعُ مِائَةِ لِحَازِهِ وَمِيْرَتِهِ ، وَمَعَهُ الْمَحَامِلُ فِيهَا أَحْوَاضُ الْبَقْلِ وَأَحْوَاضُ الرِّيَّاحِينَ وَكِلَابُ  
الصَّيْدِ ، وَيُنْفِقُ عَلَى الْأَشْرَافِ وَأَوْلَادِ الصُّحَابَةِ وَلَهُمْ عِنْدَهُ دِيْوَانٌ بِأَسْمَائِهِمْ ، وَأَنَّهُ أَنْفَقَ فِي  
خَمْسِ <sup>(d)</sup> حَجَّاتٍ أُخْرَى أَلْفَ دِينَارٍ وَمِائَتِي أَلْفَ دِينَارٍ <sup>٢</sup> .

١٥ وَكَانَتْ جَارِيَّتُهُ تُوَاصِلُ مَعَهُ الْحَجَّ ، وَمَعَهَا لِنَفْسِهَا ثَلَاثُونَ نَاقَةً لِقَيْبِهَا <sup>(e)</sup> ، وَمِائَةٌ وَخَمْسُونَ عَرَبِيًّا  
لِحِزَابِهَا .

وَأَخْصِي مَا يُعْطِيهِ كُلُّ شَهْرٍ لِحَاشِيَّتِهِ وَأَهْلَ السُّرِّ وَذَوِي الْأَقْدَارِ ، جِرَايَةً مِنَ الدَّقِيقِ الْحَوَارِيِّ ،  
فَكَانَ بَضْعًا وَثَمَانِينَ أَلْفَ رَطْلٍ .

وَكَانَ سَنَةَ الْقَرْمَطِيِّ <sup>٣</sup> بِمَكَّةَ ، فَمِنْ جَمَلَةٍ مَا ذَهَبَ لَهُ بِهِ مِائَتَا قَمِيصٍ دَبِيْقِي ، سُلْفَ <sup>(f)</sup> كُلِّ ثَوْبٍ  
مِنْهَا خَمْسُونَ دِينَارًا <sup>٤</sup> .

(a) إضافة من المقي . (b) بولاق : المعاش . (c) بولاق : لقبته . (d) المقي : عشر . (e) بولاق : لقبتها . (f) بولاق : ثمن .

<sup>١</sup> المقرئزي : المقي الكبير ٣ : ٤٧٨ - ٤٧٩ . أبو سعيد الجنائبي .

<sup>٢</sup> نفسه ٦ : ٢٣٥ . <sup>٤</sup> المقرئزي : المقي الكبير ٦ : ٢٤٤ .

<sup>٣</sup> أي سنة سبع عشرة وثلاث مائة والقرمطي المقصود هو



وقال مرة وهو في عطلته : أَخَذَ مِنِّي مُحَمَّدُ بْنُ طَفَّحِ الْإِنْخَشِيدِ عَيْنًا وَعَرَضًا مَا<sup>(a)</sup> يَبْلُغُ نَيْفًا<sup>(b)</sup> وثمانين وئبة دنانير ؛ فاستعظم من حضر ذلك ، فقال ابنه : الذي أخذ أكثر ، وأنا أوقفه عليه ؛ ثم قال لأبيه : يا مؤلاي ، أليس نكبت ثلاث مرّات ؟ قال : بلى ؛ قال : أليس أخذت ضياغك بالشام ؟ قال : نعم ؛ قال : فكم ثمنها ؟ قال : ألف ألف دينار ؛ قال : وضياعك بمصر ؛ قال : قريب منها ؛ قال : وعرض وعين ؟ قال : كذلك . فأمر بعض الحساب بضبط ذلك ، فجاء ما يُنيف عن ثلاثين أزدبًا من ذهب<sup>١</sup> .

فانظر ما تضمّنته أخبار الماذرائي ، وقس عليها بقيّة أحوال مصر ، فما كان سوى كاتب الخراج وهذه أمواله كما قد رأيت .

وقال الشريف الجواني : إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ مُيَسَّرٍ<sup>(c)</sup> قَاضِي مِصْرَ سَمِعَ أَنَّ الْمَازَرَائِيَّ عَمِلَ فِي أَيَّامِهِ الْكَفْكَ الْمَحْشُوَّ بِالسُّكَّرِ ، وَالْقُرْصَ الصُّغَارَ الْمَسْمُومَةَ «أَفِطْنُ لَهُ» ، فَأَمَرَهُمْ بِعَمَلِ الْفُسْتُوقِ الْمَلْبَسِ بِالسُّكَّرِ الْأَبْيَضِ الْفَائِدِ الْمَطْيَبِ بِالْمِشْكِ ، وَعَمِلَ مِنْهُ فِي أَوَّلِ الْحَالِ أَشْيَاءَ عَوَّضَ لُبَّهُ لُبَّ ذَهَبٍ فِي صَحْنٍ وَاحِدٍ ، فَمَضَى عَلَيْهِ جُمَّلَةً ، وَخُطِفَ قُدَّامَهُ ، تَخَاطَفَهُ الْحَاضِرُونَ ، وَلَمْ يَعُدْ لِعَمَلِهِ بَلِ الْفُسْتُوقِ الْمَلْبَسِ . وَكَانَ قَدْ سَمِعَ فِي سِيرَةِ الْمَازَرَائِيِّينَ أَنَّهُ عَمِلَ لَهُ هَذَا «الْأَفِطْنُ لَهُ» وَفِي كُلِّ وَاحِدَةٍ خَمْسَةَ دَنَانِيرٍ ، وَوَقَّفَ أَسْتَاذًا عَلَى السَّمَاطِ فَقَالَ لِأَخِي الْجَلَسَاءِ : «أَفِطْنُ لَهُ» ؛ وَكَانَ عَمِلَ عَلَى السَّمَاطِ عِدَّةُ صُحُونٍ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ ، لَكِنْ<sup>(d)</sup> مَا كَانَ فِيهَا إِلَّا<sup>(d)</sup> صَحْنٌ وَاحِدٌ ، فَلَمَّا رَمَزَ الْأَسْتَاذُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ بِقَوْلِهِ «أَفِطْنُ لَهُ» وَأَشَارَ إِلَى الصُّحْنِ ، تَنَاوَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْهُ ، فَأَصَابَ الذَّهَبَ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ فَحَصَلَ لَهُ جُمَّلَةً ، وَرَأَى النَّاسُ وَهُوَ إِذَا أَكَلَ يُخْرِجُ مِنْ فَمِهِ وَيَجْمَعُ بِيَدِهِ وَيَحُطُّ فِي جِجْرِهِ ، فَتَبَّهُوا لَهُ وَتَزَاخَمُوا عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لِذَلِكَ مِنْ يَوْمَئِذٍ «أَفِطْنُ لَهُ»<sup>٢</sup> .

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في «تاريخ مصر» : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا بِتَفْسِيرِ زُؤْيَا رَأَاهَا غُلَامٌ ابْنُ عَقِيلِ الْخَشَابِ عَجِيبَةً ، فَكَانَتْ حَقًّا كَمَا فَسَّرَتْ ، فَسَأَلْتُ غُلَامَ ابْنِ عَقِيلِ عَنْهَا ؛ فَقَالَ لِي : أَنَا أَخْبِيرُكَ ، كَانَ أَبِي فِي سُوقِ الْخَشَابِيِّينَ ، فَأَنْفَقَ بِضَاعَتَهُ وَرَثَتْ حَالَهُ

(a) ما ساقطة من بولاق . (b) بولاق : ألفا . (c) بولاق : مفسر . (d-d) ساقط من بولاق .

<sup>١</sup> المقرئزي : المقفى الكبير ٦ : ٢٤٤ . الإصر ٤٢٧-٤٢٨ (ومصدره أيضًا الشريف الجواني) ؛

<sup>٢</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ١٢٧ ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا : السيوطي : حسن المحاضرة ٢ : ١٥٢ ؛ وانظر فيما يلي

٣ : ١٦٣ ، المقفى الكبير ٧ : ٤٠٠-٤٠١ ؛ ابن حجر : رفع ٢ : ٤٥٣ .



- ومات ، فَأَسْلَمْتَنِي أُمِّي إِلَى ابْنِ عَقِيلٍ - وَكَانَ صَدِيقًا لِأَبِي - فَكُنْتُ أَخْدُمُهُ ، وَأَفْتَحُ حَائِثُوتَهُ وَأَكْنُسُهَا ، ثُمَّ أَفْرِشُ لَهُ مَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، فَكَانَ يُجْرِي عَلَيَّ رِزْقًا أَتَقَوُّتُ بِهِ ؛ فَأَنَا<sup>(a)</sup> يَوْمًا فِي الْحَائِثُوتِ وَقَدْ جَلَسَ أَسْتَاذِي ابْنُ عَقِيلٍ ، فَجَاءَ ابْنُ الْعَسَّالِ<sup>١</sup> مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الرَّيْفِ يَطْلُبُ عُودَ خَشَبٍ لَطَاخُونَهُ ، فَاشْتَرَى مِنْ ابْنِ عَقِيلٍ عُودَ طَاخُونَةٍ بِخَمْسَةِ دَنَانِيرٍ . فَسَمِعْتُ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الشُّوقِ يَقُولُونَ : هَذَا ابْنُ الْعَسَّالِ الْمُفْسِّرُ لِلرُّؤْيَا عِنْدَ ابْنِ عَقِيلٍ ، فَجَاءَ مِنْهُمْ قَوْمٌ وَقَصَّوْا عَلَيْهِ مَنَامَاتٍ رَأَوْهَا ، فَفَسَّرَهَا لَهُمْ ؛ فَذَكَرْتُ رُؤْيَا رَأَيْتُهَا فِي لَيْلَتِي ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي نَوْمِي كَذَا وَكَذَا ، فَقَصَّصْتُ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا ؛ فَقَالَ لِي : أَيَّ وَقْتٍ رَأَيْتَهَا مِنَ اللَّيْلِ ؟ فَقُلْتُ : انْتَبَهْتُ بَعْدَ رُؤْيَايَ فِي وَقْتِ كَذَا ؛ فَقَالَ لِي : هَذِهِ رُؤْيَا لَسْتُ أُفَسِّرُهَا إِلَّا بِدَنَانِيرٍ كَثِيرَةٍ . فَأَلْحَحْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ أَسْتَاذِي ابْنُ عَقِيلٍ : فَرَّجْ عَنْهُ ، هَذَا غُلَامٌ صَغِيرٌ فَقِيرٌ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ؛ فَقَالَ : لَسْتُ أَخُذُ إِلَّا عَشْرِينَ دِينَارًا ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيلٍ : إِنْ قَرَّبْتَ عَلَيْنَا وَرَزَيْتُنَا لَكَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِي . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ يُنْزِلُهُ حَتَّى قَالَ : لَسْتُ<sup>(b)</sup> وَاللَّهِ أَخُذُ أَقَلَّ مِنْ ثَمَنِ الْعُمُودِ<sup>(c)</sup> الْخَشَبِ : خَمْسَةَ دَنَانِيرٍ ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَقِيلٍ : إِنْ صَحَّتِ الرُّؤْيَا دَفَعْتُ إِلَيْكَ الْعُمُودَ<sup>(c)</sup> بِلَا ثَمَنِ ؛ فَقَالَ لَهُ : يَأْخُذُ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ أَلْفَ دِينَارٍ ؛ قَالَ أَسْتَاذِي : فَإِذَا لَمْ يَصِحْ هَذَا ؟ فَقَالَ : يَكُونُ الْعُمُودُ<sup>(c)</sup> عِنْدَكَ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ، فَإِنْ<sup>(d)</sup> أَخَذَ مَا قُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَالْأَلْفَ<sup>(e)</sup> فَلَيْسَ لِي عِنْدَكَ شَيْءٌ ، وَلَا أُفَسِّرُ رُؤْيَا أَبَدًا ؛ فَقَالَ لَهُ أَسْتَاذِي : قَدْ أَنْصَفْتُ . وَمَضَتْ الْجُمُعَةُ ، فَلَمَّا كَانَ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ غَدَوْتُ كَمَا<sup>(f)</sup> كُنْتُ أَغْدُو إِلَى دُكَّانِ أَسْتَاذِي ، فَفَتَحْتَهَا وَرَشَّسْتُهَا ، وَاسْتَلَقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي أَفْكَرَ فِيمَا قَالَ لِي ، وَمِنْ أَيْنَ يُمَكِّنُ أَنْ يَصِيرَ إِلَيَّ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَقُلْتُ : لَعَلَّ سَقْفَ الْمَكَانِ يَنْفَرِجُ فَيَسْقُطُ مِنْهُ هَذَا الْمَالُ ، وَجَعَلْتُ أُجِيلُ فِكْرِي ؛ فَإِنِّي كَذَلِكَ إِلَى ضُحَى ، إِذْ وَقَفَ عَلَيَّ بَجَمَاعَةٍ مِنْ أَعْوَانِ الْخَرَاجِ مَعَهُمْ فَارِسٌ<sup>(g)</sup> ، فَقَالُوا : هَذِهِ دُكَّانُ ابْنِ عَقِيلٍ ، ثُمَّ قَالُوا لِي : قُمْ ؛ فَقُلْتُ لَهُمْ : لَسْتُ / ابْنِ عَقِيلٍ ، أَنَا غُلَامُهُ ؛ فَقَالُوا لِي<sup>(e)</sup> : بَلْ أَنْتِ ابْنَةُ ، وَجَذَبُونِي فَأَخْرَجُونِي مِنَ الدُّكَّانِ ؛ فَقُلْتُ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَقَالُوا : إِلَى دِيْوَانِ الْأَسْتَاذِ أَبِي عَلِيِّ الْحُسَيْنِيِّ ابْنِ أَحْمَدَ (يَعْنُونَ أَبَا زُنْبُورٍ) ؛ فَقُلْتُ : وَمَا يَصْنَعُ بِي ؟ فَقَالُوا : إِذَا جِئْتَ

(a) بولاق : فأتى . (b) ساقطة من بولاق والعبارة فيه : والله لا آخذ . (c) بولاق : العود . (d) بولاق : فإن كان لم يصح . (e) ساقطة من بولاق . (f) بولاق : مثل ما . (g) بولاق : ناس .

<sup>١</sup> حاشية بخط المؤلف : «الحسن بن محمد بن أحمد بن العسال كتب الحديث بعد سنة سبعين ومائتين ، كان في تفسير الرؤيا عجبًا لم يُر مثله» .



سَمِعْتَ كَلَامَهُ وَمَا يُرِيدُهُ مِنْكَ . وَكُنْتَ بِعَقَبِ عِلَّةٍ ضَعِيفِ الْبَدَنِ ، فَقُلْتَ : مَا أَقْدِرُ أَمْشِي ، فَقَالُوا : أَكْثَرَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ .

وَلَمْ يَكُنْ مَعِيَ مَا أَكْثَرِي بِهِ حِمَارًا ، فَتَزَعْتُ تِكَّةَ سَرَاوِيلِي مِنْ وَسْطِي وَدَفَعْتُهَا عَلَى دَرَهْمَيْنِ لِمَنْ أَكْرَانِي الْحِمَارَ ، وَمَضَيْتُ مَعَهُمْ فَجَاءُوا بِي إِلَى دَارِ أَبِي زُنْبُورَ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ قَالَ لِي : أَنْتَ ابْنُ عَقِيلٍ ؟ فَقُلْتَ : لَا يَا سَيِّدِي ، أَنَا غُلَامٌ فِي حَائُوتِهِ ؛ قَالَ : أَفَلَيْسَ تُبْصِرُ قِيَمَةَ الْحَشَبِ ؟ قُلْتَ : بَلَى ؛ قَالَ : فَادْهَبْ مَعَ هَؤُلَاءِ فَقَوْمٌ لَنَا هَذَا الْحَشَبُ ، فَانْظُرْ بِحَيْثُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ .

فَمَضَيْتُ مَعَهُمْ ، فَجَاءُوا بِي إِلَى شَطِّ الْحَمْرَاءِ<sup>(a)</sup> إِلَى حَشَبٍ كَثِيرٍ مِنْ أَثْلِ وَسَنْطٍ جَافٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَصْلُحُ لِبِنَاءِ الْمَرَائِبِ ، فَقَوْمُهُ تَقْوِيمُ جَزَعٍ حَتَّى بَلَغَتْ قِيَمَتُهُ أَلْفِي دِينَارٍ ؛ فَقَالُوا لِي : انْظُرْ هَذَا الْمَوْضِعَ الْآخَرَ فِيهِ مِنَ الْحَشَبِ أَيْضًا ؛ فَانْظَرْتُ فَإِذَا هُوَ أَكْثَرُ مِمَّا قَوْمَتُ بِنَحْوِ مَرَّتَيْنِ ، فَأَعْجَلُونِي وَلَمْ أَضْبِطْ قِيَمَةَ الْحَشَبِ .

فَرَدُّونِي إِلَى أَبِي زُنْبُورَ ، فَقَالَ لِي : قَوْمَتِ الْحَشَبِ كَمَا أَمَرْتُكَ ؟ فَفَزَعْتُ ، فَقُلْتَ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ : هَاتِ كَمْ قَوْمَتُهُ ؟ فَقُلْتَ : أَلْفًا دِينَارٍ ؛ فَقَالَ : انْظُرْ لَا تَغْلَطْ ؛ فَقُلْتَ : هُوَ قِيَمَتُهُ عِنْدِي ؛ فَقَالَ لِي : فَخُذْهُ أَنْتَ بِالْأَلْفِي دِينَارٍ ؛ فَقُلْتَ : أَنَا فَقِيرٌ لَا أَمْلِكُ دِينَارًا وَاحِدًا ، فَكَيْفَ لِي بِقِيَمَتِهِ ؟ قَالَ : أَلَسْتَ تُحْسِنُ تَذْيِيرَهُ وَتَبْيَعَهُ ؟ فَقُلْتَ : بَلَى . قَالَ : فَدَبِّرْهُ وَبِعْهُ ، وَنَحْنُ نَصْبِرُ عَلَيْكَ بِالثَّمَنِ إِلَى أَنْ تَبِيعَ شَيْئًا شَيْئًا وَتُوَدِّيَ ثَمَنَهُ ؛ فَقُلْتَ : أَفْعَلُ .

فَأَمَرَ بِكِتَابٍ يُكْتَبُ عَلَيَّ فِي الدِّيوانِ بِالْمَالِ ، فَكُتِبَ عَلَيَّ ، وَرَجَعْتُ إِلَى الشُّطِّ أَعْرِفُ عَدَدَ الْحَشَبِ ، وَأَوْصِي بِهِ الْحُرَّاسَ .

فَوَافَيْتُ جَمَاعَةَ أَهْلِ سُوقِنَا وَشُيُوخَهُمْ قَدْ أَتَوْا إِلَى مَوْضِعِ الْحَشَبِ ، فَقَالُوا لِي : إِيْشَ صَنَعْتَ ، قَوْمَتِ الْحَشَبِ ؟ قُلْتَ : نَعَمْ ؛ قَالُوا : بِكُمْ قَوْمَتُهُ ؟ فَقُلْتَ : بِالْأَلْفِي دِينَارٍ ؛ فَقَالُوا لِي : وَأَنْتَ تُحْسِنُ تَقْوِيمَ لَا يُسَاوِي هَذَا هَذِهِ الْقِيَمَةَ . فَقُلْتَ لَهُمْ : قَدْ كَتَبْتُ عَلَيَّ كُتَابًا فِي الدِّيوانِ وَهُوَ عِنْدِي يُسَاوِي أضعافَ هَذَا ؛ فَقَالُوا لِي : أَسْكُتْ لَا يَسْمَعُكَ أَحَدٌ ؛ وَكَانُوا قَدْ قَوْمُوهُ قَبْلِي لِأَبِي زُنْبُورِ

(a) بولاق : البحر .

<sup>١</sup> حاشية بخط المؤلف : «شط الحمرء هو اليوم ما في جنب الخليج حيث الموضع الذي يعرف بالمريس» . و٥٣٧ هـ .  
موضعه بستان الخشاب (فيما يلي ١٥٧ ، ١٦٤ والمريس موضع غرب الخليج بجوار منشأة المهراني كان



بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَعْطُوا هَذَا رِبْحَهُ وَتَسَلَّمُوهُ أَنْتُمْ ، فَقَالَ قَائِلٌ : أَعْطُوهُ رِبْحَهُ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ ؛ فَقُلْتُ : لَا ، وَاللَّهِ لَا آخِذٌ ؛ فَقَالُوا : قَدْ رَأَى رُؤْيَا فَرِيدُوهُ ؛ فَقُلْتُ : لَا ، وَاللَّهِ لَا آخِذٌ أَقَلَّ مِنْ أَلْفِ دِينَارٍ ؛ قَالُوا : فَلَاكَ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَحَوَّلَ اسْمُكَ مِنَ الدِّيَّانِ نَعَطَكَ إِذَا بَغْنَا أَلْفَ دِينَارٍ ؛ فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ حَتَّى آخِذَ الْأَلْفِ دِينَارٍ فِي وَقْتِي هَذَا .

٥ فَمَضَوْا إِلَى حَوَانِيَتِهِمْ وَإِلَى مَنَازِلِهِمْ حَتَّى جَاءُونِي بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقُلْتُ : لَا آخِذَهَا إِلَّا بِنَقْدِ الصَّيْرِفِيِّ وَمِيزَانِهِ ؛ فَمَضَيْتُ مَعَهُمْ إِلَى صَيْرِفِي بِالنَّاحِيَةِ حَتَّى وَزَنُوا عِنْدَهُ الْأَلْفَ دِينَارٍ ، وَنَقَدْتُهَا وَأَخَذْتُهَا فَشَدَدْتُهَا فِي طَرَفِ رِدَائِي ، وَمَضَيْتُ مَعَهُمْ إِلَى الدِّيَّانِ ، وَحَوَّلْتُ أَسْمَاءَهُمْ مَكَانَ اسْمِي ، وَوَفَّقُوا حَقَّ الدِّيَّانِ مِنْ عِنْدِهِمْ .

١٠ وَرَجَعْتُ وَقْتُ الظُّهْرِ إِلَى أَسْتَاذِي فَقَالَ لِي : قَبَضْتَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْهُمْ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، بِيَرَكِكَ وَتَرَكَتُ الدَّنَانِيرَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : يَا أَسْتَاذُ خُذْ ثَمَنَ الْعَمُودِ<sup>(a)</sup> الْخَشَبِ ؛ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا آخِذٌ مِنْكَ شَيْئًا ، أَنْتَ عِنْدِي مَقَامُ ابْنِي . وَجَاءَ فِي الرَّقَّتِ ابْنُ الْعَسَّالِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ أَسْتَاذِي الْعَمُودَ<sup>(a)</sup> الْخَشَبَ ، فَمَضَى . فَهَذَا تَجَرُّبُ رُؤْيَايَ وَتَفْسِيرُهَا .

١٥ فَنَأْمُلُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ هَذَا الْخَبْرُ<sup>(b)</sup> مِنْ عِظَمِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِصْرُ ، فَأَوْلًا<sup>(b)</sup> سَعَةِ حَالِ الدِّيَّانِ ، وَكَيْفِ فَضْلِ فِيهِ خَشَبِ يُسَاوِي آلَافًا مِنَ الذَّهَبِ ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي زَمَنٍ إِذَا اخْتَبِحَ فِيهِ إِلَى عِمَارَةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ السُّلْطَانِيَّةِ بِخَشَبٍ أَوْ غَيْرِهِ ، أُخِذَ مِنَ النَّاسِ إِمَّا بِغَيْرِ ثَمَنٍ أَوْ بِأَبْخَسِ<sup>(c)</sup> الْقِيَمِ ، مَعَ مَا يُصِيبُ مَالِكَهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْخَسَارَةِ لِلْأَعْوَانِ .

٢٠ وَكَيْفَ لَمَّا قَوْمَ هَذَا الْخَشَبِ ، لَمْ يُكَلِّفِ الْمُشْتَرِي دَفْعَ الْمَالِ فِي الْحَالِ ؛ وَفِي زَمَانِنَا إِذَا طَرِحْتَ الْبِضَاعَةَ السُّلْطَانِيَّةَ عَلَى الْبَاعَةِ يُكَلِّفُونَ حَمْلَ ثَمَنِهَا بِالسَّرْعَةِ ، حَتَّى إِنَّ فِيهِمْ مَنْ يَبِيعُهَا بِأَقَلِّ مِنْ نِصْفِ مَا اشْتَرَاهَا بِهِ ، وَيُكْمِلُ الثَّمَنَ إِمَّا مِنْ مَالِهِ أَوْ يَقْتَرِضُهُ بِرِبْحٍ .

٢٠ وَكَيْفَ لَمَّا عَلِمَ أَهْلُ السُّوقِ أَنَّ الْخَشَبَ يَبِيعُ بِدُونِ الْقِيَمَةِ ، لَمْ يَمُضُوا إِلَى الدِّيَّانِ ، وَيُدْفَعُونَ فِيهِ زِيَادَةً : إِمَّا لِقَلَّةِ شِرَاءِ<sup>(d)</sup> النَّاسِ إِذْ ذَاكَ أَوْ تَرْكِهِمُ الْأَخْلَاقَ الرَّذِيئَةَ مِنَ الْحَسَدِ وَنَحْوِهِ ، أَوْ لِعِلْمِهِمْ بِعَدْلِ السُّلْطَانِ وَأَنَّهُ لَا يَنْكُثُ مَا عَقَدَهُ . وَفِي زَمَانِنَا لَوْ ادَّعَى عَدُوٌّ عَلَى عَدُوِّهِ أَنَّ الْبِضَاعَةَ الَّتِي كَانَ اشْتَرَاهَا مِنَ الدِّيَّانِ قِيمَتُهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذَهَا بِهِ ، لَقُبِلَ قَوْلُهُ وَغُرِّمَ زِيَادَةً عَلَى مَا ادَّعَاهُ عَدُوُّهُ مِنْ قِلَّةِ الْقِيَمَةِ جُمْلَةً أُخْرَى ؛ لَا جَزْمَ أَنَّهُ تَظَاهَرَ سُفَهَاءُ النَّاسِ بِكُلِّ



رذيلة وذميمة من الأخلاق، فإنَّ المَلِكَ سوف<sup>a</sup> يُجَبِّي إليه ما أنْفَقَ<sup>b</sup> به .

وكيف لما عَلِمَ ابنُ عَقِيلٍ أَنَّ غُلَامَهُ اسْتَفَادَ عَلَى اسْمِهِ أَلْفَ دِينَارٍ، لَمْ يَشْرَهُ إِلَى أَخْذِهَا، بَلْ دَفَعَ عَنْهُ الْخَمْسَةَ الدَّنَانِيرَ<sup>c</sup>. وما ذلك إِلَّا مِنْ انْتِشَارِ الْخَيْرِ فِي النَّاسِ، وَكَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَسَعَةِ حَالِ كُلِّ أَحَدٍ بِحَسْبِهِ، وَطَيْبِ نُفُوسِ الْكَاثِفَةِ، وَلِعَمْرِي لَوْ سَمِعَ فِي زَمَانِنَا أَحَدٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ - فَضْلاً عَنِ الْبَاعَةِ - أَنَّ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِهِ أَخَذَ عَلَى اسْمِهِ عَشْرَ هَذَا الْمَبْلَغِ، لَقَامَتْ قِيَامَتُهُ .

وكيف اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ الْخَشَّائِينَ حَتَّى وَزَنُوا أَلْفَ دِينَارٍ فِي سَاعَةٍ، وَأَنَّهُ لِيَعْمُرَ الْيَوْمَ عَلَى الْخَشَّائِينَ أَنْ يَزِنُوا فِي يَوْمٍ مِائَةَ دِينَارٍ . وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ وَفُورِ غِنَى النَّاسِ بِمِصْرَ، وَعِظْمِ أَمْرِهِمْ، وَكَثْرَةِ سَعَادَاتِهِمْ .

<sup>d</sup> وكان / القُسْطَاطُ نَحْوُ ثَلَاثِ بَغْدَادٍ - وَمِقدَارُهُ نَحْوُ<sup>e</sup> فَرْسَخٍ - عَلَى غَايَةِ الْعِمَارَةِ وَالْخِصْبِ وَالطَّيْبَةِ وَاللَّذَّةِ، وَكَانَتْ مَسَاكِينُ أَهْلِهَا خَمْسَ طَبَقَاتٍ وَسِتًّا وَسَبْعًا، وَرُبَّمَا سَكَنَ فِي الدَّارِ الْوَاحِدَةِ الْمِائَتَانِ مِنَ النَّاسِ . وَكَانَ فِيهِ دَارُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ يُصَبِّ فِيهَا لِمَنْ فِيهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعِ مِائَةِ رَاوِيَةِ مَاءٍ، وَكَانَ فِيهَا خَمْسَةَ مَسَاجِدَ وَحَمَّامَانِ وَعِدَّةُ أَفْرَانٍ يُخْبَرُ بِهَا عَجِينُ أَهْلِهَا .

وقد قال أبو داؤد في كتاب «السُّنَنِ»: سَبَّرْتُ قِثَاءَةَ بِمِصْرَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَرَأَيْتُ أُتْرَجَّةً عَلَى بَعِيرٍ قِطْعَتَيْنِ: قُطِعَتْ وَصُيِّرَتْ عَلَى مِثْلِ عَدْلَيْنِ؛ ذَكَرَهُ فِي بَابِ صَدَقَةِ الزَّرْعِ مِنْ كِتَابِ الزَّكَاةِ<sup>٢</sup>.

قلت: وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي جِنَانِ بَنِي سِنَانَ الْبَصْرِيِّ خَارِجَ مَدِينَةِ الْقُسْطَاطِ، وَكَانَتْ بِحَيْثُ لَمْ يُرَ أَبَدَعُ مِنْهَا . فَلَمَّا قَدِمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ اللَّهِ الْمَأْمُونُ بْنُ هَارُونَ الرَّشِيدِ مِصْرَ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، رَأَى جِنَانَ بَنِي سِنَانَ هَذِهِ، فَأَعْجَبَ بِهَا وَسَأَلَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سِنَانَ: كَمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَرَاجِ لِجِنَانِهِ؟ فَذَكَرَ أَنَّهُ يَحْمِلُ إِلَى الدُّيُونِ فِي كُلِّ سَنَةٍ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ؛ فَقَالَ الْمَأْمُونُ: وَكَمْ تَرُدُّ عَلَيْكَ هَذِهِ الْجِنَانُ؟ قَالَ: لَا اسْتَطِيعُ حَضْرَهُ، إِلَّا أَنَّ مَا زَادَ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ أَتَصَدَّقُ بِهِ وَلَوْ دِرْهَمًا . هَذَا وَلَهُ وَلَدٌ اسْمُهُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سِنَانَ يُوصَفُ بِعِلْمٍ وَرُهْدٍ<sup>d</sup>.

(a) بولاق: سوق . (b) بولاق: نفق . (c) بولاق: خمسة الدنانير . (d-d) غير موجودة في ظ . (e) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> مصدر هذا الخبر ابن حوقل: صورة الأرض ١٤٦؛ وقارن المقدسي: أحسن التقاسيم ١٩٨؛ الإدريسي: نزهة المشتاق ٣٢٣؛ ابن سعيد: المغرب ٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٣٣٦؛ وانظر كذلك ناصر خسرو: سفرنامه

١٠١؛ وعن وصف منازل القسطنطينية انظر Fu'ad Sayyid, A., op. cit., pp. 605-10، وفيما يلي ١٥١ .

<sup>٢</sup> انظر فيما تقدم ١: ٧٥ .



## ذِكْرُ الْأَثَارِ الْوَارِدَةِ فِي خَرَابِ مِصْرَ

رَوَى قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ<sup>١</sup>، عَنِ كَعْبِ الْأَخْبَارِ، قَالَ: الْجَزِيرَةُ أَمِنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَخْرُبَ أَرْمِينِيَّةَ، وَمِصْرُ أَمِنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَخْرُبَ الْجَزِيرَةَ، وَالْكُوفَةُ أَمِنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَكُونَ الْمَلْحَمَةَ، وَلَا يَخْرُجُ الدَّجَالُ حَتَّى تُفْتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ.

٥. وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ قَالَ: الْجَزِيرَةُ أَمِنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَخْرُبَ أَرْمِينِيَّةَ، وَأَرْمِينِيَّةُ أَمِنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَخْرُبَ مِصْرَ، وَمِصْرُ أَمِنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَخْرُبَ الْكُوفَةَ، وَلَا تَكُونُ الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى حَتَّى تَخْرُبَ الْكُوفَةَ، فَإِذَا كَانَتْ الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى فُتِحَتْ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ عَلَى يَدَيْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ<sup>٢</sup>.
١٠. وَخَرَابُ الْأَنْدَلُسِ مِنْ قِبَلِ الزُّنْجِ، وَخَرَابُ إِفْرِيْقِيَّةَ مِنْ قِبَلِ الْأَنْدَلُسِ، وَخَرَابُ مِصْرَ مِنْ انْقِطَاعِ النَّيْلِ وَاخْتِلَافِ الْجُيُوشِ فِيهَا، وَخَرَابُ الْعِرَاقِ مِنْ قِبَلِ الْجُوعِ وَالسَّيْفِ، وَخَرَابُ الْكُوفَةَ مِنْ قِبَلِ عَدُوٍّ مِنْ وَرَائِهِمْ يَخْفُرُهُمْ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَشْرَبُوا مِنَ الْفُرَاتِ قَطْرَةً، وَخَرَابُ الْبَصْرَةَ مِنْ قِبَلِ الْفَرَقِ، وَخَرَابُ الْأُبَلَّةِ مِنْ قِبَلِ عَدُوٍّ يَخْفُرُهُمْ مَرَّةً بَرًّا وَمَرَّةً بَحْرًا، وَخَرَابُ الرَّيِّ مِنْ قِبَلِ الدَّيْلَمِ، وَخَرَابُ خُرَاسَانَ مِنْ قِبَلِ الثُّبَيْتِ، وَخَرَابُ الثُّبَيْتِ مِنْ قِبَلِ الصُّينِ، وَخَرَابُ الصُّينِ مِنْ قِبَلِ الْهِنْدِ، وَخَرَابُ الْيَمَنِ مِنْ قِبَلِ الْجَرَادِ وَالسُّلْطَانِ، وَخَرَابُ مَكَّةَ مِنْ قِبَلِ الْحَبَشَةِ، وَخَرَابُ الْمَدِينَةَ مِنْ قِبَلِ الْجُوعِ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَخَرَابُ أَرْمِينِيَّةَ مِنْ قِبَلِ الرَّجْفِ وَالصَّوَاعِقِ، وَخَرَابُ الْأَنْدَلُسِ وَخَرَابُ الْجَزِيرَةَ مِنْ سَنَابِكِ الْخَيْلِ وَاخْتِلَافِ الْجُيُوشِ.

١٥. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: إِنَّ أَسْرَعَ الْأَرْضِينَ خَرَابًا لِلْبَصْرَةَ وَمِصْرَ؛ فَقِيلَ لَهُ: وَمَا يُخْرَبُهُمَا وَفِيهِمَا عُيُونُ الرِّجَالِ وَالْأَمْوَالِ؟ فَقَالَ: يُخْرَبُهُمَا الْقَتْلُ الْأَحْمَرُ وَالْجُوعُ الْأَغْبَرُ كَأَنِّي بِالْبَصْرَةَ كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ جَائِمَةٌ، وَأَمَّا مِصْرُ فَإِنَّ نَيْلَهَا يَنْضَبُ (أَوْ قَالَ يَبْيَسُ) فَيَكُونُ ذَلِكَ خَرَابُهَا.
٢٠. وَعَنْ الْأَوْزَاعِيِّ: إِذَا دَخَلَ أَصْحَابُ الرِّيَاضِ الصُّفْرَ مِصْرَ، فَلْتَخْفُرْ أَهْلُ الشَّامِ أَشْرَابًا تَحْتَ الْأَرْضِ. وَعَنْ كَعْبِ: عَلَامَةُ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ الْوَيْتَةُ تُقْبَلُ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ

١. قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف الأندلسي القرطبي مولى الوليد بن عبد الملك الأموي البجلي (نسبة إلى بجانة محلة في قرطبة)، كان مسند عصره بالأندلس وحافظه ومحدثه، وإمامًا من أئمة العلم، توفي بقرطبة سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م (ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ١: ٣٦٤-٣٦٧؛ الحميدي: جذوة المقتبس ٣١١-٣١٢؛ ياقوت: معجم الأدباء ١٦: ٢٣٦-٢٣٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥: ٤٧٢-٤٧٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٤: ١١٤-١١٥).

٢. انظر فيما تقدم ٨١ عن كعب الأخبار.

١. قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف الأندلسي القرطبي مولى الوليد بن عبد الملك الأموي البجلي (نسبة إلى بجانة محلة في قرطبة)، كان مسند عصره بالأندلس وحافظه ومحدثه، وإمامًا من أئمة العلم، توفي بقرطبة سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م (ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ١: ٣٦٤-٣٦٧؛ الحميدي: تاريخ علماء الأندلس ١: ٣٦٤-٣٦٧؛ الحميدي: تاريخ علماء الأندلس ١: ٣٦٤-٣٦٧).



أَعْرَجَ ، فَإِذَا ظَهَرَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ عَلَى مِصْرَ ، فَبَطْنُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ لِأَهْلِ الشَّامِ . وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ : يَخْرُجُ عُتُقٌ مِنَ الْبَرْبَرِ ، فَوَيْلٌ لِأَهْلِ مِصْرَ .

وَقَالَ ابْنُ لَهْيَعَةَ ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ ، عَنْ مَوْلَى لَشْرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ - أَوْ لَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ - قَالَ : سَمِعْتُهُ يَوْمًا وَاسْتَقْبَلْنَا فَقَالَ : أَيُّهَا لَكَ مِصْرَ إِذَا رَمَيْتَ بِالْقَيْسِيِّ الْأَرْبَعِ : قَوْسُ الْأَنْدَلُسِ ، وَقَوْسُ الْحَبَشَةِ ، وَقَوْسُ التُّرُكِ ، وَقَوْسُ الرُّومِ .

وَعَنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، حَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ مَعْرُوفٍ ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةَ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ : تَهْلِكُ مِصْرَ غَرْقًا أَوْ حَرْقًا .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْلَانَ أَنَّهُ قَالَ لِابْنَتِهِ : إِذَا بَلَغَكَ أَنَّ الْإِسْكََنْدَرِيَّةَ قَدْ فُتِحَتْ ، فَإِنَّ كَانَ خِمَارُكَ بِالْمَغْرِبِ فَلَا تَأْخُذِيهِ حَتَّى تَلْحَقِي بِالْمَشْرِقِ .

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الْأَرْضِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ : سَيْحُونٌ - وَهُوَ نَهْرُ الْهِنْدِ - وَجَيْحُونٌ - وَهُوَ نَهْرُ بَلْخِ - وَدِجْلَةٌ وَالْفُرَاتُ - وَهُمَا نَهْرَا الْعِرَاقِ - وَالنَّيْلُ وَهُوَ نَهْرُ مِصْرَ ، أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُيُونِ الْجَنَّةِ ، مِنْ أَسْفَلِ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهَا ، عَلَى جَنَاحِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاسْتَوَدَعَهَا الْجِبَالِ ، وَأَجْرَاهَا فِي الْأَرْضِ ، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ فِي أَصْنَافٍ مَعَايِشِهِمْ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الآية ١٨ سورة المؤمنون] .

فَإِذَا كَانَ عِنْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَرَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ الْقُرْآنَ كُلَّهُ وَالْعِلْمَ كُلَّهُ وَالْحَجَرَ مِنْ رُكْنِ الْبَيْتِ وَمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَتَابُوتَ مُوسَى بِمَا فِيهِ ، وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ الْخَمْسَةُ ، فَيَرْفَعُ كُلَّ ذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ / لَقَادِرُونَ ﴾ [الآية ١٨ سورة المؤمنون] ، فَإِذَا رُفِعَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَقَدَّتْ أَهْلُهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ .

وَقَالَ ابْنُ لَهْيَعَةَ ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْحَضْرَمِيِّ ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْأَعْيَنِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مِصْرَ خَرَابًا أَنْطَابُلُسُ .

وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي سَالِمٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : إِنِّي لِأَعْلَمُ السَّنَةَ الَّتِي تَخْرُجُونَ فِيهَا مِنْ مِصْرَ ؛ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : مَا يُخْرِجُنَا مِنْهَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَعْدُو؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ يُخْرِجُكُمْ مِنْهَا نَيْلُكُمْ هَذَا ، يَغُورُ فَلَا تَبْقَى مِنْهُ قَطْرَةٌ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ الْكُثْبَانُ مِنَ الرَّمْلِ ، وَتَأْكُلُ سِبَاعُ الْأَرْضِ حَيَاتَانَهُ .



## ذكر خراب فسطاط

- وكان لخراب مدينة فسطاط مصر سببان : أحدهما «الشدة العظمى» التي كانت في خلافة  
المستنصر بالله الفاطمي ، والثاني «حريق مضر» في وزارة شاور بن مجير السعدي .  
فأما «الشدة العظمى»<sup>١</sup> فإن سببها أن السعز نزع<sup>٢</sup> بمصر في سنة ست وأربعين وأربع مائة  
وتبع الغلاء وباء ، فبعث الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن  
علي ، إلى متملك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال إلى مصر ، فأطلق أربع مائة ألف أزدب ،  
وعزم على حملها إلى مصر ، فأذركه أجله ومات قبل ذلك .  
فقام في الملك بعده امرأة ، وكتب إلى المستنصر تسأله أن يكون عوناً لها ، ويمدّها بعساكر  
مصر إذا ثار عليها أحد ، فأبى أن يُسعفها في طلبتها ، فحرّدت لذلك ، وعاقّت الغلال عن المسير  
إلى مصر . فحنق المستنصر ، وجّه العساكر ، وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم ، وسارت إلى  
اللاذقية ، فحاصرتها<sup>٣</sup> بسبب نقض الهدنة وإمساك الغلال عن الوصول إلى مصر ، وأمدّها  
بالعساكر الكثيرة . ونودي في بلاد الشام بالغزو ، فنزل ابن ملهم قريباً من فامية ، وضائق أهلها ،  
وجال في أعمال أنطاكية فسبى ونهب ، فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر ،  
فحاربها ابن ملهم عدّة مرار ، وكانت عليه ، وأسير هو وجماعة كثيرة في شهر ربيع الأول منها .  
فبعث المستنصر ، في سنة سبع وأربعين ، أبا عبد الله القضاعي برسالة إلى القسطنطينية . فوافى<sup>٤</sup>  
إليها رسول طغرل بك<sup>٥</sup> السلجوقي من العراق بكتابه يأمر متملك الروم بأن يُمكن الرسول من

(a) بولاق : ارتفع . (b) بولاق : فحاربتها . (c) ظ : لمغربك ، بولاق : طغرل .

دار التضامن ١٩٨٨ ؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر  
Daghfous, R., «Aspects de la ٢٠٤-٢٠٧ situation économique de l'Égypte au milieu du  
V<sup>e</sup> siècle / milieu du XI<sup>e</sup> siècle: Contribution à  
l'étude des conditions de l'immigration des tribus  
arabes (Hilâl et Sulaym) en Ifriqiya», CT XXV  
(1977), pp. 23-50; Fu'ád Sayyid, A., *op. cit.*, pp.  
616-25.

<sup>١</sup> راجع عن موضوع الشدة العظمى ، إضافة إلى  
الإحالات التي سترد في الصفحات التالية ، زكي محمد  
حسن : كنوز الفاطميين ١٤-١٦ ؛ محمد عبد الله عنان :  
«الشدة العظمى والفناء الكبير» فصل في كتاب مصر  
الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ١٥٠-  
١٥٧ ؛ راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد  
الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨ ، ٨٨ - ٩٩ ؛ أحمد السيد  
الصاروي : مجاعات مصر الفاطمية - أسباب ونتائج ، بيروت



الصَّلَاة في جامع القُسْطَنْطِينِيَّة ، فَأُذِنَ له في ذلك ، فَدَخَلَ إليه وَصَلَّى فيه صَلَاةَ الْجُمُعَةِ ، وَخَطَبَ لِلخَلِيفَةِ القَائِمِ بأمر الله العَبَّاسِي <sup>١</sup> . فَبَعَثَ القَاضِي القُضَاعِي إلى المُسْتَنْصِر يُخْبِرُهُ بذلك ، فَأَرْسَلَ إلى كَنِيسَةِ قُمَامَةَ بَيْتِ المَقْدِسِ وَقَبِضَ على جَمِيعِ ما فيها - وكان شيئًا كثيرًا - من أموال النَّصَارَى ، فَفَسَدَ من حينئذٍ ما بين المَصْرِيِّينَ والرُّومِ <sup>(a)</sup> حتى استولوا على بلاد السَّاحِلِ كُلِّهَا ، وَحَاصَرُوا القَاهِرَةَ كما يَرِدُ في موضعه إن شاء الله .

وَاشْتَدَّ في هذه السَّنَةِ الغَلَاءُ ، وَكَثُرَ الوَبَاءُ بِمِصْرَ والقَاهِرَةَ وأعمالِها إلى سنة أربع وخمسين وأربع مائة ، فَحَدَّثَ مع ذلك الفِئْتَةُ العَظِيمَةُ التي خَرِبَ بِسَبَبِهَا إقْلِيمُ مِصْرَ كُلَّهُ . وَذَلِكَ أَنَّ المُسْتَنْصِرَ لما خَرَجَ على عَادَتِهِ في كُلِّ سنة على التَّجِبِ مع النِّسَاءِ والحَشَمِ إلى أرض الجُبِّ خارجِ القَاهِرَةَ ، جَرَّدَ بعضُ الأتراك سَيْفًا وهو سَكْرَانٌ على أَحَدِ عبيد الشُّراءِ ، فَاجْتَمَعَ عليه كثيرٌ من العبيد وقتلوه . فَحَنَقَ لِقَتْلِهِ الأتراكُ ، وَسَارُوا بِجَمِيعِهِمْ إلى المُسْتَنْصِرِ وقالوا : إن كان هذا عن رِضَاكَ فَالَسَّمْعُ والطَّاعَةُ ، وَإِنْ كان من غيرِ رِضَايِ أميرِ المُؤْمِنِينَ فلا تَرْضَى بذلك . فَتَبَرَّأَ المُسْتَنْصِرُ مما جَرَى وَأَنْكَرَهُ . فَتَجَمَّعَ الأتراكُ لمُحَارَبَةِ العبيدِ ، وَكانتَ بينهما حُرُوبٌ شَدِيدَةٌ بناحية كُومِ شَرِيكٍ ، قُتِلَ فيها عِدَّةٌ من العبيدِ ، وَأَنْهَزَمَ من بقي منهم . فَشَقَّ ذلك على أُمِّ المُسْتَنْصِرِ ، فَإِنَّها كانتِ السَّبَبَ في كثرةِ العبيدِ الشُّودِ بِمِصْرَ . وَذَلِكَ أَنَّها كانتِ جاريةً سَوْدَاءَ فَأَحْبَبَتْ الاستِثْكَارَ من جَنْسِها ، وَاشترتهم من كُلِّ مكانٍ . وَعُرِفَتْ رَغْبَتُها في هذا الجِنْسِ ، فَجَلَبَتِ الناسُ إلى مِصْرَ منهم حتى يُقالَ إِنَّه صارَ في مِصْرَ إذ ذاك زيادةً على خمسين ألفَ عبيدٍ أسودٍ . فَلَمَّا كانتِ وَقْعَةُ كُومِ شَرِيكٍ ، أَمَدَّتِ العبيدَ بالأموالِ والسُّلُوحِ سِرًّا .

وَكانتِ أُمُّ المُسْتَنْصِرِ قد تَحَكَّمَتِ في الدَّوْلَةِ ، وَحَقَّقَتِ على الأتراكِ قَتْلَهُمْ <sup>(b)</sup> مَوْلَاهَا أبا سَعْدِ الشُّشْتَرِيِّ ، فَقَوَّتْ <sup>(c)</sup> العبيدَ لذلك ، حتى صارَ الواحدُ منهم يَحْكُمُ بما يَخْتارُ ،

(a) بولاق : الروم والمصريين . (b) بولاق : وحثت على قتلهم . (c) بولاق : فقويت .

انظر ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٤ ؛ المقرئزي : اتعاظ الخفا ٢ : ٢٣٠ ، المقفى الكبير ٥ : ٧١١ - ٧١٢ ؛ ومقال محمد عبد الله عنان : «سفارة مصرية إلى بلاط بيزنطة في عهد المستنصر بالله الفاطمي» في كتاب مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ١١٤ - ١٢٠ .

<sup>١</sup> عن العلاقة بين الفاطميين والروم البيزنطيين قبل معركة منزكرت التي انتصر فيها السلاجقة على البيزنطيين سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م راجع ، Hamdani, A., «Byzantine - Fatimid Relations before the Battle of Manzikert», *Byzantine Studies* I/2 (1974), pp. 169-79؛ وعن سفارة القاضي القضاعي إلى القسطنطينية



فَكَرِهَتْ الْأَثْرَاكُ ذَلِكَ ، وَكَانَ مَا ذُكِرَ <sup>١</sup> . فَظَفِرَ بَعْضُ الْأَثْرَاكِ يَوْمًا بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ وَالسَّلَاحِ قَدْ بَعَثَتْ بِهِ أُمُّ الْمُسْتَنْصِرِ إِلَى الْعَبِيدِ تُمِدُّهُمْ بِهِ بَعْدَ انْهِزَامِهِمْ مِنْ كُومِ شَرِيكَ ، فَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ ، وَدَخَلُوا عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ وَأَعْلَظُوا فِي الْقَوْلِ ؛ فَحَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِمَا ذُكِرَ ، وَصَارَ إِلَى أُمَّه فَانْكَرَتْ مَا فَعَلَتْ .

٥ وَخَرَجَ الْأَثْرَاكُ فَصَارَ السَّيْفُ قَائِمًا ، وَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ ثَانِيًا ، فَانْتَدَبَ الْمُسْتَنْصِرُ أَبَا الْفَرَجِ بْنِ الْمَغْرِبِيِّ لِیُصْلِحَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ ، فَاصْطَلَحَا عَلَى غِلٍّ ، وَخَرَجَ الْعَبِيدُ إِلَى شَبْرَا دَمَنْهَوْرٍ ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ اخْتِلَالِ أَحْوَالِ أَهْلِ مِصْرٍ <sup>٢</sup> . وَذَبَّتْ عَقَارِبُ الْعِدَاوَةِ بَيْنَ الْفِئَتَيْنِ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ، فَقَوِيَتْ شَوْكَةُ الْأَثْرَاكِ ، وَضَرَبُوا عَلَى الْمُسْتَنْصِرِ ، وَزَادَ طَمَعُهُمْ / فِيهِ ، فَطَلَبُوا مِنْهُ الزِّيَادَةَ فِي وَاجِبَاتِهِمْ وَضَاقَتْ أَحْوَالُ الْعَبِيدِ وَاشْتَدَّتْ ضَرُورَتُهُمْ ، وَكَثُرَتْ حَاجَتُهُمْ ، وَقَلَّ مَالُ السُّلْطَانِ وَاسْتَضْعِيفَ جَانِبِهِ .

١٠ فَبَعَثَتْ أُمُّ الْمُسْتَنْصِرِ إِلَى قُوَادِ الْعَبِيدِ تُغْرِيهِمْ بِالْأَثْرَاكِ ، فَاجْتَمَعُوا بِالْحِيزَةِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْأَثْرَاكُ وَمُقَدِّمُهُمْ نَاصِرُ الدِّينِ حُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ ، فَاقْتَتَلَا عِدَّةً مِرَارٍ ظَهَرَ فِي آخِرِهَا الْأَثْرَاكُ عَلَى الْعَبِيدِ ، وَهَزَمُوهُمْ إِلَى بِلَادِ الصَّعِيدِ . فَعَادَ ابْنُ حَمْدَانَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَقَدْ عَظُمَ أَمْرُهُ وَقَوِيَ جَأْشُهُ ، وَكَبُرَتْ نَفْسُهُ وَاسْتَخَفَّ بِالْخَلِيفَةِ ، فَجَاءَهُ الْخَبْرُ أَنَّهُ قَدْ تَجَمَّعَ مِنَ الْعَبِيدِ بِبِلَادِ الصَّعِيدِ خَمْسَةٌ <sup>٣</sup> عَشْرَ أَلْفٍ فَارِسَ ، فَقَلِقَ وَبَعَثَ بِمُقَدِّمِي الْأَثْرَاكِ إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ ، فَأَنْكَرَ مَا كَانَ مِنْ اجْتِمَاعِ الْعَبِيدِ ، وَجَفُوا فِي خِطَابِهِمْ ، وَفَارَقُوهُ عَلَى غَيْرِ رِضَى مِنْهُمْ ، فَبَعَثَتْ أُمُّ الْمُسْتَنْصِرِ إِلَى مَنْ بَحَضَرَتْهَا مِنَ الْعَبِيدِ تَأْمُرُهُمْ بِالْإِيْقَاعِ عَلَى غَفْلَةٍ بِالْأَثْرَاكِ ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ عِدَّةً .

٢٠ فَبَادَرَ ابْنُ حَمْدَانَ إِلَى الْخُرُوجِ ظَاهِرَ الْقَاهِرَةِ ، وَتَلَاخَقَ بِهِ الْأَثْرَاكُ ، وَبَرَزَ إِلَيْهِمُ الْعَبِيدُ الْمُقِيمُونَ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ ، وَحَارَبُوهُمْ عِدَّةَ أَيَّامٍ . فَحَلَفَ ابْنُ حَمْدَانَ أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ عَنْ فَرَسِهِ حَتَّى يَنْفَصَلَ الْأَمْرُ إِمَّا لَهُ أَوْ عَلَيْهِ . وَجَدَّ كُلُّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي الْقِتَالِ ، فَظَهَرَتْ الْأَثْرَاكُ عَلَى الْعَبِيدِ ، وَأَثَخُوا فِي قَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ ، فَعَادُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَتَبَعَ ابْنُ حَمْدَانَ مَنْ فِي الْبَلَدِ مِنْهُمْ حَتَّى أَفْنَى مُعْظَمَهُمْ .

(a) بولاق : نحو خمسة .

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٣٩٨-٣٩٩ .<sup>٢</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ٢٤-٢٥ ؛ التويري : نهاية

الأرب ٢٨:٢٢٤-٢٢٥ ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا

٢٦٥:٢-٢٦٧ ، وإغاثة الأمة بكشف الغمة ٢٤-٢٧ ؛

وانظر أيضًا أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٥:١٣-٢٠ ؛ ابن

إيَّاس : بدائع الزهور ١/١:٢١٦-٢١٩ .



هذا والعبيدُ ببلاد الصَّعيد على حالهم ، وبالإسكندرية أيضًا منهم جَمْعٌ كثير ، فسارَ ابنُ حَمْدانَ إلى الإسكندرية وحاصرهم فيها مُدَّةً حتى سألوهُ الأمان ، فأخْرَجَهُم وأقامَ فيها من يَتَّقُ به . وانقَضَت هذه السَّنَةُ كُلُّها في قتال العبيد <sup>١</sup> .

وَدَخَلَت سنةُ ستين وأربع مائة وقد خَرِقَ الأتراكُ ناموسَ المُستَنصِرِ ، واشتَهانوا به واشتَحَفُوا بِقَدْرِهِ ، وصارَ مُقرَّرُهُم في كُلِّ شهرٍ أربع مائة ألف دينار بعدما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ، ولم يَتَّقِ في الخزائن مالٌ ، فَبَعَثُوا يُطالبونه بالمال ، فاعتَدَرَ إليهم بعجزه عن ما طلبوه ، فلم يَغْذِرُوهُ وقالوا : بع ذَخائرك ، فلم يجد بُدًّا من إجابتهم ، وأخْرَجَ ما كان في القصر من الذخائر ، فصاروا يُقَوِّمون ما يَخْرُجُ إليهم بأخس القِيمِ وأقلِّ الأثمان ، ويأخذون ذلك في واجباتهم .

وتَجَهَّزَ ابنُ حَمْدانَ ، وسارَ إلى الصَّعيد يُريدُ قتال العبيد - وكانت شُرورُهُم قد كَثُرَتْ ، وضرُّهُم وفسادُهُم قد تَزَايَدَ - فلقِيَهُم وواقَعَهُم غيرَ مرَّةٍ ، والأتراكُ تَنكَبُ مِنْهُمْ وتعودُ إلى مُحاربتِهِم إلى أن حَمَلَ العبيدُ عليهم حَمْلَةً انهزموا فيها إلى الجيزة . فأفْحَشُوا عند ذلك في أمر المُستَنصِرِ ، ونَسَبُوهُ إلى مُباطنة العبيد وتقويتِهِم ، فَأَنكَرَ ذلك وخَلَفَ عليه . فأخَذُوا في إصلاحِ شَأنيهِم ولمْ شَعْنِهِم ، وساروا لِقِتال العبيد ، وما زالوا يُلحُّون في قتالِهِم حتى انكَسَرَت العبيدُ كَسْرَةً شَنِيعَةً ، وقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كثيرٌ وفَرَّ من بقي ، فَذَهَبَت شوكتُهُم ، وزالت دَوْلَتُهُم . ورجع ابنُ حَمْدانَ وقد كَشَفَ قِناعَ الحياءِ ، وجَهَرَ بالشَّوْءِ لِلْمُستَنصِرِ ، واستَبَدَّ بِسُلْطَنَةِ البلاد <sup>٢</sup> .

وَدَخَلَت سنة إحدى وستين وابنُ حَمْدانَ مُستَبِدًّا بالأمرِ مُجافٍ لِلْمُستَنصِرِ ، فثَقُلَ مكانُهُ على الأتراكِ ، وتَفَرَّغُوا من العبيد ، وَالتَفَتُوا إليه وقد استَبَدَّ بالأمرِ دونهم ، واستأثَرَ بالأموالِ عليهم ، ففَسَدَ ما بينهم وبينه ، وشكَّوا منه إلى الوزيرِ خَطيرِ المَلِكِ <sup>٣</sup> ، فأغْرَاهُم به ، ولامَهُم على ما كان من تقويته ، وحَسَّنَ لَهُم الثُّورَةَ به . فصاروا إلى المُستَنصِرِ وواقَفُوهُ على ذلك ، فَبَعَثَ إلى ابنِ حَمْدانَ بِأَمْرِهِ بالخُرُوجِ عن مصر ، ويُهَدِّدُهُ إن امتَنَعَ . فلم يَقْدِرْ على الامتناعِ منه لفسادِ الأتراكِ عليه

<sup>١</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ٣١-٣٢؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨:٢٢٥-٢٢٧؛ المقرئزي: اتعاظ الحنفا ٢:٢٧٣-٢٧٤ .  
<sup>٢</sup> نفسه ٣٢-٣٣؛ نفسه ٢٨:٢٢٧-٢٢٩؛ نفسه ٢:٢٧٥-٢٧٦ .  
<sup>٣</sup> الوزير خطير الملك محمد بن الحسن بن علي

اليازوري، استقر في القضاء والوزارة جميعًا في ثالث عشر صفر سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م، وصرف عنها في شوال من نفس السنة، (ابن ميسر: أخبار مصر ١٧، ٣٤، ٣٥؛ المقرئزي: اتعاظ الحنفا ٢:٢٧٨، المقفى الكبير ٥:٥٤٩-٥٥٠؛ ابن حجر: رفع الإصر ١٣٦).

<sup>٣</sup> الوزير خطير الملك محمد بن الحسن بن علي



ومثلهم مع المُسْتَنْصِرِ، فخرَجَ إلى الجِيْزَةِ، وانتهب النَّاسُ دَوْرَهُ ودَوْرَ حَوَاشِيهِ. فَلَمَّا جَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، عَادَ مِنَ الْجِيْزَةِ سِرًّا إِلَى دَارِ الْقَائِدِ تَاجِ الْمَلُوكِ شَاذِي، وَتَرَامَى عَلَيْهِ وَقَبِلَ رِجْلَيْهِ، وَسَأَلَهُ النَّصْرَةَ عَلَى الذُّكْرِ وَالْوَزِيرِ الْخَطِيرِ، فَإِنَّهُمَا قَامَا بِهِذِهِ الْفِتْنَةِ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَوَعَدَهُ بِقَتْلِ الْمَذْكُورِينَ، وَفَارَقَهُ ابْنُ حَمْدَانَ.

- ٥ فلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدْرِ رَكِبَ شَاذِي فِي أَصْحَابِهِ، وَأَخَذَ يَسِيرُ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ بِالْقَاهِرَةِ، وَأَقْبَلَ الْوَزِيرَ الْخَطِيرَ فِي مَوْكِبِهِ، فَبَادَرَهُ شَاذِي عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ وَقَتَلَهُ، فَفَرَّ الذُّكْرُ إِلَى الْقَصْرِ وَالتَّجَأَ بِالْمُسْتَنْصِرِ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعٍ مِنْ قُدُومِ ابْنِ حَمْدَانَ وَقَدْ اسْتَعَدَّ لِلْحَرْبِ فِيمَنْ مَعَهُ. فَرَكِبَ الْمُسْتَنْصِرُ بِأَمَّةِ الْحَرْبِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْأَجْنَادُ وَالْعَامَّةُ، وَصَارَ فِي عَدَدٍ لَا يَنْحَصِرُ وَبَرَزَتِ الْفُرْسَانُ. فَكَانَتْ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَابْنِ حَمْدَانَ حُرُوبٌ آلتَ إِلَى هَزِيمَةِ ابْنِ حَمْدَانَ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَمَضَى فِي طَائِفَةٍ إِلَى الْبُخَيْرَةِ، وَتَرَامَى عَلَى بَنِي سِنَيْسٍ وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ<sup>١</sup>.

- ١٠ فَعَظُمَ الْأَمْرُ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، مِنْ شِدَّةِ الْعِلَاقِ وَقِلَّةِ الْأَقْوَاتِ، لَمَّا فَسَدَ مِنَ الْأَعْمَالِ بِكَثْرَةِ النَّهْبِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ، حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ الْجِيْفَ وَالْمِيَتَاتِ، وَوَقَفَ أَرْبَابُ الْفَسَادِ فِي الطَّرِيقِ، فَصَارُوا يَقْتُلُونَ مَنْ ظَفَرُوا بِهِ فِي أَرْقَةِ مِصْرَ، فَهَلَكَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي هَذِهِ الْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ مَا لَا يُمْكِنُ حِصْرُهُ<sup>٢</sup>.

- ١٥ وَامْتَدَّ ذَلِكَ إِلَى أَنْ دَخَلَتْ سَنَةٌ ثَلَاثٌ وَسِتِينَ، فَجَهَّزَ الْمُسْتَنْصِرُ عَسَاكِرَهُ لِقِتَالِ ابْنِ حَمْدَانَ بِالْبُخَيْرَةِ، فَسَارَتْ إِلَيْهِ وَلَمْ يُؤَفِّقْ فِي مُحَارَبَتِهِ، فَكَسَرَهَا كُلَّهَا وَاحْتَوَى عَلَى مَا كَانَ مَعَهَا مِنْ سِلَاحٍ وَكِرَاعٍ وَمَالٍ، فَتَقَوَّى بِهِ وَقَطَعَ الْمِيْرَةَ عَنِ الْبَلَدِ، وَنَهَبَ أَكْثَرَ الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ، وَقَطَعَ مِنْهُ الْخُطْبَةَ لِلْمُسْتَنْصِرِ، وَدَعَا لِلْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَدِمْيَاطَ وَعَامَّةَ الْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ. فَاشْتَدَّ الْجُوعُ، وَتَزَايَدَ الْمَوْتَانُ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ/، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَمُوتُ الْوَاحِدُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَلَا يَمُضِي يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ مِنْ مَوْتِهِ حَتَّى يَمُوتَ سَائِرٌ مِنْ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ وَلَا يَجِدُ<sup>٣</sup> مَنْ يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ. وَمَدَّتْ الْأَجْنَادُ أَيْدِيَهَا إِلَى النَّهْبِ، فَخَرَجَ الْأَمْرُ عَنِ الْحَدِّ، وَنَجَّى أَهْلُ الْقُوَّةِ بَأَنْفُسِهِمْ مِنْ

(a) بولاق: يوجد.

<sup>١</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ٣٣-٣٤؛ ابن الأثير: الكامل  
<sup>٢</sup> نفسه ٣٥؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ٩٧-  
<sup>٣</sup> ١٠-٨٤؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٢٨-٢٢٩؛  
 المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٧٨-٢٧٩؛ أبو المحاسن:  
 النجوم الزاهرة ٥: ٢١-٢٢.



مصر، وساروا إلى الشام والعراق، وخرج من خزائن القصر ما يجلب وصفه<sup>١</sup>. وقد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر<sup>٢</sup>. فاضطر الأجناد - مع<sup>(a)</sup> ما هم فيه من شدة الجوع - إلى مصالحة ابن حمدان، بشرط أن يقيم في مكانه ويحمل إليه مال مقرر، ويتوب عنه شاذي بالقاهرة. فرضي بذلك وسير الغلال إلى القاهرة ومصر، فسكن ما بالناس من شدة الجوع قليلاً. ولم يكن ذلك إلا نحو شهر، ووقع الاختلاف عليه، فقدم من البحيرة إلى مصر وحاصرها وانتهبها، وأحرق دوراً عديدة بالساحل، ورجع إلى البحيرة<sup>٣</sup>.

فدخلت سنة أربع وستين والحال على ذلك، وشاذي قد استبد بأمر الدولة، وفسد ما بينه وبين ابن حمدان، ومنعه من المال الذي تقرر له، وشح به عليه فلم يوصله إلا القليل. <sup>(b)</sup> فحرك ذلك من<sup>(b)</sup> ابن حمدان، وجمع العزبان وسار إلى الجيزة، وخادع شاذي حتى صار إليه ليلاً في عدة من الأكابر، فقبض عليه وعليهم، وبعث أصحابه فنهبوا مصر وأطلقوا فيها النار، فخرج إليهم عسكر المستنصر من القاهرة وهزموهم.

فعاد إلى البحيرة، وبعث رسولاً إلى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد يخبره<sup>(a)</sup> بإقامة الخطبة له، وسأله الخلع والتشريف. فاضمحل أمر المستنصر وتلاشى ذكره، وتفاقم الأمر في الشدة من الغلاء حتى هلكوا.

فسار ابن حمدان إلى البلد وليس في أحد قوة يمنعه بها، فملك القاهرة، وامتنع المستنصر بالقصر، فسير إليه رسولاً يطلب منه المال، فوجده وقد ذهب سائر ما كان يعهده من أبهة الخلافة حتى جلس على حصير، ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم، فبلغه رسالة ابن حمدان، فقال المستنصر للرسول: ما يكفي ناصير الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على هذا الحال؟! فبكى الرسول رقة له، وعاد إلى ابن حمدان، فأخبره بما شاهد من انضاع أمر المستنصر وسوء حاله. فكف عنه، وأطلق له في كل شهر مائة دينار، وامتدت يده وتحكم، وبالغ في إهانة المستنصر مبالغة عظيمة، وقبض على أمه وعاقبها أشد العقوبة، واستصفى أموالها فحاز منها شيئاً كثيراً.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: فحرد من ذلك.

<sup>١</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ٤٣٦؛ النويري: نهاية الأرب ٢٣٠:٢٨؛ المقرئ: اتعاظ ٣٠٢:٢-٣٠٣.  
<sup>٢</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ٣٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢٣٠:٢٨-٢٣١، المقرئ: اتعاظ الحفا

٣٠٥:٢.

<sup>٢</sup> انظر فيما يلي ٣٥٥-٤٠١.



فتفرَّق حينئذٍ عن المُسْتَنْصِرِ جميعُ أقاربه وأولاده من الجُوع ، فمنهم من سارَ إلى المغرب ، ومنهم من سارَ إلى الشَّامِ والعِراقِ ١ .

قال الشَّريفُ مُحَمَّدُ بنُ أسْعَدِ الجَوَانِي النَّسَابَةُ فِي كِتَابِ «التَّقْطِطِ» : حَلَّ بِمِصْرَ عَلاَةً شَدِيدًا فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ ، فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ ، وَأَقَامَ إِلَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَأَرْبَعٍ مِائَةٍ ، وَعَمَّ مَعَ الْعَلَاءِ وَبَاءَ شَدِيدًا ، فَأَقَامَ ذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ ، وَالنَّيْلُ يَمُدُّ وَيَنْزِلُ فَلَا يَجِدُ مِنْ يَزْرَعُ . وَشَمِلَ الْخَوْفُ مِنَ الْعَسْكَرِيَّةِ وَفَسَادِ الْعَبِيدِ ، فَانْقَطَعَتِ الطَّرِيقَاتُ بَرًّا وَبَحْرًا إِلَّا بِالْخِفَارَةِ الْكَثِيرَةِ مَعَ رُكُوبِ الْغُرَرِ ، وَنَزَا الْمَارِقُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَاسْتَوْلَى الْجُوعُ لَعَدَمِ الْقُوتِ ، وَصَارَ الْحَالُ إِلَى أَنْ يَبِيعَ رَغِيفٌ مِنَ الْخُبْزِ الَّذِي وَزْنُهُ رَطْلٌ بِزُقَاقِ الْقِنَادِيلِ كَبَيْعِ الطَّرْفِ فِي النَّدَاءِ ، بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ<sup>٥</sup> دِرْهَمًا ، وَيَبِيعُ أَرْدَبٌ مِنَ الْقَمْحِ بِسِتِّينِ دِينَارًا ، ثُمَّ عُدِمَ ذَلِكَ وَأُكِلَتِ الْكِلَابُ وَالْقِطَاطُ ، ثُمَّ تَزَايَدَ الْحَالُ حَتَّى أَكَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَكَانَ بِمِصْرَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ قَدْ سَكَنُوا بِيوتًا قَصِيرَةً الشُّقُوفِ قَرِيبَةً مِمَّنْ يَسْعَى فِي الطَّرِيقَاتِ وَيَطُوفُ ، وَقَدْ أَعَدُّوا سَلْبًا وَخَطَاطِيفًا ، فَإِذَا مَرَّ بِهِمْ أَحَدٌ شَالُوهُ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ ، ثُمَّ ضَرَبُوهُ بِالْأَخْشَابِ وَشَرَّحُوا لَحْمَهُ وَأَكَلُوهُ<sup>٢</sup> !

قَالَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ نِسَائِنَا الصَّالِحَاتِ قَالَتْ : كَانَتْ لَنَا مِنَ الْحَارَاتِ امْرَأَةٌ تُرِينَا أَفْخَاذَهَا وَفِيهَا كَالْحُفْرِ ، فَكُنَّا نَسْأَلُهَا فَتَقُولُ : أَنَا مِمَّنْ خَطَفَنِي أَكَلَةُ النَّاسِ فِي الشُّدَّةِ فَأَخَذَنِي إِنْسَانٌ - وَكُنْتُ ذَاتَ جِسْمٍ وَسِيمٍ - فَأَذْخَلَنِي إِلَى بَيْتٍ فِيهِ سَكَكِينَ وَأَثَارَ الدَّمَاءِ وَزَفْرَةَ الْقَتْلِ ، فَأَضْجَعَنِي عَلَى وَجْهِهِ وَرَبَطَ فِي يَدَيْ وَرِجْلَيْ سَلْبًا إِلَى أَوْتَادِ حَدِيدٍ عَرِيانَةٍ ، ثُمَّ شَرَّحَ مِنْ أَفْخَاذِي شَرَائِحَ وَأَنَا أُسْتَغِيثُ وَلَا أَحَدٌ يُجِيبُنِي ، ثُمَّ أَضْرَمَ الْفَحْمَ وَسَوَى مِنْ لَحْمِي وَأَكَلَ أَكْلًا كَثِيرًا ، ثُمَّ سَكِرَ حَتَّى وَقَعَ عَلَى جَنْبِهِ لَا يَعْرِفُ أَيْنَ هُوَ ، فَأَخَذْتُ فِي الْحَرَكَةِ إِلَى أَنْ تَخَلَّى<sup>(ب)</sup> أَحَدُ الْأَوْتَادِ ، وَأَعَانَ اللَّهُ عَلَى الْخَلَاصِ وَتَخَلَّصْتُ ، وَحَلَلْتُ الرِّبَاطَ ، وَأَخَذْتُ خِرْقًا مِنْ دَارِهِ وَلَقَفْتُ بِهَا أَفْخَاذِي ، وَزَحَفْتُ إِلَى بَابِ الدَّارِ ، وَخَرَجْتُ أَرْحَفُ إِلَى أَنْ وَقَعْتُ إِلَى الْمَأْمَنِ ، وَجِئْتُ إِلَى بَيْتِي وَعَرَفْتَهُمْ بِمَوْضِعِهِ ، فَمَضَوْا إِلَى

(a) ظ : وعشرين . (b) بولاق : انحل .

١ ابن ميسر: أخبار مصر ٣٨؛ النويري: نهاية ٥٨:١٠-٥٩؛ النويري: نهاية ٢٨:٢٣٣-٢٣٤؛ ٢٨:٢٣١-٢٣٢، ٢٣٣؛ المقرئزي: اتعاط الحنفا ٢٥-٢٦؛ أبي المحاسن: النجوم ٣٠٦:٢-٣٠٧.

١٧:٥

٢ قارن مع ابن ميسر: أخبار ٥٧؛ ابن الأثير: الكامل



الوالي ، فكَبَسَ عليه وَضَرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَقَامَ الدَّوَاءَ فِي أَفْحَاذِي سَنَةً إِلَى أَنْ حَتَمَ الجَرْحَ وَبَقِيَ كَذَا مُحْفَرًا<sup>١</sup> .

وَبَسَبَبَ هَذَا الغَلَاءَ خَرِبَ الفُسْطَاطُ ، وَخَلَا مَوْضِعُ العَسْكَرِ وَالقَطَائِعِ وَظَاهِرُ مِصْرَ مِمَّا يَلِي القَرَّافَةَ حَيْثُ الكِيمَانِ الآنَ إِلَى بَرْكَةِ الحَبَشِ . فَلَمَّا قَدِمَ أَمِيرُ الجُيُوشِ بَدْرُ الجَمَالِيِّ إِلَى مِصْرَ وَقَامَ بِتَدْيِيرِ أَمْرِهَا ، نُقِلَتْ أَنْقَاضُ ظَاهِرِ مِصْرَ مِمَّا يَلِي القَاهِرَةَ حَيْثُ كَانَ العَسْكَرُ وَالقَطَائِعُ ، وَصَارَ قَضَاءُ وَكِيمَانًا فِيمَا بَيْنَ مِصْرَ والقَاهِرَةَ ، وَفِيمَا بَيْنَ مِصْرَ والقَرَّافَةَ ، وَتَرَاجَعَتِ أحوَالُ الفُسْطَاطِ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى قَارَبَ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ الشُّدَّةِ .

وَأَمَّا «حَرِيقُ مِصْرَ»<sup>٢</sup> فَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ الفَرَنْجَ لَمَّا تَغَلَّبُوا عَلَى مَمَالِكِ الشَّامِ ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى السَّوَاجِلِ حَتَّى صَارَ بِأَيْدِيهِمْ مَا بَيْنَ مَلْطِيَّةَ / إِلَى بَلْبَيْسَ ، إِلَّا مَدِينَةَ دِمَشْقَ فَقَطَ ، وَصَارَ أَمْرُ الوِزَارَةِ بِدِيَارِ مِصْرَ لِشَاوَرِ بْنِ مُجِيرِ السَّعْدِيِّ ، وَالخَلِيفَةُ يَوْمَئِذٍ العَاضِدُ لَدِينِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ يَوْسُفَ اسْمٌ لَا مَعْنَى لَهُ ، وَقَامَ فِي مَنْصِبِ الوِزَارَةِ بِالقُوَّةِ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ وَتَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الجُيُوشِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَ بَنِي رُزَيْكٍ وَوَزَرَاءَ مِصْرَ وَمُلُوكِهَا مِنْ قَبْلِهِ . فَلَمَّا اسْتَبَدَّ بِالإِمْرَةِ ، حَسَدَهُ ضِرْعَاغَمُ صَاحِبُ البَابِ ، وَجَمَعَ جُمُوعًا كَثِيرَةً وَغَلَبَ شَاوَرَ عَلَى الوِزَارَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا ، فَسَارَ شَاوَرُ إِلَى الشَّامِ ، وَاسْتَقَلَّ ضِرْعَاغَمُ بِسُلْطَنَةِ مِصْرَ ، فَكَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِمِصْرَ<sup>(a)</sup> ثَلَاثَةَ وَزَرَاءَ هُمْ : العَادِلُ بْنُ رُزَيْكٍ بْنُ طَلَائِعِ بْنِ رُزَيْكٍ ، وَشَاوَرُ بْنُ مُجِيرِ ، وَضِرْعَاغَمُ . فَأَسَاءَ ضِرْعَاغَمُ السَّيْرَةَ فِي قَتْلِ أَمْرَاءِ الدَّوَلَةِ ، وَضَعُفَتِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ دَوْلَةُ الفَاطِمِيِّينَ بِذَهَابِ رِجَالِهَا الأَكْبَارِ<sup>٣</sup> .

ثُمَّ إِنَّ شَاوَرَ اسْتَنْجَدَ بِالسُّلْطَانَ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ زَنْكِيِّ صَاحِبِ الشَّامِ ، فَأَنْجَدَهُ وَبَعَثَ مَعَهُ عَسْكَرًا كَثِيرًا فِي جُمَادَى الأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ أَسَدَ الدِّينِ شِيرْكَوَهَ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ لِنُورِ الدِّينِ ، إِذَا عَادَ شَاوَرُ إِلَى مَنْصِبِ الوِزَارَةِ ، ثُلْثَ خَرَاكِ مِصْرَ بَعْدَ إِقْطَاعَاتِ العَسَاكِرِ ،

(a) بولاق : فكان بمصر في هذه السنة .

Kubiak, W., «The Burninig of Misr al-Fustât in 1168. A Reconsideration of Historical Evidence», *Africana Bulletin* XXV (1976), pp. 51-64; Fu'âd Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 625-34.

<sup>٣</sup> المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٢٥٩-٢٦١ .

<sup>١</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥: ١٧ .

<sup>٢</sup> انظر تفاصيل هذا الحريق الذي استمر أربعة وخمسين يومًا في سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م عند ، أبي صالح الأرمني : تاريخ ٣٦ ، ٤٣-٤٨ ؛ أبي شامة : الروضتين ١: ٣٩١ ، ٤٣٢ (عن ابن أبي طي) ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٣: ٢٩٦-



وأن يكون شيزكوه عنده بعساكره في مصر ولا يتصرف إلا بأمر نور الدين . فخرج ضيرغام بالعسكر وحاربه في بلبيس ، فانهزم وعاد إلى مصر ، فنزل شاور بمن معه عند التاج خارج القاهرة ، وانتشر عسكره في البلاد ، وبعث ضيرغام إلى أهل البلاد ، فأتوه خوفاً من التوك القادمين معه ، وأتته الطائفة الرئحانية والطائفة الجيوشية ، فامتنعوا بالقاهرة وتطارذوا مع طلائع شاور بأرض الطبالة<sup>١</sup> .

٥ فنزل شاور في المقس ، وحارب أهل القاهرة فغلبوه حتى ارتفع إلى بركة الحبش ، فنزل على الرضد فاستولى على مدينة مصر ، وأقام أياماً فمال الناس إليه ، وانحرفوا عن ضيرغام لأموار . فنزل شاور باللوق ، وكانت بينه وبين ضيرغام حروب آلت إلى إحراق الدور من باب سعادة إلى باب القنطرة خارج القاهرة ، وقُتل كثير من الفريقين ، واختل أمر ضيرغام وانهزم .

١٠ فملك شاور القاهرة ، وقُتل ضيرغام آخر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين ، فأخلف شيزكوه ما وعد به السلطان نور الدين ، وأمره بالخروج عن مصر بمن معه<sup>٢</sup> ، فأبى عليه واقتتلا . وكان شيزكوه قد بعث بابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى بلبيس ليجمع له الغلال وغيرها من الأموال ، فحشد شاور وقاتل الشاميين ، فجرت وقائع . واخترق وجه الخليج خارج القاهرة بأشره وقطعة من حارة زويلة .

١٥ فبعث شاور إلى الفرنج واستنجد بهم ، فطمعوا في البلاد ، وخرج ملكهم مُري [Amaury] من عسقلان بجموعه ، فبلغ ذلك شيزكوه ، فرحل عن القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل بلبيس ، فاجتمع على قتاله بها شاور وملك الفرنج ، وحصروه بها - وكانت إذ ذاك حصينة ذات أسوار - فأقام محصوراً مدة ثلاثة أشهر . وبلغ ذلك نور الدين ، فأغار على ما قرب منه من بلاد الفرنج وأخذها من أيديهم ، فخافوه ووقع الصلح مع شيزكوه على عوده إلى الشام ، فخرج في ذي الحجة ولحق بنور الدين .

٢٠ فأقام وفي نفسه من مصر أمر عظيم ، إلى أن دخلت سنة اثنتين وستين ، فجهزه نور الدين إلى مصر في جيش قوي في ربيع الأول وسيره . فبلغ ذلك شاور ، فبعث إلى مُري [Amaury] ملك

(a) بمن معه : ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> اعتمد المقرئ في سرد هذه الأحداث المتعلقة ببداية الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات المتوفى سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م في كتابه «تاريخ الدول والملوك» نقلًا عن جزء = التدخلات الأجنبية في شئون مصر على ما أورده المؤرخ ناصر



الفِرْنَجِ يَسْتَنْجِدُ<sup>a</sup>) به ، فسارَ بجموع الفِرْنَجِ حتى نَزَلَ بِبَيْتِيسَ ، فوافاه شاورٌ وأقامَ حتى قَدِمَ شِيرْكَوَهَ إلى أطرافِ مصرَ ، فلم يطق لقاءَ القومِ ، فسارَ حتى خَرَجَ من إَطْفِيحَ إلى جِهَةِ بلادِ الصَّعِيدِ من ناحيةِ بحرِ القُلُومِ .

فَبَلَغَ شاورٌ أَنَّ شِيرْكَوَهَ قد مَلَكَ بلادَ الصَّعِيدِ ، فسَقَطَ في يدهِ ، ونَهَضَ للْفُورِ من بِلْبَيْتِيسَ ومعه الفِرْنَجُ . فكان من حُرُوبِهِ مع شِيرْكَوَهَ ما كان حتى انْهَزَمَ بالأشْمُونِيِّنَ ، وسارَ منها بعد الهَزِيمَةِ إلى الإسْكَندَرِيَةِ ، فمَلَكَها وأَقْرَبَ بها ابنَ أخيه صَلاحَ الدينَ ، وخَرَجَ إلى الصَّعِيدِ ، فخرَجَ شاورٌ بالفِرْنَجِ وحَصَرَ الإسْكَندَرِيَةَ أَشَدَّ حِصَارٍ ، فسارَ شِيرْكَوَهَ من قُوصَ ونَزَلَ على القَاهِرَةِ وحاصَرها فَرَحَلَ إليه<sup>b</sup>) شاورٌ . وكانت أُمُورٌ آلت إلى الصُّلحِ ، وسارَ شِيرْكَوَهَ بمن معه إلى الشَّامِ في شَوَّالِ .

فَطَمِعَ مُرِّي [Amaury] في البلادِ ، وجَعَلَ له شِخْنَةً بالقَاهِرَةِ ، وصارت أسوارُها بيدَ فُرسانِ الفِرْنَجِ ، وتقرَّرَ لهم في كلِّ سنةِ مائةُ ألفِ دينارٍ ، ثم رَحَلَ إلى بلاده وتَرَكَ بالقَاهِرَةِ مَنْ يَتَّقَى به من الفِرْنَجِ ، وسارَ شِيرْكَوَهَ إلى الشَّامِ . فَتَحَكَّمَ الفِرْنَجُ في القَاهِرَةِ حُكْمًا جَائِرًا ، وَرَكِبُوا المسلمِينَ بالأَذَى العَظِيمِ ، وَتَيَقَّنُوا عَجْزَ الدَّوْلَةِ عن مُقاوَمَتِهِمْ ، وانْكَشَفَتْ لهم عَوْرَاتُ النَّاسِ ، إلى أن دَخَلَتْ سنةَ أربعٍ وستينَ ، فَجَمَعَ مُرِّي [Amaury] جَمْعًا عَظِيمًا من أَجْناسِ الفِرْنَجِ ، وأَقْطَعَهُمْ بلادَ مصرَ ، وسارَ يُريدُ أَخْذَ مصرَ . فَبَعَثَ إليه شاورٌ لِيَسْأَلَهُ عن سَبَبِ مَسِيرِهِ ، فاعْتَلَّ بأنَّ الفِرْنَجَ غَلَبَوه على قَصدِ ديارِ مصرَ ، وأَنَّهُ يُريدُ ألفَ دينارٍ يُرضِيهم بها ، وسارَ فَنَزَلَ على بِلْبَيْتِيسَ وحاصَرها حتى أَخَذَها عَنُودَةً في صَفَرٍ فسَبَى أَهْلَها ، وَقَصَدَ القَاهِرَةَ . فسَيَّرَ العاضِدُ كُتُبَهُ إلى نُورِ الدينِ - وفيها شُعُورٌ نِسائِهِ وبنائِهِ - يسأله إنقاذَ المسلمِينَ من الفِرْنَجِ .

وسارَ مُرِّي [Amaury] من بِلْبَيْتِيسَ ، فَنَزَلَ على بِرْكَةِ الحَبَشِ - وقد انضَمَّ النَّاسُ من الأعمالِ إلى القَاهِرَةِ - فنادَى شاورٌ بمصرَ ألا يُقِيمَ بها أَحَدٌ ، وَأَزْعَجَ النَّاسَ في الثُّقَلَةِ منها ، فتركوا أموالَهُم

(a) بولاق : مستنجدًا . (b) بولاق : إلى .

انظر Cahen, Cl., «Un récit inédit du vizirat de Dirghâm», *An. Isl.* VIII (1969), pp. 27-46

فيما يلي ٢٠٣-٢٠٦ .

= لطيف مجهول المؤلف سَمَّاهُ مؤلفه أخبارَ الدَّوْلَةِ المِصرِيَةِ وما جرى بين الملوك والخلفاء من الفتن والحروب من أيامِ الأمرِ إلى أيامِ شيركوه . (قارن فيما يلي ١٢:٢-١٣ ، واتعاط الحنفا ٣:٢٦٤-٢٧١) . ونشر كلود كاهن هذا النص سنة ١٩٦٩



وأثقالهم ، ونَجَّوْا بأنفسهم وأولادهم . / وقد مَاجَ النَّاسُ واضْطَرُّوا كأنَّما خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْحَشْرِ : لَا يَعْباُ وَالِدٌ بَوْلَدِهِ ، وَلَا يَلْتَفِتُ أَحَدٌ إِلَى أَخِيهِ ، وَبَلَغَ كِرَاءُ الدَّائِيَةِ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ بَضْعَةَ عَشْرَ دِينَارًا ، وَكِرَاءُ الْجَمَلِ<sup>(a)</sup> إِلَى ثَلَاثِينَ دِينَارًا .

وَنَزَلَ النَّاسُ<sup>(b)</sup> بِالْقَاهِرَةِ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْحَمَامَاتِ وَالْأَزِقَّةِ وَعَلَى الطَّرِيقَاتِ ، فَصَارُوا مَطْرُوحِينَ بَعِيَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، وَقَدْ سَلَبُوا سَائِرَ أَمْوَالِهِمْ ، وَيَنْتَظِرُونَ هُجُومَ الْعَدُوِّ عَلَى الْقَاهِرَةِ بِالسَّيْفِ كَمَا فَعَلَ بِمَدِينَةِ بَلْبَيْسٍ<sup>١</sup> .

وَبَعَثَ شَاوِرٌ إِلَى مِصْرَ بَعَثِينَ أَلْفَ قَارُورَةَ نَفْطٍ وَعَشْرَةَ أَلْفٍ مِشْعَلٍ نَارَ فَرَّقَ ذَلِكَ فِيهَا ، فَارْتَفَعَ لَهَبُ النَّارِ وَدُخَانُ الْحَرِيقِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَصَارَ مَنظَرًا مَهولًا ، فَاسْتَمَرَّتِ النَّارُ تَأْتِي عَلَى مَسَاكِنِ مِصْرَ مِنَ الْيَوْمِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ لَتَمَامِ أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا ، وَالتَّهَابَةُ مِنَ الْعَبِيدِ وَرِجَالِ الْأَسْطُولِ وَغَيْرِهِمْ بِهَذِهِ الْمَنَازِلِ فِي طَلَبِ الْحَيَاةِ . فَلَمَّا وَقَعَ الْحَرِيقُ بِمِصْرَ ، رَحَلَ مُرِّي [Amaury] مِنْ بَرْكَةِ الْحَبَشِ ، وَنَزَلَ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ مِمَّا يَلِي بَابَ الْبَرْقِيَّةِ ، وَقَاتَلَ أَهْلَهَا قِتَالًا كَثِيرًا حَتَّى زُلُّوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ، وَضَعُفَتْ نُفُوسُهُمْ وَكَادُوا يُؤْخَذُونَ عَنُودًا ، فَعَادَ شَاوِرٌ إِلَى مُخَائَلَةَ<sup>(c)</sup> الْفِرْنَجِ ، وَجَزَّتْ أُمُورٌ آتَتْ إِلَى الصُّلْحِ عَلَى مَا لِي<sup>٢</sup> .

فَبَيْنَمَا هُمْ فِي جَبَابَتِهِ ، إِذْ بَلَغَ الْفِرْنَجُ مَجِيءَ أَسَدِ الدِّينِ شَيْرَكَوهِ بِعَسَاكِرِ الشَّامِ مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ نُورِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ ، فَزَحَلُوا فِي سَابِعٍ<sup>(d)</sup> رَبِيعِ الْآخِرِ إِلَى بَلْبَيْسٍ ، وَسَارُوا مِنْهَا إِلَى فَاقُوسَ ، فَصَارُوا إِلَى بِلَادِهِمْ بِالسَّاحِلِ . وَنَزَلَ شَيْرَكَوهِ بِالْمَقَسِ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ .

وَكَانَ مِنْ قَتْلِ شَاوِرٍ وَاسْتِيْلَاءِ شَيْرَكَوهِ عَلَى مِصْرَ مَا كَانَ<sup>٣</sup> ؛ فَمِنْ حَيْثُ خَرِبَتْ مِصْرُ الْفُسْطَاطِ هَذَا الْخَرَابِ الَّذِي هُوَ الْآنَ كَيْمَانُ مِصْرَ وَتَلَاشَى أَمْرُهَا ، وَافْتَقَرَتْ أَهْلُهَا وَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ وَزَالَتْ نِعْمَتُهُمْ . فَلَمَّا اسْتَبَدَّ شَيْرَكَوهِ بِوَزَارَةِ الْعَاظِدِ ، أَمَرَ بِاحْضَارِ أَعْيَانِ أَهْلِ مِصْرَ الَّذِينَ خَلَوْا عَنْ دِيَارِهِمْ فِي الْفِتْنَةِ وَصَارُوا بِالْقَاهِرَةِ ، وَتَعَمَّمَ لِمُصَابِهِمْ ، وَسَفَّهُ رَأْيَ شَاوِرٍ فِي إِحْرَاقِ الْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْعَوْدِ إِلَيْهَا . فَشَكَوْا إِلَيْهِ مَا بِهِمْ مِنَ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ وَخَرَابِ الْمَنَازِلِ ، وَقَالُوا : إِلَى أَيِّ

(a) بولاق : الحمل . (b) بولاق : ونزلوا . (c) بولاق : مقاتلة . (d) اتعاظ الحنفا : ثالث .

<sup>٢</sup> المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٢٩٧ - ٢٩٨ .

<sup>١</sup> ابن القرات : تاريخ الدول والملوك ١/٤ : ٢٤ - ٢٥ ؛

<sup>٣</sup> نفسه ٣ : ٢٩٩ - ٣٠٠ .

المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٢٩٥ - ٢٩٦ .



مَوْضِع<sup>(a)</sup> نَزِجَع؟ وفي أيِّ مكانٍ نَزَلَ ونَأَوِيَ، وقد صَارَتْ كما تَرَى؟ وَبَكَوْا وَأَبْكُوا، فَوَعَدَهُمْ جَمِيلًا، وَتَرَفَّقُ بِهِمْ، وَأَمَرَ فَنُودِيَ فِي النَّاسِ بِالرُّجُوعِ إِلَى مِصْرٍ<sup>١</sup>.

فَتَرَجَعَ إِلَيْهَا النَّاسُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَعَمَّرُوا مَا حَوْلَ الْجَامِعِ<sup>٢</sup>، إِلَى أَنْ كَانَتْ الْمِحْنَةُ مِنَ الْغَلَاءِ وَالْوَبَاءِ الْعَظِيمِ فِي سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ لِسِتْنِي خَمْسٍ وَسِتِّ وَتَسْعِينَ<sup>(b)</sup> وَخَمْسٍ مِائَةٍ، فَخَرِبَ مِنْ مِصْرٍ جَانِبٌ كَبِيرٌ<sup>٣</sup>.

ثُمَّ تَحَايَا النَّاسُ بِهَا، وَأَكْثَرُوا مِنَ الْعِمَارَةِ بِجَانِبِ مِصْرِ الْغَرْبِيِّ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ لَمَّا عَمَّرَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبَ قَلْعَةَ الرُّوَضَةِ، وَصَارَ بِمِصْرٍ عِدَّةُ أَدْرَجِيلَةٍ وَأَسْوَاقٍ ضَخْمَةٍ.

فَلَمَّا كَانَ غَلَاءٌ بِمِصْرٍ وَالْوَبَاءُ الْكَائِنُ فِي سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ كَثَبًا سَنَةً سِتِّ وَتَسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، خَرِبَ كَثِيرٌ مِنْ مَسَاكِنِ مِصْرٍ، وَتَرَجَعَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْعِمَارَةِ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ، فَحَدَّثَ الْفَتَاءُ الْكَبِيرُ الَّذِي أَفْقَرَ مِنْهُ مُعْظَمُ دُورِ مِصْرٍ وَخَرِبَتْ.

ثُمَّ تَحَايَا النَّاسُ مِنْ بَعْدِ الْوَبَاءِ، وَصَارَ مَا يُحِيطُ بِالْجَامِعِ الْعَتِيقِ وَمَا عَلَى شَطِّ النَّيْلِ عَامِرًا إِلَى سَنَةِ سِتِّ وَسَبْعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ، فَشَرَقَتْ بِلَادُ مِصْرٍ، وَحَدَّثَ الْوَبَاءُ بَعْدَ الْغَلَاءِ، فَخَرِبَ كَثِيرٌ مِنْ عَامِرِ مِصْرٍ.

وَلَمْ تَزَلْ تَخْرِبُ<sup>(c)</sup> شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ إِلَى سَنَةِ تَسْعِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ، فَعَظُمَ الْخَرَابُ فِي زُقَاقِ

الْقِنَادِيلِ<sup>(d)</sup> وَخُطِّ النَّخَالِينَ<sup>(e)</sup>، وَشَرَعَ النَّاسُ فِي هَدْمِ دُورِ مِصْرٍ وَبَيْعِ أَنْقَاضِهَا، حَتَّى صَارَتْ عَلَى مَا

هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ، ﴿وَتِلْكَ الْقَرْيَةُ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الآية ٥٩ سورة

الكهف].

(a) بولاق : مكان . (b) ساقطة من النسخ . (c) بولاق : ولم يزل يخرِب . (d) بولاق : خط زقاق القناديل . (e) بولاق : النحاسين .

<sup>١</sup> المقرئزي : اتعاط الخنفا ٣ : ٣٠٣ . وذلك في سنة أربع وستين وخمسة مائة ، وأكثرها الآن

<sup>٢</sup> يقول ابن جبير الذي زار الفسطاط بعد سنة ٥٧٩هـ / مستجد والبنيان بها متصل . (الرحلة ٢٩) .

<sup>٣</sup> انظر فيما يلي ٢ : ٢٣٥ .

١١٨٤م : «ومدينة مصر آثار من الخراب الذي أحدثه الإحراق الحادث بها وقت الفتنة عند انتساح دولة العبيديين ،



## ذِكْرُ مَا قَبِلَ فِي مَدِينَةِ فُسْطَاطِ مِصْرَ

قال ابنُ رِضْوَانَ : والمدِينَةُ الكُبْرَى اليَوْمَ بِأَرْضِ مِصْرَ ذَاتِ أَرْبَعَةِ أَجْزَاءَ : الفُسْطَاطُ ، والقَاهِرَةُ ،  
والجَزِيرَةُ ، والجِيزَةُ<sup>(a)</sup> .

وَبُعْدُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ عَنِ خَطِّ الاسْتِوَاءِ ثَلَاثُونَ دَرَجَةً ، وَالْجَبَلُ الْمُقَطَّمُ فِي مَشْرِقِهَا<sup>(b)</sup> وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ  
مَقَابِرِ الْمَدِينَةِ . وَقَدْ قَالَتِ الْأَطْبَاءُ : إِنَّ أَرْدَأَ الْمَوَاضِعِ مَا كَانَ الْجَبَلُ فِي مَشْرِقِهَا<sup>(c)</sup> ، يَعُوقُ عَنْهُ رِيحُ  
الصَّبَا .

وَأَعْظَمُ أَجْزَائِهَا هُوَ الْفُسْطَاطُ ، وَيَلِي الْفُسْطَاطَ مِنَ الْغَرْبِ النَّيْلُ ، وَعَلَى شَطِّ النَّيْلِ الْغَرْبِيِّ  
أَشْجَارٌ طَوَالٌ وَقَصَارٌ . وَأَعْظَمُ أَجْزَاءِ الْفُسْطَاطِ مَوْضِعٌ فِي غَوْرِ ، فَإِنَّهُ يعلوه مِنَ الْمَشْرِقِ الْمُقَطَّمُ ،  
وَمِنَ الْجَنُوبِ الشَّرْفُ ، وَمِنَ الشَّمَالِ الْمَوْضِعُ الْعَالِي مِنْ عَمَلٍ فَوْقَ<sup>١</sup> - أَعْنِي الْمَوْقِفَ - وَالْعَشْكَرَ  
وَجَامِعُ ابْنِ طُولُونَ .

وَمَتَى نَظَرْتَ إِلَى الْفُسْطَاطِ مِنَ الشَّرْفِ<sup>(d)</sup> ، أَوْ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ عَالٍ ، رَأَيْتَ وَضَعَهَا فِي غَوْرِ .  
وَقَدْ يَبِينُ أَبْقَرًا أَنَّ الْمَوَاضِعَ الْمُنْتَسِفَةَ أَسْخَنَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الْمُرْتَفِعَةِ وَأَرْدَأَ هَوَاءً ، لِاحْتِقَانِ الْبُخَارِ فِيهَا ،  
وَلأنَّ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الْعَالِيَةِ يَعُوقُ تَخْلِيلَ<sup>(e)</sup> الرِّيَّاحِ لَهَا .

وَأَزِقَّةُ الْفُسْطَاطِ وَشَوَارِعُهَا ضَيِّقَةٌ ، وَأَبْنِيَّتُهَا عَالِيَةٌ ، وَقَدْ قَالَ رُوفُسُ<sup>٢</sup> : إِذَا دَخَلْتَ مَدِينَةَ فِرَاطِيَا  
ضَيِّقَةَ الْأَزِقَّةِ مُرْتَفِعَةَ الْبِنَاءِ ، فَاهْرَبْ مِنْهَا فَإِنَّهَا<sup>(f)</sup> وَبَيْئَةٌ ، أَرَادَ أَنَّ الْبُخَارَ لَا يَنْحَلُّ<sup>(g)</sup> مِنْهَا كَمَا يَنْبَغِي  
لضيقِ الْأَزِقَّةِ وَارْتِفَاعِ الْبِنَاءِ .

وَمِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْفُسْطَاطِ أَنْ يَزْمُوا مَا يَمُوتُ فِي دُورِهِمْ مِنَ السَّنَانِيرِ / وَالِكِلَابِ وَنَحْوِهَا مِنْ  
الْحَيَوَانَ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ فِي شَوَارِعِهِمْ وَأَزِقَّتِهِمْ ، فَتَتَعَمَّنُ وَتُخَالِطُ عُفُونَتُهَا الْهَوَاءَ . وَمِنْ شَأْنِهِمْ

(a) عند ابن رِضْوَانَ : الفُسْطَاطُ وَالْقَرَاةُ وَالْقَاهِرَةُ وَالْجِيزَةُ . (b) بولاق : شَرْقِيَّهَا . (c) بولاق : شَرْقِيَّهِ . (d) بولاق :  
الْشَرْقِ . (e) ابن رِضْوَانَ : تَخَلَّلَ . (f) بولاق : لِأَنَّهَا . (g) بولاق : لَا يَتَخَلَّلُ .

<sup>١</sup> حَاشِيَةٌ بِخَطِّ الْمُؤَلِّفِ : «الشَّرْفُ يَعْرِفُ الْيَوْمَ بِالرَّضْدِ ، جَالِينُوسُ ، لَهُ تَصَانِيفٌ كَثِيرَةٌ فِي الطَّبِّ نَقَلْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ .  
عَمَلٌ فَوْقَ مِنْ جَامِعِ ابْنِ طُولُونَ وَأَنْتَ مَارٍ إِلَى كَوْمِ الْجَارِحِ» . (القَفْطِيُّ : تَارِيخُ الْحُكَمَاءِ ١٨٥) .  
<sup>٢</sup> رُوفُسُ RUVOS : طَبِيبٌ يُونَانِيٌّ مِنْ مَدِينَةِ أَمْفَسَسَ قَبْلَ



أيضاً أن يزوموا في النيل الذي يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها، وخرارات كنفهم تصب فيه، وزبما انقطع جري الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء. وفي خلال الفسطاط مستوقدات عظيمة يصعد منها في الهواء دخان مفرط.

وهي أيضاً كثيرة الغبار لسخانة أرضها، حتى إنك ترى الهواء في أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس، ويتسخ الثوب التظيف في اليوم الواحد، وإذا مر الإنسان في حاجة لم يرجع إلا وقد اجتمع في وجهه ولحيته غبار كثير، ويعلوها في العشيات - خاصة في أيام الصيف - بخار كثير أسود وأغبر، سيما إذا كان الهواء سليماً من الرياح.

وإذا كانت هذه الأشياء كما وصفنا، فمن البين أنه تصير<sup>(a)</sup> الروح الحيواني الذي فينا<sup>(b)</sup> حاله كهذه الحال، فيتولد إذن في البدن من هذه الأعراض فضول كثيرة واستعدادت نحو العفن، إلا أن ألف أهل الفسطاط لهذه الحال وأنسهم بها، يعوق عنهم أكثر شرها، وإن كانوا على كل حال أسرع أهل مصر وقوعاً في الأمراض.

وما يلي النيل من الفسطاط يجب أن يكون أزطب مما يلي الصحراء، وأهل الشرف<sup>(c)</sup> أصحح حالاً لتخزق الرياح لدورهم، وكذلك عمل فوق والحمرأ، إلا أن أهل الشرف [ماؤهم]<sup>(d)</sup> الذي يشربونه أجود، لأنه يشتقى قبل أن تخالطه عفونة الفسطاط.

فأما القرافة فأجود هذه المواضع<sup>١</sup>؛ لأن المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها، وإذا هبت ريح الشمال مرّت بأجزاء كثيرة من بخار الفسطاط والقاهرة على الشرف فغيرت حاله. وظاهر أن المواضع المكشوفة في هذه المدينة هي أصح هواء، وكذلك حال المواضع المرتفعة<sup>٢</sup> وأردأ موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق إلى ما يلي النيل والسواحل.

وإذا كان في الشتاء وأول الربيع، حبل من بحر الملح سمك كثير، فيصل إلى هذه المدينة وقد عفن وصارت له رائحة منكرة جداً فيباع في القاهرة، ويأكله أهلها وأهل الفسطاط فيجتمع في أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة؛ فلولا اعتدال أمرجتهم، وصحة أبدانهم في هذا الزمان، لكان ذلك يؤلد في أبدانهم أمراضاً كثيرة قاتلة، إلا أن قوة الاستمرار تعوق عن ذلك.

(a) بولاق: بصير. (b) بولاق: فيها. (c) بولاق: الشرق. (d) زيادة من ابن رضوان.

<sup>٢</sup> ابن رضوان: دفع مضار الأبدان ١٥٥ - ١٦٠.

<sup>١</sup> انظر عن القرافة فيما يلي ٤٤٣: ٢.



وَرُبَّمَا انْقَطَعَ النَّيْلُ فِي آخِرِ الرَّبِيعِ وَأَوَّلِ الصَّيْفِ مِنْ جِهَةِ الْفُسْطَاطِ ، فَيَغْفَنُ بِكَثْرَةِ مَا يُلْقَى فِيهِ ، إِلَى أَنْ يَبْلُغَ عَفْنُهُ إِلَى أَنْ تَصِيرَ لَهُ رَائِحَةٌ مُنْكَرَةٌ مَحْسُوسَةٌ . وَظَاهِرٌ أَنَّ هَذَا الْمَاءَ إِذَا صَارَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ غَيَّرَ مِزَاجَ النَّاسِ تَغْيِيرًا مَحْسُوسًا <sup>١</sup> .

قَالَ : فَمَنْ الَّتِيْنُ أَنْ أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْكَبْرَى بِأَرْضِ مِصْرَ أُسْرِعَ وَقُوْعًا فِي الْأَمْرَاضِ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ هَذِهِ الْأَرْضِ ، مَا خَلَا أَهْلَ الْفَيْيُومِ فَإِنَّهَا أَيْضًا قَرْيَةٌ <sup>(a)</sup> .

وَأَرَادَ مَا فِي الْمَدِينَةِ [الْكَبْرَى] <sup>(b)</sup> الْمَوْضِعَ الْغَائِرَ مِنَ الْفُسْطَاطِ . وَلِذَلِكَ غَلَبَ عَلَى أَهْلِهَا الْجُبْنُ وَقِلَّةُ الْكَرَمِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُغِيثُ وَلَا يُضَيِّفُ الْغَرِيبَ إِلَّا فِي النَّادِرِ ، وَصَارُوا مِنَ السَّعَايَةِ وَالْإِغْتِيَابِ عَلَى أَمْرِ عَظِيمٍ . وَلَقَدْ بَلَغَ بِهِمُ الْجُبْنُ إِلَى أَنْ خَمْسَةَ أَعْوَانٍ تَسُوقُ مِنْهُمْ مِائَةَ رَجُلٍ وَأَكْثَرَ ، وَيَسُوقُ الْأَعْوَانَ الْمَذْكُورِينَ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ أَهْلِ الْبُلْدَانِ الْأُخْرَى وَمَنْ قَدْ تَدَرَّبَ فِي الْحَرْبِ .

فَقَدْ اسْتَبَانَ إِذْنُ الْعِلَّةِ وَالسَّبَبِ فِي أَنْ صَارَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْكَبْرَى بِأَرْضِ مِصْرَ أُسْرِعَ وَقُوْعًا فِي الْأَمْرَاضِ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَأَضْعَفَ أَنْفُسًا . وَلَعَلَّ لِهَذَا السَّبَبِ اخْتَارَ الْقُدَمَاءُ اتِّخَاذَ الْمَدِينَةِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ : فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا بِمَنْفٍ وَهِيَ مِصْرُ الْقَدِيمَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا بِالْإِسْكََنْدَرِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا بِغَيْرِ هَذِهِ الْمَوْضِعِ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ آثَارُهُمْ <sup>٢</sup> .

وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ عَنِ كِتَابِ «الْكَمَائِمِ» <sup>٣</sup> : وَأَمَّا فُسْطَاطُ مِصْرَ فَإِنَّ مَبَانِيهَا كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ مُتَّصِلَةً بِمَبَانِي مَدِينَةِ عَيْنِ شَمْسٍ ، وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَبِهَا بِنَاءٌ يُعْرَفُ بِالْقَضْرِ حَوْلَهُ مَسَاكِينُ ، وَعَلَيْهِ نَزَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَضَرَبَ فُسْطَاطَهُ ، حَيْثُ الْمَسْجِدُ الْجَامِعُ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِ . ثُمَّ لَمَّا فَتَحَهَا قَسَمَ

(a) ابن رضوان : ويثية ، بولاق : قرية . (b) زيادة من ابن رضوان .

<sup>١</sup> ابن رضوان : دفع مضار الأبدان ١٦٥ .

<sup>٢</sup> نفسه ١٦٦-١٦٧ .

<sup>٣</sup> كتاب الكمائيم للبيهقي مصدر مهم من مصادر ابن سعيد المغربي يقول : «وقد جمعت ملتقطات من كتاب البيهقي وكتاب القُرْطِي وغيرهما من الكتب وأضفتها إلى ما عاينته وعلمته من أمر مدينة القاهرة لأنني سكنت فيها كثيرًا داخلًا وخارجًا» (النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٢) . ولم يحدد ابن سعيد عنوان الكتاب أو اسم مؤلفه بأكثر من ذلك .

هذا الرأي الذي أورده ابن رضوان ينتقد موضع المدينة من الناحية الصحية فقط ، وفي حقيقة الأمر إن موقع الفسطاط الذي تطورت وتمت فيه جهة الشمال عواصم مصر الإسلامية التالية : العسكر والقطائع ثم القاهرة ، موقع فريد حتمته طبيعة الأرض المصرية ، هو نقطة التقاء رأس الدلتا بجنوب الوادي (المحور الشمالي الجنوبي للبلاد) .



المنازل على القبائل ، ونُسبت المدينة إليه ، فُقيل «فُسطاطُ عمرو» ، وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها سريراً للسلطنة ، وتضاعفت عمارتها ، فأقبل الناس من كل جانب إليها ، وقصروا أمانهم عليها ، إلى أن رُسخت بها دولة بني طولون ، فبنوا إلى جانبها المنازل المعروفة بـ «القطائع» ، وبها كان مسجدُ ابن طولون الذي هو الآن إلى جانب القاهرة .

وهي مدينةٌ مستطيلةٌ يُمُر النيلُ مع طولها ، ويحطُّ في ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد ، ولها متنزهات ، وهي في الإقليم الثالث ، ولا ينزل فيها مطرٌ إلا في النادر ، وترايبها تثيره الأرزجلُ وهو قبيح اللون تتكدر منه أرجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ، ولها أشواقٌ ضخمةٌ إلا أنها ضيقة ، ومبانيها بالقصب والطوب طبقةٌ على طبقة . ومُدُنيت القاهرة صغفت مدينةُ الفُسطاط ، وفُرط في الاغتيال بها بعد الإفراط ، وبينهما نحو ميلين .<sup>(a)</sup> وأنشدت فيها للشريف<sup>(a)</sup> العُقيلي<sup>١</sup> :

[الطويل]

أجُنُّ إلى الفُسطاطِ شوقًا وإنِّي      لأدعُو لها أن لا يحلَّ بها القطرُ  
/وَهَلْ فِي الْحَيَا مِنْ حَاجَةٍ لِحَنَائِبِهَا      وَفِي كُلِّ قَطْرِ مِنْ جَوَائِبِهَا نَهْرُ  
تَبَدَّتْ عَرُوسًا وَالْمُقَطَّمُ تَاجِهَا      وَمِنْ نَيْلِهَا عِقْدٌ كَمَا انْتَضَمَ الدُّرُ<sup>٢</sup>

وقال عن كتاب أجار<sup>(b)</sup> : فالفُسطاطُ هي قَصَبَةُ مصر ، والجبلُ المُقطَّمُ شرقها وهو متَّصلٌ بجبل الزُمُرْد<sup>٣</sup> .

وقال عن كتاب ابن حوقل : والفُسطاطُ مدينةٌ حَسَنَةٌ ينقسمُ النيلُ لديها ، وهي كبيرةٌ نحو ثُلثِ بَغْدَاد ، ومقدارها نحو فَرْسَخٍ ، على غايةِ العمارَةِ [والخِصْبِ]<sup>(c)</sup> والطيبة واللذَّة ، ذات رِحَابٍ

(a-a) بولاق : وأنشد فيها الشريف . (b) بولاق : كتاب آخر . (c) زيادة من ابن حوقل .

<sup>١</sup> أبو الحسن علي بن الحسين بن خَيْدَرَةَ من ولد عقيل بن أبي طالب : شاعر مصري من شعراء المائة الخامسة (ابن سعيد : المغرب (قسم مصر) ٢٠٥ - ٢٤٩ ؛ العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ٦٢:٢) .

<sup>٢</sup> ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ١ - ٢ .

<sup>٣</sup> عند ابن سعيد : المغرب ٢ أن ذلك نقلًا عن كتاب

أجار (أي روجر) والمقصود كتاب «نزهة المشتاق» الذي ألفه الإدريسي للملك النورماندي روجر الثاني Roger II ، والنص غير موجود في «النزهة» ، انظر كذلك ما سبق أن نقله المقرئ عن كتاب الإدريسي ولا يوجد في النسخة المنشورة منه (فيما تقدم ١: ١٣٩) .



في محالِّها ، وأشواقٍ عظامٍ فيها ضيقٍ ومَتَاجِرٍ فِخَامٍ ، ولها ظاهِرٌ أنيقٌ وبساتينُ نَضْرَةَ ، ومنتزَهاتٌ على ممَرِّ الأيامِ خضرةٌ .

وفي الفُسطاطِ قبائلٌ وخطَطٌ للعربِ تُنسَبُ إليها كالبَصْرَةَ والكُوفَةَ ، إلاَّ أنَّها أقلُّ من ذلك ، وهي سَبِيحَةُ الأرضِ ، غيرَ نَقِيَّةِ التُّرْبَةِ ، وتكونُ بها الدَّارُ سَبْعَ طَبَقَاتٍ وَسِتًّا وَخَمْسًا ، ورُبَّمَا يَسْكُنُ في الدَّارِ المائتَانِ مِنَ النَّاسِ ، [وبالفُسطاطِ دارٌ تعرفُ بدارِ عَبدِ العزِيزِ ، يُصَبُّ فيها لمن بها في كلِّ يومٍ أربعَ مائةِ راويةٍ من ماءٍ] <sup>(a)</sup> ، ومُعْظَمُ بِنائِهِم بِالطُّوبِ ، وأسْفَلُ دورِهِم غيرُ مسكونٍ ، وبها مَسْجِدَانِ لِلجُمُعَةِ : بَنَى أَحَدُهُمَا عَمْرُو بْنُ العَاصِ فِي وَسْطِ الفُسطاطِ <sup>(b)</sup> ، والآخَرُ على المَوْقِفِ بناهُ أحمدُ بنُ طُولونِ .

وكانَ خارِجَ الفُسطاطِ أبنيةً بناها أحمدُ بنُ طُولونِ مِيلًا في مِيلٍ ، يسكنها جُنْدُهُ تُعرَفُ بِـ «الْقَطَائِعِ» ، كما بَنَى بنو الأَعْلَبِ خارِجَ القَيروانِ رَقَادَةَ ؛ وقد خَرِبَتَا في وقتنا هذا ، وأَخْلَفَ اللهُ بَدَلَ القَطَائِعِ - بظَاهِرِ مَدِينَةِ الفُسطاطِ - القَاهِرَةَ <sup>١</sup> .

قالَ ابنُ سَعِيدٍ : ولَمَّا اسْتَقَرَّرْتُ بالقَاهِرَةَ تشَوَّقْتُ إلى مُعَايِنَةِ الفُسطاطِ ، فسارَ معي أَحَدُ أصحابِ العَزْمَةِ ، فرأيتُ عندَ بابِ زَوِيَلَةَ مِنَ الحَمِيرِ المَعْدَةَ لِرُكُوبِ مَنْ يَسِيرُ إلى الفُسطاطِ جَمَلَةً عَظِيمَةً لا عَهْدَ لِي بِمِثْلِهَا في بَلَدٍ ، فَرَكِبْتُ مِنْهَا حِمَارًا وَأشارَ إِلَيَّ أنِ ارْكَبْ حِمَارًا آخَرَ ، فَأَنْفَتَ مِنْ ذَلِكَ ، جَرِيًّا على عَادَةِ ما خَلَّفْتَهُ في بِلادِ المِغْرِبِ ، فأَعْلَمَنِي أَنَّهُ غيرُ مَعْيِبٍ على أَعْيَانِ مِصْرَ ، وعَايِنْتَ الفُقَهَاءَ وَأصحابَ البِرَّةِ والسَّادَةَ الظَاهِرَةَ يركبونها ، فَرَكِبْتُ . وعندما اسْتَوَيْتُ رَاكِبًا ، أشارَ المِكارِيُّ على الحِمَارِ فَطَارَ بِي ، وَأثارَ مِنَ العُبارِ الأسودِ ما أَعْمَى عَيْنِي وَدَنَسَ ثِيَابِي ، وعَايِنْتَ ما كَرِهْتُهُ . ولَقِلَّةَ معرفتي بِرُكُوبِ الحِمَارِ وشِدَّةِ عَدُوهِ على قانُونِ لِمَ أعهدَهُ ، وَقِلَّةَ رِفْقِ المِكارِيِّ ، وَقَعْتُ <sup>(c)</sup> في تلكَ الظُّلْمَةِ المِثارةِ مِنْ ذَلِكَ العَجاجِ ، فقلتُ :

٢٠ [المتقارب]

لَقِيْتُ بِمِصْرَ أَشَدَّ البَوَارِ      رُكُوبَ الحِمَارِ وَكَحْلَ العُبارِ  
وَحَلْفِي مِكارٍ يَفوقُ الرِّيا      ح لا يَعرفُ الرِّفْقَ مِهما اسْتَطارِ

(a) زيادة من ابن حوقل . (b) عند ابن حوقل مصدر ابن سعيد : في وسط الأسواق . (c) بولاق : وقفت .

<sup>١</sup> ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ١٤٦ ؛ ابن سعيد : المغرب ٢ - ٣ ؛ المقرئ : نفع الطيب ٢ : ٣٣٧ - ٣٣٩ ؛ وفيما تقدم



أُنَادِيهِ مَهْلًا فَلَا يَزْعَوِي      إِلَى أَنْ سَجَدْتَ سَجُودَ الْعِثَارِ  
وَقَدْ مَدَّ فَوْقِي رِوَاقَ الثَّرَى      وَأَلْحَدَ فِيهِ ضِيَاءَ النَّهَارِ

فَدَفَعْتُ إِلَى الْمَكَارِي أُجْرَتَهُ ، وَقَلْتُ لَهُ : إِحْسَانُكَ إِلَيَّ أَنْ تَتْرَكْنِي أَمْشِي عَلَى رَجْلِي ، وَمَشَيْتُ  
إِلَى أَنْ بَلَغْتُهَا ، وَقَدَّرْتُ فِي (a) الطَّرِيقِ بَيْنَ الْقَاهِرَةِ وَالْفُسْطَاطِ ، وَحَقَّقْتَهُ (b) بَعْدَ ذَلِكَ نَحْوَ الْمِيلِينَ .  
وَمَا أَقْبَلْتُ عَلَى الْفُسْطَاطِ أَذْبَرْتُ عَنِّي الْمَسْرَةَ ، وَتَأَمَّلْتُ أَسْوَارًا مُثَلِّمَةً سَوْدَاءَ ، وَأَفَاقًا مُعْبَّرَةً ،  
وَدَخَلْتُ مِنْ بَابِهَا وَهُوَ دُونَ غَلَقٍ ، مُفْضٍ إِلَى خَرَابٍ مَعْمُورٍ بِمَبَانٍ مُشْتَبَّةٍ (c) الْوَضْعِ غَيْرِ مُسْتَقِيمَةٍ  
الشُّوَارِعِ ، قَدْ بُنِيَتْ مِنَ الطُّوبِ الْأَذْكَنِ وَالْقَصَبِ وَالنَّخِيلِ طَبَقَةً فَوْقَ طَبَقَةٍ ، وَحَوْلَ أَبْوَابِهَا مِنَ  
التُّرَابِ الْأَسْوَدِ وَالْأَزْبَالِ مَا يُقْبِضُ نَفْسَ النَّظِيفِ وَيَغْضُ طَرْفَ الظَّرِيفِ . فَسِرْتُ وَأَنَا مُعَايِنٌ  
لَا سَتِيحَابَ تِلْكَ الْحَالِ ، إِلَى أَنْ سِرْتُ فِي أَسْوَاقِهَا الضَّيِّقَةِ ، فَقَاسَيْتُ مِنْ أَرْدِحَامِ النَّاسِ فِيهَا  
بِحَوَائِجِ الشُّوقِ ، وَالرَّوَايَا الَّتِي عَلَى الْجَمَالِ ، مَا لَا يَفِي بِهِ إِلَّا مُشَاهَدَتُهُ وَمُقَاسَاتُهُ ، إِلَى أَنْ انْتَهَيْتُ  
إِلَى الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، فَعَايَنْتُ مِنْ ضَيْقِ الْأَسْوَاقِ الَّتِي حَوْلَهُ مَا ذَكَرْتُ بِهِ ضِدَّهُ فِي جَامِعِ إِشْبِيلِيَّةِ  
وَجَامِعِ مُرَاكَيْشِ .

ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَعَايَنْتُ جَامِعًا كَبِيرًا قَدِيمَ الْبِنَاءِ ، غَيْرَ مُزْخَرَفٍ وَلَا مُحْتَفَلٍ فِي حُضْرِهِ الَّتِي  
تَدُورُ مَعَ بَعْضِ حَيْطَانِهِ وَتُبْسَطُ فِيهِ ، وَأَبْصَرْتُ الْعَامَّةَ رِجَالًا وَنِسَاءً قَدْ جَعَلُوهُ مَعْبَرًا بِأَوْطَانِهِ  
أَقْدَامِهِمْ ، يَجُوزُونَ فِيهِ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ لِيَقْرُبَ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقُ ، وَالْبَيْتَاعُونَ يَبِيعُونَ فِيهِ أَصْنَافَ  
الْمُكْسَّرَاتِ وَالْكَعْكَ وَنَحْوَهَا ، وَالنَّاسُ يَأْكُلُونَ مِنْهُ فِي أَمْكِنَةٍ عَدِيدَةٍ غَيْرِ مُحْتَشِمِينَ  
لِجُزْيِ الْعَادَةِ عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ ، وَعِدَّةٌ صِبْيَانٍ بِأَوَانِي مَاءٍ يَطُوفُونَ عَلَى مَنْ يَأْكُلُ قَدْ جَعَلُوا مَا يَحْصُلُ  
لَهُمْ مِنْهُمْ رِزْقًا ، وَفَضْلَاتٌ مَا كَلِمَتُهُمْ مَطْرُوحَةٌ فِي صَحْنِ الْجَامِعِ وَفِي زَوَايَاهِ ، وَالْعَتَكَبُوتُ قَدْ عَظُمَ  
نَسْجُجُهُ فِي السُّقُوفِ وَالْأَرْكَانِ وَالْحَيْطَانِ ، وَالصُّبْيَانُ يَلْعَبُونَ فِي صَحْنِهِ ، وَحَيْطَانُهُ مَكْتُوبَةٌ بِالْفَحْمِ  
وَالْحُمْرَةِ بِخُطُوطٍ قَبِيحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ كَتَبِ قُرَّاءِ الْعَامَّةِ ، إِلَّا أَنَّ مَعَ هَذَا كُلَّهُ عَلَى الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ  
مِنَ الرَّوْنَقِ وَحُسْنِ الْقَبُولِ وَانْبِسَاطِ النَّفْسِ ، مَا لَا تَجِدُهُ فِي جَامِعِ إِشْبِيلِيَّةِ مَعَ زَخْرَفَتِهِ وَالْبُسْتَانِ الَّذِي  
فِي صَحْنِهِ ١ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : حققت . (c) بولاق : سيئة .

١ هذا وُصِفَ لجامع عمرو أو الجامع العتيق في أواسط القرن السابع الهجري ، انظر كذلك وصف ناصر خسرو للجامع في =



ولقد تأملتُ ما وَجَدْتُ فيه من الارتياح والأُنس دون مَنْظَرٍ يُوجِبُ ذلك ، فعَلِمْتُ أَنَّهُ سِرٌّ مُودِعٌ من وُقُوفِ الصُّحَابَةِ - رضوانُ الله عليهم - في ساحتِهِ عند بِنَائِهِ ، واستَحْسَنْتُ ما أَبصَرْتَهُ فيه من جِلْقِ المصدِّرين لإِقْرَاءِ القرآنِ والفِقهِ والنَّحوِ في عِدَّةِ أَمَاكِنَ ، وسألتُ عن مَوَارِدِ أَرْزَاقِهِمْ فَأُخْبِرْتُ أَنَّها من فُرُوضِ الزَّكَاةِ وما أشبه ذلك / ، ثم أُخْبِرْتُ أَنَّ اقْتِضَاءَها يصعبُ إِلَّا بِالْجَاهِ والتَّعَبِ .

ثم انفصلنا من هنالك إلى ساحل النيل ، فرأيتُ سَاحِلًا كَدِيرَ التُّرْبَةِ ، غيرَ نَظِيفٍ ولا مُتَّسِعٍ السَّاحَةِ ولا مُسْتَقِيمِ الاِسْتِطَالَةِ ولا عليه سُورٌ أبيضٌ ، إِلَّا أَنَّهُ مع ذلك كثيرُ العِمَارَةِ بالمراكبِ وأصنافِ الأرزاقِ التي تصل من جميعِ أَقطارِ الأرضِ والنَّيلِ ، ولئن قُلْتُ لِنَبِيِّ لَمْ أَبْصِرْ على نَهْرٍ ما أَبصَرْتَهُ على ذلك السَّاحِلِ ، فَإِنِّي أقول حَقًّا .

والنَّيْلُ هنالك ضَيِّقٌ لكونِ الجَزِيرَةِ التي بَنَى فيها سُلْطَانُ الدِّيَارِ المِصْرِيَةِ الآنَ<sup>١</sup> قَلْعَتَهُ ، قد تَوَسَّطَتِ المَاءَ ، ومالت إلى جِهَةِ الفُسْطَاطِ ، وبِحُسْنِ سُورِها المَبْيُضِ الشَّامِخِ حَسُنَ مَنْظَرُ الفُرْجَةِ في ذلك السَّاحِلِ .

وقد ذَكَرَ ابنُ حَوْقَلٍ الجِيسَرَ الذي يكون ممتدًّا من الفُسْطَاطِ إلى الجَزِيرَةِ وهو غيرَ طَوِيلٍ ، ومن الجَانِبِ الأخرِ إلى البَرِّ الغربيِّ - المعروف بِبِرِّ الجَزِيرَةِ - جِيسَرٌ آخَرَ من الجَزِيرَةِ إليه<sup>٢</sup> . وأكثرَ جَوَازِ النَّاسِ بأنفسِهِم ودَوَابِهِم في المراكِبِ ؛ لأنَّ هَذَيْنِ الجِيسَرَيْنِ قد اختَرَمَا بِحُصُولِهِمَا في حَيِّزِ قَلْعَةِ السُّلْطَانِ ، ولا يجوزُ أَحَدٌ على الجِيسَرِ الذي بينَ الجَزِيرَةِ والفُسْطَاطِ رَاكِبًا إِحْتِرَامًا لمَوْضِعِ السُّلْطَانِ<sup>٣</sup> .

وبِتَنَا في ليلة ذلك اليوم بطيَّارة<sup>٤</sup> مرتفعة على جانب النيل ، فقلت :

[الطويل]

نَزَلْنَا مِنَ الفُسْطَاطِ أَحْسَنًا<sup>(a)</sup> مَنزِلٍ      بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد  
وقد جُمِعَت في المراكِبِ سَخْرَةٌ      كسَرَبِ قَطَا أَضْحَى يَرِفُ على وَرْدِ

(a) ابن سعيد : أرفع .

<sup>٢</sup> ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ١٤٦ . وفيما تقدم

١٦٣ : ١ .

<sup>٣</sup> فيما يلي ١٧٠ : ٢ .

<sup>٤</sup> طيَّارة جد . طيَّارات . ضرب من السفن النهرية =

منتصف القرن الخامس الهجري زمن المستنصر بالله الفاطمي  
(سفرنامه ١٠٢) .

<sup>١</sup> أي السُّلْطَانِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ ، وانظر عن قلعة

الروضة فيما يلي ١٨٣ : ٢ - ١٨٥ .



وَأَصْبَحَ يَطْفُو<sup>١</sup> المَوْجَ فِيهِ وَيَزْتَمِي وَيَطْفُو حَنَانًا وَهُوَ يَلْعَبُ بِالنُّزْدِ  
غَدَا مَأْوُهُ كَالرِّيْقِ مَمَّنْ أَحَبَّهُ فَمُدَّتْ عَلَيْهِ جِلْيَةٌ مِنْ حُلَى الخَدِّ  
وَقَدْ كَانَ مِثْلَ الزَّهْرِ مِنْ قَبْلِ مَدَّةِ فَأَصْبَحَ لَمَّا زَادَهُ المَدُّ كَالوَزْدِ

قُلْتُ هَذَا لِأَنِّي لَمْ أَذُقْ فِي المِيَاهِ أَحْلَى مِنْ مَائِهِ ، وَأَنَّهُ يَكُونُ قَبْلَ المَدِّ الَّذِي يَزِيدُ بِهِ وَيَفِيضُ عَلَى  
أَقْطَارِهِ أبيض ، فَإِذَا كَانَ عُبابُ النَّيْلِ صَارَ أَحْمَرَ .

وَأَنْشَدَنِي عَلَمُ الدِّينِ فَخْرُ التُّرْكِ أَيْدَمُرُ<sup>١</sup> ، عَتِيقُ وَزِيرُ الجَزِيرَةِ ، فِي مَدْحِ الفُسطاطِ وَأَهْلِهَا<sup>٢</sup> :

[الرملة]

حَبَّذا الفُسطاطُ مِنَ الوِدَّةِ جَنَّبَتْ أَوْلادَهَا دُرَّ الجَفَا  
يَرِدُ النَّيْلُ إِلَيْهَا كَدِرًا فَإِذَا مازَجَ أَهْلِهَا صَفَا  
لَطْفُوا فَالْمَزْنُ لَا يَأْلُفُهُمْ نَحَجَلًا لَمَّا رَأَاهُمْ أَلْطَفَا

وَلَمْ أَرْ فِي أَهْلِ البِلادِ أَلْطَفَ مِنْ أَهْلِ الفُسطاطِ حَتَّى أَنَّهُمُ أَلْطَفُ مِنْ أَهْلِ القَاهِرَةِ وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ  
مِائَتَيْنِ . وَجُمْلَةُ الحَالِ أَنَّ أَهْلَ الفُسطاطِ فِي نِهَايَةِ مِنَ اللُّطافَةِ وَاللِّينِ فِي الكَلَامِ ، وَتَحْتِ ذلِكَ مِنَ  
المَلَقِ وَقِلَّةِ المِبالاةِ بِرِعايَةِ قَدَمِ الصُّحْبَةِ وَكثْرَةِ المِمازِجَةِ والأُلْفَةِ ما يَطُولُ ذِكرُهُ<sup>٣</sup> .

وَأَمَّا ما يَرِدُ عَلَى الفُسطاطِ مِنْ مَتاجِرِ البَحْرِ الإسْكَندَرانِي والبَحْرِ الحِجازِي فَإِنَّهُ فَوْقَ ما  
يُوصَفُ ، وَبِهَا مَجْمَعُ ذلِكَ لا بِالقَاهِرَةِ ، وَمِنْهَا تُجَهَّزُ إِلَى القَاهِرَةِ وَسائِرِ البِلادِ .

(a) بولاق : يطفي .

العصر الأيوبي المبرزين من معاصري بهاء الدين زهير وجمال الدين بن مطروح ، وتوفي سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م . (الصفدي : الوافي بالوفيات ١٠ : ٧-١٥ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣ : ١٧٢-١٧٦) ، ونشرت دار الكتب المصرية «مختار ديوان علم الدين أيدمر المحيوي» ، وصدر عام ١٩٣١ .

<sup>٢</sup> وردت الأبيات كذلك عند ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٠٩ ، وهي غير موجودة في الديوان .

<sup>٣</sup> ابن سعيد : المغرب ٥-٩ ؛ المقرئ : نفع الطيب ٢ : ٣٣٩-٣٤٢ .

= القديمة التي تتميز بخفتها وسرعة جريانها ، كان هذا النوع من المراكب وقفًا على أنهر العراق فقط ، ولكن نص ابن سعيد هو النص الوحيد الذي يقيدنا بأن هذا النوع من المراكب كان مستخدمًا في نهر النيل في مصر . (درويش النخيلي : السفن الإسلامية ٩٢-٩٣) .

<sup>١</sup> علم الدين فخر التُّرك أَيْدَمُرُ المَحْيُوي عَتِيقُ مَحْيِي الدِّينِ أَبِي المَطْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ نَدَى الجَزَرِيِّ ، وَهَذَا الأَخِيرُ هُوَ الَّذِي صَنَّفَ لَهُ ابْنُ سَعِيدِ المَغْرِبِيِّ كِتَابِيهِ «المغرب في حلى المغرب» و«المشرق في حلى المشرق» (الصفدي : الوافي بالوفيات ١ : ١٧٢-١٧٥) . وَكَانَ أَيْدَمُرُ المَحْيُوي مِنْ شِعْرَاءِ



وبالفُسْطَاط مطابخُ الشُّكْرِ والصَّابُونَ ومُعْظَم ما يجري هذا المجرى ، لأنَّ القَاهِرَةَ بُنِيَتْ للاختصاصِ بِالْجُنْدِ ، كما أنَّ جميعَ زِيِّ الجُنْدِ بالقَاهِرَةَ أعْظَم منه بالفُسْطَاط ، وكذلك ما يُنْسَجُ ويُصاغُ وسائرُ ما يُعْمَلُ من الأشياءِ الرَّفِيعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ . والخَرَابُ في الفُسْطَاط كثيرٌ ، والقَاهِرَةُ أَجْدُ وأَعَمَّرُ وأكثرُ زَحْمَةٍ بسببِ انتقالِ السُّلْطَانِ إليها ، وسُكِنَى الأَجْنَادُ فيها . وقد نُفِخَ رُوحُ الاعتناء والنُّمُوِّ في مَدِينَةِ الفُسْطَاطِ الْآنَ لمجاورتها للجزيرة الصَّالِحِيَّةِ ، وكثيرٌ من الجُنْدِ قد انتقل إليها للقُرْبِ من الخِدْمَةِ ، وبَنَى على سُورِها جماعةٌ منهم مَنَاطِرَ تُبْهِجُ الناظرَ <sup>١</sup> ، يعني ابن سَعِيدٍ ما بُنِيَ على سُقَّةِ مِصْرَ من جِهَةِ النَّيْلِ .

### ذِكْرُ مَا عَلَيْهِ مَدِينَةُ مِصْرَ الْآنَ وَصِفَتُهَا

قد تَقَدَّمَ من الأخبارِ جملةٌ تدلُّ على عِظَمِ ما كان بِمَدِينَةِ فُسْطَاطِ مِصْرَ من المباني وكثرتها ، ثم الأسبابُ التي أَوْجَبَتْ خَرَابَهَا . وآخر ما رَأَيْتُ من الكُتُبِ التي صُنِّفَتْ في خِطَطِ مِصْرَ كِتَابُ «إِيقَاطِ المُتَعَفِّلِ وَأَتْعَاطِ المُتَأَمِّلِ» ، تأليفِ القَاضِي الرَّئيسِ تاجِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ المُتَوَجِّجِ الزُّبَيْرِيِّ - رحمه اللهُ - وَقَطَعَ على سنةِ خَمْسِ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَ مائَةٍ <sup>٢</sup> . فَذَكَرَ من الأَخْطَاطِ المشهورةِ بِذَاتِهَا لِعَهْدِهِ اثْنينِ وخَمْسِينَ خُطًّا ، ومن الحاراتِ اثنتي عشرةَ حارةً ، ومن الأَزِقَّةِ المشهورةِ ستةَ وثمانينِ زُقَاقًا ، ومن الدُّرُوبِ المشهورةِ ثَلَاثَةَ وخَمْسِينَ دَرْبًا ، ومن الخُوقِ المشهورةِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ خُوقَةً ، ومن الأَشْوَاقِ المشهورةِ تِسْعَةَ عَشَرَ سُوقًا ، ومن الخُطَطِ المشهورةِ بالدورِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ خُطًّا <sup>٣</sup> ، ومن الرُّحَابِ المشهورةِ خَمْسَ عَشْرَةَ رَحْبَةً ، ومن العَقَبَاتِ المشهورةِ إِحْدَى عَشْرَةَ عَقَبَةً ، ومن الكِيمَانِ المُسَمَّاةِ سِتَّةَ كِيمَانٍ ، ومن الأَقْبَاءِ عَشْرَةَ أَقْبَاءٍ ، ومن البِرْكِ خَمْسَ بِرْكِ ، ومن السَّقَائِفِ خَمْسًا وَسِتِينَ سَقِيفَةً ، ومن القِيَّاسِ / سَبْعَ قِيَّاسٍ ، ومن مَطَابِخِ الشُّكْرِ العَامِرَةِ سِتَّةَ وَسِتِينَ مَطْبَخًا <sup>٤</sup> ، ومن الشُّوَارِعِ سِتَّةَ شُورَاعٍ ، ومن المَحَارِسِ عِشْرِينَ مَحْرَسًا ، ومن الجَوَامِعِ

(a) بولاق : خطة .

<sup>١</sup> ابن سعيد : المغرب ١١ ؛ المقرئ : نفع الطيب ٣٤٢:٢ (نقلًا عن المقرئ) .  
<sup>٢</sup> يتجاهل المقرئ في هذا النص اثنين من مؤلفي الكتاب اللذين كتبنا بعد ابن المتوجج : إبراهيم بن أيَّدَمُ العَلَّامِيُّ المعروف بابن دُقْمَاقِ والحسن بن أحمد الأَزْهَدِيِّ (انظر مقدمة الجزء الأول ١٨\* - ١٩\* ، ٥٧\* - ٦٦\*) ، ونقل ابن دُقْمَاقِ قسَمًا كبيرًا من كتاب ابن المتوجج في كتابه «الانتصار» ٤ : ١٤ ، ١٨ ، ٥٣ - ٥٩ ، ٧٥ ، ٩١ - ٩٥ ، ١٠٠ - ١٠٦ ، ١١٦ .  
<sup>٣</sup> هنا حاشية بخط المصنف وُجِدَتْ على هامش نسخته ، وأدمجتها بعض النسخ في المتن ، نصها : «أذْرَكْتُ عِدَّةً =



التي تُقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقرافة أربعة عشر جامعًا، ومن المساجد أربع مائة وثمانين مسجدًا، ومن المدارس سبع عشرة مَدْرَسَةً، ومن الزوايا ثمانين زوايا، ومن الربط التي بمصر والقرافة بضعا وأربعين رباطًا، ومن الأقباس والأوقاف كثيرًا، ومن الحمامات بضعا وسبعين حمامًا، ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين ما بين دَيْرٍ وَكَيْسَةٍ.

وقد بادأ أكثر ما ذكره ودَثَّرَ، وسيرد ما قاله من ذلك في مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. <sup>(a)</sup> فأما هاهنا فإنني ذكرتُ إن شاء الله جُمْلَةً ما عليه الحال في مدينة مصر <sup>(a)</sup>، فأقول <sup>(b)</sup> : إن مدينة مصر محدودة الآن بحدود أربعة : فحدُّها الشرقيُّ اليوم من قلعة الجبل وأنت آخذ إلى باب القرافة، فتَمُرُّ من داخل الشور الفاصل بين القرافة ومصر إلى كوم الجراح، وتَمُرُّ من كوم الجراح وتجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهي إلى الرضد حيث أول بركة الحبش؛ فهذا طول مصر من جهة الشرق <sup>(c)</sup>، وكان يُقال لهذه الجهة «عَمَلُ فَوْق» <sup>٢</sup>.

وحدُّها الغربي من قناطر السباع خارج القاهرة إلى مَوْرَدَةِ الخلفاء، وتأخذ على شاطئ النيل إلى دَيْرِ الطين، فهذا أيضًا طولها من جهة الغرب.

وحدُّها القبلي من شاطئ النيل بِدَيْرِ الطين حيث ينتهي الحدُّ الغربي، إلى بركة الحبش تحت الرضد حيث انتهى الحدُّ الشرقي، فهذا عَرْضُ مصر من جهة الجنوب التي تُسَمِّيها أهل مصر الجهة القبليَّة.

وحدُّها البحري من قناطر السباع، حيث ابتداء الحدُّ الغربي، إلى قلعة الجبل حيث ابتداء الحدُّ الشرقي، فهذا عَرْضُ مصر من جهة الشمال التي تُعرَفُ بمصر بالجهة البحرية <sup>٣</sup>.

وما يَين هذه الجهات الأربع فإنه يُطلق عليه الآن «مِصْر»، فيكون أول عَرْضِ مصر في الغرب بحر النيل، وآخر عَرْضِها في الشرق أول القرافة، وأول طولها من قناطر السباع، وآخره بركة

(a-a) ساقط من بولاق. (b) في المسودة: ذكر ابن المتوج. (c) بولاق: المشرق والمثبت من المسودة.

<sup>١</sup> النص التالي هو بقية كلام ابن المتوج حيث نقله المقرئ في المسودة ١٥ منسوبا إليه، وفي المبيضة اعتمد عليه وتعُدل فيه بالإضافة والحذف وبدأه بلفظ: فأقول.

<sup>٢</sup> انظر عن عمل فوق فيما تقدم ٣٩ هـ <sup>٢</sup>.

<sup>٣</sup> انظر فيما تقدم ١: ٣٧.

= كبيرة من هذه المطابخ وهي عامرة إلى سنة ست وثمان مائة التي كانت منها وهلم جرا الحوادث والفتن، فتقطعت من حينئذ لفساد رجال الدولة وبقيت قائمة ثم خربت في سنة إحدى وعشرين وثمان مائة وأخذت أنقاضها في مباشرة الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله نظر الخاص.



الْحَبَشِ . فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ ، فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ حُطُّ السَّبْعِ سِقَايَاتِ ، وَيَجَاوِرُهُ الْخَلِيجُ ، وَعَلَيْهِ مِنْ شَرْقِيَّةِ جِكرِ أَقْبَعَا ، وَمِنْ غَرْبِيَّةِ الْمَرْيسِ <sup>١</sup> وَمُنْشَأَةُ الْمَهْرَانِي ، وَيُحَاذِي الْمُنْشَأَةَ مِنْ شَرْقِيَّ الْخَلِيجِ حُطُّ قَنْطَرَةِ السَّدِّ وَحُطُّ بَيْنِ الرُّقَاقَيْنِ وَحُطُّ مَوَزْدَةَ الْحَلْفَاءِ وَحُطُّ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ ، وَمِنْ شَرْقِيَّ حُطُّ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ حُطُّ الْمَرَاعَةِ <sup>٢</sup> ، وَيَتَّصِلُ بِهِ حُطُّ الْكِبَارَةِ وَحُطُّ الْمَقَارِيجِ ، وَيُجَاوِرُ حُطُّ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ مِنْ بَحْرِيَّةِ الدُّورِ الَّتِي تَطَّلُ عَلَى النَّيْلِ ، وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ إِلَى جِسْرِ الْأَفْرَمِ الْمُتَّصِلِ بِدَيْرِ الطُّينِ وَمَا جَاوَزَهُ إِلَى بَرْكَةِ الْحَبَشِ . وَهَذِهِ الْجِهَةُ هِيَ أَعْمَرُ مَا فِي مِصْرَ الْآنَ .

وَأَمَّا الْجِهَةُ الشَّرْقِيَّةُ فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ عَامِرٌ إِلَّا قَلْعَةُ الْجَبَلِ وَحُطُّ الْمَرَاعَةِ الْمُجَاوِرِ لِبَابِ الْقَرَاةِ إِلَى مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفَيْسَةَ ، وَيُجَاوِرُ حُطُّ مَشْهَدِ السَّيِّدَةِ نَفَيْسَةَ مِنْ قِبَلِهِ الْفَضَاءُ الَّذِي كَانَ مَوْضِعَ الْمَوْقِفِ وَالْعَسْكَرِ إِلَى كُومِ الْجَارِحِ ، ثُمَّ حُطُّ كُومِ الْجَارِحِ ، وَمَا بَيْنَ كُومِ الْجَارِحِ إِلَى آخِرِ حَدِّ طُولِ مِصْرَ عِنْدَ بَرْكَةِ الْحَبَشِ تَحْتَ الرُّضْدِ فَإِنَّهُ كَيْمَانٌ . وَهِيَ الْخِطُّ الَّتِي ذَكَرَهَا الْقَضَاعِي ، وَخَرِبَتْ فِي الشَّدَّةِ الْعَظْمَى زَمَنَ الْمُسْتَنْصِرِ ، وَعِنْدَ حَرِيقِ شَاوَرِ لِمِصْرَ كَمَا تَقَدَّمَ <sup>٣</sup> .

وَأَمَّا عَرَضُ مِصْرَ الَّذِي مِنْ قَنَاطِرِ السَّبْعِ إِلَى الْقَلْعَةِ فَإِنَّهُ عَامِرٌ ، وَيَشْتَمِلُ عَلَى بَرْكَةِ الْفَيْلِ الصَّغْرَى بِجَوَارِ حُطِّ السَّبْعِ سِقَايَاتِ ، وَيُجَاوِرُ الدُّورَ الَّتِي عَلَى هَذِهِ الْبَرْكَةِ مِنْ شَرْقِيَّهَا حُطُّ الْكَبَشِ ، ثُمَّ حُطُّ جَامِعِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، ثُمَّ حُطُّ الْقُبَيْبَاتِ ، وَيَنْتَهِي إِلَى الْفَضَاءِ الَّذِي يَتَّصِلُ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ .

وَأَمَّا عَرَضُ مِصْرَ الَّذِي مِنْ شَاطِئِ النَّيْلِ بِحُطِّ دَيْرِ الطُّينِ إِلَى تَحْتَ الرُّضْدِ حَيْثُ بَرْكَةُ الْحَبَشِ ، فَلَيْسَ فِيهِ عِمَارَةٌ سِوَى حُطِّ دَيْرِ الطُّينِ ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَقَدْ خَرِبَ بِخَرَابِ الْخِطِّطِ ، وَكَانَ فِيهِ خِطُّهُ <sup>(a)</sup> بَنِي وَايِلَ وَخِطُّهُ <sup>(b)</sup> رَاشِدَةَ ، فَأَمَّا حُطُّ السَّبْعِ سِقَايَاتِ فَإِنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْحَمْرَاءِ الدُّنْيَا ، وَسِيرِدَ عِنْدَ ذِكْرِ الْأَخْطَاطِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَتَبَيَّنُ مِنْ ذِكْرِ سَاحِلِ مِصْرَ <sup>٤</sup> .

(a) بولاق : خط . (b) النسخ : خط .

<sup>١</sup> انظر عن المريس فيما يلي ٥٣٧ .

تقول تبسطنا .

<sup>٢</sup> حاشية بخط المؤلف : «مرغّه في التراب تمرغ»

<sup>٣</sup> فيما تقدم ١٣٣-١٤٦ .

<sup>٤</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ١٥-١٨ مع زيادة ونقص في العبارة ، وانظر عن الأخطاط فيما يلي ٢٣:٢-٣٧ .

ومارغه كلاهما... المراعة ، ومراعة الإبل فتمرغها ، والمرغ الروضة والعرب تقول : قد تمرغنا أي تنزهننا ، وقُرئش



## ذِكْرُ سَاحِلِ النَّيْلِ بِمَدِينَةِ مِصْرَ

قد تقدم أن مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص وقصر الشمع، وأن بحر النيل كان ينتهي إلى باب قصر الشمع الغربي المعروف بالباب الجديد. ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل حائل؛ ثم انحسر ماء النيل عن أرض تجاه الجامع وقصر الشمع، فابتنى فيها عبد العزيز بن مروان، وحاز منه بشر بن مروان لما قديم على أخيه

عبد العزيز، ثم حاز منه هشام بن عبد الملك في خلافته وبني فيه. فلما زالت دولة بني أمية، قبض ذلك في الصوافي<sup>١</sup>، ثم أقطعته الرشيد السري بن الحكم، فصار في يد ورثته من بعده يكترونه ويأخذون حكره. وذلك أنه كان قد اختط فيها المسلمون شيئاً بعد شيء، وصار شاطئ النيل - بعد أن حُسر ماء النيل عن الأرض المذكورة - حيث الموضع الذي يُعرف اليوم بسوق المعاريج.

قال القضاعي: كان ساحل أسفل الأرض بإزاء المعاريج / القديم، وكانت آثار المعاريج قائمة تتبع درج حول ساحل البيما إلى ساحل البوري اليوم، فعرف ساحل البوري بالمعاريج الجديد<sup>٢</sup> - يعني بالمعاريج الجديد موضع سوق المعاريج اليوم.

وكان من جملة خطط مدينة فسطاط مصر الحمرات الثلاث<sup>٣</sup>: فالحمراء الأولى من جملتها سوق وزدان، وكان يُشرف بغيره على النيل، ويجاوره الحمراء الوسطى، ومن بعضها الموضع الذي يُعرف اليوم بالكبارة وكانت على النيل أيضاً، وبجانب الكبارة الحمراء القُصوى، وهي من بحري الحمراء الوسطى إلى الموضع الذي هو اليوم حط قناطر السباع، ومن جملة الحمراء القُصوى حط خليج مصر من حط قناطر السباع إلى تجاه قنطرة السد من شرقها، وبآخر الحمراء القُصوى الكبش وجبل يشكر.

وكان الكبش يُشرف على النيل من غريبه، وكان الساحل القديم فيما بين سوق المعاريج اليوم إلى دار التفاح بمصر وأنت ما زال إلى باب مصر بجوار الكبارة، وموضع الكوم المجاور لباب مصر من شرقه.

<sup>٢</sup> ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣٥.

<sup>١</sup> الصوافي. هي الأراضي التي صادرتها العبّاسيون من

<sup>٣</sup> انظر عن الحمراءات فيما تقدم ٣٨ - ٣٩.

الأمويين.



فَلَمَّا خَرِبَتْ مِصْرُ بِخَرِيقِ شَاوَرِ بْنِ مُجِيرِ إِيَاهَا، صَارَ هَذَا الْكُومُ مِنْ حَيْثُذِ وَعُرِفَ بِكُومِ الْمَشَانِيْقِ، فَإِنَّهُ كَانَ يُسْتَنْقَى بِأَعْلَاهُ أَرْبَابُ الْجَرَائِمِ<sup>١</sup>، ثُمَّ بَنَى النَّاسُ فَوْقَهُ دَوْرًا فَعُرِفَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا بِكُومِ الْكِبَارَةِ.. وَكَانَ يُقَالُ لَمَّا بَيْنَ سُوقِ الْمَعَارِيحِ وَهَذَا الْكُومِ لَمَّا كَانَ سَاحِلُ النَّيْلِ «الْقَالُوصِ».

قال القُضَاعِيُّ: رَأَيْتُ بِحَطِّ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ «الْقَالُوصِ» بِالْأَلِفِ، وَالَّذِي يُكْتَبُ فِي هَذَا الزَّمَانِ «الْقَالُوصِ» بِحَذْفِ الْأَلْفِ. فَأَمَّا الْقَالُوصُ بِحَذْفِ الْأَلْفِ فَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ وَالنَّعَامِ الشَّابَّةِ، وَجَمْعُهَا قُلُوصٌ وَقِلَاصٌ وَقِلَاصِصٌ. وَالْقَالُوصُ مِنَ الْحَبَارِيِّ الْأُنْثَى الصَّغِيرَةِ<sup>٢</sup>.

فَلَعَلَّ هَذَا الْمَكَانَ سُمِّيَ بِالْقَالُوصِ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ الْجَمَلِ الَّذِي كَانَ عَلَى بَابِ الرِّيْحَانِ، الَّذِي يَأْتِي ذِكْرُهُ فِي عَجَائِبِ مِصْرِ<sup>٣</sup>. وَأَمَّا «الْقَالُوصِ» بِالْأَلْفِ فَهِيَ كَلِمَةٌ رُومِيَّةٌ، وَمَعْنَاهَا بِالْعَرَبِيَّةِ «مَرْحَبًا بِكَ»، وَلَعَلَّ الرُّومَ كَانُوا يُصَفِّقُونَ لِرَاكِبِ هَذَا الْجَمَلِ، وَيَقُولُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَلَى عَادَتِهِمْ<sup>٤</sup>.

وقال ابنُ المَتَوِّجِ: وَالسَّاحِلُ الْقَدِيمُ أَوَّلُهُ مِنْ بَابِ مِصْرِ الْمَذْكُورِ - يَعْنِي الْمَجَاوِرَ لِلْكَبَارَةِ - وَالْإِلَى الْمَعَارِيحِ جَمِيعُهُ كَانَ بَحْرًا يَجْرِي فِيهِ مَاءُ النَّيْلِ، وَقِيلَ: إِنَّ سُوقَ الْمَعَارِيحِ كَانَ مَوْزِدَةً سُوقِ السَّمَكِ<sup>٥</sup>، يَعْنِي مَا ذَكَرَهُ الْقُضَاعِيُّ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يُعْرَفُ بِسَاحِلِ الْبُورِيِّ ثُمَّ عُرِفَ بِالْمَعَارِيحِ الْجَدِيدِ.

قال ابنُ المَتَوِّجِ: وَنَقَلَ أَنَّ بُسْتَانَ الْجُرُوفِ الْمُقَابِلَ لِبُسْتَانِ حَوْضِ ابْنِ كَيْسَانَ<sup>(a)</sup> كَانَ مَكَانَهُ بِحَرِّ النَّيْلِ وَأَنَّ الْجُرُوفَ رُبَا فِيهِ وَنَقَلَ أَنَّ بُسْتَانَ ابْنِ كَيْسَانَ<sup>(a)</sup> كَانَ صِنَاعَةَ الْعِمَارَةِ. وَأَدْرَكْتُ أَنَا فِيهِ بَابَهَا، وَرَأَيْتُ زُرِّيَّةً مِنْ رُكْنِ الْمَسْجِدِ الْمَجَاوِرِ لِلْحَوْضِ مِنْ غَرْبِيهِ تَتَّصِلُ إِلَى قُبَاةِ مَسْجِدِ الْعَادِلِ الَّذِي بِمَرَاغَةِ الدُّوَابِ الْآنَ.

قال كَاتِبُهُ<sup>(b)</sup>: بُسْتَانُ الْجُرُوفِ يُعْرَفُ بِذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ، وَهُوَ عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ سَلَكِ إِلَى مِصْرَ مِنْ طَرِيقِ الْمَرَاغَةِ، وَهُوَ جَارٍ فِي وَقْفِ الْخَائِنِقَاهِ، الَّتِي تُعْرَفُ بِالْوَاصِلَةِ، بَيْنَ الرُّقَاقَيْنِ. وَحَوْضُ ابْنِ كَيْسَانَ يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِحَوْضِ الطَّوَّاشِيِّ تَجَاهَ غَيْطِ الْجُرُوفِ الْمَذْكُورِ، يُجَاوِرُهُ بُسْتَانُ ابْنِ كَيْسَانَ الَّذِي صَارَ صِنَاعَةً - وَقَدْ ذُكِرَ خَبْرُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عِنْدَ ذِكْرِ مَنَاطِرِ الْخُلَفَاءِ<sup>٦</sup> - وَيُعْرَفُ بُسْتَانُ ابْنِ كَيْسَانَ

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: مؤلفه رحمه الله.

<sup>١</sup> ابن دقماق: الانتصار ٤: ٥٣.

<sup>٢</sup> انظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٨١١.

<sup>٣</sup> تقدم هذا الخبر عند ذكر عجائب مصر ١: ٨٥.

<sup>٤</sup> ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣٥.

<sup>٥</sup> نفسه ٤: ٧٧.

<sup>٦</sup> فيما يلي ٥٧٠.



اليوم بستان الطواشي أيضاً ، وبين بستان الجُزف وبستان الطواشي هذا مراغة مصر المملوك فيها<sup>(a)</sup> إلى الكبارة وباب مصر .

وقال ابن المتوج : ورأيت من نقل عمّن نقل عمّن رأى هذا القلوص يتصل إلى أدّر الساحل القديم ، وأنه شاهد ما عليه من العمائر المطلّة على بحر النيل من الرباع والدور المطلّة ، ما عدا<sup>(b)</sup> الأسطال التي كانت بالطاقات المطلّة عليه<sup>(c)</sup> ، فكانت عدّها ستة عشر ألف سطل مؤبّدة بيكر فيها أطناب تُرختى بها وتملأ<sup>١</sup> . أخبرني بذلك من أثق بنقله ، وقال : إنّه أخبره من يثق به مُتصلاً بالمشاهد له الموثوق به .

قال : وباب مِصر الآن بين البستان الذي قبلي الجامع الجديد - يعني بستان العالمية - وبين كوم المشانيق - يعني كوم الكبارة - ، ورأيت السور يتصل به إلى دار النحاس ، وجميع ما بظاهره سُون .

ولم يزل هذا السور القديم ، الذي هو قبلي بستان العالمية<sup>٢</sup> ، موجوداً أراه وأعرفه ، إلى أن اشترى أرضه من باب مصر إلى موقف المكارية بالخشابين القديمة الأمير حسام الدين طرُنطاي المنصوري ، فأجر مكانه للعامة . وصار كلُّ من استأجر قطعة هدم ما بها من البناء بالطوب اللبن ، وقلّع الأساس الحجّر وبنى به ، فزال السور المذكور ، ثم حدّث الساحل الجديد .

قال كاتبه<sup>(d)</sup> : وهذا الباب الذي ذكره ابن المتوج ، كان يُقال له باب الساحل . وأوّل حفر ساحل مصر في سنة ست وثلاثين وثلاث مائة ، وذلك أنّه جفّ النيل عن برّ مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر<sup>(e)</sup> الجيزة الذي هو فيما بين جزيرة مصر - التي تُدعى الآن بالروضية - وبين الجيزة ، وصار الناس يمشون هم والدواب إلى الجزيرة ، فحفر الأستاذ كافور الإخشيدي - وهو يومئذ<sup>(f)</sup> قائم بتدبير أمر الأمير أبي القاسم أونوجور<sup>(f)</sup> بن الإخشيد - خليجاً حتى اتّصل بخليج بني وائل ، ودخل الماء إلى ساحل مصر ؛ وذلك<sup>(g)</sup> أنّه لما كان قبل سنة ست مائة ، تقلّص الماء عن ساحل مصر القديم<sup>(h)</sup> ، وصار في زمن الاحتراق يقلُّ حتى تصير الطريق إلى المقياس يساً . فلما

(a) بولاق : منها . (b) بولاق : وعدّ . (c) بولاق : المطلّة على بحر النيل . (d) بولاق : مؤلفه رحمه الله . (e) آياصوفيا :

نحو . (f-f) في موضع هذه العبارة في بولاق : مقدم أمراء الدولة لأونوجور . (g) بولاق : ثم . (h) بولاق : القديمة .

<sup>١</sup> ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٧٧-٧٨ ؛ وفيما تقدم ١٢٥ . <sup>٢</sup> انظر عن بستان العالمية فيما يلي ١٦٢ .







كان في سنة ثمانٍ وعشرين وست مائة ، خاف السلطان الملك الكامل / محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب من تباعد البحر عن العمران بمصر ، فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر إلى صناعة الثمر الفاضلية ، وعمل فيه بنفسه ، فوافق على العمل في ذلك الجُم الغفير ، واستوى في المساعدة الشوق والأمر ، وقسط مكان الحفر على الدور التي<sup>(a)</sup> بالقاهرة ومصر والروضة بالقياس<sup>(b)</sup> . فاستمر العمل فيه من مستهل شعبان إلى سلخ شوال مدة ثلاثة أشهر ، حتى صار الماء يُحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائماً بعد ما كان عند الزيادة يصير جداولاً رقيقاً في ذيل الروضة ، فإذا اتصل ببحر بولاق في شهر أيب كان ذلك من الأيام المشهودة بمصر .

فلما كانت أيام الملك الصالح ، وعمّر قلعة الروضة ، أراد أن يكون الماء طول السنة كثيراً فيما دار بالروضة ، فأخذ في الاهتمام بذلك ، وغرق عدة مراكب مملوءة بالحجارة في بر الجزيرة - تجاه باب القنطرة خارج مدينة مصر ومن قبلي جزيرة الروضة - فانعكس الماء ، وعمل البحر من حينئذ قليلاً قليلاً ، وتكاثف أولاً فأولاً وقطع كثيراً من بر مصر<sup>(c)</sup> من دار الملك إلى قريب المقس ، وقطع المنشأة الفاضلية .

قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد : وكان في الدولة الصالحية - يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب - زملة تمزغ الناس فيها الدواب في زمن احتراق النيل وجفاف البحر الذي هو أمامها ؛ فلما عمّر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة ؛ وصار في كل سنة يحفر هذا البحر بجنده ونفسه ويطح بعض زملة في هذه البقعة ، شرع خواص السلطان في العماراة على شاطئ هذا البحر<sup>١</sup> . فذكر من عمّر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن إلى المدرسة المعزوية ، وذكر ما وراء هذه الدور من بستان العالمة المطل عليه الجامع الجديد وغيره ، ثم قال : وإنما عُرف بالعالمة لأنه كان قد حلّه السلطان الملك الصالح لهذه العالمة ، فعمرت بجانبه منظره لها ، وكان الماء يدخل من النيل لباب المنظر المذكورة ، فلما توفيت بقي البستان مدة في يد ورثتها ثم أخذ منهم<sup>٢</sup> .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : والمقياس . (c) العبارة في بولاق : وجعل البحر حينئذ يمر قليلاً قليلاً ، وتكاثرت أولاً فأولاً في بر مصر .



وَذَكَرَ أَنَّ بُقْعَةَ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ كَانَتْ قَبْلَ عِمَارَتِهِ سُورًا لِلأَثْبَانِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَكَذَلِكَ مَا يُجَاوِرُهَا. فَلَمَّا عَمَّرَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْجَامِعَ الْجَدِيدَ، كَثُرَتْ الْعِمَارَاتُ مِنْ حُدِّ مَوْرَدَةِ الْحَلْفَاءِ عَلَى شَاطِئِ النَّيْلِ حَتَّى اتَّصَلَتْ بِدَيْرِ الطَّيْنِ، وَعُمِّرَ أَيْضًا مَا وَرَاءَ الْجَامِعِ مِنْ حُدِّ بَابِ مِصْرَ - الَّذِي كَانَ بَحْرًا كَمَا تَقَدَّمَ - إِلَى حُدِّ قَنْطَرَةِ السُّدِّ<sup>١</sup>.

٥ وَأَذْرَكْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى غَايَةِ الْعِمَارَةِ، وَقَدْ اخْتَلَّ مِنْذُ الْحَوَادِثِ بَعْدَ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِ مِائَةٍ، فَخَرِبَ نَحْطُ بَيْنَ الزُّقَاقِينِ الْمَطَّلِّ مِنْ غَرْبِيهِ عَلَى الْخَلِيجِ وَمِنْ شَرْقِيهِ عَلَى بُسْتَانِ الْجُرُفِ، وَلَمْ يَبْقَ بِهِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ الدُّورِ. وَمَوْضِعُهُ - كَمَا تَقَدَّمَ - كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ غَامِرًا بِمَاءِ النَّيْلِ، ثُمَّ رَزَى جُزْفًا وَهُوَ بَيْنَ الزُّقَاقِينِ الْمَذْكُورِ، فَعُمِّرَ عِمَارَةٌ كَبِيرَةٌ، ثُمَّ خَرِبَ الْآنَ، وَخَرِبَ أَيْضًا نَحْطُ مَوْرَدَةِ الْحَلْفَاءِ، وَكَانَ فِي الْقَدِيمِ غَامِرًا بِالمَاءِ.

١٠ فَلَمَّا رَزَى النَّيْلُ الْجُرُفَ الْمَذْكُورَ، وَتَرَبَّتْ الْجَزِيرَةُ قُدَّامَ السَّاحِلِ الْقَدِيمِ - الَّذِي هُوَ الْآنَ الْكِبَارَةُ إِلَى الْمَعَارِيحِ - وَأَنْشَأَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْجَامِعَ الْجَدِيدَ، عَمَّرَتْ مَوْرَدَةُ الْحَلْفَاءِ هَذِهِ، وَاتَّصَلَتْ مِنْ بَحْرِهَا بِمُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِيِّ، وَمِنْ قِبَلِهَا بِالْأَمْلاكِ الَّتِي تَمْتَدُّ مِنْ تَجَاهِ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ إِلَى دَيْرِ الطَّيْنِ، وَصَارَتْ مَوْرَدَةً<sup>٢</sup> عَظِيمَةً تَقِفُ عِنْدَهَا الْمَرَائِكِبُ بِالْغِلَالِ وَغَيْرِهَا، وَيَمْلَأُ مِنْهَا النَّاسُ الرُّوَايَا. وَكَانَ الْبَحْرُ لَا يَتَرَحُّ طُولَ السَّنَةِ هُنَاكَ، ثُمَّ صَارَ يَنْشَفُ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ، وَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَخَرِبَ مَا نَحَلَفَ الْجَامِعَ الْجَدِيدَ أَيْضًا مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي كَانَتْ بَحْرًا تَجَاهِ السَّاحِلِ الْقَدِيمِ، ثُمَّ لَمَّا انْحَسَرَ الْمَاءُ صَارَتْ مَرَاغَةً لِلدُّوَابِّ، فَعُرِفَتْ الْيَوْمَ بِ«الْمَرَاغَةِ»؛ وَهِيَ مِنْ آخِرِ قَنْطَرَةِ السُّدِّ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْكِبَارَةِ، وَيَحْصُرُهَا مِنْ غَرْبِيهَا بُسْتَانُ الْجُرُفِ - الْمَقْدَّمُ ذَكَرَهُ - وَعِدَّةُ دُورٍ كَانَتْ بُسْتَانًا وَسُورًا إِلَى بَابِ مِصْرَ، وَمِنْ شَرْقِيهَا بُسْتَانُ ابْنِ كَيْسَانَ الَّذِي صَارَ صِنَاعَةً، وَعُرِفَ الْآنَ بِبُسْتَانِ الطُّوَّاشِيِّ، وَلَمْ يَبْقَ الْآنَ بِحُطِّ الْمَرَاغَةِ إِلَّا مَسَاكِينُ يَسِيرَةٍ حَقِيرَةٍ<sup>٢</sup>.

(a) بولاق : موردة الحلفاء.

171-76؛ محمد رمزي : «شاطئا النيل تجاه مصر القديمة وما

طراً عليهما من التحويلات من الفتح العربي لمصر إلى اليوم» ،

مجلة العلوم ٤/٣ (١٩٤٢) ، ٤٩٧-٥٢٣ ، وتعليقه على

النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ٧: ٣٨٧-٣٨٨ ، ٨: ٢٨٤-

٢٨٥

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٢ : ٣٠٤ .

<sup>٢</sup> عن الحد الذي كان ينتهي عنده النيل على شاطئه

الشرقي وطرح البحر وانحسار مجرى النيل راجع ،

Haswell, C. J. R., «Cairo Origin and Development . Some Notes on the Influence of the River

Nile and its Change», *BSRGE XI* (1923), pp.



## ذِكْرُ الْمُنْشَأَةِ

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل فيمر بطريق الحمراء القُصوى ، وكان في الجانب الغربي من هذا الخليج عدّة بساتين من جملتها بُستانٌ عُرفَ بِبُستانِ الخشاب ، ثم خرب هذا البُستانُ ، وموضعه الآن يُعرف بالمريس .

فلما كان بعد الخمس مائة من سني الهجرة ، انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان اللوق - الآتي ذكره في الأحكار ظاهر القاهرة إن شاء الله <sup>١</sup> - وبين بُستانِ الخشاب المذكور ، فعرفت هذه الأرض بِمُنْشَأَةِ الفاضل ؛ لأن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البتساني أنشأ بها بُستانًا عظيمًا كان يدير أهل القاهرة من ثماره وأغنيابه ، وعمر بجانبه جامعًا ، وبني حوله ، فقيل لتلك الخطة مُنْشَأَةُ الفاضل . وكثرت بها العمارة ، وأنشأ بها موفّق الدين محمد بن أبي بكر المهدي العثماني الديباجي <sup>٢</sup> بُستانًا دُفِعَ له فيه ألف دينار في الأيام الظاهرية ببيروت <sup>٣</sup> ، وكان الصرّف قد بلغ / كل دينار ثمانية وعشرين درهماً ونصفاً . فاستولى البحر على بُستانِ الفاضل وجامعه ، وعلى سائر ما كان بِمُنْشَأَةِ الفاضل من البساتين والدور ، وقطع ذلك حتى لم يبق لشيء منه أثر . وما برح باعة العنب بالقاهرة ومصر تُنادي على العنب ، بعد خراب بُستانِ الفاضل هذا بمُدّة سنين عديدة <sup>٤</sup> : «رَحِمَ اللهُ الفاضل يا عنب» ، إشارة لكثرة أغناب بُستانِ الفاضل وحسنها <sup>٥</sup> .

وكان أكلُ البحر لمُنْشَأَةِ الفاضل هذه بعد سنة ستين وست مائة ، وكان الموفّق الديباجي المذكور يتولّى خطابة جامع الفاضل الذي كان بالمُنْشَأَةِ ، فلما تلى الجامع باستيلاء النيل عليه ، سأل الصّاحِبَ بهاء الدين بن جنا ، وألح عليه - وكان من الزّامه - حتى قام في عمارة الجامع بِمُنْشَأَةِ المهراي .

(a) بولاق : أيام الظاهر بيبرس . (b) بولاق : مدة سنين .

<sup>١</sup> فيما يلي ١١٧:٢ . وتوفي فجأة : وقع عن دابة بين القاهرة ومصر ففاضت نفسه

عشية الأربعاء الثالث والعشرين من شوال سنة ٦٨٥هـ . (المقريزي : المقفى الكبير ٥: ٤٤١) .

<sup>٢</sup> فيما يلي ٢٩٨:٢ ومصدر هذا الخبر فيه ابن

المتّوج .

<sup>٣</sup> موفّق الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن يحيى

ابن أبي بكر ، الأموي العثماني الديباجي المعروف بابن المهدي خطيب جامع منشأة المهراي خارج مدينة مصر .

مولده في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٦١٤هـ ،

المتّوج .



و «مُنْشَأَةُ الْمَهْرَانِي» هذه مَوْضِعُهَا فيما بين النيل والخليج ، وفيها من الحُمراء القُصُوى قُوَّة الخَليج انْحَسَرَ عنها ماء النيل قديمًا ، وعُرِفَ مَوْضِعُهَا بِالْكُومِ الْأَحْمَرِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَ يُعْمَلُ فِيهَا أَقْمِنَةُ الطُّوبِ . فَلَمَّا سَأَلَ الصَّاحِبُ بَهَاءُ الدِّينِ بْنِ حِنَّا الْمَلِكَ الظَّاهِرَ يَتَبَرَّسَ فِي عِمَارَةِ جَامِعِ بِهَذَا الْمَكَانِ ، لِيَقُومَ مَقَامَ الْجَامِعِ الَّذِي كَانَ بِمُنْشَأَةِ الْفَاضِلِ ، أَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَنْشَأَ الْجَامِعَ بِحُطِّ الْكُومِ الْأَحْمَرِ كَمَا ذُكِرَ فِي خَبْرِهِ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَوَامِعِ <sup>١</sup> . فَأَنْشَأَ هُنَاكَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ الْمَهْرَانِي دَارًا وَسَكَنَهَا ، وَبَنَى مَسْجِدًا ، فَعُرِفَتْ هَذِهِ الْخِطَّةُ بِهِ ، وَقِيلَ لَهَا مُنْشَأَةُ الْمَهْرَانِي ، فَإِنَّ الْمَهْرَانِي الْمَذْكُورَ أَوَّلَ مَنْ ابْتَنَى فِيهَا بَعْدَ بِنَاءِ الْجَامِعِ .

وَتَتَابَعَ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ بِمُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِي ، وَأَكْثَرُوا مِنَ الْعِمَائِرِ حَتَّى يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بِهَا فَوْقَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ ، سِوَى مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَأَمَائِلِ الْكُتَّابِ وَأَعْيَانِ الْقَضَاةِ وَوُجُوهِ النَّاسِ ، وَلَمْ تَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى انْحَسَرَ الْمَاءُ عَنِ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ فَخَرِبَتْ ، وَبِهَا الْآنَ بَقِيَّةٌ يَسِيرَةٌ مِنَ الدُّورِ . وَيَتَّصِلُ بِحُطِّ الْجَامِعِ الْجَدِيدِ حُطُّ دَارِ النَّحَّاسِ ، وَهُوَ مَطْلٌ عَلَى النَّيْلِ . «وَدَارُ النَّحَّاسِ» هَذِهِ مِنَ الدُّورِ الْقَدِيمَةِ وَقَدْ ذَثُرَتْ ، وَصَارَ الْحُطُّ يُعْرَفُ بِهَا . قَالَ الْقُضَاعِي : دَارُ النَّحَّاسِ اخْتَطَّهَا وَزْدَانُ مَوْلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ ، فَكَتَبَ مَسْلَمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ - وَهُوَ أَمِيرُ مِصْرَ - إِلَى مُعَاوِيَةَ يَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَهَا دِيوَانًا ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى وَزْدَانَ يَسْأَلُهُ فِيهَا ، وَعَوَّضَهُ فِيهَا دَارَ وَزْدَانَ الَّتِي بِسُوقِهِ الْآنَ <sup>٢</sup> .

وَقَالَ رَبِيعَةُ : كَانَتْ هَذِهِ الدَّارُ مِنْ خِطَّةِ الْحَجَرِ مِنَ الْأَزْدِ ، فَاشْتَرَاهَا عَمْرُو بْنُ مَرْوَانَ وَبَنَاهَا ، فَكَانَتْ فِي يَدِ وَلَدِهِ ، وَقُبِضَتْ عَنْهُمْ وَبِيعَتْ فِي الصُّوْفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى شَمُولِ الْإِخْشِيدِيِّ ، فَبَنَاهَا قَيْسَارِيَّةً وَحَمَامًا ، فَصَارَتْ دَارُ النَّحَّاسِ قَيْسَارِيَّةً شَمُولِ . وَقَالَ ابْنُ الْمُتَوَجِّحِ : دَارُ النَّحَّاسِ حُطُّ نُسَيْبِ لِدَارِ النَّحَّاسِ ، وَهُوَ الْآنَ فُنْدُقُ الْأَشْرَافِ ذُو الْبَابَيْنِ : أَحَدُهُمَا مِنْ رَحْبَةِ أَمَامِهِ ، وَالثَّانِي شَارِعٌ بِالسَّاحِلِ الْقَدِيمِ <sup>٣</sup> .

وَبِأَخِرِ هَذِهِ الشُّقَّةِ الَّتِي تُطَلُّ عَلَى النَّيْلِ «جِسْرُ الْأَفْرَمِ» ، وَهُوَ فِي طَرَفِ مِصْرَ فِيمَا بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ الْمُعَرَّبِيَّةِ وَبَيْنَ رِبَاطِ الْآثَارِ <sup>٤</sup> ، كَانَ مُطَلًّا عَلَى النَّيْلِ <sup>(a)</sup> ، وَالْآنَ يَنْحَسِرُ الْمَاءُ عَنْهُ عِنْدَ هُبُوطِ

(a) بولاق : النيل دائما .

<sup>٣</sup> نفسه ٤ : ٣٦ .<sup>١</sup> فيما يلي ٢ : ٢٩٨ .<sup>٤</sup> فيما يلي ٢ : ١٦٥ .<sup>٢</sup> ابن دقماق : الانتصار ٤ : ٦ .



النيل ، وعُرفَ بالأمير عز الدين أيْدُمُر الأقرم الصالحِي النَّجْمِي أمير جندار ، وذلك أنه لما استأجر بركة الشَّعْبِيَّة - كما ذُكِرَ عند ذكر البرك من هذا الكتاب <sup>١</sup> - جعلَ منها فدَّانين من غريبها أذنَ للناس في تحْكِيْرِها ، فحُكِرَت وُبنيَ عليها عدَّةُ دور بلغت الغاية في إتقان العِمارة .

وتنافسَ عُظَمَاءُ دولة النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلاوون من الوُزراءِ وأعيان الكُتَّابِ في المساكن بهذا الجِسر ، وتناهُوا في التَّائِقِ <sup>(a)</sup> وتفنُّوا في بَدِيعِ الزَّخْرَفَةِ ، وبالغوا في تحسين الرُّخام ، وخرَجوا عن الحدِّ في كثرة إنفاق الأموال العظيمة على ذلك ، بحيث صار حُطُّ الجِسرِ خُلاصةَ العاير من إقليم مصر ، وسكَّانه أَرْفَهُ <sup>(b)</sup> النَّاسَ عَيْشًا وأترف المتنعِّمين حياةً وأوفَّرهم نِعْمَةً ، ثم خربَ هذا الجِسرُ بأسره وذَهَبَتِ دورُه .

وأما الجِهةُ الشَّرْقِيَّةُ من مصر ففيها قَلْعَةُ الجَبَلِ ، وقد أفرَدتُ <sup>(c)</sup> لها خَبْرًا مستقلًّا يحتوي على فَوَائِدَ كثيرة تضمَّنَه هذا الكتاب ، فانظره <sup>٢</sup> . ويتَّصِلُ آخرُ قَلْعَةِ الجَبَلِ بِحُطِّ باب القَرافة ، وهو من أطرافِ القَطَائِعِ والعَشْكَرِ ، يلي حُطَّ باب القَرافة الفِضَاءُ الذي كان يُعرَفُ بالعَشْكَرِ ، وقد تقدَّم ذكره ، وكان بأطرافِ العَشْكَرِ مِمَّا يلي كُومِ الجَارِحِ .

### الموقف

قال ابنُ وَصِيفِ شاه في أخبار الرِّيَّانِ بن الوليد ، وهو فِرْعَوْنُ نَبِيِّ اللَّهِ يَوْسُفَ - صلوات الله عليه - : ودخَلَ إلى البلد في أيامه غُلامٌ من أهلِ الشَّامِ احتالَ عليه إخوته وباعوه - وكانت قَوافِلُ الشَّامِ تَعْرِسُ بناحية المَوقِفِ اليوم - فأوقِفَ الغلامُ ونُودي عليه ، وهو يَوْسُفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خَلِيلِ الرَّحْمَنِ - صلوات الله عليهم - فاشترَاهُ أَطْفِينُ العَزِيزِ <sup>٣</sup> .

ويُقالُ إنَّ الذي أخرجَ يَوْسُفَ من الجَبِّ مالِكُ بن دَعْرَ بن حَجْرَ بن جُزَيْلَةَ بن لَحْمِ بن عَدِيَّ بن الحارث بن مُرَّة بن أَدَدَ بن زَيْدِ بن يَشْجُبِ <sup>(d)</sup> بن غريب بن زَيْدِ بن كَهْلان بن سَبَأِ بن يَشْجُبِ <sup>(d)</sup> ابنِ يَغْرُبِ بن قَحْطان .

(a) بولاق : ونوا وتأنقوا . (b) بولاق : أرق . (c) بولاق : أفردنا . (d-d) ساقط من بولاق .

<sup>٣</sup> فيما تقدم ١ : ٦٥٨ .

<sup>١</sup> فيما يلي ٢ : ١٩٨ .

<sup>٢</sup> فيما يلي ٢ : ٢٠٢ - ٢١٥ .



وقال القضاعي: الموقف كان قضاءً لأم عبد الله بنت<sup>a</sup> مسلمة بن مخلد، فتصدقت به على المسلمين، فكان موقفًا تُباع فيه الدواب، ثم مُلك بعد<sup>١</sup>. وقد ذكرته في الظاهر - يعني في خطط أهل الظاهر - فإنَّ الموقفَ من جملة خطه<sup>b</sup> أهل الظاهر.

وقال ابن المتوج: بقعة حُط الصفا، هذا الخط دثر جميعه ولم يبق له أثر، وهو قبلي الفسطاط أوله بجوار المصنع. وحط الطحانين / أدركته كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من دزب الصفا إلى كوم الجارح، وأدركت به جماعة من أكابر المصريين أكثرهم عدول، وكان المازين هذين الصفين لا يسمع حديث رفيقه إذا حدثه لقوة دوران الطواحين، وكان من جملتها طاحون واحد فيه سبعة أحجار؛ دثر جميع ذلك ولم يبق له أثر.

قال: وبقعة دزب الصفا هو الدزب الذي كان باب مصر، وقيل: إنه كان بظاهره سوق يوسف - عليه السلام - وكان بابًا<sup>c</sup> كبيرًا يُترججن<sup>c</sup> يعلوهما عقد كبير، وهو بقعة كبيرة سُفلى من صوان، وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن، وكان حول المصنع عمود رخام بدائره حاملة لساباط<sup>d</sup> يعلوه مسجد معلق؛ هدم ذلك جميعه في ولاية سيف الدين المعروف بابن أسبا<sup>e</sup> سلار<sup>٢</sup>، والي مصر في الدولة الظاهرية<sup>f</sup> يبرزس. وهذا الدزب يُسلك منه إلى دزب الصفا والطحانين<sup>٣</sup>.

قال كاتبه<sup>g</sup>: كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر، وبابها الآخر من ناحية الساحل الذي موضعه اليوم باب مصر بجوار الكبارة. وأنا أدركت آثار دزب<sup>h</sup> الصفا المذكور والمصنع الخراب، وكان يُصب فيه الماء للسبيل، وهو قريب من كوم الجارح. وسيأتي ذكر كوم الجارح في ذكر الكيمان من هذا الكتاب إن شاء الله<sup>٤</sup>.

(a) بولاق: بن. (b) بولاق: خطط. (c-c) بولاق: بابا بمصرعين. (d) بولاق: السباط. (e) ساقطة من بولاق. (f) بولاق: دولة الظاهر. (g) بولاق: مؤلفه رحمه الله. (h) بولاق: باب.

<sup>١</sup> ابن دقماق: الانتصار ٤: ٣٤. الفخري.

<sup>٢</sup> حاشية بخط المؤلف: والأمير سيف الدين أبو بكر

<sup>٣</sup> ابن دقماق: الانتصار ٤: ٢٨. <sup>٤</sup> أحال المقرئ في مواضع كثيرة إلى فضل خاص عن الكيمان، ولكنه لا يوجد فيما وصل إلينا من الكتاب.

ابن أسباسلار متولى مصر مات يوم الأحد سابع عشرين ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وست مائة، فولى الملك المنصور قلاوون ولاية مصر بعده الأمير علاء الدين أيك



وأما الذي يلي كوم الجارح إلى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فإنها الخطط القديمة . وأدركتها عامرة لا سيما حُطَّ النَّخَالين وحُطَّ زُقَاق القناديل وحُطَّ المصاصة ، وقد خرب جميع ذلك ، وبيعت أنقاضه من بعد سنة تسعين وسبع مائة .

وأما الجهة القبليّة من مصر ، فإنَّ حُطَّ دَيْر الطّين حَدَّتْ العِمارة فيه بعد سنة ست مائة ، لما أنشأ الصّاحبُ فخرُ الدين محمد بن الصّاحب بهاء الدين عليّ بن حنّا الجامع هناك ، وعمّر النَّاسُ في جسر الأفرم ، وكان قبل ذلك آخر عِمارة مدينة مصر دارُ الملك الذي<sup>a</sup> موضعها الآن بجوار المدرّسة المعزّيّة .

وأما موضعُ الجسر فإنه كان بركة ماء تتصل بخطّة<sup>b</sup> راشدة حيث جامع راشدة ، ومن قبلي هذه البركة البستان الذي كان يُعرف ببستان الأمير تميم بن المعزّ ، ويُعرف الآن<sup>c</sup> بالمعشوق ، وهو وقّف على رباط الآثار : ويجاور المعشوق بركة الحبش ، وما بين حُطَّ دَيْر الطّين وآخر عَرْض مصر من الجهة القبليّة طرفُ خطّة<sup>d</sup> راشدة .

وأما الجهة البحريّة من مصر ، فإنه يتصل بخطّ السبع سقايات الدّور المطلّة على البركة التي يُقال لها بركة قازون ، وهي التي تُجاور الآن حدّرة ابن قميحة ، وهي من جملة الحمراء القُصوى ، ويقبلي البركة المذكورة الكوم المعروف بالأشري ، وهو من جملة العسكر ، وسيرد إن شاء الله ذكره عند ذكر الكيمان<sup>١</sup> . ويجاور البركة المذكورة حُطَّ الكَبش - وقد ذُكر في الجبال ، ويأتي إن شاء الله له خبره عند ذكر الأخطاط<sup>٢</sup> - يلي حُطَّ الكَبش حُطَّ الجامع الطولوني ، يلي حُطَّ الجامع القُببيّات وحُطَّ المشهد النفيسي ؛ وجميع ذلك إلى قلعة الجبل من جملة القطائع .

(a) بولاق : التي . (b) بولاق : بخط . (c) بولاق : اليوم . (d) بولاق : خط .

<sup>٢</sup> فيما تقدم ١ : ٣٤٠ ، وفيما يلي ٢ : ١٣٣ .

<sup>١</sup> انظر هامش ٤ صفحة ١٦٧ .



## ذِكْرُ أَبْوَابِ مَدِينَةِ مِصْرَ

وكان لفسطاط مصر أبواب في القديم خربت وتجدد لها بعد ذلك أبواب أخر:

## باب الصفا

هذا الباب كان هو في الحقيقة باب مدينة مصر وهو في شمالها<sup>٤</sup>، ومنه تخرج العساكر وتغبر القوافل، وموضعه الآن بالقرب من كوم الجارج، وهديم في أيام الملك الظاهر بيبرس<sup>١</sup>.

## باب الساحل

كان يُقضى بسالكه إلى ساحل النيل القديم، وموضعه قريب من الكبارة<sup>٢</sup>.

## باب مصر

هذا الباب هو الذي بناه قراقوش، ومنه يسلك الآن من دخل إلى مدينة مصر من الطريق التي تُعرف بالمراعة، وهو مجاور للكوم الذي يُقال له كوم المشانيق ويُعرف اليوم بالكبارة. وكان موضع هذا الباب غامراً بماء النيل؛ فلما انحسر الماء عن ساحل مصر، صار الموضع المعروف

(e) بولاق: وهي في كمالها.

<sup>١</sup> يرى كازانوف أن مكان باب الصفا موضع الباب الواقع قبل نقطة اتصال سور صلاح الدين بمجرى العيون، وعليه كتابة تاريخية ترجع إلى عهد السلطان الأشرف قايتباي نصها: «أمر بإنشاء هذا الباب المبارك مولانا ومالك رقابنا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره، في شهر ربيع الآخر سنة... وثمانين وثمان مائة». حيث أمر الأشرف قايتباي بإعادة بناء الباب في موضعه القديم بعد بناء مجرى العيون، وكان يوجد بجوار هذا الباب سبيل أقامه أيضاً

السلطان قايتباي ولكنه أزيل عند إعادة تخطيط هذه المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر. وكان ينتهي عند باب الصفا، دزب الصفا الذي كان امتداداً للشارع الأعظم الذي يبدأ من باب زويلة. (Casanova, P., *Histoire et description de la Citadelle du Caire*, pp. 545-47).

<sup>٢</sup> كانت الكبارة أو كوم المشانيق تقع عند بداية طريق المراغة التي تكونت بعد انحسار مياه النيل خلف قصر الشمع الحالي.



بالمراغة والموضع المعروف بغيط الجُزف إلى مَوْرَدَة الحَلْفَاء، فَضَاءً لا يصل إليه ماء النيل  
ألبتة<sup>١</sup>.

فَأَحَبَّ السُّلْطَانُ صَلَاحَ الدِّينِ يُوْسُفَ بنِ أَيُّوبَ أن يُدِيرَ سُورًا يَجْمَعُ فِيهِ القَاهِرَةَ ومِصرَ وَقَلْعَةَ  
الجَبَلِ، فزَادَ فِي سُورِ القَاهِرَةِ، عَلَى يدِ قَرَاوِشَ، من بَابِ القَنْطَرَةِ إِلَى بَابِ الشُّعْرِيَّةِ وَإِلَى بَابِ  
البَحْرِ؛ يُرِيدُ أن يَمُدَّ السُّورَ من بَابِ البَحْرِ إِلَى الكُومِ الأَحْمَرِ - الَّذِي هُوَ اليَوْمَ حَاقَةَ خَلِيجِ  
مِصرَ تَجَاهَ نَحْطِ بَيْنَ الرُّقَاقِينَ - لِيَصِلَهُ أَيْضًا من الكُومِ الأَحْمَرِ إِلَى بَابِ مِصرَ هَذَا، فلم يَتَهَيَّأْ  
لَهُ ذَلِكَ<sup>(a)</sup>، وانْقَطَعَ السُّورُ عِنْدَ جَامِعِ المَقْسِ. وَزَادَ فِي سُورِ القَاهِرَةِ أَيْضًا من بَابِ النُّصْرِ  
إِلَى قَلْعَةِ<sup>(b)</sup> الجَبَلِ فلم يَكْمُلْ لَهُ، وَمَدَّ السُّورَ من قَلْعَةِ الجَبَلِ إِلَى بَابِ القَنْطَرَةِ خَارِجَ<sup>(b)</sup> مِصرَ،  
فَصَارَ هَذَا البَابُ غَيْرَ مُتَّصِلٍ بِالسُّورِ<sup>٢</sup>.

### بَابُ القَنْطَرَةِ

هَذَا البَابُ فِي قِبْلِي مَدِينَةِ مِصرَ، عُرِفَ بِقَنْطَرَةِ بَنِي وَايِلِ الَّتِي كَانَتْ هُنَاكَ، وَهُوَ أَيْضًا من بِنَاءِ  
قَرَاوِشِ<sup>٣</sup>.

(a) بولاق : هذا . (b-b) ساقط من آياصوفيا .

<sup>١</sup> كان باب مصر على مقربة من قصر الشمع، وقد استفاد قراقوش من برجى قصر الشمع ليقيم بينهما بآباء، فالجدار الذي يصل بين هذين البرجين استخدم في بنائه الأحجار الضخمة، وهي طريقة مخالفة تمامًا لطريقة بناء البرجين وتذكرنا بالطريقة التي بنى بها قراقوش أسوار القاهرة. وكانت توجد وسط هذا الجدار مكان كتابة تاريخية فقدت

اليوم، يرى كازانوفاً أنها ليست سوى الكتابة التاريخية الخاصة  
بباب مصر (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 547-49).

<sup>٢</sup> فيما يلي ٢٦٤ - ٢٦٥.

<sup>٣</sup> كان باب القنطرة يقع عند نقطة التقاء السور الغربي  
بالسور الجنوبي (Casanova, P., *op.cit.*, pp. 549-51).



## / ذِكْرُ قَاهِرَةِ الْمُعِزِّ (a)

اعْلَمْ أَنَّ «الْقَاهِرَةَ الْمُعِزِّيَّةَ» رَابِعُ مَوْضِعٍ انْتَقَلَ سَرِيْرُ السُّلْطَنَةِ إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ فِي الدَّوْلَةِ  
الإسلامية، وذلك أَنَّ الإِمَارَةَ كَانَتْ بِمَدِينَةِ الْفُسْطَاطِ، ثُمَّ صَارَ مَحَلُّهَا الْعَشْكَرُ خَارِجَ الْفُسْطَاطِ،  
فَلَمَّا عُمِّرَتِ الْقَطَائِعُ صَارَتْ دَارَ الإِمَارَةِ إِلَى أَنْ خَرِبَتْ؛ فَسَكَنَ الْأَمْرَاءُ بِالْعَشْكَرِ إِلَى أَنْ قَدِمَ الْقَائِدُ  
جَوْهَرُ بَعْسَاكِرِ مَوْلَاهُ الإِمَامِ الْمُعِزِّ لَدَيْنَ اللَّهِ مَعَدًّا، فَبَنَى الْقَاهِرَةَ حِصْنًا وَمَعْقِلًا بَيْنَ يَدَيْ الْمَدِينَةِ،  
وَصَارَتْ الْقَاهِرَةُ دَارَ خِلَافَةِ يَنْزِلِهَا الْخَلِيفَةُ بِحَرَمِهِ وَخَوَاصُّهُ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ؛  
فَسَكَنَهَا مِنْ بَعْدِهِمُ السُّلْطَانُ صَلاَحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ، وَابْنُهُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عُثْمَانُ، وَابْنُهُ  
الْمَلِكُ الْمُتَّصِرُ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ، وَابْنُهُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدٌ وَانْتَقَلَ  
مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، فَسَكَنَهَا بِحَرَمِهِ وَخَوَاصُّهُ، وَسَكَنَهَا الْمُلُوكُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى يَوْمِنَا  
هَذَا.

فَصَارَتْ الْقَاهِرَةُ مَدِينَةً سُكْنَى، بَعْدَ مَا كَانَتْ حِصْنًا يُعْتَقَلُ بِهِ وَدَارَ خِلَافَةٍ يُلْتَجَأُ إِلَيْهَا، فَهَانَتْ  
بَعْدَ الْعِزِّ، وَابْتَدَلَتْ بَعْدَ الْإِحْتِرَامِ. وَهَذَا شَأْنُ الْمُلُوكِ، مَا زَالُوا يَطْمِسُونَ آثَارَ مَنْ قَبْلَهُمْ وَيُمِيتُونَ  
ذِكْرَ أَعْدَائِهِمْ، فَقَدْ هَدَمُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ أَكْثَرَ الْمُدُنِ وَالْحُصُونِ، وَكَذَلِكَ كَانُوا أَيَّامَ الْعَجَمِ وَفِي  
جَاهِلِيَةِ الْعَرَبِ، وَهَمَّ عَلَى ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْإِسْلَامِ، فَقَدْ هَدَمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ صَوْمَعَةَ غَمْدَانَ وَهَدَمَ  
الأطام التي كانت بالمدينة، وقد هدمَ زيادُ كُلَّ قَصْرٍ وَمُضَنَعٍ كَانَ لِابْنِ عَامِرٍ، وَقَدْ هَدَمَ بَنُو الْعَبَّاسِ  
مُدُنَ الشَّامِ لِبَنِي مَرْوَانَ.

[الكامل]

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِقَاعَ وَجَدْتَهَا تَشْقَى كَمَا تَشْقَى الرِّجَالُ وَتَشْعَدُ  
وسياتي من أخبار القاهرة والكلام على خبطها وآثارها، ما تنتهي إليه قُدْرَتِي وَيَصِلُ إِلَى  
مَعْرِفَتِهِ عِلْمِي، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ.

(a) بولاق: ذكر القاهرة قاهرة المعز لدين الله.



ذكر ما قيل في نسب خلفاء الفاطميين بسنة القاهرة<sup>١</sup>

اعلم أن القوم كانوا ينتسبون<sup>(a)</sup> إلى الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام<sup>(b)</sup>. والناس فريقان في أمرهم: ففريقٌ يُثبت صحة ذلك، وفريقٌ يمنعه وينفيهم عن رسول الله ﷺ، ويَزْعَم أنهم اذعياء من ولد ذئبان الثنوي<sup>(c)</sup> الذي يُنسب إليه الثنوية<sup>(d)</sup>، وأن ذئبان كان له ابن اسمه ميمون القداح كان له مذهبٌ في الغلو، فولد ميمون عبد الله، وكان<sup>(e)</sup> عالماً بجميع الشرائع والسنن والمذاهب، وأنه رتب سبع دَعَوَات يندرج الإنسان فيها حتى ينحل عن الأديان كلها، ويصير مُعْطَلاً إباحياً لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً، ويرى أنه وأهل نحلته على هدى وجميع من خالفهم أهل ضلالة؛ وأنه قصد بذلك أن يجعل له أتباعاً، وكان يدعو إلى الإمام من آل البيت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وأنه كان من الأهواز، فاشتهر بالعلم والتشيع، وصار له

(a) بولاق: ينسبون. (b) بولاق: رضي الله عنهما. (c) بولاق: البوني. (d) بولاق: البونة. (e) بولاق: وكان عبد الله.

١٠٨، وانظر المقرئزي: اتعاظ الحنفا ١: ٢٢-٣٤. وخذ المقرئزي في «الاتعاظ» المصدر الذي استمد منه هذه المعلومات، فذكر أنه وجدها أولاً في مجلد يشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الفاطميين تأليف الشريف أبي الحسين محمد بن علي بن الحسين المعروف بأخي مُخِين، وأضاف أنه كتاب مفيد. ثم وجد بعد ذلك في كتاب «الفهرست» لابن النديم هذا الكلام بنصه منسوبة إلى أبي عبد الله بن رزام وأنه ذكره في كتابه الذي رد فيه على الإسماعيلية، وأورده في «الاتعاظ» اعتماداً على ابن النديم (اتعاظ ١: ٢٢-٢٣) وهو في الفهرست بين صفحتي ٢٣٨-٢٤٠؛ وقد أعاد المقرئزي ذكر ذلك فيما يلي ٣١٧-٣١٨ تحت عنوان: ابتداء هذه الدعوة، وانظر كذلك النويري: نهاية الأرب ٢٥: ١٨٩-٢٢٣، ٢٣٥-٢٤١، ٢٤٦-٣١١؛ وابن أبيك: كتر الدرر ٦: ٦-٢١ اللذين أوردا رواية أخي مُخِين.

<sup>١</sup> راجع حول مناقشة نسب الفاطميين وما قيل فيه والاختلاف حوله Ivanow, W., *Ismaili Tradition concerning the Rise of the Fatimids*, London 1942; id., *El<sup>2</sup> art. Isma'iliya Suppl.* pp. 105-109; id., *The Alleged Founder of Isma'ilism*, Bombay 1947; Lewis, B., *The Origins of Isma'ilism: A Study of the Historical Background of the Fatimid Caliphate*, Cambridge 1940 العربية خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب، القاهرة Madlung, W., *El<sup>2</sup> art. Isma'iliyya IV*, (١٩٤٧) pp. 206-15; Daftary, F., *The Isma'ili their History and Doctrines*, Cambridge 1990, 95 محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية - تاريخها، نظمها، عقائدها، القاهرة ١٩٥٩؛ المهدي عبد الله: في نسب الخلفاء الفاطميين، تقديم حسين بن فيض الله الهمداني، القاهرة - الجامعة الأمريكية ١٩٥٨؛ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر - تفسير جديد، ١٠٠-



دُعَاةً ، وَقَصِدَ بِالْمَكْرُوهِ ، فَفَرَّ إِلَى الْبَصْرَةِ فَاشْتَهَرَ أَمْرُهُ ، وَسَارَ مِنْهَا إِلَى سَلْمِيَّةَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ <sup>١</sup> ، فَوُلِدَ لَهُ بِهَا ابْنٌ اسْمُهُ أَحْمَدُ وَمَاتَ <sup>٢</sup> .

فَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ أَحْمَدُ ، وَبَعَثَ بِالْحُسَيْنِ الْأَهْوَازِيِّ دَاعِيَةً إِلَى الْعِرَاقِ ، فَلَقِيَ أَحْمَدَ بْنَ الْأَشْعَثِ - الْمَعْرُوفَ بِقَزَمَطَ - فِي سَوَادِ الْكُوفَةِ ، وَدَعَاهُ إِلَى مَذْهَبِهِ فَأَجَابَهُ ، وَقَامَ هُنَاكَ بِالْأَمْرِ . وَإِلَى قَزَمَطَ هَذَا تُنْسَبُ الْقَرَامِطَةُ <sup>٣</sup> .

وَوُلِدَ لِأَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ الْحُسَيْنِيِّ وَمُحَمَّدَ الْمَعْرُوفَ بِأَبِي الشَّلْعَلَعِ . فَلَمَّا مَاتَ أَحْمَدُ تَخَلَّفَهُ ابْنُهُ الْحُسَيْنُ فِي الدَّعْوَةِ حَتَّى مَاتَ ، فَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ أَبُو الشَّلْعَلَعِ . وَكَانَ لِأَحْمَدَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَلَدٌ اسْمُهُ سَعِيدٌ فَصَارَ تَحْتَ حِجْرِ عَمِّهِ ، وَبَعَثَ أَبُو الشَّلْعَلَعِ بِدَاعِيَيْنِ إِلَى بِلَادِ <sup>٤</sup> الْمَغْرِبِ ، وَهُمَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَخُوهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ، فَتَزَلَا فِي الْبَرْبَرِ وَدَعَوْهَا <sup>٥</sup> .

وَاشْتَهَرَ سَعِيدٌ بِسَلْمِيَّةَ بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ ، وَكَثُرَ مَالُهُ فَطَلَبَهُ <sup>٦</sup> السُّلْطَانُ ، فَفَرَّ مِنْ سَلْمِيَّةَ إِلَى مِصْرَ يَرِيدَ الْمَغْرِبَ ؛ وَكَانَ عَلَى مِصْرَ عَيْسَى النُّوشَرِيّ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَغْدَادِ <sup>٧</sup> بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ فَقَاتَهُ ، وَصَارَ بِسِجْلِمَاسَةَ فِي زِيِّ التَّجَارِ . فَبَعَثَ الْمُعْتَصِمُ مِنْ بَغْدَادَ فِي طَلْبِهِ ، فَأُخِذَ وَحُبِسَ حَتَّى أُخْرِجَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشُّيعِيُّ مِنْ مَحْبِسِهِ . فَتَسَمَّى حَنِيفِيًّا بِعُبَيْدِ اللَّهِ <sup>٨</sup> ، وَتَكَوَّنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ ، وَصَارَ إِمَامًا عَلَوِيًّا مِنْ وَلَدِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ، وَإِنَّمَا هُوَ سَعِيدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ بْنِ دِيصَانَ الشُّوَيْ <sup>٩</sup>

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : قطالبه . (c) بولاق : ببغداد . (d) بولاق : البوني .

*Midiaeval Ismaili History and Thought*, Cambridge 1996, pp. 21-73; id., *El* <sup>2</sup> art. *Karmatî III*, pp. 687-92; Daftary, F., «A Major Schism in the Early Isma'ili Movements», *SI* 77 (1993), pp. 123-39.

<sup>٤</sup> ابن النديم : الفهرست ٢٣٨ ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢٥ : ١ - ٢٦ .

<sup>٥</sup> تذكر المصادر الشيعية اسم مؤسس الدولة الفاطمية بشمال إفريقيا بصيغة التصغير (عبيد الله) كنوع من التقليل من شأنه ، بينما تذكره المصادر الإسماعيلية باسم «عبد الله» ، وهكذا ورد اسمه على النقود المضروبة في عهده .

<sup>١</sup> عن مدينة سلمية وأهميتها في تاريخ الحركة الإسماعيلية راجع ، Halm, H., «Les Fatimides à Salamiya», *REI* LIV (1986), pp. 133-44; Daftary, F., *El* <sup>2</sup> art. *Salamiyya VIII*, pp. 952-55.

<sup>٢</sup> ابن النديم : الفهرست ٢٣٨ ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢٥ : ١ - ٢٦ .

<sup>٣</sup> راجع عن القرامطة ، Stern, S. M., «Isma'ilis and Qarmatians», *L'élaboration de l'Islam*, Presses Universitaires de France 1961, pp. 99-108; Madelung, W., «The Fatimids and the Qarmatis of Bahrayn» in Daftary, F., (ed.),



الأهوازي، وأصله من المجوس؛ فهذا قول من يُنكر نسبهم<sup>١</sup>.

وبعض مُنكري نسبهم في العلوية يقول: إنَّ عبيد الله من اليهود، وإنَّ الحسين بن أحمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية، كان لها ابن من يهودي حداد مات وتركه لها، فزناه الحسين وأدبه وعلمه، ثم مات عن غير ولد فعهد إلى ابن امرأته هذا، فكان هو عبيد الله المهدي! وهذه أقوال إن أنصفت تبين لك أنها موضوعة، فإنَّ بني علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة، فما الحامل لشيعتهم على الإغراض عنهم والدعاء لابن مجوسي أو لابن يهودي، فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف.

وإنما جاء ذلك من قتل ضعفة خلفاء بني العباس عندما عُصوا بمكان الفاطميين، فإنهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحوًا من مائتين وسبعين سنة، وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة. وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتنفير الكافة عنهم بإشاعة الطعن في نسبهم، وبث ذلك عنهم خلفاؤهم، وأعجب به أولياؤهم وأمرء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن أنفسهم وسلطانهم معزة العجز عن مقاومتهم، ودفعهم عما غلبوا عليه من بلاد<sup>(a)</sup> مصر والشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد. وأسجل القضاء بنفهم من نسب العلويين، وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة، منهم الشريفان الرضي والمرتضى وأبو حامد الإسفراييني والقُدوري في عدة وافرة، عندما جمعوا لذلك، في سنة اثنتين وأربع مائة، أيام القادر<sup>٢</sup>.

وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع، لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد، وأهلها إنما هم شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب، والمتطهرون من بني علي بن أبي طالب، الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة. فنقل الإخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه،

(a) بولاق: ديار.

<sup>١</sup> المقرئزي: اتعاظ الحنفا ١: ٢٨. المقرئزي: اتعاظ الحنفا ١: ٣١-٣٤، ٤٧-٤٩، أبا

<sup>٢</sup> عن هذا المحضّر راجع، ابن الجوزي: المنتظم المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٢٢٩.

٧: ٢٥٥-٢٥٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٩: ٢٣٦؛



وَرَوَاهُ حَسْبُ مَا يُلَقَّنُوهُ<sup>(a)</sup> مِنْ غَيْرِ تَدْبِيرٍ . وَالْحَقُّ مِنْ وَرَاءِ هَذَا ، وَكَفَاكَ بَكْتَابِ الْمُعْتَصِدِ مِنْ خَلَائِفِ  
بَنِي الْعَبَّاسِ حُجَّةً ، فَإِنَّهُ كَتَبَ فِي شَأْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى ابْنِ الْأَغْلَبِ بِالْقَيْرَوَانِ وَابْنِ مِذْرَارِ بِسِجِلْمَاسَةَ  
بِالْقَبْضِ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ .

فَنَفْطَنُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لَصِيحَّةُ هَذَا الشَّاهِدِ ، فَإِنَّ الْمُعْتَصِدَ لَوْ لَا صِيحَّةُ نَسَبِ عُبَيْدِ اللَّهِ عِنْدَهُ مَا  
كَتَبَ لِمَنْ ذَكَرْنَا بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ . إِذِ الْقَوْمُ حِينئِذٍ لَا يَدْعُونَ لِدَعْوِي الْبَيْتَةِ ، وَلَا يُذْعِنُونَ لَهُ بِوَجْهِهِ ، وَإِنَّمَا  
يُنْقَادُونَ لِمَنْ كَانَ عَلَوِيًّا . فَخَافَ مِمَّا وَقَعَ ، وَلَوْ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْأَدْعِيَاءِ لَمَّا مَرَّ لَهُ بِفِكْرٍ ، وَلَا خَافَهُ  
عَلَى صَيِّعَةٍ مِنْ ضِيَاعِ الْأَرْضِ .

وَإِنَّمَا كَانَ الْقَوْمُ - أَعْنِي بَنِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - تَحْتَ تَرْقُبِ الْخَوْفِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لِتَطْلُبِهِمْ لَهُمْ فِي كُلِّ  
وَقْتٍ ، وَقَصْدِهِمْ إِيَّاهُمْ دَائِمًا بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِقَابِ ، فَصَارُوا مَا بَيْنَ طَرِيدٍ شَرِيدٍ وَبَيْنَ خَائِفٍ يَتَرَقَّبُ . وَمَعَ ذَلِكَ  
فَإِنَّ لَشِيْعَتِهِمُ الْكَثِيرَةَ الْمُنْتَشِرَةَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، فِيهِمْ مِنَ الْمَحَبَّةِ لَهُمْ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِمْ ، مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ .  
وَتَكَرَّرَ قِيَامُ الرِّجَالِ مِنْهُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَالطَّلَبُ عَلَيْهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَلَاذُوا بِالِاخْتِيفَاءِ وَلَمْ  
يَكَادُوا يُعْرَفُونَ ، حَتَّى سُمِّيَ<sup>(b)</sup> مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامَ ، جَدَّ عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ ، بِالْمَكْتُومِ ؛  
سَمَّاهُ بِذَلِكَ الشَّيْعَةَ عِنْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى إِخْفَائِهِ حَذْرًا مِنَ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهِمْ .

وَكَانَتِ الشَّيْعَةُ قَدْ صَارُوا<sup>(c)</sup> فِرْقًا : فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَ مِنْ وَوَلَدِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ هُوَ  
إِسْمَاعِيلُ ابْنُهُ ، وَهُؤُلَاءِ يُعْرَفُونَ مِنْ بَيْنِ فِرْقِ الشَّيْعَةِ بِـ «الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ» مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِمَامَ مِنْ  
بَعْدِ جَعْفَرِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلُ ، وَأَنَّ الْإِمَامَ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ بْنُ جَعْفَرِ الصَّادِقِ هُوَ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْمَكْتُومُ ، وَبَعْدَ  
مُحَمَّدِ الْمَكْتُومِ ابْنُهُ جَعْفَرُ الْمُصَدِّقِ<sup>(d)</sup> وَمَنْ بَعْدَ جَعْفَرِ الْمُصَدِّقِ<sup>(d)</sup> ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَبِيبِ . وَكَانُوا أَهْلَ غُلُوٍّ  
فِي دَعَاوِيهِمْ فِي هَؤُلَاءِ الْأَيَّامِ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ هَذَا يُؤَمِّلُ ظُهُورَهُ ، وَأَنَّهُ يَصِيرُ لَهُ دَوْلَةٌ .

وَكَانَ بِالْيَمَنِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمَذْهَبِ كَثِيرٌ بَعْدَ بَعْدَانِ وَيَافِرِيْقِيَّةٌ وَفِي كُتَامَةِ وَنَقْرَةَ ، تَلَقُّوا ذَلِكَ مِنْ  
عَهْدِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ . فَقَدِمَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَالِدِ عُبَيْدِ اللَّهِ - رَجُلٌ مِنْ شِيْعَتِهِ  
بِالْيَمَنِ ، فَبَعَثَ مَعَهُ الْحُسَيْنَ بْنَ حَوْشَبِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَمِائَتِينَ ، فَأَظْهَرَ أَمْرَهُمَا بِالْيَمَنِ ،  
وَأَشْهَرَ الدَّعْوَةَ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ ، وَصَارَ لِابْنِ حَوْشَبِ دَوْلَةٌ بِصَنْعَاءَ<sup>(1)</sup> ، وَبَثَّ الدَّعَاةَ بِأَقْطَارِ

(a) بولاق : تلقوه . (b) بولاق : تسمى . (c) قد صاروا : ساقطة من بولاق . (d) بولاق : الصادق .

<sup>1</sup> عن ابن حَوْشَبِ والدعوة الإسماعيلية في اليمن راجع ، القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ٣٢-٦٣ ، ١٤٩-١٥٠ =



الأرض ، وكان من جملة دُعواته أبو عبد الله الشيعي ، فسَيَّرَه إلى المغرب فلقي كُتامة ودعاهم <sup>١</sup> .  
 فلَمَّا ماتَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَهْدَ لابنه عبيد الله ، فَطَلَبَهُ الْمُكْتَفِي الْعَبَّاسِي ، وَكَانَ يَسْكُنُ عَشْرَ  
 مُكْرَم ، فَسَارَ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ .  
 وَكَانَتْ رِجَالُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الَّذِينَ قَامُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ وَدِيَارِ مِصْرَ <sup>(a)</sup> عَشْرَ رِجَالًا . هَذِهِ  
 خُلَاصَةُ أَخْبَارِهِمْ فِي أَنْسَابِهِمْ ، فَتَفَطَّنْ وَلَا تَغْتَرَّ بِزُخْرُفِ الْقَوْلِ الَّذِي لَفَّقُوهُ مِنَ الطَّعْنِ فِيهِمْ ، وَاللَّهُ  
 يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .

### ذِكْرُ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ

وَكَانَ ابْتِدَاءُ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ <sup>٢</sup> أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ زَكَرِيَاءَ الشَّيْعِي ،  
 سَارَ إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ فَرَجِ بْنِ حَوْشَبِ الْكُوفِيِّ الْقَائِمِ بِبِلَادِ الْيَمَنِ ، وَصَارَ مِنْ كِبَارِ  
 أَصْحَابِهِ وَلَهُ عِلْمٌ وَعِنْدَهُ دَهَاءٌ وَمَكْرٌ <sup>٣</sup> . فَوَرَدَ عَلَى ابْنِ حَوْشَبِ مِنَ الْمَغْرِبِ خَبْرٌ مَوْتِ الْحَلْوَانِيِّ  
 دَاعِيَةِ الْمَغْرِبِ <sup>(b)</sup> وَرَفِيقِهِ ، فَقَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِي : قَدْ حَرَّثَ الْحَلْوَانِيُّ وَأَبُو سُفْيَانَ <sup>(c)</sup> بِلَادَ  
 الْمَغْرِبِ وَقَدْ مَاتَا ، وَلَيْسَ لِلْبِلَادِ إِلَّا أَنْتَ فَإِنَّهَا مُوطَأَةٌ مُمَهَّدَةٌ .

فَخَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَقَصَدَ مُحَجَّاجَ كُتَامَةَ فَجَلَسَ قَرِيبًا مِنْهُمْ ، وَسَمِعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ  
 بِفَضَائِلِ الْبَيْتِ فَحَدَّثَهُمْ فِي مَعْنَاهُ ، فَمَالُوا إِلَيْهِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي زيارته ، فَلَمَّا زاروه سَأَلُوهُ  
 عَنْ مَقْصِدِهِ ، فَلَمْ يُخْبِرْهُمْ وَأَوْهَمَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ مِصْرَ ، فَسُرُّوا بِصُحْبَتِهِ وَرَحَلُوا وَهُوَ رَفِيقُهُمْ / ،

(a) بياض بالأصل . (b) بولاق : داعيه في المغرب . (c) بولاق : أبو يوسف .

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٢: ١٠-١٢ .  
<sup>٢</sup> في إطار مؤلفات المقرئ الذي عرَّض فيها لتسلسل  
 أحداث تاريخ مصر الإسلامية ، خصَّ المقرئ الفترة التي  
 أصبحت فيها مصر خلافةً مستقلةً تناوَى الخلافة العباسية ،  
 وهي فترة الخلافة الفاطمية في مصر (٣٥٨-٥٦٧هـ / ٩٦٩-  
 ١١٧١م) ، بكتابه «أعطاء الخنقا بأخبار الأئمة الفاطميين  
 الخلفاء» .

= عماد الدين إدريس : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ٥٩-  
 ٧٨ ؛ حسين الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية في  
 اليمن ، القاهرة ١٩٥٥ ، ٢٩-٤٨ ؛ أمين فؤاد سيد : تاريخ  
 المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، القاهرة ١٩٨٨ ، ٩١-٩٦ ؛  
 Halm, H., «Die Sîrat Ibn Hawshab : Ismailitische  
 Da'wa in Jemen und die Fatimiden», *Die Welt  
 des Orients* XII (1981), pp. 108-35; Madelung,  
 W., *El* art. *Mansûr al-Yaman* VI, pp. 424-25



فشاهدوا من عِبَادَتِهِ وَزُهْدِهِ مَا زَادَهُمْ رَغْبَةً فِيهِ . هَذَا وَهُوَ يُسْأَلُهُمْ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ حَتَّى صَارَ يَعْرِفُ جَمِيعَ أُمُورِهِمْ .

فَلَمَّا وَصَلُوا مِصْرَ ، هَمَّ بِمُفَارَقَتِهِمْ ، فَقَالُوا : أَيُّ شَيْءٍ تَطْلُبُ مِنْ مِصْرٍ ؟ فَقَالَ : أَطْلُبُ التَّعْلِيمَ بِهَا ؛ فَقَالُوا : إِذَا كَانَ قَصْدُكَ هَذَا فَبَلَادُنَا أَنْفَعُ لَكَ ؛ وَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى سَارَ مَعَهُمْ .

٥ فَلَمَّا وَصَلُوا بِلَادَهُمْ اقْتَرَعُوا فِيمَنْ يُضَيِّفُهُ مِنْهُمْ وَمِنْ بَقِيَةِ أَصْحَابِهِمْ ، وَوَصَلُوا بِهِ أَرْضَ كُتَامَةَ لِلنِّصْفِ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَكَادُوا يَحْتَرِبُونَ عَلَيْهِ أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عِنْدَهُ ؛ فَأَتَى أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُمْ ، وَقَالَ : أَيْنَ يَكُونُ فَجَّ الْأَخْيَارِ ؟ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ إِذْ لَمْ يَكُونُوا ذَكَرُوهُ لَهُ قَطُّ ، فَدَلَّوهُ عَلَيْهِ . فَسَارَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَذَا فَجَّ الْأَخْيَارِ ، وَمَا سُمِّيَ إِلَّا بِكُمْ . وَلَقَدْ جَاءَ فِي الْآثَارِ «لِلْمَهْدِيِّ هِجْرَةٌ تَنْبُو<sup>(a)</sup>» عَنِ الْأَوْطَانِ يَنْصُرُهُ فِيهَا الْأَخْيَارُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، قَوْمٌ اسْمُهُمْ مُشْتَقٌّ مِنَ الْكِثْمَانِ . وَبِخُرُوجِكُمْ فِي هَذَا الْفَجِّ سُمِّيَ فَجَّ الْأَخْيَارِ<sup>١</sup> .

١٠

فَتَسَامَعَتْ بِهِ الْقِبَائِلُ وَأَتَوْهُ ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ وَهُوَ لَا يَذْكُرُ اسْمَ الْمَهْدِيِّ الْبَيْتَةَ .

فَبَلَغَ خَبْرَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَغْلَبِ أَمِيرَ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَبَعَثَ يَسْأَلُ عَنْ خَبْرِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَعَهُ قِصَصٌ آلَتْ إِلَى قِيَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَمُحَارَبَتِهِ لِمَنْ خَالَفَهُ ، فَظَفِرَ بِهِمْ وَصَارَتْ إِلَيْهِ أَمْوَالُهُمْ ، وَغَلَبَ عَلَى مَدَائِنَ ، وَهَزَمَ جُيُوشَ ابْنِ الْأَغْلَبِ ، وَقَتَلَ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِهِ<sup>٢</sup> .

(a) ساقطة من بولاق .

Leiden-Brill 1995; Brett, M., *The Rise of the Fatimids. The World of The Mediterranean and the Middle East in the Tenth Century CE*, Leiden-Brill 2001.

<sup>٢</sup> راجع عن الدولة الأغلبية التي أسقطها الفاطميون سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م دراسة محمد الطالبي الهامة Talbi, M., *L'Émirat Aghlabide 184-296/ 800-909. Histoire politique*, Paris 1966 (نقله إلى العربية المنجي الصيادي بعنوان: الدولة الأغلبية ١٨٤-٢٩٦ / ٨٠٠-٩٠٩، التاريخ السياسي، بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٥؛ محمود إسماعيل: الأغالبة، القاهرة ١٩٧٢).

<sup>١</sup> المصدر الأصلي لهذا النص هو «رسالة افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان ٧٣، كما ورد عند ابن الأثير: الكامل ٨: ٣٣؛ ابن خلدون: العبر ٤: ٣٢؛ المقرئ: اتعاظ الخنفا ١: ٥٥-٥٧، وفيما يلي ٢: ١١؛ وانظر عن الفاطميين في شمال إفريقيا Talbi, M., *L'Émirat Aghlabide 184-296/ 800-909. Histoire politique*, Paris 1966, pp. 623-99; Dachraoui, F., *Le Califat fatimide au Maghreb 296-362/909-973; Histoire politique et institutions*, Tunis STD 1981; Halm, H., *The Empire of the Mahdi- The Rise of the Fatimids*, translated from the German by Michael Bonner,



فمات إبراهيم بن الأغلّب ، ووليّ زيادةً الله بن الأغلّب ، وكان كثيرَ اللّهُو ، فقوي أمرُ أبي عبد الله ، وانتشرت جنودُه في البلاد ، وصارَ يقول : «المهدي يخرج في هذه الأيام ويملك الأرض ، فيا طوبى لمن هاجر إليّ وأطاعني» ، ويُعري الناس بزيادة الله بن الأغلّب ويعيبه ، وكانت أكثرُ خواص زيادة الله شيعةً ، فلم يكن يسوؤهم ظفرُ أبي عبد الله . وأكثر من ذكر كرامات المهدي والإرسال إلى أصحاب زيادة الله ، إلى أن تمكّن فبعثَ برجالٍ من كُتامةٍ إلى سَلَمِيَّة من أرض الشّام ، فقَدِمُوا على عبيد الله وأخبروه بما فتحَ الله عليه - وكان قد اشتهر هناك وطلبه الخليفةُ المكتفي - فخرَج من سَلَمِيَّة فارًّا ، ومعه ابنه أبو القاسم محمّد<sup>(a)</sup> ، ومعهما أموالهما<sup>(b)</sup> ومواليهما فأقاما بمصر مستترين .

فوردت على عيسى التوشري ، أمير مصر ، الكُتُب من بغداد بصفة عبيد الله وجليته ، وأنه يأخذ عليه الطُّرُق<sup>(c)</sup> ويقبضه . فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والأعوان في طلبه . ويقال إن التوشري ظفّر به ، فناشده الله في أمره ، فخلّى عنه ووصله . فسارَ إلى طرابلس وقد سبق خبره إلى زيادة الله ، فسارَ إلى قُسطنطينة<sup>(d)</sup> ، فقديمَ كتابِ زيادة الله بن الأغلّب إلى عامل طرابلس بأخذ عُبيد الله وقد فاتهم فلم يُدر كوه .

فرحلَ إلى سِجِلْماسَة وأقامَ بها ، وقد أُقيمت له المراصدُ بالطُّرقات ، فتلطف باليسع بن مِدرار صاحب سِجِلْماسَة وأهدى إليه ، فكفَّ عنه . ووافاه كتابُ زيادة الله بالقبض على عُبيد الله ، فلم يجد بُدًّا من أن قبضَ عليه وحَبَسَه<sup>(e)</sup> .

واشتغلَ زيادةً الله بجمع العساكر لمحاربة أبي عبد الله وتجهيزهم إليه ، فغلبهم أبو عبد الله وغنم سائر ما معهم ، وقتلَ أكثرهم ، وبلغه ما كان من سجن عُبيد الله ، فكتبَ إليه يُبشِّره ، فوصلَ إليه الكتابُ وهو بالسُّجن مع قصابٍ دخلَ به إليه وهو يبيع اللحم . وما زالَ أبو عبد الله يُضايق زيادة الله إلى أن فرَّ إلى مصر ، وقامَ من بعده إبراهيم بن الأغلّب ، فلم يتمَّ له أمرٌ .

وملكَ أبو عبد الله القَيْروان ، ونزلَ برقادةً مستهلَّ رَجَب سنة ستِّ وتسعين ومائتين ، فأمرَ ونهى ، وبثَّ العُمَّالَ في الأعمال ، وقتلَ من يخاف شرَّه ، وأمرَ فنقشَ على السُّكَّة في أحد الوجهين «بلغت حُجةُ الله» ، وفي الآخر «تفرَّق أعداءُ الله» ، ونقشَ على السُّلاح «عُدَّة في سبيل

(a) في جميع النسخ : أبو القاسم نزار ، وهو خلط بين ابن المهدي وبين أبي القاسم نزار بن المستنصر بالله . (b) بولاق :

أهلها . (c) بولاق : الطريق . (d) بولاق : قسطنطة . (e) بولاق : سجنه .



الله» ، وَوَسَمَ الخَيْلَ على أفخاذها «المَلِكُ اللهُ» ، وَأقامَ على ما كان عليه من لَيْسَ الخَشِينِ الدونِ وتناولَ القليلَ الغَلِيظِ من الطَّعامِ ١ .

فَلَمَّا دَخَلَ شهرُ رَمَضانَ سارَ من رِقَادَةَ في جُيوشٍ عَظِيمَةٍ اهتزَّ لها المغربُ بأسره ، يُريدُ سِجْلَمَاسَةَ ، فحارَبه اليَسْعُ يومًا كامِلًا إلى الليل ، ثم فَرَّ في خاصَّتِه . فدَخَلَ أبو عبد الله من الغَدِ إلى البَلَدِ ، وأَخْرَجَ عُبيدُ اللهِ وابنه ، ومَشَى في رِكابِهِما بِجَمِيعِ رُؤَسَاءِ القَبائِلِ وهو يقول للنَّاسِ : «هذا مَوْلَاكُمْ» ، وهو يَكِي من شِدَّةِ الفَرَحِ ، حتَّى وَصَلَ بهما إلى فُسْطاطِ ضَرْبَتِه في العَشْكَرِ فَأنزَلهما فيه ، وَبَعَثَ الخَيْلَ في طلبِ اليَسْعِ ، فأدرَكته وجاءت به فقتلته ٢ .

وأقامَ عُبيدُ اللهِ بِسِجْلَمَاسَةَ أربعينَ يومًا ، ثم سارَ إلى إفريقيَّةِ في ربيعِ الآخرِ سنة سبعٍ وتسعينَ ، ونَزَلَ بِرِقَادَةَ ، وأمرَ يومَ الجُمُعَةِ أن يُذكَرَ في الخُطْبَةِ ، وتلقَّبَ بـ «المَهْدِيِّ أميرِ المؤمنين» ٣ . فدُعِيَ له في جميعِ البلادِ بذلك ، وجَلَسَ بعد الصَّلَاةِ الدُّعَاةُ ، ودَعَوَا النَّاسَ كافَّةً إلى مَذْهَبِهِم ، فمن أَجابَ قَبْلَ منه ، ومن أباي قَتَلَ . وعَرَضَ جَواري زيادَةَ اللهُ ، واختارَ منهن لنفسه ولولده ، وفَرَّقَ ما بقي على وجوه كُتَّامَةٍ ، وقَسَمَ عليهم أعمالَ إفريقيَّةِ ، ودَوَّنَ الدُّواوينَ ، وجبَى الأموالَ ، ودانت له البلادُ ٤ .

فَشَقَّ ذلكَ على أبي عبد الله ، وناقَسَ المَهْدِي ، وحَسَدَه من أَجلِ أَنَّهُ كَفَّ يده ويدَ أخيه أبي العَبَّاسِ ، فعَظُمَ عليه الفِطامُ عن الأمرِ والنَّهْيِ والأخْذِ والعطاءِ . وأقبلَ أبو العَبَّاسِ يُزْرِي على المَهْدِي في مجلسِ أخيه ، ويؤنَّبُ أخاه على ما فَعَلَ حتَّى أَثَّرَ في نفسه ، فسألَ المَهْدِي أن يجلسَ في القصرِ ويُفَوِّضَ إليه الأمورَ ٥ . وكان قد بَلَغَ المَهْدِي ما يَجْهَرُ به أبو العَبَّاسِ / من الشَّوْءِ في حقِّه ، فردَّ أبا عبد الله ردًّا لطيفًا ، وأَسْرَها في نفسه .

(a) بولاق : أن يفوض إليه الأمور ويجلس في القصر .

الكبير ٤ : ٥٢٣ - ٥٧٠ ، اتعاظ الحنفا ١ : ٦٠ - ٧٣ ؛ حسن

إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي مؤسس

الدولة الفاطمية في المغرب ، القاهرة ١٩٤٨ ، Dachraoui, F., *Le califat fatimide au Maghreb*, Tunis 1981; id., *El art. al-Mahdi ' Ubayd Allâh V*, pp. 1233-34.

٤ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٦٥ - ٦٦ .

١ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٦٠ - ٦٤ .

٢ فيما يلي ٢ : ١١ .

٣ المهدي عبيد الله (عبد الله) أول الأئمة الفاطميين الظاهرين ومؤسس الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا ، راجع أخباره عند ، القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ٢٣١ -

٢٧٦ ؛ ابن ظافر الأزدي : أخبار الدول المنقطعة ٦ - ١٣ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ١٠٠ - ١١٥ ؛ المقرئزي : المقفى



وأكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقدمين بالمهدي ، وقال : ما هذا بالذي كنا نعتقد طاعته وتدعو إليه ؛ لأن المهدي يأتي بالآيات الباهرة . فمال إليه جماعة ، وواجه بعضهم المهدي بذلك ، وقال له : إن كنت المهدي فأظهر لنا آية ، فقد شككنا فيك . فبعث ما بين المهدي وبين أبي عبد الله ، وأوجس كل منهما في نفسه خيفة من الآخر ، وأخذ أبو العباس يدبر في قتل المهدي ، والمهدي يحل ما كان يبرمه ، ثم <sup>(a)</sup> إن المهدي لما ثقل عليه أمر أبي عبد الله وأخيه أبي العباس <sup>(a)</sup> رتب رجالاً لقتلهم <sup>(b)</sup> .

فلما ركب أبو عبد الله وأخوه إلى قصر المهدي ثار بهما الرجال ، فقال أبو عبد الله : لا تفعلوا . فقالوا له : إن الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك . فقتل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة . فثار فتنة بسبب قتلها ، فركب المهدي حتى سكنت ، وتتبع جماعة منهم فقتلهم <sup>١</sup> .

فلما استقام له الأمر ، عهد إلى ابنه أبي القاسم ، وتتبع بني الأغلب فقتل منهم جماعة . وجّه في سنة إحدى وثلاث مائة ابنه أبا القاسم بالعساكر إلى مصر ، فأخذ بركة والإسكندرية والفيوم ، وكانت له مع عساكر مصر وعساكر العراق الواردة إلى مصر مع مؤنس الخادم عدة حروب ، وعاد إلى المغرب <sup>(c)</sup> <sup>٢</sup> .

فجهز المهدي في سنة اثنتين وثلاث مائة حياصة بجيوش إلى مصر ، فغلب على الإسكندرية ، وكان من أمره ما تقدم ذكره <sup>٣</sup> .

وكان للمهدي ببلاد المغرب عدة حروب .

وكان يوجد في الكُتُب خروج أبي يزيد النكاري على دولته . فبني «المهدية» ، وأدار عليها سورًا جعل فيه أبوابًا زينة كل مضراع منها مائة قنطار من حديد ، وكان ابتداء بنائها في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاث مائة ، وبني المصلى بظاهرها وقال : إلى هنا يصل صاحب الحمار - يعني أبا يزيد - فكان كذلك . وأنشأ صناعة فيها تسع مائة شيني <sup>(d)</sup> ، وقال : «إنما

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : الغرب . (d) بولاق : شونة .

<sup>١</sup> المقرئ : اتعاظ الحنفا ١ : ٦٧-٦٨ .  
<sup>٢</sup> عن محاولات الفاطميين المتكررة لفتح مصر راجع ،  
<sup>٣</sup> المقرئ : اتعاظ الحنفا ١ : ٦٨-٦٩ وفيما تقدم ١١٦ .

Lev, Y., «The Fatimid and Egypt 301-358/ 914-

969», Arabica XXXV (1988), pp. 186-196; Halm, H., The Empire of the Mahdi, pp. 196-213.



بَنِيَتْ هَذِهِ لِتَعْتَصِمَ القَوَاطِمُ بِهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ» ، فَكَانَ كَذَلِكَ <sup>١</sup> .

ثُمَّ إِنَّهُ جَهَّزَ ابْنَهُ أَبَا القَاسِمِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِ مِائَةٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى مِصْرَ ، فَأَخَذَ الإسْكَندَرِيَّةَ ، وَمَلَكَ جَزِيرَةَ الأَشْمُونِيِّينَ وَكثِيرًا مِنْ صَعِيدِ مِصْرَ ، وَكَانَتْ لَهُ <sup>٢</sup> هُنَاكَ حُرُوبٌ مَعَ عَسَاكِرِ مِصْرَ وَالعِرَاقِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى المَغْرِبِ .

وَخَرَجَ أَبُو القَاسِمِ فِي سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ بِالجُيُوشِ إِلَى المَغْرِبِ ، فَحَارَبَ قَوْمًا وَعَادَ .  
فَمَاتَ عِيدُ اللَّهِ فِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ مِنتَصَفِ شَهْرِ رَجَبِ الأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ،  
بِالمَهْدِيَّةِ مِنَ القَيْرَوَانِ عَنِ ثَلَاثِ وَسْتِينَ سَنَةٍ . فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا وَعِشْرِينَ  
يَوْمًا ، وَلَمَّا مَاتَ أَخْفَى ابْنُهُ مَوْتَهُ <sup>٣</sup> .

وَقَامَ مِنْ بَعْدِ عِيدِ اللَّهِ المَهْدِيُّ وَلِيُّ عَهْدِهِ «القَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو القَاسِمِ مُحَمَّدٌ» - وَيُقَالُ  
كَانَ اسْمُهُ بِالمَشْرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَتَسَمَّى فِي بِلَادِ المَغْرِبِ بِمُحَمَّدٍ - وَوُلِدَ <sup>٤</sup> بِسَلْمِيَّةَ فِي المَحْرَمِ سَنَةِ  
ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ <sup>٥</sup> . فَلَمَّا قَرَعَ مِنْ جَمِيعِ مَا يُرِيدُهُ وَتَمَكَّنَ ، أَظْهَرَ مَوْتَ أَبِيهِ .

وَاسْتَقَلَّ بِالأَمْرِ وَلَهُ سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَتَبِعَ سِيرَةَ أَبِيهِ ، وَثَارَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَظَفَرُوا بِهِمْ ، وَبَثَّ  
جُيُوشَهُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ فَسَبَّوْا وَغَنِمُوا مِنْ بِلَدِ جَنْوَةَ ، وَبَعَثَ جَيْشًا إِلَى مِصْرَ ، فَمَلَكَوا  
الإسْكَندَرِيَّةَ ، وَالإخْشِيدَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرَ مِصْرَ .

فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِ مِائَةٍ ، خَرَجَ عَلَيْهِ أَبُو يَزِيدَ مُحَمَّدُ بْنُ كَيْدَادِ النُّكَارِيِّ  
المَخَارِجِيِّ بِإفْرِيقِيَّةَ ، وَاسْتَدَّتْ شُوكَتُهُ ، وَكَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ ، وَهَزَمَ جُيُوشَ القَائِمِ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَكَانَ مَذْهَبُهُ  
تَكْفِيرُ أَهْلِ المِلَّةِ وَإِرَاقَةُ دِمَائِهِمْ دِيَانَةً ، فَمَلَكَ بِأَجَّةَ وَحَرَّقَهَا ، وَقَتَلَ الأَطْفَالَ وَسَبَى النُّسْوَانَ ، ثُمَّ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : وذلك .

*capitale de l'Égypte*, pp. 94-102.

<sup>٢</sup> نفسه ١ : ٧٢ .

<sup>٣</sup> القائم بأمر الله الإمام الفاطمي الثاني راجع ترجمته

عند ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ١٤ - ١٧ ؛ النويري :

نهاية الأرب ٢٨ : ١١٥ - ١١٧ ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا

Dachraoui, F., *op.cit.*, id., *El*<sup>٢</sup> art. al- ، ٧٤ - ٨٧ ؛

*Kâ'im bi-amr Allâh* IV, pp. 478-80

<sup>١</sup> المقرئزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٧٠ - ٧١ ، وعن المهديّة

انظر ، Creswell, K. A. C., *MAE* I, pp. 1-10؛

Lézine, A., *Mahdiya-Recherches d'archéologie*

*islamique*, Paris 1965؛ id., «Mahdiya: Quelques

précisions sur la ville» des premiers Fatimides»,

*REI* XXXV (1967), pp. 82-101؛ Golvin, L.,

«Mahdiya à la période fatimide» *ROMM*

XXVII (1979), pp. 75-98؛ Talbî, M., *El*<sup>٢</sup> art.

*Mahdiyya* V, pp. 1236-38؛ Fu'âd Sayyid, A., *La*



ملك القيروان . فاضطرب القائم ، وخاف الناس ، وهموا بالثقله من زويلة <sup>١</sup> .

وقوي أمر أبي يزيد ، ونازل المهديّة وحصر القائم بها ، وكاد أن يغلب عليها . فلما بلغ المصلّي حيث أشار المهدي أنه يصل ، هزّمه أصحاب القائم ، وقتلوا كثيرا من أصحابه . وكانت له قصص وأنباء ، إلى أن مات القائم لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة عن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهر ، ولم يرق منبرًا ، ولا ركب دابةً لصيد مدة خلافته حتى مات ، وصلى مرّة على جنازة ، وصلى بالناس العيد مرّة واحدة <sup>٢</sup> .

وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة وستة أشهر وأيامًا ، وترك أبا الطاهر إسماعيل وأبا عبد الله جعفرًا وحمزة وعدنان وعدة آخر .

وقام من بعده ، ابنه «المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل» <sup>٣</sup> ، وكنتم موت أبيه خوفًا أن يعلم أبو يزيد فإنه كان قريبًا منه ، وأبقى الأمور على حالها ، ولم يتسم بالخليفة ، ولا غير السكّة ولا الخطبة ولا البنود ، وجدّ في حزب أبي يزيد حتى ظفّر به ، وحمل إليه ، فمات من جراحات كانت به سلخ المحرم سنة ست وثلاثين وثلاث مائة .

ولم يزل المنصور إلى أن مات سلخ شوال سنة إحدى وأربعين وثلاث مائة ، عن إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر . وكانت مدة خلافته ثمان سنين ، وقيل سبع سنين وعشرة أيام . وقد اختلف في تاريخ ولادته : فقيل ولد أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاث مائة بالمهديّة ، وقيل

art. *Abû Yazîd al-Nukkârî* I, pp. 167-69; Dachraoui, F., *op.cit.*, pp. 165-82, 188-205; Halm, H., *op.cit.*, pp. 298-325; id., «Der Mann auf den Esel. Der Aufstand des Abu Yazid gegen die Fatimiden nach einem Augenzeugenbericht», *Die Welt des Oriens* XV (1984), pp. 144-204.

<sup>٢</sup> المقرئزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٨٦ .

<sup>٣</sup> المنصور بنصر الله الإمام الفاطمي الثالث ، راجع أخباره عند ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ١٨ - ٢٠ ، التومري : نهاية الأرب ٢٨ : ١١٧ - ١١٩ ؛ المقرئزي : المقفى الكبير ٢ : ١٢٩ - ١٨٠ ، اتعاظ الحنفا ١ : ٨٨ - ٩٢ ؛ Dachraoui, F., *op.cit.*; id., *El<sup>2</sup> art. al-Mansûr bi-Llâh* VI, pp. 419-21.

<sup>١</sup> أبو يزيد مخلد بن كنداد الشكاري المعروف بصاحب الحمار قاد ثورة ضد الحكم الفاطمي في شمال إفريقيا واكتسب تأييد أهل السنة ، والمالكية على وجه الخصوص ، وقضى على ثورته المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٨م (راجع عنه ، القاضي النعمان : المجالس والمسائرات ، مواضع متفرقة ؛ ابن الأثير : الكامل ٨ : ٤٢٢ - ٤٤١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٢٣٥ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ١ : ٢١٦ - ٢٢٠ ، ٢٨٥ ؛ الصفدي : الوافي ٩ : ٢٠٣ ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٧٥ - ٨٦ ، المقفى الكبير ٢ : ١٣٣ - ١٤٠ ؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٥ : ١٧٢ - ٣٠٦ ، تاريخ الفاطميين بالمغرب ٣٤٧ - ٤١٧ ؛ Le Tourneau, G., «La revolte d'Abu Yazid au X<sup>e</sup> siècle», *CT* (1953), pp. 103-25; Stern, S.M., *El<sup>2</sup>*



بل وُلِدَ في سنة اثنتين ، وقيل سنة إحدى وثلاث مائة . وكان خَطِيْبًا بَلِيغًا يَزُجِلُ الخُطْبَةَ لوقته ، شجاعًا عاقلاً<sup>١</sup> .

وقام من بعده ابنه «المُعزُّ لدين الله أبو تميم معدّ» وعمره نحو أربع وعشرين سنة ، فإنه وُلِدَ للنصف من رَمَضانَ سنة سبع / عشرة وثلاث مائة ، فانقاد إليه البربر وأحسن إليهم ، فعظم أمره<sup>٢</sup> .

واختص من مواليه بجوهر وكناه بأبي الحسين ، وأعلى قدره ، وصيَّره في رتبة الوزارة ، وعقد له على جيش كثيف فيهم الأمير زيري بن مناد الصنهاجي ؛ فدوخ المغرب وافتتح مُدُنًا وقهر عدَّة أكابر وأسْرهم ، حتى أتى البحر المحيط فأمر باضطهاد سمكة منه ، وسيرها في قلة من ماء إلى المعزِّ إشارة إلى أنه ملك حتى سُكَّان البحر المحيط الذي لا عمارة بعده ، ثم قدِمَ غانمًا مظفرًا ، فعظم قدره عند المعزِّ<sup>٣</sup> .

ولما كان في بعض الأيام ، استدعى المعزُّ في يومٍ شاتٍ عدَّة من شيوخ كتامة ، فدخلوا عليه في مجلسٍ قد قُرش باللُّبُود ، وحوله كساءٌ وعليه جُبَّة ، وحوله أبوابٌ مفتحة تُفضي إلى خزائن كُتُب ، وبين يديه دواةٌ وكُتُبٌ ، فقال :

«يا إخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد ، فقلتُ لأم الأمراء - وإنها الآن بحيث تسمع كلامي - أتري إخواننا يظنون أنا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ، ونتقلَّب في المُنْقَلِ والدياج والحرير والفنك والسمور والمِسك والخمر والقباء<sup>٤</sup> كما يفعل أرباب الدنيا .

ثم رأيت أن أنفذ إليكم فأحضرتكم لتشهدوا حالي إذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم ، وإنِّي لا أفضلكم في أحوالكم إلا بما لا بدُّ لي منه من

(a) في المغرب لابن سعيد واتعاظ الحنفا : الغناء .

١١٢ ؛ حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله مؤسس الدولة

الفاطمية في مصر ، القاهرة ١٩٦٤ ، El<sup>2</sup> ، Dachraoui, F., art. *al-Mu'izz li Din Allāh* VII, 485-89.

٣ انظر ترجمة جوهر الصُّقْلَبِي فيما يلي ٢٥٦-

٢٦٠ .

١ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ١ : ٨٨-٩٢ .

٢ المعز لدين الله الإمام الفاطمي الرابع والذي انتقلت في

عهد الخلافة الفاطمية من شمال إفريقيا إلى مصر راجع

أخباره عند ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٢١-٣٠ ؛

التومري : نهاية الأرب ٢٨ : ١١٨-١٥٣ ؛ المقرئزي : اتعاظ

الحنفا ١ : ٩٣-٢٣٥ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٦٩-



دُنْيَاكُمْ ، وَبِمَا خَصَّنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ إِمَامَتِكُمْ ، وَإِنِّي مَشْغُولٌ بِكُتُبٍ تَرِدُ عَلَيَّ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ أُجِيبُ عَنْهَا بِخَطِي ، وَإِنِّي لَا أَشْتَغِلُ بِشَيْءٍ مِنْ مَلَاذُ الدُّنْيَا إِلَّا بِمَا يَصُونُ أَرْوَاحَكُمْ ، وَيُعْمُرُ بِلَادَكُمْ ، وَيُذِلُّ أَعْدَاءَكُمْ ، وَيَقْمَعُ أَعْدَادَكُمْ<sup>١</sup> ؛ فَافْعَلُوا يَا شُبُوخُ فِي خُلُواتِكُمْ مِثْلَ مَا أَفْعَلُهُ ، وَلَا تُظْهِرُوا التَّكْبِيرَ وَالتَّجْبِيرَ ، فَيَنْزِعَ اللَّهُ النُّعْمَةَ عَنْكُمْ ، وَيَنْقُلَهَا إِلَى غَيْرِكُمْ ، وَتَحْتَنُوا عَلَى مَنْ وَرَاءَكُمْ مِمَّنْ لَا يَصِلُ إِلَيَّ كَتَحْتَنِي عَلَيْكُمْ ، لِيَتَّصِلَ فِي النَّاسِ الْجَمِيلِ ، وَيَكْثُرَ الْخَيْرُ ، وَيَنْتَشِرَ الْعَدْلُ ، وَأَقْبِلُوا بَعْدَهَا عَلَى نِسَائِكُمْ ، وَالزُّمُوا الْوَاحِدَةَ الَّتِي تَكُونُ لَكُمْ ، وَلَا تَشْرَهُوا إِلَى التَّكْثُرِ مِنْهُنَّ وَالرَّغْبَةِ فِيهِنَّ ، فَيَتَنَعَّصَ عَيْشُكُمْ ، وَتَعُودَ الْمَضْرُةُ عَلَيْكُمْ ، وَتُنْهَكُوا أَبْدَانَكُمْ ، وَتَذْهَبَ قُوَّتُكُمْ وَتَضْعَفَ نَحَائِزُكُمْ<sup>٢</sup> ، فَحَسِبَ الرَّجُلُ الْوَاحِدَ الْوَاحِدَةَ ، وَنَحْنُ مُحْتَاجُونَ إِلَى نُصْرَتِكُمْ بِأَبْدَانِكُمْ وَعُقُولِكُمْ ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِذَا لَزِمْتُمْ مَا أَمُرُكُمْ بِهِ ، رَجَوْتُ أَنْ يُقَرِّبَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَمْرَ الْمَشْرِقِ كَمَا قَرَّبَ أَمْرَ الْمَغْرِبِ بِكُمْ ، انْهَضُوا رَجِمَكُمْ اللَّهُ وَنَصَرَكُمْ . فَخَرَجُوا عَنْهُ<sup>٣</sup> .

واستدعى يوماً أبا جعفر حسين بن مهذب صاحب بيت المال - وهو في وسط القصر قد جلس على صندوق ، وبين يديه ألوف صناديق مبددة - فقال له : هذه صناديق مالي ، وقد شدت عني ترتيبها فانظرها ورتبها ؛ قال : فأخذت أجمعها إلى أن صارت مرتبة ، وبين يديه جماعة من خدام بيت المال والقرّاشين ، فأنفذت إليه أعلمه ، فأمر برفعها في الخزائن على ترتيبها ، وأن يُغلق عليها وتُختَمَ بخاتمها ، وقال : قد خرجت عن خاتمنا وصارت إليك . فكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار ، وذلك في سنة سبع وخمسين وثلاث مائة ، فأنفقها أجمع على العساكر التي سبّرها إلى مصر من سنة ثمان وخمسين إلى سنة اثنتين وستين وثلاث مائة<sup>٣</sup> .

(a) الصيغة عند ابن سعيد وفي اتعاظ الخنفا بالماضي : صان ، عمر ، ذل ، قمع .

<sup>١</sup> النحائر : جمع نحيزة وهي الطبيعة .  
<sup>٢</sup> ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٣٩-٤٠ (ومصدره كتاب «سيرة الأئمة» لأبي العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن مهذب ، وهو مؤلف قيرواني الأصل كانت أسرته  
<sup>٣</sup> نفسه ٤١ ؛ نفسه ٩٦-٩٧ .



ولما أَخَذَ فِي تَجْهِيزِ جَوْهَرٍ بِالْعَسَاكِرِ إِلَى أَخْذِ دِيَارِ مِصْرَ، حَتَّى تَهَيَّأَ أَمْرَهُ وَبَرَزَ لِلْمَسِيرِ، بَعَثَ الْمُعِزَّ خَفِيفًا الصَّقَلْبِيَّ<sup>١</sup> إِلَى شُيُوخِ كُتَامَةَ يَقُولُ: «يَا إِخْوَانَنَا قَدْ رَأَيْنَا أَنْ نُنْفِذَ رِجَالًا إِلَى بُلْدَانِ كُتَامَةَ يُقِيمُونَ بَيْنَهُمْ، وَيَأْخُذُونَ صَدَقَاتِهِمْ وَمَرَاعِيهِمْ، وَيَحْفَظُونَهَا عَلَيْنَا<sup>٢</sup> فِي بِلَادِهِمْ، فَإِذَا اخْتَجْنَا إِلَيْهَا أَنْفَذْنَا خَلْفَهَا فَاسْتَعْنَا بِهَا عَلَى مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ». فَقَالَ بَعْضُ شُيُوخِهِمْ<sup>٣</sup> لَخَفِيفٍ لَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ: «قُلْ لِمَوْلَانَا: وَاللَّهِ لَا فَعَلْنَا هَذَا أَبَدًا، كَيْفَ تُؤَدِّي كُتَامَةَ الْجِزْيَةَ، وَيَصِيرُ عَلَيْهَا فِي الدِّيَّانِ ضَرِيئَةً، وَقَدْ أَعَزَّهَا اللَّهُ قَدِيمًا بِالْإِسْلَامِ، وَخَدِيثًا مَعَكُمْ بِالْإِيمَانِ، وَسَيُوفُنَا بِطَاعَتِكُمْ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ!؟»

فَعَادَ خَفِيفٌ إِلَى الْمُعِزِّ بِذَلِكَ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ جَمَاعَةِ كُتَامَةَ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَهُوَ رَاكِبٌ فَرَسَهُ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْجَوَابُ الَّذِي صَدَرَ عَنْكُمْ؟ فَقَالُوا: هَذَا جَوَابُ جَمَاعَتِنَا، مَا كُنَّا يَا مَوْلَانَا بِالَّذِي تُؤَدِّي جِزْيَةَ تَبْقَى عَلَيْنَا. فَقَامَ الْمُعِزُّ فِي رِكَابِهِ وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَكَيْهَذَا أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا، وَأَتَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أُخْتَبِرَكُمْ فَأَنْظُرَ كَيْفَ أَنْتُمْ بَعْدِي<sup>٤</sup>.

فَسَارَ جَوْهَرٌ، وَأَخَذَ مِصْرَ كَمَا قَدْ ذُكِرَ فِي تَرْجُمَتِهِ عِنْدَ ذِكْرِ سُورِ الْقَاهِرَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ<sup>٤</sup>. فَلَمَّا ثَبَّتَ قَدَمُ جَوْهَرٍ بِمِصْرَ، كَتَبَ إِلَيْهِ الْمُعِزُّ جَوَابًا عَنْ كِتَابِهِ:

«وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ يَا جَوْهَرُ مِنْ أَنَّ جَمَاعَةَ بَنِي حَمْدَانَ وَصَلَتْ إِلَيْكَ كُتُبُهُمْ يَتَذَلُّونَ الطَّاعَةَ، وَيَعِدُّونَ بِالْمَسَارَعَةِ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْكَ، فَاسْمِعْ لَمَّا أذْكَرَهُ لَكَ: اخْذِرْ أَنْ تَبْتَدِيَ أَحَدًا مِنْ آلِ حَمْدَانَ بِمُكَاتَبَةٍ تَرْهَبُهَا لَهُ وَلَا تَرْغَبُهَا، وَمَنْ كَتَبَ إِلَيْكَ كِتَابًا مِنْهُمْ فَأَجِبْهُ بِالْحَسَنِ الْجَمِيلِ وَلَا تَسْتَدْعِهِ إِلَيْكَ، وَمَنْ وَرَدَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَأَحْسِنْ إِلَيْهِ، وَلَا تَمَكِّنْ أَحَدًا مِنْهُمْ مِنْ قِيَادَةِ جَيْشٍ وَلَا مُلْكٍ طَرْفٍ، فَبَنُو حَمْدَانَ يَتَظَاهَرُونَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ عَلَيْهَا مَدَارُ الْعَالَمِ وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهَا نَصِيبٌ: يَتَظَاهَرُونَ بِالذِّينِ وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهِ نَصِيبٌ، وَيَتَظَاهَرُونَ بِالكَرَمِ وَلَيْسَ

(a) بولاق: عليهم.

<sup>١</sup> خفيف الشَّاسِ الصَّقَلْبِيَّ صَاحِبَ السُّتْرِ. <sup>٣</sup> ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٤١-٤٢؛ المقرئزي:

<sup>٢</sup> هو محمد بن علي بن سلمان شيخ كتامة في وقته، اتعاظ الخنفا ١: ٩٨.

<sup>٤</sup> فيما يلي ٢٥٦-٢٥٨.

كما عند ابن سعيد.



لواجد منهم كرم في الله ، ويتظاهرون بالشجاعة ، وشجاعتهم للدنيا لا  
للآخرة ؛ فاخذر كل الحذر من الاستنامة<sup>(a)</sup> إلى أحد منهم<sup>١</sup> .

ولما عزم المعز على المسير إلى مصر ، أجال فكره فيمن يخلفه في بلاد المغرب ، فوقع اختياره  
على أبي أحمد<sup>(b)</sup> جعفر بن علي الأمير ، فاستدعاه وأسر إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب / فقال :  
«تترك معي أحد أولادك أو إخوتك يجلس في القصر وأنا أدبر ، ولا تسألني عن شيء من الأموال  
لأن ما أجببه يكون يازاء ما أنفقته من الأموال ، وإذا أردت أمراً فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك  
فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره إلي» . فغضب المعز وقال : «يا  
جعفر عزلتني عن ملكي ، وأردت أن تجعل لي فيه شريكاً في أمري ، واستبددت بالأعمال  
والأموال دوني . ثم فقد أخطأت حظك ، وما أصبت رشدك» ، فخرج عنه .

ثم إنه استدعى يوسف بن زيري الصنهاجي وقال له : «تأهب لخلافة المغرب» . فأكبر ذلك  
وقال : «يا مولانا أنت وأباؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم  
المغرب ، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بزيري ؟ قتلتني يا مولانا بغير سيف ولا رمح» . فما زال  
به المعز حتى أجاب بشريطة أن المعز يولي القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ، ويجعل الخبر لمن يتق  
به ، ويجعله قائماً بين أيدي هؤلاء ، فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ،  
ويكون الأمر لهم ، ويصير كالخادم بين أولئك ؛ فأحب المعز ما قال وشكره .

فلما انصرف قال أبو طالب بن القائم بأمر الله للمعز : «يا مولانا ، وثيق بهذا القول من يوسف ،  
وأنت يقوم بوفاء ما ذكر ؟» فقال المعز : «يا عمنا ، كم بين قول يوسف وقول جعفر ، فاعلم يا عم أن  
الأمر الذي طلبه جعفر ابتداءً هو آخر ما يصير إليه أمر يوسف ، وإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر ،  
ولكن هذا أولاً أحسن وأجود عند ذوي العقل ، وهو نهاية ما يفعله [من يترك دياره]<sup>(c)</sup>»<sup>٢</sup> .

وكانت أم الأمراء قد وجّهت من المغرب صبيّة لثباع بمصر ، فعرضها وكيلها في مصر للبيع ،  
وطلب فيها ألف دينار . فحضر إليه في بعض الأيام امرأة شابة على جمار لتقلب الصبيّة ، فساومتها

(a) بولاق : الاستناد . (b) أبي أحمد ساقطة من بولاق . (c) زيادة من ابن سعيد واتعاط الحنفا .

<sup>١</sup> ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٤٣ (ومصدره أيضاً ابن مذهب الذي بدأ الخير بقوله : «وجدت في خزانة الخاصة كتاباً من المعز إلى عبده جوهر ، وهو بمصر والشام ، كان في  
فصل منه») ؛ المقرئ : اتعاط الحنفا : ١ : ٩٨ .  
<sup>٢</sup> نفسه ٤٤-٤٥ (عن ابن مذهب) ؛ نفسه ١ : ٩٩-  
١٠٠ .



فيها وإبتاعها منه بست مائة دينار، فإذا هي ابنة الإخشيد محمد بن طنج، وقد بلغها خبر هذه الصبيبة، فلما رأتها شغفتها حُبًّا فاشتريتها لتستمتع بها<sup>١</sup>. فعاد الوكيل إلى المغرب وحدث المعز بذلك فأخضر الشيوخ، وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الإخشيد مع الصبيبة إلى آخره، فقال المعز: «يا إخواننا انهضوا إلى مصر، فلن يحول بينكم وبينها شيء، فإن القوم قد بلغ بهم الترف إلى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج بنفسها وتشتري جارية لتمتع بها، وما هذا إلا من ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرتهم، فانهضوا لمسيرنا إليهم». فقالوا: «السمع والطاعة». فقال: «تخذوا في حوائجكم، فنحن نقدم الاختيار لمسيرنا إن شاء الله»<sup>٢</sup>.

وكان قيصر ومظفر الصقليين قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور والد المعز، وكان المظفر يدل على المعز من أجل أنه علّمه الخط في صغره، فحرد عليه مرة وولّى، فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب منها، ولقنها منه وأنفت نفسه من السؤال عن معناها. فأخذ يحفظ اللغات: فابتدأ بتعلم اللغة البربرية حتى أحكمها: ثم تعلم الرومية والسودانية حتى أتقنها، ثم أخذ يتعلم الصقلبية، فمرت به تلك الكلمة، فإذا هي سب قبيح، فأمر بمظفر فقتل من أجل تلك الكلمة<sup>٣</sup>.

وبلغته [ - وهو بالمغرب - ] أمر الحروب التي كانت بين بني حسن وبني جعفر بالحجاز، حتى قتل من بني حسن أكثر ممن قتل من بني جعفر، فأنفذ مالا ورجالا في السر ما زالوا بالطائفتين حتى اضطلحتا، وتحمل الرجال عن كل منهما الحملات، فجاء الفاضل في القتل لبني حسن عند بني جعفر نحو سبعين قتيلًا، فأدوا عنهم، وعقدوا بينهم الصلح في الحرم تجاه الكعبة، وتحملوا عنهم الديات من مال المعز، وكان ذلك في سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة.

فصارت هذه الفعلة يدا عند بني حسن للمعز، فلما ملك جوهر مصر، بادر حسن بن جعفر الحسن بالدعاء للمعز في مكة، وبعث إلى جوهر بالخبر، فسير إلى المعز يعرفه بإقامة الدعوة له بمكة، فأنفذ إليه بتقليده الحرم وأعماله<sup>٤</sup>.

(a) إضافة من اتعاط الحنفا.

<sup>١</sup> المقرئ: اتعاط الحنفا: ١: ١٠٠.<sup>٣</sup> نفسه: ١: ١٠١.<sup>٢</sup> نفسه: ١: ١٠٠.<sup>٤</sup> نفسه: ١: ١٠١.



وسارَ المعزُّ بعساكره من المغرب حتى نزلَ بالجزيرة، فعقدَ له جَوْهرَ جِسْرًا جديدًا عند المختار بالجزيرة<sup>(a)</sup>، فسارَ عليه، وقد زُيِّنَتْ له مَدِينَةُ القُسْطَاط فلم يَشُقُّهَا، ودَخَلَ إلى القَاهِرَةِ بِجَمِيعِ أولاده وإخوته وسائرِ أولادِ عُبيدِ الله المَهْدِيِّ وبتواييتِ آبائه<sup>١</sup>، وذلك لستبَعِ خَلَوْنٌ من رَمَضانِ سنة اثنتين وستين وثلاث مائة<sup>٢</sup>. فعندما دَخَلَ القَصْرَ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فاقْتَدَى به من حَضَرَ، وباتَ به، ثم أَصْبَحَ فَجَلَسَ لِلهِنَاءِ، وَأَمَرَ فَكُتِبَ في سائرِ مَدِينَةِ مِصرَ «خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»، وَأُثِّبَ اسْمُ المَعزِّ لِدينِ اللَّهِ واسمِ ابنه<sup>(b)</sup> عبدِ اللَّهِ الأميرِ<sup>٣</sup>، وَجَلَسَ في القَصْرِ على السَّرِيرِ الذَّهَبِ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ عِيدِ الفِطْرِ في المُصَلَّى، فَسَبَّحَ في كُلِّ رَكَعَةٍ وَفي كُلِّ سَجْدَةٍ ثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً، ثُمَّ خَطَبَ بَعْدَ الصَّلَاةِ. وَرَكِبَ لِفَتْحِ خَلِيجِ مِصرَ يَوْمَ الوَفَاءِ، وَعَمَلَ عِيدَ عَدِيرِ خَمٍّ، وَمَاتَ بَعْضُ بَنِي عَمِّهِ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَكَبَّرَ سَبْعًا، وَكَبَّرَ على مَيِّتِ آخِرِ خَمْسًا. وَقَدِمَتِ القَرَامِطَةُ إلى مِصرَ، فَسَيَّرَ إِلَيْهِمُ الجُيُوشَ وَهَزَمُوهُمُ<sup>٤</sup>.

وما زالَ إلى أن تُوْفِيَ من عِلَّةٍ اِغْتَلَّهَا بَعْدَ دُخُولِهِ إلى القَاهِرَةِ بِسَنَتَيْنِ وَسَبْعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةِ أَيَّامٍ، وَعَمْرُهُ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ تَقْرِيبًا؛ فَإِنَّ مَوْلِدَهُ بِالمَهْدِيَّةِ في حَادِي عَشْرِ شَهْرِ رَمَضانِ سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَثَلَاثِ مِائَةٍ، وَوَفَاتِهِ بِالقَاهِرَةِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ خَلَّتْ من رَيْبِيعِ / الأخرِ سَنَةِ خَمْسِ

(a) في الاعتاظ: عقد جوهر جسر الجزيرة، وعقد جسرًا آخر عند المختار بالجزيرة. (b) بولاق: أبيه.

<sup>١</sup> الأمير عبد الله هو الابن الأوسط للمعز الذي عينه المعز وهو مازال بإفريقية لولاية عهده، متخطيًا بذلك ابنه الأكبر تميم - صاحب الحق الشرعي تبعًا للعقيدة الإسماعيلية - لأنه كان يحيا حياة عابثة بعيدة عمًا يجب أن يتحلَّى به من يُرَشِّحَ لإمامة المؤمنين، ولكنه توفي فجأة في حياة أبيه سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م. وبدلاً من أن يُعَيِّنَ المعز لولاية عهده حفيده ابن عبد الله تبعًا للعقيدة الإسماعيلية التي تنص على أن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخيه وإنما تكون في الأعقاب، عُيِّنَ المعز ابنه الثالث نزار لولاية عهده وهو الذي خلفه باسم «العزير بالله» (راجع مناقشة ذلك عند، أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ١٥٦-١٥٧).

<sup>٢</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ١٥٩-١٦٢.

<sup>٣</sup> فيما يلي ٣٥١.  
<sup>٤</sup> عن تاريخ الدولة الفاطمية في مصر راجع، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، القاهرة ١٩٥٨؛ عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، الإسكندرية ١٩٦٨، القاهرة ١٩٩٢؛ محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، القاهرة ١٩٧٠، ١٩٩٥؛ Lewis, B., «An Interpretation of Fatimid History», *CIHC*, pp. 437-50; *Fatimides II*, pp. 871-82 وأحدث الدراسات ما كتبه كاتب هذه السطور أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر - تفسير جديد، القاهرة ٢٠٠٠. وكذلك، Canard, M., *El<sup>2</sup> art. Fatimides II*, pp. 870-82.



وستين وثلاث مائة ، وكانت مُدَّةُ خِلافتِهِ بالمغرب وديار مصر ثلاثًا وعشرين سنة وعشرة أيام . وهو أوَّلُ الخُلَفَاءِ الفَاطِمِيِّينَ بِمِصرَ وإليه تُنسَبُ القَاهِرَةُ المُعَرِّبِيَّةُ ؛ لِأَنَّ عَبدَهُ جَوْهَرَ القَائِدَ بَنَاهَا حَسَبَ ما رَسَمَ لَهُ كَمَا ذُكِرَ فِي خَبَرِ بِنَائِهَا <sup>١</sup> .

وكان المُعَرِّبِيُّ عالِمًا فاضِلًا جَوادًا حَسَنَ السِيرَةِ ، مُنصِفًا للرعية ، مُغرَمًا بالنجوم ، أُقيمتَ لَهُ الدَّعْوَةُ بالمغرب كُلِّهِ وديار مصر والشَّامِ والحَرَمَيْنِ وبعضَ أعمالِ العِراقِ .

وقامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ «العَزِيزُ بِاللَّهِ أَبُو مَنصُورِ نِزارٍ» ، فأقامَ فِي الخِلافةِ إِحدى وَعشرين سَنَةً وخمسة أَشْهُرٍ وَنِصْفًا ، وماتَ وَعمرُهُ اثنتانِ وَأربعونَ سَنَةً وَثمانيةَ أَشْهُرٍ وَأربعةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فِي الثامنِ وَالعشرينِ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سِتِّ وَثمانينِ وَثلاثِ مائةَ ، بِمَدِينَةِ بَلْبَيسَ وَحُمِلَ إِلَى القَاهِرَةِ .

وقامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ «الحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو عَلِيِّ المَنْصُورِ» ، وَكانتَ مُدَّةُ خِلافتِهِ إِلَى أَنْ فُقِدَ خَمْسًا وَعشرينَ سَنَةً وَشَهْرًا ، وَفُقِدَ وَعمرُهُ سِتِّ وَثلاثونَ سَنَةً وَسبعةَ أَشْهُرٍ فِي لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالعشرينِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ إِحدى عَشْرَةَ وَأربعَ مائةَ . وَقدَ بَسَطَتْ خَبَرَ العَزِيزِ وَالْحَاكِمِ عِنْدَ ذِكْرِ الجَوَامِعِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ <sup>٢</sup> .

وقامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ «الظَّاهِرُ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أَبُو الحَسَنِ عَلِيٌّ» بِنِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ . وَوُلِدَ بِالقَاهِرَةِ يَوْمَ الأَرْبَعاءِ لِعَشْرِ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضانِ سَنَةِ خَمسٍ وَتسعينِ وَثلاثِ مائةَ ، وَبُويِعَ لَهُ بِالخِلافةِ يَوْمَ عِيدِ النَّحْرِ سَنَةِ إِحدى عَشْرَةَ وَأربعَ مائةَ وَعمرُهُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً <sup>٣</sup> . فَخَرَجَ إِلَى صَلاةِ العِيدِ وَعَلَى رَأْسِهِ المِظْلَةَ وَحولَهُ العِساكِرَ ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي المِصَلِّي ، وَعادَ فَكَتَبَ بِخِلافتِهِ إِلَى الأَعْمالِ <sup>٤</sup> .

وَشَرِبَ الخَمْرَ وَرَخَّصَ فِيهِ لِلنَّاسِ ، وَفِي سَماعِ الغِناءِ وَشُرْبِ الفُقَّاعِ ، وَأَكَلَ الملوخِيا وَجَميعَ الأَشْماءِ ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى اللُّهُوِ <sup>٥</sup> .

٦٣-٦٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٤٠٧-٤٠٨؛

النويري: نهاية الأرب ٢٨: ١٩٦-٢٠٩؛ الصفدي: الوافي

بالوفيات ٢٢: ٢٣٧-٢٣٩؛ المقرئزي: اتعاظ الخنفا

٢: ١٢٤-١٨٣؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ٢٤٧-

٢٨٣.

<sup>٤</sup> المقرئزي: اتعاظ الخنفا ٢: ١٢٤.

<sup>٥</sup> نفسه ٢: ١٢٩، وذلك في سنة ثمان عشرة وأربع

مائة.

<sup>١</sup> فيما يلي ٢١٢-٢٢٢.

<sup>٢</sup> انظر ترجمة العزيز بالله والحاكم بأمر الله مفصلة فيما

يلي ٢٨٤:٢-٢٨٩.

<sup>٣</sup> الظاهر لإعزاز دين الله الإمام الفاطمي الرابع في مصر،

وأهم مصادر ترجمته كتاب «أخبار مصر» للمسبحي الذي

عاصره وكان يحضر مجالسه، والجزء الأربعون من كتابه

الذي وصل إلينا مليء بالأخبار عن الظاهر في سنتي ٤١٤

وه ٤١٥هـ وانظر كذلك، ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة



وَوَزَرَ لَهُ الْخَطِيرُ رَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ أَبُو الْحَسَنِ عَمَّارُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ يَلِي دِيوانَ الْإِنشَاءِ وَغَيْرِهِ ، وَاسْتَوَزَرَهُ الْحَاكِمُ إِلَى أَنْ فُقِدَ ، فَتَوَلَّى الْبَيْعَةَ لِلظَّاهِرِ ، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ فِي رَيْبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ . فَاسْتَوَزَرَ بَعْدَهُ بَدْرُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْفَتْوحِ مُوسَى بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى الشُّرْطَةَ ، ثُمَّ وَلِيَ دِيوانَ الْإِنشَاءِ بَعْدَ ابْنِ خَيْرَانَ ، وَصُرِفَ عَنِ الْوِزَارَةِ فِي الْمُحْرَمِ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ ، وَقُبِضَ عَلَيْهِ فِي شَوَّالٍ وَقُتِلَ ، فَوُجِدَ لَهُ مِنَ الْعَيْنِ سِتُّ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ<sup>١</sup> . وَوَلِيَ بَعْدَهُ الْوِزَارَةَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الْمُلُوكِ الْمَكِينُ مَسْعُودُ بْنُ طَاهِرٍ<sup>٢</sup> .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ قُلِدَ مُنْتَخَبَ الدَّوْلَةِ الدُّذْبِرِيُّ مَتَوَلَّى قَيْسَارِيَّةَ وَوَيْلَاةَ فِلَسْطِينَ<sup>٣</sup> ، فَكَانَتْ لَهُ مَعَ حَسَّانَ بْنِ مُفَرِّجِ بْنِ جِرَّاحِ الطَّائِي حُرُوبٌ .

وَفِيهَا نَزَعَ السَّعْرُ بِمِصْرَ ، وَتَعَدَّرَ وَجُودُ الْخُبْرِ .

وَفِي الْمُحْرَمِ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ لَقِبَ الْخَادِمُ الْأَسْوَدُ مِعْضَادُ ، بِالْقَائِدِ عِزِّ الدَّوْلَةِ وَسَنَائِهَا أَبِي الْفَوَارِسِ مِعْضَادِ الظَّاهِرِيِّ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ<sup>٤</sup> .

وَنَارَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحُسَيْنِ بِيَلَادِ الصَّعِيدِ فَقُبِضَ عَلَيْهِ ، وَأَقْرَأَ أَنَّهُ قَتَلَ الْحَاكِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَوُجِدَ مَعَهُ قِطْعَةٌ مِنْ جِلْدِ رَأْسِهِ وَقِطْعَةٌ مِنَ الْفُوطَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ قَتْلِهِ إِثْمًا ، فَقَالَ : غَزَتْ لِي وَاللَّاسِلَامِ . ثُمَّ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسَكِينٍ كَانَتْ مَعَهُ ، فَقَطِيعَتْ رَأْسَهُ وَسُيِّرَتْ إِلَى الْقَاهِرَةِ<sup>٥</sup> .

وَفِيهَا اشْتَدَّ الْغَلَاءُ بِمِصْرَ ، وَكَثُرَ نَقْصُ النَّيْلِ<sup>٦</sup> .

<sup>١</sup> عشرة وخمسة مائة وقرئ على الناس في صحن الإيوان

<sup>١</sup> المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ١٢٨ - ١٢٩ .

بالقصر الفاطمي يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من

<sup>٢</sup> نفسه ٢ : ١٣٢ .

صفر سنة ٤١٥ هـ . (المسيحي : أخبار مصر ٢٤ - ٢٧ وقارن

<sup>٣</sup> أمير الجيوش منتخب الدولة أنوشتكين الدذبري متولي

المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ١٣٩) .

حماية فلسطين وحرب الرملة المتوفى سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤٢ م

<sup>٥</sup> المسيحي : أخبار مصر ٢٧ - ٢٨ ؛ المقرئزي : اتعاظ

(راجع عنه ، مقال جاستون فييت Wiet, G., «Un

١٤٠ : ٢ وفيما يلي ٢ : ٢٨٩ .

Proconsul fatimide de Syrie: Anushtakin

<sup>٦</sup> نفسه ٣٢ ؛ نفسه ٢ : ١٤٢ ، وانظر عن أزمة الخنطة في

Dizbiri (m. en 433/ 1042)», *MUSJ* 46 (1970),

عهد الخليفة الظاهر بأمر الله دراسة تياري بيانكي المعتمدة

(pp. 383-407) .

على ما أورده المسيحي «Une crise

<sup>٤</sup> أورده المسيحي نص سيجل تلقيب القائد أبي الفوارس

frumentaire dans l'Égypte fatimide», *JESHO*

مِعْضَادِ الْخَادِمِ الْأَسْوَدِ بِالقائد عِزِّ الدَّوْلَةِ وَسَنَائِهَا أَبِي

XXIII (1980), pp. 67-101.

الْفَوَارِسِ مِعْضَادِ الظَّاهِرِيِّ ، وَهُوَ مُؤَرَّخٌ فِي صَفْرِ سَنَةِ خَمْسِ



وفيهما قرّر الشريف الكبير العجمي والشيخ نجيب الدولة الجزجرائي والشيخ العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد، ألاّ يَدْخُلَ على الظاهر أحدٌ غيرهم، وكانوا يدخلون كلَّ يوم خُلوةً، ويخرجون فيتصبرون في سائر أمور الدولة والظاهر مشغولٌ ببلداته. وصارَ شمسُ الملوك مُظفّرَ صاحبِ المِظلة، وابنُ خيران صاحبَ الإنشاء، وداعي الدعاة، وتقيب نُقباء الطالبين، وقاضي القضاة، رُبما دَخَلوا على الظاهر في كلِّ عشرين يوماً مرّةً، ومن عداهم لا يصل إلى الظاهر<sup>(a)</sup> ألبتة. والثلاثة الأول هم الذين يقضون الأشغال، ويُمضون الأمور بعد الاجتماع عند القائد معضاد<sup>١</sup>.

ومنع الناس من ذبح الأبقار لِقَلْبَتِها، وعزّت الأقوات بمصر، وقُلّت البهائم كلها حتى بيع الرأسُ البقرِ بخمسين ديناراً<sup>٢</sup>.

١٠ وكثُر الخوفُ في ظواهر البلد، وكثُر اضطراب الناس، وتحدّث زعماء الدولة بمصادرة الثّجار، فاختلف بعضهم على بعض، وكثُر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا، وتحاسد زعماء الدولة، فقُبِضَ على العميد محسن وضرب عُقْبُهُ<sup>٣</sup>.

واشتدَّ الغلاء، وفشّت الأمراض، وكثُر الموتُ في الناس، وفقدَ الحيوانُ فلم يُقدَّر على دجاجة ولا فرّوج، وعزّ الماءُ لقلّة الظهیر. فعمَّ البلاءُ من كلِّ جهة، وعرضَ الناسُ أمْتِعَتَهُم للبيع فلم يوجد من يشتريها<sup>٤</sup>.

١٥ وخرَج الحاجُّ، فقطِعَ عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الجب، وأخذت أموالهم، وقُتِلَ منهم كثير، وعادَ من بقي، فلم يحجَّ أحدٌ من أهل مصر<sup>٥</sup>.

وتفاقم الأمرُ في شدّة الغلاء فصاح الناسُ بالظاهر: الجوع، الجوع يا أمير المؤمنين، لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك، فالله الله في أمرنا<sup>٦</sup>.

٢٠ وطَرَقَت عساكرُ ابن جراح الفرّما، ففرَّ أهلها إلى القاهرة<sup>٧</sup>.

(a) بولاق: القاهرة.

<sup>١</sup> المسبّحي: أخبار مصر ٤٥-٤٦؛ المقرّبي: اتعاظ الحنفا ٢: ١٤٨.  
<sup>٢</sup> نفسه ٤٦؛ نفسه ٢: ١٤٩-١٥٠.  
<sup>٣</sup> نفسه ٥٩؛ نفسه ٢: ١٥٧-١٥٨.  
<sup>٤</sup> نفسه ٦٩؛ نفسه ٢: ١٦٢.  
<sup>٥</sup> نفسه ٦٩؛ نفسه ٢: ١٦٢.  
<sup>٦</sup> نفسه ٧٣؛ نفسه ٢: ١٦٤.  
<sup>٧</sup> نفسه ٧٦؛ نفسه ٢: ١٦٦.



وأصبح الناس بمصر على أفتح حالٍ من الأمراض والموتان وشدة الغلاء وعدم الأقوات، وكثرت الخوف من الدُّعَار التي تكبس البيوت<sup>(a)</sup>، حتى إنه لما عمِل سِمَاطُ عيد النَّحْرِ بالقصر، كبس العبيد على السِّمَاط وهم يصيحون: الجوع، ونهبوا سائر ما كان عليه<sup>١</sup>.

/ ونهبت الأزياف، وكثرت طمَع العبيد ونهبهم، وجرت أمور من العامة قبيحة. واحتاج الظَّاهِرُ إلى القرض، فحمل بعض أهل الدولة إليه مالا، وامتنع آخرون.

واجتمع نحو الألف عبد لينهبوا<sup>(b)</sup> البلد من الجوع، فتودي بأن من تعرض له أحد من العبيد فليقتله، ونُذِب جماعة لحفظ البلد، واستعدَّ النَّاسُ، فكانت نهبات بالسَّاحِلِ، ووقائع مع العبيد احتاج النَّاسُ فيها إلى أن خنَدقوا عليهم خنادق، وعمِلوا الدُّروب على الأزقة والشوارع. وخرَج مِعْضَادٌ في عسكر فطردهم، وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم، وأخذ العبيد في طلب الجزجرائي وغيره من وجوه الدولة، فحرسوا أنفسهم وامتنعوا في دورهم. وانقضت السنة والناس في أنواع من البلاء<sup>٢</sup>.

وفي سنة ست عشرة، أمر الظَّاهِرُ فأخرج من مصر من الفقهاء المالكية وغيرهم، وأمر الدُّعاة أن يحفظوا النَّاسَ كتاب «دعائم الإسلام» و«مختصر» الوزير، وجعل لمن حفظ ذلك مالا<sup>٣</sup>. وفي سنة سبع عشرة، ثار بمصر رُعافٌ عظيمٌ بالنَّاسِ، وكثرت زيادة النيل عن العادة، وتصدَّق الظَّاهِرُ بمائة ألف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسليم<sup>٤</sup>.

وفي سنة ثمان عشرة، وقَّعت الهدنة مع صاحب الروم، وخطب للظَّاهِرِ في بلاده، وأعاد الجامع بقسطنطينية وعمِل فيه مؤذنا، فأعاد الظَّاهِرُ كنيسة قمامة بالقدس، وأذن لمن أظهر الإسلام في أيام الحاكِم أن يعود إلى النصرانية، فرجع إليها كثير منهم<sup>٥</sup>.

وصرف الظَّاهِرُ وزيره عميد الدولة وناصرها أبا محمد الحسن بن صالح الرُّوذباري، وأقام بدله أبا القاسم علي بن أحمد الجزجرائي<sup>٦</sup>.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: لتهد.

<sup>١</sup> المسيحي: أخبار ٧٤؛ ٨١-٨٢؛ المقرئ: اتعاط  
<sup>٢</sup> ١٦٧، ١٦٥: ٢. نفسه ٨٧؛ نفسه ٢: ١٦٩.  
<sup>٣</sup> المقرئ: اتعاط الحنفا ٢: ١٧٥، ونشر آصف علي  
 أصغر فيظي كتاب «دعائم الإسلام» للقاضي النعمان بن  
 حيون في القاهرة سنة ١٩٥٢ في جزأين، أما كتاب الوزير  
 ابن كلس فهو كتاب في الفقه يُعرف كذلك بمصنّف الوزير.  
<sup>٤</sup> نفسه ٢: ١٧٥. نفسه ٢: ١٧٦.  
<sup>٥</sup> نفسه ٢: ١٧٦.  
<sup>٦</sup> نفسه ٢: ١٧٦.



وفي سنة عشرين كانت فِتْنَةٌ بين المَغَارِبَةِ والأَثْرَاقِ قُتِلَ فِيهَا كَثِيرٌ<sup>١</sup>.

وفي سنة إحدى وعشرين، بُويع لابن الظَّاهِرِ بولاية العَهْدِ وعمره ثمانية أشهر، وَأَنْفَقَ عَلَى ذَلِكَ فِي خِجَالِ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَطَعَامِ وَنُثَارِ لِلْعَامَّةِ مَا يَجَلُّ وَصْفُهُ<sup>٢</sup>.

وفي سنة اثنتين وعشرين، تَحَرَّكَ السَّعْرُ لِنَقْصِ مَاءِ النَّيْلِ، ثُمَّ زَادَ بَعْدَ أَوَانِهِ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ<sup>٣</sup>.

وفي سنة ثلاثٍ وعشرين، قَتَلَ الظَّاهِرُ أَحَدَ الدُّعَاةِ، فَاضْطَرَبَتِ الرُّعِيَّةُ وَالْجُنُودُ، وَتَحَدَّثَتِ الدُّعَاةُ<sup>٤</sup> بِخَلْعِهِ، ثُمَّ سَكَنَتِ الْفِئْتَةُ بَعْدَ إِتْفَاقِ مَالٍ بِجَزِيلٍ<sup>٥</sup>.

وفي سنة أربعٍ وعشرين، رَكِبَ وَلِيُّ العَهْدِ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى مِصْرَ وَقَدْ زُيِّنَتِ الطُّرُقَاتُ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ قَبِلُوا لَهُ الْأَرْضَ، وَنَثَرَ يَوْمئِذٍ عَلَى الْعَامَّةِ مَبْلُغَ خَمْسَةِ آلَافِ دِينَارٍ. فَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا<sup>٥</sup>.

وفي سنة خمسٍ وعشرين، بَثَّ الظَّاهِرُ دُعَاةَهُ بِبَغْدَادٍ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْأَثْرَاقِ بِهَا، فَكَثُرَتِ دُعَاةُهُ

هَنَّاكَ، وَاسْتَجَابَ لَهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ<sup>٦</sup>.

فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَعَشْرِينَ، كَثُرَ الْوَبَاءُ بِمِصْرَ<sup>٧</sup>.

وَمَاتَ الظَّاهِرُ لِلنَّصَفِ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ عَنِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا

أَيَّامًا، فَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ خَمْسَ عَشْرَ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا. وَكَانَ مَشْغُوفًا بِاللَّهِوِّ مُجِيبًا

لِلْغِنَاءِ، فَتَأْتَقُ النَّاسُ فِي أَيَّامِهِ بِمِصْرَ، وَاتَّخَذُوا الْمَغْنِيَّاتِ وَالرَّقَاصَاتِ، وَبَلَغُوا مِنْ ذَلِكَ مَبْلَغًا

عَجِيبًا<sup>٨</sup>. وَاتَّخَذَ مُحَجَّرًا لِمَالِيكِهِ، وَعَلَّمَهُمْ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَسَائِرَ فُنُونِ الْحَرْبِ، وَاتَّخَذَ خِزَانَةَ الْبُنُودِ

وَأَقَامَ فِيهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ صَانِعٍ، وَرَاسَلَ الْمُلُوكَ، وَاسْتَكْتَرَ مِنْ شِرَاءِ الْجَوَاهِرِ، وَكَانَتْ مَمْلَكَتُهُ بِإِفْرِيقِيَّةِ

وَمِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ.

وَعَلَّبَ صَالِحُ بْنُ مِرْدَاسٍ عَلَى خَلْبِ فِي أَيَّامِهِ وَاسْتَوْلَى عَلَى مَا يَلِيهَا، وَتَغَلَّبَ حَسَنَانُ بْنُ جِرَّاحٍ

عَلَى أَكْثَرِ بِلَادِ الشَّامِ، فَتَضَعَّضَتِ الدَّوْلَةُ.

(a) بولاق : الناس . (b) بولاق : عظيما .

<sup>٥</sup> نفسه ٢ : ١٨١ .

<sup>٦</sup> نفسه ٢ : ١٨١ .

<sup>٧</sup> نفسه ٢ : ١٨٢ .

<sup>١</sup> المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ١٧٧ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢ : ١٧٩ .

<sup>٣</sup> نفسه ٢ : ١٨٠ .

<sup>٤</sup> نفسه ٢ : ١٨٠ .



وقام من بعده ابنه ولي العهد وبُويغ له ، وهو «المُستَنصِرُ بالله أبو تميم مَعَدَّ» ، ومولده في السادس عشر من جُمادى الآخرة سنة عشرين وأربع مائة ، وبُويغ للخِلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين ، وعمره يومئذ سبع سنين ، فأقام ستين سنة وأشهرًا في الخِلافة ، كانت فيها أُنباؤه وقصصُ شنيعةً بديار مصر<sup>١</sup> .

منها أن أمه كانت أمةً سَوْدَاءَ لتاجرٍ يهودي يُقال له أبو سَعْدِ سَهْلُ بن هارون التُّشترِي ، فابتاعها منه الظَّاهِرُ ، واستَوْلَدَهَا المُستَنصِرَ . فلَمَّا أفضت الخِلافةُ إليه استَدَنَت أمُّه أبا سَعْدِ ورَقَّتْهُ دَرَجَةً عَلَيَّه . وكان الوَزيْرُ يومئذٍ أبا القاسِمِ الجَزَجْرَائِي ، فلم يتمكن أبو سَعْدِ من إظهار ما في نفسه حتى ماتَ الجَزَجْرَائِي<sup>٢</sup> .

وتولَّى أبو منصور صدقةُ بن يُوْسُفِ الفَلاحي الوَزارَةَ ، فانبَسَطت يدُ أبي سَعْدِ ، وصارَ الفَلاحي يَأْتُمُّ بأمره ، فعَمِلَ عليه وقتلَه كما ذَكَرَ في خَبَرِ خِزانةِ البُيُودِ ، فحَقَدَت أمُّ المُستَنصِرِ على الفَلاحي وصرفته عن الوَزارَةَ ، واستقرَّ أبو البركات صَفِيُّ الدين الحُسَيْنُ بن محمد بن أحمد الجَزَجْرَائِي في الوَزارَةَ<sup>٣</sup> .

وفي سنة أربعين صارَ ناصِرُ الدولة الحُسَيْنُ بن حَمْدان ، مُتَوَلِّي دِمَشقِ ، بالعساكر إلى حَلَبِ ، وحارب مُتَوَلِّيها ثَمال بن صالح بن مِرْداسِ ، ثم رَجَعَ بغير طائِل . فقلد مُظفَّرًا الصُّقْلَبِي دِمَشقِ ، وقبضَ على ابن حَمْدان وصادَرَه ، واعتقله بصُور ثم بالرُّمْلَةَ<sup>٤</sup> .

١٩٦١؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٨٧ - ٢٢٠ ،  
Gibb, H. A. R. & Kraus, P., *El<sup>2</sup> art. al-Mustansir*  
*billâh VII*, pp. 730-33.

٢ ابن ميسر : أخبار مصر ٣ - ٥٩ ؛ ابن خلكان : وفيات  
الأعيان ٥ : ٢٢٩ - ٢٣١ ؛ النويري : نهاية الأرب  
٢٨ : ٢٠٩ - ٢٤٣ ؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٦٧ -  
٨١ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ٦ : ٣٤٢ - ٤٤٠ ؛  
الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٥ : ١٨٦ - ١٩٦ ؛ المقرئ :  
اتعاظ الحنفا ٢ : ١٨٤ - ٣٣٤ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة  
٥ : ١ - ٢٣ ، ٢٤ - ١٤١ ؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار  
٧ : ١ - ١٨٦ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٢١٥ - ٢٢٠ ؛  
عبد المنعم ماجد : الإمام المستنصر بالله الفاطمي ، القاهرة

٣ نفسه ٤ - ٥ ؛ نفسه ٢ : ١٩٥ - ١٩٦ ؛ النويري : نهاية  
الأرب ٢٨ : ٢١٦ ؛ وانظر فيما يلي ٣٩٨ - ٣٩٩ .

٤ نفسه ٦ - ٧ ؛ نفسه ٢ : ٢٠١ .

١ المستنصر بالله أبو تميم مَعَدَّ بن الظاهر لإعزاز دين الله ،  
خامس الخلفاء الفاطميين في مصر وثامنهم من المهدي (راجع  
عنه) ابن ميسر : أخبار مصر ٣ - ٥٩ ؛ ابن خلكان : وفيات  
الأعيان ٥ : ٢٢٩ - ٢٣١ ؛ النويري : نهاية الأرب  
٢٨ : ٢٠٩ - ٢٤٣ ؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٦٧ -  
٨١ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ٦ : ٣٤٢ - ٤٤٠ ؛  
الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٥ : ١٨٦ - ١٩٦ ؛ المقرئ :  
اتعاظ الحنفا ٢ : ١٨٤ - ٣٣٤ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة  
٥ : ١ - ٢٣ ، ٢٤ - ١٤١ ؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار  
٧ : ١ - ١٨٦ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٢١٥ - ٢٢٠ ؛  
عبد المنعم ماجد : الإمام المستنصر بالله الفاطمي ، القاهرة



وخرَجَ أميرُ الأُمراءِ رِفْقُ الخادِمِ<sup>١</sup> على عَشْكَرٍ تَبْلُغُ عِدَّتُهُ نحوَ الثلاثين ألفًا، بَلَغَتِ النَّفَقَةُ عليه أربعَ مائةِ ألفِ دينارٍ، يُريدُ الشَّامَ ومُحارَبَةَ بني مِرْدَاسِ<sup>٢</sup>.

وفي المحَرَّمِ سنةَ إحدى وأربعين، صُرِفَ قاضي القضاةِ قاسِمُ بن عبد العزيز بن الثُّعْمانِ عن القضاةِ بعد ما باشَرَهُ ثلاثَ عشرةَ سنةً وشهرًا وأربعةَ أيامٍ، وتَقَلَّدَ وَظِيفَةَ القضاةِ بعده القاضي الأَجَلُ خَطِيرُ المَلِكِ أبو محمد اليازوري<sup>٣</sup>.

وفيها / حارَبَ رِفْقُ بني مِرْدَاسِ، فَظَفِرُوا به وأَسْرَوْه فماتَ بِقَلْعَةِ حَلَبَ، فَأُفْرِجَ عن ابنِ حَمْدانِ وبقي بالحَضْرَةِ<sup>٤</sup>. وقُبِضَ على الوَزيزِ أبي البركاتِ الجَزْجَرائِيِّ ونُفِيَ إلى الشَّامِ. وعُمِلَ أبو الفضلِ صاعِدُ بن مَسْعُودٍ وَاسِطَةً لا وَزِيرًا<sup>٥</sup>. ثم قُلِّدَ قاضي القضاةِ أبو محمد اليازوري الوَزارَةَ مع وَظِيفَةَ القضاةِ، ولُقِّبَ بـ «سَيِّدِ الوَزارَةِ»<sup>٦</sup>.

وفي سنة اثنتين وأربعين، كانت حُرُوبُ البَحْيرَةِ، وإِخْراجُ بني قُرَّةَ منها، وإِنزالُ بني سِنْبَسِ بعدهم بهم<sup>٧</sup>. وفيها دَعَا عليُّ بن محمد الصُّلَيْحِي بِالْيَمَنِ لِلمُسْتَنْصِرِ، وَبَعَثَ إليه بِمالِ النُّجُوى والهُدْنَةِ<sup>٨</sup>.

(a) بولاق : النجوة والهدن .

- <sup>١</sup> أمير الأُمراءِ المُظَفَّرُ فَخْرُ المَلِكِ عُذَّةُ الدولة وعمادها رِفْقُ الخادِمِ الأَسْوَدِ، المتوفى سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩م، زمام الأتراك ومتولِّي القصر في عهد الظاهر وعهد المستنصر. (راجع، ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ٧٤؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٨٥؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطارقة الكنيسة ٣/٢ : ١٧٠؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١٤ : ١٣٨؛ المقرئ : اتعاظ الخنفا ٢ : ١٩٩، ٢٠٩).
- <sup>٢</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ٧-٨؛ المقرئ : اتعاظ الخنفا ٢ : ٢٠٢.
- <sup>٣</sup> نفسه ٤٩؛ نفسه ٢ : ٢٠٨.
- <sup>٤</sup> نفسه ١٠؛ نفسه ٢ : ٢٠٩.
- <sup>٥</sup> نفسه ١٠؛ نفسه ٢ : ٢٠٩، واسمه عميد الملك زَيْن الكُفَاةِ أبو الفضلِ صاعِدُ بن مَسْعُودٍ، راجع عنه، ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ٧٣؛ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٧٨.
- <sup>٦</sup> نفسه ١١، نفسه ٢ : ٢١٢ وفيهما أن ذلك كان سنة ٤٤٢هـ.
- <sup>٧</sup> نفسه ١٢، نفسه ٢ : ٢١٨ وفيهما أن ذلك كان سنة ٤٤٣هـ.
- <sup>٨</sup> عن أخبار الداعي علي بن محمد الصُّلَيْحِي وبداية الدعوة الفاطمية في اليمن، راجع عماد الدين إدريس : عيون الأخبار المجلد السابع؛ حسين بن فيض الله الهمداني : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة ١٩٥٥؛ أمين فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن، القاهرة ١٩٨٧، *Smith, G.R., El<sup>2</sup> art. Sulayhides X, pp. 850-52.*



وفي سنة أربع وأربعين ، كُتِبَ ببغداد محاضرٌ بالقُدْح في نَسَب الخلفاء المصريين ، ونَفِيهم من الاتِّسَاب إلى عليِّ بن أبي طالب ، وسُيِّرَت إلى الآفاق <sup>١</sup> . وقَصُرَ مَدُّ النَّيْلِ ، فتحرَّك السُّعْرُ بمصر . ثم قَصُرَ أيضًا مَدُّ النَّيْلِ في سنة ستِّ وأربعين ، فقوي الغلاء ، وكثُرَ الموتُ في النَّاسِ <sup>٢</sup> . وفي سنة ثمانٍ وأربعين ، خَرَجَ أبو الحارث البساسيري من بَغْدَادِ مِنْتَمِيًا لِلْمُسْتَنْصِرِ ، فسُيِّرَت إليه الأموال والخيلُ <sup>٣</sup> .

وفي سنة ثمانٍ وأربعين عَادَت حَلْبُ إلى مَمْلَكَةِ الْمُسْتَنْصِرِ <sup>٤</sup> .

وفي سنة خمسين قُبِضَ على الوَازِرِ النَّاصِرِ للدين أبي محمد اليَازوري <sup>٥</sup> ، وتَقَلَّدَ بعده الوَازِرَةَ <sup>(أبو الفرج الباطني ثم صُرِفَ بعد اثنين وسبعين يومًا وتولَّى<sup>a</sup>)</sup> أبو الفرج محمد بن جَعْفَرِ المغربي ، ابن عبد الله بن محمد ، وولِيَ القَضَاءِ بعد اليَازوري أبو عليِّ أحمد بن عبد الحَكَمِ ، ثم صُرِفَ بعبد الحَاكِمِ المَلِيحِي <sup>٦</sup> .

وفيها أَخَذَ البساسيريُّ بَغْدَادَ ، وأقامَ فيها الخُطْبَةَ لِلْمُسْتَنْصِرِ ، وفَرَّ الخَلِيفَةُ القَائِمُ بأمر الله العَبَّاسِي إلى قُرَيْشِ بن بَدْرَانَ ، فَبَعَثَ به إلى عَانَةَ ، وسُيِّرَت ثِيَابُ القَائِمِ وَعِمَامَتَهُ وغير ذلك من الأموال إلى مصر <sup>٧</sup> .

وفيها سَارَ ناصِرُ الدولة إلى دِمَشْقِ أميرًا عليها <sup>٨</sup> .

(a-a) ساقطة من بولاق .

البصرة ٥ (١٩٧١) ، ٤٢ - ٤٧٨ ، *Canard, M., El<sup>2</sup> art.* *al-Basāsiri*, pp. 1005-7 ، أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ١٩٤ - ١٩٥ .

<sup>٤</sup> نفسه ١٥ ، نفسه ٢ : ٢٣٥ وفيه أن ذلك كان سنة ٤٤٩ هـ .

<sup>٥</sup> انظر مقال مايكل بریت Brett, M., «The Execution of al-Yāzûrî in Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyûbid and Mamlûk Eras, pp. 15-22 .

<sup>٦</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ١٦ - ١٧ ؛ المقرئزي : اتعاظ الخنفا ٢ : ١٩٧ .

<sup>٧</sup> نفسه ١٨ - ١٩ ، وفيه أنه فرَّ إلى مُهَارِشِ العَقِيلِي البدوي استجار به فأجاره .

<sup>٨</sup> نفسه ٢٠ ؛ المقرئزي : اتعاظ ٢ : ٢٥٥ .

<sup>١</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ١٣ ؛ المقرئزي : اتعاظ الخنفا ٢ : ٢٢٣ ؛ وقارن ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٥٤ - ١٥٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ٩ : ٩٥١ ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ٥٣ .

<sup>٢</sup> نفسه ١٣ .

<sup>٣</sup> نفسه ١٤ ؛ المقرئزي : اتعاظ ٢ : ٢٣٢ ، وانظر عن حركة البساسيري ، المؤيد في الدين الشيرازي : سيرة ١٧٨ - ١٨٠ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٨ : ١٩١ - ١٩٧ ، ٢٠١ - ٢١٢ ؛ ابن ميسر : أخبار مصر ٢٠ - ٢١ ؛ فاضل الخالدي : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري ، بغداد ١٩٦٩ ، ١٠٢ - ١٣٩ ؛ عبد الجبار ناجي : «ثورة البساسيري في بغداد» ، مجلة كلية الآداب - جامعة



وفي سنة إحدى وخمسين ، أُقيمت دَعْوَةُ الْمُشْتَنَصِرِ بِالْبَصْرَةِ ووَاسِطَ وَجَمِيعِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ ، فَقَدِمَ طُغْرُلْبِكُ إِلَى بَغْدَادَ ، وَأَعَادَ الْخَلِيفَةَ الْقَائِمَ بَعْدَ مَا خُطِبَ لِلْمُشْتَنَصِرِ بِبَغْدَادَ أَرْبَعُونَ خُطْبَةً ، وَقُتِلَ الْبَسَاسِيرِيُّ <sup>١</sup> .

وفيها قُطِعَتْ خُطْبَةُ الْمُشْتَنَصِرِ أَيْضًا مِنْ حَلَبَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ابْنُ حَمْدَانَ وَحَارِبُ أَهْلِهَا ، فَانْكَسَرَ كَثْرَةً شَدِيدَةً شَنِيعَةً ، وَعَادَ إِلَى دِمَشْقَ <sup>٢</sup> .

وفيها صُرِفَ أَبُو الْفَرَجِ بْنِ الْمُغْرَبِيِّ عَنِ الْوِزَارَةِ ، وَعَبْدُ الْحَاكِمِ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَأُعِيدَ إِلَى الْوِزَارَةِ أَبُو الْفَرَجِ الْبَابِلِيُّ ، وَاسْتَقَرَّ فِي وَظِيفَةِ الْقَضَاءِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي زَيْكْرِي <sup>٣</sup> .

وفي سنة ثلاثٍ وخمسين ، كَثُرَ صَرْفُ الْوُزَرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَوَلَايَتِهِمْ ، لِكثْرَةِ مُخَالَطَةِ الرِّعَاعِ لِلْخَلِيفَةِ وَتَقَدُّمِ الْأَرَادِلِ ، بِحَيْثُ كَانَ يَصِلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَمَانُ مِائَةِ رُقْعَةٍ فِيهَا الْمِرَافَعَاتُ وَالسُّعَايَاتُ <sup>٤</sup> .

فَاسْتَبَهَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ ، وَتَنَاقَضَتِ الْأَحْوَالُ ، وَوَقَعَ الْاِخْتِلَافُ بَيْنَ عَبِيدِ الدَّوْلَةِ ، وَضَعُفَتْ قُوَى الْوُزَرَاءِ عَنِ التَّدْبِيرِ لِقِصْرِ مَدَّةِ كُلِّ مِنْهُمْ ، وَخَرِبَتِ الْأَعْمَالُ وَقَلَّ ارْتِفَاعُهَا ، وَتَغَلَّبَ الرُّجَالُ عَلَى مَعْظَمِهَا مَعَ كَثْرَةِ التَّفَقَّاتِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِالْأُمُورِ وَطُغْيَانِ الْأَكْبَارِ <sup>٥</sup> ؛ إِلَى أَنْ آلَ الْأَمْرُ إِلَى مُحْدُوثِ الشَّدَّةِ الْعُظْمَى كَمَا قَدْ ذُكِرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ <sup>٦</sup> ، وَكَانَ مِنْ قُدُومِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ بَدْرِ الْجَمَالِيِّ فِي سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ وَقِيَامِهِ بِسُلْطَنَةِ مِصْرَ ، مَا ذُكِرَ فِي تَرْجُمَتِهِ عِنْدَ ذِكْرِ أَبْوَابِ الْقَاهِرَةِ <sup>٧</sup> .

فَلَمْ يَزَلِ الْمُشْتَنَصِرُ مُدَّةَ أَمِيرِ الْجُيُوشِ ، مُلْجَمًا عَنِ التَّصَرُّفِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ سَبْعِ وَثَمَانِينَ ، فَأَقَامَ الْعَسْكَرُ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْوِزَارَةِ ابْنَهُ الْأَفْضَلَ شَاهِنْشَاهَ ، فَبَاشَرَ الْأُمُورَ يَسِيرًا .

وَمَاتَ الْمُشْتَنَصِرُ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِلْيَلْتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سَبْعِ وَثَمَانِينَ عَنِ سَبْعِ وَسِتِّينَ سَنَةٍ وَخَمْسَةِ أَشْهُرٍ ؛ مِنْهَا فِي الْخِلَافَةِ سِتُونَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، مَرَّتْ فِيهَا أَهْوَالٌ عَظِيمَةٌ ، وَشَدَائِدٌ آلَتْ بِهِ إِلَى أَنْ جَلَسَ عَلَى نَخْ ، وَفَقَدَ الْقُوَى فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، حَتَّى كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ

<sup>١</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ٢٠ - ٢١ ؛ المقرئزي : اتعاظ الخنفا ٢ : ٢٥٧ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢١ - ٢٢ ؛ نفسه ٢ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٣١٠ وفيه أن ذلك سنة ٤٥٢ هـ .

<sup>٣</sup> نفسه ٢٢ ، نفسه ٢ : ٢٦١ سنة ٤٥٢ هـ .

<sup>٤</sup> نفسه ٢٢ - ٢٣ ؛ نفسه ٢ : ٢٦٢ ، سنة ٤٥٢ هـ .

<sup>٥</sup> نفسه ٢٣ - ٢٤ ؛ نفسه ٢ : ٢٦٤ وانظر كذلك

المقرئزي : إغاثة الأمة ٢٢ - ٢٣ ، المقفى الكبير ٣ : ٤٤٥ -

٤٤٦ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ١٣٥ - ١٣٧ ؛ ومقال

إيسنستين Eisenstein, H., «Die Wezine Ägyptens

unter al-Mustansir A.H. 452-466», WZKM 77

(1987), pp. 37-50.

<sup>٦</sup> فيما تقدم ١٣٥ - ١٤٢ .

<sup>٧</sup> فيما يلي ٢٧٦ - ٢٧٨ .



الأشراف تتصدق عليه في كل يوم بقعب فيه فُتيت ، فلا يأكل سواه مرة في كل يوم . وقد مرَّ في غير موضع من هذا الكتاب كثيرٌ من أخباره .

فلَمَّا ماتَ المُستَنصِرُ أقامَ الأفضَلُ بنَ أميرِ الجيوشِ في الخِلافةِ من بعده ابنه «المُستَعلي بالله أبا القاسمِ أحمد»<sup>١</sup> ، وكان مولده في العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربع مائة ، فخالف عليه أخوه نزار وفَرَّ إلى الإسكندرية ، وكان القائمُ بالأمور كلها الأفضَلُ ، فحاربه حتى ظفِرَ به وقتله ، كما تقدّم في خبر أفتكين عند ذكر<sup>(a)</sup> خزائن القصر<sup>٢</sup> .

وفي سنة تسعين وَقَعَ بمصر غلاءٌ ووباءٌ ، وقُطِعَت الخُطبةُ من دِمَشقَ للمُستَعلي ، وخُطِبَ بها للعبّاسي ، وخرَجَ الفِرْنَجُ من قُسطنطينية لأخذ سواحل الشام وغيرها من أيدي المسلمين ، فملكوا أنطاكية<sup>٣</sup> .

وفي سنة إحدى وتسعين خَرَجَ الأفضَلُ بعسكرٍ عظيمٍ من القاهرة ، فأخذ بيت المقدس من الأرتقية<sup>(b)</sup> ، وعاد إلى القاهرة<sup>٤</sup> .

وفي سنة اثنتين وتسعين ، ملكَ الفِرْنَجُ الرملة وبيت المقدس ، فخرَجَ الأفضَلُ بالعساكرِ وسارَ إلى عسقلان ، فسارَ إليه الفِرْنَجُ وقاتلوه وقتلوا كثيرًا من أصحابه ، وغنموا منه شيئًا كثيرًا وحَصَرُوهُ ، فنَجَا بنفسه في البحر وصارَ إلى القاهرة<sup>٥</sup> .

وفي سنة ثلاثٍ وتسعين ، عمَّ الوباءُ أكثر البلاد ، فهلكَ بمصر عالمٌ عظيمٌ<sup>٦</sup> .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الأرمن .

*Musta'li VII, p. 726.*

<sup>١</sup> لم تقدّم وإنما ستأتي فيما يلي ٣٩٢-٣٩٥ .  
<sup>٢</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ٦٤ ؛ المقرئزي : اتعاظ الخنفا ١٩:٣-٢٠ .  
<sup>٣</sup> نفسه ٦٥-٦٦ ؛ نفسه ٣:٢٢ .  
<sup>٤</sup> نفسه ٦٦-٦٧ ؛ نفسه ٣:٢٢ ، ٢٤ ، ابن الطوير : نزهة المقلتين ٣-٤ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨:٢٥٦-٢٥٧ .  
<sup>٥</sup> نفسه ٦٨ ؛ نفسه ٣:٢٥ .

<sup>١</sup> المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله سادس خلفاء القاطميين في مصر وتاسعهم من المهدي ، راجع أخباره عند ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٨٢-٨٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١:١٧٨-١٨٠ ؛ ابن ميسر : أخبار مصر ٥٩-٧٠ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ٦:٤٤٢-٤٦٠ ؛ المقرئزي : المقفى الكبير ١:٦٦٥-٦٦٧ ، اتعاظ الخنفا ٣:٩-٢٨ ؛ أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥:١٤٢-١٦٩ ؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧:١٨٧-٢١٧ ؛ *Gibb, H.A.R., El<sup>2</sup> art. al-*



وفي سنة أربع وتسعين، خَرَجَ عَشْكَرُ مِصْرَ لِقِتَالِ الفَرِجِ، وكانت بينهما حروب كثيرة<sup>١</sup>.  
 وفي سنة خمس وتسعين وأربع مائة، ماتَ المُسْتَعْلِي بالله ثلاث عشرة بقية من صَفَرٍ،  
 وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يومًا، ومُدَّةُ خِلافتِهِ سَبْعُ سِنِينَ وشهران<sup>٢</sup>. وفي أَيَّامِهِ  
 اخْتَلَّتِ الدَّوْلَةُ / وانقَطَعَتِ الدُّعْوَةُ من أَكْثَرِ مُدُنِ الشَّامِ، فَإِنَّهَا صَارَتْ بَيْنَ الأَثْرَاقِ والفَرِجِ،  
 وصَارَتْ الإِسْمَاعِيلِيَّةُ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةُ نِزَارِيَّةٍ تَطْعَنُ فِي إِمَامَةِ المُسْتَعْلِي، وفرقة ترى صِحَّةَ خِلافتِهِ<sup>٣</sup>.  
 ولم يَكُنْ لِلْمُسْتَعْلِي مع الأَفْضَلِ أَمْرٌ ولا نَهْيٌ ولا نَفوذٌ كَلِمَةٍ، وقيل إِنَّهُ سُمِّمَ، وقيل بِلِ قُتِلَ سِرًّا.  
 فَلَمَّا ماتَ، أَقامَ الأَفْضَلُ من بَعْدِهِ فِي الخِلافةِ ابْنَهُ «الأمير بأحكام الله أبا علي منصورًا»،  
 وعمره خمس سنين وشهر وأيام، فقتل الأَفْضَلُ فِي أَيَّامِهِ، وأقامَ فِي الخِلافةِ تسعًا وعشرين سنة  
 وثمانية أشهر ونصفًا. وقد ذَكَرْتُ تَرْجُمَتَهُ عِنْدَ ذِكْرِ الجَامِعِ الأَقْمَرِ فِي ذِكْرِ الجَوَامِعِ من هَذَا  
 الكِتَابِ<sup>٤</sup>.

ولَمَّا قُتِلَ الأَمْرُ بِأحكامِ اللهِ، أُقيمَ من بَعْدِهِ «الحافظُ لدينِ اللهِ أبو الميمون عبد المجيد» ابن  
 الأمير أبي القاسم محمد بن المُسْتَنْصِرِ بالله<sup>٥</sup>، وكان قد وُلِدَ بَعَثَقْلانَ فِي المَحْرَمِ سنة سبع وقيل فِي

عليه أخاه الأصغر أبا القاسم أحمد وهو فِي نفس الوقت زوج  
 سَيْتِ المَلِكِ أختِ الوَزِيرِ الأَفْضَلِ. وأدَّى إِبْعَادُ نِزَارٍ إِلَى نَتائِجَ  
 بَعِيدَةٍ المَدَى، فَمَا قامَ بِهِ الوَزِيرُ الأَفْضَلُ هُوَ انْقِلَابٌ سِياسِي  
 coup d'état واضع المعالم محافظة على السلطان القوي  
 الذي كان يتمتع به منفردًا منذ أواخر عهد المُسْتَنْصِرِ بالله  
 (راجع، أمين فؤاد: الدولة الفاطمية فِي مِصْرَ ٢٢٠-٢٢٥).  
<sup>٤</sup> فيما يلي ٢: ٢٩٠-٢٩١.

<sup>٥</sup> راجع ترجمته عند ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة  
 ٩٤-١٠١؛ ابن ميسر: أخبار مِصْرَ ١١٣-١٤١؛ ابن  
 خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٣٥-٢٣٧؛ النويري: نهاية  
 الأرب ٢٨: ٢٩٦-٣١٠؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٦: ٥٠٦-  
 ٥٥٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥: ١٩٩-٢٠٢؛  
 الصفدي: الوافي بالوفيات ١٩: ١٢٦-١٢٧؛ المقرئ:  
 اتعاظ الخنفا ٣: ١٣٥-١٩٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة  
 Magued, A.M., *El<sup>2</sup> art. al-Hâfiz* ٢٤٥-٢٣٧: ٥  
 III, pp. 56-57.

<sup>١</sup> ابن ميسر: أخبار مِصْرَ ٦٨، المقرئ: اتعاظ الخنفا  
 ٣: ٢٦؛ وانظر مقال برت Brett, M., «The Battles of  
 Ramla (1099-1105)», in *Egypt and Syria in the  
 Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras*, Leuven  
 1995, pp. 45-59.

<sup>٢</sup> نفسه ٦٩، نفسه ٣: ٢٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٨١.  
 وفي عيون الأخبار لعلم الدين إدريس ٧: ١٩١ أن ميلاده فِي المَحْرَمِ  
 سنة ٤٦٧هـ، بينما يذكر السجل رقم ٦ فِي مجموعة السجلات  
 المُسْتَنْصِرِيَّةِ أَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَ الأَحَدِ ١٤ صَفَرِ سنة ٤٥٢هـ.

<sup>٣</sup> تُشِيرُ المقرئ هُنَا إِلَى الانْقِسامِ الأَوَّلِ لِلدُّعْوَةِ  
 الإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالَّذِي حَدَثَ فِي أعقابِ وِفاةِ الإِمَامِ المُسْتَنْصِرِ  
 بالله. فالعقيدة الإِسْمَاعِيلِيَّةُ تَعْتَمِدُ انْتِقَالَ الإِمَامَةِ فِي الأعقابِ  
 من الأبِ إِلَى الابنِ الأَكْبَرِ، وتَبَقًا لِهَذِهِ القَاعِدَةِ كان نِزارُ -  
 الابنِ الأَكْبَرُ لِلْمُسْتَنْصِرِ - هُوَ صاحِبُ الحَقِّ الشَّرْعِيِّ فِي  
 خِلافةِ أَبِيهِ. ومع ذلك فلم يُعْرَ الوَزِيرُ القَوِي الأَفْضَلُ شَاهِنشاهَ  
 هَذَا التَّقْلِيدِ أَيِ اعْتِبارِ وَأَبْعَدَ نِزارَ - الَّذِي كان لَهُ من العَمْرِ  
 آنذاك خَمْسُونَ عَامًا (وُلِدَ سنة ٤٣٧هـ) - عَنِ العَرشِ وَأَجْلَسَ



سنة ثمانٍ وتسعين وأربع مائة ، لما أخرج المُشْتَنَصِر ابنه أبا القاسم مع بقية أولاده في أيام الشدة ،  
فلذلك كان يُقال له ، في أيام الأمير بأحكام الله : الأمير عبد المجيد العسقلاني ابن عم مولانا .  
ولما قتل النزارية الخليفة الأمير ، أقام بزغش وهزار الملوك الأمير عبد المجيد في دشت الخلافة ،  
ونعتاه<sup>١</sup> بـ «الحافظ لدين الله» ، وأنه يكون كفيلاً لمنتظر في بطن أمه من أولاد الأمير ، واستقر هزاز  
الملوك وزيراً . فثار العسكر وأقاموا أبا علي بن الأفضل وزيراً ، وقُتل هزار الملوك ، ونهب شارع  
القاهرة ، وذلك كله في يوم واحد<sup>١</sup> .

فاستبد أبو علي بالوزارة يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسة مائة<sup>٢</sup> ،  
وقبض على الحافظ وسجنه مُقيداً ، فاستمر إلى أن قُتل أبو علي في سادس عشر المحرم سنة ست  
وعشرين ، فأخرج من معتقله ، وأخذ له العهد على أنه «ولي عهد كفيلاً لمن يُذكر اسمه» ، فاتخذ  
الحافظ هذا اليوم عيداً سماه «عيد النصر» ، وصار يُعمل كل سنة<sup>٣</sup> .

ونُهبت القاهرة يومئذ ، وقام يانس صاحب الباب بالوزارة ، إلى أن هلك في ذي الحجة منها بعد  
تسعة أشهر ، فلم يشتوزر الحافظ بعده أحدًا ، وتولى الأمور بنفسه إلى سنة ثمانٍ وعشرين ، فأقام ابنه  
سليمان ولي عهد مقام وزير ، فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات ، فجعل مكانه ابنه<sup>٤</sup> حيدر ،  
فحنق ابنه حسن وثار بالفتنة ، وكان من أمره ما ذكر في خبر الحارة اليانسية من هذا الكتاب<sup>٤</sup> .

(a) بولاق : ولقباه . (b) بولاق : ابن .

ويكون التاريخ المحدد لصدور هذا السجل هو اليوم الذي  
اشترك فيه عبد المجيد وأبو علي في إدارة الدولة . (Stern,  
S.M., «A Fatimid Decree of the Year 524/1130»,  
BSOAS 23 (1960), pp. 439-55; id., *Fatimid*  
*Decrees*, London 1964, pp. 35-45; أمين فؤاد:  
الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٢-٢٤٩) .

<sup>٣</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ٣٣-٣٥ ؛ ابن ميسر : أخبار  
مصر ١١٥-١١٧ ؛ المقرئ : اتعاظ الحنفا ٣: ١٤٣-  
١٤٦ ، المقفى الكبير ١: ٣٩٧-٣٩٨ ؛ أبو المحاسن : النجوم  
الزاهرة ٥: ٢٤٧-٢٤٨ ، وفيما يلي ٥٩٣ .

<sup>٤</sup> فيما يلي ٢: ١٧-١٨ .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢٦-٢٨ ؛ ابن ميسر : أخبار  
مصر ١١٣ ؛ المقرئ : اتعاظ الحنفا ٣: ١٣٧-١٣٨ ،  
١٣٩ ، المقفى الكبير ١: ٣٩٤ ، ٣: ٨٠ ؛ وفيما يلي ٣٤٩ .

<sup>٢</sup> يوجد في مجموعة الوثائق المحفوظة في دير سانت  
كاترين سجل صادر في شهر ذي القعدة سنة ٥٢٤ هـ ، وهو  
سجل بالغ الأهمية من حيث تاريخ صدره والأشخاص  
المذكورين فيه ، فهو صادر في شهر ذي القعدة سنة ٥٢٤ هـ /  
أكتوبر ١١٣٠ م عن «ولي عهد المسلمين...» وكافل قضاة  
المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبي علي أحمد بن السيد  
الأجل الأفضل أمير الجيوش» ، وقد ضاع اسم ولي العهد مع  
فاتحة السجل وهو دون شك الأمير أبو الميمون عبد المجيد ،



فَلَمَّا قُتِلَ حَسَنٌ ، قَامَ بِبَهْرَامِ الْأَرْمَنِيِّ وَأَخَذَ الْوِزَارَةَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ، فَاشْتَدَّ ضَرَرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ النَّصَارَى ، وَكَثُرَتْ أذْيُهُمْ <sup>١</sup> . فَسَارَ رِضْوَانُ بْنُ رِضْوَانَ بْنِ الْخَشِي - وَهُوَ يَوْمئِذٍ مُتَوَلِّيُ الْغُرَبَاءِ - وَجَمَعَ النَّاسَ لِحَرْبِ بَهْرَامِ ، وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَانْهَزَمَ بِبَهْرَامِ ، وَدَخَلَ رِضْوَانُ الْقَاهِرَةَ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْوِزَارَةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ ، فَأَوْقَعَ بِالنَّصَارَى وَأَذَلَّهُمْ ، فَشَكَرَهُ النَّاسُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ خَفِيْفًا عَجُولًا ، فَأَخَذَ فِي إِهَانَةِ حَوَاشِي الْخَلِيفَةِ وَهَمَّ بِخَلْعِهِ ، وَقَالَ : مَا هُوَ بِإِمَامٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَفِيلٌ لِغَيْرِهِ وَذَلِكَ الْغَيْرُ لَمْ يَصِحَّ <sup>٢</sup> .

فَتَوَحَّشَ الْحَافِظُ مِنْهُ ، وَمَا زَالَ يَدْبُرُ عَلَيْهِ حَتَّى ثَارَتْ فِتْنَةٌ أَنْهَزَمَ فِيهَا رِضْوَانٌ ، وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَجَمَعَ وَعَادَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ ، فَجَهَّزَ لَهُ الْحَافِظُ الْعَسَاكِرَ لِمُحَارَبَتِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ وَأَنْهَزَمَ مِنْهُمْ إِلَى الصُّعَيْدِ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَاعْتَقَلَ ، فَلَمْ يَسْتَوِزِرِ الْحَافِظُ أَحَدًا بَعْدَهُ إِلَى أَنْ كَانَتْ سَنَةُ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ ، فَعَلَّتِ الْأَسْعَاذُ بِمِصْرَ ، وَكَثُرَ الْوَبَاءُ ، وَامْتَدَّتْ إِلَى سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ فَعَظُمَ الْوَبَاءُ <sup>٣</sup> .

وَفِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ، خَلَصَ رِضْوَانٌ مِنْ مُعْتَقَلِهِ بِالْقَصْرِ ، وَخَرَجَ مِنْ نَقَبٍ وَثَارَ بِجَمَاعَةٍ ، وَكَانَتْ فِتْنَةٌ آلتَ إِلَى قَتْلِهِ <sup>٤</sup> .

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ ، ثَارَتْ فِتْنَةٌ بِالْقَاهِرَةِ بَيْنَ طَوَائِفِ الْعَسْكَرِ ، فَمَاتَ الْحَافِظُ لَيْلَةَ الْخَامِسِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ عَنْ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، مِنْهَا مَدَّةٌ خِلَافَتِهِ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَتِسْعَةَ عَشْرٍ يَوْمًا أَصَابَتْهُ فِيهَا شِدَائِدُ كَثِيرَةٌ . وَكَانَ حَازِمًا سَيُوسًا كَثِيرَ الْمُدَارَاةِ ، عَارِفًا جَمَاعًا لِلْمَالِ ، مُغْرَى بِعِلْمِ النُّجُومِ ، يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْحِلْمُ <sup>٥</sup> .

فَلَمَّا مَاتَ وَالْفِتْنَةُ قَائِمَةٌ ، أُقِيمَ ابْنُهُ «الظَّافِرُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو مَنْصُورِ إِسْمَاعِيلِ» ، وَمَوْلَاهُ لِلنَّصَفِ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، فَأَقَامَ فِي الْخِلَافَةِ أَرْبَعِ سِنِينَ وَثَمَانِيَةَ

<sup>١</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ١٢٢-١٢٣؛ المقرئزي: اتعاظ الخنفا ١٦٦:٣-١٦٧.

<sup>٢</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ١٣٠-١٣٤؛ المقرئزي: اتعاظ الخنفا ١٧٢:٣-١٧٦.

<sup>٣</sup> نفسه ١٣٧-١٣٨.

<sup>٤</sup> نفسه ١٤٠؛ المقرئزي: اتعاظ الخنفا ١٨٩:٣.

<sup>٥</sup> ابن الطوير: نزعة المقلتين ٥١-٥٢؛ ابن ميسر: أخبار

المقفى الكبير ٥١٢:٢-٥١٧؛ Canard, M., «Un vizir chrétien à l'époque fatimide: l'arménien Bahram», *AIEO* XII (1954), pp. 143-47, id., *El* art. *Bahrâm* I, p. 968.



أشهر إلا خمسة أيام، وكان محكومًا عليه من الوزارء<sup>(a)</sup> .  
وفي أيامه أُحْدِثَ عَشْقَلَانُ ، فَظَهَرَ الخَلَلُ فِي الدَّوْلَةِ ٢ . وقد ذَكَرْتُ أخباره فِي حُطِّ الحُسْبِيَّةِ  
عند ذِكْرِ الخِطَطِ من هذا الكتاب ٣ .

فَلَمَّا قُتِلَ ، أُقِيمَ من بعده ابنه «الفائزُ بنُصرِ الله أبو القاسم عيسى» ، أقامه فِي الخِلافةِ بعد  
مَقْتَلِ أبيه الوَزيْرُ عَبَّاسٌ ، وعمره خَمْسَ سنين ٤ . فَقَدِمَ طَلائِعُ بنُ رُزَيْكٍ والي الأَشْمُونِيْنَ بِجموعه  
إلى القَاهِرَةِ ، ففرَّ عَبَّاسٌ ، واستولى طَلائِعُ على الوَزارَةِ ، وتلقب بـ «الصَّالِحِ» ٥ ، وقامَ بِأمرِ الدولة  
إلى أن ماتَ الفائزُ لثلاثِ عشرةَ بقية من رَجَبِ سنة خمسٍ وخمسين عن إحدى عشرة سنة  
وستة أشهر ويومين ، منها فِي الخِلافةِ ستَّ سنين وخمسة أشهر وأيام لم يَرِ فِيها خَيْرًا ، فإنه لما أُخْرِجَ  
ليُقامَ خَلِيفَةً رأى أعمامَه قَتَلَى وَسَمِعَ الصُّراخَ ، فاخْتَلَّ عقلُه وصارَ يَصْرُخُ حتى مات .

فأقامَ الصَّالِحُ بنُ رُزَيْكٍ فِي الخِلافةِ بعده «العاظِدُ لدينِ الله أبا محمد عبد الله» بن الأمير  
يوسف بن الحافظ لدين الله . ومولده لعشرِ بقين من المحرم سنة ست وأربعين / وخمس مائة ،  
وكان عمره يوم بُويِعَ نحو إحدى عشرة سنة ٦ . وقامَ الصَّالِحُ بتدبيرِ الأمورِ إلى أن قُتِلَ فِي رَمَضانِ

(a) بولاق : الوزارة .

- ١ راجع أخبار الظاهر بأمر الله (بأعداء الله) عند، ابن  
ميسر: أخبار مصر ١٤١-١٤٩؛ ابن ظافر: أخبار الدول  
المنقطعة ١٠٢-١٠٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان  
١: ٢٣٧-٢٣٨؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣١٠-  
٣١٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٩: ١٥١-١٥٣؛  
المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ١٩٣-٢١٠، المقفى الكبير  
٢: ١٢١-١٢٢؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ٥: ٢٨٨-  
٢٩٧؛ وانظر نص سجل بيعة الظاهر عند القلقشندي: صبح  
الأعشى ٩: ٢٨٦-٢٩١ (نشره أيضًا جمال الدين الشيال:  
مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٦٩-٢٧٤، وانظر الدراسة  
التحليلية ١٠٨-١١٣ .
- ٢ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٦؛ ابن القلانسي: ذيل  
تاريخ دمشق ٣٢٠-٣٢٢؛ ابن الأثير: الكامل ١١: ١٨٨-  
١٨٩؛ أبو شامة: الروضتين ١: ٢٢٣-٢٢٥؛ المقريزي:
- ٣ اتعاظ ٣: ٢٠٩ .
- ٤ فيما يلي ٢: ٣٠ .
- ٥ راجع أخبار الفائز بنصر الله عند، ابن ظافر: أخبار  
الدول المنقطعة ١٠٨-١١٠؛ ابن ميسر: أخبار مصر ١٤٩-  
١٥٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ١٥٩-١٦١؛  
النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣١٨-٣٢٢؛ المقريزي: اتعاظ  
الحنفا ٣: ٢١١-٢٣٩؛ أبي المحاسن: النجوم الزاهرة  
٥: ٣٠٦-٣٣٣ .
- ٦ انظر أخبار الصالح طلائع فيما يلي ٢: ٢٩٣-٢٩٤ .
- ٧ راجع أخبار العاضد لدين الله عند، ابن ظافر: أخبار  
الدول المنقطعة ١١١-١١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان  
٣: ١١٢-١١٣؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٣٢٢-  
٣٤٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٧: ٦٨٥-٦٩٤؛  
المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٢٤١-٣٣٤؛ أبي المحاسن: =



سنة ست وخمسين ، كما ذُكِرَ في خَبْرِهِ عند ذِكْرِ الجَوَامِعِ <sup>١</sup> .

فَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ رُزَيْكُ بْنُ طَلَّاحِ وَحَسُنَتْ سِيرَتُهُ ، فَعَزَلَ شَاوِرُ بْنُ مُجِيرِ السَّعْدِيِّ عَنِ وِلَايَةِ قُوصٍ ، فَلَمْ يَقْبَلِ العَزْلَ ، وَحَشَدَ وَسَارَ عَلَى طَرِيقِ الوَاحَاتِ فِي البَرِّيَّةِ إِلَى تَرْوِجَةَ ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَسَارَ إِلَى القَاهِرَةِ ، فَلَمْ يَثْبُتْ رُزَيْكُ وَقَرَّ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ بِإِطْفِاحٍ <sup>٢</sup> .

٥ واستقرَّ شَاوِرُ فِي الوِزَارَةِ لِأَيَّامٍ خَلَّتْ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ ، فَأَقَامَ إِلَى أَنْ ثَارَ ضِرْعَاغَمُ صَاحِبُ البَابِ ، فَفَرَّ مِنْهُ إِلَى الشَّامِ ، وَاسْتَبَدَّ ضِرْعَاغَمُ بِالْوِزَارَةِ فَقَتَلَ أَمْرَاءَ الدَّوْلَةِ ، وَأَضْعَفَهَا بِسَبَبِ ذَهَابِ أَكْبَارِهَا . فَقَدِمَ الفِرْنَجُ وَنَازَلُوا مَدِينَةَ بَلْبَيْسِ مُدَّةً ، وَدَافَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عِدَّةً مِرَارٍ حَتَّى عَادُوا إِلَى بِلَادِهِمْ بِالسَّاحِلِ ، وَرَجَعَ العَسَاكِرُ إِلَى القَاهِرَةِ وَقَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ .

فَوَصَلَ شَاوِرُ بِعَسَاكِرِ الشَّامِ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ، فَحَارَبَهُ ضِرْعَاغَمُ عَلَى بَلْبَيْسِ بِعَسَاكِرِ مِصْرَ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَعَهُ مَعَارِكٌ انْهَزَمُوا فِي آخِرِهَا ، وَغَنِمَ شَاوِرُ وَمَنْ مَعَهُ سَائِرَ مَا خَرَجُوا بِهِ - وَكَانَ شَيْفًا جَلِيلًا - فَشَرُّوا بِذَلِكَ ، وَسَارُوا إِلَى القَاهِرَةِ فَكَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حُرُوبٌ آلَتْ إِلَى هَزِيمَةِ ضِرْعَاغَمِ وَقَتْلِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا .

فَاسْتَوْلَى شَاوِرُ عَلَى الوِزَارَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَاخْتَلَفَ مَعَ العُزِّ القَادِمِينَ مَعَهُ مِنَ الشَّامِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَعَهُمْ حُرُوبٌ آلَتْ إِلَى أَنْ شَاوِرَ كَتَبَ إِلَى مُرِّي [Amaury] مَلِكِ الفِرْنَجِ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى القَاهِرَةِ ، لِيُعِينَهُ عَلَى مُحَارَبَةِ شِيرْكُوهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ العُزِّ . فَحَضَرَ وَقَدِ صَارَ شِيرْكُوهِ فِي مَدِينَةِ بَلْبَيْسِ . فَخَرَجَ شَاوِرُ مِنَ القَاهِرَةِ ، وَنَزَلَ هُوَ وَمُرِّي [Amaury] عَلَى بَلْبَيْسِ ، وَحَصَرَ شِيرْكُوهِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ وَقَعَ الصُّلْحُ ، فَسَارَ شِيرْكُوهِ بِالعُزِّ إِلَى الشَّامِ ، وَرَحَلَ الفِرْنَجُ ، وَعَادَ شَاوِرُ إِلَى القَاهِرَةِ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ إِلَى أَنْ قَدِمَ شِيرْكُوهِ مِنَ الشَّامِ بِالعَسَاكِرِ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي رَبِيعِ الآخِرِ . فَخَرَجَ شَاوِرُ مِنَ القَاهِرَةِ إِلَى لِقَائِهِ ، وَاسْتَدْعَى مُرِّي [Amaury] مَلِكِ الفِرْنَجِ ، فَسَارَ شِيرْكُوهِ عَلَى الشَّرْقِ وَخَرَجَ مِنْ إِطْفِاحٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِ شَاوِرُ بِالفِرْنَجِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَعَهُ الوَقْعَةُ المشهورة ، فَسَارَ شِيرْكُوهِ بَعْدَ الوَقْعَةِ مِنَ الأَشْمُونِيِّينَ وَأَخَذَ الإسْكَندَرِيَّةَ ، وَعَادَ شَاوِرُ إِلَى القَاهِرَةِ <sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> هذه الفترة التي بدأت بعد وفاة رُزَيْكِ بْنِ الصَّالِحِ طَلَّاحِ والتي شهدت الصُّرَاعَ بَيْنَ الوِزِيرَيْنِ شَاوِرِ وَضِرْعَاغَمِ وَالاستعانة بالقوى الأجنبية ممثلة في الدولة النورية من جانب ومملكة بيت المقدس المسيحية من جانب آخر ، والتي أدت إلى طمع هذه القوى في مصر بعد اطلاعها على ضعف الدولة =

= النجوم الزاهرة ٥ : ٣٣٤ - ٣٨٩ ؛ Wiet, G., *El* <sup>٢</sup> art. *al-Ádid* I, pp. 202-3.

<sup>١</sup> فيما يلي ٢ : ٢٩٣ - ٢٩٤ .

<sup>٢</sup> المقرئبي : اتعاظ الخنفا ٣ : ٢٥٣ - ٢٥٤ ؛ Bianquis, Th., *El* <sup>٢</sup> art. *Ruzzik b. Talá'if* VIII, pp. 672-73.



وخرَجَ شيركوه من الإسكندرية بعد أن استخلفَ عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولم يزل يسيّر من الإسكندرية إلى قوص وهو يعجبي البلاد. فخرَجَ شاوَرُ من القاهرة بالفرنج، ونازل الإسكندرية، فبلغَ شيركوه ذلك، فعادَ من قوص إلى القاهرة وحصرها، ثم كانت أمورُ آخرها مسيرَ شيركوه وأصحابه من أرض مصر إلى الشام في سؤال. وقد طمِعَ الفِرْنَجُ في البلاد، وتسلموا أسوارَ القاهرة، وأقاموا فيها شحنةً معه عدّة من الفِرْنَجِ لمقاسمة المسلمين ما يتحصّل من مال البلد، وفحشَ أمرُ شاوَرِ وساءت سيرته، وكثُرَ تجزّيه على الدماء وإتلافه للأموال.

فلما كان في سنة أربع وستين، قوي تمكن الفِرْنَجِ في القاهرة، وجاروا في حكمهم بها، وركبوا المسلمين بأنواع الأهبة<sup>(a)</sup>، فسارَ مُرّي [Amaury] يريد أخذَ القاهرة، ونزلَ على مدينة بلبيس وأخذها عنوة. فكتبَ العاضدُ إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه، ويحثه على نجدة الإسلام وإنقاذ المسلمين من الفِرْنَجِ. فجهّزَ أسدَ الدين شيركوه في عسكرٍ كثير، وجهّزهم وسيّرهم إلى مصر، وقد أحرَقَ شاوَرُ مدينةَ مصر كما تقدّم<sup>١</sup>.

ونزلَ مُرّي [Amaury] ملكَ الفِرْنَجِ على القاهرة، وألحَّ في قتال أهلها حتى كادَ أن يأخذها عنوةً، فسيرَ إليه شاوَرُ وخادعَه حتى رضي بمالٍ يجمعه له، فشرعَ في جبايته وإذا بالخبرَ ورَدَ بقُدوم شيركوه<sup>(b)</sup> فرحلَ الفِرْنَجُ عن القاهرة في سابع ربيع الآخر<sup>(b)</sup>. ونزلَ شيركوه على القاهرة بالغزِّ ثالثَ مرّةٍ فخلعَ عليه العاضدُ وأكرمه، فأخذَ شاوَرُ يفتك بالغزِّ على عادته، فكان من قتله ما ذكِرَ في موضعه، وذلك في سابع عشر ربيع الآخر المذكور. وتقلدَ شيركوه وزارة

(a) بولاق : الإهانة . (b-b) ساقطة من آياصوفيا .

siècle, Paris 1906; Elisséeff, N., *Nûr al-Dîn, un grand prince musulman de Syrie au temps des Croisades*, Damas 1967; Cahen, Cl., «Un récit inédit du vizirat de Dirghâm», *An. Isl.* VIII (1969), pp. 27-61; Canard, M., *El<sup>2</sup> art. Dirghâm II*, pp. 327-28; Richards, D. S., *El<sup>2</sup> art. Shirkûh IX*, pp. 504-505. id., *El<sup>2</sup> art. Shâwar IX*, pp. 384-85

فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٨٧-٣٠٩.

<sup>١</sup> انظر فيما تقدم ١٤٢-١٤٦.

= الفاطمية والتي انتهت بوصول أسد الدين شيركوه ثم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى كرسي الوزارة في مصر ثم انقلاب صلاح الدين على الدولة الفاطمية وعودة مصر مرةً أخرى إلى دائرة البلاد السنية التي تدعو للخليفة العباسي . نجد أخبار هذه الفترة عند عمارة اليمني وابن ظافر وابن الأثير وأبي شامة وابن واصل والنويري وابن الفرات والمقرئ في الاتعاظ وفي السلوك، وانظر كذلك Schlumberger, G., *Compagnes du Roi: Amaury I<sup>er</sup> de Jérusalem en Égypte au XII<sup>ème</sup>*



العاضد وقام بأمر<sup>a</sup> الدولة شهرين وخمسة أيام، ومات في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة .

فقوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب ، فساس الأمور ودبر لنفسه ، فبذل الأموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال . فلم يزل أمره في ازدياد وأمر العاضد في نقصان ، وصار يخطب من بعد العاضد للسلطان نور الدين محمود<sup>b</sup> ، وأقطع أصحابه البلاد ، وأبعد أهل مصر وأضعفهم ، واستبد بالأمور ومنع العاضد من التصرف ، حتى تبين للناس ما يريد من إزالة الدولة ، إلى أن كان من واقعة العبيد ما ذكر ، فأبادهم وأفناهم<sup>١</sup> . ومن حيثئذ تلاشى العاضد وانحل أمره ، ولم يبق له سوى إقامة ذكره في الخطبة فقط ؛ هذا وصلاح الدين يوالي الطلب منه في كل يوم ليضعفه ، فأتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك ، حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد فطلبه منه وأجأه إلى إرساله ، وأبطل ركوبه من ذلك الوقت ، وصار لا يخرج من القصر البتة . وتتبع صلاح الدين مجند العاضد ، وأخذ دور الأمراء وإقطاعاتهم فوهبها لأصحابه ، وبعث إلى أبيه وإخوته وأهله فقدموا من الشام عليه .

فلما كان في سنة ست وستين أبطل المكوس من ديار مصر ، وهدم دار المعونة بمصر وعمرها / مدرسة للشافعية ، وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية<sup>٢</sup> ، وعزل قضاة مصر الشيعة وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك بن دزباس الشافعي وجعل إليه الحكم في إقليم مصر كله ؛ فعزل سائر القضاة واستناب قضاة شافعية ، فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي - رضي الله عنهما - واحتفى مذهب الشيعة إلى أن نسي من مصر<sup>٣</sup> .

وأخذ في غزو الإفرنج<sup>c</sup> ، فخرج إلى الرملة وعاد في ربيع الأول ، ثم سار إلى أيلة ، ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج في ربيع الآخر ، ثم سار إلى الإسكندرية ولم شعث سورها وعاد ، وسير ثوران شاه فأوقع بأهل الصعيد ، وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة وعاد .

(a) ساقطة من بولاق ، وفيه وقام بالدولة . (b) بولاق . محمد نور الدين . (c) بولاق : الفرنج .

<sup>١</sup> فيما يلي ٢:٢-٣ .

<sup>٢</sup> فيما يلي ٢:٣٦٣ .

<sup>٣</sup> سعييد المقرئ في تفصيل ذلك فيما يلي ٢:٣٥٦-



فَكَثُرَ الْقَوْلُ مِنْ صَلاَحِ الدِّينِ وَأَصْحَابِهِ فِي ذَمِّ العَاضِدِ ، وَتَحَدَّثُوا بِخُلْعِهِ وَإِقَامَةِ الدَّعْوَةِ العَبَّاسِيَّةِ بِالقَاهِرَةِ وَمِصرَ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَي سَائِرِ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ وَأَنْزَلَ أَصْحَابَهُ فِي دُورِهِمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَصْبَحَ فِي البَلَدِ مِنَ العَوِيلِ والبُكَاءِ مَا يُذْهِلُ ، وَتَحَكَّمُ أَصْحَابُهُ فِي البَلَدِ بِأَيْدِيهِمْ ، وَأُخْرِجَ سَائِرَ إِقْطَاعَاتِ المِصرِيِّينَ لِأَصْحَابِهِ ، وَقَبِضَ عَلَي بِلَادِ العَاضِدِ وَمَنَعَ عَنْهُ سَائِرَ مَوَادِّهِ ، وَقَبِضَ عَلَي القُصُورِ وَسَلَّمَهَا إِلى الطُّوَّاشِي بَهَاءِ الدِّينِ قَرَأُوشِ الأَسَدِيِّ ، وَجَعَلَهُ زِمَامَهَا <sup>١</sup> . فَضَيَّقَ عَلَي أَهْلِ القِصرِ ، وَصَارَ العَاضِدُ مُعْتَقَلًا تَحْتِ يَدِهِ <sup>٢</sup> .

وَأَبْطَلَ مِنَ الأَذَانِ «حَيٌّ عَلَي خَيْرِ العَمَلِ» ، وَأزال شِعَارَ الدَّوْلَةِ ، وَصَرَخَ <sup>(a)</sup> بِالعَزْمِ عَلَي قَطْعِ خُطْبَةِ العَاضِدِ ، فَمَرِضَ وَمَاتَ وَعَمَرَهُ إِحدى وَعِشْرُونَ سَنَةً إِلاَّ عِشْرَةَ أَيَّامٍ ، مِنْهَا فِي الخِلَافَةِ إِحدى عِشْرَةَ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ <sup>(b)</sup> ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ يَوْمِ عَاشُورَاءِ سَنَةِ سَبْعِ وَسِتِّينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، بَعْدَ قَطْعِ اسْمِهِ مِنَ الخُطْبَةِ وَالدُّعَاءِ لِلْمُسْتَنْجِدِ العَبَّاسِيِّ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ <sup>٣</sup> . وَكَانَ كَرِيمًا لَيِّنَ الجَانِبِ ، مَرَّتَ بِهِ مَخَافٌ وَشِدَائِدٌ ، وَهُوَ آخِرُ الخُلَفَاءِ الفَاطِمِيِّينَ بِمِصرَ . فَكَانَتْ <sup>(c)</sup> مُدَّتُهُمْ بِالمِغربِ وَمِصرَ ، مِنْذُ قَامَ عُبَيْدُ اللهِ المَهْدِيُّ إِلى أَنْ مَاتَ العَاضِدُ ، مِائَتِي سَنَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَيَّامًا ، مِنْهَا بِالقَاهِرَةِ <sup>(d)</sup> مِائَتَانِ وَثَمَانِي سَنِينَ ، فَسُبْحَانَ البَاقِي .

(a) بولاق : وخرج . (b) في اتعاظ الحنفا : إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما . (c) بولاق : وكانت . (d) بولاق : بالقاهرة منها .

A.S., «Saladin's coup d'état in Egypt», in Sami A. Hanna (ed.), *Medieval and Middle Eastern Studies in Honour of Aziz Suryal Atiya*, Leiden 1972, pp. 144-57  
Lev, Y., *Saladin in Egypt*, Leiden ٣٠٠ - ٣٠٩  
1999.

<sup>٣</sup> المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٢٨ .

<sup>١</sup> المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٢٢ .

<sup>٢</sup> هذه التحويلات في السنوات الأخيرة لحكم الدولة الفاطمية في مصر يُطلق عليها «انقلاب صلاح الدين» ، وهو الانقلاب الذي وَضَعَ نِهَايةً للحكم الفاطمي الإسماعيلي في مصر وأعاد مصر مرةً أخرى إلى مجموع الدول السنية التي تخطب للخليفة العباسي في بغداد (راجع ، Ehrenkrutz ،



## ذِكْرُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَوْضِعُ الْقَاهِرَةِ قَبْلَ وَضْعِهَا

اعْلَمُ أَنَّ مَدِينَةَ الْإِقْلِيمِ مِنْذُ كَانَ فَتَحَ مِصْرَ عَلَى يَدِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ مَدِينَةَ الْفُسْطَاطِ - الْمَعْرُوفَةَ فِي زَمَانِنَا بِمَدِينَةِ مِصْرَ - قِبْلَى الْقَاهِرَةِ . وَبِهَا كَانَ مَحَلُّ الْأُمَرَاءِ وَمَنْزِلُ مُلْكِهِمْ ، وَإِلَيْهَا تُجْتَبَى ثَمَرَاتُ الْأَقَالِيمِ ، وَتَأْوِي الْكَافَّةُ . وَكَانَتْ قَدْ بَلَغَتْ مِنْ وُفُورِ الْعِمَارَةِ ، وَكَثْرَةِ النَّاسِ ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ ، وَالثَّقَنُ فِي أَنْوَاعِ الْحَضَارَةِ ، وَالتَّائِقُ فِي النَّعِيمِ ، مَا أَرَبَتْ بِهِ عَلَى كُلِّ مَدِينَةٍ فِي الْمَعْمُورِ حَاشَا بَغْدَادَ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ سُوقَ الْعَالَمِ ، وَقَدْ زَاخَمَتْهَا مِصْرُ وَكَادَتْ أَنْ تُسَامِيَهَا إِلَّا قَلِيلًا <sup>١</sup> .

ثُمَّ لَمَّا انْقَضَتِ الدَّوْلَةُ الْإِخْشِيدِيَّةُ مِنْ مِصْرَ ، وَاخْتَلَّ حَالُ الْإِقْلِيمِ بِتَوَالِي الْغَلَوَاتِ وَتَوَاتُرِ الْأَوْبَاءِ وَالْفَنَوَاتِ ، حَدَّثَتْ مَدِينَةُ الْقَاهِرَةِ عِنْدَ قُدُومِ جُيُوشِ الْمُعِزِّ لَدِينِ اللَّهِ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى يَدِ عَبْدِهِ وَكَاتِبِهِ الْقَائِدِ جَوْهَرَ ، فَتَزَلَّ حَيْثُ الْقَاهِرَةُ الْآنَ ، وَأَنَاخَ هُنَاكَ . وَكَانَتْ حِينَئِذٍ رَمْلَةً - فِيمَا بَيْنَ مِصْرَ وَعَيْنِ شَمْسٍ - يَمْرُ بِهَا النَّاسُ عِنْدَ مَسِيرِهِمْ مِنَ الْفُسْطَاطِ إِلَى عَيْنِ شَمْسٍ ، وَكَانَتْ فِيمَا بَيْنَ الْخَلِيجِ الْمَعْرُوفِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ بِخَلِيجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ خَلِيجُ الْقَاهِرَةِ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يُعْرَفُ بِالْخَلِيجِ الْكَبِيرِ وَبِالْخَلِيجِ الْحَاكِمِيِّ . وَبَيْنَ الْخَلِيجِ وَالْجَبَلِ <sup>(a)</sup> الْمَعْرُوفِ بِالْيَحَامِيمِ ، وَهُوَ الْجَبَلُ الْأَحْمَرُ <sup>٢</sup> . وَكَانَ الْخَلِيجُ الْمَذْكُورُ فَاصِلًا بَيْنَ الرَّمْلَةِ الْمَذْكُورَةِ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا أُمُّ دُنَيْنَ ثُمَّ عُرِفَتْ الْآنَ بِالْمَقْسِ . وَكَانَ مِنْ يُسَافِرُ مِنَ الْفُسْطَاطِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ يَنْزِلُ بِطَرْفِ هَذِهِ الرَّمْلَةِ ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ بِمُنْيَةِ الْأَضْبَعِ ، ثُمَّ عُرِفَ إِلَى يَوْمِنَا بِالْحَنْدَقِ .

وَتَمُرُّ الْعَسَاكِرُ وَالثَّجَارُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ مُنْيَةِ الْأَضْبَعِ <sup>٣</sup> إِلَى مَنَى <sup>(b)</sup> جَعْفَرُ عَلَى غِيْفَا وَسَلَمَنْتُ إِلَى بَلْبَيْسَ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَدِينَةِ الْفُسْطَاطِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مَيْلًا ، وَمِنْ بَلْبَيْسَ إِلَى الْعَلَاقِمَةِ إِلَى الْفَرَمَا .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : بني .

<sup>١</sup> راجع رأي المقدسي فيما تقدم ٤ هـ .

<sup>٢</sup> مروان بن الحكم توفي ليلة الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر سنة ست وثمانين قبل أبيه .

<sup>٣</sup> فيما يلي ٢ : ١٣٩ - ١٤٤ .

<sup>٤</sup> حاشية بخط المؤلف : «الأضبع بن عبد العزيز ابن



ولم يكن الدَّزْبُ الذي يُسَلِّكُ في وقتنا من القاهرة إلى العريش في الرَّمْلِ يُعْرَفُ في القَدِيمِ ، وأما عُرْفُ بعد خَرَابِ تَنْبِيسِ وَالْفَرَمَا ، وإزاحة الفِرْنَجِ عن بلاد السَّاحِلِ بعد تملكهم له مُدَّةً من السنين . وكان من يُسافر في البَرِّ من القُسطاطِ إلى الحِجَازِ ينزل بِجُبِّ عَمَيْرَةَ ، المعروف اليوم بِبِرْكَةِ الجُبِّ وبِرْكَةِ الحاج <sup>١</sup> .

ولم يكن عند نُزولِ جَوْهَرِ بهذه الرَّمْلَةِ فيها بُنيانٌ سوى أَمَاكِنِ هي بُسْتَانُ الإخشيدي محمد بن طُغْجِ - المعروف اليوم بالكافوري - من القاهرة ، وَدَيْرٌ لِلنَّصَارِيِّ يُعْرَفُ بِدَيْرِ العِظَامِ ، تَزْعُمُ النَّصَارِيُّ أَنَّ فِيهِ بَعْضٌ من أَذْرَكِ المَسِيحِ - عليه السَّلَامِ - وبقي الآن بِمَرِّ هذا الدَّيْرِ ، وَيُعْرَفُ بِبِرِّ العِظَامِ - والعامةُ تقول بِبِرِّ العِظْمَةِ - وهي بجوار الجامع الأَقْمَرِ من القاهرة ، ومنها يُنْقَلُ الماءُ إليه . وكان بهذه الرَّمْلَةِ أيضًا مكانٌ ثالثٌ يُعْرَفُ بِقُصَيْرِ الشُّوكِ - بصيغة التصغير - تنزله بنو عُذْرَةَ في الجاهلية ، وصارَ موضِعُهُ عند بناء القاهرة يُعْرَفُ بِقُصْرِ الشُّوكِ من جملة القُصُورِ الزَّاهِرَةِ . هذا الذي أَطْلَعَتْ عليه أَنَّهُ كان في مَوْضِعِ القاهرة قبل بِنَائِهَا بعد الفَحْصِ والتفتيش .

وكان النَّيْلُ حينئذٍ بِشَاطِئِ المَقْصِ يَمُرُّ من مَوْضِعِ السَّاحِلِ القَدِيمِ بِمِصْرَ - الذي هو الآن / سوقِ المَعَارِيجِ ، وَحَمَّامِ ظَنَّ <sup>(a)</sup> ، وَالْمَرَاغَةَ ، وَبُسْتَانَ الجُرْفِ ، وَمَوْزِدَةَ الخَلْفَاءِ ، وَمُنْشَأَةَ المَهْرَانِيِّ - على ساحلِ الخَمْرَاءِ ، وهي موضعُ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ ، فيمُرُّ النَّيْلُ بِسَاحِلِ الخَمْرَاءِ إلى المَقْصِ ، موضعِ جامعِ المَقْصِ الآن ، وفيما بين الخَلِيجِ وبين سَاحِلِ النَّيْلِ بِسَاتِيْنِ القُسطاطِ <sup>٢</sup> .

فإذا صارَ النَّيْلُ إلى المَقْصِ ، حيث الجامع الآن ، مَرَّ من هناك على طَرَفِ الأَرْضِ التي تُعْرَفُ اليومَ بِأَرْضِ الطَّبَّالَةِ ، من المَوْضِعِ المعروف اليومَ بِالجُرْفِ ، وصارَ إلى البَعْلِ ، ومَرَّ على طَرَفِ مُنْيَةِ الأَضْبَعِ من غَرْبِيِّ الخَلِيجِ إلى المُنْيَةِ .

وكان فيما بين الخَلِيجِ والجَبَلِ ، مِمَّا يَلِي بِخَرِي مَوْضِعِ القاهرة ، مَسْجِدٌ بُنِيَ على رَأْسِ إِبْرَاهِيمِ ابنِ عبدِ اللهِ بنِ حَسَنِ بنِ الحَسَنِ <sup>(b)</sup> بنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ ، ثم جَدَّدَهُ <sup>(c)</sup> تَيْبَرُ الإخشيدي ، فَعُرِفَ بِمَسْجِدِ تَيْبَرِ ، والعامةُ تقول مَسْجِدَ التَّيْبَرِ <sup>٣</sup> .

(a) بولاق : حمام طن . (b) بولاق : الحسين . (c) بولاق : ثم مسجد .

<sup>٣</sup> فيما يلي ٢ : ٤١٣ .

<sup>١</sup> فيما يلي ٢ : ١٦٣ .

<sup>٢</sup> فيما تقدم ٣٩ ، ١٥٨ .



ولم يكن الممر من الفسطاط إلى عين شمس وإلى الحرف الشرقي وإلى البلاد الشامية، إلا بحافة الخليج، ولا يكاد يمرُّ بالرملة التي في موضعها الآن مدينة القاهرة كبيراً أحد<sup>(a)</sup>، ولذلك كان بها دَيْرٌ للنصارى، إلا أنه لما عمَّر الإخشيد البشتان المعروف بالكافوري، أنشأ بجانبه ميداناً وكان كثيراً ما يُقيم به، وكان كافورٌ أيضاً يُقيم به.

وكان فيما بين موضع القاهرة ومدينة الفسطاط، مما يلي الخليج المذكور، أرض تُعرف في القديم منذ فتح مصر بالحمراء القصبوى، وهي موضع قناطر السباع وجبل يشكر، حيث الجامع الطولوني وما دار به. وفي هذه الحمراء عدة كنائس وديارات للنصارى خربت شيئاً بعد شيء، إلى أن خربت آخرها في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وجميع ما بين القاهرة ومصر، مما هو موجود الآن من العمائر في زمينا<sup>(b)</sup>، فإنه حادثٌ بعد بناء القاهرة، ولم يكن هناك قبل بنائها شيء ألبتة سوى كنائس الحمراء. وسيأتي بيان ذلك مفصلاً في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

### ذِكْرُ حَدِّ الْقَاهِرَةِ

قال ابن عبد الظاهر في كتاب «الروضة البهية الزاهرة في حطط المعزية القاهرة»: الذي استقر عليه الحال أن حدَّ القاهرة من مصر من السبع سبقيات، وكان قبل ذلك من المجنونة إلى مشهد السيدة رقية عرضاً. انتهى.

١٥

والآن تُطلق القاهرة على ما حازه الشور الحجر الذي طوله من باب زويلة الكبير إلى باب الفتوح وباب النصر، وعرضه من باب سعادة وباب الخوخة إلى باب البرقية والباب المحروق. ثم لما توسع الناس في العمارة بظاهر القاهرة، وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة فسطاط مصر، وبنوا خارج باب الفتوح وباب النصر إلى أن انتهت العمائر إلى الريدانية، وبنوا خارج باب القنطرة إلى حيث الموضع الذي يُقال له بولاق من شاطئ بحر النيل<sup>(c)</sup>، وامتدوا بالعمارة من بولاق على الشاطئ إلى أن اتصلت بمشاة المهراي، وبنوا خارج باب البرقية والباب

٢٠

(a) بولاق: كثير جدا. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: حيث شاطئ النيل.

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٦.



المحزوق إلى سفح الجبل بطول السور؛ فصار حينئذ العايز بالشكني على قسمين: أحدهما يُقال له «القاهرة»، والآخر يُقال له: «مصر».

فأما «مصر» فإنَّ حدها - على ما وقع عليه الاصطلاح في زمننا هذا الذي نحن فيه - من حدِّ أول قناطر السباع إلى طرف بركة الحبش القبليِّ ممَّا يلي بساتين الوزير، وهذا هو طول حدِّ مصر. وحدها في العرض من شاطئ النيل، الذي يُعرف قديماً بالساحل الجديد، حيث فم الخليج الكبير وقنطرة السدِّ إلى أول القرافة الكبرى.

وأما حدُّ «القاهرة» فإنَّ طولها من قناطر السباع إلى الريدانية، وعرضها من شاطئ النيل بيولاك إلى الجبل الأحمر؛ ويُطلق على ذلك كله «مصر والقاهرة».

وفي الحقيقة «قاهرة المعز» التي أنشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبي تميم معدَّ إلى مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة، إنما هي ما دار عليه السور فقط. غير أنَّ السور المذكور الذي أداره القائد جوهر، تغيَّر وعُمِلَ - منذ بُنيت إلى زمننا هذا - ثلاث مرَّات، ثم حَدَّت العمايز فيما وراء السور من القاهرة، فصار يُقال لداخل السور «القاهرة»، ولما خرج من السور «ظاهر القاهرة»<sup>١</sup>.

### وظاهر القاهرة أربع جهات:

«الجهة القبليَّة» وفيها الآن معظم العِمارة، وحدُّ هذه الجهة طولاً من عتبة باب زويلة إلى الجامع الطولوني، وما بعد الجامع الطولوني فإنه من حدِّ مصر. وحدُّها عرضاً من الجامع الطيِّزي بشاطئ النيل غربيِّ المريس إلى قلعة الجبل، وفي الاصطلاح الآن أنَّ القلعة من حكم مصر. «والجهة البحريَّة» وكانت، قبل السبع مائة من سني الهجرة وبعدها إلى قبيل الوباء الكبير، فيها أكثر العمايز والمساكن ثم تلاشت من بعد ذلك. وطول هذه الجهة من باب الفتوح وباب النصر إلى الريدانية. وعرضها من مُنبة الأمراء - المعروفة في زمننا الذي نحن فيه بمُنبة السيرج - إلى الجبل الأحمر، ويتدخل في هذا الحدِّ مسجدُ تبر والريدانية.

«والجهة الشرقيَّة» فإنَّها حيث تُربُّ أهل القاهرة، ولم تحدِّث بها العمايز من التُّرب<sup>(a)</sup> إلا بعد

(a) بولاق: التربة.



سنة اثنتي عشرة وسبع مائة . وخذ هذه الجهة طولاً / من باب القلعة المعروف بباب السلسلة<sup>١</sup> إلى ما يُحاذي مسجد تير في سفح الجبل . وخذها عرضاً فيما بين سور القاهرة والجبل .

«والجهة الغربية» فأكثر العماير بها لم تحدث أيضاً إلا بعد سنة اثنتي عشرة وسبع مائة ، وإنما كانت بساتين وبحراً . وخذ هذه الجهة طولاً من منية السيرج إلى منشأة المهراي بحافة بحر النيل . وخذها عرضاً من باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة إلى ساحل النيل .  
وهذه الأربع جهات من خارج السور يُطلق عليها «ظاهر القاهرة» .

وتحوي مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والرُبط ، والدور العظيمة والمسكن الجليّة ، والمناظر البهجة والقصور الشامخة ، والبساتين الفخرة<sup>(a)</sup> ، والحمامات العامرة<sup>(b)</sup> ، والقياسير المعمورة بأصناف الأنواع ، والأسواق المملوءة مما تشتهي الأنفس ، والخانات المشحونة بالواردين ، والفنادق الكاظة بالسكان ، والترب التي تحكي القصور ، ما لا يمكن حصره ، ولا يُعرف ما هو قدره . إلا أن قدر ذلك - بالتقريب الذي يصدقه الاختبار - طولاً يزيد أو ما يزيد<sup>(c)</sup> عليه ، وهو من مسجد تير إلى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش ، و عرضاً يكون نصف يزيد فما فوقه ، وهو من ساحل النيل إلى الجبل .

ويَدْخُلُ في هذا الطول والعرض بركة الحبش وما دار بها ، وسطح الجُزف المسمى بالرُضد ، ومدينة القسطنطاط التي يُقال لها مدينة مصر ، والقرافة الكبرى والقرافة<sup>(d)</sup> الصغرى ، وجزيرة الحصن المعروفة اليوم بالروضة ، ومنشأة المهراي ، وقطائع ابن طولون التي تُعرف الآن بخدرة ابن قميحة ، وخط جامع ابن طولون ، والرميلة تحت القلعة ، والقبيبات وقلعة الجبل ، والميدان الأسود - الذي هو اليوم مقابر أهل القاهرة - خارج باب البرقية إلى قبة النصر ، والقاهرة المعزية وهو ما دار عليه السور الحجر ، والحسينية والرئدينية ، والخندق وكوم الریش وجزيرة الفيل ، وبولاق ، والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة أزوي ، وزرينة قوضون ، وجكر ابن الأثير ، ومنشأة الكتاب<sup>(e)</sup> ، والأحكار التي فيما بين القاهرة وساحل النيل ، وأراضي اللوق ، والخليج الكبير الذي تُسميه العامة

(a) بولاق : النصر . (b) بولاق : الفاخرة . (c) بولاق : بریدا ومايزيد . (d) ساقطة من بولاق . (e) بولاق :

<sup>١</sup> انظر عن باب السلسلة فيما يلي ٢:٢٠٤ ومؤودة المواعظ ٣٤هـ ٢ .



بالخليج الحاكمي ، والحَبَانِيَّة والصُّلَيْبِيَّة والتَّبَّانَةَ ، وَمَشْهَدُ السَّيِّدَةِ نَفَيْسَةَ ، وباب القَرَاة ، وأرض  
الطُّبَّالَةَ ، والخليج النَّاصِرِي ، والمَقْسُ والدُّكَّة ، وغير ذلك مما يأتي ذكره إن شاء الله .

وقد أَدْرَكْنَا هذه المَوَاضِع وهي عَامِرَةٌ ، والمَشَيْخَةُ تَقُولُ هي خَرَابٌ بالنسبة لما كانت عليه قبل  
حُدُوث طَاعُونِ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، الَّذِي يُسَمِّيهِ أَهْلُ مِصْرَ «الْفَنَاءَ الكَبِيرَ»<sup>١</sup> ، وقد تَلَاثَت  
هذه الأَمَاكِنُ ، وَعَمَّهَا الخَرَابُ منذ كانت الحَوَادِثُ بعد سنة سِتِّ وثمان مائة ؛ والله عاقبة الأمور .

### ذِكْرُ بِنَاءِ القَاهِرَةِ وَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الدَّرْوَلَةِ الفَاطِمِيَّةِ

وذلك أَنَّ القَائِدَ جَوْهَرَ الكَاتِبَ ، لما قَدِمَ الجِيْزَةَ بعساکرِ مَوْلَاهُ الإمامِ المُعِزِّ لدينِ الله أبي تَمِيمٍ مَعَدَّ ،  
أَقْبَلَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَسَارَتْ عَسَاكِرُهُ  
بعد زَوَالِ الشَّمْسِ ، وَعَبَّرَتْ الجِيسِرَ أَفْوَاجًا ، وَجَوْهَرَ فِي فَرْسَانِهِ ، إِلَى المِنَاحِ الَّذِي رَسَمَ لَهُ المُعِزُّ مَوْضِعَ  
القَاهِرَةِ الآنَ ، فَاسْتَقَرَّ هُنَاكَ<sup>٢</sup> وَاخْتَطَّ القَصْرَ . وَبَاتَ المِصْرِيُّونَ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا حَضَرُوا لِلهِنَاءِ ،  
فَوَجَدُوهُ قد حَفَرَ أَسَاسَ القَصْرِ بِاللَّيْلِ ، وَكَانَتْ فِيهِ إِزْوَارَاتٌ غيرَ مَعْتَدَلَةٍ ، فَلَمَّا شَاهَدَهَا جَوْهَرَ لَمْ  
تُعْجِبْهُ ، ثُمَّ قَالَ : « قَدْ حُفِرَ فِي لَيْلَةٍ مَبَارَكَةٍ وَسَاعَةٍ سَعِيدَةٍ » ، فَتَرَكَهُ عَلَى حَالِهِ وَأَدْخَلَ فِيهِ دَيْرَ العِظَامِ<sup>٣</sup> .

وَيُقَالُ إِنَّ القَاهِرَةَ اخْتَطَّهَا جَوْهَرَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِسِتِّ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةِ تِسْعٍ  
وَخَمْسِينَ ، وَاخْتَطَّتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ خِطَّةً عُرِفَتْ بِهَا : فزَوَيْلَةُ بِنْتُ الحَارَةِ المَعْرُوفَةِ بِهَا ، وَاخْتَطَّتْ  
جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَرْقَةِ الحَارَةِ البَرْقِيَّةِ ، وَاخْتَطَّتْ الرُّومُ حَارَتَيْنِ : حَارَةَ الرُّومِ الآنَ ، وَحَارَةَ الرُّومِ  
الجَوَانِيَّةِ بِقَرَبِ بَابِ النُّصْرِ<sup>٣</sup> .

وَقَصَدَ جَوْهَرَ بِاخْتِطَاطِ القَاهِرَةِ حَيْثُ هِيَ الْيَوْمَ أَنْ تَصِيرَ حِصْنًا فِيمَا بَيْنَ القَرَامِطَةِ وَبَيْنَ مَدِينَةِ  
مِصْرَ لِيَقَاتِلَهُمْ مِنْ دُونِهَا ، فَأَدَارَ الشُّورَ اللَّيْنِ عَلَى مُنَاحِهِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ بعساکرِهِ ، وَأَنْشَأَ مِنْ دَاخِلِ

(a) بولاق : هناك .

Founding of Cairo», *CIHC*, pp. 125-30; Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte jusqu'à l'époque fatimide*, pp. 141-207.

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٢٢٤ .

<sup>٢</sup> انظر فيما يلي ٢٨٥ . وحول تأسيس مدينة القاهرة

راجع الدراسات الآتية ، Creswell, K. A.C., «The Foundation of Cairo», *Bull. of the Fac. of Arts, Univ. of Egypt* I (1933), pp. 258-81, id., «The

<sup>٣</sup> انظر خبر هذه الحارات في أول المجلد الثالث فيما يلي .



الشُّورَ جَامِعًا وَقَصْرًا، وَأَعَدَّهَا مَعْقَلًا يُتَخَصَّنُ بِهِ وَتَنْزِلُهُ عَسَاكِرُهُ، وَاحْتَفَرَ الْخَنْدَقَ مِنَ الْجِهَةِ الشَّامِيَّةِ لِيَمْنَعَ اقْتِحَامَ عَسَاكِرِ الْقَرَامِطَةِ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَا وِرَاءَهَا مِنَ الْمَدِينَةِ.

وَكَانَ مِقْدَارُ الْقَاهِرَةِ حِينَئِذٍ أَقَلَّ مِنْ مِقْدَارِهَا الْيَوْمَ، فَإِنَّ أَبْوَابَهَا كَانَتْ مِنَ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعَةِ:

فِي الْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ - الَّتِي تُفْضِي بِالسَّالِكِ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ مِصْرَ - بَابَانِ مُتَجَاوِرَانِ يُقَالُ لَهُمَا «بَابَا زَوَيْلَةَ»، وَمَوْضِعُهُمَا الْآنَ بِحِذَاءِ الْمَسْجِدِ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ بِسَامِ بْنِ نُوحٍ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ سِوَى عَقْدِهِ، وَيُعْرَفُ بِبَابِ الْقَوْسِ. وَمَا بَيْنَ بَابِ الْقَوْسِ هَذَا وَبَابِ زَوَيْلَةَ الْكَبِيرِ لَيْسَ هُوَ مِنَ الْمَدِينَةِ الَّتِي أُسِّسَهَا الْقَائِدُ جَوْهَرٌ، وَأَمَّا هِيَ زِيَادَةٌ حَدَّثَتْ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَكَانَ فِي جِهَةِ الْقَاهِرَةِ الْبَحْرِيَّةِ - وَهِيَ الَّتِي يُسَلِّكُ مِنْهَا إِلَى عَيْنِ شَمْسٍ - بَابَانِ: أَحَدُهُمَا «بَابُ النَّصْرِ» وَمَوْضِعُهُ بِأَوَّلِ الرَّحْبَةِ الَّتِي قُدَّامَ الْجَامِعِ / الْحَاكِمِيِّ الْآنَ، وَأَذْرَكَتْ قِطْعَةً مِنْهُ كَانَتْ قُدَّامَ الرُّكْنِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْمَدْرَسَةِ الْقَاصِدِيَّةِ. وَمَا بَيْنَ هَذَا الْمَكَانِ وَبَابِ النَّصْرِ الْآنَ مِمَّا زِيدَ فِي مِقْدَارِ الْقَاهِرَةِ بَعْدَ جَوْهَرَ.

وَالْبَابُ الْآخَرُ مِنَ الْجِهَةِ الْبَحْرِيَّةِ «بَابُ الْفُتُوحِ»، وَعَقْدُهُ بَاقِي إِلَى يَوْمِنَا هَذَا مَعَ عِضَادَتِهِ<sup>١</sup> الْبُشْرَى وَعَلَيْهِ أَسْطَرٌ مَكْتُوبَةٌ بِالْقَلَمِ الْكُوفِيِّ. وَمَوْضِعُ هَذَا الْبَابِ الْآنَ بِأَخْرَ سُوقِ الْمُرْحَلِينَ وَأَوَّلِ رَأْسِ حَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ مِمَّا يَلِي بَابَ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ. وَمَا<sup>(a)</sup> بَيْنَ هَذَا الْعَقْدِ وَبَابِ الْفُتُوحِ، مِنَ الزِّيَادَاتِ الَّتِي زِيدَتْ فِي الْقَاهِرَةِ مِنْ بَعْدِ جَوْهَرَ.

وَكَانَ فِي الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ - وَهِيَ الْجِهَةُ الَّتِي يُسَلِّكُ مِنْهَا إِلَى الْجَبَلِ - بَابَانِ أَيْضًا<sup>(b)</sup>: أَحَدُهُمَا يُعْرَفُ الْآنَ بِ«الْبَابِ الْمَحْرُوقِ»، وَالْآخَرُ يُقَالُ لَهُ «بَابُ الْبَرْقِيَّةِ»، وَمَوْضِعُهُمَا دُونَ مَكَانِهِمَا الْآنَ. وَيُقَالُ لِهَذِهِ الزِّيَادَةِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ «بَيْنَ الشُّورَيْنِ». وَأَحَدُ الْبَتَائِينِ الْقَدِيمِينَ مَوْجُودٌ إِلَى الْآنَ أُسْكُفَّتُهُ<sup>٢</sup>.

(a) بولاق: وفيما. (b) ساقطة من بولاق.

<sup>١</sup> عِضَادَةٌ (Jambage) بِذِمَاكَ التَّاسِيْسِ، وَهِيَ هُنَا الْمَمْلُوكِيَّةُ (٨١).  
<sup>٢</sup> أُسْكُفَّةٌ. الْعَنْبَةُ الْعُلْيَا لِلْبَابِ، وَهِيَ حَجَرٌ مُسْتَطِيلٌ الشَّكْلَ يَسَاعِدُ مَعَ الْعِضَادَتَيْنِ عَلَى حَمْلِ جِدَارٍ وَاجِهَةً أَيْ مَبْنَى.



وكان في الجهة الغربية من القاهرة - وهي المطلّة على الخليج الكبير - بابان : أحدهما «باب سعادة» ، والآخر «باب القنطرة»<sup>a</sup> ، وباب ثالث يعرف بـ «باب الخوخة» أظنه حدث بعد جواهر .

وكان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين وجامع ، يُقال لأحد القصرين «القصر الكبير الشرقي» ، وهو منزل سُكنى الخليفة ومحلّ حريمه ، وموضع جلوسه للدخول العساكر وأهل الدولة ، وفيه الدواوين وبيت المال وخزائن السلاح وغير ذلك . وهو الذي أسسه القائد جواهر ، وزاد فيه الميز ومُن بعده من الخلفاء . والآخر تجاه هذا القصر ، ويُعرف بـ «القصر الغربي» ، وكان يُشرف على البستان الكافوري ويتحوّل إليه الخليفة في أيام النيل للترهة على الخليج ، وعلى ما كان إذ ذاك بجانب الخليج الغربي من البركة التي كان<sup>b</sup> يُقال لها بطن البقرة ، ومن البستان المعروف بالبغدادية ، وغيره من البساتين التي كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهري . وكان يُقال لمجموع القصرين «القصور الزاهرة» ، ويُقال للجامع «جامع القاهرة» و «الجامع الأزهر» .

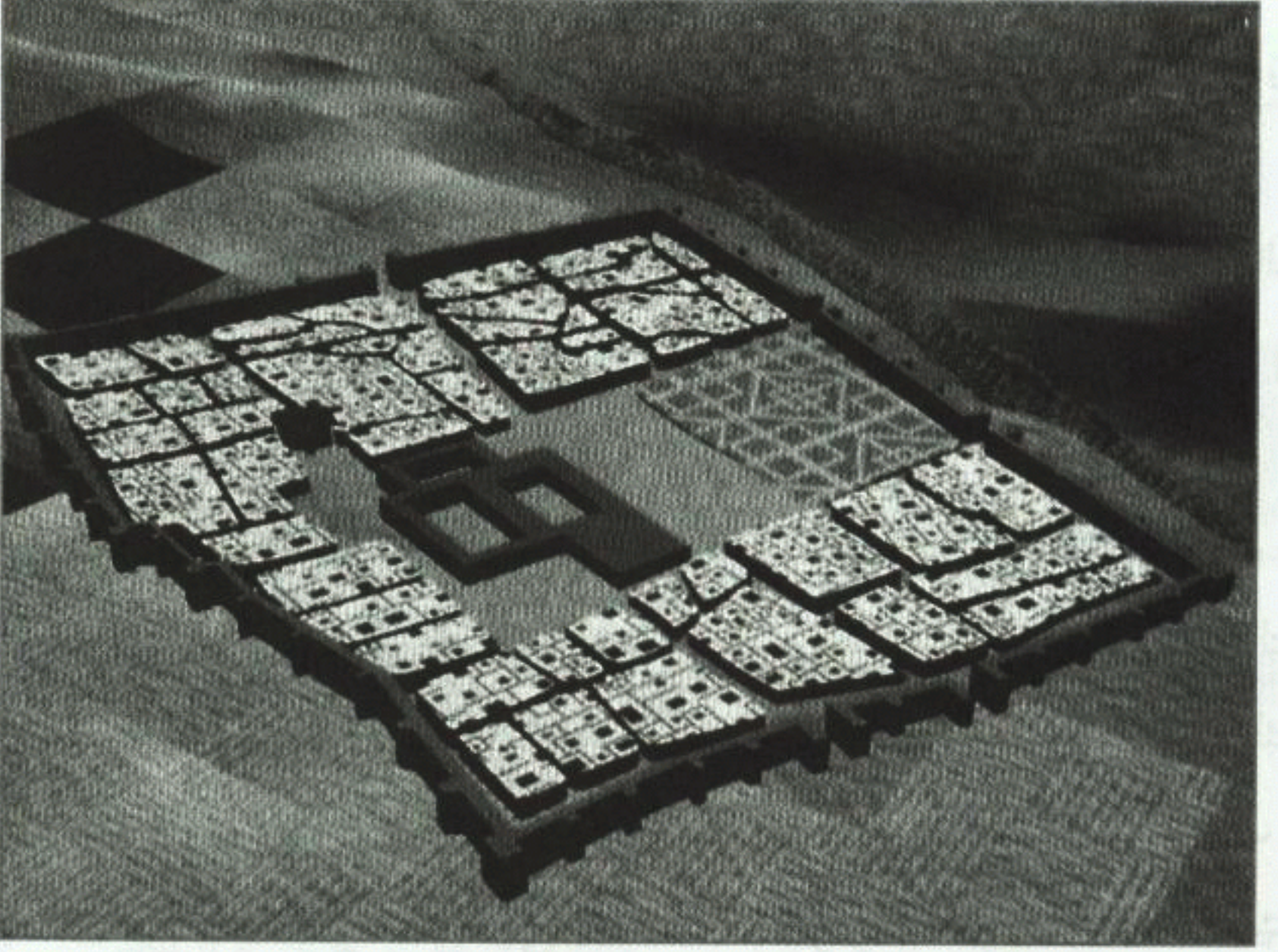
فأمّا «القصر الكبير الشرقي» ، فإنه كان من باب الذهب - الذي موضعه الآن مخراب المدرسة الظاهرية التي أنشأها الملك<sup>b</sup> الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري - وكان يعلو عقد باب الذهب منظرًا يُشرف الخليفة فيها من طاقات في أوقات معروفة ، وكان باب الذهب هذا هو أعظم أبواب القصر<sup>١</sup> .

ويُسلّك من باب الذهب المذكور إلى باب البحر - وهو الباب الذي يُعرف اليوم بباب قصر بشتاك مقابل المدرسة الكاملية - ويُسلّك<sup>b</sup> من باب البحر إلى الركن المخلّق<sup>c</sup> ، ومنه إلى باب الرياح ؛ وقد أدركنا منه عِضادتيه وأُسكفته وعليها أسطر بالقلم الكوفي ، وجميع ذلك مبني بالحجر ، إلى أن هدمه الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الأستادار . وفي موضعه الآن قيسارية أنشأها المذكور بجوار مدرسته من رَحبة باب العيد<sup>٢</sup> .

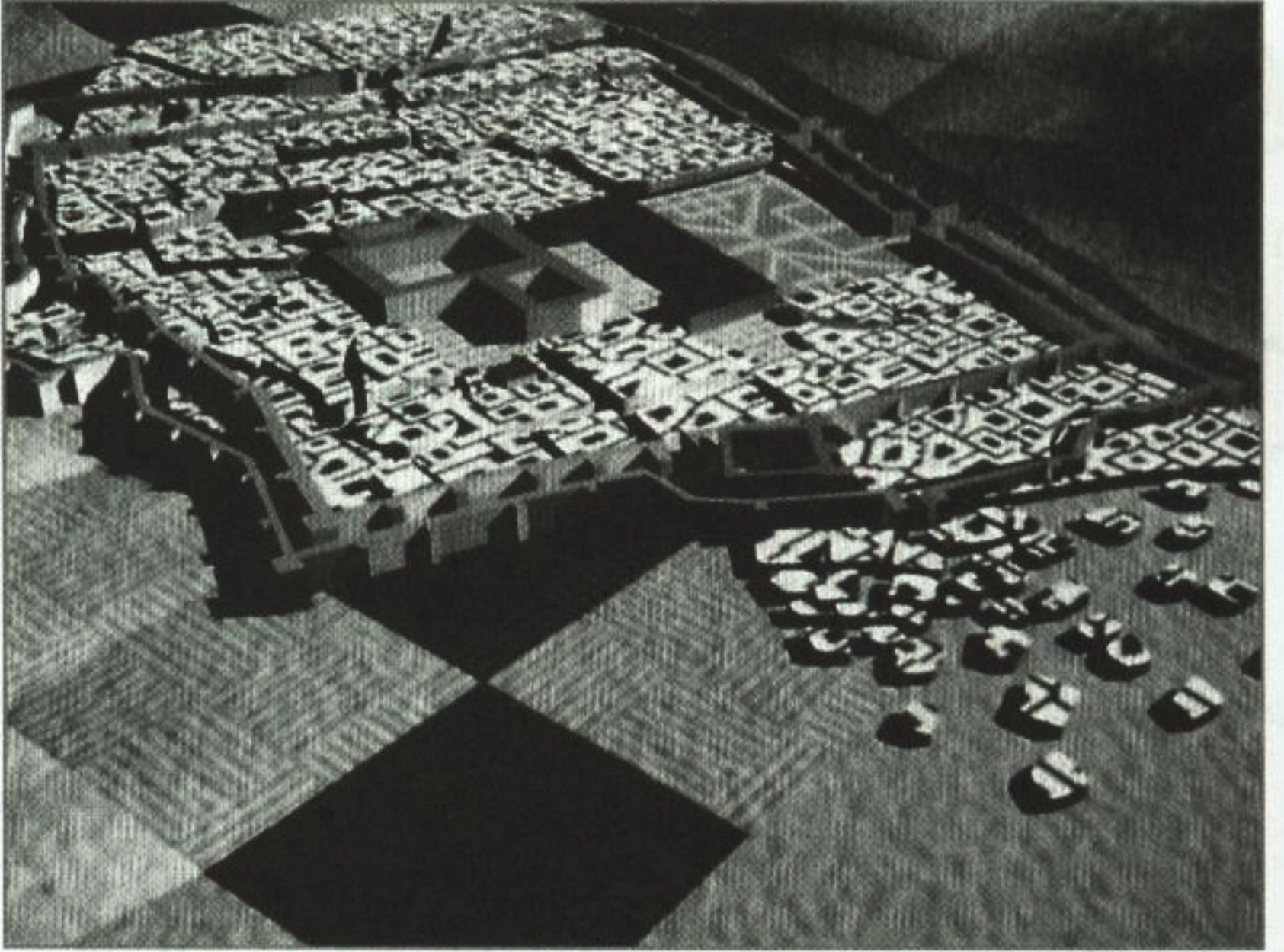
(a) في النسخ : باب الفرج وجاء على هامش آياصوفيا : لعله باب القنطرة ، وهو الصواب . (b) ساقطة من بولاق . (c) آياصوفيا : الخوق وانظر فيما يلي ٤٣٥ .

<sup>١</sup> سيفضل المقريري فيما يلي ٢٨٤-٣٠٨ ، ٤٢١ - <sup>٢</sup> لم يُفرد المقريري هذه القيسارية بمدخل مستقل عند ذكره للقياسر مثل سائر المنشآت المعاصرة له التي ذكر بعضها وأهمها بعضها الآخر .





القاهرةُ وسور القائِدِ جَوْهَرُ فِي النِّصْفِ الأوَّلِ مِنْ تَارِيخِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ



القاهرةُ وأَسْوَارُهَا قُرْبَ نِهَآيَةِ الْعَصْرِ الْفَاطِمِي  
( تَصْوُرٌ بِوَأَسْطَةِ الْحَاسِبِ الْآلِي ، عَنْ نِزَارِ الصَّيَّادِ )



ويُشَلِّك من باب الرِّيح المذكور إلى باب الزُّمْرَد - وهو موضع المَدْرَسَة الحِجَازِيَّة الآن - ومن باب الزُّمْرَد إلى باب العيد، وعَقْدُهُ<sup>١</sup> باقٍ وفوقه قُبَّةٌ إلى الآن في دَرْب السَّلَامِي بِحُطِّ رَحْبَةِ باب العيد.

وكان قُبَاة باب العيد هذا رَحْبَةً عَظِيمَةً في غاية الاتِّسَاع، يَقِفُ فيها العَسَاكِرُ الكَثِيرَة من الفَارِسِ والرَّاجِلِ في يَوْمِي العِيدِين، تُعْرَفُ بـ «رَحْبَةِ العِيدِ»، وهي من باب الرِّيح إلى خِزَانَةِ البُنُود.

وكان يلي باب العيد «السَّفِينَة»<sup>(a)</sup>، وبجوار السَّفِينَة<sup>(a)</sup> «خِزَانَةُ البُنُود»، ويُشَلِّك من خِزَانَةِ البُنُود إلى باب قَصر الشُّوك؛ وأذْرَكَتُ منه قِطْعَةً من أَحَدِ جانبيه كانت تَجَاهُ الحَمَامِ التي عُرِفَتْ بِحَمَامِ الأَيْدَمَرِي، ثم قيل لها في زَمَنِنَا حَمَامِ يُونُسَ<sup>٢</sup>، بجوار المكان المعروف بخِزَانَةِ البُنُود. وقد عُمِلَ مَوْضِعَ هذا الباب زُقَاقٌ يُشَلِّكُ منه إلى المَارِشْتَانِ العَتِيقِ وقَصرِ الشُّوكِ ودَرْبِ السَّلَامِي وغيره، ويُشَلِّكُ من باب قَصرِ الشُّوكِ إلى باب الدَّيْلَمِ، وموضعه الآن المَشْهَدُ الحُسَيْنِي.

وكان فيما بين قَصرِ الشُّوكِ وباب الدَّيْلَمِ رَحْبَةً عَظِيمَةً، تُعْرَفُ بـ «رَحْبَةِ قَصرِ الشُّوكِ»، أولها من رَحْبَةِ خِزَانَةِ البُنُود، وآخرها حيث المَشْهَدُ الحُسَيْنِي الآن. وكان قَصرُ الشُّوكِ يُشْرِفُ على إِسْطَبْلِ الطَّارِمَةِ.

ويُشَلِّكُ من باب الدَّيْلَمِ إلى باب تُرْبَةِ الزَّعْفَرَانِ - وهي مَقْبَرَةٌ أهلِ القصر من الخُلَفَاءِ وأَوْلَادِهِم ونسَائِهِم - وموضعُ باب تُرْبَةِ الزَّعْفَرَانِ قُنْدُقُ الخَلِيلِي في هذا الوقت ويُعْرَفُ بِحُطِّ الزُّرَاكِشَةِ العَتِيقِ<sup>٣</sup>. وكان فيما بين باب<sup>(b)</sup> الدَّيْلَمِ وباب تُرْبَةِ الزَّعْفَرَانِ، «الخُوشُ السَّبْعُ» التي يَتَوَصَّلُ منها الخَلِيفَةُ إلى الجامعِ الأزْهَرِ في ليالي الوُقُودَاتِ<sup>(c)</sup>، فيجلسُ بِمَنْظَرَةِ الجامعِ الأزْهَرِ ومعه حَرَمُهُ لمَشَاهِدَةِ الوَقِيدِ والجمْعِ. وبجوار الخُوشِ السَّبْعِ «إِسْطَبْلُ الطَّارِمَةِ»، وهو بِرَسْمِ الخَيْلِ الخاصِّ المَعْدَّة لِرِكَابِ الخَلِيفَةِ.

(a) في النسخ المنقولة عن خط المؤلف: السفينة، وتكررت بهذا الاسم بعد ذلك، وقرأها كثير من الدارسين: السفينة! (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الوقودات.

<sup>١</sup> العَقْدُ جـ. أَعْقَادٌ وَعُقُودٌ. عنصر معماري مُقَوَّس يعتمد على نقطتي ارتكاز، يشكِّل عادةً فتحات البناء أو يحيط بها الحَمَامَاتُ. (عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة ٢٧٥-٢٨٨).  
<sup>٢</sup> لم يفرد المقرئ هذه الحَمَامِ بمدخل مستقل عند ذكر (عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة ٢٧٥-٢٨٨).  
<sup>٣</sup> فيما يلي ٣٥١.







وكان مُقابل باب الدَّيْلَم ، ومن وراء إسْطَبَل الطَّارِمَة ، الجامعُ المعدّ لصلاة الخليفة بالناس أيام الجُمع ، وهو الذي يُعرَف في وقتنا هذا بـ «الجامع الأزهر» ، ويسمى في كُتُب التاريخ بـ «جامع القاهرة» ، وقُدَّام هذا الجامع رَحْبَةٌ مُتَّسِعَةٌ من حدِّ إسْطَبَل الطَّارِمَة إلى الموضع الذي يُعرَف اليوم بالأُكفانيين .

ويُشَلِّك من باب تَرْبَة الزُّعْفَران إلى باب الزُّهُومَة - وموضعه الآن باب سِرِّ قَاعَة مُدْرَس<sup>a</sup> الحنابِلَة من المدارس الصَّالِحِيَّة - وفيما بين باب<sup>b</sup> تَرْبَة الزُّعْفَران وباب الزُّهُومَة «دارُ العِلْم» و«خِزَانَة الدَّرَقِ» .

ويُشَلِّك / من باب الزُّهُومَة إلى باب الذَّهَبِ المذكور أوَّلًا ؛ وهذا هو دُور «القصر الشَّرقي الكبير»<sup>١</sup> .

وكان بِجِذَاء رَحْبَة باب العيد «دارُ الضِّيافَة» - وهي الدَّارُ المعروفة بدار سَعِيد السَّعْدَاء التي هي اليوم خانقاه للصُّوفِيَّة<sup>٢</sup> - ويُقابلها «دارُ الوِزَارَة» ، وهي حيث الرُّقَاق المُقابل لباب سَعِيد السَّعْدَاء ، والمُدْرَسَة القراسُنْقَرِيَّة ، وخانقاه بَيْبَرَس وما يُجاورها إلى باب الجُوانِيَّة ، وما وراء هذه الأماكن .

وبجوار دار الوِزَارَة ، «الحُجْر» ، وهي من جِذَاء دار الوِزَارَة بجوار باب الجُوانِيَّة إلى باب النُّصْر القديم . ومن وراء دار الوِزَارَة «المناخ السَّعِيد» ، ويُجاوره حارة العُطُوفِيَّة ، وحارة الرُّوم الجُوانِيَّة . وكان جامعُ الخُطْبَة - الذي يُعرَف اليوم بجامع الحَاكِم - خارجًا عن القاهرة ، وفي غربيه الزيادة التي هي باقية إلى اليوم ، وكانت أَهْرَاءَ لِحْزَن الغِلال التي تُدخِر بالقاهرة كما هي عادةُ الحُصُون .

(a) بولاق : مدرسة . (b) ساقطة من بولاق .

الصالحية من حيث ابتدأت ؛ فما كان على يسارك في جميع دُورتك فهو موضع القصر (صبح الأعشى ٣: ٣٤٥-٣٤٦) .  
٢ هنا وهم من المقرئ فدار الضيافة كانت أوَّلًا في دار المُظفَّر بن بدر الجمالي داخل حارة بُرْجوان (فيما يلي ٥٠٩) ، وعندما ذكر خانقاه سعيد السعداء (فيما يلي ٤١٥:٢) لم يذكر أنها استخدمت دارًا للضيافة .

<sup>١</sup> قَدَّمَ القَلْقَشَنْدِي ، معاصر المقرئ ، وَصَفًا لحدود القصر الفاطمي يُكْمَل ويُوضَّح وصف المقرئ ؛ يقول : «ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رَحْبَة الأَيْدُمَرِي طوَلًا ، ومن الشَّيخ خُوح إلى رَحْبَة العيد عَرْضًا ، والحدُّ الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضي إلى الشَّيخ خُوح ثم إلى المشهد الحُسَيْنِي ثم إلى رَحْبَة الأَيْدُمَرِي ثم إلى الرُّكن المَخْلُوق ثم إلى بَيْت القصرين ، حتى تأتي إلى باب المدرسة



وكان في غربي الجامع الأزهر حارة الديلم، وحارة الروم البرائية، وحارة الأثراك - وهي التي<sup>(a)</sup> تُعرف اليوم بدرب الأثراك - وحارة الباطلية.

وفيما بين باب الزهومة والجامع الأزهر وهذه الحارات، «خزائن القصر» وهي: خزائن الكتب، وخزائن الأشربة، وخزائن الشروج، وخزائن الخيم، وخزائن الفرش، وخزائن الكسوات، وخزائن دار أفتكين، ودار الفطرة، ودار التعبئة، وغير ذلك من الخزائن. هذا ما كان في الجهة الشرقية من القاهرة.

وأما «القصر الصغير الغربي» فإنه مَوْضِعُ المَارِشْتَانِ الكَبِيرِ المَنْصُورِيِّ إِلَى جِوَارِ حَارَةِ بَرْجَوَانَ. وبين هذا القصر وبين القصر الكبير الشرقي فضاءٌ مُتَّسِعٌ يَقِفُ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافٍ مِنَ العَسَاكِرِ، مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ، يُقَالُ لَهُ «بَيْنَ القَصْرَيْنِ».

١٠ وبجوار القصر الغربي «الميدان» - وهو الموضع الذي يُعرف بالخُرُنْشُفِ - و«إسطنبول الجُمَيِّزَةُ»<sup>(b)</sup>. وبحذاء الميدان «البستان الكافوري» المِطْلُ من غربيهِ عَلَى الخَلِيجِ الكَبِيرِ. وَيُجَاوِرُ المِيدَانَ دَارُ بَرْجَوَانَ العَزِيزِيِّ، وَبِحَدَائِهَا رَحْبَةُ الأَفْيَالِ، وَدَارُ الضِّيَافَةِ القَدِيمَةِ، وَيُقَالُ لِهَذِهِ المَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ حَارَةُ بَرْجَوَانَ.

١٥ وَيُقَابِلُ دَارَ بَرْجَوَانَ «المنحصر» وموضعه الآن يُعرف بالدرب الأصفر، وَيُدْخَلُ إِلَيْهِ مِنْ قُبَالَةِ خَائِقَاهِ يَبْتَرَسُ. وفيما بين ظهر المنحصر وباب حارة بَرْجَوَانَ سُوقُ أمير الجيوش، وهو من باب حارة بَرْجَوَانَ الآن إِلَى باب الجامع الحَاكِمِيِّ.

ويُجَاوِرُ حَارَةَ بَرْجَوَانَ مِنْ بَعْرِهَا «إسطنبول الحُجْرِيَّةُ»، وهو مُتَّصِلٌ بِبَابِ الفُتُوحِ الأوَّلِ، وَمَوْضِعُ بَابِ إِسْطَنْبُلِ الحُجْرِيَّةِ يُعْرَفُ اليَوْمَ بِخَانَ الوِرَاقَةِ والقَيْسَارِيَّةِ تِجَاهَ الجَمَلُونَ الصَّغِيرِ وَسُوقِ المُرْتَحِلِينَ. وتجاه إسطنبول الحُجْرِيَّةِ الزِّيَادَةُ، وفيما بين الزِّيَادَةِ وَالمَنْحَرِ دَرْبُ الفَرَنْجِيَّةِ.

٢٠ وَبِجِوَارِ البُستَانِ الكَافُورِيِّ حَارَةُ زَوَيْلَةَ، وهي تُتَّصِلُ بِالخَلِيجِ الكَبِيرِ مِنْ غَرْبِهَا. وَتِجَاهَ حَارَةِ زَوَيْلَةَ «إسطنبول الجُمَيِّزَةُ»، وفيه خُيُولُ الخَلِيفَةِ أَيْضًا. وفي هذا الإِسْطَنْبُلِ بَيْتُ زَوَيْلَةَ، وَمَوْضِعُهَا الآنَ قَيْسَارِيَّةٌ مَعْقُودَةٌ عَلَى البِئْرِ المَذْكُورَةِ، يعلوها رَبْعٌ يُعْرَفُ بِقَيْسَارِيَّةِ يُونُسَ مِنْ حُطِّ البُنْدُقَانِيِّينَ؛ فَكَانَ إِسْطَنْبُلُ الجُمَيِّزَةِ المَذْكُورِ فِيمَا بَيْنَ القَصْرِ الغَرْبِيِّ مِنْ بَعْرِهِ وَبَيْنَ حَارَةِ زَوَيْلَةَ، وَمَوْضِعُهُ الآنَ قُبَالَةَ بَابِ سِرِّ المَارِشْتَانِ المَنْصُورِيِّ إِلَى البُنْدُقَانِيِّينَ.

(a) ساقطة من بولاق. (b) في جميع النسخ: الطارمة وهو التباس من المقرزي.



وبجذاء القصر العزبي من قبله «مطبخ القصر» تجاه باب الزهومة المذكور، والمطبخ موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية. وبجوار المطبخ الحارة العدوية، وهي من الموضع الذي يُعرف بحمام خشبية إلى حيث الفندق الذي يُقال له فندق الزمام. وبجوار العدوية حارة الأمراء، ويُقال لها اليوم (a) دزب شمس الدولة، ويُجاور حارة الأمراء «الصاغة القديمة» وموضعها اليوم (a) سوق الزجاجين وسوق الحريرين الشراريين.

ويجاور الصاغة القديمة «حبس المعونة»، وهو موضع قيسارية العنبر؛ وتجاه حبس المعونة عقبة الصباغين وسوق القشاشين، وهو يُعرف اليوم بالخراطين؛ ويجاور حبس المعونة دكة الحسبة ودار العيار، ويُعرف موضع دكة الحسبة الآن بالأبزاريين؛ وفيما بين دكة الحسبة ودارتي الروم والدائم سوق الشرايين، ويُقال له الآن الشوائين؛ وبطرف سوق الشرايين مسجد ابن البناء الذي تُسميه العامة سام بن نوح؛ ويجاور هذا المسجد باب زويلة.

وكان من جداء حارة زويلة، من ناحية باب الخوخة، «دار الوزير يعقوب بن كلثوم»، وصارت بعده «دار الديباج» و«دار الاستعمال»، وموضعها الآن المدرسة الصالحية (b) وما وراءها. وتتصل دار الديباج بالحارة الوزيرية، وإلى جانب الوزيرية الميدان الآخذ (c) إلى باب سعادة وفيما بين باب سعادة وباب زويلة أهراء أيضا ومسطاح (d).

هذا ما كانت عليه صفة القاهرة في الدولة الفاطمية، وحدثت هذه الأماكن شيئا بعد شيء. ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك ومعقل قتال، لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره وخواصه الذين يُشرفهم بقربه فقط.

وأما «ظاهر القاهرة» من جهاتها الأربع فإنه كان في الدولة الفاطمية على ما أذكر: أما «الجهة القبليّة» - وهي التي فيما بين باب زويلة ومصر طولاً، وفيما بين الخليج الكبير والجبل عرضاً - فإنها كانت قسمين: ما جازه (e) يمينك إذا خرجت من باب زويلة تُريد مصر، وما جازه (e) شمالك إذا خرجت منه نحو الجبل.

فأما ما جازه (e) يمينك - وهي المواضع التي تُعرف اليوم بدار التفاح، وتحت الربع، والقشاشين، وقنطرة باب الخرق، وما على حافتي الخليج من جانبه / طولاً إلى الحمراء التي يُقال

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: الصالحية. (c) بولاق: الآخر. (d) بولاق: وسطاح. (e) بولاق:



لها اليوم تُحَطَّ قَنَاظِرُ السُّبَاعِ ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ سُوقُ عَضْفُورٍ ، وَحَارَةُ الْحَمَزِيِّينَ ، وَحَارَةُ بَنِي شُوسٍ إِلَى الشَّارِعِ ، وَبِرْكَةُ الْفَيْلِ وَالْهَيْلِيَّةِ وَالْمَحْمُودِيَّةِ إِلَى الصُّلَيْبِيَّةِ وَمَشْهَدُ السَّيِّدَةِ نَفِيْسَةَ - فَإِنَّ هَذِهِ الْأَمَاكِينَ كُلَّهَا كَانَتْ بَسَاتِينَ تُعْرَفُ بِجَنَانِ الزُّهْرِيِّ ، وَبُسْتَانَ سَيْفِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . ثُمَّ حَدَّثَ فِي الدَّوْلَةِ هُنَاكَ حَارَاتٌ لِلشُّودَانِ ، وَعُمَرُ الْبَابِ الْجَدِيدِ - وَهُوَ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِبَابِ الْقَوْسِ - مِنْ سُوقِ الطُّيُورِ فِي الشَّارِعِ عِنْدَ رَأْسِ <sup>(a)</sup> ، وَحَدَّثَتْ الْحَارَةُ الْهَيْلِيَّةُ ، وَالْحَارَةُ الْمَحْمُودِيَّةُ .

وَأَمَّا مَا جَارَهُ <sup>(b)</sup> شِمَالُكَ - حَيْثُ الْجَامِعُ الْمَعْرُوفُ بِجَامِعِ الصَّالِحِ وَالذَّرْبِ الْأَحْمَرِ إِلَى قَطَائِعِ ابْنِ طُولُونَ الَّتِي هِيَ الْآنَ الرُّمَيْلَةُ وَالْمَيْدَانُ تَحْتَ الْقَلْعَةِ - فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مَقَابِرَ أَهْلِ الْقَاهِرَةِ .

وَأَمَّا «جِهَةُ الْقَاهِرَةِ الْغَرْبِيَّةُ» - وَهِيَ الَّتِي فِيهَا الْخَلِيجُ الْكَبِيرُ ، وَهِيَ مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ إِلَى الْمَقْسِ وَمَا جَاوَرَ ذَلِكَ - فَإِنَّهَا كَانَتْ بَسَاتِينَ مِنْ غَرْبِهَا النَّيْلُ ، وَكَانَ سَاحِلُ النَّيْلِ بِالْمَقْسِ حَيْثُ الْجَامِعُ الْآنَ ، فِيمرٌ مِنَ الْمَقْسِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ <sup>(c)</sup> الْجُرْفُ ، وَيَمِضِي عَلَى شِمَالِي أَرْضِ الطُّبَّالَةِ إِلَى الْبَغْلِ ، وَمَوْضِعُ كَوْمِ الرِّيشِ إِلَى الْمُنْبِيَّةِ .

وَمَوَاضِعُ هَذِهِ الْبَسَاتِينَ الْيَوْمَ أَرْضِي اللُّوقِ وَالزُّهْرِيِّ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْحُكُورَةِ الَّتِي فِي بَرِّ الْخَلِيجِ الْغَرْبِيِّ إِلَى بِرْكَةِ قَزْمُوطِ وَالْحُورِ وَبُولَاقِ . وَكَانَ فِيمَا بَيْنَ بَابِ سَعَادَةَ وَبَابِ الْخَوْخَةَ وَبَابِ الْفَرَجِ وَبَيْنَ الْخَلِيجِ فَضَاءً لَا بُنْيَانَ فِيهِ ، وَالْمَنَاظِرُ تُشْرِفُ عَلَى مَا فِي غَرْبِيِّ الْخَلِيجِ مِنَ الْبَسَاتِينَ الَّتِي وَرَاءَهَا بَحْرُ النَّيْلِ .

وَيَخْرُجُ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَ الْمَنَاظِرِ وَالْخَلِيجِ لِلنُّزْهَةِ ، فَيَجْتَمِعُ هُنَاكَ مِنْ أَرْبَابِ الْبَطَّالَةِ وَاللَّهُوِ مَا لَا يُحْصَى عَدْدُهُمْ ، وَتَمُرُّ لَهُمْ هُنَاكَ مِنَ اللَّذَاتِ وَالْمَسْرَاتِ مَا لَا تَسَعُ الْأَوَارِقُ حِكَايَتَهُ ، خُصُوصًا فِي أَيَّامِ النَّيْلِ عِنْدَمَا يَتَحَوَّلُ الْخَلِيفَةُ إِلَى اللَّوْلُؤَةِ وَيَتَحَوَّلُ خَاصَّتُهُ إِلَى دَارِ الذَّهَبِ وَمَا جَاوَرَهَا ، فَإِنَّهُ تَكَثَّرَ حِينَئِذٍ الْمَلَاذُ بِسَعَةِ الْأَرْزَاقِ وَإِذْرَارِ النُّعْمِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ ، كَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ <sup>١</sup> .

وَأَمَّا «جِهَةُ الْقَاهِرَةِ الْبَحْرِيَّةُ» فَإِنَّهَا كَانَتْ قَسَمِينَ : خَارِجَ بَابِ الْقُشُوحِ ، وَخَارِجَ بَابِ النَّصْرِ .  
أَمَّا خَارِجُ بَابِ الْقُشُوحِ فَإِنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مَنَظَرَةٌ مِنْ مَنَاظِرِ الْخِلَافَةِ <sup>(d)</sup> ، وَقُدَّامَهَا الْبُسْتَانَانِ الْكَبِيرَانِ : وَأَوَّلُهُمَا مِنْ رُقَاقِ الْكَخْلِ <sup>٢</sup> ، وَآخِرُهُمَا مُنْبِيَّةٌ مَطَّرَ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْمَطَّرِيَّةِ . وَمِنْ غَرْبِيِّ هَذِهِ

(a) بياض في جميع النسخ لعله : المنجبية . (b) بولاق : حاذي . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : الخلفاء .

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٥٢٨ - ٥٣٧ .  
<sup>٢</sup> رُقَاقِ الْكَخْلِ . لم يُفرد المقرئ في أي موضع من =



المنظرة - في جانب الخليج الغربي - منظرة البغل ، فيما بين أرض الطبالة والخندق ، وبالقرب منها مناظر الخمس وجوه والتاج ذات البساتين الأنيقة المنصوبة لتنزه الخليفة .

وأما خارج باب النصر فكان به «مصلّى العيد» التي عُيِّلَ من بعضها مُصلّى الأموات لا غير<sup>١</sup> ، والفضاء من المصلّى إلى الرندانية وكان بُسْتَانًا عَظِيمًا ، ثم حَدَثَ في ما خَرَجَ من باب النصر «تربة أمير الجيوش بدر الجمالي» ، وعَمَرَ النَّاسُ التُّرْبَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا<sup>٢</sup> ، وَحَدَّثَ فِيهَا خَرَجَ عَنْ بَابِ الْفُتُوحِ عَمَائِرَ مِنْهَا «الْحُسَيْنِيَّة» وَغَيْرَهَا<sup>٣</sup> .

وأما «جهة القاهرة الشرقية» - وهي ما بين الشور والجبل - فإنه كان فضاءً ، ثم أَمَرَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَنْ تُلْقَى أتربة القاهرة من وراء الشور لتَمْتَعَ السُّيُولُ أَنْ تَدْخُلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَصَارَ مِنْهَا الْكَيْمَانُ الَّتِي تُعْرَفُ بِـ «كَيْمَانِ الْبَرْقِيَّة» . وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْجِهَةُ خَالِيَةً مِنَ الْعِمَارَةِ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ .<sup>(a)</sup> فَسُبْحَانَ الْبَاقِي بَعْدَ فَتَاءِ خَلْقِهِ<sup>(a)</sup> .

### ذِكْرُ مَا صَارَتْ إِلَيْهِ الْقَاهِرَةُ بَعْدَ اسْتِيلَاءِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ عَلَيْهَا

قد تقدم أن القاهرة إنما وُضِعَتْ مَنْزِلَ سُكْنَى لِلْخَلِيفَةِ وَحُرْمِهِ وَجُنْدِيهِ وَخَوَاصِّهِ ، وَمَعْقِلَ قِتَالِ يَتَحَصَّنُ بِهَا وَيُلْتَجَأُ إِلَيْهَا ؛ وَأَنَّهَا مَا بَرِحَتْ هَكَذَا حَتَّى كَانَتْ الشُّدَّةُ<sup>(b)</sup> الْعُظْمَى فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَنْصِرِ . ثُمَّ قَدِمَ أَمِيرُ الْجَيْوشِ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ وَسَكَنَ الْقَاهِرَةَ ، وَهِيَ يَبِابٌ دَائِرَةٌ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا غَيْرِ عَامِرَةٍ . فَأَبَاحَ لِلنَّاسِ مِنَ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْمَلْحِيَّةِ وَالْأَزْمَنِ ، وَكُلِّ مَنْ وَصَلَتْ قَدْرَتُهُ إِلَى عِمَارَةٍ ، بِأَنْ يُعْمَرَ مَا شَاءَ فِي الْقَاهِرَةِ مِمَّا خَلَا مِنْ قُسْطَاطِ مِصْرَ وَمَاتَ أَهْلُهُ ، فَأَخَذَ النَّاسُ مَا كَانَ هُنَاكَ مِنْ أَنْقَاضِ الدُّورِ وَغَيْرِهَا ، وَعَمَرُوا بِهِ الْمَنَازِلَ فِي الْقَاهِرَةِ وَسَكَنُوهَا<sup>٤</sup> . فَمِنْ حَيْثُ سَكَنَهَا

(a-a) موضع هذه العبارة في آياصوفيا : والله أعلم . (b) بولاق : السنة .

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٤٧٨ .

<sup>٢</sup> عن تربة أمير الجيوش بدر الجمالي وما حولها من التربة

انظر فيما يلي ٢٢:٢ ، ١٣٨-١٣٩ ، ٤٤٣-٤٦٣ .

<sup>٣</sup> الحسينية انظرها فيما يلي ٢٠:٢-٢٢ .

<sup>٤</sup> فيما تقدم ٩:١-١٠ .

= كتابه مدخلاً لتحديد موقع زقاق الكحل ، وذكر (فيما يلي ٤٣٠:٢) في معرض حديثه عن زاوية الشيخ خضر شيخ السلطان الظاهر بيبرس ، أنها خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل تُشرف على الخليج . وحدد محمد بك رمزي موقع زقاق الكحل بالطريق المسمى سبكة الظاهر أو شارع المنسي في مواجهة المدخل الجنوبي لجامع الظاهر بيبرس (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧:١٦٦ هـ<sup>١</sup>) .



أَصْحَابُ السُّلْطَانِ ، فَلَمَّا زَالَتْ<sup>(a)</sup> الدَّوْلَةُ الْفَاعِطِيَّةُ بِاسْتِيْلَاءِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ ، فَتَقَلَّهَا عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّيَانَةِ وَجَعَلَهَا مُبْتَدَلَةً<sup>(b)</sup> وَصَيَّرَهَا مَدِينَةً<sup>(b)</sup> لِسُكْنِ الْعَامَّةِ وَالْجُمْهُورِ ، وَحَطَّ مِنْ مِقْدَارِ قُصُورِ الْخِلَافَةِ وَأَسْكَنَ فِي بَعْضِهَا ، وَتَهَدَّمُ الْبَعْضُ وَأُزِيلَتْ مَعَالِمُهُ وَتَغَيَّرَتْ مَعَاهِدُهُ فَصَارَتْ خِطَطًا وَحَارَاتٍ وَشَوَارِعَ وَمَسَالِكَ وَأَزْقَةً .

وَنَزَلَ السُّلْطَانُ مِنْهَا فِي دَارِ الْوِزَارَةِ الْكُبْرَى حَتَّى بُنِيَتْ قَلْعَةُ الْجَبَلِ ، فَكَانَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا وَيُقِيمُ بِهَا ، وَكَذَلِكَ ابْنُهُ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عُثْمَانُ وَأَخُوهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ أَبُو بَكْرٍ . فَلَمَّا كَانَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ ، تَحَوَّلَ مِنْ دَارِ الْوِزَارَةِ إِلَى الْقَلْعَةِ وَسَكَنَهَا ، وَنَقَلَ سُوقَ الْخَيْلِ وَالْجِمَالِ وَالْحَمِيرِ إِلَى الرَّمَيْلَةِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ<sup>١</sup> .

١٠ فَلَمَّا خَرِبَ الْمَشْرِقُ وَالْعِرَاقُ ، بِهُجُومِ عَسَاكِرِ التُّرْكَ<sup>(c)</sup> مِنْذُ كَانَ جَنْكِزْخَانَ فِي أَعْوَامِ بَضْعِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِائَةٍ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَعَصِمُ بِبَغْدَادِ فِي صَفْرِ سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، كَثُرَ قُدُومُ الْمَشَارِقَةِ / إِلَى مِصْرَ ، وَعَمَّرَتْ حَافَتِي الْخَلِيجِ الْكَبِيرِ وَمَا دَارَ عَلَى بَرْكَةِ الْفَيْلِ ، وَعَظُمَتْ عِمَارَةُ الْحُسَيْنِيَّةِ<sup>٢</sup> .

١٥ فَلَمَّا كَانَتْ سَلْطَنَةُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ الثَّلَاثَةَ بَعْدَ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةِ وَسَبْعٍ مِائَةٍ ، وَاسْتَجَدَّ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ الْمَبَانِي الْكَثِيرَةَ مِنَ الْقُصُورِ وَغَيْرِهَا ، حَدَّثَتْ فِيهَا بَيْنَ الْقَلْعَةِ وَقُبَّةِ النَّصْرِ عِدَّةٌ تُرْبُ ، بَعْدَ مَا كَانَ ذَلِكَ الْمَكَانُ قَضَاءً يُعْرَفُ بِالْمَيْدَانِ الْأَسْوَدِ وَمَيْدَانِ الْقَبْقُ<sup>٣</sup> . وَتَزَايَدَتْ الْعِمَائِرُ بِالْحُسَيْنِيَّةِ حَتَّى صَارَتْ مِنَ الرَّيْدَانِيَّةِ إِلَى بَابِ الْفُتُوحِ .

٢٠ وَعَمَّرَ جَمِيعُ مَا حَوْلَ بَرْكَةِ الْفَيْلِ وَالصَّلِيبَةِ إِلَى جَامِعِ ابْنِ طُولُونَ ، وَمَا جَاوَزَهُ إِلَى الْمَشْهَدِ النَّفِيسِيِّ ، وَحَكَرَ النَّاسُ أَرْضَ الزُّهْرِيِّ وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا ، وَهُوَ مِنْ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ إِلَى مُنْشَأَةِ الْمَهْرَانِيِّ ، وَمِنْ قَنَاطِرِ السَّبَاعِ إِلَى الْبَرْكَةِ النَّاصِرِيَّةِ إِلَى اللَّوْقِ إِلَى الْمَقْسِ . فَلَمَّا حَفَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ

(a) فِي النِّسْخِ : إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ وَجَاءَ عَلَى هَامِشِ أَبِيصُوفِيَا : يَحْرُرُ مَحَلَّهُ : فَلَمَّا زَالَتْ الدَّوْلَةُ . (b-b) سَاقِطَةٌ مِنْ بُولَاقِ .

(c) أَبِيصُوفِيَا : الطُّطْرُ .

<sup>٣</sup> فِيمَا يَلِي ٢ : ١١١ .

<sup>١</sup> فِيمَا يَلِي ٤٣٩ ؛ ٢ : ٢٠٣ .

<sup>٢</sup> فِيمَا يَلِي ٢ : ٢٢ .



الخليج النَّاصِرِي ، اتَّسَعَتِ الخِطَّةُ فيما بين المَقْسِ والدُّكَّةِ إلى ساحل النَّيْلِ ، وأنشأ النَّاسُ فيها البساتينَ العَظِيمَةَ والمساكنَ الكَثِيرَةَ والأسواقَ والجوامعَ والمساجِدَ والحماماتَ والشُّونَ ، وهي من المواضع التي من باب البَحْرِ خارجَ المَقْسِ إلى ساحل النَّيْلِ المسمَّى ببولاق ، ومن بُولاقِ إلى مُنْيَةَ السَّيرِجِ ، ومنه في القِبْلَةَ إلى مُنْشَأَةِ المَهْرَانِي .

وَعُمِّرَ ما خَرَجَ عن بابِ زَوِيلَةَ يَمِينَةً وَيَسْرَةَ من قَنْطَرَةَ الخَزَقِ إلى الخَلِيجِ ، ومن بابِ زَوِيلَةَ إلى المَشْهَدِ النَّفِيسِي . وَعُمِّرَتِ القَرافَةُ من بابِ القَرافَةِ إلى بِرْكَةِ الحَبَشِ طُولًا ، ومن القَرافَةِ الكَبْرَى إلى الجَبَلِ عَرَضًا ، حتى إِنَّهُ اسْتَجَدَّ في أَيامِ النَّاصِرِ بنِ قَلاوونِ بضعَ وستونَ حِكْرًا ، ولم يبقَ مَكَانٌ يُحْكِرُ .

وَاتَّصَلَتِ عَمائِرُ مِصْرَ والقَاهِرَةَ ، فصارا بلدًا واحدًا يشتمل على البساتينَ والمناظرَ والقُصُورَ والدُّورَ والرِّباعَ والقِياسِرَ والأسواقَ والفنادقَ والحاناتَ والحماماتَ والشُّوارِعَ والأزقةَ والدُّروبَ والخِطَطَ والحاراتَ والأحكارَ والمساجِدَ والجوامعَ والزُّواياَ والرُّبَطَ والمَشاهِدَ والمدارسَ والتُّرَبَ والحوانيتَ والمطابخَ والشُّونَ والبِرْكَ والخِلْجانَ والجَزائِرَ والبساتينَ<sup>a</sup> والرياضَ والمتنزَّهاتَ ، متَّصلاً جَمِيعُ ذلكَ بَعْضُهُ ببَعْضٍ ، من مَسْجِدِ تَبَرٍ إلى بساتينِ الوَزيزِ قِبْلِي بِرْكَةِ الحَبَشِ ، ومن شاطِئِ النَّيْلِ بالجِيزَةِ إلى الجَبَلِ المَقْطُمِ .

وما زالت هذه الأماكنُ في كَثْرَةِ العِمارةِ وزيادَةِ العَدَدِ ، تَضيقُ بأهلِها لكَثْرَتِهِم وتَحْتالُ عَجَبًا بِهِم لَمَّا بالغوا في تحسِينِها وتأنَّقوا في جَوادِثِها وتَنمِيقِها ، إلى أن حَدَثَ الفَناءُ الكَبيرُ في سنةِ سَعِ وأربعينَ وسبعَ مائةٍ<sup>١</sup> ، فحَلَا كَثِيرٌ من هذه المواضعِ ، وبقي كَثِيرٌ أدرَكَناه . فلَمَّا كانتِ الحَوادِثُ من

(a) ساقطة من بولاق .

grande peste noire en Syrie et en Égypte» dans *Études d'Orientalisme dédiés à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, pp. 367-84 (وهو ترجمة لما جاء بخصوص هذا الوباء من نصوص عند ابن كثير والمقرئزي وأبي المحاسن وابن إياس)؛ Dols, M., *The Black Death in the Middle East*, Princeton 1976; Shoshan, B., «Notes sur les épidémies de peste en Égypte», *Annales de démographie historique* (1981), pp. 387-404.

<sup>١</sup> الفَناءُ الكَبيرُ . وباءُ اجتاحَ شعوبَ حوضِ البحرِ المتوسِّطِ واستمرَّ نحوَ خمسةِ عشرَ عامًا ، أُطِيقَ عليه أيضًا «الفناء العظيم» والوباء الأسود . (راجع ، ابن حبيب : تذكرة النبيه ٣ : ١١٠ - ١١٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ١٤ : ٢٢٥ - ٢٣٠ ؛ المقرئزي : السلوك ٢ : ٧٥٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٦ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨٧ ؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٠ : ١٩٥ - ٢١١ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٥٢٧ - ٥٣٣ ؛ وانظر كذلك Wiet, G.,



سنة ست وثمان مائة وقصُرَ جَزِي النِّيلِ فِي مَدَّةٍ، وَخَرِبَتِ الْبِلَادُ الشَّامِيَّةُ بِدُخُولِ الطَّاعِيَّةِ تَيْمُوزَلْتَنَ وَتَحْرِيقِهَا وَقَتْلِ أَهْلِهَا، وَازْتِفَاعِ أَشْعَارِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَكَثْرَةِ الْغَلَاءِ فِيهَا وَطُولِ مُدَّتِهِ، وَتَلَافِ التَّقْوِدِ الْمُتَعَامَلِ بِهَا وَفَسَادِهَا، وَكَثْرَةِ الْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ، وَخَرَابِ بِلَادِ<sup>a</sup> الصُّعِيدِ وَجَلَاءِ أَهْلِهِ عَنْهُ، وَتَدَاعِي أَشْفَلِ أَرْضِ مِصْرَ مِنَ الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ إِلَى الْخَرَابِ، وَاتِّضَاعِ أُمُورِ مُلُوكِ مِصْرَ، وَسُوءِ حَالِ الرِّعِيَّةِ، وَاسْتِيْلَاءِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ<sup>a</sup> وَالْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ عَلَى النَّاسِ وَكَثْرَةِ تَنَوُّعِ الْمِظَالِمِ الْحَادِثَةِ مِنْ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ بِمُضَادَرَةِ الْجُمْهُورِ، وَتَتَبُّعِ أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ وَاحْتِجَازِ<sup>b</sup> مَا بَأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِ بِالْقُوَّةِ وَالْقَهْرِ وَالْعَلْبَةِ، وَطَرَحِ الْبِضَائِعِ مِمَّا يَتَّجِرُ فِيهِ السُّلْطَانُ وَأَصْحَابُهُ عَلَى التَّجَارِ وَالْبَاعَةِ بِأَعْلَى الْأَثْمَانِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَتَّسِعُ لِأَخِيضِ ضَبْطِهِ، وَلَا تَسَعُ الْأَوْرَاقُ حِكَايَتَهُ، كَثُرَ الْخَرَابُ بِالْأَمَاكِنِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَعَمَّ سَائِرُهَا، وَصَارَتْ كَيْمَانًا وَخَرَابًا مُوَحِّشَةً مُقْفِرَةً يَاوِيهَا الْبُومُ وَالرَّخَمُ، أَوْ مُسْتَهْدَمَةً وَاقِعَةً أَوْ آيَلَةً إِلَى السُّقُوطِ وَالدُّثُورِ، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ نَحَلَتْ فِي عِبَادِهِ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا<sup>١</sup>.

### ذَكَرَ طَرْفٌ مِمَّا قَبِلَ فِي الْقَاهِرَةِ وَمُنْتَزَعَاتِهَا

قال أبو الحسن علي بن رضوان الطيب: ويلى القُسطاط - فى العِظَمِ وَكَثْرَةِ النَّاسِ - الْقَاهِرَةَ، وَهِيَ فِي شِمَالِ الْقُسطاطِ، وَفِي شَرْقِيهَا أَيْضًا الْجَبَلُ الْمُقَطَّمُ يَغُورُ عَنْهَا رِيحُ الصَّبَا، وَالنَّيْلُ مِنْهَا أَبْعَدُ قَلِيلًا، وَجَمِيعُهَا مَكْشُوفٌ لِلْهَوَاءِ، وَإِنْ كَانَ عَمَلٌ فَوْقَ<sup>٢</sup> رُبَّمَا عَاقَ عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ.<sup>١٥</sup>

وليس ارتفاعُ الأبنية بها كارتفاعِ أبنية<sup>a</sup> القُسطاطِ لَكِنْ دُونَهَا كَثِيرًا، وَأَزِقَّتْهَا وَشَوَارِعُهَا - بِالْقِيَاسِ إِلَى أَزِقَّةِ الْقُسطاطِ وَشَوَارِعُهَا - أَنْظَفُ وَأَقْلُ وَسَخَا وَأَبْعَدُ مِنَ الْعَفَنِ، وَأَكْثَرُ شُرْبِ أَهْلِهَا مِنْ مِيَاهِ الْآبَارِ،<sup>c</sup> وَإِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ تَحْرَقُهَا<sup>c</sup> وَإِذَا هَبَّتِ رِيحُ الْجَنُوبِ أَحْدَرَتْ<sup>d</sup> مِنْ بُخَارِ الْقُسطاطِ عَلَى الْقَاهِرَةِ شَيْئًا كَثِيرًا، وَقُرْبَ مِيَاهِ آبَارِ الْقَاهِرَةِ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ - مَعَ سَخَاةِهَا - مُوجِبٌ لِمِنْ ضَرُورَةٍ أَنْ تَكُونَ يَصِلُ إِلَيْهَا بِالرَّشْحِ مِنْ عُفُونَةِ الْكُنْفِ شَيْءٌ مَا.<sup>٢٠</sup>

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : واحتجاب . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : أخذت .

<sup>١</sup> تمثل هذه الفقرة نظرة نقدية ثابتة لأحوال مصر في زمن السلوك ٤: ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧).

<sup>٢</sup> انظر عن عمل فوق فيما تقدم ٣٩. كنه إلى سوء تدبير السلطان الناصر فرج بن برقوق (انظر



وبين القاهرة والفسطاط بطائخ تمتلى من رشح الأرض في أيام فيض النيل ، ويصب فيها بعض  
خمرات القاهرة ، ومياه البطائخ هذه رديئة وسيحة أرضها ، وما يصب فيها من العفونة يقتضي أن  
يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والفسطاط زائداً في رداءة الهواء بهما . ويُطرح في جنوب  
القاهرة قدرٌ كثير نحو حارة الباطليّة ، وكذلك يُطرح في وسط حارة / العيد<sup>a</sup> .

إلا أنه إذا تأملنا حال القاهرة كانت - بالإضافة إلى الفسطاط - أعدل وأجود هواءً وأصلح  
حالاً ، لأن أكثر عفوناتهم تُرمى خارج المدينة ، والبخار ينحل منها أكثر . وكثير أيضاً من أهل  
القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة في أيام دخوله الخليج ، وهذا الماء يُستقى بعد مروره  
بالفسطاط واختلاطه بعفوناتها<sup>١</sup> .

قال : وقد اقتصر أمر الفسطاط والجيزة والجزيرة : فظاهر أن أصح أجزاء المدينة الكبرى  
القرافة ، ثم القاهرة والشرف وعمل فوق مع الحمراء والجيزة ، وشمال القاهرة أصح من جميع  
هذه لبعده عن بخار الفسطاط وقربه من الشمال ، وأزداً<sup>b</sup> موضع في المدينة الكبرى هو ما  
كان من الفسطاط حول الجامع العتيق إلى مايلي النيل والسواحل . وإلى جانب القاهرة من  
الشمال الخندق ، وهو في غور ، فهو<sup>c</sup> يتغير أبداً لهذا السبب . فأما المقس فمجاورته للنيل  
تجعلها أرطب<sup>٢</sup> .

وقال ابن سعيد في كتاب «المغرب في حلى المغرب»<sup>d</sup> ومن خطه نقلت ما نصه من كتاب  
الكمايم للبيهقي<sup>d</sup> : وأما مدينة القاهرة فهي الحالية الباهرة التي تقنن فيها الفاطميون وأبدعوا في  
بنائها ، واتخذوها وطنًا لخلافتهم ومركزاً لأرجائها ، فنسي الفسطاط ، وزهد فيه بعد الاغتباط<sup>٣</sup> .  
قال : وسُميت القاهرة لأنها تقهر من شدتها عنها ورام مخالفة أمرها<sup>e</sup> ، وقدروا أن منها يملكون  
الأرض ويستولون على قهر الأمم ، وكانوا يُظهرون ذلك ويتحدثون به<sup>٤</sup> .

(a) كذا في النسخ وعند ابن رضوان . وربما كان المقصود : رحبة العيد . (b) بولاق : وأرقى . (c) ابن رضوان :  
وهواؤه . (d-d) في بولاق والنسخ : عن البيهقي والمثبت من مسودة المواعظ . (e) بولاق : أميرها والتصويب  
من المسودة .

<sup>١</sup> ابن رضوان : دفع مضار الأبدان بأرض مصر <sup>٣</sup> ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة  
١٦١-١٦٢ . ٢١ ، المقرئ : مسودة المواعظ . ١٩ .

<sup>٢</sup> ابن رضوان : رفع مضار الأبدان ١٦٤-١٦٥ . <sup>٤</sup> نفسه ٢٢ ؛ نفسه ٢٠ .



قال ابن سعيد : هذه المدينة اسمها أعظم منها ، وكان ينبغي أن تكون في ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته ؛ لأنها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبّيديين ، وكان سلطانُه قد عمَّ جميع طول المغرب من أوّل الديار المصرية إلى البحر المحيط ، وخطب له في البحرَين من جزيرة العرب<sup>(a)</sup> عند القرامطة ، وفي مكة والمدينة وبلاد اليمن وما جاورها ، وقد علت كلمته ، وسارت مسير الشمس في كل بلدة ، وهبت هبوب الرياح في البر والبحر ، لا سيما وقد عاين مباني أبيه المنصور في مدينة المنصورة التي إلى جانب القيروان ، وعاين المهديّة مدينة جدّه عبيد الله المهدي ، لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة ، وهي ناطقة إلى الآن بالسن الآثار والله ذر القائل :

[الكامل]

هَمُّ الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البنيان  
إن البناء إذا تعاضم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن

وتهم<sup>(b)</sup> من بعد الخلفاء المصريون بالزيادة في تلك القصور ، وقد عاينت فيها إيوانا يقولون إنه بُني على قدر إيوان كسرى الذي بالمداين [من أرض العراق]<sup>(c)</sup> ، وكان يجلس فيه خلفاؤهم<sup>(d)</sup> . ولهم على الخليج الذي بين القسطنطينية والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار . وأبصرت في قصورهم حيطانا عليها طبقات<sup>(e)</sup> عديدة من الكلس والجبس ، ذكر لي أنهم كانوا يُجددون تبييضها في كل سنة .

والمكان المعروف في القاهرة بـ «بين القصرين» هو من الترتيب السلطاني ؛ لأن هناك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين .

ولو كانت القاهرة<sup>(e)</sup> كلها كذلك كانت<sup>(e)</sup> عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ، ولكن ذلك أمدا قليل ، ثم تسير منه إلى أمدا ضيق ، وتمر في ممر كدير حرج بين الدكاكين ، إذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان ذلك ما تضيق منه الصدور ، وتسخن منه العيون<sup>(f)</sup> .

ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه أمراء الدولة ، وهو في موكب جليل ، وقد لقي في طريقه عجلة بقر تحمل حجارة ، وقد سدّت جميع الطرق بين يدي الدكاكين ، ووقف الوزير ،

(a) يياض بالنسخ والمثبت من ابن سعيد . (b) بولاق : واهتم والتصويب من ابن سعيد والمسودة . (c) زيادة من ابن سعيد . (d) في المسودة وآياصوفيا وابن سعيد وبولاق : طاقات ، والسياق يقتضي ما أثبت . (e-e) ساقطة من بولاق .



وعَظَمَ الازدحام ، وكان في مَوْضِعِ طَبَّاخِينَ والدُّخَانِ فِي وَجْهِ الوَازِيرِ وَعَلَى ثِيَابِهِ ، وَقَدْ كَادَ يَهْلِكُ  
المِشَاءُ ، وَكَذَتْ أَهْلِكَ فِي جَمَلَتِهِمْ .

وَأَكْثَرَ دُرُوبِ القَاهِرَةِ ضَيْقَةً مُظْلِمَةً كَثِيرَةَ التُّرَابِ والأَزْبَالَ ، وَالمَبَانِي عَلَيْهَا مِنْ قَصَبِ وَطِينِ  
مَرْتَفَعَةٍ قَدْ ضَيَّقَتْ مَسَلَكَ الهَوَاءِ والضُّوءِ بَيْنَهُمَا ، وَلَمْ أَر فِي جَمِيعِ بِلَادِ المَغْرِبِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْهَا فِي  
ذَلِكَ ، وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَشَيْتُ فِيهَا يَضِيقُ صَدْرِي ، وَيُذْرِكُنِي وَحْشَةً عَظِيمَةً حَتَّى أُخْرَجَ إِلَى بَيْنِ  
القَصْرَيْنِ ١ .

وَمِنْ عُيُوبِ القَاهِرَةِ أَنَّهَا فِي أَرْضِ النَّيْلِ الأَعْظَمِ ، وَيَمُوتُ الإِنْسَانُ فِيهَا عَطَشًا لِبُعْدِهَا عَنِ  
مَجْرَى النَّيْلِ لَمَّا يُصَادِرُهَا وَيَأْكُلُ دِيَارَهَا . وَإِذَا أَحْتَاجَ الإِنْسَانُ إِلَى فُرْجَةٍ فِي نَيْلِهَا مَشَى فِي مَسَافَةٍ  
بَعِيدَةٍ بظَاهِرِهَا بَيْنَ المَبَانِي الَّتِي خَارِجَ السُّورِ إِلَى مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِالمَقْسِ ٢ ، وَجَوَّهَا لَا يَبْرَحُ كَثِيرًا بِمَا  
تَشِيرُهُ الأَرْجُلُ مِنَ التُّرَابِ الأَسْوَدِ .

وَقَدْ قُلْتُ فِيهَا حِينَ أَكْثَرَ عَلَيَّ رُفَقَائِي<sup>(a)</sup> مِنَ الحَضِّ عَلَى العَوْدِ إِلَيْهَا<sup>(b)</sup> :

[المقارب]

يقولون : سافر إلى القاهرة وما لي بها راحة ظاهرة  
زحام وضيق وكرب وما تشير بها أرجل السائرة

وَعِنْدَمَا يُقْبِلُ المُسَافِرُ عَلَيْهَا يَرَى سُورًا أَسْوَدَ كَثِيرًا<sup>(c)</sup> وَجَوًّا مُغْبِرًا ، فَتَنْقَبِضُ نَفْسُهُ ، وَيَفْرُّ أَنْسُهُ ٣ .  
وَأَحْسَنُ مَوْضِعٍ فِي ظَوَاهِرِهَا لِلْفُرْجَةِ «أَرْضُ الطَّبَّالَةِ»<sup>(d)</sup> ، لِأَسِيْمَا أَيَّامًا<sup>(d)</sup> القُرْطُ وَالكَثَّانُ ،  
فَقُلْتُ /<sup>(e)</sup> :

[الطويل]

سقى الله أرضاً كلما زرت أرضها  
كسأها وحلأها بزيتته القرط  
تجملت عروساً والمياه عُقودها  
وفي كل قطرٍ من جوانبها قطر

(a) بولاق : رفاقي . (b) بولاق : فيها . (c) المسودة : أسوارا سوداء كدراء . (d) بولاق : أرض . (e) النص عند  
ابن سعيد . وبلغني أن الفاضل زين الدين الدمشقي الحنفي المشهور بابن السراج صنع في هذه الأرض بيتين جانس فيهما بين  
القرط - وهو النبات الذي ترعاه الدواب - وبين قرط الأذن ، ولم أقف عليهما . فقلت والفضل للمتقدم .

١ ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٢٤٤ ؛ المقرئ : مسودة  
المواعظ ٢٢-٢٣ .

٣ ابن سعيد : النجوم ٢٥ ؛ المقرئ : مسودة  
المواعظ ٢٣ .

٢ فيما يلي ١٢١:٢-١٢٤ .

٤ فيما يلي ١٢٥:٢-١٢٦ .



وفيهما خَلِيَجٌ لا يَزَالُ يَضَعُفُ بَيْنَ نُحْضِرَتِهَا حَتَّى يَصِيرَ كَمَا قَالَ الرَّصَافِيُّ :

[الكامل]

مَازَالَتْ الأَمْحَالُ تَأْخُذُهُ حَتَّى غَدَا كَذَوَابَةِ النُّجْمِ

وَقُلْتُ فِي نُورِ الكَثَّانِ عَلَى جَانِبِي هَذَا الخَلِيَجِ :

[البيسط]

انظُرْ إِلَى النُّهْرِ، وَالكَثَّانِ يَرْمُقُهُ  
رَأَتْهُ سَيْفًا عَلَيْهِ لِلصَّبَا شَطَبٌ  
وَأصْبَحَتْ فِي يَدِ الأَزْوَاحِ تَنْسِجُهَا  
فَقَمِ وَرُزْمَا وَوَجْهَهُ الأَفْقُ مُتَضِحٌ  
مِنْ جَانِبِيهِ بِأَجْفَانٍ لَهَا حَدَقُ  
فَقَابَلَتْهُ بِأَخْدَاقٍ بِهَا أَرْقُ  
حَتَّى غَدَّتْ حَلَقًا مِنْ فَوْقِهَا جِلْقُ  
أَوْ عِنْدَ صُفْرَتِهِ إِنْ كُنْتَ تَغْتَبِقُ<sup>١</sup>

- ١٠ وَأَعْجَبْتَنِي فِي ظَاهِرِهَا «بِرُكَّةِ الفِيلِ»، لِأَنَّهَا دَائِرَةٌ كَالْبَدْرِ، وَالمُنَاطِرُ فَوْقَهَا كَالنُّجُومِ. وَعَادَةُ السُّلْطَانِ أَنْ يَرْكَبَ فِيهَا بِاللَّيْلِ، وَتُشْرِجُ أَصْحَابُ المُنَاطِرِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ لَهَا مَنظَرٌ عَجِيبٌ وَفِيهَا أَقُولُ :

[البيسط]

انظُرْ إِلَى بِرُكَّةِ الفِيلِ الَّتِي اكْتَنَفَتْ  
كَأَنَّهَا هِيَ وَالأَبْصَارُ تَرْمُقُهَا  
بِهَا المُنَاطِرُ كالأَهْدَابِ لِلْبَصْرِ  
كَوَاكِبُ قَدْ أَدَارُوهَا عَلَى القَمَرِ

- ١٥ وَنَظَرْتُ إِلَيْهَا، وَقَدْ قَابَلَتْهَا الشَّمْسُ بِالعُدُودِ، فَقُلْتُ :

[البيسط]

انظُرْ إِلَى بِرُكَّةِ الفِيلِ الَّتِي نُجِرَتْ  
وَنَحَلُّ طَرْفِكَ مَعْجُونًا بِبَهْجَتِهَا  
لَهَا العَزَالَةُ نَحْرًا مِنْ مَطَالِعِهَا  
تَهِيمٌ وَجَدًّا وَحُبًّا فِي بَدَائِعِهَا<sup>٢</sup>

- ٢٠ وَالفُسْطَاطُ أَكْثَرُ أَرْزَاقًا وَأَرْخَصُ أَسْعَارًا مِنَ القَاهِرَةِ، لِقُرْبِ النِّيلِ مِنَ الفُسْطَاطِ، فَالمَرَاكِبُ الَّتِي تَصِلُ بِالخَيْرَاتِ تَحْطُّ هُنَاكَ، وَيُبَاعُ مَا يَصِلُ فِيهَا بِالقُرْبِ مِنْهَا، وَليسَ يَتَّفِقُ ذَلِكَ فِي سَاحِلِ القَاهِرَةِ لِأَنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ المَدِينَةِ<sup>٣</sup>.

وَالقَاهِرَةُ هِيَ أَكْثَرُ عِمَارَةً وَاحْتِرَامًا وَجِسْمَةً مِنَ الفُسْطَاطِ، لِأَنَّهَا أَجَلُّ مَدَارِسَ، وَأَصْحَمُ خَانَاتَ، وَأَعْظَمُ دِيَارًا لِسُكْنَى الأَمْرَاءِ فِيهَا، لِأَنَّهَا المَخْصُوصَةُ بِالسُّلْطَنَةِ لِقُرْبِ قَلْعَةِ الجَبَلِ مِنْهَا،

<sup>١</sup> ابن سعيد: النجوم ٢٥-٢٦؛ المقرئ: مسودة ٥: ٤٥؛ المقرئ: مسودة المواضع ٢٤-٢٥.

المواضع ٢٣-٢٤. <sup>٣</sup> نفسه ٢٧؛ نفسه ٤: ١٠٨-١٠٩؛ نفسه ٢٥.

<sup>٢</sup> ابن سعيد: النجوم ٢٦-٢٧؛ ابن دقماق: الانتصار



فأمور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر ، وبها الطراز وسائر الأشياء التي تتزين بها الرجال والنساء ؛ إلا أن في هذا الوقت ، لما اعتنى السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التي أمام الفسطاط وصيّر لها سريز السلطنة<sup>١</sup> ، عظمت عمارة الفسطاط ، وانتقل إليها كثير من الأمراء ، وضخمت أسواقها ، وبني فيها للسلطان أمام الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة ، تنقل إليها من القاهرة سوق الأجناد التي يُباع فيها الفراء والجوخ وما أشبه ذلك<sup>٢</sup> .

و«معاملة» [أهل]<sup>٣</sup> القاهرة والفسطاط بالدراهم المعروفة بالسوداء ، كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصري ، وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء ، ومخاصمة مع الفريقين . وكان بها في القديم الفلوس ، فقطعها الملك الكامل ، فبقيت إلى الآن مقطوعة منها .

وهي في الإقليم الثالث ، وهوؤها رديء لاسيما إذا هبّ المريسي من جهة القبلة ، وأيضا رمد العين فيها كثير ، والمعاش فيها متعذرة نزره لاسيما أضاف الفضلاء ، وجوامك المدارس قليلة كدرة . وأكثر ما يتعشّ بها اليهود والنصارى في كتابة الخراج والطب . والنصارى بها يمتازون بالزنانر في أوساطهم ، واليهود بعلامة صفراء في عمائمهم ، ويركبون البغال ، ويلبسون الملابس الجليلة<sup>٣</sup> .

وماكل أهل القاهرة الدلنيس<sup>٤</sup> والصير والصحناء والبطارخ ، ولا تصنع النيدة - وهي خلوة القمح - إلا بها وبغيرها من الديار المصرية ، وفيها جوار طبائحات ، أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين ، لهن في الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة .

ومطابخ السكر ، والمطابخ التي يُصنع فيها الورق المنصوري ، مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة . ويُصنع فيها من الأنطاع المستحسنة ما يُسفر إلى الشام وغيرها ، ولها من الشروب الدمياطية وأنواعها ما اختصت به ، وفيها صنائع للقيسي كثير من متقدمون ، ولكن قيسي دمشقي بها يضرب المثل وإليها النهاية .

(a) زيادة من ابن سعيد . (b) بولاق : الدميس .

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٢ : ١٨٣ .

<sup>٢</sup> ابن سعيد : النجوم ٢٧ ؛ المقرئ : مسودة المواعظ الرسالة المصرية ٣٤ .



وَيُسَفَّرُ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى الشَّامِ مَا يَكُونُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَمْرَانَاتِ<sup>١</sup>، وَخَرَائِطِ الْجِلْدِ وَالشُّيُورِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وَهِيَ الْآنَ عَظِيمَةٌ آهَلَةٌ يَجِيءُ إِلَيْهَا مِنَ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ وَالجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، مَا لَا يُحِيطُ بِجَمَلَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ إِلَّا خَالِقُ الْكُلِّ جَلُّ وَعَلَا<sup>(a)</sup> .<sup>٢</sup>

٥ وَهِيَ مُسْتَحْسَنَةٌ لِلْفَقِيرِ الَّذِي لَا يَخَافُ عَلَى طَلَبِ زَكَاةٍ وَلَا تَرْسِيمًا وَعَذَابًا، وَلَا يُطَلَّبُ بِرَفِيقٍ لَهُ إِذَا مَاتَ، فَيَقَالُ لَهُ: تَرَكَ عِنْدَكَ مَالًا. فَرُبَّمَا سُجِنَ فِي شَأْنِهِ، أَوْ ضُرِبَ وَعُصِرَ.

وَالْفَقِيرُ الْمَجْرَدُ فِيهَا مُسْتَرِيحٌ مِنْ جِهَةِ رُخْصِ الْحُبْزِ وَكَثْرَتِهِ، وَوَجُودِ السَّمَاعَاتِ وَالْفُرَجِ فِي ظَوَاهِرِهَا وَدَوَاجِلِهَا، وَقِلَّةِ الْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ فِيمَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ/ يَحْكُمُ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ مِنْ رَقِصٍ فِي وَسْطِ<sup>(b)</sup> الشُّوقِ، أَوْ تَجْرِيدِ، أَوْ سُكْرِ مِنْ حَشِيشَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، أَوْ صُحْبَةِ الْمُزْدَانَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، بِخِلَافِ غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ<sup>٣</sup>.

١٠ وَسَائِرُ<sup>(c)</sup> الْفُقَرَاءِ لَا يُعْتَرِضُونَ بِالْقَبْضِ لِلأُسْطُولِ، إِلَّا الْمَغَارِبَةَ فَذَلِكَ وَقَفَّ عَلَيْهِمْ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِمَعَانَاةِ الْبَحْرِ، فَقَدْ عَمَّ ذَلِكَ مَنْ يَعْرِفُ مَعَانَاةَ الْبَحْرِ مِنْهُمْ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ، وَهُمْ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهَا بَيْنَ حَالَيْنِ: إِنْ كَانَ الْمَغْرِبِيُّ غَنِيًّا طُولِبَ بِالزَّكَاةِ وَضُيِّقَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُهُ حَتَّى يَفْرَّ مِنْهَا؛ وَإِنْ كَانَ مُجْرَدًا فَقِيرًا حُمِلَ إِلَى السُّجْنِ حَتَّى يَجِيءَ وَقْتُ الأُسْطُولِ.

١٥ . وَفِي الْقَاهِرَةِ أَرَاهِيرُ كَثِيرَةٌ غَيْرُ مَنْقُطَعَةِ الْإِتِّصَالِ، وَهَذَا الشَّأْنُ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ تَفْضُلٌ بِهِ كَثِيرًا مِنَ الْبِلَادِ. وَفِي اجْتِمَاعِ النَّزْجِسِ وَالْوَزْدِ فِيهَا أَقُولُ:

[السريع]

مَنْ فَضَّلَ النَّزْجِسَ وَهُوَ الَّذِي يَرْضَى بِحُكْمِ الْوَزْدِ إِذْ يَزْأُسُ  
أَمَّا تَرَى الْوَزْدَ عَدَا قَاعِدًا وَقَامَ فِي خِدْمَتِهِ النَّزْجِسُ

٢٠ وَأَكْثَرُ مَا فِيهَا مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْفَوَاكِهِ الرَّثْمَانُ وَالْمَوْزُ وَالتَّفَّاحُ، وَأَمَّا الْإِبْجَاصُ فَقَلِيلٌ غَالٍ، وَكَذَلِكَ الْخَوْخُ، وَفِيهَا الْوَزْدُ وَالنَّزْجِسُ وَالنَّشْرِينُ وَاللِّيُنُوفَرُ وَالتَّبْفِيسِجُ وَاليَاسْمِينُ وَاللِّيَمُونُ الْأَخْضَرُ وَالْأَصْفَرُ. وَأَمَّا الْعِنَبُ وَالتُّيْنُ فَقَلِيلٌ غَالٍ، وَلَكثْرَةٌ مَا يَعْمُرُونَ الْعِنَبَ فِي أَرْيَافِ النَّيْلِ لَا يَصِلُ مِنْهُ

(a) أباصوفيا: سبحانه. (b) ساقطة من بولاق. (c) مسودة المواعظ: ومعظم.

<sup>١</sup> الكمرانات. نوع من الأحزمة. المواعظ ٢٧.

<sup>٢</sup> ابن سعيد: النجوم الزاهرة ٢٩؛ المقرئ: مسودة نفسه ٢٩-٣٠؛ نفسه ٢٧-٢٨.



إلا القليل ، ومع هذا فشراؤه عندهم في نهاية الغلاء . وعامتها يشربون الميزر الأبيض المتخذ من القمح ، حتى إن القمح يطلع عندهم سِعْرُهُ بسببه فينادي المُنَادِي من قِبَل الوالي بقطعِهِ وكسْرِ أوانيه<sup>١</sup> .

ولا يُنكر فيها إظهارُ أواني الخمر ، ولا آلات الطرب ذوات الأوتار ، ولا تَبْرُج النساء العواهر ، ولا غير ذلك مما يُنكر في غيرها من بلاد المغرب . وقد دَخَلْتُ في الخليج الذي بين القاهرة ومصر ، ومُعْظَم عمارته فيما يلي القاهرة ، فرأيت فيه من ذلك العجائب ، وربما وَقَعَ فيه قتلٌ بسبب السكر فيمنع فيه الشرب ، وذلك في بعض الأحيان . وهو ضيقٌ عليه في الجهتين مناظرٌ كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالعة ، حتى إن المحتشمين والرؤساء لا يُجيزون العبور به في مَرَكِب . وللشُرُج في جانبيه بالليل منظرٌ قَتَانٌ ، وكثيراً ما يتفرج فيه أهلُ السُّر بالليل . وفي ذلك أقول :

[مخلع البسيط]

لا تَرْكَبَنَّ في خَلِيجِ مِصرِ	إلا إذا أُشِدِلَ الظُّلامُ
فَقَدْ عَلِمْتَ الذي عليه	من عالمِ كلِّهم طَعامُ
صَفَانٍ لِلحَرْبِ قد أَطْلَأَ	سِلاحُ ما بينهم كَلامُ
يا سَيِّدي لا تَسِرْ إليه	إلا إذا هَوَّمَ النِّيامُ
واللَّيْلُ سَثْرٌ على التُّصابي	عليه من فَضله لِشامُ
والشُرُجُ قد بَدَدَتْ عليه	منها دنانيرٌ لا تُرامُ
وهو قد امتد ، والمباني	عليه في خِذْمَةِ قيامُ
لله كَمِ دَوْحَةٍ جَنِينا	هناك أثمارُها الأثامُ

انتهى<sup>٢</sup> . وفيه تحاملٌ كثيرٌ .

وقال زكي الدين الحسين من رسالة كتبها من مصر في شهر رجب سنة اثنتين وسبع مائة إلى أخيه وهو بدمشق يتشوق إليها ، ويذكر ما فيها من المواضع والمنتزهات ، ويذم من مصر بقوله :

«فكَيْفَ يَبْقَى لمن حَلَّ في جَنَّةِ النُّعِيمِ ورياضها ، وَيَزَعُ في ميادين

<sup>٢</sup> نفسه ٢٢-٢٣ نفسه ٢٩ .

<sup>١</sup> ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٣٠-٣١ ; المقرئ :

مسودة المواظ ٢٨-٢٩ .



المَسْرَّة<sup>(a)</sup> وِغِيَاضِهَا، تَلَفَّتْ إِلَى مَنْ سَلَّمَتْهُ يَدُ الْأَقْدَارِ إِلَى أَرْضٍ لَيْسَتْ بِذَاتِ  
 قَرَارٍ، وَبَدَّلُوا بِجَنَّتِهِمْ ذَاتَ الْبَانِ الْمُتَقَاوِحِ<sup>(b)</sup>، وَالْوُزُقِ الْمُتَصَادِحِ، وَالنُّشْرِ  
 الْمُتَقَابِحِ، وَالْمَاءِ الْمُطْلَقِ الْمُسَلْسَلِ، وَالنَّسِيمِ الصَّحِيحِ الْعَلِيلِ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ  
 نَحْمَطُ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ، وَتَقَصَّدَتْهُمُ يَدُ الْقَضَاءِ فَأَخَذَتْهُمُ بِالْبُأْسَاءِ  
 وَالضَّرَاءِ، وَأَوْقَعَتْهُمُ بِمِصْرٍ وَسُمُومِهَا<sup>(c)</sup>، وَحَمِيمِهَا وَعُغْمُومِهَا، وَحُزُومِهَا  
 وَغُرُورِهَا<sup>(d)</sup>، وَخُرُورِهَا وَزَفِيرِهَا، وَسَعِيرِهَا وَكِيمَانِهَا، وَنِيرَانِهَا وَسُودَانِهَا،  
 وَفَلَاحِيهَا وَمَلَاحِيهَا، وَمَسَارِبِهَا وَمَشَارِبِهَا، وَمَسَالِكِهَا وَمَهَالِكِهَا،  
 وَصَخْنَاتِهَا وَعُضْفُورِهَا وَبُورِيَّتِهَا وَمَقُورِهَا<sup>(e)</sup>، وَمَخَاوِفِ نَوُوزِهَا وَخِرَازَةِ  
 تُمُوزِهَا، وَدَارِسِ طُلُولِهَا، وَرَائِسِ أَشْطُولِهَا، وَتَعَكُّرِ مَائِهَا، وَتَكَكُّرِ هَوَائِهَا؛  
 فَلَوْ تَرَاهُمْ فِي أَرْجَائِهَا الْقُصُوفِ كَالْأَبَاعِرِ الْهَيْمَلِ، وَهُمْ يَضْطَرِّخُونَ فِيهَا  
 ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الآية ٣٧ سورة فاطر].

فَأَجَابَهُ مِنْ دِمَشْقِ بَكْتَابٍ مِنْ جُمْلَتِهِ عَلَى لِسَانِ دِمَشْقِ كَأَنَّهَا تُخَاطِبُهُ :

«وَيَا أَيُّهَا الْوَلَدُ الْعَزِيزُ، كَيْفَ سَمَحْتَ فِطْرَتِكَ الشَّلِيمَةَ، وَمُرُوءَتِكَ  
 الْكَرِيمَةَ، وَسِيرَتِكَ الْمُسْتَقِيمَةَ، وَصَبْرَكَ الْمُحَافِظِ، وَدِينِكَ الْمُرَاقِبِ الْمَلَا حِظِ،  
 بِذَمٍّ مِنْ جَنِّيَّتِ نِعَمِهَا، وَسَكَنَتْ حَرَمِهَا، وَقُلْتَ بِمِصْرٍ وَسُمُومِهَا<sup>(c)</sup>، وَسُقَّتْ  
 عَلَيْهَا الْقَوْلُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَاسْتَعَزَّتْ لَهَا التُّكْدِيرُ حَتَّى فِي الْمَشَارِبِ  
 وَالْمَسَارِبِ .

وَهَلَّا ذَكَرْتَهَا وَقَدْ بَاكَرَهَا نَيْلُ نَيْلِ النَّعِيمِ بِمَعْنِيَّتِهِ<sup>(f)</sup> بَلَيْلٍ / النَّسِيمِ بِكَأْسِ  
 تَسْنِيمِهِ<sup>(g)</sup>، وَطَمَأَ الْبَحْرُ عَلَيْهَا زَاخِرًا فَأَغْنَاهَا عَنْ بُكَاءِ السَّحَابِ وَتَجْهِيمِهِ، وَعَمَّ  
 مَعْظَمَ أَرْضِهَا، وَعَبَّ غُبَابُهُ فِي طُولِهَا وَعَرْضِهَا، حَتَّى كَادَ يَغْلُو رَفِيعَ قُصُورِهَا،  
 وَتَسْتَوِّرُ سُورَتَهُ<sup>(h)</sup> شَامِخِ سُورِهَا . وَمَعَ ذَا لَا تَرَاهُ جَسُورًا عَلَى ضِعَافِ جُجُورِهَا،  
 قَدْ طَبَّقَ التَّهَائِمَ وَالْأَنْجَادَ، وَغَرَقَ الْآكَامَ وَالْوَهَادَ، وَعَلَا أَعْلَى الصُّعِيدِ وَالصُّعَادَ،

(a) بولاق : المسرات . (b) بولاق : المتقاوح . (c) بولاق : وشموسها . (d) بولاق : حزونها ووعورها .

(e) بولاق : عقورها . (f) بولاق : بمعنيته . (g) بولاق : من تسنيمه . (h) بولاق : ويتسور بسورته .



وأعاد البرّ سلطانه بحرًا بالازدياد<sup>١</sup>.

فإذا ارتوى أوام أكباد البلاد، وزوى الشهل والوعر والهضاب والوهاد،  
 وذهب إملاق الأرض بكلّ ملقة وخليج، وأنجاب عنها فاهتزت وربت،  
 وأنبتت من كلّ زوج بهيج، بدت روضة نصرة بأملاق مقطعة، كزمرودة  
 خضراء بلالي مرسعة: فكم من غدير مستدير كبدر منير، ودقيق مستطيل  
 كسيف صقيل، وكم من قلب قلب بماء كجلاب، وكم من عظيم بركة  
 فيركبها<sup>(a)</sup> النسيم بلطفه، وطينها<sup>(b)</sup> غير عنبرها فضمخها بكفه، وزهت بزهر  
 نيلوفرها فغرقت بعرقه<sup>(c)</sup>، وكم ترى من ملقة لينة، عليها عيون نرجس  
 مخدقة، كصحن خد عروس منمقة.

والتوار قد دارت بمدام الندى كؤوسه، وجالت في مراح الأفراح نفوسه،  
 ونجم نجمه وانبتم عبوسه<sup>(d)</sup>، وسامرته الرذاذ المثل، وباكره الطل فكلمه بلؤلؤه  
 وقلده، وزاره النسيم المغتل فأقامه وأقعداه، ونمق أرضه وروضه فذهبته وقضضه.  
 قد باهت<sup>(e)</sup> برياضها الغناء، وزهت بزخرفها وزينتها الحسناء، وامتد بساطها  
 الزمردى، وانبسط مداها<sup>(f)</sup> الزبرجدي، فلا يدرك أقصاه ناظر مسافر، ولا  
 يحيط بمنتهاه خيال ولا خاطر<sup>٢</sup>.

فله درها من روضة مزين، وكعبة حنين، ومقطعات بماء غير آسن، وحرم  
 بحر حجاج طيزه آسن. أتاها حجيج الطير من كلّ فج عميق، ملبيًا داعي  
 حنينها من كلّ مكان سحيق، قد امتطى ركبها متون الرياح، وعلا جثمانها  
 على<sup>(g)</sup> عالم الأزواح، ووصلن الإذلاج بالصباح، وقطعن جناح<sup>(h)</sup> الليل بحفاق  
 الجناح كأنهن الدراري السواري، أو المنشآت الجواري، أو المطايا المهاري.

[الطويل]

تواصل من جو حوائض مثله<sup>(i)</sup> صعود على حكم الطريق نزول

(a) بولاق: حركها. (b) بولاق: وطيبها. (c) بولاق: معرفها بعرفه. (d) بولاق: عروسه. (e) بولاق: تاهت. (f) بولاق: مداها. (g) ساقطة من بولاق. (h) بولاق: أجناح. (i) بولاق: حوائض نيله.

<sup>١</sup> أمام هذه الفقرة في نسخة آياصوفيا: ذكر النيل. <sup>٢</sup> أمام هذه الفقرة في نسخة آياصوفيا: صفة ربيع مصر.



رِفاقُ تعاھدن على الوفاء ، وتخالقن على النعماء والبلاء ، خَرَجْنَ مُهاجرات من الأوطان ألوفا ، وقَدِمْنَ صاقين<sup>(a)</sup> كالمصلين صُفُوقًا ، يَقدُمنَ دَليلٌ كائِه إمامٌ ، قد قَتَلَ طُرُقَ الآفاق خَبْرًا ، واستوى لديه الإضواء والإظلام ، أَبَصَرَ من زَرْقاء اليمامة ، وأَطِيرَ من الوزقاء والعمامة<sup>(b)</sup> ، وأهدى من النجم ، وأشد من السهم يتناجى بلغات أعجميات ، مُسَبِّحات بألحانٍ مُطْرِبات ، وطُفْنَ في حَرَمِها الآمن ، واعتمرن بتلك المحاسن . فتراها عند إقبال نَوَّها وحوُمِها في جَوَّها ، ما يَشْتَقِم حَظًّا مُشْتَقِيمًا ، وإن كانت تَصْطَفَّ صَفًّا عَظِيمًا : ومنها ما يَسْتَهَلُّ هِلالًا ، ومنها ما يَحْكِي بنات نَعشِ حالًا ، ومنها ما يَنْثَنِي بِإِذْلالِه دالًا ، ومنها ما يَحْطُّ نونًا نونًا فيحكي حاجبًا مَقْرُونًا ، ومنها ما يَكْتَبُ زَيْنًا فيعيدها عَيْنًا ، ومنها ما يُصَوِّرُ ميمَ الهجاء فيشاهد مَبْسَمَ السَّماءِ ،<sup>(c)</sup> ومنها ما يَنْعَيطُ على خَدِّها صَدْعًا مُسَلْسَلًا ، ومنها ما يُشْبِهُ عِذارًا مُنَمَّنًا<sup>(e)</sup> ، ومنها ما يَأْتِي زَرافات ووَخدانًا ، فيبْدِعُ في إعجابه حُسنًا وإحسانًا .

فكم من حَبَلٍ إِوْرُ مُعَلَّقٍ بِالسَّماءِ مُحَلَّقٍ<sup>(d)</sup> إلى ذلك الماء ، وأوانِسَ عَرايسٍ<sup>(e)</sup> أنيسات كَيْسات ، وِضوِرٍ ضوِرٍ كأمثال حور ، وطَيرٍ لَعْلَعٍ مُكْتَسِبٍ بِدِيباجٍ مُضْبَعٍ ، وَجَليلِ حَبْرَجٍ كَعَلَجٍ مُتَوَجِّجٍ ، وَكُزْكِي عَرِيضٍ طَوِيلٍ كَبَعِيرٍ كَبِيرٍ جَمِيلٍ ، وَغَرِيرٍ غَرٍّ مُغَرٍّ مُتَعَرِّزٍ<sup>(f)</sup> مُتَعَيِّرٍ ، وَسَبِيطِرٍ شَدِيدٍ شَوَيْطِرٍ ، وَكَمٍ ضَخْمٍ الدَّسِيعَةِ جَوالٍ ككوهي بالقوة المنيعَة صَوالٍ ، وَرُخامٍ مُرَزَّمٍ كذِي إِمرَةٍ مُحْتَشِمٍ ، وَجَلالَةٍ نَشْرٍ في الشَّائِعِ الدَّائِعِ وَالْحاضِرِ الواقِعِ ، أَنبَهَى مِنَ النُّشْرِ الطَّائِرِ وَالوِاقِعِ ، وَعَظِيمِ عَقابٍ تَمَّ الحُسْنَ بِحُسْنِهِ وَكَلَّ الصَّيْدَ في ضِمْنِهِ ، وَكَمٍ مِنَ خَضارِي وَجِهارٍ<sup>(g)</sup> ، وَبَلْشونٍ وَشَهْرَمانٍ ، صِنوانٍ وَغَيرِ صِنوانٍ ، وَكَمٍ مِنَ بَطِّ عَلى سَطِّ وَخَلْطٍ ، وَقَطْطِ مُنْقَطٍ ، وَغَرٍ وَغَرَنوقٍ ، وَكَرْشوعٍ<sup>(h)</sup> مُمَشوقٍ ، وَنَوْرَسٍ مُشْتائِسٍ قَدِ<sup>(i)</sup> امتلأت بهن الآفاق ، وَتَكَلَّتْ بِنَجومِهِنَّ الأَملاقُ ، وَشَرِينٍ مِنَ جَرِيانِها فَأَسْكَرَهُنَّ الاضْطِباحُ وَالاعْتِباقُ : فكم من مُسَوِّدَةٍ كَحالِ نَجْدٍ<sup>(j)</sup> ، وَأَزْرَقِ كَلازِوَرْدٍ ، وَأَشْقَرِ كَزَهْرِ وَرْدٍ أَحْمَرَ ناصِعٍ ، وَأَصْفَرَ فاقِعٍ ، وَأَبْيَضَ ذِي خِضابِ

(a) بولاق : صافات . (b) بولاق : والهامة . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : يحلق . (e) بولاق : عريسات .

(f) بولاق : معزر . (g) بولاق : حرمان . (h) بولاق : كرسوغ . (i) بولاق : وقد . (j) بولاق : كخال نجد .



عندمي بلطيف منقار بُشمي ، ومبرقش ومقنع ، ومعمم ومقنع ، وأشقري  
منقش ، وأزقش مرشش ، وعودي وهندي ، وصيني مسني ، وعينين كياقوتتين  
قد رصعتا في لجين ، وكم من طائر أبهى من قمر سائر ، يفرق مثل الصبح  
سافر .

فتراهن في الماء صموتا وقوفا ، صوفوا عكوفاً ، كصور أضنام ، أو حجارة  
مبدوة في آكام ، وكم من أطياف ظراف ملاح لطاف ، ذوات ألحان ونضرة  
والوان ، وخلق وأخلاق ، ونطيق وأطواق ، وإيناس مع شماس ، قد ازدانت  
الأرض بأصواتهم واختلاف لغاتهم وعجائب صفاتهم<sup>a</sup> ، فبرزت بأنواع  
الأعاجيب ، وتجلت بأجمل الجلايب ، وأبدعت في صور الإحسان ،  
وتصورت في بدائع الألوان .

فاذا بدت زرقاء في زهر كتانها ، مذهبة بأزهار لبسانها / مفضضة بنجوم  
أقحوانها ، خلقت السماء عليها خلعة جميل أزدانها . وإذا فاح نشر نوار  
قزطها ، سممت المسك الذكي من مزطها ، ورأيت لآلي سيمطها مبسوطه على  
خضر بسطها ، ومغالاتها بغالية نور قولها ، وهباتها إذا رفل النسيم في ذبولها ،  
قد رصعت أغصانه بفصوص لجينها ، ونقطة من حسنها بسواد عينها : فعيونه  
كعيون غزلانها في فتكها ، وأخداه كأخدق ولدانها من تركها .

وكم لها من طرة معتبرة ، وجبهة منورة ، ووجنة مزغفرة ، وملاءة منشورة  
معضفرة ، وخذ مؤرد ، وطرف مهند ، ولمائها صنيع من عقيق الشقيق ،  
وسكرها من ذلك الريق على التحقيق .

وأين بزوغ بشنينها ، وامتداد يقطينها ، وأين خلاوة عرائس نخلاتها ،  
وطلاوة أوانس قاماتها بمشابهتها في صفاتها ، وعرائس فسيلاتها ، وأين نضيد  
طلعها ، وحميد فرعها ومديد جذعها ، وفخر جمارها على غير جمارها<sup>b</sup>  
واخضرار أكمامها ، واخمرار لثامها ، وبنان بشرها المطرف ، وبنان نشرها  
المشرف ، وانتظام سرورها بائيسام مشورها .

(a) بولاق : أصواتها ... لغاتها ... صفاتها . (b) بولاق : وفر جمارها عن غرة جمارها .



وَوَزْدٌ وَادِيهَا وَمُنْحَنَاهَا ، وَنَدَى نَدَاهَا وَتَمْرٌ جِنَاهَا ، وَأَسْ أَسِيهَا ، وَطَيْبٌ طَيْبِ  
 أَنْفَاسِهَا ، وَتَبْرُجٌ بِأُتْرُجِهَا وَتَبَهْرُجٌ بِنَارِنِجِهَا ، وَتَخْتَمٌ بِمُخْتَمِهَا ، وَتَبَسُّمٌ  
 عَنْ بَلْسَمِهَا ، وَتَشَقُّقٌ أُبْرَادِهَا عَنْ نُهْدٍ أَكْبَادِهَا ، وَتَضَاعُفٌ أَزْجِهَا بِمُضْعَفٍ  
 بِنَفْسِجِهَا ، وَجَلَالَةٌ مِقْدَارِهَا إِذَا فَتَحَتْ أَزْرَارَهَا عَنْ جَلَالِهَا<sup>(a)</sup> نَارِهَا ، وَطَيْبٌ  
 شَمِيمٌ مِنْ أَشْمُونِهَا ، وَنَسِيمٌ وَوَسِيمٌ بِأَوْسِيمِهَا ، وَجِنَانٌ قَلْبِيُوبِهَا ، وَجَرِيَانٌ  
 قَلْبِيهَا ، وَأَخْوَاضٌ بِبَهْتِينِهَا وَرِيَاضٌ ، وَطُرَتْهَا بِمَطْرِيَّتِهَا ، وَنَفِيسٌ أَنْسِيهَا  
 بِمَقْسِيهَا ، وَغَرِيبٌ غَرَسِيهَا بِتَلْقَسِيهَا ، وَعَظِيمٌ آسِيهَا بِمُحَلِّقٍ مِقْيَاسِيهَا . وَكَرِيمٌ تَحِيَّتِيهَا  
 مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ هُبُوبٌ أَنْفَاسِيهَا ، وَاجْتِمَاعٌ أَشْعَدُهَا ، وَارْتِفَاعٌ رَضْدُهَا ، وَسَوَاقِيهَا  
 الْحَنَانَةُ فِي سَجْعِهَا الْفَتَانَةُ<sup>(b)</sup> بِسَكْبِهَا مِنْ دَمْعِهَا ، وَجَنَّةٌ لُوقِيهَا ، وَلُجَّةٌ بُولَاقِيهَا ،  
 وَبِرْكَةٌ فِيهَا مِنْ بَرَكَةِ نِيلِهَا ، وَجَزِيرَةٌ ذَهَبِيهَا ، وَقَلْعَةٌ الْجَزِيرَةُ بِذَهَبِهَا مِنْ عَجَبِهَا .  
 حَكَتْ فُلُوكَهَا فِي بَحْرِهَا ، وَأَحْكَمَتْ مَمْلَكَتَهَا بِبِرِّهَا ، وَعَظَمَ جَلَلُهَا بِقَلْعَةِ  
 جَبَلِهَا ، وَاعْتَلَاءُ أَعْلَامِهَا بِنَاءَ أَهْرَامِهَا .

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى سُعُودِ صُعُودِهَا إِلَى سَعِيدِ صَعِيدِهَا ، وَاعْتِبَاطِهَا بِأَنْحِطَاطِهَا  
 إِلَى صَوْبِ سَكَنْدَرِيَّتِهَا وَدِمْيَاطِهَا ، أَلْهَيْتَكَ عَنْ حُسْنِ الثَّرِيَّا وَمَنَايِطِهَا .  
 وَلَا تَنْسَ الْجَوَارِي الْمُنَشَّاتِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ، الَّتِي تَسْبِقُ عِنْدَ طِيَابِ  
 الرِّيحِ مَفْرُوقَاتِ السُّهَامِ ، وَإِعْجَابِهَا بِغَرَبَانِهَا الْبَحْرِيَّةِ ، وَحَرَاقَاتِهَا الْحَرَبِيَّةِ ،  
 وَشَوَانِيهَا وَهَوْلِ مَبَانِيهَا ، وَجَلَالِ شَكْلِهَا وَجَمَالِ مَعَانِيهَا : تَبْدُو مُوَشَّاةً بِالنُّضَارِ  
 الْأَحْمَرِ ، مُنْقَشَّةً بِاللَّوْنِ الْأَفْخَرِ ، فَهِيَ كَالْأَزْقَمِ الْمُنْتَمِرِ ، أَوْ كَمُتَلَوْنِ الثَّمَرِ ، أَوْ  
 الطَّاوُوسِ الذَّكَرِ ، أَوْ النَّاوُوسِ الْبُنِّي الْأَصْفَرِ ، مُعَمَّرَةٌ بِتَأْسِ الْحَدِيدِ وَالْأَحْجَارِ ،  
 مَحْمُولَةٌ عَلَى سَيْحِ الْمَاءِ التِّيَّارِ ، مَشْحُونَةٌ بِالرُّجَالِ ، مَنْصُورَةٌ عِنْدَ الْقِتَالِ ، مَصُونَةٌ  
 بِالْمَجْنِ وَالنُّبَالِ ، تَبْرُزُ مُذْكَرَةً بِالْآيَةِ التَّوْحِيَّةِ ، وَتَضْمَنُ إِحْرَازَ الْهَيْمَةِ الْعَلِيَّةِ الْفَتْحِيَّةِ .  
 حُصُونٌ أَمْنَعُ مِنْ أَعَزِّ قِلَاعٍ ، تَطِيرُ إِذَا فُتِحَ لَهَا جَنَاحُ الْقِلَاعِ ، فَتَسْبِقُ وَقَدْ  
 الرِّيحَ عِنْدَ الْإِشْرَاعِ ، وَتَفُوقُ سُرْعَةَ السَّحَابِ عِنْدَ الْإِتْسَاعِ ، فَهِنَّ مَعَ الْعُقْبَانِ فِي  
 النَّيْقِ حَوْمٌ ، وَهِنَّ مَعَ الْبُنْيَانِ فِي الْبَحْرِ عَوْمٌ ، لَوْ أَقْسَمَ مِنْ رَأْيِهَا ، وَلَوْ قَالَ مُشَاهِدٌ

(a) بولاق : جل . (b) بولاق : الهتانة .



معناها : إِنَّ اللَّهَ نَفَخَ فِيهَا الرُّوحَ فَأَحْيَاهَا ، لَبَّرَ فِي يَمِينِهِ الَّتِي أَقْسَمَ وَتَلَاهَا .  
 وكم من مَزَكِبٍ لِحُسْنِهِ مُعْجِبٍ ، وكم من سَفِينٍ قَوِيٍّ أَمِينٍ ، وَخَضَارِي  
 جَلِيلٍ ، وَغُشَارِي طَوِيلٍ ، وَسَمَارِي<sup>(a)</sup> طَوِيلٍ جَمِيلٍ ، وَنَشْتَرَاوِي عَكَاوِي ، وَلُكَّةٌ  
 وَدَزْمُونَةٌ وَمَعْدِيَةٌ مَكْنِيَّةٌ ، وَسَلُورٌ دَقِيقٌ ، وَشَخْتُورٌ رَشِيقٌ ، وَقَزْقُورٌ رَقِيقٌ ، وَزَوْرَقٌ  
 ذِي رِوَاءٍ وَزَوْنَقٌ<sup>(b)</sup> ، وَطَرِيدَةٌ بِخَيْلِ الطَّرَازِ<sup>(c)</sup> مَعْمُورَةٌ ، دَهْمَاءٌ بِحَمَلِ الْجِيَادِ  
 وَالْأَجْنَادِ مَشْهُورَةٌ ، وَمَخْلُوفٌ بِالْمَعْرُوفِ فِي الْآفَاقِ مَعْرُوفٌ .  
 وَمَا أَخْلَى بَنَانُ رُطْبِهَا الْمَخْضَبُ ، وَدَقِيقٌ<sup>(d)</sup> قَامَةٌ قَصَبِهَا الْمُقْصَبُ ، وَبَهْجَةٌ  
 قَوْزُهَا بَطْلَحٌ مَوْزِهَا ، وَخُضْرُ أَعْلَامِ أَوْرَاقِهَا ، وَصُفْرُ كِرَامِ أَعْلَاقِهَا ، لَا الْبَلَاغَةَ  
 تَبْلُغُ مِنْ إِحْصَاءِ فَضْلِهَا مَرَامًا ، وَلَا الْفَصَاحَةَ تَصُوغُ لَوْصِفِ تَشْبِيهِهَا كَلَامًا .  
 فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكْنِفَهَا بِرُكْنِهِ الَّذِي لَا يُرَامُ ، وَيَحْرُسَهَا بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ ،  
 بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

وقال إبراهيم بن القاسم الكاتب - الملقب بالرقيق<sup>١</sup> - يتشوق إلى مصر ، وقد خرج عنها في سنة  
 ثمان<sup>(e)</sup> وثمانين وثلاث مائة ، من قصيدة<sup>٢</sup> :

[الطويل]

هل الرِّيحُ إن سارت مُشْرِقَةً تَسْرِي ١٥  
 فَمَا خَطَرَتْ إِلَّا بَكَيْتُ صَبَابَةً  
 /لَأَنِّي إِذَا هَبَّتْ قَبُولًا بَنَشْرِهِمْ  
 فَكَمْ لِي بِالْأَهْرَامِ أَوْ دَيْرِ نَهْيَةٍ  
 إِلَى جِيزَةِ الدُّنْيَا وَمَا قَدْ تَضَمَّنَتْ  
 وَبِالْمَقْسِ وَالْبُشْتَانِ لِلْعَيْنِ مَنظَرٌ ٢٠  
 وَفِي بَقْرِ دُوسٍ مُسْتَرَادٌ وَمَلْعَبٌ  
 تُوْدِي تَحِيَّاتِي إِلَى سَاكِنِي مِصْرَ؟  
 وَحَمَلَتْهَا مَا ضَاقَ عَنْ حَمَلِهِ صَدْرِي  
 شَمَمْتُ نَسِيمَ الْمَيْسِكِ مِنْ ذَلِكَ النُّشْرِ  
 مَصَايِدُ غَزْلَانِ الْمَطَايِدِ وَالْقَفْرِ  
 جَزِيرَتُهَا ذَاتِ الْمَوَاجِرِ وَالْجِشْرِ  
 أَنْيَقٌ إِلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ إِلَى الْقَصْرِ  
 إِلَى دَيْرِ مَرْحَتَا<sup>٣</sup> إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ

(a) بولاق : مساري . (b) بولاق : ذي زواريق . (c) بولاق : الطراد . (d) بولاق : ورشيق . (e) بولاق : ست .

<sup>١</sup> انظر عن إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق فيما يلي الأدباء ١: ٢٢٢-٢٢٤ .

<sup>٢</sup> ١٥٤: ٢ حاشية بخط المؤلف : دير مرحتا يعرف اليوم بدير

<sup>٣</sup> أورد القصيدة بتمامها ياقوت الحموي في معجم الطين بالقرب من بركة الحبش ، وانظر فيما يلي ٢: ٤٦٠ .



فكم بين بُسْتَانِ الأَمِيرِ<sup>١</sup> وَقَصْرِهِ  
تَرَاهَا كَمِرْآةٍ بَدَتْ فِي زَفَارِفِ  
وَكَمْ لَيْلَةٌ لِي بِالقَرَاةِ خِلْتُهَا

وقال أحمد بن رستم بن إسفهنسلار الديلمي<sup>٣</sup>، يُخاطبُ الوزير نجم الدين يوسف<sup>(a)</sup> بن الحسين  
المجاور<sup>٤</sup>، وتوفي في رابع عشر ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وست مائة [بدمشق، ومولده في  
سنة ثمان وأربعين وخمس مائة وكان شيخًا مشورًا معدلًا]<sup>(b)</sup>.

[الكامل]

حَيِّ الدِّيَارِ بِشَاطِئِ مِقْيَاسِهَا  
فَالرُّؤُوسَتَيْنِ وَقَدْ تَضَوَّعَ غَرْفُهَا  
فَمَنَازِلُ العَيْنِ المَنِيفَةِ أَصْبَحَتْ  
فَخَلِيجُهَا لِذَاتِهِ مُطْلُوبَةٌ  
خَافَاتُهُ مَحْفُوفَةٌ بِمَنَازِلِ  
فَالْمَقْسَمِ الفَيْحِاحِ بَيْنَ دُهَاسِهَا  
أَرْجُ البَتْفَسِجِ فِي غَضَارَةِ آسِهَا  
يُغْنِي سَنَاهَا عَنِ سَنَا نِيْرَاسِهَا  
تَسْمُو مَحَاسِنُهُ عُجْلًا بِأَنَاسِهَا  
نَزَلَتْ بِهَا الأَرَامُ دُونَ كُنَاسِهَا<sup>٥</sup>

وقال العلامة جمال<sup>(c)</sup> الدين محمد الشيرازي المعروف بإمام منكلي بغا :

[السريع]

حَيًّا الحَيَا مِصْرَ وَسُكَّانِهَا  
وَجَادَ صَوْبَ المِزْنِ مِنْ أَرْضِهَا  
مَعَاهِدَ بِالأُنْسِ مَغْمُورَةً  
كَمْ أُيقِظْتَنِي فِي ذُرَى دَوْحِهَا  
وَكَمْ نَعِيمٌ قَدْ تَخَيَّلْتُهُ  
وَعَايَنْتُ عَيْتِي بِهَا أَغْيَدَا  
تُسَجِّرُ بِالتَّفْتِيرِ الحَظَاهُ  
وَبَاكِرِ الوَسْمِيِّ كُتُبَانِهَا  
مَعَاهِدَ الأُنْسِ وَأوطَانِهَا  
لَمْ أَنْسَ مَهْمَا عِشْتُ إِحْسَانِهَا  
عَجْمَاءَ لَا تَفْقَهُ الحَانِهَا  
فِيهَا وَكَمْ غَازَلْتُ غِزْلَانِهَا  
مُنْعَسَ المَقْلَةِ وَسَنَانِهَا  
كَأَنَّ مِنْ بَابِلِ شَيْطَانِهَا

(a) بولاق : أبا يوسف . (b) زيادة من مسودة المواعظ . (c) بولاق : جلال .

<sup>١</sup> حاشية بخط المؤلف : «بستان الأمير يعرف اليوم

بالمعشوق بجوار الآثار النبوية على بركة الحبش» .

<sup>٢</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ٢٩ - ٣٠ .

<sup>٣</sup> ترجمته عند الصفدي : الوافي بالوفيات ٦ : ٣٨١ ،

واسمه فيه : جمال الدين أبو العباس أحمد بن رستم بن

كيلان شاه الديلمي .

<sup>٤</sup> انظر ترجمة الوزير ابن المجاور عند المنذري : التكملة

لوفيات النقلة ٢ : ٣٠ - ٣١ ، وفيه أن وفاته سنة ٦٠٠ هـ ؛ ابن

سعيد : الغصون الياض ١٩ - ٢٥ ، وفيما يلي ٢ : ٤١ .

<sup>٥</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ٣٠ - ٣١ .



وكم شجّت قلبي بها عادة  
 إذا دعت صبًا إلى حبها  
 وكم ليالي لي بها قد مضت  
 وآلَهف نفسي كيف شطت بها  
 فارقتها لا عن قلبي صدني  
 واعتصمت عن غزلانها والمها  
 يا سائلي عن حالتي بقدها  
 ما حال من فارق أصحابه  
 ثقل قلب فوق الجمر أحشاؤه  
 والعين لا تنفك من عبرة  
 يا سائق التوق بيت الشرى  
 حي ربا مصر وجناتها  
 ودورها الزهر وساحاتها  
 وأرضها المخضب أرجاؤها  
 والروضة الفيحاء تلك التي  
 ومنية السيرج لا تنسها  
 /والشاح والخمس وجوه التي  
 وحي بأبرق وجد بالحيا  
 وبانها الغضن ونشرينها  
 وظلها الضافي وأزهارها  
 والمعهد المانوس من ربعا  
 لم أنس لا أنسى اضطباحي بها  
 ولا أوثقات الثصابي ولا  
 أيام لا أنفك من صبوة  
 أخطر تيبها في رياض الصبا  
 وخيل لهوي في ميادينها  
 ودوختي ناضرة غضة  
 حاشاي أن أنقض عهدا لها

قد كحلت بالغنج أجفانها  
 لا يستطيع الصب عصيانها  
 تشعب بالإعجاب أزدانها  
 حوادث قوضن بُنيانها  
 عنها فراق الروح جسمانها  
 نعاخ حبرون وثيرانها  
 هأنذا أذكر عُنوانها  
 وفارق الدنيا وجيرانها  
 تُوجج الأشواق نيرانها  
 تُزِيل فوق الحد طوفانها  
 كمثل بث الشعب تهتانها  
 وحورها العين وولدانها  
 وبين قصرها وميدانها  
 ونيلها الزاهي وخلجانها  
 تجلو عن الأنفس أجزانها  
 وقُرطها الأحوى وكثانها  
 أضحت من الأعين إنسانها  
 جزيرة الفيل وغيطانها  
 ووزدها البكر وزحانها  
 وماءها الصافي وغدرانها  
 وحي أهلها وشكاتها  
 ولا اغتباقتي وإبانها  
 تلك الخلاعات وأزمانها  
 أهوى اللذات وإعلانها  
 مُرّح الأعطاف كسلانها  
 تجر الصبوة ألسانها  
 تعطف ربح اللهو أغصانها  
 حاشاي أن أصبح خوانها

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥



حاشاي أن أهجرها قاليًا  
حاشاي أن أَرْضِي بديلاً بها  
وماءها الشَّجَّ وَحَضْبَاءُهَا  
قد تَأَقَّتِ النَّفْسُ إِلَى إلفها  
وَأَذْكَرْتُ فِي البُعْدِ أَحْبَابَهَا  
وما لها غَيْرُكَ مِنْ مُلْتَجَا  
حاشاي أن أُحْدِثَ سُلُوانَهَا  
رَوَابِي الشَّامِ وَقِيَعَانَهَا  
وَصَخْرَهَا الصَّلْدَ وَصَوَّانَهَا  
وَخَثَّتِ الأَشْوَاقَ أَطْعَانَهَا  
فَهَيَّجَ التَّبْرِيحُ أَشْجَانَهَا  
يا أَوْحَدَ الدُّنْيَا وَإِنْسَانَهَا

وقال الرَّئِيسُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُخَيِّبِ الدِّينِ يَحْيَى بْنُ فَضْلِ اللهِ العَمْرِيِّ كَاتِبِ السِّرِّ :  
[مجزوء الرجز]

لمصرَ فَضْلٌ باهِرٌ  
بِعَيْشِهَا الرَّغْدِ النَّضِيرِ  
في كُلِّ سَفْحٍ يَلْتَقِي  
مَاءَ الحَيَاةِ وَالخَضِيرِ<sup>(a)</sup>

### ذَكَرَ مَا قِيلَ فِي مُدَّةِ بَقَاءِ الْقَاهِرَةِ وَوَقْتِ خَرَابِهَا

قال العارِفُ مُخَيِّبُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ العَرَبِيِّ الطَّائِي الحَاتِمِي فِي المَلْحَمَةِ المَنسُوبَةِ إِلَيْهِ<sup>٢</sup> : قَاهِرَةٌ  
تَعْمُرُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَتَخْرُوبُ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ .  
وَوَقَّفْتُ لَهَا عَلَيَّ شَرْحَ لَمْ أَعْرِفَ تَصْنِيفَ مَنْ هُوَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُسَمَّ فِي النُّسَخَةِ الَّتِي وَقَّفْتُ عَلَيْهَا ،  
وَهُوَ شَرْحٌ لَطِيفٌ قَلِيلُ الفَائِدَةِ ، فَإِنَّهُ تَرَكَ كَلَامَ المُصَنِّفِ فِيمَا مَضَى عَلَيَّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ  
التَّارِيخِ ، وَلَمْ يُبَيِّنْ مُرَادَهُ فِيمَا اسْتَقْبَلُ ، وَكَانَتْ الحَاجَةُ مِائَةً إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يَسْتَقْبَلُ ، أَكْثَرَ مِنْ  
المَعْرِفَةِ بِحَالِ مَا مَضَى ، لَكِنْ أَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الثَّقَاتِ أَنَّهُ وَقَفَ لِهَذِهِ المَلْحَمَةِ عَلَيَّ شَرْحَ كَبِيرٍ  
فِي مَجْلَدَيْنِ .

قالَ هَذَا الشَّارِحُ : كَانَتْ بَدَايَةُ عِمَارَةِ القَاهِرَةِ والنَّيِّرَانِ فِي شَرْفِهِمَا : الشَّمْسُ فِي بُرْجِ الحَمَلِ ،  
وَالقَمَرُ فِي بُرْجِ الثَّوْرِ وَهُوَ بُرْجٌ ثَابِتٌ ، قالَ : فَعُمِّرَ القَاهِرَةُ وَمُدَّتْهَا أَرْبَعُ مِائَةٍ وَإِحْدَى وَسِتُونَ  
سَنَةً .

(a) بعد ذلك على هامش آياصوفيا : بياض ورقة .

<sup>١</sup> انظر ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار (ممالك

مصر والشام) ٩٦؛ أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١ : ٥٢ ،  
<sup>٢</sup> وقف ابن خلدون على هذه الملحمة المنسوبة إلى =



قال في الأصل : وإذا نزل زُحَل بُرُج الجوزاء ، عَزَّت الأَقْوَات بمصر ، وَقَلَّ أَعْنِيَاؤُهُمْ ، وَكَثُرَ فُقَرَاؤُهُمْ ، وَيَكُونُ الْمَوْتُ فِيهِمْ ، وَيُخْرَجُ أَهْلُ بَرْقَةِ عَنْ أَوْطَانِهِمْ ، لِأَسِيْمَا إِذَا قَارَنَ زُحَلُ الْجَوْزَاهِرُ ، فَإِنَّ الْحَالَ يَكُونُ أَشَدَّ وَأَقْوَى .

قال الشارح : كان ذلك في سنة أربع وستين وست مائة ، في أيام الملك الظاهر رُكْن الدين بَيْبَرْس ، فَإِنَّهُ نَزَلَ زُحَلُ بُرُجِ الْجَوْزَاءِ ، فَوَقَعَ الْغَلَاءُ . وفي آخر سنة أربع وأول سنة خمس وتسعين وست مائة ، في أيام الملك العادل كَتَبْنَا ، حَلَّ زُحَلُ فِي بُرُجِ الْجَوْزَاءِ ، وَكَانَ مَعَهُ الْجَوْزَاهِرُ ، فَكَانَتْ أَشَدَّ وَأَقْوَى ، وَكَثُرَ الْغَلَاءُ وَالْوَبَاءُ .

قال : سُئِلَ الْمُعِزُّ عَنِ التُّرُكِ : مَا هُمْ ؟ فَقَالَ : قَوْمٌ مُسْلِمُونَ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُقِيمُونَ الْحُدُودَ وَالْوَأَجِبَاتِ ، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَعْدَاءَ اللَّهِ ؛ فَقِيلَ لَهُ : أَتَطُولُ مُدَّتُّهُمْ ؟ قَالَ : لَا تَطُولُ مُدَّتُّهُمْ ؛ قِيلَ : فَكَيْفَ يَكُونُ زَوَالُهُمْ ؟ قَالَ : يَكُونُ هَكَذَا ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهِ طَبَقُ كِيزَانَ ، فَحَرَّكَهُ حَرَكَةً شَدِيدَةً فَتَكَثَّرَتِ الْكِيزَانُ ، فَقَالَ : هَكَذَا يَكُونُ زَوَالُهُمْ ، يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، قَالَ :

[الكامل]

أَحْذَرُ بُنَيَّ مِنَ الْقِرَانِ الْعَاشِرِ      وَازْحَلْ بِأَهْلِكَ قَبْلَ نَقْرِ النَّاقِرِ

قال الشارح : أَوَّلُ الْقِرَانِ الْعَاشِرِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَفِيهِ تَكُونُ حَالَاتٌ رَدِيئَةٌ بِأَرْضِ مِصْرَ ، وَهَذَا يُوَافِقُ مَا فِي الْقَوْلِ عَنِ الْقَاهِرَةِ ، وَتَخْرُبُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ - يَعْنِي بِدَايَةِ انْحِطَاطِهَا مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ الَّتِي فِيهَا الْقِرَانُ الْعَاشِرُ ، وَيَتَّبَعَتْ فِي عِشْرِينَ سَنَةً الَّتِي هِيَ أَيَّامُ الْقِرَانِ . وَقَدْ ذَكَرَ فِي الرَّبْعِ / الْآخِرِ أَرْبَعَ مِائَةٍ وَاحِدَى وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَقَدْ تَخَيَّلْتُ أَنَّهَا مُدَّةُ عُمُرِ الْقَاهِرَةِ ، فَإِذَا زِدْتَهَا عَلَى تَارِيخِ عِمَارَتِهَا ، بَلَغَ ذَلِكَ ثَمَانِ مِائَةٍ وَتِسْعَ عَشْرَةَ

واحدة في مكتبة فيض الله بإستانبول برقم ٢١١٩ (٣٥٢-٣٦٠) كتبت سنة ١٠٨٨هـ ، وأخرى في المكتبة الوطنية بباريس برقم ٢٦٧٥ (٥٣-٥٧) ، كما لها شرح مجهول المؤلف عنوانه «الملحمة الشمسية في كشف العلوم الحقيية» ، منه نسخة في مكتبة فيض الله بإستانبول برقم ٢١١٩ (٤٥٢-٥٢٣) . (Yahya, O., *Histoire et classification de l'œuvre d'Ibn 'Arabî*, Damas 1964, p. 355 .

= محيي الدين بن عربي (بين ملاحم أخرى في حديثان الدول أو حديثان الله) ، وذكر أنها في كلام طويل شبه الغاز لا يتعلم تأويله إلا الله لتخلله أوفاق عديدة ورموز ملفوزة وأشكال حيوانات تامة ، ورعوس مقطعة ، وتمثيل من حيوانات غريبة ، وفي آخرها قصيدة على زوي اللام ، لأنها لم تنشأ عن أصل علمي من نجامة ولا غيرها . (المقدمة ٨٣٨) .

وذكر عثمان يحيى في كتابه : «تاريخ وتصنيف مؤلفات ابن عربي» كتاب «الملحمة» وأن منه نسختين :



سنة ، وفي ذلك الوقت يكون زوالها ، وهو ما بين سنة ثمانين وسبع مائة إلى سنة تسع عشرة وثمان مائة ، ويكون بسبب ذلك<sup>(a)</sup> قحط عظيم ، وقلة خير ، وكثرة شر حتى تخرب<sup>(b)</sup> ويضعف أهلها .

قال : قرآن زحل والمريخ في برج الجدي يكون في سنة سبعين وسبع مائة ، فتعد لكل مائة سنة من سني الهجرة ثلاث سنين ، فيكون ثلاثاً وعشرين سنة ، تزيدا على سبع مائة وسبعين سنة ،<sup>٥</sup> تبلغ سبع مائة وثلاثاً وتسعين سنة ، ففي مثلها من سني الهجرة يكون أول أوقات خراب القاهرة . انتهى .

وتهديب هذا القول أن زحل كلما حلّ في برج الجوزاء ، اتضعت أخوال مصر ، وقلت أموالهم ، وكثر الغلاء والفناء عندهم بحسب الأوضاع الفلكية . وزحل يحلّ في برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية ، فيقيم فيه نحواً من ثلاثين شهراً . وأنت إذا اعتبرت أمور العالم ، وجدت الحال كما ذكر<sup>(c)</sup> ، فإنه كلما حلّ زحل في برج الجوزاء ، وقع الغلاء بمصر .

وذكر أن القرآن العاشر تضع فيه أخوال القاهرة ، ورأينا الأمر كما ذكر<sup>(c)</sup> ، فإن القرآن العاشر كان في سنة ست وثمانين وسبع مائة ، ومدة سنيه عشرون سنة شمسية ، آخرها سابع عشر رجب سنة سبع وثمان مائة . وفي هذه المدة اتضع حال القاهرة وأهلها اتضاعاً قبيحاً .

ومن الأوقات المحذورة لها أيضاً اقتران زحل والمريخ في برج السرطان ، ويكون ذلك في كل ثلاثين سنة شمسية ، ويقتربان في سنة ثمان عشرة وثمان مائة ، وفي مدته تنقضي الأربع مائة والإحدى والستون سنة التي ذكر أنها عمر القاهرة في سنة تسع عشرة وثمان مائة .

وشاهد الأحوال<sup>(d)</sup> اليوم تصدق ذلك ؛ لما عليه أهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة وقلة المال ، وخراب الضياع والقري ، وتداعي الدور للسقوط ، وشمول الخراب أكثر معمر القاهرة ، واختلاف أهل الدولة ، وقرب انقضاء مدتهم ، وغلاء سائر الأسعار .

ولقد سمعتُ عن يجمع إليه في مثل ذلك ، أن العمارّة تنتقل من القاهرة إلى بركة الحبش ، فيصير هنالك مدينة .

(a) بولاق : ذلك سبه . (b) بولاق : تخرب . (c) بولاق : ذكرنا . (d) بولاق : الحال .



## ذِكْرُ مَسَالِكِ الْقَاهِرَةِ وَشَوَارِعِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ<sup>١</sup>

وقبل أن نذكر خِطَطَ القَاهِرَةِ فلنبتدئ بِذِكْرِ شَوَارِعِهَا وَمَسَالِكِهَا الْمَسْلُوكِ مِنْهَا إِلَى الْأَزْقَةِ وَالْحَارَاتِ ، لِنَعْرِفَ بِهَا الْحَارَاتُ وَالخِطَطُ وَالْأَزْقَةُ وَالذُّرُوبُ<sup>(a)</sup> ، وغير ذلك مَّا ستقف عليه إن شاء الله تعالى .

### (b) الشَّارِعُ الْأَوَّلُ وَالطَّرِيقُ الْعَظِيمُ قَصَبَةُ الْقَاهِرَةِ<sup>(b)</sup>

ف «الشَّارِعُ الْأَعْظَمُ» - قَصَبَةُ الْقَاهِرَةِ - من باب زَوِيلَةَ إِلَى بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ ، عند<sup>(c)</sup> باب الخُرْتُقَشِ أَوْ الخُرْتُشْفِ ، ومن باب الخُرْتُقَشِ يَنْفَرِقُ مِنْ هُنَالِكَ طَرِيقَانِ : ذَاتِ الْيَمِينِ ، وَيُسَلِّكُ مِنْهَا إِلَى الرُّكْنِ الْمُخَلَّقِ وَرَحْبَةِ بَابِ الْعِيدِ إِلَى بَابِ النَّصْرِ<sup>(d)</sup> ، وَذَاتِ الْيَسَارِ ، وَيُسَلِّكُ مِنْهَا إِلَى الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ ، وَإِلَى حَارَةِ بَرْجَوَانَ إِلَى بَابِ الْفَتْوحِ .

فَإِذَا ابْتَدَأَ السَّالِكُ بِالْدُخُولِ مِنْ بَابِ زَوِيلَةَ ، فَإِنَّهُ يَجِدُ يَمْنَةً الزُّقَاقِ الضُّيُوقِ الَّذِي يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِسُوقِ الْخَلْعِيِّينَ ، وَكَانَ قَدِيمًا يُعْرَفُ بِالْحَشَّائِينَ ، وَيُسَلِّكُ مِنْ هَذَا الزُّقَاقِ إِلَى حَارَةِ الْبَاطِلِيَّةِ وَخُوخَةِ حَارَةِ الرُّومِ الْبَرْزَانِيَّةِ .

ثُمَّ يَسَلِّكُ الدَّاخِلُ أَمَامَهُ فَيَجِدُ<sup>(b)</sup> عَلَى مَا فِي يَمِينِهِ قَيْسَارِيَّةَ الْفَاضِلِ وَ<sup>(b)</sup> عَلَى يَسْرَتِهِ سِجْنَ مَتَوَلِّي الْقَاهِرَةِ - الْمَعْرُوفِ بِخِزَانَةِ شَمَائِلَ - وَقَيْسَارِيَّةَ سُتْقَرِ الْأَشْقَرِ وَدَرْبِ الصُّفَيْرَةِ<sup>٢</sup> .

ثُمَّ يَسَلِّكُ أَمَامَهُ فَيَجِدُ عَلَى يَمْنَتِهِ حَمَّامَ الْفَاضِلِ الْمَعْدَّةَ لِدُخُولِ الرِّجَالِ ، وَعَلَى يَسْرَتِهِ - تَجَاهَ هَذِهِ الْحَمَّامِ<sup>(e)</sup> - قَيْسَارِيَّةَ الْأَمِيرِ بَهَاءِ الدِّينِ رَسْلَانَ الدَّوَادَارِ النَّاصِرِيِّ ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بَيْنَ الْحَوَانِيَّتِ وَالرُّبَاعِ فَوْقَهَا إِلَى بَابِ زَوِيلَةَ الْأَوَّلِ ، وَلَمْ يَتَّقِ مِنْهُمَا سِوَى عَقْدِ أَحَدَهُمَا ، وَيُعْرَفُ الْآنَ بِبَابِ الْقَوْسِ .

(a) المسودة : ليعرف بها حاراتها وخططها ودروبها وأزقتها . (b-b) إضافة من مسودة المواعظ . (c) بولاق : عليه .

(d) مسودة المواعظ : الركن المخلوق إلى الخوانق إلى أن تنتهي إلى باب النصر . (e) المسودة : مقابلاً لها .

<sup>١</sup> هذا الفصل نقله إلى الفرنسية بول كازانوف في ترجمته

للخطط

Makrîzî, *Description historique et*

*topographique de l'Égypte*, tr. par Paul Casan-

ova, IFAO 1920, pp. 72-81

و جاستون فييت في كتابهما عن أسواق القاهرة، Raymond,

A. & Wiet, G., *Les marchés du Caire*, IFAO

<sup>٢</sup> كتب المقرئ في هذا الوصف قبل سنة ٨١٨ هـ وهي

تاريخ هدم خزانة شمائل ، فقد أضاف في مرحلة لاحقة على

هامش المسودة في هذا الموضع «صار سوق الخلعيين وخزائن

شمائل جامعاً بناه الملك المؤيد أبو النصر شيخ الحمودي» .



ثم يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَسْرَتِهِ الرُّقَاقَ المَسْلُوكَ فيه إلى سُوقِ الحَدَّادِينَ والحَجَّارِينَ - المعروف اليوم بِسُوقِ الأَتْمَاطِيِّينَ وَسَكَنَ أَصْحَابِ<sup>(a)</sup> المَلاهي - وإلى المَحْمُودِيَّةِ، وإلى سُوقِ الأَخْفَافِيِّينَ، وحَارَةِ الجَوْذَرِيَّةِ والصَّوَّافِينَ والقَصَّارِينَ والفَحَّامِينَ وغير ذلك . ويجد تَجَاهَ هَذَا الرُّقَاقِ عَن يَمِينَتِهِ المَسْجِدَ المَعْرُوفَ قَدِيمًا بِابْنِ البَتَاءِ - وَتُسَمِّيهِ العَامَّةُ الْآنَ بِسَامِ بْنِ نُوحٍ - وَهُوَ فِي وَسْطِ سُوقِ العَرَابِيِّينَ وَالمَنَاحِلِيِّينَ وَمِن مَعَهُم مِّن الصُّبِّيِّينَ .

<sup>(b)</sup> ثم يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمِينَتِهِ الرُّقَاقَ المَسْلُوكَ فيه إلى حَارَةِ الرُّومِ<sup>(b)</sup>، ثم يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ فيجد سُوقَ السَّرَاجِينَ - وَيُعْرَفُ اليَوْمَ بِالسُّوَاتِينَ - وَفِي هَذَا السُّوقِ عَلَى يَمِينَتِهِ الجَامِعُ الظَّافِرِيُّ المَعْرُوفُ بِجَامِعِ الفُكَّاهِينَ، وَبجَانِبِهِ الرُّقَاقُ المَسْلُوكُ مِنْهُ إِلَى حَارَةِ الدَّيْلَمِ وَسُوقِ القَفَّاصِينَ وَسُوقِ الطُّيُورِيِّينَ وَالأَكْفَانِيِّينَ القَدِيمَةَ المَعْرُوفَةَ الْآنَ بِسُكْنَى دَقَاقِي الثِّيَابِ . وَيَجِدُ عَلَى يَسْرَتِهِ الرُّقَاقَ المَتَوَصِّلَ<sup>(c)</sup> مِنْهُ إِلَى حَارَةِ الجَوْذَرِيَّةِ وَدَرْبِ كَرْكَامَةِ وَدِكَّةِ الحِشْبَةِ المَعْرُوفَةَ قَدِيمًا بِسُوقِ الحَدَّادِينَ، وَسُوقِ الوَرَّاقِينَ القَدِيمَةَ، وَإِلَى سُوقِ<sup>(d)</sup> الفَاطِمِيِّينَ، المَعْرُوفِ اليَوْمَ بِالأَبَازِرَةِ<sup>(e)</sup>، وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

ثم يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ إِلَى سُوقِ<sup>(d)</sup> الحَلَاوِيِّينَ الْآنَ فيجد عَن يَمِينِهِ الرُّقَاقَ المَسْلُوكَ فيه إِلَى سُوقِ الكَعْفَكِيِّينَ المَعْرُوفِ قَدِيمًا بِالقَطَّانِينَ وَسُكْنَى الأَسَاكِفَةِ، وَإِلَى بَاتِي قَيْسَارِيَّةِ جِهَازِ كَسِّ<sup>(f)</sup> الغَرِيِّينَ وَإِلَى دَرْبِ الأَشْوَانِيِّينَ وَالحَارَةِ البَاطِلِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثم يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سُوقِ الحَوَائِصِيِّينَ<sup>(g)</sup> فيجد عَلَى يَمِينِهِ قَيْسَارِيَّةَ جِهَازِ كَسِّ<sup>(f)</sup> وَعَن يَسْرَتِهِ قَيْسَارِيَّةَ الشَّرْبِ .

ثم يَسْتَلُكُ/ أَمَامَهُ إِلَى سُوقِ الشَّرَابِشِيِّينَ، المَعْرُوفِ قَدِيمًا بِسُكْنَى التَّخَانِقِيِّينَ<sup>(h)</sup>، وَعَن يَمِينَتِهِ دَرْبِ قَيْطُونَ . ثم يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سُوقِ الشَّرَابِشِيِّينَ، فيجد عَن يَمِينَتِهِ قَيْسَارِيَّةَ أَمِيرِ عَلِيِّ، وَيَجِدُ عَن يَسْرَتِهِ سُوقَ الجَمَلُونَ الكَبِيرَ المَسْلُوكَ فيه إِلَى قَيْسَارِيَّةِ ابْنِ قُرَيْشٍ وَإِلَى سُوقِ العَطَّارِينَ وَوَرَّاقِينَ، وَإِلَى سُوقِ الكَفْتِيِّينَ وَالصُّيَافِرِ وَإِلَى<sup>(a)</sup> الأَخْفَافِيِّينَ، وَإِلَى بَيْرِ زَوِيلَةَ وَالبُنْدُقَانِيِّينَ، وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

ثم يَسْتَلُكُ أَمَامَهُ فيجد عَن يَمِينَتِهِ الرُّقَاقَ المَسْلُوكَ فيه إِلَى سُوقِ الفَرَّائِينَ الْآنَ - وَكَانَ يُعْرَفُ قَدِيمًا<sup>(i)</sup> بِالحُرُوقِيِّينَ وَإِلَى شُحْطِ الأَكْفَانِيِّينَ الْآنَ، وَكَانَ يُعْرَفُ<sup>(f)</sup> أَوْلًا بِدَرْبِ البَيْضَاءِ - وَإِلَى دَرْبِ الأَشْوَانِيِّينَ وَإِلَى الجَامِعِ الأَزْهَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَجِدُ عَن يَسْرَتِهِ قَيْسَارِيَّةَ بَنِي أُسَامَةَ .

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) إضافة من مسودة المواعظ . (c) بولاق : المَسْلُوكُ . (d-d) ساقطة من آياصوفيا

اختلاف نظر . (e) مسودة المواعظ : الأَبْرَارِيِّينَ . (f-f) ساقطة من بولاق : اختلاف نظر . (g) بولاق :

الحَلَوَانِيِّينَ . (h) بولاق : الخَالِقِيِّينَ .



ثم يسئلك أمامه شاقًا في سوق الجوخيين واللجميين ، فيجد عن يمينه قيسارية الشروج ، وعن يسارته قيسارية (a) .

ثم يسئلك أمامه إلى سوق السقطين والمهاميزيين ، فيجد عن يمينه دزب الشمسسي ، ويقابله باب قيسارية الأمير علم الدين الخياط ، وتعرف اليوم بقيسارية العصفور .

ثم يسئلك أمامه شاقًا في الشوق المذكور ، فيجد عن يمينه الزقاق المسلك فيه إلى سوق القشاشين (b) وعقبة الصباغين (b) المعروف اليوم بالخراطين ، وإلى سوق الخيميين ، وإلى الجامع الأزهر وغير ذلك . ويجد قبالة هذا الزقاق عن يسارته قيسارية العنبر ، المعروفة قديمًا بحبس المغونة .

ثم يسئلك أمامه فيجد على يسارته الزقاق المسلك فيه إلى سوق الوزاقين وسوق الحريريين الشراريين المعروف قديمًا بسوق الصاغة القديمة ، وإلى دزب شمس الدولة ، وإلى سوق الحراريين (c) ، وإلى بئر زويلة والبندقانيين ، وإلى سويقة الصاحب والحارة الوزيرية ، وإلى باب سعادة وغير ذلك .

ثم يسئلك أمامه شاقًا في بعض سوق الحريريين وسوق المتعيشين - وكان قديمًا سكنى الدجاجين والكفكيين ، وقبل ذلك أولًا سكنى الشيوفيين - فيجد عن يمينه قيسارية الصناديقين وكانت قديمًا تعرف بفندق الدبابيليين . ويجد عن يسارته مقابلها دار المأمون البطائحي المعروفة بمدرسة الحنيفة ، ثم عرفت اليوم بالمدرسة الشيوفية لأنها كانت في سوق الشيوفيين .

ثم يسئلك أمامه في سوق الشيوفيين القديمة (d) ، الذي هو الآن سوق المتعيشين ، فيجد عن يمينه خان مشرور وحجرتي الرقيق ودكة الممالك بينهما - ولم تزل موضعا لجلوس من يعرض من الممالك الثرك والروم ونحوهم للبيع إلى أوائل أيام الملك الظاهر بركات ، ثم بطل ذلك - ويجد عن يسارته قيسارية الرماحين وخان الحجر ، ويعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة .

ثم يسئلك أمامه فيجد عن يسارته الزقاق والسباط المسلك فيه إلى حمام خشبية ودزب شمس الدولة ، وإلى حارة العدوية المعروفة اليوم بفندق الزمام ، وإلى حارة زويلة وغير ذلك . ويجد بعد هذا الزقاق ، قريبًا منه في صفه ، دزب السلسلة .

(a) بياض في المسودة وسائر النسخ . (b-b) ساقطة من مسودة المواعظ . (c) مسودة المواعظ : الزجاجين ، بولاق :

الحريريين . (d) إضافة من مسودة المواعظ .



ومن هنا ابتداء «حُطُّ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ» وكان قديماً، في أيام الدَّوْلَةِ الْفَاعِطِيَّةِ، مَرَاخًا وَاسِعًا ليس فيه عمارة ألبتَّةُ يَاقِفُ فيه عشرة آلاف فارس. والقصران هما موضع سُكْنَى الْخَلِيفَةِ: أَحَدُهُمَا شَرْقِيٌّ وَهُوَ «الْقَصْرُ الْكَبِيرُ»، وكان على يَمْنَةِ السَّائِلِكِ من مَوْضِعِ خَانَ مَسْرُورِ طَالِبًا بِبَابِ النَّصْرِ وبابِ الْفَتْوحِ؛ وموضعه الْآنَ الْمَدَارِسُ الصَّالِحِيَّةُ النَّجْمِيَّةُ وَالْمَدْرَسَةُ الظَّاهِرِيَّةُ الرَّكْنِيَّةُ وما في صَفْهَا من الْحَوَانِيتِ وَالرَّبَاعِ إِلَى رَحْبَةِ الْعِيدِ، وما وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى الْبَرْقِيَّةِ. وَيُقَابِلُ هَذَا الْقَصْرَ الشَّرْقِيَّ الْقَصْرَ الْغَرْبِيَّ، وَهُوَ «الْقَصْرُ الصَّغِيرُ»، ومكانه الْآنَ الْمَارِشْتَانُ الْمَنْصُورِيَّ وما في صَفْهُ من الْمَدَارِسِ وَالْحَوَانِيتِ إِلَى تَجَاهِ بَابِ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ<sup>(a)</sup>.

فَإِذَا ابْتَدَأَ السَّائِلِكُ بِدُخُولِ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ مِنْ جِهَةِ خَانَ مَسْرُورِ، فَإِنَّهُ يَجِدُ عَلَى يَسْرَتِهِ دَرْبَ السُّنْسَلَةِ. ثُمَّ يَسْتَلِكُ أَمَامَهُ فَيَجِدُ عَلَى يَمِينِهِ الزُّقَاقَ الْمَسْلُوكَ فِيهِ إِلَى سُوقِ الْأَمْشَاطِينَ الْمُقَابِلِ لِلْمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ الَّتِي لِلْحَنْفِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ، وَإِلَى الزُّقَاقِ الْمَلَاصِقِ لِسُورِ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ الْمَسْلُوكِ فِيهِ إِلَى حُطِّ الزُّرَاكِيَّةِ الْعَتِيقِ حَيْثُ خَانَ الْخَلِيلِيَّ وَخَانَ مَنَجْكَ<sup>١</sup>، وَإِلَى الْخُوقِ السَّبْعِ حَيْثُ الْآنَ سُوقُ الْأَبْيَارِينَ، وَإِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ، وَإِلَى الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ يَسْتَلِكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سُوقِ الشُّيُوفِيِّينَ الْآنَ، فَيَجِدُ عَلَى يَسَارِهِ ذَكَائِنَ الشُّيُوفِيِّينَ، وَعَلَى يَمِينِهِ ذَكَائِنَ الثَّقَلِيِّينَ ظَاهِرِ سُوقِ الْكُتُبِيِّينَ الْآنَ، وَعَلَى يَسَارِهِ سُوقَ الصُّيَارِفِ بِرَأْسِ بَابِ الصَّاعَةِ، وَكَانَ قَدِيمًا مَطْبِخَ الْقَصْرِ قُبَالَةَ بَابِ الزُّهْمَةِ.

ثُمَّ يَسْتَلِكُ أَمَامَهُ فَيَجِدُ عَلَى يَمِينِهِ بَابَ الْمَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ تَجَاهِ بَابِ الصَّاعَةِ. ثُمَّ يَسْتَلِكُ أَمَامَهُ فَيَجِدُ عَنْ يَمِينِهِ الْقُبَّةَ الصَّالِحِيَّةَ وَبِجَوَارِهَا الْمَدْرَسَةَ الظَّاهِرِيَّةَ الرَّكْنِيَّةَ، وَيَجِدُ عَلَى يَسَارِهِ بَابَ الْمَارِشْتَانِ الْمَنْصُورِيِّ، وَفِي دَاخِلِهِ الْقُبَّةُ الْمَنْصُورِيَّةُ الَّتِي فِيهَا قُبُورُ الْمُلُوكِ، وَتَحْتِ شَبَائِكِهَا ذَكَكُ الْقَفْصِيَّاتِ الَّتِي فِيهَا الْخَوَاتِيمُ وَنَحْوُهَا، فِيمَا بَيْنَ الْقُبَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَالْمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِي دَاخِلِهِ أَيْضًا الْمَدْرَسَةُ الْمَنْصُورِيَّةُ، وَتَحْتِ شَبَائِكِهَا أَيْضًا ذَكَكُ الْقَفْصِيَّاتِ فِيمَا بَيْنَ شَبَائِكِهَا وَشَبَائِكِ الْمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ الَّتِي لِلشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ، وَتَحْتِهَا خَيْمَةُ الْعِلْمَانِ بِجَوَارِ قُبَّةِ الصَّالِحِ، وَفِي دَاخِلِهِ أَيْضًا الْمَارِشْتَانُ الْكَبِيرُ الْمَنْصُورِيُّ الْمُتَوَصِّلُ مِنْ بَابِ سِرِّهِ إِلَى حَارَةِ زَوَيْلَةَ، وَإِلَى الْخُرْنُشْفِ وَإِلَى الْكَافُورِيِّ وَإِلَى الْبُنْدُقَانِيِّينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(a) فِي مَسُودَةِ الْمَوَاعِظِ بَعْدَ ذَلِكَ: ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى ذِكْرِ الْخَطِّطِ فَنَقُولُ.

<sup>١</sup> عَنْ خَانَ الْخَلِيلِيِّ انظُرْ فِيمَا يَلِي ٢: ٩٤، وَلَمْ يُفْرَدِ الْمُقْرِزِيُّ خَانَ مَنَجْكَ بِمَدْخَلِ مُسْتَقِلٍ.



ثم يسئلك من باب المارستان ، فيجد على يمينته سوق السلاح والنشايين<sup>(a)</sup> / الآن تحت الربع المعروف بوقف أمير سعيد ، ويجد على يسارته المدرسة الناصرية الملاصقة لمئذنة القبة المنصورية .  
ثم يسئلك أمامه فيجد على يمينته خان بشتاك وفوقه الربع - وعرف الآن هذا الخان بالمستخرج -  
ويجد على يسارته المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية ، وكانت قبل إنشائها مدرسة  
فندقاً يُعرف بخان الزكاة .

ثم يسئلك أمامه فيجد على يمينته باب قصر بشتاك ، ويجد على يسارته المدرسة الكامليّة المعروفة بدار الحديث وهي ملاصقة للمدرسة الظاهرية السيفية<sup>(b)</sup> الجديدة<sup>(c)</sup> .

ثم يسئلك أمامه فيجد على يمينته الزقاق المسلك فيه إلى بيت أمير سلاح ، المعروف بقصر أمير سلاح ، وهو الأمير فخر الدين بكتاش الفخري الصالحى النجمي ، وإلى دار الأمير سلار نائب السلطنة ، وإلى دار الطواشي سابق الدين ومدرسته التي يُقال لها المدرسة السابقية . وكان هذا الزقاق في داخله<sup>(d)</sup> مكاناً يتوصّل إليه من تحت قبو المدرسة السابقية ، يُعرف بالسودوس ، فيه عدّة مساكن صارت كلها اليوم داراً واجدة لإنشاء الأمير جمال الدين الأستادار . وكان تجاه باب المدرسة<sup>(e)</sup> السابقية ربع تحته فون ، ومن ورائه عدّة مساكن يُعرف مكانها بالحذرة ، فهدم الأمير جمال الدين المذكور الربع وما ورائه وحفر فيه صهريجاً ، وأنشأ به عدّة آدر هي الآن جارية في أوقافه .

وكان يسئلك من باب السابقية على باب الربع والفون المذكورين ، إلى دهليز طويل مظلم ينتهي إلى باب القصر تجاه سور سعيد السعداء ، ومنه يخرج السالك إلى رحبة باب العيد وإلى الركن المخلوق ، فهدمه الأمير جمال الدين وجعل مكانه قيسارية ، ورُكب على رأس هذا الزقاق - تجاه حمام البيسري - دزبا في داخله دُروث ليصون أمواله ، وانقطع التطرق من هذا الزقاق ، وصار دزباً غير نافذ . ويجد السالك عن يسارته قبالة هذا الزقاق - الذي<sup>(f)</sup> صار دزباً مُدزباً - باب قصر البيسرية<sup>١</sup> ، وقد بُني في وجهه حوانيت بجانبها حمام البيسري .

(a) الأصول : النشايين . (b) زيادة من الأصول . (c) مسودة المواظ : للمدرسة الظاهرية المستجدة . (d) بولاق : وكان في داخل هذا الزقاق . (e) ساقطة من آياصوفيا . (f) بولاق : و .

<sup>١</sup> جاء على هامش المسودة هنا بغير خط المقريري : العلائي الأجرود (انظر ترجمته عند أبي المحاسن : المنهل وصارت الآن حمامين وحوانيت عمرها الأشرف إينال الصافي ٣: ٢٠٩) . وهي إضافة لشخص طالع المسودة =



ومن هنا ينقسم شارع القاهرة المذكور إلى طريقتين: أحدهما ذات اليمين، والأخرى ذات اليسار<sup>١</sup>.

### [ الشارع المسلوک فيه إلى باب الفتوح ]

- فأما ذات اليسار فإنها تنمّ القصبّة المذكورة . فإذا مرّ السالك من باب حَمَام الأمير بَيْسري ، فإنه يجد على يَسْرته باب الخَزْنَشَف المسلوک فيه إلى باب سِرّ البَيْسريّة ، وإلى باب حارة بَرْجوان الذي يُقال له أبو ثراب ، وإلى الخَزْنَشَف وإِسْطَبَل القُطبية ، وإلى الكافوري ، وإلى حارة زَوَيْلَة ، وإلى البُنْدَقانيين وغير ذلك .
- ثم يَسْلُكُ أمامه فيجد سُوقًا - يُعْرَفُ أخيرًا بالوزّازين والدُّجّاجين - يُباعُ فيه الإوزّ والدُّجّاج والعصافير وغير ذلك من الطيور ، وأدركناه عامرًا سُوقًا كبيرًا ، من جملة دُكَّانٍ لا يُباعُ فيها غير العصافير فيشترىها الصُّغارُ للعب بها . وفي هذا السُّوق ، على يَمَنَة السالك ، قيساريةٌ يعلوها رُبْعٌ كانت مُدَّةً سُوقًا يُباعُ فيه الكُتُب ، ثم صارت لِعَمَلِ الجلود ، وكانت من جملة أوقاف المارِسْتان المنصوري ، فهَدَمَهَا بعضُ من كان يتحدّث في نظره عن الأمير أَيْتَمُش في سنة إحدى وثمان مائة ، وعَمَّرَهَا على ما هي عليه الآن . وعلى يَسْرَة السالك في هذا السُّوق رُبْعٌ يجري في وَقْفِ المَدْرَسَةِ الكاميلية ، وكان هذا السُّوق يُعْرَفُ قديمًا بالبَنّانين والقَمّاحين .
- ثم يَمُرُّ سالكًا أمامه فيجد سُوقَ الشَّمّاعين مُتَّصِلًا بسُوقِ الدُّجّاجين ، وكان سُوقًا كبيرًا فيه صَفَانٌ عن اليمين والشمال من حَوَانِيتِ باعَةِ الشَّمْعِ أدركته عامرًا ، وقد بقي منه الآن يسير . وفي آخر هذا السُّوق ، على يَمَنَة السالك ، الجامعُ الأَقْمَر ، وكان مَوْضِعَهُ قديمًا سُوقَ القَمّاحين ، وقُبَالَتِهِ دَرْبُ الخَضِيرِي . وبجانب الجامع الأَقْمَر من شرقه الرُّقَاق الذي يُعْرَفُ بالمخايريين ، ويَسْلُكُ فيه إلى الرُّكْنِ المَخْلُوق وغيره ، وقُبَالَةَ هذا الرُّقَاق بئرُ الدِّلاء .
- ثم يَسْلُكُ المارءَ أمامه فيجد على يَمَنَتِهِ رُقَاقًا ضيقًا ينتهي إلى دور ومَدْرَسَةٍ تُعْرَفُ بالشَّرَاطِيشِيَّةِ يُتَوَصَّلُ من باب سِرِّهَا إلى الدَّرْبِ الأَصْفَرِ تجاه خانقاه بَيْبَرَس .

شارع المعز لدين الله قسمين : امتداد الشارع على اليسار

المؤدي إلى باب الفتوح ، وشارع التبعكشية المؤدي إلى شارع الجمالية وباب النصر على اليمين .

= فالأشرف إينال تولى السلطنة سنة ٨٥٩هـ .

<sup>١</sup> يحدّد انقسام الشارعين الآن السبيل الذي أنشأه عبد الرحمن كَتَّخْدَا سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م ، والمسجل بالآثار تحت رقم ٢١ ، والواقع تجاه قصر بشتاك والذي ينقسم عنده



ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فِي سُوقِ الْمُتَعَيِّشِينَ ، فيجد على يَسْرَتِهِ بَابَ حَارَةِ بَرْجَوَانَ . ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سُوقِ الْمُتَعَيِّشِينَ - وقد أدركته سُوقًا عَظِيمًا لا يكاد يُعْطَمُ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ وَغَيْرِهَا . بحيث إذا طَلِبَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ وُجِدَ ، وقد خَرِبَ الْآنَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْيَسِيرُ . وكان هذا السُّوقُ قَدِيمًا يُعْرَفُ بِسُوقِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ ، وبآخِرِهِ خَانَ الرَّوَّاسِينَ ، وهو زُقَاقٌ عَلَى يَمِينَةِ السَّالِكِ غَيْرِ نَافِذٍ . ويُقَابِلُ هَذَا الزُّقَاقُ - عَلَى يَسْرَةِ السَّالِكِ إِلَى بَابِ الْفُتُوحِ - شَارِعٌ يُسْلُكُ فِيهِ إِلَى سُوقٍ يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِسُوقِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ ، وكان قبل اليوم يُعْرَفُ بِسُوقِ الْخُرُوقِيِّينَ ، وَيُسْلُكُ مِنْ هَذَا السُّوقِ إِلَى بَابِ الْقَنْطَرَةِ فِي شَارِعِ مَعْمُورٍ بِالْحَوَانِيتِ مِنْ جَانِبِهِ ، وَيَعْلُوهَا الرَّبَاعُ ، وفيما بين الحَوَانِيتِ دُرُوبٌ ذَاتُ مَسَاكِنَ كَثِيرَةٍ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ مِنْ رَأْسِ سُوقِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ ، فيجد على يَمِينِهِ الْجَمَلُونَ الصَّغِيرَ الْمَعْرُوفَ بِجَمَلُونَ ابْنِ صَيْرَمٍ ، وكان مَسْكَنًا لِلبُرَّازِينَ فِيهِ عِدَّةٌ حَوَانِيتٍ عَامِرَةٍ بِأَصْنَافِ الثِّيَابِ أَدْرَكَتْهَا عَامِرَةٌ ، وفيهِ مَدْرَسَةُ ابْنِ صَيْرَمٍ الْمَعْرُوفَةُ بِالْمَدْرَسَةِ الصَّيْرَمِيَّةِ ، وفي آخِرِهِ بَابُ زِيَادَةِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ ، وكان على بابها عِدَّةٌ حَوَانِيتٍ تُعْمَلُ فِيهَا الضُّبَبُ الَّتِي / يَرَسُمُ الْأَبْوَابَ .

ويُخْرَجُ مِنْ هَذَا الْجَمَلُونَ إِلَى طَرِيقَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُسْلُكُ فِيهَا إِلَى دَرْبِ الْفَرَنْجِيَّةِ وَإِلَى دَارِ الْوَكَاةِ وَشَارِعِ بَابِ النَّصْرِ ، وَالْأُخْرَى إِلَى دَرْبِ الرَّشِيدِيِّ النَّافِذِ إِلَى رَأْسِ <sup>(a)</sup> الْجَوَانِيَّةِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمِينِهِ شُبَّكَ الْمَدْرَسَةِ الصَّيْرَمِيَّةِ ، وَيُقَابِلُهُ بَابُ قَيْسَارِيَّةِ خُونْدِ أَرْدَكِينَ الْأَشْرَفِيَّةِ . ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سُوقِ الْمُرْحَلِينَ ، وكان صَفِينٌ مِنْ حَوَانِيتِ عَامِرَةٍ فِيهَا جَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي تَرْحِيلِ الْجِمَالِ ، وقد خَرِبَ وَبَقِيَ مِنْهُ قَلِيلٌ . وفي هذا السُّوقِ عَلَى يَسْرَةِ السَّالِكِ زُقَاقٌ يُعْرَفُ بِخَانَ <sup>(b)</sup> الْوِرَاقَةِ وَفِيهِ أَحَدُ أَبْوَابِ قَيْسَارِيَّةِ خُونْدِ الْمَذْكُورَةِ وَعِدَّةٌ مَسَاكِنَ ، وكان مكانه يُعْرَفُ قَدِيمًا بِأَسْطَبَلِ الْحَجْرِيَّةِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمِينِهِ أَحَدَ أَبْوَابِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ وَمِيضَاتِهِ ، ويجد بابَ الْفُتُوحِ الْقَدِيمِ ، ولم يَبْقَ مِنْهُ سِوَى عَقْدِهِ وَشَيْءٍ مِنْ عِضَادَتِهِ ، وبجواره شَارِعٌ عَلَى يَسْرَةِ السَّالِكِ يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى حَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ وَبَابِ الْقَنْطَرَةِ .

ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ شَاقًّا فِي سُوقِ الْمُتَعَيِّشِينَ ، فيجد على يَمِينِهِ بَابًا آخَرَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ . ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد عن يَسْرَتِهِ زُقَاقًا بِسَابَاطٍ يَنْفِذُ إِلَى حَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ ، فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسَاكِنِ .

(a) بولاق : درب . (b) بولاق : بحارة .



ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكمي الكبير ، ويجد عن يساره فُنْدُقُ العادل ، ويشقُّ في سُوقِ عَظِيمٍ إلى باب الفُتُوح ، وهو آخِرُ قَصَبَةِ القَاهِرَةِ .

## [الشارع المسلوك فيه إلى باب النضر]

وأما ذات اليمين من شارع بين القصرين ، فإنَّ الماءَ إذا سَلَكَ من الدُّرْبِ الذي يُقَابِلُ حَمَامَ البَيْسَرِيِّ طالبا الرُّكْنَ المُخَلَّقَ ، فإنه يشقُّ في سُوقِ القَفَاصِينِ<sup>a</sup> وسُوقِ الحُضْرِيِّينَ إلى الرُّكْنَ المُخَلَّقِ ، ويُباع فيه الآن النُّعال ، وبه حَوْضٌ في ظَهْرِ الجامع الأَقْمَرِ لشُرْبِ الدُّوَابِ تُسَمِّيهِ العَامَّةُ حَوْضَ النَّبِيِّ ، ويُقَابِلُهُ مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِمَرَاكِعِ مُوسَى<sup>١</sup> .

وينتهي هذا الشوق إلى طريقين : أحدهما إلى بئر العظام التي تُسَمِّيها العَامَّةُ بِبئرِ العَظْمَةِ ، ومنها يُنْقَلُ الماءُ إلى الجامع الأَقْمَرِ والحَوْضِ المذكور بالرُّكْنَ المُخَلَّقِ ، ويُسَلِّكُ منه إلى المحَايِرِيِّينَ . والطَّرِيقُ الأُخْرَى تنتهي إلى الفُنْدُقِ المعروف بقَيْسَارِيَةِ الجُلُودِ ، ويعلوها رَبْعٌ أنشأت ذلك حَوْنَدُ بَرَكَةِ أُمِّ المَلِكِ الأَشْرَفِ شَعْبَانَ بنِ مُحْسِنٍ . وبجوار هذه القَيْسَارِيَةِ بَوَابَةٌ عَظِيمَةٌ قد سُتِرَتْ بِحَوَانِيَتٍ يُتَوَصَّلُ منها إلى سَاحَةِ عَظِيمَةٍ هي من حُقُوقِ المَنَحْرِ ، كانت حَوْنَدُ المذكورة قد شَرَعَتْ في عِمَارَتِهَا قَصْرًا لها فماتت دون إكمالها .

١٥ ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد الرِّبَاعَ التي تعلو الحَوَانِيَتِ ، والقَيْسَارِيَةَ المُسْتَجِدَّةَ في مكان باب القصر الذي كان ينتهي إلى مَدْرَسَةِ سَابِقِ الدِّينِ وَبَيْنَ القَصْرَيْنِ ، وكان أَحَدَ أَبْوَابِ القَصْرِ ، ويُعْرَفُ بِبَابِ الرِّيحِ . وهذه الرِّبَاعُ والقَيْسَارِيَةُ من جَمَلَةِ إنْشَاءِ الأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ الأُسْتَاذَارِ ، وكانت قبله حَوَانِيَتٍ وَرِبَاعًا ، فَهَدَمَهَا وَأَنْشَأَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ اليَوْمِ .

٢٠ ثم يَسْلُكُ أَمَامَهُ فيجد على يَمِينِهِ<sup>b</sup> مَدْرَسَةَ الأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ المذكور ، وكان مَوْضِعُهَا نَحَائًا وظَاهِرُهُ حَوَانِيَتٍ ، فَبَنَى مَكَانَهَا مَدْرَسَةً وَحَوْضًا لِلسَّبِيلِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . ويُقال لهذه الأَمَاكِنِ «رَحْبَةُ باب العِيدِ» ، وَيُسَلِّكُ منها إلى طريقين : أحدهما ذات اليمين ، والأخرى ذات اليسار .

(a) بولاق : القصاصين . (b) بولاق : عن يمينه .

<sup>١</sup> ويعرف أيضًا بمسجد موسى (فيما يلي ٣٤٥) .



فأما ذات اليمين فإنها تنتهي إلى المدرسة الحجازية<sup>(a)</sup> وقصر الحجازية<sup>(a)</sup> وإلى دَرْب قراضيا وإلى  
حَبْس الرَّحْبَةِ ، وإلى دَرْب السَّلَامِي ، المسلوك منه إلى باب العيد الذي تسميه العامة بالقاهرة ، وإلى  
المارستان العتيق ، وإلى قَصْر الشُّوك ودار الضُّرْب ، وإلى باب سِرِّ المَدَارِس الصَّالِحِيَّة ، وإلى خِزَانَةِ البُنُود .  
ويُسَلِّك من رأس دَرْب السَّلَامِي هذا ، في رَحْبَةِ باب العيد ، إلى السَّفِينَةِ<sup>(b)</sup> وخطَّ خِزَانَةَ البُنُود  
وَرَحْبَةَ الأَيْدُمَرِي والمَشْهَد الحُسَيْنِي ودَرْب مُلُوحِيَا والجامع الأزهر والحارة الصَّالِحِيَّة والحارة  
البَرْقِيَّة ، إلى باب البَرْقِيَّة والباب الجديد والباب المحروق .

وأما ذات اليسار من رَحْبَةِ باب العيد ، فإنَّ المارَّ يَسْلُك من باب مَدْرَسَةِ الأمير جمال الدين إلى  
باب زاوية الخُدَّام ، إلى باب الخائِقاه المعروفة بدار سَعِيد السَّعْدَاء ، فيجد عن يمينه زُقَاقًا بجوار سُور  
دار الوَزَارَةِ يُسَلِّك فيه إلى خَرَابِ تَر ، وإلى حُطِّ الفَهَّادِيْن ، وإلى دَرْب مُلُوحِيَا وغير ذلك .  
ثم يَسْلُك أَمَامَهُ فيجد عن يمينه المَدْرَسَةَ القَرَأَسُنُقْرِيَّة والخائِقاه الرُّكْنِيَّة بِيَبْرَس ، وهما من جملة  
دار الوَزَارَةِ وما جاور الخائِقاه إلى باب الجَوَائِيَّة ؛ وتجاه خائِقاه بِيَبْرَس الدَّرْبُ الأَصْفَر ، وهو المُنْحَر  
الذي كانت الخُلَفَاءُ تَنْحَر فيه الأَضَاحِي .

ثم يَسْلُك أَمَامَهُ فيجد على يَمِينِهِ دَارَ الأمير ابن<sup>(c)</sup> قُزْمَانَ بجوار خائِقاه بِيَبْرَس ، وبجوارهما دار  
الأمير شَمْسِ الدِّين سُنُقُر الأَعْمَسِر الوَزِير ، وقد عُرِفَت الآن بدار سُخُونْد طُولُوبَاي زوجة السُّلْطَان  
الملك النَّاصِر حَسَن بن محمد بن قَلَاوُون ، وبجوارهما حَمَّام الأمير الأَعْمَسِر المذكور ، وجميع  
هذا من دار الوَزَارَةِ . ويجد على يَسْرَتِهِ دَرْب الرُّشَيْدِي تجاه حَمَّام الأَعْمَسِر المسلوك فيه إلى دَرْب  
الْفَرَنْجِيَّة وَجَمَلُون ابن صَيْرَم .

ثم يَسْلُك أَمَامَهُ فيجد على يَمِينِهِ الشَّارِع المسلوك فيه إلى الجَوَائِيَّة ، وإلى حُطِّ الفَهَّادِيْن ، وإلى  
دَرْب مُلُوحِيَا وإلى العُطُوفِيَّة ، وقد خَرِبَت هذه الأماكن . ويجد على يَسْرَتِهِ الوَكَالَةَ المُسْتَجِدَّة من  
إِنشَاء الملك الظَّاهِر بَرْقُوق .

ثم يَسْلُك أَمَامَهُ فيجد على يَسْرَتِهِ زُقَاقًا ، يَسْلُك فيه إلى جَمَلُون ابن صَيْرَم وإلى دَرْب  
الْفَرَنْجِيَّة . ثم يَسْلُك / أَمَامَهُ فيجد على يَمِينِهِ دَارَ الأمير شِهَابِ الدِّين أَحْمَد ابن خَالَةِ الملك النَّاصِر  
محمد بن قَلَاوُون ، ودار الأمير عَلَمِ الدِّين سِنَجِر الجَاوَلِي - وهما من حُقُوق الحُجْر التي كانت  
بها مَمَالِيكُ الخُلَفَاءِ وَأَجْنَادِهِمْ - ويجد على يَسْرَتِهِ وَكَالَةَ الأمير قَوْضُون .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : السقيفة ، وفي مسودة المواعظ والنسخ المنقولة عن خط المؤلف السفينة ، وانظر

فيما يلي ٣٤٥ . (c) ساقطة من بولاق .



ثم يَسْتَلِكُ من باب الْوَكَاةِ ، فيجد مُقَابِلَ بابِ قَاعَةِ الْجَاوِلِيِّ خَانَ الْجَاوِلِيِّ وبعدها باب النَّصْرِ الْقَدِيمِ ، وَأَدْرَكْتُ مِنْهُ<sup>(a)</sup> قَطْعَةً كَانَتْ تَجَاهُ رُكْنِ الْمَدْرَسَةِ الْقَاصِدِيَّةِ الْغَرْبِيِّ وَقَدْ زَالَ .

وَيَسْتَلِكُ مِنْهُ إِلَى رَحْبَةِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ ، فيجد على يَمِينِهِ الْمَدْرَسَةَ الْقَاصِدِيَّةَ ، وعلى يَسْرَتِهِ بَابِي الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ ، وَتَجَاهُ أَحَدِهِمَا الشَّارِعَ الْمَسْلُوكَ فِيهِ إِلَى حَازَةِ الْعِيدَانِيَّةِ وَحَازَةِ الْعُطُوفِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَمِنْ بَابِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ يَنْتَهِي إِلَى بَابِ النَّصْرِ فِيمَا بَيْنَ حَوَانِيَّتِ وَرِبَاعِ وَدُورٍ<sup>١</sup> .

فَهَذِهِ صِفَةُ الْقَاهِرَةِ الْآنَ ، وَسَتَقِفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كَيْفِيَّةِ ابْتِدَاءِ وَضْعِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَذِكْرُ التَّعْرِيفِ بِمَنْ نُسِبَتْ إِلَيْهِ أَوْ عُرِفَتْ بِهِ ، عَلَى مَا التَّقَطُّتُ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ التَّوَارِيخِ وَمَجَامِعِ الْفَضْلَاءِ ، وَوَقَفْتُ عَلَيْهِ بِخُطُوطِ الثَّقَاتِ ، وَأَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مِنْ أَدْرَكَتَهُ مِنْ الْمَشِيخَةِ ، وَمَا شَاهَدْتَهُ مِنْ ذَلِكَ ، سَالِكًا فِيهِ سَبِيلَ التَّوَسُّطِ فِي الْقَوْلِ بَيْنَ الْإِكْثَارِ وَالِاخْتِصَارِ . وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

---

(a) بولاق : فيه .

---

<sup>١</sup> المقرئزي : مسودة كتاب المواعظ والاعتبار ٣٣٥ - ٣٤٨ ، وإلى هنا انتهى ما ترجمه فييت وريمون والذي بدأ فيما تقدم



## ذِكْرُ سُورِ الْقَاهِرَةِ

اعْلَمَ أَنَّ الْقَاهِرَةَ مُذْ أُسِّسَتْ عُمِلَ سُورُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : الْأُولَى وَضَعَهُ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ ، وَالْمَرَّةُ الثَّانِيَةَ وَضَعَهُ أَمِيرُ الْجُيُوشِ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْمُشْتَنَصِرِ ، وَالْمَرَّةُ الثَّلَاثَةَ بَنَاهُ الْأَمِيرُ الْخَصِيئِيُّ بِهَاءِ الدِّينِ قَرَاوُشِ الْأَسَدِيِّ فِي سُلْطَنَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ أَوَّلِ مُلُوكِ الْقَاهِرَةِ .

### السُّورَةُ الْأُولَى

كَانَ مِنْ لَيْلٍ وَضَعَهُ جَوْهَرُ الْقَائِدِ عَلَى مُنَاجِحِهِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ هُوَ وَعَسَاكِرُهُ حَيْثُ الْقَاهِرَةُ الْآنَ ، فَأَدَارَهُ عَلَى الْقَصْرِ وَالْجَامِعِ <sup>١</sup> . وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا سَارَ مِنَ الْجِيزَةِ ، بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لَسَبْعِ عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ بِعَسَاكِرِهِ ، وَقَصَدَ إِلَى مُنَاجِحِهِ الَّذِي رَسَمَهُ لَهُ مَوْلَاهُ الْإِمَامُ الْمُعِزُّ لَدِينِ اللَّهِ أَبُو تَمِيمٍ مَعَدَّ ، وَاسْتَقَرَّتْ بِهِ الدَّارُ ، اخْتَطَّ الْقَصْرَ ، وَأَصْبَحَ الْمَصْرِيُّونَ يَهْتُمُونَهِ فَوَجَدُوهُ قَدْ حَفَرَ الْأَسَاسَ فِي اللَّيْلِ ، فَأَدَارَ السُّورَ اللَّيْلَ ، وَسَمَّاهَا «الْمَنْصُورِيَّةَ» <sup>٢</sup> ، إِلَى أَنْ قَدَّمَ الْمُعِزُّ لَدِينِ اللَّهِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ إِلَى مِصْرَ وَنَزَلَ بِهَا فَسَمَّاهَا «الْقَاهِرَةَ» .

وَيُقَالُ فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهَا : إِنَّ الْقَائِدَ جَوْهَرًا لَمَّا أَرَادَ بِنَاءَهَا أَحْضَرَ الْمُتَّجِمِينَ وَعَرَّفَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ عِمَارَةَ بَلَدٍ ظَاهِرٍ مِصْرَ لِتَقْيِيمِ بِهَا الْجُنْدَ ، وَأَمَرَهُمْ بِاخْتِيَارِ طَالِعٍ سَعِيدٍ لَوْضَعِ الْأَسَاسِ بِحَيْثُ لَا يَخْرُجُ الْبَلَدُ عَنْ نَسْلِهِمْ أَبَدًا . فَاخْتَارُوا طَالِعًا لَوْضَعِ الْأَسَاسِ وَطَالِعًا لِحَفْرِ السُّورِ ، وَجَعَلُوا بِدَائِرِ السُّورِ قَوَائِمَ نَخَشَبَ بَيْنَ كُلِّ قَائِمَتَيْنِ حَبْلٌ فِيهِ أَجْرَاسٌ ، وَقَالُوا لِلْعُمَّالِ : «إِذَا تَحَرَّكَتِ الْأَجْرَاسُ فَازْمُوا مَا بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ» . فَوَقَّفُوا يَنْتَظِرُونَ الْوَقْتَ الصَّالِحَ لِذَلِكَ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ غُرَابًا وَقَعَ عَلَى حَبْلِ مِنْ تِلْكَ الْحِبَالِ الَّتِي فِيهَا الْأَجْرَاسُ فَتَحَرَّكَتِ كُلُّهَا ، فَظَنَّ الْعُمَّالُ أَنَّ الْمُتَّجِمِينَ قَدْ حَرَّكُوهَا ، فَالْتَقَوْا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ وَبَنَوْا ، فَصَاحَ الْمُتَّجِمُونَ : «الْقَاهِرُ فِي الطَّلَاعِ» ، فَمَضَى ذَلِكَ وَقَاتَهُمْ مَا قَصَدُوهُ . وَيُقَالُ إِنَّ الْمَرِيخَ كَانَ فِي الطَّلَاعِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ وَضْعِ الْأَسَاسِ -

<sup>١</sup> عن سور القاهرة الأول الذي بناه جواهر انظر Fu'ad Sayyid, A., op. cit., pp. 147-62.  
<sup>٢</sup> أطلق جواهر على المدينة اسم «المنصورية» تيمناً باسم بالله والد المعز لدين الله بالقرب من مدينة القيروان . (راجع (Fu'ad Sayyid, A., op. cit., pp. 103-106 .



وهو قاهر الفلك - فسَمَّوها «القاهرة» ، واقتضى نظرهم أنها لا تزال تحت القهر<sup>(a)</sup> .<sup>١</sup>

وأدخل في دائر هذا الشور بئر العظام ، وجعل القاهرة حارات للواصلين صُحبتَه وصُحبة مَولاه المِعز ، وعَمَّر القصر بترتيب ألقاه إليه المِعز .

ويقال : إن المِعز لما رأى القاهرة لم يُعجبه مكانها ، وقال لجوهر : «لما فاتك عمارة القاهرة بالساحل ، كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل» ، يعني سطح الجُزف الذي يُعرف اليوم بالرُصد المشرف على جامع رَاشدة<sup>٢</sup> .

ورُتّب في القصر جميع ما يحتاج إليه الخلفاء بحيث لا تراهم الأعيان في الثقلَة من مكان إلى مكان ، وجعل في ساحاته البحر والميدان والبُستان ، وتقدم بعمارة المصلى بظاهر القاهرة .

وقد أذركت من هذا الشور اللين قطعاً ، وآخر ما رأيتُ منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب

البروقية ودرّب بطوط ، هدمها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمان مائة ، فشهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا حتى إن اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع . وعرض جدار الشور عِدّة أذرع يسع أن يمرُّ به فارسان ، وكان بعيداً عن الشور الحجر الموجود الآن ، وبينهما نحو الخمسين ذراعاً . وما أحسب أنه بقي الآن من هذا الشور اللين شيء البتة .<sup>١٠</sup>

وجوهر هذا مملوك رومي<sup>٣</sup> رباه المِعز لدين الله أبو تميم معدّ وكناه بأبي الحسن ، وعظم محله

(a) في اتعاظ الحنفا : تحت حكم الأتراك .

<sup>٣</sup> جوهر الصقلي الكاتب أكبر قائد عسكري عرفه الفاطميون ، وهو الذي استطاع أن يحقق أعلى أماني الفاطميين : فتح مصر . وجاء نسب جوهر في أغلب المصادر «الصقلي» ورسم هذه الكلمة يتماثل مع كلمة «صقلي» بزيادة نقطة الباء ؛ وبما أننا لا نملك معلومات كافية عن انتشار العنصر الصقلي في بلاط الفاطميين ، وأما نعلم أن عبيد الفاطميين في الدور الإفريقي كانوا من الصقالية فإن نسبة جوهر يجب أن تكون الصقلي وليس الصقلي وكما كتبها المقرئ بخطه في مُسوّدة المقفى (نسخة ليدين رقم Or. 14533) ، وقد أوضح Ivan Herbek ذلك بحجج قوية في مقاله «Die Slaven im Dienst des Fatimiden» , *Archiv Orientali XXI*

<sup>١</sup> حول تسمية القاهرة انظر ، ابن دقماق : الانتصار ٣٥ : ٥ ؛ المقرئ : اتعاظ ١ : ١١٢ ؛ أبا المحاسن : النجوم ٤١ : ٤٢ - ٤٣ ؛ السيوطي : حسن ١ : ٢٥ - ٢٦ ؛ Kunitz-sch, P. «Zur Namengebung Kairos (al-Qâhir-Mars?)» , *Der Islam* (1975), pp. 205-25; Fu'ad Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 163-64 وانظر رواية المسعودي حول بناء الإسكندرية فيما تقدم ١ : ٤٠٤ - ٤٠٥ .

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة ٢٠ ؛ ابن دقماق : الانتصار ٣٦ : ٥ ؛ القلقشندي : صبح ٣ : ٣٥١ ، ٣٦٧ ؛ المقرئ : اتعاظ ١ : ١١٢ - ١١٣ ؛ ابن إياس : بدائع ١ / ١ : ١٨٨ ؛ وفيما تقدم ١ : ١٢٨ .



عنده في سنة سبع وأربعين وثلاث مائة، وصار في رتبة الوزارة، فصيرَه قائِدَ جُيوشه . وَبَعَثَه في صَفَرٍ منها ومعه عَسَاكِرُ كَثِيرَةٌ فِيهِمُ الأَمِيرُ زِيْرِي بن مُنَادِ الصُّنْهَاجِي وغيره من الأَكْبَارِ، فسَارَ إلى تَاهَرْتِ وَأَوْقَعَ بَعْدَهُ أَقْوَامَ وَافْتَتَحَ مُدُنًا، وسَارَ إلى فاس فنَازِلها مُدَّةً ولم يَنْلِ منها شَيْئًا، فَرَحَلَ عنها إلى سِجْلَمَاسَةَ وحَارَبَ ثَائِرًا فَأَسْرَهَ بها .

وانتهى في مسيره إلى / البحر المحيط، واضطاد منه، <sup>(a)</sup> حوثًا، وبعثه في قلة ماءٍ إلى مولاة المعز، وأعلمه أنه قد استولى على ما مرَّ به من المدائن والأمم حتى انتهى إلى البحر المحيط، ثم عاد إلى فاس فألحَّ عليها بالقتال إلى أن أخذها عنوةً، وأسَرَّ صاحبها، وحمله هو والثائر بسجلماسة في قفصين مع هدية إلى المعز، وعاد في أخريات السنة وقد عظم شأنه وبعث صيته .

ثم لما قوي عزم المعز على تشيير الجيوش لأخذ مصر وتهدئاً أمرها، فقدم عليها القائد جوهرًا، وبرز إلى رقاذة <sup>(b)</sup> ومعه ما ينيف على مائة ألف فارس، وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال، وكان المعز يخرج إليه في كل يوم ويخلو به، وأطلق يده في بيوت أمواله، فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه .

وخرج إليه يومًا فقام جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش، فالتفت المعز إلى المشايخ الذين وجَّههم مع جوهر وقال: «والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، ولتدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب، ولتبركن <sup>(c)</sup> في خرابات ابن طولون، وتبنى مدينة تُسمى القاهرة تقهر الدنيا» <sup>٢</sup>.

(a) بولاق : سمكا . (b) بولاق : رمادة . (c) بولاق : ولتنزلن .

<sup>٢</sup> ابن أيلك : كتر الدرر ٦ : ١٣٩ ؛ القلقشندي : صبح ٣ : ٣٤٥ ؛ المقرئزي : اتعاظ ١ : ١١٤ ؛ والمقفي الكبير ٣ : ٨٧ ، وانظر عن حملة جوهر واستيلاء الفاطميين على السلطة في مصر مقال تيارى ميانكي الهام : La prise de pouvoir par les Fatimides en Egypte» Bianquis, Th., «An. Isl. XI (1972), pp. 49-108» ومقال يعقوب ليف Lev, Y., «The Fatimid Conquest of Egypt. Military, Political and Social Aspects», Isr. Or. St. IX (1979), pp. 315-28 ؛ أمين فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ١٣٧-١٥٢ .

(1953), pp. 543-81; Quichard, P. & Mohamed = Meouak, El<sup>2</sup> art. al-Sakâliba VIII 909 وترجم لجوهر ابن خلكان : وفيات الأعيان ١ : ٣٧٥-٣٨٠ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ١١ : ٢٢٤-٢٢٦ ولكن أهم وأشمل ترجمة له هي ترجمة المقرئزي في المقفي الكبير ٣ : ٨٣-١١١ ؛ وانظر مقال حسين مؤنس Monés, H., «El<sup>2</sup> art. Djawhar al-Sikillî II, pp. 507-508.

<sup>١</sup> هو محمد بن الفتح بن واسول الثائر، انظر حول أشبهه Dachraoui, F., «La captivité d'Ibn Wâsûl, le rebelle de Sidjilmase, d'après le Cadi al-Nu'mân», CT 4 (1956), pp. 295-99.



وأمر المعز بإفراغ الذهب في هيئة الأرحية ، وحملها مع جوهر على الجمال ظاهرة ، وأمر أولاده وإخوته الأمراء وولي العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمته وهو راكب ، وكتب إلى سائر عماله يأمرهم إذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا مشاة في خدمته . فلما قدم بركة اقتدى صاحبها من ترجله ومشيه في ركابه بخمسين ألف دينار ذهباً ، فأبى جوهر إلا أن يمشي في ركابه ورد المال ، فمشى .

ولما رحل من القيروان إلى مصر ، في يوم السبت رابع عشر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة ، أنشد محمد بن هاني في ذلك <sup>١</sup> :

[الطويل]

١٠	وقد راعني يوم من الحشر أروع فعاد غروب الشمس من حيث تطلع ولم أدر إذ شيعت كيف أشيع غراز الكرى جفن ولا بات يهجع وان سار عن أرض غدت وهي بلقع وجم العطايا والرواق المرفع وظل السلاح المنتضى يتققع وزف كما زف <sup>a</sup> الصباح الملمع بأيمن فال بالذي أنت مجمع فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع فيسلبهم لكن يزيد فيوسع	رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع غداة كأن الأفق شد بمثله فلم أدر إذ ودعت كيف أودع ألا إن هذا حشد من لم يدق له إذا حل في أرض بناها مدائنا تحل بيوت المال حيث محله وكبرت الفرسان لله إذ بدا وعب غباب المؤكب الفخم حوله رحلت إلى الفسطاط أول <sup>b</sup> رحلة فإن يك في مصر ظمائم لمورد ويتمهم من لا يغار بنعمة
١٥	ولما دخل إلى مصر واختط القاهرة ، وكتب بالبشارة إلى المعز ، قال ابن هاني <sup>٢</sup> :	

[الطويل]

٢٠	فقل لبني العباس قد قضيت الأمر تصاحبه البشرى ويقدمه النضر	يقول <sup>c</sup> بنو العباس هل <sup>d</sup> فتحت مصر وقد جاوز الإسكندرية جوهر
----	---	---

(a) بولاق : زق . (b) الديوان : أيمن . (c) بولاق : تقول . (d) بولاق : قد .

<sup>١</sup> من قصيدة لابن هاني الأندلسي ، انظر : ديوان محمد ابن هاني الأندلسي ٢٠٢-٢٠٩ .



ولم يزل مُعْظَمًا مُطَاعًا ، وله حُكْمٌ على ما فَتَحَ من بلاد الشَّامِ حتى وَرَدَ المُعِزُّ من المغرب إلى القاهرة .

وكان جَعْفَرُ بن فلاح يَرَى نفسه أَجَلَّ من جَوْهَر ، فلمَّا قَدِمَ معه إلى مصر سَيَّرَهُ جَوْهَرًا إلى بلاد الشَّامِ في العسَاكِرِ ، فَأَخَذَ الرَّمْلَةَ وَغَلَبَ الحَسَنَ بن عبد الله بن طُغْج ، وسارَ فملك طَبْرِيَّةَ وِدْمَشْقَ<sup>١</sup> . فلمَّا صارت الشَّامُ له ، سَمَخَتْ نَفْسُهُ عن مُكَاتِبَةِ جَوْهَر ، فَأَنْفَذَ كُتْبَهُ من دِمَشْقَ إلى المُعِزِّ وهو بالمغرب سِرًّا من جَوْهَر ، يذكر فيها طَاعَتَهُ ويقع في جَوْهَر ، وَيَصِفُ ما فَتَحَ اللهُ للمُعِزِّ على يده ؛ فَعَضِبَ المُعِزُّ لذلك ، وَرَدَّ كُتْبَهُ كما هي مختومة ، وَكَتَبَ إليه :

«قد أخطأت الرأي لتفسيك ، نحن قد أنفذناك مع قائدينا جَوْهَرًا فاكُتُبْ

إليه ، فما وصل منك إلينا على يده قرأناه ، ولا تتجاوزهُ بعد ، فلستنا نفعل

لك ذلك على الوجه الذي أردته وإن كنت أهلنا عندنا ، ولكننا لا نستفسيد

جَوْهَرًا مع طاعته لنا» .

فَزَادَ غَضَبُ جَعْفَرِ بن فلاح ، وانكشَفَ ذلك لجَوْهَر ، فلم يبعث ابنُ فلاح لجَوْهَر يسأله نَجْدَةً خَوْفًا أَلَّا ينجده بعسْكَر ، وأقام مكانه لا يُكَاتِبُ جَوْهَرًا بشيءٍ من أمره ، إلى أن قَدِمَ عليه الحَسَنُ ابن أحمد القَرَمَطِي ، وكان من أمره ما قد ذَكَرَ في موضعه<sup>٢</sup> .

ولمَّا مات المُعِزُّ واستخَلَفَ من بعده ابنُه العزير ، وَوَرَدَ إلى دِمَشْقَ أَفْتَكِين<sup>٣</sup> الشَّرَابِي من بغداد ، نَدَبَ العزيرُ بالله جَوْهَرًا القَائِدَ إلى الشَّامِ ، فخرَجَ إليها بخزائن السلاح والأموال والعساكِرِ العظيمة ، فنَزَلَ على دِمَشْقَ لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وستين وثلاث مائة ، فأقام عليها وهو يُحَارِبُ أهلها ، إلى أن قَدِمَ الحَسَنُ بن أحمد القَرَمَطِي من الأَحْساءِ/ إلى الشَّامِ ، فرَحَلَ جَوْهَرًا

(a) في آياصوفيا وبولاق : هفتكين ، وقد فَضَّلْتُ إثبات الاسم المتعارف عليه في سائر المصادر وهو أَفْتَكِين .

«Fatimid Policy towards Damascus (358/1968-386/996) Military, Political and Social Aspects», dans *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* III (1981-82), pp. 165-83; Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide*, Damas 1986 I, pp. 44-64.

<sup>٢</sup> انظر فيما يلي ٩:٢ - ١٠ .

<sup>١</sup> عن جعفر بن فلاح الكتامي وفتح الشَّامِ راجع ، ابن الأثير : الكامل ٨: ٥٩١-٥٩٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١: ٣٦١ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨: ١٣٥-١٣٩ ؛ المقرئ : اتعاظ الحنفا ١: ١٢٠ ، ١٢٢-١٢٩ ، المقفى ٣: ٥٠-٥٨ ؛ درويش النخيلي : فتح الفاطميين للشَّامِ في مرحلته الأولى ، الإسكندرية ١٩٧٩ ؛ Lev, Y.,



في ثالث جمادى الأولى سنة ست وستين ، فنزل على الرملة والقزمطي في أثره فهلك ، وقام من بعده جعفر القزمطي فحارب جوهرا ، واشتد الأمر على جوهر وسار إلى عسقلان ، وحصره أفتكين بها حتى بلغ من الجهد مبلغا عظيما ، فصالح أفتكين وخرج من عسقلان إلى مصر ، بعد أن أقام بها وبظاهر الرملة نحوًا من سبعة عشر شهرًا ، فقدم على العزيز وهو يريد الخروج إلى الشام .

٥ فلما ظفر العزيز بأفتكين واضطنعه في سنة ثمانين وثلاث مائة ، واضطنح منجوتكين التركي أيضًا ، أخرجه راكبا من القصر وحده في سنة إحدى وثمانين ، والقائد جوهر وابن عمّار ومن دونهما من أهل الدولة مشاة في ركابه ، وكانت يد جوهر في يد ابن عمّار ، فزفر ابن عمّار زفرة كاد أن ينشق لها وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله . فنزع جوهر يده منه ، وقال : قد كنت عندي يا أبا محمد أثبت من هذا ، فظهر منك إنكار في هذا المقام . لأحدثك حديثا عسى أن يسليك عما أنت فيه ، والله ما وقف على هذا الحديث أحد غيري :

١٠ لما خرجت إلى مصر ، وأنفدت إلى مولانا المعز من أسرته ، ثم حصل في يدي آخرون اغتقلتهم ، وهم نيف على ثلاث مائة أسير من مذكورهم والمعروفين فيهم ، فلما ورد مولانا المعز إلى مصر أعلمته بهم ، فقال : أعرضهم علي ، وأذكر في كل واحد حاله ؛ ففعلت - وكان في يده كتاب مجلد يقرأ فيه - فجعلت آخذ الرجل من يد الصقلية وأقدمه إليه وأقول : هذا فلان . ومن حاله وحاله ، فيرفع رأسه وينظر إليه ويقول : يجوز . ويعود إلى قراءة ما في الكتاب ، حتى أحضرت له الجماعة ، وكان آخرهم غلاما تركيا ، فنظر إليه وتأمله ، ولما ولي أتبعه بصره .

١٥ فلما لم يتق أحد قبلك الأرض وقلت : «يا مولانا ، رأيتك فعلت لما رأيت هذا التركي ما لم تفعله مع من تقدمه» ؛ فقال : يا جوهر ، يكون عندك مكتوما حتى ترى أنه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تتفق له فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة ، ويوزقه الله على يده ما لم يوزقه أحد منا مع غيره» . وأنا أظن أنه ذلك الذي قال لي مولانا المعز ، ولا علينا إذا فتح الله لموالينا على أيدينا أو على يد من كان .

٢٥ «يا أبا محمد لكل زمان دولة ورجال ، أتريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا ؟ لقد أوجب لي مولانا المعز ، لما سرت إلى مصر ، أولاده وإخوته وولي عهده وسائر أهل دولته ، فتعجب الناس من ذلك ، وها أنا اليوم أمشي راجلا



بين يدي منجوتكين . أعزونا وأعزوا بنا غيرنا ، وبعد هذا فأقول : اللهم قرب  
أجلي ومدّتي ، فقد أنفت على الثمانين أو أنا فيها .

فمات في تلك السنة ، وذلك أنه اعتلّ ، فركب إليه العزيز بالله عائداً ، وحمل إليه قبل  
رُكوبه خمسة آلاف دينار ومرتبته مُثقل ، وبعث إليه الأمير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف  
دينار .

وثوفي يوم الاثنين لسبع بقين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة ، فبعث إليه العزيز  
بالحنوط والكفن ، وأرسل إليه الأمير منصور بن العزيز أيضاً الكفن ، وأرسلت إليه السيّدة العزيزية  
الكفن ، فكفن في سبعين ثوباً ما بين مُثقل ووُشي مُذهب ، وصلى عليه العزيز بالله ، وخلع على  
ابنه الحسين وحمله وجعله في مرتبة أبيه ، ولقّبته بـ«القائد ابن القائد» ، ومكّنه من جميع ما خلفه  
أبوه .

وكان جوهر عاقلاً ، مُحسناً إلى الناس ، كاتباً بليغاً ؛ فمن مُستحسن توقيعاته على قصة رُفعت  
إليه بمصر :

«سوء الاجترام أوقع بكم حلول الانتقام ، وكفر الإنعام أخرجكم من  
حفظ الذمام . فالواجب فيكم ترك الإيجاب ، والألزم لكم مُلازمة  
الاحتساب ، لأنكم بدّأتم فأسأتم ، وعُدّتم فتعدّيتهم . فائتداؤكم ملوم ،  
وعودُكم مذموم ، وليس بينهما فُرجة إلا تقتضي الذمّ لكم والإغراض  
عنكم ، ليرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم»<sup>١</sup> .

ولما مات رثاه كثير من الشعراء .

### السُّورُ الثَّانِي

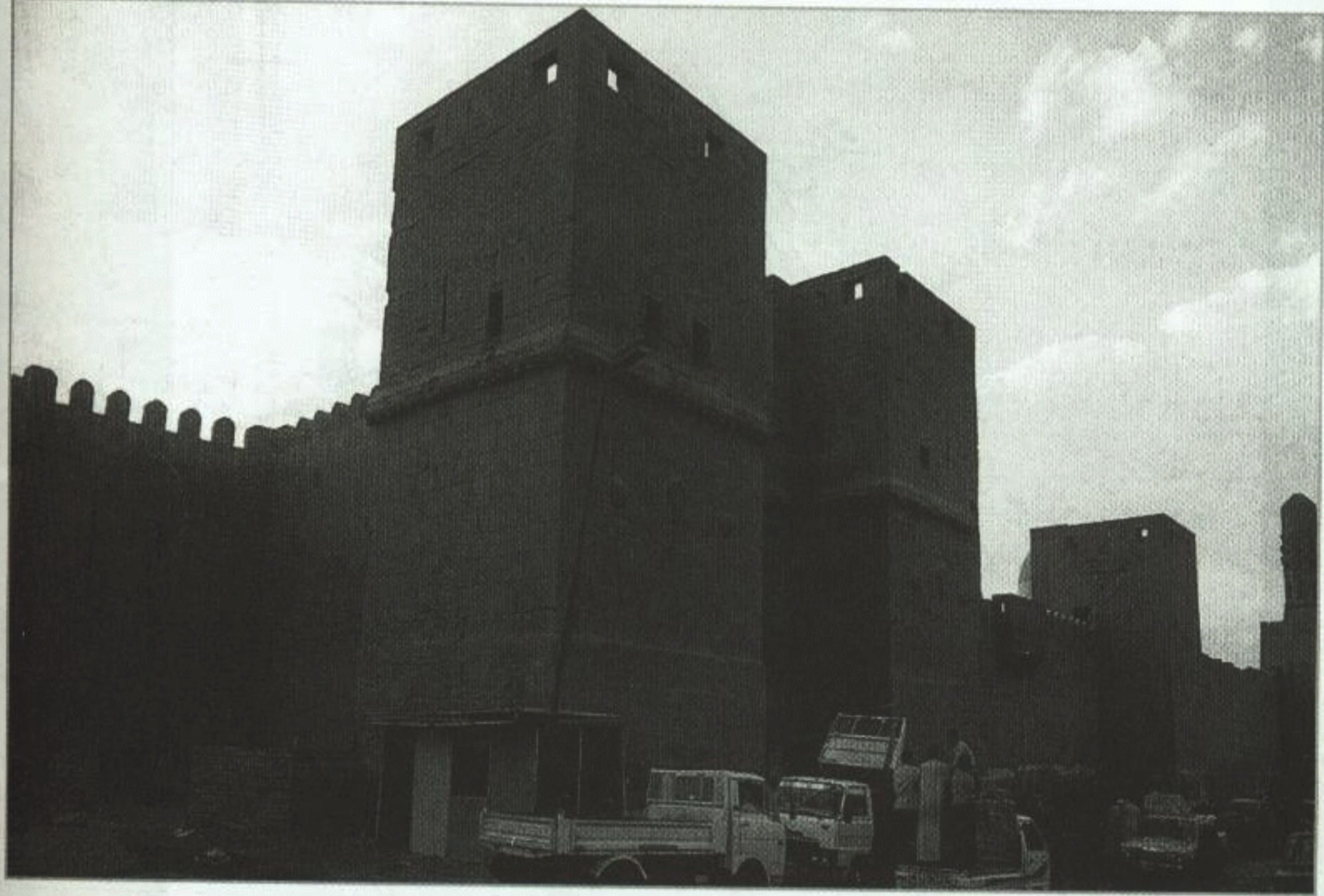
بناه أمير الجيوش بدرّ الجمالي في سنة ثمانين وأربع مائة ، وزاد فيه الزيادات التي فيما بين  
بابي زويلة وباب زويلة الكبير ، وفيما بين باب الفُتوح الذي عند حارة بهاء الدين وباب الفُتوح  
الآن ، وزاد عند باب النُّصر أيضاً جميع الرُحبة التي تجاه جامع الحاكم الآن إلى باب النُّصر ،

<sup>١</sup> أبو حيان التوحيدي : البصائر والذخائر ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت - دار صادر ١٩٨٨ ، ١ : ١٨٤ ؛ المقرئ : مسودة المواعظ ٤٦ وصدر الخبر بقوله : «وقال أبو حيان التوحيدي في كتاب «بصائر القدماء» [وهو عنوان موجود على بعض مخطوطات الكتاب] : كتب جوهر عبد الفاطمي بمصر موقفاً في قصة رفعها أهلها إليه ؛ واتعاض الحنفا ١ : ٢٧٢ وبدأه بقوله : ومن بديع توقيعات القائد جوهر ما حكاها أبو حيان التوحيدي في كتاب «بصائر القدماء» ؛ وفيما يلي ٢ : ٢٠٧ .

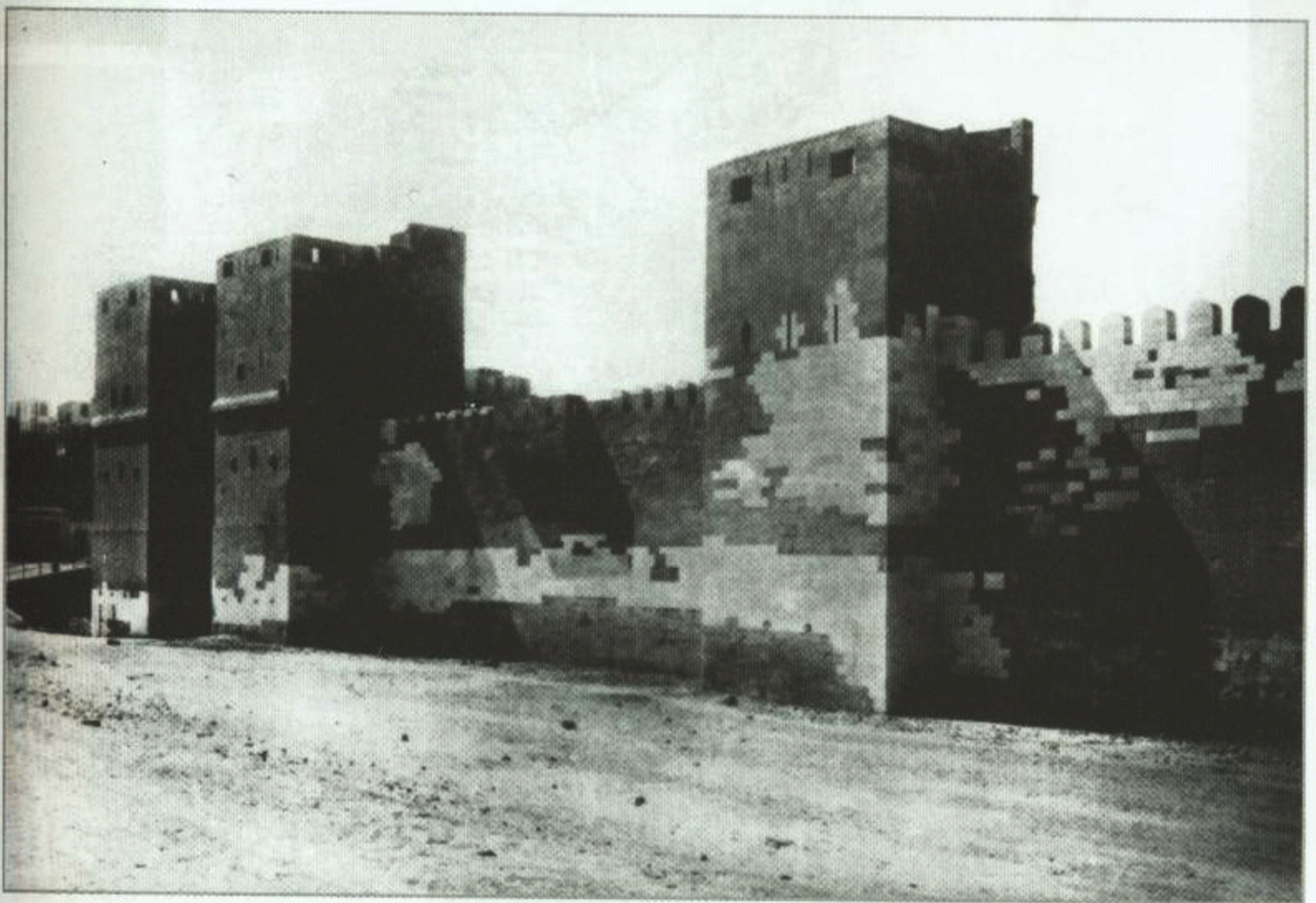






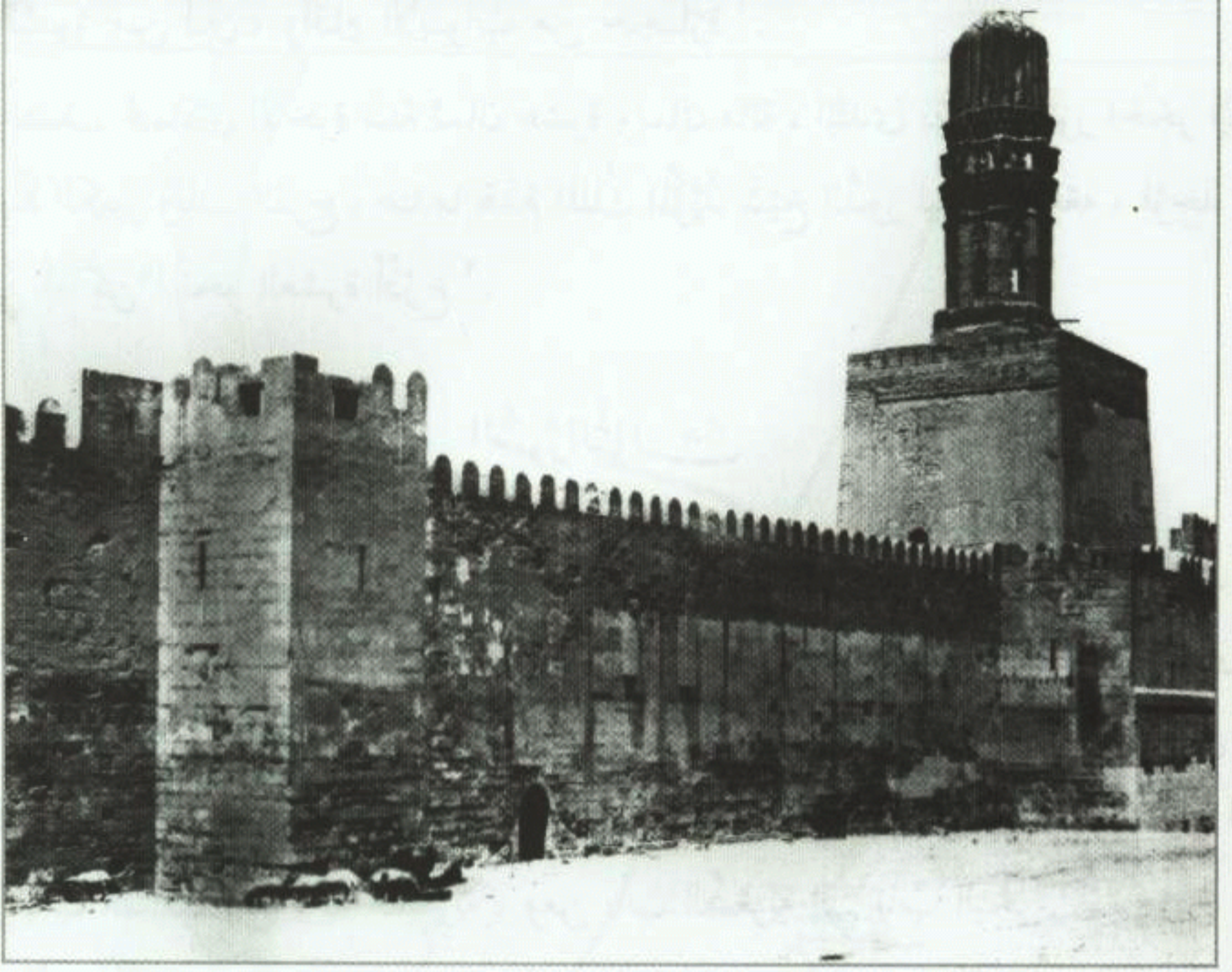


جانِبٌ من سُور القَاهِرَة الشُّمالي الذي شَيِّدَه بَدْرُ الجمالي من جِهَة باب النُّصر



جانِبٌ من سُور القَاهِرَة الشُّمالي الذي شَيِّدَه بَدْرُ الجمالي من جِهَة باب النُّصر





جانِبٌ من سُور القاهِرة الشُّمالي الذي شَيَّده بَدْرُ الجمالي من جِهَة باب الفُتوح



جانِبٌ من سُور القاهِرة الشُّمالي الذي شَيَّده بَدْرُ الجمالي من جِهَة باب الفُتوح



وجعل السور من لبن، وأقام الأبواب من حجارة<sup>١</sup>.

وفي نصف جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمان مائة، ابتدئ بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج، عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور لبني جامعته، فوجد عرض السور في أماكن<sup>٢</sup> نحو العشرة أذرع<sup>٣</sup>.

### السور الثالث

ابتدأ في عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ست وستين وخمسة مائة، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله<sup>٣</sup>. فلما كانت سنة تسع وستين وقد استولى على المملكة، انتدب لعمل السور الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي، فبتاه بالحجارة على ما هو عليه الآن. وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقلعة سورًا واحدًا، فزاد في سور القاهرة القطعة التي من باب القنطرة إلى باب الشعريّة، ومن باب الشعريّة إلى باب البحر.

وبنى قلعة المقس وهي بُرْج كبير، وجعله على النيل بجانب جامع المقس، وانقطع السور من هناك، وكان في أمّله مد السور من المقس إلى أن يتصل بسور مصر. وزاد في سور القاهرة قطعة

(a) بولاغ : الأماكن.

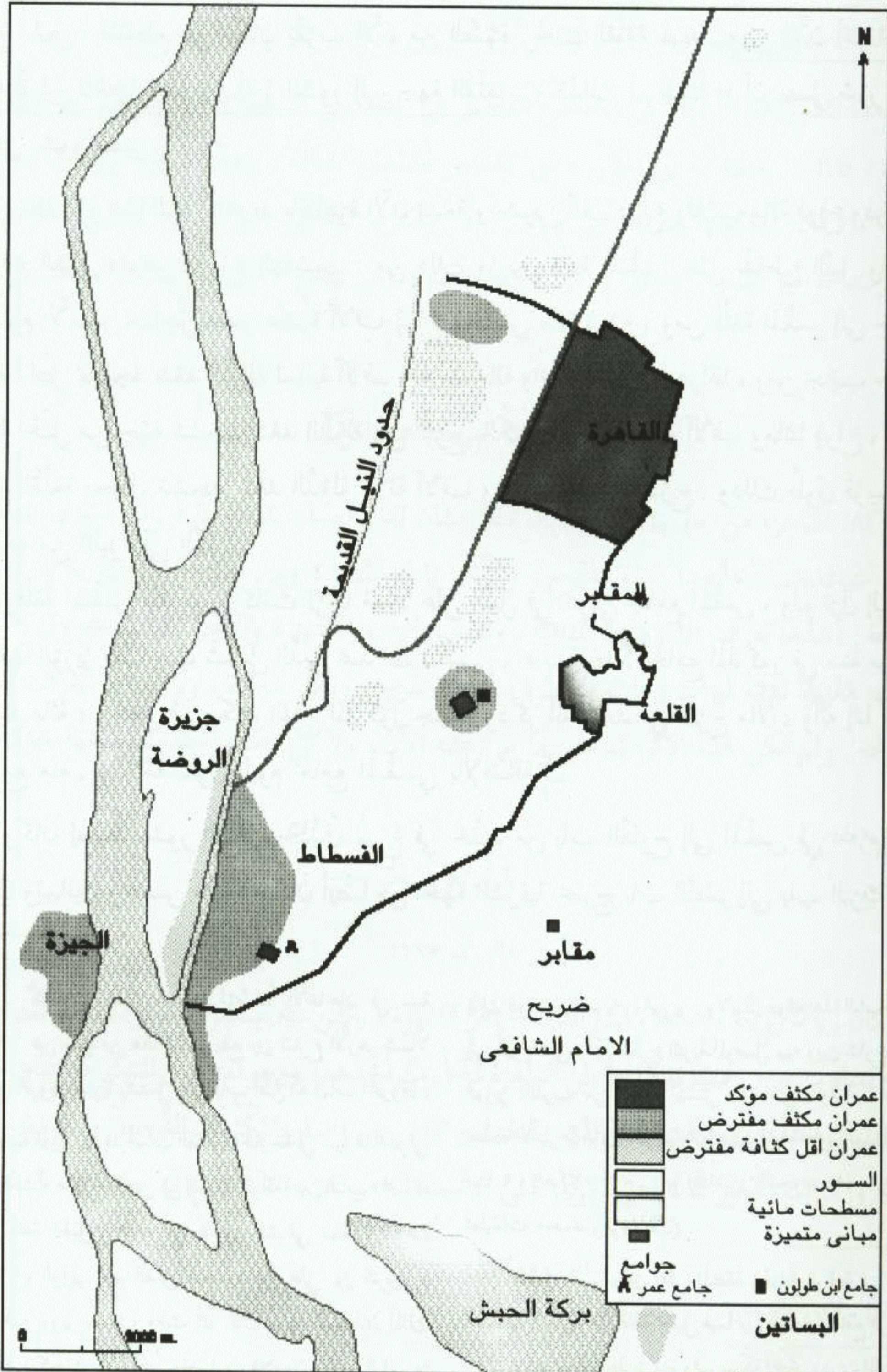
٣: ٣٢١، وعن سور صلاح الدين الذي بدأ في بنائه بهاء الدين قراقوش في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م انظر، أبا شامة: الروضتين ١: ٦٨٧-٦٨٨؛ ابن واصل: مفرج الكروب ١: ٥٢-٥٣؛ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٩-٢٠؛ المقرئ: المسودة ٤١-٤٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ٦: ١٧٦-١٧٧؛ Casanova P., *Histoire et description de la Citadelle du Caire*, pp. 535-51; Creswell, K. A. C., *MAE* II, pp. 41-63 - ; Fu'ad Sayyid, A., Warner, *op.cit.*, pp. 634-43 ومؤخرًا مقال نيقولا ورنر، *op.cit.*, pp. 283-305 وأسامة طلعت عبد النعيم: أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير بكلية الآثار - جامعة القاهرة ١٩٩٢.

١ عن السور الذي بناه بدر الجمالي فيما بين ستي ١٠٨٧هـ/١٠٨٧م و١٠٩٣هـ/١٠٩٣م، والذي لم يبق منه سوى قسم من السور الشمالي بين بابي التضر والفتوح، وقسم من السور الجنوبي على يسار الخارج من باب زويلة في موازاة شارع الدُزب الأحمر وحتى مدخل حارة الروم، راجع: Creswell, K. A. C., «Fortification in Islam before A.D. 1250», in *Proceedings of the British Academy 1952*, London 1952, p. 113; id., *MAE* I pp. 176-81; Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 386-99.

٢ اكتفى المقرئ في السلوك بالإشارة إلى أنه بدئ في حفر أساس الجامع المؤيدي بجوار باب زويلة في الرابع من جمادى الآخرة (السلوك ٤: ٣٢٠).

٣ أبو شامة: الروضتين ١: ٤٨٨، المقرئ: اتعاظ





سور صلاح الدين الذي يربط القاهرة بالقلعة بالفسطاط



مما يلي باب النضر ممتدة إلى باب البرقية وإلى دزب بطوط وإلى خارج باب الوزير<sup>١</sup>، ليتصل بشور قلعة الجبل، فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة<sup>٢</sup> تحت القلعة لموته. وإلى الآن آثار الجدر ظاهرة لمن تأملها فيما بين آخر السور إلى جهة القلعة. وكذلك لم يتهياً له أن يصل شور قلعة الجبل بشور مصر.

وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلاث مائة ذراع وذراعين بذراع العمل، وهو الذراع الهاشمي: من ذلك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل والبزج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمس مائة ذراع، ومن قلعة المقس إلى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاث مائة واثنان وتسعون ذراعاً، ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة إلى البزج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع، ومن وراء القلعة بحيال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة أذرع. وذلك طول قوسه في أبراجه من النيل إلى النيل.

وقلعة المقس المذكورة كانت بُرْجاً مُطِلاً على النيل في شرقي جامع المقس، ولم تزل إلى أن هدمها الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسي، عندما جدد الجامع المذكور في سنة سبعين وسبع مائة، وجعل في مكان البزج المذكور جنينته وذكر أنه وجد في البزج مالا، وأنه إنما جدد الجامع منه، والعامّة تقول اليوم جامع المقسي بالإضافة<sup>٣</sup>.

وكان يُحيط بسور القاهرة خندق شرع في حفره من باب الفتوح إلى المقس في المحرم سنة ثمان وثمانين وخمس مائة، وكان أيضاً من الجهة الشرقية خارج باب النضر إلى باب البرقية وما

١ ذلك الوقت باسم باب الوزير. ولا يزال موقع هذا الباب قائماً إلى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه وبين شارع باب الوزير بالقرب من جامع أيتمش البنجاسي. والباب الحالي جدده الأمير طراباي الشريفني صاحب القبة المجاورة لهذا الباب سنة ١٥٠٣هـ/١٨٠٣م. (أبو المحاسن: النجوم ١٠: ١٨٠هـ<sup>٢</sup> تعليقات محمد رمزي بك).

٢ الصوة اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية البحرية من قلعة الجبل فيما بين القلعة وجامع الرفاعي الحالي، ويتوسطها الطريق المعروف بسكة المحجر ودرب المارستان (أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٤٣هـ<sup>٢</sup> وفيما يلي ٢: ٢١٣).

٣ فيما يلي ٢: ٢٨٣.

١ كُشِفَتْ حفائر أجرتها مؤسسة الأغاخان في سنة ١٩٩٩ عن جزء من هذا السور يقع بين شارع الأزهر شمالاً وبزج المحروق جنوباً يشتمل على باب أظن أنه الباب المحروق. وباب الوزير. أحد أبواب القاهرة الخارجة في سورها الشرقي الذي أنشأه صلاح الدين في المسافة الواقعة بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل. فتحه في السور الشرقي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م الوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروين، المعروف بوزير بغداد، وقت أن كان وزيراً للسلطان الملك الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون، لمرور الناس ما بين المدينة وبين الجبانة الواقعة خارج السور (المعروفة بقرافة باب الوزير) وعلى الأخص بعد سد الباب المحروق، ولهذا عُرف من



بعده . وشاهدت آثار الخندق باقية ، ومن ورائه سورٌ بأبراج له عرضٌ كبيرٌ مبني من حجارة<sup>(a)</sup> ، إلا أن الخندق انطم ، وتهدمت الأسوار التي كانت من ورائه .

وهذا السور هو الذي ذكره القاضي الفاضل في كتابه إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فقال : « والله يُحْيِي المَوْلَى حتى يَسْتَدِيرَ بالبَلَدَيْنِ نِطَاقَهُ ، ويمتدَّ عليهما رِوَاقُهُ ، فهما<sup>(b)</sup> عَقِيلَةٌ ما كان مِعْصَمُهَا ليشْرِكَ بغير سِوار ، ولا خَصْرُهَا ليتَحَلَّى بغير مِئْطَقَةِ نُضار . والآن قد اسْتَقَرَّتْ خِوَابِرُ النَّاسِ ، وأمَّنُوا به من يدٍ تتخَطَّفُ ، ومن طَمَعٍ<sup>(c)</sup> مجرمٍ يُقَدِّمُ ولا يتوقَّفُ » .

## ذِكْرُ أَبْوَابِ الْقَاهِرَةِ

وكان للقاهرة من جهتها القبليَّة بابان مُتلاصقان يُقال لهما : بابا زويلة ؛ ومن جهتها البكريَّة بابان متباعدان : أحدهما بابُ الفُتُوح ، والآخر بابُ النُّصر ؛ ومن جهتها الشرقيَّة ثلاثة أبواب متفرقة : أحدها يُعرف الآن بباب البرقيَّة ، والآخر بالباب الجديد ، والآخر بالباب المحروق ؛ ومن جهتها الغربيَّة ثلاثة أبواب : بابُ القنطرة ، وبابُ الفرج ، وبابُ سعادة ، وبابٌ آخر يُعرف بباب الخوخة . ولم تكن هذه الأبواب على ما هي عليه الآن ، ولا في مكانها عندما وُضِعَتْ جِوَاهِرُ<sup>(d)</sup> .

## بَابُ زَوَيْلَةَ

[أثر رقم ١٩٩]

كان بابا<sup>(d)</sup> زويلة ، عندما وُضِعَ القائدُ جِوَاهِرُ القاهرة ، بايئين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح ، فلما قَدِمَ المِعْزُ إلى القاهرة دَخَلَ من أحدهما - وهو المِلاصِقُ للمَسْجِدِ الذي بقي منه إلى اليوم عَقْدٌ ، ويُعرف بباب القوس - فتيامن النَّاسُ به ، وصاروا يُكثرون الدُّخُولَ والخُرُوجَ منه ، وهَجَرُوا البابَ المجاور له ، حتى جَرَى على الألسنة أن من مرَّ به لا تُقْضَى له حاجة .

(a) بولاق : بالحجارة . (b) بولاق : فما . (c) بولاق : يد . (d) بولاق : باب .

62؛ ومقال هنري كاسل كاي Kay, H.C., «Al-Kahira and its Gates», JRAS XIV (1882), pp. 229-45.

<sup>١</sup> انظر عن أبواب القاهرة الأولى التي بناها القائد جوهر عند تأسيس المدينة - Fu'âd Sayyid, A., op.cit., pp. 152.



وقد زال هذا الباب ولم يبق له اليوم أثر<sup>a</sup>، إلا أنه يُفْضِي إلى الموضع الذي يُعْرَف اليوم بالحجَّارين، حيث تُباع آلات الطَّرب من الطَّنابير والعيّدان ونحوها، وإلى الآن مشهورٌ بين الناس أن من سَلَكَ<sup>b</sup> من هنالك<sup>c</sup> لا تُقْضَى حاجتُه<sup>d</sup>، ويقول بعضهم: من أجل أن هنالك<sup>e</sup> آلات المُتْكَر، وأهل البَطَالَة من المُغْنِين والمُغْنِيَات. وليس الأمرُ كما زُعم، فإن هذا القول جارٍ على ألسنة أهل القاهرة من حين دَخَلَ المُعْزُّ إليها قبل أن يكون هذا المَوْضِعُ سُوقًا للمُعَارِيفِ ومَوْضِعًا لجلوس أصحاب الملاهي<sup>f</sup> ١.

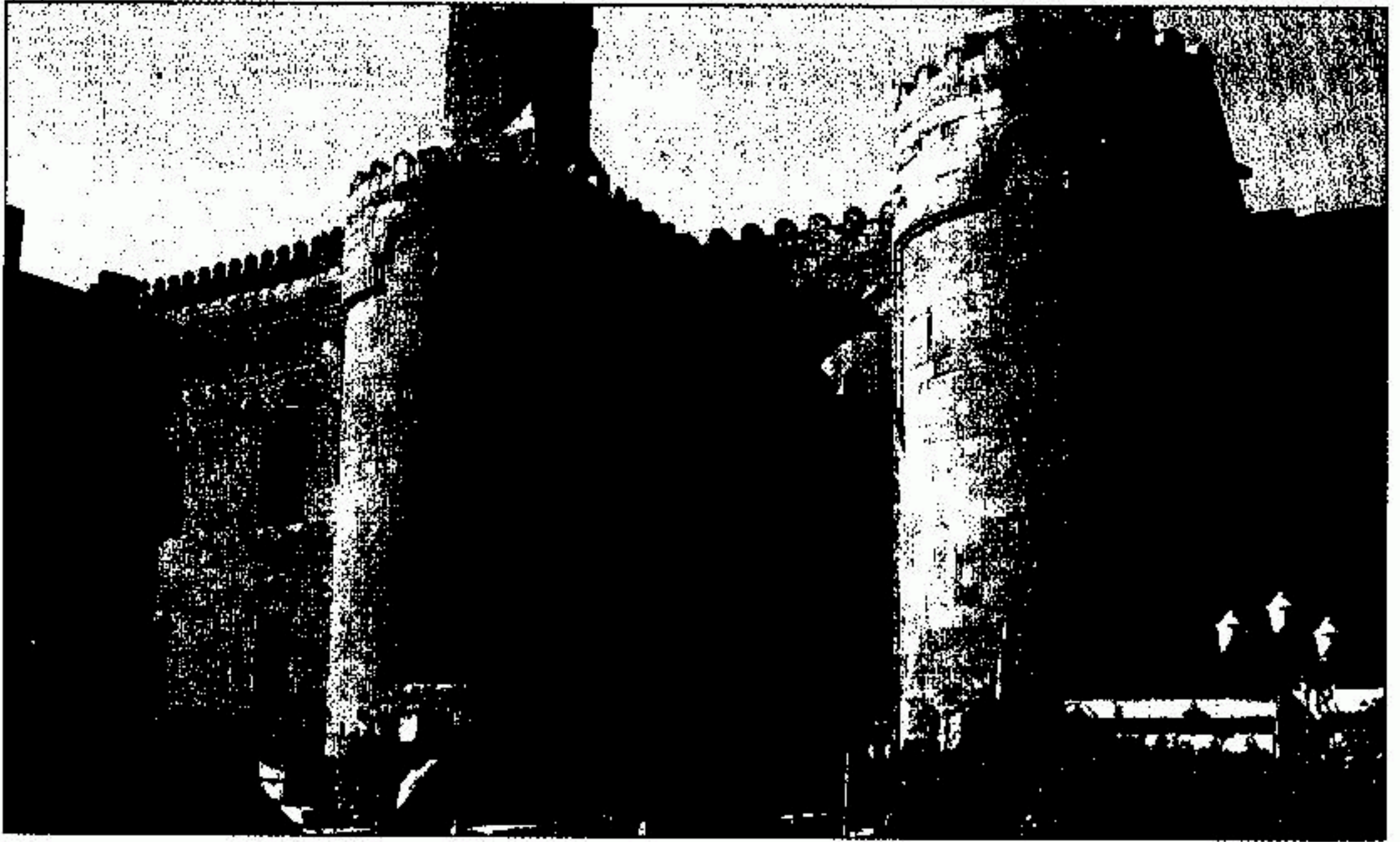
فلَمَّا كان في سنة خمسٍ وثمانين وأربع مائة، بنى أمير الجيوش بدر الجمالي، وزير الخليفة المُسْتَنْصِر بالله، باب زَوَيْلَة الكبير الذي هو باقٍ إلى الآن وعلى أبراجه<sup>٢</sup>، ولم يعمل له باشورة<sup>٣</sup>. كما هي عادةُ أبواب الحصون من أن يكون في كل باب عَطْفَة<sup>g</sup> حتى لا تهجم عليه العساكر في وقت الحصار، ويتعدَّر سَوَاق الخَيْل ودُخُولها جملة - لكنه عمِلَ في بابه زَلَّاقَة كبيرة من حجارة صَوَّان عَظِيمَة، بحيث إذا هَجَمَ عسكرٌ على القاهرة لا تَثْبُت قوائِمُ الخَيْل على الصَّوَّان. فلم تَزَل هذه الزَلَّاقَة باقية إلى أيام السُّلْطَان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فاتفق مروره من هناك<sup>h</sup>، فاخْتَلَّ فَرَسُه وزَلَّقَ به/ وأحسبه سَقَطَ عنه، فأمرَ بنقضها فنُقِضَتْ، وبقي منها شيءٌ يسيرٌ ظاهرٌ<sup>٤</sup>.

(a) بولاق: أثر اليوم. (b) بولاق: يسلك. (c) بولاق: هناك. (d) بولاق: له حاجة. (e) بولاق: هنالك. (f) بولاق: أهل المعاصي. (g) بولاق: عطف. (h) بولاق: هنالك.

١ قارن ذلك مع المقرئزي: مسودة المواعظ ٣٥١.  
٢ عن باب زَوَيْلَة الذي بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وفتح منه في سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٣م، انظر، ابن ميسر: أخبار ٥١؛ النويري: نهاية ٢٨: ٢٣٨؛ المقرئزي: اتعاظ ٢: ٣٢٧؛ Creswell, K. A. C., MAE I, pp. 197-205; Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 424-30.

٣ وعن صَبْط زَوَيْلَة - لا زَوَيْلَة - (انظر فيما يلي ٤: ٢).  
٤ هذا النَصُّ نقله المقرئزي عن ابن ميسر: أخبار مصر ٥١، وانظر كذلك النويري: نهاية ٢٨: ٢٣٨؛ المقرئزي: اتعاظ ٢: ٣٢٧.





باب زويلة الذي أنشأه بذر الجمالي سنة ٤٨٥ هـ

فلما ابتنى الأمير جمال الدين يوسف الأستادار المسجد المقابل لباب زويلة ، وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برفوق<sup>١</sup> ، ظهر عند حفره الصهريج الذي به بعض هذه الزلافة ، وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية ، وأشكالها في غاية من الكبر لا يستطيع جرّها إلا أربعة رؤس بقر ، فأخذ الأمير جمال الدين منها شيئاً . وإلى الآن حجرت منها ملقى تجاه قبو الخرنشف من القاهرة .

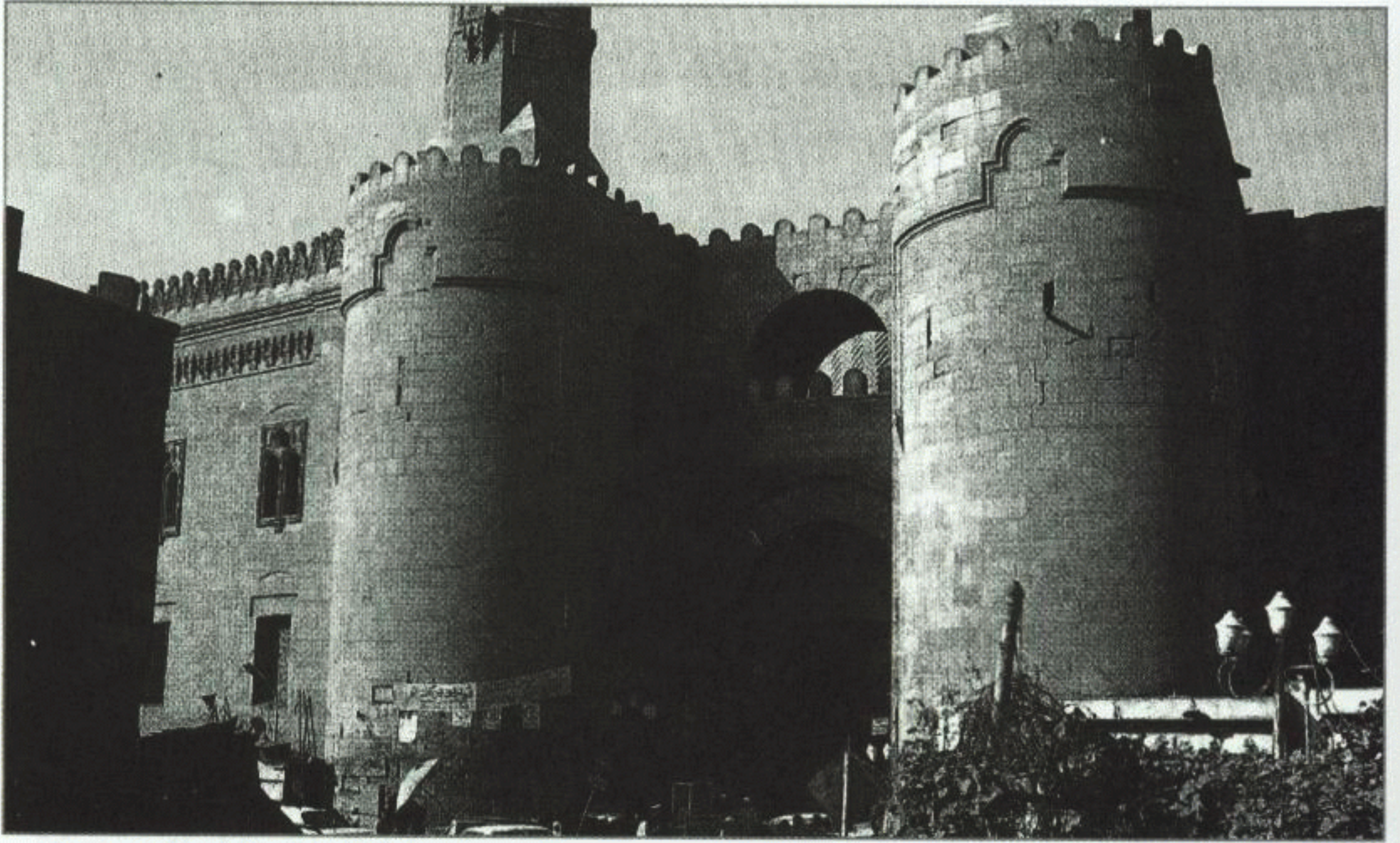
ويذكر أنّ ثلاثة إخوة قدموا من الرها<sup>٢</sup> ، بنّائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح ، كل واحد بنى باباً ، وأنّ باب زويلة هذا بُني في سنة أربع وثمانين وأربع مائة ، وأنّ

*Moschee des Farag ibn Barqûq in Kairo*, Glügksht 1972؛ ونشر هارمان Haarmann وصف الجامع من حجة وقف الناصر فرج بن برفوق في الكتاب نفسه بين صفحتي ٤٤ - ٥١ .

<sup>٢</sup> ذكر أبو صالح الأرمي : تاريخ ٥١ ظ أن الذي هندس سور القاهرة وأبوابها في الخلافة المستنصرية ووزارة أمير =

<sup>١</sup> لم يخصص المقرئ - فيما وصل إلينا - أي مدخل للحديث عن مسجد الناصر فرج بن برفوق المقابل لباب زويلة ؛ وما زال هذا المسجد والشبيل الملحق به قائماً ومسجلاً بالآثار برقم ٢٠٣ ، وقد تم فكّه وإعادة بنائه إلى الخلف من موضعه في عام ١٩٢٢ ، لتوسيع شارع تحت الرّبع ، القادم من ميدان باب الخلق (انظر Saleh Lamei Mostafa,





باب زويلة الذي أنشأه بَدْر الجمالي سنة ٤٨٥هـ

فلما ابتنى الأمير جمال الدين يوسف الأستادار المسجد المقابل لباب زويلة ، وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق<sup>١</sup> ، ظهرَ عند حفره الصُّهريج الذي به بعض هذه الزَّلَاقَة ، وأُخْرِجَ منها حجارة من صَوَّان لا تعمل فيها العُدَّة الماضية ، وأشكالها في غاية من الكِبَر لا يستطيع جَرُّها إلا أربعةُ أروُس بقر ، فأخذَ الأميرُ جمالُ الدين منها شيئًا . وإلى الآن حَجَرَ منها مُلْقَى تِجَاه قَبْوِ الحُرُنُشَف من القاهرة .

ويُذَكَّرُ أَنَّ ثَلَاثَةَ إِخْوَةٍ قَدِمُوا مِنَ الرُّهَا<sup>٢</sup> ، بَنَائِنِ بنوا باب زويلة وباب النُّصْر وباب الفُتُوح ، كُلُّ واحِدٍ بنى بابًا ، وَأَنَّ بابَ زَوِيلَةَ هذا بُنِيَ في سنة أربع وثمانين وأربع مائة ، وَأَنَّ

*Moschee des Farag ibn Barqûq in Kairo*,  
Glügkshdt 1972؛ ونشر هارمان Haarmann وصف  
الجامع من حجة وقف الناصر فرج بن برقوق في الكتاب نفسه  
بين صفحتي ٤٤ - ٥١ .

<sup>٢</sup> ذكر أبو صالح الأرمني : تاريخ ٥١ ظ أن الذي هندس  
سور القاهرة وأبوابها في الخلافة المستنصرية ووزارة أمير =

<sup>١</sup> لم يخصص المقريري - فيما وصل إلينا - أي مدخل  
للحديث عن مسجد الناصر فرج بن برقوق المقابل لباب  
زويلة ؛ وما زال هذا المسجد والسبيل الملحق به قائمًا ومسجلًا  
بالآثار برقم ٢٠٣ ، وقد تم فكّه وإعادة بنائه إلى الخلف من  
موضعه في عام ١٩٢٢ ، لتوسيع شارع تحت الرُّبْع ، القادم  
من ميدان باب الخلق (انظر Saleh Lamei Mostafa,



باب الفتح بُني<sup>a</sup> في سنة ثمانين وأربع مائة .

وقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتاب «خطط القاهرة» أن باب زويلة هذا بناه العزيز بالله نزار بن المعز وتممه أمير الجيوش ، وأنشد لعلبي بن محمد الثيلي :

[الكامل]

يا صاح لو أبصرت باب زويلة  
باب تازر بالمجرة وارتدى الـ  
لو أن فرعوناً رآه لم يرد  
لعلمت قدر محله بُنيانا  
شعري ولاث برأسه كيانا  
صرحاً ولا أوصى به هامانا

انتهى (b).

وسمعت غير واحد يذكر أن فرذتبه يدوران في سُكْرَجَتَيْن<sup>٢</sup> من زجاج .

وذكر جامع «السيرة الناصرية»<sup>c</sup> محمد بن قلاوون ، أن في سنة خمس وثلاثين وسبع مائة رتب أئدكين - والي القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون - على باب زويلة خلية تضرب كل ليلة بعد العصر<sup>٣</sup> .

وقد أخبرني من طاف البلاد ورأى مُدَنَّ المشرق ، أنه لم يُشاهد في مدينة من المدائن عظم باب زويلة ، ولا رأى<sup>d</sup> مثل بدنتيه اللتين عن جانبه . ومن تأمل الأسطر التي قد كُتبت على أعلاه من خارجة ، فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المُستنصر وتاريخ بنائه<sup>٤</sup> .

(a) بولاق : بناء . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : سيرة الناصر . (d) بولاق : يرى .

= الجيوش بدر شخص يدعى يوحنا الراهب ، وراجع مناقشة هذا الموضوع والطراز المعماري للسور والأبواب عند Fu'ād Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 396, 430-31.

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٧-١٨ (وهو وهم) ؛ القلقشندي : صبح ٣ : ٣٤٩ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ ٣٤٩ ، وقارن كذلك : الإدريسي : أنوار علوي الأجرام ٥٢ .

<sup>٢</sup> سُكْرَجَة وأُسْكُرَجَة ، فارسي معرب . ترجمتها مُقَرَّب الخلل ، وهي هنا بمعنى وعاء زجاجي يُسهَّل انزلاق عضادتي الباب (الجواليقي : المعرب ٢٧ ، ١٩٧) .

<sup>٣</sup> هو موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي ، المتوفى سنة

٧٥٩هـ/١٣٥٨م وعنوان تاريخه «نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر» ، ونقل عنه المقرئزي في أكثر من موضع (انظر مسودة المواعظ والاعتبار ١٤٥-١٤٦ ، وفيما تقدم ١ : ٤٩ ، وورد الخبر في الكتاب في صفحة ٢٣٢ .

<sup>٤</sup> فُقدت اليوم الكتابة الخاصة بالنص الإنشائي لباب زويلة والتي شاهدها المقرئزي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، وما زال مكانها يرى خاليًا الآن ، ولو وصلت إلينا هذه الكتابة لدلتنا على الاسم الجديد الذي حملة باب زويلة مثل بقية أبواب القاهرة الأخرى التي أنشأها بدر الجمالي (فيما يلي صفحة ٢٧١) .



وقد كانت البَدَنَتَانِ أَزِيدًا<sup>a</sup> مَّا هُمَا الْآنَ بِكَثِيرٍ ، هَدَمَ أَعْلَاهُمَا الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ شَيْخٌ لَمَّا أَنْشَأَ الْجَامِعَ دَاخِلَ بَابِ زَوَيْلَةَ ، وَعَمَّرَ عَلَى الْبَدَنَتَيْنِ مَنَارَتَيْنِ . وَلِذَلِكَ خَبِرْتُ تَجْدَهُ فِي ذِكْرِ الْجَوَامِعِ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَامِعِ الْمُؤَيَّدِيِّ<sup>b</sup> مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فَانظُرْهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَوَامِعِ تَجْدَهُ<sup>b</sup> ١ .

## بَابُ النَّصْرِ

[أثر رقم ٧]

كَانَ بَابُ النَّصْرِ أَوَّلًا دُونَ مَوْضِعِهِ الْيَوْمَ ، وَأَذْرَكْتُ قِطْعَةً مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ كَانَتْ تَجَاهُ رُكْنِ الْمَدْرَسَةِ الْقَاصِدِيَّةِ الْغَرْبِيِّ بِحَيْثُ تَكُونُ الرَّحْبَةُ الَّتِي فِيهَا بَيْنَ الْمَدْرَسَةِ الْقَاصِدِيَّةِ وَبَيْنَ بَابِي جَامِعِ الْحَاكِمِ الْقِبْلِيِّينَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ . وَكَذَلِكَ<sup>c</sup> تَجْدُ فِي أَخْبَارِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ أَنَّهُ وُضِعَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ<sup>٢</sup> .

١٠ فَلَمَّا كَانَ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ وَقَدِمَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْجَيْشِ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ مِنْ عَكَا وَتَقَلَّدَ وَزَارَتْهُ وَعَمَّرَ سُورَ الْقَاهِرَةِ ، نَقَلَ بَابَ النَّصْرِ مِنْ حَيْثُ وَضَعَهُ الْقَائِدُ جَوْهَرًا إِلَى حَيْثُ هُوَ الْآنَ ، فَصَارَ قَرِيبًا مِنْ مُصَلَّى الْعِيدِ ، وَجَعَلَ لَهُ بِأَشُورَةِ أَذْرَكْتُ بَعْضَهَا إِلَى أَنْ اخْتَفَرَتْ أَخْتُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ الصُّهْرِيحِ السَّبِيلِ تَجَاهَ بَابِ النَّصْرِ ، فَهَدِمَتْ<sup>d</sup> وَأَقَامَتْ السَّبِيلَ مَكَانَهُ<sup>٣</sup> .  
وَعَلَى بَابِ النَّصْرِ مَكْتُوبٌ<sup>e</sup> بِالْكَوْفِيِّ فِي أَعْلَاهُ :

١٥ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا»<sup>٤</sup> .

(a) بولاق : أكبر . (b-b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : ولذلك . (d) بولاق : فهدمته . (e) ساقطة من النسخ .

<sup>١</sup> فيما يلي صفحة ٢ : ٣٢٩ .

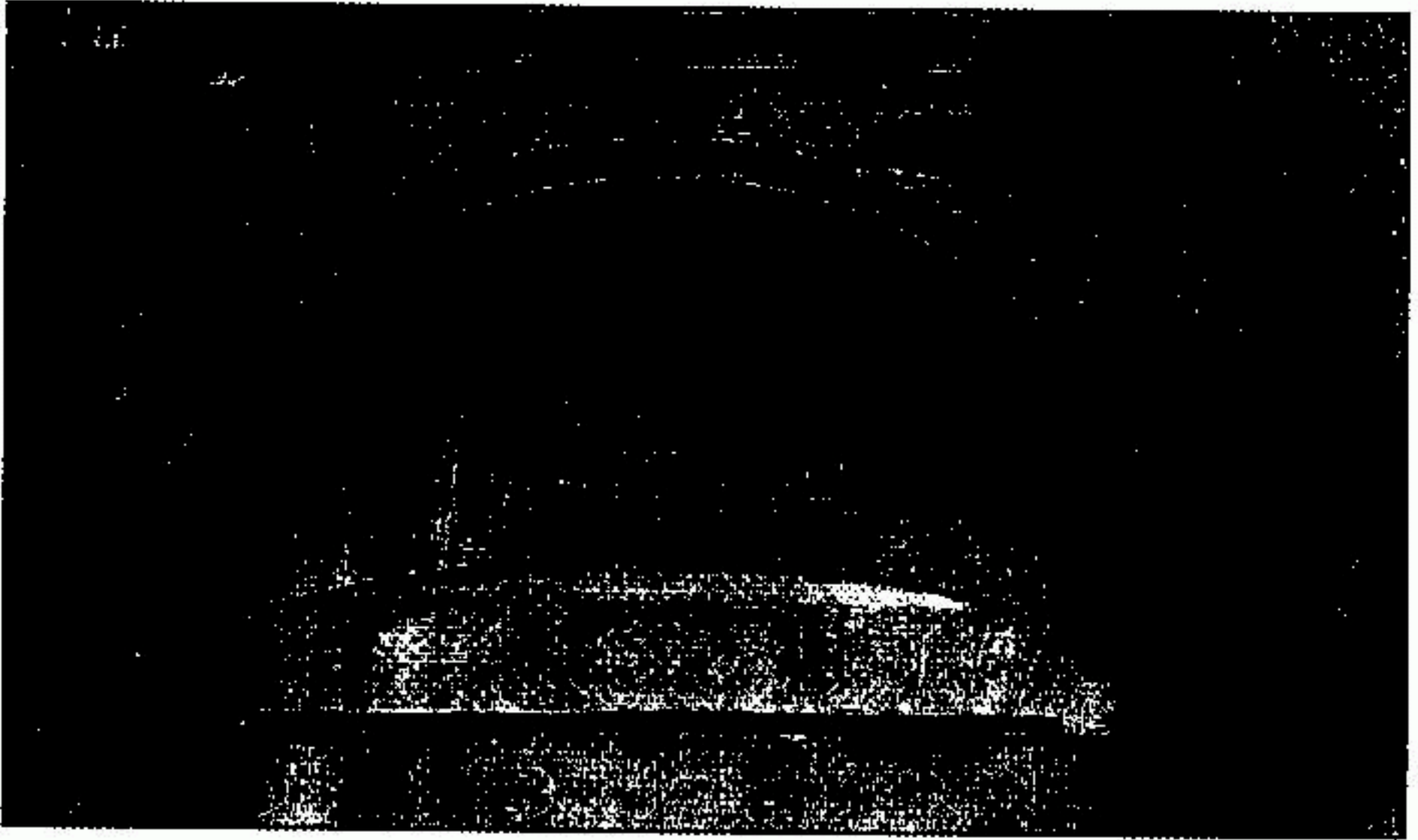
<sup>٢</sup> فيما يلي صفحة ٢ : ٢٧٧ .

<sup>٣</sup> مازال باب النصر الذي أقامه أمير الجيوش بدر الجمالي موجودًا وعليه كتابة تاريخية تفيد البدء في بنائه في المحرم سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، ولكن هذه الكتابة لا تذكر الباب باسمه المعروف لنا - مثل الكتابة الموجودة أيضًا على بابي الفتوح والبرقية - وإنما نجدتها تُطْلَقُ عَلَى بَابِ النَّصْرِ (باب العز) وعلى

<sup>٤</sup> مازال هذا النص موجودًا أسفل الكتابة التاريخية =

باب الفتوح «باب الإقبال» وعلى باب البرقية «باب التوفيق» .  
ورغم أن المقرئ قد أطلع على هذه الكتابات التاريخية ، بما أنه أورد نص الاعتقاد الشيعي الوارد على باب النصر «محمد رسول الله ، علي ولي الله» ، فإنه يستمر في ذكر الأبواب بأسمائها القديمة . (انظر ، Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, (pp. 399-405) .





### [النص التأسيسي لباب النصر (العز)]

«(١-٢) بِسْمَلَةَ ... [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] بِعِزِّ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ (٣) يُحَاطُ الْإِسْلَامُ وَتُنشَأُ الْمَعَاقِلُ وَالْأَسْوَارُ . أَنْشَأَ هَذَا ؛ بَابَ الْعِزِّ وَالشُّورِ الْمُحِيطِ بِالْمُعَزِّيَةِ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ حَمَاهَا اللَّهُ فَتَى مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَيْمَةِ الطَّاهِرِينَ وَأَبْنَائِهِ الْأَكْرَمِينَ ، السَّيِّدِ الْأَجَلِّ (٤) أَمِيرِ الْجَيْشِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ نَاصِرِ الْإِمَامِ كَافِلِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو النَّجْمِ بَدْرَ الْمُسْتَنْصِرِيِّ (٥) عَضَّدَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ وَأَمْتَعَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ قُدْرَتَهُ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ ، الَّذِي حَصَّنَ اللَّهُ بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِ الدَّوْلَةَ وَالْأَنْامَ ، وَشَمِلَ صَلَاحَهُ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ ، ائْتِغَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَطَلَبَ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَصِيَانَةَ كُرْسِيِّ الْخِلَافَةِ وَازْدِلَاقًا إِلَى اللَّهِ بِحَيَاةِ الْكَافَّةِ . وَبُدِيَ بِعَمَلِهِ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ» .

### بَابُ الْفُتُوحِ

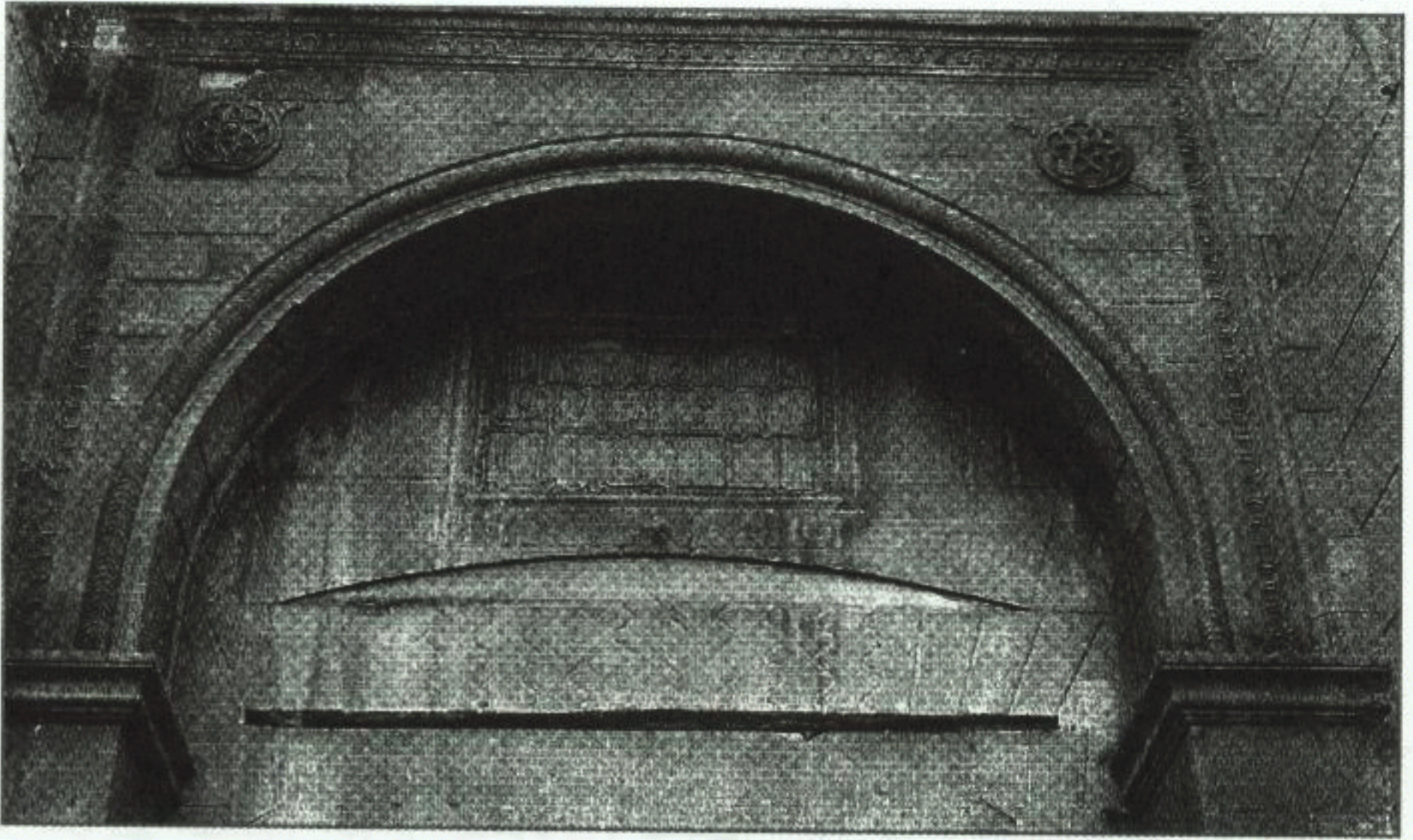
[أثر رقم ٦]

وَضَعَهُ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ دُونَ مَوْضِعِهِ الْآنَ ، وَبَقِيَ مِنْهُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَقْدُهُ وَعَضَادَتُهُ الْيُسْرَى ، وَعَلَيْهِ أَسْطَرٌ مِنَ الْكِتَابَةِ بِالْكُوفِيِّ ، وَهُوَ بِرَأْسِ حَاوِزَةٍ بِهَاءِ الدِّينِ مِنْ قِبَلِهَا دُونَ جِدَارِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ .

ذريتهما أجمعين» Kay, H.C., «Al-Kahirah and its Gates», *JRAS* XIV (1882), p. 38; van Berchem, (M., CIA I, n°34 ، وانظر الصورة .

= بتأسيس الباب داخل إطار مستطيل مكون من أربعة أسطر بالخط الكوفي البارز والسطر الرابع خارج الإطار ونصها «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، مُحَمَّدٌ رُسُولُ اللَّهِ عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى الْأَيْمَةِ مِنْ





### [النص التأسيسي لباب النصر (العز)]

«(١-٢) بِسْمَلَةَ ... [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] بِعِزِّ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ (٣) يُحَاطُ الْإِسْلَامُ وَتُنشَأُ الْمَعَالِقُ وَالْأَسْوَارُ . أَنشَأَ هَذَا ؛ بَابَ الْعِزِّ وَالشُّورِ الْمَحِيطِ بِالْمُعِزِّيَّةِ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ حَمَاهَا اللَّهُ فَتَى مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَيْمَّةِ الطَّاهِرِينَ وَأَبْنَائِهِ الْأَكْرَمِينَ ، السَّيِّدِ الْأَجَلِّ (٤) أَمِيرِ الْجُيُوشِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ نَاصِرِ الْإِمَامِ كَافِلِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو النَّجْمِ بَدْرُ الْمُسْتَنْصِرِيِّ (٥) عَضَّدَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ وَأَمْتَعَ بِطُولِ بَقَائِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ قُدْرَتَهُ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ ، الَّذِي حَصَّنَ اللَّهُ بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِ الدَّوْلَةَ وَالْأَنْامَ ، وَشَمِلَ صَلَاحَهُ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ ، ائْتِغَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَطَلَبَ فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ ، وَصِيَانَةَ كُرْسِيِّ الْخِلَافَةِ وَازْدِلَافًا إِلَى اللَّهِ بِحِيَاظَةِ الْكَافَّةِ . وَبُدِئَ بِعَمَلِهِ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ» .

### بَابُ الْفَتْوحِ

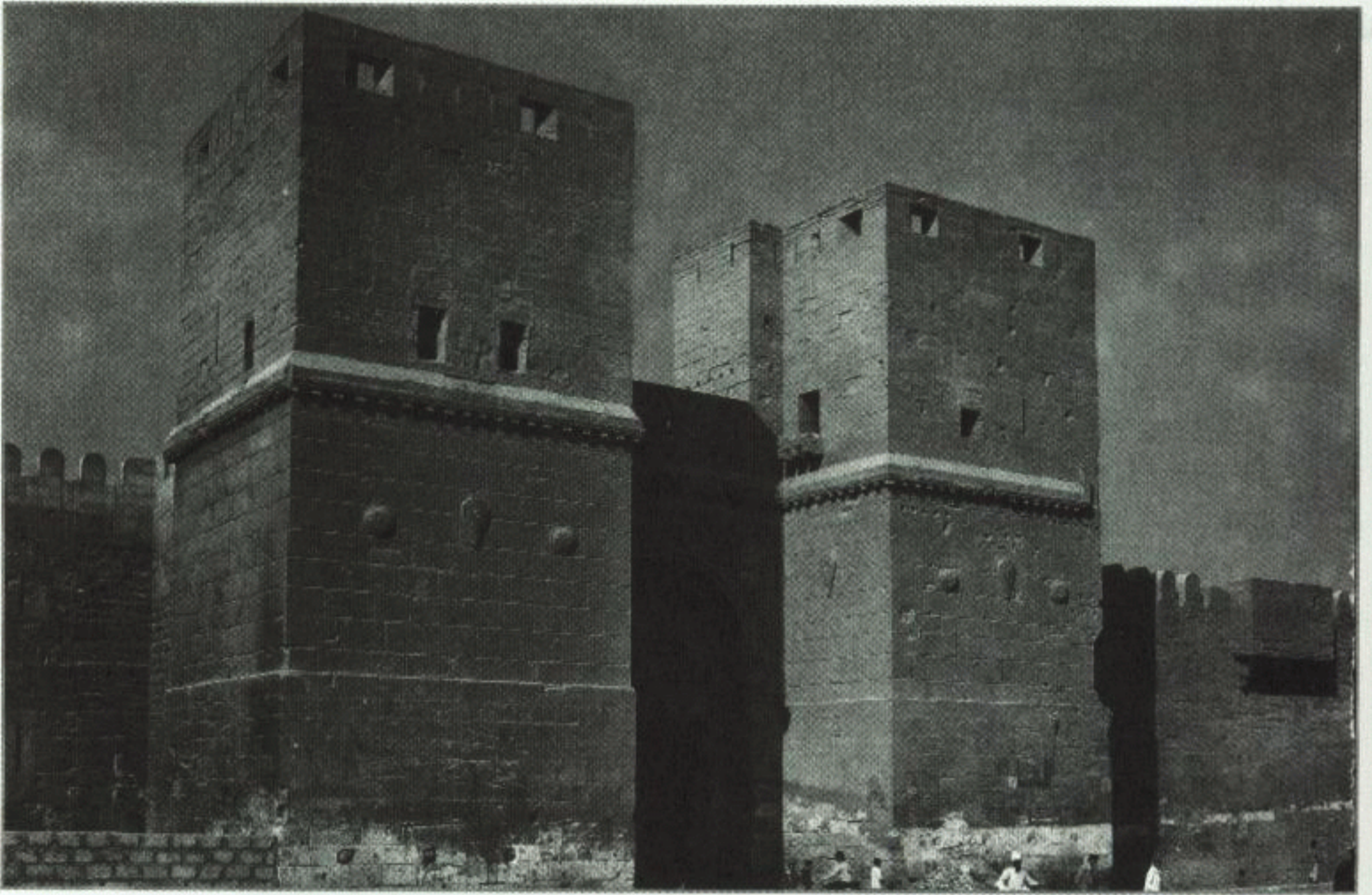
[أثر رقم ٦]

وَضَعَهُ الْقَائِدُ جَوْهَرٌ دُونَ مَوْضِعِهِ الْآنَ ، وَبَقِيَ مِنْهُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا عَقْدُهُ وَعَضَادَتُهُ الْيُسْرَى ، وَعَلَيْهِ أَسْطُرٌ مِنَ الْكِتَابَةِ بِالْكَوْفِيِّ ، وَهُوَ بِرَأْسِ حَارَةِ بَهَاءِ الدِّينِ مِنْ قِبَلِيَّهَا دُونَ جِدَارِ الْجَامِعِ الْحَاكِمِيِّ .

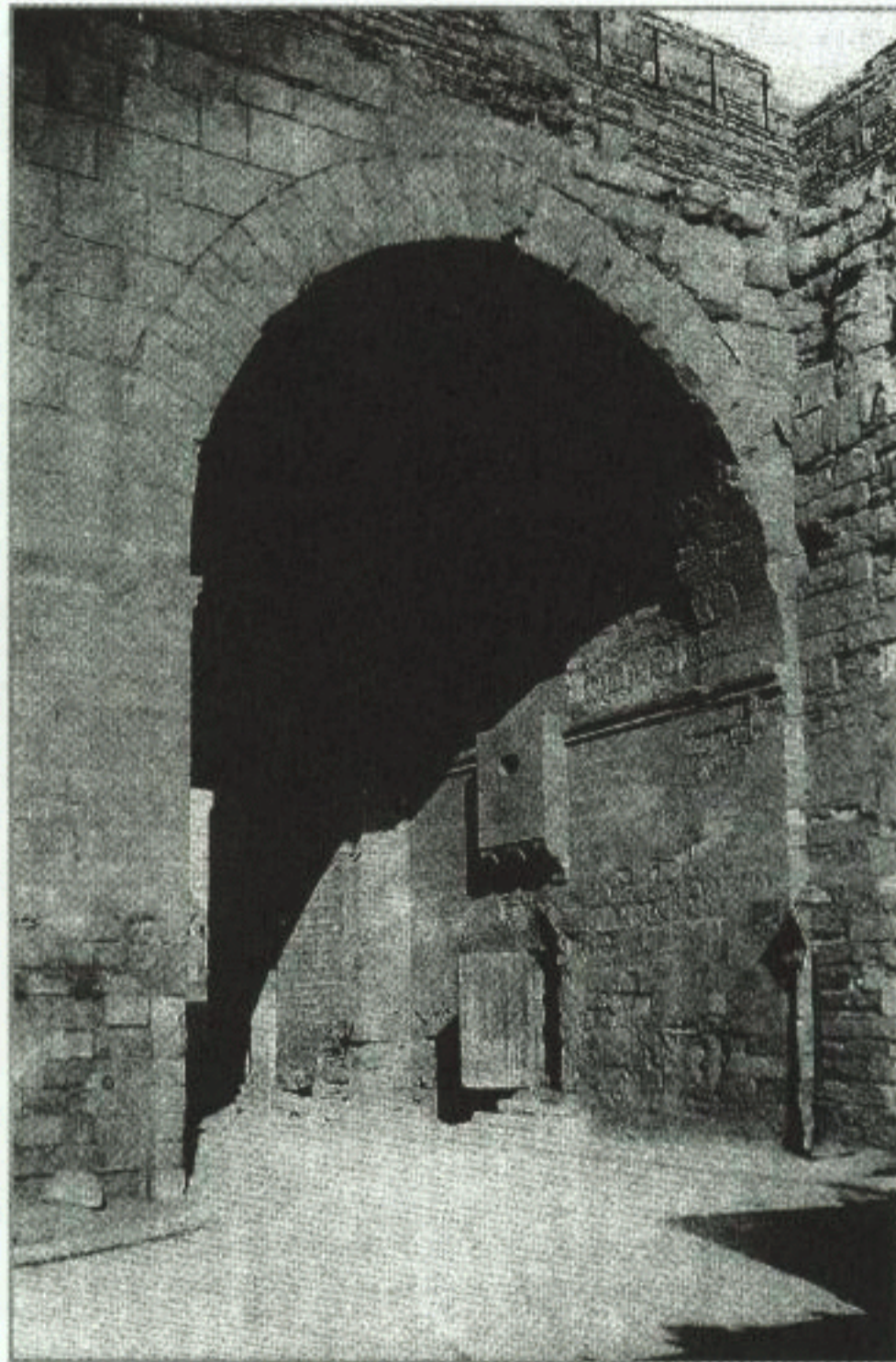
Kay, H.C., «Al-Kahirah and its ذريتهما أجمعين» *JRAS* XIV (1882), p. 38; van Berchem, (M., CIA I, n°34 ، وانظر الصورة .

= بتأسيس الباب داخل إطار مستطيل مكوّن من أربعة أسطر بالخط الكوفي البارز والسطر الرابع خارج الإطار ونصّها «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، مُحَمَّدٌ رُسُولُ اللَّهِ عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى الْأَيْمَةِ مِنْ





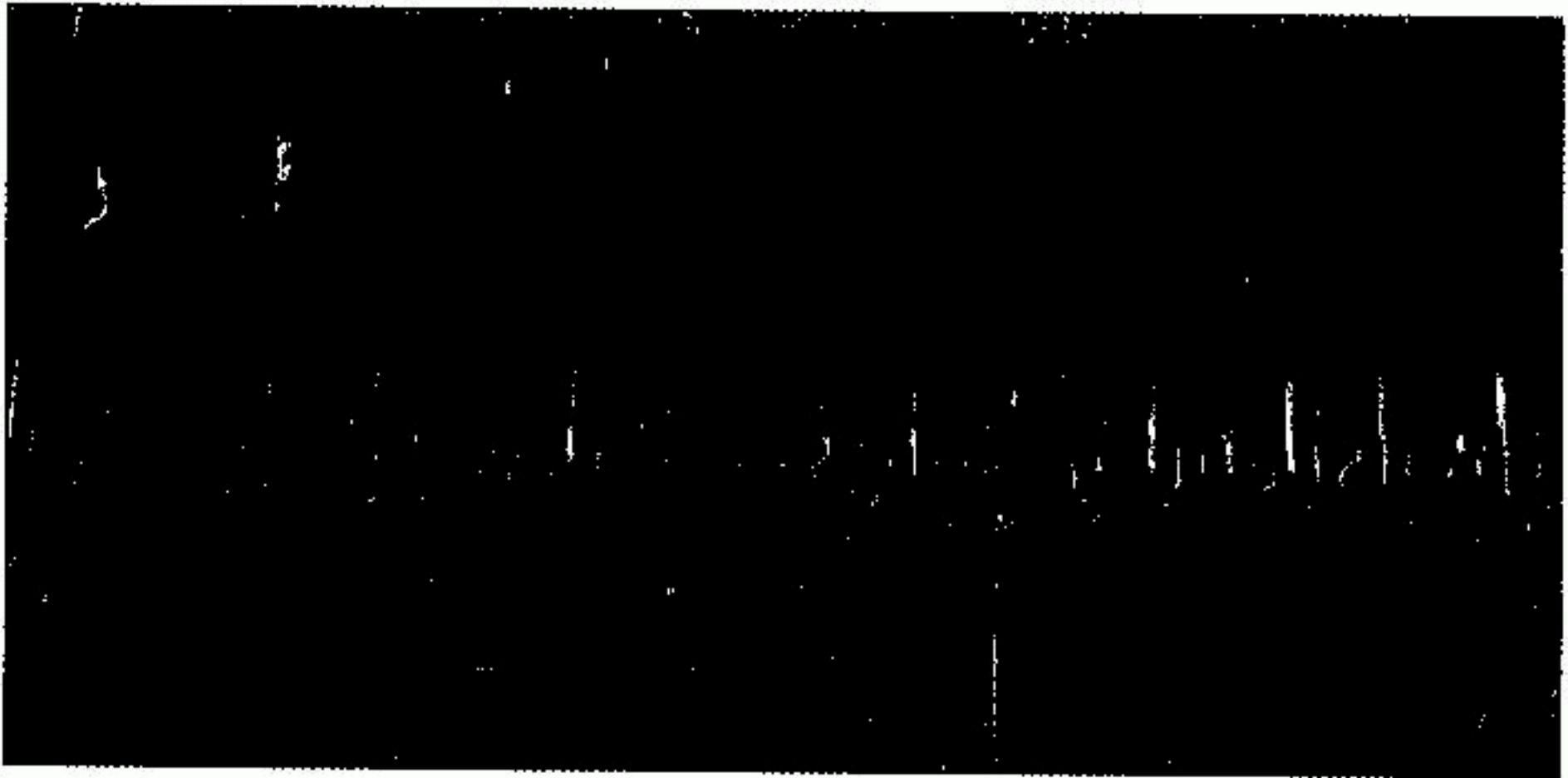
باب النصر الذي شيّده بَدْر الجمالي سنة ٤٨٠ هـ



باب النصر ، ظهر الباب



وأما الباب المعروف اليوم بباب الفُتوح ، فإنه من وَضَع أمير الجيُوش ، وبين يديه بأشورة قد رَكِبها الآن النَّاسُ بالبُنيان لما عُمِّرَ ما خَرَجَ عن باب الفُتوح<sup>١</sup> .



جزء من النص الإنشائي لباب الفُتوح

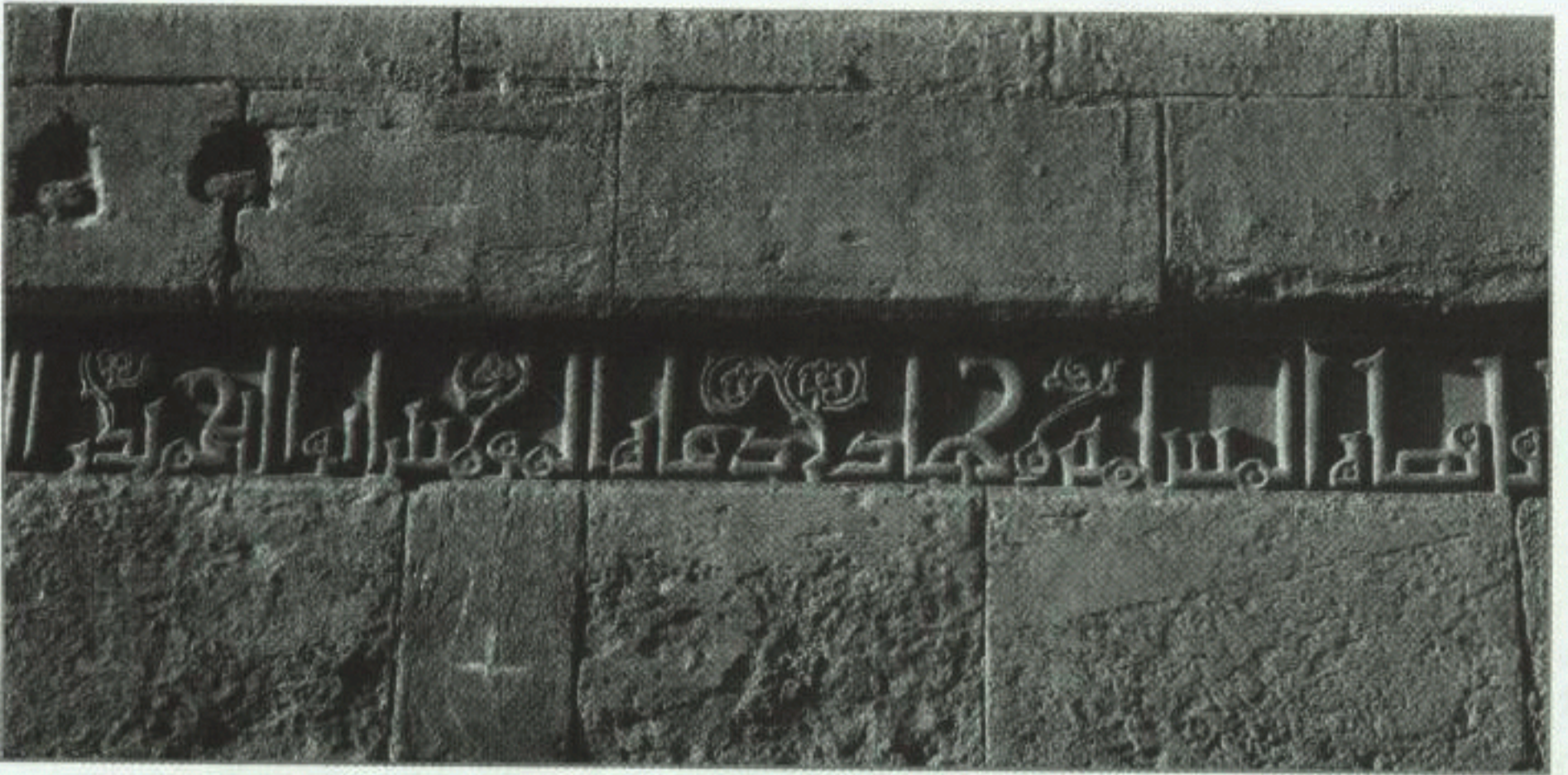
[النص التأسيسي لباب الفُتوح (الإقبال)]

«بِسْمِ اللَّهِ . لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وحده لا شريك له ، مُحَمَّدٌ رسولُ اللَّهِ ، عليٌّ وليُّ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عليهما وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتِهما أجمعين [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] .. بَعَزَ اللَّهُ العَزِيزُ الجَبَّارُ يُحَاطُ الإسلامُ وتُنشَأُ المعاقِلُ والأسوار . رأى إنشاء هذا باب الإقبال والشور المحيط بالمعزية القاهرة المحروسة حماها الله فتي مولانا وسيدنا معذ أبي تميم الإمام المُسْتَنْصِرِ بالله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، السيد الأجل أمير الجيُوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين أبو النجم بدر المُسْتَنْصِرِ عَضَدَ اللَّهُ به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قُدْرَتَهُ وأعلى كَلِمَتَهُ ، الذي حَصَّنَ اللَّهُ بحُسن تَدْبِيرِهِ الدُّوْلَةَ والأنام ، وشَمِلَ صَلَاحُهُ بإذن الله تعالى الخاصَّ والعامَّ ، وابتغاء ثواب الله ورضوانه وطلب فضله وإحسانه وصيانة كُرْسِيِّ الخِلافة . وازدلاقاً إلى الله بحياطة الكافة . وبدئ بعمله في محرم سنة ثمانين وأربع مائة للهجرة الحنيفة ، وصَلَّى اللَّهُ على سيدنا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ وعلى آله الأئمة الطاهرين وسلَّم تسليمًا إلى يوم الدين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل» [ .

<sup>١</sup> مازال باب الفُتوح الذي أقامه بدر الجمالي سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م موجودًا ، وأطلقت عليه الكتابة التاريخية الخاصة بالنص التأسيسي اسم «باب الإقبال» ، وهي كتابة بالقلم الكوفي البارز على الرخام ارتفاعها ٣٤سم ، وممتدة على ٥٨,٩٢مترًا طوليًا تبدأ مباشرة من على الحائط الملاصق لشرق الباب وتنتهي على الواجهة الشمالية للتوء الذي يدعم الباب .



وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح ، فإنه من وضع أمير الجيوش ، وبين يديه بأشورة قد ركبها الآن الناس بالبنيان لما عمّر ما خرّج عن باب الفتوح<sup>١</sup> .



جزء من النصّ الإنشائي لباب الفتوح

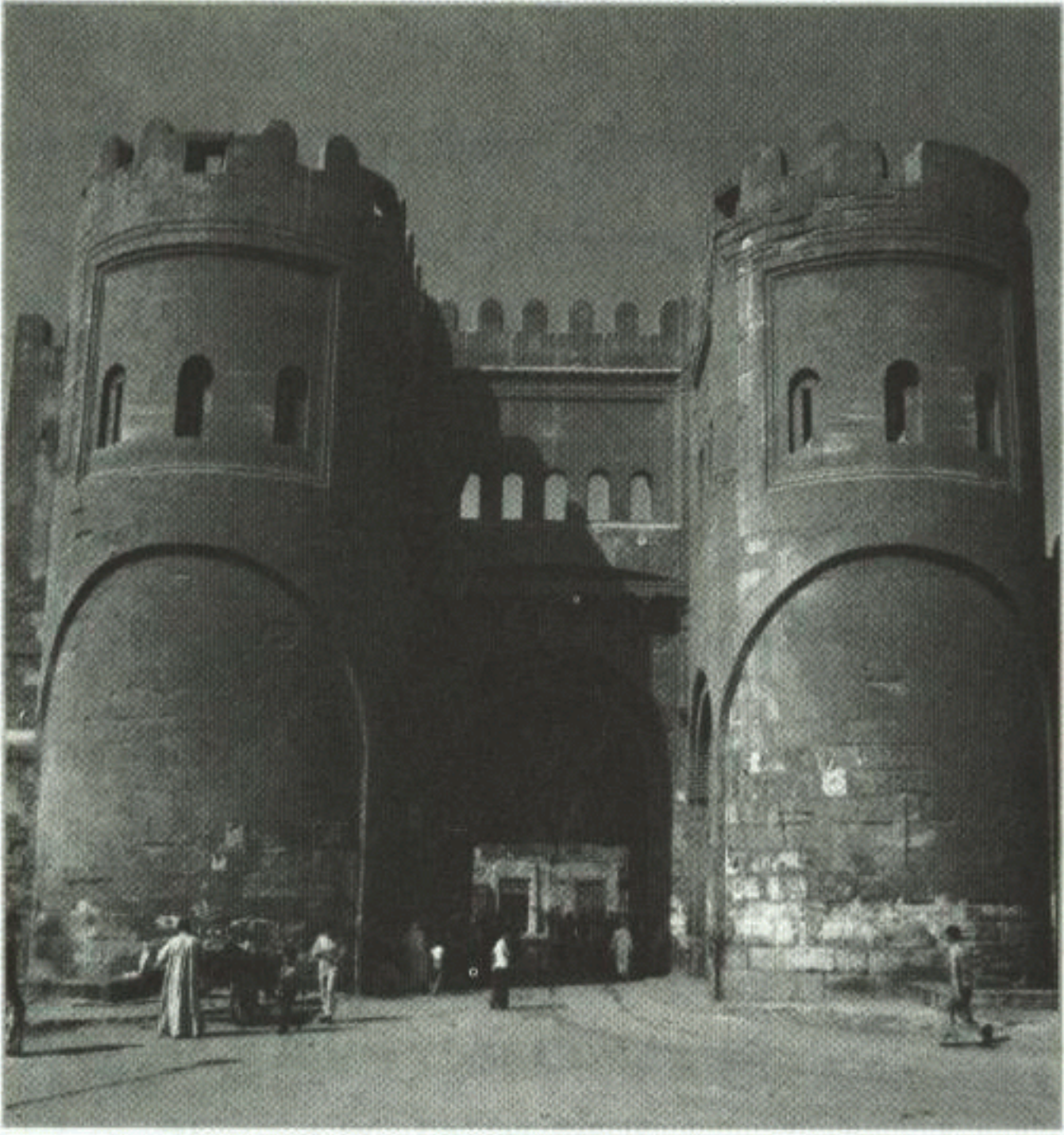
[النصّ التأسيسي لباب الفتوح (الإقبال)]

«بسملة . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، محمّد رسول الله ، عليّ وليّ الله ، صلّى الله عليهما وعلى الأئمة من ذرّيتهما أجمعين [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] - بعزّ الله العزيز الجبار يحاط الإسلام وتُنشأ المعاقيل والأسوار . رأى إنشاء هذا باب الإقبال والشور المحيط بالمعزية القاهرة المحروسة حماها الله فتى مولانا وسيدنا معدّ أبي تميم الإمام المُستنصر بالله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، السيّد الأجلّ أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دُعاة المؤمنين أبو النّجم بدر المُستنصر عَضدَ الله به الدّين وأمتّع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قُدْرته وأعلى كَلِمته ، الذي حصّن الله بحُسن تدييره الدّولة والأنام ، وشملَ صلاحه بإذن الله تعالى الخاصّ والعام ، وابتغاء ثواب الله ورضوانه وطلبَ فضله وإحسانه وصيانة كُرسي الخِلافة . وازدِلَافاً إلى الله بحِياطة الكافّة . وبدى بعمّله في محرّم سنة ثمانين وأربع مائة للهجرة الحنيفية ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد النّبِيّ وعلى آله الأئمّة الطاهرين وسلّم تسليمًا إلى يوم الدّين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل» [ .

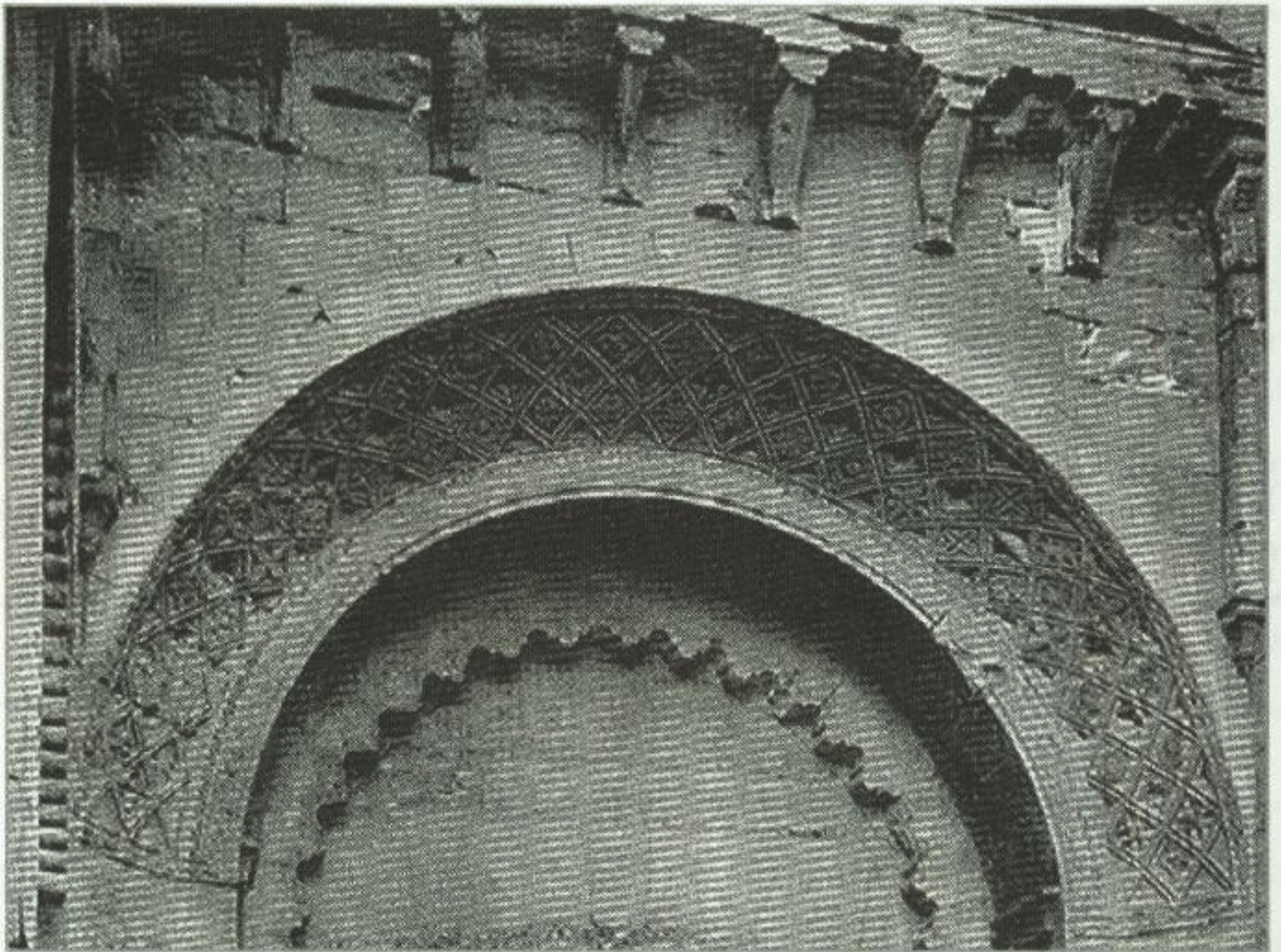
<sup>١</sup> مازال بابُ الفتوح الذي أقامه بدر الجمالي سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م موجودًا ، وأطلقت عليه الكتابة التاريخية الخاصة بالنص التأسيسي اسم «باب الإقبال» ، وهي كتابة بالقلم الكوفي البارز على الرخام ارتفاعها ٣٤سم ، وممتدة على ٥٨,٩٢م طولًا تبدأ مباشرة من على الحائط الملاصق لشرق الباب وتنتهي على الواجهة الشمالية للتوء الذي يدعم الباب .



أبواب القاهرة - باب الفتوح



باب الفتوح الذي شيده بَدْرُ الجَمَالِي سنة ٤٨٠ هـ



تفاصيل من زخرفة باب الفتوح



أمير الجيوش أبو النجم بذر الجمالي : كان مملوكاً أرمنياً لجمال الدولة بن عمّار ، فلذلك عُرف بالجمالي ، وما زال يأخذ بالجدّ من زمن شببته<sup>(a)</sup> فيما يُباشره ، ويوطن نفسه على قوّة العزم ، ويتنقل في الخدم حتى وليّ إمارة دمشق من قبل المُستنصر في يوم الأربعاء ثالث عشرين ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وأربع مائة<sup>١</sup> .

ثم سار منها كالهارب في ليلة الثلاثاء لأربع عشرة خلّت من رجب سنة ست وخمسين ، ثم وليها ثانياً يوم الأحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين ، فبلغه قتل ولده في<sup>(b)</sup> شعبان بعشقلان ، فخرج في شهر رمضان سنة ستين وأربع مائة ، فنار العسكر وأحرقوا<sup>(c)</sup> قصره ، وتقلد نيابة عكا .

فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن ، والأحوال بالحضرة قد فسدت ، والأمور قد تغيرت ، وطوائف العسكر قد شعبت ، والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الأمر والنهي ، والرجاء قد أيس منه ، والصلاخ لا مطمع فيه ، ولوامة قد ملكت الرّيف ، والصعيد بأيدي العبيد ، والطرق قد انقطعت برّاً وبحراً إلا بالخفارة الثقيلة .

فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان ، كتب المُستنصر إليه يستدعيه ليكون المتولي لتدبير دولته ، فاشترط أن يُحضّر معه من يختاره من العساكر ، وأن<sup>(b)</sup> لا يُتقي أحداً من عسكر مصر ، فأجابهُ المُستنصر إلى ذلك .

فاستخدم معه عسكراً ، وركب البحر من عكا في أوّل كانون ، وسار بمائة مركب ، بعد أن قيل له إنّ العادة لم تجر بركوب البحر في الشتاء لهيجانه وخوف الثلّف ، فأبى عليهم وأقلع ، فتمادى الصخو والشكون مع الريح الطيبة مُدة أربعين يوماً ، حتى كثر التعجب من ذلك ، وعُدّ من سعادته .

فوصل إلى تيّس ودمياط ، واقترض المال من تجّارها ومباشريها<sup>(d)</sup> ، وقام بأمر ضيافته وما يحتاج إليه من الغلال سلیمان اللواتي كبير أهل البحيرة . وسار إلى قليوب فنزل بها وأرسل إلى المُستنصر

(a) بولاق : سبيه . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : أخرجوا . (d) بولاق : مياسيرها .

<sup>١</sup> ابن القلانسي : ذيل ٩١ - ٩٢ ، ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٣٠ ، ابن ميسر : أخبار ٢٨ ، النويري : نهاية ٢٨ : ٢٣٢ ،

المقريزي : اتعاظ ٢ : ٢٦٨ ، ابن حجر : رفع الإصر ٩١ .



يقول : لا أدخل مصر<sup>(a)</sup> حتى تقبض على بلدكوش - وكان أحد الأمراء ، وقد استبد<sup>(b)</sup> على المستنصر بعد قتل ابن حمدان - فبادر المستنصر وقبض عليه واعتقله بخزانة البثود .

فقدِمَ بدرٌ عشيّة الأربعاء ، ليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة خمس وستين وأربع مائة ، فتهيأ له أن قبض على جميع أمراء الدولة . وذلك أنه لما قدِم لم يكن عند الأمراء علم من استدعائه ، فما منهم إلا من أضافه وقدم إليه ، فلما انقضت نوبتهم في ضيافته ، استدعاهم إلى منزله في دعوة<sup>(c)</sup> صنعها لهم ، وبیت مع أصحابه أن القوم إذا جنّهم<sup>(d)</sup> الليل فإنهم لابد يحتاجون إلى الخلاء ، فمن قام منهم إلى الخلاء يُقتل هناك ، ووكل بكل واحد واحدًا من أصحابه ، وأنعم عليه بجميع ما يتركة ذلك الأمير من دارٍ ومالٍ وإقطاع وغيره . فصار الأمراء إليه ، وظلّوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين ، فما طلع ضوء النهار حتى استولى أصحابه على جميع دور الأمراء ، وصارت رؤوسهم بين يديه .

فقويت شوكته ، وعظم أمره ، وخلع عليه المستنصر بالطيّلسان المقور ، وقلده وزارة السيف والقلم ، فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده ، وزيد في ألقابه «أمير الجيوش ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين» ، وتتبع المفسدين فلم يبق منهم أحدًا حتى قتله ، وقتل من أمثال المصريين وقضائهم ووزرائهم جماعة .

ثم خرج إلى الوجه البحري ، فأشرف في قتل من هنالك من لوائه ، واستنصف أموالهم ، وأزاح المفسدين وأفناهم بأنواع القتل ، وصار إلى البرّ الشرقي فقتل منه كثيرًا من المفسدين . ونزل إلى الإسكندرية ، وقد ثار بها جماعة مع ابنه الأوحّد ، فحاصرها أيامًا من المحرم سنة سبع وسبعين وأربع مائة إلى أن أخذها عنوة ، وقتل جماعة ممن كان بها ، وعمّر بها<sup>(e)</sup> جامع العطارين من مال المصادرات ، وفرغ من بنائه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربع مائة<sup>(f)</sup> .

(a) بولاق : إلى مصر . (b) بولاق : اشتد . (c) بولاق : أجنهم . (d) ساقطة من بولاق .

«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِنَّمَا يَتَمَنَّاهُ وَمَسْجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية ١٨ سورة التوبة] . ثم أمر بإنشائه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري =

١ ابن ميسر : أخبار مصر ٤٦ ؛ التويري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢٣٨ ؛ المقرئبي : اتعاظ الخفا ٢ : ٣٢١ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١١٩ ، ١٢٠ . ولم بين بدر الجمالي هذا الجامع وإنما جدده وأشار إلى ذلك في لوحة تاريخية مثبتة الآن في قاعدة المنارة على يسار الداخل من الباب البحري الشرقي ونصها :



ثم سارَ إلى الصَّعيد ، فحاربَ جُهَيْنَةَ والثَّعَالِبَةَ ، وأفنى أكثرهم بالقتل ، وغنمَ من الأموال ما لا يُعرف قدره كثرةً فانصَلَحَ<sup>(a)</sup> به حالُ الإقليم بعد فسادِه .

ثم جَهَّزَ العساكِرَ لمحاربة البلاد السَّامِيَةِ ، فسارت إليها غير مرَّة وحاربت أهلها ، ولم يظفر منها بطائل ، واستناب ولده شاهنشاه وجعله وليَّ عهده .

فلما كان في سنة سبع وثمانين وأربع مائة ، مات في ربيع الآخر ، وقيل في جمادى الأولى منها . وقد تحكَّم في مصر تحكُّم الملوك ، ولم يتيق للمُستَنصِرِ معه أمرٌ ، واستبدَّ بالأمور فضبَّطها أحسن ضبُّط . وكان شديدَ الهيبة ، وافتر الحُرْمَةَ ، مخوف السُّطُوَّة . قتلَ من مصر خلائِقَ لا يُحصيها إلا خالقُها ، منها أنه قتلَ في يومٍ<sup>(b)</sup> من أهل البُحَيْرَةِ نحو العشرين ألف إنسان ، إلى غير ذلك من أهل دِمياط والإسكَنْدَرِيَّة والغَزِيَّة والشَّرْقِيَّة وبلاد الصَّعيد وأسوان وأهل القَاهِرَةِ ومصر - إلا أنه عمَّر البلاد ، وأصلَحَها بعد فسادِها وخرابِها بإتلاف المُفسِدِينَ من أهلها . وكان له يومَ مات نحو الثمانين سنة .

وكانت له مَحاسِنُ منها أنه أباخ الأرض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفَّعت<sup>(c)</sup> أحوالُ الفلَّاحِينَ واستغَنَوْا في أيَّامِه ، ومنها حُضُور التُّجَّارِ إلى مصر لكثرة عدله بعد انتزاجهم منها في أيام الشُّدَّة ، ومنها كثرة كَرَمِه .

وكانت مُدَّةُ أيَّامِه بمصر إحدى وعشرين سنة ، وهو أوَّلُ وُزراء الشُّيُوف الذين حَجَّروا على الخُلَفَاءِ بِمِصْرَ .

ومن آثاره الباقية بالقاهرة : بابُ زَوِيَلَةَ ، وبابُ الفُتُوح ، وبابُ النَّصْرِ<sup>١</sup> .

(a) بولاق : فصلح . (b) في يوم : ساقطة من بولاق . (c) بولاق : ترفعت .

أقدم العصور إلى الوقت الحاضر» ، المجلة التاريخية المصرية ٢ (أكتوبر ١٩٤٩) ، (٢١٦-٢١٧) .

١ لم يذكر المقرئ باب البرقية (باب التوفيق) من بين منشآت بدر الجمالي رغم وجود لوحة تذكارية تفيد بناء بدر الجمالي له في المحرم سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م . (فيما يلي ٢٨٣) ، وعن بقية منشآت بدر الجمالي انظر ، Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 431-53.

= عند حلول ركابه بشفرة الإسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خرابًا ، فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفًا إلى الله تعالى ، وذلك في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وأربع مائة . (van Berchem, M., CIA I, n°518; Wiet, G.) . «Nouvelles inscriptions fatimides», BIE XXIV (1941-42), pp. 147-48; id., RCEA, VIII, n° 2745 حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١ : ٦٧ ؛ جمال الدين الشيال : «الإسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها من



وقام من بعده بالأمر ابنه شاهنشاه الملقَّب بالأفْضَل ابن أمير الجيوش ، وبإيئه الأفْضَل عادت<sup>(a)</sup> أبهةُ الخِلافة<sup>(b)</sup> الفاطمية بعد تلاشي أمرها ، وعمَّرت الدِّيَارُ المصرية بعد خرابها واضمحلال أحوال أهلها<sup>١</sup> .

وأظنه هو الذي أختبر عنه المعزُّ فيما تقدَّم من حكاية جوهَر عنه ، فإنه لم يتفق ذلك لأحد من رجال دولتهم غيره<sup>٢</sup> ، ﴿وَاللَّهِ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآيات ٢١٦ ، ٢٣٢ سورة البقرة] .

### باب القنطرة

عُرِفَ بذلك لأنَّ جوهراً القائد بنى هناك قنطرةً فوق الخليج الذي بظاهر القاهرة ، ليمشي عليها إلى المقس عند مسير/ القرامطة إلى مصر في شوال سنة ستين وثلاث مائة<sup>٣</sup> .

### باب الشَّعْرِيَّة

١٠ يُعْرَفُ بطائفة من البربر يُقال لهم بنو الشَّعْرِيَّة ، هم ومزانة وزيارة وهوارة من أخلاف لواتة الدين نزلوا بالمنوفية .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الخلفاء .

Dadoyan, S. B., *The Fatimid Armanians* pp. 106-27؛ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٠٩-٢١٩ ، ٢١٩ ، ٣٢١-٣٢٢ ؛ وفيما يلي ٤٤٣ - ٤٤٤ .

<sup>٢</sup> فيما تقدم ٢٥٩ .

<sup>٣</sup> لم يُحدِّد المقرئ موضع هذه الأبواب ولا شكل عمارتها أو ما عليها من كتابات ، وفَقَلَ المقرئ الشيء نفسه عند ذكره لكثير من المساجد والمدارس والخوانق حيث يكتفي بذكر تاريخ إنشائها واسم منشئها وظروف بنائها ، دون التعرُّض لوصفها المعماري! ولولا أنَّ أبواب النُصْر والفُتُوح وزويلة مازالت باقية إلى الآن ما كان يُمكننا تحديد موضعها بدقة ، اعتمادًا على أوصاف المقرئ .

<sup>١</sup> راجع أخبار بئر الجمالي وسيرته وألقابه وما جدَّده من إنشآت وما أدخله من إصلاحات أطالت عمر الدولة الفاطمية لنحو مائة عام أخرى عند ، ابن الصيرفي : الإشارة ٩٤-٩٧ ؛ ابن ميسر : أخبار ٣٩-٥٤ ؛ ابن خلكان : وفيات ٤٤٨:٢-٤٥٠ ؛ النويري : نهاية ٢٣٤:٢٨-٢٣٦ ؛ المقرئ : المقفى الكبير ٢:٣٩٤-٤٠٢ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ٩١ - ٩٦ ، وانظر السجلات المستنصرية سجل رقم ٢٠ ، ٣٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ؛ وراجع أيضًا ، المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي Wiet, G., *CIA Égypte II*, pp. 132-٢٧١ ؛ 158; Becker, C.H., *El<sup>2</sup> art. Badr al-Djamâlî I*, p. 894; Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 365-453;



## بَابُ سَعَادَةَ

عُرِفَ بِسَعَادَةَ بْنِ حَيَّانَ غُلَامَ الْمُعِزِّ لَدِينِ اللَّهِ ، لِأَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ بَعْدَ بِنَاءِ الْقَائِدِ جَوْهَرَ الْقَاهِرَةَ نَزَلَ بِالْحِيْزَةِ ، وَخَرَجَ جَوْهَرًا إِلَى لِقَائِهِ ، فَلَمَّا عَايَنَ سَعَادَةَ جَوْهَرًا تَرَجَّلَ وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي رَجَبِ سَنَةِ سِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، فَدَخَلَ إِلَيْهَا مِنْ هَذَا الْبَابِ فَعُرِفَ بِهِ وَقِيلَ لَهُ : بَابُ سَعَادَةَ .

وَوَافَى سَعَادَةَ هَذَا إِلَى <sup>(a)</sup> الْقَاهِرَةَ بِجَيْشٍ كَبِيرٍ مَعَهُ . فَلَمَّا كَانَ فِي سُؤَالِ سَيْرِهِ جَوْهَرًا فِي عَسْكَرِ مُجَرَّدٍ <sup>(b)</sup> عِنْدَ وُرُودِ الْخَبَرِ مِنْ دِمَشْقَ بِمَجِيءِ الْحَسَنِ <sup>(c)</sup> بْنِ أَحْمَدَ الْقَرْمَاطِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْأَعْصَمِ ، إِلَى الشَّامِ ، وَقَتَلَ جَعْفَرَ بْنَ فَلَاحٍ . فَسَارَ سَعَادَةُ يُرِيدُ الرَّمْلَةَ فَوَجَدَ الْقَرْمَاطِيَّ قَدْ قَصَدَهَا ، فَانْحَازَ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى يَافَا وَرَجَعَ إِلَى مِصْرَ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الرَّمْلَةَ ، فَمَلَكَهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ الْقَرْمَاطِيُّ ، فَفَرَّ مِنْهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَبِهَا مَاتَ لِحَمِيٍّ بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَخَضَرَ جَوْهَرًا جَنَازَتَهُ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرَ مُسْلِمًا ، وَكَانَ فِيهِ يَزُّ وَإِحْسَانٌ <sup>١</sup> .

## بَابُ الْفَرَجِ <sup>(a)</sup>

(a) ساقطة من بولاق ، وتوجد فقط في أباصوفيا . (b) بولاق : مجر . (c) بولاق : الحسين .

<sup>٢</sup> لم يُخَصَّصَ الْمُقْرِيزِيُّ أَيَّ وَصْفٍ لِبَابِ الْفَرَجِ وَتَرَكَ بَعْدَهُ بِيَاضًا مِثْلَمَا فَعَلَ مَعَ بَابِ الْبَرِيَّةِ ، وَالْأَسْمَ سَاقِطَةً مِنْ عَائِلَةِ التُّسَخِ الَّتِي اعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا طَبْعَةُ بُولَاقٍ . وَمَا ذَكَرَهُ الْمُقْرِيزِيُّ فِي أَمَاكِنٍ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ كِتَابِهِ عَنْ هَذَا الْبَابِ لَا يُمَكِّنُ مِنْ تَحْدِيدِ مَوْضِعِهِ بِطَرِيقَةِ قَاطِعَةٍ ، يَقُولُ : «وَكَانَ فِيمَا بَيْنَ بَابِ سَعَادَةَ وَبَابِ الْخَوْجَةِ وَبَابِ الْفَرَجِ وَبَيْنَ الْخَلِيْجِ فِضَاءً» ، (فِيمَا تَقْدَمُ ٢٢١ ، ٢٦٧) ، وَعِنْدَ ذِكْرِهِ لِحِطِّ تَحْتِ الرَّبِيعِ خَارِجَ بَابِ زُوَيْلَةَ قَالَ : إِنَّهُ فِيمَا بَيْنَ بَابِ زُوَيْلَةَ وَبَابِ الْفَرَجِ (فِيمَا يَلِي ٢ : ٣٧٩) ، وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ ثَالِثٍ : «وَفِي نِصْفِ جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةٍ ابْتَدَى بِهَدْمِ السُّورِ الْحَجَرِيِّ فِيمَا بَيْنَ بَابِ زُوَيْلَةَ وَالْكَبِيرِ وَبَابِ الْفَرَجِ» (فِيمَا تَقْدَمُ ٢٦٤) . فَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا الْبَابَ كَانَ يَقَعُ فِي الرُّكْنِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ لِلسُّورِ .

<sup>١</sup> انظر خير سعادة بن حيان والباب المنسوب إليه عند المقرئزي : اتعاط الحنفا ١ : ١٣٠ ، Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination fatimide*, pp. 60-61; Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, p. 160. تَهْدُمُ بَابَ سَعَادَةَ وَالخَرْقَ سَنَةَ ١١٣٥ هـ / ١٧٢٣ م وَأَعَادَ بِنَاءَهُ أَحْمَدُ جُرْجَانِيُّ بْنُ يُوْسُفَ أَغَا مِنْ مَالِهِ ، وَفَرَّغَ مِنْ بِنَائِهِ ثَالِثَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ١١٣٥ هـ (أَحْمَدُ شَلْبِي عِبْدُ الْغَنِيِّ : أَوْضَحَ الْإِشَارَاتِ فِيمَنْ تَوَلَّى مِصْرَ الْقَاهِرَةَ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَالْبَاشَاتِ ، تَحْقِيقُ عِبْدِ الرَّحِيمِ عِبْدِ الرَّحْمَنِ ، الْقَاهِرَةَ ١٩٧٨ ، ٣٧٦) . وَزَالَ كُلُّ أَثَرٍ لِهَذَا الْبَابِ سَنَةَ ١٩٦٠ عِنْدَمَا بَنِيَتْ فِي مَوْضِعِهِ وَمَا خَلْفَهُ مَدِيرِيَّةُ أَمْنِ الْقَاهِرَةِ الْحَالِيَّةِ فِي مِيدَانِ أَحْمَدَ مَاهِرَ (بَابِ الْخَلْقِ) .



## الْبَابُ الْمَحْرُوقُ

- كان يُعْرَفُ أَوْلَا<sup>(a)</sup> بِيَابِ الْقَرَّاطِينَ ، فَلَمَّا زَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي أَيُّوبَ ، وَاسْتَقْبَلَ بِالْمُلْكِ الْمَلِكُ الْمُعِزُّ عِزُّ الدِّينِ أَيُّوبُ التُّرْكُمَانِيُّ - أَوَّلُ مِنْ مَلِكٍ مِنَ الْمَمَالِكِ بِسُلْطَنَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ<sup>(b)</sup> فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ - كَانَ حَيْثُذِي أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ الْبَحْرِيَّةِ - مَمَالِكِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ - الْفَارِسِ أَقْطَايِ الْجَمْدَارِ ، وَقَدْ اسْتَفْحَلَ أَمْرَهُ ، وَكَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ ، وَنَافَسَ الْمُعِزُّ أَيُّوبَ ، وَتَرَوَّجَ بَابِنَةَ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ صَاحِبِ حِمَاةٍ ، وَبَعَثَ إِلَى الْمُعِزِّ بِأَنْ يَنْزِلَ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَيُخْلِئَهَا لَهُ حَتَّى يَسْكُنَهَا بِأَمْرَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ .
- فَقَلِقَ الْمُعِزُّ مِنْهُ ، وَأَهْمَهُ شَأْنُهُ ، وَأَخَذَ يُدَبِّرُ عَلَيْهِ ، فَفَرَّرَ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ مَمَالِكِهِ أَنْ يَقْفُوا بِمَوْضِعٍ مِنَ الْقَلْعَةِ عَيْنَهُ لَهُمْ ، وَإِذَا جَاءَ الْفَارِسُ أَقْطَايِ فَتَكُونُوا بِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَقَّتِ الْقَائِلَةَ يَسْتَدْعِيهِ لِيُشَاوِرَهُ فِي أَمْرِ مِهِمْ . فَزَكِبَ فِي قَائِلَةَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ حَادِي عَشْرِينَ<sup>(c)</sup> شَعْبَانَ سَنَةِ اِثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ فِي نَفَرٍ مِنْ مَمَالِكِهِ ، وَهُوَ آمِنٌ مَطْمَئِنٌّ بِمَا صَارَ لَهُ فِي الْأَنْفُسِ مِنَ الْحُرْمَةِ وَالْمَهَابَةِ ، وَبِمَا يَتَّقَى بِهِ مِنْ شَجَاعَتِهِ . فَلَمَّا صَارَ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ وَانْتَهَى إِلَى بَابِ<sup>(d)</sup> قَاعَةِ الْعَوَامِيدِ<sup>١</sup> ، عُوقَ مِنْ مَعَهُ مِنَ الْمَمَالِكِ عَنِ الدُّخُولِ مَعَهُ ، وَوَثَبَ بِهِ الْمَمَالِكُ الَّذِينَ أَعَدَّهُمُ الْمُعِزُّ ، وَتَنَاولُوهُ بِالسُّيُوفِ فَهَلَكَ لَوْقَتِهِ ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ الْقَلْعَةِ وَانْتَشَرَ الصَّوْتُ بِقَتْلِهِ فِي الْبَلَدِ .
- فَزَكِبَ أَصْحَابُهُ وَخُشِدَاشِيَّتُهُ<sup>٢</sup> - وَهُمْ نَحْوُ السَّبْعِ مِائَةِ فَارِسٍ - إِلَى تَحْتِ الْقَلْعَةِ ، وَفِي ظَنِّهِمْ أَنَّ الْفَارِسَ أَقْطَايِ لَمْ يُقْتَلَ ، وَإِنَّمَا قَبِضَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ ، وَأَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَهُ حَتَّى يُطَلِّقَهُ لَهُمْ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا بِرَأْسِ الْفَارِسِ أَقْطَايِ وَقَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَلْعَةِ ، فَانْفَضُّوا لَوْقَتِهِمْ ، وَتَوَاعَدُوا عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ

(a) بولاق : قديماً . (b) بولاق : بمملكة مصر . (c) بولاق : حادي عشر . (d) ساقطة من بولاق .

Citadel of Cairo : Stage for Mamluk  
Ceremonial» An. Isl. XXIV (1988), pp. 52-54 .

<sup>٢</sup> خُشِدَاش - خُشِدَاشِيَّةٌ وَيَكْتُبُ أَحْيَانًا خَوْشِدَاش :  
معرب اللفظ الفارسي خوجاتاش أي الزميل في الخدمة . وفي  
مصطلح العصر المماليكي في مصر يعني الأمراء الذين نشأوا  
بممالك عند سيد واحد فنبتت بينهم رابطة الزمالة القديمة  
(المقريزي : السلوك ١ : ٣٨٨-٣٨٩ هـ).

<sup>١</sup> قاعة العواميد (الأعمدة) - إحدى قاعات القلعة  
المخصصة لحاجات السلطان المنزلية وهي القاعة الكبرى ،  
وكانت يرسم نخوند الكبرى . ويرجع أقدم ذكر لها إلى زمن  
السلطانة شجر الدر ، وقد أعاد بنائها الناصر محمد بن  
قلاوون (ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٢٨٦ ؛ أبو المحاسن :  
النجوم ١٢ : ١٤٥ ؛ ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف  
الممالك ٢٦-٢٧ ؛ The Behrens-Abouseif D., «



مصر إلى الشام. وأكابرهم يومئذ يبيزس البندقداري، وقلاوون الألفي، وسنقر الأشقر، ويتسري، وسكز<sup>(a)</sup>، وبرامق. فخرجوا في الليل من بيوتهم بالقاهرة إلى جهة باب القراطين - ومن العادة أن تغلق أبواب القاهرة بالليل - فألقوا النار في الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه، فقبل له من ذلك الوقت «الباب المحروق»، وعرف به<sup>١</sup>. وأما القوم فإنهم ساروا إلى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام، فقبلهم وأنعم عليهم، وأقطعهم إقطاعات، واستكثر بهم<sup>٢</sup>.

وأصبح المعز وقد علم بخروجهم إلى الشام، فأوقع الخوطة على جميع أموالهم ونسائهم وأولادهم وعامة تعلقاتهم وسائر أسبابهم، وتتبعهم ونادى عليهم في الأسواق بطلب البحرية، وتحذير العامة من إخفائهم، فصار إليه من أموالهم ما ملأ عينيه<sup>(b)</sup>.

واستمرت البحرية في الشام إلى أن قتل المعز أيتك، وخلع ابنه المنصور، وتسلطن الأمير قطز، فترجعوا في أيامه إلى مصر، وآلت أحوالهم إلى أن تسلطن منهم يبيزس وقلاوون، ولله عاقبة الأمور<sup>٣</sup>.

### باب البرقية

(c) ... .. ٤

(a) بولاق : سكر . (b) بولاق : عينه . (c) على هامش آياصوفيا : يياض بقدر سبعة أسطر .

<sup>١</sup> ظن محمد رمزي بك أن مكان باب المحروق بسور القاهرة الشرقي على رأس درب المحروق داخل شارع فاطمة النبوية بالدرب الأحمر (أبو المحاسن : النجوم ٩ : ١٨٧ هـ)، ولكنه بعد مناقشة هذا الموضوع مع الأستاذ كريزويل مال إلى أن الباب الذي اشتهر باسم الباب المحروق لا يتجاوز عرضه متراً وأنه ليس من أبواب المدينة، بل إنه فتحة من فتحات برج كبير مثل برج الظفر، وأن هذه الفتحة لم تستعمل للمرور بل للدفاع، وعلى ذلك فإن الباب المحروق لم يكن على رأس درب المحروق عند البرج رقم ١٧، بل مكانه بين البرجين رقم ١٣ و ١٤ من أبراج سور القاهرة الشرقي وأن هذا الباب هدم وسد مكانه من قديم ببناء يختلف شكلاً ونوعاً عن البناء القديم، فتكون الطريق التي كانت توصل من هذا الباب إلى داخل المدينة تنج من الباب المذكور إلى الرحبة الواقعة الآن أمام جامع أضلم البهائي،

على رأس درب شغلان بقسم الدرب الأحمر (نفسه ١١ : ٨٨ هـ)؛ وانظر فيما تقدم ٢٦٦ هـ<sup>١</sup>.

<sup>٢</sup> انظر فيما تقدم ١ : ٥٨٠.

<sup>٣</sup> انظر ابن أبي الفضائل : النهج السديد (PO XII, p. 592, (1919))؛ المقرئزي : السلوك ١ : ٣٩٠ - ٣٩١؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١/١ : ٢٩١ - ٢٩٢، وانظر فيما تقدم ١ : ٥٨٠، وفيما يلي ٢ : ٢٣٦ - ٢٣٧.

<sup>٤</sup> من الغريب أن لا يخصص المقرئزي أي وصف لباب البرقية (باب التوفيق)، فالقسم المخصص له ظل شاغراً في جميع نسخ الخطط التي رجعت إليها. وقد كشف عن هذا الباب في عام ١٩٥٧ أثناء شق طريق صلاح سالم وشارع المنصورية ويحمل نصاً إنشائياً يرجع بناءه إلى أمير الجيوش بدر الجمالي في المحرم سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م، ويطلق على =





باب البرقية (التوفيق)

## [التصّ التأسيسي لباب البرقية (التوفيق)]

«(١-٢) بِسْمَلَةِ - لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى الْأَيْمَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أَجْمَعِينَ [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] (٣) بَعَزَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ يُحَاطُ الْإِسْلَامُ وَتُنَشَأُ الْمَعَايِلُ وَالْأَسْوَارُ . رَأَى إِنْشَاءَ هَذَا ؛ بَابَ التَّوْفِيقِ وَالسُّورَ الْمُحِيطَ بِالْمُعْجِزَةِ الْقَاهِرَةِ الْمَخْرُوسَةِ حَمَاهَا اللَّهُ فَتَى مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا مَعَدَّ أَبِي تَمِيمِ الْإِمَامِ الْمُسْتَنْصِرِ (٤) بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَيْمَةِ الطَّاهِرِينَ وَأَبْنَائِهِ الْأَكْرَمِينَ ، السَّيِّدِ الْأَجَلِّ أَمِيرِ الْجَيْوشِ سَيِّفِ الْإِسْلَامِ نَاصِرِ الْإِمَامِ كَافِلِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي النَّجْمِ بَدْرِ الْمُسْتَنْصِرِيِّ ، عَضُدِ اللَّهِ بِهِ الدِّينُ ، وَمَتَّعَ بِطُولِ بَقَائِهِ (٥) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ قُدْرَتَهُ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ ، الَّذِي حَصَّنَ اللَّهُ بِحُشْنِ تَدْبِيرِهِ الدَّوْلَةَ وَالْأَنَامَ وَسَمِعِلِ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ ، ائْتِغَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَطَلَبَ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَصِيَانَةَ كُرْسِيِّ الْخِلَافَةِ وَازْدِلَاقًا إِلَى اللَّهِ بِحَيَاةِ الْكَافَّةِ . وَبُدِيَ بِعَمَلِهِ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةِ لِلْهَجْرَةِ الْحَنِيفِيَّةِ» .

يتفق من الباين الشرقيين سوى أشكفة أحد هذين الباين . أما الباب الذي كشف عنه الآن فهو ترميم عميل في زمن الحملة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . (راجع Wiet, G., «Une nouvelle inscription fatimide au Cairo», JA CCXLIX (1961), pp. 13-20; Fu'ad Sayyid, A., (La Capitale de l'Égypte, pp. 418-24

= الباب اسم «باب التوفيق» . ولكن هذا الباب عبارة عن مدخل مقوس بسيط لا توجد به أي بدونات أو أبراج ؛ ويبدو أن هذا كان طبيعة الأبواب التي كانت تفتح في أسوار القاهرة الشرقية والغربية . ويرجع ذلك إلى أن السور الشرقي قد فقد قبل عصر المقريري ، حتى إنه ذكر فيما سبق (٢١٣) أنه لم





باب البرقيّة (التوفيق)

## [النص التأسيسي لباب البرقية (التوفيق)]

«(١-٢) بِسْمَلَةِ - لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى الْأَيْمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أَجْمَعِينَ [الآية ٢٥٦ سورة البقرة] (٣) بِعِزِّ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ يُحَاطُ الْإِسْلَامُ وَتُنشَأُ الْمَعَاوِلُ وَالْأَسْوَارُ . رَأَى إِنْشَاءَ هَذَا ؛ بَابَ التَّوْفِيقِ وَالسُّورَ الْمُحِيطَ بِالْمُعَزِّيَّةِ الْقَاهِرَةِ الْمَخْرُوسَةِ حَمَاهَا اللَّهُ فَتَى مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا مَعَدَّ أَبِي تَمِيمِ الْإِمَامِ الْمُسْتَنْصِرِ (٤) بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَيْمَّةِ الطَّاهِرِينَ وَأَبْنَائِهِ الْأَكْرَمِينَ ، السَّيِّدِ الْأَجَلِّ أَمِيرِ الْجُيُوشِ سَيِّفِ الْإِسْلَامِ نَاصِرِ الْإِمَامِ كَافِلِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي النَّجْمِ بَدْرِ الْمُسْتَنْصِرِيِّ ، عَضَّدَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ ، وَمَتَّعَ بِطَوْلِ بَقَائِهِ (٥) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ قُدْرَتَهُ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ ، الَّذِي حَصَّنَ اللَّهُ بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِ الدَّوْلَةَ وَالْأَنَامَ وَسَمِلَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ ، ائْتِغَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَطَلَبَ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَصِيَانَةَ كُرْسِيِّ الْخِلَافَةِ وَازْدِلَافًا إِلَى اللَّهِ بِحَيَاةِ الْكَافَّةِ . وَبُدِيَ بِعَمَلِهِ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةِ لِلْهَجْرَةِ الْحَنِيفِيَّةِ» .

يتبق من الباين الشرقيين سوى أشكفة أحد هذين الباين . أما الباب الذي كشف عنه الآن فهو ترميم عميل في زمن الحملة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . (راجع Wiet, G., «Une nouvelle inscription fatimide au Caire», JA CCXLIX (1961), pp. 13-20; Fu'ad Sayyid, A., (La Capitale de l'Égypte, pp. 418-24

= الباب اسم «باب التوفيق» . ولكن هذا الباب عبارة عن مدخل مقوس بسيط لا توجد به أي بدنات أو أبراج ؛ ويبدو أن هذا كان طبيعة الأبواب التي كانت تفتح في أسوار القاهرة الشرقية والغربية . ويرجع ذلك إلى أن السور الشرقي قد فقد قبل عصر المقريري ، حتى إنه ذكر فيما سبق (٢١٣) أنه لم



## زَكَرَ قُصُورَ الْخُلَفَاءِ وَمَنَاظِرَهُمْ

### وَالْإِمْلَاعَ بِطَرْفٍ مِنْ مَسَائِرِهِمْ، وَمَا صَارَتْ إِلَيْهِ أَسْمَاءُ مِنْ بَعْدِهِمْ

اعْلَمَ أَنَّهُ كَانَ لِلْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ وَظَوَاهِرِهَا قُصُورٌ وَمَنَاظِرٌ مِنْهَا: «الْقَصْرُ الْكَبِيرُ الشَّرْقِيُّ» الَّذِي وَضَعَهُ الْقَائِدُ/ جَوْهَرٌ عِنْدَمَا أَنَاخَ فِي مَوْضِعِ الْقَاهِرَةِ، وَمِنْهَا: «الْقَصْرُ الصَّغِيرُ الْغَرْبِيُّ»، وَ«الْقَصْرُ النَّافِعِيُّ»، وَ«الْقَصْرُ الذَّهَبِيُّ»، وَ«الْقَصْرُ الْإِقْبَالِيُّ»<sup>(a)</sup>، وَ«الْقَصْرُ الظَّفَرِيُّ»، وَ«الْقَصْرُ الشَّجَرَةُ»، وَ«الْقَصْرُ الشُّوكُ»، وَ«الْقَصْرُ الزُّمْرَدِيُّ»، وَ«الْقَصْرُ النَّسِيمِيُّ»، وَ«الْقَصْرُ الْحَرِيمِيُّ»، وَ«الْقَصْرُ الْبَحْرِيُّ». وَهَذِهِ كُلُّهَا قَاعَاتٌ وَمَنَاظِرٌ مِنْ دَاخِلِ سُورِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ، وَيُقَالُ لَهَا: «الْقُصُورُ الزَّاهِرَةُ»، وَيُسَمَّى مَجْمُوعُهَا «الْقُصُورُ». وَكَانَ بِجِوَارِ الْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ «الْمَيْدَانُ»، وَ«الْبَيْسْتَانُ الْكَافُورِيُّ».

وَكَانَ لَهُمْ عِدَّةٌ مَنَاظِرٍ وَأَدْرُ سُلْطَانِيَّةٍ غَيْرِ هَذِهِ الْقُصُورِ مِنْهَا: «دَارُ الضِّيَافَةِ»، وَ«دَارُ الْوِزَارَةِ الْكَبِيرِ»<sup>(b)</sup>، وَ«دَارُ الْوِزَارَةِ الْقَدِيمَةِ»، وَ«دَارُ الضَّرْبِ»، وَ«الْمَنْظَرَةُ بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ»، وَ«الْمَنْظَرَةُ بِجِوَارِ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ»، وَ«الْمَنْظَرَةُ اللَّوْلُؤَةُ» عَلَى الْخَلِيجِ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ، وَ«الْمَنْظَرَةُ الْغَزَالَةُ»، وَ«دَارُ الذَّهَبِ»، وَ«الْمَنْظَرَةُ الْمَقْسُ»، وَ«الْمَنْظَرَةُ الدُّكَّةُ»، وَ«الْبَغْلُ»، وَ«الْحَمْسُ وَجُوهُ»، وَ«التَّاجُ»، وَ«قُبَّةُ الْهَوَاءِ»، وَ«الْبَيْسَاتِيْنُ الْجِيُوشِيَّةُ»، وَ«الْبَيْسْتَانُ الْكَبِيرُ»، وَ«الْمَنْظَرَةُ الشُّكْرَةُ»، وَ«الْمَنْظَرَةُ ظَاهِرُ بَابِ الْفُتُوحِ»، وَ«دَارُ الْمُلْكِ» بِمَدِينَةِ مِصْرَ، وَ«مَنَازِلُ الْعِزِّ» بِهَا، وَ«الْمَنْظَرَةُ الصَّنَاعَةُ» بِالسَّاحِلِ، وَ«الْمَنْظَرَةُ بِجِوَارِ جَامِعِ الْقَرَّافَةِ الْكَبِيرِ» - الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِجَامِعِ الْأَوْلِيَاءِ - وَ«الْأَنْدُلُسُ» بِالْقَرَّافَةِ، وَ«الْمَنْظَرَةُ بِبِرْكَةِ الْحَبَشِ».

وَسَأَذْكَرُ مِنْ أَسْمَاءِ هَذِهِ الْأَمَاكِينِ فِي مُدَّةِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ حَالُهَا بِحَسَبِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

### الْقَصْرُ الْكَبِيرُ

هَذَا الْقَصْرُ كَانَ فِي الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ، فَلِذَلِكَ يُقَالُ لَهُ: «الْقَصْرُ الْكَبِيرُ الشَّرْقِيُّ»، وَيُسَمَّى «الْقَصْرُ الْمُعْزِيُّ»؛ لِأَنَّ الْمُعْزَّ لِدِينِ اللَّهِ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدًّا هُوَ الَّذِي أَمَرَ عَبْدَهُ وَكَاتِبَهُ جَوْهَرًا

(a) بولاق : الأقيال . (b) ساقطة من بولاق .



بينائه حين سَيَّرَهُ مِنْ رَقَادَةٍ - أَحَدَ بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةٍ - بِالْعَسَاكِرِ إِلَى مِصْرَ وَأَلْقَى إِلَيْهِ تَرْتِيْبَهُ ، فَوَضَعَهُ عَلَى التَّرْتِيْبِ الَّذِي رَسَمَهُ لَهُ <sup>١</sup> .

وَيُقَالُ : إِنَّ جَوْهَرًا لَمَّا أُسِّسَهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أَنَاخَ قَبْلَهَا فِي مَوْضِعِهِ ، وَأَضْبَحَ رَأَى فِيهِ زَوْرَاتٍ <sup>(a)</sup> غَيْرَ مَعْتَدِلَةٍ لَمْ تَعْجِبَهُ ، فَقِيلَ لَهُ فِي تَغْيِيرِهَا ، فَقَالَ : «قَدْ حُفِرَ فِي لَيْلَةٍ مَبَارَكَةٍ وَسَاعَةٍ سَعِيدَةٍ» . فَتَرَكَهُ عَلَى حَالِهِ <sup>٢</sup> .

وَكَانَ ابْتِدَاءُ وَضْعِهِ ، مَعَ وَضْعِ أُسَاسِ سُورِ الْقَاهِرَةِ ، فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَرَكَّبَ عَلَيْهِ بَابَيْنِ <sup>(b)</sup> يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ نَحَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَدَارَ عَلَيْهِ سُورًا مُحِيطًا بِهِ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . وَهَذَا الْقَصْرُ كَانَ دَارَ الْخُلَافَةِ ، وَبِهِ سَكَنَ الْخُلَفَاءُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ <sup>(c)</sup> . فَلَمَّا انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ صَلاَحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ ، أَخْرَجَ أَهْلَ الْقَصْرِ مِنْهُ ، وَأَسْكَنَ فِيهِ الْأَمْرَاءَ ، ثُمَّ خَرِبَ أَوَّلًا فَأَوَّلًا .

وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي كِتَابِ «خِطَطِ الْقَاهِرَةِ» ، عَنْ مُرْهَفِ بَوَّابِ بَابِ الزُّهُومَةِ ، أَنَّهُ قَالَ : «أَعْلَمْتُ هَذَا الْبَابَ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ دَخَلَ إِلَيْهِ حَطْبٌ ، وَلَا زُمِيَ مِنْهُ تُرَابٌ» . قَالَ : وَهَذَا أَحَدُ أَسْبَابِ خَرَابِهِ لَوْ قُودَ أَخْشَابِهِ وَتَكْوِيمِ تُرَابِهِ .

قَالَ : وَلَمَّا أَخَذَهُ صَلاَحُ الدِّينِ وَأَخْرَجَ مِنْ كَانَ بِهِ ، كَانَ فِيهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ نَسْمَةٍ ، لَيْسَ فِيهِمْ فَحْلٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَأَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ ، فَأَسْكَنَهُمْ دَارَ الْمُظْفَرِ بِحَارَةِ بَرْجَوَانَ ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِدَارِ الضِّيَافَةِ .

(a) بولاق : لزورات . (b) بولاق : بابان . (c) بولاق : أيامهم .

Ravaisse, P. *Essai sur l'histoire et sur la topographie du Caire*, MMIFAO I, III (1887, 1890); Fu'âd Sayyid, A., *La Capitale de l'Égypte*, pp. 210-99; id., «Le grand palais fatimide au Caire», dans *L'Égypte fatimide son art et son histoire*, Paris 1999, pp. 117-25; Hampikian, N. & Cyran, M., «Recent Discoveries concerning the Fatimid Palaces uncovered during the Conservation Works on Parts of al-Salihiyya (Complex)», *L'Égypte Fatimide*, pp. 649-57 .

<sup>١</sup> كان القصر الفاطمي الشرقي الكبير يشغل مساحة تبلغ سبعة عشر فدانًا تمثل نحو عُشْرِ مساحة القاهرة، يُحدِّد مكانها اليوم المنطقة الواقعة بين خان الخليلي والمسجد الحسيني جنوبًا والجامع الأحمر وخانقاه بيبرس الجاشنكير شمالًا (فيما تقدم ٢١٤-٢١٨) . وللأسف الشديد فنحن نجهد كل شيء عن عمارته ، حيث زال كل أثر لهذا القصر ونحلت محله الآن المدارس التي أنشئت في العصرين الأيوبي والملوكي وحيي خان الخليلي في الجنوب وحيي الجمالية في الشمال . (ولتفاصيل أكثر حول حدود هذا القصر وطبوغرافيته الداخلية راجع ،

<sup>٢</sup> فيما تقدم ٢١٢ .



قال: وَوَجَدَ إِلَى جَانِبِ الْقَصْرِ بَيْتًا تُعْرَفُ بِبَيْتِ الصَّنَمِ، كَانَ الْخُلَفَاءُ يَرْمُونَ فِيهَا الْقَتْلَى، فَقِيلَ: إِنَّ فِيهَا مَطْلَبًا وَقَصْدًا تَغْوِيرَهَا، فَوَجَدَهَا<sup>(a)</sup> مَعْمُورَةً بِالْحِجَابِ، وَقَتَلَ عَمَارَهَا<sup>(b)</sup> جَمَاعَةً مِنْ أَشْيَاعِهِ، فَرُدِمَتْ وَتُرِكَتْ<sup>١</sup>. انتهى.

وكان صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا<sup>(c)</sup> القصر الكبير لأمرأء دولته، وأنزلهم فيه فسكنوه، وأعطى القصر الصغير الغربي لأخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب فسكنه، وفيه ولد له ابنه الكامل ناصر الدين محمد. وكان قد أنزل والده نجم الدين أيوب بن شاذي في منظره اللؤلؤة.

ولما قبض على الأمير داود ابن الخليفة العاضد - وكان ولي عهد أبيه، ويُنعت بـ «الحامد لله» - اعتقله وجميع إخوته وهم: أبو الأمانة جبريل، وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم، وسليمان بن داود ابن العاضد،<sup>(d)</sup> وعبد الظاهر بن حيدر بن العاضد<sup>(d)</sup>، وعبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد، وإسماعيل بن العاضد، وجعفر بن أبي الظاهر بن جبريل، وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل ابن الحافظ وجماعة. فلم يزالوا في الاعتقال بدار المظفر وغيرها، إلى أن انتقل الكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة إلى قلعة الجبل، فنقل معه ولد العاضد وإخوته وأولاد عمه، واعتقلهم بها. وفيها مات داود بن العاضد<sup>٢</sup>.

ولم يزل بقيتهم معتقلين بالقلعة إلى أن استبد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، فأمر في سنة ستين وست مائة<sup>(e)</sup> بالإشهاد على كمال الدين إسماعيل بن العاضد، وعماد الدين أبي القاسم ابن الأمير أبي الفتوح بن العاضد، وتدر الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن العاضد: أن جميع المواضع التي قبلي المدارس الصالحية من القصر الكبير، والموضع المعروف بالثربة باطنًا وظاهرًا بخط الخوخ السبع، وجميع الموضع المعروف بالقصر النافعي بالخط المذكور، وجميع الموضع المعروف بالجباسة بالخط المذكور، وجميع الموضع المعروف بخزائن السلاح السلطانية وما هو بخطه، وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ/الشيخ وغيرهم من القصر

(a) بولاق: فقيل إنها. (b) ابن عبد الظاهر: وقتلى عمادها. (c) ساقطة من بولاق. (d-d) ساقطة من بولاق.

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٤-١١٥؛ ٦٨-٦٩، وفيما يلي ص ٦٠٩.  
القلقشندي: صبح ٣: ٣٤٨؛ المقرئ: مسودة المواظ  
<sup>٢</sup> فيما يلي ص ٦٠٩.



الشَّارِعَ بِابِهِ قُبَالَةَ دَارِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الْكَامِلِيَّةِ ، وَجَمِيعِ الْمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ ، وَجَمِيعِ الْمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الْفِطْرَةِ بِحُطِّ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ ، وَجَمِيعِ الْمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الضِّيَافَةِ بِحَارَةِ بَرْجَوَانَ ، <sup>(a)</sup> وَجَمِيعِ الْمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الذَّهَبِ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ <sup>(a)</sup> ، وَجَمِيعِ الْمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ بِاللُّؤْلُؤَةِ ، وَجَمِيعِ قَصْرِ الزُّمُرْدِ ، وَجَمِيعِ الْبُشْتَانَ الْكَافُورِيِّ ، مِلْكُ لَبَيْتِ الْمَالِ بِالنَّظَرِ الْمُؤَلَوِيِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلِكِيِّ الظَّاهِرِيِّ ، مِنْ وَجْهِ صَحِيحِ شَرْعِيٍّ لَا رَجْعَةَ لَهُمْ فِيهِ ، وَلَا لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ وَلَا مَثْنِيَّةٍ <sup>(b)</sup> ، بِسَبَبِ يَدٍ وَلَا مِلْكٍ وَلَا وَجْهِ مِنْ الْوَجُوهِ كُلِّهَا ، نَحْلًا مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ مَدْفَنٍ لِآبَائِهِمْ .

فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ، وَوُرِّخَ <sup>(c)</sup> الْإِشْهَادُ بِالثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَأُثْبِتَ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ الصَّاحِبِ تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ الشَّافِعِيِّ . وَتَقَرَّرَ مَعَ الْمَذْكُورِينَ أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ قَبْضُوهُ مِنْ أَثْمَانِ بَعْضِ الْأَمَاكِنِ الْمَذْكُورَةِ الَّتِي عَاقَدَ عَلَيْهَا وَكَلَاؤُهُمْ وَاتَّصَلُوا إِلَيْهِ ، يُحَاسِبُوهَا بِهِ مِنْ جَمَلَةٍ مَا تَحَرَّرَ ثَمَنُهُ عِنْدَ وَكَيْلِ بَيْتِ الْمَالِ .

وَقُبِضَتْ أَيْدِي الْمَذْكُورِينَ عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمَاكِنِ الْمَذْكُورَةِ وَغَيْرِهَا مِمَّا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى آبَائِهِمْ ، وَرُسِمَ بَيْعُ ذَلِكَ ، فَبَاعَهُ وَكَيْلُ بَيْتِ الْمَالِ كِمَالُ الدِّينِ ظَافِرٌ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ <sup>١</sup> . وَنُقِضَتْ تِلْكَ الْمَبَانِي ، وَابْتُنِيَ فِي مَوَاضِعِهَا عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ مِنَ الْمَسَاكِنِ وَغَيْرِهَا كَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَانَ هَذَا «الْقَصْرُ» يَشْتَمِلُ عَلَى مَوَاضِعٍ مِنْهَا :

### قَاعَةُ الذَّهَبِ

وَكَانَ يُقَالُ لِقَاعَةِ الذَّهَبِ «قَصْرُ الذَّهَبِ» <sup>٢</sup> ، وَهُوَ أَحَدُ قَاعَاتِ الْقَصْرِ الَّتِي هُوَ قَصْرُ الْمُعَزِّ لِلدِّينِ اللَّهِ مُعَدِّ . <sup>(d)</sup> وَبَنَى قَصْرَ الذَّهَبِ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ نِزَارُ بْنُ الْمُعَزِّ <sup>(d)</sup> ، وَكَانَ يُدْخَلُ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ الذَّهَبِ

(a-a) ساقط من آياصوفيا . (b) بولاق : منه ولاء ولا شبهة . (c) بولاق : ورخوا . (d-d) ساقطة من مسودة المواعظ .

<sup>١</sup> هذه الفقرة من الممكن أن يكون مصدرها هو كتاب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر لابن عبد الظاهر ، ولكنها غير موجودة في النص الذي وصل إلينا ، وهو نص ناقص غير تام . وانظر كذلك المقرئ : مسودة المواعظ ٦٦-٦٨ ؛ وفيما يلي ٦١٠ .

<sup>٢</sup> يُطلق المُسَبَّحِي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ على هذه القاعة لفظ «قصر» وسماها «قصر الذهب» (أخبار مصر ٢٨ ، ٣٦) ، ولكن اعتبارًا من مطلع القرن السادس الهجري نجد لفظ «قاعة» هو المستخدم في التدليل على هذا الموضع عند =



الذي كان مُقابلاً للدار القُطَيْبِيَّة - التي هي اليوم المَارِشْتَان المَنْصُورِي - ويُدْخَلُ إليه أيضًا من باب البَحْر الذي هو الآن تجاه المَدْرَسَةِ الكَامِلِيَّة <sup>١</sup>. وَجَدَّ هذا القَصْر من بعد العَزِيز الخَلِيفَةُ المُسْتَنْصِرُ في سنة ثمانٍ وعشرين وأربع مائة .

وبهذه القَاعَةُ كانت الخُلَفَاءُ تجلس في المَوْكِب يوم الاثنين ويوم الخميس . وبها كان يُعْمَلُ بِسِمَاطُ شهر رَمَضانَ للأَمْرَاءِ وَسِمَاطُ العِيدِين ، وبها كان سَرِيرُ المُلْكَ <sup>٢</sup>.

هَيْئَةُ جُلُوسِ الخَلِيفَةِ بِمَجْلِسِ المُلْكَ <sup>(a)</sup> - قال الفَقِيهُ أبو محمد الحَسَن بن إبراهيم بن زُولاقي في كِتَابِ «سِيرَةِ المِعْزِ» : وَكَانَ وَصُولُ المِعْزِ لَدِينِ اللَّهِ إِلَى قَصْرِهِ بِمِصْرَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثِ ، لَسَبْعِ خَلَوْنٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَصْرِهِ نَحَرَ سَاجِدًا ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، وَصَلَّى بِصَلَاتِهِ كُلُّ مَنْ دَخَلَ مَعَهُ . وَاسْتَقَرَّ فِي قَصْرِهِ بِأَوْلَادِهِ وَحَشَمِهِ وَخَوَاصِّ عَبِيدِهِ . وَالقَصْرُ يَوْمَئِذٍ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عَيْنٍ وَوَرِقٍ وَجَوْهَرٍ وَحُلِيِّ وَفَرَشٍ وَأَوَانٍ وَثِيَابٍ وَسِلَاحٍ وَأَسْفَاطٍ وَأَعْدَالٍ وَسُرُوجٍ وَلُحْمٍ ، وَبَيْتِ المَالِ بِحَالِهِ بِمَا فِيهِ ، وَفِيهِ جَمِيعُ مَا يَكُونُ لِلْمُلُوكِ <sup>٣</sup>.

وَاللنُّصَفُ مِنْ رَمَضانَ جَلَسَ المِعْزُ فِي قَصْرِهِ عَلَى السَّرِيرِ الذَّهَبِ الَّذِي عَمَلَهُ عَبْدُهُ القَائِدُ جَوْهَرُ فِي الإِيوَانِ الجَدِيدِ ، وَأَذِنَ بِدُخُولِ الأَشْرَافِ أَوَّلًا ، ثُمَّ أذِنَ بَعْدَهُمُ لِلأَوْلِيَاءِ وَلِسَائِرِ وُجُوهِ النَّاسِ . وَكَانَ القَائِدُ جَوْهَرٌ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ يُقَدِّمُ النَّاسَ قَوْمًا بَعْدَ قَوْمٍ .

ثُمَّ مَضَى القَائِدُ جَوْهَرٌ ، وَأَقْبَلَ بِهَدِيَّتِهِ الَّتِي عَبَّأَهَا ظَاهِرَةً بِرَأْيِ النَّاسِ ، وَهِيَ : مِنْ الخَيْلِ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ فَرَسًا مُسَرَّجَةً مُلْجَمَةً : مِنْهَا مُذَهَّبٌ وَمِنْهَا مُرْصَعٌ وَمِنْهَا مُعْتَبِرٌ ، وَوَاحِدٌ <sup>(b)</sup> وَثَلَاثُونَ قُبَّةً عَلَى ثُوقِ بَخَاتِي بِالذَّبِيَّاجِ وَالمَنَاطِقِ وَالفَرَشِ مِنْهَا تِسْعَةٌ بِدِيَّاجٍ مُثْقَلٍ ، وَتِسْعُ ثُوقٍ مَجْنُوبَةٌ مُزَيَّنَةٌ بِمُثْقَلٍ ، وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ بَغْلًا مِنْهَا سَبْعَةٌ مُسَرَّجَةٌ مُلْجَمَةٌ ، وَمِائَةٌ وَثَلَاثُونَ بَغْلًا لِلنَّقْلِ ، وَتِسْعُونَ نِجِيًّا ، وَأَرْبَعَةٌ صِنَادِيقُ مُشَبَّكَةٌ يُرَى مَا فِيهَا وَفِيهَا أَوَانِي الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَمِائَةٌ سَيْفٍ مَحَلِّيٍّ بِالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَدَرَجَانِ مِنْ فِضَّةٍ مُحَرَّقَةٍ فِيهَا جَوْهَرٌ وَشَاشِيَةٌ مُرْصَعَةٌ فِي غِلَافٍ ، وَتِسْعُ

(a) مسودة المواعظ : ذكر جلوس الخليفة بمجلس الملك بالقاعة المذكورة . (b) بولاق : واحد .

<sup>١</sup> انظر المقرئبي : مسودة المواعظ ١١٥ .

<sup>٢</sup> نفسه ٧٠ .

<sup>٣</sup> المقرئبي : تعاط ١ : ١٣٥ .

= ابن المأمون وابن الطوير (راجع تخطيط هذه القاعة والنموذج الذين صُمِّمَت على أساسه عند أيمن فؤاد سيد : مقدمة نزهة المقلتين لابن الطوير ٨٧\* - ٩٦\* Fu'ad ; (Sayyid, A., La capitale de l'Égypte, pp. 242-46 .



مائة ما بين سَفَطٍ وَتَخْتٍ، فيها سائر ما أَعَدَّهُ<sup>(a)</sup> له من ذخائر مصر<sup>١</sup>.

وفي يوم عَرَفة نَصَبَ الْمُعِزُّ «الشَّمْسَةَ» التي عَمِلَهَا لِلكَعْبَةِ على إيوان قَصْرِهِ، وَسِعَتْهَا اثنا عشر شبرًا في اثني عشر شبرًا، وأرضها ديباج أحمر، ودورها اثنا عشر هلال ذهب، في كلِّ هلال أُتْرُجَّةٌ ذهب مُشَبَّكٌ<sup>(b)</sup>، جَوْفٌ كلُّ أُتْرُجَّةٍ خمسون ذُرَّةً كبار كبيض الحَمَامِ، وفيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق، وفيها كتابٌ دورها<sup>(c)</sup> آيات الحجِّ بزُمُرُودٍ أخضر قد فسر، وحشَوَ الْكِتَابَ ذُرًّا كبير لم يُرَ مثله، وحشَوَ الشَّمْسَةَ المِسْكَ المسحوق، يراها النَّاسُ في القصر ومن خارج القصر لَعْلُوَ مَوْضِعِهَا، وإِنَّمَا نَصَبَهَا عِدَّةً فَرَّاشِينَ، وجَرَّوْهَا لِثِقَلِ وَزْنِهَا<sup>٢</sup>.

وقال في كتاب «الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك»: إِنَّ وَزْنَ مَا اسْتَعْمَلَ مِنَ الذَّهَبِ الإبريز الخالص في سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال، ووزن ما حلِّي به السِّتْرُ الذي أنشأه سيِّد الوُزَرَاءِ أبو محمد اليازوري من الذهب أيضًا ثلاثون ألف مثقال، وأنَّه رُصِّعَ بِأَلْفٍ وخمسة مائة وستين قِطْعَةً جَوْهَرٍ من سائر ألوانه<sup>٣</sup>.

وذكر أن في الشَّمْسَةَ الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهبًا وعشرين ألف درهم محرقة، وثلاثة آلاف وست مائة قطعة جَوْهَرٍ من سائر ألوانه وأنواعه، وأنَّ في الشَّمْسَةَ التي لم تتم من الذهب/ سبعة عشر ألف مثقال<sup>٤</sup>.

وقال المُرتَضَى أبو محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطَّوَيْرِ الفِهْرِيِّ القَيْسِرَانِيِّ الكَاتِبِ المِصْرِيِّ في كتاب «نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصَّلاحية»،

(a) بولاق: أعد. (b) بولاق: مسبك. (c) بولاق: وفي دورها كتابة، وفي اتعاظ: دورها مكتوب.

<sup>١</sup> المقرئزي: اتعاظ الحنفا ١: ١٣٦.  
<sup>٢</sup> نفسه ١: ١٤٠-١٤١، والشَّمْسَةُ حِلْيَةٌ ضخمة كانت ترسل إلى الكعبة في موسم الحج في صحبة قائد خاص، لتعلق في وجه الكعبة، وسميت بذلك لأنها تشبه الشمس؛ ولها اثنا عشر ذراعًا تشبه أشعة الشمس، ورجح الدكتور جمال الدين الشيبان - الذي وقف طويلًا أمام هذا النص كما ورد في اتعاظ الحنفا - أن عدد الأشعة لم يجعل اثنا عشر عفوًا بل قصدًا ليمثل عدد شهور السنة، فموسم الحج يحل بعد مضي اثني عشر شهرًا أي سنة كاملة، والأهلة الموجودة في نهاية الأشعة تمثل الشهور القمرية الهجرية (اتعاظ الحنفا ١: ١٤٠-١٤١ هـ).  
<sup>٣</sup> الذخائر والتحف ٢٦٢.  
<sup>٤</sup> كُتِلَ النص المنقول عن «سيرة المعز» لابن زولاق وكتاب «الذخائر والتحف» غير موجود في مسودة المواعظ.



الفصل العاشر في ذكر هيئتهم في الجلوس العام بمجلس الملك<sup>١</sup>: <sup>(a)</sup> ولا يتعدى ذلك يومي الاثنين والخميس، ومن كان أقرب الناس إليهم، ولهم خدَم لا تخرج عنهم<sup>(a)</sup>، ويُنتظر لجلوس الخليفة أحد اليَوْمَيْن المذكورَيْن - <sup>(b)</sup> يعني الاثنين والخميس<sup>(b)</sup> -، وليس على التوالي بل على التفريق.

فإذا تهيأ ذلك في يوم من هذه الأيام، استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة<sup>٢</sup> على الرسم المعتاد في سرعة الحركة، فيركب في أهبيته<sup>(c)</sup> وجماعته على الترتيب المقدم ذكره - يعني في ذكر الركوب أول العام، وسيأتي إن شاء الله في موضعه من هذا الكتاب - فيصير من مكان ترجله عن دابته بـ «دهليز العمود» بالقصر<sup>٣</sup> إلى «مقطع الوزارة»<sup>٤</sup>، وبين يديه أجلاء أهل الإمارة، كل ذلك بقاعة الذهب التي كان يسكنها السلطان بالقصر.

وكان الجلوس قبل ذلك بالإيوان الكبير - الذي هو خزائن السلاح<sup>٥</sup> - وفي صدره على سرير الملك، وهو باقي في مكانه إلى الآن من هذا المكان إلى آخر أيام المستغلي. ثم إن الأمر نقل الجلوس إلى هذا المكان، واسمه مكتوب بأعلى باب<sup>(d)</sup> بأذهنجه<sup>٦</sup> إلى اليوم؛ فيكون المجلس

(a-a) ساقطة من مسودة المواعظ. (b-b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: أهبته. (d) ساقطة من بولاق.

«collonades» أي «فناء واسع مكشوف يحيط به أروقة

ذات أعمدة» (Schlumberger, G., Compagnes du Roi Amaury I<sup>er</sup> de Jérusalem en Égypte au XII<sup>e</sup> siècle», Paris, 1906, p. 119).

<sup>٤</sup> مقطع الوزارة. هو ما يُطلق عليه فزدكم المجلس أو

«فردكم مجلس اللعبة»، كان هو الموضع المعد للجلوس الوزير

في القاعة (ابن المأمون: أخبار مصر ٢٠، ٤٨، ٨٨؛ ابن

الطوير: نزهة المقلتين ٦٨، ١٦١، ٢٠٦، ٢٠٨؛ ابن

ميسر: أخبار مصر ٩٠؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٩٠؛

المقريزي: المفقى الكبير ٦: ٤٨٠؛ وفيما يلي ٤٤٦-٤٤٧).

<sup>٥</sup> المقريزي: مسودة المواعظ ٦٩، ٨٢.

<sup>٦</sup> حاشية بخط المؤلف: والباهنج فارسي، أصله بادكيم،

فباد: الهواء، وكيم: مثل بيت، فيكون معناه بيت الهواء.

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٠٥-٢٠٦.

<sup>٢</sup> صاحب الرسالة. من الأستاذين المحنكين، ووظيفته

واحدة من تسع وظائف أصحابها هم خواص الخليفة (ابن

الطوير: نزهة المقلتين ١٥٣، ١٧٩، ٢٠٧، ٢١٠؛

القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٨١).

<sup>٣</sup> دهليز العمود. رواق بأعمدة كان يسبق قاعة الذهب

ثم يعطي انطباعاً بأن القاعة كانت في غاية الاتساع، وأنه

كان من الضروري وجود دعائم لرفعها، مكونة من عدد من

الأعمدة (ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٦١، ٢٠٦؛ ساويرس

ابن المقفع: تاريخ البطارقة ١/٣: ٥٦)، وهو ما يتفق مع

وصف غليوم أسقف صور كما نقله إلى الفرنسية جستاف

شلمنجرجه يقول: «Une vaste cour découverte qu'entouraient de magnifiques portiques à



المذكور معلقًا بالستور<sup>(a)</sup> الديباج شتاءً والديبقي<sup>١</sup> صيفًا ، وفزش الشتاء البسوط الحرير - عوضًا عن الصوف - مطابقًا للستور الديباج ، وفزش الصيف مطابقًا للستور الديبقي ما بين طبري وطبرستاني مذهب معدوم المثل ، وفي صدره المرتبة المؤهلة لجلوسه في هيئة هائلة<sup>(b)</sup> على سرير الملك المعشّي بالقرقوبي<sup>٢</sup> ، فيكون وجه الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه . فإذا تهيأ الجلوس استدعي الوزير من المقطع إلى باب المجلس المذكور - وهو معلق وعليه سترا جنابه<sup>(c)</sup> - فيقف بحدائه ، وعن يمينه زمام القصر ، وعن يساره زمام بيت المال .

فإذا انتصب الخليفة على المرتبة ، وضع أمين الملك مفليح - أحد الأستاذين المحنكين الخواص - الدواة مكانها من المرتبة ، وخرج من المقطع الذي يقال له «فرد الكتم» ، فإذا الوزير واقف أمام باب المجلس ، وحواليه الأمراء المطوقون أرباب الخدم الجليلة وغيرهم ، وفي خلالتهم قراء الحضرة ؛ فيشير صاحب المجلس إلى الأستاذين ، فيرفع كل منهم جانب الشتر ، فيظهر الخليفة جالسًا بمنصبه المذكور ، فيستفتح القراء بقراءة القرآن الكريم ، ويسلم الوزير بعد دخوله إليه ، فيقبل يديه ورجليه ، ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع وهو قائم قدر ساعة زمانية ، ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الأيمن ، وتطرح له مخذة تشریفًا .

ويقف الأمراء في أماكنهم المقررة : فصاحب الباب وإسفهسلار العساكر من جانبي الباب يمينًا ويسارًا ، ويليه من خارجه لاصبقا بعتبه زمام الأمرية والحافظية كذلك ، ثم يقفهم على مقاديرهم ، فكل واحد لا يتعدى مكانه<sup>(d)</sup> هكذا إلى آخر الرواق ، وهو الإفريز العالي عن أرض القاعة ، ويعلوه الشبايط على عقود القناطر التي على العهد هناك<sup>(d)</sup> .

ثم أرباب القصب والعماريات يمينًا ويسرة كذلك ، ثم الأماثل والأعيان من الأجناد المترشحين للتقدمة ، ويقف مسندًا بالصدر الذي يقابل باب المجلس بواب<sup>(e)</sup> الباب والحجاب . ولصاحب الباب في ذلك المحل الخروج والدخول ، وهو الموصل عن كل قائل ما يقول .

(a) بولاق : فيه الستور . (b) بولاق : جليلة . (c) ساقطة من بولاق . (d-d) ساقطة من مسودة المواعظ . (e) بولاق : نواب .

<sup>١</sup> الديبقي . نوع من الأقمشة المزركشة الموشاة بخيوط الذهب والحرير كانت له شهرة خاصة في العصر الفاطمي وينسب إلى مدينة ديبق (فيما تقدم ٦١٢:١-٦١٣) .  
من أعمال خوزستان اشتهرت بقماش مطرز يعرف بالسومنجر ينسب إليها (Serjeant, R.B., *Islamic Textiles*, p. 45) .

<sup>٢</sup> القرقوبي . نسيج ينسب إلى قرقوب بالقرب من تشر



فإذا انتظم ذلك النظام، واستقر بهم المقام، فأول مايل للخدمة بالسلام: قاضي القضاة، والشهود المعروفون بالاستخدام، فيجيز صاحب الباب القاضي دون من معه، فيسلم متأدباً، ويقف قريباً. ومعنى الأدب في السلام أنه يرفع يده اليمنى، ويشير بالمسبحة ويقول بصوت مسموع: «السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته». فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من أهل السلام.

ثم يُسلم بالأشراف الأقارب زمائمهم، وهو من الأستاذين المحنكين، وبالأشراف الطالبيين نقيهم، وهو من الشهود المعدلين، وتارة يكون من الأشراف المميزين. فيمضي عليهم كذلك ساعتان زمانيتان أو ثلاث.

ويخص بالسلام في ذلك الوقت من خلع عليه لقوص أو الشريقية أو الغريفة أو الإسكندرية، فيشرفون بتقبيل العتبة<sup>(a)</sup>.

فإن دعت حاجة الوزير إلى مخاطبة الخليفة في أمر، قام من مكانه وقرب منه منحنياً على سيفه، فيخاطبه مرة أو مرتين.

ثم يؤمر الحاضرون فيخرجون، حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله، ويخرج فيركب على عادته إلى داره وهو مخدوم بأولئك.

ثم يُرخى السُتران<sup>(b)</sup> ويُغلق باب المجلس إلى يوم مثله، فيكون الحال كما ذكر، ويدخل الخليفة إلى مكانه المستقر فيه ومعه خواص أستاذه.

وكان أقرب الناس إلى الخلفاء «الأستاذون المحنكون»، وهم أصحاب الأتس لهم، ولهم من الخدم ما لا يتطرق إليه سواهم، ومنهم: زمام القصر، وشاد التاج الشريف، وصاحب بيت المال، وصاحب الدفتر، وصاحب الرسالة، وزمام الأشراف الأقارب، وصاحب المجلس، وهم المطليون على أسرار الخليفة. وكانت لهم طريقة محمودة في بعضهم بعضاً، منها أنه متى ترشح أستاذ للحنك<sup>(c)</sup> وحنك، حمل إليه كل واحد من المحنكين بدلة من ثياب، ومندبلاً وسيفاً وفرساً<sup>(d)</sup>، فيصبح لاحقاً بهم وفي يديه مثل ما في أيديهم.

وكان لا يزكب أحد في القصر إلا الخليفة، ولا يتصرف ليلاً ونهاراً إلا كذلك، وله في الليل شدادات من النساء يخدمن البغلات والحمير الإناث، للجواز في السرايب

(a) بولاق: القبة. (b) بولاق: الستر. (c) بولاق: للحنك. (d) بولاق: فرشا.



القصيرة الأقباء، والطلوع على الزلاقات إلى أعالي المناظر والأماكن.

وفي كلِّ مَحَلَّةٍ من مَحَلَّاتِ القصرِ فَشَقِيَّةٌ مملوءةٌ بالماءِ خِيفَةٌ من مُحْدُوثِ حَرِيقٍ في اللَّيْلِ<sup>١</sup>.

كَيْفِيَّةُ سِنِمَاطِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِهَذِهِ الْقَاعَةِ - قَالَ ابْنُ الطَّوَيْرِ: فَإِذَا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، رُتِبَ عَمَلُ السِّمَاطِ كُلِّ لَيْلَةٍ بِالْقَاعَةِ بِالْقَصْرِ إِلَى آخِرِ<sup>(a)</sup> السَّادِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْهُ، وَيُسْتَدْعَى لَهُ قَاضِي الْقَضَاةِ فِي لِيَالِي الْجُمُعِ تَوْقِيرًا لَهُ، فَأَمَّا الْأَمْرَاءُ فَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهُمْ قَوْمٌ بِالنُّوْبَةِ، وَلَا يَحْرَمُونَهُمُ الْإِفْطَارَ مَعَ أَوْلَادِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ<sup>(b)</sup> طُولَ الشَّهْرِ<sup>(b)</sup>، وَيَكُونُ مُحْضُورَهُمْ بِمَسْطُورٍ يَخْرُجُ إِلَى صَاحِبِ الْبَابِ وَإِسْفَهْسَلَارِهِ<sup>(c)</sup>، فَيَعْرِفُ صَاحِبُ كُلِّ نُوْبَةٍ لَيْلَتَهُ فَلَا يَتَأَخَّرُ. وَيَحْضُرُ الْوَزِيرُ فَيَجْلِسُ صَدْرَهُ، فَإِنْ تَأَخَّرَ كَانَ وَلَدُهُ أَوْ أَخُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِهِ كَانَ صَاحِبُ الْبَابِ. وَيُهْتَمُّ فِيهِ اهْتِمَامًا عَظِيمًا تَامًا، بِحَيْثُ لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ أَصْنَافِ الْمَأْكُولَاتِ الْفَائِقَةِ وَالْأَغْذِيَةِ الرَّائِقَةِ، وَهُوَ مَبْسُوطٌ فِي طُولِ الْقَاعَةِ، مَادٌّ مِنَ الرُّوَاقِ إِلَى طُولِ<sup>(d)</sup> ثَلَاثِي الْقَاعَةِ الْمَذْكُورَةِ. وَالْفَرَّاشُونَ قِيَامٌ لِحِدْمَةِ الْحَاضِرِينَ، وَجُوقٌ<sup>(e)</sup> الْأَسْتَادِينَ يُحْضِرُونَ الْمَاءَ الْمُبَخَّرَ فِي الْكَيْزَانِ<sup>(f)</sup> الْحَزَفِ بَرَسْمِ الْحَاضِرِينَ. وَيَكُونُ انْفِصَالُهُمُ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَيَعْمَهُمْ ذَلِكَ وَيَصِلُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَى أَكْثَرِ<sup>(d)</sup> أَهْلِ الْقَاهِرَةِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ لِبَعْضٍ، وَيَأْخُذُ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مَا يَكْفِي جَمَاعَةً.

فَإِذَا حَضَرَ الْوَزِيرُ، أُخْرِجَ إِلَيْهِ مِمَّا هُوَ بِحَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ، وَكَانَتْ يَدُهُ فِيهِ،<sup>(b)</sup> فَيَخْصُهُ بِهِ<sup>(b)</sup> تَشْرِيفًا لَهُ وَتَطْيِيبًا لِنَفْسِهِ، وَرُبَّمَا حَمَلَ لِسُحُورِهِ مِنْ خَاصٍّ مَا يَعْجَأُ<sup>(g)</sup> لِسُحُورِ الْخَلِيفَةِ نَصِيبٌ وَافِرٌ. ثُمَّ يَتَفَرَّقُ النَّاسُ إِلَى أَمَاكِينِهِمْ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ بِسَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ.

قَالَ: وَمَبْلُغُ مَا يُنْفَقُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِسِمَاطِهِ، مُدَّةٌ سَبْعَةٌ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، ثَلَاثَةٌ آلَافٌ دِينَارٌ<sup>٢</sup>. عَمَلُ سِمَاطِ عِيدِ الْفِطْرِ بِهَذِهِ الْقَاعَةِ - قَالَ الْأَمِيرُ الْمُخْتَارُ عِزُّ الْمَلِكِ مُحَمَّدٌ<sup>(d)</sup> بِنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بِنِ أَحْمَدِ ابْنِ إِسْمَاعِيلِ بِنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَسْبُوحِيِّ فِي «تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ»: وَفِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْهُ - يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ -

(a) زيادة من مسودة المواعظ . (b-b) زيادة من مسودة المواعظ . (c) مسودة المواعظ : والاسفهلار . (d) ساقطة من بولاق . (e) بولاق : حواشي . (f) بولاق : كيزان . (g) بولاق : يعين .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢٠٥ - ٢١٠ ؛ المقرئزي :  
<sup>٢</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢١١ - ٢١٢ ؛ القلقشندي :  
المسودة ٧٠ - ٧٥ ، ٣٢٩ ؛ وقارن القلقشندي : صبح  
صبح ٣ : ٥٢٣ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ ٧٦ - ٧٧ .



سنة ثمانين وثلاث مائة ، حَمَلَ يانِسُ الصَّقْلَبِيُّ ، صاحبُ الشُّرْطَةِ السُّفْلَى ، السُّمَاطَ وَقُصُورَ  
السُّكَّرِ وَالتَّمَائِيلَ وَأَطْبَاقًا فِيهَا تَمَائِيلٌ خَلَوَى ، وَحَمَلَ أَيْضًا عَلِيٌّ بْنُ سَعْدِ الْمُحْتَسِبِ الْقُصُورَ  
وَالتَّمَائِيلَ<sup>(a)</sup> السُّكَّرَ .

<sup>(b)</sup> وقال في آخره : وفي آخر سَلَخِ رَمَضانِ حَمَلَ السُّمَاطُ السُّكَّرَ التَّمَائِيلَ وَخَمْسَ قُصُورَ الَّذِي  
يَرَسُمُ مَتَوَلِيَّ الشُّرْطَةِ ، وَحَمَلَ عَلِيٌّ بْنُ سَعْدِ السُّمَاطُ الَّذِي رَسَمَهُ أَنْ يَعْمَلَهُ<sup>(b)</sup> .<sup>٥</sup>

وقال ابنُ الطَّوَيْرِ : فَأَمَّا الْأَسْمِطَةُ الْبَاطِنَةُ الَّتِي يَحْضُرُهَا الْخَلِيفَةُ بِنَفْسِهِ ، فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ  
اِثْنَانِ ، وَيَوْمِ عِيدِ النَّخْرِ وَاحِدٌ .

فَأَمَّا الْأَوَّلُ مِنْ عِيدِ الْفِطْرِ ، فَإِنَّهُ يُعْبَأُ<sup>(c)</sup> فِي اللَّيْلِ بِالْإِيوَانِ قُدَّامَ الشُّبَّانِكِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ الْخَلِيفَةُ ،  
فَيَمَدُّ مَا بِمِقْدَارِهِ ثَلَاثَ مِائَةِ ذِرَاعٍ فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أذْرَعٍ ، مِنْ الْخُشْبَانِ وَالْفَانِيدِ وَالْبَسَنْدُودِ ، الْمَقْدَمُ  
ذَكَرَ عَمَلَهُ بَدَارَ الْفِطْرَةِ . فَإِذَا صَلَّى الْفَجْرَ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ ، حَضَرَ إِلَيْهِ الْوَزِيرُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي  
الشُّبَّانِكِ ، وَمُكِّنَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ الْمَمْدُودِ ، فَأُخِذَ وَحْمِلَ وَنُهِبَ ؛ فَيَأْخُذُهُ مِنْ يَأْكُلُهُ فِي يَوْمِهِ ، وَمَنْ  
يُدْخِرُهُ لَعْدِهِ ، وَمَنْ لَا حَاجَةَ لَهُ بِهِ فَيَبِيغُهُ ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ أَيْضًا حَوَاشِي الْقَصْرِ الْمُقِيمُونَ هُنَاكَ .

فَإِذَا فُرِعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَدْ بَرَزَتْ الشَّمْسُ ، رَكِبَ مِنْ بَابِ الْمَلِكِ بِالْإِيوَانِ ، وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْعِيدِ  
إِلَى الْمُصَلَّى وَالْوَزِيرُ مَعَهُ - كَمَا وَصَفْنَا فِي هَيْئَةِ رُكُوبِ هَذَا الْعِيدِ فِي فَصْلِهِ - مَخْلُتًا لِقَاعَةَ الذُّهَبِ  
لِسِمَاطِ الطَّعَامِ<sup>٢</sup> . فَيُنْصَبُ لَهُ سَرِيرُ الْمَلِكِ قُدَّامَ بَابِ الْمَجْلِسِ فِي الرِّوَاقِ ، وَيُنْصَبُ فِيهِ مَائِدَةٌ مِنْ  
فِضَّةٍ يُقَالُ لَهَا «الْمُدْوَرَّة»<sup>٣</sup> ، وَعَلَيْهَا مِنَ الْأَوَانِي<sup>(d)</sup> الْفِضِّيَّاتُ وَالذَّهَبِيَّاتُ وَالصُّيْنِي الْحَاوِيَةُ لِلْأَطْعَمَةِ  
الْخَاصَّةِ ، الْفَائِيحَةُ الطَّيِّبِ الشَّهِيَّةِ ، مِنْ غَيْرِ خَضِرَاوَاتٍ ، سِوَى الدَّجَاجِ الْفَائِقِ الْمُسَمَّنِ الْمَعْمُولِ  
بِالْأَمْرِجَةِ الطَّيِّبَةِ النَّافِعَةِ . ثُمَّ يُنْصَبُ السُّمَاطُ أَمَامَ السَّرِيرِ إِلَى بَابِ الْمَجْلِسِ قُبَالَتِهِ - وَيُعْرَفُ  
بِالْمُحْوَلِ<sup>٤</sup> - طُولَ الْقَاعَةِ - وَهُوَ الْبَابُ الْيَوْمَ الَّذِي يُدْخَلُ مِنْهُ إِلَيْهَا مِنْ بَابِ الْبَحْرِ ، الَّذِي هُوَ  
بَابُ الْقَصْرِ الْيَوْمَ .<sup>١٥</sup>

(a) بولاق : تمائيل . (b-b) زيادة من مسودة المواعظ . (c) بولاق : يعين . (d) بولاق : وعليها أواني .

<sup>١</sup> المسيحي : نصوص ضائعة ١٣؛ المقرئزي : اتعاض في النص - وقد تكون من الخشب كما ذكر ابن المأمون :  
٢٦٧ : ١ .  
أخبار مصر ١٥ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ٩٣ س ٢ .

<sup>٢</sup> انظر فيما يلي ٤٧٨ - ٤٩٤ .  
<sup>٤</sup> عن المحوّل انظر فيما يلي ٣٠٥ - ٣٠٨ .

<sup>٣</sup> المدوّرة . مائدة مستديرة قد تكون من الفضة - كما



- والسِّماطُ نَحْشَبُ مَدْهُونٌ شَبَهَ الدَّكَّكَ اللّاطِيَةَ ، فيصير من جَمْعِهِ للأواني سِماطًا عاليًا في ذلك الطول وبعرض عشرة أذرع ، فيفَرَشُ فوق ذلك الأزهار المشمومات<sup>(a)</sup> ، ويُرَصُّ الخُبْزَ على حافتيه شَوَابِيرَ<sup>(b)</sup> ١ ، كُلُّ واحدٍ ثلاثة أرطال من نقيِّ الدَّقِيقِ ، ويُذَهَنُ وجهها عند نخبزها بالماء ، فيحصل لها بَرِيقٌ ويحسن منظرها . ويُعَمَّرُ داخل ذلك السِّماطِ على طوله بأحد وعشرين طبَقًا . في كُلِّ طبَقٍ أحد وعشرون خَرُوفًا<sup>(a)</sup> نَبِيئًا سَمِينًا مَشُونًا ، وفي كُلِّ من الدُّجَاجِ والفَرَّارِيحِ وفِرَاحِ الحَمَامِ ثلاث مائة وخمسون طائرًا ، فيبقى طائرًا مُسْتَطِيلًا ، فيكون كقامة الرجل الطويل ، ويُسَوَّرُ بشرايح الحَلْوَاءِ اليَابِسَةِ ، ويُزَيَّنُ بألوانها المصبغة . ثم يُسَدُّ حَلَلُ تلك الأطباق بالصُّحُونِ الخَزَفِيَّةِ التي في كُلِّ واحدٍ منها سَبْعُ دجاجات ، وهي مترعة بالألوان الفاتحة من الحَلْوَاءِ/ المائِعة والطَّابِهِجَةِ المُفَسَّتَقَةِ<sup>(c)</sup> ٢ ، والطَّيْبِ غالب على ذلك كُلِّه ، فلا يبعد أن تُناهِزَ عِدَّةُ الصُّحُونِ المذكورة خمس مائة صَحْنٍ ، ويُزَيَّنُ ذلك أحسن تزيين من نصف الليل بالقاعة إلى حين عَوْدِ الخَلِيفَةِ من المُصَلَّى والوَزِيرِ معه .

فإذا دَخَلَ<sup>(d)</sup> القاعة ، وَقَفَ الوَزِيرُ على باب دخول الخَلِيفَةِ لينزع عنه الثياب العيدية التي في عمامتها اليَتِيمَةِ<sup>(e)</sup> وليس سواها من خَزَائِنِ الكُشُواتِ الخاصَّةِ التي قَدَّمنا ذكرها .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : سواميد . (c) بولاق : المشققة . (d) بولاق : دخل . (e) بولاق : السمة .

١ شابورة جـ . شواير . ضرب من تحذيف شعر الجبهة كان معروفًا في عهد العباسيين ، يتخذه الرجال والنساء ، وأغلب متخذها من الذكور المخنثين . قال أبو الفدا : ولأصحاب جغرافيا اصطلاح في تعريف البحور فيقولون : يمتد كالقوارة وكالشابورة وكالطيلسان ونحو ذلك . (تقويم البلدان ١٩ س ٩) ، وانتقلت هذه المصطلحات للتعبير عن أشكال الموائد والأسمطة ، وتبعًا لذلك فالشابورة تعني شكل المثلث (البغدادي : كتاب الطبخ ، الموصل ١٩٣٤ ، ٧٤-٧٥ هـ) .

٢ الطَّابِهِجَةُ . نوعٌ من لحم الضأن المكثور ، صنعته أن يؤخذ لحم مُشْرَحٍ يقطع صغارًا . يعزل فيه السمين بناحية والمهزول بناحية أخرى ، ثم يؤخذ السمين ويجعل في قَفَرِ

القِذْرِ ويغلى حتى يرشح ويذول شحمه ، ثم يجعل المهزول عليه ويلقى عليه قطع بصل وطاقات ننعج وكرفس ويُحَرِّكُ حتى ينشف ماؤه ، ثم يلقي عليه كُزْبَرَهُ يابسة وكُمُونِ وكراويا ودارصيني وزنجبيل ، الجميع مدقوقًا ناعمًا ، ويفرد نصف الأباير ليطرح بعد النضج . ثم يؤخذ خلّ خمر وماء حصرم وماء ليمون فيُخْرَجُ ويلقى عليه من جملة الأباير شيء ، ومن أحب أن يضيف إليه شيئًا من ماء السُّمَّاقِ فعل ، ثم يسقى تلك المياه حالًا فحالًا حتى يتكامل النضج ويخرج منها البقول ويضاف إليها باقي الأباير وشيء يسير من فلفل . (البغدادي : كتاب الطبخ ١٦-١٧ ؛ ابن رزين التجيبي : فضالة الخوان في طبقات الطعام والألوان ، تحقيق محمد شقرون ، بيروت ١٩٨٤ ، ١١٩) .



وقد عمِلَ بدار الفِطْرَةِ قَصْرانِ حَلَوِيٍّ<sup>(a)</sup>، في كُلِّ واحدٍ سبعة عشر قِنطَارًا، وحَمِلا: فَمِنْهُمَا واحدٌ يُضَيُّ به من طَرِيقِ قَصْرِ الشُّوكِ إلى بابِ الذَّهَبِ<sup>١</sup>، والآخِرُ يُشَقُّ به بَيْنَ القَصْرَيْنِ يَحْمِلُهُمَا العَتَّالونَ، فيُنْصَبانِ أوَّلَ السَّمَاطِ وآخِرَهُ، وهما شَكْلٌ مَلِيحٌ، مَدَّهونانِ بأوراقِ الذَّهَبِ، وفيهما سُحُوطٌ نائمةٌ لأنَّها مَسْبُوكَةٌ في قِوَالِبِ لَوْحًا لَوْحًا. فإذا عَبَّرَ الخَلِيفَةُ رَاكِبًا، ونَزَلَ على السَّرِيرِ الذي عليه المَدُورَةُ الفِضَّةُ وجَلَسَ، قامَ على رأسه أربعةٌ من كبارِ الأُسْتاذينِ المُحَنِّكينِ، وأربعةٌ من خِواصِّ الفَرَّاشينِ. ثم يَسْتَدْعِي الوَازِرَ فيَطَّلَعُ إليه وَيَجْلِسُ عن يَمِينِهِ، وَيَسْتَدْعِي الأَمْرَاءَ المُطَوِّقينِ ومن يَلِيهِم من الأَمْرَاءِ دونَهُم، فيَجْلِسونَ على السَّمَاطِ كقيامِهِم بين يَدَيْهِ، فيأْكُلُ من أرادَ من غيرِ إلْزامٍ، فإنَّ في الحاضِرِينَ من لا يَعتَقِدُ الفِطْرَةَ في ذلكَ اليومِ. فيستولي على ذلكِ المَعْمُولِ<sup>(b)</sup> الأَكْلَ، ويثقلُ الرُّسومَ<sup>(b)</sup>، ويُباحُ فلا يَبْقَى مِنْهُ إلاَّ السَّمَاطُ فقط، فيعمَّ أَهْلَ القَاهِرَةِ ومصرَ من ذلكِ نَصيبٌ وافٍ.

فإذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر، انفضَّ النَّاسُ، وخرَجَ الوَازِرُ إلى دارِهِ مَخدومًا بالجماعةِ الحاضِرِينَ، وقد عمِلَ سِماطًا لأَهْلِهِ وخِواشيهِ ومن يعزُّ عليه من الأَمْرَاءِ<sup>(c)</sup>،<sup>(d)</sup> لا يَلْحَقُ بأيسرِ يَسِيرٍ من سِماطِ الخَلِيفَةِ<sup>(d)</sup>.

وعلى هذا العَمَلِ يكونُ سِماطُ عيدِ النَّخْرِ أوَّلَ يومٍ مِنْهُ، ورُكوبُهُ إلى المِصَلِّيِّ كما ذكرنا، ولا يَخْرُجُ عن هذا المِثْوَالِ، ولا يَنْقُصُ عن هذا المِثَالِ، ويكونُ النَّاسُ كُلُّهُمُ مُفْطِرِينَ، ولا يَفوتُ أَحَدًا مِنْهُمُ شَيْءٌ كما ذَكَرنا في عيدِ الفِطْرِ.

قال: وَمَبْلَغُ ما يُنْفَقُ في سِماطِي الفِطْرِ والأَضْحَى أربعة آلاف دينار<sup>٢</sup>.

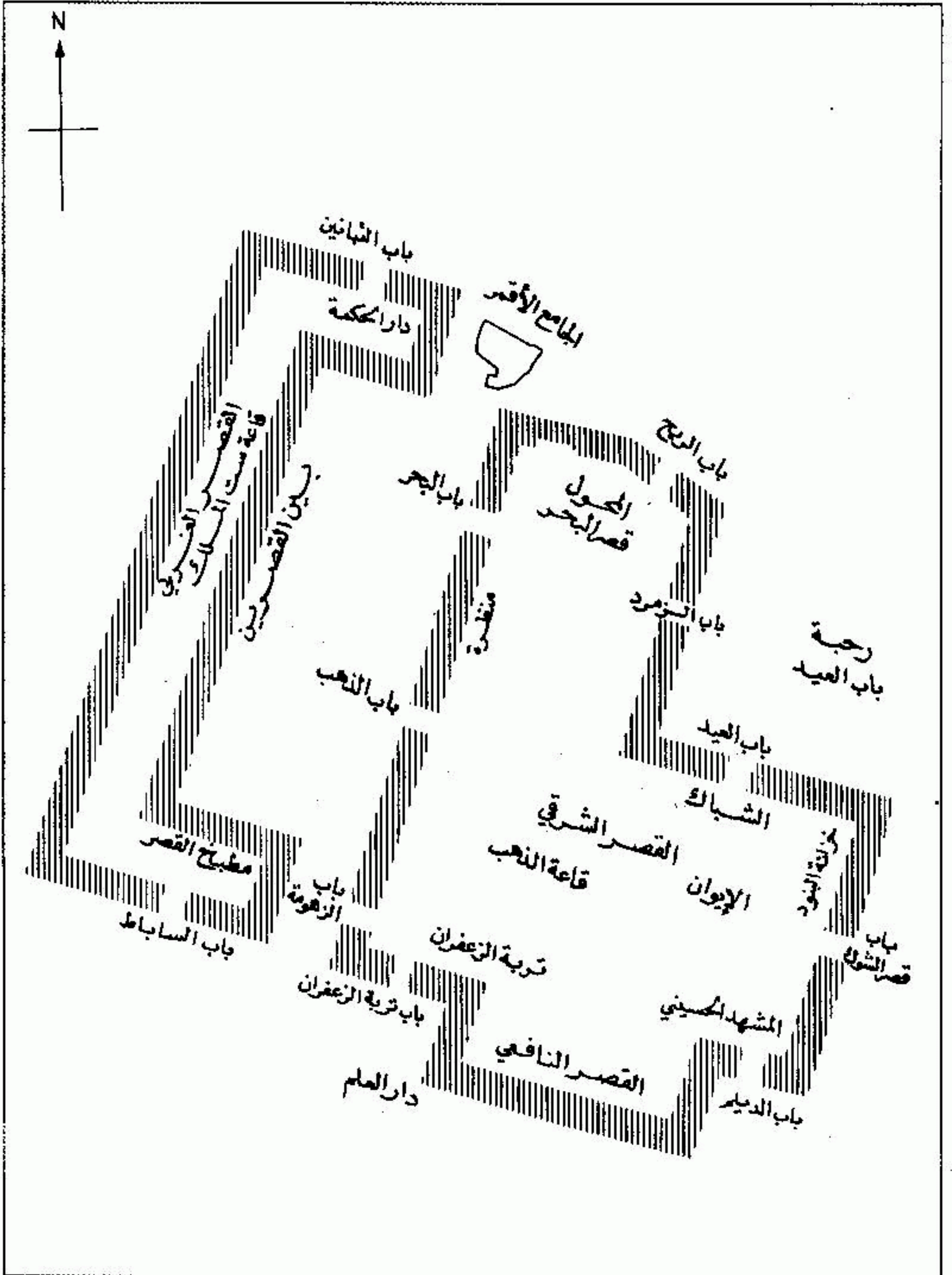
وكان يجلسُ على أَسِيطَةِ الأَعْيادِ في كُلِّ سَنَةِ رَجُلانِ من الأَجنادِ، يُقالُ لأَحَدِهِما: ابنُ فائِزٍ، وللآخِرِ الدَّيْلَميُّ، يأْكُلُ كُلُّ واحدٍ مِنْهُما خَروفاً مَشَوِيًّا وَعَشْرَ دِجاجاتٍ مُخَلَّاةٍ وجامِ

(a) بولاق: من حلوى. (b-b) بولاق: الأكلون، وينقل إلى دار أرباب الرسوم، آياصوفيا: الأكل وينقل إلى أرباب الرسوم، والمثبت من مسودة المواعظ. (c) ساقطة من بولاق. (d-d) ساقطة من مسودة المواعظ.

<sup>١</sup> طريق قصر الشوك إلى باب الذهب. أي من قصر الشوك في الواجهة الشرقية للقصر الكبير إلى رحبة باب العيد ثم إلى الركن المخلَّق ثم إلى باب الذهب في الواجهة الغربية للقصر، مرورًا بباب البحر.

<sup>٢</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢١٢-٢١٦؛ المقرئ: المسودة ٧٧-٨١؛ القلقشندي: صبح ٥٢٣:٣-٥٢٤؛ وقارن أبا المحاسن: النجوم ٩٧:٤-٩٨؛ ناصر خسرو: سفرنامه ١٠٦-١٠٧.







حلوى عشرة أرطال ، ولهما رُشوم تُحمَل إليهما بعد ذلك من الأسمطة لبيوتهما ، ودنانير وافرة على حُكم الهبة . وكان أحدهما أسير بعشقلان في تجريدة جرد إليها ، وأقام مدة في الأسر . فاتفق أنه كان عندهم عجل سمين فيه عدة قناطير لحم ، فقال له الذي أسره وهو يُلاعبه : إن أكلت هذا العجل أغتقتك . ثم ذبحه وسوى لحمه وأطعمه حتى أتى على جميعه ، فوفى له وأغتنقه ، فقدم على أهله بالقاهرة ، وزُتِب يأكل على السباط<sup>١</sup> .

### الإيوان الكبير

قال القاضي الرئيس محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الرُّوحي الكاتب في كتاب «الروضه البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة» : الإيوان الكبير بناه العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز لدين الله معد في سنة تسع وستين وثلاث مائة<sup>٢</sup> ، انتهى .

وكان الخلفاء أولاً يجلسون به في يومي الاثنين والخميس ، إلى أن نقل الخليفة الأمر بأحكام الله الجلوس منه في اليومين المذكورين إلى قاعة الذهب كما تقدم . وبصدر هذا الإيوان كان الشباك الذي يجلس فيه الخليفة ، وكان يعلو هذا الشباك قبة .

وفي هذا الإيوان كان يمدد سباط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر كما تقدم<sup>٣</sup> ، وبه أيضاً كان يُعمل الاجتماع والخطبة في يوم عيد الغدير . وكان بجانب هذا الإيوان الدواوين . وكان بهذا الإيوان ضلعاً سمكة إذا أقيما وازيا الفارس بفرسه ، ولم يزالا حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف إلى بغداد في هدية .

عيد الغدير - اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً ، ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم . وأول ما عُرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة علي بن بويه ، فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة ، فأتخذه الشيعة من حينئذ عيداً<sup>٤</sup> .

وأصلهم فيه ما خرجه الإمام أحمد في «مُسند الكبير» ، من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال : كُنَّا مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في سَفَرِ لَنَا ، فنزلنا بغدير حُم ، ونودي «الصلاة جامعة» ،

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ص ٤٥٤-٤٥٥ . راجع مقدمة ابن الطوير : نزهة المقتنين ٩٨\* - ١٠٠\* .

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٦ . نفسه ٨٣ ، وانظر عن غدير حُم ، Veccia Vaglieri, L., El<sup>2</sup> art. Ghadir Khumm II, pp. 1015-17.

<sup>٣</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ٦٩ ، ٨٢ . وعن الإيوان



وَكَسِيحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ فَصَلَّى الظُّهْرَ ، وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟» ، قَالُوا : بَلَى ؛ قَالَ : «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ؟» ، قَالُوا : بَلَى ؛ فَقَالَ : «مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» . قَالَ : فَلَقِيَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : هَنِيئًا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ <sup>١</sup> .

وَعَدِيرُ خُحْمٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْجُحْفَةِ يَسْرَةَ الطَّرِيقِ ، وَتَصُبُّ فِيهِ عَيْنٌ ، وَحَوْلَهُ شَجَرٌ كَثِيرٌ <sup>٢</sup> . وَمِنْ سُنَّتِهِمْ فِي هَذَا الْعِيدِ - وَهُوَ أَبَدًا يَوْمَ الثَّامِنِ عَشَرَ / مِنْ ذِي الْحِجَّةِ - أَنْ يُحْيُوا لَيْلَتَهُ بِالصَّلَاةِ ، وَيُصَلُّوا فِي صَبِيحَتِهِ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الزَّوَالِ ، وَيَلْبَسُوا فِيهِ الْجَدِيدَ ، وَيُغْتَبِقُوا الرِّقَابَ ، وَيُكْثِرُوا مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ وَمِنَ الذَّبَائِحِ .

١٠ وَلَمَّا عَمِلَ الشُّيْعَةُ هَذَا الْعِيدَ بِالْعِرَاقِ ، أَرَادَتْ عَوَامُ السُّنَّةِ مُضَاهَاةَ فِعْلِهِمْ وَنَكَائِتِهِمْ ، فَاتَّخَذُوا فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ - بَعْدَ عِيدِ الْغَدِيرِ بِثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ - عِيدًا أَكْثَرُوا فِيهِ مِنَ الشُّرُورِ وَاللُّهُوِّ ، وَقَالُوا : هَذَا يَوْمٌ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغَارَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَبَالَغُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ فِي إِظْهَارِ الزَّيْنَةِ وَنَضْبِ الْقِيَابِ وَإِيقَادِ النِّيرَانِ ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَعْمَالٌ مَذْكُورَةٌ فِي أَخْبَارِ بَغْدَادٍ .

خُوَيْلِدٍ . وَعَدِيرُ خُحْمٍ هَذَا بِمَهَيِّعَةِ النَّبِيِّ تُغْرَفُ بِالْجُحْفَةِ ، اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَمَى الْمَدِينَةَ بِدَعَاءِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - . قَالَ الْأَضْمَعِيُّ : لَمْ يُولَدْ بِغَدِيرِ خُحْمٍ أَحَدٌ فَعَاشَ إِلَى أَنْ يَحْتَلِمَ إِلَّا أَنْ يَتَحَوَّلَ مِنْهَا ... رَجِمًا بِهَا الطَّائِرُ فَيَسْقُطُ رِيشُهُ يَعْنِي مِنَ الْحَمَاءِ . وَقَالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ يَوْسُفُ بْنُ قَزَّوْغَلِي فِي كِتَابِ «تَذَكُّرَةِ الْخَوَاصِّ مِنَ الْأُمَّةِ بِذِكْرِ خِصَالِ الْأُمَّةِ» : اتَّفَقَ عُلَمَاءُ السُّنَنِ عَلَى أَنَّ قِصَّةَ الْغَدِيرِ كَانَتْ بَعْدَ رَجُوعِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فِي الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَكَانَ مَعَهُ الصَّحَابَةُ وَالْأَعْرَابُ وَفِيهِمْ مَنْ يَسْكُنُ حَوْلَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ مِائَةً وَعِشْرُونَ أَلْفًا وَهُمْ الَّذِينَ شَهِدُوا مَعَهُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَسَمِعُوا مِنْهُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ .

<sup>٢</sup> باقوت : معجم البلدان ٢ : ١١١ ، ٣٨٩ - ٣٩٠ .

<sup>١</sup> أحمد بن حنبل : المسند ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، حديث رقم ٩٥٠ - ٩٥٢ ، ٩٦١ ، ٩٦٤ .

وَوَرَدَ فِي أَوَّلِ التُّسُخِ الْمَنْقُولَةِ مِنْ نَخَطِ الْمُقْرِزِيِّ نَصْرٌ حَدِيثِ غَدِيرِ خُحْمٍ ، بِرَوَايَاتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ عَنِ النَّسَائِيِّ وَابْنِ جَبَّانَ وَالْحَاكِمِ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبِي يَغْلَى وَالطَّبْرَانِيِّ ، كَمَا نَقَلَ عَنِ كِتَابِ «أَخْبَارِ الْبَصْرَةِ» لِأَبِي زَيْدٍ عَمْرٍو بْنِ شَيْبَةَ وَكِتَابِ «جَمَهْرَةِ النَّسَبِ» لِأَبِي الْمُظَفَّرِ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيِّ .

وَجَاءَ عَلَى الْهَامِشِ أَمَامَ هَذَا الْخَبَرِ ، نَقْلًا عَنْ نَخَطِ الْمُقْرِزِيِّ : وَعَدِيرُ خُحْمٍ ، بِضَمِّ الْخَاءِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ ، وَمَوْضِعُ الْغَدِيرِ غَدِيرُ خُحْمٍ يُقَالُ لَهُ : الْحَزَارُ . وَقَالَ أَبُو عُيَيْدٍ : خُحْمٌ بِمِزٍّ احْتَفَرَهَا عَبْدٌ شَمْسًا بِالْبَطْحَاءِ بَغِيَةِ الْفَجُورِ ، وَفِي حِفَارِهِ زَمْ نَحْمٌ عِنْدَ رَدْمِ بَنِي جُمَحٍ ، وَزَمْ عِنْدَ دَارِ خَدِيدِجَةَ بِنْتِ



<sup>(a)</sup> ونُخْرِجُ الحَافِظَ أَبُو القَاسِمِ عَلِيَّ بنَ الحَسَنِ بنَ هِبَةَ اللَّهِ بنَ عَسَاكِرٍ من طَرِيقِ ابْنِ سُوذَبٍ عن مَطَرِ الوَزَّاقِ عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : «من صَامَ يَوْمَ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ من ذِي الحِجَّةِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ صِيَامَ سِتِّينَ شَهْرًا» ، وهو يَوْمُ عَدِيرِ خُتَمٍ . الحَدِيثُ ذَكَرَهُ فِي تَرْجُمَةِ عَلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من «تَارِيخِ دِمَشْقَ» <sup>(a)</sup> .<sup>١</sup>

وقال ابنُ زُوَلَّاقٍ <sup>(b)</sup> فِي كِتَابِ «سِيَرَةِ المُعِزِّ» وَمِنْ حَطِّهِ كَتَبْتُ <sup>(b)</sup> : وَفِي يَوْمِ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ من ذِي الحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ ، وَهُوَ يَوْمُ العَدِيرِ ، تَجَمَّعَ خَلْقٌ من أَهْلِ مِصْرَ والمِغَارِبَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمُ لِلدُّعَاءِ لِأَنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَهَدَ إِلَى أميرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ فِيهِ وَاسْتَخْلَفَهُ ، فَأَعْجَبَ المُعِزُّ ذَلِكَ من فَعَلِهِمْ ، وَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا عَمِلَ بِمِصْرَ <sup>٢</sup> .

قال المُسَبِّحِيُّ : وَفِي يَوْمِ العَدِيرِ ، وَهُوَ ثَامِنَ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ ، اجْتَمَعَ النَّاسُ بِجامِعِ القَاهِرَةِ والقُرَّاءُ والفُقَهَاءُ والمُتَشِدِّدُونَ ، فَكَانَ جَمْعًا عَظِيمًا أَقَامُوا إِلَى الظُّهْرِ ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى القِصْرِ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمُ الجَائِزَةُ ؛ وَذَكَرَ أَنَّ الحَاكِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ كَانَ قد مَنَعَ من عَمَلِ عِيدِ العَدِيرِ <sup>٣</sup> .

قال ابنُ الطَّوَيْرِ : إِذَا كَانَ العَشْرُ الأَوْسَطُ من ذِي الحِجَّةِ ، اهْتَمَّتِ الأَمْرَاءُ والأَجْنَادُ بِرُكُوبِ عِيدِ العَدِيرِ ، وَهُوَ فِي الثَّامِنِ عَشْرٍ مِنْهُ ، وَفِيهِ حُطْبَةٌ وَرُكُوبُ الخَلِيفَةِ بِغَيْرِ مِظَلَّةٍ وَلَا يَتِيْمَةٍ ، وَلَا خُرُوجٍ عن القَاهِرَةِ ، وَلَا يَخْرُجُ لِأَحَدٍ شَيْءٌ . فَإِذَا كَانَ أَوَّلُ <sup>(c)</sup> ذَلِكَ اليَوْمِ رَكِبَ الوَازِيُّ بِالاستِدْعَاءِ الجَارِي بِهِ العَادَةَ ، فَيَدْخُلُ القِصْرَ ، وَفِي دُخُولِهِ بُرُوزُ الخَلِيفَةِ لِرُكُوبِهِ مِنَ الكُرْسِيِّ عَلَى عَادَتِهِ ، فَيُخْدِمُ وَيُخْرَجُ وَيَرْكَبُ من مَكَانِهِ مِنَ الدَّهْلِيْزِ ، وَيَخْرُجُ فَيَقِفُ قُبَالَةَ بَابِ القِصْرِ ، وَيَكُونُ ظَهْرُهُ إِلَى دارِ فَخْرِ الدِّينِ جِهَارَ كَسِّ اليَوْمِ <sup>٤</sup> . ثُمَّ يَخْرُجُ الخَلِيفَةُ رَاكِبًا أَيْضًا فَيَقِفُ فِي البَابِ - وَيُقَالُ لَهُ القَوْسُ - وَحِوَالِيهِ الأُسْتَاذُونَ المُحَنِّكُونَ رَجَالًا ، وَمِنَ الأَمْرَاءِ المُطَوِّقِينَ من يَأْمُرُهُ الوَازِيُّ بِإِيثارِ <sup>(d)</sup> خِدْمَةِ الخَلِيفَةِ عَلَى خِدْمَتِهِ ، ثُمَّ يَجُوزُ زِيَّ كُلِّ مَنْ لَهُ زِيٌّ عَلَى مِقْدَارِ هِمَّتِهِ ؛ فَأَوَّلُ مَا يَجُوزُ زِيَّ الخَلِيفَةَ ، وَهُوَ الظَّاهِرُ فِي رُكُوبِهِ ، فَتَجْرُ الجَنَائِبُ الخَاصَّةُ الَّتِي قَدَّمْنَا ذَكَرَهَا أَوَّلًا ؛ ثُمَّ زِيَّ الأَمْرَاءِ المُطَوِّقِينَ لِأَنَّهُمْ

(a-a) ساقطة من بولاق . (b-b) زيادة من مسودة المواعظ . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : إشارة .

<sup>١</sup> ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٣٣ . المواعظ ٨٤ .

<sup>٢</sup> المقرئزي : اتعاظ ١ : ١٤٢ ؛ مسودة المواعظ ٨٤ .  
<sup>٤</sup> حاشية بخط المؤلف : «دار فخر الدين جهار كس هي

<sup>٣</sup> المسبحي : نصوص ضائعة ٣٨ ؛ المقرئزي : مسودة اليوم المارستان المنصوري .



غلمانه ، واجداً فواجداً بعديهم وأسلحتهم وجنائيتهم إلى آخر أبواب القصب والعماريات ؛ ثم طوائف العسكر أزمتهام أمامها وأولادهم مكانهم لأنهم وقوف في خدمة الخليفة<sup>(a)</sup> بالبواب طائفة طائفة ، فيكونون أكثر عدداً من خمسة آلاف فارس ؛ ثم المترجلة الرماة بالقسي بالأيدي والأرجل ، وتكون عدتهم قريباً من ألف . ثم الراجل من الطوائف الذين قدمنا ذكرهم في الركوب<sup>(b)</sup> - يعني الجيوشية والرثحانية<sup>(b)</sup> - فتكون عدتهم قريباً من سبعة آلاف ، كل منهم بزمام وثود ورايات وغيرها ، بترتيب مريح مستحسن .

ثم يأتي زي الوزير مع ولده أو أحد أقاربه ، وفيه جماعته وحاشيته في جمع عظيم وهيئة هائلة . ثم زي صاحب الباب وهم أصحابه وأجناده ونواب الباب وسائر الحجاب . ثم يأتي زي إسفهلار العساكر بأصحابه وأجناده في عدة وافرة . ثم يأتي زي والي القاهرة ، وزي والي مصر .

فإذا فرغاً خرج الخليفة من الباب ، والوقوف بين يديه مشاة في ركابه ، خارجاً عن صبيان ركابه الخاص . فإذا وصل إلى باب الزهومة بالقصر ، انعطف على يساره داخلاً من الدرب هناك ، جائراً على الخوخ .

فإذا وصل إلى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسيني ، فيجد في دهليز ذلك الباب قاضي القضاة والشهود ، فإذا وازاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه ، فيسلم القاضي كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التي تليه ، والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبته . ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز إلى الإيوان الكبير ، وقد غلق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعته وغير القرقوبية سترًا فسترًا ، ثم يعلق بدائره على سعته ثلاثة صفوف : الأوسط طوارق فارسيات مدهونة ، والأعلى والأسفل ذرق ، وقد نصب كرسي الدعوة وفيه تسع درجات الخطابة الخطيب في هذا العيد ، فيجلس القاضي والشهود تحته ، والعالم من الأمراء والأجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الرأي من الأكابر والأصاغر .

فيدخل الخليفة من باب العيد إلى الإيوان إلى باب الملك ، فيجلس بالشباك وهو ينظر القوم ، ويخدمه الوزير عندما ينزل ، ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب ، ويكون قد سير خطيبه بدلة حريرية<sup>(c)</sup> يخطب فيها ، وثلاثون دينارًا ، ويذفع له كراس محرر من ديوان

(a) بولاق : لأنهم في خدمة الخليفة وقوف . (b-b) زيادة من مسودة المواعظ . (c) بولاق : حرير .



الإنشاء يتضمن نص الخلافة من النبي ﷺ إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بزعمهم .

فإذا قرع ونزل ، صلى قاضي القضاة بالناس ركعتين . فإذا قضيت الصلاة قام الوزير إلى الشباك فيخدم الخليفة ويمضي<sup>(a)</sup> ، وينفض الناس بعد التهاني من الإسماعيلية بعضهم بعضاً . وهو عندهم أعظم من عيد النحر ، وينحز فيه أكثرهم<sup>١</sup> .

قال : وكان الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ، لما سلم من يد أبي علي بن الأفضل - الملقب كتيقات - لما وزر له وخرج عليه / ، عمل عيداً في ذلك اليوم - وهو السادس عشر من المحرم - من غير ركوب ولا حركة ، بل إن الإيوان باق على فرشه وتعليقه من يوم الغدير<sup>٢</sup> . فيفرش المجلس الخراب<sup>(b)</sup> اليوم في الإيوان الذي بابه خوزنق - وكان يقابل الإيوان الكبير الذي هو اليوم نخزائن السلاح - بأحسن فرش ، ويُصب له مرتبة هائلة قريباً من بأذهنجه ، فيجتمع أرباب الدولة سيفاً وقلماً ، ويحضرون إلى الإيوان إلى باب الملك المجاور للشباك<sup>٣</sup> .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : المحول .

104؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر (٢٥١-٢٥٢) .

<sup>١</sup> الشباك موضع بالقصر الكبير الشرقي كان يتوصل إليه من باب العيد عن طريق الدهاليز الطوال ، وهو أشبه بمقصورة عليها من ظاهرها ستر ، يرفعه متى حضر الوزير وجلس على الكرسي الخديج الموجود تحت الشباك ، زمام القصر وصاحب بيت المال ، وفور رفعها يرى الخليفة جالساً في المرتبة الهائلة به . وكان الشباك يقع بين الإيوان والسهدلا بالقصر . ولم يكن الجلوس بالشباك من مفردات الدولة الفاطمية بل عرف للعباسيين أيضاً ، فمن بين ما أرسله البساسيري إلى القاهرة سنة ٤٥٠ هـ الشباك الذهب الذي كان يجلس فيه الخليفة القائم العباسي . فلما شيد الأفضل شاهنشاه دار الوزارة الكبرى جعل هذا الشباك بها . (أيمن فؤاد : مقدمة نزهة المقلتين لابن الطوير ٩٧\* - ٩٨\* وفيما يلي (٤٤١) .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٨٦-١٨٩ ؛ المقريري :

المسودة ٨٤-٨٧ .

<sup>٢</sup> يُعرف هذا العيد بعيد التضر . انظر فيما يلي

٥٩٣ .

ونظراً لأن الحافظ عبد المجيد لم يكن أبوه إماماً فقد قرئ سجل مؤرخ في ٣ ربيع الآخر سنة ٥٢٦ هـ / ٢٣ فبراير سنة ١١٣٢ م بمبايعته إماماً (بعد أن كان ولي عهد كفيل لمن يُذكر اسمه) . ويدور هذا السجل الذي حفظه لنا القلقشندي (صبح الأعشى ٩: ٢٩١-٢٩٧) حول فكرة أن الأمر أوصى بالإمامة إلى ابن عمه عبد المجيد تماماً مثلما عقد النبي ﷺ الولاية لابن عمه علي بن أبي طالب في غدیر خم (انظر Sanders, P., «Claiming the Past: Ghadir Khumm and the Rise of Hâfizi Historiography in Late Fatimid Egypt», *SI* 75 (1992), pp. 81-



فيُخْرَجُ الخَلِيفَةُ رَاكِبًا إِلَى المَجْلِسِ ، فَيَتَرَجَّلُ عَلَى بابِهِ وَيَبِينُ يَدَيْهِ الخَوَاصُّ ، فَيَجْلِسُ عَلَى المَرْتَبَةِ ، وَيَقْفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صَفَّيْنِ إِلَى بابِ المَجْلِسِ ، ثُمَّ يَجْعَلُ قُدَّامَهُ كُرْسِيَّ الدُّعْوَةِ وَعَلَيْهِ غِشَاءٌ قُرْقُوبِيٌّ ، وَخَوَالِيهِ الأَمْرَاءُ الأَعْيَانُ وَأَرْبابُ الرُّتَبِ . فَيَضَعُدُ قَاضِي القَضَاةِ وَيُخْرِجُ مِنْ كُمِّهِ كُرْأَسَةً مُسَطَّحَةً تَتَضَمَّنُ فُصُولًا كـ «الْفَرَجُ بَعْدَ الشُّدَّةِ» بِنَظْمٍ مَلِيحٍ ، يَذْكَرُ فِيهِ كُلَّ مَنْ أَصَابَهُ مِنَ الأنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالمُلُوكِ شِدَّةً وَفَرَجًا اللهُ عَنْهُ ، وَاجِدًا فَوَاجِدًا ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى الحَافِظِ ، وَتَكُونُ هَذِهِ الكُرْأَسَةُ مَحْمُولَةً مِنَ دِيوَانِ الإِنْشَاءِ . فَإِذَا تَكَامَلَتِ قَرَاءَتُهَا ، نَزَلَ عَنِ المَنبَرِ وَدَخَلَ إِلَى الخَلِيفَةِ ، وَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الثِّيَابِ أَجَلٌ مِمَّا لَبَسَهُ ، وَيَكُونُ قَدْ حُمِلَ إِلَى القَاضِي قَبْلَ خَطَابَتِهِ بِذَلَّةٍ مُمَيَّزَةٍ يَلْبَسُهَا لِلخَطَابَةِ ، وَيُوصَلُ إِلَيْهِ بَعْدَ الخَطَابَةِ خَمْسُونَ دِينَارًا <sup>١</sup> .

وقال الأمير جمال الملك أبو علي موسى بن المأمون أبي عبد الله محمد بن فاتك بن مختار البطائحي في «تاريخه»: واستهل عيد الغدير - يعني من سنة ست عشرة وخمسة مائة - وهاجر إلى باب الأجل - يعني الوزير المأمون البطائحي - الضعفاء والمساكين من البلاد ، ومن انضم إليهم من العوالي والأدوان ، على عاداتهم في طلب الحلال وتزويج الأيامي ، وصار مؤسما يرصده كل أحد ، ويرتبه كل غني وفقير فجرى في معروفه على رسمه ، وبالغ الشعراء في مدحه بذلك .

ووصلت كشوة العيد المذكور ، فحمل ما يختص بالخليفة والوزير ، وأمر بتفرقة ما يختص بأزمة العساكر فارسها وراجلها ، من عين وكشوة . ومبلغ ما يختص بهم من العين سبع مائة وتسعون دينارًا ، ومن الكشوات مائة وأربع وأربعون قطعة . والهبة المختصة بهذا العيد برسم كبراء الدولة وشيوخها وأمرائها وضيوفها ، والأستاذين المحنكين والمميزين منهم ، خارجًا عن أولاد الوزير وإخوته . ويُفَرَّقُ مِنْ مالِ الوَازِرِ بَعْدَ الخَلْعِ عَلَيْهِ أَلْفَانِ وَخَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ وَثَمَانُونَ دِينَارًا ، وَأَمْرٌ بِتَعْلِيقِ جَمِيعِ أَبْوَابِ القُصُورِ ، وَتَفْرِقَةِ المُوَدَّنِينَ بِالجوامع والمساجد عليها ، وتقدم بأن تكون الأشمطة بقاعة الذهب على محكم سباط أول يوم من عيد النحر .

<sup>٤</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ٣٤ - ٣٥ . ومن أشهر هذه الكتب كتاب «الفرج بعد الشدة والضيق» لأبي الحسن علي بن محمد المدائني وكتاب «الفرج بعد الشدة» لأبي بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا وآخر للقاضي أبي الحسين عمر بن محمد بن يوسف الأزدي ، ثم كتاب «الفرج

بعد الشدة» للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخى المتوفى سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م . ولم تصل إلينا الكتب الثلاثة الأولى بينما وصل إلينا كتاب التنوخى وطبع أكثر من مرة أتمها وأضبطها نشرة عبود الشالجي في خمسة أجزاء صدرت في بيروت سنة ١٩٧٨ .



وفي باكر هذا اليوم ، تَوَجَّه الخَلِيفَةُ إلى المَيْدَانِ ، وَذَبَّحَ ما جَرَّتْ به العَادَةُ ، وَذَبَّحَ الجَزَارُونَ بعده مثل عَدَدِ الكِبَاشِ المَذْبُوحَةِ في عيد النَّحْرِ ، وَأَمْرٌ بِتَفْرِيقَةِ ذلك لِلخُصُوصِ دون العُمُومِ . وَجَلَسَ الخَلِيفَةُ في المَنْظَرَةِ ، وَخَدَمَتِ الرَّهَجِيَّةُ <sup>١</sup> ، وَتَقَدَّمَ الوَازِرُ والأَمْرَاءُ وَسَلَّمُوا ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ والمُؤَذِّنُونَ على أبواب القصر يُكَبِّرُونَ تكبير العيد ، إلى أن دَخَلَ الوَازِرُ فَوَجَدَ المُنْبِرَ قد هُيئَ <sup>٢</sup> ، فَتَقَدَّمَ القاضي أبو الحَجَّاجِ يوشف بن أيُّوبِ فصلَّى به وبالجماعة صَلَاةَ العيد ، وَطَلَعَ الشَّرِيفُ بن أَنَسِ الدَّوْلَةَ وَخَطَبَ خُطْبَةَ العيد .

ثم تَوَجَّه الوَازِرُ إلى باب المَلِكِ ، فَوَجَدَ الخَلِيفَةَ قد جَلَسَ قاصِدًا للقاءه ، وقد ضُرِبَتِ المَقْرَمَةُ ، فَأَمَرَهُ بالمُضِيِّ إليها ، وَخَلَعَ عليه خِلْعَةً مكتملة من بَدَلَاتِ النَّحْرِ ، وَثَوَّبَهَا أحمر بالشَّدَّةِ الدَّائِمِيَّةِ ، وَقَلَدَهُ سَيْفًا مرصعًا بالياقوت والجوهر ، وعندما نَهَضَ ليقبل الأرض ، وَجَدَهُ قد أعَدَّ له العِقْدَ الجَوْهَرَ ، وربطه بيده في عُقْبِهِ ، وبألغ في إكرامه .

وَخَرَجَ من باب المَلِكِ ، فَتَلَقَّاه المَقْرُونُونَ ، وَسَارَعَ النَّاسُ إلى خِدْمَتِهِ ، وَخَرَجَ من باب العيد وأولاده وإخوته والأَمْرَاءُ المُمَيَّزُونَ <sup>٣</sup> تحجبه . وَخَدَمَتِ الرَّهَجِيَّةُ وضربت الغريية <sup>٤</sup> ، والموكب جميعه بزِيَّهِ وقد اصططقت العساكرُ ، وَتَقَدَّمَ إلى وَلدِهِ بالجلوس على أَسِيطَتِهِ وتَفْرِيقِهَا <sup>٥</sup> بِرُشُومِهَا . وَتَوَجَّه إلى القصر واستفتح المَقْرُونُونَ ، فَسَلَّمَ الحاضرون ، وَجَرَى الرَّسْمُ في السَّمَاطِ الأوَّلِ والثاني وتفرقة الرُّسُومِ والموائد ، على مُحْكَمِ أوَّلِ يوم من عيد النَّحْرِ . وَتَوَجَّه الخَلِيفَةُ بعد ذلك إلى السَّمَاطِ الثالثِ الخاصِّ بالدار الجَدِيدَةِ <sup>٦</sup> لأقاربه ومجلسائه .

ولمَّا انقضى مُحْكَمُ التعميد ، جَلَسَ الوَازِرُ <sup>٧</sup> في مجلسه ، واستفتح المَقْرُونُونَ ، وَخَضَرَ الكُتُبَاءُ وبياضُ البلدِينِ للهَنَاءِ <sup>٨</sup> بالعيد والخَلْعِ ، وَخَرَجَ الرَّسْمُ وَتَقَدَّمَ الشُّعْرَاءُ فَأَنشَدُوا وَشَرَحُوا الحال ،

(a) بولاق : فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ . (b) بولاق : المقربون . (c) بولاق : العربية . (d) بولاق : تفرقتها . (e) بولاق : الجليلة . (f) مسودة المواعظ : الأجل . (g) بولاق : لتنهى .

<sup>١</sup> الرَّهَجِيَّةُ . جماعة كانت تخدم أمام الخليفة في الموكب الاحتفالية ، وأحيانًا كانت تخدم أمام الوزير في بعض الاحتفالات ، كما كانت تقوم بنفس العمل إذا ركب الخليفة عُشاري في النيل ، كما كانوا بين من يتولون حراسة القصر الفاطمي ومنظرة اللؤلؤة عندما يتواجد فيها الخليفة . وكان لهم زمام يعرف دائمًا بسنان الدولة بن الكركندي كان

يتلقى الخلع في المناسبات عن زم الرهجية والمبيت على أبواب القصور (أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٧٢٢) .

<sup>٢</sup> الغرية . بوق لطيف مُعْوَج الرأس مُتَّخِذ من الذهب صوته مخالف لصوت الأبواق (ابن المأمون : أخبار مصر ٤٣ س ١٦ ، ٧٦ س ١٤ ، ٨٦ س ٨٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٥٠٣ ، وفيما يلي ٤٧٣ ، ٤٨٤) .



وَحَضَرَ مَتَوَلِّي نَحَائِنِ الْكُشْوَةِ الْخَاصِّ بِالشَّيَابِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْمَأْمُونِ قَبْلَ الْخَلْعِ ، وَقَبَضُوا الرِّسْمَ الْجَارِيَّ بِهِ الْعَادَّةُ وَهُوَ مِائَةٌ دِينَارًا ، وَحَضَرَ مَتَوَلِّي بَيْتِ الْمَالِ وَصَحْبَتَهُ صَنْدُوقٌ فِيهِ خَمْسَةٌ آلَافٍ دِينَارٍ بِرِسْمِ فِكَكَكِ الْعِقْدِ الْجَوْهَرِ وَالشَّيْفِ الْمُرْصَعِ ؛ فَأَمَرَ الْوَزِيرُ الْمَأْمُونُ الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ ، كَاتِبَ الدُّسْتِ الشَّرِيفِ ، بِكُتْبِ مَطَالَعَةٍ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِمَا حُمِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ بِرِسْمِ مِئْتَيْدِيلِ الْكُتْمِ ، وَهُوَ أَلْفٌ دِينَارًا ، وَرِسْمِ الْإِخْوَةِ وَالْأَقَارِبِ أَلْفٌ دِينَارًا ، وَتَسَلَّمَ مَتَوَلِّي الدِّيوانِ<sup>(a)</sup> بَقِيَّةَ الْمَالِ لِيُفَرِّقَ عَلَى الْأَمْرَاءِ الْمُطَوَّقِينَ وَالْمُمَيَّرِينَ وَالضُّيُوفِ وَالْمُسْتَحْدَمِينَ<sup>١</sup> .

### زَكَرُ (b) الْمَحْوَلُ

قال ابنُ عبد الظَّاهرِ : المَحْوَلُ هُوَ مَجْلِسُ الدَّاعِي ، وَيُدْخَلُ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ الرِّيحِ ، وَبَابُهُ مِنْ بَابِ الْبَحْرِ / ، وَيُغْرَفُ بِقَصْرِ الْبَحْرِ . وَكَانَ فِي أَوْقَاتِ الْجَمَاعِ يُصَلِّي الدَّاعِي بِالنَّاسِ فِي رِوَاغِهِ<sup>٢</sup> .

وقال المَسْبُوحِيُّ : وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ - يَعْنِي مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ - جَلَسَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ الثُّعْمَانِ عَلَى كُرْسِيِّ بِالْقَصْرِ لِقِرَاءَةِ عُلُومِ آلِ الْبَيْتِ ، عَلَى الرِّسْمِ الْمَعْتَادِ الْمَتَقَدِّمِ لَهُ وَأَخِيهِ بِمِصْرَ وَأَبِيهِ<sup>(c)</sup> بِالْمَغْرِبِ ، فَمَاتَ فِي الزَّحْمَةِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا فَكَفَّنَهُمُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ<sup>٣</sup> .

وقال ابنُ الطَّوَيْرِ : وَأَمَّا دَاعِي الدُّعَاةِ فَإِنَّهُ يَلِي قَاضِي الْقَضَاةِ فِي الرُّثْبَةِ ، وَيَتَزَيَّأُ بِزِيَّهِ فِي اللَّبَاسِ وَغَيْرِهِ<sup>٤</sup> . وَوَضَعَهُ أَنَّهُ يَكُونُ عَالِمًا بِجَمِيعِ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْبَيْتِ يُقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَيَأْخُذُ الْعَهْدَ عَلَى مَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ مَذْهَبِهِ إِلَى مَذْهَبِهِمْ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نِقْبَاءِ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(d)</sup> اثْنَا عَشَرَ نَقِيًّا ، وَلَهُ نُوَابِتُ كُنُؤَابِ الْحُكْمِ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ ، وَيَحْضُرُ إِلَيْهِ فُقَهَاءُ الدَّوَلَةِ ، وَلَهُمْ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ «دَارُ الْعِلْمِ»<sup>(e)</sup> ، وَلِجَمَاعَةٍ مِنْهُمْ عَلَى التُّصْدِيرِ بِهَا أَرْزَاقٌ وَاسِعَةٌ .

(a) بولاق : الدولة . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : لأبيه . (f) بولاق : المعلمين .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٤٢ - ٤٤ ؛ المقرئزي : مسودة المواظ ٨٨ - ٩١ .

<sup>٢</sup> المسبوحى : نصوص ضائعة ١٤ ؛ المقرئزي : اتعاض

٢٨٥ : ١ ، ومسودة المواظ ٩١ ، وفيما يلي ٢ : ٢٢٦ .

<sup>٤</sup> القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٨٣ .

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٧ ؛ المقرئزي :

<sup>٥</sup> عن دار العلم انظر فيما يلي ٥٠٢ - ٥٠٨ .

المسودة ٨١ .



وكان الفقهاء منهم يتفقون على دَفْتَرٍ يُقال له «مَجْلِسُ الحِكْمَةِ»<sup>١</sup>، في كلِّ يوم اثنين وخميس، ويحضر مُبَيَّنًا إلى داعي الدُّعاة فينفذه إليهم، ويأخذه منهم ويدخل به إلى الخليفة في هذين اليومين المذكورين، فيتلوه عليه إن أمكن، ويأخذ عَلامَتَهُ<sup>٢</sup> بظاهره، ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين: للرجال على كُرْسِيِّ الدُّعْوَةِ بالإيوان الكبير، وللنساء بمَجْلِسِ الدَّاعِي وكان من أعظم المباني وأوسعها.

فإذا فَرَغَ من تِلاوَتِهِ على المؤمنين والمؤمنات حَضَرُوا إليه لتقبيل يديه، فيَمْسَحَ على رؤوسهم بمكان العلامَةِ - أعني خَطَّ الخليفة - وله أخذ «النَّجْوَى»<sup>٣</sup> من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما

(a) بولاقي: ووصفه.

١٩٧٨ ثم نشر مصطفى غالب ثلاث مائة مجلس منها في بيروت، دار الأندلس ١٩٨٢ - ١٩٨٤، وكذلك «المجالس المستنصرية» للداعي الموسوم بعلم الإسلام ثقة الإمام عبد الحكيم بن وهب المليجي والمنسوبة خطأ إلى بدر الجمالي، وقد نشرها محمد كامل حسين في القاهرة - دار الفكر العربي ١٩٤٦. وراجع نماذج لهذه المجالس عند محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية ٥٤-٦٢. أما كتاب «المجالس والمسائرات» للقاضي النعمان بن حيون (تونس ١٩٧٨) فهو أشبه بتقرير عن المجالس التي كان يحضرها الخليفة المعز. (راجع، *Madelung, W., El<sup>2</sup>*, art. Madjlis V, p. 1029؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٥٧٤-٥٨٣).

<sup>١</sup> مجالس الحكمة أو الحكيم. هي المجالس التي كان بعدها ويلقيها مرتين في الأسبوع داعي الدعاة باسم الخليفة على المؤمنين سواء في المحوّل (وهو مجلس الداعي بالقصر) أو على كرسي الدعوة بالإيوان الكبير أو في الجامع الأزهر. وقد جاء في سجل أورده علي بن خلف في «مواد البيان» بالدعوة للدولة والمشايع لها والمواقفة على مذهبها، أمر الخليفة إلى الداعي يقول: «واثل مجالس الحكيم التي تخرج إليك في الحضرة على المؤمنين والمؤمنات والمستجيبين والمستجيبات في قصور الخلافة الزاهرة والمسجد الجامع بالمعزية القاهرة...» «واقبض ما يحمله المؤمنون لك من الزكاة والنجوى والأختام والقربان وما يجري هذا المجرى». (مواد البيان ٥٨٧، ٥٨٨، القلقشندي: صبح ١٠: ٤٣٧، ٤٣٨).

<sup>٢</sup> عن العلامة. انظر فيما يلي ٣٣٨.

<sup>٣</sup> النجوى. اتخذها الإسماعيليون من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُلَ فَقَدُّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ﴾ [الآية ١٢ سورة المجادلة] (أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٤٠-٣٤٢).

وهنا حاشية بخط المؤلف نصها: والأصل في النجوى ما خرّج الحاكم من حديث جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال علي بن أبي طالب =

وكانت هذه المجالس من مفردات الدولة الفاطمية وأبطلها السلطان صلاح الدين في سنة ٥٦٦ ضمن خطة الإصلاح السني التي بدأها في هذه السنة. (المقريزي: تعاض ٣: ٣٢٠).

ومن أشهر هذه المجالس «المجالس المؤيدية» وهي ثمان مائة مجلس ألقاها المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة في فترة توليه الدعوة بين سنتي ٤٥٠ و٤٧٠هـ، نُشِرت المائة مجلس الأولى منها في لاهور بباكستان سنة



لاسيما الصعيد ، ومبلغها ثلاثة دراهم وثلاث ، فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة من يده<sup>(a)</sup> بينه وبينه ، وأمانته في ذلك مع الله تعالى ، فيفرض له الخليفة منه ما يعينه لنفسه وللقبلاء . وفي الإسماعيلية الممولين من يحمل ثلاثة وثلاثين دينارًا وثلاثي دينار على حكم النجوى ، وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه ، فيتميز في المحوّل ، فيخرج له عليها خط الخليفة : «بارك الله فيك وفي مالك وولديك ودينك» ، فيذخر ذلك ويفاجر<sup>(b)</sup> به .

وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبد القوي ، أبا عن جد ، آخرهم الجليس . وكان الأفضل ابن أمير الجيوش نفاهم إلى المغرب ، فولد الجليس بالمغرب وزني به وكان يميل إلى مذهب أهل السنة ، وولي القضاء مع الدعوة ، وأدركه أسد الدين شيركوه وأكرمه ، وجعله واسطة عند الخليفة العاضد ، وكان قد حجز على العاضد ، ولولاه لم يبق في الخزانة شيء لكرمه ، وكأنه علم أنه آخر الخلفاء .

قال المسبّحي : وكان الداعي يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الأولياء والدعاوى المتصلة ، فكان يُفرد للأولياء مجلسًا ، وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسًا ، ولعوام الناس وللطارين على البلد مجلسًا ، وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلسًا ، وللحرم وخواص نساء القصور مجلسًا .

وكان يعمل المجالس في داره ، ثم يُنقلها إلى من يختص بخدمة الدولة ، ويتخذ لهذه المجالس كتابًا<sup>(c)</sup> يبيضونها بعد عرضها على الخليفة . وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصل من النجوى من كل من يدفع شيئًا من ذلك عينا وورقا من الرجال والنساء ، ويكتب أسماء من يدفع شيئًا على ما يدفعه ، وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يُدفع عن الفطرة ، ويتحصل

(a) بولاق : بيده . (b) بولاق : ويفاجر . (c) بولاق : كتابا .

=رضي الله عنه - إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي ، آية النجوى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَتَقَدَّمُوا يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ الآية .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١١٠-١١٢؛ المقرئ :

مسودة المواعظ ٩١-٩٤ .

كان عندي دينار أرفقته بعشرة دراهم فنجيت النبي ﷺ ، فكنت كلما نجيت النبي - عليه السلام - قدمت بين يدي نجواي درهمًا ، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد ونزلت



من ذلك ما لـ جليل يُحْمَل<sup>(a)</sup> إلى بيت المال شيئًا بعد شيء، وكانت تُسَمَّى مَجَالِسُ الدَّعْوَةِ «مَجَالِسُ الْحِكْمَةِ»<sup>١</sup>.

وفي سنة أربع مائة كُتِبَ سِجِلٌّ عن الحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ رَفَعُ الخُمْسِ وَالزَّكَاةِ وَالْفِطْرَةِ وَالنُّجُوى التي كانت تُحْمَلُ، وَيُتَقَرَّبُ بِهَا، وَتَجْرَى عَلَى أَيْدِي القُضَاةِ. وَكُتِبَ سِجِلٌّ آخَرَ بِقَطْعِ مَجَالِسِ الْحِكْمَةِ التي تُقْرَأُ عَلَى الأوَّلِيَاءِ يَوْمَ الخَمِيسِ وَالجُمُعَةِ<sup>٢</sup>، انتهى.

ووَظِيفَةُ دَاعِي الدَّعَاةِ كانت من مُفْرَدَاتِ الدَّوْلَةِ الفَاطِمِيَّةِ. وقد لَحِصَتْ من أَمْرِ الدَّعْوَةِ طَرَفًا أُخْبِتَتْ إِرَادَهُ هُنَا<sup>٣</sup>.

### وَصْفُ الدَّعْوَةِ وَتَرْتِيبُهَا

وكانت الدَّعْوَةُ مُرْتَبَةً عَلَى مَنَازِلٍ، دَعْوَةٌ بَعْدَ دَعْوَةٍ.

الدَّعْوَةُ الأوْلَى - سُؤَالُ الدَّاعِي لِمَنْ يَدْعُوهُ إِلَى مَذْهَبِهِ عَنِ المُشْكَلَاتِ، وَتَأْوِيلِ الآيَاتِ، وَمَعَانِي الأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ وَمِنَ الأُمُورِ الغَايِضَةِ، فَإِنْ كَانَ المَدْعُو عَارِفًا<sup>(b)</sup> سَلَّمَ لَهُ الدَّاعِي، وَإِلَّا تَرَكَهُ يُعْمَلُ فِكْرُهُ فِيمَا أَلْقَاهُ عَلَيْهِ مِنَ الأَسْئَلَةِ، وَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا إِنَّ الدِّينَ لِمَكْتُومٍ، وَإِنْ الأَكْثَرُ لَهُ مُنْكَرُونَ وَبِهِ جَاهِلُونَ، وَلَوْ عَلِمْتَ هَذِهِ الأُمَّةَ مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ الأئِمَّةَ مِنَ العِلْمِ لَمْ تَخْتَلَفْ؛ فَيَتَشَوَّقُ<sup>(c)</sup> حَيْثُ المَدْعُو إِلَى مَعْرِفَةِ مَا عِنْدَ الدَّاعِي مِنَ العِلْمِ، فَإِذَا عَلِمَ مِنْهُ الإِقْبَالَ، أُخِذَ فِي ذِكْرِ مَعَانِي القُرْآنِ<sup>(d)</sup> وَشَرَايِعِ الدِّينِ<sup>(e)</sup> وَتَنْزِيلِ الآيَاتِ<sup>(e)</sup>، وَتَقْرِيرِ أَنَّ الآفَةَ التي نَزَلَتْ بِالأُمَّةِ وَشَتَّتِ الكَلِمَةَ؛ وَأُورِثَتْ الأَهْوَاءَ المُضِلَّةَ، ذَهَابُ النَّاسِ عَنِ أئِمَّةِ نُصِبُوا لَهُمْ، وَأَقِيمُوا حَافِظِينَ لِشَرَايِعِهِمْ يُؤَدُّونَهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا<sup>(f)</sup>، وَيَحْفَظُونَ مَعَانِيهَا وَيَعْرِفُونَ بَوَاطِنَهَا.

(a) بولاق: يدفع. (b) المسودة: فإن اتفق له مجيب عارف جدل. (c) المسودة: فينتلع. (d) بولاق: القراءات. (e-e) زيادة من المسودة. (f) المسودة: حقائقها.

<sup>١</sup> المسيحي: نصوص ضائعة ٣٩. ساسي في كتابه عن دين الدرور، ثم أعاد نقله إلى الفرنسية كذلك بول كازانوفًا مع تعليقات غنية ونشره سنة ١٩٢١ في مجلة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة «La doctrine secrète des Fatimides d'Égypte», BIFAO XVIII (1921), pp. 121-65 وانظر أيضًا المقرئ: مسودة المواعظ ٩٥-١١١.

<sup>٢</sup> نفسه ٣٩؛ المقرئ: اتعاض ٨٢:٢. <sup>٣</sup> لم يشر المقرئ في هذا الفصل إلى المصدر الذي نقل عنه هذه المعلومات، واكتفى بالإشارة في نهايته إلى أنه اختصره من مؤلفات الإسماعيلية التي لم يحدد عناوينها. ونقل هذا الفصل إلى الفرنسية قبل نحو مائتي عام سلفستردى



غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة ، ونظروا في الأمور بعقولهم ، وأتبعوا ما تحسن في رأيهم ،  
وقلدوا سفلتهم<sup>(a)</sup> ، وأطاعوا ساداتهم وكبراءهم أتباع الملوك<sup>(b)</sup> ، وطلبتا للدنيا التي هي أيدي متبعي  
الإثم وأجناد الظلمة وأعوان الفسقة ، الذين يُحبون العاجلة ، ويجتهدون في طلب الرياسة على  
الضعفاء/، ومكائدة رسول الله ﷺ في أمته ، وتغيير كتاب الله عز وجل ، وتبديل سنة رسول  
الله ﷺ ، ومخالفة دعوته ، وإفساد شريعته ، وسلوك غير طريقته ، ومعاينة الخلفاء الأئمة من بعده  
تخير من قبل ذلك ، وصار الناس إلى أنواع الضلالات .

فإن دين محمد ﷺ ما جاء بالتحلي ، ولا بأمانى الرجال ، ولا شهوات الناس ، ولا بما خف  
على الألسنة وعرفته ذمماء العامة . ولكنه صعب مُستصعب ، وأمر مستقبل ، وعلم خفي غامض  
ستره الله في حُجبه ، وعظم شأنه عن ابتذال أشراره . فهو سير الله المكتوم ، وأمره المستور الذي لا  
يُطبق حملة ، ولا ينهض بأعبائه وثقله إلا ملك مُقرب ، أو نبي مُرسَل ، أو عبْد مؤمن امتحن الله  
قلبه للتقوى<sup>(c)</sup>؛ فإذا ارتبط المدعو على الداعي وأنس له ، نقله إلى غير ذلك .

فمن مسائلهم : ما معنى رمي الجمار والعدو بين الصفا والمزوة ، ولم كانت الحائض تقضي  
الصوم ولا تقضي الصلاة ، وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس  
الكثير القدر ، وما بال الله خلق الدنيا في ستة أيام ، أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟ وما معنى  
الضراط المضروب في القرآن مثلاً ، والكاتبين الحافظين ، وما لنا لا نراها ، أخاف ربنا أن نكايه  
ونجأه حتى أذكى<sup>(d)</sup> العيون ، وأقام علينا الشهود ، وقيد ذلك في القراطيس بالكتابة؟

وما تبديل الأرض غير الأرض ، وما عذاب جهنم ، وكيف يصح تبديل جلد مُذنب بجلد لم  
يُذنب حتى يُعذب ، وما معنى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةً﴾ [الآية ١٧ سورة الحاقة] ،  
وما إبليس ، وما الشياطين ، وما وُصفوا به وأين مُستقرهم ، وما مقدار قدرهم؟ وما يأجوج  
وماأجوج وهاروت وماروت ، وأين مستقرهم؟ وما سبعة أبواب النار؟ وما ثمانية أبواب الجنة؟  
وما شجرة الزقوم النابتة في الجحيم؟ وما دابة الأرض ورؤوس الشياطين والشجرة الملعونة في  
القرآن ، والتين والزيتون؟

وما الخنس الكنس ، وما معنى (المر) و(المتص) [الآية ١ سورة البقرة وسورة الأعراف] ، وما معنى  
﴿كَهَيْعَص﴾ [الآية ١ سورة مريم] ؛ و﴿حَمْد \* عَسَق﴾ [الآيات ١ ، ٢ سورة الشورى]؟ ولم جعلت

(a) المسودة : وسمعه من سفلتهم . (b) بولاق : اتباعا للملوك . (c) مسودة المواعظ : للإيمان . (d) بولاق : أدلى .



السَّمَوَاتُ سَبْعًا ، والأَرْضُونَ سَبْعًا ، والمثاني من القرآن سَبْعَ آيَاتٍ ، وَلَمْ تُجْرَتِ الْعِيُونَ اثْنِي عَشْرَةَ عَيْنًا ،  
 وَلَمْ تُجْعَلِ الشُّهُورُ اثْنِي عَشْرَ شَهْرًا ، وما يعمل معكم عِلْمٌ<sup>(a)</sup> الكتاب والسنة ، ومعاني الفرائض اللازمة ؟  
 فَكُفُّوا أَوْلًا فِي أَنْفُسِكُمْ : أين أرواحكم ، وكيف صُوِّرَها ، وأين مستقرها ، وما أَوَّلُ أمرها ،  
 والإنسان ما هو ، وما حقيقته ، وما الفرق بين حياته وحياته البهائم ، وَفَضَّلُ ما بين حياة البهائم  
 وحياة الحشرات ، وما الذي بآت به حياة الحشرات من حياة الثبات ؟ وما مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ  
 اللَّهِ ﷺ : «خُلِقَتْ حَوَاءٌ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ» ؟ وما معنى قول الفلاسفة : الإنسان عالمٌ صغيرٌ ، والعالم  
 إنسانٌ كبيرٌ ؟ ولم كانت قامَةُ الإنسان مُتَّصِبَةً دون غيره من الحيوانات ، ولم كان في يديه من  
 الأصابع عَشْرٌ ، وفي رجليه عَشْرَ أصابع ، وفي كُلِّ إصْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِ يَدَيْهِ ثَلَاثَةُ شُقُوقٍ ، إِلَّا الْإِبْهَامَ  
 فَإِنَّ فِيهِ شَقِيْنِ فَقَطْ ؟ وَلِمَ كان في وَجْهِهِ سَبْعُ ثُقُوبٍ وفي سائرِ بَدَنِهِ ثُقُبَانِ ، ولم كان في ظَهْرِهِ اثْنَتَا  
 عَشْرَةَ عُقْدَةً وفي عُنُقِهِ سَبْعُ عُقَدٍ ، وَلِمَ جُعِلَ رَأْسُهُ<sup>(b)</sup> صورة ميم ، ويدها حاء ، وبطنه ميمًا ،  
 ورجلاه دالًا ، حتى سارَ ذلك كِتَابًا مَرْسُومًا يُتْرَجَمُ عن محمد ؟ ولم جُعِلَتْ قامته إذا انتصب  
 صُورَةَ أَلْفٍ ، وإذا رَكَعَ صارت صُورَةَ لَامٍ ، وإذا سَجَدَ صارت صُورَةَ هاء ، فكان كِتَابًا يَدُلُّ على  
 الله ؟ ولم جُعِلَتْ أَعْدَادُ عِظَامِ الْإِنْسَانِ كذا ، وأَعْدَادُ أَسْنَانِهِ كذا ، والأَعْضَاءُ الرَّئِيسَةُ كذا ؟ إلى  
 غير ذلك من التَّشْرِيحِ والقَوْلِ في العُرُوقِ والأَعْضَاءِ وَوُجُوهِ مَنَافِعِ الْحَيَوانِ .

ثم يقول الداعي : ألا تتفكرون في حالكم وتعتبرون ، وتعلمون أن الذي خَلَقَكُمْ حَكِيمٌ غير  
 مُجَازِفٍ ، وأنه فَعَلَ جميعَ ذلك لِحِكْمَةٍ ، وله فيها أَسْرَارٌ خَفِيَّةٌ حتى جَمَعَ ما جَمَعَ وفَرَّقَ ما فَرَّقَ ؟  
 فكيف يَسْعُكُمْ الإِعْرَاضُ عن هذه الأمور وأنتم تسمعون قول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ  
 لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ \* ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الآيات ٢٠ ، ٢١ سورة الذاريات] ، ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ  
 لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الآية ٢٥ سورة إبراهيم] ، ﴿ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ  
 لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [الآية ٥٣ سورة فصلت] .

فأيُّ شيءٍ رآه الكُفَّارُ في أنفُسِهِمْ وفي الأفاق حتى عرفوا أنه الحق ؟ وأيُّ حَقٍّ عرفه من جَعَدَ  
 الدِّيانَةَ ؟ ألا يدلُّكم هذا على أن الله جَلَّ اسمُه أرادَ أن يُرْشِدَكُمْ إلى بوايِنِ الْأُمُورِ الخَفِيَّةِ ، وأَسْرارِ  
 فيها مكتومة لو تنبَّهت لها وعرفتموها لزالَت عنكم كُلُّ حَيْرَةٍ ، ودَحَضَتْ كُلُّ شُبْهَةٍ<sup>(a)</sup> ، وظَهَرَتْ  
 لكم المَعَارِفُ السَّنيَّةُ ؟



أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ جَهِلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ الَّتِي مِنْ جَهْلِهَا كَانَ حَرِيًّا أَلَّا يَعْلَمُ غَيْرَهَا؟ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الآية ٧٣ سورة الإسراء]؛ ونحو ذلك من تأويل القرآن، وتفسير السنن والأحكام، وإيراد أبواب من التَّجْوِيزِ والتَّغْلِيلِ.

- فَإِذَا عَلِمَ الدَّاعِي أَنَّ نَفْسَ الْمَدْعُوِّ قَدْ تَعَلَّقَتْ بِمَا سَأَلَهُ عَنْهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ الْجَوَابَ عَنْهَا، قَالَ لَهُ حَيْثُذِ: لَا تَعْجَلْ فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ أَعْلَى وَأَجَلٌّ مِنْ أَنْ يُبَدَّلَ لِغَيْرِ أَهْلِهِ، وَيُجْعَلَ غَرَضًا لِلْعَبَثِ. وَجَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ وَسُنَّتُهُ فِي عِبَادِهِ، عِنْدَ شَرْعٍ مِنْ نَصَبِهِ، أَنْ يَأْخُذَ الْعَهْدَ عَلَى مَنْ يُرْشِدُهُ، وَلِلذَلِكَ قَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الآية ٧ سورة الأحزاب]؛ وَقَالَ/ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الآية ٢٣ سورة الأحزاب]؛ وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [الآية ١ سورة المائدة]، قَالَ: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَّضُوا عَهْدَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَارًا﴾ [الآيات ٩١، ٩٢ سورة النحل]، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية ٧٠ سورة المائدة]، وَمِنْ أَمْثَالِ هَذَا.

- فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يُمْلِكْ حَقَّهُ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ عَهْدَهُ، فَأَعْطَانَا صَفْقَةَ يَمِينِكَ، وَعَاهَدَنَا بِالْمَوْكَدِ مِنْ أَيْمَانِكَ وَعُقُودِكَ: أَلَّا تُفْشِيَ لَنَا سِرًّا، وَلَا تُظَاهِرَ عَلَيْنَا أَحَدًا، وَلَا تَطْلُبَ لَنَا غِيْلَةً، وَلَا تَكْتُمْنَا نُصْحًا، وَلَا تُوَالِي لَنَا عَدُوًّا.

- فَإِذَا أُعْطِيَ الْعَهْدَ قَالَ لَهُ الدَّاعِي: أَعْطَانَا جُعْلًا مِنْ مَالِكَ وَغَرْمًا<sup>(a)</sup> نَجْعَلُهُ مُقَدِّمَةً أَمَامَ كَشْفِنَا لِكَ الْأُمُورِ وَتَعْرِيفِكَ لِإِيَّاهَا - وَالرَّهْمِ فِي هَذَا الْجُعْلِ بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ الدَّاعِي - فَإِنْ امْتَنَعَ الْمَدْعُوُّ أَمْسَكَ عَنْهُ الدَّاعِي، وَإِنْ أَجَابَ وَأَعْطَى نَقَلَهُ إِلَى الدُّعْوَةِ الثَّانِيَةِ.

- وَأَمَّا سُمِّيَتْ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ بِالْبَاطِنِيَّةِ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لِكُلِّ ظَاهِرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بَاطِنٌ، وَلِكُلِّ تَنْزِيلٍ تَأْوِيلٌ.

الدُّعْوَةُ الثَّانِيَةُ - لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَقَدُّمِ الدُّعْوَةِ الْأُولَى. فَإِذَا تَقَرَّرَ فِي نَفْسِ الْمَدْعُوِّ جَمِيعُ مَا تَقَدَّمَ<sup>(b)</sup> وَعَاهَدَ الدَّاعِي<sup>(b)</sup> وَأَعْطَى الْجُعْلَ، قَالَ لَهُ الدَّاعِي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَ فِي إِقَامَةِ حَقِّهِ وَمَا شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ، إِلَّا أَنْ يَأْخُذُوا ذَلِكَ عَنْ أَيْمَةِ نَصَبِهِمْ لِلنَّاسِ، وَأَقَامَهُمْ لِحِفْظِ شَرِيعَتِهِ عَلَى مَا أَرَادَهُ

(a) إضافة من المسودة. (b-b) ساقطة من بولاق.



الله تعالى . وَيَسْأَلُكَ فِي تَقْرِيرِ هَذَا ، وَيَسْتَدِيلُ عَلَيْهِ بِأُمُورٍ مَقْرَّرَةٍ فِي كُتُبِهِمْ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ اعْتِقَادَ الْأَئِمَّةِ قَدْ ثَبَتَ فِي نَفْسِ الْمَدْعُوِّ ، فَإِذَا اعْتَقَدَ ذَلِكَ نَقَلَهُ إِلَى الدَّعْوَةِ الثَّالِثَةِ .

الدَّعْوَةُ الثَّالِثَةُ - مُرْتَبَةٌ عَلَى الثَّانِيَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ الدَّاعِي مِمَّنْ دَعَاهُ أَنْ ارْتَبَاطَهُ عَلَى دِينِ اللَّهِ لَا يُعْلَمُ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الْأَئِمَّةِ ، فَرَّرَ حِينئِذٍ عِنْدَهُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ سَبْعَةٌ ، قَدْ رَتَّبَهُمُ الْبَارِي تَعَالَى كَمَا رَتَّبَ الْأُمُورَ الْجَلِيلَةَ ، فَإِنَّهُ جَعَلَ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَةَ سَبْعَةَ ، وَجَعَلَ السَّمَلَوَاتِ سَبْعًا ، وَجَعَلَ الْأَرْضِينَ سَبْعًا ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ سَبْعٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ .

وهؤلاء السبعة الأئمة<sup>(a)</sup> هم : علي بن أبي طالب ، والحسن بن علي ، والحسين بن علي ، وعلي بن الحسين الملقب زين العابدين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد الصادق ، والسابع هو القائم صاحب الزمان . وهم - أعني الشيعة - مُخْتَلِفُونَ فِي هَذَا الْقَائِمِ : فَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ مُحَمَّدَ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَيُسَمِّيهِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَدُّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرٍ إِمَامًا ، ثُمَّ يُعَدُّ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلِ .

فَإِذَا تَقَرَّرَ عِنْدَ الْمَدْعُوِّ أَنَّ الْأَئِمَّةَ سَبْعَةٌ ، انْحَلَّ عَنْ مَعْتَقِدِ الْإِمَامِيَّةِ مِنَ الشَّيْعَةِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَةِ اثْنَيْ عَشَرَ إِمَامًا ، وَصَارَ إِلَى مُعْتَقِدِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِأَنَّ الْإِمَامَةَ انْتَقَلَتْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ . فَإِذَا عَلِمَ الدَّاعِي ثَبَاتَ هَذَا الْعَقْدِ فِي نَفْسِ الْمَدْعُوِّ ، شَرَعَ فِي تَلَبُّ بَقِيَّةِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ قَدْ اعْتَقَدَ الْإِمَامِيَّةَ فِيهِمْ الْإِمَامَةَ ، وَقَرَّرَ عِنْدَ الْمَدْعُوِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْمَسْتُورَاتِ وَبَوَاطِنِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ عِنْدَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ، وَأَنَّ عِنْدَهُ أَيْضًا عِلْمُ التَّأْوِيلِ وَمَعْرِفَةُ وَتَفْسِيرِ ظَاهِرِ الْأُمُورِ ، وَعِنْدَهُ سِرُّ اللَّهِ تَعَالَى فِي وَجْهِ تَدْبِيرِهِ الْمَكْتُومِ ، وَاتِّفَاقٌ<sup>(b)</sup> دَلَّاهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَسْأَلُ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْمَقْدُومَاتِ ، وَتَفْسِيرِ الْمُسْكِلاتِ وَبَوَاطِنِ الظَّاهِرِ كُلِّهِ ، وَالتَّأْوِيلَاتِ وَتَأْوِيلِ التَّأْوِيلَاتِ . وَأَنَّ دُعَاةَهُ هُمُ الْوَارِثُونَ لِذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ طَوَائِفِ الشَّيْعَةِ ، لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عَنْهُ ، وَمِنْ جِهَتِهِ رَوَوْا ، وَأَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ الْخَالِفِينَ لَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَاوِيَهُمْ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّحَقُّقِ بِمَا عِنْدَهُمْ إِلَّا مِنْهُمْ ، وَيَحْتَاجُ لِذَلِكَ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِهِمْ مِمَّا لَا يَسَعُ هَذَا الْكِتَابَ حِكَايَتَهُ لَطُولِهِ . فَإِذَا انْقَادَ الْمَدْعُوُّ وَأَدْعَنَ لِمَا تَقَرَّرَ ، نَقَلَهُ إِلَى الدَّعْوَةِ الرَّابِعَةِ .

الدَّعْوَةُ الرَّابِعَةُ - لَا يَشْرَعُ الدَّاعِي فِي تَقْرِيرِهَا حَتَّى يَتَيَقَّنَ صِحَّةَ انْقِيَادِ الْمَدْعُوِّ لِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ . فَإِذَا تَيَقَّنَ مِنْهُ صِحَّةَ الْإِعْتِقَادِ<sup>(c)</sup> ، فَرَّرَ عِنْدَهُ أَنَّ عَدَدَ الْأَنْبِيَاءِ النَّاسِخِينَ لِلشَّرَائِعِ الْمُتَبَدِّلِينَ لِأَحْكَامِهَا

(a) بولاق : الأئمة السبعة . (b) بولاق : وإتقان . (c) بولاق : الانقياد .



أصحاب الأذوار وتقليب الأحوال الناطقين بالأمور ، سبعة فقط كعدد الأئمة سواء . وكل واحد من هؤلاء الأنبياء لابد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته ، ويكون معه ظهيرا له في حياته ، وخليفة له من بعد وفاته إلى أن يبلغ شريعته إلى أحد يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذي أتبعه ، ثم كذلك كل مستخلف خليفة ، إلى أن يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة أشخاص ، ويُقال لهؤلاء : السبعة الصائمون ، لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو أولهم ، ويسمى الأول من هؤلاء السبعة «الشوس» .

وإنه لابد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاذ دورهم ، من استفتاح دور ثانٍ يظهر فيه نبي ينسخ شريع من مضى من قبله ، وتكون الخلفاء من بعد أمورهم تجري كأمر من كان قبلهم ، ثم يكون من بعدهم نبي ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت أبداً ؛ وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء ، فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبله ، ويكون صاحب الزمان الأخير .

فكان أول هؤلاء الأنبياء النطقاء آدم - عليه السلام - وكان صاحبه وشوسه ابنه شيث . وعدوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم .

وكان الثاني من الأنبياء النطقاء نوح - عليه السلام - / فإنه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم ، وكان صاحبه وشوسه ابنه سام ، وتلاه بقية السبعة الصامتين على شريعة نوح .

ثم كان الثالث من الأنبياء النطقاء إبراهيم خليل الرحمن - صلوات الله عليه - فإنه نطق بشريعة نسخ بها شريعة نوح وآدم - عليهما السلام - وكان صاحبه وشوسه في حياته ، والخليفة القائم من بعده المبلغ شريعته ، ابنه إسماعيل - عليه السلام - ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة إبراهيم حتى تم دور السبعة الصمات .

وكان الرابع من الأنبياء النطقاء موسى بن عمران - عليه السلام - فإنه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم ونوح وإبراهيم ، وكان صاحبه وشوسه أخوه هارون . ولما مات هارون في حياة موسى ، قام من بعد موسى يوشع بن نون خليفة له صمت على شريعته وبلغها ، فأخذها عنه واحد بعد واحد إلى أن كان آخر الصمات على شريعة موسى : يحيى بن زكرياء ، وهو آخر الصمات . ثم كان الخامس من الأنبياء النطقاء المسيح عيسى بن مريم - صلوات الله عليه - فإنه نطق بشريعة نسخ بها شرائع من كان قبله ، وكان صاحبه وشوسه شمعون الصفا ، ومن بعده تمام السبعة الصمات على شريعة المسيح .



إلى أن كان السادس من الأنبياء النطقاء نبينا محمدا ﷺ ، فإنه نطق بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التي جاء بها الأنبياء من قبله ، وكان صاحبه وشوسه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ثم من بعد علي ستة صمّثوا على الشريعة المحمدية ، وقاموا بميراث أسرارها ، وهم : ابنه الحسن ، ثم ابنه الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو آخر الصمّث من الأئمة المستورين .

والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان ، وعند هؤلاء الإسماعيلية أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وأنه الذي انتهى إليه علم الأولين ، وقام بعلم بواطن الأمور وكشفها ، وإليه المرجع في تفسيرها دون غيره ، وعلى جميع الكافة أتباعه والخضوع له والالتقياد إليه والتسليم له ، لأن الهداية في موافقته وأتباعه ، والضلال والخيرة في العُدول عنه . فإذا تقرّر ذلك عند المدعو ، انتقل الداعي إلى الدعوة الخامسة .

الدعوة الخامسة - مرتبة على ما قبلها ، وذلك أنه إذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد ، أخذ الداعي يقرّر أنه لا بد مع كل إمام قائم في كل عصر حجاج متفرقون عليهم تقوم الأرض في جميع جهاتها ، وعدة هؤلاء الحجج أبدا اثنا عشر رجلا في كل زمان ، كما أن عدد الأئمة سبعة . ويستدل لذلك بأمر : منها أن الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ، ولا بد في خلق كل شيء من حكمة ، وإلا فلم يخلق النجوم التي بها قوام العالم سبعة ، وجعل أيضا السموات سبعة ، والأرضين سبعة ، والبروج اثني عشر ، والشهور اثني عشر شهرا ، ونقباء بني إسرائيل اثني عشر نقيبا ، ونقباء رسول الله ﷺ من الأنصار اثني عشر نقيبا .

وخلق تعالى في كف كل إنسان أربع أصابع ، وفي كل إصبع ثلاثة شقوق ، تكون جملتها اثني عشر شقا . على أنه في كل يد إبهام وفي كل إبهام شقان إشارة ودلالة على أن الإنسان بدنه كالأرض ، وأصابعه كالجزائر الأربع ، والشقوق التي في الأصابع كالحجاج ، والإبهام الذي به قوام جميع الكف وسداد الأصابع ، كالذي يقوم الأرض بعدد ما فيها ، والشقان اللذان في الإبهام إشارة إلى أن الإمام وشوسه لا يفرقان .

ولذلك صار في ظهر الإنسان اثنا عشرة خزرة إشارة إلى الحجج الاثني عشر ، وصار في عنقه سبع ، فكان العنق عاليا على خرزات الظهر ، وذلك إشارة إلى الأنبياء النطقاء والأئمة السبعة ، وكذلك الأثقاب السبعة التي في وجه الإنسان العالي على بدنه وأشياء من هذا النوع كثيرة . فإذا تمهد عند المدعو ما دعاه إليه الداعي وتقرّر ، نقله حينئذ إلى الدعوة السادسة .



الدُّعْوَةُ السَّادِسَةُ - لا تكون إلا بعد ثبوت جميع ما تقدّم في نفس المدعو ، وذلك أنه إذا صار إلى الرُّتبة الخَامِسَةَ ، أَخَذَ الدَّاعِي فِي تَفْسِيرِ مَعَانِي شَرَائِعِ الإِسْلَامِ - مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالطُّهَارَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَرَائِضِ - بِأُمُورٍ مُخَالَفَةٍ لِلظَّاهِرِ ، بَعْدَ تَمْهِيدِ قَوَاعِدِ تَبِينِ فِي أَرْمِنَةِ مِنْ غَيْرِ عَجَلَةٍ . تَوَدِّي إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَضِعَتْ عَلَى جِهَةِ الرُّمُوزِ لِمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ وَسِيَاسَةِ أُمُورِهِمْ <sup>(a)</sup> ، حَتَّى يَسْتَعْمِلُوا بِهَا عَنْ بَعْثِي بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَتَصُدَّهُمْ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ حِكْمَةً مِنَ النَّاصِبِينَ لِلشَّرَائِعِ ، وَقُوَّةً فِي حُسْنِ سِيَاسَتِهِمْ لِأَتْبَاعِهِمْ ، وَإِثْقَانًا مِنْهُمْ لِمَا رَتَّبُوهُ مِنَ النَّوَامِيسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى يَتِمَّكَنَ هَذَا الْإِعْتِقَادُ فِي نَفْسِ الْمَدْعُوِّ .

فَإِذَا طَالَ الزَّمَانُ ، وَصَارَ الْمَدْعُوُّ وَلَا بَدَّ <sup>(b)</sup> يَعْتَقِدُ أَنَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ كُلَّهَا وَضِعَتْ عَلَى سَبِيلِ الرُّمُزِ لِسِيَاسَةِ الْعَامَّةِ ، وَأَنَّ لَهَا مَعَانِي أُخْرَ غَيْرَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الظَّاهِرُ ، نَقَلَهُ الدَّاعِي إِلَى الْكَلَامِ فِي الْفَلَسَفَةِ ، وَحَضَّهُ عَلَى النَّظَرِ فِي كَلَامِ أَفْلَاطُونِ وَأَرِسْطُو وَفِيثَاغُورَسِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَنَهَاهُ عَنِ قَبُولِ الْأَخْبَارِ وَالِاخْتِجَاجِ بِالسَّمْعِيَّاتِ ، وَزَيَّنَ لَهُ الْإِقْتِدَاءَ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالتَّغْوِيلَ عَلَيْهَا .

فَإِذَا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ / عِنْدَهُ وَاعْتَقَدَهُ ، نَقَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الدُّعْوَةِ السَّابِعَةِ ، وَيَخْتِجِاجُ ذَلِكَ إِلَى زَمَانٍ طَوِيلٍ .

الدُّعْوَةُ السَّابِعَةُ - لا يُفْصِحُ بِهَا الدَّاعِي مَا لَمْ يَكْثُرْ أُنْسُهُ بِمَنْ دَعَاهُ ، وَبِتَيَقُّنِ أَنَّهُ قَدْ تَأَهَّلَ إِلَى الْإِنْتِقَالِ إِلَى رُتْبَةٍ أَعْلَى مِمَّا هُوَ فِيهِ ، فَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ مِنْهُ قَالَ : اعْلَمْ <sup>(c)</sup> أَنَّ صَاحِبَ الدَّلَالَةِ وَالنَّاصِبِ لِلشَّرِيعَةِ لَا يَسْتَعْنِي بِنَفْسِهِ ، وَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ صَاحِبٍ مَعَهُ يُعْبَرُ عَنْهُ ، لِيَكُونَ أَحَدُهُمَا الْأَضْلُّ وَالْآخَرُ عَنْهُ كَانَ وَصَدَرَ . وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ لِمَا يَحْوِيهِ الْعَالَمُ الْعُلْوِيُّ ، فَإِنَّ مُدَبِّرَ الْعَالَمِ فِي أَضَلِّ التَّرْتِيبِ وَقِيَامِ النُّظَامِ صَدَرَ عَنْهُ أَوَّلَ مَوْجُودٍ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَلَا سَبَبٍ نَشَأَ عَنْهُ ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [الآية ٨٢ سورة يس] إِشَارَةٌ إِلَى الْأَوَّلِ فِي الرُّتْبَةِ ، وَالْآخِرُ هُوَ الْقَدَرُ الَّذِي قَالَ فِيهِ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [الآية ٤٩ سورة القمر] ، وَهَذَا مَعْنَى مَا نَسَمِعُهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الْقَلَمَ فَقَالَ لِلْقَلَمِ « اكْتُبْ » فَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ مَا هُوَ كَائِنٌ .

وَأَشْيَاءٌ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مَوْجُودَةٌ فِي كُتُبِهِمْ ، وَأَضْلَاهَا مَاخُودٌ مِنْ كَلَامِ الْفَلَسَفَةِ الْقَائِلِينَ : الْوَاحِدُ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ إِلَّا وَاحِدٌ ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الْمُتَّصِفَةَ وَبَسَطُوهُ بِعِبَارَاتٍ أُخْرَى فِي كُتُبِهِمْ . فَإِنَّ

(a) بولاق : سياستهم . (b) ولا بد : ساقطة من بولاق . (c) ساقطة من بولاق .



كنت ممن ارتاض وعرف مقالات الناس ، تبين لك ما ذكرت . ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى .

وإذا تقرّر ما ذكر في هذه الدعوة عند المدعو ، نقله الداعي إلى الدعوة الثامنة .

الدعوة الثامنة - متوقفة على اعتقاد سائر ما تقدّم ، فإذا استقرّ ذلك عند المدعو ديناً له ، قال له الداعي : اعلم أنّ أحد المذكورين اللذين هما : مُدبّر الوجود والصادر عنه ، إنّما تقدّم السابق على اللاحق تقدّم العلة على المعلول ، فكانت الأعيان كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثاني بترتيب معروف في بعضهم . ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يُعبر عنه ولا يُقيد ، فلا يُقال : هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قدير ولا عاجز ، وكذلك سائر الصفات - فإنّ الإثبات عندهم يقتضي شركة بينه وبين المُحدثات ، والنفي يقتضي التّعطيل - وقالوا : ليس بقديم ولا مُحدث ، بل القديم أمره وكلمته ، والمُحدث خلقه وفطرته ، كما هو مبسوط في كتبهم .

فإذا استقرّ ذلك عند المدعو ، قرّر عنده الداعي أنّ التالي يدأب في أعمال منه<sup>a</sup> حتى يلحق بمنزلة السابق ، وأنّ الناطق<sup>b</sup> في الأرض يدأب في أعماله حتى يلتحق<sup>c</sup> بمنزلة<sup>d</sup> التالي فيقوم مقامه ويصير بمنزلة سواء ، وأنّ الشّوس يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة<sup>d</sup> الناطق سواء ، وأنّ الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة الشّوس وحاله سواء . وهكذا تجري أمور العالم في أكواره وأدواره .

ولهذا القول بسط كبير ، فإذا اعتقد المدعو ذلك<sup>d</sup> قرّر عنده الداعي أنّ معجزة النبي الصادق الناطق ليست سوى مجيئه بأشياء<sup>e</sup> ينتظم بها سياسة الجمهور ، وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوي معاني فلسفية تُنبئ عن حقيقة أئمة السماء والأرض ، وما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والأغراض : تارة برؤوس يعقلها العالمون ، وتارة بإفصاح يعرفه كلُّ أحد ، فينتظم بذلك للشّيء شريعة يتبعها الناس .

ويقرّر عنده أيضاً أنّ القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الذهن إليه ، وليس هو إلاّ حدوث أدوار عند انقضاء أدوار من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها ، من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع ، كما قد بسطه الفلاسفة في كتبهم ، فإذا استقرّ هذا العقد عند المدعو ، نقله الداعي إلى الدعوة التاسعة .

(a) بولاق : في أعماله . (b) بولاق : الصامت . (c) بولاق : يصير . (d-d) ساقطة من بولاق . (e) بولاق : غير أشياء .



الدعوة التاسعة - هي النتيجة التي يُحاول الداعي ، بتقرير جميع ما تقدم ، رُسوخها في نفس من يدعوه . فإذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السرّ والإفصاح عن الرّموز ، أحاله على ما تقرّر في كُتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الإلهي ، وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية ؛ حتى إذا تمكن المدعو من معرفة ذلك ، كَشَفَ الداعي قِنَاعَهُ وقال : ما ذَكَرَ من الحُدُوث والأصُول رُمُوزٌ إلى معاني المبادي وتقلّب الجواهر ، وإنّ الوحي إنّما هو صفاء النفس ، فيجد النبيّ في فهمه ما يُلقى إليه ويتنزّل عليه ، فيبرزه إلى الناس ، ويُعبّر عنه بكلام الله الذي ينظّم به النبيّ شريعته ، بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة .

ولا يجب حينئذ العمل بها إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدّهماء ، بخلاف العارف فإنّه لا يلزمه العمل بها ، ويكفيه معرفته فإنّها اليقين الذي يجب المصير إليه ، وما عدا المعرفة من سائر المشروعات ، فإنّما هي أثقال وأصارٌ حملها الكفارُ أهل الجهالة لمعرفة الأعراض والأسباب . ومن جملة المعرفة عندهم أنّ الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إنّما هم لسياسة العامة ، وأنّ الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة ، وأنّ الإمام إنّما وجوده في العالم الروحاني إذا صيرنا بالرياضة في المعارف إليه ، وظهوره الآن إنّما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه ، ونحو ذلك ممّا هو مبسوط في كُتبهم وهذا حاصل علم الداعي ، ولهم في ذلك مُصنّفات كثيرة منها اختصرت ما تقدّم ذكره .

### ابتداء هذه الدعوة

اعلم أنّ هذه الدعوة منسوبة إلى شخص كان بالعراق يُعرف بميمون القدّاح ، وكان من غلاة الشيعة . فولد ابنا عرف بعبد الله بن ميمون ، اتسع علمه/، وكثرت معارفه ، وكاد أن يطّلع على جميع مقالات الخليفة ، فرتب له مذهبا ، وجعله في سبع دعوات ، ودعا الناس إلى مذهبه ، فاستجاب له خلق ، وكان يدعوا إلى الإمام محمّد بن إسماعيل ، وظهر من الأهواز ونزل بعسكر مكرم ، فصار له مالٌ واشتهرت دُعائه ، فأنكر الناس عليه وهموا به ، ففرّ إلى البصرة ومعه من أصحابه الحسين الأهوازي .

فلما انتشر ذكره بها طلب ، فصار إلى بلاد الشام وأقام بسلمية ، وبها ولد له ابنه أحمد ، فقام من بعد أبيه عبد الله بن ميمون ، فسير الحسين الأهوازي داعية له إلى العراق ، فلقني حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط بسواد الكوفة ، فدعاه واستجاب له ، وأنزله عنده . وكان من أمره ما هو مذكور في أخبار القرامطة من كتابنا هذا ، عند ذكر المعز لدين الله معذ .



ثم إنّه وُلِدَ لأحمد بن عبد الله ابنه الحسين ومحمّد المعروف بأبي الشَّلْعَلَع ، فلمّا هَلَكَ أحمد خَلَفَهُ ابنه الحسين ، ثم قام من بعده أخوه أبو الشَّلْعَلَع ، وكان من أمرهم ما هو مذكور في موضعيه<sup>١</sup>.

فانتشرت الدُّعَاةُ في أقطار الأرض ، وتفقَّهوا في الدُّعْوَة حتى وَضَعُوا فيها الكُتُبَ الكثيرة ، وصارت علماء من العلوم المدوّنة ، ثم اضمَّحلت الآن وذَهَبَت بذهاب أهلها ، ولهذا يُقال : إنَّ أصلَ دَعْوَة الإسماعيلية مأخوذٌ من القرامطة ، ونُسِبُوا من أجلها إلى الإلحاد<sup>٢</sup>.

### صِفَةُ الْعَهْدِ الَّذِي يُؤْخَذُ عَلَيْهِ الْمَرْغُوعُ

وهو أنَّ الدَّاعِي يقول لمن يأخذ عليه العَهْدَ وَيَخْلُفُهُ<sup>٣</sup> : جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ ، وَذِمَّةَ رَسُولِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَمَا أَخَذَهُ عَلَى النَّبِيِّينَ مِنْ عَقْدٍ وَعَهْدٍ وَمِيثَاقٍ ، أَنْكَ تَشْتَرُ جَمِيعَ مَا تَسْمَعُهُ وَسَمِعْتَهُ وَعَلِمْتَهُ وَتَعَلَّمْتَهُ وَعَرَفْتَهُ وَتَعَرَّفْتَهُ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ الْمُقِيمِ بِهَذَا الْبَلَدِ لِصَاحِبِ الْحَقِّ ، الْإِمَامِ الَّذِي عَرَفْتَهُ إِقْرَارِي لَهُ وَنُصَّحِي لِمَنْ عَقَدَ ذِمَّتَهُ ، وَأُمُورِ إِخْوَانِهِ وَأَصْحَابِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْمُطِيعِينَ لَهُ عَلَى هَذَا الدِّينِ ، وَمُخَالَصَتِهِ لَهُ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ وَالصُّغَارِ وَالْكِبَارِ فَلَا تُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا ، وَلَا شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِلَّا مَا أَطْلَقْتُ لَكَ أَنْ تَتَكَلَّمُ بِهِ ، أَوْ أَطْلَقَهُ لَكَ صَاحِبُ الْأَمْرِ الْمُقِيمِ بِهَذَا الْبَلَدِ ، فَتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ بِأَمْرِنَا ، وَلَا تَتَعَدَّاهُ وَلَا تُزِيدُ عَلَيْهِ .

<sup>١</sup> انظر فيما تقدم ١٧٣ حيث ذكر المقرئ هذا الموضوع في حديثه عن نسب الخلفاء الفاطميين ، وما دُكِرَ من مراجع .

<sup>٢</sup> راجع عن العلاقة بين الإسماعيلية (الفاطمية) والقرامطة أولاً مقال فلاديمير ايفانوف Ivanow, W., «Ismailis and Qarmatians», *JBBRAS* N.S. 16 Madelung, ثم مقال ولفرد ماديلونغ W., «Fatimiden and Bahrein-Qarmaten», *Der Islam* 34 (1959), pp. 34-88 بالإنجليزية بعنوان «The Fatimids and Qarmatis of Bahrayn», in Daftary, F. (ed.), *Mediaeval Ismaili History and Thought* Cambridge 1996, pp. 21-73 وأخيراً مقال فرهاد دفتري Daftary, F., «A Major Schism in the Early Ismā'ili Movement», *SI* 77

<sup>٣</sup> من أوائل النصوص الإسماعيلية التي تمدنا بمعلومات عن «العهد» الذي كان يأخذه الدُّعَاةُ عَلَى الْمُسْتَجِيبِينَ كتاب «العالم والغلام» لجعفر بن منصور اليميني الذي نشره جيمس موريس James W. Morris مع ترجمة إنجليزية بعنوان *The Master and the Disciple. An Early Islamic Spiritual Dialogue*, London - The Institute of Ismaili Studies 2001 ، وانظر كذلك مقال هانز هالم Halm, H., «The Ismā'ili Oath of Allegiance (ʿahd) and the Session of Wisdom (majālis al-hikma) in Fatimid Times», in Daftary, F., (ed.), *Mediaeval Ismā'ili History and Thought*, pp. 91-115.



وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبَعْدَهُ بِقَوْلِكَ وَفِعْلِكَ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَتَشْهَدَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَشْهَدَ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ لِحَقِّهَا ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ، وَتُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَتُوَالِيَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ، وَتُعَادِيَ أَعْدَاءَ اللَّهِ ، وَتَقُومَ بِفَرَائِضِ اللَّهِ وَسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَعَلَانِيَةً ، سِرًّا وَجَهْرًا .

فَإِنْ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ هَذَا الْعَهْدَ وَلَا يَهْدِمُهُ ، وَيُبَيِّنُهُ وَلَا يُزِيلُهُ ، وَيُقَرِّبُهُ وَلَا يُبَاعِدُهُ ، وَيَشُدُّهُ وَلَا يُضْعِفُهُ ، وَيُوجِبُ ذَلِكَ وَلَا يُنْطِلِقُهُ ، وَيُوضِّحُهُ وَلَا يُعَمِّيهِ . كَذَلِكَ هُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَسَائِرُ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - عَلَى الشَّرَائِطِ الْمُبَيَّنَةِ فِي هَذَا الْعَهْدِ ، جَعَلَتْ عَلَى نَفْسِكَ الْوَفَاءَ بِذَلِكَ قُلُّ نَعَمْ ، فَيَقُولُ الْمَدْعُو : نَعَمْ .

ثُمَّ يَقُولُ الدَّاعِي لَهُ : وَالصِّيَانَةَ لَهُ بِذَلِكَ وَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ ، عَلَى الْأَلَّا تُظْهِرَ شَيْئًا أُخِذَ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْعَهْدِ فِي حَيَاتِنَا وَلَا بَعْدَ وَفَاتِنَا ، لَا فِي غَضَبٍ وَلَا عَلَى حَالٍ رَضِي ، وَلَا عَلَى رَغْبَةٍ وَلَا فِي حَالٍ رَهْبَةٍ ، وَلَا عِنْدَ شِدَّةٍ وَلَا فِي حَالٍ رَخَاءٍ ، وَلَا عَلَى طَمَعٍ وَلَا عَلَى حِرْزِمَانٍ ؛ تَلْقَى اللَّهُ عَلَى الشَّرِّ لَذَلِكَ وَالصِّيَانَةَ لَهُ ، عَلَى الشَّرَائِطِ الْمُبَيَّنَةِ فِي هَذَا الْعَهْدِ .

وَجَعَلَتْ عَلَى نَفْسِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ وَذِمَّتَهُ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ﷺ : أَنْ تَمْنَعَنِي وَجَمِيعَ مَنْ أَسْمِيهِ لَكَ وَأُتْبِئْتَهُ عِنْدَكَ مِمَّا تَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِكَ ، وَتَنْصَحَ لَنَا وَلَوْلِيكَ وَلِيِّ اللَّهِ ، نُصْحًا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، فَلَا تَخُنَ اللَّهَ وَوَلِيَّهُ وَلَا أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِنَا وَأَوْلِيَانِنَا وَمَنْ تَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَّا ، بِسَبَبٍ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ ، وَلَا رَأْيٍ وَلَا عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ تَنَاوَل<sup>(a)</sup> عَلَيْهِ بِمَا يَبْطُلُهُ .

فَإِنْ فَعَلْتَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ - وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ خَالَفْتَهُ ، وَأَنْتَ عَلَى ذِكْرِ مِنْهُ - فَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ خَالِقِ السَّمَلَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي سَوَّى خَلْقَكَ وَأَلْفَ تَرْكِيبِكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ وَأَخْرَجْتَكَ ، وَتَبَرَأَ مِنْ رَسُولِهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَمَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَالرُّوحَانِيِّينَ وَالْكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَتَبَرَأَ مِنَ الثُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَمِنْ كُلِّ دِينٍ ارْتَضَاهُ اللَّهُ فِي مُقَدِّمِ الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَمِنْ كُلِّ عَبْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(a) بولاق : تناوَل .



وأنت خارج من حزب الله وحزب أوليائه <sup>(a)</sup> وداحل في حزب الشيطان وحزب أوليائه <sup>(a)</sup>،  
 وخذلك الله خذلانا بيننا يُعجل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير إلى نار جهنم التي ليس لله فيها  
 رحمة، وأنت بريء من حول الله وقوته ملجأ إلى حول نفسك وقوتك، وعليك لعنة الله التي  
 لعن الله بها إبليس وحرّم عليه بها الجنة وخلّده في النار، إن خالفت شيئاً من ذلك، ولقيت الله  
 يوم تلقاه وهو عليك غضباناً .

والله عليك أن تخرج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجاً واجباً ماشياً حافياً، لا يقبل الله منك  
 إلا الوفاء بذلك . وكل ما تملك في الوقت الذي تُخالفه فيه، فهو صدقة على الفقراء  
 والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم، لا يأجرك الله عليه، ولا يُدخل عليك بذلك منفعة . /  
 وكل مملوك لك من ذكرٍ أو أنثى في ملكك، أو تستفيده إلى وقت وفاتك، إن خالفت شيئاً  
 من ذلك، فهم أحرارٌ لوّجه الله عزّ وجلّ . وكل امرأة لك أو تزوّجها إلى وقت وفاتك، إن  
 خالفت شيئاً من ذلك، فهن طوالق ثلاثاً بثّة، طلاق الحرج لا مشوّية <sup>(b)</sup> لك ولا خيار ولا رجعة  
 ولا مشيئة . وكل ما كان لك من أهلٍ ومالٍ وغيرهما، فهو عليك حرام، وكلّ ظهارٍ فهو  
 لازم لك .

وأنا المُستخلف لك لإمامك وحجتك، وأنت الحالف لهما . وإن نويت أو عقدت أو أضمرت  
 خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به، فهذه اليمين من أولها إلى آخرها مُجدّدة عليك لازمة  
 لك، ولا يقبل الله منك إلا الوفاء بها، والقيام بما عاهدت بيني وبينك، قل نعم، فيقول:  
 نعم <sup>١</sup> .

ولهم مع ذلك وصايا كثيرة أضربنا عنها حشية الإطالة، وفيما ذكرنا لمن عقل  
 كفاية <sup>(c)</sup> .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : مشوية . (c) بولاق : وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل .



## ذِكْرُ الدَّيَّانِ (a)

وكانت دواوين الدولة الفاطمية<sup>١</sup>، لما قدم المعز لدين الله إلى مصر ونزل بقصره في القاهرة، محلها بدار الإمارة من جوار الجامع الطولوني. فلما مات المعز، وقلد العزيز بالله الوزارة ليعقوب ابن كلس، نقل الدواوين إلى داره؛ فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته إلى القصر، فلم تنزل به إلى أن استبد الأفضل ابن أمير الجيوش، وعمّر دار المسلك بمصر، فنقل إليها الدواوين، فلما قتل عادت من بعده إلى القصر، وما زالت هناك حتى زالت الدولة.

قال في كتاب «الذخائر والتحف»: وحدثني من أتق به قال: كنت بالقاهرة يوماً من شهور سنة تسع وخمسين وأربع مائة، وقد استفتح أمر المارقين، وقويت شوكتهم، وامتدت أيديهم إلى أخذ الذخائر المصونة في قصر السلطان بغير إذنه<sup>(b)</sup>؛ فرأيت وقد دخل من باب الدئلم، أخذ أبواب القصور المعمورة الزاهرة، المعروف بتاج الملوك شاذي، وفخر العرب علي بن ناصر الدولة ابن حمدان، ورضي الدولة بن رضي الدولة، وأمير الأمراء بجتكين بن سبكتكين، وأمير العرب ابن كئغلغ، والأعز بن سنان، وعدة من الأمراء أصحابهم البغداديين وغيرهم، وصاروا في الإيوان الصغير؛ فوقفوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم وجماعتهم، وكان معهم أخذ الفراشين المستخدمين برسم القصور المعمورة، فدخلوا إلى حيث كان الديوان النظري في الديوان المذكور، وصحبهم فعلة، وانتهوا إلى حائط مجير، فأمروا الفعلة بكشف الجير عنه، فظهرت حنية باب مسدود فأمروا بهدمه، فتوصلوا منه إلى خزانة ذكر أنها عزيزية من أيام العزيز بالله؛ فوجد<sup>(c)</sup> فيها من السلاح ما يروق الناظر، ومن الرماح العزيزية المطلية أسنتها بالذهب، ذات مہارك فضة مجرأة بسواد تمسوح وفضة بياض ثقيلة الوزن عدة رزم، أعوادها من الزان الجيد، ومن السيوف الجوهرة النصول، ومن النشاب الخلتج وغيره، ومن الدرق اللمط والحجف التبتى وغير ذلك، ومن الدروع المكلل سلاح بعضها، والمحلى بعضها بالفضة المركبة عليه، ومن التخافيف

(a) بولاق: الدواوين. (b) بولاق: أمره. (c) بولاق: فوجدوا.

<sup>١</sup> انظر كذلك فيما تقدم ١: ٢٤٤-٢٤٥.



والجواشين<sup>١</sup> والكزاعنيدات<sup>٢</sup>(a) الملبسة ديباجا، المكوكبة بكوايج<sup>b</sup> فضة، وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار، فحملوا جميع ذلك إلى<sup>c</sup> بعد صلاة المغرب .

ولقد شاهدت بعض حواشيهم وركابياتهم يكسرون الرماح، ويثلفون بذلك أعوادها الزان ليأخذوا المهارك الفضة، ومنهم من يجعل ذلك في سيزواله<sup>d</sup> وعمامته وجيبه، ومنهم من يشتوهب من صاحبه السيف الثمين .

وكان فيها من الرماح الطوال الخطيئة السمر الجياد عدة، حملوا منها ما قدروا عليه، وبقي منها ما كسره الركابية ومن يجري مجراهم، كانوا يبيعونه للمغازلين ولصناع المرادين حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة. ولم تعترضهم الدولة، ولا التفتت إلى قدر ذلك ولا احتفلت به، وجعلته هو وغيره فداءً لأموال المسلمين وحفظاً لما في منازلهم<sup>٣</sup>.

### ديوان المجلس

قال ابن الطوير: ديوان المجلس هو أصل الدواوين قديماً، وفيه علوم الدولة بأجمعها، وفيه عدة كتاب، ولكل واحد مجلس مفرد، وعنده معين أو معينان. وصاحب هذا الديوان هو المتحدث في الإقطاعات، ويلحق بديوان النظر<sup>٤</sup>، ويخلع عليه ويثبأ له السجل، وله المرتبة والمسند والدواة والحاجب إلى غير ذلك<sup>٥</sup>.

(a) بولاق: الكراعيدات . (b) بولاق: بكواكب . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق: سراويله .

١ وتكسى بالثياب الديباج أو غيرها وتخطط عليها وتحنن بالثبييت بالحرير وغيره (Cahen Cl., op.cit., p. 116) .

٢ هذا النص الطويل المنقول من كتاب «الدخائر والتحف» لا يوجد في النسخة الوحيدة من الكتاب التي وصلت إلينا، وهي دليل على أن ما وصل إلينا من الكتاب منتخباً أو مختاراً منه .

٣ انظر فيما تقدم ١: ٢٢١، ٨، ٢٦٨، ٢١ .

٤ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٧٤-٧٥ .

١ جوشن ج. جواشين. الدرع (Cahen, Cl., Un) (traité d'armurerie, p. 116) .

٢ كزاعنيدات ج. كزاعنيدات. لفظ فارسي الأصل معناه المعطف القصير الذي يلبس فوق الزردية، وكان يصنع من القطن أو الحرير المبطن المتجد (Dozy, R., Supl. Dict.) Ar. II, p. 470؛ المقرئ: السلوك ١: ٢٥٣ هـ؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٢: ٤٤ هـ). وعند الطرسوسي أن الكزاعنيدات مما استخرجه مولدو الأعراب وهي زرديات رفاع يلبس عليها ثياب قد بسط فوقها مشاقة الحرير والمصطكا



قال: ذكروا خدَمهم الخاصَّة المتَّصلة بهم. فأولها «دَفْتَرُ المجلس» وصاحبه من الأُستاذين المحنَّكين، ثم يتولاه أَجَلُ كُتَّابِ الدَّوْلَةِ مَن يكون مترشِّحاً لرأس الدَّواوين. ويتضمَّن ذلك الدَّفْتَرُ - وله مكانٌ ديوان بالقصر - الباطن من الإنعام في العطايا، والظاهر من الرسوم المُفرَّقة<sup>(a)</sup> في عُزَّة السنة، والضُّحايا، والمرتب من الكُشوات للأولاد والأقارب والجهات وأرباب الرُّتب على اختلاف الطبقات، وما يرد من ملوك الدُّنيا من التُّحف والهدايا، وما يُرسَل إليهم من المِلاطفات، ومقادير الصُّلات/ للمترسِّلين بالمكاتبات، وما يُخرَج من الأُكفان لمن يموت من أرباب الجهات المحترَمات.

ثم يَضْبِط ما يُنْفَق في الدَّوْلَةِ من المُهمَّات ليعلم ما بين كلِّ سنة من التَّفاوُت: فالعُزَّة<sup>(b)</sup> المنعم بها في أوَّل العام من الدَّنانير والرُّباعية والقراريط تُقَرَّب من ثلاثة آلاف دينار، وتَمَنُّ الضُّحايا يُقَرَّب من ألفي دينار، وما يُنْفَق في دار الفِطْرَةِ فيما يُفَرِّق على النَّاس سبعة آلاف دينار، وما يُنْفَق في دار الطُّراز للاستعمالات: الخاصَّ وغيرها في كلِّ سنة عشرة آلاف دينار، وما يُنْفَق في مُهمَّ فتح الخليج غير المطاعِم ألفا دينار، وما يُنْفَق في شهر رَمَضان في سِماطه ثلاثة آلاف دينار، وما يُنْفَق في سِماطِي الفِطْرِ والنَّحر أربعة آلاف دينار؛ هذا خارجاً<sup>(c)</sup> عمَّا يُطلَق للنَّاس أَصنافاً من خِزائنه<sup>(d)</sup> من المأكِل والمشارِب والمواصلة من الهبات، وما تخرج به الخُطوط من التُّشريفات والمسامحات، وما يُطلَق من الأَهراء من الغلَّات حتى لا يفوتهم عِلْمُ شيءٍ من هذه المُطلقات.

وفي هذه الخِدْمَةِ كاتبٌ مستقلٌّ بين يدي صاحب ديوانه الأُصل<sup>(e)</sup>، ومعه كاتبان آخران لتنزيل ذلك في الدَّفْتَرِ. والدَّفْتَرُ عبارة عن جرائدٍ مَسْطُوحات يُنَزَّلُ ذلك فيها في أوقاته من غير قَوَاتٍ<sup>١</sup>.

قال: وإذا انقضى عيدُ النَّحر من كلِّ سنة، تقدَّم بَعْمَلِ «الاستيمار»<sup>٢</sup> لتلك السنة تمامَ ذي الحِجَّة منها، فيجتمع كُتَّابُ ديوان الرُّواتب عند مُتَوَلَّيه، وتُحْمَلُ العُروضُ إليه. فإذا تحرَّرت نُسخة

(a) بولاق: المعروفة. (b) بولاق: الصُّرَّة. (c) بولاق: وهذا خارج. (d) بولاق: خِزائنه. (e) بولاق: الأصلي.

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ٧٤-٧٦. المأمون: أخبار مصر ٥٩، ٧٠؛ ابن أيبك: كثر الدرر  
<sup>٢</sup> الاستيمار: هو السجل الحكومي الذي يشتمل على أرزاق ذوي الأقاليم وغيرهم من أرباب المناصب في الدولة مياومةً ومُشاهرةً ومُسانهةً من الرُّواتب من مبلغ عَيْنٍ وغَلَّةٍ (ابن اتعاظ الحنقا ٢: ١١٢، والسلوك ١: ٨٥٠، ٧٣٨: ٢ وفيما يلي ٥٣٤، ٢: ٢٢٤).



التحرير يُصنّف بعد أن يُستدعى من المجلس أوراق بالإذرار الذي يقبض بغير خروج - وفي الإذرار ما هو مستقرّ بالوجهين - فيضاف هذا المبلغ بجهاته إلى المبالغ المعلومة بديوان الرّواتب وجهاتها، حتى لا يفوت الاستيثار<sup>(a)</sup> شيء من كل ما تقرّر شرّحه، ويعلم مقداره عينيًا وورقًا وغلة وغير ذلك. فيحرّر ذلك كله بأسماء المترّقين، وأولهم الوزير ومن يلوذ به، وعلى ذلك إلى أن ينتهي الجميع إلى أرباب الضّوّ<sup>(b)</sup>. فإذا تكمّل استدعي له من خزائنة الفُرُوش<sup>(c)</sup> وطاء خري<sup>١</sup> لشده، وشراية لشكه<sup>(c)</sup> إمّا حضراء أو حمراء، ويُعمل له صدر من الكلام اللائق بما بعده.

وهذا كله خارج عن الكشوات المطلقة لأربابها،<sup>(e)</sup> ورسم العزّة في أوّل<sup>(e)</sup> كل سنة، وما يُحمّل من دار الفطرة من الأضناف برسم عيد الفطر، وعمّا يشهد به دفتّر المجلس من العطايا الخافية والرّسوم. وقد انعقد مرّة - وأنا أتولّى ديوان الرّواتب - على ما مبلغه نيّف ومائة ألف دينار أو قريب من مائتي ألف درهم<sup>(f)</sup>، ومن القمح والشّعير على عشرة آلاف أردب.

فإذا فرغ من شكّه<sup>(g)</sup> في الشراية، حُمِلَ إلى صاحب ديوان النّظر إن كان، وإلا لصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة إن كان - يعني مستبدًا - أو الوزير، لاستقبال المحرم من السنة الآتية في أوقات معلومة، فيتأخّر في العرض، ريثما<sup>(h)</sup> يستوعب المحرم ليحيط العلم بما فيه، فإذا كَمَل العرض أخرج إلى الديوان وقد شُطب على بعضه.

وكانوا يتحرّجون من الإقامات على مال الدّولة التي لا أصل لها وعلى غير متوقّف، ويتنجزها أربابها بالتشقيلات<sup>(i)</sup> على الخلفاء والوزراء، ويُنقص قوم للاستكثار، ويُزاد قوم للاستحقاق، ويُصرف قوم ويُستخدّم آخرون، على ما تقتضيه الآراء في ذلك الوقت، ثم يخرج فيسلم<sup>(j)</sup> لربّ هذا الديوان، فيحمل الأمر على ما شُطب فيه<sup>(k)</sup>، وعلاّمة الإطلاق خروجه من العرض.

(a) بولاق: من الاستيثار. (b) بولاق: الضر. (c) بولاق: الفرش. (d) بولاق: لمسكه. (e-e) بولاق: والرّسوم المعدّة في. (f) بولاق: دينار. (g) بولاق: مسكه. (h) بولاق: ربما. (i) بولاق: بالمستقبلات. (j) بولاق: ثم يسلم. (k) بولاق: عليه.

<sup>١</sup> وطاء ج. أوطية. والوطاء ككتاب وسحاب خلاف تكون شيئًا أشبه بالخذاد تقدم عليه الخلع من باب التشريف. الغطاء (الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٧٠)، ويمكن أن



وقيل : إِنَّهُ عَمِلَ مَرَّةً فِي أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ ، فَلَمَّا اسْتَوْذَنَ عَلَى عَرْضِهِ قَالَ : هَلْ وَقَعَ أَحَدٌ بِمَا فِيهِ غَيْرُنَا ؟ قِيلَ لَهُ : مَعَاذَ اللَّهِ يَا مَوْلَانَا ، مَا تَمَّ إِنْعَامٌ إِلَّا لَكَ ، وَلَا رِزْقٌ إِلَّا مِنْ اللَّهِ عَلَى يَدَيْكَ . فَقَالَ : مَا يُتَّقَضُ مَا تَخْرُجُ<sup>(a)</sup> بِهِ أَمْرُنَا وَلَا خَطُّنَا وَمَا صَرَفْنَا فِي دَوْلَتِنَا بِإِذْنِنَا .

وَتَقَدَّمَ إِلَى وَلِيِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ خَيْرَانَ<sup>(b)</sup> كَاتِبَ الْإِنْشَاءِ بِإِمضَائِهِ لِلنَّاسِ مِنْ غَيْرِ عَرْضٍ ، وَحَمَلَ الْأَمْرَ عَلَى حَكْمِهِ ، وَوَقَعَ<sup>(c)</sup> الْخَلِيفَةَ بِظَاهِرِهِ :

«الْفَقْرُ مَرُّ الْمَذَاقِ ، وَالْحَاجَةُ تُذِلُّ الْأَعْنَاقَ ، وَحِرَاسَةُ النِّعَمِ بِإِذْرَارِ الْأَرْزَاقِ ،  
فَلْيُجْرُوا عَلَى رُسُومِهِمْ فِي الْإِطْلَاقِ ، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ  
بَاقٍ﴾<sup>(d)</sup> [الآية ٩٦ سورة النحل] .

وَوَقَعَ فِي خِلَافَةِ الْحَافِظِ لِلدِّينِ اللَّهِ عَلَى اسْتِيمَارِ الرُّوَاتِبِ مَا نَصَّه :

«أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَسْتَكْثِرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ كَثِيرَ الْإِعْطَاءِ ، وَلَا يُكَدِّرُهُ بِالتَّأخِيرِ  
لَهُ وَالتَّشْوِيفِ وَالإِبْطَاءِ . وَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ مَا أَرْبَابُ الرُّوَاتِبِ عَلَيْهِ مِنَ الْقَلْقِ  
لِلْإِمْتِنَاعِ مِنْ إِجَابَاتِهِمْ ، وَحَمَلَ خُرُوجَاتِهِمْ : قَدْ ضَعُفَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَقَنَطَتْ  
نُفُوسُهُمْ ، وَسَاءَتْ ظُنُونُهُمْ ، شَمِلَهُمْ بِرَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ ، وَأَمَّنَّهُمْ مِمَّا كَانُوا  
وَجِلِينَ مِنْ مَخَافَتِهِ ، وَجَعَلَ التَّوْقِيعَ بِذَلِكَ بِخَطِّ يَدِهِ تَأْكِيدًا لِلْإِنْعَامِ وَالْمَنْ ،  
وَتَهْيِئَةً بِصَدَقَةٍ لَا تُشْبَعُ بِالْأَذَى وَالْمَنْ ؛ فَلْيَعْتَمِدْ فِي دِيْوَانِ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ  
إِجْرَاءً مَا تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْأُورَاقُ ذِكْرَهُمْ ، عَلَى مَا أَلْفُوهُ وَعَهْدُوهُ مِنْ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : جبران . (c) بولاق : ووقع عن . (d) ورد بعد ذلك في نسخة آياصوفيا الفقرة التالية التي تبدأ بـ: وقال في كتاب كنز الدرر، ثم كتب على هامش النسخة: لعل محله هنا أو يقدم قبل: وقال في كتاب كنز الدرر. ووضح أنها طيارة موجودة في أصل نسخة المقرئ.

<sup>١</sup> ولي الدولة أبو محمد أحمد بن علي بن أحمد بن خَيْرَانَ . تولى ديوان الإنشاء بعد أبيه للخليفة الظاهر سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م ، ثم للمستنصر بالله ، وتوفي بعد سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥٢م . فقد ذكر ابن القلانسي أنه كتب سجل تقليد الوزير أبي محمد اليازوري في ذي القعدة من هذه السنة . (المسبحي : أخبار مصر ، الجزء الأربعون ١ : ٣١ ، ٤٤ : ٢ - ٤٦ ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٨٠ ، ٨٥ ؛ ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٥ - ١٣ ؛ ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٦٨ ، ٢٤٤ - ٢٤٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٣٨٢ ، ٧ : ٣١ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٧ : ٢٣٤ - ٢٣٦ ، وفيهما أن وفاته كانت في رمضان سنة ٤٣١هـ) .  
<sup>٢</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ٧٨ ؛ ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٥٠ - ١٥١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٩١ ؛ المقرئ : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٤٣ .



روايتهم ، وإيجابها على سياقها لكافتهم<sup>(a)</sup> ، من غير تأوّل ولا تعت ، ولا  
استدراك ولا تعقب . وليجروا في تشبيباتهم على عاداتهم ، لا يتقض من  
أمرهم ما كان مبرّماً ، ولا ينسخ من رسمهم ما كان مُحكماً ، كرمًا من أمير  
المؤمنين وفعلاً مبرورًا ، وعملاً بما أُخبر به عزّ وجلّ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا  
نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الآية ٩ سورة الإنسان] .  
وليُنسخ في جميع الدواوين بالحضرة إن شاء الله<sup>١</sup> .

وقال في كتاب «كنز الدرر» : إن في سنة ست وأربع مائة ، عُرض على الحاكم بأمر الله  
الاستيثار باسم المتفقيين والقراء والمؤذنين بالقاهرة / ومصر ، وكانت الجملة في كل سنة أحدًا  
وسبعين ألف دينار وسبع مائة وثلاثة وثلاثين دينارًا وثلاثي دينار وربع دينار . فأَمْضَى جميع  
ذلك<sup>٢</sup> .

وقال ابن المأمون : وأما الاستيثار فبلغني ممن أئقّ به أنه كان في الأيام الأفضلية اثني عشر ألف  
دينار ، وصار في الأيام المأمونية لاستقبال سنة ست عشرة وخمس مائة ستة عشر ألف دينار . وأما  
«تذكرة الطراز» فالحكم فيها مثل الاستيثار . والشائع فيها أنها كانت تشمل في الأيام الأفضلية  
على أحدٍ وثلاثين ألف دينار ، ثم اشتملت في الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار ،  
وتضاعفت في الأيام الأميرية<sup>٣</sup> .

وعرض «روزنامج»<sup>٤</sup> بما أنفق عتينا من بيت المال - في مدة أولها محرّم سنة سبع عشرة وخمس  
مائة ، وآخرها سلخ ذي الحجة منها - في العساكر المسيّرة لجهاد الفرنج بريا والأساطيل بحرا ،  
والمُنْفَق في أرباب النفقات من الحجريّة والمُصْطَنَعِيّة والسودان على اختلاف قبوضهم ، وما  
يُنْصَرَف بِرَسْمِ جِرَايَةِ<sup>(b)</sup> القصور الزاهرة ، وما يُبْتاع من الحيوان بِرَسْمِ المَطَايخ ، وما هو بِرَسْمِ مَنْدِيلِ  
الْكُتْمِ الشَّرِيفِ فِي كُلِّ سَنَةِ مِائَةِ دِينَارٍ ، والمُطْلَق في الأعياد والموايسم ، وما يُنْعَم به عند الركوبات

(a) بولاق : ليكافتهم . (b) بولاق : خزانة .

<sup>٤</sup> روزنامج . فارسي الأصل بمعنى كتاب اليوم ، روز

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ٧٨ - ٧٩ .

بمعنى اليوم ونامه بمعنى الكتاب ؛ لأنه يكتب فيه ما يجري كل

<sup>٢</sup> ابن أبيك : كنز الدرر ٦ : ٢٩١ .

يوم من استخراج أو نفقة أو غير ذلك . (الحوارزمي ، مفاتيح

<sup>٣</sup> أي الفترة التي استقل فيها الأمر بأحكام الله بالحكم

العلوم ٣٧) .

(٥١٩-٥٢٤هـ) ، وانظر فيما يلي ٥٣٤ .



من الرسوم والصدقات وعند العود منها ، وتمن الأمتعة المتباعدة من الشجار على أيدي الوكلاء ،  
 والمطلق برسم الرشل والضيوف ومن يصل مستأمنًا ودار الطراز ودار الدياج<sup>١</sup> ، والمطلق برسم  
 الصلات والصدقات ومن يهتدي للإسلام ، وما يُنعم به على الولاة عند استخدامهم في الخدم ،  
 ونفقات بيت المال والعمائر وهو من العين : أربع مائة ألف وثمانية وستون ألفًا وسبع مائة وسبعة  
 وتسعون دينارًا ونصف ، من جملة خمس مائة ألف وسبعة وستين ألفًا ومائة و<sup>(a)</sup>أربعة وتسعين<sup>(a)</sup>  
 دينارًا ونصف . يكون الحاصل بعد ذلك ، مما يُحمل إلى الصناديق الخاص برسم المهتمات لما  
 يتجدد من تشفير العساكر ، وما يُحمل إلى الثغور عند نفاذ ما بها : ثمانية وتسعين ألفًا ومائة  
 وسبعة وتسعين دينارًا ورُبعمًا وشُدسًا . ولم يكن يُكتب من بيت المال وصول بجري<sup>(b)</sup> ولا تُعرف .  
 وذلك خارج عما يُحمل مُشاهرة برسم الديوان المأموني والأجلاء إخوته وأولاده ، وما أنعم به  
 على ما تضمنت اسمه مُشاهرة من الأصحاب والحواشي وأرباب الخدم ، والكتاب والأطباء  
 والشعراء ، والفراشين الخاص والجوق والمؤذنين<sup>(c)</sup> ، والخياطين والرُفائين وصبيان بيت المال ونواب  
 الباب ونقباء الرسائل ، وأرباب الرواتب المستقرة من ذوي النسب والبيوتات ، والضُعفاء ،  
 والصعاليك من الرجال والنساء ، عن مُشاهرتهم : ستة عشر ألفًا وست مائة واثان وثمانون دينارًا  
 وثُلثا دينار ، يكون في السنة مائتي ألف ومائة دينار . فذلك<sup>(d)</sup> الجملة سبع مائة ألف وسبعة وستين  
 ألفًا ومائتين وأربعة وتسعين دينارًا ونصفًا<sup>٢</sup> .

قال : وفي هذا الوقت - يعني شوال سنة سبع عشرة وخمس مائة - وقعت مُرافعة في أبي  
 البركات بن أبي الليث<sup>٣</sup> ، مُتولي ديوان المجلس ، صورتها :

«المملوك يُقبل الأرض ، ويُتهي أنه ما واصل إنهاء حال هذا الرجل وما

يعتمده لأنه أهل ينال خدمة ، وإنما هي نصيحة تلزمه في حق سُلطانه ، وقد

(a-a) بولاق : مائة وأربعين . (b) بولاق : ولا بجري . (c) بولاق : المؤذنين . (d) بولاق : فتكون .

<sup>١</sup> انظر عن دار الطراز ودار الدياج فيما يلي ٥١٩ - ٥٢٠ ، ٥٢٤ ، ٥٣٦ .

<sup>٢</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٧٠ - ٧١ .

<sup>٣</sup> ولي الدولة أبو البركات يوحنا (يُحنًا) بن أبي الليث  
 النُصراني صاحب ديوان المجلس ، ظل يليه إلى أن صرف عنه  
 ١٠٨ ، المقريري : اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٩ ، ٤٣ ، ٧٥ ، ١٢٦ ،  
 ١٤٨ ، وفيما يلي ٣٣٢ .



حَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالذُّخَائِرِ مَا لَا عَدَدَ لَهُ وَلَا قِيَمَةَ عَلَيْهِ ، وَيَضْرِبُ الْمَمْلُوكَ عَنْ وُجُوهِ الْخِيَانَةِ<sup>(a)</sup> الَّتِي هِيَ ظَاهِرَةٌ ، لِأَنَّ السُّلْطَانَ لَا يَرْضَى بِذِكْرِهَا فِي عَالِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا سَمَاعِهَا فِي دَوْلَتِهِ ، وَلَهُ وَأَهْلِهِ مُسْتَعْدِمُونَ فِي الدَّوْلَةِ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً ، بِالْجَارِي الثَّقِيلِ لِكُلِّ مِنْهُمْ .

وَيَذْكَرُ الْمَمْلُوكَ مَا وَصَلَتْ قُدْرَتُهُ إِلَى عِلْمِهِ ، مَا هُوَ بِاسْمِهِ خَاصَّةً دُونَ مَنْ هُوَ مُسْتَعْدِمٌ فِي الدَّوَاوِينِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَيَبْدَأُ بِمَا بَرَسِمِهِ<sup>(b)</sup> مُيَاوِمَةً إِدْرَارًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَالخَزَائِنِ وَدَارِ التَّعْبِثَةِ وَالْمَطَابِخِ وَشُؤْنِ الْخَطْبِ - وَهُوَ مَا يُبَيِّنُ : بَرَسِمِ الْبُقُولَاتِ وَالتَّوَابِلِ - نِصْفِ دِينَارٍ ، وَمِنْ الضُّأَنْ رَأْسٍ وَاحِدٍ ، وَمِنْ الْحَيَوَانِ ثَلَاثَةَ أَطْيَارٍ ، وَمِنْ الْخَطْبِ حَمْلَةً وَاحِدَةً ، وَمِنْ الدَّقِيقِ خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ رَطْلًا ، وَمِنْ الْخُبْزِ عِشْرُونَ وَظَيْفَةً ، وَمِنْ الْفَايِكَةِ ثَمْرَةً وَزَهْرَةً<sup>(c)</sup> قِصْرِيَّتَانِ وَشَمَامَةً .

وَفِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ مِنَ السَّمَاطِ بَقَاعَةَ الذَّهَبِ : طَيْفُورٌ خَاصٌّ<sup>(١)</sup> ، وَصَحْرٌ مِنَ الْأَوَائِلِ ، وَخَمْسَةَ وَعِشْرُونَ رَغِيفًا مِنَ الْخُبْزِ الْمَوَائِدِيِّ وَالسَّمِيدِ . وَفِي كُلِّ يَوْمِيٍّ أَحَدٍ وَأَرْبَعَاءَ مِنَ الْأَسْمِطَةِ بِالْدارِ الْمَأْمُونِيَّةِ مِثْلَ ذَلِكَ . وَفِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْتٍ وَثَلَاثَاءَ مِنَ الْأَسْمِطَةِ الرُّكُوبَاتِ : خُرُوفِ شِوَاءِ<sup>(d)</sup> ، وَجَامٍ<sup>(٢)</sup> حَلْوَى ، وَرُبَاعِيٍّ عَيْنًا .

وَيُخَضَّرُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْإِسْطَبَلَاتِ : بَغْلَةٌ بِمَرْكُوبٍ مُحَلَّى ، وَبَغْلَةٌ بِرَسْمِ الرَّاجِلِ ، وَقَرَّاشِينَ مِنَ الْجُوقِ بِرَسْمِ خِدْمَتِهِ وَتَبِيَّتِ عَلَى بَابِهِ . وَإِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ السُّلْطَانَ فِي اللَّيْلِ ، كَانَ لَهُ شَمْعَةٌ مِنَ الْمَوْكَبِيَّاتِ تُوَصِّلُهُ إِلَى دَارِهِ وَزَنْهَا سَبْعَةَ عَشْرَ رَطْلًا ، وَلَا تَعُودُ . وَبَرَسِمٌ وَوَلَدُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ : ثَلَاثَةَ أَرْطَالِ لَحْمٍ ، وَعِشْرَةَ أَرْطَالِ دَقِيقٍ ، وَفِي أَيَّامِ الرُّكُوبَاتِ رُبَاعِيٍّ .

(a) بولاق : الجنابه . (b) بولاق : باسمه . (c) بولاق : ثمرة زهرة . (d) بولاق : مشوي .

<sup>١</sup> طَيْفُورٌ ج. طَيَافِيرُ . إِنَاءٌ مُقَعَّرٌ عَمِيقٌ قَاعُهُ مَسْطُوحٌ  
<sup>٢</sup> جَامٌ ج. جَامَاتٌ . آنِيَةٌ تَكُونُ مِنَ الْفَخَّارِ أَوْ الزُّجَاجِ  
 وجوانبه مرتفعة باستقامة (Dozy, R., Suppl. Dict. Ar.)  
 يصب فيها السكر بعد نضجه لصنع الحلوى (Dozy, R.,  
 (II, p. 48) . (Suppl. Dict. Ar. I, p. 168)



والمشاهدة جاري ديوان الخاص والمجلس برسمه مائة وعشرون دينارًا ،  
وبرسم ولده راتبًا ؛ عشرة دنانير .

وأثبت أربعة غلمان نصاري ، ونسبهم للإسلام ، في جملة المشتخدمين  
في الركاب ، ولم يخدموا لا في الليل ولا في النهار ، بما مبلغه سبعة دنانير .  
ومن السكر خمسة عشر رطلًا ، ومن عسل النحل عشرة أرطال ، ومن قلب  
الفستق ثلاثة/ أرطال ، وقلب بُندق خمسة أرطال ، وقلب لوز أربعة  
أرطال ، وزد مرثي رطلان ، زيت طيب عشرة أرطال ، شيرج خمسة  
أرطال ، زيت حار ثلاثون رطلًا ، خل ثلاث جرار ، أرز نصف وئبة ، سُمّاق  
أربعة أرطال ، جصرم وكشك وحب زُمان وقراضيا بالشوية اثنا عشر رطلًا ،  
سدر وأشنان وئبة ، ومن الكيزان عشرون شربة عزيزية ، وثلجية واحدة ،  
ومن الشمع ست شمعات : منهم اثنتان منويات ، وأربعة رطليات .

والمسائفة في بكور الغرة : برسم خاصه<sup>a</sup> خمسة دنانير ، وخمس  
رُباعية ، وعشرة قراريط جُدد . وبرسم ولده دينار رُباعي ، وثلاثة قراريط ،  
وخرّوف مقموم ، وخمسة أرؤس ، وزُبع قنطار خبز بُرّ مازق ، وصحن أرز  
بلبن وسُكر .

ومن السّماط بالقصر في اليوم المذكور : خروف شواء ، وزبادي ، وجام  
حلوى ، والخبز وقطعة منفوخ ، ومن القمح ثلاث مائة أردب ، ومن الشعير  
مائة وخمسون أردبًا ، وفي المواليد الأربعة أربع صواني فطرة .

وكشوة الشتاء : برسمه خاصة منديل حريري ، وشقة ديبقي حرير ،  
وشقة ديباج ، ورداء أطلّس ، وشقة ديباج داري ، وشقتان سقلاطون  
إحداهما إسكندراني ، وشقتان عتّابي ، وشقتان خز مغربي ، وشقتان  
إسكندراني ، وشقتان دميّاطي ، وشقة طلي مرّيش<sup>b</sup> وفوطة خاص . وبرسم  
ولده شقة سقلاطون داري ، وشقة عتّابي داري ، وشقة خز مغربي ، وشقتان  
دميّاطي ، وشقتان إسكندراني وشقة طلي وفوطة . وبرسم من عنده منديلًا

(a) بولاق : الخاصة . (b) بولاق : مرش ، آياصوفيا : ممّش ، وصوبها سرجنت : مرّيش . (Serjeant, B.B., *Islamic*)

. (Textiles, p. 158 n. 181)



كَمْ أَحَدَهُمَا خَزَائِنِي خَاصَّ ، وَنِصْفِي أُرْدِيَةِ ذَيْبِي ، وَشُقَّةَ سَقْلَاطُونَ  
دَارِي ، وَشُقَّةَ عَتَّابِي ، وَشُقَّةَ سُوسِي ، وَشُقَّةَ دِمْيَاطِي ، وَشُقَّتَانِ إِسْكَنْدَرَانِي  
وَفُوطَةَ .

وَبَرَسْمِهِ أَيْضًا فِي عِيدِ الْفِطْرِ : طَيْفُورَانِ فِطْرَةَ مَشُورَةَ ، وَمِائَةَ حَبَّةِ بُورِي ،  
وَبَدْلَةَ مُذَهَّبَةَ مُكَمَّلَةَ ، وَلَوْلَدَهُ بَدْلَةَ حَرِيرِ ، وَبَرَسْمَ مَنْ عِنْدَهُ حُلَّةٌ مَذْهَبَةٌ . وَفِي  
عِيدِ النَّخْرِ رَسْمُهُ مِثْلَ عِيدِ الْفِطْرِ ، وَيَزِيدُ عَنْهُ هِبَةٌ مِائَةَ دِينَارٍ . وَلَوْلَدَهُ مِثْلَ  
عِيدِ الْفِطْرِ وَزِيَادَةٌ عَشْرَةَ دِنَانِيرٍ ، وَيُسَاقُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَمِ مَا لَمْ يَكُنْ بِاسْمِهِ .  
وَفِي مَوْسَمِ فَتْحِ الْخَلِيجِ : أَرْبَعُونَ دِينَارًا ، وَصِينِيَّةَ فِطْرَةَ ، وَطَيْفُورَ خَاصَّ  
مِنَ الْقَصْرِ ، وَخَرُوفَ شِوَاءٍ ، وَجَامَ حَلَوَاءٍ ، وَبَرَسْمَ وَلَدَهُ : خَمْسَةَ دِنَانِيرٍ .  
وَلِخَاصِّهِ فِي النَّوْرُوزِ : ثَلَاثُونَ دِينَارًا ، وَشُقَّةَ ذَيْبِي حَرِيرِي ، وَشُقَّةَ لَادُ ،  
وَمَعَجَرَ حَرِيرِي ، وَمِنْدِيلَ كُمَّ حَرِيرِي ، وَفُوطَةَ ، وَمِائَةَ بَطِّيخَةَ ، وَسَبْعَ مِائَةَ  
حَبَّةَ رُؤْمَانَ ، وَأَرْبَعَةَ عِنَاقِيدَ مَوْزٍ ، وَفَرْدَ بُشْرِ ، وَثَلَاثَةَ أَقْفَاصِ تَمْرٍ قَوْصِي ،  
وَقَفْصَانَ سَفْرَجَلٍ ، وَثَلَاثَ بَكَالِي هَرِيَسَةَ : وَاحِدَةً بَدَجَاجٍ وَأُخْرَى بَلْخَمِ  
ضَّانٍ ، وَالثَّلَاثَةَ بَلْخَمِ بَقْرِي ، وَأَرْبَعُونَ رَطْلًا خَبزَ بُرِّ مَارِقٍ . وَلَوْلَدَهُ خَمْسَةَ  
دِنَانِيرٍ ، وَحَوَائِجِ النَّوْرُوزِ بِمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ .

وَبَرَسْمِهِ فِي الْمِيلَادِ : جَامَ قَاهِرِيَّةٍ ، وَمَتْرَدَ سَمِيدَ مُعْتَصَمِي ، وَزَلَايَةَ ،  
وَسِتَّ قَرَابَاتِ جُلَّابٍ ، وَعَشْرَ حَبَّاتِ بُورِي .  
وَبَرَسْمِ الْغِطَاسِ : خَمْسَ مِائَةَ حَبَّةَ تَرْنُجٍ وَنَارِنْجٍ وَلَيْمُونٍ مَرَاكِبِي ، وَخَمْسَةَ  
عَشْرَ طَنَ قَصَبٍ ، وَعَشْرَ حَبَّاتِ بُورِي . وَبَرَسْمِهِ فِي عِيدِ الْغَدِيرِ مِنَ السُّمَاطِ  
بِالْقَصْرِ مِثْلَ عِيدِ النَّخْرِ .

وَلَهُ هِبَةٌ عَنْ رَسْمِ الْخَلِيعِ مِنَ الْمَجْلِسِ الْمَأْمُونِي - يَعْنِي مَجْلِسِ الْوَزَارَةِ -  
ثَلَاثُونَ دِينَارًا ، وَلَوْلَدَهُ خَمْسَةَ دِنَانِيرٍ .

وَمَنْ تَكُونُ هَذِهِ رُسُومُهُ ، فِي أَيِّ وَجْهِ تَنْصَرَفُ أَمْوَالُهُ ؟ وَالَّذِي بِاسْمِ  
أَخِيهِ نَظِيرَ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ صِبْغُهُ فِي دِيْوَانِ الْوَزَارَةِ ، وَابْنُ أَخِيهِ فِي الدِّيْوَانِ  
التَّاجِي وَوُجُوهَ الْأَمْوَالِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَاصِلَةً إِلَيْهِمْ ، وَالْأَمَانَةَ مَضْرُوفَةً  
عَنْهُمْ .



وقد اقتصَرَ المملوك فيما ذكره ، والذي باسمه أكثر . وإذا أُمرَ بكشف ذلك من الدواوين ، تبيَّن صحَّة قول المملوك ، وعُلمَ أنه ممن يتجنَّب قول المجال ولا يرضاه لنفسه ، سيِّما إن رَفَعَه إلى المقام الكريم .

وشَفَعَ ذلك بكثرة القول فيهم ، وعَرَضَ بالقَبْضِ عليهم ، وأوجِبَ على نفسه أنه يُثبِت في جهاتهم من الأموال التي تُخْرَجُ عن هذا الإنعام ، ما يجده حاضرًا مذخورًا عند من يعرفه مائة ألف دينار . فلم يُسْمَعْ كلامه إلى أن ظَهَرَ الرَّاهِبُ في الأيام الأُميرية ، فَوَجَدَهُ هو وغيره الفُرْصَةَ فيهم ، وكَثُرُوا الرفايع<sup>(a)</sup> عليهم ، فقَبِضَ عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم ، وأَخَذَ منهم الجُمْلَةَ الكبيرة ، ثم بعد ذلك عادُوا إلى خِدمتهم بما كان من أسمائهم ، وتجَدَّدَ من جاههم ، وانتقامهم من أعدائهم أكثر مما كان أولًا . انتهى .<sup>١</sup>

١٠ فانظر - أعزك الله - إلى سَعَةِ أحوال الدَّوْلَةِ من معلوم رَجُلٍ واحدٍ من كُتَّاب دواوينها ، يتبيَّن لك - بما تقدَّم ذكره في هذه المرافعة - من عِظَمِ الشَّانِ وكَثْرَةِ العَطَاءِ ، ما يكون دليلًا على باقي أحوال الدَّوْلَةِ .

### ديوان النظر

١٥ قال ابن الطَّوَيْرِ : أمَّا دواوينُ الأموال فإنَّ أجَلَهَا من يتولَّى النظرَ عليهم ، وله العزل والولاية ، ومن يده عَرَضُ الأوزاق في أوقاتٍ معروفة على الخليفة أو الوزير<sup>٢</sup> ، ولم يُرَ فيه نصرانيٌّ إلا الأخرم<sup>٣</sup> ، ولم يتوصَّلَ إليه إلا بالضَّمان . وله الاعتقال بكلِّ مكان يتعلَّق بثواب الدَّوْلَةِ ، وله

(a) بولاق : وكثر الوقائع .

١ ابن المأمون : أخبار مصر ٦٥ - ٦٨ .  
٢ احتفظت لنا المصادر بأسماء بعض الذين تولَّوا ديوان النظر الفاطمي ؛ فتولَّاه في عهد الخليفة الحافظ الشريف معتمد الدولة علي بن جعفر بن عثمان المعروف بابن أبي العساف الذي تولَّى نظر الدواوين في سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م (ابن ميسر : أخبار مصر ١١٩ ؛ المقرئ : اتعاظ الخفا ١٤٨:٣) والمؤفَّق أبو الكرم محمد بن معصوم التنيسي الذي أعيد إليه نظر الدواوين والأترار والخزائن في جمادى الأولى

سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م ، ثم صرف في سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م بالقاضي المرتضى أبي عبد الله محمد بن الحسين الطرابلسي المعروف بالمحنك (أبو صالح : تاريخ ١٤ ؛ ابن ميسر : أخبار ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ المقرئ : اتعاظ ٣ : ١٨٠ ، ١٨٢ ، والمقفى الكبير ٧ : ٢٧٦) .  
٣ اختلفت المصادر في ذكر الاسم الصحيح لهذا الشخص . فقد ورد اسمه في المصادر الإسلامية بالصيغة التالية : صنيعة الخلافة أبو الكرم الأخرم (أو الأخرم) بن =



الجلوس بالمرتبة والمُسند ، وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ، وتخرج له الدواة بغير كُرسي . وهو يندب المترسلين لطلب الحساب ، والحث على طلب الأموال ، ومطالبة أرباب الدول<sup>a</sup> ، ولا يُعترض / فيما يقصده من أحد من الدولة<sup>١</sup> .

### ديوان التحقيق

ديوان مُقتضاه المقابلة على الدواوين ، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير ، وله الخلع والمرتبة والحاجب ، ويلحق برأس الديوان - يعني متولي ديوان النظر - ويُفتقر إليه في أكثر الأوقات<sup>٢</sup> . وقال ابن المأمون : وفي هذه السنة - يعني سنة إحدى وخمسة مائة - فُتِح<sup>b</sup> ديوان سُمي ديوان التحقيق ، تولاه ابن أبي الليث النُّصراني وأضيف إليه<sup>b</sup> ديوان المجلس .

قال : ولما كثرت الأموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان ، رغب في التَّبَجُّح على الأفضل ابن أمير الجيوش بنهضته ، فسأل<sup>c</sup> أن يُشاهده قبل حمله ، وذكر أنه سبع مائة ألف دينار خارجاً عن نفقات الرجال . فجعلت الدنانير في صناديق بجانب ، والدراهم في صناديق بجانب ، وقام ابن أبي الليث بين الصَّفَيْن . فلما شاهد الأفضل ابن أمير الجيوش ذلك ، قال لابن أبي الليث :

(a) بولاق : الدولة . (b-b) ساقطة من بولاق وموجودة أيضا في مخطوطة Liège . (c) بولاق : ينهض ويسأله .

= أبي زكريا النُّصراني (ابن ظافر والناقلي والمقريري) . بينما جاء في تاريخ الكنائس والأديرة لأبي المكارم سعد الله : الشيخ الرئيس صنيعه الخلافة أبو ذكري يحيى المعروف بالأكرم بن الشيخ السعيد أبو المكارم هبة الله بن مينا المعروف بابن بولس (أبو المكارم : تاريخ الكنائس ٢ ؛ علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦ : ٧٤) . وبينما يذكر المؤرخون المسلمون أنه

تولى نظر الدواوين في مدة وزارة بهرام الأرمني (٥٢٩-٥٣١هـ) ثم أعيد إليها في سنة ٥٣٣ بعد عزل الوزير رضوان بن والحشي (ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٩٩ ؛ الناقلي : تجريد سيف الهمة ١٤٢-١٤٣ (نص مليء بالتفصيلات) ؛ ابن ميسر : أخبار ١٤٠ ؛ المقريري : اتعاظ ٣ : ١٦٥ ، ١٨٤-١٨٥ ، ١٨٩ ، وفيما يلي ٣٤٧-٣٤٨) . وذكر المؤتمن أبو المكارم سعد الله أنه تولى «ديوان التحقيق» ثم بعده «ديوان النظر» في سنة ٥٣٠هـ وما بعدها بين صرف واستخدام متردد فيه إلى آخر ربيع الأول سنة ٥٤٢هـ ، وبلغ من الرئاسة مبلغا خطيرا . (تاريخ الكنائس ٢ ، علي مبارك : الخطط التوفيقية ٦ : ٧٤) .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ٧٩-٨١ ؛ ابن الفرات : تاريخ ١/٤ : ١٤١-١٤٢ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٨٩ ؛ المقريري : اتعاظ ٣ : ٣٣٨ ؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٣٤٩-٣٥٢ .  
<sup>٢</sup> نفسه ٨١ ؛ نفسه ١/٤ : ١٤٢ ؛ نفسه ٣ : ١٨٩ ؛ نفسه ٣ : ٣٢٨ .



«يا شيخ، تُفَرِّحُنِي بِالْمَالِ! وَتُزَيِّدُنِي أَمِيرَ الْجِيُوشِ إِنْ بَلَغَنِي أَنَّ بَيْتًا مَعْطَلَةً، أَوْ أَرْضًا بَائِرَةً، أَوْ بَلَدًا خَرَابًا، لِأَضْرِبَنَّ عُقُقَكَ». فَقَالَ: «وَحَقُّ نِعْمَتِكَ لَقَدْ حَاسَا اللَّهُ أَيَّامَكَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا بَلَدٌ خَرَابٌ، أَوْ بَيْتٌ مَعْطَلٌ، أَوْ أَرْضٌ بُورٌ»، فَأَبَى أَنْ (a) يَخْلَعَ عَلَيْهِ حَتَّى (a) يَكْشِفَ عَمَّا ذَكَرَ<sup>١</sup>. انْتَهَى.

وَقُتِلَ ابْنُ أَبِي اللَّيْثِ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةَ<sup>٢</sup>.

### ديوان (b) الجيوش والرواتب

قال ابن الطوير: أمَّا الخِدْمَةُ فِي دِيْوَانِ الْجِيُوشِ فَتَنْقَسِمُ قَسْمَيْنِ:

الأوَّلُ «دِيْوَانُ الْجَيْشِ»، وَفِيهِ مُسْتَوْفٍ أَصِيلٌ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مُسْلِمًا، وَهُوَ مَيِّزَةٌ<sup>(c)</sup> عَلَى غَيْرِهِ لَجُلُوسِهِ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ دَاخِلَ عَتَبَةِ بَابِ الْمَجْلِسِ، وَهُوَ الطَّرَاحَةُ وَالْمَسْنَدُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْحَاجِبُ، وَتَرِدُ عَلَيْهِ أُمُورُ الْأَجْنَادِ، وَهُوَ الْعَرَضُ وَالْحُلِيِّ وَالشُّيَاتِ<sup>(d)</sup>.

ولهذا الديوان خازنان يرسم دَفْعَ<sup>(e)</sup> الشَّوَاهِدِ. وَإِذَا عَرَضَ أَحَدُ الْأَجْنَادِ، وَرَضِيَ بِهِ عَرَضَ دَوَائِبِهِ، فَلَا يُثَبِّتُ لَهُ إِلَّا الْفَرَسَ الْجَيِّدَ مِنْ ذَكَورِ الْحَيْلِ وَإِنَائِهَا، وَلَا يَنْزِلُ<sup>(f)</sup> لِأَحَدٍ مِنْهُمْ بِرِذْوَانٍ وَلَا بَعْلٍ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمُ الْبَرَادِيزُ وَالْبِغَالُ، وَلَيْسَ لَهُمْ تَغْيِيرُ أَحَدٍ مِنَ الْأَجْنَادِ إِلَّا بِمَرْسُومٍ، وَكَذَلِكَ إِقْطَاعُهُمْ.

ويكون بين يدي هذا المستوفي نُقَبَاءُ الْأَمْرَاءِ يُنْهَوْنَ إِلَيْهِ مِنْتَجِدُّدَاتِ الْأَجْنَادِ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالْمَرَضِ وَالصُّحَّةِ، وَكَانَ قَدْ فُسِّحَ لِلْأَجْنَادِ فِي مُقَابِلَتِهِمْ بَعْضًا فِي الْإِقْطَاعِ بِالتَّوَقُّيعَاتِ بِغَيْرِ عِلْمَةٍ، بَلْ بِتَخْرِيجِ صَاحِبِ دِيْوَانِ الْمَجْلِسِ. وَمِنْ هَذَا الدِّيْوَانِ تُعْمَلُ أَوْرَاقُ أَرْبَابِ الْجِرَايَاتِ، وَمَا كَانَ لِأَمِيرٍ - وَإِنْ عَلَا قَدْرُهُ - بَلَدٌ مُقَوَّرٌ<sup>٣</sup> إِلَّا نَادِرًا<sup>٤</sup>.

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) أباصوفيا: ديواني. (c) بولاق: مرتبة. (d) بولاق: الثياب. (e) بولاق: رفع. (f) بولاق: يترك.

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٤٩: ابن ميسر: أخبار مصر ٧٧، المقرئ: اتعاظ ٣: ٣٩؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٥٢-٣٥٥.

<sup>٢</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ٧٧، وفي تاريخ أبي صالح الأرمني ٦٤ أن وفاته سنة ٥٢٨هـ.

<sup>٣</sup> عن البلاد المقورة انظر فيما تقدم ١: ٢٢٣هـ.

<sup>٤</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ٨٢-٨٣؛ ابن الفرات:

تاريخ ١/٤: ١٤٣؛ القلقشندي: صبح ٣: ٤٨٨؛ المقرئ: اتعاظ ٣: ٣٣٩؛ وراجع كذلك الخزومي: المنهاج في علم خراج مصر ٦٨-٧٢؛ وفيما تقدم ١: ٢٥٣-٢٥٤؛ Cahen, CL., «L'administration financière de l'armée fatimide d'après Makhzûmî», *JESHO* XV (1972), pp. 163-82؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٦٥٧-٧٢٤.

ابن الطوير: نزهة المقلتين ٨٢-٨٣؛ ابن الفرات:



وأما القسم الثاني من هذا الديوان فهو «ديوان الرواتب»، ويشتمل على أسماء كل مُرتزق في الدولة<sup>(a)</sup> وجارٍ وجاريه، وفيه كاتبٌ أصيلٌ بطرّاحة، وفيه من المعينين والمبيّضين نحو عشرة أنفس. والتّعريفات وإردّة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر، ومباشرة من استجدّ، وموت من مات، ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم. وفي هذا الديوان عدّة عُروض:

٥. العَرَضُ الأوَّل - يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر خمسة آلاف دينار، ومن يليه من وُلد وأخ من ثلاث مائة دينار إلى مائتي دينار، ولم يُقرّر لولد وزير خمس مائة دينار سوى شجاع بن شاوَر المنعوت بالكمال، ثم حواشيهم على مقتضى عدّتهم من خمس مائة إلى أربع مائة إلى ثلاث مائة خارجًا عن الإقطاعات.

١٠. العَرَضُ الثاني - حواشي الخليفة وأولهم الأستاذون المُحتكون على رتبهم وجواري خدّمهم التي لا يُباشرها سواهم. فزمام القصر، وصاحب بيت المال، وحامل الرسالة، وصاحب الدفتر، وشاد التاج، وزمام الأشراف الأقارب، وصاحب المجلس: لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر. ومن دونهم ينقص عشرة دنانير، حتى يكون آخرهم من له في كل شهر عشرة دنانير، وتزيد عدّتهم على ألف نفس. ولطبيبي الخاص، لكل واحد خمسون دينارًا، ولمن دونهما من الأطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير.

١٥. العَرَضُ الثالث - يتضمّن أرباب الرتب بحضرة الخليفة: فأوله كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون دينارًا، ولكل واحد من كتّابه ثلاثون دينارًا،<sup>(b)</sup> ثم من يتولّى مجالسة الخليفة والتوقيع بالقلم الدقيق في المظالم وجاريه مائة دينار<sup>(b)</sup>، ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون دينارًا، ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهما سبعون دينارًا، وبقية الأزمّة على العساكر والشودان من خمسين إلى أربعين دينارًا إلى ثلاثين دينارًا.

٢٠. العَرَضُ الرابع - يشتمل على المستقرّ لقاضي القضاة ومن يلي قاضي القضاة مائة دينار، وداعي الدعاة مائة دينار، ولكل من قراء الحضرة عشرون دينارًا إلى خمسة عشر إلى عشرة، ولخطباء الجوامع من عشرين دينارًا إلى عشرة، وللشعراء من عشرين دينارًا إلى عشرة دنانير.

العَرَضُ الخامس - يشتمل على أرباب الدواوين ومن يجري مجراهم، وأولهم من يتولّى ديوان النظر وجاريه سبعون دينارًا، وديوان التحقيق جاريه خمسون دينارًا، وديوان المجلس أربعون /



دينارًا، وصاحبُ دَفْتَرِ الْمَجْلِسِ خمسة وثلاثون دينارًا، وكاتبه خمسة دنانير، وديوان الجيوش وجاريه أربعون دينارًا، والمَوْقِعُ بِالْقَلَمِ الْجَلِيلِ ثلاثون دينارًا، ولجميع أصحاب الدواوين الجاري فيها المعاملات لكل واحد عشرون دينارًا، ولكل مُعِينٍ من عشرة دنانير إلى سبعة إلى خمسة دنانير.

٥. العَرَضُ السَّادِسُ - يَشْتَمَلُ عَلَى الْمُسْتَعْتَمِدِينَ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْتَعْتَمِدِينَ فِي وِلَايَةِ الْقَاهِرَةِ وَوِلَايَةِ مِصْرَ فِي الشَّهْرِ خَمْسُونَ دِينَارًا وَالْحَمَاةَ بِالْأَهْرَاءِ، وَالْمُنَاخَاتِ، وَالْجَوَالِي، وَالْبَسَاتِينَ، وَالْأَمْلَاكَ وَغَيْرَهَا، لِكُلِّ مِنْهُمْ مِنْ عَشْرِينَ دِينَارًا إِلَى خَمْسَةِ عَشْرٍ إِلَى عَشْرَةٍ إِلَى خَمْسَةِ دَنَانِيرٍ.

١٠. العَرَضُ السَّابِعُ - الْفَرَّاشُونَ بِالْقُصُورِ بِرِسْمِ خِدْمَتِهَا وَتَنْظِيفِهَا خَارِجًا وَدَاخِلًا، وَنَضْبِ السُّتَائِرِ الْمَحْتَاجِ إِلَيْهَا، وَخِدْمَةِ الْمُنَاطِرِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْقَصْرِ. فَمِنْهُمْ خَاصٌّ بِرِسْمِ خِدْمَةِ الْخَلِيفَةِ وَعِدَّتِهِمْ خَمْسَةَ عَشْرَ رَجُلًا، مِنْهُمْ صَاحِبُ الْمَائِدَةِ وَحَامِي الْمَطَابِخِ وَلَهُمْ<sup>(a)</sup> مِنْ ثَلَاثِينَ دِينَارًا إِلَى مَا حَوْلَهَا، وَلَهُمْ رُسُومٌ مُمَيِّزَةٌ، وَيُقَرَّبُونَ مِنَ الْخَلِيفَةِ فِي الْأَسْمِطَةِ الَّتِي يَجْلِسُ عَلَيْهَا. وَيَلِيهِمُ الرَّشَاشُونَ دَاخِلَ الْقَصْرِ وَخَارِجَهُ وَلَهُمْ عُرْفَاءٌ، وَيَتَوَلَّى أَمْرَهُمْ اسْتَاذٌ مِنْ خَوَاصِّ الْخَلِيفَةِ، وَعِدَّتِهِمْ نَحْوُ الثَّلَاثِ مِائَةِ رَجُلٍ، وَجَارِيَهُمْ مِنْ عَشْرَةِ دَنَانِيرٍ إِلَى خَمْسَةِ دَنَانِيرٍ.

١٥. العَرَضُ الثَّامِنُ - صِبْيَانُ الرُّكَّابِ وَعِدَّتُهُمْ تَزِيدُ عَلَى أَلْفِي رَجُلٍ، وَمَقْدَمُوهُمْ أَصْحَابُ رِكَابِ الْخَلِيفَةِ وَعِدَّتُهُمْ اثْنَا عَشَرَ مَقْدَمًا، مِنْهُمْ مُقَدَّمُ الْمُقَدَّمِينَ وَهُوَ صَاحِبُ الرُّكَّابِ الْيَمِينِ، وَلِكُلِّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُقَدَّمِينَ فِي كُلِّ شَهْرٍ خَمْسُونَ دِينَارًا، وَلَهُمْ نُقْبَاءٌ مِنْ جِهَةِ الْمَذْكُورِينَ يَعْرِفُونَهُمْ، وَهُمْ مُقَرَّرُونَ جَوْقًا عَلَى قَدْرِ جَوَارِيهِمْ: جَوْقَةٌ لِكُلِّ مِنْهُمْ خَمْسَةَ عَشْرَ دِينَارًا، وَجَوْقَةٌ لِكُلِّ مِنْهُمْ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ، وَجَوْقَةٌ لِكُلِّ مِنْهُمْ خَمْسَةَ دَنَانِيرٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْتَدَبُ فِي الْخِدْمِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَيَكُونُ لَهُمْ نَصِيبٌ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي يَدْخُلُونَهَا، وَهُمْ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْمَخْلَقَاتِ<sup>(b)</sup> لِرُكُوبِ الْخَلِيفَةِ فِي الْمَوَاسِمِ وَغَيْرِهَا<sup>(١)</sup>.
٢٠. وَأَوَّلُ مَنْ قَرَّرَ الْعَطَاءَ لِغِلْمَانِهِ وَخَدَمِهِ، وَأَوْلَادِهِمُ الذَّكَورَ وَالْإِنَاثَ وَلِئْسَائِهِمْ، وَقَرَّرَ لَهُمْ أَيْضًا الْكُشُوفَةَ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ بْنِ الْمُعَزِّ.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: الملحقات، وربما يكون صوابها المحفات ١

١ ابن الطوير: نزهة المقلتين ٨٣-٨٥؛ ابن الفرات: الأعيان ٣: ٤٩١، ٥٢١-٥٢٣؛ المقرئ: اتعاظ الخفا تاريخ الدول والملوك ١/٤: ١٤٣-١٤٥؛ القلقشندي: صبح ٣: ٣٣٩-٣٤٢.



## ديوان الإنشاء والمكاتبات

وكان لا يتولاه إلا أجدل كُتّاب البلاغة ، ويُخاطب بالشيخ الأجل ، ويُقال له : « كاتب الدشت الشريف » ، وإليه<sup>(a)</sup> تُسلم المكاتبات الواردة مَخْتومة ، فيعرضها على الخليفة من يده ، وهو الذي يأمر بتنزيلها والإجابة عنها للكُتّاب ، والخليفة يستشير في أكثر أموره ، ولا يُحجّب عنه متى قَصِد المثل بين يديه ، وهذا أمر لا يصل إليه غيره ، ورُبما بات عند الخليفة ليالي . وكان جاريه مائة وعشرين دينارًا في الشهر .

وهو أولُ أرباب الإقطاعات وأرباب الكسوة والرُسوم والملاطفات ، ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه بالقصر ، ولا يجتمع بكُتّابه أحدٌ إلا الخواص ، وله حاجب من الأمراء الشيوخ وفراشون ، وله المرتبة الهائلة والمخاد والمُسند ، والدّواة لكنّها بغير كرسي . وهي من أخصّ الدّوى ، ويحملها أستاذ من أستاذي الخليفة<sup>١</sup> .

## التوسيع بالقلم الدّقيق في المظالم

وكان لا بُدّ للخليفة من مجلس يُذكره ما يحتاج إليه من كتاب الله ، وتجويد الخط وأخبار الأنبياء والخلفاء . فهو يجتمع به في أكثر الأيام ومعه أستاذ من المُحنّكين مؤهل لذلك فيكون الأستاذُ ثالثهما ، ويقرأ على الخليفة ملخّص السّير ، ويُكرّر عليه ذكر مكارم الأخلاق ، وله بذلك رُتبة عظيمة تُلحق برُتبة كاتب الدشت .

ويكون صُحبته للجُلوس دّواة مُحلّاة ، فإذا فرغ من المجالسة ألقى في الدّواة كاغدة فيها<sup>(b)</sup> عشرة دنانير ، وقِرطاس فيه ثلاثة مثاقيل نَدّ مثلث خاصّ ليتبخّر به عند دُخوله على الخليفة ثاني دُفعة<sup>(c)</sup> .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : كاغد فيه . (c) بولاق : مرة .

<sup>١</sup> قارن ابن الطوير : نزهة المقلتين ٢٨٧ ؛ ابن الفرات : صبح الأعشى ١ : ١٠٢ - ١٠٣ ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا تاريخ الدول والملوك ١/٤ : ١٤٠ - ١٤١ ؛ القلقشندي : ٣ : ٣٣٧ - ٣٣٨ .



وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق، وله طراحة ومسند وفرش يقدم إليه ما يوقع عليه، وله موضع من حقوق ديوان المكاتب لا يدخل إليه أحد إلا بإذن، وهو يلي صاحب ديوان المكاتب في الرسوم، والكساوي وغيرها<sup>١</sup>.

### التوقيع بالقلم الجليل

- ٥ وهي رتبة جليظة، ويقال لها: «الخدمة الصغرى»، ولها الطراحة والمسند بغير حاجب، بل الفرش لترتيب ما يوقع عليه<sup>(a)</sup> ٢.

### مجلس النظر في المظالم

- كانت الدولة إذا نزلت من وزير صاحب سيف، جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه الثعباء/ والحجاب، فينادي المنادي بين يديه: يا أرباب الظلمات فيحضرون: فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت إلى الولاة والقضاة رسالة بكشفها. ومن تظلم ممن ليس من أهل البلدين أحضر قصة بأمره، فيتسلمها الحاجب منه. فإذا جمعتها أحضرها إلى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها، ثم تحمّل إلى الموقع بالقلم الجليل، فيسقط ما أشار إليه الموقع الأول، ثم تحمّل في خريطة إلى الخليفة، فيوقع عليها، ثم تخرج في الخريطة إلى الحاجب، فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه.
- ١٥ فإن كان وزيره صاحب سيف، جلس للمظالم بنفسه، وقبأته قاضي القضاة ومن جانيه شاهدان معتبران، ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق، ويليه صاحب ديوان المال، وبين يديه صاحب الباب وإسفهسلار العساكر، وبين أيديهما الثواب والحجاب على طبقاتهم. ويكون الجلوس بالقصر في مجلس المظالم في يومين من الأسبوع.

- ٢٠ وكان الخليفة إذا رفعت إليه القصة وقع عليها: «يُعتمد ذلك إن شاء الله». ويوقع في الجانب الأيمن منها: «يوقع بذلك»، فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس، فيوقع عليها جليلاً، ويخلى

(a) بولاق: فيه.

<sup>١</sup> نفسه ٨٨؛ نفسه ١/٤: ١٤١؛ نفسه ٣: ٤٨٧؛ نفسه ٨٨.



مكان «العلامة»<sup>١</sup>، فيعلم عليها الخليفة وتثبت. وكانت علامتهم أبدًا: «الحمد لله رب العالمين». وكان الخليفة يوقع في المسامحة<sup>٢</sup> والتشويخ<sup>٣</sup> والتحسيس<sup>٤</sup>: «قد أنعمنا بذلك، أو قد أمضينا

أخت المستنصر «الحمد لله ولي كل نعمته» (السجلات المستنصرية رقم ٢٨ و ٥١ و ٥٢). أما علامة السيدة أم المستعلي فكانت: «الحمد لله على نعمه» (السجلات رقم ٣٥). وكان لكبار الموظفين أيضًا علامتهم مثل القاضي هبة الله بن ميسر الذي كان يكتب: «الحمد لله على نعمه». (ابن ميسر: أخبار ١٢٨، المقرئ: اتعاظ ٣: ١٦٣). وكذلك الموظفون من أهل الذمة فكانت علامة أبي نصر بن عبدون المعروف بابن العداس متولي ديوان الشام في خلافة الحاكم: «الحمد لله على ما يستحق» (أبو صالح: تاريخ ٥١).

ولم تكن العلامة توجد على رأس السجل أو المنشور ولا مباشرة بعد البسملة وإنما كانت تأتي بعد السطر الأول من النص. (Stern, S. M., *op.cit.*, pp. 127-135).

<sup>٢</sup> المسامحة ج. مسامحات. والمقصود المسامحة بيوقي الخراج عند نقل حساب الدولة من الهلالي إلى الخراجي. (ابن المأمون: أخبار ٢٨، المقرئ: الخطط ١: ٨٣، ٨٦، والاتعاظ ٢: ١١٤، ٣: ٨٠-٨١، ١٠٤) وفيها نص منشور بمسامحة كافة سكان الرباع السلطانية بالقاهرة ومصر... بأجرة شهر رمضان سنة ٥١٧)، وقارن ابن ميسر: أخبار ٥٣، والاتعاظ ٢: ٣٢٩، ٣: ٢٥٣، والخطط ١: ٣٨٢ حيث يذكر إطلاق بدر الجمالي الخراج للمزارعين ثلاث سنوات وهو أشبه بالمسامحة). وقارن القلقشندي: صبح ١٣: ٢٣، وعمارة اليمن: النكت العصرية ٥٣.

<sup>٣</sup> التشويخ ج. تسويغات (مؤلدة). الإذن في تناول الاستحقاق من جهة معينة تيسيرًا وتسهيلًا على الأخذ. (القاموس: ١٠١٢ هـ).

<sup>٤</sup> التحسيس. هو الأمر بوقف أرض أو عقار للصرف من عائدته على عمارة أو مؤسسة دينية أو اجتماعية.

<sup>١</sup> العلامة. مصطلح خاص كان يُطلق على ما يكتبه الخليفة بيده على الرسائل أو الأوامر أو السجلات أو التوقيعات الصادرة عنه. ولا تصدر هذه الوثائق، على اختلاف أنواعها، إلا بعد كتابة هذه العلامة. وكان كل خليفة أو سلطان أو ملك يتخذ لنفسه مصطلحًا خاصًا ليكون علامته. وهذه العلامة هي التي تطورت في أواخر العصر المملوكي وفي العصر العثماني وأصبحت تُعرف «بالطغراء». (المقرئ: السلوك ١: ٣٤٤ هـ، ابن واصل: مفرج ١: ١٧٣ هـ، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار (قسم مصر والشام) ٤٣-٤٤ هـ، القلقشندي: صبح ١٣: ١٦٢-١٦٦ وفيما يلي ٢: ٢١١).

ويؤكد ما ذكره ابن الطونير من أن علامة جميع الخلفاء الفاطميين كانت: «الحمد لله رب العالمين» نص مماثل للقلقشندي، لم يتمكن من تحديد مصدره، اقتبس علي بك بهجت في هامش قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي ١٠٩، وكذلك نص «السجلات المستنصرية» وما أورده يحيى بن سعيد الأنطاكي في تاريخه ٢٣١، ٢٣٣ وأبو شامة في الروضتين ١: ١٢٨، وما جاء في رسالة «الهداية الأمرية» (في مجموعة الوثائق الفاطمية) ٢١٥. ويذكر المؤرخ ابن حنّاد أنه شاهد سجلات صادرة عن المستعلي بن المستنصر وعليها علامته: «الحمد لله على آلائه». (أخبار ملوك بني عبيد ٦٠). ويرى شيرن أن العلامة التي شاهدها ابن حماد ليست صادرة عن الخليفة، وإنما عن وزيره الأفضل بن بدر الجمالي، فهي تتفق مع علامة الوزراء التي وصلت إلينا عن الوزير الجرجاني؛ فيذكر ابن الصيرفي وابن خلكان أن القاضي أبا عبيد الله القضاعي كان يُعلم عنه: «الحمد لله شكرًا لنعمته» (الإشارة ٦٩، وفيات ٣: ٤٠١، Stern, S. M., *Fatimid Decrees*, p. 130). بينما كانت علامة الوزير عباس: «الحمد لله وبه أثق» (الروضتين ١: ٢٤٧). وكان لنساء البلاط الفاطمي أيضًا علامتهن، فكانت علامة السيدة أم المستنصر: والسيدة



ذلك». وكان إذا أراد أن يُعَلِّمَ ذلك الشيء الذي أُنهى وَقَعَ : «لِيُخْرِجَ الْحَالَ فِي ذَلِكَ». فإذا أحضر إليه إخراج الحال ، عَلَّمَ عليه .

فإن كان حينئذٍ وزيراً ، وَقَعَ الْخَلِيفَةُ بِخَطِّهِ : «وَزِيرُنَا السَّيِّدُ الْأَجَلُّ - وَذَكَرَ نَعْتَهُ الْمَعْرُوفُ بِهِ - أَمْتَعَنَا اللَّهُ بِبِقَائِهِ ، يَتَقَدَّمُ بِتَجَازِ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» ، فَيَكْتُبُ الْوَزِيرُ تَحْتَ خَطِّ الْخَلِيفَةِ : «يُمَثِّلُ أَمْرُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَيُثَبِّتُ فِي الدَّوَاوِينِ»<sup>١</sup> .

### رُتَبُ الْأَمْرَاءِ

وكان أجلُّ خدامِ الأُمَرَاءِ أربابُ السُّيُوفِ ، خِدْمَةُ الْبَابِ ، وَيُقَالُ لِمَنْ تَوَلَّى هَذِهِ الْخِدْمَةَ : «صَاحِبُ الْبَابِ»<sup>٢</sup> ، وَيُنْعَتُ أَبَدًا بِالْمُعْظَمِ . وَأَوَّلُ مَنْ خَدَمَ بِهَا الْمُعْظَمُ حُمَرَ تَاشَ<sup>٣</sup> فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْحَافِظِ ، وَكَانَ مِنَ الْعُقَلَاءِ ، وَنَابَ عَنِ الْحَافِظِ فِي مَرَضِهِ ، فَلَمَّا عُوْفِيَ أَرَادَهُ عَلَى الْوِزَارَةِ فَامْتَنَعَ .

وله نَائِبٌ يُقَالُ لَهُ : «النَّائِبُ» ، وَتُسَمَّى الْخِدْمَةُ فِيهَا بِـ«النِّيَابَةِ الشَّرِيفَةِ» ، وَمُقْتَضَاهَا أَنَّهَا مُمَيَّزَةٌ ، وَلَا يَلِيهَا إِلَّا أَعْيَانُ الْعُدُولِ وَأَرْبَابُ الْعَمَائِمِ ، وَيُنْعَتُ أَبَدًا بِـ«عَدِيِّ الْمَلِكِ» . وَهُوَ الَّذِي يَتَلَقَّى الرُّسُلَ الْوَاصِلَةَ مِنَ الدُّوَلِ ، وَمَعَهُ نُوَابُ الْبَابِ فِي خِدْمَتِهِ ، وَيَحْفَظُهُمْ وَيُنْزِلُهُمْ بِالْأَمَاكِنِ الْمُعَدَّةِ لَهُمْ ، وَيَقْدِّمُهُمْ لِلسَّلَامِ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ مَعَ صَاحِبِ الْبَابِ ، فَيَكُونُ صَاحِبُ الْبَابِ يَمِينًا وَهُوَ يَسَارًا ، وَيَتَوَلَّى ائْتِقَادَهُمْ وَالْحَثَّ عَلَى ضِيَاقَتِهِمْ ، وَلَا يُمَكِّنُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ بِهِمْ ، وَالْإِطْلَاعِ عَلَى مَا جَاءُوا فِيهِ ، أَوْ مِنْ يَنْقِلُ الْأَخْبَارَ إِلَيْهِمْ<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ٢٨٢ : ابن ميسر : أخبار مصر ١٣٦) . ويبدو أنه تولى هذا المنصب بعد استغناء الحافظ عن اتخاذ الوزراء في أعقاب هرب رضوان ابن والحشي .

<sup>٢</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١١٧ - ١١٨ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ والاعتبار ٢٥٠ تحت عنوان : ذكر رتبة متولي دار الضيافة في أيام الخلفاء ، وانظر فيما يلي ٥٠٩ حيث نسب النقل صراحةً إلى ابن الطوير تحت عنوان «الخدمة المعروف بالنيابة للقاء المترسلين» .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ٨٨ - ٩٠ ؛ ابن القلانسي : تاريخ ١٤٢ : ١/٤ - ١٤٣ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٤٨٧ : ٣ ؛ المقرئزي : اتعاظ الخلفاء ٣ : ٣٣٩ .

<sup>٢</sup> عن صاحب الباب انظر كذلك ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٢٢ - ١٢٣ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٧٩ ، *El<sup>2</sup> art. Sâhib al-  
bâb VIII, p. 860.*

<sup>٣</sup> هو الأمير المعظم أبو المظفر حُمَرَ تَاشَ الحافظي صاحب باب الإمام الحافظ لدين الله ، توفي سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٩ م



ويُلي رُتبة صاحبِ البابِ رُتبة<sup>(a)</sup> «الإسفَهسَلار»، وهو زِمَامُ كُلِّ زِمَامٍ، وإليه أُمُورُ الأَجَنَادِ<sup>١</sup>.  
ثم يليه «حَامِلُ سَيْفِ الخَلِيفَةِ» أيامَ الرُّكُوبِ بِالْمِظَلَّةِ وَالتَّيْمَةِ، ثم من يَزِمُ طَائِفَتِي الحَافِظِيَّةِ  
وَالْأَمِيرِيَّةِ وَهُمَا وَجْهُ الأَجَنَادِ. وهؤلاءُ أَرْبَابُ الأَطْوَاقِ، ويليهمُ أَرْبَابُ القَصَبِ وَالعَمَّارِيَّاتِ - وهي  
الأَعْلَامُ - ثم زِيَّ الطَّوَائِفِ، ثم من يَتَرَشَّحُ لذلك من الأُمَثِلِ.  
وكانت الدَّوْلَةُ لا تَسْنِدُ ذلك إلا إلى أَرْبَابِ الشَّجَاعَةِ وَالتَّجَدَّةِ، ولهذا دَخَلَ فِيهِ أُخْلَاطُ النَّاسِ  
من الأَزْمَنِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ، وعلى ذلك كان عَمَلُهُمْ لا لِلزَّيْنَةِ وَالتَّبَاهِي<sup>٢</sup>.

### قَاضِي القَضَاةِ

وكان من عَادَةِ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ وَزِيرُ رَبِّ سَيْفٍ، فَإِنَّهُ يَقْلُدُ القَضَاءَ رَجُلًا نِيَابَةً عَنْهُ، وهذا إِنَّمَا  
حَدَّثَ مِنْ عَهْدِ أميرِ الجُيُوشِ بَدْرِ الجَمَالِيِّ. وَإِذَا كَانَ الخَلِيفَةُ مُسْتَبَدًّا، قَلَّدَ القَضَاءَ رَجُلًا وَنَعْتَهُ  
بـ«قَاضِي القَضَاةِ»، وتكون رُتْبَتُهُ أَجَلُ رُتْبِ أَرْبَابِ العَمَائِمِ وَأَرْبَابِ الأَقْلَامِ، ويكون في بعض  
الأَوْقَاتِ دَاعِيًا، فيقالُ لَهُ حينئذٍ: «قَاضِي القَضَاةِ وَدَاعِي الدُّعَاةِ»، ولا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنَ الأُمُورِ  
الدِّينِيَةِ عَنْهُ<sup>٣</sup>.

وَيَجْلِسُ فِي يَوْمِي<sup>(a)</sup> السَّبْتِ وَالثَّلَاثاءِ بِزِيَادَةِ جَامِعِ عَمْرُو بْنِ العَاصِ بِمِصْرَ عَلَى طُرَاخَةِ وَمَسْنَدِ  
حَرِيرٍ<sup>٤</sup>، فَلَمَّا وُلِيَ ابْنُ أَبِي عَقِيلٍ<sup>(a)</sup> القَضَاءَ رَفَعَ المُرْتَبَةَ وَالمَسْنَدَ، وَجَلَسَ عَلَى طُرَاخَاتِ السَّامَانِ،  
فَاسْتَمَرَ هَذَا الرُّسْمُ. وَيَجْلِسُ الشُّهُودُ حِوَالِيهِ يَمِينًا وَيَسْرَهُ بِحَسَبِ تَارِيخِ عَدَاةِ التَّهَمِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ  
خَمْسَةٌ مِنَ الحُجَّابِ: ائْتَانُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَائْتَانُ عَلَى بَابِ المَقْصُورَةِ، وَوَاحِدٌ يُنْفِذُ الحُصُومَ إِلَيْهِ.

(a) ساقطة من بولاق.

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٢٣؛ القلقشندي: صبح

٢٥٣:٢.

الأعشى ٤٧٩:٣.

<sup>٥</sup> قاضي القضاة الأعرابي المكارم أحمد بن عبد الرحمن

ابن محمد بن أحمد بن أبي عقيل، المتوفى في شعبان سنة

٥٣٣هـ / ١١٣٩م وهو في منصب القضاء. (ابن ميسر:

أخبار مصر ١٢٨، ١٣١؛ ابن أبيك: كثر الدرر ٦: ٥٢٨؛

المقريزي: المقفى الكبير ١: ٤٩١، اتعاظ الحنفا ٣: ١٦٣،

١٧٢؛ ابن حجر: رفع الإصر ٥٩-٦٠).

<sup>٢</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٢٥؛ ابن الفرات: تاريخ

١/٤: ١٣٦-١٣٧؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٣٣٦.

<sup>٣</sup> انظر أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٣٦٤.

<sup>٤</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٠٧؛ ناصر خسرو:

سفرنامه ١٠٢؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٢٤، وفيما يلي



وله أربعة من الموقعين بين يديه ، اثنان يُقابلان اثنين . وله كُرسي الدواة ، وهي دواة مُحَلَّاةٌ  
بالفضة تُحْمَلُ إليه من خزائن القُصُور ، ولها حاملٌ بجامِكِيَّةٍ في الشهر على الدولة .  
ويُقدِّم له من الإسْطَبَلات برسم رُكوبه على الدوام بَعْلَةٌ شَهْبَاءٌ ، وهو مخصوص بهذا اللون من  
البيغال دون أرباب الدولة ، وعليها من خزانة السُروج سَرْجٌ بحلِيّ ثَقِيلٌ ورادِقَتِي<sup>(a)</sup> فضة ، ومكان  
الجلد حرير .

وتأتيه في المَوايسم الأطواق ، ويُخلَع عليه / الخِلاع المذَهَبَة بلا طَبَل ولا بُوق إلا إذا ولي الدَّعْوَة مع  
الحُكْم ، فَإِنَّ للدَّعْوَة في خِلاعها الطَبَل والبُوق والبُنود الخاص ، وهي نظير البُنود التي يُشرف بها  
الوزيرُ صاحبُ السَّيف .

وإذا كان للحُكْم خاصَّةٌ ، كان حوَالِيه القُرَاءُ رَجَالَة ، وبين يديه المؤذنون يُعلنون بذكر الخليفة  
أو الخليفة<sup>(b)</sup> والوزير إن كان ثمَّ وزيرٌ صاحبُ سَيْف<sup>(b)</sup> ، ويحمل بُنُوب الباب والحُجَّاب ، ولا  
يتقدَّم عليه أحدٌ في مَحْضَرٍ هو حاضره من رَبِّ سَيْفٍ وقَلَم ، ولا يحضر لا مِلاك ولا جنازة إلا  
بإذن ، ولا سَبِيل إلى قيامه لأحدٍ وهو في مَجْلِس الحُكْم ، ولا يُعدَّل شاهدٌ إلا بأمره .

ويجلس بالقصر في يومي الاثنين والخميس أول النَّهار للسلام على الخليفة ، ونُؤابُه لا يَفْشرون  
عن الأحكام ، ويَحْضُر إليه وَكَيْلُ بَيْت المال<sup>١</sup> .

قال ابن الطَّوِير<sup>(c)</sup> : وكان له النَّظَرُ في دار<sup>(d)</sup> الصُّرْب لضَبْط ما يُضْرَب من الدَّنَانير<sup>(e)</sup> لَسَبَبٍ كان  
متقدِّمًا وهو : إِنَّهُ نُقِلَ عن ابن طولون أَنَّهُ كان له إلمامٌ بعَيْنِ شَمْسٍ مكان الحِجَارَة التي يُسْمُونها  
المَسال وأنَّ يَدَ فَرَسِه ساخَتْ يومًا في أرضٍ صَلْدَة فَعَجِبَ من ذلك وأَمَرَ بِحَفْرِ ذلك المكان فَوَجَدَ  
الخَبِيئة المشهورة وهي في قَبْرِ عَظِيمٍ فيه خمسة نَوَوايس ، فَكَشَفَها فَوَجَدَ في الأَوْسَط منها مِيتًا في  
عَسَلٍ نحل على صَدْرِهِ لَوْحٌ لَطِيفٌ من ذَهَبٍ فيه كِتَابَةٌ لا تُعْرَف ، وَكُلٌّ من النَوَوايس مملوء  
بالسَّبائِك الذَّهَب ، فنَقَلَ ذلك ودَفَنَ المِيتَ وَأَخَذَ اللُّوحَ فما وَجَدَ من يحلِّه ، فقيل : إن بدِيرَ العَرَبَة  
راهبًا شَيْخًا معمرًا وقد كان يُعْنِي بهذا ، فَأَمَرَ بِإِحْضارِهِ فقيل إِنَّهُ ما يَنْهَضُ فاستدعى رَجُلًا من

(a) بولاق : وراء دفتر . (b) ساقطة من بولاق . (c) إضافة من مسودة المواعظ . (d) في جميع النسخ : ديوان .  
(e-e) هذه الفقرة ساقطة من بولاق وسائر مخطوطات الخطط ومثبتة من مسودة المواعظ .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٠٧-١٠٨ ؛ ابن الفرات : ٣٣٦-٣٣٧ ؛ وقارن القلقشندي : صبح الأعشى  
تاريخ ١/٤ : ١٣٧-١٣٨ ؛ المقرئ : اتعاظ الخنفا ٤٨٢:٣ .



عُدُول مصر يُقال له : ابن عمرو سد فذَفَع له اللُّوح وأمره بالمضي إلى الرّاهب فإن فسَّر له نَقَلَ عنه ما يَقُول له ونَدَب معه قومًا . فمضى إلى مكان الرّاهب فلَطَفَ به وأَطْلَعَه على سَبَبِ حُضُورِهِ إليه . فلَمَّا وَقَفَ على اللُّوح قال : نَعَم هذا يقول : أنا أكبر الملوك وذَهَبِي أَخْلَصُ الذَّهَبَ ، فسَطَرَ هذا وعادَ إلى أحمد بن طُولون . فلَمَّا عَلِمَ ذلك قال : قَبَّحَ اللهُ ، من يكون هذا الكافر ، من أكبر منه ، ولا ذَهَبَهُ أَخْلَصَ من ذَهَبِهِ ؟ فاستدعى أهل الخَيْرَةِ لاسْتِخْلَاصِ الذَّهَبِ وأقامَ دارَ الضَّرْبِ فكان يتولَّأها بنفسه ويحصل إليه ما يُعَلَّقُ منها في النَّارِ يَخْتَمُه ويَفْتَحُه ويتحرَّى العيار ، فإذا صَحَّحَ له أمرٌ بضَرْبِهِ دَنانير . ولم يزل على ذلك حتى مات فاعتمد ابنه حُمارُويته ذلك بعده . فلَمَّا انتقلت البلادُ إلى الخلفاء لم يَسْعَهُمْ مُباشِرَةُ هذه الأمور بأنفسهم فأسندوها إلى قاضي القضاة<sup>(٥)</sup> ، فكان القاضي يحضر التَّغْلِيقَ بِنَفْسِهِ وَيَخْتَمُ عليه ويحضر للموعد الآخر لِفَتْحِهِ<sup>١</sup> .

وكان القاضي لا يُصْرَفُ إذا وُلِّيَ<sup>(a)</sup> إلا بِجُنْحَةٍ ، ولا يُعَدَّلُ أَحَدًا إلا بتزكية عشرين شاهدًا ، عشرة من مصر وعشرة من القاهِرة ، ويرضى الشُّهود به ، ولا يَخْتَمِي أَحَدٌ على الشُّرع ، ومن فَعَلَ ذلك أُدْبُ<sup>٢</sup> .

### زَكَرُ (a) قَاعَةِ الْقِضَّةِ

وهي من جُمْلَةِ قاعات القصر ، <sup>(b)</sup> ذَكَرَها الأمير جمال المُلكِ موسى بن المأمون البطائحي في «تاريخه»<sup>(b)</sup> ٣ .

### ذَكَرُ قَاعَةِ السَّدْرَةِ

كانت بجوار المَدْرَسَةِ والثَّرَبَةِ الصَّالِحِيَّةِ ، واشْتَرَاهَا قاضي القضاة شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سُرور المَقْدِسِي الحَنْبَلِي ، مدرِّس الحنابِلة بالمَدْرَسَةِ الصَّالِحِيَّةِ<sup>٤</sup> ،

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) إضافة من مسودة الخطط .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٠٨-١٠٩ ؛ ابن الفرات : تاريخ ١/٤ : ١٣٨-١٣٩ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ ٢٧٨-٢٧٩ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٧ : ٤٦١-٤٦٢ .  
<sup>٢</sup> نفسه ١٠٨-١٠٩ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ ٢٧٧-٢٧٩ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦١-٤٦٢ .  
<sup>٣</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ١٧ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ ١١٤ ، واتعاظ الحنفا ٣ : ٦٧ .  
<sup>٤</sup> المتوفى سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م (راجع ترجمته عند الصفدي : الوافي بالوفيات ٢ : ٩-١٠ ؛ المقرئزي : المقفى الكبير ٥ : ١٠٣-١٠٧ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ٣٤١-٣٤٢) .



بألف وخمسة وتسعين دينارًا في رابع شهر ربيع الآخر سنة ستين وست مائة، من كمال الدين ظافر ابن الفقيه نصر وكيل بيت المال، ثم باعها شمس الدين المذكور للملك الظاهر يتيّز في حادي عشرين ربيع الآخر المذكور. وكان يتوصّل إليها من باب البحر.

### زَكَرُ (a) قَاعَةِ الْخَيْمِ

- كانت شرقي قاعة السُدرة، وقد دخلت قاعة السُدرة وقاعة الخيم في مكان المدرسة الظاهرية العتيقة (b) ١.

### زَكَرُ الْمَنَاطِرِ الثَّلَاثِ

- استجدّهن الوزير المأمون بن (a) البطائحي، وزير الخليفة الأمير بأحكام الله: إحداهن بين باب الذهب وباب البحر، والأخرى على قوس باب الذهب، ومنظرة ثالثة. وكان يقال لها: الزاهرة والفاخرة والناضرة، وكان يجلس الخليفة في إحداهما لعرض العساكر يوم عيد الغدير، ويقف الوزير في قوس باب الذهب (b) ٢.

### زَكَرُ (a) قَصْرِ الشُّوكِ

- قال ابن عبد الظاهر: كان منزلًا لبني عُذرة قبل القاهرة يُعرف بقصر الشوك، وهو الآن أحد أبواب القصر ٣. انتهى.
- والعامة تقول: «قصر الشوق» ٤. وأدركت مكانه دارًا استجدّت بعد الدولة الفاطمية، هدمها الأمير جمال الدين يوسف الأستادار في سنة إحدى عشرة وثمان مائة لئيشبها دارًا، فمات قبل ذلك. وموضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق ٥.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بعدها بياض في الأصل.

١ فيما يلي ٢: ٣٧٨، وقاعات الذهب والفضة والسُدرة الفاطمية في مصر ٦١٨ - ٦٢٠.  
 ٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية الزاهرة ١٢٥؛ المقرئزي: مسودة المواعظ ١١٣، ٢١٤؛ أمين فؤاد: الدولة  
 ٣ نفسه ١٥، وفيما يلي ١: ٤٣٥.  
 ٤ وهي التسمية الشائعة الآن، حتى إن الأديب نجيب محفوظ أطلق على الجزء الثاني من ثلاثيته «قصر الشوق» لا «الشوك».  
 ٥ Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 270-71.



### ذكر (a) قصر أولاد الشيخ

هذا المكان من جملة القصر الكبير، وكان قاعة، فسكنها الوزير الصاحب الأمير الكبير معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه، في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، فعرف به<sup>١</sup>.

وأذكرت هذا المكان خطأ يعرف بالقصر، يتوصل إليه من زقاق تجاه حمام بيسري، وفيه عدة دور: منها دار الطواشي سابق الدين ومدرسته المعروفة بالمدرسة السابقية. وكان يتوصل إليه من الركن المخلق أيضا، من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء، المعروف قديما بباب الريح<sup>٢</sup>. ثم عرف بباب<sup>a</sup> قصر ابن الشيخ، وعرف في زمننا بباب القصر، إلى أن هدمه جمال الدين الأستادار كما يأتي إن شاء الله<sup>٣</sup>.

### قصر الزمرد

هو من جملة القصر الكبير، وعرف أخيرا بقصر قوصون، ثم عرف في زمننا بقصر الحجازية. وقيل له: قصر الزمرد لأنه كان بجوار باب الزمرد أحد أبواب القصر. ووجد به في سنة بضع وسبعين وسبع مائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الأبيض، فعمل لهما ابن عابد رئيس الحرايق السلطانية أساقيل، وجرهما إلى المدرسة التي أنشأها الملك الأشرف شعبان بن حسين تجاه الطبخانه من قلعة الجبل<sup>٤</sup>.

وأدركنا لجر هذين العمودين أوقاتا في أيام تجمع الناس فيها من كل أوب لمشاهدة ذلك، ولهجوا بذكرهما زمنا، وقالوا فيهما شعرا وغناء كثيرا، وعملوا أمودجات<sup>b</sup> من ثياب الحرير وتطريز المناديل عرفت بجر العمود. وكانت الأنفس حينئذ منبسطة، والقلوب خالية من

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: نموذجات.

<sup>٤</sup> انظر المقريري: السلوك ٣: ٢٥١-٢٥٢؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١١: ٦٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ١/ ١٥٤: ٢ وفيما يلي ٢: مسودة (المدرسة الظاهرية المستجدة).

<sup>١</sup> فيما يلي ٤٢٨، ٢: ٣٣؛ Fu'ad Sayyid, A. *op.cit.*, p. 253.

<sup>٢</sup> فيما يلي ٢: ٣٩٣.

<sup>٣</sup> فيما يلي ٤٢٨.



الهُمُومِ ، وَلِلنَّاسِ إِقْبَالَ عَلَى اللَّهِوَ لِكثْرَةِ نِعْمِهِمْ وَطُولِ فَرَاغِهِمْ . وَكَانَ الْعَمُودَانِ الْمَذْكُورَانِ مِمَّا ارْتُدِمَ مِنْ أَنْقَاضِ الْقَصْرِ ، فَشَبَّحَانَ الْوَارِثِ ١

### ذِكْرُ (a) الرُّكْنِ الْمَخْلُوقِ

مَوْضِعُهُ الْآنَ تِجَاهَ حَوْضِ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ ، عَلَى يَمِينَةٍ مِنْ أَرَادِ الدُّخُولِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِمَعْبَدِ مُوسَى . وَقِيلَ لَهُ : الرُّكْنُ الْمَخْلُوقُ لِأَنَّهُ ظَهَرَ فِي سَنَةِ سِتِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ حَجَرٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : «هَذَا مَسْجِدُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ» ، فَخُلِقَ بِالزُّعْفَرَانِ ، وَسُمِّيَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالرُّكْنِ الْمَخْلُوقِ ١ .

وَأَخْبَرَنِي الْأَمِيرُ الْوَزِيرُ أَبُو الْمَعَالِي يَلْبَغَا السَّالِمِيُّ أَنَّهُ قَرَأَ فِي الْأَسْطَرِ الْمَكْتُوبَةِ بِأَشْكَفَةِ بَابِ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ كَلَامًا مِنْ جَمَلَتِهِ : «وَالْحَوَائِثُ الَّتِي بِالرُّكْنِ الْمَخْلُوقِ» بَوَاوِ بَعْدَ الْخَاءِ . فَرَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي «الْأَمَالِيِّ» لِلْقَالِيِّ : «وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ<sup>(b)</sup> ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو : الْخَوْقَاءُ الصُّخْرَاءُ الَّتِي لَا مَاءَ بِهَا ، وَيُقَالُ الْوَأَسِيعَةُ ، وَأَخْوَقٌ : وَاسِعٌ» . فَلَعَلَّهُ سُمِّيَ الْمَخْلُوقُ بِمَعْنَى الْإِتْسَاعِ ، فَكَانَ رُكْنًا مُتَّسِعًا وَفِي بِنَاءِ وَاسِعٍ ، أَوْ يَكُونُ الْمَخْلُوقُ بِاللَّامِ مِنْ قَوْلِهِمْ : قَدَحٌ مُخْلَقٌ - بَضْمِ الْمِيمِ وَقَفْحِ الْخَاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ وَقَفْحِهَا - أَيِ مَسْتَوٍ أَمْلَسٍ . وَكُلُّ مَا لِينٌ وَمُلْسٌ فَقَدْ خُلِقَ ، فَكُلُّ مَمْلَسٌ مُخْلَقٌ ، وَسَمَّيْتُهُ الْعَامَّةُ بَعْدَ ذَلِكَ «الرُّكْنُ الْمَخْلُوقُ» عِنْدَمَا خَلَقُوهُ بِالزُّعْفَرَانِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

### السَّفِينَةُ (c)

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ مَوْضِعٌ يُعْرَفُ بِالسَّفِينَةِ<sup>(c)</sup> يَقِفُ عِنْدَهُ الْمُتَظَلِّمُونَ ، وَكَانَتْ عَادَةً الْخَلِيفَةُ أَنْ يَجْلِسَ هُنَاكَ كُلَّ لَيْلَةٍ لِمَنْ يَأْتِيهِ مِنَ الْمُتَظَلِّمِينَ ، فَإِذَا ظَلِمَ أَحَدٌ وَقَفَّ تَحْتَ السَّفِينَةِ<sup>(c)</sup> وَقَالَ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : أبو عبيدة . (c) بولاق : السقيفة .

١ ابن أبي الفضائل : النهج السديد ١٠٤ - ١٠٥ .  
ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ٦٩٠١  
بنقش بارز على قطعة من الرخام يشتمل على ثلاثة أسطر  
بالخط النسخي المملوكي تحمل النص التالي : «أمر بفتح هذا  
المسجد المبارك الذي يسمى معبد موسى عليه السلام مولانا

السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ تَخَلَّدَ اللَّهُ مَلِكُهُ وَ...» وَهِيَ مُؤَرَّخَةٌ سَنَةَ  
٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م (Wiet, G., *Inscriptions historiques saur pierre* (Catalogue général du Musée de l'art islamique au Caire, pp. 56-57; (Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 250-51 .

٢ المقرئزي : مسودة المواظ ١١٨ .



بصوت عال : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، عليّ وليّ الله » . فسمعته الخليفة فيأمر بإحضاره إليه ، أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضي أو الوالي <sup>١</sup> .

ومن غريب ما وقع أنّ الموفق بن الخلال <sup>٢</sup> لما كان يتحدث في أمور الدواوين أيام الخليفة الحافظ لدين الله ، وخرج من انتدب بعد انحطاط النيل من الغدول والنصارى الكتاب إلى الأعمال ، لتحرير ما شمله الرّي وزرع من الأراضي ، وكتابة المكلفات <sup>٣</sup> . فخرج إلى بعض النواحي من يمسحها من شاد وناظر وغدول ، وتأخر الكاتب النصراني ثم لحقهم وأراد التعديّة إلى الناحية ، فحملة ضامن تلك المعديّة إلى البرّ ، وطلب منه أجرّة التعديّة ، فنقر فيه النصراني وسبّه وقال : أنا ماسح هذه البلدة ، وثريد مني حق التعديّة ؟ فقال له الضامن : إن كان لي زرع خذه . وقلع لجام بعلّة النصراني ، وألقاه في معديته . فلم يجد النصراني بُدًا من دفع الأجرة إليه حتى <sup>٤</sup> أخذ لجام بعلته .

فلما تمّ مساحة البلد ، ويصّر مكلفة المساحة ليحملها إلى دواوين الباب - وكانت عادتهم حينئذ هذا <sup>٥</sup> - كتّبت الجملة بزيادة عشرين فدّانًا وترك بياضًا في بعض الأوراق ، وقابل الغدول على المكلفة ، وأخذ خطوطهم <sup>٦</sup> عليها بالصّحة ، ثم كتّبت في البياض الذي تركه : « أرض اللجام - باسم ضامن المعديّة - : عشرين فدّانًا قطيعة . كل فدّان أربعة دنانير ، عن ذلك ثمانون دينارًا » . وحمل المكلفة إلى ديوان الأضل <sup>٧</sup> .

وكانت العادة إذا مضى من السنة الحراجية أربعة أشهر ، ندب من الجند من فيه حماسة وشدة ، ومن الكتاب الغدول ، وكاتب نصراني . فيخرجون إلى سائر الأعمال كذلك <sup>٨</sup>

(a) بولاق : حين . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : الخطوط .

<sup>٢</sup> الموفق أبو الحجاج يوسف بن علي بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء في دولة الحافظ لدين الله ومن بعده من الخلفاء ، توفي في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م (العماد الأصفهاني : خريدة القصر (قسم مصر) ١: ٢٣٥-٢٣٧؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦: ٢١٩-٢٢٥؛ ابن ميسر : أخبار مصر ١٥١؛ المقرئ : اتعاظ الخفا ٣: ٢١٨) .

<sup>٣</sup> عن المكلفات . انظر فيما تقدم ١: ٢٣٠ .

<sup>١</sup> في مسودة المواعظ جاءت هذه الكلمة بخط المقرئ الشفينة لا الشقيقة كما اشتهر عنها بمعنى سقيفة أو جزء مسقوف في فناء وتابعت نشرة بولاق في ذلك في كتابي *la capitale de l'Égypte* ، ولكن يبدو من خلال مسودات المقرئ والنسخ المنقولة من خطه أن صواب الكلمة «الشفينة» ، وربما كانت جزءًا بارزًا في القصر يجلس فيه الخليفة كل ليلة ويأتي إليه المتظلمون ، لا بسقيفة يقف تحتها المتظلمون!



لاستخراج ثلث الخراج على ما تشهد به المكلفات المذكورة ، فينتفق في الأجناد ، فإنه لم يكن حينئذ للأجناد إقطاعات كما هو الآن<sup>١</sup> . وكان من العادة أن يخرج إلى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة ، بل ينتدب قوم سواهم . فلما خرج الشاد والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية ، استدعوا أزباب الزرع على ما تشهد به المكلفة ، ومن جملتهم ضامن المعديّة . فلما حضر أزم بستة وعشرين دينارًا وثلاثي دينار ، عن نظير ثلث المال الثمانين دينارًا التي تشهد بها المكلفة عن خراج أرض اللجام .

فأنكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية ، وصدقه أهل البلد . فلم يقبل الشاد ذلك - وكان عسوفًا - وأمر به فضرب بالمقارع ، واحتج بخط العدول على المكلفة ، وما زال به حتى باع معديته وغيرها ، وأورد ثلث المال الثابت في المكلفة . /وسار إلى القاهرة ، فوقف تحت السفينة<sup>٢</sup> ، وأعلن بما تقدم ذكره ، فأمر الخليفة الحافظ بإحضاره . فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة ، وحكى له ما اتفق منه في حق النضرائي ، وما كاده به . فأخضرت ابن الخلال وجميع أزباب الدواوين ، وأخضرت المكلفات التي عملت للناحية المذكورة في عدة سنين ماضية ، وتصفحت بين يديه سنة سنة ، فلم يوجد لأرض اللجام ذكر ألبتة . فحينئذ أمر الخليفة الحافظ بإحضار ذلك النضرائي وشمر في مزكب ، وأقام له من يطعمه ويسقيه ، وتقدم بأن يطاف به سائر الأعمال ، وينادي عليه ، ففعل ذلك . وأمر بكف أيدي النضرائية كلها عن الخدم في سائر المملكة ، فتعطلوا مدة إلى أن ساءت أحوالهم<sup>٣</sup> .

وكان الحافظ مغمرمًا بعلم النجوم ، وله عدة من المنجمين من جملتهم شخص صار إليه عدة من أكابر كتاب النصارى ، ودفعوا إليه جملة من المال ، ومعهم رجل منهم يُعرف بالأخزم بن أبي زكريا<sup>٣</sup> ، وسألوه أن يذكر للحافظ في أحكام تلك السنة جليلة هذا الرجل ، فإنه إن أقامه في تدبير

(a) بولاق : السفينة .

Islamization of the Middle East. The Case of Egypt», *JARCE* XII (1985), pp. 29-47

الدولة الفاطمية في مصر ٢٦٤-٢٦٦ .

٣ انظر عن الأخزم بن أبي زكريا فيما تقدم ٣٣١ -

٣٣٢ .

١ انظر فيما تقدم ١ : ٢٣٠ .

٢ حدث هذا الموقف من النصارى في أعقاب سيطرة الأرمن على الأمور في مصر في ظل وزارة الوزير بهرام الأرمني والإجراءات التي اتخذها الوزير السني رضوان بن الخشي ضدهم (راجع ، Leiser, G., «The Madrasa and the



دَوْلته زاد النبل ، ونما الارتفاع ، وزكت الزروع ، وتنجت الأغنام ، ودرت الضروع ، وتضاعفت الأسماك ، وورد الثجائر ، وجرت قوانين المملكة على أجمل الأوضاع . فطمع ذلك المنجم في كثرة ما عاينه من الذهب ، وعمل ما قرره النصاري معه .

فلما رأى الحافظ ذلك تعلقت نفسه بمشاهدة تلك الصفة ، فأمر بإحضار الكتاب من النصاري ، وصار يتصفح وجوههم من غير أن يُطلع أحدا على ما يريد ، وهم يؤخرون الأخرم عن الحضور إليه - قرضا منهم ، وخشية أن يفتن بمكرهم - إلى أن اشتد إلزامهم بإحضار سائر من بقي منهم ، فأخضروه بعد أن وضعوا من قدره <sup>(a)</sup> وليثينوا أمره <sup>(a)</sup> .

فلما رآه الحافظ ، رأى فيه الصفات التي عيّن بها منجمه ، فاستدناه إليه وقرّبه ، وآل أمره إلى أن ولّاه أمر <sup>(b)</sup> الدواوين . فأعاد كتاب النصاري أوفر ما كانوا عليه ، وشرعوا في التجبر ، وبالغوا في إظهار الفخر ، وتظاهروا بالملابس العظيمة ، وركبوا البغلات الرائعة والخيول المستومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة ، وضايقوا المسلمين في أزواقهم واستولوا على الأعباس الدينية والأوقاف الشرعية ، واتخذوا العبيد والماليك والجواري من المسلمين والمسلمات . وضودر بعض كتاب المسلمين فألجأته الضرورة إلى بيع أولاده وبناته ، فيقال إنه اشتراهم بعض النصاري ، وفي ذلك يقول ابن الخلال :

[الوافر]

إذا حكّم النصاري في الفروج      وغالوا بالبغال وبالسروج  
وذلت دولة الإسلام طرا      وصار الأمر في أيدي الغلوج  
فقل للأعور الدجال هذا      زمانك إن عزمتم على الخروج

وموضع السفينة <sup>(c)</sup> فيما بين دزب السلامي وبين خزانة البتود ، يتوصل إليه من تجاه البئر التي قدام دار كانت تُعرف بقاعة ابن كتيّلة ؛ ثم استولى عليها جمال الدين الأستادار وجعلها مسكنا لأخيه ناصر الدين الخطيب ، وغيّر بابها .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : أمير . (c) بولاق : السقيفة .



## ذِكْرُ دَارِ الضَّرْبِ

- هذا المكان - الذي هو الآن دار الضرب من بعض القصر - كان خزانة بجوار الإيوان الكبير ، سُجِنَ بها الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد بن المُسْتَنْصِر بالله أبي تميم مَعَدَّ . وذلك أن الأَمِرَ لما قُتِلَ في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسة مائة قام العادل بَرَعَش وهَزَارُ الملوك جوامرَد - وكانا أَحَصَّ غُلَمَانَ الأَمِر - بالأَمير عبد المجيد ، ونَصَباه خَلِيفَةً ، ونَعَتاه بالحافظ لدين الله ، وهو يومئذٍ أَكْبَرُ الأَقْرَبِ سِنًا <sup>١</sup> .
- وَذُكِرَ أَنَّ الأَمِرَ قال قبل أن يُقْتَلَ بأسبوع عن نفسه : «المِسْكِينُ المَقْتُولُ بالسُّكِينِ» <sup>٢</sup> ، وأَنَّهُ أشارَ إلى أَنَّ بعضَ جِهَاتِهِ حَامِلٌ مِنْهُ ، وَأَنَّهُ رَأَى أَنَّهَا سَتَلِدُ ذَكَرًا وهو الخليفة من بَعْدِهِ ، وَأَنَّ كَفَالَتَهُ للأَمير عبد المجيد . فَجَلَسَ على أَنَّهُ كَافِلٌ للمذكور ، وَنَدَبَ هَزَارَ الملوك للوَزَارَةِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ <sup>٣</sup> .
- ١٠ فلم يَرِضُ الأَجْنَادُ بِوَزَارَتِهِ <sup>(a)</sup> ، وَثَارُوا بَيْنَ القَصْرَيْنِ - وَكَبِيرُهُم رِضْوَانُ بنِ وَخْشِي - وَأَقَامُوا أبا علي <sup>(b)</sup> أَحْمَدَ <sup>(c)</sup> بن الأَفْضَلِ الملقَّبَ بِكُتَيْفَاتٍ ، وَقَالُوا : لا نَرِضِي إِلاَّ أَنْ تَصْرِفَ هَزَارَ المُلُوكِ وَتُقَوِّضَ الوَزَارَةَ لأَحْمَدَ بنِ الأَفْضَلِ <sup>(d)</sup> فَتُرِيعَتِ الخَلِيعُ مِنْ هَزَارِ الملوك فِي مَجْلِسِ الخِلافةِ وَقُبِضَ عَلَيْهِ وَقُتِلَ وَخُلِعَ على أَحْمَدَ بنِ الأَفْضَلِ <sup>(d)</sup> فِي سادسِ عَشْرِهِ . فَكانَ أَوَّلَ ما بدأ بِهِ أَنْ أَحاطَ على الخليفة الحافظ وَسَجَنَهُ بِالقاعَةِ المذكورةِ وَقَيَّدَهُ ، وَهَمَّ بِخَلْعِهِ فلم يَتَأْتْ لَهُ ذلك . وَكانَ إماميًا ، فَأَبْطَلَ ذِكْرَ الحَافِظِ مِنَ الخُطْبَةِ ، وَصارَ يَدْعُو لِلقائِمِ المُنتَظَرِ ، وَنَقَشَ على السُّكَّةِ : «اللهُ الصَّمَدُ ، الإِمامُ مُحَمَّدٌ» <sup>٤</sup> .

(a) بولاق : به . (b) بولاق : وقاموا بأبي علي . (c) ساقطة من بولاق . (d-d) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> فيما تقدم ١٩٩ - ٢٠٠ .  
<sup>٢</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٨٥ .  
<sup>٣</sup> راجع ، أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٤٢ - ٢٤٣ .  
<sup>٤</sup> راجع أخبار أبي علي الأفضل والانقلاب الذي قام به ضد الدولة الفاطمية حيث أسقط اسم إسماعيل بن جعفر الصادق الذي تنتسب إليه الإسماعيلية ، ودعا للإمام المنتظر وهو ما يتفق مع ما ذكره المقرئزي .  
 (الإمام محمد المنتظر لأمر الله ،  
 الله الصمد)  
 وهو ما يتفق مع ما ذكره المقرئزي .



فلما قُتِلَ في يَوْمِ الثلاثاءِ سادسِ عشرِ الحَرَمِ سنةِ سِتِّ وعشرينِ وخمسةِ مائةٍ ، بالمِيدانِ خَارِجِ بابِ الفُتُوحِ ، سارَعَ صِبيانُ الحَاصِّ الذينَ تولَّوا قَتْلَهُ إلى الحَافِظِ ، وأَخْرَجُوهُ مِنَ الخِزَانَةِ/ المذكَورَةِ ، وفكَّوا عَنْهُ قَيْدَهُ - وكانَ كَبيرَهُم يانِسُ - وأجلاسوه في الشُّبَّاكِ على مَنصِبِ الخِلافَةِ ، وطيفَ بِرأسِ أحمدَ بنِ الأفضَلِ ، وخَلَعَ على يانِسِ خِلافةَ الوِزارَةِ <sup>١</sup> .

وما زالت الخِلافَةُ في يَدِ الحَافِظِ حَتَّى ماتَ لَيْلَةَ الخَميسِ لخمسةِ خَلَوْنَ مِنَ جُمادى الآخرةِ سنةِ أربعٍ وأربعينِ وخمسةِ مائةٍ ، عن سَبْعِ وستينِ سنةٍ : منها خَلِيفَةً ، من حينِ قُتِلَ ابنُ الأفضَلِ ، ثمانِ عشرةِ سنةٍ وأربعةِ أشهرٍ وأيامٍ .

### ذِكْرُ (a) خِزائِنِ السِّلاحِ

كانت بالإيوانِ الكَبيرِ الذي تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ ، في صَدْرِ الشُّبَّاكِ الذي يجلسُ فيه الخَلِيفَةُ ، تحتِ القُبَّةِ التي هُدِمَتْ في سنةِ سَبْعِ وثمانينِ وسبعِ مائةٍ كما تَقَدَّمَ .  
وخِزائِنُ السِّلاحِ المذكَورَةِ هي الآنَ باقيةٌ بجوارِ دارِ الضُّرْبِ خَلْفَ المَشْهَدِ الحُسَيْنِيِّ ، وعَقْدُ الإيوانِ باقٍ وقد تَشَعَّتْ <sup>٢</sup> .

### ذِكْرُ (a) المارِستانِ العَتِيقِ

قال القاضي الفاضلُ في «مُتَجَدِّداتِ» سنةِ سَبْعِ وسبعينِ وخمسةِ مائةٍ (b) ومن خَطَّهُ نَقَلْتُ (b) :  
في تاسعِ ذي القعدةِ أَمَرَ السُّلطانُ - يعني صلاحَ الدينَ يوسفَ بنَ أيُّوبَ - بِفَتْحِ مارِستانِ للمرضى والضُّعفاءِ ، فاخْتيرَ لَهُ مَكَانٌ بالقِصرِ ، وأفردَ بِرِشْمِهِ مِنْ أَجْرَةِ الرُّبَاعِ الدِّيوانيةِ مُشاهِرَةً مَبْلَغُها مائتا دينارًا ، وغَلَّتْ جِهاثُها الفَيُومِ . واستَعْخَدَ لَهُ أَطِبَّاءَ وطَبائِعِيينَ وجِرائِحِيينَ ومُشارِفَ وعامِلًا وخُدَّامًا . ووَجَدَ النَّاسُ بِهِ رِفقًا ، وإليه مَسْتروحًا ، وبه نَفَعًا <sup>٣</sup> .

(a) ساقطة من بولاق . (b-b) إضافة من مسودة المواعظ .

<sup>١</sup> أمير الجيوش سيف الإسلام أبو الفتح . يانِسُ الحافظي ، أحد غلمان الوزير الأفضل شاهنشاه تقدم في الرتب حتى أصبح «صاحب الباب» ، قبل أن تسند إليه الوزارة ، وتنسب إليه إحدى طوائف الجند المعروفة بـ «الطائفة اليانيسية» . (ابن الطوير : نزهة المقتلين ٣٥-٤٣٦ ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ٤٩٨ ابن ميسر : أخبار مصر ١١٧-١١٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢٩٩ ؛ المقرئ : اتعاظ الخنفا ٣ : ١٤٤-١٤٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٢٤٠ وفيما يلي ١٦ : ٢-١٧) .  
<sup>٢</sup> انظر كذلك فيما يلي ٣٨٠ - ٣٨١ .  
<sup>٣</sup> المقرئ : السلوك ١ : ٧٦ .



وكذلك بمصر أمر بفتح مارستانها القديم ، وأفرد برسمه من ديوان الأعباس ما تقدير ارتفاعه عشرون ديناراً ، واستخدم له طبيباً وكحالاً<sup>(a)</sup> ومُشارِفٌ ، وارتفق به الضعفاء ، وكثر بسبب ذلك الدعاء<sup>١</sup> .

وقال ابنُ عبد الظاهر : كان قاعةً بناها العزيزُ بالله في سنة أربع وثمانين وثلاث مائة . وقيل إنَّ القرآنَ مكتوبٌ في حيطانها ، ومن خواصها أنه لا يدخلها نملٌ لطلسمٍ بها . ولما قيل ذلك لصلاح الدين - رحمه الله - قال : هذا يصلح أن يكون مارستاناً . وسألتُ مباشره عن ذلك [في سنة سبع وخمسين وست مائة]<sup>(b)</sup> فقالوا : إنه صحيح .

وكان قديماً المارستان - فيما بلغني - القشاشين ، وأظنه المكان المعروف بدار الضروب<sup>(c)</sup> . انتهى<sup>٢</sup> . والقشاشين المذكورة تُعرف اليوم بالخرّاطين ، المسلوك فيها إلى الخيميين والجامع الأزهر .

### ذِكْرُ التُّرْبَةِ<sup>(d)</sup>

كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية ، وفيها دفنَ المعزُ لدين الله آباءه الذين أحضرهم في توابيت معه من بلاد المغرب وهم : الإمام المهدي عبيد الله ، وابنه الإمام<sup>(e)</sup> القائم بأمر الله محمد ، وابنه الإمام المنصور بنصر الله إسماعيل . واستقرت مدفننا يُدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساؤهم ، وكانت تُعرف بتربة الزعفران ، وهو مكانٌ كبيرٌ من جملتها الموضع الذي يُعرف اليوم بخطُّ الزرايشة العتيق ، ومن هناك بابها<sup>٣</sup> .

(a) بولاق : عامل . (b) إضافة من الروضة البهية . (c) جميع النسخ . دار الديلم ، والتصويب من ابن عبد الظاهر ٣٣ . (d) بولاق : التربة المعزية . (e) ساقطة من بولاق .

في أكثر من موضع ؛ وأخيراً «التربة المقدسة تربة الأئمة» كما في نص ابن المأمون الآتي ذكره ، وهي تسمية معاصرة لزمن الفاطميين ، وانظر كذلك دراسة توماس ليستين Leisten, Th., «Dynastic Tomb or Private Mausolea: Observations on the Concept of Funerary Structures of the Fâtimid and Abbâsid Caliphs», in Barrucan, M. (ed.), *L'Égypte Fatimide son art et son histoire*, pp. 473-79.

<sup>١</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ٣١٩ .

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٦١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٦٥ .

<sup>٣</sup> Fu'âd Sayyid, A., *op.cit.*, p. 291 ، ويُطلق عليها أيضاً «تربة القصر» كما في نص المسبحي الآتي ذكره ، وعند ابن ميسر : أخبار مصر ١٥٠ ، أو «تربة الأئمة بالقصر» كما في نص ابن المأمون الآتي ذكره ، وكذلك «تربة الزعفران» كما ذكرها المقرئزي



ولما أنشأ الأمير جَهَّاز كَس الخليلي خاتنه المعروف به بالخطّ المذكور، أخرج ما شاء الله من عظامهم، فألقيت في المزابل على كيماان البرقيّة. ويمتدّ من هناك من حيث المدرّسة البديريّة، تخلف المدارس الصّالحية النّجميّة، وبها إلى اليوم بقايا من قبورهم<sup>١</sup>.

وكان لهذه التّربة عوائد ورُسوم: منها أنّ الخليفة كلّما ركب بمظلة وعاد إلى القصر، لابد أن يدخل إلى زيارة آبائه بهذه التّربة، وكذلك لابد أن يدخل في يوم الجمعة دائماً، وفي عيدي الفطر والأضحى، مع صدقات ورُسوم تُعرف<sup>(a)</sup> ٢.

(b) قال المسبّحي في حوادث سنة خمس وثمانين وثلاثمائة: وفي نصف شوال توفيت السيّدة العزيزية أمّ ولد أمير المؤمنين العزيز بالله وزوجته، بالخيم في منى جعفر، فحملت إلى القصر وصلى عليها العزيز بالله ودفنها في تربة القصر وستر قبرها بالثقل والجوهر؛ وكفنت بما مبلغه عشرة آلاف دينار، وأخذت الغاسلة ما كان تحتها من فرش وما كان عليها من الثياب وكان ذلك بمبلغ ستة آلاف دينار. وراثها جماعة من الشّعراء، فأطلقت لهم جوائز خمس مائة دينار. ورجع العزيز إلى المضارب، وأقامت ابنتها المناحة على قبرها والقواد والغلمان والخدّام بالثياب المسخّمة وعلى رعوسهم كرازي الصوف، وأيديهم مشبكة على رؤسهم يصيحون: وا سيّتنا! وهم حفاة، فإذا توسّطوا الطريق حفنوا حفنات من تراب وحثّوها على رعوسهم ودخلوا، وأقاموا كذلك شهراً كاملاً والعزيز بالله يواصل زيارتها في كل يوم والناس يطعم، ويُفترق الأطعمة على سائر الناس مع الحلوى، وفرّق على الشّعراء بعد ذلك ألفي دينار<sup>(b)</sup> ٣.

قال ابن المأمون: وفي هذا الشهر - يعني شوالاً سنة ست عشرة وخمس مائة - تنبّه ذكر الطائفة النزارية، وتقرّر بين يدي الخليفة الأمر بأحكام الله أن يسير رسول إلى صاحب الموت، بعد أن جمّعوا الفقهاء من الإسماعيلية والإمامية، وقال لهم الوزير المأمون البطائحي: ما لكم من الحجة في الردّ على هؤلاء الخارجين على الإسماعيلية؟ فقال كل منهم: لم يكن لنزار إمامة، ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضلّ، ووجب قتله. وذكروا حجّتهم، فكتب الكتاب.

(a) بولاق: تفرق. (b-b) ساقطة من بولاق ومضافة من النسخ المنقولة من خط المقرئ.

<sup>١</sup> فيما يلي ٢: ٣٥، ٩٤. توجه الخليفة إلى تربة آبائه للترحم بعد انقضاء ركوب أول العام.

<sup>٢</sup> فيما يلي ٤٦٢، ٨، ٤٨٧، ٣، حيث يذكر ابن المأمون <sup>٣</sup> المسبّحي: نصوص ضائعة ١٥.



وَوَصَلَتْ كُتُبٌ مِنْ خَوَاصِّ الدَّوْلَةِ تَتَضَمَّنُ أَنَّ القَوْمَ قَوَّيَتْ شَوْكُتْهُمُ ، وَاشْتَدَّتْ فِي البِلَادِ طَمَعُتْهُمُ ، وَأَنَّهُمْ سَيَّرُوا الآنَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ بِرَسْمِ النَّجْوَى وَبِرَسْمِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَنْزِلُ الرُّسُلُ عِنْدَهُمْ ، وَيَخْتَفُونَ فِي مَحَلَّتْهُمُ . فَتَقَدَّمَ الوَازِرُ بِالفَخْصِ عَنْهُمْ ، وَالاخْتِرَازِ التَّامِ عَلَى الخَلِيفَةِ فِي رُكُوبِهِ وَمُتَرَهَاتِهِ ، وَحِيفِظِ الدُّورِ وَالْأَسْوَاقِ . وَلَمْ يَزَلِ البَحْثُ فِي طَلَبِهِمْ إِلَى أَنْ وُجِدُوا فَاعْتَرَفُوا بِأَنَّ خَمْسَةَ مِنْهُمْ هُمُ الرُّسُلُ الوَاصِلُونَ بِالمَالِ فَصَلُّوا .

وَأَمَّا المَالُ ، وَهُوَ أَلْفَا دِينَارٍ ، فَإِنَّ الخَلِيفَةَ أَتَى قَبُولَهُ ، وَأَمَرَ أَنْ يُنْفَقَ فِي الشُّوَدَانِ عَبِيدَ الشُّرَاءِ . وَأُخْضِرَ مِنْ بَيْتِ المَالِ نَظِيرَ المَبْلَغِ ، وَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُصَاغَ بِهِ قِنْدِيلَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَقِنْدِيلَانِ/ مِنْ فِضَّةٍ ، وَأَنْ يُحْمَلَ مِنْهَا قِنْدِيلٌ ذَهَبٌ وَقِنْدِيلٌ فِضَّةٌ إِلَى مَشْهَدِ الحُسَيْنِ بِبَغْرِ عَشَقْلَانِ<sup>١</sup> ، وَقِنْدِيلٌ إِلَى الثَّرْبَةِ المَقْدُوسَةِ ثَرْبَةِ الأَئِمَّةِ بِالقَصْرِ .

١٠ وَأَمَرَ الوَازِرُ المَأْمُونُ بِإِطْلَاقِ أَلْفِي دِينَارٍ مِنْ مَالِهِ ، وَتَقَدَّمَ بِأَنْ يُصَاغَ بِهَا قِنْدِيلٌ ذَهَبٌ وَسِلْسِلَةٌ فِضَّةٌ بِرَسْمِ المَشْهَدِ العَشَقْلَانِي ، وَأَنْ يُصَاغَ عَلَى المُصْحَفِ الَّذِي بَخَطَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>٢</sup> - بِالجَامِعِ العَتِيقِ بِمِصْرَ مِنْ فَوْقِ الفِضَّةِ ذَهَبٌ .

وَأُطْلِقَ حَاصِلُ الصُّنَادِيقِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى مَالِ النَّجَاوَى بِرَسْمِ الصَّدَقَاتِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ تُفَرَّقُ فِي الجَوَامِعِ الثَّلَاثَةِ : الأَزْهَرُ بِالقَاهِرَةِ ، وَالعَتِيقُ بِمِصْرَ ، وَجَامِعُ القَرَّافَةِ ، وَعَلَى فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَبْوَابِ القُصُورِ .

١٥ وَأُطْلِقَ مِنَ الأَهْرَاءِ أَلْفِي أَرْدَبٍ قَمْحًا ، وَتَصَدَّقَ عَلَى عِدَّةٍ مِنَ الجِهَاتِ بِجَمَلَةٍ كَثِيرَةٍ ، وَاشْتَرِيَتْ عِدَّةٌ جَوَارٍ مِنَ الحَجَرِ ، وَكَتَبَ عَثَقَهُنَّ لِلوَقْتِ ، وَأُطْلِقَ سَرَاحَهُنَّ<sup>٣</sup> .

وَقَالَ فِي كِتَابِ «الدُّخَائِرِ» : إِنَّ الأَثْرَاقَ طَلَبُوا مِنَ المُسْتَنْصِرِ نَفَقَةً فِي أَيَّامِ الشُّدَّةِ فَمَا طَلَبَتْهُمْ ، وَأَنَّهُمْ هَجَمُوا عَلَى الثَّرْبَةِ المَدْفُونِ فِيهَا أَجْدَادُهُ فَأَخَذُوا مَا فِيهَا مِنْ قِنَادِيلِ الذَّهَبِ . وَكَانَتْ قِيَمَةُ ذَلِكَ مَعَ مَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ الآلَاتِ المَوْجُودَةِ هُنَاكَ - مِثْلَ المَدَاخِنِ وَالمَجَامِيرِ وَالمُحَلِّيِّ المَحَارِيبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ - خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ<sup>٣</sup> .

(a) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> انظر عن هذا المشهد فيما يلي ٤٠٦ - ٤٠٨ .

<sup>٢</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٤٩ - ٥٠ .

<sup>٣</sup> المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٩٢ ، والنص غير موجود فيما وصل إلينا من الذخائر .



### ذكر (a) القصر الشافعي

قال ابن عبد الظاهر: القصر الشافعي قُرب التُّرْبَة ، يقرب من جهة السَّبْعِ خَوْخ ، كان فيه عَجَائِزُ من عَجَائِزِ القصر وأقارب الأشراف<sup>١</sup> ، انتهى .

ومَوْضِعُ هذا القصر اليوم فُنْدُقُ المِهْمَنْدَارِ الذي يُدَقُّ فيه الذَّهَبُ ، وما في قِبْلِيهِ من خان مَنجَك ، ودار خَواجَا عبد العزيز المجاورة للمَسْجِدِ الذي بِجِذَاءِ خان مَنجَك ، وما بجوار دار خَواجَا من الرُّقَاقِ المعروف بِدَرْبِ الحَبِيشِيِّ<sup>(b)</sup> .<sup>٢</sup>

وكان حَدُّ هذا القصر الغزبي ينتهي إلى الفُنْدُقِ الذي بِالْحَيَمِيِّينَ ، المعروف قَدِيمًا بِخَانَ مَنكُورَسَ ، ويُعْرَفُ اليوم بِخَانَ القاضي<sup>٣</sup> .

وَأَشْتَرَى بعضَ هذا القصر ، لما بِيَعُ بعد زَوَالِ الدَّوْلَةِ ، الأَمِيرُ ناصِرُ الدِّينِ عُثْمَانُ بن سُنُقُرُ الكَامِلِيِّ المِهْمَنْدَارِ ، (وَعَمْرُهُ الإِسْطَبَلُ<sup>(c)</sup>) الذي يُعْرَفُ بِفُنْدُقِ المِهْمَنْدَارِ ، بعد أن كان إِسْطَبَلًا له .

وَأَشْتَرَى بعضَهُ الأَمِيرُ حُسامُ الدِّينِ لاجين الأَيْدَمَرِي - المعروف بِالذَّرْفِيلِ - دَوادارِ المَلِكِ الظَّاهِرِ بِييَزَسَ ، وَعَمْرُهُ إِسْطَبَلًا ودارًا ، وهي الدَّارُ التي تُعْرَفُ اليوم بِخَواجَا عبد العزيز على باب دَرْبِ الحَبِيشِيِّ ، ثم عَمِلَ الإِسْطَبَلُ الخان الذي يُعْرَفُ اليوم بِخان مَنجَك .

وَأَبْتَنَى النَّاسُ في مَكَانِ دَرْبِ الحَبِيشِيِّ<sup>(b)</sup> الدَّورَ<sup>٤</sup> ، وزال أثر القصر فلم يَبْقَ منه شيءٌ أَبْتَةً .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الحبشي . (c-c) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٣٣ ، ٣٩ .  
<sup>٢</sup> فيما يلي ٣٥ : ٢ ، ولم يفرّد المقرئ أي مدخل  
 للحدث عن فندق المهندار أو خان منجك .  
<sup>٣</sup> فيما يلي ٩٣ : ٢ .  
<sup>٤</sup> فيما يلي ٤٠ : ٢ .



الخزائن التي كانت بالقصر<sup>(a)</sup>

وكانت بالقصر الكبير عدّة خزائن، منها: خزائن الكتب، وخزائن البُتود، وخزائن السلاح، وخزائن الدُرُق، وخزائن السُّروج، وخزائن الفُرُش، وخزائن الكُشوات، وخزائن الأدم، وخزائن الشَّراب، وخزائن الثَّوابِل، وخزائن الحَيِّم، ودارُ التَّعِيقة، وخزائن دارِ أَفْتِكِين، ودارُ الفِطْرَة، ودارُ العِلْم، وخزائن الجَوْهر والطَّيب.

وكان الخليفة يمضي إلى موضع من هذه الخزائن، وفي كلِّ خزنة دِكَّة عليها طُرَاحَة، ولها فَرَّاشٌ يخدمها وينظفها طول السَّنَة، وله جارٍ في كلِّ شهر فيطوفها كلها في كلِّ السَّنَة.

## خزائن الكتب

قال المسبّحي<sup>(c)</sup> في «تاريخه الكبير» في حوادث سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة<sup>(c)</sup>: وذكّر عند العزيز بالله كتاب «العين» للخليل بن أحمد، فأمر خزان دَفَاتِرِه فأخرجوا من خزائنه نيفًا وثلاثين نسخة من كتاب «العين» منها نسخة بخط الخليل. وحمل إليه رجل نسخة من<sup>(d)</sup> «تاريخ الطبري» اشتراها بمائة دينار، فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من «تاريخ الطبري»، منها نسخة بخطه. وذكّر عنده كتاب «الجمهرة» لابن دُرَيْد، فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها<sup>١</sup>.

وقال في كتاب «الذخائر»: عدّة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر، أربعون خزنة: خزنة من جُمَلَتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة؛ وأنَّ الموجود فيها من جُمَلَة الكتب المخرّجة في سِدَّة المُستَنصِر، ألفان وأربع مائة ختمة قرآن في ربّعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن، مُحَلَّاة بذهب وفضة وغيرهما<sup>٢</sup>. وأنَّ جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم ببعض قيمته، ولم يبق في خزائن القصر البرّانية منه شيء بالجملة، دون خزائن القصر الداخليّة التي لا يتوصّل إليها.

(a) ورد هذا العنوان في آياصوفيا قبل ذكر القصر النافعي. (b) ساقطة من بولاق. (c-c) إضافة من مسودة المواعظ. (d) بولاق: من كتاب.

<sup>٢</sup> الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٦٢.

<sup>١</sup> المسبّحي: نصوص ضائعة ١١٧ المقرئ: مسودة

المواعظ ١٤٠-١٤١، اتعاظ الحنفا ١: ٢٧٨.



ووجدت صناديق مملوءة أقلاماً مبرية من براية ابن مقلّة وابن البوّاب وغيرهما<sup>١</sup>.

قال: وكنتُ بمصر في العشر الأول من محرّم سنة إحدى وستين وأربع مائة، فرأيتُ فيها خمسة وعشرين جَمَلًا موقرةً كُتبتا محمولة إلى / دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي، فسألتُ عنها، فعرفتُ أنّ الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير ابن الموفق في الدين بإيجابات<sup>٢</sup> وحبّت لهما عمّا يستحقّانه وغلّمانهما من ديوان الحلبيين، وأنّ حصّة الوزير أبي الفرج منها قومت عليه، من جاري تماليكه وغلّمانه، بخمسة آلاف دينار. وذكّر لي من له خبيرة بالكُتب أنّها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار. ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة ابن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة، مع غيرها ممّا نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج وابن أبي كدينة وغيرهما.

هذا سيوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة، وسيوى ما صار إلى عماد الدولة أبي الفضل ابن المحترق بالإسكندرية، ثم انتقل بعد مقتله إلى المغرب؛ وسيوى ما ظفرت به لواءة محمولاً مع من صار إليه بالابتياح والغضب في بحر النيل إلى الإسكندرية، في سنة إحدى وستين وأربع مائة وما بعدها، من الكُتب الجليلة المقدار المقدومة المثل في سائر الأمصار صيحةً وحسن خطّ وتجليد وعرابة، التي أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم يرسم عمل ما يلبسونه في أزجلهم، وأحرق ورقتها تأولاً منهم أنّها خرّجت من قصر السلطان - أعزّ الله نصره - وأنّ فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبتهم. سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الأقطار، وبقي منها ما لم يُحرق وسفت عليه الرياح الثراب، فصار تلالاً باقية إلى اليوم في نواحي أيار تعرف بتلال الكُتب<sup>٣</sup>.

وقال ابن الطوير: خزانة الكُتب كانت في أحد مجالس البيمارستان<sup>٤</sup> اليوم - يعني المارستان

(a) بولاق: بإيجاب. (b) بولاق: المارستان.

المستعصي في النصف الثاني للقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (راجع، أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ٥٥-٦٢، ٣٠٧-٣١٢).

<sup>٢</sup> لم أقف على هذا الخبر فيما وصل إلينا من كتاب «الذخائر والتحف» المنسوب إلى الرشيد بن الزبير، وقارن المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٩٤-٢٩٥.

<sup>١</sup> يقصد المقرئ الوزير أبا علي محمد بن علي بن الحسن ابن مقلّة وزير الخلفاء العباسيين المقتدر والقاهر والراضي، المتوفى سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م، وأبا الحسن علي بن هلال البغدادي الكاتب المعروف بابن البوّاب، المتوفى سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م رائدي الخط العربي واللذين بدءا تحويله من الشكل الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن، وأصبحت طريقتهما وأسلوبهما في الكتابة هي السائدة حتى ظهرت مدرسة ياقوت







العتيق - ، فيجيء الخليفة راكباً<sup>(a)</sup> ويدخل إليها<sup>(a)</sup> ويرجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ، ويحضر إليه من يتولأها - وكان في ذلك الوقت المجلس ابن عبد القوي - فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة ، وغير ذلك مما يقترحه من الكتب . فإن عن له<sup>(b)</sup> أخذ شيء منها أخذته<sup>(b)</sup> ثم يعيده .

وتحتوي هذه الخزانة على عدة رؤوف في دور ذلك المجلس العظيم ، والرؤوف مقطعة بحواجز ، وعلى كل حاجز باب مثنى<sup>(c)</sup> بمفصلات وقفل . وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات ، ويسير من المجرّدات : فمنها الفقه على سائر المذاهب ، والنحو واللغة ، وكتب الحديث النبوي<sup>(d)</sup> ، والتواريخ وسير الملوك ، والنجامة والروحانيات والكيمياء ، من كل صنف النسخة والعشرة<sup>(e)</sup> . ومنها التواقص التي ما تئمت ، كل ذلك تترجمه ورقة ملصقة على باب كل خزانة<sup>(f)</sup> ، وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها . وفيها من الدروج بخط ابن مقلّة ونظائره كابن البواب وغيره ، وتولى يتبعها ابن صوّرة في أيام الملك الناصر صلاح الدين .

فإذا أراد الخليفة الانفصال ، مشى فيها مشيةً لنظرها ، وفيها ناسخان وفرّاشان : صاحب المرتبة<sup>(g)</sup> وآخر ، فيعطي الشاهد عشرين ديناراً ، ويخرج إلى غيرها<sup>(h)</sup> .

وقال ابن أبي طي ، بعدما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر : ومن جُملة ما باعوه خزانة الكتب ، وكانت من عجائب الدنيا ، ويُقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر . ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من «تاريخ الطبري» إلى غير ذلك . ويُقال إنها كانت تحتوي<sup>(h)</sup> على ألف ألف<sup>(i)</sup> وست مائة ألف كتاب ، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة<sup>(i)</sup> . انتهى .

(a-a) إضافة من المسودة . (b-b) المسودة . أخذ شيئاً منها للمطالعة . (c) بولاق : مقفل . (d) إضافة من المسودة . (e) بولاق : نسخ والمثبت من المسودة . (f) المثبت من المسودة ، وسائر النسخ : بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة . (g) إضافة من المسودة . (h) بولاق : المكتبة . (i) بولاق : تشتمل . (i) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٢٦-١٢٨ ؛ المقرئ : مسودة المواظ والاعتبار ١٣٨-١٣٩ .  
<sup>٢</sup> أبو شامة : الروضتين ١ : ٥٠٧ ؛ المقرئ : مسودة المواظ والاعتبار ١٣٩-١٤٠ ، واتعاظ الحنفا ٣ : ٣٣١ .



ومما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي، لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة، جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتابٍ مُجلِّد<sup>١</sup>، وباع ابن صَوْرَةَ دَلالُ الكُتُب منها جُملةً في مُدَّةِ أعوام، فلو كانت كلها مائة ألف لما فَضَلَ عن القاضي الفاضل منها شيءٌ. وذكر ابنُ وَاصِلٍ أن خزانة الكُتُب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مُجلِّد<sup>٢</sup>.

### خزانة الكُتُوب

قال ابنُ أبي طَيِّ: وَعَمِلَ - يعني المُعزِّ لَدِينِ اللَّهِ - دارًا وَسَمَّاهَا دارَ الكُتُوبِ، كان يُفَصِّلُ فيها من جميع أنواع الثياب والبز، ويكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كُتُوبَ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ، وكانت لأولاد الناس ونسائهم كذلك. وجعل ذلك رَسْمًا يتوارثونه في الأعقاب، وكتب بذلك كُتُبًا، وسَمَّى هذا المَوْضِعَ «خزانة الكُتُوب».

وقال، عند ذكر انقراض الدولة: ومن أخبارهم أنهم كانوا يُخْرِجُونَ من خزائن الكُتُوبِ إلى جميع خَدَمِهِم وخواشيهم، ومن يُلُودِ بهم من صَغيرٍ وكَبيرٍ ورَفيعٍ وحَقيرٍ، كُتُوبَ الصَّيْفِ والشِّتَاءِ من العِمَامَةِ إلى الشُّراوِيلِ، وما دونه من المِلايِسِ والمِندِيلِ، من فاخر الثياب ونفيس الملبوس. ويقومون لهم بجميع ما يَحتاجون إليه من نفيس المَطْعُومَاتِ والمَشْرُوبَاتِ.

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٣٦٦:٢.

<sup>٢</sup> ابن واصل: مفرج الكروب ٢٠٣:١.

وبقيتها في مكتبة الجمعية الآسيوية للبنغال في الهند)؛ والنسخة الوحيدة أيضًا من كتاب «تخذي من نسب قريش عن مؤرخ بن عمرو السُدوسي كانت في خزانة الظافر بأمر الله الفاطمي (محافظة الآن بالخزانة العامة بالرباط) (انظر صفحة ٣٥٧)؛ والمجلد العاشر من كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني بحوي الجزأين التاسع عشر والعشرين من الكتاب، كان أيضًا في خزانة الظافر بأمر الله ثم وَقَعَهُ السلطان الناصر حسن على مدرسته بالقاهرة سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٥م (محافظة الآن بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٧ أدب). (راجع Fu'ad Sayyid, A., «L'art du livre», *Dossiers d'Archéologie* 233 (Mai 1998), pp. 80-83 فؤاد: «خزانة كتب الفاطميين هل بقي منها شيء؟»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٤٢ (مايو ١٩٩٨)، ٣٢-٧، والدولة الفاطمية في مصر ٥٩٤-٦٠٩).

وانظر أيضًا خبر هذه الخزانة وما اشتملت عليه وما خرج منها عند أبي شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ١: ٥٠٧، Khoury, R. G., «Une description fantastique des fonds de la Bibliothèque, *Hizānat al-Kutub, au Caire*», *Proceedings of the Ninth Congress of the Union Européenne des Arabisants et Islamisants*, Leiden 1981, pp. 123-40 ووَصَلَ إلينا من بين الكتب التي كانت في تلك الخزانة ثلاث مخطوطات: النسخة الوحيدة من كتاب «التغليقات والنوادر» لأبي علي الهجري، كانت أولًا في خزانة كتب الوزير الأفضل شاهنشاه ثم دخلت في الخزانة الفاتمية (محافظة الآن في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٣٤٢ لغة و٦٥٥٣هـ،



[قَالَ] : وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ حَضَرَ كُنَا الْقَصْرِ الَّتِي تُخْرَجُ فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ ، فَكَانَ مِقْدَارَهَا سِتِّ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَزِيَادَةً .

قَالَ : وَكَانَتْ يَخْلَعُهُمْ عَلَى الْأَمْرَاءِ الثِّيابِ الدِّيْقِي وَالْعَمَائِمِ الْقَصَبِ<sup>(a)</sup> بِالطُّرُزِ الذَّهَبِ . وَكَانَ طِرَازُ الذَّهَبِ وَالْعِمَامَةُ مِنْ خَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ ، وَيُخْلَعُ عَلَى أَكْبَارِ الْأَمْرَاءِ الْأَطْوَاقَ وَالْإِسْوِرَةَ وَالسُّيُوفَ الْمُحَلَّلَةَ . وَكَانَ يُخْلَعُ عَلَى / الْوَزِيرِ عَوْضًا عَنِ الطُّوقِ عِقْدُ جَوْهَرٍ<sup>١</sup> .

وَقَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ : وَجَلَسَ الْأَجَلُ - يَعْنِي الْوَزِيرَ الْمَأْمُونُ - فِي مَجْلِسِ الْوِزَارَةِ لِتَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَعَرْضِ الْمَطَالَعَاتِ ، وَحَضَرَ الْكُتَّابُ وَمَنْ جُمِلَتْهُمْ ابْنُ أَبِي اللَّيْثِ كَاتِبِ الدَّقْتَرِ ، وَمَعَهُ مَا كَانَ أَمِيرًا بِهِ مِنْ عَمَلِ جَرَائِدِ الْكُشُورَةِ لِلشِّتَاءِ بِحُكْمِ حُلُولِهِ وَأَوَّانِ تَفْرِيقِهَا ، فَكَانَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْمُتَّفَقُ فِيهَا ، لِسَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، مِنْ الْأَصْنَافِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَثَلَاثَ مِائَةٍ وَخَمْسَ قِطْعٍ ؛ وَأَنَّ أَكْثَرَ مَا أُتَّفِقَ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ ، فِي طَوْلِ مُدَّتِهَا ، فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مِائَةٍ : ثَمَانِيَةَ أَلْفٍ وَسَبْعَ مِائَةٍ وَخَمْسَ وَسَبْعُونَ قِطْعَةً ، يَكُونُ الزَّائِدُ عَنْهَا - بِحُكْمِ مَا رُيِّسَ بِهِ فِي مُتَّفَقِ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ - خَمْسَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ<sup>(b)</sup> وَأَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ قِطْعَةً<sup>٢</sup> .

وَوَصَلَتْ الْكُشُورَةُ الْمُخْتَصَّةُ بِالْعِيدِ فِي آخِرِ الشَّهْرِ ، وَقَدْ تَضَاعَفَتْ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ لِهَذَا الْمَوْسِمِ ، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى ذَهَبٍ وَسُلْفٍ دُونَ الْعِشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَهُوَ عِنْدَهُمُ الْمَوْسِمُ الْكَبِيرُ ، وَيَسْمَى بِ« عِيدِ الْحُلَلِ » ؛ لِأَنَّ الْحُلَلَ فِيهِ تَعَمُّ الْجَمَاعَةَ ، وَفِي غَيْرِهِ لِلأَغْيَانِ خَاصَّةً . فَأَحْضَرَ الْأَمِيرُ أَفِيخَارَ الدَّوْلَةِ ، مُقَدِّمُ خِزَانَةِ الْكُشُورَةِ الْخَاصِّ ، لِيَتَسَلَّمَ مَا يَخْتَصُّ بِالْخَلِيفَةِ ، وَهُوَ بِرِسْمِ الْمَوْكِبِ : بَدَلَةٌ خَاصَّةٌ جَلِيلَةٌ مَذْهَبَةٌ ، ثَوْبُهَا مَوْشَحٌ مُجَاوِمٌ مُذَائِلٌ ، عِدَّتُهَا بِاللُّفَافَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ قِطْعَةً : السُّلْفُ عَنْهَا مِائَةٌ وَسِتَّةٌ وَسَبْعُونَ دِينَارًا وَنِصْفًا ، وَمِنَ الذَّهَبِ الْعَالِي الْمَغْرُولِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَسَبْعَةَ وَخَمْسُونَ مِثْقَالًا وَنِصْفًا ، كُلُّ مِثْقَالٍ أَجْرَةٌ غَزْلُهُ ثَمَنُ دِينَارٍ ، وَمِنَ الذَّهَبِ الْعِرَاقِيِّ أَلْفَانِ وَتِسْعَ مِائَةٍ وَأَرْبَعٍ وَتِسْعُونَ قِصْبَةً .

تَفْصِيلُ ذَلِكَ : شَاشِيَّةٌ طَمِيمٌ : السُّلْفُ دِينَارَانِ وَسَبْعُونَ قِصْبَةً ذَهَبًا عِرَاقِيًّا . مِنْدِيلٌ بِعَمُودِ ذَهَبٍ : السُّلْفُ سَبْعُونَ دِينَارًا<sup>(a)</sup> وَأَلْفَانِ وَمِائَتَانِ وَخَمْسُونَ قِصْبَةً ذَهَبًا عِرَاقِيًّا ، فَإِنْ كَانَ الذَّهَبُ

(a) ساقطة من بولاق . (b) الأصول وبولاق : ست مائة ، والتصويب من المسودة .

<sup>١</sup> المقرئ : مسودة المواعظ والاعتبار ١٥٧-١٥٨ . المواعظ والاعتبار ١٥٦-١٥٧ ، وصواب الرقم ٥٥٣٠ قطعة

<sup>٢</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٤٨ ؛ المقرئ : مسودة لا ٥٥٣٤ قطعة .



نظير المصري ، كان الذي يُرَقَم فيه ثلاث مائة وخمسة وعشرين مثقالاً ، لأن كل مثقال نظير تسع قصبات ذهباً عراقياً .

وسَط شَرَب بِطَانَةَ لِلْمِنْدِيل : السِّلْف عشرة دنانير وسبعون قَصْبَةَ ذَهَبًا عِرَاقِيًا . ثَوْبٌ مَوْشَحٌ مُجَاوِمٌ مُطْرَفٌ : السِّلْف خمسون دينارًا وثلاث مائة وأحد وخمسون مثقالاً ونصف ذهباً عاليًا ، أجرة كل مثقال ثمن دينار ، تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلاث مائة وأربعة وتسعين دينارًا ونصفًا .

ثَوْبٌ دَيْقِي حَرِيرِي وَسَطَانِي : السِّلْف اثنا عشر دينارًا . غِلَالَةٌ دَيْقِي حَرِيرِي : السِّلْف عشرون دينارًا . مِندِيل كُتْمٌ أَوَّلٌ مُذَهَّبٌ : السِّلْف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهباً عراقياً . مِندِيل كُتْمٌ ثَانٌ حَرِيرِي : السِّلْف خمسة دنانير . حَجْرَةٌ : السِّلْف أربعة دنانير . عَرَضِي مَذَهَبٌ : السِّلْف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالاً ذهباً عاليًا . عَرَضِي لُفَافَةٌ لِلتُّخْت : دينار واحد ونصف .

بَدَلَةٌ ثَانِيَةٌ بِرَسْمِ الْجُلُوسِ عَلَى السَّمَاطِ ، عِدَّتُهَا بِاللُّفَافَتَيْنِ عَشْرٌ قِطْعٌ : السِّلْف مائة وأربعة عشر دينارًا ، ومن الذهب العالي خمسة وخمسون مثقالاً ، ومن الذهب العراقي سبع مائة وأربعون قَصْبَةَ .

تَفْصِيلُ ذَلِكَ : شَاشِيَّةٌ طَمِيمٌ : السِّلْف ديناران وسبعون قَصْبَةَ ذَهَبًا عِرَاقِيًا . مِندِيلٌ : السِّلْف ستون دينارًا وست مائة قَصْبَةَ ذَهَبًا عِرَاقِيًا . شُقَّةٌ وَكُتْمٌ : السِّلْف ستة عشر دينارًا وخمسة وخمسون مثقالاً ذهباً عاليًا ، أجرة كل مثقال ثمن دينار . شُقَّةٌ دَيْقِي حَرِيرِي وَسَطَانِي : اثنا عشر دينارًا . شُقَّةٌ دَيْقِي غِلَالَةٌ : ثمانية دنانير . مِندِيلُ الْكُتْمِ الْحَرِيرِي : خمسة دنانير . حَجْرَةٌ : أربعة دنانير . عَرَضِي : خمسة دنانير . عَرَضِي بِرَسْمِ التُّخْت : دينار واحد ونصف . وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم في أيام الأفضل ، لأنه لم يكن ثم سِماطٌ يَجْلِسُ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ ، فإنه كان قد نَقَلَ مَا يُعْمَلُ فِي الْقُصُورِ مِنَ الْأَسْمِطَةِ وَالذَّوَابِينِ إِلَى دَارِهِ فَصَارَ يُعْمَلُ هُنَاكَ .

مَا هُوَ بِرَسْمِ الْأَجَلِّ أَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرُ أَخِي الْخَلِيفَةِ الْأَمِيرِ : بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ سَلَفُهَا تِسْعُونَ دِينَارًا وَنِصْفٌ ، وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِثْقَالًا ذَهَبًا عَالِيًا ، وَأَرْبَعٌ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ قَصْبَةَ ذَهَبًا عِرَاقِيًا .

تَفْصِيلُ ذَلِكَ : مِندِيلٌ : السِّلْف خمسون دينارًا وأربع مائة وسبعون قَصْبَةَ ذَهَبًا عِرَاقِيًا . شُقَّةٌ دَيْقِي حَرِيرِي وَسَطَانِي : السِّلْف عشرة دنانير . شُقَّةٌ غِلَالَةٌ دَيْقِي : السِّلْف ثمانية دنانير . حَجْرَةٌ : ثلاثة دنانير وثلث . عَرَضِي دَيْقِي : ثلاثة دنانير .



الجهة العالية بالدار الجديدة التي يقوم بخدمتها جوهر: حلة مذهبة موشح مجاوم مذابل مطرف، عدتها سبع<sup>(a)</sup> عشرة قطعة: <sup>(b)</sup>سلفها ثلاث مائة وستة وثلاثون دينارًا، ومن الذهب العراقي ستة آلاف وثمان مائة وخمسة وثلاثون قصبه<sup>(b)</sup>.

تفصيل ذلك: مكلف مذهب موشح مجاوم: السلف خمسة عشر دينارًا وست مائة وستون قصبه<sup>(b)</sup> عصابة موشح مذهب، السلف عشرون دينارًا وست مائة وستون قصبه<sup>(b)</sup>. سداسي مذهب: السلف ثمانية عشر دينارًا ومائتا قصبه. معجر أول مذهب موشح مجاوم مطرف: السلف خمسون دينارًا وألف وتسع مائة قصبه. معجر ثانٍ حريري: السلف خمسة وثلاثون دينارًا ونصف. رداء حريري أول: السلف عشرة دنانير ونصف. رداء حريري ثان: السلف تسعة دنانير. ذراعة موشح مجاوم مذابل مذهبة: السلف خمسة وتسعون دينارًا، ومن الذهب العراقي ألفان وست مائة وخمس وخمسون قصبه.

شقة ديبقي حريري وسطاني: السلف عشرون دينارًا ونصف. شقة ديبقي بغير رقم برشم عجز التفصيل: ثلاثة دنانير. ملاءة ديبقي: السلف أربعة وعشرون دينارًا وست مائة قصبه. منديل / كم أول: السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبه. منديل كم ثان: السلف خمسة دنانير ومائة وستون قصبه، منديل كم ثالث: السلف خمسة دنانير. حجرة: ثلاثة دنانير. عرضي ديبقي: ثلاثة دنانير. جهة مكنون القاضي بمثل ذلك على الشرح والعدة. جهة مرشد: حلة مذهبة عدتها أربع عشرة قطعة: السلف مائة وأحد وأربعون دينارًا، ومن الذهب العراقي ألف وست مائة وتسع وثمانون قصبه. جهة عنبر مثل ذلك. السيده جهة ظل مثل ذلك. جهة منجب مثل ذلك. الأمير أبو القاسم عبد الصمد: بدلة مذهبة. الأمير داود مثله. السيده العمه: حلة مذهبة. السيده العابدة العمه مثل ذلك.

الموالي الجلساء من بني الأعمام، وهم: أبو الميمون عبد المجيد، والأمير أبو اليشر ابن الأمير محسن، والأمير أبو علي ابن الأمير جعفر، الأمير حيدر ابن الأمير عبد المجيد، والأمير موسى ابن الأمير عبد الله، والأمير أبو عبد الله ابن الأمير داود: لكل منهم بدلة مذهبة.

البثون والبنات من بني الأعمام غير الجلساء: لكل منهم بدلة حريري. ست سيدات: لكل منهن حلة حريري. جهة المولى أبي الفضل جعفر التي يقوم بخدمتها ربحان: حلة مذهبة. جهة



المَوْلَى عبد الصَّمَد : حُلَّةٌ حَرِيرِيَّةٌ . مَا يَخْتَصُّ بِالذَّارِ الْجِيُوشِيَّةِ وَالْمُظْفَرِيَّةِ <sup>١</sup> ، فَعَلَى مَا كَانَ بِأَسْمَائِهِمْ .  
المُسْتَعْدِمَاتِ بِخِزَانَةِ الْكُشُورَةِ الْخَاصَّةِ : زَيْنُ الْخِزَانِ <sup>٢</sup> الْمُقَدِّمَةُ حُلَّةٌ مَذْهَبَةٌ . سِتُّ خِزَانٍ لِكُلِّ  
مِنْهُنَّ حُلَّةٌ حَرِيرِيَّةٌ . عَشْرٌ وَقَافَاتٌ لِكُلِّ مِنْهُنَّ كَذَلِكَ . الْمُعَلِّمَةُ مُقَدِّمَةُ الْمَائِدَةِ كَذَلِكَ . رَايَاتُ  
مُقَدِّمَةِ خِزَانَةِ الشَّرَابِ كَذَلِكَ .

٥ المُسْتَعْدِمَاتِ مِنْ أَرْيَابِ الصَّنَائِعِ مِنَ الْقُصُورِيَّاتِ وَمِنْ أَنْصَافِ إِلْيَهِنَ مِنَ الْأَفْضَلِيَّاتِ : مَائَةٌ  
وَسَبْعُونَ حُلَّةٌ مَذْهَبَةٌ وَحَرِيرِيَّةٌ ، عَلَى التَّفْصِيلِ الْمُتَقَدِّمِ .  
المُسْتَعْدِمَاتِ عِنْدَ الْجِهَةِ الْعَالِيَةِ جِهَةٌ جَوْهَرٌ عَشْرُونَ حُلَّةٌ مَذْهَبَةٌ وَحَرِيرِيَّةٌ ، وَكَذَلِكَ  
المُسْتَعْدِمَاتِ عِنْدَ جِهَةِ <sup>(a)</sup> مَكُونِ .

١٠ الْأُمَرَاءُ الْأُسْتَاذُونَ الْمُحْتَكُونَ : الْأَمِيرُ الثَّقَّةُ زِمَامُ الْقُصُورِ : بَدَلَةٌ مَذْهَبَةٌ . الْأَمِيرُ نَسِيبُ الدَّوْلَةِ  
مُرْشِدٌ ، مُتَوَلَّى الدَّفْتَرِ ، كَذَلِكَ . الْأَمِيرُ خَاصَّةُ الدَّوْلَةِ رَيْحَانٌ ، مُتَوَلَّى بَيْتِ الْمَالِ ، كَذَلِكَ . الْأَمِيرُ  
عَظِيمُ الدَّوْلَةِ وَسَيْفُهَا ، حَامِلُ الْمِظْلَةِ ، كَذَلِكَ . الْأَمِيرُ صَارِمُ الدَّوْلَةِ صَافٌ ، مُتَوَلَّى السُّرِّ ، كَذَلِكَ .  
وَفِي الدَّوْلَةِ إِسْعَافٌ ، مُتَوَلَّى الْمَائِدَةِ ، مِثْلَهُ . الْأَمِيرُ افْتِخَارُ الدَّوْلَةِ جُنْدُبٌ : بَدَلَةٌ مَذْهَبَةٌ نَظِيرُ الْبَدَلَةِ  
الْمُخْتَصَّةِ بِالْأَمِيرِ الثَّقَّةِ . وَلِكُلِّ مَنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ حُلَّةٌ حَرِيرِيَّةٌ أَرْبَعٌ قِطْعٌ ، وَلُفَافَةٌ قُوطَةٌ .

١٥ مُخْتَارُ الدَّوْلَةِ ظَلٌّ : بَدَلَةٌ حَرِيرِيَّةٌ . سِتَّةُ أُسْتَاذِينَ فِي خِزَانَةِ الْكُشُورَةِ الْخَاصَّةِ عِنْدَ الْأَمِيرِ افْتِخَارِ  
الدَّوْلَةِ جُنْدُبٌ : لِكُلِّ مِنْهُمْ بَدَلَةٌ مَذْهَبَةٌ . جَوْهَرُ زِمَامِ الدَّارِ الْجَدِيدَةِ : بَدَلَةٌ حَرِيرِيَّةٌ . تَاجُ الْمَلِكِ عَنَبَرٌ  
نَائِبٌ <sup>(b)</sup> بَيْتِ الْمَالِ مِثْلَهُ . مُفْلِحٌ بَرَسْمُ الْخِدْمَةِ فِي الْمَجْلِسِ مِثْلَهُ . مَكُونٌ مُتَوَلَّى خِدْمَةِ الْجِهَةِ الْعَالِيَةِ  
مِثْلَهُ . قُتُونٌ مُتَوَلَّى خِدْمَةِ التُّزْبَةِ مِثْلَهُ . مُرْشِدٌ الْخَاصُّ مِثْلَهُ .

٢٠ التُّوَابُ عِنْدَ الْأَمِيرِ الثَّقَّةِ فِي زِمَامِ الْقُصُورِ - وَعِدَّتُهُمْ أَرْبَعَةٌ - لِكُلِّ مِنْهُمْ بَدَلَةٌ حَرِيرِيَّةٌ .  
خُشْرُوَانِي الْعَظِيمِي ، مُقَدِّمُ خِزَانَةِ الشَّرَابِ ، وَرَفِيقُهُ : لِكُلِّ مِنْهُمَا بَدَلَةٌ كَذَلِكَ . <sup>(c)</sup> مُتَوَلَّى الْمَائِدَةِ عِنْدَ  
المُعَلِّمَةِ بَدَلَةٌ كَذَلِكَ <sup>(c)</sup> الصَّقَالِيَّةُ أَرْيَابُ الْمَذَابِ - وَعِدَّتُهُمْ أَرْبَعَةٌ - لِكُلِّ مِنْهُمْ بَدَلَةٌ حَرِيرِيَّةٌ وَشَقَّةٌ  
وَقُوطَةٌ . نَائِبُ السُّرِّ مِثْلُ ذَلِكَ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : تاج الملك أمين . (c-c) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> انظر عن الدار المظفرية فيما يلي ٥٢ : ٢ . تتولى أمر خزانة الكسوة الباطنة .

<sup>٢</sup> انظر عن زين الخزان فيما يلي ٣٦٩ ، وهو نعت من



الأستاذون برشم خِدْمَة المِظَلَّة - وَعِدَّتْهُمُ خَمْسَةٌ - لِكُلِّ مِنْهُمُ مَنَدِيلٌ سُوسِيٌّ وَشُقَّةٌ دِمْيَاطِيٌّ  
 وَشُقَّةٌ إِسْكَنْدَرَانِيٌّ وَقُوطَةٌ . الأُسْتَاذُونَ الشُّدَّادُونَ بِرِشْمِ الدُّوَابِ - وَعِدَّتْهُمُ سِتَّةٌ - كَذَلِكَ .  
 مَا حُمِلَ بِرِشْمِ السَّيِّدِ الأَجَلِّ المَأْمُونِ - يَعْنِي الوَازِرَ - : بَدَلَةٌ خَاصَّةٌ مُذْهَبَةٌ كَبِيرَةٌ مُؤَكِّبَةٌ ،  
 عِدَّتْهَا إِحْدَى عَشْرَةَ قِطْعَةً <sup>(أ)</sup> . وَمَا هُوَ بِرِشْمِ جِهَاتِهِ ، وَبِرِشْمِ أَوْلَادِهِ : الأَجَلِّ تَاجِ الرِّئَاسَةِ <sup>(١)</sup> ، وَتَاجِ  
 الخِلافةِ ، وَسَعْدِ المَلِكِ مُحَمَّدٍ ، وَشَرَفِ الخِلافةِ جَمالِ المَلِكِ مُوسَى - وَهُوَ صَاحِبُ التَّارِيخِ <sup>(٢)</sup> -  
 نَظِيرٌ مَا كَانَ بِاسْمِ أَوْلَادِ الأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الجُيُوشِ ، وَهُمُ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ وَأَحْمَدٌ . الأَجَلِّ المُوَثَّقِ  
 سُلْطَانِ المُلُوكِ - يَعْنِي أَخَا الوَازِرِ - عَنِ تَقْدِيمَةِ العَسَاكِرِ وَزَمِّ الأَزِمَّةِ ، وَبِرِشْمِ الجِهَةِ المَخْتَصَةِ بِهِ .  
 وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ عِزِّ المَلُوكِ أَبُو الفَضْلِ جَعْفَرُ عَنِ حَمَلِ السَّيْفِ الشَّرِيفِ - خَارِجًا عَمَّا لَهُ مِنْ حِمَايَةِ  
 خِزَانَةِ الكُشُوتِ وَصِنَادِيقِ التَّقَاتِ ، وَمَا يُحْمَلُ أَيْضًا لِلخِزَانِ المَأْمُونِيَّةِ ، مِمَّا يُتَّفَقُ مِنْهَا عَلَى مَنْ  
 يُحْسِنُ فِي الرَّأْيِ مِنَ الحَاشِيَةِ المَأْمُونِيَّةِ - ثَلَاثُونَ بَدَلَةٌ .

الشَّيْخُ الأَجَلُّ أَبُو الحَسَنِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ ، كَاتِبُ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ ، بَدَلَةٌ مُذْهَبَةٌ عِدَّتْهَا خَمْسُ  
 قِطْعٍ ، وَكُتْمٌ وَعَرَضِيٌّ .

الأَمِيرُ فَخْرُ الخِلافةِ حُسامِ المَلِكِ ، مَتَوَلَّى حَاجِبَةَ البَابِ ، بَدَلَةٌ مُذْهَبَةٌ كَذَلِكَ . القَاضِي ثِقَّةُ  
 المَلِكِ ابْنِ الرِّسْعَانِيِّ <sup>(أ)</sup> النَّائِبِ فِي الحُكْمِ : بَدَلَةٌ مُذْهَبَةٌ عِدَّتْهَا أَرْبَعُ قِطْعٍ ، وَكُتْمٌ وَعَرَضِيٌّ .

الشَّيْخُ الدَّاعِي وَلِيِّ الدَّوْلَةِ ابْنُ عَبدِ <sup>(ب)</sup> الحَقِيقِ : بَدَلَةٌ مُذْهَبَةٌ . الأَمِيرُ الشَّرِيفُ أَبُو عَلِيِّ أَحْمَدِ بْنِ  
 عَقِيلِ ، نَقِيبِ الأَشْرَافِ ، بَدَلَةٌ حَرِيرِيٌّ ثَلَاثُ قِطْعٍ ، وَقُوطَةٌ . الشَّرِيفُ أَنَسُ الدَّوْلَةِ ، مَتَوَلَّى دِيوانِ  
 الإِنشاءِ ، بَدَلَةٌ كَذَلِكَ .

دِيوانُ المَكاتِبَاتِ : الشَّيْخُ أَبُو الرِّضِيِّ ابْنُ الشَّيْخِ الأَجَلِّ أَبِي الحَسَنِ ، النَّائِبِ عَنِ وِالدِهِ فِي  
 الدِّيوانِ المَذْكَورِ : بَدَلَةٌ مُذْهَبَةٌ عِدَّتْهَا ثَلَاثُ قِطْعٍ وَكُتْمٌ . أَبُو المَكَارِمِ هِبَةُ اللهِ أَخُوهُ : بَدَلَةٌ مُذْهَبَةٌ  
 ثَلَاثُ قِطْعٍ وَقُوطَةٌ . أَبُو مُحَمَّدِ حَسَنِ أَخُوهُمَا كَذَلِكَ . أَخُوهُمُ أَبُو الفَتْحِ : بَدَلَةٌ حَرِيرِيٌّ قِطْعَتَانِ  
 وَقُوطَةٌ .

(a) ساقطة من بولاق . (b) الأصل وبولاق : أبي .

<sup>١</sup> توفي تاج الرئاسة ابن المأمون مقتولاً في سنة ٥٤٤هـ / البطائحي ، المتوفى سنة ٥٨٨هـ / ١١٩١م صاحب كتاب  
 «أخبار مصر» أو «السيرة المأمونية» . (المقريزي : السلوك ١ / ١٠٥٢م (ابن ميسر : أخبار مصر ١٤٤) .

<sup>٢</sup> الأمير جمال الملك أبو علي موسى بن المأمون ، ١١١:١ ، وانظر المقدمة .



الشَّيْخُ أَبُو الْفَضْلِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْمَيْدَمِيِّ<sup>(a)</sup>، مُنْشِئُ مَا يَصُدَّرُ عَنْ / دِيْوَانِ الْمَكَاتِبَاتِ ، وَمُحَرَّرُ مَا يُؤَمَّرُ بِهِ مِنَ الْمَهْمَاتِ : بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ عِدَّتُهَا ثَلَاثٌ قَطَعَ وَكُتْمٌ وَمُزَنَّرٌ . أَبُو سَعِيدِ الْكَاتِبِ : بَدَلَةٌ حَرِيرِي . أَبُو الْفَضْلِ الْكَاتِبُ كَذَلِكَ . الْحَاجُّ مُوسَى الْمُعِينُ فِي الْإِلْصَاقِ كَذَلِكَ .

وَأَمَّا الْكُتَّابُ بِدِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ فَلَمْ يَتَّفِقْ وَجُودُ الْحِسَابِ الَّذِي فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ فَيُذَكَّرُونَ ، وَمَنْ الْقِيَاسُ أَنْ يَكُونُوا قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ .

الشَّيْخُ وَلِيُّ الدِّينِ أَبُو الْبَرَكَاتِ ، مُتَوَلِّيُ دِيْوَانِي<sup>(b)</sup> الْمَجْلِسِ وَالْخَاصِّ ، بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ عِدَّتُهَا خَمْسٌ قَطَعَ وَكُتْمٌ وَعَرَضِي . وَلَا مَرَاتَهُ حُلَّةٌ مُذَهَّبَةٌ .

الشَّيْخُ أَبُو الْفَضَائِلِ هِبَةُ اللَّهِ بْنِ أَبِي اللَّيْثِ ، مُتَوَلِّيُ الدَّفْتَرِ وَمَا جُمِعَ إِلَيْهِ ، بَدَلَةٌ . أَبُو الْمَجْدِ وَلَدُهُ : بَدَلَةٌ حَرِيرِي . عَدِيُّ الْمَلِكِ أَبُو الْبَرَكَاتِ ، مُتَوَلِّيُ دَارِ الضِّيَافَةِ ، بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ . وَبَعْدَهُ الضُّيُوفُ الْوَارِدُونَ إِلَى الدَّوْلَةِ جَمِيعُهُمْ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ بَدَلَةٌ حَرِيرِي . وَكَذَلِكَ مَنْ يَتَّفِقُ حُضُورُهُ مِنَ الرُّسُلِ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ .

مُقَدَّمُو الرُّكَّابِ : عَفِيفُ الدَّوْلَةِ مُقْبِلٌ : بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ . الْقَائِدُ مُوَفَّقٌ وَالْقَائِدُ تَمِيمٌ مِثْلُ ذَلِكَ . أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمُقَدَّمِينَ بِرَسْمِ الشُّكِيمَةِ ، لِكُلِّ مِنْهُمْ بَدَلَةٌ حَرِيرِي . الرُّوَاضُ عِدَّتُهُمْ ثَلَاثَةٌ لِكُلِّ مِنْهُمْ بَدَلَةٌ حَرِيرِي . الْخَاصُّ مِنَ الْفَرَاشِينَ - وَهُمْ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا - مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ مُمَيَّزُونَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ ، وَبَقِيَّتُهُمْ لِكُلِّ وَاحِدٍ بَدَلَةٌ حَرِيرِي .

الْأَطِبَّاءُ : السُّدَيْدُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي السُّدَيْدِ : <sup>(c)</sup>بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ ، أَبُو الْفَضْلِ بْنِ رَحْمُونَ مِثْلُ ذَلِكَ ، أَبُو الْمَنْصُورِ وَلَدُهُ<sup>(c)</sup> : بَدَلَةٌ حَرِيرِي . أَبُو الْفَضْلِ الشُّطُورِي : بَدَلَةٌ حَرِيرِي . وَكَذَلِكَ الْبَقِيَّةُ<sup>(d)</sup> الْمُسْتَعْتَدِمُونَ بِرَسْمِ الْحَمَامِ - وَهُمْ ثَمَانِيَةٌ - مُقَدَّمُهُمْ : بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ ، وَالْبَقِيَّةُ لِكُلِّ مِنْهُمْ بَدَلَةٌ حَرِيرِي . <sup>(e)</sup>الْمُسْتَعْتَدِمُونَ بِرَسْمِ عَمَلِ التَّقَاوِيمِ أَرْبَعَةٌ ، لِكُلِّ مِنْهُمْ بَدَلَةٌ حَرِيرِي<sup>(c)</sup> .

وَالِي الْقَاهِرَةِ وَوَالِي مِصْرَ : لِكُلِّ مِنْهُمَا بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ .  
الْمُسْتَعْتَدِمُونَ فِي الْمَوَاكِبِ : الْأَمِيرُ كَوَاكِبِ الدَّوْلَةِ ، حَامِلُ الرُّمْحِ الشَّرِيفِ وَرَاءَ الْمَوَكِبِ وَالذَّرَقَةَ الْمُعْزِيَّةَ ، بَدَلَةٌ حَرِيرِي . حَامِلَا الرُّمَحَيْنِ الْمُعْزِيَّةِ أَيْضًا أَمَامَ الْمَوَكِبِ بَغَيْرِ ذَرَقٍ : لِكُلِّ مِنْهُمَا مِثْدِيلٌ وَشُقَّةٌ وَفُوطَةٌ . وَهَوْلَاءُ الثَّلَاثَةِ رِمَاحٌ مَا هِيَ عَرَبِيَّةٌ ، بَلْ هِيَ نُحْشُوتٌ قَدِيمٌ بِهَا الْمُعْزُ مِنَ الْمَغْرِبِ . حَامِلَا لِيَوَاءِ الْحَمْدِ الْمُخْتَصَّانِ بِالْخَلِيفَةِ عَنْ يَمِينِهِ وَبِيسَارِهِ : لِكُلِّ مِنْهُمَا بَدَلَةٌ .



مُتَوَلِّي بَغْلِ الْمُؤَكَّبِ الَّذِي يُحْمَلُ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْعُدَّةِ الْمَغْرِبِيَّةِ : بَدَلَةٌ حَرِيرِي .  
 متولي حمل المِظْلَةُ كذلك . عشرة نَفَرٍ من صِبيانِ الخَاصِّ ، يرسم حمل العشرة رِمَاحِ العَرَبِيَّةِ المَغشَاةِ  
 بالذَّبِيَّاجِ وَرَاءَ الْمُؤَكَّبِ ، لِكُلِّ مِنْهُمِ مِندِيلٌ وَشُقَّةٌ وَفُوطَةٌ . حَامِلِ السَّبْعِ وَرَاءَ الْمُؤَكَّبِ : بَدَلَةٌ حَرِيرِي .  
 الْمُقَدَّمُونَ من صِبيانِ الخَاصِّ - وَهَمِ عَشْرُونَ - لِكُلِّ مِنْهُمِ بَدَلَةٌ . عُرْفَاءُ الْفَرَّاشِينَ الَّذِينَ يَنْحَطُّونَ  
 عَنِ الْفَرَّاشِي الْخَاصِّ وَفَرَّاشِي الْمَجْلِسِ وَفَرَّاشِي خَزَائِنِ الْكُشُورَةِ الْخَاصِّ : لِكُلِّ مِنْهُمِ بَدَلَةٌ حَرِيرِي .  
 الْفَرَّاشُونَ فِي خَزَائِنِ الْكُشُورَاتِ الْمُسْتَعْدَمُونَ بِالْإِيوَانِ - وَهَمِ الَّذِينَ يَشُدُّونَ أَلْوِيَةَ الْحَمْدِ بَيْنَ  
 يَدَيْ الْخَلِيفَةِ لَيْلَةَ الْمَوْسِمِ ، فَإِنَّهَا لَا تُشَدُّ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَبْدَأُ هُوَ بِاللُّفِّ عَلَيْهَا بِيَدِهِ عَلَى سَبِيلِ  
 الْبَرَكَةِ ، وَيُكْمِلُ الْمُسْتَعْدَمُونَ بَقِيَّةَ شَدِّهَا ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْقُضْبِ الْفِضَّةِ وَالْوِيَةِ الْوِزَارَةِ  
 وَغَيْرِهَا - وَعِدَّتُهُمْ سَبْعَةٌ : لِكُلِّ مِنْهُمِ مِندِيلٌ سُوسِيٌّ وَشُقَّتَانِ إِسْكَنْدَرَانِي .

المُسْتَعْدَمُونَ يرسم حمل الْقُضْبِ الْفِضَّةِ وَلِوَاءِ الْوِزَارَةِ : أَرْبَعَةٌ عَشْرٌ كَذَلِكَ . مُشَارِفُ خِزَانَةِ  
 الطَّيْبِ - وَكَانَتْ مِنَ الْخِدْمِ الْجَلِيلَةِ ، وَكَانَ بِهَا أَعْلَامُ الْجَوْهَرِ الَّتِي يركبُ بِهَا الْخَلِيفَةُ فِي الْأَعْيَادِ ،  
 وَيَسْتَدْعِي مِنْهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَيُعَادُ إِلَيْهَا عِنْدَ وَقُوعِ الْغِنَى عَنْهَا ، وَكَذَلِكَ السَّيْفُ وَالثَّلَاثَةُ رِمَاحِ  
 الْمُعْزِيَّةِ - مُشَارِفُ خِزَانَةِ الشُّرُوجِ : بَدَلَةٌ حَرِيرِي .

مُشَارِفُ خَزَائِنِ الْفَرَشِ ، وَكَاتِبُ بَيْتِ الْمَالِ ، وَمُشَارِفُ خَزَائِنِ الشُّرَابِ ، وَمُشَارِفُ خَزَائِنِ  
 الْكُتُبِ : كُلٌّ مِنْهُمِ بَدَلَةٌ حَرِيرِي . بَرَكَاتُ الْآدَمِيِّ ، وَالْمُسْتَعْدَمُونَ بِالْبَابِ ، وَسِينَانُ الدَّوْلَةِ ابْنُ  
 الْكَرْكَنْدِيِّ عَنِ زَمِّ الرَّهَجِيَّةِ ، وَالْمَبِيتُ عَلَى أَبْوَابِ الْقُصُورِ - وَكَانَتْ مِنَ الْخِدْمِ الْجَلِيلَةِ - وَالصُّبْيَانُ  
 الْحُجْرِيَّةُ الْمُشَدُّونَ تَلُو الْمُؤَكَّبَ بَعْدَ الْمُقْرَبِينَ وَعِدَّتُهُمْ عَشْرُونَ : لِكُلِّ مِنْهُمِ الْكُشُورَةُ فِي الشُّتَاءِ  
 وَالصَّيْفِ وَالْعِيدَيْنِ وَغَيْرِهِمَا .

وَعِدَّةُ الَّذِينَ يَقْبِضُونَ الْكُشُورَةَ فِي الْعِيدَيْنِ مِنَ الْفَرَّاشِينَ أَكْثَرَ مِنْ صِبيانِ الرُّكَّابِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ  
 يَتَوَلَّوْنَ الْأَسْمِطَةَ وَيَقْفُونَ فِي تَقْدِمَتِهَا ، وَيَنْفَرِدُ عَنْهُمْ الْمُسْتَعْدَمُونَ فِي الرُّكَّابِ بِمَا لَهُمْ مِنَ الْمُتَحَصِّلِ  
 فِي الْمُخْلَفَاتِ فِي الْعِيدَيْنِ ، وَهُوَ مَا مَبْلَغُهُ سِتَّةُ آلَافِ دِينَارٍ ، مَا لِأَحَدٍ مَعَهُمْ فِيهَا نَصِيبٌ .

وَكَانَ يُكْتَبُ فِي كُلِّ كُشُورَةٍ هِيَ بِرَسْمِ وَجْهِ الدَّوْلَةِ رُقْعَةٌ مِنْ دِيوَانِ الْإِنْشَاءِ ، فَمِمَّا كُتِبَ بِهِ  
 مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ الصَّيْرِ فِي<sup>١</sup> ، مُقْتَرَنَةٌ بِكُشُورَةِ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ :  
 « وَلَمْ يَزَلْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُنْعِمًا بِالرَّغَائِبِ ، مُوَلِّيًا إِحْسَانَهُ كُلَّ حَاضِرٍ مِنْ

<sup>١</sup> ابن الصيرفي انظر فيما تقدم ١: ٢٧٩.



أولياؤه وغائب ، مُجْزِلًا حَظَّهُمْ مِنْ مَنَائِحِهِ وَمَوَاهِبِهِ ، مُوَصِّلًا إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَيَاءِ مَا يَقْضِرُ شُكْرَهُمْ عَنْ حَقِّهِ وَوَاجِبِهِ . وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ (a) لِأَوْلَادِهِمْ مِنْ ذَلِكَ بِجَسِيمِهِ ، وَأَخْرَاهُمْ بِاسْتِنْسَاقِ نَسِيمِهِ ، وَأَخْلَقَهُمْ بِالْجِزَاءِ الْأَوْفَى مِنْهُ عِنْدَ فَضْهِ وَتَقْسِيمِهِ . إِذْ كُنْتَ فِي سَمَاءِ الْمَشَايِقَةِ (b) بَدْرًا ، وَفِي جَرَائِدِ الْمُنَاصِحَةِ صَدْرًا ، وَمَنْ أَخْلَصَ فِي الطَّاعَةِ سِرًّا وَجَهْرًا ، وَحَظِي فِي خِدْمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا عَظُمَ (c) لَهُ وَضَفًا وَسَيَّرَ لَهُ ذِكْرًا .

وَلَمَّا أَقْبَلَ هَذَا الْعِيدُ السَّعِيدُ - وَالْعَادَةُ فِيهِ أَنْ يُحْسِنَ النَّاسُ هَيْئَتَهُمْ ، وَيَأْخُذُوا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ زِينَتَهُمْ - وَمِنْ وَظَائِفِ كَرَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَشْرِيفُ أَوْلِيَائِهِ وَخِدْمَتِهِ فِيهِ ، وَفِي الْمَوَاسِمِ الَّتِي تُجَارِيهِ ، بِكُشَوَاتٍ عَلَى حَسَبِ مَنَازِلِهِمْ تَجْمَعُ بَيْنَ الشَّرَفِ وَالْجَمَالِ ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَهَا مَطْمَعٌ لِلْآمَالِ ، وَكُنْتُ مِنْ / أَحَقِّ (d) الْأَمْرَاءِ الْمَقْدَمِينَ ...<sup>١</sup> .

قَالَ : وَوَصَلَتْ الْكُشُوءُ الْمُخْتَصَّةُ بِغُرَّةِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَجُمُعَتَيْهِ : بِرِسْمِ الْخَلِيفَةِ لِلغُرَّةِ بِذَلَّةٍ كَبِيرَةٍ مَوْكِبِيَّةٍ مَكْمَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ . وَبِرِسْمِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ لِلْجُمُعَةِ الْأُولَى مِنَ الشَّهْرِ ، بِذَلَّةٍ مَوْكِبِيَّةٍ حَرِيرِيَّةٍ مَكْمَلَةٌ ، مِندِيلُهَا وَطِيلَسَانُهَا بِيَاضٍ ، وَبِرِسْمِ الْجَامِعِ الْأَنْوَرِ لِلْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ بِذَلَّةٍ مِندِيلُهَا وَطِيلَسَانُهَا شَعْرِي .

وَمَا هُوَ بِرِسْمِ أَخِي الْخَلِيفَةِ ، لِلغُرَّةِ خَاصَّةً ، بِذَلَّةٍ مُذَهَّبَةٍ ، وَبِرِسْمِ أَرْبَعٍ (e) لَهُ مَعَ جِهَاتِ الْخَلِيفَةِ أَرْبَعٍ حُلَلٍ مُذَهَّبَاتٍ . وَبِرِسْمِ الْوَزِيرِ لِلغُرَّةِ بِذَلَّةٍ مُذَهَّبَةٍ مَكْمَلَةٌ مَوْكِبِيَّةٌ ، وَبِرِسْمِ الْجُمُعَتَيْنِ بِذَلَّتَانِ حَرِيرِيَّ . وَلَمْ يَكُنْ لغيرِ الْخَلِيفَةِ وَأَخِيهِ وَالْوَزِيرِ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ فَيُذَكَّرُ .

وَوَصَلَتْ الْكُشُوءُ الْمُخْتَصَّةُ بِفَتْحِ الْخَلِيجِ ، وَهِيَ بِرِسْمِ الْخَلِيفَةِ تَخْتَانِ ضَمْنَهُمَا بِذَلَّتَانِ : إِحْدَاهُمَا مِندِيلُهَا وَطِيلَسَانُهَا طَمِيمٌ بِرِسْمِ الْمُضِيِّ ، وَالْأُخْرَى جَمِيعُهَا حَرِيرِيٌّ بِرِسْمِ الْعَوْدِ . وَكَذَلِكَ مَا يَخْتَصُّ بِإِخْوَتِهِ وَجِهَاتِهِ : بِذَلَّتَانِ مُذَهَّبَتَانِ ، وَأَرْبَعٍ حُلَلٍ مَذْهَبَةٍ . وَبِرِسْمِ الْوَزِيرِ بِذَلَّةٍ مَوْكِبِيَّةٍ مُذَهَّبَةٍ فِي تَخْتٍ . وَبِرِسْمِ أَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةَ ثَلَاثَ بِذَلَّاتٍ مَذْهَبَةٍ . وَبِرِسْمِ جِهَتِهِ حُلَّةً مَذْهَبَةً فِي تَخْتٍ . وَبِقِيَّةِ

(a) فِي آيَاصُوفِيَا : بِيَاضٍ قَدْرَ كَلِمَةٍ . (b) بُولَاقٍ : الْمَسَابِقَةُ . (c) بُولَاقٍ : عَطْرٌ . (d) بُولَاقٍ : أَحْصَى . (e) بُولَاقٍ : وَبِرِسْمٍ لَهُ مَعَ .



ما يَخُصُّ المستخدمين وابن أبي الرُّدَاد في تُخوت ، في <sup>(a)</sup> كلُّ تَخْتِ عِدَّةٌ بَدَلَات .  
 وَحَضَرَ مُتَوَلَّى الدُّفْتَر ، وَاسْتَأْذَنَ عَلَى مَا يُحْمَلُ بِرَسْمِ الخَلِيفَةِ ، وَمَا يُفَرَّقُ وَيُفَصَّلُ بِرَسْمِ الخَلِيع ،  
 وَمَا يَخْرُجُ مِنْ حَاصِلِ الخَزَائِنِ غَيْرِ الوَاصِلِ - وَهُوَ مَا يُفَصَّلُ بِرَسْمِ الغُلْمَانِ الخَاصِّ <sup>(b)</sup> - بِرَسْمِ سَبْعِ  
 مِائَةِ قِبَاءٍ : خَمْسِ مِائَةِ وَسُقَّتَيْنِ سَقْلَاطُونَ دَارِي ، وَبِرَسْمِ رُؤَسَاءِ العُشَارِيَّاتِ مِنَ الشُّقِّقِ الدُّمِيَّاطِي  
 وَالمِنَادِيلِ الشُّوسِي وَالفُوطِ الحَرِيرِ الحُمُرِ ، وَبِرَسْمِ النُّوَاتِيَّةِ الَّتِي بِرَسْمِ الخَاصِّ مِنَ العُشَارِيَّةِ مِنَ الشُّقِّقِ  
 الإِسْكَندَرَانِي وَالكَلَوَاتِ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْصِيلُ الكُشُوتِ جَمِيعُهَا وَعَدَدُهَا ، وَأَسْمَاءُ المُسْتَمِرِّينَ لِقَبْضِهَا <sup>١</sup> .

وَقَالَ فِي كِتَابِ « الدُّخَائِرِ » : وَحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقَ بِهِ ، عَنْ ابْنِ عَبْدِ العَزِيزِ [ الأَمَاطِي ] <sup>(c)</sup> ، أَنَّهُ قَالَ :  
 قَوْمُنَا مِمَّا أُخْرِجُ مِنَ خَزَائِنِ القَصْرِ - يَعْنِي فِي سِنِي الشُّدَّةِ أَيَّامِ المُسْتَنْصِرِ - مِنْ سَائِرِ ألْوَانِ الخُشْرَوَانِي  
 مَا يَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ قِطْعَةٍ ، أَكْثَرَهَا مُذْهَبٌ <sup>٢</sup> .

وَسَأَلْتُ ابْنَ عَبْدِ العَزِيزِ فَقَالَ : أُخْرِجُ مِنَ الخَزَائِنِ مَا حُرِّرَتْ قِيَمَتُهُ عَلَى يَدَيَّ وَبِخَضْرَتِي أَكْثَرَ  
 مِنْ مِائَةِ أَلْفِ قِطْعَةٍ <sup>٣</sup> .

وَحَدَّثَنِي أَبُو الفَضْلِ يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ البَغْدَادِي - أَحَدُ أَصْحَابِ الدُّوَاوِينِ بِالْحَضْرَةِ - أَنَّ الَّذِي  
 تَوَلَّى أَبُو سَعِيدِ النُّهَاسِ وَنُدِّي ، المَعْرُوفُ بِالمُعْتَمِدِ ، بَيْعَهُ خَاصَّةً مِنْ مُخْرَجِ القَصْرِ ، دُونَ غَيْرِهِ مِنْ  
 الأُمْنَاءِ ، فِي مَدِينَةِ يَسِيرَةِ ثَمَانِيَةِ عَشْرِ أَلْفِ قِطْعَةٍ مِنْ بِلُورٍ وَمُخْحَمٍ <sup>(d)</sup> ، مِنْهَا مَا يُسَاوِي الأَلْفَ دِينَارٍ  
 إِلَى عَشْرَةِ دِنَانِيرٍ وَنِيفٍ ، وَعَشْرُونَ أَلْفَ قِطْعَةٍ خُشْرَوَانِي .

وَحَدَّثَنِي عَمِيدُ المُلْكِ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الجَلِيلِ فَخْرُ الوُزَرَاءِ بْنِ عَبْدِ الحَاكِمِ ، أَنَّ نَاصِرَ  
 الدَّوْلَةِ أَرْسَلَ يُطَالِبُ المُسْتَنْصِرَ بِمَا بَقِيَ لِغُلْمَانِهِ ، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ إِلَّا مَلَاسِيَهُ ، فَأَخْرَجَ  
 ثَمَانِ مِائَةِ بَدَلَةٍ مِنْ ثِيَابِهِ بِجَمِيعِ آتَائِهَا كَامِلَةً ، فَقَوِّمَتْ وَحُمِلَتْ إِلَيْهِ <sup>٤</sup> .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : برسم الخاص من الغلمان . (c) زيادة مما يلي ٣٧٧ . (d) بولاق : وبحكم .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٥٤ - ٥٥ .

<sup>٢</sup> فيما يلي ٣٧٨ .

<sup>٣</sup> لم أقف على هذا الخبر فيما وصل إلينا من الذخائر

<sup>٤</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٣ ، وفيما يلي

والتحف .



وقال ابنُ الطُّوَيْرِ: الخِدْمَةُ في خَزَائِنِ الْكُشُوتِ لها رُتْبَةٌ عَظِيمَةٌ في المَبَاشِرَاتِ، وهما خِزَانَتَانِ (٥) ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ (٦): فَالظَّاهِرَةُ يَتَوَلَّاهَا خَاصَّةً أَكْبَرُ حَوَاشِي الخَلِيفَةِ إِمَّا أَسْتَاذٌ أَوْ غَيْرُهُ. وَفِيهَا مِنَ الحَوَاصِلِ مَا يَدُلُّ عَلَى إِسْتِبَاغِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ المَلَابِسِ الشُّرُوبِ، وَالحَاصِّ الدِّيَقِيِّ المَلُونِ رِجَالِيَةً وَنِسَائِيَةً، وَالدِّيَاجِ المَلُونِ وَالسَّقْلَاطُونَ. وَإِلَيْهَا يُحْمَلُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي دَارِ الطُّرَازِ بِتَنْبِيسِ وَدِمْيَاطِ وَإِسْكَنْدَرِيَّةٍ مِنْ خَاصِّ المَسْتَعْمَلِ. وَبِهَا «صَاحِبُ المَقْصَصِ» - وَهُوَ مُقَدِّمُ الخِيَّاطِينَ - وَأَصْحَابُهُ مَكَانٌ لِخِيَّاطَتِهِمْ، وَالتَّفْصِيلُ يُعْمَلُ عَلَى مِقْدَارِ الأَوَامِرِ وَمَا تَدْعُو الحَاجَةُ إِلَيْهِ.

ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى خِزَانَةِ الكُشُوتِ البَاطِنَةِ مَا هُوَ خَاصٌّ لِلْبَاسِ الخَلِيفَةِ. وَيَتَوَلَّاهَا امْرَأَةٌ تُنْعَتُ بِـ «زَيْنِ الخِزَانِ» أَبَدًا - (٧) وَكَانَتْ هَذِهِ زُومِيَّةً فِي عَصْرِنَا (٨)، وَبَيْنَ يَدَيْهَا ثَلَاثُونَ جَارِيَّةً فَلَا يُغَيَّرُ الخَلِيفَةُ أَبَدًا ثِيَابَهُ إِلَّا عِنْدَهَا وَلبَاسَهُ، خَافِيَا الثِّيَابِ الدَّارِيَّةِ، وَسَعَةٌ أَكْمَامِهَا سَعَةٌ نِصْفِ أَكْمَامِ الظَّاهِرِ. وَليْسَ فِي جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ ثِيَابٌ أَصْلًا، وَلا يَلْبَسُ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الخِزَانَةِ.

وَكَانَ يَرْسُمُ هَذِهِ الخِزَانَةَ بُشْتَانٌ مِنْ أَمْلَاقِ الخَلِيفَةِ عَلَى شَاطِئِ الخَلِيجِ - يُعْنَى فِيهِ أَبَدًا بِالتَّسْرِينِ وَاليَاسْمِينِ - فَيُحْمَلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، لَا يَنْقَطِعُ أَلْبَتَّةُ، يَرْسُمُ الثِّيَابِ وَالصَّنَادِيقِ.

فَإِذَا كَانَ أَوَانُ التَّفْرِقَةِ الصَّيْفِيَّةِ أَوْ الشِّتَوِيَّةِ، شُدَّ لِمَنْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنْ أَوْلَادِ الخَلِيفَةِ وَجِهَاتِهِ وَأَقَارِبِهِ وَأَزْوَاجِ الرُّوَاتِبِ وَالرُّسُومِ: مِنْ كُلِّ صِنْفٍ شِدَّةٌ - عَلَى تَرْتِيبِ المَفْرُوضِ لَهُمْ (٩) مِنْ شَقِّ الدِّيَاجِ المَلُونِ وَالسَّقْلَاطُونَ وَالشُّرُوبِ (١٠) إِلَى الشُّوسِيِّ وَالإِسْكَنْدَرِيِّ (١١)، عَلَى مِقْدَارِ الفُضُولِ مِنَ الزَّمَانِ، مَا يَقْرُبُ مِنْ مِائَتِي شِدَّةٍ. فَالْحَوَاصُّ فِي العِرَاضِيِّ (١٢) الدِّيَقِيِّ، وَدُونَهُمْ

(a-a) إضافة من مسودة المواعظ. (b) بولاق: مفروض. (c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: الإسكندراني.

١ عَرَضِي ج. عِرَاضِي. وَزَدَ هَذَا المِصْطَلِحُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ عِنْدَ ابْنِ المَأمُونِ وَابْنِ الطُّوَيْرِ وَالمَقْرِيزِيِّ وَأَبِي المَحَاسَنِ بِأَكْثَرِ مِنْ مَعْنَى، فَيُرَدُّ أحيانًا بِالصِّيغَةِ التَّالِيَةِ: «عَرَضِي مَذْهَبٌ»، «عَرَضِي لِفَافَةٌ لِلتَّخْتِ»، «عَرَضِي دِيَقِي» (فِي مَا يَلِي ص ٤٦٩: ١٧، ابْنِ المَأمُونِ: أَخْبَارُ ٤٦، ٥٠). وَفِي هَذِهِ الأَمْثَلَةِ يَعْنِي المِصْطَلِحُ أحيانًا قِطْعَةً مِنَ المَلَابِسِ قَدْ تَكُونُ عَلَى شَكْلِ وَشَاحٍ. وَفِي مَوَاضِعَ أُخْرَى يَنْطَبِقُ هَذَا المِصْطَلِحُ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الأَغْطِيَةِ المَنْسُوجَةِ لِتَظْفِيرِ الأَطْبَاقِ وَالأَوَانِي مِثْلَ: «كَانَ يَعْمَلُ فِي الطُّرَازِ لِلوَلَامِ الَّتِي تَتَّخِذُ بِرِسْمِ تَظْفِيرِ الصَّوَانِي عِدَّةً مِنَ عِرَاضِي دِيَقِي، ثُمَّ قَوَارِاتِ شَرْبِ تَكُونُ مِنْ تَحْتِ العِرَاضِيِّ عَلَى الصَّوَانِي...» (فِي مَا يَلِي ٥٤٣: ٥) أَوْ «ثَلَاجِي وَمُوكِبَاتٍ مَمْلُوءَةٍ مَاءً مَلْفُوفَةٌ فِي عِرَاضِي دِيَقِي» (فِي مَا يَلِي ٤٨١: ١٤). وَفِي أحيانٍ أُخْرَى يَعْنِي المِصْطَلِحُ نَوْعًا مِنَ المَنَاطِقِ أَوْ أَغْطِيَةِ الرُّؤُوسِ مِثْلَ: «بِأَوَسَاطِهِمُ العِرَاضِي»



في أوطية<sup>١</sup> تحرير، ودونهم في قوط<sup>٢</sup> إسكندرية. ويدخل في ذلك كتاب ديواني الإنشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكتاب، على مقدارهم وذلك يخرج من الجوّاري في الشهر المطلقات<sup>٣</sup>.  
وقال القاضي الفاضل في «متجددات» سنة سبع وستين وخمسة مائة<sup>٤</sup>، بعد وفاة القاضي<sup>٥</sup>:  
وكشيف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر، فقيل: إن الموجود فيها مائة صندوق كشوة فاخرة: من مؤشّي ومزّصع، وعقود ثمينّة، وذخائر فخمة، وجواهر نفيسة، وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر، وكان الكاشيف بهاء الدين قراقوش ونيان<sup>٥</sup>.

### ١ / خزائن الجواهر والطيب والظرائف<sup>٦</sup>

قال ابن المأمون: وكان بها الأعلام والجواهر التي يركب بها الخليفة في الأعياد، ويستدعي منها عند الحاجة، ويُعاد إليها عند الغنى عنها، وكذلك الشيف الخاص والثلثة رماح المعزية<sup>٧</sup>.  
وقال في كتاب «الذخائر والتحف»: وذكر بعض شيوخ دار الجواهر بمصر أنه استدعي يوماً، هو وغيره من الجوّهرين من أهل الخيرة بقيمة الجواهر، إلى بعض خزائن القصر - يعني في أيام الشدة زمن المستنصر - فأخرج صندوق كيّل منه سبعة أمداد زُمرد، قيمتها على الأقل ثلاث مائة ألف دينار. وكان هناك جالسا فخر العرب ابن حمدان، وابن سينان، وابن أبي كدينة، وبعض المخالفين. فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجوّهرين: كم قيمة هذا الزُمرد؟ فقالوا: إنما

١ = الديبقي المقصورة (فيما يلي ١١:٥٤٦). وتبعاً لما ورد في

٢ نص ابن الطوير، فإن مصطلح العراضي الديبقي والأوطية الحرير والقوط الإسكندرية، كما جاءت في النص، تحمل معنى متقارب. (راجع، Canard, M., *La Procession* (du nouvel an, p. 383 n. 74).

٣ = الديبقي المقصورة (فيما يلي ١١:٥٤٦). وتبعاً لما ورد في نص ابن الطوير، فإن مصطلح العراضي الديبقي والأوطية الحرير والقوط الإسكندرية، كما جاءت في النص، تحمل معنى متقارب. (راجع، Canard, M., *La Procession* (du nouvel an, p. 383 n. 74).

٤ وعلى الهامش عن خط المؤلف: «شوتة من بلاد إفريقية تُنسب إليها الثياب الرفيعة السوسية».

٥ في ثالث عشرين ربيع الآخر (فيما يلي ٦٠٨).  
٦ قارن مع المقرئ: اتعاظ الحنفا ٣: ٣٣٠-٣٣١ وفيما يلي ٦٠٨.

٧ وطاء ج. أوطية. في القاموس الوطاء ككتاب وسحاب خلاف الغطاء (القاموس ٧٠). ويمكن أن تكون شيئاً أشبه بالخطاد تقدم عليه الخلع من باب التشريف.

٨ نقل هذا الفصل إلى الألمانية باول كاله بعنوان «كنوز الفاطميين»، Kahle, P., «Die Schätze der Fatimiden», ZDMG 89 (1935), pp. 329-62.

٩ قوط ج. قوط. نوع من القماش القطني يصلح لاستخدامات مختلفة، ويلف بها في العادة. (Dozy).

١٠ ابن المأمون: أخبار مصر ٨٩.



تُعْرَفُ<sup>(a)</sup> قِيَمَةُ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ مِثْلَهُ مَوْجُودًا ، وَمِثْلَ هَذَا لَا قِيَمَةَ لَهُ وَلَا مِثْلَ ، فَاعْتَظَ . وَقَالَ ابْنُ أَبِي كُدَيْبَةَ : فَخَزِرَ الْعَرَبُ كَثِيرَ الْمُؤْنَةِ ، وَعَلَيْهِ خَرَجَ . فَالْتَفَتَ إِلَى كُتَّابِ الْجَيْشِ وَبَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ : يُحْسَبُ عَلَيْهِ فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ [ألف] <sup>(b)</sup> دِينَارٍ ، فَكَتَبَ ذَلِكَ وَقَبَضَهُ<sup>١</sup> .

وَأُخْرِجَ عِقْدُ جَوْهَرٍ قِيَمَتُهُ عَلَى الْأَقْلَى مِنْ ثَمَانِينَ أَلْفِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا ، فَتَحَيَّرْنَا فِيهِ ، فَقَالَ : يُكْتَبُ بِالْفِي دِينَارٍ . وَتَشَاعَلُوا بِنَظَرٍ مَا سِوَاهُ ، وَانْقَطَعَ سَبْلُكَهَ فَتَنَازَرُ حَبَّهُ ، فَأَخَذَ وَاحِدًا مِنْهُمْ وَاحِدَةً فَجَعَلَهَا فِي جِيْبِهِ ، وَأَخَذَ ابْنُ أَبِي كُدَيْبَةَ أُخْرَى ، وَأَخَذَ فَخَزِرَ الْعَرَبَ بَعْضَ الْحَبِّ ، وَبَاقِيَ الْمُخَالِفِينَ اتَّقَطُوا مَا بَقِيَ مِنْهُ ، وَغَاضَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ .

وَأُخِذَ مَا كَانَ أَنْفَذَهُ الصُّلَيْحِيُّ مِنْ نَفِيسِ الدُّرِّ الرَّفِيعِ الرَّائِعِ وَكَيْلُهُ - عَلَى مَا ذُكِرَ - سَبْعٌ وَبَيِّنَاتٌ<sup>٢</sup> .

وَأَخَذُوا أَلْفًا وَمِائَتِي خَاتَمٍ ذَهَبًا وَفِضَّةً ، فَصُوصُهَا مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْجَوْهَرِ الْمُخْتَلِفِ الْأَلْوَانِ وَالْقِيَمِ وَالْأَثْمَانِ وَالْأَنْوَاعِ - مِمَّا كَانَ لِأَجْدَادِهِ وَلَهُ ، وَصَارَ إِلَيْهِ مِنْ وَجْهِهِ دَوْلَتُهُ - مِنْهَا ثَلَاثَةُ خَوَاتِمِ ذَهَبٍ مَرْبُوعَةٍ عَلَيْهَا ثَلَاثَةُ فُصُوصٍ ، أَحَدُهَا زُمُرُودٌ وَالْآخَرَانِ يَأْقُوتٌ سَمَاقِي وَزُمَانِي ، بِيَعْتُ بَائِنِي عَشْرَ أَلْفِ دِينَارٍ بَعْدَ ذَلِكَ<sup>٣</sup> .

وَأَخْضَرَ خَرِيطَةً فِيهَا نَحْوُ وَبَيِّنَةٍ جَوْهَرٍ ، وَأَخْضَرَ الْخُبْرَاءَ مِنَ الْجَوْهَرِيِّينَ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِقِيَمَتِهَا ، فَذَكَرُوا أَنَّ لَا قِيَمَةَ لَهَا ، وَلَا يَشْتَرِي مِثْلَهَا إِلَّا الْمُلُوكُ ، فَقَوَّمتُ بِعَشْرِينَ أَلْفِ دِينَارٍ . فَدَخَلَ جَوْهَرُ الْكُتَّابِ ، الْمَعْرُوفُ بِالْمُخْتَارِ عِزِّ الْمَلِكِ ، إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ هَذَا الْجَوْهَرَ اشْتَرَاهُ جَدُّهُ بِسَبْعِ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَاسْتَرَحَصَهُ ، فَتَقَدَّمَ بِإِنْفَاقِهِ فِي الْأَثْرَاقِ ، فَقَبَضَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جِزَاءً بِقِيَمَةِ الْوَقْتِ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِمْ<sup>٤</sup> .

قَالَ : فَأَمَّا مَا أُخِذَ مِمَّا فِي خَزَائِنِ الْبِلُّورِ وَالْمُحَكَّمِ وَالْمِينَا الْمَجْرَاةِ بِالذَّهَبِ وَالْمَجْرُودِ وَالْبَغْدَادِيِّ وَالْخِيَّازِرِيِّ<sup>(c)</sup> وَالْمَدَهُونِ ، وَالْخَلْتَجِ وَالْعَيْنِيِّ وَالصُّيْنِيِّ وَالذَّهِيمِيِّ<sup>(d)</sup> وَخَزَائِنِ الْفَرَشِ

(a) بولاق : نعرف . (b) زيادة من الذخائر . (c) بولاق : الخياري . (d) بولاق : الدهيمي والآمدني .

<sup>١</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٢-٢٥٣ ؛ المقرئبي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨٠ .  
<sup>٢</sup> نص الذخائر والتحف .

<sup>٣</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٣ ؛ المقرئبي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨١ .  
<sup>٤</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٤ ؛ المقرئبي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨١ .



والبسط والستور والتعليق، فلا يُحصى كثرة.

وحدثني مَنْ أثقُّ به من المُستخدَمين في بيت المال أنه أخرج يوماً في جملة ما أُخْرِجَ من خزائن القصر عدَّة صناديق، وأنَّ واحداً منها فُتِحَ فوُجِدَ فيه على مثال كيزان الفُقَّاع من صافي البلُّور المنقوش والمجروود شيءٌ كثيرٌ، وأنَّ جميعها مملوءٌ من ذلك وغيره<sup>١</sup>.

وحدثني من أثقُّ به أنه رأى قَدَحَ بلُّورٍ يبيع مَجْرُودًا بمائتين وعشرين دينارًا، ورأى خردادي بلُّورٍ يبيع بثلاث مائة وستين دينارًا، وكوز بلُّورٍ يبيع بمائتين وعشرة دنانير، ورأى صُحُونًا مينا كثيرة تُباع من المائة دينار إلى ما دونها.

وحدثني من أثقُّ بقوله أنه رأى بطرابلُسَ قطعتين من البلُّور السَّادج الغاية في النقاء ومُحسِن الصَّنعة: إحداهما خردادي، والأخرى باطيئة، مكتوبٌ على جانب كلِّ واحدةٍ منهما اسم العزيز بالله، تَسع الباطيئة سبعة أرطال بالمصري ماء، والخردادي تسعة. وأنه عَرَضَهما على جلال الملك أبي الحسن عليّ بن عمَّار، فدَفَعَ فيهما ثمان مائة دينار. فامتنع من بيعهما، وكان اشتراهما من مصر من جملة ما أُخْرِجَ من الخزائن<sup>٢</sup>.

وأنَّ الذي تولَّى أبو سعيد التَّهاوندي بيعه من مُخْرَجِ القصر، دون غيره من الأمتاء، في مُدَيِّدةٍ يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلُّورٍ ومُحكَم، منها ما يُساوي الألف دينار وإلى عشرة دنانير<sup>٣</sup>. وأُخْرِجَ من صواني الذهب المجراة بالمينا وغير المجراة، المنقوشة بسائر أنواع النقوش، المملوءة جميعها من سائر أنواعه وألوانه وأجناسه، شيءٌ كثيرٌ جدًا.

ووَجِدَ فيما وُجِدَ غُلف خيَازِرٍ مبطَّنة بالحرير مُحلَّاة بالذهب، مختلفة الأشكال، خاليةٌ ممَّا فيها من الأواني، عدَّتْها سبعة عشر ألف غُلاف، كان في كلِّ قِطْعَةٍ إمَّا بلُّورٌ أو مَجْرُودٌ أو مُحكَمٌ أو ما يُشاكله.

ووَجِدَ أكثر من مائة كأسٍ بازهرٍ ونصبٍ وأشباهها على أكثرها اسم هارون الرُّشيد وغيره<sup>٤</sup>. ووَجِدَ في خزائن القصر عدَّة صناديق كثيرة مملوءة سكاكين مذهبٍ ومفضضة بنصب مختلفة من سائر الجواهر، وصناديق كثيرة مملوءة من أنواع الدُّويِّ المربعة والمدورة والصُّغار والكبار،

<sup>٤</sup> الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٤؛ المقرئزي:

<sup>١</sup> المقرئزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٣.

اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٥.

<sup>٢</sup> نفسه ٢: ٢٨٣.

<sup>٣</sup> المقرئزي: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٣.



المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والأبنوس الزنجي والعاج، وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجواهر والذهب والفضة، وسائر أنواع الحلبي الغربية<sup>(a)</sup>، والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها فيها ما يساوي الألف دينار والأكثر والأقل، سيوى ما عليها من الجواهر<sup>١</sup>.

وصناديق مملوءة مشارب ذهب وفضة محرقة بالسواد صغار وكبار، مصنوعة بأحسن/ ما يكون من الصنعة وعدة أزيار صيني كبار مختلفة الألوان، مملوءة كافورًا فنصوريًا<sup>(b)</sup> ٢. وعدة من جماجم العنبر الشحري، ونوافش<sup>(c)</sup> المسك الثبتي وقواريزه، وشجر العود وقطعه<sup>٣</sup>.

ووجد للسيدة رشيدة<sup>(d)</sup> ابنة المعز حين ماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة، ما قيمته ألف ألف دينار وسبع مائة ألف دينار: من جملته ثلاثون [ألف]<sup>(e)</sup> ثوب خز مقطوع، واثنان عشر ألفًا من الثياب المصمتة ألوانًا، ومائة قاطرميز مملوءة كافورًا فنصوريًا<sup>(b)</sup>. ومما وجد لها معتمات بجواهرها، من أيام المعز وبيت هارون الرشيد الحز الأسود الذي مات فيه بطوس. وكان من ولي من الخلفاء<sup>(f)</sup> ينتظرون وفاتها، فلم يقض ذلك إلا للمشتتصر بالله، فحازه في خزانته<sup>٤</sup>.

ووجد لعبد بنت المعز أيضًا - وماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة - ما لا يخصى<sup>٥</sup>. حدثني بعض خزان القصر أن خزائن السيدة عبدة ومقاصيرها وصناديقها وما يجب أن يختم عليه [من موجودها]<sup>(e)</sup>، ذهب من الشمع في خواتمه - على الصنعة والمشاهدة - أربعون رطلًا بالمصري، وأن بطائق المتاع الموجود كتبت في ثلاثين رزمة ورق<sup>٦</sup>.

(a) بولاق: الأنواع الغربية. (b) بولاق: قيصوريا. (c) بولاق: نوافج. (d) الذخائر: راشدة. (e) زيادة من الذخائر. (f) الذخائر: من أولاد المعز.

<sup>١</sup> نفسه ٢٥٤؛ نفسه ٢: ٢٨٥. وبقية الخبر في الذخائر: ولدنا في رقادة بظاهر القيروان، وماتنا في القاهرة في سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة، وبين كل واحدة والأخرى ثلاثة أيام. وعمرت كل واحدة منهن نحوًا من تسعين سنة، وهما عمنا الحاكم بأمر الله (الذخائر ٢٤١).

<sup>٢</sup> نسبة إلى فنصور بلدة في جنوب جزيرة جاوه (الذخائر والتحف ٢٢٣، ٣٣٨).

<sup>٣</sup> الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥٥؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا ٢: ٢٨٥.

<sup>٤</sup> نفسه ٢٤١.

<sup>٥</sup> نفسه ٢٤١.

<sup>٦</sup> الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٤١ - ٢٤٢.



ومما وُجِدَ لها أيضًا أربع مائة قمطرة ، وألف وثلاث مائة قطعة مينا فضة محرقة ، زنة كل مينا عشرة آلاف درهم ، وأربع مائة سيف مُحَلَّى بالذهب ، وثلاثون ألف شُقَّة صِقْلِيَّة ، ومن الجَوْهَر ما لا يُحَدُّ كثرة ، وزُمرُّد كَيْلُه أردب واحد<sup>١</sup> .

وَأَنَّ سَيِّدَ الوُزراء أبا محمد اليازوري وَجَدَ في موجوداتها طَسْتًا وإِثْرِيًا ، فلَقَرَط استِخْسانه لهما سأل المُسْتَنْصِرَ فيهما ، فَوَهَبَهُما له<sup>٢</sup> . وَوُجِدَ [أيضًا لها]<sup>(a)</sup> مَذَهَنٌ يَأْقُوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مِثْقَالًا . وَأُخْرِجَ أيضًا تسعون طَسْتًا وتسعون إِثْرِيًا من صافي البِلُّور<sup>٣</sup> .

وَوُجِدَ في القصر خَزائِن مملوءة من سائر أنواع الصِّيني . منها أَجاجين صيني كبار مُحَلَّاة ، كل إِجَانة منها على ثلاثة أرجل ، على صورة الوُحوش والسُّباع ، قيمة كل قطعة منها ألف دينار ، معمولة لغَسْل الثَّياب<sup>٤</sup> .

١٠ وَوُجِدَ عِدَّة أَقْصاف مملوءة ببييض صيني ، مَقْمُول على هيئة البييض في خلقتِه وبياضِه ، يجعل فيها ماء البيض النيمرشت يوم الفِصاد .

وَوُجِدَ حَصِيرٌ ذَهَب وزْنُها ثمانية عشر رطلًا ، ذكر أَنَّها الحَصير التي جُلِّيت عليها بُوران بنت الحسن بن سَهْل على المأمون [في سنة عشر ومائتين]<sup>(a)</sup><sup>٦</sup> .

١٥ وَأُخْرِجَ ثمانٌ وعشرون صينيَّة مينا مجرأة بالذَّهَب بكُغُوب ، كان أرسلها ملك الروم إلى العزيز بالله ، قُومَت كل صينيَّة منها بثلاثة آلاف دينار ، أَنفِذَ جَميعُها إلى ناصر الدَّولة .

وَوُجِدَ عِدَّة صناديق مملوءة مرآئي حديد من صيني ومن زُجاج المينا لا يُخْصى ما فيها كثرة ، جميعها مُحَلَّى بالذهب المُسَبَّك والفضَّة ، ومنها المُكَلَّل بالجَوْهَر في غلف الكيْمُخت ، وسائر أنواع الحرير والخيزران وغيره ، مُضَبَّب بالذهب والفضَّة ، ولها المقايض من العقيق وغيره .

٢٠ وَأُخْرِجَ من المِظال وقُضِبها الفِضة والذَّهَب شيء كثير . وَأُخْرِجَ من خزائن الفِضة ما يقارب الألف درهم من الآلات المصوغة<sup>(b)</sup> من الفِضة ، المجرأة بالذَّهَب ، فيها ما زنة القطعة الواحدة منه خمسة آلاف درهم ، الغريبة النُقش والصَّنعة ، التي تُساوي خمسة دراهم بدينار . وَأَنَّ جَميعَه يبع

(a) إضافة من الذخائر . (b) بولاق : المصنوعة .

<sup>١</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٤٢ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢٤٢-٢٤٣ .

<sup>٣</sup> نفسه ٢٤٣ .

<sup>٤</sup> إيجانة جد . أجاجين : الإناء المُقَدَّ لغَسْل الثَّياب .

<sup>٥</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٥ ؛ المقرئ :

اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨٥-٢٨٦ .

<sup>٦</sup> نفسه ٢٥٦ ؛ نفسه ٢ : ٢٨٦ .



- كلّ عشرين درهماً بدينار<sup>١</sup>، سوى ما أُخِذَ من العُشاريّات الموكبية، وأعمدة الخيام وقُضِب المظال، والمنحوقات والأعلام والقناديل والصناديق، والبوقات والزّاريق<sup>(a)</sup>، والشروج واللّجج، والمناطق التي للعماريّات، والقباب وغيرها مثل ذلك وأضعافه.
- وأُخْرِجَ من الشّطرنج والتّرد المعمولة من سائر أنواع الجوّهر والذهب والفضّة والعاج والأبّوس، بَرِاق الحرير والمذهب، ما لا يُحَدُّ كثرة ونفاسة<sup>٢</sup>. وأُخْرِجَ آلاتُ فِضَّةٍ وَزَنُهَا ثَلَاث مِائَةَ أَلْفٍ وَنِيفٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، تَسَاوِي سِتَّةِ دِرَاهِمٍ بِدِينَارٍ.
- وأُخْرِجَ أَقْفَاصٌ مَمْلُوءَةٌ مِنْ سَائِرِ آلَاتٍ مَصُوعَةٍ مَجْرَاةٍ بِالذَّهَبِ، عِدَّتُهَا أَرْبَعٌ مِائَةَ قَفْصٍ كِبَارٍ، سُبُكَّتْ جَمِيعُهَا وَفُرِّقَتْ عَلَى الْمُخَالِفِينَ. وَأُخْرِجَتْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ نَرَجَسِيَّةٍ مَجُوفَةٍ بِالذَّهَبِ يُعْمَلُ فِيهَا التَّرْجَسُ، وَأَلْفَا بِنَفْسَجِيَّةٍ كَذَلِكَ<sup>٣</sup>.
١. وَأُخْرِجَ مِنْ خِزَانَةِ الطَّرَائِفِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ قِطْعَةٍ مِنْ مُنْحَكَمٍ وَبِلُورٍ، وَقَوْمِ السَّكَاكِينِ بِأَقْلٍ الْقِيَمِ، فَجَاءَتْ قِيَمَتُهَا عَلَى ذَلِكَ سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ. وَأُخْرِجَ مِنْ تَمَائِيلِ الْعَثْرِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفَ قِطْعَةٍ، أَقْلٌ تَمَثَّلَ مِنْهَا وَزَنُهُ اثْنَا عَشَرَ مِئَةً وَأَكْبَرُهُ يُجَاوِزُ ذَلِكَ، وَمِنْ تَمَائِيلِ الْكَافُورِ<sup>(b)</sup> مَا لَا يُحَدُّ، مِنْ جَمَلَتِهَا ثَمَانٌ مِائَةَ بِطُيْحَةِ كَافُورٍ.
١٥. وَأُخْرِجَتْ الْكَلُوتَةُ الْمَرْصُوعَةُ بِالْجَوْهَرِ، وَكَانَتْ مِنْ غَرِيبٍ مَا فِي الْقَصْرِ وَنَفِيسِهِ، ذُكِرَ أَنَّ قِيَمَتُهَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، قُومَتْ بِثَمَانِينَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ وَزَنُ مَا فِيهَا مِنَ الْجَوْهَرِ سَبْعَةَ عَشَرَ رَطْلًا. اقْتَسَمَهَا فَخْرُ الْعَرَبِ وَتَاجُ الْمُلُوكِ، فَصَارَ إِلَى فَخْرِ الْعَرَبِ مِنْهَا قِطْعَةٌ بِلَخْشٍ وَزَنُهَا ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ مِثْقَالًا، وَصَارَ إِلَى تَاجِ الْمُلُوكِ - مِمَّا وَقَعَ إِلَيْهِ - حَبَاتٌ دُرٌّ، كُلُّ حَبَّةٍ ثَلَاثَةٌ مِثْقَالٍ، عِدَّتُهَا مِائَةُ حَبَّةٍ. فَلَمَّا كَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ مِنْ مِصْرٍ نُهَبَتْ<sup>٤</sup>.
٢٠. وَأُخْرِجَ مِنْ خِزَائِنِ الطُّيْبِ خَمْسَةَ صَوَارِي عُودِ هِنْدِيٍّ، كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْ تِسْعَةِ أَذْرُعٍ إِلَى عِشْرَةِ أَذْرُعٍ. وَكَافُورٍ قَنْصُورِيٍّ<sup>(c)</sup> زِنَةُ كُلِّ حَبَّةٍ مِنْ خَمْسَةِ مِثْقَالٍ إِلَى مَا دُونَهَا [لَمْ يَرِ مِثْلُهُ]<sup>(d)</sup>. وَقِطْعَ عَثْرٍ تَرَنٍ<sup>(e)</sup> الْقِطْعَةُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ مِثْقَالٍ<sup>٥</sup>.

(a) بولاق : التوقات والزوازين . (b) بولاق : الخليفة . (c) بولاق : قيصوري . (d) إضافة من الذخائر . (e) بولاق : وزن .

<sup>١</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٦-٢٥٧ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢٥٧-٢٥٨ .

<sup>٤</sup> نفسه ٢٥٨-٢٥٩ .

<sup>٥</sup> نفسه ٢٥٩ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢٥٧ ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨٩ .



وأُخْرِجَ مَثَارِدُ صِينِي مَحْمُولَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْجُلٍ ، مِلْءٌ كُلُّ وَعَاءٍ مِنْهَا مِائَتَا رَطْلٍ مِنَ الطَّعَامِ ،  
وَعِدَّةٌ قِطْعٌ يَشْبُ / وَبِازْهَرُ : مِنْهَا جَامٌ سَعَتَهُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ وَنِصْفٌ وَعُمُقُهُ شِبْرٌ مَلِيحُ الصَّنْعَةِ ،  
وَقَاطِرٌ مِيزٌ يَلُورُ فِيهِ صُورٌ نَائِمَةٌ<sup>(a)</sup> [عَنْ جَسْمِهِ<sup>(b)</sup>] تَسَعُ [مِنَ الشَّرَابِ]<sup>(c)</sup> سَبْعَةَ عَشَرَ رَطْلًا ، وَدَكُوجَةٌ<sup>(d)</sup> ،  
يَلُورُ مَجْرُودٌ تَسَعُ عَشْرِينَ رَطْلًا وَقَضْرِيَّةٌ يَشْبُ<sup>(d)</sup> كَبِيرَةٌ جَدًّا<sup>(١)</sup> ، وَطَابِعٌ نَدَّ فِيهِ أَلْفٌ مِثْقَالٌ كَانَ فَخْرُ  
الدَّوْلَةِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ رُكْنِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيِّ عَمَلَهُ ، مَكْتُوبٌ فِي وَسْطِهِ « فَخْرُ الدَّوْلَةِ  
شَمْسُ المِلَّةِ » ، وَأَبْيَاتٌ مِنْهَا :

[البسيط]

وَمَنْ يَكُنْ شَمْسٌ أَهْلُ الأَرْضِ قَاطِبَةً فَتَدُهُ طَابِعٌ مِنْ أَلْفٍ مِثْقَالٍ

وَطَاوُوسٌ ذَهَبٌ مُرْصَعٌ بِنَفِيسِ الجَوْهَرِ ، عَيْنَاهُ مِنْ يَاقُوتِ أَحْمَرَ ، وَرِيشُهُ مِنَ الزُّجَاجِ المِينَا المِجْرِي  
بِالذَّهَبِ عَلَى أَلْوَانِ رِيشِ الطَّاوُوسِ . وَدِيكٌ مِنَ الذَّهَبِ لَهُ عُزْفٌ مَفْرُوقٌ كَأَكْبَرَ مَا يَكُونُ مِنْ  
أَعْرَافِ الدِّيُوكِ ، مِنَ اليَاقُوتِ الأَحْمَرِ ، مُرْصَعٌ بِسَائِرِ الدَّرِّ وَالجَوْهَرِ ، وَعَيْنَاهُ يَاقُوتٌ . وَغَزَالٌ مُرْصَعٌ  
بِنَفِيسِ الدَّرِّ وَالجَوْهَرِ ، وَبَطْنُهُ أبيضٌ ، قَدْ نُظِمَ مِنْ دُرِّ رَائِعٍ . وَمَجْمَعٌ سَكَارِجٍ [مَخْرُوطٌ مِنْ قِطْعَةٍ  
يَلُورُ بِغَطَائِهِ ، وَفِيهِ سَكَارِجٌ]<sup>(b)</sup> مِنْ يَلُورٍ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَعُودُ فِيهِ ، فَتَحْتَهُ أَرْبَعَةُ أَشْبَارٍ ، مَلِيحُ الصَّنْعَةِ فِي  
غُلَافٍ خَيْزُرَانٍ [مُذَهَّبٌ ، فَامْتَنَعَ مِنْ أَخْذِهِ فَخْرُ العَرَبِ اِحْتِقَارًا لَهُ]<sup>(b)</sup> . وَبِطَيْخَةٌ مِنَ الكَافُورِ فِي  
شُبَّاكِ ذَهَبٍ مُرْصَعَةٌ ، وَزَنُهَا خَالِصَةٌ سَبْعُونَ مِثْقَالًا مِنْ كَافُورٍ . وَقِطْعَةٌ عَثْبَرٌ تَسْمَى الحَشْرُوفُ<sup>(c)</sup> ،  
وَزَنُهَا سَوَى مَا يَمْسُكُهَا مِنَ الذَّهَبِ ثَمَانُونَ مِثْقَالًا . وَبِطَيْخَةٌ كَافُورٌ أَيْضًا وَجِدَّ مَا عَلَيْهَا مِنَ  
الذَّهَبِ ثَلَاثَةُ أَلْفٍ مِثْقَالٍ . وَمَائِدَةٌ يَشْبُ<sup>(c)</sup> كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ ، قَوَائِمُهَا مِنْهَا . وَبِبيضَةٌ بَلْخَشُ ،  
وَزَنُهَا سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ مِثْقَالًا ، أَشَدُّ صَفَاءً مِنَ اليَاقُوتِ الأَحْمَرِ . وَقَاطِرٌ مِيزٌ يَلُورُ مَلِيحُ التَّقْدِيرِ  
يَسَعُ مَرُوقَتَيْنِ ، قَوْمٌ فِي المَخْرَجِ بِثَمَانِ مِائَةِ دِينَارٍ ، دُفِعَ إِلَى تَاجِ المُلُوكِ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَلْفٌ  
دِينَارٍ ، فَامْتَنَعَ مِنْ بَيْعِهِ . وَمَائِدَةٌ جِزَعٌ يَقْعُدُ عَلَيْهَا جَمَاعَةٌ قَوَائِمُهَا مَخْرُوطَةٌ مِنْهَا . وَنِخْلَةٌ  
ذَهَبٌ مَكَلَّلَةٌ بِالجَوْهَرِ وَبِديعِ الدَّرِّ فِي إِجَانَةِ ذَهَبٍ ، تَجْمَعُ الطَّلَعُ وَالبَلْعُ وَالرُّطْبُ بِشَكْلِهِ وَلَوْنِهِ  
وَعَلَى صِفَّتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، مِنَ الجَوَاهِرِ لَا قِيمَةَ لَهَا . وَكُوزٌ زَبَرٌ يَلُورُ يَحْمِلُ عَشْرَةَ أَرْطَالٍ مَاءً .

(a) بولاق : ثابتة . (b) إضافة من الذخائر . (c) بولاق : بلوجة . (d) بولاق : نصب ، النسخ : يصب ، والمثبت من

الذخائر . (e) الأصل وبولاق : الحروف والمثبت من الذخائر .

<sup>١</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ والقاطر مِيز : وعاء عميق ذو غطاء يَلُورُ ؛ والدَكُوجَةُ : الحِجْرَةُ الصغِيرَةُ ؛

والسَكَرَجَةُ : القِصْعَةُ أَوْ الجِفْنَةُ .



ودواج مرصع بنفيس الجَوْهر لا قيمة له . ومزرة مكللة بحب لؤلؤ نفيس<sup>١</sup> . وقبة العشاري وقاربه<sup>٢</sup> وكشوة رخله الذي استعمله علي بن أحمد الجزجرائي ، وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفاً وسبع مائة درهم نُقرة ، وأطلق للصناع عن أجرة صياغته ، وثمن ذهب للطلاء ، ألفان وتسع مائة دينار . وكان سعر الفضة حينئذ كل مائة درهم بستة دنانير ورُبع ، سعر ستة عشر درهماً بدينار .

وأخرج العشاري الفضي الذي استعمله علي بن أحمد لأم المشتتصر ، وكان فيه مائة ألف وعشرون ألف درهم نُقرة ، وصرف أجرة صياغة وطلاء ألفان وأربع مائة دينار ، وكسوه بمالي جليل . وأخرج جميع كسا العشاريات التي برسم النزه البحرية<sup>٣</sup> ، وعدتها ومناطقها ورءوس منجوقات<sup>٤</sup> وأهلة وصُفريات - وكانت أربع مائة ألف دينار لسته وثلاثين عشارياً - وعدة مناكيم<sup>٥</sup> فضة فيها ما وزنه مائة وتسعة أرطال فضة .

وأخرج بُستان أرضه فضة محرقة مُذهبة ، وطينه نَد ، وأشجاره فضة مذهبة مصوغة ، وأثماره عَنبر وغيره ، وزنه ثلاث مائة وستة أرطال . وبطيحة كافور وزنها<sup>٦</sup> عشرة آلاف مِثقال مُشبَّكة بذهب وتماثيل عَنبر وكافور ، وزنها<sup>٧</sup> ستة عشر ألف مِثقال . وقطع ياقوت أزرق زنة كل قطعة سبعون درهماً . وقطع زُمرد ، زنة كل قطعة ثمانون درهماً . ونصاب مرآة من زُمرد له طول وثخن ، كل ذلك أخذهُ المخالفون .

### خزائن الفُروش والأمتعة

قال في كتاب « الذخائر » : وحديثي من أتق به ، عن ابن عبد العزيز الأنماطي أنه<sup>٨</sup> قال : قوّمنا<sup>٩</sup> مما<sup>١٠</sup> أخرج من خزائن القصر من سائر [ألوان]<sup>١١</sup> الخشرواني ما يزيد على خمسين ألف قطعة ، أكثرها مُذهب<sup>١٢</sup> .

(a) بولاق : كارتة . (b) بولاق : البرية والبحرية . (c) بولاق : منحرفات . (d) بولاق : ميالكيم . (e-e) ساقطة من بولاق . (f) بولاق : الفرش . (g) ساقطة من بولاق . (h) بولاق : ما . (i) إضافة مما تقدم ٣٦٨ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢٥٣ وفيما تقدم ٣٦٨ .

<sup>١</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٦٠-٢٦١ مع

تقديم وتأخير في النص .



وسألت ابن عبد العزيز، فقال: أخرج من الخزائن ما حُرِّرت قيمته على يدي وبخضرتي أكثر من مائة ألف قطعة<sup>١</sup>.

وأخرج مَرْتَبَةً خُشْرَوَانِي حَمْرَاءَ بِيَعْت بِثَلَاثَةِ آلَافٍ وَخَمْسِ مِائَةِ دِينَارٍ، وَمَرْتَبَةً قَلْمُونِي بِيَعْت بِأَلْفَيْنِ وَأَرْبَعِ مِائَةِ دِينَارٍ، وَثَلَاثُونَ سُنْدُسِيَّةً بِيَعْت كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِثَلَاثِينَ دِينَارًا وَنِيفَ، وَعِشْرُونَ أَلْفَ قِطْعَةٍ خُشْرَوَانِي فِي هَذِهِ لَمْ يُقَطَّعْ مِنْهَا شَيْءٌ.

وكانت قيمة العَرَضِ المبيع بأقل القيم وأبرز الأثمان في مدة خمسة عشر يومًا من صفر سنة ستين وأربع مائة - سوى ما نُهَبَ وسُرِقَ - ثلاثون ألف ألف دينار، فقَبِضَ جَمِيعَهَا الجند والأتراك ليس لأحدٍ منهم دِرْهَمٌ وَاحِدٌ قَبْضَةً عَنْ اسْتِحْقَاقٍ.

وحدَّثني الأمير أبو الحسن علي بن الحسن - أحد مُقَدَّمِي الخيميِّين بالقصر - أن الفَرَّاشِينَ دَخَلُوا إِلَى بَعْضِ خَزَائِنِ الفَرَشِ، لَمَّا اسْتَدَّتْ مُطَالِبَةُ المَارِقِينَ لِلْمُسْتَنْصِرِ بِالمال، إِلَى الخِزَانَةِ المَعْرُوفَةِ بِخِزَانَةِ

الرَّفُوفِ - وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكثْرَةِ رُفُوفِهَا، وَلِكُلِّ رَفٍّ مِنْهَا سُلْمٌ مَفْرَدٌ - فَأَنْزَلُوا مِنْهَا أَلْفِي عَدْلٍ شَقَقَ طَمِيمٌ بِهَذِيهَا، مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الخُشْرَوَانِي وَغَيْرِهِ، لَمْ تُسْتَعْمَلْ بَعْدَ، وَجَمِيعٌ مَا فِيهَا مُذْهَبٌ مَعْمُولٌ

بِسَائِرِ الأشكال والصُّور. وَأَنْتَهَمَ فَتَحُوا عَدْلًا مِنْهَا فَوَجَدُوا مَا فِيهِ أَجَلَةٌ مَعْمُولَةٌ لِلْفَيْلَةِ مِنْ /خُشْرَوَانِي أَحْمَرَ مُذْهَبٌ كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ العَمَلِ، وَمَوْضِعُ نُزُولِ أَفْحَاذِ الفَيْلِ وَرِجْلَيْهِ سَادَجَةٌ بَغَيْرِ ذَهَبٍ.

وأخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خُشْرَوَانِي أَحْمَرَ مَطْرُزٌ بِأَبْيَضٍ فِي هَذِيهَا لَمْ يُفْصَلْ، مِنْ كُسَا بِيوتٍ كَامِلَةٍ بِجَمِيعِ آلاَتِهَا وَمَقَاطِعِهَا، وَكُلُّ بَيْتٍ يَشْتَمِلُ عَلَى مَسَانِيدِهِ وَمَخَادِهِ وَمَسَاوِرِهِ

وَمَرَاتِيهِ وَبُسْطِيهِ وَعَتَبِيهِ وَمَقَاطِعِهِ وَسُتُورِهِ، وَكُلُّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ.

قَالَ: وَأَخْرَجَ مِنْ خَزَائِنِ القَصْرِ<sup>٥</sup> مِنَ البِيوتِ الكَامِلَةِ الفَرَشِ، مِنَ القَلْمُونِي وَالدُّبِّيقيِّ مِنَ سَائِرِ ألوانه وَأَنْوَاعِهِ، المَخْمَلِ وَالخُشْرَوَانِي وَالدُّبْيَاجِ المَلَكِي وَالخَزِّ وَسَائِرِ الحَرِيرِ مِنْ جَمِيعِ ألوانه وَأَنْوَاعِهِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً، وَلَا يُعْرَفُ قَدْرُهُ نَفَاسَةً<sup>٢</sup>.

وأخرج من الحُصْرِ وَالأَنْخَاخِ السَّامَانِي المَطْرُزَةَ بِالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَغَيْرِ المَطْرُزَةِ مِنَ المَجْمُومَةِ وَالمَطْيِزَةِ وَالمَفْيِيلةِ<sup>٦</sup> وَالمُصَوَّرَةَ بِسَائِرِ الصُّورِ، شَيْءٌ كَثِيرٌ.

(a) بولاق: خزائن الفرش. (b) بولاق: المخزنة والطيور والفيلة.



والتَّمَسُّ بِغَضِّ الأَثْرَاكِ مِنَ المُسْتَنْصِرِ مَقْرَمَةً - يعني سِتَارَةً - سُندَسٌ أَخْضَرٌ مَذْهَبَةٌ ، فَأُخْرِجَ عَدْلٌ مِنْهَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ « مائة وثمانية وثمانون » ، من جملة أَعْدَادِ<sup>(a)</sup> أَعْدَالٍ فِيهَا مِنَ المَتَاعِ<sup>١</sup> .

وَوُجِدَ مِنَ الشُّتُورِ الحَرِيرِ المَنْسُوجَةِ بِالدَّهَبِ ، عَلَى اِخْتِلَافِ ألْوَانِهَا وَأَطْوَالِهَا ، عِدَّةٌ مِثْنِ تَقَارِبِ الأَلْفِ ، فِيهَا صُورُ الدُّوَلِ وَمُلُوكِهَا وَالمَشَاهِيرِ فِيهَا ، مَكْتُوبٌ عَلَى صُورَةٍ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ<sup>(a)</sup> اسْمُهُ وَمُدَّةُ أَيَامِهِ وَشَرْحُ حَالِهِ<sup>٢</sup> .

وَأُخْرِجَ مِنْ خَزَائِنِ الفُرشِ أَرْبَعَةُ أَلْفِ رِزْمَةٍ خُشْرَوَانِي مُذْهَبٌ ، فِي كُلِّ رِزْمَةٍ فَرْشٌ مَجْلِسٍ بِبِشْطِهِ وَتَعَالِيْقِهِ وَسَائِرِ آيَاتِهِ ، مَنْسُوجَةٌ فِي خَيْطٍ وَاحِدٍ ، بَاقِيَةٌ عَلَى حَالِهَا لَمْ تُنْمَسْ<sup>٣</sup> .

وَصَارَ إِلَى فَخْرِ العَرَبِ مَقْطَعٌ مِنَ الحَرِيرِ الأَزْرَقِ التُّشْتَرِيِّ<sup>(b)</sup> القُرْقُوبِيِّ غَرِيبِ الصَّنِيعَةِ ، مَنْسُوجٌ بِالدَّهَبِ وَسَائِرِ ألْوَانِ الحَرِيرِ تَنْبِيئًا<sup>(a)</sup> ، كَانَ المُعِزُّ لَدِينِ اللهِ أَمَرَ بِعَمَلِهِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ . فِيهِ صُورَةُ أَقَالِيمِ الأَرْضِ وَجِبَالِهَا وَبِحَارِهَا وَمُدُنِهَا وَأَنْهَارِهَا وَمَسَالِكِهَا شَبَهَ جُغْرَافِيَا ، وَفِيهِ صُورَةُ مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ مَبِيئًا لِلنَّاضِرِ ؛ مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَجَبَلٍ وَبَلَدٍ وَنَهْرٍ وَبَحْرٍ وَطَرِيقٍ اسْمُهُ بِالدَّهَبِ أَوْ الفِضَّةِ أَوْ الحَرِيرِ ، وَفِي آخِرِهِ :

« بِمَا أَمَرَ بِعَمَلِهِ المُعِزُّ لَدِينِ اللهِ شَوْقًا إِلَى حَرَمِ اللهِ وَإِشْهَارًا لِمَعَالِمِ رَسُولِ اللهِ

فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ » .

وَالنَّفَقَةُ عَلَيْهِ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ<sup>٤</sup> .

وَصَارَ إِلَى تَاجِ المُلُوكِ بَيْتٌ أَرْمَنِيٌّ أَحْمَرٌ مَنْسُوجٌ بِالدَّهَبِ ، عُجِلَ لِلْمُتَوَكَّلِ عَلَى اللهِ ، لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا قِيَمَةَ ، وَبَسَاطٌ خُشْرَوَانِيٌّ دُفِعَ إِلَيْهِ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فَامْتَنَعَ مِنْ بَيْعِهِ .

وَقَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ : خِزَانَةُ الفُرشِ - وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ بَابِ المُلْكِ - يَخْضُرُ إِلَيْهَا الخَلِيفَةُ مِنْ غَيْرِ جُلُوسٍ ، وَيَطُوفُ فِيهَا وَيَسْتَخِيرُ عَنْ أَحْوَالِهَا ، وَيَأْمُرُ بِإِدَامَةِ الاستِعْمَالِ . وَكَانَ مِنْ حُقُوقِهَا استِعْمَالُ السَّامَانِ فِي أَمَاكِنَ خَارِجِهَا بِالقَاهِرَةِ وَمِصْرَ ، وَيُعْطَى مُسْتَخْدِمُهَا خَمْسَةَ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : التستوري .

<sup>٤</sup> راجع ، Wiet, G., RCEA IV, p. 186 n° 1564

<sup>١</sup> المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨٤ .

زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٢ - ٥٣ .

<sup>٢</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٤ .

<sup>٣</sup> نفسه ٢٥٨ .



عشر دينارًا - يعني يوم يطوف فيها الخليفة<sup>١</sup>.

### خَزَائِنُ السِّلَاحِ

قال في كتاب «الدخائر»: فأما خزائن السيوف والآلات والسلاح، فإن بعضها أُخِذَ وقُسم بين العشرة الثائرين - يعني<sup>(a)</sup> على المُسْتَنْصِر - وهم: ناصر الدولة بن حمدان، وأخواه، وبلدكوش<sup>(b)</sup>، وابن سُبُكْتِكِين، وسَلَامٌ عَلَيْكَ، وشاور بن حُسَيْن<sup>٢</sup>. حتى صارَ ذو الفقار إلى تاج الملوك، وصمصامه عمرو بن معدي كرب، وسيف عبد الله بن وهب الراسي، وسيف كافر، وسيف المعز، وسيف أبي المعز، إلى الأعز بن سنان، ودرع المعز لدين الله - وكانت تُساوي ألف دينار - وسيف الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام - ودرقة حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - وسيف جعفر الصادق. ومن الخوذ والدروع والتخافيف، والسيوف المحلاة بالذهب والفضة، والسيوف الحديدية، وصناديق النصول، وجعاب السهام الخنج، وصناديق القيسي، ورزم الرماح الزان الخطية، وشدات القنا<sup>(c)</sup> الطوال، والزرد والبيض، مئين ألوف وكان كل صنّف منها مفردًا عشرات ألوف<sup>٣</sup>.

وقال ابن الطوير: خزائن السلاح يدخل إليها الخليفة ويطوفها قبل جلوسه على الشير هناك، ويتأمل حواصلها من الكزاعنّات المدفونة بالزرد المغشاة بالدياج المحكمة الصنّاعة، والجواشين<sup>٤</sup> المبطنة المذهبة، والزرديات السابلة برعوسها، والخوذ المحلاة بالفضة، وكذلك أكثر الزرديات

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: بلد قوس. (c) بولاق: القسي.

القطن أو الحرير المبطّن المتجدد (Dazy, R., Suppl. Diet.) Ar. I, p. 470؛ المقرئ: السلوك ١: ٢٥٣هـ؛ ابن واصل: مفرج الكروب ٢: ٤٤هـ). وعند الطرسوسي أن الكازغنّات لما استخرجه مؤلّدو الأعراب. وهي زرديات رفاع يلبس عليها ثياب قد بسط فوقها مشاقة الحرير والمصطلكا وتكسى بالثياب الدياج أو غيرها وتخاط عليها وتحمّن بالتنبيت بالحرير وغيره. (Cahen, Cl., *Un traité d'armurerie* p. 116).

جوشن ج. جواشين. الدرع (Ibid., p. 116).

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٣؛ وقارن، القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٣؛ زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين ٥٢-٥٣، ونقل سرجنت هذه الفقرة إلى الإنجليزية في كتابه Serjeant, R. B., *Islamic Textiles*, p. 159.

<sup>٢</sup> لم يستوف النص أسماء العشرة الثائرين.

<sup>٣</sup> هذا النص غير موجود فيما وصل إلينا من كتاب «الدخائر والتحف».

<sup>٤</sup> كزاعنّد ج. كزاعنّات. لفظ فارسي الأصل معناه المعطف القصير الذي يُلبس فوق الزردية، كان يُصنع من



والشيوف ، على اختلافها من العرييات والقلجوريات<sup>١</sup> ، والرماح والقنا ، والقنطاريات<sup>٢</sup> المدهونة والمذهبة ، والأسنة الخيرصانية<sup>٣</sup> ، والقيسي لرماية اليد ، المنسوبة إلى صنّاعها مثل الخطوط المنسوبة إلى أربابها .

- فيحضر إليها منها ما يجزبه ، ويتأمل الثشاب - وكانت نصوله مثلثة الأركان - على اختلافها ، ثم قيسي الرجل والركاب : وقيسي اللؤلؤ الذي زنة نصله خمسة أرتال ، ويؤمى من كل ستم بين يديه فينظر كيف مجراه . والثشاب الذي يقال له الجراد ، وطوله شبر ، يؤمى به عن قيسي في مجار معمولة برسمه ، فلا يدري به الفارس أو الراجل إلا وقد نفذ .
- فإذا فرغ من نظير ذلك كله ، خرج من خزانة الدرق - وكانت في المكان الذي هو خان مشرور ، وهو برسم الاستعمالات / للأساطيل ، من الكبورة الخرجية والخوذ الجلودية إلى غير ذلك - فيعطى مستخدمها خمسة وعشرين دينارًا ، ويخلع على مقدم الاستعمالات جوكائية مزيدة حريزًا ، وعمامة لطيفة<sup>٤</sup> .

### خزائن السروج

قال في كتاب « الذخائر » : أخرج فيما أخرج صناديق سروج محللة بفضة مجراة بسواد مسوحة ، وجد على صندوق منها « الثامن والتسعون والثلاث مائة » ، وعدة ما فيها زيادة على أربعة آلاف سرج .

(a) بولاق : البرصانية .

<sup>١</sup> القلجوريات . لعل أصلها من قلع التركية بمعنى سيف . (زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٧) .  
<sup>٢</sup> قنطارية ج . قنطاريات . من اليونانية Kontarion ، جنس من الرماح يصنع من الخشب الزان والشوح ليست بالطويلة ، اشتهر بصنعها بنو الأصفر ومن جانسهم من الروم وأستها قصار عراض كهيفة البلطة وما جرى مجراها (Cahen, Cl., op.cit., p. 11) أبو شامة : الروضتين ١ : ٤٦٠ ؛ ابن واصل : مفرج ١ : ١٨٣ ؛ Dozy, R., op.cit., II, p. 421 .  
<sup>٣</sup> الخيرصانية . لعلها من الخرص بمعنى السنان والرمح اللطيف القصير يتخذ من خشب منحوت (الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٧٩٥ ؛ Dozy, R., op.cit., I, p. 362) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٧ .  
<sup>٤</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٣٣ - ١٣٤ ؛ المقرئ : مسودة المواعظ والاعتبار ١٥٠ - ١٥١ ؛ وقارن القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٧٣ ؛ زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٤ - ٥٨ ، وفيما يلي ٩٢ : ٢ .

١٥



وأُخْرِجَ الْمُسْتَنْصَرُ مِنْ خَزَائِنِ الشُّرُوجِ خَمْسَةَ آلَافِ سَرُوجٍ كَانَ أَبُو سَعْدٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَهْلٍ الشُّشْرِيُّ دَخَرَهَا لَهُ فِيهَا وَتَقَدَّمَ بِحِفْظِهَا ، كُلُّ سَرُوجٍ مِنْهَا يَسَاوِي مِنْ سَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ إِلَى أَلْفٍ وَأَكْثَرِهَا غَالٍ . سُبِكَ جَمِيعُهَا وَفَرَّقَ فِي الْأَتْرَاقِ . كَانَ يَرْسُمُ رِكَابَهُ مِنْهَا أَرْبَعَةَ آلَافِ سَرُوجٍ . وَأُنْجِذَ مِنْ خَزَائِنِ السُّيِّدَةِ وَالِدَتِهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ سَرُوجٍ مِثْلَهَا وَدُونِهَا ، صُنِعَ بِهَا مِثْلُ ذَلِكَ <sup>١</sup> .

وقال ابن الطوثير: خِزَانَةُ الشُّرُوجِ تَحْتَوِي مِنَ الْمَلِكِ <sup>(a)</sup> عَلَى مَا لَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مَمْلَكَةٌ مِنَ الْمَمَالِكِ ، وَهِيَ قَاعَةٌ كَبِيرَةٌ [بِالْقَصْرِ] <sup>(b)</sup> بِدَوْرِهَا مَسْطَبَةٌ عَلَوَّهَا ذِرَاعَانِ ، وَمَجَالِسُهَا كَذَلِكَ . وَعَلَى تِلْكَ الْمَسْطَبَةِ مُتَكَاتٌ مَخْلُصَةٌ الْجَانِبِينَ ، عَلَى كُلِّ مُتَكَأٍ ثَلَاثَةُ سُرُوجٍ مُتَطَابِقَةٌ ، وَفَوْقَهُ فِي الْحَائِطِ وَتَدُّ مَذْهُونٌ مَضْرُوبٌ فِي الْحَائِطِ قَبْلَ تَبْيِضِهِ ، وَهُوَ بَارِزٌ بُرُوزًا بِمُتَكَأٍ عَلَيْهِ الْمَرْكَبَاتُ الْحَلِيَّةُ عَلَى لُجْمِ تِلْكَ الشُّرُوجِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الذَّهَبِ خَاصَّةً أَوْ الْفِضَّةِ خَاصَّةً أَوْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَقَلَائِدُهَا وَأَطْوَاقُهَا لِأَعْنَاقِ الْحَيْلِ ، وَهِيَ لِخَاصِّ الْخَلِيفَةِ وَأَزْبَابِ الرَّتَبِ مَا يَرِيدُ عَلَى أَلْفِ سَرُوجٍ . وَمِنْهَا لِحَامٌ هُوَ الْخَاصُّ ، وَمِنْهَا الْوَسَطُ ، وَمِنْهَا الدُّونُ ، وَهِيَ خِيَارٌ غَيْرُهَا يَرْسُمُ الْعَوَارِي لِأَزْبَابِ الرَّتَبِ وَالْحِدْمِ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْخَاصِّ ، فَيَكُونُ عِنْدَ الْمُسْتَعْدِمِ بِشِدَادِهِ الدَّائِمِ ، وَجَارِيهِ عَلَى الْخَلِيفَةِ مَا دَامَ مُسْتَعْدِمًا ، وَالْعَلْفُ مُطْلَقٌ مِنَ الْأَهْرَاءِ . أَمَّا الصَّاعَةُ فَإِنَّ فِيهَا مِنْهُمْ وَمِنَ الْمُرْكَبِينَ وَالْخَزَائِنِ عَدَدًا جَمًّا دَائِمِينَ لَا يَفْتَرُونَ عَنِ الْعَمَلِ . وَكُلُّ مَجْلِسٍ مَضْبُوطٌ بِعَدَدِ مُتَكَاتِهِ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الشُّرُوجِ وَالْأَوْتَادِ وَاللُّجْمِ . وَكُلُّ مَجْلِسٍ لَذَلِكَ عِنْدَ مُسْتَعْدِمِهِ فِي الْعَرُوضِ ، فَلَا يَخْتَلِّ عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَيْءٌ . وَكَذَلِكَ وَسَطُ قَاعَتِهَا بَعْدُةٌ مُتَوَالِيَةٌ أَيْضًا . وَالشُّدَادُونَ مَطْلُوبُونَ بِالنَّقَائِصِ مِنْهَا أَيَّامَ الْمَوَاسِمِ ، وَهُمْ يُحْضِرُونَهَا أَوْ قِيمَتِهَا ، فَتَعْرُوضُ وَتُرَكَّبُ <sup>(c)</sup> . وَيَحْضُرُ إِلَيْهَا الْخَلِيفَةُ وَيَطُوفُهَا مِنْ غَيْرِ مُجْلُوسٍ ، وَيُعْطِي حَامِيَهَا لِلتَّفَرُّقَةِ فِي الْمُسْتَعْدِمِينَ عَشْرِينَ دِينَارًا . وَيُقَالُ : إِنَّ الْحَافِظَ لِدِينِ اللَّهِ عَرَضَتْ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ ، فَجَاءَ إِلَيْهَا مَعَ الْحَامِي ، فَوَجَدَ الشَّاهِدَ غَيْرَ حَاضِرٍ وَخَتَمَهُ عَلَيْهَا ، فَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ وَقَالَ : لَا يَفْكَ خَتَمَ الْعَدْلِ إِلَّا هُوَ ، وَنَحْنُ وَنَعُودُ فِي وَقْتِ حَضُورِهِ <sup>٢</sup> . انْتَهَى .

(a) زيادة من مسودة المواعظ . (b) زيادة من صبح الأعشى . (c) بولاق : فيعرض ويركب .

<sup>١</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥٧ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ والاعتبار ١٥٣ - ١٥٤ ؛ وقارن القلقشندي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨٤ .

<sup>٢</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٣١ - ١٣٢ ؛ المقرئزي : الفاطميين ٥٩ - ٦١ .



وكان الخليفة الأمير بأحكام الله تُحدثه نفسه بالسفر إلى المشرق والغارة على بغداد، فأعدَّ لذلك سُروجًا مجوَّفة القراييص، وبطنها بصفائح من قَصدير ليَجعل فيها الماء، ويجعل لها فَمًا فيه صُفارة، فإذا دَعَت الحاجةُ إلى الماء شَرِب منه الفارس، وكان كلُّ سُروجٍ منها يَسع سبعة أرطال ماء. وعمل عِدَّة مَخالٍ للخيل من دِياج وقال في ذلك:

[الطويل]

دَع اللُّومَ عَنِّي لَسْتُ مِنِّي بِمُوثِقٍ      فلا بُدُّ لي من صَدْمَةِ المُتَحَقِّقِ  
وَأَسْقِي جِيادِي من فُرَاتٍ وِدْجَلَةٍ      وَأَجْمَعُ شَعْلَ الدِّينِ بعد التَّفَرُّقِ<sup>(a)</sup>

وأول من أركب المتصرفين في دولته من خيوله بالمراكب الذهب في المواسم، العزيز بالله نزار بن المعز.

### خزائن الخيم

قال في كتاب «الدخائر»: وأخبرني سماء الرؤساء أبو الحسن علي بن أحمد بن مُدبِّر، وزير ناصر الدولة، قال: أخرج فيما أخرج من خزائن القصر عِدَّة لم تُحص من أعدال الخيم والمضارب والفازات والمسطحات والخزكاوات والحضون والقصور والشراعات والمشارع والفساطيط المعمولة من الديقي والمخمل والخشرواني والدياج الملكي والأرمني والبهنساوي والكردواني، والجيد من الحلبي، وما أشبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه.

ومن الشندس والطميم أيضًا: منها المقييل والمُسبَع والمخيل والمطوس والمطير، وغير ذلك من سائر صور<sup>(b)</sup> الوُحوش، والآدميين من سائر الأشكال والصور البديعة الرائعة. ومنها الساذج والمنقوش في ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها، من الأعمدة الملبسة أنابيب الفضة، والثياب المذهبة وغير المذهبة من سائر أنواعها وألوانها، والصفريات الفضة على أقدارها، والحيال الملبسة القطن والحرير، والأوتاد وسائر ما يُحتاج إليه من جميع آلاتها وعُدتها، المبطن جميعها بالديقي الطميم المذهب والخشرواني المذهب، وثياب الحرير الصيني والتشترى والمصمت<sup>(c)</sup> / والراحتج<sup>(d)</sup>

(a) بولاق: تفرق، ابن ميسر: تمزق. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: المضيب. (d) بولاق: الرجيج.

<sup>1</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ١١٢؛ المقرئ: اتعاظ الخنفا ٣: ١٣٢؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٤: ١٩٦، وانظر فيما يلي



والشرفي والشعري والديباج والمريش، وسائر أنواع الحرير من سائر الألوان وأنواعها كبارًا وصغارًا، منها ما يُحتمل خرقه وأوتاده وعمده وسائر عدته على عشرين بغيرًا ودون ذلك وفوقه. فالمسطح بيت مُربّع له أربعة حيطان وسقف بستة أعمدة، منها عمودان للحائط الواحد المرفوع للدخول والخروج. والخيمة ظهرها حائط مُربّع، وسقيفتها إلى الباب حائط مُربّع، وأركانها شوازيك من الجانبين على قدر القائم، وفيها أربعة أعمدة: اثنان في الباب، واثنان في وسطها. وكلما زادت زاد عمدها وسقفها، ولها خدان مشوّزكان<sup>(a)</sup> من الجانبين. والشراع حائط في الظهر بسقف<sup>(b)</sup> على الرأس بعمودين، من أي موضع دارت الشمس حوّل إلى ناحية الشمس. والمشرّعة فيه مثل المظلة على عمود واحد تام وشراع سايل خلفها، من أي موضع دارت الشمس أدير والقبة على حالها.

وحدثني أبو الحسن علي بن الحسن الخيمي قال: أخرجنا في جملة ما أُخرج من خزائن القصر أيام المارقين، حين اشتدت المطالبة على السلطان، فسطاطًا كبيرًا أكبر ما يكون، يُسمى «المدوّرة الكبيرة»، يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعًا بالكبير، ودائر فلكتيه عشرون ذراعًا، وقطرها ستة أذرع وثلاثا ذراع، ودائرته خمس مائة ذراع، وعدة قطع خرقه أربع وستون قطعة كل قطعة منها تُحزم في عدل واحد يُجمع بعضه إلى بعض بغرّي وشراريب حتى يُنصب، تُحتمل خرقه وجباله وعدته على مائة جمل.

وفي صُفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطير مصرية، يحملها من داخلها قُضبان حديد من سائر نواحيها، تمتلئ ماء من راوية جمل، قد صوّر في زفره كل صورة حيوان في الأرض، وكل عقيد مליح وشكل ظريف. وفيه بأذهنج طوله ثلاثون ذراعًا في أعلاه. كان أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري أمر بعمله أيام وزارته فعمله الصنّاع - وعدّتهم مائة وخمسون صانعًا - في مدة تسع سنين، واشتملت النفقة عليه على ثلاثين ألف دينار. وكان عمله على مثال «القائول» الذي كان العزيز بالله أمر بعمله أيام خلافته، إلا أن هذا أعلى عمودًا منه وأوسع وأعظم وأحسن.

وكان الخليفة أنفذ إلى ممتلك الروم في طلب عمودين للفسطاط طول كل واحد منهما سبعون ذراعًا بعد أن غرّم عليهما ألف دينار: أحدهما في هذا الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة

(a) بولاق: مشروكان. (b) بولاق: مسقف.



أذرع ، والآخر حمّله ناصير الدولة بن حمدان حين خرّج على الخليفة المُستنصر بالله إلى الإسكندرية ، وما أذري ما فعل به .

قال : وأقمنا مُدّةً طويلةً في تفصيل بعضه من بعض ، وتقطيعه خِرْقًا وشُقُقًا قُوّمت على المذكورين بأقلّ القيم ، وتفرّق في الآفاق .

وقال لي أيضًا : أخرّجنا مُسطّحًا قلمونيًا مُحملاً موجّهاً من جانبه - عمِلَ بِنَيْسٍ للعزير بالله -  
يسمى دار البطح . وسطه تكنيس<sup>(a)</sup> على ستة أعمدة أربعة منها في أركان الكنيسة<sup>(b)</sup> (c) الأربعة ، وعمودان في وسطها وفي كل ركن من أركان الكنيسة قُبّة<sup>(c)</sup> وفي الأربعة الأركان أربع قباب ، ومن القُبّة إلى القُبّة رواق دائرٌ عليه والقباب دونه ، وفي كل قُبّة أربعة أعمدة ، طول كل عمود من أعمدة التكنيس<sup>(b)</sup> ثمانية عشر ذراعًا وكذلك طول قائم القباب . وفعلنا به مثل ما فعلنا بالأول<sup>(d)</sup> .

وقال لي : أخرّجنا مُسطّحًا عمِلَ للظاهر لإعزاز دين الله بِنَيْسٍ ، ذهب في ذهب طميم قائم  
على عمود ، له ست صفاري بلور ، وستة أعمدة فضّة ، أنفق عليه أربعة عشر ألف دينار<sup>(c)</sup> وأخرجنا  
عشرين مُسطّحًا مُضمّتًا من سائر ألوانه وأخرجنا مُسطّحًا دار بطيح أيضًا كبيرًا طميم<sup>(c)</sup> . ومُسطّحًا  
دقيقًا كبيرًا مُذهّبًا بدوائر كردواني منقوش .

وأخرجنا قُصُورًا تُحيط بالخيام ، بشرّفات من الخُمل والقلموني والدّيقى والدّياج الخشرواني ،  
والحرير من سائر أنواعه وألوانه<sup>(c)</sup> لا تُحصى كثرةً وأخرجنا عدّة حَمَامَاتٍ عمِلت للعزير من اللُّبُود  
الطالقانية والأدم<sup>(c)</sup> المُذهّبة المنقوشة ، بحياضها ودككها ومساطبها وقُدورها وزُجاجها وسائر  
عُدّها .<sup>(c)</sup> وأخرجنا من الخيام الدّيقى أكثر من خمس مائة قطعة ومن الحرير والسُنْدُس والطميم  
ما لا يُحدّ كثرةً<sup>(c)</sup> .

وأخرجنا من الخيام الكردواني شيئًا كثيرًا . وأخرجنا خيمة كبيرة مدوّرة كردواني مليحة  
النّقش والصنعة ، عدتها قطع كبيرة ، طول عمودها خمسة وثلاثون ذراعًا . فعلنا بجميعها مثل ما  
فعلنا بالأول .

وأخرج في جملتها الفُسطاط الكبير المعروف بـ « المدوّرة الكبيرة » ، المتولّي عمله بحلب أبو  
الحسن عليّ بن أحمد المعروف بابن الأيسر في سني نيف وأربعين وأربع مائة ، المنفق على خرقه  
ونقشه وعمله وعدته ثلاثون ألف دينار ، الذي عموده أطول ما يكون من صواري درامين الرّوم

(a) بولاق : بكنيس . (b) بولاق : الكنيس . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : في الأول .



البنادقة أربعون ذراعًا، ودائر فلكة عموده أربعة وعشرون شبرًا، ويُحتمل على سبعين جملًا، ووزن صُفْرِيته الفضة قنطاران سوى أنابيب عمده، ويتولّى إيقاف<sup>(a)</sup> عمده ونصبه مائتا رجل من قرّاش ومعين. وهو شبيه بالقاتول العزيزي، وسُمّي بالقاتول لأنه ما نُصِبَ قطّ إلا وقتل رجلًا أو رجلين ممن يتولّى إيقافه<sup>(b)</sup> من قرّاش وغيره.

قال: ووُجِدَ في خزائن مملوئة من سائر أنواع الصواني المدهونة ببغداد المذهّبة،<sup>(c)</sup> التي سعة كل واحدة منها من العشرة أشبار إلى ما دونها قد جعل في كل واحدة منها دونها في السعة<sup>(c)</sup> إلى ما سعته دون الدرهم ومن سائر أنواع الأطباق الخلنج<sup>(d)</sup> الرازي في هذه السعة، وفوق ذلك ودونه، قد حُشِيَتْ بطنونها بما دونها في السعة إلى ما سعته دون الدينار. ومن الموائد القوائم الصغار والكبار ألوف. ومن موائد الكرم وما أشبهها شيء كثير. ومن الجفان الجور الواسعة التي قد عُمِلَتْ مقابضها من الفضة، وحُلِيَتْ بأنواع الحلي التي لا يُقدّر الجمل القوي على حمل جفنتين منها لعظمتها، تُساوي الواحدة منها مائة دينار وفوقها ودونها شيء كثير.

ووُجِدَ من الذكك والمحارِب والأسيرة، العود والصنّدل والعاج والأبتوس والبقم شيء كثير مليخ الصنعة<sup>١</sup>.

وقال ابن ميسر: وعَمِلَ الأفضل ابن أمير الجيوش خيمة سَمَّاهَا «خيمة الفرح»، [ثم سُمِّيَتْ بالقاتول؛ لأنها إذا نُصِبَتْ يموت تحتها من القرّاشين واحدًا أو اثنان]<sup>(e)</sup>، اشتملت على ألف ألف وأربع مائة ألف ذراع، وقائمها ارتفاعه خمسون ذراعًا بذراع العمل. صرّف عليها عشرة آلاف دينار، ومدّحها جماعة من الشعراء<sup>٢</sup>.

(a) بولاق: إتقان. (b) بولاق: إتقانه. (c-c) ساقطة من بولاق. (d) بولاق: الخلع. (e) إضافة من ابن ميسر.

<sup>١</sup> كل هذا النص المنقول من كتاب «الذخائر والتحف» الأرب ٢٨: ٢٨٥؛ المقرئ: اتعاط الحنفا ٣: ٧٢-٧٣؛ غير موجود في القسم الذي وصل إلينا منه. وقارن القلقشندي: صبح الأعشى ٢: ١٣٨، ٣: ٤٧١.

<sup>٢</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ٨٥-٨٦؛ النويري: نهاية



## خِزَانَةُ الشَّرَابِ

قال ابنُ المأمون: ولم يكن في الإيوان فيما تقدم شرابٌ حلو، بل إنها قُررت في استقبال النظر المأموني، وأطلق لها من السكر مائة وخمسة عشر قِنطَارًا، وبرشم الوزد المرثي خمسة عشر قِنطَارًا. وأما ما يُستعمل بالكافوري من الخَلِين الفاسيد<sup>(a)</sup> والحامض<sup>(b)</sup> وقُفَف الثُقُولات<sup>(b)</sup>، فالمبلغ في ذلك - على ما حصره شاهده - في السنة ستة آلاف وخمسة مائة دينار. وما يُحتمل للكافوري أيضًا برشم كوك الماورد ما يستدعيه مُتَوَلِّي الشَّرَاب<sup>١</sup>.

وقال ابنُ الطَوِير: خِزَانَةُ الشَّرَابِ وهي أخذُ مجالسه أيضًا - يعني القاعة التي هي الآن المارستان العتيق - فإذا جلس الخليفة على السرير عَرَضَ عليه ما فيها حاميتها - وهو من كبار الأُستاذين - وشاهدها فيحضر إليه فَرَأَسُوهَا بين يدي مُستَخدمها من عُيُون الأَصْنَافِ العَالِيَةِ من المعاجين العجيبة في السكارج<sup>(c)</sup> الصُّيني والطِّيافير الخَلْج، فيذوق ذلك شاهدها بحضرتة، ويستخبر عن أحوالها بحضور أطباء الخاص.

وفيهما من الآلات والأزيار الصُّيني والبراني عِدَّةٌ عَظِيمَةٌ للوزد والبتفسيج والمُرسين، وأصناف الأدوية من الراوند الصُّيني وما يجري مجراه مما لا يُقدر أخذ على مثله إلا هناك، وما يدُخَل في الأدوية من آلات العطر إلى غير<sup>(c)</sup> ذلك. ويُسأل عن الذُّبَابِ الفاروق، ويأمرهم بتحصيل أصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع فِعْل<sup>(c)</sup> الحاصل منه، ويؤكد في ذلك تأكيدًا عظيمًا.

ويستأذن على ما يُطلق منها في رِقَاع، أطباء الخاص للجهات وحواشي القصر، فيأذن في ذلك، ويُعطى الحامي للترفة في الجماعة ثلاثين دينارًا<sup>٢</sup>.

## خِزَانَةُ التَّوَابِلِ

وقال ابنُ المأمون: فأما التَّوَابِلُ، العَالِي منها والدُّون، فإنها جُمْلَةٌ كثيرة، ولم يَقَع لي شاهدٌ بها، بل إنني اجتمعتُ بأحد من كان مُستَخدمًا في خِزَانَةِ التَّوَابِلِ فذَكَرَ أَنَّهَا تشتمل على خمسين

(a) بولاقي: الحلو الفانيد. (b-b) ساقطة من بولاقي. (c) ساقطة من بولاقي.

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٩٠. القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٢.

<sup>٢</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٠-١٣١، وقارن



ألف دينار في السنة ، وذلك خارج عما يُحمَل من البقوليات - وهي باب مُفرد - مع المستخدم في الكافوري<sup>١</sup> .

والذي استقرَّ إطلاقه على حُكم الاستيمار من الجرايات المختصة بالقصور والزواجب المستجدة ، والمُطلق من الطيب وتذكرة الطراز وما يُبتاع من الثُغور ويُستعمل بها ، وغير ذلك<sup>٢</sup> .

فأولها جِراية القصور وما يُطلق لها من بيت المال إدارًا لاستقبال النظر المأموني - ستة آلاف وثلاث مائة وثلاث وأربعون دينارًا . تفصيله : منديل الكُم الخاصّ الأميري في الشهر ثلاثة آلاف

دينار عن مائة دينار كلَّ يوم ، أربع جُمع ، الحَمَّام في كلَّ جمعة مائة دينار ، أربع مائة دينار . ويرسم الإخوة والأخوات والسَيِّدة الملكة والسَيِّدات ، والأمير أبي علي وإخوته ، والموالي

والمُستخدَمات ، ومن استجدَّ من الأفضليات : ألفان وتسع مائة وثلاثة وأربعون دينارًا . ولم يكن للقصور في الأيام الأفضليَّة من الطيب راتبٌ فيذكر ، بل كان إذا وصلت الهدية

والنجاوي<sup>٣</sup> من البلاد اليَمينيَّة تُحمَل برُمَّتها إلى الإيوان ، فيُنقل منها بعد ذلك للأفضل والطيب المُطلق للخليفة من جملتها . فانفتح هذا الحُكم ، وصار المرتب من الطيب مُياومةً ومُشاهرةً على ما

يأتي ذكره .

ما هو يرسم الخاصّ الشَّريف في كلَّ شهر : نَدَّ مثلث : ثلاثون مثقالًا ، عُود صيني<sup>٤</sup> : مائة وخمسة دَراهم ، كافور قديم : خمسة عشر درهماً ، عُنبر خام ، عشرة مثاقيل ، زَعفران عشرون

درهماً ، ماء وَزْد : ثلاثون رطلًا .

يرسم بِخُور المَجَلِس الشَّريف في كلَّ شهر في أيام السَّلام : نَدَّ مثلث عشرة مثاقيل ، عود صيني<sup>٥</sup> عشرون دِرهماً ، كافور قديم ثمانية دَراهم ، زَعفران شَعْر عشرة دَراهم .

ما هو يرسم بِخُور الحَمَّام في كلَّ ليلة جُمعة عن أربع جُمع في الشهر : نَدَّ مثلث أربعة مثاقيل ، عود صيني<sup>٦</sup> عشرة مثاقيل .

(a) بولاق : الجاوي . (b) بولاق : صيني .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٩٠ : المقرئزي : مسودة المواعظ ترجمته للوزير المأمون بن البطائحي في المقفى الكبير والاعتبار ١٦٠ : ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٤٤ . ٤٨٤ : ٦ .

<sup>٢</sup> من هنا يتفق نص الخطط مع ما أورده المقرئزي في <sup>٣</sup> انظر فيما يلي ٤٦٢ .



ما هو بِرَسْمِ السَّيِّدَاتِ وَالْجِهَاتِ وَالْأُخُوَّةِ فِي كُلِّ شَهْرٍ : نَدَّ مِثْلُ خَمْسَةِ وَثَلَاثُونَ مِثْقَالًا ، عُودٌ صِينِيٌّ<sup>(a)</sup> مِائَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا ، زَعْفَرَانٌ شَعْرٌ خَمْسُونَ دِرْهَمًا ، عَنَبْرٌ خَامٌ عِشْرُونَ مِثْقَالًا ، كَافُورٌ قَدِيمٌ عِشْرُونَ دِرْهَمًا ، مِسْكٌ خَمْسَةُ عَشْرَ مِثْقَالًا ، مَاءٌ وَزْدٌ أَرْبَعُونَ رَطْلًا .

ما هو بِرَسْمِ الْمَائِدَةِ الشَّرِيفَةِ مِمَّا تَتَسَلَّمُهُ<sup>(b)</sup> الْمُعَلِّمَةُ : مِسْكٌ خَمْسَةُ عَشْرَ مِثْقَالًا ، مَاءٌ وَزْدٌ خَمْسَةُ عَشْرَ رَطْلًا .

ما هو بِرَسْمِ خِزَانَةِ الشَّرَابِ الْخَاصِّ : مِسْكٌ ثَلَاثَةٌ مِثْقَالٌ ، نَدَّ / مِثْلُ سَبْعَةِ مِثْقَالٍ ، عُودٌ صِينِيٌّ<sup>(a)</sup> خَمْسَةُ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا ، مَاءٌ وَزْدٌ عِشْرُونَ رَطْلًا .

ما هو بِرَسْمُ بَخُورِ الْمَوَاكِبِ السَّنَةِ ، وَهِيَ الْجُمُعَتَانِ الْكَائِنَتَانِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِرَسْمِ الْجَامِعِينَ بِالْقَاهِرَةِ - يَعْنِي الْجَامِعَ الْأَزْهَرَ وَالْجَامِعَ الْحَاكِمِي - وَالْعِيدَانَ ، وَعِيدَ الْغَدِيرِ ، وَأَوَّلَ السَّنَةِ بِالْجَوَامِعِ وَالْمُصَلَّى : نَدَّ خَاصٌّ جَمَلَةٌ كَثِيرَةٌ لَمْ تَتَحَقَّقْ فَتُذَكَّرُ . وَلَمْ يَكُنْ لِلْعُرَّتَيْنِ : عُرَّةُ السَّنَةِ ، وَغُرَّةُ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَقَتْحُ الْخَلِيجِ ، بِخَوْزٍ فَيُذَكَّرُ .

وَعِدَّةُ الْمُبْخَرِينَ فِي الْمَوَاكِبِ سِتَّةٌ : ثَلَاثَةٌ عَنِ الْيَمِينِ ، وَثَلَاثَةٌ عَنِ الشَّمَالِ . وَكُلٌّ مِنْهُمْ مَشْدُودُ الْوَسَطِ ، وَفِي كُفِّهِ فَحْمٌ بِرَسْمِ تَعْجِيلِ الْمَدْخَنَةِ ؛ وَالْمَدَاخِنُ فِضَّةٌ . وَحَامِلُ الدَّرَجِ الْفِضَّةُ الَّذِي فِيهِ الْبَخُورُ أَحَدٌ مُقَدَّمِي بَيْتِ الْمَالِ ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الْمُبْخَرِينَ طَوْلَ الطَّرِيقِ ، وَيَضَعُ بِيَدِهِ الْبَخُورَ فِي الْمَدْخَنَةِ . فَإِذَا<sup>(c)</sup> مَاتَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الْمُبْخَرِينَ لَا يَتَّخِذُ عِوَضًا عَنْهُ إِلَّا مَنْ يَتَبَرَّعُ بِمَدْخَنَةِ فِضَّةٍ ؛ لِأَنَّ لَهُمْ رُشُومًا كَثِيرَةً فِي الْمَوَاسِمِ ، مَعَ قُرْبِهِمْ فِي الْمَوَاكِبِ مِنَ الْخَلِيفَةِ . مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي يَتَبَرَّعُ فِيهِ بِالْمَدْخَنَةِ يَرْجِعُ فِي حَاصِلِ بَيْتِ الْمَالِ . وَإِذَا تَوَفَّى حَامِلُهَا لَا تَرْجِعُ لَوْرَثَتِهِ .

وَعِدَّةٌ مَا يُبْخَرُ فِي الْجَوَامِعِ وَالْمُصَلَّى غَيْرَ هَؤُلَاءِ ، فِي مَدَاخِنِ كِبَارٍ فِي صَوَانِي فِضَّةٍ ، ثَلَاثُ صَوَانَ : فِي الْمِحْرَابِ إِحْدَاهُنَّ ، وَعَنِ يَمِينِ الْمَنْبَرِ وَشِمَالِهِ اثْنَتَانِ ، وَفِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَنْ تُقَامَ الصَّلَاةُ صِينِيَّةٌ رَابِعَةٌ .

وَأَمَّا الْبَخُورُ الْمُطْلَقُ بِرَسْمِ الْمَأْمُونِ فَهُوَ فِي كُلِّ شَهْرٍ : نَدَّ مِثْلُ خَمْسَةِ عَشْرَ مِثْقَالًا ، عُودٌ صِينِيٌّ سِتُونَ دِرْهَمًا ، عَنَبْرٌ خَامٌ سِتَّةَ مِثْقَالٍ ، كَافُورٌ ثَمَانِيَّةُ دِرَاهِمٍ ، زَعْفَرَانٌ شَعْرٌ عَشْرَةُ دِرَاهِمٍ ، مَاءٌ وَزْدٌ خَمْسَةُ عَشْرَ رَطْلًا<sup>١</sup> .

(a) بولاق : صيني . (b) بولاق : ما تستلمه . (c) بولاق : وإذا .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٩٠ - ٩٢ ؛ المقرئ : المقفى الكبير ٤٨٤ : ٦ - ٤٨٦ .



ومنها مُقَرَّرُ المَجَامِيعِ : وما قُرِّرَ من خِزَانَةِ التَّفْرِيقَةِ في كُلِّ يَوْمٍ اثْنَا عَشَرَ مَجْمَعًا ، كُلُّ بَيْتٍ عِيَارِهِ رَطْلٌ وَاحِدٌ . وَلِكُلِّ مَجْمَعٍ ثَلَاثَةُ أَرْطَالٍ جُبْنٌ تَشْوِيرٌ<sup>(a)</sup> ، وَفَاكِهَةٌ نِصْفُ دَرْهَمٍ . وَالمُسْتَقَرُّ لِهَذِهِ المَجَامِيعِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ اللَّبَنِ [الرَّائِبِ]<sup>(b)</sup> خَمْسَةٌ وَثَمَانُونَ رَطْلًا .

ومنها مُقَرَّرُ الحَلْوَى وَالفُسْتِيقِ ، وَمَا اسْتَعْجَدَ مَا يُعْمَلُ فِي الإِيْوَانِ بِرِسْمِ الخَاصِّ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الحَلْوَى اثْنَا عَشَرَ جَامًا رَطْبَةً وَيَابِسَةً نِصْفَيْنِ ، وَزَنُّ كُلِّ جَامٍ مِنَ الرُّطْبِ عَشْرَةُ أَرْطَالٍ وَمِنَ اليَابِسِ ثَمَانِيَةُ أَرْطَالٍ<sup>١</sup> .

وَمُقَرَّرُ الخُشْكِنَانِجِ وَالبَسَنْدُودِ : فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عَلَى الاستِمْرَارِ ، بِرِسْمِ الخَاصِّ الأَمْرِيِّ وَالمَأْمُونِيِّ ، قِنْطَارٌ وَاحِدٌ سُكَّرٌ ، وَمِثْقَالَانِ مِسْكٌ ، وَدِينَارَانِ بِرِسْمِ المُوْنِ لِعَمَلِ خُشْكِنَانِجِ وَبَسَنْدُودِ فِي قَعْبَاتٍ وَسِلَالٍ صَفْصَافٍ . وَيُحْمَلُ ثُلُثًا ذَلِكَ إِلَى القَصْرِ ، وَالثُّلُثُ إِلَى الدَّارِ المَأْمُونِيَّةِ<sup>٢</sup> .

قَالَ : وَجَرَّتْ مُفَاوِضَةٌ بَيْنَ مَتَوَلِّي بَيْتِ المَالِ وَدَارِ الفِطْرَةِ بِسَبَبِ الأَصْنَافِ ، وَمِنَ جَمَلَتِهَا الفُسْتِيقُ وَقِلَّةُ وَجُودِهِ وَتَزَايُدُ سَعْرِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَ رَطْلٌ وَنِصْفُ بَدِينَارٍ . وَقَدْ وَقَفَ مِنْهُ لِأَرْبَابِ الرُّسُومِ مَا حَصَلَ شَكْوَاهُمْ بِسَبَبِهِ . فَجَاوَبَهُ مَتَوَلِّي الدِّيْوَانِ بِأَنْ قَالَ : مَا تَمُّ مُوجِبُ الإِنْفَاقِ لِمَا هُوَ رَاتِبٌ مِنَ الدِّيْوَانِ . وَطَالَعَا المَقَامَ العَالِيَّ بِأَنَّهُ لَمَّا رَسَمَ لِهَـمَا ، ذَكَرَ جَمِيعَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مَا هُوَ مُسْتَقَرُّ الإِنْفَاقِ مِنَ قَلْبِ الفُسْتِيقِ ، وَالَّذِي يُطْلَقُ مِنْ حَاصِلِ<sup>(c)</sup> الخِزَانِ مِنْ قَلْبِ الفُسْتِيقِ إِذْرَارًا مُسْتَقَرًّا بِغَيْرِ اسْتِدْعَاءٍ وَلَا تَوْقِيعٍ ، مُيَاوِمَةٌ كُلُّ يَوْمٍ حِسَابًا فِي الشَّهْرِ الثَّامِ عَنْ ثَلَاثِينَ يَوْمًا : خَمْسٌ مِائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَثَمَانُونَ رَطْلًا ، وَفِي الشَّهْرِ النَاقِصِ عَنْ تِسْعَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا : خَمْسٌ مِائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَسِتُونَ رَطْلًا ، حِسَابًا عَنْ كُلِّ يَوْمٍ تِسْعَةَ عَشَرَ رَطْلًا وَنِصْفًا .

مِنَ ذَلِكَ مَا يَتَسَلَّمُهُ<sup>(d)</sup> الصُّنَاعُ الحَلَاوِيُونَ وَالمُسْتَخْدَمُونَ بِالإِيْوَانِ مِمَّا يُصْنَعُ بِهِ خَاصًّا ، خَارِجًا عَمَّا يُصْنَعُ بِالمَطَابِخِ الأَمْرِيَّةِ ، عَنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَامِ حَلْوَى خَاصًّا ، وَزَنُّهَا مِائَةٌ وَثَمَانِيَةُ أَرْطَالٍ : مِنْهَا رُطْبٌ سِتُونَ رَطْلًا ، وَيَابِسٌ وَغَيْرُهُ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَطْلًا مِمَّا يَصِلُ فِي يَوْمِهِ وَسَاعَتِهِ : مِنْهَا مَا يُحْمَلُ مَخْتَوْمًا بِرِسْمِ المَائِدَتَيْنِ الأَمْرِيَّتَيْنِ بِالبَاذْهَنْجِ وَالدَّارِ الجَدِيدَةِ ، اللَّتَيْنِ مَا يَحْضُرُهُمَا إِلَّا مِنْ كَثِيرَتِ مَنَزَلَتِهِ وَعَظُمَتِ وَجَاهَتِهِ ، جَامَانِ رَطْبًا وَيَابِسًا . وَمَا يُفَرَّقُ فِي العَوَالِيِّ مِنَ المَوَالِي وَالجِيهَاتِ ، عَلَى

(a) بولاق : قريش . (b) إضافة من المقفى . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : يستلمه .

<sup>٢</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٩٢ .

<sup>١</sup> المقرئوي : المقفى ٦ : ٤٨٧ .



أوضاع مختلفة ، تسع جامات . وما يُحتمل إلى الدار المأمونية ، يرسم المائدة بالدار دون السَّماط ، جام واحد تنمة المياومة المذكورة . ما يتسلمه مُقدّم الفرّاشين المُستخدَمين في خِدْمَة المائدة الشريفة التي تتولّاها المعلّمة بالقصور الزاهرة ، أربعة أرتال فُشْتَق . ما يستلمه الشاهد والمُشارف على المطابخ الآمرية ، ممّا يُصنّع فيها برسم الجامات الخلوى وغيره ، ممّا يكون على المدوّرة في الأسيطة المستمرة بقاعة الذهب في أيام السّلام وفي أيام الرّكوبات ومحلّول الرّكاب بالمناظر : أربعة أرتال . وما يستلمه الحاجّ مُقبِل الفرّاش يرسم المائدة المأمونية ممّا يُوصّله لِرمام الدار دون المطابخ الرجالية : رطلان .

الحكم الثاني يُطلق مُشاهرة - بغير توقيح ولا اشتدعاء - بأسماء كُبراء الجهات والمستخدمين من الأصحاب والخواشي في الخدم المميزة ، وهو في الشهر ثلاثة عشر رطلاً . والديوان شاهد بأسماء أربابه .

وما يُطلق من هذه الخزائن السعيدة بالاستدعاءات والمطالعات ويوقّع عليه بالإطلاق من هذا الصّنف في كلّ سنة على ما يأتي ذكره .

وما يُستدعى برسم التوسعة في الراتب ، عند تحويل الرّكاب العالي إلى اللؤلؤة مُدّة أيام النيل المبارك ، في كلّ يوم رطلان .

وما يُستدعى برسم الصّيام مُدّة تسعة وخمسين يوماً ، رجب وشعبان ، حساباً عن كلّ يوم رطلان : مائة وثمانية عشر رطلاً .

/وما يُستدعى لما يُصنّع بدار الفطرة في كلّ ليلة يرسم الخاصّ خُشْكَنانج لطيف وبسندود وجوازسّات وتواطيف ، ويحمل في سلال صنفصاف لوقته ، عن مُدّة أولها مستهلّ رجب وآخرها سلخ رمضان ، عن تسعة وثمانين يوماً : مائة وثمانية وسبعون رطلاً ، لكلّ ليلة رطلان ، ويسمّى ذلك بالتعبيّة .

وما يُستدعى صاحِب بيت المال ومُتولّي الديوان ، فيما يُصنّع بالإيوان الشّريف برسم الموالي الشريفة الأربعة : النبوي ، والعلوي ، والفاطمي ، والآمري - ممّا هو برسم الخاصّ والموالي والجهات بالقصور الزاهرة والدار المأمونية والأصحاب والخواشي - خارجاً عمّا يُطلق ممّا يُصنّع بدار الوكالة ، ويُفترق على الشهود والمتصدّرين والفقراء والمساكين ممّا يكون حسابه من غير هذه الخزائن : عشرون رطلاً قلب فُشْتَق ، حساباً لكلّ يوم مؤبّد منها خمسة أرتال .



ما يُسْتَدْعَى بِرِسْم لِيَالِي الْوَقُودِ الْأَزْبَعِ الْكَائِنَاتِ فِي رَجَبِ وَشَعْبَانَ<sup>١</sup>، مِمَّا يُعْمَلُ بِالْإِيْوَانِ بِرِسْمِ الْخَاصِّينَ وَالْقُصُورِ خَاصَّةً: عَشْرُونَ رَطْلًا، لِكُلِّ لَيْلَةٍ خَمْسَةَ أَرْطَالٍ.

وَأَمَّا مَا يُنْصَرَفُ فِي الْأَسْمِطَةِ وَاللِّيَالِي الْمَذْكُورَاتِ، فِي الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ بِالْقَاهِرَةِ وَالْجَامِعِ الظَّاهِرِيِّ بِالْقَرَافَةِ، فَالْحُكْمُ فِي ذَلِكَ يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْخَزَائِنِ، وَيَرْجِعُ إِلَى مُشَارِفِ الدَّارِ السَّعِيدَةِ. وَكَذَلِكَ مَا يَسْتَدْعِيهِ الْمُسْتَخْدَمُونَ فِي الْمَطَابِخِ الْأَمِيرِيَّةِ مِنَ التَّوَسِيعَةِ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ الْمَذْكُورِ فِي جَمَلَةٍ غَيْرِهِ، بِرِسْمِ الْأَسْمِطَةِ لِمُدَّةِ تِسْعَةِ وَعَشْرِينَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وَيَوْمًا<sup>٢</sup> سَلَخَهُ لِأَسْمَاطِ فِيهِ، وَفِي الْأَعْيَادِ جَمِيعِهَا بِقَاعَةِ الذَّهَبِ.

وَمَا يَسْتَدْعِيهِ النَّائِبُ بِرِسْمِ ضِيَاةٍ مِنْ الْأَمْرَاءِ فِي الْخِدْمِ الْكِبَارِ وَيَعُودُ إِلَى الْبَابِ، وَمِنْ يَرِدُ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الضُّيُوفِ.

وَمَا يَسْتَدْعِيهِ الْمُسْتَخْدَمُونَ فِي دَارِ الْفِطْرَةِ بِرِسْمِ فَتْحِ الْخَلِيجِ، وَهِيَ الْجَمَلَتَانِ الْكَبِيرَتَانِ فَجَمِيعُ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْخَزَائِنِ مُحَاسَبَتَهُ وَلَا ذِكْرَ جَمَلَتِهِ؛ وَالْمَعَامِلَةُ فِيهِ مَعَ مُشَارِفِ الدَّارِ السَّعِيدَةِ. وَأَمَّا مَا يُطَلَّقُ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ مِنْ هَذِهِ الْخَزَائِنِ فِي هَذِهِ الْوَلَائِمِ وَالْأَفْرَاحِ وَإِرْسَالِ الْإِنْعَامِ، فَهُوَ شَيْءٌ لَمْ تَتَحَقَّقْ أَوْقَاتُهُ وَلَا مَبْلَغُ اسْتَدْعَائِهِ أَنْهَى الْمَمْلُوكَانَ ذَلِكَ. وَلِلْمَعْجَلِيسِ فَضْلُ السُّمُومِ وَالْقُدْرَةُ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى<sup>٢</sup>.

### دَارُ التَّعْبِيَةِ

قَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ: دَارُ التَّعْبِيَةِ كَانَتْ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ تَشْتَمِلُ عَلَى مَبْلَغِ يَسِيرٍ، فَانْتَهَى الْأَمْرُ فِيهَا إِلَى عَشْرَةِ دَنَانِيرٍ كُلِّ يَوْمٍ، خَارِجًا عَمَّا هُوَ مَوْضَفٌ عَلَى الْبَسَاتِينِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَهُوَ النَّزْجِسُ وَالتُّوفَرِينُ<sup>(b)</sup> الْأَصْفَرُ وَالْأَحْمَرُ، وَالتَّحْلُ الْمَوْقُوفُ بِرِسْمِ الْخَاصِّ، وَمَا يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الْفَيْثُومِ وَتَغْرِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ.

وَمِنْ جَمَلَتِهَا تَعْبِيَةُ الْقُصُورِ لِلجِهَاتِ وَالْخَاصِّ وَالسَّيِّدَاتِ وَلِدَارِ الْوَزَارَةِ، وَتَعْبِيَةُ الْمَنَاطِرِ فِي الرُّكُوبَاتِ إِلَى الْجُمُعِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، خَارِجًا عَنْ تَعْبِيَةِ الْحَمَّامَاتِ وَمَا يُحْتَمَلُ كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الزَّهْرَةِ، وَبِرِسْمِ خِزَانَةِ الْكُشُورَةِ الْخَاصِّ، وَبِرِسْمِ الْمَائِدَةِ، وَتَفْرِقَةُ الثَّمَرَةِ الصَّيْفِيَّةِ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: النيوفران.

<sup>٢</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٩٢-٩٤.

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٥٢٢ - ٥٢٨.



الجهات والأمرء والمُستخدَمين والحواشي والأصحاب، وما يُحْمَلُ لدار الوزارَة والضُيوف وحاشية دار الوزارَة<sup>١</sup>.

### خِزَانَةُ الْأَدَمِ

قال: وأما الرّاتبُ من عند بركات الأدمي، فإنه في كلِّ شهر ثمانون<sup>(a)</sup> زَوْجًا أوطيئة، من ذلك: برشم الخاصّ ثلاثون زَوْجًا، برشم الجهات أربعون زَوْجًا، برشم الوزارَة عشرة أزواج خارجًا عن السّباعيات، فإنها تُستدعى من خِزَانَةِ الكُشْوَةِ، وفي كلِّ مؤسِم تكون مُذهبة<sup>٢</sup>.

### خَزَائِنُ دَارِ أَفْتَكِينَ

قال ابنُ الطُّوَيْرِ: وكانت لهم دارٌ كبرى يسكنها نصرُ الدَّوَلَةِ أَفْتَكِينَ الذي وافق نزار بن المُسْتَنْصِرِ بالإسكندرية، جعلوها برشم الخزن، فقيل: خَزَائِنُ دَارِ أَفْتَكِينَ. وتحتوي على أصنافٍ عديدة من الشَّمْعِ المحمول من الإسكندرية وغيرها، وجميع القلوب المأكولة من الفُسْتِقِ وغيره، والأغسال على اختلاف أصنافها، والسكر والقند والشَّيرج والزَّيْتِ.

فيُخْرَجُ من هذه الخزائن بيد حاميتها - وهو من الأُستاذين المميّزين - ومُشارفها - وهو من المعدّلين - راتبُ المطابخ خاصًا وعمامًا ليوم أو لأيام يُتَّفَقُ عليها<sup>(b)</sup> للمُستخدَمين ثم لأرباب التوقيعات من الجهات، وأرباب الرُّسوم في كلِّ شهر من أرباب الرُّتب، حتى لا يخرج عمًا يحتاجونه منها إلاّ اللّحم والخضراوات، فهي أبدًا معمورة بذلك. انتهى<sup>٣</sup>.

/خَبَرُ نِزَارِ وَأَفْتَكِينَ - لما مات الخليفة المُسْتَنْصِرِ بالله أبو تميم معدّ ابن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن عليّ بن الحاكم بأمر الله أبي عليّ منصور في ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجّة سنة سبع وثمانين وأربع مائة، بادَرَ الأفضَلُ شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي إلى القصر وأجلس أبا القاسم أحمد بن المُسْتَنْصِرِ في منصب الخِلافة ولقَّبه بـ «المُسْتَعْلِي بالله». وسَيَّر

(a) بولاق: ثمان. (b) بولاق: ينفق منها.

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٩٤؛ ابن عبد الظاهر: الروضة ٦: ٤٨٨.

البهية ٤٣؛ المقرئ: مسودة المواعظ والاعتبار ١٦٢. <sup>٣</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٤٢-١٤٣؛ المقرئ:

<sup>٢</sup> نفسه ٩٤؛ نفسه ٤٥؛ المقرئ: المقفى الكبير مسودة المواعظ ١٦١-١٦٢.



إلى الأمير نزار والأمير عبد الله والأمير إسماعيل أولاد المُستَنصِر فجاءوا إليه ، فإذا أخوهم أحمد - وهو أصغرهم - قد جلس على سرير الخِلافة ، فامتعضوا لذلك وشقَّ عليهم . وأمرهم الأفضل بتقبيل الأرض ، وقال لهم : قَبَلُوا الأرض لمولانا «المُستَغلي بالله» وبايعوه ، فهو الذي نصَّ عليه الإمام المُستَنصِر قبل وفاته بالخِلافة من بعده . فامتنعوا من ذلك وقال كلُّ منهم إنَّ أباه وَعَدَهُ<sup>a</sup> بالخِلافة .

وقال نزار : لو قُطعت ما بايعت مَنْ هو أصغر مِنِّي سِنًا ، وخطُّ والدي عندي بآني وليَّ عَهده وأنا أُحضره . وخرَج مُسرِعًا ليحضر الخطَّ ، فمضى لا يدري به أحدٌ ، وتوجَّه إلى الإسكندرية . فلما أبطأ مجيئه بعث الأفضل إليه ليحضر بالخطِّ ، فلم يعلم له خبرًا ، فأنزعج لذلك انزعاجًا عظيمًا .

وكانت نفرة نزار من الأفضل لأمر : منها أنه خرَج يومًا فإذا بالأفضل قد دخل من باب القصر وهو راكبٌ ، فصاح به نزار : انزل يا أرميَّ الجِنس ، فحقَّدها عليه ؛ وصار كلُّ منهما يكره الآخر .

ومنها أنَّ الأفضل كان يُعارض نزارًا في أيام أبيه ، ويستخفَّ به ، ويضع من حواشيه وأسبابه ، ويبيطش بعلمايه . فلما مات المُستَنصِر خافه لأنَّه كان رجلاً كبيرًا ، وله حاشية وأعوان ، فقدَّم لذلك أحمد بن المُستَنصِر بعدما اجتمع بالأمراء وخوَّفهم من نزار ، وما زال بهم حتى وافقوه على الإغراض عنه .

وكان من جملتهم محمود بن مصل ، فسير خفيَّةً إلى نزار ، وأعلمه بما كان من اتفاق الأفضل مع الأمراء على إقامة أخيه أحمد وإدارته لهم عنه . فاستعدَّ للمسير إلى الإسكندرية هو وابن مصل .

فلما فارق الأفضل ليحضر إليه بخطِّ أبيه ، خرَج من القصر مُتَنكرًا وسار هو وابن مصل إلى الإسكندرية وبها الأمير نصر الدولة أفتكين - أحدُ تماليك أمير الجيوش بذر الجمالي - ودخلا عليه ليلاً وأعلماه بما كان من الأفضل وتراميا عليه ، ووعدَّه نزار بأن يجعله وزيرًا مكانَ الأفضل فقبلهما أتمَّ قبول وبايع نزارًا ، وأحضر أهل الثغر لمبايعته فبايعوه ، ونعتَه بـ «المُصطفى لدين الله»<sup>١</sup> .

فبلغ ذلك الأفضل ، فأخذ يتجهَّز لمحاربتهم وخرَج في آخر المحرم سنة ثمانٍ وثمانين بعساكره وسار إلى الإسكندرية ؛ فبرز إليه نزار وأفتكين ، وكانت بين الفريقين عدَّة حروبٍ شديدةٍ انكسر

(a) بولاق : قد وعده .

<sup>١</sup> يؤكد إعلان نزار لنفسه إمامًا وتخليفة في الإسكندرية ظهور دينار جديد إلى النور عام ١٩٩٤م ، هو أول نموذج معروف من هذا النوع ، ضرب في الإسكندرية سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م في الوقت الذي ثار فيه نزار هناك . ويحمل هذا الدينار الكتابة التالية :  
(المصطفى لدين الله • ودعا الإمام نزار) =



فيها الأفضّل ورَجَعَ بمن معه منهزماً إلى القاهرة . فقوي نزار وأفتكين وصار إليهما كثيرٌ من العرب ، واشتدَّ أمرُ نزار وعظُم واستولى على بلاد الوجه البحري .  
 وأخذ الأفضّل يتجهز ثانياً إلى المسير لمحاربة نزار ، ودسَّ إلى أكابر العزبان ووجوه أصحاب نزار وأفتكين <sup>(a)</sup> من اشتمالهم إليه وسارَ وكانت بينه وبينهم وقعةٌ عظيمةٌ انهزمَ فيها نزار وأفتكين <sup>(a)</sup> ، وصاروا إلى الإسكندرية فنزلَ الأفضّل إليها وحاصرها حصاراً شديداً ، وألحَّ في مقاتلتهم ، وبعثَ إلى أكابر أصحاب نزار ووعدهم . فلما كان في ذي القعدة ، وقد اشتدَّ البلاءُ من الحصار ، جمعَ ابنُ مَصال ماله وفرَّ في البحر إلى جهة بلاد المغرب ، ففتَّ ذلك في عَضُد نزار وتبين فيه الانكسار . واشتدَّ الأفضّل وتكاثرت جموعه ، فبعثَ نزار وأفتكين إليه يطلبان الأمان منه فأمنهما ، ودخلَ الإسكندرية ، وقبضَ على نزار وأفتكين ، وبعثَ بهما إلى القاهرة . فأما نزار فإنه قُتلَ في القصر بأن أقيم بين حائطين بُنيا عليه فماتَ بينهما ، وأما أفتكين فإنه قتله الأفضّل بعد قدومه <sup>١</sup> .  
 ودارُ أفتكين هذه كانت خارج القصر ، وموضعها الآن حيث مدرّسة القاضي الفاضل <sup>٢</sup> وأدرّه بدزب ملوخيًا <sup>٣</sup> .

### جزائنة البُنود

«البُنود» هي الرايات والأعلام ، ويُشبه أن تكون هي التي يُقال لها في زَمِيننا «العصائب السلطانية» <sup>٤</sup> .

(a-a) ساقطة من بولاق .

النويري : نهاية الأرب ٢٨: ٢٤٤ - ٢٤٥ ؛ المقرئزي : اتعاط الحنفا ٣: ١١ - ١٣ ؛ المقفى الكبير ٢: ٢٢٨ - ٢٢٩ ؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٢٢٠ - ٢٢٤ ، وفيما تقدم ١٩٨ .

<sup>٢</sup> انظر فيما يلي ٢: ٣٦٦ .

<sup>٣</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ١٦٢ .

<sup>٤</sup> قارن ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار (ممالك مصر والشام) ٣٢ ، ٣٨ .

Daftary, F., «Hasan Sabbâh and the Origins of the Nizâri Ismâ'ili Movement» in *Medieval Ismâ'ili History and Thought*, Cambridge University Press 1996, p. 194  
 فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر (٢٢٢) .

<sup>١</sup> راجع خبر نزار وأفتكين كذلك عند ابن ميسر : أخبار مصر ٥٩ - ٦١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١٠: ٢٣٧ - ٢٣٨ ؛ ساويرس بن المقفع : تاريخ بطارقة الكنيسة ٢ / ٢٣٨ - ٢٤٤ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ١: ٤٠٧ ؛



وكانت خزانة البُنودِ مُلاصِقةً للقصر الكبير ومن حُقُوقه فيما بين قصر الشوك وباب العيد ، بناها الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله ، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع ، <sup>(a)</sup> على ما ذكر ابن أبي طي في «تاريخه» <sup>(a)</sup> .<sup>١</sup>

وكانت أيام الظاهر هذا سُكونًا وطُمأنينة ، وكان مُشتغلًا بالأكل والشرب والنزه وسماع الأغاني . وفي زمانه تأنق أهل مصر والقاهرة في اتِّخاذ المغاني <sup>(b)</sup> والرَّقاصات ، وبلغ من ذلك المبالغ العجيبة ، وأخذت له حَجَر <sup>(c)</sup> الممالك ، وكانوا يُعلِّمونهم فيها أنواع العلوم وأنواع آلة الحزب ، وصُنوف جيلها من الرماية والمطاعنة والمُسابقة وغير ذلك ، <sup>(d)</sup> ذكر ذلك ابن أبي طي في سنة ٤٢٧ (d) <sup>(d)</sup> .<sup>٢</sup>

وقال في كتاب «الدُّخائر والتُّحف» <sup>(d)</sup> وما كان بالقصر من ذلك «وهو جَمْعُ بعض المصريين مَجْهول المصنَّف وفيه فوائد جَمَّة ومنه نقلت ما نصّه <sup>(d)</sup> : ولما وهب السلطان - يعني الخليفة المُستَنصِر - لسعد الدولة المعروف بـ «سلام عليك» ، ما في خزانة البُنود من جميع المتاع والآلات وغير ذلك ، في اليوم السادس من صفر سنة إحدى وستين وأربع مائة ، حمل جميعه ليلاً . وكان فيما وجد/ سعد الدولة فيها ألف وتسع مائة ذرقة لمطي <sup>(e)</sup> ، إلى ما سوى ذلك من آلات الحزب وما سواه وغير ذلك من القُضب الفضة والذهب والبُنود وما سواه . وفي خلال ذلك سقط من بعض الفَرَّاشين نَقْطُ شمع يتوقد نارًا ، فصادف هناك أعدال كَثان ومتاعًا كثيرًا ، فاحترق جميعه . وكانت لتلك غَلَبَةٌ عَظيمة وخَوْفٌ شديد فيما يليها من القصر ودور العامة والأشواق <sup>(f)</sup> .<sup>٣</sup>

وأعلمني من له خبيرة بما كان في خزانة البُنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات والأمتعة والدُّخائر لا تُعرف <sup>(f)</sup> له قيمة عِظْمًا ، وأن المُستَفق فيها كل سنة من سبعين ألف دينار إلى ثمانين

(a-a) إضافة من المسودة ، وفي الأصول : قال ابن أبي طي : خزانة البُنود أنشأها الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع . (b) بولاق : الأغاني . (c) بولاق : حجرة . (d-d) إضافة من المسودة . (e) ساقطة من بولاق . (f) بولاق : يعرف .

<sup>١</sup> كانت خزانة البُنود تُكوّن القسم الأكبر من المباني التي

يحدّها اليوم من الشمال شارع قصر الشوق ومن الشرق امتداد

نفس الشارع ودرب القزازين ومن الجنوب عطفة القزازين . ويقسم

هذه المباني دُزب عليّ الدين الذي يخرقها من الشرق إلى الغرب

(راجع Fu'ad Sayyid, A., op. cit., pp. 268-69) .

<sup>٢</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ١٤١ .

<sup>٣</sup> الرشيد بن الزبير : الدخائر والتحف ٢٥١ ؛ المقرئزي :

مسودة المواعظ ١٤١ - ١٤٢ ، اتعاظ الحنفا ٢ : ٢٨٠ .



ألف دينار، من وقت دُخُولِ القَائِدِ جَوْهَرَ وبناء القَصْرِ من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاث مائة إلى هذا الوقت، وذلك زائد عن مائة سنة، وأنَّ جميعه باقٍ فيها على الأيام لم يتغيَّر، وأنَّ جميعه اختَرَقَ حتى لم يَبْقَ منه باقية ولا أثرٌ، وأنَّه اختَرَقَ في هذه الليلة من قرابات النَّقْطِ عشرات ألوف، ومن زَرَاقَاتِ النَّقْطِ أمثالها. فأما الدَّرَقُ والسيُوفُ والرِّمَاحُ والنُّشَابُ فلا تُحْصَى بوجه ولا سَبَبٍ، مع ما فيها من قُضْبِ الفِضَّةِ وثيابها المذهبة وغيرها، والبُنُودُ المَحْمَلَةُ، وسروج ولحم، وثياب الفَرَجِيَّةِ المصبَّغَاتِ والبَتَّادِينِ وغيرها، بعد أن أخذوا ما قَدَرُوا عليه، حتى لواء الحَمْدِ وسائر البُنُودِ وجميع العلامات والألوية والرَّيَّاتِ<sup>(a)</sup>.

وحدَّثني من أتق به<sup>(b)</sup> أيضًا أنه احترق فيها من السيُوفِ عَشْرَاتِ أُلُوفٍ وما لا يُحْصَى كثرةً، و<sup>(b)</sup> أنَّ السُّلْطَانَ بعد ذلك بِمُدَّةٍ طويلةٍ احتاج إلى إخراج شيءٍ من السُّلَاحِ لبعض مُهِمَّاتِهِ، فأخْرَجَ من خِزَانَةِ واحِدَةٍ - ممَّا بقي وسَلِمَ - خمسة عشر ألفَ سَيْفٍ مُجَوَّهَرَةٍ سوى غيرها. <sup>(c)</sup> حدَّثني بجميعة الأَجَلِ عَظِيمِ الدَّوْلَةِ متولِّي السُّرِّ الشَّرِيفِ<sup>(c)</sup> ١. انتهى.

وَجُعِلَتْ خِزَانَةُ البُنُودِ بعد هذا الحَرِيقِ حَبْسًا. وفيها يقول القاضي المَهْدَبُ بن الزُّبَيْرِ<sup>٢</sup> لما اغتَقِلَ بها، وكتبَ بها للكامل بن شاور:

[الطويل]

أَيَا صَاحِبِي سِجْنِ الخِزَانَةِ خَلِينَا  
وَقَوْلَا لَضَوْءِ الصُّبْحِ هَلْ أَنْتِ عَائِدٌ  
وَلَا تَيْأَسَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنْ أَرَى  
نَسِيمَ الصَّبَا يُرْسِلُ إِلَى كَيْدِي نَفْحَا  
إِلَى نَظْرِي أَمْ لَا أَرَى بَعْدَهَا صُبْحَا؟  
سَرِيعًا بِفَضْلِ الكَامِلِ العَفْوِ وَالصَّفْحَا

(a) ساقطة من بولاق. (b-b) ساقطة من الذخائر. (c-c) ساقطة من بولاق.

<sup>١</sup> الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ٢٥١-٢٥٢؛ المقرئزي: المسودة ١٤١-١٤٣؛ ونقل ابن عبد الظاهر هذا الخبر في الروضة البهية ٤٦-٤٧ وسبقه بالعبارة التالية: «ورأيت كتابًا ذكّر فيه جملة من الذخائر والهدايا والتحف وشيء من أخبار الدولة المصرية، قال: أخبرني عظيم الدولة صاحب الستر أن مبلغ ما كان....»

<sup>٢</sup> القاضي المهذب أبو محمد الحسن بن علي بن إبراهيم

الملقب بالقاضي المهذب بن الزبير، المتوفى سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م (العماد الكاتب: خريدة القصر (قسم مصر) ١: ٢٠٤-٢٢٥؛ ياقوت: معجم الأدباء ٩: ٤٧-٧٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢: ١٣١-١٣٨؛ ابن شاعر: فوات الوفيات ١: ٣٣٧-٣٤١؛ المقرئزي: المقفى الكبير ٣: ٣٤٦-٣٤٨).



وقال :

[الطويل]

أَيَا صَاحِبِي سِجْنِ الْخِزَانَةِ نَحَلِيَا      من الصُّبْحِ مَا يَتَدُو سِنَاهُ لِنَظِيرِي  
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَطْرَفِي سَاهِرًا      على طُولِ هَذَا اللَّيْلِ أَمْ غَيْرِ سَاهِرٍ ؟  
وَمَالِي مَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ إِذَا كُنَا      سَيَّوِي مَلِكِ الدُّنْيَا شُجَاعِ بْنِ شَاوِرِ ٥

واستمرت سِجْنًا لِلْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْأَعْيَانِ إِلَى أَنْ زَالَتِ الدَّوْلَةُ ، فَاتَّخَذَهَا مُلُوكُ بَنِي أُيُوبِ  
أَيْضًا سِجْنًا يُغْتَقَلُ فِيهِ الْأُمَرَاءُ وَالْمَمَالِكُ ٢ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا وَقَعَ بِهَا أَنَّ الْوَزِيرَ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ الْجَزَجْرَائِيَّ لَمَّا تَوَفَّى ، طَلَبَ الْوَزَارَةَ الْحَسَنُ بْنُ  
عَلِيٍّ الْأَنْبَارِيَّ فَأَجِيبَ إِلَيْهَا ، فَتَعَجَّلَ مِنْ سُوءِ التَّدْبِيرِ قَبْلَ تَمَامِهِ مَا قَوَّتَهُ مُرَادُهُ ، وَضَيَّعَ مَالَهُ  
وَنَفْسَهُ ٣ . وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ نَبَّغَ فِي أَيَّامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَخْوَانِ يَهُودِيَّانِ يَتَصَرَّفَانِ أَحَدُهُمَا فِي التُّجَارَةِ ،  
وَالْآخَرُ فِي الصَّرْفِ وَيَبِيعُ مَا يَحْمِلُهُ التُّجَارُ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَهُمَا أَبُو سَعْدِ إِبْرَاهِيمَ وَأَبُو نَصْرٍ هَارُونَ ابْنَا سَهْلِ  
التُّشْتَرِيِّ ، وَاشْتَهَرَ مِنْ أَمْرِهِمَا فِي الْبُيُوعِ وَإِظْهَارِ مَا يَخْضُلُ عِنْدَهُمَا مِنَ الْوَدَائِعِ الْخَفِيَّةِ لَمَنْ يُفْتَقَدُ مِنَ  
التُّجَارِ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ ، مَا يَنْشَأُ بِهِ جَمِيلُ الذِّكْرِ فِي الْآفَاقِ ، فَاتَّسَعَ حَالُهُمَا لِذَلِكَ .

وَاشْتَخَدَمَ الْخَلِيفَةُ الظَّاهِرُ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ أَبَا سَعْدِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَهْلِ التُّشْتَرِيِّ فِي ابْتِيَاعِ مَا يَخْتَاجُ  
إِلَيْهِ مِنْ صُنُوفِ الْأَمْتَعَةِ ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ فَبَاعَ لَهُ جَارِيَةً سُودَاءَ فَتَحَطَّى بِهَا الظَّاهِرُ وَأَوْلَدَهَا ابْنَهُ  
الْمُسْتَنْصِرَ . فَرَعَتْ لِأَبِي سَعْدٍ ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَقْضَتِ الْخِلَافَةَ إِلَى الْمُسْتَنْصِرِ وَلَدَهَا ، قَدَّمَتْ أَبَا سَعْدٍ  
وَتَخَصَّصَتْ بِهِ فِي خِدْمَتِهَا ٤ .

فَلَمَّا مَاتَ الْوَزِيرُ الْجَزَجْرَائِيُّ ، وَتَكَلَّمَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي الْوَزَارَةِ ، قَصَدَهُ أَبُو نَصْرٍ أَخُو أَبِي سَعْدٍ ،  
فَجَبَّهَ أَحَدُ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ مُؤَلَّمٍ ، فَظَنَّ أَبُو نَصْرٍ أَنَّ الْوَزِيرَ ابْنَ الْأَنْبَارِيِّ إِذَا بَلَغَهُ ذَلِكَ يُنْكَرُ عَلَى  
عُلامِهِ وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، فَجَاءَ مِنْهُ خِلَافٌ مَا ظَنَّهُ ، وَبَلَغَهُ عَنْهُ أَضْعَافُ مَا سَمِعَهُ مِنَ الْعُلامِ ، فَشَكَا ذَلِكَ ٥

٤ انظر كذلك ابن ميسر : أخبار مصر ٣-٥ ، ٢٥  
ناصر خسرو : سفرنامه ١٠٨-١٠٩ : النويري : نهاية الأرب  
٢٨ : ٢٢٥ : المقرئ : اتعاظ الخنفا ٢ : ١٩٥-١٩٦ ،  
Fishel, W. I., *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, N.Y. 1969,  
pp. 68-89.

١ هذا الخبر نقله المقرئ في المسودة عن ابن عبد الظاهر وهو  
موجود في الروضة الزاهرة ٤٧-٤٨ ، وانظر الأبيات عند محمد  
عبد الحميد سالم : شعر المهذب بن الزبير - تحقيق ودراسة ، القاهرة  
- هجر للطباعة والنشر ١٩٨٨ ، ١٨٢ ، ١٩٥ .

٢ المقرئ : مسودة المواعظ والاعتبار ١٤٤ .

٣ سيفصل المقرئ هذا الخبر بعد قليل .



إلى أخيه أبي سَعْدٍ وَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْوَزِيرَ مَتَغَيَّرَ النَّيَّةَ لِهَمَا . فَلَمْ يَفْتَضِرْ أَبُو سَعْدٍ عَنْ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَأَعْرَى بِهِ أُمَّ الْمُسْتَنْصِرِ مَوْلَاتِهِ ، فَتَحَدَّثَتْ مَعَ ابْنِهَا الْخَلِيفَةَ الْمُسْتَنْصِرِ فِي أَمْرِهِ حَتَّى عَزَلَهُ عَنِ الْوِزَارَةِ . فَسَعَى أَبُو سَعْدٍ عِنْدَ أُمَّ الْمُسْتَنْصِرِ لِأَبِي نَضْرٍ صَدَقَةَ بِنِ يَوْسُفِ الْفَلَاحِيِّ فِي الْوِزَارَةِ ، فَاسْتَوَزَّرَهُ الْمُسْتَنْصِرُ ، وَتَوَلَّى أَبُو سَعْدٍ الْإِشْرَافَ عَلَيْهِ ، وَصَارَ الْوَزِيرُ الْفَلَاحِيُّ مُنْقَادًا لِأَبِي سَعْدٍ تَحْتَ حُكْمِهِ .

وَأَخَذَ الْفَلَاحِيُّ يَعْمَلُ عَلَى ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَيُعْرِي بِهِ ، وَيَضَعُ عَلَيْهِ ذُنُوبًا<sup>٥</sup> ، وَيَذَكُرُ عَنْهُ مَا يُوجِبُ الْعُضْبَ عَلَيْهِ حَتَّى تَمَّ لَهُ مَا يُرِيدُ ، فَقُبِضَ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّوَاوِينِ أَمْوَالًا كَثِيرَةً مِمَّا كَانَ يَتَوَلَّاهُ قَدِيمًا ، وَأَلْزَمَهُ بِحَمْلِهَا ، وَنَوَّعَ لَهُ أَصْنَافَ الْعَذَابِ ، وَاسْتَصَفَى أَمْوَالَهُ وَهُوَ مَعْتَقِلٌ / بِخِزَانَةِ الْبُئُودِ ، ثُمَّ قَتَلَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْخَامِسِ مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ بِهَا<sup>١</sup> .

فَاتَّفَقَ أَنَّ الْفَلَاحِيَّ لَمَّا صُرِفَ عَنِ الْوِزَارَةِ ، اعْتَقِلَ بِخِزَانَةِ الْبُئُودِ حَيْثُ كَانَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ ثُمَّ قُتِلَ بِهَا . وَحُفِرَ لَهُ لِيُدْفَنَ فَظَهَرَ فِي الْحَفْرِ رَأْسُ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، قَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ فِيهِ الْقَتْلُ ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، هَذَا رَأْسُ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ أَنَا قَتَلْتَهُ وَدَفَنْتَهُ هَهُنَا ، وَأَنْشَدَ :

[الحنيف]

رُبُّ لِحْدٍ قَدْ صَارَ لِحْدًا مِرَازًا ضَاحِكًا مِنْ تَرَاحِمِ الْأَضْدَادِ

فَقُتِلَ وَدُفِنَ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ مَعَ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، فَقَدْ ذَلِكَ مِنْ غَرَائِبِ الْاِتِّفَاقِ<sup>٢</sup> .

١٥ ثُمَّ إِنَّ خِزَانَةَ الْبُئُودِ جُعِلَتْ مَنَازِلَ لِلْأَسْرَى مِنَ الْفَرِجِجِ الْمَآسُورِينَ مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ أَيَّامَ كَانَتْ مُحَارَبَةُ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ . فَأَنْزَلَ بِهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ الْأَسَازِيَّ بَعْدَ حُضُورِهِ مِنَ الْكَرْكِ ، وَأَبْطَلَ السُّجُنَ بِهَا . فَلَمْ يَزَالُوا فِيهَا بِأَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ . فَصَارَ لَهُمْ فِيهَا أَفْعَالٌ قَبِيحَةٌ وَأُمُورٌ مَنكَرَةٌ شَنِيعَةٌ مِنَ التُّجَاهُرِ بَيْنَ الْخَمْرِ ، وَالتُّظَاهُرِ بِالزُّنَا وَاللِّيَاطَةِ ، وَحِمَايَةِ مَنْ يَدْخُلُ إِلَيْهَا مِنْ أَرْبَابِ الدُّيُونِ وَأَصْحَابِ الْجَرَائِمِ وَغَيْرِهِمْ ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ - وَلَوْ جَلٌّ - عَلَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ صَارَ إِلَيْهِمْ وَاحْتَمَى بِهِمْ وَالسُّلْطَانُ يُغْضِي عَنْهُمْ لَمَّا يَرَى فِي ذَلِكَ مِنْ مُرَاعَاةِ الْمَصْلَحَةِ ، وَالسِّيَاسَةِ الَّتِي اقْتَضَاهَا الْحَالُ مِنْ مَهَادَنَةِ مُلُوكِ الْفَرِجِجِ .

(a) بولاق : ويصنع عليه ديونا .

<sup>١</sup> نقل المقرئ في هذا الخبر في مسودة المواظ ١٤٨ - هذا النص نسبة المقرئ في المسودة إلى ابن ميسر وهو موجود في أخبار مصر ٨ - ٩٩ والبيت المذكور لأبي العلاء المعري .

<sup>٢</sup> وهو مصدر غير معروف لنا .



وكان يسكن بالقرب منها الأمير الحاج آل ملك الجوكندار<sup>١</sup>، ويتلغفه ما يفعله الفيرنج من العظائم الشنيعة فلا يقدر على منعهم. وفحش أمرهم، فزفع الخبر إلى السلطان، وأكثر من شكايتهم غير مرة، والسلطان يتعافل عن ذلك إلى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان في أمرهم، فقال له السلطان: انتقل أنت عنهم يا أمير. فلم يسعه إلا الإغراض عن ذلك جملة، وعمّر داره التي بالحسنيّة والإسطنبول والجامع المعروف بجامع آل ملك والحمام والفندق<sup>٢</sup>، وانتقل من داره التي كان فيها بجوار خزانة البثود، وسكن بالحسنيّة إلى أن مات السلطان الملك الناصر في أخريات سنة إحدى وأربعين وسبع مائة.

وتنقل الملك في أولاده إلى أن جلس الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وضرب شورى على من يكون نائب السلطنة<sup>٣</sup> بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة - كما كانت العادة في ذلك مدة الدولة التركية - فأشير بتولية الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا<sup>٤</sup>، فتنصل من ذلك وأتى قبوله. فعرضت النيابة على الأمير الحاج آل ملك، فاستبشر وقال: لي شروط أشروطها على السلطان، فإن أجابني إليها فعلت ما يرسم به، وهي: ألا يفعل شيء في المملكة إلا برأيي، وأن يمتنع الناس من شرب الخمر، ويقام منار الشروع، ولا يعترض على أمر من الأمور فأجيب إلى ما سأل.

وأحضرت التشاريف، فأفيضت عليه بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبع مائة، وأصبح يوم السبت جالساً في دار النيابة من القلعة، وحكم بين الناس. وأول ما بدأ به أن أمر والي القاهرة بالثزول إلى خزانة البثود، وأن يختاط على جميع ما فيها من الخمر والفواحش، ويخرج الأسرى منها، ويهدمها حتى يجعلها دكا ويُسوي بها الأرض. فنزل إليها ومعه الحاجب في عدة وافرة، وهجموا على من فيها وهم آمنون، وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه - وقد اجتمع من العامة والغوغاء ما لا يقع عليه حصراً - فأراقوا منها خموراً كثيرة تتجاوز الحد في الكثرة، وأخرج من كان فيها من النساء البغايا وغيرهن من

<sup>١</sup> انظر عنه فيما يلي ٣١٠:٢ - ٣١١.

<sup>٢</sup> انظر عنها فيما يلي ٣١٠:٢.

<sup>٣</sup> عن نياة السلطنة انظر فيما يلي ٢١٥:٢.

<sup>٤</sup> الأمير بدر الدين جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي

المحاسن: المنهل ٥: ٢٢ - ٢٥، النجوم ١٠: ١٤٣.

ابن خليل بن عبد الله العجلي، المتوفى سنة ٥٧٤٦هـ



الشباب وأزباب الفساد، وقُبِضَ على الفِرِجِجِ والأزْمَنِ، وَهَدَمَهَا حتى لم يَبْقَ لها أثرٌ. ونُودِيَ في النَّاسِ فَحَكَرُوهَا، وَبَنُوا فِيهَا الدُّورَ وَالطَّوَّاحِينَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ، وَأَمَرَ بِالْأَسْرَى فَأُنزِلُوا بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَشْهَدِ النَّفِيسِيِّ بِجِوَارِ كَيْمَانَ مِصْرَ فَهَمَّ هُنَاكَ إِلَى الْآنَ، وَأَنْزَلَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ أَيْضًا بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ فَأَسْكَنُوا مَعَهُمْ.

وَطَهَّرَ اللَّهُ تِلْكَ الْأَرْضَ مِنْهُمْ، وَأَرَاخَ الْعِبَادَ مِنْ شَرِّهِمْ، فَإِنَّهَا كَانَتْ شَرًّا بُقْعَةً مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ: يُبَاعُ فِيهَا لَحْمُ الْخَيْزِيرِ عَلَى الْوَضْمِ كَمَا يُبَاعُ لَحْمُ الضَّأْنِ، وَيُعْضَرُ فِيهَا مِنَ الْخُمُورِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ حَضْرَهُ، حَتَّى يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُعْضَرُ بِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ جِرَّةٍ خَمْرٍ، وَيُبَاعُ فِيهَا الْخَمْرُ نَحْوَ اثْنَيْ عَشَرَ رَطْلًا بِدَرَاهِمٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْفُسُوقِ<sup>١</sup>.

### دَارُ الْفِطْرَةِ

١٠ قال ابن الطَّوَيْرِ: دَارُ الْفِطْرَةِ خَارِجُ الْقَصْرِ بِنَاهَا الْعَزِيزُ بِاللَّهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَاهَا، وَقَرَّرَ فِيهَا مَا يُعْمَلُ مِمَّا يُحْمَلُ إِلَى النَّاسِ فِي الْعِيدِ. وَهِيَ قُبَالَةَ بَابِ الدَّيْلَمِ مِنَ الْقَصْرِ الَّذِي يُدْخَلُ مِنْهُ إِلَى الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ.

وَيَكُونُ مَبْدَأُ الْإِسْتِعْمَالِ فِيهَا تَحْصِيلُ جَمِيعِ أَصْنَافِهَا مِنَ الشُّكْرِ وَالْعَسَلِ وَالْقُلُوبِ وَالزُّعْفَرَانِ وَالطَّيِّبِ وَالذَّقِيقِ، لِاسْتِقْبَالِ النُّصْفِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ كُلِّ سَنَةٍ لَيْلًا وَنَهَارًا، مِنْ الْخُشْكَنْجِ<sup>٢</sup> وَالْبَسَنْدُودِ، وَأَصْنَافِ الْفَانِيدِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ كَغَبُّ/ الْغَزَالِ، وَالْبِرِّمَازِ<sup>٣</sup>

٤٢٦:

رطل ثلاثة أواقٍ شيرج ويُعْجَنُ عَجْنًا قَوِيًّا وَيَتْرَكَ حَتَّى يَخْتَمِرَ، ثُمَّ يُقْرَصُ مُسْتَطِيلًا وَيَجْعَلُ فِي وَسْطِ كُلِّ وَاحِدَةٍ بِمِقْدَارِهَا مِنَ اللُّوزِ وَالسُّكْرِ الْمَدْقُوقِ الْمَعْجُونِ بِمَاءِ الْوَرْدِ الْمَطْيِيبِ، وَلِيَكُنَ اللُّوزُ مِثْلَ نِصْفِ السُّكْرِ، ثُمَّ تَجْمَعُ عَلَى الْعَادَةِ وَتَخْبَزُ فِي الْفَرْنِ وَتَرْفَعُ. (البغدادي: كتاب الطبخ ٧٨).

<sup>٣</sup> البرِّمَازِ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا الزُّمَازُودُ. مَعْرَبٌ، وَهُوَ الرِّمَاقُ الْمَلْفُوفُ بِاللَّحْمِ (المعرب ٢٢١). وَصِفَةُ عَمَلِهِ أَنْ يُؤْخَذَ الشَّوَاءُ الْحَارُّ الَّذِي قَدْ فُتِرَ وَهَجَّهَ وَيُقَطَّعُ وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ وَرَقُ النَّعْنَعِ وَيَسِيرُ مِنْ نَحْلِ وَلِيمُونَ مَمْلُوحٌ وَلَبَّ جَوْزٌ وَيُرَشُّ عَلَيْهِ يَسِيرُ مَاءٌ وَزِدٌ وَيُدَقُّ بِالسَّاطُورِ دَقًّا نَعِيمًا، وَلَا يَزَالُ =

<sup>١</sup> قَارَنَ الْمُقْرِيزِيُّ: مَسُودَةَ الْمَوَاعِظِ ١٤٤-١٤٨ الَّذِي أورد الخبر في روايتين واحدة منهما نقلًا عن كتاب «نزهة الناظر في سيرة السلطان الملك الناصر ومن ولي من أولاده»، لعَمَادِ الدِّينِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْيُوسُفِيِّ عَنْ نَسْخَةٍ بِخَطِّ الْمُؤَلِّفِ مِنْ فِصْلِ عِنَوَانِهِ «ذِكْرُ نِيَابَةِ الْحَاجِّ آلِ مَلِكٍ» وَهُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي الْجِزْءِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْكِتَابِ. وَانظُرِ الْمُقْرِيزِيُّ: السُّلُوكُ ٢: ٦٤٠-٦٤١، ابْنُ إِيَّاسٍ: بَدَائِعُ الزُّهُورِ ١/١: ٤٩٩-٥٠٠ وَفِيمَا يَلِي ٢: ٣٦.

<sup>٢</sup> الْخُشْكَنْجِ، وَيُرَدُّ أحيانًا الْخُشْكَنْكَانَ. فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ، هُوَ دَقِيقُ الْخَيْطَةِ إِذَا عَجِنَ بِشِيرِجٍ (الجوالقي: المعرب ١٨٢). وَصِفَةُ عَمَلِهِ أَنْ يُؤْخَذَ الدَّقِيقُ السَّمِيدُ الْفَائِقُ وَيَجْعَلُ عَلَى كُلِّ



والمُفَسَّق<sup>(a)</sup>، وهو شواير مثال الصنح .

والمُستَخدَمون يَزْفَعون ذلك إلى أماكن واسعة مصنونة ، فيحصل منه في الحاصل شيء عظيم هائل بيد مائة صانع : وللحلاويين مقدم ، وللخشكنايين آخر . ثم يُنَدب لها مائة فرّاش الحَمَل طيافير التفرقة على أبواب الرسوم ، خارجاً عن مرتب خدمتها من الفرّاشين الذين يحفظون رسومتها ومواعينها الحاصلة بالدائم ، وعدتهم خمسة .

فيحضر إليها الخليفة والوزير معه ، ولا يصحبه في غيرها من الخزائن لأنها خارج القصر وكلها للتفرقة . فيجلس على سريرها بها ، ويجلس الوزير على كرسي مُلَيّن<sup>(b)</sup> على عادته في النصف الثاني من شهر رمضان ، ويدخل معه قوم من الخواص ، ثم يُشاهد ما فيها من تلك الحواصل المعمولة المعبأة مثل الجبال من كل صنّف ، فيفرقها من رُبع قنطار إلى عشرة أرتال إلى رطل واحد وهو أقلها . ثم ينصرف الخليفة والوزير بعد أن يُنعم على مُستَخدميها بستين ديناراً .

ثم يُحضر إلى حاميتها ومشارفها الأذعية المعمولة المخرجة من «دَقَر المجلّس» ، كل دَعْوٍ لفريق فريق من خاص وغيره ، حتى لا يبقى أحد من أبواب الرسوم إلا واسمه وارد في دَعْوٍ من تلك الأذعية .

ويُنَدب صاحب الديوان الكتاب المسلمين في الديوان ، فيسيّرهم إلى مُستَخدميها ، فيسلم كل كاتب دَعْوًا أو دَعْوَيْن أو ثلاثة ، على كثرة ما تحويه وقلته ، ويؤمر بالتفرقة من ذلك اليوم ، فيقدّمون أبدًا مائتي طيفور من العالي والوسط والدون ، فيحملها الفرّاشون برقاع من كتاب الأذعية باسم صاحب ذلك الطيفور غلاً أو دناً ، وينزل اسم الفرّاش<sup>(c)</sup> بالدمع وعريفه حتى لا يضيع منها شيء ولا يختلط .

ولا يزال الفرّاشون يخرجون بالطيافير ملاءى ويدخلون بها فارغة ، فبمقدار ما تُحمَل المائة الأولى عبئت المائة الثانية ، فلا يفتّر ذلك طول التفرقة . فأجل الطيافير ما عدد خشكنايه مائة حبة ،

(a) بولاق : الفسق . (b) بجوارها في آياصوفيا : كذا . (c-c) ساقطة من بولاق .

= يسقي خللاً إلى أن يشربه جيداً . ويؤخذ الخبز السميد في نعنح طري ويعبأ فيه بعضه فوق بعض ثم يغطى أيضاً بالفائق الملبب فيخرج لُبابه ثم يُخشى من ذلك الشواء خشواً جيداً ويُقطع بالسكين قطعاً متوسطة مستطيلة . ويؤخذ بركن فخار يبل بالماء وينشف ويرش فيه ماء ورد ثم يفرش

فيه نعنح طري ويعبأ فيه بعضه فوق بعض ثم يغطى أيضاً بشيء من التنعع ويترك ساعة ويستعمل ويؤكل أيضاً بائناً فيكون طيباً (نفسه ٥٩) .



ثم إلى سبعين وخمسين . ويكون على صاحب المائة طَرْحَة فوق قَوَارِته <sup>١</sup> ، ثم إلى خمسين ، ثم إلى ثلاث وثلاثين ، ثم إلى خمس وعشرين ، ثم إلى عشرين . ونسبة منشور كل واحد على عدد خُشْكَنانه . ثم العبيد السودان بغير طَيافير ، كل طائفة يتسلمه لها عُرْفَاؤها في أفراد الخواص ، لكل طائفة على مقدارها ؛ الثلاثة الأفراد والخمسة والسبعة إلى العشرة . فلا يزالون كذلك إلى أن يَنْقُضي شهرُ رَمَضان ، ولا يفوت أحدًا شيء من ذلك ، ويتهاداه الناس في جميع الإقليم .

قال : وما يُتَّفَق في دار الفِطْرَة ، فيما يُفَرَّق على الناس منها ، سبعة آلاف دينار <sup>٢</sup> .

وقال ابنُ عبد الظاهر : دارُ الفِطْرَة بالقاهرة قِبالة مَشْهَد الإمام الحُسَيْن - عليه السلام - وهي الفُنْدُق الذي بناه الأمير سيفُ الدين بهادر الآن في سنة ست وخمسين وست مائة <sup>٣</sup> ؛ أول من رَتَّبها الإمامُ العزيزُ بالله ، وهو أول من سَنَّها .

١٠ وكانت الفِطْرَة - قبل أن ينتقل الأفضل إلى مصر - تُعْمَل بالإيوان وتفرَّق منه <sup>٤</sup> ؛ وعندما تحوَّل إلى مصر نقلَ الدَّواوين من القصر إليها ، واستجدَّ لها مكانًا قِبالة دار الملك ، إلا ديواني <sup>(a)</sup> المكاتبات والإنشاء فإنهما كانا بقُرب الدَّار ، ويتوصَّل إليهما من القاعة الكبرى التي فيها جلوسه <sup>٥</sup> .

١٥ ثم استجدَّ للفِطْرَة دارًا عُمِلت بعد ذلك ورَاقَة ، وهي الآن دارُ الأمير عزِّ الدين الأفرم بمصر قِبالة دار الوكالة <sup>٦</sup> ، وعُمِلت بها الفِطْرَة مُدَّة ، وفُرِّق منها إلا ما يَخُص الخليفة والجهات والسيدات

(a) بولاق : إيواني .

<sup>٣</sup> هذا تاريخ تدوين ابن عبد الظاهر لكتابه ، ولم يفرد سواء ابن عبد الظاهر أو المقرئ هذا الفندق بحديث مستقل ، وإنما أفرد المقرئ حديثًا لدار بهادر بجوار المشهد الحسيني التي يبدو أنها هي المقصودة (المقرئ : مسودة المواعظ ٣٩٨-٤٠٠ ، وفيما يلي ٦٧:٢-٦٨) .

<sup>٤</sup> أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ١٢٢ .

<sup>٥</sup> انظر فيما يلي ٥٧٤ ، ٢ : ٢٩١ .

<sup>٦</sup> كانت هذه الدار في الفسطاط وقد اشتراها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير مع دور أخرى وأخذ ما كان فيها من أنقاض ليبنى الخانقاه المنسوبة إليه سنة ٧٠٦هـ =

<sup>١</sup> قَوَارَة ج. قَوَارَات . ما قُوِّر من الثوب وغيره ، وما قطعت من جوانب الشيء (الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٦٠٠) . وكانت القَوَارَات تستخدم في تغطية الصواني ، يقول ابن المأمون : كان يستعمل في الطراز للولائم التي تتخذ برسم تغطية الصواني عدَّة من عراضي ديقي ، ثم قَوَارَات شرب تكون من تحت العراضي على الصواني مفتوح كل قَوَارَة منهن دون أربعة أشبار (فيما يلي ٥٤٣ : ٥) .

<sup>٢</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٤٣-١٤٦ ؛ المقرئ : مسودة المواعظ ١٧٣-١٧٤ ؛ وقارن القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٥٢٥ .



والمُستخدَمات والأُستاذين فإنه كان يُعمَل بالإيوان على العادة .

ولما توفِّي الأفضَل ، وعادت الدَّواوينُ إلى مواضعها ، أنهى خاصَّة الدَّولة رِيحان - وكان يتولَّى بيت المال - أن المكانَ بالإيوان يَضيق بالفِطْرة ، فأمره المأمون أن يجمع المهندسين ، ويقطع قِطعةً من إسْطَبَل الطَّارِمة يَتَّيحه دارَ الفِطْرة . فأنشأ الدَّارَ المذكورة قُبالة مَشْهَد الحُسَيْن ، والباب الذي بِمَشْهَد الحُسَيْن يُعرَف بِباب الدَّيْلَم ، وصارَ يُعمَل بها ما استجدَّ من رُشوم المواليد والوقودات .

وعُقِدَت لها جملتان : إحداهما وُجِدَت فسطِرت ، وهي عشرة آلاف دينار ، خارجًا عن جوارى المستخدمين . والجُملةُ الثانية فُصِّلَت فيها الأصنافُ ، وشَرَحَها : دَقِيقُ ألفِ حملة ، سُكَّر سبع مائة قِنطار ، قَلْبُ فُشْتُقِ سِتة قَناطير ، قَلْبُ لَوْز ثمانية قَناطير ، قَلْبُ بُنْدُق أربعة قَناطير ، تَمْر أربع مائة أُرْدَب ، زَيْب ثلاث مائة أُرْدَب ، خَلْ ثلاثة قَناطير ، عَسَل نَحْل خمسة عشر قِنطارًا ، شَيْرِج مائتا قِنطار ، حَطَب ألف ومائتا حملة ، سِمْسِم أُرْدَبان ، آنيسون أُرْدَبان ، زَيْت طَيِّب برِسم الوقود ثلاثون قِنطارًا ، ماء وَزْد خمسون رطلًا ، مِسْكَ خَمْس نَوافِج ، كَأْفور قَدِيم عشرة مِثاقيل ، زَعْفَران مطحون مائة وخمسون درهمًا . وييد الوَكِيل برِسم المواعين والبيض والسَّقائين وغير ذلك من المُون ، على ما يُحاسب به ، ويَرَفَع المخازيم <sup>١</sup> : خمس مائة دينار .

وَوَجِدْتُ بِحَطِّ ابن ساكن قال : كان المُرْتَبُ في دار الفِطْرة ولها ما يُذَكَّر ، وهو : زَيْت طَيِّب برِسم القناديل خمسة عشر قِنطارًا ، مَقاطِع سَكَنْدري برِسم القَوَّارات ثلاث مائة مَقطَع ، طَيافير جُدَّد برِسم السُّمَاط ثلاث مائة طَيِّفور ، شَمْع برِسم السُّمَاط وتوديع الأُمراء ثلاثون قِنطارًا ، أُجْرَة الصُّنَّاع ثلاثة مائة دينار ، جاري الحامي مائة وعشرون دينارًا ، جاري العامِل والمُشارِف <sup>٢</sup> مائة/ وثمانون دينارًا .

و[للمُشارِف] <sup>(b)</sup> شُقَّة دَيْقِي بياض حَريري ، ومُنْدِيل دَيْقِي كبير حَريري ، وشُقَّة سَقْلاطون أندلسي يلبسها قُدَّام الفِطْرة يوم حملها ، <sup>(c)</sup> ليفرَق طَيافير الفِطْرة على الأُمراء وأزباب الرُسومات

(a) ابن عبد الظاهر : المباشرين والعامِل . (b) إضافة من ابن عبد الظاهر . (c-c) ساقطة من ابن عبد الظاهر .

<sup>١</sup> مخزومة ج. مخازيم . نوع من الدفاتر يُحرق .

= الواقعة الآن في شارع الجمالية تجاه درب الأصفر (فيما يلي

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٢٦-٢٨ .

. (٤١٦:٢)



وعلى طبقات الناس ، حتى تعمّ الكبير والصغير والضعيف والقوي<sup>(c)</sup>. ويبدأ بها من أول رَجَب إلى آخر شهر<sup>(a)</sup> رَمَضَانَ .

ذِكْرُ مَا اخْتَصِرَ مِنْ صِفَةِ الطَّوَاغِيرِ<sup>(b)</sup> ١ : الأَعْلَى مِنْهَا طَيْفُور [مُشَوَّر]<sup>(c)</sup> فِيهِ مِائَةٌ حَبَّةٌ خُشْكَنَانِجٌ وَزَنْهَا مِائَةٌ رَطْلٌ ، وَخَمْسُ عَشْرَةَ قِطْعَةً خَلَاوَةٌ زَنْتِهَا مِائَةٌ رَطْلٌ ، سُكَّرٌ سُلَيْمَانِي وَغَيْرُهُ عَشْرَةُ أَرْطَالٍ ، قُلُوبَاتٌ سِتَّةُ أَرْطَالٍ ، بَسَنْدُودٌ عِشْرُونَ حَبَّةً ، كَعْكٌ وَزَيْبٌ وَتَمْرٌ قَنْطَارٌ ، جَمَلَةُ الطَّيْفُورِ ٥ ثَلَاثَةُ قَنَاطِيرٍ وَثَلَاثُ<sup>(d)</sup> وَيَحْمَلُهُ عِدَّةُ فَرَاشِينَ<sup>(d)</sup> إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ ، عَلَى قَدْرِ الطَّبَقَاتِ ، إِلَى عَشْرِ حَبَّاتٍ ٢ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي طَيِّ : وَعَمِلَ الْمُعِزُّ لِدِينِ اللَّهِ دَارًا سَمَّاهَا دَارَ الْفِطْرَةِ . فَكَانَ يُعْمَلُ فِيهَا مِنَ الْخُشْكَنَانِجِ وَالْحَلْوَاءِ وَالْبَسَنْدُودِ وَالْفَانِيدِ وَالْكَعْكِ وَالتَّمْرِ وَالبُنْدُقِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ أَوَّلِ رَجَبٍ إِلَى نِصْفِ رَمَضَانَ ، فَيَفْرَقُ جَمِيعَ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ النَّاسِ ، الْخَاصِّ وَالْعَامِّ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ فِي أَوَانٍ لَا تُسْتَعَادُ . وَكَانَ قَبْلَ لَيْلَةِ الْعِيدِ يَفْرَقُ عَلَى الْأَمْرَاءِ الْخِيُولَ بِالْمَرَكَبِ الذَّهَبِ وَالْخِلْعِ النَّقِيسَةِ وَالطَّرَازِ الذَّهَبِ ، وَالثِّيَابِ بِرِسْمِ النِّسَاءِ ٣ .

### المشهد الحُسَيْنِي

١٥ . قَالَ الْفَاضِلُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مُيَسَّرٍ : وَفِي شَعْبَانَ - سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ - خَرَجَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ بَعْسَاكِرَ جَمَّةٍ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَبِهِ سَكَمَانٌ<sup>(e)</sup> وَإِيلِغَازِي ابْنَا أَرْتُقَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَقَارِبِهِمَا وَرَجَالِهِمَا وَعَسَاكِرَ كَثِيرَةً مِنَ الْأَتْرَاكِ ، فَرَأَسَلَهُمَا الْأَفْضَلُ يَلْتَمِسُ مِنْهُمَا تَسْلِيمَ الْقُدْسِ إِلَيْهِ بِغَيْرِ حَرْبٍ ، فَلَمْ يُجِيبَاهُ لِذَلِكَ ، فَقَاتَلَ أَهْلَ<sup>(a)</sup> الْبَلَدِ ، وَنَصَبَ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ وَهَدَمَ مِنْهَا جَانِبًا ، فَلَمْ يَجِدَا بُدًّا مِنَ الْإِذْعَانِ لَهُ وَسَلَّمَاهُ إِلَيْهِ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمَا وَأَطْلَقَهُمَا ٤ . وَعَادَ فِي

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : ما اختص من صفة الطيافير ؛ المسودة : من وصف . (c) إضافة من ابن عبد الظاهر . (d-d) ساقطة من بولاق . (e) في النسخ : سكان .

١ عن الطيفورج. الطوافير، الطيافير، انظر فيما تقدم ٣٢٨ . قول ابن أبي طي مخالفا لما قاله ابن الطوير وابن عبد الظاهر  
٢ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢٩؛ المقرئزي: وهما أعلم منه بأخبار المصريين، وكل أهل بلد أعلم بأخباره . مسودة المواعظ ١٧٢ .  
٣ المقرئزي: مسودة المواعظ ١٧٤-١٧٥ وأضاف هنا: الكامل ١٠: ٢٨٢-٢٨٤، ٢٨٦؛ ابن خلكان: وفيات =  
٤ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ١٣٥؛ ابن الأثير:



عساكره وقد ملك القدس ، فدخَلَ عسقلان ، وكان بها مكانٌ دارسٌ فيه رأسُ الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فأخرجَه وعطَّرَه ، وحَمَلَه في سَفَطٍ<sup>١</sup> إلى أُجَلِّ دارِ بها ، وعَمَّرَ المَشْهَدَ ، فلَمَّا تَكَامَلَ حَمَلُ الأَفْضَلِ الرَّأْسِ الشَّرِيفِ على صَدْرِهِ ، وَسَعَى به مَاشِيًا إلى أن أَحَلَّهُ في مَقْرَه .  
وقيل إنَّ المَشْهَدَ الذي بعسقلان بناه أميرُ الجيوش بَدْرُ الجَمَالِي ، وَكَمَلَهُ ابنُه الأَفْضَلُ<sup>٢</sup> .  
وكان حَمَلُ الرَّأْسِ إلى القَاهِرَةِ من عَسْقَلَانَ ووضو له إليها في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وأربعين وخمسة مائة . وكان الذي وَصَلَ بالرَّأْسِ من عَسْقَلَانَ الأميرُ سَيْفُ المَمْلَكَةِ تَمِيمُ واليها كان ، والقاضي المُوْتَمَنُ ابنُ مِسْكِينِ مُشَارِفُهَا . وَحَصَلَ في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور<sup>٣</sup> .

= الأعيان ١ : ١٩١ ؛ النوري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢٤٦ - ٢٤٧ .  
أسطر من الخط الكوفي المزهر الدقيق بحرف بارز على الخشب :

«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿نَضْرُ مِنْ اللَّهِ وَتَقَّ قَرِيبٌ﴾  
لعبد الله ووليّه معدّ أبي تميم الإمام المُسْتَنْصِرِ بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الأكرمين صلاة باقية إلى يوم الدين . مِمَّا أَمَرَ بِعَمَلِ هَذَا المِثْبَرِ فَنَاهُ الشَّيْخُ الأَجَلِّ أميرُ الجيوش سَيْفُ الإِسْلَامِ ناصِرُ الإمام كَافِلُ قُضَاةِ المُسْلِمِينَ وهادي دُعاة المؤمنين أبو التَّجْمِ بَدْرُ المُسْتَنْصِرِي عَضُدُ اللَّهِ به الدِّينِ وَأَمْتَعُ بِطُولِ بَقَائِهِ أمير المؤمنين وأدام قُدْرَتَهُ وأعلى كَلِمَتَهُ للمَشْهَدِ الشَّرِيفِ بِشَرِّ عَسْقَلَانَ مَسْجِدِ مَوْلَانَا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما في شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة» .

وجاء في النص الثاني :

«.... وتقدّم بإنشاء هذا المِثْبَرِ بِرِشْمِ المَشْهَدِ الشَّرِيفِ الذي أنشأه ودَقَّنَ فيه هذا الرَّأْسَ في أشرف محلّة..... وأنفقَ على جميع ذلك من فَضْلِ ما أتاه الله من حُرِّ مَالِهِ وخَالِصِ ما مَلَكَه.... وكان إنشاء هذا المِثْبَرِ في سنة أربع وثمانين وأربع مائة» .

<sup>٣</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ٦٥ - ٦٦ ؛ المقرئزي : اتعاظ الخفا ٣ : ٢٢ والمقفي الكبير ٣ : ٦١٥ ، ومسودة المواعظ =

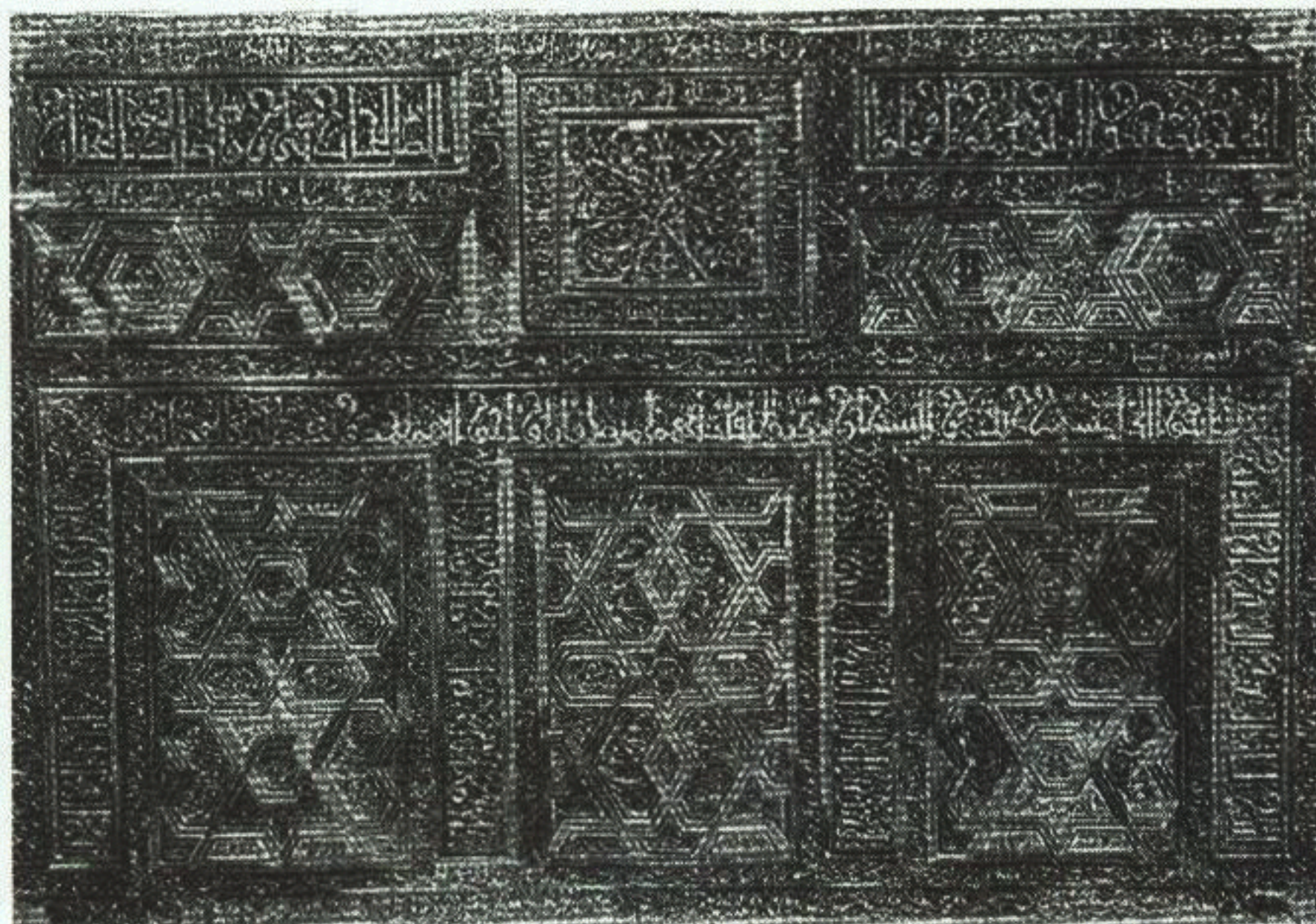
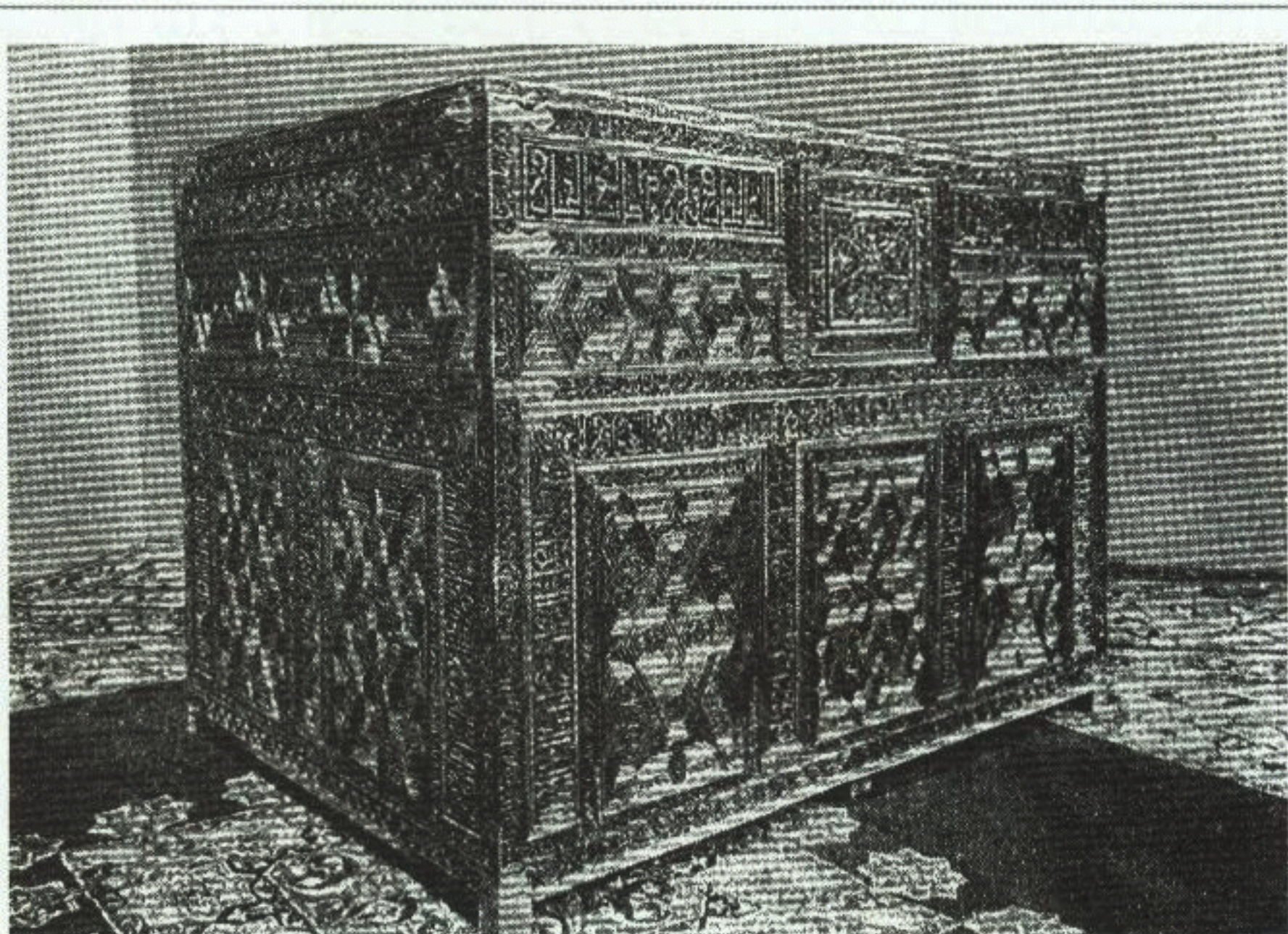
وعن الأرتقيين والأمير إيلغازي راجع ، ابن العديم ، زبدة الحلب ٢ : ١٨٠ - ١٩٨ ؛ Cahen, Cl., *El*<sup>2</sup> art. Artukides I, pp. 683-88; Sussheim, K., *El*<sup>2</sup> art. Ilghâzi III, p. 1146.

<sup>١</sup> سَفَطٌ ج. أسفاط . محرّكة كالجوالق أو كالفقفة (الفيروزآبادي : القاموس المحيط ٨٦٥) .

<sup>٢</sup> هذه الرواية التي شكّ فيها ابن ميسر - هي الرواية الصحيحة ، فتوجد على منبر جامع عسقلان - الموجود الآن في مدينة الخليل - كتابتان تاريخيتان تؤكدان أن أمير الجيوش بدر الجمالي هو الذي بنى مشهد عسقلان سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م في خلافة المستنصر بالله (راجع van Berchem, M., «La chaire de la mosquée d'Hébron», *Festschrift Eduard Sachau zum siebzigsten Geburtstage gewidmet Freunden und Schülern*, Berlin 1915, p. 131; Jaussen, J.-A., «Inscriptions coufiques de la chaire du martyr al-Husayn à Hébron», *Revue Biblique* (1923), pp. 575-95; Wiet, G., «Notes d'épigraphie syro-musulmanes», *Syria* V (1924), pp. 216-28; id., *RCEA* VII n° 2790-91; Grabar, O., *Ars Orientalis* VI (1966), pp. 29-30 n° 55) ؛ وفيما يلي نص إحدى الكتابتين وهي ستة



المَشْهَدُ الحِسيني



تابوت المَشْهَدِ الحِسيني (قبل سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٣م)

محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة



ويُذكَرُ أَنَّ هَذَا الرَّأْسَ الشَّرِيفَ لَمَّا أُخْرِجَ مِنَ الْمَشْهَدِ بِعَسْكَانٍ ، وَجِدَ دَمُهُ لَمْ يَجْفَ ، وَلَهُ رِيحٌ كَرِيحِ الْمِسْكِ ؛ فَقَدِمَ بِهِ الْأَسْتَاذُ مَكْتُونٌ فِي عُشَارِيٍّ مِنْ عُشَارِيَّاتِ الْخِدْمَةِ ، وَأَنْزَلَ بِهِ إِلَى الْكَافُورِيِّ ، ثُمَّ حَمَلَ فِي السَّرْدَابِ إِلَى قَصْرِ الزُّمُرْدِ ، ثُمَّ دُفِنَ عِنْدَ قُبَّةِ الدَّيْلَمِ بِيَابِ دِهْلِيْزِ الْخِدْمَةِ<sup>١</sup> .

فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْخِدْمَةَ يُقْبَلُ الْأَرْضَ أَمَامَ الْقَبْرِ ، وَكَانُوا يَنْتَحِرُونَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ عِنْدَ الْقَبْرِ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالغَنَمَ ، وَيَكْثُرُونَ النَّوْحَ وَالْبُكَاءَ ، وَيَسْتَبُونَ مِنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ . وَلَمْ يَزَالُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى زَالَتْ دَوْلَتُهُمْ .

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : مَشَّهَدُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ<sup>٢</sup> - قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ طَلَائِعَ بَنِ زُرَيْكٍ الْمَنْعُوتِ بِالصَّالِحِ ، كَانَ قَدْ قَصَدَ نَقْلَ الرَّأْسِ الشَّرِيفَةِ مِنْ عَسْكَانٍ لَمَّا خَافَ عَلَيْهَا مِنَ الْفَرِجِ ، وَبَنَى جَامِعَهُ خَارِجَ بَابِ زَوَيْلَةَ لِيَدْفِنَهُ بِهِ وَيَقُورُ بِهِذَا الْفَخَّارِ . فَغَلَبَهُ أَهْلُ الْقَصْرِ عَلَى ذَلِكَ وَقَالُوا : لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَنَا ، فَعَمَدُوا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وَبَنَوْهُ لَهُ وَنَقَلُوا الرَّحَامَ إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ الْفَائِزِ عَلَى يَدِ طَلَائِعٍ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ<sup>٣</sup> .

وَسَمِعْتُ مَنْ يَخْكِي حِكَايَةَ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى بَعْضِ شَرَفِ هَذِهِ الرَّأْسِ الْمُبَارَكَةِ<sup>٤</sup> ، وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَمَّا أَخَذَ هَذَا الْقَصْرَ ، وَوَشِيَ إِلَيْهِ بِخَادِمٍ لَهُ قَدَّرَ فِي الدَّوْلَةِ الْمِصْرِيَّةِ - وَكَانَ زِمَامَ الْقَصْرِ - وَقِيلَ إِنَّهُ يَعْرِفُ الْأَمْوَالَ الَّتِي بِالْقَصْرِ وَالذَّفَائِنِ ، فَأُخِذَ وَسُئِلَ ، فَلَمْ

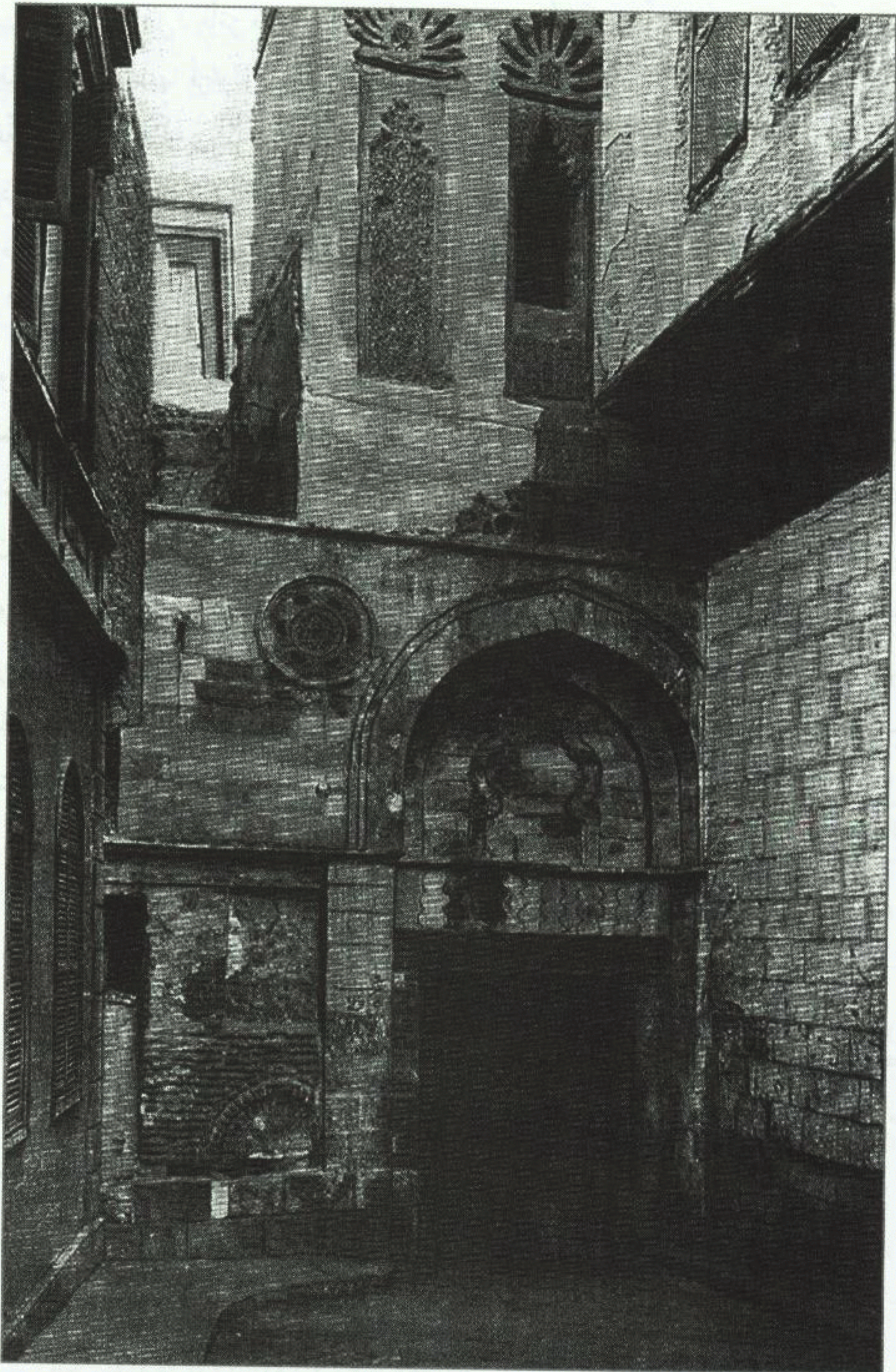
(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : هذا الرأس الكريم المبارك .

وأنكر ابن فضل الله العمري وصول رأس الحسين إلى مصر وقال : «والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق لأنه إنما حمل إلى يزيد بن معاوية ، وكانت دمشق دار ملكه وملك بني أمية . ومن المحال أن يتجاوز الرأس المحمول إلى السلطان لغير حضرته . وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس وفي خارجه مكان الرأس ، على ما ذكروا . وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن . والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان (مسالك الأبصار ٢١٩:١-٢٢٠) .

= ٣١٠-٣١١ ، وقارن القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ١١: ٢٦٤-٢٦٨ ؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ١: ٧٦-٨٣ ، De Smet, «La translation du Ra's al-Husayn au Caire fatimide», *Egypt and Syria in Fatimid, Ayyubide and Mamluk Eras*, Leuven 1999, II, pp. 29-44. Fu'ad Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 276-78.

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٠ ، ٧٤-٧٥ ؛ المقرئ : مسودة المواعظ ٣١٢ .





الباب الأخضر الذي حل محل باب الدئل  
والمؤدي إلى المشهد الحسيني



يُجب بشيءٍ وتجاهل . فَأَمَرَ صَلَاحُ الدِّينِ نُوَابِهِ بِتَعْذِيهِ ، فَأَخَذَهُ مُتَوَلِّي العُقُوبَةِ ، وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِهِ خَنَافِسَ ، وَشَدَّ عَلَيْهَا قُرْمُزِيَّةً - وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ أَشَدُّ العُقُوبَاتِ ، وَأَنَّ الإِنْسَانَ لَا يَطِيقُ الصَّبْرَ عَلَيْهَا سَاعَةً إِلَّا تَنَقَّبَ دِمَاغَهُ وَتَقَتَّلَهُ - فَفَعِلَ ذَلِكَ بِهِ مِرَازًا وَهُوَ لَا يَتَأَوَّهُ ، وَتَوَجَّدَ الخَنَافِسُ مَيِّتَةً ؛ فَعَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَأَحْضَرَهُ ، وَقَالَ : هَذَا سِيرٌ فِيكَ ، وَلَا بَدَّ أَنْ تُعَرِّفَنِي بِهِ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا سَبَّبَ هَذَا إِلَّا أَنِّي لَمَّا وَصَلْتُ رَأْسَ الإِمَامِ الحُسَيْنِ حَمَلْتَهَا ؛ قَالَ : وَأَيُّ سَبَبٍ<sup>(a)</sup> أَعْظَمَ مِنْ هَذَا ! وَرَاجِعْ فِي شَأْنِهِ ، فَغَفَا عَنْهُ<sup>٥</sup> .

وَلَمَّا مَلَكَ السُّلْطَانُ المَلِكُ النَّاصِرُ جَعَلَ بِهِ حَلَقَةَ تَدْرِيسٍ وَفُقَهَاءَ ، وَفَوَّضَهَا لِلْفَقِيهِ البَهَاءِ الدَّمَشْقِيِّ ، وَكَانَ يَجْلِسُ لِلتَّدْرِيسِ عِنْدَ المِحْرَابِ الَّذِي الصَّرِيحُ خَلَفَهُ . فَلَمَّا وَزَرَ مُعِينُ الدِّينِ حَسَنُ ابْنِ شَيْخٍ / الشُّيُوخِ بَنِ حَمَوِيهِ ، وَرُدَّ إِلَيْهِ أَمْرُ هَذَا المَشْهَدِ بَعْدَ إِخْوَتِهِ ، جَمَعَ مِنْ أَوْقَافِهِ مَا بَنَى بِهِ إِيوَانَ التَّدْرِيسِ الآنَ وَبُيُوتَ الفُقَهَاءِ العُلُويَةِ خَاصَّةً .

وَاحْتَرَقَ هَذَا المَشْهَدُ فِي الأَيَّامِ الصَّالِحِيَّةِ فِي سَنَةِ بَضْعِ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَكَانَ الأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ بَنِ يَغْمُورِ نَائِبًا عَنِ المَلِكِ الصَّالِحِ فِي القَاهِرَةِ . وَسَبَبُهُ أَنَّ أَحَدَ خُزَّانِ السَّمْعِ دَخَلَ لِأَخْذِ شَيْئًا فَسَقَطَتْ مِنْهُ شُعْلَةٌ ، فَوَقَّفَ الأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ المَذْكَورُ بِنَفْسِهِ حَتَّى طَفِيَ . وَأَنشَدَتْهُ حِينَئِذٍ فَقُلْتُ :

[الكامل]

قالوا تَعْصَبَ لِلْحُسَيْنِ وَلَمْ يَزَلْ	بِالنَّفْسِ لِلهَوْلِ المَخُوفِ مُعَرِّضًا
حَتَّى انْصَوَى ضَوْءَ الحَرِيقِ وَأَصْبَحَ الـ	مُسْوَدٌ مِنْ تِلْكَ المَخَافِ أَيْضًا
أَرْضَى الإِلَهَ بِمَا أَتَى فَكَأَنَّهُ	بَيْنَ الأَنَامِ بِفِعْلِهِ مُوسَى الرِّضَا <sup>٢</sup>

قَالَ : وَلِحَفَظَةِ الآثَارِ وَأَصْحَابِ الحَدِيثِ وَنَقْلَةِ الأَخْبَارِ مَا إِذَا طَوَّلَعَ وَقِفَ مِنْهُ عَلَى المَشْطُورِ ، وَعُلِمَ مِنْهُ مَا هُوَ غَيْرُ المَشْهُورِ . وَإِنَّمَا هَذِهِ البَرَكَاتُ مُشَاهِدَةٌ مَرثِيَّةٌ ، وَهِيَ بِصِحَّةِ الدَّعْوَى مَلِيَّةٌ ، وَالعَمَلُ بِالنِّيَّةِ<sup>٣</sup> .

(a) بولاق : سر .

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة ٣٠-٣١ ؛ المقرئبي :  
المسودة ٣١٢-٣١٣ ، المقفى الكبير ٣: ٦١٥-٦١٦ .  
<sup>٢</sup> نفسه ٣١-٣٢ ؛ نفسه ٣١٣ .  
<sup>٣</sup> المقرئبي : مسودة المواعظ ٣١٣ ، ولم ترد هذه الفقرة عند ابن عبد الظاهر وهي دليل على اعتماد المقرئبي على نسخة مخالفة من كتاب ابن عبد الظاهر مثل مواضع أخرى =



وقال في كتاب «الدَّرُّ النَّظِيمُ فِي أَوْصَافِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ»<sup>١</sup>: «وَمِنْ جُمْلَةِ مَبَانِيهِ: الْمَيْضَاءُ قَرِيبٌ مَشْهَدُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بِالْقَاهِرَةِ وَالْمَسْجِدِ وَالسَّاقِيَةِ، وَوَقَّفَ عَلَيْهَا أَرْضِي قَرِيبَ الْخَنْدَقِ ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ، وَوَقَّفَهَا دَارًا جَارِيًا، وَالْإِنْتِفَاعُ بِهَذِهِ الْمَثُوبَةِ عَظِيمٌ. وَلَمَّا هُدِمَ الْمَكَانُ الَّذِي بُنِيَ مَوْضِعُهُ مَقْدَنَةً، وَجِدَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ طِلْسَمٍ لَمْ يُعْلَمَ لِأَيِّ شَيْءٍ هُوَ، فِيهِ اسْمُ الظَّاهِرِ بْنِ الْحَاكِمِ وَاسْمُ أُمِّهِ رَصَدٌ»<sup>٢</sup>.

تَحْبِرُ الْحُسَيْنِ - هُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنْفٍ - بِنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ قُصَيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ ابْنَةُ<sup>٣</sup> رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَوُلِدَ لِخَمْسِ نَحْلُونَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ، وَقِيلَ سَنَةِ ثَلَاثٍ، وَعَقَّ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ سَابِعِهِ بِكَبْشٍ، وَخَلَقَ رَأْسَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُتَّصَدَّقَ بِزَنْتِهِ فِضَّةً، وَقَالَ: «أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟». فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: حَزْبًا. فَقَالَ: «بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ».

وَكَانَ أَشْبَهَ النَّاسَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ صَدْرِهِ، وَكَانَ فَاضِلًا ذَيِّتًا، كَثِيرَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ<sup>٤</sup>. وَقُتِلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، لِعَشْرِ نَحْلُونَ مِنَ الْحَرَمِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ «كَزْبَلَاءُ» مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ، وَيُعْرَفُ الْمَوْضِعُ أَيْضًا بِالطُّفِّ، قَتَلَهُ سِنَانُ بْنُ أَنَسِ النَّخَعِيِّ<sup>٥</sup>، وَقِيلَ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ مَذْجِجٍ، وَقِيلَ: قَتَلَهُ شَمِيرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ وَكَانَ أَبْرَصًا، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ خَوْلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْأَصْبَحِيِّ مِنْ حِمْيَرٍ حَزْرُ رَأْسِهِ وَأَتَى بِهِ<sup>٦</sup> عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَقَالَ:

(a) بولاق: بنت. (b) بولاق: اليحصبي. (c) ساقطة من بولاق.

٣: ٥٦٧-٦١٨، اعتمد فيها على ما ذكره ابن عبد البر في

الاستيعاب ١: ٣٩٢، ويحيى بن معين في التاريخ، والمسعودي: مروج الذهب ٣: ٢٤٨-٢٥٩؛ وانظر كذلك أبا الفرج الأصفهاني: الأغاني ١٦: ١٣٧-١٧٤ ومقاتل الطالبين ٧٨-٧٩، ٩٥-١٢٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٣: ٢٨٠-٣٢١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢: ٤٢٣-٤٢٩؛ *El<sup>2</sup> art. al-* Veccia Vaglieri, L., *Husayn b<sup>c</sup> Ali III*, pp. 632.

٤ المقيزي: المقفى الكبير ٣: ٥٦٨-٥٦٩.

= من الكتاب.

١ كتاب «الدَّرُّ النَّظِيمُ فِي أَوْصَافِ [فِي تَقْرِيبِ] الْقَاضِي الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ»، نَشَرَهُ أَحْمَدُ أَحْمَدُ بَدْوِي فِي الْقَاهِرَةِ، وَصَدَرَ عَنِ مَكْتَبَةِ نَهْضَةِ مِصْرَ سَنَةِ ١٩٥٩.

٢ لم أجد هذا النص فيما وصل إلينا من الكتاب.

٣ أخبار الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب سيّد الشهداء، كثيرة في كتب التاريخ، وأكتفي هنا بالإشارة إلى أهمها وما كان منها مصدرًا للمقريزي، فقد أفرد المقريزي ترجمة مطوّلة للإمام الحسين في كتاب المقفى الكبير



[الرجز]

أَوْقَرُ رِكَابِي فِضَّةً وَذَهَبًا      إِنِّي قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبَا  
قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ أُمًّا وَأَبَا      وَخَيْرَهُمْ إِذْ يُنْسَبُونَ نَسَبَا

وقيل قَتَلَهُ عُمَرُ<sup>(a)</sup> بن سَعْدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ ، وَكَانَ الْأَمِيرَ عَلَى الْخَيْلِ الَّتِي أَخْرَجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بن زِيَادٍ إِلَى قَتْلِ الْحُسَيْنِ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ عُمَرُ<sup>(a)</sup> بن سَعْدٍ ، وَوَعَدَهُ أَنْ يُؤَلِّيَهُ الرَّيَّ إِنْ ظَفِرَ بِالْحُسَيْنِ وَقَتَلَهُ<sup>١</sup> .

وقال ابنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ نِصْفَ النَّهَارِ ، وَهُوَ قَائِمٌ أَشَعَتْ أَغْبَرَ بِيَدِهِ قَارُورَةً فِيهَا دَمٌ ، فَقُلْتُ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا هَذَا ؟ قَالَ : « هَذَا دَمُ الْحُسَيْنِ لَمْ أَزَلْ أَلْتَقِطُهُ مِنْذُ الْيَوْمِ » . فَوَجِدَ<sup>(b)</sup> قَدْ قُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ<sup>٢</sup> .  
وهذا البَيْتُ زَعَمُوا قَدِيمًا لَا يُدْرَى قَائِلُهُ :

[الوافر]

أَتَزُوجُوا أُمَّةً قَتَلَتْ مُحْسِنًا      شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ !؟

وَقُتِلَ مَعَ الْحُسَيْنِ سَبْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا ، كُلُّهُمْ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ ، وَقِيلَ قُتِلَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَإِخْوَتِهِ ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا .

وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ بن أَبِي سُفْيَانَ - رضي الله عنه - <sup>(c)</sup> وَأَقْضَتِ الْإِمَارَةَ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ بن مُعَاوِيَةَ<sup>(c)</sup> فِي سَنَةِ سِتِينَ ، وَرَدَّتْ بَيْعَتُهُ<sup>(d)</sup> عَلَى الْوَلِيدِ بن عُقْبَةَ بِالْمَدِينَةِ لِأَخْذِ الْبَيْعَةِ عَلَى أَهْلِهَا . فَأُرْسِلَ إِلَى الْحُسَيْنِ بن عَلِيِّ وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ لَيْلًا ، فَأَتَى بِهِمَا فَقَالَ : يَا بَعَا . فَقَالَا : مِثْلُنَا لَا يُبَاعِعُ سِرًّا ، وَلَكِنَّا نُبَايِعُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ إِذَا أَصْبَحْنَا .

فَرَجَعَا إِلَى بَيْوتِهِمَا وَخَرَجَا مِنْ لَيْلِهِمَا إِلَى مَكَّةَ ، وَذَلِكَ لَيْلَةُ الْأَحَدِ لِلْيَلْتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ رَجَبٍ . فَأَقَامَ الْحُسَيْنُ بِمَكَّةَ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَسَوَّالًا وَذَا الْقِعْدَةَ ، وَخَرَجَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ يُرِيدُ الْكُوفَةَ بِكُتُبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا بَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بن زِيَادٍ مَسِيرَ الْحُسَيْنِ مِنْ مَكَّةَ ، بَعَثَ الْحُصَيْنَ بن تَمِيمِ التَّمِيمِيَّ صَاحِبَ شُرْطَتِهِ ، فَتَزَلَّ الْقَادِسِيَّةَ وَنَظَّمَ الْخَيْلَ مَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ جَبَلِ لَعْلَعٍ . فَتَلَّغَ الْحُسَيْنُ الْحَاجِزَ لَهُ عَنِ الْبِلَادِ ،

(a) بولاق : عمرو . (b) بولاق : فوجدته . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : بيعة يزيد .

<sup>١</sup> المقرئزي : المفضى الكبير ٣ : ٥٩١ ، ٥٩٢ - ٥٩٣ . <sup>٢</sup> نفسه ٧ : ٥٩١ - ٥٩٢ .



فَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ يُعَرِّفُهُمْ بِقُدُومِهِ مَعَ قَيْسِ بْنِ مُشَيْرٍ ، فَظَفِرَ بِهِ الْحُصَيْنُ ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَقَتَلَهُ .

وَأَقْبَلَ الْحُسَيْنُ يَسِيرَ نَحْوَ الْكُوفَةِ ، فَأَتَاهُ خَبِيرٌ قَتَلَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَخَبِرٌ قَتَلَ أُخِيهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، فَقَامَ حَتَّى أَعْلَمَ النَّاسَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : قَدْ خَذَلْنَا شَيْعَتَنَا ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ فَلْيَنْصَرِفْ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ ذِمَامٌ مِنَّا ، فَتَفَرَّقُوا حَتَّى بَقِيَ فِي أَصْحَابِهِ الَّذِينَ / جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ ، وَسَارَ فَأَدْرَكَتْهُ الْخَيْلُ ، وَهُمْ أَلْفٌ فَارِسٍ مَعَ الْحَزْرِيِّ بْنِ يَزِيدِ التَّمِيمِيِّ ، وَنَزَلَ الْحُسَيْنُ فَوَقَّفُوا تَجَاهَهُ وَذَلِكَ فِي نَحْرِ الظَّهْيِرَةِ ، فَسَقَى الْحُسَيْنُ الْخَيْلَ .

وَحَضَرَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُهُ ، وَخَرَجَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهَا مَعْذِرَةٌ إِلَى اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، إِنِّي لَمْ آتِكُمْ حَتَّى أَتْنِي كُتُبُكُمْ وَرُسُلُكُمْ : أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْنَا فَلَيْسَ لَنَا إِمَامٌ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى . وَقَدْ جِئْتِكُمْ فَإِنْ تُعْطُونِي مَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنْ عُهُودِكُمْ أَقْدِمَ مِضْرَكَكُمْ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِمُقَدَّمِي كَارِهِينَ انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه ، فَسَكَّتُوا ؛ وَقَالَ لِلْمُؤَذِّنِ : أقيم ، فَأَقَامَ ؛ وَقَالَ الْحُسَيْنُ لِلْحَزْرِيِّ : أَتُرِيدُ أَنْ تُصَلِّيَ أَنْتَ بِأَصْحَابِكَ ؟ قَالَ : بَلِ صَلُّ أَنْتَ وَتُصَلِّيَ بِصَلَاتِكَ ؛ فَصَلَّى بِهِمْ ، وَدَخَلَ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، وَانصرفت إلى مكانه .

ثُمَّ صَلَّى بِهِمُ الْعَصْرَ ، وَاسْتَقْبَلَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لِأَهْلِهِ يَكُنْ أَرْضَى لَكُمْ ؛ وَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ أَوْلَى بِبُيُوتِكُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ ، السَّائِرِينَ فِيكُمْ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ ، فَإِنْ أَنْتُمْ كَرِهْتُمْوْنَا وَجَهَلْتُمْ حَقَّنَا وَكَانَ رَأْيُكُمْ غَيْرَ مَا أَتْنِي بِهِ كُتُبُكُمْ وَرُسُلُكُمْ<sup>(a)</sup> ، انصرفت عنكم . فَقَالَ الْحَزْرِيُّ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَدْرِي مَا هَذِهِ الْكُتُبُ وَالرُّسُلُ الَّتِي تَذْكُرُ ؛ فَأَخْرَجَ خُزْجِينَ تَمْلُوءَيْنِ صُحُفًا فَنَشَرَهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ؛ فَقَالَ الْحَزْرِيُّ : إِنَّا لَسْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَتَبُوا إِلَيْكَ ، وَقَدْ أَمَرْنَا إِذَا نَحْنُ لَقِينَاكَ أَلَّا نُفَارِقَكَ حَتَّى نُقَدِّمَكَ الْكُوفَةَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ . فَقَالَ الْحُسَيْنُ : الْمَوْتُ أَدْنَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ لِيَنْصَرِفُوا فَرَكِبُوا ، فَمَنَعَهُمُ الْحَزْرِيُّ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ : تَكِلْتِكَ أُمَّكَ ، مَا تُرِيدُ ؟ فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُهَا مَا تَرَكَتُ ذِكْرَ أُمَّهِ بِالشَّكْلِ كَائِنًا مَنْ كَانَ ، وَاللَّهِ مَا لِي إِلَيْ ذِكْرِ أُمَّكَ مِنْ سَبِيلٍ إِلَّا بِأَحْسَنِ مَا تَقْدِيرُ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ : مَا تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ .

وَتَزَايِدُ<sup>(b)</sup> الْكَلَامُ ، فَقَالَ الْحَزْرِيُّ : إِنِّي لَمْ أُؤَمِّرْ بِقِتَالِكَ ، إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ لَا أُفَارِقَكَ حَتَّى أُقَدِّمَكَ<sup>(c)</sup>

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق وليدن : وتراد . (c) بولاق وليدن : أدخلك .



الكوفة ، فخذ طريقاً لا تُدخلك الكوفة ولا تزول إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد ، فلعل الله أن يأتي بأمرٍ يزرُقني فيه العافية من أن أُبتلى بشيءٍ من أمرك . فتياسر عن طريق العذيب والقادسية ، والحرّ يساره .

فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة إحدى وستين ، قديم عمر<sup>(a)</sup> بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف ، وبعث إلى الحسين رسولاً يسأله : ما الذي جاء به ؟ فقال : كتب إلي أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم ، فإذا كرهوني فأنا أنصرف عنهم .

فكتب عمر<sup>(a)</sup> إلى ابن زياد يُعرفه ذلك ، فكتب إليه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد ، فإن فعل رأينا فيه رأينا ، وإلا تمنعه ومن معه الماء .

فأرسل عمر<sup>(a)</sup> بن سعد خمس مائة فارس ، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء ، وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ، ونادى مُنادٍ : يا حسين ألا تنظر إلى<sup>(b)</sup> الماء ، لا ترون<sup>(c)</sup> منه قطرة حتى تموت عطشاً !

ثم التقى الحسين بعمر<sup>(d)</sup> بن سعد مراراً ؛ فكتب عمر<sup>(a)</sup> بن سعد إلى عبيد الله بن زياد :

«أما بعد ، فإن الله قد أطفأ الثائرة وجمع الكلمة . وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه ، أو أن نسيره إلى أي ثغر من الثغور شئنا<sup>(e)</sup> ، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده ، وفي هذا لكم رضى وللأمة صلاح .»

فقال ابن زياد لشير بن ذي الجوشن : اخرج بهذا الكتاب إلى عمر<sup>(a)</sup> ، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي ، فإن فعلوا فليبعث بهم ، وإن أبوا فليقاتلهم . فإن فعل فاشمعه له وأطع ، وإن أتى فأنت الأمير عليه وعلى الناس ، واضرب عنقه وابعث إلي برأسه ؛ وكتب إلى عمر<sup>(a)</sup> بن سعد :

«أما بعد ، فإنني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتفقد له عندي شافعاً . انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم

(a) بولاق : عمرو . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : لا ترى . (d) بولاق : بعمرو . (e) بولاق : شاء .

<sup>١</sup> العذيب . ماء بين القادسية والمغنية بينه وبين القادسية أربعة أميال (باقوت : معجم البلدان ٤ : ٩٢) .



واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم  
 وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قُتل حسين فأوطئ الخيل صدره  
 وظهره، فإنه عاق شاق قاطع ظلوم. فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء  
 السامع المطيع، وإن أنت أبيت فاعزّل جندنا، ونخل بين شمر وبين  
 العسكر. والسلام».

فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر، فأرسل إليهم الحسين: ما لكم؟ فقالوا: جاء  
 أمر الأمير بكذا؛ فاستمهلهم إلى غدوة.

فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون. فلما  
 صلى عمر<sup>a</sup> بن سعد الغداة يوم السبت - وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء - خرج فيمن معه. وعقباً  
 الحسين أصحابه - وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً - وركب ومعه مضعف بين  
 يديه وضعه أمامه، واقتل أصحابه بين يديه.

وأخذ عمر<sup>a</sup> بن سعد سهمًا فرمى به وقال: اشهدوا أنني أول من رمى الناس. وحمل أصحابه  
 فصرعوا رجلاً، وأحاطوا بالحسين من كل جانب، وهم يقتتلون قتالاً شديداً حتى انتصف  
 النهار، ولا يقدر أن يأتونهم إلا من وجه واحد. وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين.

وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين أن يكفوا عن القتال حتى يصلي، ففعلوا. ثم اقتتلوا بعد  
 الظهر أشد قتال، ووصل إلى الحسين وقد صرعت أصحابه، ومكث طويلاً، / من النهار كلما  
 انتهى إليه رجل من الناس رجع عنه وكرة أن يتولى قتله.

فأقدم<sup>b</sup> عليه رجل من كندة يقال له مالك، فضربه على رأسه بالسيف قطع البرنس وأذماه،  
 فأخذ الحسين دمه بيده فصبه في الأرض، ثم قال: «اللهم إن كنت حبيبت عنا النصر من  
 السماء، فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم من هؤلاء الظالمين».

واشدد عطشه فدنا ليشرب، فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فيه، فتلقى الدم بيده ورمى  
 به إلى السماء، ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه: «اللهم إنني أشكو إليك ما يصنع بابت بنت  
 نبيك؛ اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً».



فأقبل شمر في نحو عشرة إلى منزل الحسين، وحالوا بينه وبين رخله، وأقدم عليه وهو يحمل عليهم وقد بقي في ثلاثة، ومكث طويلاً من النهار، ولو شاءوا أن يقتلوه لقتلوه، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء. فنأدى شمر في الناس: ويحكم ما تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم<sup>(a)</sup>. فحملوا عليه من كل جانب، فضرب زُرعة بن شريك التميمي كفه الأيسر، وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو. فحمل عليه في تلك الحال سينان ابن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوق، وقال الخولي بن يزيد الأصبحي: اختز رأسه، فأزعد وضعف<sup>١</sup>.

فتزل إليه<sup>(b)</sup> وذبحه، وأخذ رأسه فدفعه إلى خولي، وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله، ومال الناس فانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء. ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربعون ضربة. ثم<sup>(c)</sup> نادى عمر<sup>(d)</sup> بن سعد في أصحابه: من يشتد للحسين فيوطئه فرسه؟ فاشتد عشرة فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره.

وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين رجلاً، ومن أصحاب عمر<sup>(d)</sup> بن سعد ثمانية وثمانين رجلاً غير الجزخي.

ودفن أهل الغاصرية من بني أسد الحسين بعد قتله بيوم<sup>٢</sup>، وبعد أن أخذ عمر<sup>(d)</sup> بن سعد رأسه ورعوس أصحابه، وبعث بها إلى ابن زياد، فأحضر الرعوس بين يديه، وجعل يثكث بقضيب ثنايا الحسين وزيد بن أرقم حاضر.

وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين، ثم رحل إلى الكوفة ومعه بنات<sup>(e)</sup> الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وعلي بن الحسين مريض، فأدخلهم على زياد. ولما مرّت زينب بالحسين صريعاً صاحت: يا محمداه هذا حسين بالعرء مزمّل بالدماء مقطّع الأعضاء، يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة! فأبكت كل عدو وصديق.

وطيف برأس الحسين في الكوفة<sup>(f)</sup> على خشبية، ثم أرسل بها إلى يزيد بن معاوية، وأرسل

(a) بولاق: أمكم. (b) بولاق: عليه. (c) بولاق: و. (d) بولاق: عمرو. (e) بولاق: ثياب. (f) بولاق: وطيف برأسه بالكوفة.



النساء والصُّبَّان وفي عُتْقِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَيَدِيهِ الْغُلَّ ، وَحَمَلُوا عَلِيَّ الْأَقْتَابَ .  
 فَدَخَلَ بَعْضُ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى يَزِيدَ ، فَقَالَ : أَبَشِّرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ أَمَكَّنَكَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ  
 وَعَدُوِّكَ ، قَدْ قُتِلَ وَوُجِّهَ بِرَأْسِهِ إِلَيْكَ . فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى جِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ ، فَوُضِعَ بَيْنَ  
 يَدَيْ يَزِيدَ فِي طَشْتٍ ، فَأَمَرَ الْغُلَامَ فَرَفَعَ الثُّوبَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ ، فَحِينَ رَأَاهُ خَمَّرَ وَجْهَهُ بِكُمِّهِ  
 كَأَنَّهُ يَشْتَمُ مِنْهُ رَائِحَةً ، وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانَا الْمُؤْنَةَ بِغَيْرِ مُؤْنَةٍ ﴿ كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ  
 أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [الآية ٦٤ سورة المائدة] .

قَالَتْ رِيًّا حَاضِنَةُ يَزِيدَ : فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَبِهِ رَدْعٌ مِنْ حِنَاءٍ . وَالَّذِي أَذْهَبَ نَفْسَهُ ، وَهُوَ  
 قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ، لَقَدْ رَأَيْتَهُ يَقْرَعُ ثَنَائِيهِ بِقَضِيْبٍ فِي يَدِهِ ، وَيَقُولُ أَيْبَاتًا مِنْ شِعْرِ ابْنِ الزُّبَيْرِ .  
 وَمَكَتَ الرَّأْسَ مَصْلُوبًا بِدِمَشْقٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ أُنْزِلَ فِي خَزَائِنِ السَّلَاحِ حَتَّى وَلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ  
 الْمَلِكِ الْمُلْكَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ ، فَجِيءَ بِهِ وَقَدْ نَحَلَ وَبَقِيَ عَظْمًا أَيْضًا ، فَجَعَلَهُ فِي سَفَطٍ وَطَيَّبَهُ ، وَجَعَلَ  
 عَلَيْهِ ثَوْبًا ، وَدَفَنَهُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ . فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، بَعَثَ إِلَى خَازِنِ بَيْتِ  
 السَّلَاحِ : أَنْ وَجِّهْ إِلَيَّ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّ سُلَيْمَانَ أَخَذَهُ وَجَعَلَهُ فِي سَفَطٍ ،  
 وَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ . فَلَمَّا دَخَلَتِ الْمُسَوَّدَةُ سَأَلُوا عَنْ مَوْضِعِ الرَّأْسِ <sup>(a)</sup> ، فَتَبَشَّرُوهُ وَأَخَذُوهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 مَا صُنِعَ بِهِ .

وَقَالَ السُّنْدِيُّ <sup>(b)</sup> : لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَيْهِ ، وَبُكَأُوها مُحْمَرَّتُهَا . وَعَنْ عَطَاءٍ  
 فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ [الآية ٢٩ سورة الدخان] قَالَ : بُكَأُوها مُحْمَرَّةٌ  
 أَطْرَافِهَا . وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ مُشْهَرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي جَدَّتِي قَالَتْ : كُنْتُ أَيَّامَ الْحُسَيْنِ جَارِيَةً شَابَّةً ،  
 فَكَانَتْ السَّمَاءُ أَيَّامًا كَأَنَّهَا عُلِقَتْ . وَعَنْ الزُّهْرِيِّ : بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمْ يَقْلَبْ حَجَرًا مِنْ أَحْجَارِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ  
 يَوْمَ قُتِلَ الْحُسَيْنُ إِلَّا وَجِدْتُ تَحْتَهُ دَمَ عَبِيطٍ .

وَيُقَالُ إِنَّ الدُّنْيَا أَظْلَمَتْ يَوْمَ قُتِلَ ثَلَاثًا ، وَلَمْ يَمَسَّ أَحَدٌ مِنْ زَعْفَرَانِهِمْ شَيْئًا فَجَعَلَهُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا  
 احْتَرَقَ . وَأَنَّهُمْ أَصَابُوا إِبِلًا فِي عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ يَوْمَ قُتِلَ ، فَتَحَرَّوْهَا وَطَبَّخَوْهَا فَصَارَتْ مِثْلَ الْعَلَقَمِ ، فَمَا  
 اسْتَطَاعُوا أَنْ يُسَيِّغُوا مِنْهَا شَيْئًا . وَرُوي أَنَّ السَّمَاءَ أَمْطَرَتْ دَمًا ، فَأَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ لَهُمْ مَلَانٌ دَمًا .  
 مَا كَانَ يُعْمَلُ فِي يَوْمِ عاشوراء - <sup>(c)</sup> أَوَّلُ مَنْ تَظَاهَرَ بِالْحُزْنِ فِي يَوْمِ عاشوراء مِنَ الْمُلُوكِ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ  
 أَحْمَدُ بْنُ بُوَيْهٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَمَرَ فِي عَاشِرِ الْحَرَمِ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةَ أَنْ يُغْلِقَ النَّاسُ

(a) بولاق : الرأس الكريمة الشريفة . (b) بولاق وليدن : السري . (c-c) هذه الفقرة ساقطة من بولاق وليدن .



بيعداد الحوانيت ويظهرها النياحة وتخرج النساء مُنتشرات الشعور مسودات الوجوه وقد شققن ثيابهن وهن يلطمن وينحن على الحسين، ففعل الناس ذلك وما قدر أحد على إنكاره. ومن حينئذ تناقل الناس هذا الفعل وعمل بمصر<sup>٥</sup>.

قال ابن زولاق في كتاب: «سيرة المعز لدين الله»: في يوم عاشوراء سنة ثلاث وستين وثلاث مائة، انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين قبر كلثم<sup>٥</sup> ونفيسة، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالنياحة والبكاء على الحسين - عليه السلام - وكسروا أواني السقائين في الأسواق، وشققوا الزوايا، وسبوا من يثيق في هذا اليوم، ونزلوا حتى بلغوا مسجد الرياح، ونازت عليهم جماعة من رعيئة أسفل. فخرج أبو محمد الحسين بن عمار - وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر - وأغلق الدرب ومنع الفريقين، ورجع الجميع، فحسّن موقع ذلك عند المعز. ولولا ذلك لعظمت الفتنة؛ لأن الناس قد غلقوا الدكاكين وأبواب الدور، وعطلوا الأسواق<sup>١</sup>.

وإنما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر، وقد كانت مصر لا تخلو<sup>٥</sup> في أيام الإخشيدية والكافورية من الفتن<sup>٥</sup> في يوم عاشوراء عند قبر كلثم<sup>٥</sup> وقبر نفيسة. وكان سودان كافور<sup>٥</sup> يتعصبون على الشيعة، ويتعلق السودان في الطرقات<sup>٥</sup> بالناس ويقولون للرجل: من خالك؟ فإن قال معاوية أكرموه، وإن سكت لقي المكروه، وأخذت ثيابه وما معه - حتى كان كافور قد وكل بالصخراء، ومنع الناس من الخروج<sup>٢</sup>.

وقال المسبّحي: وفي يوم عاشوراء - يعني من سنة ست وتسعين وثلاث مائة - جرى الأمر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الأسواق وخروج المنشدين إلى جامع القاهرة، ونزولهم مجتمعين بالتؤح والنشيد.

ثم جمّع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالتؤح والنشيد، وقال لهم: لا تُلزموا الناس أخذ شيء منهم إذا وقفتم على حوانيتهم، ولا تؤذوهم، ولا تتكسبوا بالتؤح والنشيد، ومن أراد ذلك فعليه بالصخراء.

(a) بولاق: كلثوم. (b) بولاق: لا تخلو منهم. (c) من الفتن ساقطة من بولاق وليدن. (d) بولاق وليدن: السودان وكافور. (e) آياصوفيا: الطرق.

<sup>٢</sup> نفسه ١: ١٤٦.

<sup>١</sup> المقرئزي: اتعاظ الحنفا ١: ١٤٥-١٤٦ ابن ميسر: أخبار مصر ١٦٤.



ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا، وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا السلف. فقَبَضُوا على رَجُلٍ، وتُودِي عليه: هذا جزاء من سب عائشة وزوجها ﷺ. (a) فاجتمع الزعاع والغوغاء معه وسبوا السلف (a) وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه ١.

وقال ابن المأمون: وفي يوم عاشوراء - يعني من سنة خمس عشرة وخمس مائة - عُيِي السُّمَاطُ بِمَجْلِسِ القَطَايَا من دار الملك بمصر - التي كان يسكنها الأفضل ابن أمير الجيوش - وهو السُّمَاطُ المَخْتَصُّ بعاشوراء، وهو يُعَبَّأُ في غير المكان الجاري به العادة في الأعياد، ولا يُعمَلُ مَدَوَّرَةٌ نَحْشَبُ بِلِ شُفْرَةٍ كَبِيرَةٍ من أَدَمَ، والسُّمَاطُ يعلوها من غير مَرافِعِ نُحَاسٍ، وجميع الزُّبَادِي أَجْبَانٍ وَسَلَاتِقٍ (b) ومخللات وجميع الخبز من شعير.

وخرج الأفضل من باب فزد الكتم، وجلس على بساط صوف من غير مشورة ٢، واستفتح المقرئون، واشتدعت (c) الأشراف على طبقاتهم، وحمل السُّمَاطُ لهم. وقد عُيِلَ في الصُّخْنِ الأوَّلِ الذي بين يدي الأفضل إلى آخر السُّمَاطِ عَدَسٌ أَسْوَدَ، ثم بعده عَدَسٌ مُصَفَّى إلى آخر السُّمَاطِ، ثم رُفِعَ وَقُدِّمَتْ صُحُونٌ بِجَمِيعِهَا عَسَلٌ نَحْلٌ ٣.

ولما كان يوم عاشوراء - يعني من سنة ست عشرة وخمس مائة - جَلَسَ الخَلِيفَةُ الأَمِيرُ بأحكام الله على باب الباذهنج - يعني من القصر - بعد قتل الأفضل وعود الأسمطة إلى القصر، على كُرْسِي جَرِيدٍ بغير مخدة، متلثماً هو وجميع حاشيته، فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الأمراء الكبار والصغار بالقراميز ٤، وأذن للقاضي والداعي والأشراف والأمراء بالسلام عليه، وهم بغير مناديل - (d) يعني عمائم (d) - ملثمون حفاة.

وعُيِي السُّمَاطُ في غير موضعه المعتاد، وجميع ما عليه نُجِبَ الشعير والحواضر على ما كان في الأيام الأفضلية. وتقدم إلى والي مصر والقاهرة بالألا يمكننا أحدًا من جمع ولا قراءة مضرع الحسين. وخرج

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: سلائط. (c) بولاق: واستدعي. (d-d) ساقطة من بولاق وليدن.

١ المسبحي: نصوص ضائعة ٢٣؛ المقرئ: اتعاط ٢: ٦٧. ٢ ابن المأمون: أخبار مصر ١٥. ٣ حاشية بخط المؤلف: المشور والمشورة - بكسر الميم - متكأ من أدم، وهي التي يقال لها في زمننا المدورة. (القاموس المحيط). ٤ القيرميز جد. قراميز. صبغ أرمني يكون من عصارة دود



الرَّسْمُ المَطْلُوقُ للمتصدِّرين والقُرَّاء الخاصَّ والوُعَاطِ والشُّعْرَاء وغيرهم على ما جرت به عادتهم<sup>١</sup>.  
 قال: وفي ليلة عاشوراء - من سنة سبع عشرة وخمسة مائة - اعتمد الأجلُّ الوَزيْرُ المَأْمُونُ  
 الوَزيْرُ<sup>(a)</sup> على السُّنَّةِ الأفضليَّةِ من المَضِيِّ فيها إلى التُّرْبَةِ الجيوشية، وحضور جميع المتصدِّرين  
 والوُعَاطِ وقُرَّاء القرآن إلى آخر الليل، وعَوْدَه إلى داره. واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل  
 ذلك، وجلس الخليفة على الأرض مثلثًا بزِيٍّ<sup>(b)</sup> الحُزْنِ، وحَضَرَ مَنْ شَرَفَ بالسَّلام عليه  
 والجُلُوس على السُّمَاط بما جرت به العادة<sup>٢</sup>.

قال ابن الطَّوَيْر: إذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن النَّاس، فإذا غلَا النَّهَارُ  
 رَكِبَ قاضي القضاة والشُّهود وقد غَيَّرُوا زِيَّهم - فيكونون كما هم اليوم - ثم صاروا إلى المشهد  
 الحُسَيْنِي - وكان قبل ذلك يُعْمَل في الجامع الأزهر - فإذا جلسوا فيه ومن معهم من قُرَّاء الحَضْرَةِ  
 والمتصدِّرين في الجوامع، جاء الوَزيْرُ فجلس صدرًا، والقاضي والدَّاعي من جانبيه، والقُرَّاء يقرأون  
 نَوْبَةً بنَوْبَةٍ، ويُتَشَدُّ قومٌ من الشُّعْرَاء غير شعراء الخليفة شعراء يَرْتُون به أهل البيت عليهم السَّلام.  
 فإن كان الوَزيْرُ رافضيًّا تغالَوْا، وإن كان سُنيًّا اقتصدوا<sup>٣</sup>. ولا يزالون كذلك إلى أن تمضي ثلاث  
 ساعات، فيستدعون إلى القصر بنقباء الرِّسائل، فيركب الوَزيْرُ وهو بمنديل صغير إلى داره،  
 ويدخل قاضي القضاة والدَّاعي ومن معهما إلى باب الذهب فيجدون الدَّهاليز قد فُرِشَتْ  
 مَسَاطِبُهَا بالحُضْر بَدَل البُسْط، ويُنصَب في الأماكن الخالية من المصاطب دِكْكَ لتَلْحَق  
 بالمساطب وتُفْرَش<sup>(c)</sup>، ويجدون صاحب الباب جالسًا هناك فيجلس القاضي والدَّاعي إلى جانبه،  
 والنَّاس على اختلاف طبقاتهم، فيقرأ القُرَّاء ويُتَشَدُّ المُتَشَدُّون أيضًا،<sup>(d)</sup> ثم يُفْرَش وَسَطُ القَاعَةِ  
 بالحُضْر المقلوبة ليس على وجوهها وإنما تخالف مقاربتها<sup>(d)</sup>، ثم يُفْرَش عليها «سِماطُ الحُزْنِ»  
 مقدار ألف زبدية من العَدَس والملوحات والمخللات والأجبان والألبان السَّاذجة والأغسال النَّعْلِ  
 والفطير والحُبْز المغيَّر لونه بالقصد. فإذا قَرَب الظُّهُرُ وَقَفَ صاحبُ الباب وصاحبُ المائدة،  
 وأَدْخَلَ<sup>(e)</sup> النَّاسَ للأكل منه. فيدخل القاضي والدَّاعي، ويجلس صاحبُ الباب نيابةً عن الوَزيْرِ،

(a) ساقطة من بولاق وليدن. (b) بولاق وليدن: يرى به. (c) بولاق: لتفرش. (d-d) ساقطة من بولاق  
 وليدن. (e) بولاق وليدن: أدخل.

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٣٥. <sup>٢</sup> حدث هذا التمييز منذ أن ولي الوزارة الوزير السني  
 رضوان بن ولحي سنة ٥٣١ هـ. <sup>٣</sup> نفسه ٥٩.



والمذكوران إلى جانبه<sup>٥</sup>، وفي الناس من لا يَدْخُلُ، ولا يُلْزَمُ أَحَدٌ بِذَلِكَ. فإذا فَرَّغَ الْقَوْمُ انْفصلوا إلى أَمَاكِنِهِمْ رُكْبَانًا بِذَلِكَ الزَّيْتِ الَّذِي ظَهَرُوا فِيهِ، وَطَافَ التُّوَّاحُ بِالْقَاهِرَةِ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَأَغْلَقَ الْبَيْعَاعُونَ حَوَانِيَتَهُمْ إِلَى جَوَازِ الْعَصْرِ، فَيَفْتَحُ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيَتَصَرَّفُونَ<sup>١</sup>.

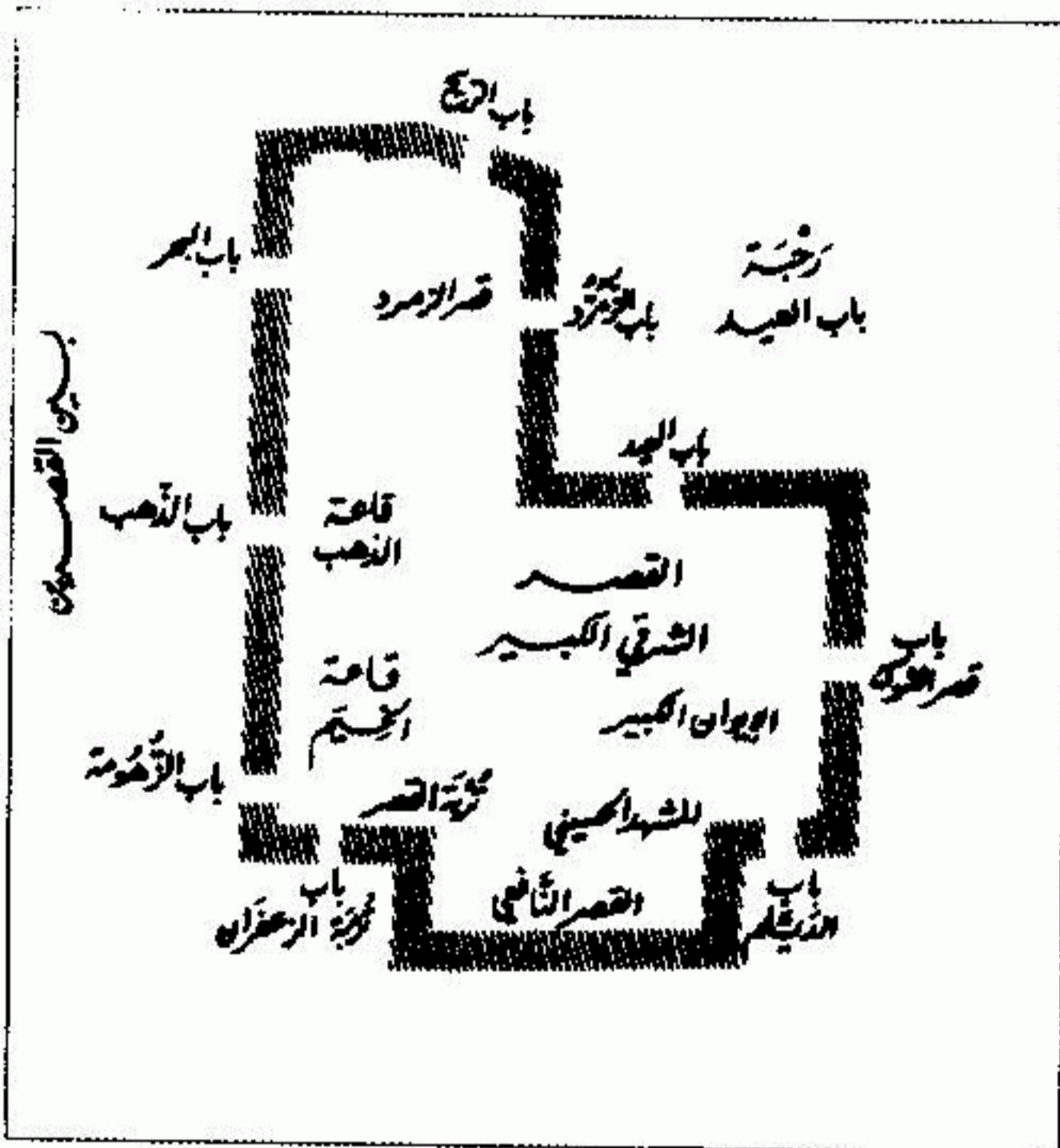
## ذِكْرُ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ الشَّرْقِيِّ

وكان لهذا القصر الكبير الشرقي تسعة أبواب: أكبرها وأجلها باب الذهب، ثم باب البحر، ثم باب الريح، ثم باب الزمرد، ثم باب العيد، ثم باب قصر الشوك، ثم باب الدليلم، ثم باب ثوبة الزعفران، ثم باب الزهومة<sup>٢</sup>.

### باب الذهب

وهو باب القصر الذي تَدْخُلُ منه العساکِرُ وَجَمِيعُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ، فِي يَوْمِي الاثْنَيْنِ وَالْخَمْسِينَ، لِلْمَوَكِبِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ بِقَاعَةَ الذَّهَبِ<sup>٣</sup>.

قال ابن أبي طي عن المعز لدين الله: إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ أَخْرَجَ أَمْوَالًا كَانَتْ لَهُ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَأَمَرَ بِسَبْكِهَا أَرْجِيَّةً كَأَرْجِيَّةِ الطُّوَّاحِينَ، وَأَمَرَ بِهَا حِينَ دَخَلَ إِلَى مِصْرَ فَأَلْقَيْتُ عَلَى بَابِ قَصْرِهِ، وَهِيَ الَّتِي كَانَ النَّاسُ يَسْمُونَهَا الْحَشْرَاتِ. وَلَمْ تَزَلْ عَلَى بَابِ الْقَصْرِ



أبواب القصر الفاطمي الكبير

(a) بولاق وليدن: جانبه.

Sayyid, A., *La capitale de l'Égypte*, pp. 223-95.

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ٢٢٣-٢٢٤، وفيما يلي ١: ٤٩٠.

<sup>٢</sup> انظر فيما تقدم ٢٨٨ - ٢٩٣.

<sup>٣</sup> راجع حول أبواب القصر وتحديد مواضعها Fu'ad



إلى أن كان زمن الغلاء في أيام الخليفة المستنصر بالله ، فلما ضاق بالناس الأمر ، أذن لهم أن يئزدوا منها بمبارد ، فاتخذ الناس مبارد حادة ، وغرهم الطمع حتى ذهبوا بأكثرها ، فأمر بحمل الباقي إلى القصر فلم تر بعد ذلك .

وقال ابن ميسر : إن المعز لما قدم إلى القاهرة كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب . وقال غيره : كانت خمس مائة جمل على كل جمل ثلاثة أرحية ذهباً ، وإنه عمل عضادتي الباب من تلك الأرحية ، واجدة فوق أخرى ، فسُمي باب الذهب .

جلوس الخليفة في الموالي بالمنظرة علو باب الذهب - قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخمس مائة : وفي الثاني عشر من المحرم كان المولد الأمري ، واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس ، وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكناج وخلقوى وكفك ، وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الصرائح الشريفة لكل مشهد شكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج . وتقدم بأن يعمل خمس مائة رطل خلوى ، وتفرق على المتصددين والقراء والفقراء : للمتصددين ومن معهم في ضحون ، وللفقراء على أرغفة السميد .

ثم حضر في الليلة المذكورة القاضي والداعي والشهود ، وجميع المتصددين وقراء الحضرة ، وفتحت الطاقات التي قبلي باب الذهب ، وجلس الخليفة وسلموا عليه . ثم خرج متولي بيت المال بصندوق مختوم ، ضمنه عيّنًا : مائة دينار وألف وثمان مائة وعشرون دهماً برسم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم . وفُرقت الصواني بعد ما حمل منها للخاص ، وزمام القصر ، ومتولي الدفتر خاصة ، وإلى دار الوزارة ، والأجلاء الأخوة والأولاد ، وكاتب الدشت ، ومتولي حجة الباب ، والقاضي ، والداعي ، ومفتي الدولة ، ومتولي دار العلم ، والمقرئين الخاص ، وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الأشراف .<sup>١</sup>

قال : وخرج الأمر - يعني في سنة سبع عشرة وخمس مائة - بإطلاق ما يخص المولد الأمري برسم المشاهد الشريفة<sup>٢</sup> من سكر وعسل وشيرج ودقيق ، وما يصنع مما يفرق على المساكن بالجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطير خلوى وألف رطل دقيق ، وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للأغنيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية أربعين صينية خشكناج .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٣٥ - ٣٦ .

<sup>٢</sup> نفسه ٦٠ .



وَحَضَرَ الْقَاضِي وَالذَّاعِي وَالْمُسْتَخْدَمُونَ بِدَارِ الْعِيدِ<sup>(a)</sup> وَالشُّهُودُ فِي عَشِيَّةِ الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ، وَقَطَعَ سُلُوكَ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ، وَجَلَسَ الْخَلِيفَةُ فِي الْمَنْظَرَةِ، وَقَبَّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْمُقَرَّبُونَ الْخَاصُّ جَمِيعُهُمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَتَقَدَّمَ الْخَطِيبُ وَخَطَبَ خُطْبَةً وَسَّعَ الْقَوْلَ فِيهَا، وَذَكَرَ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرَ، ثُمَّ حَضَرَ مَنْ أَنْشَدَ وَذَكَرَ فَضِيلَةَ الشُّهُرِ وَالْمَوْلُودِ فِيهِ. ثُمَّ خَرَجَ مَتَوَلِّي بَيْتِ الْمَالِ وَمَعَهُ صَنْدُوقٌ مِنْ مَالِ النَّجَاوِيِّ خَاصَّةً، مِمَّا يُفَرِّقُ عَلَى الْحُكْمِ الْمَتَقَدِّمِ ذِكْرَهُ<sup>١</sup>.

قَالَ: وَاسْتَهْلُ رَبِيعَ الْأَوَّلِ، وَنَبْدَأُ بِمَا شَرَفَ بِهِ الشُّهُرَ الْمَذْكُورَ، وَهُوَ ذِكْرُ مَوْلِدِ سَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخَرِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ لِثَلَاثِ عَشْرَةَ مِنْهُ، وَأُطْلِقَ مَا هُوَ بِرِسْمِ الصَّدَقَاتِ مِنْ مَالِ النَّجَاوِيِّ خَاصَّةً سِتَّةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ، وَمِنْ الْأَصْنَافِ مِنْ دَارِ الْفِطْرَةِ أَرْبَعُونَ صِنِيَّةَ فِطْرَةَ، وَمِنْ الْخَزَائِنِ بِرِسْمِ الْمَتَوَلِّيَيْنِ وَالسُّدْنَةَ لِلْمَشَاهِدِ الشَّرِيفَةِ<sup>٢</sup> الَّتِي بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْقَرَأَةِ الَّتِي فِيهَا أَعْضَاءُ آلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُكَّرَ وَعَسَلَ وَلَوْزٌ وَشِيرَجٌ لِكُلِّ مَشْهَدٍ، وَمَا يَتَوَلَّى تَفْرِقَتَهُ سَنَاءُ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرٍ أَرْبَعِ مِائَةِ رَطْلٍ خَلَاوَةَ وَأَلْفِ رَطْلٍ خَبِزٍ<sup>٣</sup>.

قَالَ: وَكَانَ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجِيُوشِ قَدْ أَبْطَلَ أَمْرَ الْمَوْلِدِ الْأَرْبَعَةَ: النَّبَوِيَّ، وَالْعَلَوِيَّ، وَالْفَاطِمِيَّ، وَالْإِمَامَ الْحَاضِرَ وَمَا يَهْتَمُّ بِهِ، وَقَدَّمَ الْعَهْدُ بِهِ حَتَّى نُسِي / ذَكَرَهَا، فَأَخَذَ الْأُسْتَاذُونَ يَجِدُّونَ ذِكْرَهَا لِلْخَلِيفَةِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَيَرُدُّونَ الْحَدِيثَ مَعَهُ فِيهَا، وَيُحَسِّنُونَ لَهُ مَفَاوِضَ<sup>(b)</sup> الْوَزِيرِ بِسَبَبِهَا وَإِعَادَتِهَا وَإِقَامَةَ الْجَوَارِي وَالرُّسُومِ فِيهَا. فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ، وَعَمِلَ مَا ذَكَرَ<sup>٤</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ: ذَكَرُ جُلُوسِ الْخَلِيفَةِ فِي الْمَوْلِدِ السُّتَّةِ فِي تَوَارِيخٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَمَا يُطْلَقُ فِيهَا - وَهِيَ: مَوْلِدُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَوْلِدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَوْلِدُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ، وَمَوْلِدُ الْحَسَنِ، وَمَوْلِدُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، وَمَوْلِدُ الْخَلِيفَةِ الْحَاضِرِ - وَيَكُونُ هَذَا الْجُلُوسُ فِي

(a) كَذَا بِالنَّسْخِ وَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ: دَارَ الْفِطْرَةِ. (b) بُولَاقٌ: مَعَارِضَةٌ.

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٦٠. عن تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي انظر Kaptein,

<sup>٢</sup> أي المشاهد التسعة انظر عنها فيما يلي ٤٣٦:٢ - N.J.G., *Muhammad's Birthday Festival. Early*

*History in the Central Muslim Land and Development in the Muslim West until the 10<sup>th</sup> /*

*16<sup>th</sup> Century*, Leiden - Brill 1993. <sup>٣</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٦٤.

<sup>٤</sup> نفسه ٤٦٢؛ المقرئ: المفقى الكبير ٦: ٤٨٤.



المنظرة التي هي أنزل المناظر، وأقرب إلى الأرض، قبالة دار فخر الدين جهازكس والفندق المستجد.

فإذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، تقدم بأن يُعمل في دار الفطرة عشرون قنطاراً من الشكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها، وتُعبأ في ثلاث مائة صينية من النحاس - وهو مؤيد النبي ﷺ - فتُفرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب، وكل صينية في قوارة، من أول النهار إلى ظهره<sup>١</sup>. فأول أرباب الرسوم قاضي القضاة، ثم داعي الدعاة، ويدخل في ذلك القراء بالحضرة، والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهيد. ولا يخرج ذلك عمماً يتعلق بهذا الجانب بدعو يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه<sup>٢</sup>.

فإذا صلي الظهر ركب قاضي القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر، ومعهم أرباب تفرقة الصواني، فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة. ثم يُستدعى قاضي القضاة ومن معه، فإن كانت الدعوة مضافة إليه وإلا حضر الداعي معه بنقباء الرسائل، فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من الشيوفيين، قبل الابتداء بسلوك<sup>٣</sup> بين القصرين، فيقفوا هناك. وقد مُسكت<sup>٤</sup> الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن شويقة أمير الجيوش عند الحوض هناك، وكُنست الطريق فيما بين ذلك ورُشت بالماء رشا خفيفاً، وفرش تحت المنظر المذكورة بالرهمل الأصفر.

ثم يُستدعى صاحب الباب من دار الوزارة، ووالي القاهرة ماضٍ وعائد يحفظ<sup>٥</sup> ذلك الموضع<sup>٤</sup> من الازدحام على نظير الخليفة. فيكون يُروى صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضي ومن معه من مكان وقوفهم، فيقربون من المنظر، ويترجلون قبل الوصول إليها بخطوات، فيجتمعون تحت المنظر دون الساعة الزمانية بسميت وتشوف لانتظار الخليفة. فتفتح إحدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل، وعلى رأسه عدة من الأستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم. ويفتح بعض الأستاذين طاقةً، ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كفه، ويشير به قائلاً: «أمير المؤمنين يرُد عليكم السلام»، فيسلم بقاضي القضاة أولاً بنعوته، وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملةً جملةً من غير تعيين أحد.

(a) بولاق: بالسلوك. (b) بولاق وليدن: سلكت. (c) بولاق: لفظ. (d) بولاق وليدن: اليوم.



فَيَسْتَفْتِيحُ قُرْأَةَ الْحَضْرَةِ بِالْقِرَاءَةِ ، وَيَكُونُونَ قِيَامًا فِي الصُّدْرِ وَجُوهَهُمْ لِلْحَاضِرِينَ ، وَظُهُورُهُمْ إِلَى حَائِطِ الْمُنْظَرَةِ . فَيُقَدِّمُ خَطِيبُ الْجَامِعِ الْأَنْوَرَ - الْمَعْرُوفُ بِجَامِعِ الْحَاكِمِ - فَيَخْطُبُ كَمَا يَخْطُبُ فَوْقَ الْمِنْبَرِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَقُولُ : وَإِنَّ هَذَا يَوْمَ مَوْلِدِهِ إِلَى مَا مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى (a) بِهِ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ رَسُولِهِ ، ثُمَّ يَخْتَمُ كَلَامَهُ بِالذُّعَاءِ لِلْخَلِيفَةِ ؛ ثُمَّ يُؤَخَّرُ ، وَيُقَدِّمُ خَطِيبُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ فَيَخْطُبُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ خَطِيبُ الْجَامِعِ الْأَقْمَرِ فَيَخْطُبُ كَذَلِكَ . وَالْقُرْأَةُ فِي خِلَالِ خِطَابَةِ الْخُطَبَاءِ يَقْرَأُونَ . فَإِذَا انْتَهَتْ خِطَابَةُ الْخُطَبَاءِ ، أَخْرَجَ الْأُسْتَاذُ رَأْسَهُ وَيَدَهُ فِي كُمِّهِ مِنْ طَاقَتِهِ ، وَرَدَّ عَلَى الْجَمَاعَةِ السَّلَامَ ، ثُمَّ تُغْلَقُ الطَّاقَتَانِ فَتَنْفُضُ النَّاسُ . وَيَجْرِي أَمْرُ الْمُوَالِدِ الْخَمْسَةِ الْبَاقِيَةِ عَلَى هَذَا النِّظَامِ إِلَى حِينَ فَرَاغِهَا عَلَى عِدَّتِهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ <sup>١</sup> . انْتَهَى .

وَهَذَا الْبَابُ صَارَ بَعْدَ زَوَالِ الدَّوْلَةِ الْفَاعِطِيَّةِ يُقَابِلُ دَارَ الْأَمِيرِ فَخْرِ الدِّينِ جَهَّازِ كَسِّ الصَّلَاحِيِّ ، الَّتِي عُرِفَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالذَّارِ الْقُطَيْبِيَّةِ ، وَهِيَ الْآنَ الْمَارِشْتَانَ الْمَنْصُورِي ، وَصَارَ مَوْضِعَ هَذَا الْبَابِ مِخْرَابُ الْمَدْرَسَةِ الظَّاهِرِيَّةِ الرَّكْنِيَّةِ بَيْبَرَس (b) .

## بَابُ الْبَحْرِ

هُوَ مِنْ إِنْشَاءِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي عَلِيِّ مَنْصُورٍ ، وَهُدِيمَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ رُكْنِ الدِّينِ بَيْبَرَسِ الْبُنْدُقْدَارِيِّ ، وَشُوهِدَ فِيهِ أَمْرٌ عَجِيبٌ . قَالَ جَامِعُ « السِّيَرَةِ الظَّاهِرِيَّةِ » : لَمَّا كَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءِ - يَعْنِي مِنْ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ - رُسِمَ بِنَقْضِ عُلوِّ أَحَدِ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الْمَسْمُومِ بِبَابِ الْبَحْرِ ، قُبَالَةَ الْمَدْرَسَةِ دَارِ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ ، لِأَجْلِ نَقْلِ عُمُدٍ فِيهِ لِبَعْضِ الْعِمَارِيِّ السُّلْطَانِيَّةِ ، فَظَهَرَ صِنْدُوقٌ فِي حَائِطِ عَلَيْهِ . فَلَمَّوَقَّتْ أُخْضِرَتِ الشُّهُودُ وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَفُتِحَ الصُّنْدُوقُ فَوُجِدَ فِيهِ صُورَةٌ مِنْ نُحَاسٍ أَصْفَرٍ مَفْرُغٍ عَلَى كُرْسِيِّ شَكْلِ الْهَرَمِ ارْتِفَاعُهُ قَدْرُ شِبْرٍ ، لَهُ أَرْبَعَةٌ أَرْجُلٍ تَحْمِلُ الْكُرْسِيَّ ، وَالصَّنَمُ جَالِسٌ عَلَيْهِ (a) مَتَوَرِّكًا ، وَلَهُ يَدَانِ مَرْفُوعَتَانِ ارْتِفَاعًا جَيِّدًا ، يَحْمِلُ صَفِيحَةً (d) دَوْرَهَا قَدْرُ ثَلَاثَةِ أَشْبَارٍ . وَفِي هَذِهِ الصَّفِيحَةِ (e) أَشْكَالٌ نَائِبَةٌ (f) ، وَفِي الْوَسْطِ صُورَةٌ رَأْسٍ بَغِيرِ جَسَدٍ ، وَدَائِرَةٌ مَكْتُوبٌ كِتَابَةً بِالْقِبْطِيِّ وَبِالْقَلْفَطِيرِيَّاتِ ، وَإِلَى جَانِبِهَا فِي الصَّفِيحَةِ (e) شَكْلٌ لَهُ قَرْنَانِ يُشْبِهُ شَكْلَ

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس . (c) بولاق : شبه . (d) بولاق : صحيفة . (e) بولاق : الصحيفة . (f) بولاق : نائبة .



السُّنْبُلَةُ ، وإلى الجانب الآخر / شكل آخر وعلى رأسه صليب ، والآخر في يده عُكَّازٌ وعلى رأسه صليب ، وتحت أرجلهم أشكال طيور ، وفوق رؤوس الأشكال كتابة .

ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لَوْحٌ من ألواح الصُّبْيَانِ التي يكتبون فيها بالمكاتب ، مَدَّهُونٌ وَجْهُهُ الواحد أبيض ، وَوَجْهُهُ الواحد أحمر ، وفيه كِتَابَةٌ قد تَكَشَّطُ أَكْثَرُهَا من طول المَدَّة . وقد يلي اللُّوح ، وما بقيت الكِتَابَةُ تَلْتَمِمْ ولا الحِطُّ يُفْهَمُ<sup>١</sup> . وهذا نص ما فيه ، وأُخْلِيَتْ مكانَ كتابته التي تَكَشَّطَتْ ، وأما الوَجْهُ الأبيض فهو مكتوبٌ بقلم الصَّفِيحَةِ<sup>a</sup> القِبْطِي . والمكتوب في الوَجْه الأحمَر على هذه الصُّورَة :

السُّطْرُ الأوَّل : بقي منه مكتوبًا الإِسْكَندَر . السُّطْرُ الثَّانِي : الأَرْضُ وَهَبَهَا لَهُ . السُّطْرُ الثَّالِث : وَجَرَّبَ لِكُلِّ . السُّطْرُ الرَّابِع : أَصْحَاب . السُّطْرُ الخَامِس : وَهُوَ يَخْرُص . السُّطْرُ السَّادِس : وَاخْتِرَازَهُ بِقُوَّة . السُّطْرُ السَّابِع : المَلِكُ مَرَجُو وَأَبْوَاب . السُّطْرُ الثَّامِن : غَيْرَ بَيْتِهِ سَبْعَةَ . السُّطْرُ التَّاسِع : عَالِمٌ حَكِيمٌ عَالِمٌ فِي عَقْلِهِ . السُّطْرُ العَاشِر : وَصَفَهَا فَلَا تَفْسُد . السُّطْرُ الحَادِي عَشَرَ : طَارِدٌ كُلِّ سَوْءٍ ، وَالَّذِي صَاغَهَا النِّسَاء . السُّطْرُ الثَّانِي عَشَرَ : سَدَّ أَيْضًا كُلَّ آثَارِ أُسْدِيَّةٍ يَبْتَرِسُ وَهِيَ أَحَدٌ . السُّطْرُ الثَّالِثُ عَشَرَ : يَبْتَرِسُ مَلِكُ الزَّمَانِ وَالْحِكْمَةُ ، كَلِمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

هذا صورة ما وُجِدَ فِي اللُّوحِ مِمَّا بَقِيَ مِنَ الكِتَابَةِ ، وَالبَقِيَّةُ قد تَكَشَّطُ .  
وقيل إنَّ هذا اللُّوحَ بَخَطُ الخَلِيفَةِ الحَاكِمِ ، وَأَعْجَبَ مَا فِيهِ اسْمُ السُّلْطَانِ ، وَهُوَ يَبْتَرِسُ .  
ولمَّا شَاهَدَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ أَمَرَ بِقِرَائَتِهِ ، فَعَرَضَ عَلَى قُرَّاءِ الأَقْلَامِ فَقَرَأُوا ، وَذَلِكَ بِالقَلَمِ القِبْطِي .  
ومضمونه : طَلَسْتُمْ عَمِلَ لِلظَّاهِرِ بنِ الحَاكِمِ ، وَاسْمُ أُمِّهِ رَصَدٌ ، وَفِيهِ أَسْمَاءُ المَلَائِكَةِ وَعَزَائِمُ وَرُقَى وَأَسْمَاءُ رُوحَانِيَّةٍ وَصُورِ مَلَائِكَةٍ ، أَكْثَرُهُ حَزْزٌ لِديَارِ مِصْرَ وَتُغُورِهَا ، وَصَرَفُ الأَعْدَاءِ عَنْهَا<sup>٢</sup> وَكَفُّهُمْ عَنِ طَرُوقِهِمْ إِلَيْهَا ، وَاتِّهَالٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَقْسَامِ كَثِيرَةٍ بِحِمَايَةِ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ ، وَصَوْنِهَا مِنَ الأَعْدَاءِ ،

(a) بولاق : الصحيفة .

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٤١٨-٤١٩ والنص الذي أورده المقرئ بعد ذلك ساقط من ابن عبد الظاهر ؛ وقارن ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٧٠ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٧ : ٢ ؛ المقرئ : السلوك ١ : ٦٠٩ ؛ أبا المحاسن : النجوم ٧ : ١٦٣ .

<sup>١</sup> فيما يلي ٢ : ٣٧٨ . وأدى فتح شارع بيت القاضي سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٤م في عهد الخديوي إسماعيل إلى هدم القسم الأكبر من المدرسة الظاهرية القديمة ، وإن كانت بقاياها مازالت قائمة داخل عطفة طاهر ، على يمين الداخل إلى شارع بيت القاضي من جهة شارع المعز لدين الله . (انظر Fu'ad - (Sayyid, A., La capitale de l'Égypte, pp. 239-42 .



وحفظها من كل طارق من جميع الأجناس . وتضمّن هذا الطلّسم كتابةً بالقلّفطيريات وأوفاقاً وصوّراً  
وخواصّ لا يعلمها إلا الله تعالى . وحمل هذا الطلّسم إلى السلطان ، وبقي في ذخائره .

قال : ورأيتُ في كتاب عتيق رث سماءه مُصنّفه « وصيّة الإمام العزيز بالله وإد الإمام الحاكم  
بأمر الله لولده المذكور » ، وقد ذكّر فيه الطلّسمات التي على أبواب القصر ، ومن جملتها أن أول  
البروج<sup>(a)</sup> الحمل ، وهو بيت المريخ وشرف الشمس ، وله القوّة على جميع سلطان الفلك لأنّه  
صاحبُ السيف وإسفهيلارية العسكر بين يدي الشمس الملكة ، وله الأمر والحزب والسلطان  
والقوّة ، والمستولي لقوّة روحانيته على مدينتنا . وقد أقمنا طلّسمًا لساعته ويومه ، لقهر الأعداء<sup>١</sup>  
وذلّ المنافقين ، في مكانٍ أحكمناه على إشرافه عليه ، والحضن الجامع لقصره<sup>(b)</sup> ، مجاورًا لأول  
باب بنيانه ، هذا نصّ ما رأيتُه . انتهى .

- ١٠ ولعلّ معنى كتابة بيّنوس في هذا اللّوح إشارة إلى أن هدم هذا الباب يكون على زمان بيّنوس ،  
فإنّ القوم كانت لهم معارف كثيرة ، وعنايتهم بهذا الفنّ وإفرة كبيرة . والله أعلم .  
وموضع باب البحر هذا اليوم يُعرف بباب قصر بشتاك قبالة المدرّسة الكاميلية<sup>٢</sup> .

## باب الرّيح

- ١٥ كان على ما أدركته تجاه سور سعيد السعداء ، على يمنة السالك من الركن المُخلّق إلى رَحبة  
باب العيد . وكان بابًا مربعًا كبيرًا<sup>(c)</sup> يُسلك فيه من دهليز مُستطيل مُظلم إلى حيث المدرّسة  
السابقية<sup>٣</sup> ودار الطواشي سابق الدين وقصر أمير السّلاح<sup>٤</sup> ، وينتهي إلى بين القصرين تجاه  
حمام البيّسري .

(a) الروض الزاهر : الكواكب . (b) بولاق : لقصر . (c) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ٤١٩ وبقية النص ساقط من نسخة الروض الزاهر .  
برقم ٣٤ ، ويقع محلّ الواجهة الغربية للقصر الفاطمي  
المطلّة على بين القصرين الآن بين شارع خان الخليلي جنوبًا

<sup>٢</sup> فيما يلي ٢ : ٧٠ ، Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.* ،  
وسيل عبد الرحمن كتحدا شمالاً .  
٣ فيما يلي ٢ : ٣٩٣ .  
٤ فيما يلي ٢ : ٧٠ .

وما زالت بقايا قصر بشتاك قائمة إلى الآن عند زاوية  
التقاء شارع المعز لدين الله مع دزب قُومز ومسجلة بالآثار



وعُرفَ هذا الباب في الدولة الأيوبية بباب قصر ابن الشيخ ، وذلك أن الوزير الصاحب معين الدين حسن<sup>(a)</sup> بن شيخ الشيوخ ، وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كان يسكن بالقصر الذي في داخل هذا الباب ، ثم قيل له في زماننا باب القصر . وكان على حاله له عضادتان من حجارة ، ويعلوه أسكفة حَجَر مَكْتُوبٌ فيها نَقْرًا في الحَجَرِ عِدَّةٌ أُسْطَرُ بِالْقَلَمِ الكوفي لم يتهيأ لي قراءة ما فيها ، وكان دَهْلِيْزُ هذا الباب عَرِيضًا يتجاوز عَرْضُهُ فيما أُقَدِّرُ العشرة أذرع في طولٍ كبير جدًا ، ويعلو هذا الباب دُورٌ لِلشُّكْنَى تُشْرِفُ على الطريق .

وما زال على ذلك إلى أن أنشأ الأمير الوزير المشير جمال الدين يوسف الأستادار مدرسته برحبة باب العيد<sup>١</sup> ، واغتصب لها أملاك الناس ، وكان مما اغتصب ما بجوار المدرسة المذكورة من الحوانيت والرباع التي فوقها وما جاور ذلك ، وهدمها لينيها على ما يريد . فهدم هذا الباب في صفر سنة إحدى عشرة وثمان مائة ، وبني في مكانه ومكان الدهليز المظلم الذي كان ينتهي بالسالك فيه من هذا الباب إلى المدرسة السابقة<sup>(b)</sup> ، هذه القيسارية الكبيرة ذات الحوانيت والفسيقية<sup>(b)</sup> والأبواب الجديدة ، ودخل فيها بعض مما كان بجانب هذا الباب من الحوانيت وعلوها<sup>٢</sup> .

ولما هدم هذا الباب ظهر في داخل بُنيانه شَخْصٌ ؛ وبلغني ذلك فسيرت إلى الأمير المذكور - وكان بيني وبينه صُحْبَةٌ - لأشاهد<sup>(c)</sup> الشَّخْصَ المذكور ، والتمست منه إحصاره . فأخبرني أنه أخضِرَ إليه شَخْصٌ من حِجَارَةٍ قَصِيرِ القامة إحدى عينيه أصغر من أختها<sup>(d)</sup> . فقلت : لا بد لي من مُشاهدته ؛ فأمر / بإحضار الموكل بعمارتِه<sup>(e)</sup> - وأنا معه إذ ذاك في موضع الباب ، وقد هدم ما كان فيه من البناء - (وأمره بإحضار الشخص<sup>(f)</sup> ، فذكر أنه رماه بين أحجار العمارة ، وأنه تكسر وصار فيما بينها ، ولا يستطيع تمييزه منها ، فأغلظ عليه وبالغ في الفحص عنه ، فأغياهم إحصاره .

(a) بولاق : حسين . (b) بولاق : السيفة . (c) بولاق : لأشاهد هذا . (d) بولاق : الأخرى . (e) بولاق : بالعمارة . (f-f) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> فيما يلي ٤٠١:٢ . والمسافة بين باب البخر وباب الريح كانت نحو ١٨٤ مترًا ،  
<sup>٢</sup> فيما يلي ٤٠١:٢ - ٤٠٣ ؛ ويشغل محل باب الريح  
الآن وكالة الكتبخدا المعروفة كذلك باسم وكالة بازوغة (رقم  
٢٥ شارع التبتكشية ، ومسجلة بالآثار برقم ٣٩٨ ، والمجاورة  
لمدرسة جمال الدين الأستادار ، المسجلة بالآثار برقم ٣٥ .  
شرقًا (Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 253-55) .



فَسَأَلْتُ الرَّجُلَ حِينَئِذٍ عَنْهُ فَقَالَ لِي : إِنَّهُمْ لَمَّا انْتَهَوْا فِي الْهَدْمِ إِلَى حَيْثُ كَانَ هَذَا الشَّخْصُ إِذَا  
بِدَائِرَةٍ فِيهَا كِتَابَةٌ وَبِوَسْطِهَا شَخْصٌ قَصِيرٌ ، صَغِيرٌ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ مِنْ حِجَارَةٍ ؛ وَهَذِهِ كَانَتْ صِفَةً  
جَمَالَ الدِّينِ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ إِحْدَى عَيْنَيْهِ أَصْغَرَ مِنَ الْأُخْرَى . وَيُشْبِهُهُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنْ  
يَكُونَ قَدْ عُيِّنَ فِي تِلْكَ الْكِتَابَةِ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الشَّخْصِ أَنَّ هَذَا الْبَابَ يَهْدِمُهُ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ،  
كَمَا وَجِدَ فِي بَابِ الْبَحْرِ اسْمَ يَبْتَرِزُ الَّذِي هُدِمَ عَلَى يَدَيْهِ وَبِأَمْرِهِ .

وَقَدْ ظَفِرَ جَمَالَ الدِّينِ هَذَا بِأَمْوَالٍ عَظِيمَةٍ وَجَدَهَا فِي دَاخِلِ هَذَا الْقَصْرِ ، لَمَّا أَنْشَأَ دَارَهُ الْأُولَى  
فِي الْحَدْرَةِ مِنْ دَاخِلِ هَذَا الْبَابِ فِي سَنَةِ سِتِّ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ . وَكَانَ لِكَثْرَةِ هَذَا الْمَالِ لَا  
يَسْتَطِيعُ كِثْمَانَهُ ؛ وَمِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ يَوْمئِذٍ مِنَ الظَّاهِرِ بَرَقَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُصْرِحَ بِهِ .  
فَكَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ وَخَوَاصِّهِ : وَجَدْتُ فِي هَذَا الْمَكَانِ سَبْعِينَ قُفَّةً مِنْ حَدِيدٍ . أَخْبَرَنِي اثْنَانِ  
رَئِيسَانِ مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ عَنْهُ أَنَّ قَالِ لِهَذَا الْقَوْلِ .

وَكَانَتْ إِذْ ذَاكَ ، أَيَّامَ عِمَارَتِهِ لِهَذِهِ الْقَاعَةِ ، أَتَرَدُّ لَشَيْخِنَا سِرَاجِ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ الْمُلقِّنِ<sup>(a)</sup> بِالْمَدْرَسَةِ  
السَّابِقِيَّةِ - وَبِهَا كَانَ يَسْكُنُ - فَتَعَرَّفْتُ بِجَمَالَ الدِّينِ مِنْهُ . وَكَانَ يَوْمئِذٍ مِنْ عَرَضِ الْجُنْدِ ، وَيُعْرَفُ  
بِأُسْتَاذِ بِيْجَاسِ<sup>(b)</sup> ، فَاشْتَهَرَ هُنَاكَ أَنَّهُ وَجَدَ - حَالِ هَدْمِهِ وَعِمَارَتِهِ الْقَاعَةَ وَالرُّوَاقَ بِالْحَدْرَةِ - مَكَانًا  
مَبْنِيًّا تَحْتَ الْأَرْضِ مُبَيَّضَ الْحَيْطَانِ فِيهِ مَالٌ ، فَمَا كَانَ عِنْدِي شَكٌّ أَنَّهُ مِنْ أَمْوَالِ خَبَايَا الْفَاطِمِيِّينَ ،  
فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْإِخْبَارِيِّينَ أَنَّ السُّلْطَانَ صَلاَحَ الدِّينِ ، لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَى الْقَصْرِ بَعْدَ مَوْتِ  
الْعَاضِدِ ، لَمْ يَظْفَرْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَبَايَا ، وَعَاقَبَ جَمَاعَةً فَلَمْ يُوقِفُوهُ عَلَى أَمْرِهَا .

### باب الزمرد

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى قَصْرِ الزَّمْرُودِ . وَمَوْضِعُهُ الْآنَ الْمَدْرَسَةُ الْحِجَازِيَّةُ بِحُطِّ  
رَحْبَةِ بَابِ الْعِيدِ<sup>١</sup> .

(a) بعد ذلك في بولاق : رحمه الله تعالى . (b) بولاق : نحاس .

<sup>١</sup> كان باب الزمرد يفتح في الجانب الشرقي لرحبة باب العيد حيث تقع الآن المدرسة الحجازية (فيما يلي ٣٨٢:٢) . (p. 260) Fu'ad Sayyid, A., op.cit.,) ويوصل منه إلى قصر الزمرد .



## باب العيد

هذا الباب مكانه اليوم في داخل دَرْب السُّلَامِي بِحُطِّ رَحْبَةِ باب العيد . وهو عَقْدٌ مُخَكَّم البناء ، ويعلوه قُبَّةٌ قد عُمِلَتْ مَسْجِدًا ، وتحتها حَائِثٌ يَسْكُنُهُ سَقَاءٌ ، ويُقَابِلُهُ مَسْطَبَةٌ . وَأَذْرَكْتُ العَامَّةَ وهم يُسَمُّونَ هذه القُبَّةَ بالقَاهِرَةِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ كانَ يجلسُ بها وَيُزَخِّي كُفَّهُ ، فتأتي النَّاسُ وتُقَبِّلُهُ . وهذا غير صحيح .

وقيل لهذا الباب بابُ العيد ؛ لأنَّ الخَلِيفَةَ كانَ يَخْرُجُ منه في يومي العيد إلى المِصْلَى بظاهر باب النَّصْرِ ، فيخُطِّبُ بعد أن يُصَلِّي بالنَّاسِ صَلَاةَ العيد ، كما ستقف عليه عند ذِكر المِصْلَى إن شاء الله .<sup>١</sup>

وفي سنة إحدى وستين وست مائة ، بَنَى المَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْتَرسَ حَائِثًا للسَّبِيلِ بظاهر مَدِينَةِ القُدْسِ ، ونَقَلَ إليه بابَ العيد هذا فعمله بابًا له ؛ وتم بناؤه في سنة اثنتين وستين .<sup>٢</sup>

## باب قصر الشوك

وهو الذي كان يُتَوَصَّلُ منه إلى قِصْرِ الشُّوكِ ، وموضعه الآن تِجَاهَ حَمَامِ عُرِفَتْ بِحَمَامِ الأَيْدَمَرِي - ويُقالُ لها اليوم حَمَامِ يُونُسَ<sup>٣</sup> - عند مَوْقِفِ المَكَارِيَةِ بجوار خزانة البُنُودِ ، على يَمِينَةِ السَّائِلِكِ منها إلى رَحْبَةِ الأَيْدَمَرِي .

وهو الآن زُقَاقٌ ينتهي إلى بئر يُسْقَى منها بالدَّلَاءِ ، ويُتَوَصَّلُ من هناك إلى المَارِسْتَانِ العَتِيقِ وغيره . وَأَذْرَكْتُ منه قِطْعَةً من جانبهِ الأيسر .<sup>٤</sup>

التي حلت محل مساحة رحبة باب العيد - وموضعه اليوم ظهر مدرسة عمر مكرم الابتدائية بشارع قصر الشوق بالجمالية ، التي بنيت مكان وقف الست نفيسة الشهيرة بوكالة عبده رقم ٢٠ بالشارع (Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 263-64).

<sup>٣</sup> لم يفرد المقرئ هذه الحمام بمدخل خاص .

<sup>٤</sup> Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 270-71.

<sup>١</sup> فيما يلي ٤٧٨ - ٤٩٢ .

<sup>٢</sup> ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ٣٥١ : المقرئ : السلوك ١ : ٤٤٩١ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٧ : ١٩٤ .

وكان باب العيد يقع في الواجهة الشمالية الشرقية للقصر في شقة جدار القصر المواجهة للواجهة الجنوبية لدار الوزارة الكبرى (خانقاه بيبس الجاشنكير الآن) . وكان هذا الباب يقع داخل دَرْب السُّلَامِي - أحد الدروب الأربعة



## بابُ الدَّيْلَمِ

وكان يُدْخَلُ منه إلى المَشْهَدِ الحُسَيْنِيِّ ، وموضِعُهُ الآنَ دَرَجٌ يُنْزَلُ منها إلى المَشْهَدِ تِجَاهَ الفُنْدُقِ الذي كان دارَ الفِطْرَةِ ، ولم يَبْقَ لهذا البابِ أثرٌ ألبتَّةُ <sup>١</sup> .

## بابُ تَرْبَةِ الرَّغْفَرَانِ

- ٥ مكائهُ الآنَ بجوار خان الخليلي من بحريه ، مُقابِلَ فُنْدُقِ المِهْمَنْدَارِ الذي يُدْقُ فيه وَرَقُ الذَّهَبِ ، وقد بُنِيَ بأعلاه طَبَقَةُ وِرواقٍ ، ولا يكاد يعرفه كثيرٌ من النَّاسِ ، وعليه كِتَابَةٌ بِالْقَلَمِ الكُوفِيِّ . وهذا البابُ كان يُتَوَصَّلُ منه إلى تَرْبَةِ القَصْرِ المذكورة فيما تقدَّم <sup>٢</sup> .

## بابُ الزُّهُومَةِ

- ١٠ كان في آخر رُكْنِ القَصْرِ ، مُقابِلَ خِزَانَةِ الدَّرَقِ التي هي اليوم خان مسرور . وقيل له بابُ الزُّهُومَةِ لأنَّ اللُّحُومَ وَخَوَائِجَ الطَّعَامِ ، التي كانت تَدْخُلُ إلى مَطْبَخِ القَصْرِ الذي لِلْحَرَمِ <sup>(a)</sup> ، إِنَّمَا يُدْخَلُ بها من هذا البابِ ، فُقيلَ له بابُ الزُّهُومَةِ ، يعني بابُ الزَّفْرِ <sup>٣</sup> .
- وكان تِجَاهَهُ أيضًا دَرْبُ السُّلَيْلَةِ الآتِي ذكره إن شاء الله <sup>٤</sup> . وموضِعُهُ الآنَ بابُ <sup>(b)</sup> قَاعَةِ الحَنَابِلَةِ من المَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ ، تِجَاهَ فُنْدُقِ مَسْرُورِ الصَّغِيرِ <sup>٥</sup> ، ومن بعد بابِ الزُّهُومَةِ المذكورة بابُ الذَّهَبِ الذي تَقَدَّمَ ذكره . فهذه أبوابُ القَصْرِ الكبيرِ التسعة ، والله أعلم <sup>(b)</sup> .

## زَكَرَ المُنْحَرُ

١٥ / وكان بجوار هذا القصر الكبير « المنحَر » ، وهو المَوْضِعُ الذي اتَّخَذَهُ الخُلَفَاءُ لِنَحْرِ

٤٣٦:١

(a) بولاق : للحوم . (b) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> Fu'ad Sayyid, A., *op. cit.*, p. 274-78 رائحة لحم سمين منتن ، ولحم زهم وزهومة .

<sup>٢</sup> فيما تقدم ٣٥١-٣٥٣ ، Fu'ad Sayyid, A., <sup>٤</sup> فيما يلي ٢ : ٣٨ .

<sup>٥</sup> فيما يلي ٢ : ٣٧٤ ، Fu'ad Sayyid, A., *op. cit.*, <sup>٥</sup> *op. cit.*, pp. 291-95

<sup>٣</sup> حاشية بخط المؤلف : « قال صاحب العين : الزُّهُومَةُ .pp. 235-37



الأضاحي في عيد النَّحْرِ وعيد الغدير، وكان تجاه رَحْبَةِ باب العيد. وموضعه الآن يُعرَف بالذُّرْب الأصْفَرًا تجاه خانقاه بَيْبَرَس، وصارَ موضعه ما في داخل هذا الذُّرْب من الدُّور والطَّاحون وغيرها، وظاهره تجاه رأس حارَّة بَرَّجوان، يفصل بينه وبين حارَّة بَرَّجوان الحوانيت التي تُقابل باب الحارَّة.

ومن جملة المنحَر السَّاحَةِ العَظِيمَةِ التي عَمِلَتْ لها خُونَد بَرَكَة، أمَّ السُّلطان الملك الأشرف شُعبان بن حُسَيْن، البوابة العَظِيمَةَ بِحُطِّ الرُّكْن المُخَلَّق بجوار قَيْسارية الجلود التي عَمِلَ فيها حوانيت الأساكِفَة.

وكان الخليفةُ إذا صَلَّى صَلَاة عيد النَّحْرِ وخطب، يَنحَر بالمُصَلِّي، ثم يأتي المنحَر المذكور وخلفه المؤذنون يَجْهرون بالتكبير، وَيَرْفَعون أصواتهم كُلِّما نَحَرَ الخليفةُ شيئًا. وتكون الحزبة في يد قاضي القضاة وهو بجانب الخليفة ليناوله إيَّاهَا إذا نَحَرَ. وأوَّل من سَنَّ منهم إعطاء الضحايا وتفرقتها في أولياء الدولة، على قَدَر رُتبتهم، العزيزُ بالله نزار<sup>٢</sup>.

ما كان يُعْمَل في عيد النَّحْرِ - قال المسَّبُحِيُّ: وفي يوم عَرَفة - يعني من سنة ثمانين وثلاث مائة - حَمَلَ يانِسُ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ السُّمَاط، وَحَمَلَ أيضًا عليُّ بنُ سَعْدِ المَحْتَسِبِ سِمَاطًا آخَرَ. وَرَكِبَ العَزِيزُ بالله يوم النَّحْرِ فَصَلَّى وَخَطَبَ على العادة، ثم نَحَرَ عِدَّة نُوق بيده، وانصرف إلى قَصْرِهِ، فَتَصَبَّ السُّمَاطُ والموائدَ وأكل، وَنَحَرَ بين يديه، وَأَمَرَ بِتَفْرِقَةِ الضَّحَايَا على أهل الدولة؛ وَذَكَرَ مثل ذلك في باقي السنين<sup>٣</sup>.

وقال ابنُ المَأمُون في عيد النَّحْرِ من سنة خمس عشرة وخمس مائة: وَأَمَرَ بِتَفْرِقَةِ كُشُورَةٍ<sup>٤</sup> عيد النَّحْرِ والهبة وجملة العَيْنِ ثلاثة آلاف وثلاث مائة وسبعون دينارًا، ومن الكُشُورَات مائة قطعة وَسَبْعَ قطع بِرِشْمِ الأُمراءِ المُطَوِّقِينَ والأُسْتاذِينَ المَحْنُكِينَ وكَاتِبِ الدُّسْتِ ومَتَوَلِّي حُجْبَةِ الباب وغيرهم من المُسْتَعْدِمِينَ.

(a) ساقطة من بولاق.

<sup>١</sup> فيما يلي ٤٤: ٢.

<sup>٢</sup> قارن المقرئ: مسودة المواعظ ١٧٦؛ القلقشندي: <sup>٣</sup> المقرئ: مسودة المواعظ ١٧٦-١٧٧، اتعاض الحنفا

صبح الأعشى ٣: ٥١١؛ أبا المحاسن: النجوم الزاهرة ١: ٢٦٩.

٤: ٩٨؛ Fu'ad Sayyid, A., op.cit., pp. 255-57.



وَعِدَّةٌ مَا ذُبِحَ ثَلَاثَةَ أَيَّامِ النَّحْرِ ، فِي هَذَا الْعِيدِ وَعِيدِ الْعَدِيرِ ، أَلْفَانِ وَخَمْسَ مِائَةٍ وَأَحَدٍ وَسِتُونَ رَأْسًا . تَفْصِيلُهُ : نُوقَ : مِائَةٌ وَسَبْعَةَ عَشَرَ رَأْسًا ، بَقَرَ : أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ رَأْسًا ، جَامُوسٌ : عِشْرُونَ رَأْسًا ، هَذَا الَّذِي يَنْحَرُهُ وَيَذْبَحُهُ الْخَلِيفَةُ بِيَدِهِ فِي الْمُصَلَّى وَالْمُنْحَرِ وَبَابِ السَّابِاطِ ؛ وَيَذْبَحُ الْجَزَارُونَ مِنَ الْكِبَاشِ أَلْفِينَ وَأَرْبَعَ مِائَةَ رَأْسًا .

وَالَّذِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ نَفَقَاتُ الْأَسْمِطَةِ فِي الْأَيَّامِ الْمَذْكُورَةِ - خَارِجًا عَمَّا يُعْمَلُ بِالِدَارِ الْمَأْمُونِيَّةِ مِنَ الْأَسْمِطَةِ ، وَخَارِجًا عَنِ الْأَسْمِطَةِ الْقُصُورِ عِنْدَ الْحَرَمِ ؛ وَخَارِجًا عَنِ الْقُصُورِ الْحَلَوَاءِ وَالْقُصُورِ الْمَنْفُوحِ الْمَصْنُوعَةِ بِدَارِ الْفِطْرَةِ : أَلْفٌ وَثَلَاثَ مِائَةٍ وَسِتَّةٍ وَعِشْرُونَ دِينَارًا وَرُبْعٌ وَسُدُسٌ دِينَارٌ ؛ وَمِنَ الشُّكْرِ بَرَشْمُ الْقُصُورِ وَالْقِطْعِ الْمَنْفُوحِ : أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ قِنْطَارًا . تَفْصِيلُهُ : عَنِ قَصْرَيْنِ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ خَاصَّةً اثْنَا عَشَرَ قِنْطَارًا ، الْمَنْفُوحِ عَنِ ثَلَاثَةِ أَيَّامِ اثْنَا عَشَرَ قِنْطَارًا <sup>١</sup> .

وَقَالَ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ : وَحَضَرَ وَقْتُ تَفْرِيقِ كُشُورَةِ عِيدِ النَّحْرِ ، وَوَصَلَ مَا تَأَخَّرَ فِيهَا بِالطَّرَازِ ، وَفُرِّقَتِ الرُّسُومُ عَلَى مَنْ جَرَّتْ عَادَتُهُ بِهَا<sup>(a)</sup> - خَارِجًا عَمَّا أَمَرَ بِهِ مِنْ تَفْرِيقِ الْعَيْنِ الْمُخْتَصِّ بِهَذَا الْعِيدِ وَأُضْحِيَّتِهِ ، وَخَارِجًا عَمَّا يُفَرَّقُ عَلَى سَبِيلِ الشَّرَفِ مِنْ<sup>(b)</sup> الْمُنَاحِ ، وَمِنْ بَابِ السَّابِاطِ مَذْبُوحًا وَمَنْحُورًا : سِتُّ مِائَةٍ دِينَارٌ وَسَبْعَةُ عَشَرَ دِينَارًا .

وَفِي التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ جَلَسَ الْخَلِيفَةُ الْأَمِيرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ ، وَحَضَرَ الْوَزِيرُ وَأَوْلَادُهُ ، وَقَامُوا بِمَا يَجِبُ مِنَ السَّلَامِ ، وَاسْتَفْتَحَ الْمُقَرَّبُونَ ، وَتَقَدَّمَ حَامِلُ الْمِظْلَةِ وَعَرَضَ مَا جَرَّتْ عَادَتُهُ مِنَ الْمِظَالِ الْخَمْسَةِ الَّتِي جَمِيعُهَا مُذْهَبٌ ، وَسَلَّمَتِ الْأَمْرَاءُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَخَتَمَ الْمُقَرَّبُونَ ، وَعَرِضَتِ الدُّوَابُّ جَمِيعُهَا وَالْعَمَّارِيَّاتُ وَالْوُحُوشُ ، وَعَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى مَحَلِّهِ .

فَلَمَّا أَشْفَرَ الصُّبْحَ خَرَجَ الْخَلِيفَةُ وَسَلَّمَتْ عَلَى مَنْ جَرَّتْ عَادَتُهُ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ - وَلَمْ يَخْرُجْ شَيْءٌ عَمَّا جَرَّتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي الرُّكُوبِ وَالْعَوْدِ - وَغَيَّرَ الْخَلِيفَةُ ثِيَابَهُ وَلَبِسَ مَا يَخْتَصُّ بِالنَّحْرِ - وَهِيَ الْبَدَلَةُ الْحَمْرَاءُ بِالشَّدَّةِ الَّتِي تَسْمَى بِـ « شَدَّةِ الْوَقَارِ » <sup>٢</sup> ، وَالْعَلَمُ الْجَوْهَرِيُّ فِي وَجْهِهِ بَغِيرِ قَضِيبِ مُلْكٍ فِي يَدِهِ - إِلَى أَنْ دَخَلَ الْمُنْحَرَ . وَفُرِشَتِ الْمَلَأَةُ الدُّبِّيَّةُ الْحَمْرَاءُ ، وَثَلَاثُ بَطَائِنِ مِصْبُوغَةٍ حُمْرٍ لِيَتَّقِيَ بِهَا الدَّمَ ، مَعَ كَوْنِ كُلِّ مِنَ الْجَزَارِينَ بِيَدِهِ مَكْتَبَةٌ صَفْصَافٌ مَدَهُونَةٌ يُلْقَى بِهَا الدَّمُ عَنِ الْمَلَأَةِ ، وَكَبِيرٌ

(a) ساقطة من بولاق . (b) الشرف من : زيادة من المسودة ومخطوطة Liège .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٢٥ - ٢٦ ؛ المقرئ : مسودة <sup>٢</sup> انظر عن شدة الوقار فيما يلي ٤٦٨ - ٤٦٩ ، ٥٤٥ .



المؤذنون ، ونَحَرَ الخَلِيفَةُ أربَعًا وثلاثين ناقةً ، وقَصَدَ المَسْجِدَ الذي آخِرَ صَفِّ المَنَحَرِ ، وهو مُعَلَّقٌ بالشُّرُوبِ والفاكهة المعبأة فيه ، بمقدار ما غَسَلَ يديه ، ثم رَكِبَ من فَوْرِهِ .

وَجُمْلَةُ ما نَحَرَهُ وَذَبَحَهُ الخَلِيفَةُ خَاصَّةً في المَنَحَرِ وباب السَّاباط - دون الأَجَلِ الوَزِيرِ المَأْمُونِ وأولاده وإخوته - في الثلاثة الأيام ما عِدَّتْهُ أَلْفٌ وتسع مائة وستة أربعون رأسًا ، تفصيله : نُوقَ : مائة وثلاث عشرة ناقة ، نَحَرَ مِنْهَا في المَصَلَّى عَقِيبَ الخُطْبَةِ نَاقَةٌ ، وهي التي تُهْدَى وتُطَلَّبُ من آفاق الأرض للتبرُّك بلحمها . ونَحَرَ في المَنَاحِ مائة ناقة ، وهي التي يُحْمَلُ مِنْهَا للوَزِيرِ وأولاده وإخوته والأَمْرَاءِ والضُّيُوفِ والأَجْنَادِ والعسْكَرِيَّةِ والمُمَيِّزِينَ مِنَ الرِّجَالِ ، وفي كُلِّ يَوْمٍ يُتَصَدَّقُ مِنْهَا على الضُّعْفَاءِ والمَسَاكِينِ بِنَاقَةٍ وَاحِدَةٍ ، وفي اليوم الثالث من العيد تُحْمَلُ نَاقَةٌ مَنحُورَةٌ للفقراء في القِرَافَةِ ١ .

وَيُنَحَرُ في باب السَّاباط ما يُحْمَلُ إلى من حَوْتِهِ القصور ، وإلى دار الوِزَارَةِ ، وإلى الأَصْحَابِ والحَوَاشِي ، اثنتا عشرة ناقةً وثمانية عشرة بَقْرَةً / وخمس عشرة جَامُوسَةً ، ومن الكِبَاشِ أَلْفٌ وثمان مائة رأس ، وَيُتَصَدَّقُ كل يوم في باب السَّاباط بِسَقَطِ ما يُذَبَحُ مِنَ التُّوقِ والبَقَرِ .  
وَأَمَّا مَبْلَغُ المُنْصَرَفِ على الأَسْمِطَةِ في الثلاثة الأيام ، خَارِجًا عن الأَسْمِطَةِ بالدار المَأْمُونِيَّةِ . فأَلْفٌ وثلاث مائة وستة وعشرون دِينَارًا ورُبْعٌ وسُدُسٌ دِينَارٍ . ومن السُّكَّرِ بِرِشْمِ قُضُورِ الحَلَاوَةِ والقِطْعِ المَنفُوخِ المَصنُوعَةِ بدار الفِطْرَةِ خَارِجًا عن المطابخ ، ثمانية وأربعون قِنطَارًا ٢ .

وقال ابنُ الطَّوَيْرِ : فإذا انقَضَى ذُو القَعْدَةِ وأهْلُ ذُو الحِجَّةِ ، اهتَمَّ بالركوب في عيد النَّحْرِ - وهو يوم عَاشِرِهِ - فيجري حاله كما جرى في عيد الفِطْرِ مِنَ الرِّبِيِّ والركوب إلى المَصَلَّى ، ويكون لِيَاسُ الخَلِيفَةِ فيه الأَحْمَرُ الموشَّحُ ، ولا يَنْخَرَمُ مِنْهُ شَيْءٌ .

وركوبه ثلاثة أيام متوالية ، فأولها وهو<sup>(a)</sup> يوم الخُروجِ إلى المَصَلَّى والخُطْبَةِ كعيد الفِطْرِ ، وثاني يوم وثالثه إلى المَنَحَرِ - وهو المُقَابِلُ لباب الرِّيحِ الذي في رُكْنِ القصر ، المُقَابِلُ لشور دار سَعِيدِ السُّعْدَاءِ الخائِقاها اليوم وكان بَرَاخًا خَالِيًا لا عِمَارَةَ فيه - فيخرج من هذا الباب الخَلِيفَةُ بِنَفْسِهِ ،

(a) ساقطة من بولاق .

١ ابن المأمون : أخبار مصر ٤٠ - ٤١ ؛ المقرئ : مسودة ٢ نفسه ٤٢ ؛ نفسه ١٧٩ ، وفيما يلي ٥٠١ .



ويكون الوَزِيرُ واقفاً عليه ، فيترجّل ويدخل ماشياً بين يديه بقربه ؛ هذا بعد انفصالهما من المَصَلِّي .  
 ويكونُ قد قُيِّدَ إلى هذا المَنَحْرِ أحدٌ وثلاثون فصيلاً وناقاةً أمامَ مَسْطَبَةٍ مفروشة يطلع عليها الخَلِيفَةُ  
 والوَزِيرُ ثم أكابر الدَّوَلَةِ ، وهو بين الأُسْتَاذِينَ المَحْكُومِينَ ، فيَقْدُمُ الفَرَّاشُونَ له إلى المَسْطَبَةِ رَأْسًا  
 فَرَأْسًا<sup>١</sup> ، ويكون بيده حَزَبَةٌ من رَأْسِها الذي لا سِنَانِ فيه ، وَيَدُ قَاضِي القُضَاةِ في أصلِ سِنَانِها ،  
 فيجعلُه القَاضِي في نَحْرِ النُّحِيرَةِ ، وَيَطْعَنُ بها الخَلِيفَةَ ، وَتُجَرَّ من بين يديه حتى يَأْتِي على العِدَّةِ  
 المذكورة . فَأَوَّلُ نَحِيرَةِ هِيَ الَّتِي تُقَدَّدُ وَتُسَيَّرُ إلى دَاعِي اليَمَنِ - وهو المَلِكُ فيه - فيفَرِّقُها على  
 المَعْتَقِدِينَ من وَزْنِ نِصْفِ دِرْهَمٍ إلى رُبْعِ دِرْهَمٍ .

ثم يُعْمَلُ ثاني يومٍ كذلك ، فيكون عَدَدُ ما يُنَحَّرُ سَبْعًا وَعِشْرِينَ ، ثم يُعْمَلُ في اليومِ الثالثِ  
 كذلك ، وَعِدَّةٌ ما يُنَحَّرُ ثلاثٍ وَعِشْرُونَ . هذا وفي مُدَّةِ هذه الأيامِ الثلاثةِ يَسِيرُ رَسْمُ الأُضْحِيَةِ إلى  
 أَرْبابِ الرُّتَبِ والرُّسُومِ - كما سَيَّرَتِ العُرَّةُ في أوَّلِ السَّنَةِ - من الدَّنَانِيرِ ، بغيرِ رِبَاعِيَةٍ ولا قَرَارِيطِ ،  
 على مِثَالِ العُرَّةِ من عَشْرَةِ دَنَانِيرٍ إلى دِينَارٍ . وَأَمَّا لَحْمُ الجَزُورِ فَإِنَّهُ يُفَرِّقُ في أَرْبابِ الرُّسُومِ للتَّبَرُّكِ في  
 أَطْباقٍ مع أدْوَانِ الفَرَّاشِينَ . وَأَكْثَرُ ذلكِ تَفَرُّقُهُ قَاضِي القُضَاةِ ودَاعِي الدُّعَاةِ لِلطَّلَبَةِ بدارِ العِلْمِ ،  
 والمتصَدِّقِينَ بجوامِعِ القَاهِرَةِ ، ونُقباءِ المُؤْمِنِينَ بها من الشَّيْعَةِ لِلتَّبَرُّكِ<sup>٢</sup> .

فإذا انقضى ذلك خَلَعَ الخَلِيفَةُ على الوَزِيرِ ثِيَابَهُ الحَمْرَاءَ<sup>٣</sup> الَّتِي كانت عليه ، ومِنْدِيلًا آخَرَ بغيرِ  
 اليَتِيمَةِ والعِقْدِ المنظومِ من القَصْرِ عند عَوْدِ الخَلِيفَةِ من المَنَحْرِ . فيركبُ الوَزِيرُ من القَصْرِ بالخَلِيعِ  
 المذكورة شاقًّا القَاهِرَةَ ، فإذا خَرَجَ من بابِ زَوِيَلَةَ انعطَفَ على يَمِينِهِ سَالِكًا على الخَلِيجِ ، فيدخلُ  
 من بابِ القَنْطَرَةِ إلى دارِ الوِزَارَةِ ؛ وذلكَ انفصالُ عيدِ النَّحْرِ<sup>١</sup> .

وقال ابنُ أَبِي طَيِّ : عِدَّةٌ ما يُذْبَحُ في هذا العيدِ ، في ثلاثةِ أَيامِ النَّحْرِ وفي يومِ عيدِ الغَدِيرِ ، ألفانِ  
 وخمسة مائةٍ وأحدٍ وستونَ رَأْسًا ، تفصيلُه : نُوقَ : مائةٌ وسبعةٌ عَشَرَ رَأْسًا ، بَقَرٌ : أربعةٌ وَعِشْرُونَ  
 رَأْسًا ، جَامُوسٌ : عَشْرُونَ رَأْسًا . هذا الذي يَنَحْرُه الخَلِيفَةُ ويذبحه بيده في المَصَلِّي والمَنَحْرِ وبابِ  
 السَّابِاطِ ؛ وَيَذْبَحُ الجَزَارُونَ بين يديه من الكِبَاشِ ألفًا وأربع مائةَ رَأْسٍ<sup>٢</sup> .

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : للتبرك . (c) بولاق : الحمر .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٨٢ - ١٨٥ ؛ المقرئ : مسودة المواظ ١٨٠ .

مسودة المواظ ١٨١ - ١٨٢ .



وقال ابن عبد الظاهر: كان الخليفة يتنحر بالمتنحر مائة رأس، ويعود إلى خزانة الكشوة، فيغير قماشه ويتوجه إلى الميدان - وهو الخرنشف بباب السبابط - للتنحر والذبح، ويعود بعد ذلك إلى الحمام ويغير ثيابه للجلوس على الأسمطة. وعدة ما يذبحه ألف وسبع مائة وستة أربعون رأساً: ثوق<sup>(a)</sup>: مائة وثلاث عشرة ناقة، والباقي بقر وغنم<sup>١</sup>.

قال ابن الطوير: وثمن الضحايا - على ما تقدم<sup>(b)</sup> - ما يقرب من ألفي دينار<sup>٢</sup>.

وكانت تخرج المخلقات<sup>٣</sup> إلى الأعمال بشائر بركوب الخليفة في يوم عيد النحر. فمما كتب به الأستاذ البارع أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب، المعروف بابن الصيرفي المنعوت بتاج الرئاسة<sup>٤</sup>:

«أما بعد، فالحمد لله الذي رفع منار الشروع وحفظ نظامه، ونشر رايته هذا الدين وأوجب إعظامه، وأطلع بخلافة أمير المؤمنين كواكب شعوره، وأظهر للمؤلف والمخالف عزة أحزابه وقوة جنوده، وجعل فرعه سامياً نامياً وأصله ثابتاً راسخاً، وشرفه على الأديان بأسرها، وكان لغراها فاصماً ولأحكامها ناسخاً.

يحمده أمير المؤمنين أن ألزم طاعته الخليفة، وجعل كراماته الأسباب الجديرة بالإمارة الخليفة. ويوجب إليه في الصلاة على جده محمد الذي حاز الفخار أجمعه، وضمن الجنة لمن آمن به واتبع النور الذي أنزل معه، ورفع إلى أعلى منزلة تخير له منها المحل، وأرسله بالهدى ودين الحق، فزهق الباطل وحمدت ناره واضمحلت.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: تقرير.

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٠٢؛ المقرئ: مسودة المواظ ١٧٩.

<sup>٢</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٨٥؛ المقرئ: مسودة المواظ ١٨٢، وقارن القلقشندي: صبح الأعشى

<sup>٣</sup> المخلقات. نوع من السجلات يشير بركوب الخليفة في المواكب الرسمية وعودته بسلامة الله منها، وانظر فيما يلي ٤٩٢.

<sup>٤</sup> انظر فيما تقدم ١: ٧٥٧.

٣: ٥١١؛ أبا المحاسن: النجوم ٤: ٩٨-٩٩.



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ ، أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،  
 خَيْرِ الْأُمَّةِ وَإِمَامِهَا ، وَخَيْرِ الْمِلَّةِ وَبَدْرِ تَمَامِهَا ، وَالْمَوْفَى يَوْمِهِ فِي الطَّاعَاتِ عَلَى  
 ماضِي أَمْسِهِ ، وَمَنْ أَقَامَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَبَاهِلَةِ مُقَامَ نَفْسِهِ ، وَاخْتَصَّصَهُ  
 بِأَبْعَدِ غَايَةِ فِي (a) الْفَخْرِ وَأَشْرَفَهَا وَأَفْضَلَهَا فَبَعَثَهُ لَمَّا نَسَخَ اللهُ مُعَاهِدَةَ الْمُشْرِكِينَ  
 وَأَنْزَلَ (a) «سُورَةَ بَرَاءَةِ» ، فَنَادَى فِي الْحَجِّ بِأَوْلِيهَا ، وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَهُ يَنْفُذُ نَفَاذَهُ  
 وَلَا يَسُدُّ مَكَانَهُ ، لِأَنَّهُ قَالَ : «لَا يُبْلَغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» . عَمَلًا فِي  
 ذَلِكَ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ (b) سُبْحَانَهُ .

وعلى / الأئمة من ذريتهما خُلَفَاءَ اللهُ فِي أَرْضِهِ ، وَالْقَائِمِينَ فِي سِيَّاسَةِ  
 خَلْقِهِ بِصَرِيحِ الْإِيمَانِ وَمَخْضِيهِ ، وَالْمُحْكَمِينَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ مَا لَا وَجْهَ لِحَلِّهِ وَلَا  
 سَبِيلَ إِلَى تَقْضِيهِ . وَسَلَّمْ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ سَلَامًا يَتَّصِلُ دَوَامُهُ وَلَا يُخْشَى  
 انْصِرَامُهُ ، وَمَجْدٌ وَكَرْمٌ ، وَشَرَفٌ وَعَظْمٌ .

وَكِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْأَحَدِ عِيدِ النَّحْرِ ، مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ  
 وَخَمْسِ مِائَةٍ ، الَّذِي تَبَلَّجَ فَجْرُهُ عَنْ سَيِّئَاتٍ مُخْصَصَتٍ ، وَنُفُوسٍ مِنْ آثَارِ الذُّنُوبِ  
 خُلُصَّتٍ ، وَرَحْمَةٍ اِمْتَدَّتْ ظِلَالُهَا وَانْتَشَرَتْ ، وَمَغْفِرَةٍ هَنَّتْ وَبَشَّرَتْ .

وَكَانَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَرَزَ لِكَافَّةٍ مَنْ بَحْضَرْتَهُ مِنْ  
 أَوْلِيَائِهِ ، مُتَوَجِّهًا لِقَضَاءِ حَقِّ هَذَا الْعِيدِ الشَّعِيدِ وَأَدَائِهِ ، فِي عَتْرَةِ رَاسِخَةٍ  
 قَوَاعِدُهَا مَتَمَكِّنَةٌ ، وَعَسَاكِرُ جَمَّةٍ تَضِيقُ عَنْهَا ظُرُوفُ الْأَمَكْنَةِ ، وَمَوَاكِبُ  
 تَتَوَالَى كَتَوَالِي السَّيْلِ ، وَتُهَابُ هَيْبَةٍ مَجِيئِهِ فِي اللَّيْلِ ، بِأَسْلِحَةٍ تَحْسِرُ لَهَا  
 الْأَبْصَارُ وَتَبْرُقُ ، وَتَرْتَاغُ الْأَفئِدَةُ مِنْهَا وَتَفْرُقُ : فَمَنْ مَشَرَّقِي إِذَا وَرَدَ تَوَرَّدَ ،  
 وَمَنْ سَمْهَرِي إِذَا قَصَدَ تَقَصَّدَ ، وَمَنْ عُمِدَ إِذَا عَمِدَتْ تَبَرَّاتِ الْمَغَايِرِ مِنْ  
 ضَمَانِهَا ، وَمَنْ قَبِيئِي إِذَا أُرْسِلَتْ بَنَانُهَا وَصَلَّتْ إِلَى الْقُلُوبِ بِغَيْرِ اسْتِغْذَانِهَا .

وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا فِي هَدْيِ الْإِمَامَةِ وَأَنْوَارِهَا ، وَسَكِينَةِ الْخِلَافَةِ وَوَقَارِهَا ، إِلَى  
 أَنْ وَصَلَ إِلَى الْمُصَلَّى قُدَّامِ الْحِرَابِ ، وَأَدَّى الصَّلَاةَ إِذْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
 التَّقْبِيلِ حِجَابٍ . ثُمَّ عَلَا الْمِنْبَرَ فَاسْتَوَى عَلَى ذُرْوَتِهِ ، ثُمَّ هَلَّلَ اللهُ وَكَبَّرَهُ وَأَثْنَى



على عَظَمَتِهِ ، وأحسن إلى الكافة بتبليغ موعظته ، وتوجه إلى ما أُعِدَّ من  
البُذُن فتَحَرَّه تكميلاً لقربته ، وانتهى في ذلك إلى ما أمر الله عزَّ وجلَّ ،  
وعادَ إلى قُصُوره المَكْرَمَة وَمَنَازِله المَقْدَسَة قد رضي الله عَمَلَه ، وشَكَرَ فِعْلَه  
وتَقَبَّلَه .

أَعْلَمَك أمير المؤمنين ذلك لتَشْكُر الله على النُّعْمَة فيه ، وتُذِيعه قِبَلَك على  
الرُّسْم فيما يُجاريه ، فاعْلَم هذا واعْمَل به إن شاء الله»<sup>١</sup> .

## ذِكْرُ دَارِ الوِزَارَةِ الكُبْرَى

وكان بجوار هذا القصر الكبير الشرقي ، تجاه رَحْبَة باب العيد ، دارُ الوِزَارَةِ الكُبْرَى ، ويُقال  
لها « الدارُ الأفضليَّة » و « الدارُ السلطانية »<sup>٢</sup> .

قال ابنُ عبد الظاهر : دارُ الوِزَارَةِ بَنَاهَا بَدْرُ الجَمَالِي أمير الجيوش ، ثم لم يزل يشكُّنها من يلي  
إمْرَة الجيوش إلى أن انتقل الأمرُ عن المصريين وصارَ إلى الغُزَّ<sup>(a)</sup> بني أيُّوب . فاستقرَّ سَكْنُ المَلِك  
الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة ، وسكَّنها السلطانُ المَلِك الصَّالِحُ وَلَدَه ، ثم أُرْصِدَت دارُ الوِزَارَةِ  
لمن يرد من الملوك ورُسِل الخليفة إلى هذا الوقت .

وكانت دارُ الوِزَارَةِ قَدِيمًا تُعْرَف بدار القباب ، وأضافها الأفضلُ إلى دور بني هريسة وعمَّرها  
دارًا ، وسَمَّاهَا « دارُ الوِزَارَةِ »<sup>٣</sup> . انتهى .

(a) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> انظر ابن الطوير : نزهة المقلتين (الملاحق) ٢٤١ - ٣٨٨:٢) وخانقاه بيبرس الجاشنكير من الشمال (فيما يلي

٢٤٢ .  
<sup>٢</sup> دار الوِزَارَةِ الكُبْرَى هي التي يحدد مكانها الآن الأرض الواقعة بين حارة المبيضة من الجنوب والشرق ، ووكالة عطا من الشمال ، وشارع الجمالية من الغرب ، والتي يشغل قسمًا كبيرًا منها الآن بقايا المدرسة القراسنقرية من الجنوب (فيما يلي

<sup>٣</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥٠ - ٥١ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ ٢٥١ - ٢٥٢ .







على الأمراء، وقُتل من قُتل منهم - خاف بقية الأمراء من شر المماليك الأشرفية، فقبض منهم على نحو الست مائة مملوك، وأنزل بهم من القلعة، وأُسكن منهم نحو الثلاث مائة بدار الوزارة، وأُسكن منهم كثير في مناظر الكبش، وأجريت عليهم الرواتب، ومنعوا من الركوب، إلى أن كان من أمرهم ما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب<sup>١</sup>.

ولما كانت سنة سبع مائة أخذ الأمير شمس الدين قراشقر المنصوري، نائب السلطنة في أيام الملك المنصور حسام الدين لاجين، قطعة من دار الوزارة وبني فيها<sup>٢</sup> الربع المقابل خانقاه سعيد الشعداء، ثم بنى المدرسة المعروفة بالقراشقرية ومكتب الأيتام<sup>٣</sup>.

فلما كانت دولة البرجيجة<sup>٤</sup> بنى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية والرباط بجانبها من جملة دار الوزارة، وذلك في سنة/ تسع وسبع مائة<sup>٥</sup>، ثم استولى الناس على ما بقي من دار الوزارة وبنا فيها.

فمن حقوق هذه الدار - أعني دار الوزارة - من بحريها<sup>٦</sup>: الربع تجاه الخانقاه الصلاحية دار سعيد الشعداء، والمدرسة القراشقرية، و خانقاه ركن الدين بيبرس، وما بجوارها من دار قزمان ودار الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الوزير - المعروفة بدار الست<sup>٧</sup> نحوند طولوباي الناصرية جهة السلطان<sup>٨</sup> الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون - وحمّام الأعسر التي بجانبها، وحمّام الحسام المجاورة<sup>٩</sup> لها. ومن حقوق هذه الدار أيضًا قبلي هذه الأماكن المذكورة<sup>١٠</sup>، وهي الفزن

(a) بولاق: فبنى بها. (b) بولاق: فمن حقوقها، والمثبت من المسودة. (c) زيادة من المسودة. (d) بولاق: الحمام المجاورة، والمثبت من المسودة. (e) بولاق: وما وراء هذه الأماكن من الأدر وغيرها، والمثبت من المسودة.

<sup>١</sup> فيما يلي ٢: ١٣٤؛ المقرزي: السلوك ١: ٨٠٢.  
<sup>٢</sup> فيما يلي ٢: ٣٨٨؛ المقرزي: المسودة ٢٥٥.  
<sup>٣</sup> يُعدُّ السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير هو السلطان الشوكسي (الجرکسي) الوحيد بين سلاطين الدولة التركية (البحرية) فلذلك أطلق المقرزي على فترة سلطنته: دولة البرجيجة.  
<sup>٤</sup> فيما يلي ٢: ٤١٦.  
 = ١٢٩٣/٨٦٩٣ م، بتوجه من جهة البحيرة وهو يتصيد غدرا. وحلف الأمراء ليبدرا وتلقب بالملك الأوحده ولم يلبث أن قتله المماليك الأشرفية في اليوم التالي في الطرانة من أعمال البحيرة (ابن حبيب: تذكرة النبيه ١: ١٣٦، ١٦٧-١٦٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠: ٣٦٠-٣٦٢؛ المقرزي: السلوك ١: ٧٨٢، ٧٩٢، والمقفي الكبير ٢: ٥٦٢-٥٦٨؛ النويري: نهاية الأرب ٣١: ٢٥٩-٢٦٧؛ ابن الفرات: تاريخ الدول ٨: ١٧١؛ ابن أيبك: كنز الدرر ٨: ٣٤٥، أبو المحاسن: المنهل الصافي ٣: ٤٩٣-٤٩٥).



والطاحون التي قبلي المدرسة القراشقرية - (a وهم جاريان في أوقاف قراشقر<sup>a</sup>) - ومن الأدرّ والخربة التي قبلي رّبع قراشقر، وما جاور باب سِرّ المدرسة القراشقرية من الأدرّ والمساكن<sup>b</sup>، وخربة أخرى هناك، والدار الكبرى المعروفة بدار الأمير سيف الدين بزغني الصغير صهر الملك المظفر بيبرس الجاشنكير - المعروفة اليوم بدار الغزاوي - وفيها السرداب الذي كان رزّيك بن الصّالح رزّيك فتحه في أيام وزارته<sup>c</sup> من دار الوزارة إلى دار<sup>d</sup> سعيد السعداء، وهو باقٍ إلى الآن في صدر قاعتها، وذكر أن فيه حية عظيمة. ومن حُقوق دار الوزارة المناخ المجاور لهذه القاعة. وكان على دار الوزارة سورٌ عظيمٌ مُرتفع بناؤه بالحجر المنحوت<sup>e</sup>، وقد بقي الآن منه قطعة في حدّ دار الوزارة الغربي وفي بعض<sup>f</sup> حدّها القبلي - وهو الجدار الذي فيه باب الطاحون والشاقية تجاه باب سعيد السعداء، من الرّفاق الذي يعرف اليوم بخرائب تتر - ومنه قطعة في حدّها الشرقي عند باب الحمام والمستوقد بياب الجوانية<sup>١</sup>.

وكان بدار الوزارة هذا «الشباك الكبير» المعمول من الحديد في القبة التي دُفِنَ تحتها بيبرس الجاشنكير من خائقاته، وهو الشباك الذي يقرأ فيه القراء، وكان موضوعًا في دار الخلافة ببغداد يجلس فيه الخلفاء من بني العبّاس<sup>٢</sup>. فلما استولى الأمير أبو الحارث البساسيري على بغداد، وخطب فيها للخليفة المستنصر بالله الفاطمي أربعين جُمعة وانتهب قصر الخلافة، وصار الخليفة القائم بأمر الله العبّاسي إلى عانة، وسير البساسيري الأموال والثحف من بغداد إلى المستنصر بالله بمصر في سنة سبع وأربعين وأربع مائة، كان من جملة ما بعث به مندبل الخليفة القائم بأمر الله الذي عمّمه بيده في قالب من رُخام قد وُضِعَ فيه كما هو حتى لا تتغير شدّته، ومع هذا المندبل رداؤه، والشباك الذي كان يجلس فيه ويتكئ عليه<sup>٣</sup>. فاحتفظ بذلك إلى أن عمّرت دار الوزارة على يد الأفضّل ابن أمير الجيوش، فجعل هذا الشباك بها يجلس فيه الوزير ويتكئ عليه. وما زال بها إلى أن عمّر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخائقات الركنية، وأخذ من دار

(a-a) إضافة من المسودة. (b) زيادة من المسودة. (c) المسودة: ملكه. (d) ساقطة من بولاق. (e) بولاق: سور بناؤه بالحجارة، والمثبت من المسودة. (f) زيادة من المسودة.

<sup>١</sup> المقريري: مسودة المواعظ ٢٥٥-٢٥٦، وفيما يلي  
٤١٦:٢-٤١٧.

<sup>٢</sup> عن الشباك ودوره في الرسوم الفاطمية انظر فيما تقدم

٣٠٢.

<sup>٢</sup> الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف ١٩٦.



الوزارة أنقاضاً منها هذا الشُّبَّاك ، فَجَعَلَهُ فِي القُبَّةِ ؛ وَهُوَ شُبَّاكٌ جَلِيلٌ .

وَأَمَّا العِمَامَةُ والرُّدَاءُ فَمَا زَالَا بِالقَصْرِ حَتَّى مَاتَ العَاضِدُ ، وَتَمَلَّكَ السُّلْطَانُ صَلاَحُ الدِّينِ دِيَارَ مِصْرَ ، فَسَيَّرَهُمَا فِي جَمَلَةٍ مَا بَعَثَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الخَلِيفَةِ المُسْتَضِيءِ بِأَمْرِ اللَّهِ <sup>(a)</sup> العَبَّاسِي بِبَغْدَادَ ، وَمَعَهُمَا الكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ الخَلِيفَةُ القَائِمُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ العُدُولُ فِيهِ أَنَّهُ لَا حَقَّ لِبَنِي العَبَّاسِ ، وَلَا لَهُ مِنْ جَمَلَتِهِمْ ، فِي الخِلَافَةِ مَعَ وُجُودِ بَنِي فَاطِمَةَ الزُّهْرَاءِ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - وَكَانَ البَّسَاسِيرِيُّ أَلْزَمَهُ حَتَّى أَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ ، وَبَعَثَ بِالإِشْهَادِ إِلَى مِصْرَ - فَأَنْفَذَهُ صَلاَحُ الدِّينِ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ مَا سَيَّرَ بِهِ مِنَ التَّحْفِ الَّتِي كَانَتْ بِالقَصْرِ <sup>١</sup> .

وَأَخْبَرَنِي شَيْخٌ مُعَمَّرٌ <sup>(b)</sup> أَذْرَكَتَهُ بِالخَانِقَاهِ الرُّكْنِيَّةِ بَيْبُزُسَ - يُعْرَفُ بِابْنِ الرُّضَاصِ وَيُقَالُ لَهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ الشُّعُودِي <sup>(b)</sup> ، وَوُلِدَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعٍ مِائَةٍ ، <sup>(b)</sup> عَلَى مَا ذَكَرَ لِي مُشَافَهَةً - وَكَانَتْ لِي بِهِ صُحْبَةٌ لِكثْرَةِ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الأَخْبَارِ <sup>(b)</sup> قَالَ : رَأَيْتُ مَرَّةً وَقَدْ سَقَطَ مِنْ ظَهْرِ الرُّبَاطِ المِجَاوِرِ لَخَانِقَاهِ بَيْبُزُسَ ، مِنْ جَمَلَةٍ مَا بَقِيَ مِنْ سُورِ دَارِ الوِزَارَةِ ، جَانِبَ ظَهْرَتِ مِنْهُ عِلْبَةٌ فِيهَا رَأْسُ إِنْسَانٍ كَبِيرٍ . وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الرَّأْسَ مِنْ جَمَلَةِ رُءُوسِ الأُمَرَاءِ البَرْقِيَّةِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ صِرْعَامٌ فِي أَيَّامِ وَزَارَتِهِ لِلعَاضِدِ بَعْدَ شَاوَرٍ . فَإِنَّهُ كَانَ عَمَلِ الحِيلَةِ عَلَيْهِمْ بِدَارِ الوِزَارَةِ ، وَصَارَ يَسْتَدْعِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى خِزَانَةِ البَدَارِ ، وَيُوهِمُهُمْ <sup>(c)</sup> أَنَّهُ يَخْلَعُ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا صَارَ الوَاحِدُ <sup>(d)</sup> مِنْهُمْ فِي الخِزَانَةِ قُتِلَ وَقُطِعَ رَأْسُهُ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ .

وَكَانَتْ دَارُ الوِزَارَةِ فِي الدَّوْلَةِ الفَاطِمِيَّةِ تَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ قَاعَاتٍ وَمَسَاكِنَ وَبُيُوتَانِ وَغَيْرِهِ ، وَكَانَ فِيهَا مِائَةٌ وَعِشْرُونَ مَقْسَمًا لِلْمَاءِ الَّذِي يَجْرِي فِي بَرَكِهَا وَمَطَابِخِهَا وَنَحْوِ ذَلِكَ <sup>٢</sup> .

ذِكْرُ رُتْبَةِ الوِزَارَةِ وَهَيْئَةِ خِلْعَتِهِمْ وَمِقْدَارِ جَارِيَتِهِمْ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ - <sup>(e)</sup> الوِزَارَةُ عِبَارَةٌ عَنْ رَجُلٍ مَوْثُوقٍ بِهِ فِي دِينِهِ وَعَقْلِهِ يُشَاوِرُهُ الخَلِيفَةُ فِيمَا يَعْنَنُ لَهُ مِنَ الأُمُورِ . وَاشْتَقُّ الوِزِيرُ مِنَ الوِزْرِ - بِكسْرِ الوَاوِ - وَهُوَ الثَّقَلُ ، فَكَأَنَّهُ يَحْمِلُ عَنِ الخَلِيفَةِ ثِقَلَ الأُمُورِ ؛ وَقِيلَ مُشْتَقٌّ مِنَ الوِزْرِ - بِفَتْحِ الوَاوِ وَالزَّايِ - وَهُوَ المَكَانُ المَمْتَنَعُ فِي الجَبَلِ يُلْجَأُ إِلَيْهِ وَيُمْتَنَعُ فِيهِ ، فَكَأَنَّ الوِزِيرَ يُلْجَأُ إِلَيْهِ الخَلِيفَةُ فِيمَا يَعْنَنُ

(a) بولاق : المستضيء بالله . (b-b) إضافة من المسودة . (c) بولاق : يوهم . (d) بولاق : واحد ، المسودة : أحدهم . (e-e) حاشية بخط المؤلف .

<sup>١</sup> مصدر هذا الخبر في المسودة هو ابن دحية : النبراس في مناقب بني العباس ١٣٩؛ المقرئ : مسودة المواظ ٢٥٧ .  
<sup>٢</sup> المقرئ : المسودة ٢٥٧-٢٥٨ .



له من الأمور ويمتنع برأيه من الخطأ؛ وقيل مشتق من الأزر - بفتح الهمزة وسكون الزاي - فكأن الوزير يشد أزر الخليفة ويقويه، ومن هنا ذهب بعضهم إلى أن الواو في الوزير بدل من الهمزة، ويقال الوزارة - بكسر الواو وفتحها - والكسر أفصح<sup>٥</sup>.

أما المعز لدين الله، أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر، فإنه لم يوقع اسم الوزارة على أحد في أيامه. وأول من قيل له الوزير في الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلثوم، وزير العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز، وإليه تنسب الحارة الوزيرية، كما ستقف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب<sup>١</sup>. فلما مات ابن كلثوم لم يستور العزيز بالله بعده أحدًا، وإنما كان رجل يلي الوساطة والسفارة، فاستقر في ذلك جماعة كثيرة بقيت أيام العزيز وسائر أيام ابنه أبي علي منصور الحاكم بأمر الله.

ثم ولي الوزارة أحمد بن علي الجزجرائي في أيام الظاهر أبي هاشم علي بن الحاكم<sup>٢</sup>. وما زال الوزراء من بعده واحدًا بعد واحد - وهم أرباب أقلام - حتى قديم أمير الجيوش بدر الجمالي.

قال ابن الطوير: وكان من زي هؤلاء الوزراء أنهم يلبسون المناديل الطبقيات - يعني العمائم بالأخناك تحت مخلوقهم مثل العُدول الآن - وينفردون بلبس ثياب<sup>٣</sup> يقال لها: «الدراريع»<sup>٤</sup> (واحدتها دراعة) وهي مشقوقة أمام وجهه إلى قريب من رأس الفؤاد بأزرار وعُرى، ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك، ومنهم من أزراره لؤلؤ، وهذه علامة الوزارة.

ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب، ويقف بين يديه الحجاب، وأمره نافذ في أرباب الشيوف من الأجناد وأرباب الأقلام. وكان آخرهم الوزير ابن المغربي<sup>٤</sup> الذي قديم عليه أمير الجيوش بدر

(a) بولاق: ثياب قصار.

<sup>٣</sup> دراعة ج. دراريع. هي اللباس المعروف بالحجة أو

<sup>١</sup> فيما يلي ٢: ٥.

الفرجية وهي من خصائص لباس المشايخ وأرباب العمائم في العصور الإسلامية (Ma'yer L. A., *Mamluk Costume*, Genève 1952, pp. 15-16).

<sup>٢</sup> في سنة ٤١٨ هـ/١٠٢٧ م، حيث أصبحت الوزارة منذ هذا التاريخ منصبًا وتكليفًا، وكانت كل مسؤوليات وزير التنفيذ مسؤوليات إدارية فقط، فلا يُشير سجل تولية الجزجرائي المؤرخ في ذي الحجة سنة ٤١٨ هـ (أورد نصه ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ٨١) إلى أية مسؤوليات عسكرية أو قضائية.

<sup>٤</sup> الوزير أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي، أحد أفراد أسرة لعبت دورًا كبيرًا في الحياتين السياسية والثقافية في العراق ومصر في القرنين الرابع والخامس للهجرة. تولى الوزارة أول =



الجمالي من عكا، ووزر للمستنصر وزير سيف، ولم يتقدمه في ذلك أحد انتهى .  
وترتيب وزارته بأن تكون وزارته صاحب سيف، بأن تكون الأمور كلها مردودة إليه<sup>(b)</sup>  
ومنه إلى الخليفة دون سائر خدمه، فعقد له هذا العقد، وأنشئ له السجل، ونعت بـ « السيد  
الأجل أمير الجيوش »<sup>٢</sup> - وهو الثغ الذي كان لصاحب ولاية دمشق - وأضيف إليه « كافل  
قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين »، وجعل القاضي والداعي نائين عنه ومقلدين من  
قبيله . وكتب له في سجله :

« وقد قللك أمير المؤمنين جميع<sup>(a)</sup> جوامع تديره، وناط بك النظر في كل  
ما وراء سريره . فباشر ما قللك أمير المؤمنين من ذلك مديرا للبلاد، ومصلحا  
للفساد، ومدمرا أهل العناد »<sup>٣</sup>.

وتخلع عليه بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق، وزيد له الحنك مع الذوابة المرحاة والطيلسان  
المقورزي قاضي القضاة، وذلك في سنة سبع وستين وأربع مائة . فصارت الوزارة من حينئذ وزارة  
تفويض ويقال لتوليها : « أمير الجيوش »، وبطل اسم الوزارة<sup>(b)</sup> .<sup>٤</sup>

(a) ساقطة من أبصوفيا . (b) بولاق : الوزير .

القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٥، ١: ٧٨-٩٣؛ جمال الدين  
الشَّيْال: مجموعة الوثائق الفاطمية، القاهرة ١٩٥٨،  
١٢٧-١٧٨؛ محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء  
في العصر الفاطمي، القاهرة ١٩٧٠؛ Laila Sami  
al-Imâd, *The Fatimid Vizirate 969-1172*,  
Berlin 1990؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر  
٣٢٠-٣٢٧.

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٠٦؛ القلقشندي: صبح  
٤٨٦:٢.

<sup>٢</sup> السجلات المستنصرية، السجلات أرقام ٥٦، ٥٧، ٥٨.  
<sup>٣</sup> المقريري: المقفى ٢: ٣٩٧؛ ابن حجر: رفع الإصر  
٩٢.

<sup>٤</sup> ابن الصيرفي: الإشارة ٩٦؛ النويري: نهاية الأرب =

= مرة في ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م، وصرف عنها  
سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م، ولم يكن هو الوزير الذي قدم عليه  
بدر الجمالي وإنما ساعد الخليفة المستنصر في استدعاء بدر  
الجمالي من عكا وهو يتولى ديوان الإنشاء، أما الوزير الذي  
قدم عليه بدر الجمالي فهو الحسن بن القاضي ثقة الدولة  
وسنائها المعروف بابن أبي كذينة (ابن الصيرفي: الإشارة  
٨٩-٩٠). (راجع، ابن الصيرفي: الإشارة ٨٣-٨٥؛ ابن  
ميسر: أخبار مصر ١٨، ٢٢، ٢٥، ٣٤، ٤٧، ٥٥،  
وفيما يلي ١٥٨:٢).

وعن الوزارة في العصر الفاطمي راجع ابن الصيرفي:  
الإشارة إلى من نال الوزارة، ومن الدراسات الحديثة، عطية  
مصطفى مشرفة: نظم الحكم في عصر الفاطميين (٣٥٨-  
٥٦٧هـ / ٩٦٨-١٧١١م)، القاهرة ١٩٤٨؛ ٩٦-١٢٠؛  
عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر،



فَلَمَّا قَامَ شَاهِنْشَاهُ ابْنُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ ، وَمَاتَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَنْصِرُ ، وَأَجْلَسَ ابْنُ بَدْرٍ فِي الْخِلَافَةِ أَحْمَدَ بْنَ الْمُسْتَنْصِرِ وَلَقَّبَهُ بِـ « الْمُسْتَعْلِي » ، صَارَ يُقَالُ لَهُ : « الْأَفْضَلُ » ، وَمِنْ بَعْدِهِ صَارَ مِنْ يَتَوَلَّى هَذِهِ الرُّتْبَةَ يَتَلَقَّبُ بِهِ أَيْضًا ١ .

- وَأَوَّلُ مَنْ نُعِيََتْ <sup>(a)</sup> بِـ « الْمَلِكِ » مِنْهُمْ مُضَافًا إِلَى بَقِيَّةِ الْألقَابِ رِضْوَانُ بْنُ وَخْشِي عِنْدَمَا وَزَرَ لِلْحَافِظِ لَدِينِ اللَّهِ ، فَقِيلَ لَهُ : « السَّيِّدُ الْأَجَلُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ » ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ ٢ . وَفِعْلَ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَتَلَقَّبَ طَلَائِعُ بْنُ زُرَيْكٍ بِـ « الْمَلِكِ الصَّالِحِ » <sup>(b)</sup> ، وَتَلَقَّبَ ابْنُ زُرَيْكٍ ابْنُ طَلَائِعِ بِـ « الْمَلِكِ الْعَادِلِ » ، وَتَلَقَّبَ شَاوِرُ بِـ « الْمَلِكِ الْمُنْصُورِ » ، وَتَلَقَّبَ آخِرُهُمْ صَلاَحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ بِـ « الْمَلِكِ النَّاصِرِ » . وَصَارَ وَزِيرُ السَّيْفِ مِنْ عَهْدِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ بَدْرٍ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ هُوَ « سُلْطَانُ مِصْرَ » ، وَصَاحِبُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ فِي الْكَافَّةِ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْأَجْنَادِ وَالْقُضَاةِ وَالْكَتَّابِ وَسَائِرِ الرِّعِيَّةِ ، وَهُوَ الَّذِي يُوَلِّي أَرْبَابَ الْمَنَاصِبِ الدِّيوانِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ ١٠ . وَصَارَ حَالُ الْخَلِيفَةِ مَعَهُ كَمَا هُوَ حَالُ مَلُوكِ مِصْرَ مِنَ الْأَثْرَاكِ إِذَا كَانَ السُّلْطَانُ صَغِيرًا وَالْقَائِمُ بِأَمْرِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى تَدْيِيرَ الْأُمُورِ كَمَا كَانَ الْأَمِيرُ يَلْبِغُ الْخَاصِكِيَّ مَعَ الْأَشْرَفِ شَعْبَانَ ، وَكَمَا أَدْرَكْنَا الْأَمِيرَ بَرْقُوقَ .

(a) بولاق : لقب . (b) بولاق : المنصور .

- ٢٨ : ٢٣٥ . وَأَضْفَى بَدْرُ الْجَمَالِيِّ شَهْرَةَ عَلَى هَذَا اللَّقْبِ حَتَّى إِنَّهُ حُلَّ مَحَلَّ اسْمِهِ الشَّخْصِيِّ لِلتَّنْدِيلِ عَلَيْهِ ؛ فَرُغِمَ أَنْ خَلْفَاءَهُ تَلَقَّبُوا كَذَلِكَ بِلِقَبِ « أَمِيرِ الْجُيُوشِ » - بِمَا أَنَّهُمْ كَانُوا « وَزَرَاءِ سِيُوفِ » أَي قَادَةَ لِلْجَيْشِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ - فَإِنَّ بَدْرًا احْتَفَظَ وَحْدَهُ لَدَى الْمُؤَرِّخِينَ بِمِيزَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْتَفُونَ فَقَطْ لِتَعْرِيفِهِ بِذِكْرِ لِقْبِهِ « أَمِيرِ الْجُيُوشِ » . (أَيْمَنُ فُوَادُ : الدَّوْلَةُ الْفَاعِطِمِيَّةُ فِي مِصْرَ ٣٢٢) .
- ١ استقرَّ تَرْتِيبُ ألقَابِ وَزَرَاءِ السِّيُوفِ الْفَاعِطِمِيِّينَ ابْتِدَاءً مِنْ بَدْرِ الْجَمَالِيِّ وَحَتَّى ظَهَرَ لِقَبِ « الْمَلِكِ » بَيْنَ ألقَابِ الْوَزِيرِ كَالْآتِي : « السَّيِّدُ الْأَجَلُ » [النَّعْتُ الشَّخْصِيُّ لِلْوَزِيرِ الَّذِي أَصْبَحَ ابْتِدَاءً مِنْ الصَّالِحِ طَلَائِعُ لِقَبِ « مَلِكِ »] ، أَمِيرِ الْجُيُوشِ ، سَيِّفِ الْإِسْلَامِ ، نَاصِرِ الْإِمَامِ ، كَافِلِ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ، (ثُمَّ اسْمٌ وَكُنْيَةٌ وَلِقَبٌ لِلْوَزِيرِ الشَّخْصِيِّ) . (أَيْمَنُ فُوَادُ : المرجع السابق ٣٢٢) .
- ٢ هذه المعلومة غير دقيقة ومصدرها ابن الأثير : الكامل ٤٨ : ١١ ، وكثرها المقرئ في اتعاظ الحنفا ٣ : ١٦١ . ولكن ما ذكره المقرئ يناقض نصًا آخر له في اتعاظ الحنفا ٣ : ٢١٨ حيث يذكر في ترجمة الوزير طلائع بن زُرَيْكٍ أَنَّهُ نُعِيََتْ فِي سَجَلِ تَوَلِيَّتِهِ بِـ « الْمَلِكِ الصَّالِحِ » وَأَنَّهُ « لَمْ يُلَقَّبْ أَحَدٌ مِنَ الْوَزَرَاءِ قَبْلَهُ بِالْمَلِكِ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ٤ ربيع الآخر سنة ٥٤٩ هـ » ، وَأَضَافَ بَعْدَ قَلِيلٍ (٣ : ٢٥١) : « وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَوَّطَ بِالْمَلِكِ فِي دِيَارِ مِصْرَ وَنَعَتْ بِهِ » . يُؤَكِّدُ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عِنْدَ ابْنِ مَيْسَرٍ (أَخْبَارُ ١٢٦) وَسِجَلُ تَقْلِيدِ رِضْوَانِ الْوَزَارَةِ الَّذِي لَمْ يَرِدْ فِيهِ لَفْظُ الْمَلِكِ . (القلقشندي : صبح ٨ : ٣٤٢ - ٣٤٦) .



قال ابن أبي طي<sup>(a)</sup> في « تاريخ حلب »<sup>(a)</sup>: وكانت خلعهم - يعني الخلفاء الفاطميين - على الأمراء الثياب الدبقي والعمائم القصب بالطراز الذهب؛ وكان طراز الذهب والعمامة من خمس مائة دينار، ويخلع على أكابر الأمراء الأطواق الذهب والإسورة والسيوف المحلاة. وكان يخلع على الوزير عوضاً عن الطوق عقد جوهر<sup>١</sup>.

قال ابن الطوير: ويخلع عليه - يعني على أمير الجيوش بدر الجمالي - بالعقد المنظوم بالجواهر مكان الطوق، وزيد له الحنك مع الذوابة المزخاة والطيلسان المقور زي قاضي القضاة<sup>٢</sup>.

<sup>(a)</sup> قال المؤلف<sup>(a)</sup>: وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء أرباب الأقلام في زمننا هذا، غير أنه لقصور أحوال الدولة، جعل عوض العقد الجوهر الذي كان للوزير - وثقك بخمسة آلاف مثقال ذهباً - قلاذة من عنبر مغشوش يقال لها « العنبرية<sup>(b)</sup> »، ويتميز بها الوزير خاصة، ويلبس أيضاً الطيلسان المقور ويسمى اليوم بـ « الطرخة »، ويشاركه فيها جميع أرباب العمائم إذا خلع عليهم، فإنه تكون خلعهم بالطرخة.

وترك أيضاً اليوم من خلعة الوزير وغيره الذوابة المزخاة وهي « العذبة »، وصارت الآن من زي القضاة فقط وهجرها الوزراء. ويشبهه - والله أعلم - أن يكون وضعها في الدولة الفاطمية للوزير في خلعه إشارة إلى أنه كبير أرباب السيوف والأقلام، فإنه كان مع ذلك يتقلد بالسيف. وكذلك ترك في الدولة التركية من خلع الوزارة تقليد السيف؛ لأنه لا يحكم له على أرباب السيوف.

ولما قام الأفضل ابن أمير الجيوش خلع أيضاً عليه بالسيف والطيلسان المقور، وبعد الأفضل لم يخلع على أحد من الوزراء كذلك، إلى أن قديم طلائع بن زريك ولقب بـ « الملك الصالح » عندما خلع عليه للوزارة، وجعل في خلعتة السيف والطيلسان المقور<sup>٣</sup>.

قال ابن المأمون: وفي يوم الجمعة ثانياً - يعني ثاني ذي الحجة سنة خمس عشرة وخمس مائة - أخلع<sup>(c)</sup> على القائد ابن فاتك البطائحي من الملابس الخاص الشريفة في فردكم مجلس

(a-a) إضافة من المسودة. (b) بولاق: العنبرية. (c) بولاق: خلع.

<sup>١</sup> المقرئ: مسودة المواظ ٢٦٠. المواظ ٢٦٠.

<sup>٢</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٢١؛ المقرئ: مسودة <sup>٣</sup> المقرئ: مسودة المواظ ٢٦٠ - ٢٦١.



اللُّعْبَةُ<sup>١</sup>، وَطُوقٌ بِطُوقٍ ذَهَبٍ مُرْصَعٍ/ وَسَيْفٌ ذَهَبٌ كَذَلِكَ، وَسَلَّمَ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْأَمْرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ. وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْأُسْتَاذِينَ الْمُحَنِّكِينَ بِالخُرُوجِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْ يَرْكَبَ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ الْأَفْضَلُ ابْنَ أَمِيرِ الْجِيُوشِ يَرْكَبُ مِنْهُ. وَمَشَى فِي رِكَابِهِ الْقَوَاذِ عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ، وَخَرَجَ بِتَشْرِيفِ الْوِزَارَةِ - يَعْنِي مِنْ بَابِ الذَّهَبِ - <sup>(a)</sup>شَاقًّا بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ<sup>(a)</sup>، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْعِيدِ رَاكِبًا، وَجَرَى الْحُكْمُ فِيهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ لِلْأَفْضَلِ، وَوَصَلَ إِلَى دَارِهِ فَضَاعَفَ الرُّسُومَ، وَأَطْلَقَ الْهَيْبَاتَ.

قَالَ<sup>(b)</sup>: وَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ خَامِسَ ذِي الْحِجَّةِ، اجْتَمَعَ أَمْرَاءُ الدَّوْلَةِ لِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ الْأَمْرِ عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي قَرَّرَهَا مُسْتَجِدَّةً، وَاسْتَدْعَى الشَّيْخَ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ - <sup>(c)</sup>يعني صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات<sup>(c)</sup> - فَلَمَّا حَضَرَ أَمَرَ بِإِحْضَارِ السُّجْلِ - <sup>(c)</sup>يعني تقليد الوزارة - فَأَحْضَرَهُ فِي لُفَافَةٍ خَاصَّةٍ مُذَهَّبَةٍ وَسَلَّمَ الْخَلِيفَةُ السُّجْلَ<sup>(c)</sup> لِلْأَجَلِ الْوَزِيرِ الْمَأْمُونِ مِنْ يَدِهِ، فَقَبَّلَهُ وَسَلَّمَهُ لِرِمَامِ الْقَصْرِ، وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْوَزِيرَ الْمَأْمُونُ بِالْجُلُوسِ عَنْ يَمِينِهِ. وَقُرِئَ السُّجْلُ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ - <sup>(a)</sup>يعني الذي كان يجلس فيه الخليفة بقاعة الذهب في يومي المؤكب<sup>(a)</sup> وهو أولُ سِجْلٍ قُرِئَ فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَكَانَتْ سِجْلَاتُ الْوِزَرَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ تُقْرَأُ بِالْإِيوَانِ<sup>٢</sup> - وَرُؤِيسَ لِلشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ أَنْ يَنْقِلَ النُّسْبَةَ لِلْأَمْرَاءِ وَالْمُحَنِّكِينَ مِنَ الْأَمْرِ إِلَى الْمَأْمُونِ لِلنَّاسِ أَجْمَعٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَسِبُ لِلْأَفْضَلِ وَلَا لِأَمِيرِ الْجِيُوشِ. وَقُدِّمَتِ الدَّوَاةُ لِلْمَأْمُونِ فَعَلَّمَ فِي مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ، وَتَقَدَّمَتِ الْأَمْرَاءُ وَالْأَجْنَادُ، فَقَبَّلُوا الْأَرْضَ وَشَكَرُوا <sup>(a)</sup>أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(a)</sup> عَلَى هَذَا الْإِحْسَانِ.

وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ بِإِحْضَارِ الْخَلْعِ الْحَاجِبِ الْحُجَّابِ لِحَسَامِ الْمَلِكِ <sup>(a)</sup>أَفْتَكِينَ فَأَحْضَرَتْ وَأَفِيضَتْ عَلَيْهِ<sup>(a)</sup> وَطُوقٌ بِطُوقٍ ذَهَبٍ وَسَيْفٌ ذَهَبٌ وَمِنْطَقَةٌ ذَهَبٌ. ثُمَّ أَمَرَ بِالْخَلْعِ لِلشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ بِاسْتِمْرَارِهِ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ كِتَابَةِ الدُّسْتِ الشَّرِيفِ، وَشَرَفَهُ بِالذُّخُولِ إِلَى مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ. ثُمَّ اسْتَدْعَى الشَّيْخَ أَبَا الْبَرَكَاتِ بْنَ أَبِي اللَّيْثِ [مَتَوَلِّيَ دِيْوَانِ الْمَجْلِسِ]<sup>(d)</sup>، وَأَخْلَعَ عَلَيْهِ بَدَلَةَ مُذَهَّبَةٍ، وَكَذَلِكَ أَبُو الرُّضَى سَالِمُ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ، وَكَذَلِكَ أَبُو الْمَكَارِمِ أَخُوهُ وَأَبُو مُحَمَّدٍ أَخُوهُمَا، ثُمَّ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْمَيْدَمِيِّ [مُنَشِيٌّ مَا يَصْدُرُ عَنْ دِيْوَانِ الْمَكَاتِبَاتِ وَمُحَرَّرٌ مَا يُؤَمَّرُ بِهِ مِنَ الْمَهْمَاتِ]<sup>(a)</sup>، وَوَهَبَهُ دَنَانِيرَ كَثِيرَةً بِحُكْمِ أَنَّهُ الَّذِي قَرَأَ السُّجْلَ، وَخَلَعَ أَيْضًا<sup>(e)</sup> عَلَى الشَّيْخِ أَبِي

(a-a) زيادة من مسودة المواعظ. (b) إضافة من مسودة المواعظ. (c-c) ساقطة من بولاق. (d) زيادة من المقفى

الكبير. (e) إضافة من المسودة.



الفضائل بن أبي الليث صاحب دفتر المجلس . ثم استدعى عديّ الملك سعيد بن عماد الضيف ، متولّي أمور الضيافات والرسل الواصلين إلى الحضرة من <sup>(a)</sup> جميع الجهات ، وأخذ العلامة على التوقيعات فأخلع عليه . وما كان أحدٌ يدخل <sup>(a)</sup> مجلس الأفضّل ، ولا يصل لعنته أحدٌ ، لا حاجب الحجاب ولا غيره سوى عديّ الملك هذا ، فإنه كان يقف من داخل العتبة . وكانت هذه الخدمة في ذلك الوقت من أجل الخدم وأكبرها ، ثم عادت من أهون الخدم وأقلها <sup>١</sup> .

فعد ذلك قال القاضي أبو الفتح [محمود] <sup>(b)</sup> بن قادوس <sup>٢</sup> يمدح الوزير المأمون عند مثوله بين يديه ، وقد زيد في نعوته :

[الكامل]

قالوا أتاه النعت وهو السيد الـ مأمون حقاً والأجل الأشراف  
ومنيك أمة أحمد ومجيرها ما زادنا شيئاً على ما نعرف

قال : ولما استمرّ حُسنُ نظر المأمون للدولة وجميل أفعاله ، بلغ الخليفة الأمر بأحكام الله ، فشكره وأثنى عليه ، فقال له المأمون : ثمّ كلامٌ يحتاج إلى خلوة . فقال الخليفة : تكون في هذه الساعة <sup>(c)</sup> ، وأمر بخلو المجلس . فعند ذلك مثل بين يدي الخليفة وقال له : يا مولانا امثالنا الأمر صعبٌ ومخالفته أصعب ، وما يتسع خلافه قدام أمراء دولته وهو في دسّته خلافته ومنصب آبائه وأجداده ، وما في قواي ما يرومه مني ، ويكفيني هذا المقدار ، وهيهات أن أقوم به ، والأمر كبير . فعند ذلك تغيّر الخليفة وأقسم لا كان <sup>(d)</sup> لي وزير غيرك ، وهو في نفسي من أيام الأفضّل ؛ وهو مستمرّ على الاستعفاء إلى أن بان له التغيّر في وجه الخليفة ، وقال : ما اعتقدت أنك تخرج عن أمري ولا تخالفني ؛ فقال له المأمون عند ذلك : لي شروط ، وأنا أذكرها ؛ فقال له : مهما شئت اشترط ؛ فقال له : قد كنت بالأمس مع الأفضّل ، وكان قد اجتهد في [أن يشرفني بعدة] <sup>(b)</sup>

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) زيادة من المقفى الكبير . (c) بولاق في هذا الوقت . (d) بولاق : إن كان والثبت من المقفى .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٢٠-٢١ ؛ المقرئ : مسودة المواظ ٢٦١-٢٦٢ والمقفى الكبير ٤٨٠-٤٨١ واتعاظ الحنفا ٧٥-٧٧ .

<sup>٢</sup> القاضي المفضل كافي الكفاة أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطي المعروف بابن قادوس ، شاعر

منشئ من كتاب ديوان الإنشاء بمصر ، توفي سنة ٥٥٣ هـ .  
(ابن ميسر : أخبار ١٥٧ ؛ العماد الأصفهاني : خريدة القصر  
(قسم مصر) ١ : ٢٢٦-٢٣٤ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة  
١ : ٥٦٣) .



التُّغُوتِ وَحَلَّ الْمِنْطَقَةَ [مِنْ وَسْطِي] <sup>(a)</sup> فَلَمْ أَفْعَلْ ؛ فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : عَلِمْتُ ذَلِكَ فِي وَقْتِهِ ؛ قَالَ : وَكَانَ أَوْلَادُهُ يَكْتُبُونَ إِلَيْهِ بِمَا يَعْلَمُهُ مَوْلَايَ مِنْ كَوْنِي قَدْ خُنْتُهُ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ ، وَمَا كَانَ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ ذَلِكَ مِنِّي يَوْمًا قَطًّا ! ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ مُعَادَاةَ الْأَهْلِ جَمِيعًا وَالْأَجْنَادِ وَأَزْيَابِ الطُّيَالِسِ وَالْأَقْلَامِ ، وَهُوَ يُعْطِينِي كُلَّ رُقْعَةٍ تَصِلُ إِلَيْهِ مِنْهُمْ ، وَمَا سَمِعَ كَلَامَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فِي ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : فَإِذَا كَانَ فِعْلُ الْأَفْضَلِ مَعَكَ مَا ذَكَرْتَهُ ، إِيْشَ يَكُونُ فِعْلِي أَنَا ؟ فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يُعَرِّفُنِي الْمَوْلَى مَا يَأْمُرُ بِهِ فَأَمْتَنَّهُ بِشَرْطِ الْأَى يَكُونُ عَلَيْهِ زَائِدٌ .

فَأَوَّلُ مَا ابْتَدَأَ بِهِ أَنْ قَالَ : أُرِيدُ الْأَمْوَالَ لَا تُجْبِي إِلَّا بِالْقَصْرِ ، وَلَا تَصِلُ الْكُشُوتُ مِنَ الطَّرَازِ وَالتُّغُورِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا تُفَرِّقُ إِلَّا مِنْهُ ، وَتَكُونُ أَسْمِطَةُ الْأَعْيَادِ فِيهِ ، وَيُوسِّعُ فِي رَوَاتِبِ الْقُصُورِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ ، وَزِيَادَةَ رَسْمِ مِثْدِيلِ الْكُتْمِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : سَمِعْنَا وَطَاعَةً ؛ أَمَّا الْكُشُوتُ وَالْحَيَاةُ وَالْأَسْمِطَةُ فَمَا تَكُونُ إِلَّا بِالْقُصُورِ ، وَأَمَّا تَوْسِيعَةُ الرُّوَاتِبِ فَمَا نَمُّ مِنْ يُخَالِفُ الْأَمْرَ ، وَأَمَّا زِيَادَةُ رَسْمِ مِثْدِيلِ الْكُتْمِ فَقَدْ كَانَ الرَّسْمُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثِينَ دِينَارًا ، يَكُونُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ دِينَارٍ ؛ وَمَوْلَانَا - سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يُشَاهِدُ مَا يُعْمَلُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الرُّكُوبَاتِ وَأَسْمِطَةِ الْأَعْيَادِ وَغَيْرِهَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ . فَفَرِحَ الْخَلِيفَةُ ، وَعَظُمَتْ مَسْرُوتُهُ .

ثُمَّ قَالَ الْمَأْمُونُ : أُرِيدُ بِهَذَا مَسْطُورًا بِخَطِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُقْسِمُ لِي فِيهِ بِآبَائِهِ الطَّاهِرِينَ إِلَّا يَلْتَقِيتَ لِحَايِدٍ وَلَا مُبَغِضٍ ، وَمَهْمَا ذُكِرَ/ عَنِّي <sup>(b)</sup> يُطْلَعُنِي عَلَيْهِ ، وَلَا يَأْمُرُ فِيَّ بِأَمْرٍ سِرًّا وَلَا جَهْرًا يَكُونُ فِيهِ ذَهَابُ نَفْسِي وَانْحِطَاطُ قَدْرِي . [وَتَكُونُ] <sup>(a)</sup> هَذِهِ الْأَيْمَانُ بَاقِيَةٌ إِلَى وَقْتِ وَفَاتِي ، فَإِذَا تُوُفِّيتَ تَكُونُ لِأَوْلَادِي وَلِمَنْ أَخْلَفَهُ بَعْدِي . فَحَضَرَتْ الدَّوَاةُ ، وَكُتِبَ ذَلِكَ جَمِيعُهُ ، وَأَشْهَدُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِهَا عَلَى نَفْسِهِ ؛ فَعِنْدَمَا حَصَلَ الْخَطُّ بِيَدِ الْمَأْمُونِ ، وَقَفَ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ . وَكَانَ الْخَطُّ بِالْأَيْمَانِ نُسَخَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا فِي قَصَبَةِ فِضَّةٍ .

قَالَ : فَلَمَّا قُبِضَ عَلَى الْمَأْمُونِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةَ <sup>(c)</sup> وَخَمْسِ مِائَةٍ ، أَنْفَذَ الْخَلِيفَةُ الْأَمْرَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ يُطْلَبُ الْأَيْمَانُ ، فَتَقَدَّ لَهُ الَّتِي فِي الْقَصَبَةِ الْفِضَّةِ ، فَحَرَقَهَا لَوَقْتِهَا ، وَبَقِيَتِ الشُّسْحَةُ الْآخَرَى عِنْدِي ، فَعُدِمَتْ فِي الْحَرَكَاتِ الَّتِي جَرَتْ <sup>١</sup> .

(a) زيادة من المقفى الكبير . (b) بولاق : في . (c) في النسخ : وعشرين ، خطأ .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٢٠-٢٣ ؛ المقرئ : اتعاظ الخنفا ٣: ٧٥-٧٧ ؛ والمقفى الكبير ٦: ٤٨٠-٤٨٣ .



وقال ابن مَيْسَرٍ في حَواذِثِ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةِ وَخَمْسِ مِائَةٍ : وَفِيهَا تَشَرَّفَ الْقَائِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَمِيرِ نُورِ الدَّوْلَةِ أَبِي شُجَاعِ فَاتِكِ بْنِ الْأَمِيرِ مُنْجِدِ الدَّوْلَةِ أَبِي الْحَسَنِ مُخْتَارِ المُسْتَنْصِرِيِّ المَعْرُوفِ بِابْنِ البَطَائِحِيِّ ، فِي الخَامِسِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَ الْأَفْضَلِ أَسْتَاذًا<sup>١</sup> ، وَهُوَ الَّذِي قَدَّمَهُ إِلَى هَذِهِ المَرْتَبَةِ .

وَاسْتَقَرَّتْ نُعُوثُهُ فِي سِجِلِّهِ المَقْرُوءِ عَلَى كَافَّةِ الْأَمْرَاءِ وَالْأَجْنَادِ بِ « الْأَجَلِّ المَأْمُونِ ، تَاجِ الخِلَافَةِ ، وَجِيهِ المُلْكِ ، فَخْرِ الصَّنَائِعِ ، ذُخْرِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ » . ثُمَّ تَجَدَّدَ لَهُ مِنَ الثُّعُوتِ بَعْدَ ذَلِكَ « الْأَجَلُّ المَأْمُونِ ، تَاجِ الخِلَافَةِ ، عِزُّ الإِسْلَامِ ، فَخْرُ الأَنَامِ ، نِظَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا » . ثُمَّ نُبِعَتْ بِمَا كَانَ يُنْتَعَتُ بِهِ الْأَفْضَلُ ، وَهُوَ « السَّيِّدُ الْأَجَلُّ المَأْمُونِ ، أَمِيرُ الجُيُوشِ ، سَيْفُ الإِسْلَامِ ، نَاصِرُ الأَنَامِ ، كَافِلُ قُضَاةِ المَسْلَمِينَ وَهَادِي دُعَاةِ المُؤْمِنِينَ »<sup>٢</sup> .

وَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ التَّاسِعِ<sup>٣</sup> مِنْ ذِي الحِجَّةِ - وَهُوَ يَوْمُ الهِنَاءِ بَعِيدِ النَّحْرِ - جَلَسَ المَأْمُونُ فِي دَارِهِ عِنْدَ أَذَانِ الصُّبْحِ ، وَجَاءَ النَّاسُ لِخِدْمَتِهِ لِلهِنَاءِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ، ثُمَّ الْأَمْرَاءُ وَالْأُسْتَاذُونَ المُحَنِّكُونَ وَالشُّعْرَاءُ بَعْدَهُمْ . فَزَكَبَ إِلَى القَصْرِ ، وَأَتَى بَابَ الذَّهَبِ ، فَوَجَدَ المَرْتَبَةَ المَخْتَصَّةَ بِالوِزَارَةِ قَدْ هُيِّئَتْ لَهُ فِي مَوْضِعِهَا الجَارِي بِهِ العَادَةُ ، وَأَغْلَقَ البَابَ الَّذِي عِنْدَهَا عَلَى الرِّسْمِ المَعْتَادِ لَوِزَرَاءِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ . وَهَذَا البَابُ يُعْرَفُ بِبَابِ السُّرْدَابِ . فَعِنْدَمَا شَاهَدَ الحَالِ فِي المَرْتَبَةِ ، تَوَقَّفَ عَنِ الجُلُوسِ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا حَالَةٌ لَمْ يَجْرُ مَعَهُ حَدِيثٌ فِيهَا ، ثُمَّ أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ لِأَجْلِ حُضُورِ الْأَمْرَاءِ إِلَى الجُلُوسِ ، فَجَلَسَ عَلَيْهَا وَجَلَسَ أَوْلَادُهُ الثَّلَاثَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَأَخْوَاهُ عَنْ يَسَارِهِ ، وَالْأَمْرَاءُ المَطُوقُونَ - خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ - قِيَامًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى هَذَا المَكَانِ سِوَاهُمْ . فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعٍ مِنْ أَنْ قُتِحَ البَابُ وَخَرَجَ عِدَّةٌ مِنَ الْأُسْتَاذِينَ المُحَنِّكِينَ بِسَلَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ .

(a) عِنْدَ ابْنِ مَيْسَرٍ : السَّابِعُ ، وَعِنْدَ النُّوَيْرِيِّ : الثَّلَاثُ عَشَرَ .

<sup>١</sup> الأَسْتَاذَارُ : كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَرَكِبَةٌ بِمَعْنَى مَتَوَلِّي قَبْضِ المَالِ أَوْ كَبِيرِ الدَّارِ أَوْ البَيْتِ ، وَهِيَ مِنَ الوِظَانِفِ الَّتِي عَرَفَتْ فِي عَصْرِ الدَّوْلَةِ المَعْلُوكِيَّةِ . وَيَبْدُو أَنَّ إِشَارَةَ ابْنِ مَيْسَرٍ هَذِهِ هِيَ الإِشَارَةُ الوَحِيدَةُ لِوُجُودِ هَذِهِ الوِظِيْفَةِ عِنْدَ الفَاعِطَمِيِّينَ . وَانظُرْ فِيمَا يَلِي ٢ : ٢٢٢ .

<sup>٢</sup> رَاجِعْ ألقَابَ المَأْمُونِ البَطَائِحِيِّ عِنْدَ ، ابْنِ ظَافِرٍ : أَخْبَارِ ٨٨ : النُّوَيْرِيِّ : نِهَآيَةَ ٢٨ : ٢٨٨ ؛ ابْنِ أَيُّكٍ : كَنْزُ الدَّرَرِ ٦ : ٤٨٨ ؛ المَقْرِيْزِيِّ : المَقْفِيُّ ٦ : ٤٧٨ - ٤٧٩ ، وَفِيمَا يَلِي ٥١٤ .



وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ الثَّقَةُ مُتَوَلِّيَ الرِّسَالَةَ وَزِمَامَ الْقُصُورِ ، فَعِنْدَ حُضُورِهِ وَقَفَ لَهُ أَوْلَادُ الْمَأْمُونِ وَأَخْوَاهُ ، فَطَلَعَ عِنْدَ خُرُوجِهِ قُبَالَةَ<sup>(a)</sup> الْمَرْتَبَةَ وَقَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرُدُّ عَلَيَّ السَّيِّدَ الْأَجَلَ الْمَأْمُونِ السَّلَامَ . فَبَوَقَفَ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَلَ<sup>(b)</sup> الْمَأْمُونِ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ ، وَعَادَ فَجَلَسَ مَكَانَهُ . وَتَأَخَّرَ الْأَمِيرُ إِلَى أَنْ نَزَلَ مِنَ الْمَصْطَبَةِ ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَقَبَّلَ يَدَ الْمَأْمُونِ ، وَدَخَلَ مِنْ فَوْرِهِ مِنَ الْبَابِ ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى حَالِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَفْضَلُ .

وَكَانَ الْأَفْضَلُ يَقُولُ : مَا أَزَالُ أَعِدُّ نَفْسِي سُلْطَانًا حَتَّى أَجْلِسَ عَلَى تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ وَالْبَابُ يُغْلَقُ فِي وَجْهِي وَالِدُخَانٌ فِي أَنْفِي ، فَإِنَّ الْحَمَامَ كَانَتْ مِنْ خَلْفِ الْبَابِ فِي السَّرْدَابِ .

ثُمَّ فُتِحَ الْبَابُ وَعَادَ الثَّقَةُ ، وَأَشَارَ بِالِدُّخُولِ إِلَى الْقَصْرِ ، فَدَخَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي هُيئَ لَهُ وَدُعِيَ<sup>(c)</sup> لِمَجْلِسِ الْوَزَارَةِ ، وَبَقِيَ الْأَمْرَاءُ بِالِدِّهَالِيزِ إِلَى أَنْ جَلَسَ الْخَلِيفَةُ ، وَاسْتَفْتَحَ الْقُرَاءَ ، وَاسْتَدْعَى الْمَأْمُونِ فَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَوْلَادُهُ وَإِخْوَتُهُ ، وَأَحَلَّ الْأَمْرَاءَ عَلَى قَدْرِ طَبَقَاتِهِمْ : أَوْلَهُمْ أَرْبَابُ الْأَطْوَاقِ ، وَيَلِيهِمْ أَرْبَابُ الْعَمَّارِيَّاتِ وَالْأَقْصَابِ ، ثُمَّ الضُّيُوفُ وَالْأَشْرَافُ . ثُمَّ دَخَلَ دِيْوَانَ الْمَكَاتِبَاتِ وَسَلَّمَ بِهِمُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ ، ثُمَّ دِيْوَانَ الْإِنشَاءِ وَسَلَّمَ بِهِمُ الشَّرِيفُ ابْنُ أَسِّ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ بَقِيَّةُ الطَّالِبِيِّينَ مِنَ الْأَشْرَافِ ، ثُمَّ سَلَّمَ الْقَاضِيُ ابْنُ الرَّشْعَنِ بِشُهوْدِهِ ، وَالِدَاعِيُ ابْنُ عَبْدِ الْحَقِيقِ بِالْمُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ سَلَّمَ الْقَائِدُ مُقْبِلُ مَقْدَمِ الرُّكَّابِ الْأَمِيرِي بِجَمِيعِ الْمَقْدَمِينَ الْأَمْرِيَّةِ ، ثُمَّ سَلَّمَ بَعْدَهُمُ الشَّيْخُ أَبُو الْبَرَكَاتِ بْنِ أَبِي اللَّيْثِ مُتَوَلِّيَ دِيْوَانَ الْمَمْلُوكَةِ . ثُمَّ دَخَلَ الْأَجْنَادُ مِنْ بَابِ الْبَحْرِ ، وَسَلَّمَ كُلُّ طَائِفَةٍ بِمَقْدَمِهَا .

فَلَمَّا انْقَضَى ذَلِكَ دَخَلَ وَالِي الْقَاهِرَةِ وَوَالِي مِصْرَ وَسَلَّمَ كُلُّ مِنْهُمَا بِيَاضِ أَهْلِ الْبَلَدَيْنِ ، ثُمَّ دَخَلَ الْبَطْرِكُ بِالنَّصَارِيِّ وَفِيهِمْ كُتَّابُ الدَّوْلَةِ مِنَ النَّصَارِيِّ ، وَرَئِيسُ الْيَهُودِ<sup>١</sup> وَمَعَهُ الْكُتَّابُ مِنَ الْيَهُودِ ، ثُمَّ سَلَّمَ الْمُقْرَبُونَ وَقَدِ قَارَبَ الْقَصْرَ . وَدَخَلَ الشُّعْرَاءُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَأَنْشَدَ كُلُّ مِنْهُمْ مَا سَمَّحَتْ بِهِ قَرِيحَتُهُ .

(a) بولاق : وقبل الأرض وعاد فجلس مكانه . (b) زيادة من ابن ميسر . (c) بولاق : عاد .

Nagid : A Reexamination», *JQR* 53 (1962), pp. 93-119; id., *A Mediterranean Society* II, pp. 23-40; Cohen, M., *Jews Self-Government in Medieval Egypt - The Origins of the Office of Head of the Jews, Ca. 1065-1126*, Princeton 1980.

<sup>١</sup> رئيس اليهود هو المعروف بـ «الناجد Nagid» ، وهو المصطلح الذي كان يُطلق على رئيس يهود مصر اعتبارًا من النصف الثاني للقرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي (انظر ، Goitein, S. D., «The Title and Office of the



قال : فكان هذا رُتبة الوزير المأمون [في هذا اليوم] <sup>(a)</sup> .<sup>١</sup>

قال ابن المأمون : وأما ما قرّر للوزارة عيّنًا في الشهر ، بغير إيجاب بل يُقبض من بيت المال ، فهو ثلاثة آلاف دينار . تفصيلها : ما هو على حكم النيابة في العلامة ألف دينار ، وما هو على حكم الراتب ألف وخمسة مائة دينار ، وما هو على مائة غلام - برسم مجلسه وخدمته - لكل غلام خمسة دنانير في الشهر . فأما الغلمان الركابية وغيرهم من القراشين والطباخين ، فعلى حكم ما يُرغب في إثباته .

وفي السنة : من الإقطاعات خمسون ألف دينار ، منها دهبشور وجزيرة الذهب ، وبقية الجملة في البلاد <sup>(b)</sup> صفقات . ومن البساتين ثلاثة : بُشتان / الأمير تميم <sup>٢</sup> ، وبُشتانان بكوم أشفين . ومن القوت - يعني القمح - ومن القضم - يعني الشعير - والبرسيم في السنة عشرون ألف أردب قمحًا وشعيرًا . ومن الغنم برسم مطابخه مساقاة من المراحات ثمانية آلاف رأس .

وأما الحيوان والأخطاب وجميع الثوابل ، العال منها والدون ، فمهما استدعاه متولّي المطابخ يُطلق من دار أفتكين وشؤون الأخطاب وغير ذلك <sup>٣</sup> .

وقد تقدّم مُقرّر كشوة الوزارة في العيدين ، وفضلي الشتاء والصيف ، ومؤسّم عيد الغدير ، وفتح الخليج . وغير ذلك من عُرتي شهر رمضان وأول العام وغيره ، كما سيرد في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد استقصيتُ سيرَ الوزراء في كتابي الذي سَمَّيته «تلقيح العقول والآراء في تنقيح أخبار الجلة الوزراء» <sup>٤</sup> فانظره .

(a) زيادة من ابن ميسر . (b) في البلاد : ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ٨٧-٩١؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ٢٨٨-٢٩٠ ومصدر النويري هو ناظم سيرة المأمون ، وفيما يلي ٥١٣ - ٥١٤ .  
<sup>٢</sup> حاشية بخط المؤلف : «بستان الأمير تميم يعرف اليوم بالمعشوق وهو بجوار رباط الآثار» .  
<sup>٣</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٨١ .  
<sup>٤</sup> لم يصل إلينا هذا الكتاب للأسف ، وانظر فيما يلي ٢٢٣:٢ حيث يذكر المقرئ أنه جمع في وزراء الإسلام كتابًا جليل القدر وأفرد وزراء مصر في تصنيف بديع هو دون شك كتاب «تلقيح العقول» .



## ذِكْرُ الْحَجَرِ الَّتِي كَانَتْ يَرَسُمُ الصَّبِيَّانِ الْحَجَرِيَّةَ

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يُعرف بالحجر (جمع حجرة) فيها الغلمان المختصون بالخلفاء، كما أدركنا بالقلعة البيوت التي كان يُقال لها الطباقة<sup>(a)</sup>. وكانت هذه الحجر من جانب حارة الجوانية، وإلى حيث المسجد الذي يُعرف بمسجد القاصد<sup>(b)</sup>، تجاه باب الجامع الحاكمي الذي يُفضي إلى باب النضر<sup>(c)</sup>.

فمن حقوق هذه الحجر: دار الأمير بهادر اليوسفي السلاخدار الناصري التي تُجاور المسجد الكائن على يمين من سلك من باب الجوانية طالبا باب النضر، ومنها الحوض المجاور لهذه الدار، ودار الأمير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاوون، والمسجد المعروف بالنخلة، وما يُجاوره من القاعتين اللتين تُعرف إحداهما بقاعة الأمير عَلم الدين سنجر الجاولي، وما في جانبها إلى مسجد القاصد، وما وراء هذه الدور<sup>(d)</sup>.

وكان لهؤلاء الحجرية إسطنبول يرسم ذواتهم - سيأتي ذكره إن شاء الله<sup>(e)</sup>.

وما زالت هذه الحجر باقية بعد انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين إلى ما بعد السبع مائة فهدمت، وابتنى الناس مكانها الأماكن المذكورة<sup>(f)</sup>.

قال ابن أبي طي [في «تاريخ حلب» عند وفاة<sup>(g)</sup> المعز لدين الله: وجعل كل ماهر في صنعة صائغا للخاص، وأفرد لهم مكانا يرسمهم، وكذلك فعل بالكتاب والأفاضل، وشرط على ولاية الأعمال عرض أولاد الناس بأعمالهم، فمن كان ذا شهامة وحسن خلقة أرسله ليخدم في الركاب. فسيروا إليه عالما من أولاد الناس، فأفرد لهم دورا وسماها «الحجر»<sup>(h)</sup>.

(a) أضاف في المسودة: ويقرب من صبيان الحجر في زماننا المماليك السلطانية. (b) في المسودة: الذي في الرحبة التي هي أمام الجامع الحاكمي مقابلة لو كالة قوصون الآن. (d) في بولاق: قال ابن أبي طي عن المعز لدين الله، والمثبت من المسودة.

<sup>e</sup> المقرئ: مسودة المواظ ٢٧٠.

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٢: ٢١٣.

<sup>٦</sup> نفسه ٢٦٩، وعن أولاد الناس انظر Ayalon,

<sup>٢</sup> المقرئ: مسودة المواظ ٢٧٠.

D., *El*<sup>2</sup> art. *Awlâd al-Nâs* I, p. 786.

<sup>٣</sup> نفسه ٢٧٠ وعن هذه الدور انظر فيما يلي ٢: ٦٥.

<sup>٤</sup> انظر فيما يلي ٥١٠.



وقال ابن الطوير: وكوتب الأفضل بن أمير الجيوش من عشقلان باجتماع الفرينج، فاهتم للتوجه إليها ولم<sup>(a)</sup> يُتق مُمكنا من مالٍ وسلاح<sup>(b)</sup> ورجالٍ وخيل<sup>(b)</sup>، واشتتاب أخاه المظفر أبا محمد جعفر بن أمير الجيوش بذر بين يدي الخليفة مكانه، وقصد استنقاذ الساجل من يد الفرينج، فوصل إلى عشقلان وزحف عليها بذلك العسكر، فخذل من جهة عسكره - وهي نوبة النصّة<sup>١</sup> - وعلم أن السبب في ذلك من جنده، ولما غلب حرق جميع ما كان معه من الآلات.

وكان عند الفرينج شاعرٌ منتجع إليهم، فقال يُخاطب صنجل [Saint Angilles] ملك الفرينج: [مقارب]

نصرت بسيفك دين المسيح      فله ذك من صنجل  
وما سمع الناس فيما روه      بأقبح من كسرة الأفضل

فتوصل الأفضل إلى ذبح هذا الشاعر، ولم ينتفع بعد هذه التوبة أحد من الأجناد بالأفضل، وحظر عليهم الثعوت، ولم يسمع لأحد منهم كلمة. وأنشأ سبع حجر، واختار من أولاد الأجناد ثلاثة آلاف راجل وقسمهم في الحجر، وجعل لكل مائة زماما ونقيتا، وزم الكل بأمير يُقال له «الموقق»، وأطلق لكل منهم ما يحتاج إليه من خيل وسلاح وغيره، وعني بهؤلاء الأجناد. فكان إذا دهمه أمر مهم، جهزهم إليه مع الزمام الأكبر<sup>(c)</sup>.

وقال ابن المأمون: وكان من جملة الحجريّة الذين يحضرون السمات رجل يُعرف بابن زحل، وكان يأكل خروفا كبيرا مشويا ويستوفيه إلى آخره، ثم يُقدّم له صخر كبير من القصور المعمولة بالسكر، وجميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها ما لم يُعمل قط مثله من الأطعمة، فيأكل معظمه. وكان يقعد في طرف المدوّرة حتى يكون بالقرب من نظر الخليفة لا لميزته، وكان من الأجناد وأسر في أيام الأفضل، وقيد الفرينجي الذي أسره وعذبته، وطالت مدته في الأسر وكان فقيرا<sup>٣</sup>.

(a) بولاق: فلم. (b-b) بولاق: خيل ورجال. (c) المسودة: الزمام الكبير.

<sup>١</sup> النصّة أو البصّة. لم يرد هذا الاسم في المصادر الأخرى سوى فيما ذكره ابن ظافر: أخبار ٨٢. وقد جرت هذه الواقعة لتسع ليالٍ بقين من رمضان سنة ٤٩٢ هـ. في مصر ٦٨٣ - ٦٨٥.

<sup>٢</sup> ابن الطوير: نزهة المقتل ٣ - ٤، ٥٧؛ ابن الفرات: <sup>٣</sup> فيما تقدم ٢٩٧ - ٢٩٨.

تاريخ الدول والملوك - خ ١: ١٦٣-١٦٣ و١٦٣-١٦٣ ظ المقرزي: المسودة ٢٦٧ - ٢٦٨؛ وانظر أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية



فَاتَّفَقَ أَنْ ذَكَرَ لِلْفِرَنْجِيِّ كَثْرَةَ أَكْلِهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَحْضِرْ لِي عِجْلاً ، أَكْبَرَ عِجْلاً  
عِنْدَكُمْ ، آكُلُهُ إِلَى آخِرِهِ . فَضَحِكَ مِنْهُ الْفِرَنْجِيُّ ، وَنَقَصَ عَقْلَهُ وَأَتَاهُ بِعِجَلٍ كَبِيرٍ ، وَيُقَالُ  
بِخِتَزِيرٍ ، فَقَالَ لَهُ : اذْبَحْهُ وَاشْوَهُ ، وَاتْنِي مَعَهُ بِحِجْرَةٍ خَلَّ . ثُمَّ قَالَ : إِذَا أَكَلْتَهُ مَا يَكُونُ لِي  
عِنْدَكَ ؟ فَغَلِطَ الْفِرَنْجِيُّ وَقَالَ لَهُ : أُطَلِّقُكَ تَمْضِي إِلَى أَهْلِكَ . فَاسْتَحْلَفَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَغَلَّظَ  
عَلَيْهِ الْيَمِينَ .

وَأَحْضَرَ الْفِرَنْجِيُّ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ لِيُشَاهِدُوا<sup>(a)</sup> فِعْلَهُ . فَلَمَّا اسْتَوْفَى الْعِجْلَ جَمِيعَهُ ، صَلَّبَ كُلَّ  
مِنَ الْحَاضِرِينَ عَلَى وَجْهِهِ/، وَتَعَجَّبَ مِنْ فِعْلِهِ وَأَطْلَقَهُ ؛ فَقَالَ : أَخَافُ مِنْ أَنْ يُعْتَقِدَ أَنَّي هَرَبْتُ ،  
فَأَرَدْتُ إِلَيْكُمْ . فَأَحْضَرَ الْفِرَنْجِيُّ مِنَ الْعُرْبَانِ مِنْ سَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ إِلَّا بِبَابِ عَسْقلَانِ فَطَلَعَ  
مِنْهَا ، وَأَعْفَى بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ السَّفَرِ ، وَبَقِيَ بِرَسْمِ الْأَسْمِطَةِ<sup>١</sup> .

١٠ وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ : الْحُجْرَةُ قَرِيبٌ مِنْ بَابِ النَّصْرِ ، وَهُوَ مَكَانٌ كَبِيرٌ فِي صَفِّ دَارِ الوَزَارَةِ ،  
إِلَى جَانِبِهِ بَابُ القَوْسِ الَّذِي يُسَمَّى بِبَابِ النَّصْرِ قَدِيمًا عَلَى يَمِينَةِ الخَارِجِ مِنَ القَاهِرَةِ ، كَانَ تُرْتَبَى فِيهِ  
جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّبَابِ يُسَمَّوْنَ «صُبْيَانِ الحُجْرَةِ» يَكُونُونَ فِي جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَهُمْ يُنَاهِزُونَ خَمْسَةَ  
آلَافٍ نَسَمَةٍ . وَلِكُلِّ حُجْرَةٍ اسْمٌ تُعْرَفُ بِهِ وَهِيَ : الْمَنْصُورَةُ وَالْفَتْحُ وَالجَدِيدُ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مُفْرَدَةً  
لَهُمْ ، وَعِنْدَهُمْ سِلَاحُهُمْ .

١٥ فَإِذَا جُرِّدُوا خَرَجَ كُلُّ مِنْهُمْ لَوَقْتِهِ لَا يَكُونُ لَهُ مَا يَمْنَعُهُ ، وَكَانُوا فِي ذَلِكَ عَلَى مِثَالِ الدَّأْوِيَةِ  
وَالِإِسْتِبَارِيَّةِ<sup>(c)</sup> ، وَكَانُوا إِذَا سَمِيَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ بِعَقْلِ وَشَجَاعَةٍ خَرَجَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الإِمْرَةِ أَوْ  
التَّقْدِمَةِ ، مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ السَّلَارِ وَغَيْرِهِ ، وَلَا يَأْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِحِجْرَتِهِ بِفَرَسِهِ وَعُدَّتِهِ وَقِمَاشِهِ .  
وَلِلصُّبْيَانِ الحُجْرِيَّةِ حِجْرَةٌ مُفْرَدَةٌ عَلَيْهِمْ أُسْتَاذُونَ يَبِيتُونَ عِنْدَهُمْ ، وَخُدَّامٌ بِرَسْمِهِمْ<sup>٣</sup> .

(a) المسودة : لمشاهدة . (b) بولاق : الذؤابة والاستار .

Hospitaliers التي أسسها لنفس الغرض سنة ١٠٩٩م  
Blessed Gerard

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٩٦ ؛ المقرئبي : المسودة  
٢٦٩ - ٢٧٠ .

<sup>٣</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٥١ ؛ ابن خلكان :  
وفيات الأعيان ٣ : ٤١٨ ؛ المقرئبي : مسودة المواعظ ٢٦٧ ،  
وانظر فيما يلي ٥١٠ .

<sup>٢</sup> أي فرسان المعبد عند الفرنج المعروفين بالـ Templiers  
وهم جماعة أسسها Hugue de Payns سنة ١١١٩م لحماية  
طريق الحجاج المسيحيين بين يافا والقدس ، والإسبتارية



## ذكر المناخ السعيد

وكان من وراء القصر الكبير، فيما يلي ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر، «المناخ»، وهو موضع برسم طواحين القمح التي تطحن جريات القصور، وبرسم مخازن الأخشاب والحديد ونحو ذلك.

قال ابن الطوير: وأما المناخات ففيها من الحواصل ما لا يحصره إلا القلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة، وآلات الأساطيل من الأسلحة المعمولة بيد الفرج القاطنين فيه، والقنب والكتان والمنجنقات المعدة، والطواحين الدائرة برسم الجريات المقدم ذكرها، والزفت في المخازن الذي علته الأتربة ولا ينقطع إلا بالمعاول. وقد أدركت هذه الدولة - يعني دولة بني أيوب - منه شيئاً كثيراً في هذا المكان انتفع به.

وإليه يأوي الفرج في بيوت برسمهم، وكانت عدتهم كثيرة، ففيه من التجارين والجزارين والدّهانين والقرانين<sup>(a)</sup> والحياطين والفعلة، ومن العجائين والطحانين في تلك الطواحين، والقرانين في أفران الجريات.

وفي هذا المكان مادة أكثر أهل الدولة، وحاميه أمير من الأمراء، ومشارفه من العُدول. وفيه أيضاً شاهد النفقات، وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف، وعامل برسم نظم الحساب من تعلقاتهما بجار غير جواربهم، لأن أوقاتهم مستفرقة في مباشرة الإطلاقات وغيرها<sup>(1)</sup>.

وذكر ابن عبد الظاهر<sup>(b)</sup> أن المأمون بن البطائحي استجد طواحين برسم الرّواتب<sup>(2)</sup>.

(a) بولاق: الحجازين. (b) في جميع النسخ: وذكر ابن الطوير، والصواب ما أثبتته.

<sup>(1)</sup> ابن الطوير: نزهة المقتلين ١٤١-١٤٢؛ المقرئ: ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٧؛ المقرئ: مسودة المواظ ٢٤٩؛ وقارن القلقشندي: صبح ٣: ٤٧٥. مسودة المواظ ٢٤٩.



## زَكَرُ إِسْطَبِلِ الطَّارِمَةِ

الطَّارِمَةُ بَيْتٌ مِنْ خَشَبٍ، وَهُوَ ذَخِيلٌ<sup>١</sup>. وَكَانَ بِجِوَارِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ، تَجَاهَ بَابِ الدُّيْلَمِ مِنْ شَرْقِيِّ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ: إِسْطَبِلٌ<sup>٢</sup>.

قَالَ ابْنُ الطَّوَيْرِ: وَكَانَ لَهُمَا إِسْطَبِلَانِ: أَحَدُهُمَا يُعْرَفُ بِالطَّارِمَةِ يُقَابِلُ قَصْرَ الشُّوكِ، وَالْآخَرُ بِحَارَةِ زَوَيْلَةَ يُعْرَفُ بِالْحَمِيْزَةِ.

وَكَانَ يَكُونُ<sup>(a)</sup> لِلْخَلِيفَةِ الْحَاضِرِ مَا يَقْرُبُ مِنْ أَلْفِ رَأْسٍ - فِي كُلِّ إِسْطَبِلِ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ - مِنْهَا مَا هُوَ بِرَسْمِ الْخَاصِّ، وَمِنْهَا مَا يَخْرُجُ بِرَسْمِ الْعَوَارِي لِأَزْبَابِ الرَّتَبِ وَالْمُسْتَعْدِمِينَ دَائِمًا، وَمِنْهَا مَا يَخْرُجُ أَيَّامَ الْمَوَاسِمِ. وَهِيَ التَّغْيِيرَاتُ الْمُتَقَدِّمُ ذَكَرَ إِرسَالَهَا لِأَزْبَابِ الرَّتَبِ وَالْحَيْدَمِ.

وَالرُّتَبُ لِكُلِّ إِسْطَبِلٍ مِنْهُمَا: لِكُلِّ ثَلَاثَةِ أُرُوسٍ «سَائِسٌ» وَاحِدٌ مُلَازِمٌ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا «شَدَادٌ» بِرَسْمِ تَسْيِيرِهَا. وَفِي كُلِّ إِسْطَبِلٍ بِفَرَسَاتٍ تَدُورُ إِلَى أَحْوَاضٍ، وَمَخَازِنَ فِيهَا الشَّعِيرُ وَالْأَقْرَاطُ الْيَابِسَةُ الْمَحْمُولَةُ مِنَ الْبِلَادِ إِلَيْهَا، وَلِكُلِّ عَشْرِينَ رَجُلًا مِنَ الشُّوَّاسِ «عَرِيفٌ» يَلْتَزِمُ دَرَكَهُمْ بِالضَّمَانِ، لِأَنَّهِمُ الَّذِينَ يَتَسَلَّمُونَ مِنْ خَزَائِنِ الشُّرُوجِ الْمُرَكَّبَاتِ بِالْحَلِيِّ، وَيَعِيدُونَهَا إِلَيْهَا عَلَى مَا<sup>(b)</sup> تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي خَزَائِنِ الشُّرُوجِ<sup>٣</sup>.

وَلِكُلِّ مِنَ الْإِسْطَبِلَيْنِ «رَائِضٌ» كَأَمِيرِ آخُورِ<sup>٤</sup>، وَلَهُمَا مِيزَةٌ وَجَامِكِيَّةٌ مُتَّسِقَةٌ. وَلِلْعُرَفَاءِ عَلَى الشُّوَّاسِ مِيزَةٌ، وَلِلْجَمَاعَاتِ الْجِرَايَاتِ مِنَ الْقَمْعِ وَالْحُبْزِ خَارِجًا عَنِ الْجَامِكِيَّاتِ. فَإِذَا بَقِيَ لِأَيَّامِ

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: كما.

إسْطَبِلِ الطَّارِمَةِ هَذَا. وَقَدْ زَالَ الْإِسْطَبِلُ نَهَائِيًّا مِنْ مَوْضِعِهِ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/الثَّالِثِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ، وَأَصْبَحَ أَحَدَ أَسْطَبِلَاتِ الْقَاهِرَةِ، بِهَ عِدَّةِ مَسَاكِنَ وَسُوقٍ وَحُتَمَاءٍ وَمَسَاجِدَ وَيَعْرِفُ بِخَطِّ إِسْطَبِلِ الطَّارِمَةِ.

وَيُحَدِّدُ مَوْضِعَ إِسْطَبِلِ الطَّارِمَةِ الْيَوْمَ الْمَكَانَ الْوَاقِعَ شَرْقَ الْبَابِ الْأَخْضَرِ - وَهُوَ الْبَابُ الشَّرْقِيُّ لِمَشْهَدِ الْحُسَيْنِ - بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَارِعِ أُمِّ الْغَلَامِ.

<sup>٣</sup> فيما تقدم ٣٨٢.

<sup>٤</sup> الأمير آخور هو الذي يتحدث عن إسْطَبِلِ السُّلْطَانِ =

<sup>١</sup> الجواليقي: المغرب من الكلام الأعجمي ٢٢٤؛ وفي اللسان (١٥: ٢٥٤): «الطارمة بيت من خشب كالقبة، وهو دخيل أعجمي معرب، وانظر كذلك Dozy, R., Suppl. Dict. ar. II, 42».

<sup>٢</sup> كان إسْطَبِلِ الطَّارِمَةِ يَقَعُ جَنُوبَ شَرْقِيِّ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ فِي مَوَاجِهَةِ بَابِ الدُّيْلَمِ وَإِلَى الشَّرْقِ مِنَ السَّبْعِ خُورْخُورٍ وَيَشْرَفُ عَلَيْهِ قَصْرُ الشُّوكِ وَالْقَصْرُ النَّافِعِي. عَرَفَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَتْ فِيهِ طَارِمَةٌ يَجْلِسُ الْخَلِيفَةُ تَحْتَهَا؛ وَكَانَ يَقَعُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ عَلَى يَمِينِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ، فَفِي خِلَالِ الْعَصْرِ الْفَاتِمِيِّ لَمْ يَكُنْ يَوْجَدُ بَيْنَ رَحْبَةِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَرَحْبَةِ قَصْرِ الشُّوكِ سِوَى



المواسم التي يركب فيها الخليفة بالمِظلة مُدَّة أسبوع، أُخْرِجَ إلى كُلِّ رَائِضٍ في الإسْطَبَلِ مع أَسْتَاذٍ مِظَلَّةٍ دَبِيقِي مَرَكَبَةٍ على قُفْطَارِيَّةٍ مَذْهُونَةٍ، وَيَخْتَصِرُ الرَائِضَ على ما يركبه الخليفة إما فرسين أو ثلاثة، وعليهما المركبات الحلي التي يركبها الخليفة، فيركبها الرائض بحائل بينه وبين السروج، ويركب الأستاذ بَعْلَةً بِمِظَلَّةٍ، ويحمل تلك المِظَلَّةَ وَيَسِيرُ في بَرَاخِ الإسْطَبَلِ - وفيه سَعَةٌ عَظِيمَةٌ - مَارًا وَعَائِدًا وحولها البوق والطبل. فيكْرُرُ ذلك عِدَّةَ دَفْعَاتٍ في كُلِّ يَوْمٍ مُدَّةَ ذلك الأسبوع، ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك، ولا يَنْفِرُ منه في حال الركوب عليه، فيعمل كذلك في كُلِّ إسْطَبَلٍ من الإسْطَبَلَيْنِ.

والدوابُّ والبَعْلَةُ التي تتهيأ هي التي يركبها الخليفة وصاحب المِظَلَّةَ يوم الموسم، ولا يختل ذلك. ويُقال إنه ما رات دابَّةً/ ولا بالَت والخليفة راكبها، ولا بَعْلَةً صاحب المِظَلَّةَ أيضًا إلى حين نزولهما عنهما<sup>١</sup>.

وكان في السَّاحِلِ بِطَرِيقِ مِصْرٍ من القَاهِرَةِ<sup>٢</sup>، في البساتين المنسوبة إلى مَلِكِ صَارِمِ الدِّينِ خَطْلُبَا<sup>٣</sup>، شُوتَانِ مَمْلُوءَتَانِ تَبْتًا، مَعْبُوتَانِ كَتَعْبَتُهُ في المراكب كالجبليين الشاهقين، ولهما مُسْتَخْدَمُونَ: حَامٍ وَمُشَارِفٍ وَعَامِلٍ بِجَامِكِيَّةٍ جَيِّدَةٍ، تَصِلُ بِذلك المراكب التَّجَانَةَ المؤهَّلة له من مَوْظَفِ الأتبان بالبلاد السَّاحِلِيَّةِ، وغيرها ممَّا يدخل إليه في أيام النَّيْلِ. ولها رُؤَسَاءٌ، وأمرها جارٍ في ديوان العِمَارِ والصَّنَاعَةِ. والإنفاقُ منها بالتَّوْقِيعَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ للإسْطَبَلَاتِ المذكورة وغيرها من الأواسي الديوانية وعوامل بساتين الملك.

وإذا جَرَى بين المستخدمين خُلْفٌ في الشُّنْفِ التُّبْنِ المعتبر، عادوا إلى قَبْضِهِ بِالوَزْنِ، فيكون الشُّنْفُ التُّبْنِ ثلاث مائة وستين رطلًا بالمصري نقيًا. وإذا أنفقوا دَرِيْسًا قد تَغَيَّرَتْ صُورَةُ قَتِّهِ، كان

(a) بولاق: حللبا.

<sup>٢</sup> المقصود هنا ساحل الخليج فبستان صارم الدين خطلبا أقيم في موضع الحارة المنصورية التي حاربها صلاح الدين وكانت سكنًا للسودان في أعقاب واقعة العبيد، وكانت تقع إلى جانب الباب الجديد خارج باب زويلة عند رأس الحارة المتجبية فيما بينها وبين الحارة الهلالية.

<sup>٣</sup> الأمير صارم الدين خطلبا بن موسى الفارسي التتبي =

= أو الأمير ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل في العصر المملوكي (القلقشندي: صبح ٥: ٤٦١؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف ١٧٤-١٨١).

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٥-١٣٧؛ المقرئزي: مسودة المواعظ ٢٤٢-٢٤٤، وقارن القلقشندي: صبح

٣: ٤٧٤-٤٧٥.



عن القتة اثنا عشر رطلاً ونصف<sup>(a)</sup>. ولم يزل ذلك كذلك إلى آخر وقت<sup>(b)</sup> ١.  
 ومما يُخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصاناً أذهب قط، ولا يرون إضافته إلى ذوابهم بالإسطنبولات<sup>٢</sup>.  
 وقال ابن عبد الظاهر: إسطنبول الطارمة كان إسطنبولاً للحليفة، فلما زالت تلك الأيام انحطت  
 وبني آدرًا<sup>٣</sup>.

### ذِكْرُ دَارِ الضَّرْبِ وَمَا يُتَعَلَّقُ بِهَا

- (c) يقال إن أول ما ظهرت دار ضرب الدنانير والدراهم وصياغة الحلبي من الذهب والفضة في أيام فالغ بن عابر بن شايخ بن أرفخشذ بن سمام بن نوح، فاقتدى به من بعده في ذلك<sup>(c)</sup>. وكان بجوار خزانة الدرق - التي هي اليوم خان مشرور الكبير - دار الضرب. وموضعها كان حينئذ بالمقشاشين التي تُعرف اليوم بالخراطين<sup>(d)</sup> المسلوكة فيها من السقطيين إلى الخيميين والجامع الأزهر<sup>(d)</sup>. وصار مكان دار الضرب اليوم دَرَبٌ يُعرف بدرب الشمسي في وسط سوق السقطيين المهامزين. وباب هذا الدرب تجاه باب<sup>(e)</sup> قيسارية العصفور. فإذا دخلت هذا الدرب، فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب، وبجوارها دار الوكالة الحافظية. فجعلت الحوانيت التي على يمينه من سلك من رأس الخراطين تجاه سوق العنبر، طالباً الجامع الأزهر، في ظهر دار الضرب.
- ١٠ وأنشأ هذه الحوانيت وما كان يعلوها من البيوت الأمير المعظم خمرتاش الحافظي<sup>٤</sup>، وجعلها وقفاً، وقال في كتاب وقفها: وحد هذه الحوانيت الغربي ينتهي إلى دار الضرب وإلى دار الوكالة<sup>٥</sup>. وقد صارت هذه الحوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجمالية<sup>(f)</sup> مما اغتصبه<sup>(f)</sup> من الأوقاف<sup>٦</sup>.

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: وقته. (c-c) حاشية بخط المؤلف. (d-d) زيادة من المسودة. (e) ساقطة من

بولاق. (f) بولاق: اغتصب.

٣ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٢٩.  
 ٤ عن الأمير المعظم خمرتاش الحافظي انظر فيما تقدم ٣٣٩، وفيما يلي ٢: ٢٨.  
 ٥ المقرئ: مسودة المواعظ ٢٧١-٢٧٢.  
 ٦ انظر فيما يلي ٢: ٣٨.  
 = الموصلي الكامل، المتوفى سنة ٦٣٥ هـ (فيما يلي ٢: ١٢٠).  
 ١ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٤٠-١٤١؛ المقرئ:  
 المسودة ٢٤٤-٢٤٥، وقارن القلقشندي: صبح ٣: ٤٧٥.  
 ٢ ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٣٨؛ القلقشندي: صبح  
 ٣: ٤٧٥.



وما زالت دار الضرب هذه في الدولة الفاطمية باقية إلى أن استبدَّ السلطان صلاح الدين، فصارت دار الضرب حيث هي اليوم كما تقدّم ذكره. وكان لدار الضرب المذكورة في أيامهم أعمال، ويُعملُ بها دنانيرُ الغرّة ودنانيرُ خميس العَدَس، ويتولّاها قاضي القضاة لجلالة قدرها عندهم.

قال ابنُ المأمون: وفي سؤال منها - وهي سنة ست عشرة وخمسة مائة - أمر الأجلُ ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة، لكونها مقرّ الخلافة وموطن الإمامة، فبُنيت بالقشاشين قبالة المارستان، وسُمّيت بالدار الأميرية، واستخدم لها العُدول، وصار دینارُها أعلى عیارًا من جميع ما يُضرب بجميع الأمصار<sup>١</sup>. انتهى.

وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدرّق: فما عن يمينك الآن، إذا سلكت من رأس الخراطين، فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا إلى الحمام التي بالخراطين وما وراءها، وما عن يسارك فهو موضع المارستان.

قال ابنُ عبد الظاهر: في أيام المأمون بن البطّائحي، وزير الأمير بأحكام الله، بُنيت دار الضرب في القشاشين قبالة المارستان الذي هناك، وسُمّيت بالدار الأميرية<sup>٢</sup>.

### ذكر (a) دار العلم الجديدة

وكان بجوار القصر الكبير الشرقي دار في ظهر خزانة الدرّق من باب تربة الزعفران، لما أُغلق الأفضل بن أمير الجيوش دار العلم التي كان الحاكِمُ بأمر الله فتحها في باب الثبّانين، اقتضى الحال بعد قتله إعادة دار العلم<sup>(b)</sup> التي كان الحاكِمُ فتحها<sup>(b)</sup>. فامتنع الوزير المأمون من إعادتها في موضعها، فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع، فعُملَ دار العلم في شهر ربيع الأول سنة سبع

(a) ساقطة من بولاق. (b-b) ساقطة من بولاق.

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار ٣٨؛ ابن ميسر: أخبار ٩٢؛ نسخة آياصوفيا بعد ذكر دار العلم الجديدة الآتي ذكرها، المقرئ: مسودة المواظ ٢٧١، واتعاط الحنفا ٣: ٩٢. وهذا أيضًا بسبب إساءة نقل الطيارات التي كان يضيفها

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٣٣؛ المقرئ: المقرئ.

المسودة ٢٧١، ووردت الفقرة الخاصة بدار الضرب في



عشرة وخمسة مائة ، وولأها لأبي محمد حسن بن آدم ، واستخدم فيها مُقرئين . ولم تزل دار العلم هذه<sup>(a)</sup> حتى زالت الدولة الفاطمية<sup>١</sup> .

قال ابن عبد الظاهر : رأيتُ في بعض كُتب الأملِك القديمة ما يدلُّ على أنها قريئة من القصر النَّافعي . وكذا ذَكَر لي الشريفُ الشَّيخ الحلبيُّ أنها دارُ ابن أزدَمُر - المجاورة لدار سَكَنِي الآن - خَلَف فُنْدُق مَسْرُور الكبير ، وكذا قال لي والدي ، رحمه الله . وقد بناها جمالُ الدين الأستادار الحلبيُّ<sup>(b)</sup> دارًا عظيمةً غرِمَ عليها مائة ألف وأكثر من ذلك على ما ذكره<sup>٢</sup> . انتهى .

ومَوْضِعُ دار العلم هذه دارٌ كبيرة ذات زَلَّاقَة بجوار دَرْب ابن عبد الظاهر ، قريئًا من خان الخليلي بِحُطِّ الزَّرَاكِشَة العتيق .

### زَكَرُ<sup>(c)</sup> مَوْسِمِ أَوَّلِ الْعَامِ

- ١٠ قال ابنُ المأمون : وأسْفَرَت غُرَّةُ سنة سبع عشرة وخمسة مائة ، وبأدر المستخدمون / في الخزائن وصناديق الإنفاق بحمل ما يُحضَّر بين يدي الخليفة من عَيْنٍ وورقٍ من ضرب السنة المستجدة<sup>٣</sup> ، ورسم جميع من يختص به من إخوته وجهاته وقرايته ، وأزباب الصنائع والمستخدمات ، وجميع الأستاذين العوالي والأذوان . وثنَّوا بحمل ما يختص بالأجل المأمون وأولاده وإخوته ، واستأذنوا على تفرقة ما يختص بالأجل المأمون وأولاده والأصحاب والخواشي والأمراء والضيوف والأجناد ، فأميزوا بتفرقة . والذين اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة نظير ما كان قبلها .
- ١٥ وجلس المأمون باكرًا على السَّماط بداره ، وفُرِّقَت الرسوم على أزباب الخدم والمميزين من جميع أصنافه على ما تضمَّنته الأوراق ، وحضرت الثغايير<sup>(d)</sup> والتشريفات وزِي الموكب إلى الدار المأمونية ، وتسلم كلُّ من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالحُجبة ومصفَّات العساكر وترتيب الأسمطة ، واجتهد<sup>(e)</sup> كلُّ منهم إلى شغله وتوجَّه لخدمته .

(a) بولاق : عامرة . (b) بولاق : الحلبي . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : التعاشير . (e) بولاق : وأحمد .

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٥٠٢-٥٠٨ .

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٣؛ المقرئ : لهذه المناسبة (فيما يلي ٤٧٦) .

مسودة المواعظ ٣٠٣ ، وفيما يلي ٥٠٢ .



ثم ركب الخليفة، واستدعى الوزير المأمون، ثم خرج من باب الذهب وقد نُشِرت مِظَلُّته،  
 وخدمت الرهجة، ورُتّب المؤكّب والجنائب ومصفّات العساكر عن يمينه وشماله، وجميع تجار  
 البلدين - من الجوهريين والصيارف والصاغة والبزازين وغيرهم - قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة  
 كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة. وخرج من باب الفتوح، والعساكر فارسها وراجلها  
 بتجملها وزينها، وأبواب حارات العبيد معلقة بالستور، ودخل من باب النصر، والصدقات تُعم  
 المساكين، والرُسوم تُفرّق على المستقرّين، إلى أن دخل من باب الذهب، فلقية المقرّون بالقرآن  
 الكريم في طول الدهاليز، إلى أن دخل خزانة الكسوة الخاصّ وعيّر ثياب المؤكّب غيرها، وتوجّه  
 إلى ثوبة أبيه للترحيم على عادته<sup>١</sup>، وبعد ذلك إلى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة.

وعُصبت الأسمطة - وجرى الحال فيها وفي جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتهيئة قصور  
 الخليفة وتفرقة الرُسوم - على ما هو مستقرّ. وتوجّه الأجل المأمون إلى داره، فوجد الحال في  
 الأسمطة على ما جرت به العادة، والتوسعة فيها أكثر مما تقدّمها، وكذلك الهناء في صبيحة  
 الموسم بالدار المأمونية والقصور، وحضر من جرت العادة بحضوره للهناء، وبعدهم الشعراء على  
 طبقاتهم، وعادت الأمور في أيام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود.

وأحضر كل من المستخدمين في الدواوين ما يتعلّق بديوانه من التذاكر<sup>٢</sup> والمطالعات بما<sup>٣</sup> تحتاج  
 إليه الدولة في طول السنة، ويُنعم به ويتصدّق، ويحمل إلى الحرمين الشريفين من كل صنف  
 على ما فصل في التذاكر على يد المندوبين، ويحمل إلى الثغور ويخزن من سائر الأصناف مما  
 يُستعمل ويُباع في الثغور والبلاد، والاستيثار<sup>٤</sup>، وجريدة الأبواب، وتذكرة الطراز والتوقيع  
 عليها<sup>٥</sup>.

وقال ابن الطوير<sup>٥</sup>: فإذا كان العشر الأخير من ذي الحجة في كل سنة، انتصب كل من  
 المستخدمين بالأماكن لإخراج آلات المؤكّب من الأسلحة وغيرها، فيخرج من خزائن الأسلحة ما

(a) بولاق: مما.

١ صبح ١٣٣:١ - ١٣٦، ١٣:٣٧).

١ انظر فيما تقدم ٣٥٢؛ وفيما يلي ٤٨٧.

٢ الاستيثار (انظر فيما تقدم ٣٢٣).

٢ التذكرة ج. تذاكر. هي الورقة التي تُصنّ جمل

٤ ابن المأمون: أخبار مصر ٥٨ - ٥٩.

الأموال التي يسافر بها الرسول ليعود إليها إن أغفل شيئاً منها

٥ هذا الوصف مما انفرد به ابن الطوير، فكل ما نعرفه =

أو نسيه، أو تكون حجة فيما يورده ويصدره (القلقشندي):



يحمّله صبيّانُ الرّكاب حوّل الخليفة من السّلاح<sup>(a)</sup> وهو: الصّماصيم المصقولة المذهّبة مكان السيوف المخذّبة لغيرهم<sup>(b)</sup>، والدّبايس الملبّسة<sup>(c)</sup> بالكيّمخت<sup>١</sup> الأحمر والأسود ورءوسها مدوّرة مُضرسة أيضًا<sup>(b)</sup>، واللّتوت<sup>٢</sup> كذلك ورءوسها مستطيلة مضرسة أيضًا، وآلاته<sup>(d)</sup> يُقال لها المُشثوفيات، وهي عمُد حديد من طول ذراعين مرّبة الأشكال، بمقابض مدوّرة في أيديهم بعدّة معلومة من كلّ صِنف فيتسلّمها نُقبأؤهم في<sup>(e)</sup> ضمايهم، وعليهم إعادتها إلى الخزائن بعد تقضي الخِدْمَة بها.

(a) بولاق: الأسلحة. (b) ساقطة من بولاق. (c) زيادة من المسودة. (d) بولاق: آلات. (e) بولاق:

وهي في.

في أوّل دولتهم أم لا؛ فمخطوطة «أخبار مصر» للمُسَبّحي، والتي نشرتها في سنة ١٩٧٨، يوجد بها سَقَط ضاع معه حوادث أوّل المحرم سنة ٤١٥ هـ فلم نتعرف على كيفية الاحتفال بركوب أوّل العام في هذا الوقت المتقدّم، إلّا أنّ المقرئ ذكر في حوادث سنة ٣٩٠ هـ (في أغلب الظن نقلًا عن المُسَبّحي) أنّ الخليفة الحاكم ظهر في أوّل المحرم ودخل الناس فهنّوه بالعام (اتعاظ ٢: ٢٥)، ولاشك أنّ ذلك كان من عادة القوم، وأخذ يتكرّر في الأعوام التالية.

أمّا أول إشارة تقابلنا في المصادر عن ركوب الخلفاء في مؤسّم أوّل العام وما كان يصحبها من استعدادات، فقد وَرَدَت عند ابن المأمون في حوادث سنة ٥١٧ هـ ولكن بدون التفاصيل الغنية التي ذكرها ابن الطوّير.

وراجع كذلك، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر

Sanders, P., *El<sup>2</sup> art. Mawâkib VI*, ٤١١-٤٣٢ pp. 841-42; id., *Ritual, Politics, and the City in Fatimid Cairo*, New York 1994, pp. 83-98.

<sup>١</sup> الكيّمخت. ضرب من الجلود المدبوغة كان يستخدم

في عمل الدروع والجواشن (Dozy, R., *Suppl. Dict. Ar.*) II, p. 515; Cahen, Cl., *Un traité d'armirerie* pp. 114, 116-117.

<sup>٢</sup> اللّتوت جمع لُت. فارسي معرب وهو القَدوم والفأس

العظيمة (Cahen, Cl., *op.cit.*, p. 117).

= عن ركوب الخلفاء الفاطميين في المواكب العظام والمواكب المختصرة وكذلك جلوس الخلفاء في مجلس الملك والأشجطة التي كانت تُمدّ في قاعة الذهب في المواسم والأعياد المختلفة ندين به إلى ابن الطوّير.

وقد تنبّه إلى أهمية ما أورده ابن الطوّير عن رُكوب الخلفاء في مؤسّم أوّل العام - وحفظه لنا مؤرّخو القرن التاسع - المستشرق الروسي إنسترونزف فنقل إلى الروسية ما كتبه ابن الطوّير عن ركوب أوّل العام اعتمادًا على المقرئ مع الاسترشاد بما وَرَدَ عند أبي المحاسن والقلقشندي (الذي لم يكن قد نشر بعد وإن وجدت له ترجمة ألمانية) مع مقدّمة وتعليقات في غاية الأهمية Inostrantsev, K. A., *Toryestvenii Viezd Fatimidiskikh Khalifov in Zap. Vost. Otdyel. Imp. Russ. Arkheol. Obshestva*, XVII (St-Petersbourg 1905).

ونظرًا لعدم تيسر الرجوع إلى ما كتبه إنسترونزف فقد نقل ماريوس كانار كلام ابن الطوّير إلى الفرنسية مذيلاً بتعليقات المستشرق الروسي وملاحظات كانار الشخصية. (Canard, M., «La procession du nouvel an chez les Fatimides», *AIEO X* (1952), pp. 364-395) وقد استفدت كثيرًا من عملهما في نشر ما يتعلّق بركوب أوّل العام.

وهو كذلك وُصِفَ نموذجي لترتيب الموكب في آخر الدولة الفاطمية. وللأسف فإننا لا نعرف إذا كان الفاطميون قد عرفوا الاحتفال بهذا اليوم على هذا الترتيب



ويُخْرَج للطائفة من العبيد الأقوياء السودان الشُّباب - ويقال لهم «أزبابُ السُّلاح الصَّغير<sup>(a)</sup>»، وهم ثلاث مائة عبد - لكلِّ واحدٍ حَرْبَتان بأسيئة مصقولة تحتها جُلْب فضة كلُّ اثنتين في شُرابة، وثلاث مائة دَرَقَة بكوايج<sup>(b)</sup> ١ فضة يتسلَّم ذلك عُرْفَاؤهم على ما تقدَّم، فيسلِّمونه للعبيد لكلِّ واحدٍ حَرْبَتان ودَرَقَة ٢.

ثم يُخْرَج من خِزَانة التَّجْمُل - وهي من حُقوق خَزَائِن السُّلاح - القَصَب الفِضَّة يرسم تَشْرِيف الوَازِر والأُمراء أزباب الرُّتَب، وأزِمَّة العساكر والطوائف من الفارس والرَّاجِل. وهي رِمَاخ مُلَبَّسَة بأنايب الفِضَّة المنقوشة بالذهب إلا ذراعين منها، فيشدُّ في ذلك الخالي من الأنايب عدَّة من المعاجر الشُّرب<sup>(c)</sup> الملونة، ويترك أطرافها المرقومة مُشبَّلة كالسَّنَاجِق<sup>(c)</sup>، وبرءوسها رَمَامِين منقوخة فضة مذهبة وأهْلَة مجوَّفة كذلك، وفيها جِلاجل لها جسٌّ إذا تحرَّكت، وتكون عدُّتها ما يقرب من مائة.

ومن العَمَّاريات - وهي شبه الكجاوات<sup>(d)</sup> - من الدِّياج الأحمر - وهو أجَلُّها - والأصفر والقُرْقُوبِي والسُّقْلَاطُون مَبَطَّنَة مضبوطة بزنانير حرير، وعلى دائر التَّزْيِيع منها مَنَاطِق بكوايج<sup>(e)</sup> فضة مَشْمُورَة في جِلْد نَظِير عَدَد القَصَب، فيسير من القَصَب عشرة، ومن العَمَّاريات مثلها من الحمر خاصَّة للوَزِير<sup>(f)</sup> ٤.

ويُخْرَج للوَزِير خاصَّة لواءان على رُمُحَيْن طويلين ملبَّسين بمثل تلك الأنايب، ونفس اللِّوَاء ملفوفٌ غير مَنشُور. وهذا التَّشْرِيف يسير أمام الوَزِير، وهو للأُمراء من ورائهم. ثم يسير للأُمراء

(a) بولاق: الصفر. (b) بولاق: كوامخ. (c) بولاق: كالصناجق. (d) بولاق: الكجاوات. (e) بولاق: بكوامخ. (f) زيادة من مسودة المواعظ.

١ الكوايج عن الكلمة التركية göbek بمعنى شُرَة، أي أن في وسطها حلية أو زخرفة محدبة أو مقعرة (Canard, M., op.cit., p. 370 n.18).

٢ القلقشندي: صبح ٣: ٤٧٠.

٣ المِعْجَر كَمِينِر ج. معاجر. ثوب يلف به (القاموس المحيط ٥٦٠)، وفي لسان العرب ٦: ٢١٨ أنه ثوب تعتجر به

المراة أصغر من الرداء وأكبر من المَنقَعَة، وقد استخدمه ابن المأمون (فيما تقدم ٣٦٢) بهذا المعنى عند حديثه على ملابس

٤ القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٠-٤٧١.

إحدى جهات الخليفة. والمعجر كذلك ضربٌ من ثياب اليمن. (اللسان والقاموس).

والشُّرب ج. شروب. وهو ما رُقَّ من الكتان. ولكن

دوزي يرى أن وصف هذا المصطلح كما ورد في المصادر

يدل على نوع من الكتان (Dozy, R., op.cit., I, p. 740).



أرباب الرتب في الخدم - وأولهم صاحب الباب، وهو أجلهم - خمس قصبات وخمس عماريات، ويُرسَل لإسفَهستلار/ القساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عدّة ألوان، ومن سواهما من الأمراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث، واثنان اثنان، وواحدة واحدة.

ثم يُخرج من البثود الخاصّ الديقي المرقوم الملون عشرة برماح مُلبّسة بالأنايب، وعلى رءوسها الرّمّامين والأهله للوزير خاصّة؛ ودون هذه البثود ممّا هو من الحرير على رماح غير ملبّسة، ورءوسها ورّمّامينها من نحاس مجوّف مطلي بالذهب فتكون هذه أمام الأمراء المذكورين، من تسعة إلى سبعة<sup>(a)</sup> إلى خمسة.

ثم يخرج لقومٍ يقال لهم: الشبّزبرية<sup>١</sup> سلاح كل قطعة طول سبعة<sup>(a)</sup> أذرع برأسها طلعة مضقولة، وهي من خشب القنطاريات<sup>٢</sup> داخلية في الطلعة وعقبها حديد مدور السفّل<sup>(b)</sup>، فهي في كفّ حاملها الأيمن، وهو يفتلها فيه قتلاً مُتدارك الدوران<sup>٣</sup>، وفي يده اليسرى نُشابة كبيرة يخطر بها، وعِدّتها ستون مع ستين رجلاً يسيرون رَجالة في الموكب يسيرون يَمَنَةً وَيَسْرَةً.

ثم يُخرج من النَّقارات حمل عشرين بَعْلاً، على كل بَعْل ثلاث، مثل نقارات الكوسات بغير كوسات، يقال لها «طُبُول حَلَب<sup>(c)</sup>» يتسلّمها صنّاعها، ويسيرون في الموكب اثنان اثنان، ولها جيش مستحسن<sup>٤</sup>، وكان لها مَيِّزة عندهم في التّشريف.

ثم يُخرج لقومٍ متطوّعين - بغير جارٍ ولا جِراية - تقرب عدّتهم من مائة رجل، لكل واحد دَرَقَة من دَرَق اللُّمَط<sup>٥</sup>، وهي واسعة، وسيف، ويسيرون أيضاً رَجالة في الموكب<sup>٦</sup>. هذا وَظيفة خَزائِن السّلاح.

(a-a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: أسفل. (c) حلب: إضافة من مسودة المواعظ.

<sup>١</sup> الشبّزبرية: نسبة إلى الشبّزبرات، وهي جنس من الرماح جاء في كتاب «تبصرة أرباب الألباب» أن طولها خمسة أذرع وأستها عراض طوال يكون عرضها سعة الفتر وطولها ذراع وأكثر (Cahen, Cl., op.cit., p. 11).

<sup>٢</sup> قنطارية ج. قنطاريات. انظر فيما تقدم ٣٨١ هـ<sup>٢</sup>.

<sup>٣</sup> القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٠.

<sup>٤</sup> نفسه ٣: ٤٧١.

<sup>٥</sup> اللُّمَط. أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب ينسب إليها الدَرَق، لأنهم ينقعون الجلود في الحليب سنة، فينبو عنها السيف القاطع. (القاموس المحيط ٨٨٦).

<sup>٦</sup> القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٠.



ثم يحضر حامي خزائن الشروج - وهو من الأستاذين المحنكين - إليها مع مشارفها - وهو من الشهود المعدلين - فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلي ما هو برسم ركوبه وما يجنب في مؤكبه مائة سرج : منها سبعون على سبعين حصاناً ، ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة ؛ كل مركب مصنوع من ذهب ، أو من ذهب وفضة ، أو من ذهب مُنزل فيه المينا ، أو من فضة مُنزلة بالمينا ، وروادفها وقرابيسها<sup>١</sup> من نسبتها ، ومنها ما هو مُرصع بالجواهر الفاتقة . وفي أعناقها الأطواق الذهب وقلائد العنبر ، وربما يكون في أيدي وأرجل أكثرها خلاخل مسطوحة دائرة عليها ، ومكان الجلد من الشروج الدياج الأحمر والأصفر وغيرهما من الألوان ، والسقلاطون المنقوش بألوان الحرير قيمة كل دابة وما عليها من الغدة ألف دينار .

فيشرف الوزير من هذه بعشرة حُصن لركوبه وأولاده وإخوته ومن يعز عليه من أقاربه . ويسلم ذلك لعرفاء الإسطبلات ، بالعرض عليهم من الجرائد التي هي ثابتة فيها علاماتها في أماكنها وأعدادها ، وعدد كل مركب منقوش عليه مثل أول وثان وثالث إلى آخرها - كما هو مسطور في الجرائد - فتعرف بذلك قطعة قطعة ، ويسلمها العرفاء للشدادين بضمان عرفائهم إلى أن تعود ، وعليهم غرامة ما نقص منها وإعادتها برمتها .

ثم يخرج من الخزائن المذكورة لأرباب الدواوين المرتبين في الخدم ، على مقاديرهم ، مركبات أيضاً من الحلي - دون ما تقدم ذكره - ما تقرب عدته من ثلاث مائة مركب على نخيل وبغلات وبغال ، يتسلمها العرفاء المتقدم ذكرهم على الوجه المذكور ، ويتتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من أرباب الخدم سيفاً وقلماً ، فيعرف كل شدايد صاحبه ، فيحضر إليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب ، ولهم من الركاب رؤوم من دينار إلى نصف دينار إلى ثلث دينار .

فإذا تكامل<sup>(a)</sup> هذا الأمر ، وسلم أيضاً الجمالون بالمناخات أغشية العماريات ، وتكون إزاحة العلة<sup>(b)</sup> في ذلك كله إلى آخر الثامن والعشرين من ذي الحجة ، وأصبح اليوم التاسع والعشرون - وهو سلخه على رأي القوم - عزم الخليفة على الجلوس في الشباك<sup>٢</sup> لعرض دوابه الخاص المقدم

(a) بولاقي : تكمل . (b) ساقطة من بولاقي .

<sup>١</sup> الروادف : ما يوضع على ردف الفرس ، والقربوس جـ .

<sup>٢</sup> عن الشباك . انظر فيما تقدم ٣٠٢ .

قرابيس . الخشبة الصغيرة القائمة في مقدم السرج (Dozy).



ذكرها، ويُقال له «يَوْمُ عَرُوضِ الْخَيْلِ». فَيَسْتَدْعِي الْوَزِيرَ صَاحِبَ الرُّسَالَةِ - وهو من كبار الأستاذين الْمُحْتَكِينَ وَفُصْحَائِهِمْ وَعُقْلَائِهِمْ وَمُحْصِلِيهِمْ - فيمضي إلى اسْتِدْعَائِهِ فِي هَيْئَةِ الْمُسْرَعِينَ عَلَى حِصَانٍ دِهْرَاجٍ<sup>١</sup>، امْتِثَالًا لِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ بِالْإِسْرَاعِ، عَلَى خِلَافِ حَرَكَتِهِ الْمَعْتَادَةِ. فَإِذَا عَادَ مَثَلٌ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ وَأَعْلَمَهُ بِاسْتِدْعَائِهِ الْوَزِيرَ. فَيَخْرُجُ رَاكِبًا مِنْ مَكَانِهِ فِي الْقَصْرِ - وَلَا يَرْكَبُ أَحَدٌ فِي الْقَصْرِ إِلَّا الْخَلِيفَةَ<sup>٢</sup> - وَيَنْزِلُ فِي السُّهْدِلَاءِ بِدِهْلِيزِ بَابِ الْمَلِكِ الَّذِي فِيهِ الشُّبَّاكُ<sup>٣</sup>، وَعَلَيْهِ مِنْ ظَاهِرِهِ لِلنَّاسِ سِتْرٌ، فَيَقِفُ مِنْ جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ زِمَامَ الْقَصْرِ، وَمِنْ جَانِبِهِ الْأَيْسَرِ صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ، وَهُمَا مِنَ الْأُسْتَاذِينَ الْمُحْتَكِينَ. فَيَرْكَبُ الْوَزِيرُ مِنْ دَارِهِ وَيَبِينُ يَدَيْهِ الْأَمْرَاءَ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ تَرَجَّلَ الْأَمْرَاءُ وَهُوَ رَاكِبٌ، وَيَكُونُ دُخُولُهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ بَابِ الْعِيدِ، وَلَا يَزَالُ رَاكِبًا إِلَى أَوَّلِ بَابٍ مِنَ الدَّهَالِيزِ الطُّوَالِ<sup>٤</sup>، فَيَنْزِلُ هُنَاكَ وَيَمْشِي فِيهَا وَخَوَالِيهِ حَاشِيَتُهُ وَغِلْمَانُهُ وَأَصْحَابُهُ وَمَنْ يَرَاهُ مِنْ أَوْلَادِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَيَصِلُ إِلَى الشُّبَّاكِ فَيَجِدُ تَحْتَهُ كُرْسِيًّا كَبِيرًا مِنْ كَرَّاسِي السَّلِينِ الْحَدِيدِ<sup>(b)</sup>، فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ وَرِجْلَاهُ تَطَأُ الْأَرْضَ. فَإِذَا اسْتَوَى جَالِسًا، رَفَعَ كُلُّ أُسْتَاذٍ الشَّرَّ مِنْ جَانِبِهِ، فَيَرَى الْخَلِيفَةَ جَالِسًا فِي الْمَرْتَبَةِ الْهَائِلَةِ، فَيَقِفُ وَيَسْلُمُ وَيَتَّخِذُ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يُؤَمِّرُ بِالْجُلُوسِ عَلَى كُرْسِيهِ فَيَجْلِسُ، وَيَسْتَفْتِحُ الْقُرَّاءَ بِالْقِرَاءَةِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِآيَاتٍ لَائِقَةٍ بِذَلِكَ الْحَالِ بِمِقْدَارِ نِصْفِ سَاعَةٍ، ثُمَّ يُسَلِّمُ الْأَمْرَاءَ.

(a) المسودة : الدواب . (b) بولاق : البلق الجيد، وهي قراءة لا توجد في أية نسخة . (c) المسودة : المكان .

<sup>١</sup> «سهده» كأنه ثلاثة بيوت في بيت كالحيري بكُمَيْن (لسان العرب ١٣: ٣٥٥). وقد صور إنسترونزف الشدلا الفاطمية بيناء مغلق من ثلاثة جوانب ومفتوح من الجانب الرابع حيث كان يوجد الشبَّاك، وخذد موضعها على وجه التقريب في وسط القصر بين باب العيد وباب البحر. (مقدمة نزهة المقلتين لابن الطوير ٩٦-٩٧\*).

<sup>٤</sup> الدهاليز الطوال : هي دون شك ما أسماه غليوم أسقف صور، كما نقل كلامه إلى الفرنسية جستاف شلمبرجيه : «longues et étroites allées voutées tout à fait obscures»، «دهاليز طويلة وضيقة مُقَبَّبة حالكة الظلام لا يستطيع الإنسان أن يتبين فيها شيئاً». (Schlumberger, G., *Campagnes du Roi Amaury I<sup>er</sup> de Jérusalem* . (en Égypte au XII<sup>e</sup> siècle, p. 118

<sup>١</sup> الدهرجة . السير السريع، وحصان دهرج أي سريع السير . (القاموس المحيط ٢٤٢).

<sup>٢</sup> انظر فيما تقدم ٢٩٢، واستثنى من ذلك الوزير التاصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - آخر وزراء الفاطميين - فقد كان يدخل على العاضد في القصر راكبا (أبو شامة : الروضتين ١: ٤٤٠).

<sup>٣</sup> لاشك أن «عروض الخيل» كان يتم في فناء داخلي للقصر الشرقي الكبير بالقرب من «دهليز باب الملك» حيث كانت توجد «السهدلا» و«الشبَّاك» ويتوصل إليه من باب العيد.

و«السهدلي» أو «السدلا» أو «السديلي» : لفظ فارسي معرب . (الجواليقي : المعرب ٢٣٥) وأصله بالفارسية



ويُسرَّع<sup>(a)</sup> في عَرَض<sup>(b)</sup> الخَيْلِ والبِغال<sup>(b)</sup> الخاصَّ المقدم ذكرها دابَّةً دابَّةً ، وهي هادئة كالعرائس بأيدي شدَّاديهَا ، إلى أن يتكَمَّل<sup>(c)</sup> / عَرَضُهَا ، فيقرأ القُرَاءُ لِحَثْمِ ذلك الجُلُوسِ ، ويُزْحِي الأَسْتَادَانِ السُّشْرَيْنِ<sup>(d)</sup> ، فيقوم<sup>(e)</sup> الوَزِيرُ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ وَيُقَبِّلُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، وينصرف عنه إلى دَارِهِ ، فيركب من مَكَانِ نَزُولِهِ وَالْأَمْرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ لَوَدَاعِهِ إِلَى دَارِهِ رُكْبَانًا وَمُشَاةً إِلَى قَرِيبِ الْمَكَانِ ،<sup>(f)</sup> وَيَنْقَضِي هَذَا الْأَمْرُ<sup>(g)</sup> .

### [ آلاَتُ الْمُؤَكَّبِ ]

فَإِذَا صَلَّى الْخَلِيفَةُ الظُّهْرَ بَعْدَ انْقِضَاضِ مَا تَقَدَّمَ ، جَلَسَ لِعَرَضِ مَا يَلْبَسُهُ فِي غَدِ<sup>(h)</sup> تِلْكَ اللَّيْلَةِ - وَهُوَ «يَوْمُ اسْتِفْتَاكِ<sup>(h)</sup> الْعَامِ»<sup>(i)</sup> - بِخَزَائِنِ الْكُشُوتِ الْخَاصِّ<sup>(j)</sup> ، وَيَكُونُ لِيَأْسُهُ فِيهِ الْبَيَاضُ غَيْرَ الْمَوْشَعِ ، فَيَعِينُ عَلَى مِثْدِيلِ خَاصِّ<sup>(k)</sup> وَبَدَلَةٍ<sup>(l)</sup> . فَأَمَّا الْمِثْدِيلُ فَيُسَلَّمُ لَشَادِّ التَّاجِ الشَّرِيفِ . وَيُقَالُ لَهَا<sup>(m)</sup> «شَدَّةُ الْوَقَارِ» - وَهُوَ مِنَ الْأَسْتَادِينَ الْمُحْتَكِّينَ ، وَهُوَ مَيِّزَةٌ لِمَاسِّهِ مَا يَغْلُو تَاجَ الْخَلِيفَةِ - فَيَشْدُوهَا شَدَّةً غَرِيبَةً لَا

(a) بولاق : ويسرع . (b-b) المسودة : تلك الدواب . (c) بولاق : تكمل . (d) بولاق : الستر . (e) بولاق : فيقدم . (f-f) زيادة من المسودة . (g) بولاق : عيد . (h) النسخ وبولاق : افتتاح ، والمثبت من مسودة المواعظ . (i) بولاق : له .

عن استخدام الخليفة لعدد من العمامم المختلفة الأنواع (أخبار مصر ١٤٧)؛ كما يحدثنا ناصر خسرو عن استخدام الخليفة للعمامة أثناء احتفال فتح الخليج (سفرنامه ٩٦)، كما يذكر أبو صالح الأرميني - عند وصفه لفتح الخليج - أن الخليفة المستنصر كان مُتَوَجِّحًا أثناء الاحتفال بمنديل الجوهر والمظلة منشورة عليه وهو جالس فوق دكة الوقار (تاريخ أبي صالح ٣٢). وأشار ابن الطُّوَيْرِ أيضًا عند حديثه على احتفال فتح الخليج إلى المنديل أو شدة الوقار.

أما ابن المأمون فقد ذكر أن شدة الوقار هي المنديل بالشدة الغربية التي يتفرد الخليفة بلباسها في الأعياد والمواسم خاصة لا على الدوام، وكانت تُرَضَعُ بِغَالِي الْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُودِ وَالجَوْهَرِ. (فيما تقدم ٤٣٣ وفيما يلي Canard, M., *Le cérémonial fatimide*, ٥٤٥ pp. 390-92.

انظر وصفًا لعدد من بدل الخليفة عند ابن المأمون: أخبار مصر ٤٨، ٤٩، ٥٤، ٥٥.

<sup>١</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ١٨٩-١٩٦.

<sup>٢</sup> استخرج القلقشندي من هذا العرض الذي قدمه ابن الطوير، الفصل الذي أفرده لذكر الآلات الموكبية (صبح الأعشى ٣: ٤٦٨-٤٧١)، وكذلك التعريف بأهم وظائف الأستادين المحتكين وغير المحتكين.

<sup>٣</sup> انظر فيما تقدم ٣٦٩.

<sup>٤</sup> المنديل . آلة قديمة للملوك ، وذكر القلقشندي أنه كان للوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه مائة بدلة معلقة على أوتاد من ذهب ، على كل بدلة منها منديل من لونها . (صبح الأعشى ٢: ١٣٢) .

ولم يكن التاج الفاطمي تاجًا بمعنى الكلمة بل كان عمامة ضخمة يلفها موظف مختص شدة غريبة مفردة ذات شكل منفوخ ذي استطالة يزينها في وسطها الجوهرة المعروفة بـ«البييمة» . وفي أوائل عهد الدولة الفاطمية في مصر لم تكن عمامة الخليفة بهذا الشكل ؛ فيحدثنا المُسَبِّحِي



يعرفها سواه شكل الإهليلجة . ثم تُحَضَّر إليه «البيّمة» ، وهي جَوْهَرَةٌ عَظِيمَةٌ لا تُعْرَفُ لها قيمةٌ ، فَتَنْتَظِمُ هي وحواليها دونها<sup>(a)</sup> من الجواهر<sup>١</sup> ، وهي موضوعة في الحافر ، وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال في الدنيا<sup>٢</sup> ، فتنظم على خِرْقَةٍ حرير أحسن وَضَع ، ويخيطها شادّ التاج بخياطة خفيفة<sup>(b)</sup> ممكنة فتكون بأعلى جبهة الخليفة - ويُقال إن زنة الجَوْهَرَةِ سبعة دراهم ، وزنة الحافر أحد عشر مثقالاً - وبدائرها قَصَبُ زُمُرُد ذَبَابِي له قدرٌ عَظِيمٌ<sup>٣</sup> .

- ثم يُؤَمَّرُ بِشَدِّ المِظْلَةِ التي تُشَاكِلُ<sup>(c)</sup> تلك البَدَلَةَ المُحَضَّرَةَ بين يديه ، وهي مُناسِبَةٌ للشباب<sup>٤</sup> ، ولها عندهم جلالَةٌ لكَوْنِهَا تَعْلُو رَأْسَ الخليفة . وهي اثنا عشر شَوْزَكًا ، عَرَضُ سِفْلِ كُلِّ شَوْزَكٍ شِبْرٌ ، وطول ثلاثة أذرع وثلاث ، وآخر الشَّوَزَكِ من فوق دَقِيقٌ جدًّا ، فيجتمع ما بين الشَّوَزَكِ في رأسِ عَمُودِهَا<sup>(d)</sup> بدائرة ، وهو قُنْطَارِيَّةٌ<sup>٥</sup> من الزَّانِ مُلَبَّسَةٌ بأنايب الذهب ، وفي آخر أنبوبة تلي الرأس من جسمه فَلَكَةٌ بارِزَةٌ بِمِقْدَارِ عَرَضِ إِبْهَامٍ ، فيشَدُّ آخِرَ الشَّوَزَكِ في حَلْقَةٍ من ذهب ، ويترك مُتَسَعًا في رأس الرُّمَحِ وهو مفروض ، فتَلْقَى تلك الفَلَكَةُ فتمنع المِظْلَةَ من الحُدُورِ في العمود المَرْكُوزِ<sup>(e)</sup> . ولها أَضْلَاحٌ من خَشَبِ الخَلنجِ مَرَبَّعات مكسوة بوزن الذهب ، على عَدَدِ الشَّوَزَكِ ، خِفَافٌ في الوزن طولها طول الشَّوَزَكِ ، وفيها خَطَاطِيفٌ لِطَافٍ وَحِلَقٌ يَمْسُكُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وهي تَنْضَمُ وَتَنْفَتِحُ على طَرِيقَةِ شَوْكَات الكيزان ، ولها رأسٌ شَبهُ الرُّمَّانَةِ ، ويعلوه رُمَّانَةٌ صغيرة كلُّها ذهب مُرْصَعٌ بِجَوْهَرٍ يَظْهَرُ لِلعيان ، ولها رَفْرَفٌ دائر يفتحها من نسبتها عَرَضُهُ أَكْثَرُ من شِبْرٍ ونصف ، وسِفْلُ الرُّمَّانَةِ فاصِلٌ يكون مقداره ثلاث أصابع . فإذا أُدْخِلَتِ الحَلْقَةُ الذهب الجامعة لآخر شَوْزَكِ المِظْلَةَ في رأس العمود ، رُكِبَتِ الرُّمَّانَةُ عليها ولُفَّتْ في عَرَضِ دَيْقِي مَذْهَبٍ ، فلا يكشفها منه

(a) بولاق : ما دونها . (b) بولاق : خفيفة . (c) بولاق : تشابه . (d) بولاق : عودها . (e) بولاق : المذكور .

في المواكب . ويبدو أن هذا التقليد استجدّ في القرن السادس ، فالمُسْتَبْحِي في مطلع القرن الخامس يذكر في أكثر من موضع أن المظلة كانت تخالف لون ثياب الخليفة . (أخبار مصر ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٨٠) ، وكانت دائماً مظلة مذهبة مثقل ، وانظر كذلك ناصر خسرو : سفرنامه ٩٦ ، Canard, M., op.cit., p. 389 n.3 ، وفيما يلي (٤٨٩) .  
عن معنى قنطارية ، انظر فيما تقدم ٣٨١ .

<sup>١</sup> القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ .  
<sup>٢</sup> انتقل الفص الحافر ، وهو من ياقوت أحمر وزنه سبعة دراهم ، إلى الخلفاء الفاطميين بمصر من بني العباس (الذخائر والتحف ١٩٣) .

<sup>٣</sup> القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ ، ٤٦٩ .  
<sup>٤</sup> أكد ابن الطَّوِير في أكثر من موضع على ضرورة أن تكون المظلة من نفس لون الثياب التي يرتديها الخليفة الفاطمي



إلا حاملها عند تسليمها إليه أوّل وقت الركوب<sup>(a)</sup>.

ثم يؤمر بشدّ «لواءيّ الحمد» المختصّين بالخليفة، وهما رُمحان طويلان مُلبَّسان بمثل أنابيب عمود المِظلة إلى حدّ نقشهما<sup>(b)</sup>، وهما من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، وغير منشورين بل ملفوفين على جسم الرُمحين، فيشدان ليخرجا بخروج المِظلة إلى أميرين من حاشية الخليفة يرسم حملهما<sup>١</sup>.

ويخرج إحدى وعشرون «راية» لطاف من الحرير المرقوم ملوّنة بكتابة تُخالف ألوانها من غيره، ونصّ كتابتهما: «نصر من الله وفتح قريب» [آية ١٣ سورة الصف]، على رماح مرقومة من القنا المنتقى، طول كل راية ذراعان في عرض ذراع ونصف، في كل واحدة ثلاث طرّادات<sup>(c)</sup> فتسلم لأحد وعشرين رجلاً من فرسان صبيان الخاص<sup>٢</sup>، ولهم إشارة عود الخليفة سالماً أحد و<sup>(d)</sup> عشرون ديناراً<sup>٣</sup>.

ثم يُخرج «رُمحان» رءوسهما أهلة من ذهب صامته، في كل واحد سبع من دياج أخمر وأصفر، وفي فيه طارة مستديرة يدخل فيها الرّيح، فيتفتحان فيظهر شكلهما، ويتسلمهما فارسان من صبيان الخاص، فيكونان أمام الرايات<sup>٤</sup>.

ثم يُخرج «السيف الخاص» وهو من صاعقة وقعت على ما يُقال، وجليته<sup>(e)</sup> ذهب مرصعة بالجواهر في خريطة مرقومة بالذهب، لا يظهر إلا رأسه ليسلم إلى حامله وهو أمير عظيم القدر. وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار، وهو أكبر حامل<sup>٥</sup>.

(a) بولاق: ركوبه. (b) بولاق: نصفهما. (c) بولاق: طرازات. (d) أحد و: ساقطة من بولاق. (e) بولاق: جلبته.

<sup>١</sup> القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٦٩.

<sup>٢</sup> صبيان الخاص. أولاد الأجناد والأمرء وعبيد الدولة،

كان إذا مات الرجل منهم وله أولاد حُمِلوا إلى حضرة الخلافة

ويودعوا في أماكن مخصوصة، ويؤخذ في تعليمهم الفروسية

ويقال لهم «صبيان الخاص». (ابن ميسر: أخبار مصر ١١٤٣

ابن الطوير: نزهة المقتلين ٦٣، ١٧٣، ١٧٤، ١١٧٩

المقريزي: اتعاظ الخنفا ٣: ١٩٩؛ أسامة بن منقذ: الاعتبار

(٣٢)، وهم في ذلك أشبه بصبيان الحجر وإن كان هؤلاء

يستخدمون في الحرب مثلهم مثل المماليك.

<sup>٣</sup> القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٧٠.

<sup>٤</sup> نفسه ٣: ٤٧٠.

<sup>٥</sup> المقريزي: المقفى الكبير ٣: ٤٠ في ترجمة جعفر بن

فاتك أخي الوزير المأمون بن البطائحى، فقد رُتبه أخوه لحمل

السيف الخاص عندما تولى الوزارة للخليفة الأمر بأحكام الله.

ويكون في وقت مسير الخليفة راكباً في الجانب الأيسر هو-



ثم يُخْرَج «الرَّمْح»<sup>١</sup>، وهو رُمُحٌ لَطِيفٌ فِي غُلَافٍ مَنْظُومٍ مِنَ اللَّؤْلُؤِ، وَهُوَ سِنَانٌ مَخْتَصِرٌ بِحَلِيَّةٍ ذَهَبٍ<sup>٢</sup>، وَدَرَقَةٌ بِكَوَابِجٍ<sup>٣</sup> ذَهَبٍ، فِيهَا سَعَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي غِشَاءٍ مِنْ خَرِيرٍ، لَتُخْرَجَ إِلَى حَامِلِهَا وَهُوَ أَمِيرٌ مُمَيَّرٌ. وَلِهَذِهِ الْخِدْمَةُ وَصَاحِبِهَا عِنْدَهُمْ بِجَلَالَةٍ. ثُمَّ يُعْلَمُ<sup>٤</sup> النَّاسُ بِطَرِيقِ الْمُؤَكَّبِ، وَشُلُوكُهُ لَا يَتَعَدَّى دَوْرَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا كِبْرِيٌّ، وَالْأُخْرَى صَغْرِيٌّ. أَمَّا الْكِبْرِيٌّ فَمِنْ بَابِ الْقَضْرِ إِلَى بَابِ النَّصْرِ، مَاذَا إِلَى حَوْضِ عِزِّ الْمَلِكِ نَبَاً - وَمَسْجِدُهُ هُنَاكَ وَهُوَ أَقْصَاهَا<sup>٥</sup> - ثُمَّ يَنْعَطِفُ عَلَى يَسَارِهِ طَالِبًا بَابَ الْفُتُوحِ إِلَى الْقَضْرِ. وَالْأُخْرَى إِذَا خَرَجَ مِنْ بَابِ النَّصْرِ سَارَ حَاقًا بِالسُّورِ، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْفُتُوحِ.

فَيُعْلَمُ النَّاسُ بِسُلُوكِ أَحَدِهِمَا<sup>٦</sup>، فَيَسِيرُونَ إِذَا رَكِبَ الْخَلِيفَةُ فِيهَا مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ لِلْمُؤَكَّبِ، وَلَا تَشْوِيشٍ وَلَا اخْتِلَالٍ. فَلَا يَصْبِحُ الصُّبْحُ مِنْ يَوْمِ الرُّكُوبِ إِلَّا وَقَدْ اجْتَمَعَ مَنْ بِالْقَاهِرَةِ وَمَنْ مِنْ أَزْبَابِ الرُّتَبِ وَأَزْبَابِ التَّغْيِيرَاتِ<sup>٧</sup> مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ قِيَامًا بَيْنَ الْقَضْرَيْنِ - وَكَانَ بَرَاخِا وَاسِعًا خَالِيًا مِنَ الْبِنَاءِ الَّذِي فِيهِ الْيَوْمَ - فَيَتَسَعَّ الْقَوْمُ لانتظار رُكُوبِ<sup>٨</sup> الْخَلِيفَةَ.

وَيُنْكَرُ الْأُمَرَاءُ إِلَى الْوَزِيرِ إِلَى دَارِهِ، فَيَرْكَبُ إِلَى الْقَضْرِ مِنْ غَيْرِ اسْتِدْعَاءٍ لِأَنَّهَا خِدْمَةٌ لِازِمَةٌ لِلْخَلِيفَةِ، فَيَسِيرُ أَمَامَهُ تَشْرِيفُهُ الْمَقْدَمَ ذَكَرَهُ، وَالْأُمَرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ رُكْبَانًا وَمُشَاةً، وَأَمَامَهُ أَوْلَادُهُ وَإِخْوَتُهُ/ وَكُلٌّ مِنْهُمْ مَرْخِي الدُّوَابَّةِ بِلا حَنْكٍ، وَهُوَ فِي أَهْبَةِ<sup>٩</sup> عَظِيمَةٍ مِنَ الثِّيَابِ الْفَاخِرَةِ وَالْمِنْدِيلِ وَهُوَ بِالْحَنْكِ، وَيَتَقَلَّدُ بِالسُّيْفِ الْمَذْهَبِ.

فَإِذَا وَصَلَ الْقَضْرَ تَرَجَّلَ قَبْلَهُ أَهْلُهُ فِي أَحْصَى مَكَانٍ لَا يَصِلُ الْأُمَرَاءُ إِلَيْهِ، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْقَضْرِ وَهُوَ رَاكِبٌ دُونَ الْحَاضِرِينَ إِلَى دِهْلِيزٍ يُقَالُ لَهُ «دِهْلِيزُ الْعَمُودِ»، فَيَتَرَجَّلُ عَلَى مَسْطَبَةٍ هُنَاكَ، وَيَمْشِي بَقِيَّةَ الدَّهْلِيزِ إِلَى الْقَاعَةِ، فَيَدْخُلُ «مَقْطَعِ الْوِزَارَةِ»<sup>١٠</sup> هُوَ وَأَوْلَادُهُ وَإِخْوَتُهُ وَخَوَاصُّ حَاشِيَتِهِ،

(a) بولاق: بكوامخ. (b) النسخ وبولاق: يشمر والمثبت من مسودة المراعظ. (c) بولاق: إحداهما. (d) بولاق: التميزات. (e) ساقطة من بولاق. (f) بولاق: أهبة.

= وحامل الدواة، وهو أيضا ممن يرخي الدواة ما دام حاملا للسيف. <sup>٣</sup> لم يرد ذكر لهذا المسجد في غير هذا الموضع، ويبدو أنه ضاعت معالمه بعد العصر الفاطمي.

<sup>١</sup> انظر وصف ابن المأمون للرمح الشريف الذي كان يحمل وراء المؤكب (فيما تقدم ٣٦٥: ٢١).

<sup>٢</sup> القلقشندي: صبح الأعشى ٣: ٤٦٩.



ويجلس الأمراء بالقاعة على دكك مقعدة لذلك مكشوة في الصيف بالحضر الشامان وفي الشتاء بالبسط الجهرميّة المحفورة .

فإذا أُذخِلت الدابة لركوب الخليفة، وأُسندت إلى الكرسي الذي يزكّب عليه من باب المجلس، أُخرجت المظلة إلى حاملها، فيكشفها مما هي ملفوفة فيه غير مطبّبة<sup>(a)</sup>، فيتسلّمها بإعانة أربعة من الصقاليّة برسم خذمتيها، فيركزها في آلة حديد متخذة شكل القرن المضطّح<sup>(b)</sup>، وهو مشدود في ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأكيد بعقبها<sup>(b)</sup>، فيتمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف . ولم يُذكر قطّ أنها اضطربت في ربح عاصف .

ثم يُخرج « بالسيف »، فيتسلّمه حامله، فإذا تسلّمه أُرخيت ذوابته ما دام حاملًا له . ثم تُخرج « الدواة » فتسلّم لحاملها وهو من الأستاذين المحنّكين، وكان الوزراء يحملوها لقوم من الشهود المعدّلين . وهي الدواة التي كانت من أعاجيب الزمان، وهي في نفسها من الذهب وحليتها مَرّجان، وهي ملفوفة في منديل شرب يياض مذهب<sup>٢</sup> . وقد قال فيها بعض الشعراء يُخاطبُ

(a) بولاق : مطوية . (b) زيادة من مسودة المواظ .

هو الأشبه . وفي حاشية أخرى : «هذان البيتان من نظم القاضي الرشيد أحمد بن علي بن الزبير وذكر أنهما من نظم أحمد بن منصور . ١ . هـ .

وذكر ابن خلكان في ترجمة الوزير العباسي عون الدين يحيى بن هبيرة أن هذه الأبيات أنشدت في مجلسه عندما أهديت إليه دواة بلور مرصعة بمرجان أنشدها شاعرٌ ضرير لم يقف على اسمه . فقال الحَيْص بيض - وكان حاضرًا في المجلس - : إنما وصفت صانع الدواة ولم تصفها، فقال الوزير : مَنْ عَيَّرَ غَيْر . فقال الحَيْص بيض الأبيات التي أوردها المقرئ . ثم أضاف ابن خلكان أنه وجد البيتين الأولين في كتاب «الجنان» للقاضي الرشيد أحمد بن الزبير الفسائي ونسبهما إلى القاضي الرشيد أحمد بن قاسم الصقلي قاضي مصر وأورد الرواية المنسوبة إلى الأفضل (وفيات الأعيان ٦: ٢٣٦-٢٣٧) . وانظر رواية مشابهة للرواية التي أوردها المقرئ في الهامش عند ابن أبيك : كنز الدرر ٦: ٤٧٣ =

<sup>١</sup> تُقدّم لنا هذه الفقرة وصفًا من الأوصاف القليلة للطبوغرافيا الداخلية للقصر الفاطمي الكبير .

<sup>٢</sup> القلقشندي : صبح الأعشى ٣: ٤٦٨ .

وجاء هنا في حاشية بخط المؤلف : «هذه الدواة كانت من عُثْر بلق وحليتها من المرجان، عملها الأفضل بن أمير الجيوش فلما وقف عليها القاضي الرشيد بن الزبير أنشده : ألبن لداود .. البيتين . وقال فيها الحَيْص بيض الشاعر البغدادي لما بلغه بيتا ابن الزبير :

صِيغَت دواتك من يوميك فاشتبهت

على الأنام بيلور ومرجان

فيوم بيلمك مبيض بفيض ندى

ويوم حربك قان بالدم القاني

ثم إن الأفضل أهدى للخليفة الأمر في سنة اثنتين وخمسين مائة هدايا جليلة منها قطعة مرجان فصنع منها الأمر دواة فقال فيها أحمد بن منصور البيتين . وهذا القول عندي



الخليفة الذي<sup>(a)</sup> صنعت حليته المزجان في وقته ، وهذا من أغرب ما يكون ، ذكر ذلك في بيتين وهما :

[الطويل]

ألين لداود الحديد كرامة  
ولان لك المزجان وهو حجارة  
فقدّر منه الشرد كيف يريد  
ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع ، وتنضم إليه الأمراء ، ويقفون إلى جانب الدابة<sup>(b)</sup> .

فيرفع صاحب المجلس السثر ، فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم ، وفي أثرهم يبرز الخليفة بالهيبة المشروح حالها في لباسه : الثياب المعروضة عليه ، والمنديل الحامل للتيمة بأعلى جبهته ، وهو مخنك مزخبي الذوابة مما يلي جانبيه الأيسر ، ويتقلد بالسيف العربي<sup>(c)</sup> ، ويده قضيب الملك وهو طول شبر ونصف من عود مكسو بالذهب المرصع بالدرّ والجوهر<sup>١</sup> . فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك ، وعلى أهله وعلى الأمراء بعدهم ، ثم يخرج أولئك أولاً فأولاً ، والوزير يخرج بعد الأمراء فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئة .

ويخرج الخليفة [راكباً]<sup>(d)</sup> وحواليه الأستاذون ، ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلقها على الرخام<sup>٢</sup> . فإذا قارب الباب وظهر وجهه ، ضرب رجل يوق لطيف من ذهب معوج الرأس - يقال له «الغريفة»<sup>٣</sup> - بصوت عجيب يخالف أصوات البوقات .

فإذا سمع ذلك ضربت الأبواق في المؤكب ، ونشرت المظلة ، وبرز الخليفة من الباب ، ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الأستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة ، و سار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة وهو يبالغ ألا يزول عنه ظلها .

(a) بولاق : التي . (b) بولاق : الراية . (c) بولاق : المغربي . (d) إضافة من صبح الأعشى .

تحيط به أروقة ذات أعمدة ، وأرضيته مرصوفة بأنواع من الرخام متعددة الألوان ، «Une vaste cour découverte, qu'entouraient de magnifiques portiques à colonnades, Cour toute pavée de marbres de diverses couleurs» . (Schiumberger, G., op.cit., pp. 118-19).

<sup>٣</sup> عن الغربية انظر فيما تقدم ٣٠٤ ؛ وفيما يلي ٤٨٤ .

=وعندي أن المقرزي أورد روايته نقلاً عن ابن أبيك .

<sup>١</sup> القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ .

<sup>٢</sup> هذه العبارة توضح أن أرضية القصر كانت مبلطة بالرخام وهو ما يؤكد وصف غليوم أسقف صور Guillaume de Tyr ، كما نقله جستاف شلميرجه إلى الفرنسية ، حيث يصف من بين أجزاء القصر «فناء مكشوقاً



ثم يكتئف الخليفة مُقَدِّمُو صِبيان الرُّكاب : منهم اثنان في الشُّكَيْمَتَيْنِ<sup>(a)</sup>، واثنان في عُنُق الدَّابَّةِ من الجانبين ، و اثنان في رِكابه<sup>(b)</sup> . فالأيمن مُقَدِّمُ المُقَدِّمين ، وهو صاحب المقرعة التي يتناولها ويتناولها ، وهو المؤدِّي عن الخليفة مُدَّة رُكوبه الأوامر والنواهي .

ويتسير المؤكَّب بالحث ، فأوَّلُه فُرُوعُ الأَمْرَاءِ وأولادهم ، وأخلاطُ بَعْضِ العَسْكَرِ الأماثل ، إلى أرباب القُضْب ، إلى أرباب الأطواق ، إلى الأُستاذين المُحْتَكِين ، إلى حامل اللِّوَاءَيْنِ من الجانبين ، إلى حامل الدَّوَاة - وهي بينه وبين قَرَبوس السَّوَج<sup>١</sup> - إلى صاحب السَّيْفِ وهما في الجانب الأيسر كل واحد مِّن تَقَدُّمِ ذِكْرِهِ بين عشرة إلى عشرين من أصحابه . ويَحْتَجُّهُ أَهْلُ الوَازِرِ المُقَدِّمِ ذَكَرَهُم من الجانب الأيمن بعد الأُستاذين المُحْتَكِين .

ثم يأتي الخليفةُ وحواليه « صِبيانُ الرُّكاب » المذكور<sup>(c)</sup> تَفْرِقَةُ السِّلَاحِ فيهم ، وهم أكثر من ألف رَجُل ، وعليهم المناذيل الطَّبَقِيَّاتِ ، وهم متقلِّدون<sup>(d)</sup> بالسُّيُوفِ ، وأوساطهم مَشْدُودَةٌ بِمَنَادِيلٍ ، وفي أيديهم السِّلَاحُ مَشْهُورٌ ، وهم من جانبي الخليفة كالجناحين المادئين ، وبينهما فُرْجَةٌ لَوَجْهِ الدَّابَّةِ<sup>(e)</sup> ليس فيها أَحَدٌ ، وبالقُرْبِ من رأسها الصُّقْلِيَّانِ الحَامِلَانِ لِلْمَدْبُوعَيْنِ ، وهما مرفوعتان كالتَّخْلَتَيْنِ ، لما يَشْقُطُ من طائرٍ وغيره<sup>٢</sup> ، وهو سائرٌ على ثُوْدَةٍ ورفق .

وفي طول المؤكَّب من أوَّلِه إلى آخره « والي القاهرة » مارًا وعائدًا لَفَسْحِ الطَّرِيقَاتِ وتَسْيِيرِ<sup>(f)</sup> الرُّكْبَانِ ، فيتلقى في عَوْدِهِ الإِسْفِيهَسَلارَ كذلك مارًا وعائدًا لِحَتِّ<sup>(g)</sup> النَّاسِ و<sup>(h)</sup> الأجناد في الحركة والإنكار على المزاحمين المُعْتَرِضِينَ ، ويتلقى في عَوْدِهِ صاحب الباب - ومُرُورِهِ في زُمْرَةِ الخليفة - إلى أن يصل إلى الإِسْفِيهَسَلارِ ، فيعود لترتيب المؤكَّب وحراسة طُرُقَاتِ الخليفة ، وفي يد كلِّ منهم دَبُوسٌ ، وهو رَاكِبٌ خَيْرُ دَوَابِّهِ ، وَأَسْرَعُهُ ، هذا لمن هو<sup>(h)</sup> أمام المؤكَّب .

ثم يسيرُ خَلْفَ دَابَّةِ الخليفة قَوْمٌ من صِبيان الرُّكاب لِحِفْظِ أَعْقَابِهِ ، ثم عَشْرَةٌ يَحْمِلُونَ/ عشره سُيُوفٌ في خَرَائِطِ دِيَاجٍ أَحْمَرَ وَأَصْفَرَ يَشْرَارِيْبِ غَزِيرَةٍ - يُقَالُ لَهَا « سُيُوفُ الدَّمِ » - بِرَسْمِ ضَرْبِ الأَعْنَاقِ<sup>٣</sup> .

(a) بولاق : الشكيمة . (b) بولاق : ركابه . (c) بولاق : المذكورة . (d) بولاق : ويتقلدون . (e) بولاق : الفرس والمثبت من المسودة . (f) بولاق : يفسح ... ويسير . (g-g) ساقطة من بولاق . (h) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ .

<sup>٣</sup> نفسه ٣ : ٤٧٠ ، وكان صبيان الركاب في أوَّل الدولة

الفاطمية يعرفون بـ «الشغديّة» ، وهم نحو مائة رجل =

<sup>٢</sup> نفسه ٣ : ٤٧٠ .



ثم يسير بعدهم « صبيان السلاح الصغير » أرباب الفرّيجيات المقدم ذكرهم أولاً<sup>١</sup>.

ثم يأتي الوزير في هيئته<sup>(a)</sup>، وفي ركابه من أصحابه قومٌ يُقال لهم « صبيان الزرد »<sup>٢</sup>، من أقوياء الأجناد يختارهم لنفسه<sup>(b)</sup>، ما مقداره خمس مائة رجل من جانبه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة، وكأنه على وفاز من جراسة الخليفة، ويجتهد ألا يغيب عن نظره، وخلفه الطبول والصنوج والصفافير، وهو مع عدّة كثيرة تُدوي بأصواتها وجسها الدنيا.

ثم يأتي حامل الرّمح المقدم ذكره ودرقة حمزة<sup>(c)</sup>، ثم طوائف الرجال من الرّيحانية<sup>(d)</sup> والجيوشيّة وقبلهما المصامدة، ثم الفرّيجيّة، ثم الوزيرية زمرة زمرة في عدّة وافرة تزيد على أربعة آلاف في الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك، ثم أصحاب الرايات والشبّعين، ثم طوائف العساكر من الأميريّة والحجريّة الكبار والحافظيّة والحجريّة الصغار المنقولين والأفضليّة والجيوشيّة، ثم الأتراك المصطنعون ثم الديلم، ثم الأكراد، ثم الغزّ المصطنعة.

وقد كان تقدّم هؤلاء الفرسان عدّة وافرة من المترجّلة أرباب قسيّ اليد وقسيّ الرجل في أكثر من خمس مائة، وهم المعدون للأساطيل، ويكون من الفرسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف. وهذا كُله بعض من كُله<sup>٣</sup>.

فإذا انتهى المؤكّب إلى المكان المحدود عاذوا على أذراجهم، ويدخلون من باب الفتوح، ويقفون بين القصرين بعد الرجوع<sup>(e)</sup> كما كانوا قبله.

(a) بولاق: هية. (b) في مسودة المواعظ: باختياره لنفسه. (c) بولاق: ودرقه حمراء. (d) بولاق: الركابية.

(e) مسودة المواعظ: الركوب. (f) مسودة المواعظ: الركوب.

لدين الله سنة ٥٢٩ هـ، ففرّق فيهم الزرد وسماهم صبيان الزرد وجعلهم خاصته (ساويرس بن المقفع: تاريخ بطاركة الكنيسة ١/٣: ٢٨؛ المقرئزي: المقفى الكبير ٣: ٤١٦).

وبدل هذا النص على أن الوزير، خلال هذا المؤكّب، كان على غير وفاق مع الخليفة لحرصه على أن يكون مخفوزاً بصبيان الزرد. وأرجح أن يكون هذا الوزير هو العادل بن الشلار.

<sup>٣</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٤٧-١٦٦، ٢٧٥-

٢٧٦؛ المقرئزي: مسودة المواعظ ١٨٩ - ٢٠٨.

= يختصون بركاب السلطان (الخليفة) ويحملون سيوفاً محلاة بين يديه، يعرفون لأجلها بـ «أصحاب السيوف الحلي». وقد جرت عاداتهم في أيام الحاكم بأمر الله أن يتولوا قتل من يؤمر بقتله. (المقرئزي: اتعاظ الحنفا ٢: ١٢٧).

<sup>١</sup> انظر فيما تقدم ٤٦٤ حيث يذكر ابن الطوير مجموعة من العبيد الأقوياء السودان الشباب يقال لهم «أرباب السلاح الصغير» عددهم ثلاث مائة عبد.

<sup>٢</sup> صبيان الزرد. هم أوباش العسكر وزعمار الناس الذين اجتمعوا إلى الحسن بن الحافظ في صراعه مع أبيه الخليفة الحافظ



فإذا وصل الخليفة إلى الجامع الأقمَر بالقماحين اليوم ، وَقَفَ وَقَفَةً بجملته في مؤكبه ، وانْفَرَجَ المؤكِبُ للوزير فَيَتَحَرَّكُ<sup>(a)</sup> مُسْرِعًا ليصير أمام الخليفة حتى يَدْخُلَ بين يَدَيْهِ ، فيمرُّ الخليفةُ فيسْكَعُ له سَكْعَةً ظاهرةً ، فيشير الخليفةُ للسلام عليه إشارةً خفيفةً<sup>(b)</sup> . وهذه أعظمُ مكارمةٍ تُصَدَّرُ عن الخليفةِ ، ولا تكون إلا للوزير صاحب السيف - فيفارقه<sup>(c)</sup> وَيَسْبِقُهُ<sup>(d)</sup> إلى دُخُولِ باب القصر راكبا على عادته إلى موضعه ، ويكون الأَمْرَاءُ قد نَزَلُوا قَبْلَهُ لأنَّهم في أوائل المؤكِب .

فإذا وصل الخليفة إلى باب القصر ودخله ، وترجل الوزير ، ودخل قبله الأستاذون المحنكون وأخذقوا به ، والوزير أمام وجه دابته من<sup>(e)</sup> مكان ترجله إلى الكرسي الذي ركب منه ، فيتزل عليه ويدخل إلى مكانه بعد خدمة المذكورين له .

فيخرج الوزير ويتركب من مكانه الجاري به على عادته ، والأمرء بين يديه وأقاربه حوالبه ، فيركبون من أماكنهم ويسيرون صُحْبَتَهُ إلى داره ، فيدخل وينزل أيضا إلى مكانه على كرسي ، فتخدمه الجماعة بالوداع<sup>١</sup> .

### ١) دنانير الغرة التي كانت تُضْرَبُ وتُفَرَّقُ في أول السنة في أيام الخلفاء

قال ابن الطوير في الفصل الخامس من كتابه بعد ذكر رُكُوبِ أول العام ما نصه<sup>(f)</sup> : وتَفَرَّقُ النَّاسُ إلى أماكنهم ، فيجدون قد أُخْضِرَ إليهم الغرة . وهو أنه يتقدم أمر<sup>(g)</sup> الخليفة بأن يُضْرَبَ بدار الضرب في العشر الآخر من ذي الحجة ، بتاريخ السنة التي ركب أولها في هذا اليوم ، جُمْلَةً من الدنانير والرُباعية والدراهم المدورة المُشَقَّلَة .

فيُحْتَمَلُ إلى الوزير منها ثلاث وستون دينارًا وثلاث مائة وستون رُباعيًا وثلاث مائة وستون قيراطًا ، وإلى أولاده وإخوته من كل صِنْفٍ من ذلك خمسون ، وإلى أرباب الرُتَبِ من أصحاب السيوف والأقلام من عشرة دنانير وعشر رُباعيات وعشرة قرايط إلى دينار واحد ورُباعي واحد وقيراط واحد<sup>٢</sup> ، فيقبَلون ذلك على حُكْمِ البركة من قبل<sup>(h)</sup> الخليفة .

(a) بولاق : فتحرك . (b) بولاق : خفيه . (c) زيادة من مسودة المواعظ . (d) بولاق : وسبقه . (e) النسخ وبولاق : وجه الفرس ، والمثبت من مسودة المواعظ . (f-f) زيادة من مسودة المواعظ . (g) بولاق : البرمكيه من مبلغ .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٦٦-١٦٧؛ المقرئ : بسمي الرباعي لأن وزنه أربع حبات بينما وزن القيراط حبة واحدة . مسودة المواعظ ٢٧٦-٢٧٧ .



قال: ومبلغ الغرّة التي يُنعم بها في أول العام المقدم ذكرها، من الدنانير والرّباعيات والقراريط، ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار<sup>١</sup>.

### ذكر ما كان يُضرب في خميس القدس من خرايب الذهب

قال ابن المأمون: وأحضّر الأجل المأمون كاتب الدفتر، وأمره بالكشف عمّا كان يُضرب برسم خميس القدس من الخرايب الذهب، وهو خمس مائة دينار عن عشرين ألف خروبة. فاستدعى<sup>٢</sup> كاتب بيت المال ووقع له بإطلاق ألف دينار، وأمره بإحضار مشارف دار الضرب وسلمها إليه. فاعتمد ذلك، وضربت عشرون ألف خروبة وأحضرها، فأمر بحملها إلى الخليفة، فسير الخليفة منها إلى المأمون ثلاث مائة دينار. وذكر أنها لم تُضرب في مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة، ثم بطل حكمها ونسي ذكرها<sup>٣</sup>.

قال: وصار ما يُضرب باسم الخليفة - يعني الأمير بأحكام الله - في ستة مواضع: القاهرة، ومصر، وقوص، وعسقلان، وصور، والإسكندرية<sup>٤</sup>.

وقال ابن عبد الظاهر: خميس القدس كان يُضرب فيه خمس مائة دينار<sup>٥</sup> تعمل عشرة آلاف خروبة، كان الأفضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتي دينار، والبقية برسمه. ثم جعلت في الأيام المأمونية ألف دينار، ورُجما زادت أو نقصت يسيراً<sup>٦</sup>.

وقد تقدّم أنّ قاضي القضاة كان يتولّى عيار دار الضرب، ويحضر التعليق بنفسه ويختيم عليه، ويحضر للموعد الآخر لفتحها<sup>٧</sup>.

(a) بولاق: واستدعى. (b) ساقطة من بولاق.

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٦٧؛ المقرئ: مسودة المواظ ٢٧٢-٢٧٣.  
<sup>٢</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٤٩٥؛ المقرئ: المسودة ٢٧٧.  
<sup>٣</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٩٥.  
<sup>٤</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٩؛ المقرئ: المسودة ٢٧٧.  
<sup>٥</sup> فيما تقدم ٣٤٢.  
<sup>٦</sup> ٢٧٧.



### ذكر دار الوكالة الأميركية

/ كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب ، وموضعها الآن على يمتة السالك من رأس الخراطين إلى سوق الخيتميين والجامع الأزهر .

قال ابن المأمون في سؤال سنة ست عشرة وخمس مائة : ثم أنشأ - يعني المأمون بن البطائحي ، وزير الخليفة الأمير بأحكام الله - دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار ، ولم يسبق إلى ذلك <sup>١</sup> .

### ذكر مصلى العيد

وكان في شرقي القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النضر ، وهذا المصلى بناه القائد جوهر لأجل صلاة العيد في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة <sup>(a)</sup> على ما نقلته من « سيرة المعز لدين الله » تأليف الفقيه الحسن بن إبراهيم بن زولاق <sup>(a)</sup> ، ثم جدده العزيز بالله . وقد بقي إلى الآن بعض هذا المصلى ، واتخذ في جانب منه موضع مصلى الأموات اليوم <sup>٢</sup> .

ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها - قال ابن زولاق <sup>(a)</sup> في « سيرة المعز لدين الله » ومن خطه نقلت <sup>(a)</sup> : وركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد إلى مصلى القاهرة التي بناها القائد جوهر ، وكان محمد بن أحمد بن الأذرع الحسني قد بكر وجلس في المصلى تحت القبة في موضع ، فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا موضعه أبا جعفر مسلماً ، وأقعدوه هو دونه ، وكان أبو جعفر مسلماً خلف المعز عن يمينه وهو يصلي . وأقبل المعز في زيّه وبؤديه وقبايه ، وصلى بالناس صلاة العيد تامة طويلة ، قرأ في الأولى بأمر الكتاب ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [الآية ١ سورة الغاشية] ، ثم كبر بعد القراءة ، وركع فأطال ، وسجد فأطال - أنا سبّحت خلفه في كل ركعة وفي كل سجدة

(a-a) زيادة من مسودة المواعظ .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار ٣٩ ؛ ابن ميسر : أخبار ٩٢ ؛ المقرئ : مسودة المواعظ ١٨٣ ؛ وانظر Fu'âd Sayyid, A., op.cit., pp. 188-89 .

المقرئ : اتعاظ ٣ : ٩٢ ، مسودة المواعظ ٢٧٩ .

<sup>٢</sup> قارن ، ابن عبد الظاهر : الروضة ١١٨ - ١١٩ ؛



نَيْفًا وَثَلَاثِينَ تَشْبِيحًا - وَكَانَ الْقَاضِي التُّعْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ يُبَلِّغُ عَنْهُ التَّكْبِيرَ . وَقَرَأَ فِي الثَّانِيَةِ بِأَمْرِ الْكِتَابِ وَسُورَةَ ﴿وَالضُّحَى﴾ ثُمَّ كَبَّرَ أَيْضًا بَعْدَ الْقِرَاءَةِ - وَهِيَ صَلَاةُ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَطَالَ أَيْضًا فِي الثَّانِيَةِ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ - أَنَا سَبَّحْتُ خَلْفَهُ نَيْفًا وَثَلَاثِينَ تَشْبِيحًا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَفِي كُلِّ سَجْدَةٍ - وَجَهَرَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي كُلِّ سُورَةٍ .

- ٥ وَأَنْكَرَ جَمَاعَاتٌ يُتَوَسَّمُونَ بِالْعِلْمِ قِرَاءَتَهُ قَبْلَ التَّكْبِيرِ لِقَلَّةِ عِلْمِهِمْ ، وَتَقْصِيرِهِمْ فِي الْعُلُومِ .
- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَجَاءُ عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْعِيدِ قَبْلَ التَّكْبِيرِ . فَلَمَّا فَرَعَ الْمُعِزُّ مِنَ الصَّلَاةِ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، وَسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، ثُمَّ نُشِرَ بِالْبُنْدَيْنِ<sup>(أ)</sup> اللَّذَيْنِ كَانَا عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَخَطَبَ وَرَاءَهُمَا عَلَى رَسْمِهِ . وَكَانَ فِي أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْمِنْبَرِ وَسَادَةَ دِيبَاجٍ مُثْقَلٍ ، فَجَلَسَ عَلَيْهَا بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ ، وَاسْتَفْتَحَ الْخُطْبَةَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - وَكَانَ مَعَهُ عَلَى الْمِنْبَرِ الْقَائِدُ جَوْهَرُ وَعَمَّارُ بْنُ جَعْفَرٍ وَشَفِيعُ صَاحِبِ الْمِظَلَّةِ - ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَاسْتَفْتَحَ بِذَلِكَ ، وَخَطَبَ وَأَبْلَغَ وَأَبْكَى النَّاسَ ، وَكَانَتْ خُطْبَةٌ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ .

فَلَمَّا فَرَعَ مِنْ خُطْبَتِهِ ، انْصَرَفَ فِي عَسَاكِرِهِ ، وَخَلَفَهُ أَوْلَادُهُ الْأَرْبَعَةُ بِالْجَوَاشِينِ وَالْحَوْذِ عَلَى الْحَيْلِ بِأَحْسَنِ زِيٍّ ، وَسَارُوا بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْفِيلَيْنِ .

- ١٥ فَلَمَّا خَضَرَ فِي قَضْرِهِ أَحْضَرَ النَّاسَ فَأَكَلُوا ، وَقُدِّمَتْ إِلَيْهِمُ الشُّمُطُ ، وَنَشَطَهُمْ إِلَى الطَّعَامِ ، وَعَتَبَ عَلَى مَنْ تَأَخَّرَ ، وَهَدَّدَ مَنْ بَلَغَهُ عَنْهُ صِيَامُ الْعِيدِ<sup>١</sup> .

وَقَالَ الْمَسْبُوحِيُّ فِي حَوَادِثِ آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ : وَبُنِيَتْ مَسَاطِبُ مَا بَيْنَ الْقُصُورِ وَالْمُصَلِّيِ الْجَدِيدَةِ ظَاهِرَ بَابِ النُّصْرِ يَكُونُ<sup>(ب)</sup> عَلَيْهَا الْمُؤَدُّونَ ، حَتَّى يَتَّصِلَ التَّكْبِيرُ مِنَ الْمُصَلِّيِ إِلَى الْقُصْرِ .

- ٢٠ وَفِيهِ تَقَدَّمَ أَمْرُ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ التُّعْمَانِ بِأَحْضَارِ الْمُتَفَقِّهَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ - يَعْنِي الشُّيْعَةَ - وَأَمَرَهُمْ بِالْجُلُوسِ يَوْمَ الْعِيدِ عَلَى هَذِهِ الْمَسَاطِبِ ، وَلَمْ يَزَلْ يُرْتَّبُ النَّاسُ ، وَكَتَبَ رِقَاعًا فِيهَا أَسْمَاءُ النَّاسِ ، فَكَانَتْ تَخْرُجُ رُقْعَةً رُقْعَةً ، فَيَجْلِسُ النَّاسُ عَلَى مَسْطَبَةٍ مَسْطَبَةٍ بِالتَّرْتِيبِ .

(a) بولاق : ستر بالسترين . (b) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ١٥٩ - ١٦٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ٢٨ : ١٤٤ ؛ المقرئزي : اتعاظ الخنفا ١ : ١٣٨ ، مسودة



وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد، وبين يديه الجنائب والقياب الدياج بالحلي، والعسكر في زيه من الأتراك والديلم والعزيرية، والإخشيدية والكافورية، وأهل العراق بالدياج المثقل والسيوف والمناطق الذهب، وعلى الجنائب الشروج الذهب بالجواهر والشروج بالعنبر، وبين يديه الفيئة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة. وخرج بالمظلة الثقيلة بالجواهر، ويده قضيب جده - عليه السلام - فصلّى على رسمه وانصرف<sup>١</sup>.

وقال ابن المأمون<sup>(a)</sup> في «تاريخه»<sup>(a)</sup>: ولما توفي أمير الجيوش بدر الجمالي، وانتقل الأمر إلى ولده الأفضل ابن أمير الجيوش، جرى على سنن والده في صلاة العيد، ويقف في قوس باب داره الذي عند باب النضر - يعني دار الوزارة -؛ فلما سكن بمصر<sup>٢</sup>، صار يطلع من مصر باكراً، ويقف على باب داره على الحالة الأولى إلى أن<sup>(b)</sup> تستحق الصلاة، فيدخل من باب العيد إلى الإيوان، ويصلي به القاضي ابن الرشعني، ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة إلى أن تنقضي الخطبة، فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحد غيره، ثم يخلع عليه، ويتوجه إلى داره بمصر، فيكون / السباط بها مدى الأعياد.

فلما قتل الأفضل، واستقر بعده المأمون بن البطاحي في الوزارة، قال: هذا نقص في حق العيد، ولا يعلم السبب في كون الخليفة لا يظهر. فقال له الخليفة الأمير بأحكام الله: فما تراه أنت؟ فقال: يجلس مولانا في المنظرة التي استجدت<sup>(c)</sup> بين باب الذهب وباب البحر، فإذا جلس مولانا في المنظرة وفتحت الطاقات، وقف المملوك بين يديه في قوس باب الذهب، وتجوّز جميعها<sup>(d)</sup> فارسها وراجلها، وتشملها بركة نظر مولانا إليها. فإذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالمركب والزبي وجميع الأمراء والأجناد، واجتاز بأبواب القصر ودخل الإيوان. فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه<sup>(e)</sup>، وبالغ في شكره<sup>٣</sup>.

(a-a) زيادة من مسودة المواعظ. (b) بولاق: حتى. (c) مسودة المواعظ: استحدثت. (d) ساقطة من بولاق.

(e) مسودة المواعظ: واستصوبه.

<sup>١</sup> المسيحي: نصوص ضائعة ١٣؛ المقرئ: مسودة أنشأها على النيل جنوب فسطاط مصر سنة ٥٠١هـ.  
المواعظ ١٨٥-١٨٦، اتعاط الحنفا ١: ٢٦٧.  
<sup>٢</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٢٣-٢٤؛ المقرئ: مسودة  
المواعظ ١٨٦-١٨٧.  
<sup>٣</sup> انتقل الأفضل بن أمير الجيوش إلى دار الملك التي



ثم عاد المأمون إلى مجلسه ، وأمر بتفرقة كُشوة العيد والهبات ، يعني في عيد الثَّحْر سنة خمس عشرة وخمس مائة . ومُجملة العين ثلاثة آلاف وثلاث مائة دينار وسبعة دنانير ، ومن الكُشوات مائة قطعة وسبع قطع ، يرسم الأمراء المطوقين والأستاذين المحنكين وكاتب الدشت ومُتولِّي حُجبة الباب وغيرهم <sup>١</sup> .

قال : وَوَصَلَتِ الْكُشُوءُ الْمُخْتَصَّةُ بِالْعِيدِ فِي آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ - يعني في سنة ست عشرة وخمس مائة - وهي تشتمل على دون العشرين ألف دينار ، وهو عندهم المُوَيْسِمُ الْكَبِيرُ ، وَيُسَمَّى بِ« عِيدِ الْحُلَلِ » لِأَنَّ الْحُلَلَ فِيهِ تَعَمُّ الْجَمَاعَةُ ، وَفِي غَيْرِهِ لِلْأَعْيَانِ خَاصَّةٌ <sup>٢</sup> . وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْصِيلُهَا عِنْدَ ذِكْرِ خِزَانَةِ الْكُشُوءِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ <sup>٣</sup> .

قال : وَلَمَّا كَانَ فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، خَرَجَتِ الْأَوَامِرُ بِأَضْعَافِ مَا هُوَ مُسْتَقَرٌّ لِلْمُقَرَّرِينَ وَالْمُؤَدَّنِينَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِرِسْمِ السُّحُورِ ، بِحُكْمِ أَنَّهَا لَيْلَةُ خَتْمِ الشَّهْرِ . وَحَضَرَ الْمَأْمُونَ فِي آخِرِ النَّهَارِ إِلَى الْقَصْرِ لِلْفُطُورِ مَعَ الْخَلِيفَةِ وَالْحُضُورِ عَلَى الْأَسْمِطَةِ عَلَى الْعَادَةِ ، وَحَضَرَ إِخْوَتُهُ وَعُمُومَتُهُ وَجَمِيعُ الْجُلَسَاءِ ، وَحَضَرَ الْمُقَرَّرُونَ وَالْمُؤَدَّنُونَ ، وَسَلَّمُوا عَلَى عَادَتِهِمْ وَجَلَسُوا تَحْتَ الرَّوْشَنِ <sup>٤</sup> .

وَحَمِلَ مِنْ عِنْدِ مُعْظَمِ الْجِهَاتِ وَالسَّيِّدَاتِ وَالْمُمَيَّرَاتِ مِنْ أَهْلِ الْقُصُورِ ثَلَاثِي (a) وَمَوْكِبِيَّاتٍ مَمْلُوءَةً مَاءً مَلْفُوفَةً فِي عَرَاضِي دَبِيقِي ، وَجُعِلَتْ أَمَامَ الْمَذْكُورِينَ لِيَشْمَلَهَا بَرَكَتُهُ خَتْمِ الْقُرْآنِ ، وَاسْتَفْتَحَ الْمُقَرَّرُونَ مِنَ الْحَمْدِ إِلَى خَاتِمَةِ الْقُرْآنِ تِلَاوَةً وَتَطْرِيبًا .

ثُمَّ وَقَفَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ خَطْبٍ فَأَسْمَعَ وَدَعَا فَأَبْلَغَ ، وَرَفَعَ الْفَرَّاشُونَ مَا أَعَدُّوه بِرِسْمِ الْجِهَاتِ ، ثُمَّ كَبَّرَ الْمُؤَدَّنُونَ وَهَلَّلُوا ، وَأَخَذُوا فِي الصُّوفِيَّاتِ إِلَى أَنْ نُثِرَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّوْشَنِ دَرَاهِمٌ وَدَنَانِيرٌ وَرُبَاعِيَّاتٌ .

(a) بولاق : بلاحي .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٢٤ - ٢٥ .  
<sup>٢</sup> نفسه ٣٨ .  
<sup>٣</sup> فيما تقدم ١ : ٤٠٩ .  
<sup>٤</sup> الروشن ج. الرواشن بمعنى النافذة أو الكوة للإضاءة ،  
وأيضاً بمعنى الخرجات أو البروز في العمائر بغرض زيادة سطح  
الأدوار العليا (محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم :  
المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ٥٨) .



وقدّمت جفان القطائف على الرّسم مع الحلوى ، فجزّوا على عادّتهم وملأوا أكمامهم ، ثم خرج أستاذ من باب الدار الجليّة بخلع خلّعها على الخطيب وغيره ، ودراهم تُفرّق على الطائفتين من المقرّنين والمؤذنين<sup>١</sup> .

و<sup>٢</sup>رسم أن تُحمّل الفِطْرَة إلى قاعة الذهب ، وأن تكون التّعبيّة في مجلس الملك ، وتعبأ الطيافير المشورة الكبار من الشّيرير إلى باب المجلس ، وتعبأ من باب المجلس إلى ثلثي القاعة سباطا واحداً مثل سباط الطّعام ، ويكون جميعه سداً واحداً من خلاوة المؤسيم ، وتزّين بالقطع المنفوخ ، فامتثل الأمر .

وحضّر الخليفة إلى الإيوان ، واستدعى المأمون وأولاده وإخوته ، وعرضت المظال المذهبة المجاومة ، وكان المقرّنون يلوّحون عند ذكرها بالآيات التي في سورة النحل : ﴿والله جعل لكم بما خلق ظلالاً﴾ [الآية ٨١ سورة النحل] إلى آخرها . وجلس الخليفة ، ورُفعت الستور ، واستفتح المقرّنون ، وجدّد المأمون السّلام عليه ، وجلس على المرتبة عن يمينه ، وسلّم الأمراء جميعهم على محكم منازلهم لا يتعدى أحد منهم مكانه ، والثواب جميعهم يستدعونهم بثعوتهم وترتيب وقوفهم ، وسلّم الرّسل الواصلون من جميع الأقاليم ، ووقفوا في آخر الإيوان ، وختّم المقرّنون وسلّموا .

وخدمت الرّهجيّة ، وتقدّم متولّي كلّ إسطنبول من الرّواض وغيرهم يقبل الأرض ويقف ، ودخلت الدواب من باب الدئلم ، والمستخدمون في الرّكاب بالناديل يتسلّمونها من الشّدادين ، ويذنون بها إلى<sup>(a)</sup> الإيوان . ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلّمها الأستادون دون المُستخدّمين<sup>(b)</sup> في الرّكاب ، ويغلون بها إلى قريب من الشّبّاك الذي فيه الخليفة .

وكلّما عُرض دواب إسطنبول قبل الأرض متولّيّه وانصرف ، وتقدّم متولّي غيره على حكمه ، إلى أن يُعرض جميع ما أحضروه ، وهو ما يزيد على ألف فرس ، خارجاً عن البغال وما تأخر من الجشرات<sup>(c)</sup> والحجورة والمهاري .

(a) بولاق : ويدورون بها حول . (b) بولاق : الأستادون والمستخدمون . (c) بولاق : العشاريات .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار ٨٣ ، وفيما يلي ٥٩٦ - ٥٩٧ . عنوان : «بقية سباط الفِطْرَة بقاعة الذهب وخروج الخليفة إلى  
<sup>٢</sup> من هنا أورده المقرّبي في مسودة المواظ ٢٢٩ تحت المُصلّي .



ولما عُرضت الدُّوَابُّ ، أبطلت الرَّهَجِيَّةُ ، وعادَ اسْتِفْتَاحُ الْمُقْرئين ، وكانوا مُعْهِنِينَ فيما يَنْتَزِعُونَهُ من الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِمَّا يُوَافِقُ الْحَالَ ، مثل الآية من آلِ عِمْرَانَ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [الآية ١٤ سورة آل عمران] إلى آخرها ، ثم بعدها ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾ [الآية ٢٦ سورة آل عمران] إلى آخرها .

٥. وعُرِضَتِ الْوُحُوشُ بِالْأَجَلَّةِ الدُّبِيَّاجِ <sup>(a)</sup> مَزَيَّنَةً بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . وعُرِضَتِ الْعَمَارِيَاتُ بِالْأَغْشِيَّةِ الطَّمِيمِ وَالدُّبِيَّاجِ <sup>(b)</sup> وَالدُّبِيَّاقِي بِقِيَابِ الذَّهَبِ وَالْمَنَاطِقِ وَالْأَهْلَةَ ، وبعدها التُّجْبُ وَالْبَخَاتِي بِالْأَقْتَابِ الْمَلْبَسَةِ بِالذُّبِيَّاقِي الْمَلُونِ الْمَرْقُومِ ، وعُرِضَ السُّلَاحُ وَأَلَاتُ الْمَوْكِبِ جَمِيعُهَا ، وَنُصِبَتِ الْكُشَوَاتُ عَلَى بَابِ الْعِيدِ ، وَضَرِبَتِ طُولَ اللَّيْلِ .

١٠. وَحَمِلَتِ الْفِطْرَةُ الْخَاصَّ الَّتِي يُفْطِرُ عَلَيْهَا الْخَلِيفَةُ بِأَصْنَافِ الْجَوَازِشَنَاتِ بِالْمِشْكِ وَالْعُودِ وَالْكَافُورِ وَالزَّعْفَرَانِ ، وَالثَّمُورِ الْمَصْبُغَةَ الَّتِي يُسْتَخْرِجُ مَا فِيهَا وَتُحْشَى بِالطَّيِّبِ وَغَيْرِهِ وَتُسَدُّ وَتُخْتَمُ ، وَسُلِّمَتِ لِلْمُسْتَعْدِمِينَ فِي الْقُصُورِ ، وَعُجِبَتِ / فِي مَوَاعِينِ الذَّهَبِ الْمَكْلَلَةِ بِالْجَوَاهِرِ ، وَخَرَجَتِ الْأَعْلَامُ وَالْبَنُودُ . وَرَكِبَ الْمَأْمُونُ ، فَلَمَّا حَصَلَ بِقَاعَةِ الذَّهَبِ ، أَخَذَ فِي مُشَاهَدَةِ السَّمَاطِ مِنْ سَرِيرِ الْمَلِكِ إِلَى آخِرِهَا .

١٥. وَخَرَجَ الْخَلِيفَةُ لَوْقَتِهِ مِنَ الْبَادُهِنَجِ ، وَطَلَعَ إِلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الصُّوَانِي الْمَقْدَمِ ذَكَرَهَا ، وَاسْتَدْعَى بِالْمَأْمُونِ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ بَعْدَ أَدَاءِ حَقِّ السَّلَامِ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْأَمْرَاءِ الْمُمَيَّزِينَ وَالْقَاضِي وَالذَّاعِي وَالضُّيُوفِ ، وَسَلَّمَ كُلُّ مَنْهُمْ عَلَى حُكْمِ مَيَّزَتِهِ ، وَقَدِمَتِ الرَّسُلُ فَشَرَفُوا بِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ ، وَالْمُقْرئين يَتَلُونَ ، وَالْمُؤَدِّنُونَ يُهَلَّلُونَ وَيُكَبَّرُونَ .

٢٠. وَكُشِفَتِ الْقَوَارِثُ الشُّرُوبِ <sup>(b)</sup> الْمَذْهَبَاتُ عَمَّا هُوَ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةَ ، فَبَدَأَ وَكَبَّرَ ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ تَمْرَةً فَأَفْطَرَ عَلَيْهَا ، وَنَاوَلَ مِثْلَهَا لَوْزِيرِهِ <sup>(c)</sup> فَأَظْهَرَ الْفِطْرَةَ عَلَيْهَا ، وَأَخَذَ الْخَلِيفَةُ فِي آيِنِ اسْتِعْمَالِ مِنْ جَمِيعِ مَا حَضَرَ ، وَيُنَاوِلُ وَزِيرَهُ مِنْهُ وَهُوَ يُقْبَلُهُ وَيَحْمِلُهُ فِي كُمَّهِ .

وتقدَّمت الأَجَلَاءُ <sup>(d)</sup> الْإِخْوَةَ وَالْأَوْلَادَ - يَعْنِي <sup>(d)</sup> إِخْوَةَ الْوَزِيرِ وَأَوْلَادَهُ - مِنْ تَحْتِ الشَّرِيرِ ، وَهُوَ يُنَاوِلُهُمْ مِنْ يَدِهِ ، فَيَجْعَلُونَهُ فِي أَكْمَامِهِمْ بَعْدَ تَقْبِيلِهِ ، وَأَخَذَ كُلُّ مَنْ الْحَاضِرِينَ كَذَلِكَ ، وَيَوْمِي بِالْفُطُورِ وَيَجْعَلُهُ فِي كُمَّهِ عَلَى سَبِيلِ الْبَرَكَاتِ . فَمَنْ كَانَ رَأْيُهُ الْفُطُورَ أَفْطَرَ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ رَأْيُهُ أَوْمَأَ وَجَعَلَهُ فِي كُمَّهِ لَا يُنْتَقَدُ عَلَى أَحَدٍ فَعَلَهُ .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الشرب . والمثبت من مسودة المواعظ . (c) بولاق : الوزير . (d-d) زيادة من



ثم قال المأمون بعد ذلك : ما على من يأخذ من هذا المكان نقيصة ، بل به له الشرف والميزة . ومدَّ يده وأخذ من الطيفور الذي كان بين يديه عُود نبات وجعله في كفه بعد تقبيله ، وأشار إلى الأُمراء فاعتمد كلُّ من الحاضرين ذلك ، ومَلَأُوا أَكمامهم ، ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك ، ثم خرج المأمون<sup>(a)</sup> إلى داره والجماعة في ركابه ، فوجد التَّعبئة فيها من صدر المجلس إلى آخره على ما أمر به ، ولم يُعَدَم مِمَّا كان بالقصر غير الصواني الخاص . فجلس على مرتبته والأجلاء أولاده وإخوته<sup>(b)</sup> ، واستدعى بالعوالي من الأُمراء والقاضي والدَّاعي والضيوف ، فحَضَرُوا وشرفهم<sup>(c)</sup> بجلوسهم معه ، وحصل من مسرتهم بذلك ما بسطهم ، ورفعوا اليسير ممَّا حضر على سبيل الشرف ، ثم انصرفوا ، وحضرت الطوائف والرُّسل على طبقاتهم ، إلى أن حُمِلَ جميع ما كان بالدار بأسره . وانقضى حُكْمُ الفُطور ، وعاد التَّنفيذ في غيره .

وضربت الطبول والأبواق على أبواب القصور والدار المأمونية ، وأحضرت التَّغايير وفُرقت على أزبابها من الأجناد والمستخدمين ، وخرجت أزيمة العساكر فارسها وراجلها ، وتُدب الحاجب الذي بيده الدُّعوى لترتيب ضفوفها من باب القصر إلى المصلى . ثم حضر إلى الدار المأمونية الشيوخ المميرون ، وجلس المأمون في مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته ، ورفعت الستور ، وابتدأ المقرئون ، وسلَّم مُتَوَلِّي الباب والشيوخ ، ولم يدخل المجلس غير كاتب الدست ومُتَوَلِّي الحُجبة ، وبالغ كلُّ منهما في<sup>(d)</sup> هَيْبَتِهِ وخرج لوقته وتواصلت الأُمراء والمُشرفون بالحُجبة وقد بالغ كلُّ منهم في<sup>(d)</sup> زيِّه وملبوسه ، وجرؤوا على رَسْمِهِمْ في تقبيل الأرض وعتبة المجلس .

ووصل إلى الدار المأمونية التَّجمل الخاص - الذي برسم الخليفة - جميعه : القُضب الفضة ، والأعلام ، والمنجوقات ، والعقبات<sup>(e)</sup> ، والعماريات ، ولواءي حمد الوزارة<sup>(f)</sup> <sup>(d)</sup> وجميع ذلك بالذهب والفضة والرُّقومات المذهبات والحريريات والخيل المسومة المختارة<sup>(d)</sup> لركوب الخليفة بالمظلة بالطميم والمراكيب الذهب المرصعة بالجواهر ، وغير ذلك من التَّجملات .

وركب الأجل<sup>(g)</sup> المأمون من داره ، وجميع التَّشريف<sup>(h)</sup> الخاص بين يديه ، وخدمت الرَّهجيَّة ومن جملتهم الغريبة - وهي أبواق لطاف عجيبة غريبة الشكل ، تضرب كلُّ وقت يركب فيه الخليفة ، ولا تضرب قُدَّام الوزير إلا في المواسم خاصَّة وفي أيام الخلع عليه - والأُمراء مُضطفون عن يمينه وعن

(a) بولاق والنسخ : الوزير والمثبت من مسودة المواعظ . (b) زيادة من مسودة المواعظ . (c) بولاق : وشرفوا . (d-d) ساقط من بولاق . (e) ساقطة من مسودة المواعظ . (f) بولاق : لواء الوزارة ، النسخ : لواء الوزارة ، والمثبت من المسودة . (g) زيادة من المسودة . (h) بولاق : التشاريف .



شماله ، ويليهم إخوته ، وبعدهم أولاده . ودخل إلى الإيوان وجلس على المرتبة المختصة به ، وعن يمينه جميع الأجلاء ، والمميزون وقوف أمامه ، ومن انحط عنهم من باب الملك إلى الإيوان قيام .

- وخرج<sup>(a)</sup> خاصة الدولة ریحان إلى المصلی بالفرش الخاص وآلات الصلاة ، وعلق الحجاب بالشروب المذهبة ، وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة ، وبأعلاها السجادة اللطيفة التي كانت عندهم معظمة - وهي قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جملة حصير الجعفر بن محمد الصادق - عليهما السلام - يصلي عليهما - وفرش الأرض جميعها بالحضر المحاريب . ثم علق على جانبي المنبر ، وفرش جميع درجته ، وجعل أعلاه المخاد التي يجلس عليها الخليفة ، وعلق اللواءان عليه ، وقعدت تحت القبة خاصة الدولة ریحان والقاضي ، وأطلق البخور ، ولم يفتح من أبوابه إلا باب واحد وهو الذي يدخل منه الخليفة . ويقعد الداعي في الدهليز ونقباء المؤمنين بين يديه ، وكذلك الأمراء والأشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أبواب الحرف ، ولا يمكن من الدخول إلا من يعرفه الداعي ويكون في ضمائه .

- واستفتحت الصلاة ، وأقبل الخليفة من قصوره بغاية زيته ، والعلم الجوهري في منديله ، وقصيب الملك بيده ، وبنو عمه وإخوته وأستاذوه في ركابه ، وتلقاه المقرئون عند وصوله والخواص ، واستدعى بالمأمون ، فتقدم بمفرده وقبل الأرض ، وأخذ السيف والرمح من مقدمي خزائن الكسوة ، والرهبانية تخدم ، وحمل لواء الحمد بين يديه إلى أن خرج من باب العيد ، فوجد المظلة قد نُشِرت عن يمينه ، والذي بيده الدغو في ترتيب الحُجبة لمن شرف بها لا يتعدى أحد حكمه .
- وسار الموكب<sup>(b)</sup> بالجنايب الخاص / وخيل التخفيف ومصفات العساكر ، والطوائف جميعها بزيتها وراياتها وراء الموكب إلى أن وصل إلى قريب المصلی ، والعماريات والزرافات . وقد شد على الفيئة بالأسرة مملوءة رجالاً مشبكة بالسلاح لا يتبين منهم إلا الأهداق ، وبأيديهم السيوف المجردة والدرق الحديد الصيني ؛ والعساكر قد اجتمعت وترادفت صُفُوفاً من الجانبين إلى باب المصلی ، والنظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة ما لم يَألفوه<sup>(c)</sup> ، والموكب سائر بهم . وقد أحاط بالخليفة والوزير صبيان الخاص ، وبعدهم الأجناد بالدروع المسبلة ، والزرديات بالمغافر ملثمة ، والقروك<sup>(d)</sup> الحديد بالصماصم والدبابيس .

(a) بولاق : ويخرج . (b) بولاق : رسائر المواكب . (c) بولاق : يبلغوه . (d) بولاق : البروك .



ولما طلع الموكب من ربوة المصلّى، ترجل متولّي الباب والحجاب، ووقف الخليفة بجمعه بالمظلة إلى أن اجتاز المأمون راكباً بمن حول ركابه، وردّ الخليفة السلام عليه بكفه، وصار أمامه، وترجل الأمراء المميّزون والأستاذون المحنكون بعدهم وجميع الأجلاء، وصار كلّ منهم يداً بالسلام على الوزير ثم على الخليفة إلى أن صار الجميع في ركابه .

ولم يدخل من باب المصلّى راكباً غير الوزير خاصّة، ثم ترجل على بابيه الثاني إلى أن وصل الخليفة إليه، فاستدعى به، فسلم وأخذ الشكيمة بيده إلى أن ترجل الخليفة في الدهليز الآخر، وقصد الحراب والمؤذنون يكبرون قدامه .

واستفتح الخليفة في الحراب، ومسامته فيه وزيره، والقاضي والداعي عن يمينه وشماله، ليوصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين، ويتصل منهم التكبير إلى مؤذني مصلّى الرجال والنساء الخارجين على المصلّى الكبير، وكاتب الدست وأهله ومتولّي ديوان الإنشاء يصلون تحت عقدة المنبر، ولا يمكن غيرهم أن يكون معهم .

ولما قضى الخليفة الصلاة وهي ركعتان: قرأ في الأولى بفاتحة الكتاب<sup>(a)</sup> و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الآية ١ سورة الغاشية]، وكبّر سبع تكبيرات، ورَكَع وسَجَدَ، وفي الثانية بالفاتحة وسورة ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الآية ١ سورة الشمس]، وكبّر خمس تكبيرات - وهذه سنة الجميع ومن يتوب عنهم في صلاة العيدين على الاستمرار - وسلم وخرج من الحراب وعطف عن يمينه، والحرض عليه شديد، ولا يصل إليه إلا من كان تخصيصاً به، وصعد المنبر بالخشوع والسكينة، وجميع من بالمصلّى والبرية<sup>(b)</sup> لا يسأم نظره، ويكثرون من الدعاء له . ولما حصل في أعلى المنبر أشار إلى الأجل<sup>(c)</sup> المأمون فقبل الأرض، وسارع في الطلوع إليه وأدى ما يجب من سلامه وتعظيم مقامه ووقف بأعلى درجة . وأشار إلى القاضي فتقدم وقبل كل درجة إلى أن يصل إلى الدرجة الثالثة، وقف عندها، وأخرج الدعو من كفه وقبله ووضع على رأسه، واستدعى<sup>(d)</sup> بمن تضمّنه، وهو ما جرت به العادة من تسمية يوم العيد وسنته والدعاء للدولة، وكانت الحال في أيام وزراء الأقلام والسيوف إذا حصل الخليفة في أعلى بقي الوزير مع غيره، وأشار الخليفة إلى القاضي، فيقبل الأرض ويطلع إلى الدرجة الثالثة ويخرج الدعو من كفه ويقبله ويضعه على رأسه، ويذكر يوم العيد وسنته والدعاء للدولة، ثم يستدعى بالوزير بعد ذلك، فيصعد بعد القاضي . فراعى الخليفة ذلك الأمر في حق الوزير، فجعل الإشارة منه إليه أولاً، ورفع عن أن يكون مأموراً مثل غيره، وجعلها له مميّزة على غيره من تقدمه، واستمرت فيما بعد .

(a) أياصوفيا : بالفاتحة . (b) بولاق : التربة . (c) زيادة من المسودة . (d) بولاق : وأعلى .



وَأَسْتَفْتَحَ الْخَلِيفَةُ بِالتَّكْبِيرِ الْجَارِي بِهِ الْعَادَةُ فِي الْفِطْرِ وَالْخُطْبَتَيْنِ إِلَى آخِرِهِمَا ، وَكَبَّرَ الْمُؤَذِّنُونَ ، وَرَفَعَ اللَّوَاءَانَ ، وَتَرَجَّلَ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ مَوْضِعِهِ ، كَمَا كَانَ رُكُوبُهُ ، وَصَارَ الْجَمِيعُ فِي رِكَابِ الْخَلِيفَةِ ، وَجَرَى الْأَمْرُ فِي رُجُوعِهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ ، وَمَضَى إِلَى تَرْبَةِ آبَائِهِ <sup>١</sup> ، وَهِيَ سُنَّتُهُمْ فِي كُلِّ رَكْبَةٍ بِمِظَلَّةٍ ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ ، مَعَ صَدَقَاتٍ وَرَسُومٍ تُفْرَقُ <sup>٢</sup> .

- ٥ وَأَمَّا الْوَزِيرُ الْمَأْمُونُ فَإِنَّهُ تَوَجَّهَ وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْعِيدِ وَالْأَمْرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَابِ الذَّهَبِ ، فَدَخَلَ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ أَمَرَ وَلَدَهُ الْأَكْبَرَ بِالْوُضُوءِ إِلَى دَارِهِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سِمَاطِ الْعِيدِ عَلَى عَادَتِهِ . وَلَمَّا حَلَّ <sup>٣</sup> الْمَأْمُونُ بِقَاعَةِ الذَّهَبِ ، وَجَدَ الشُّرُوعَ قَدْ وَقَعَ مِنَ الْمُسْتَعْدِمِينَ بِتَعْيِثَةِ السِّمَاطِ ، فَأَمَرَ بِتَفْرِيقِ الرُّسُومِ عَلَى أَرْبَابِهَا ، وَهُوَ مَا يُحْمَلُ إِلَى مَجْلِسِ الْوِزَارَةِ بِرِسْمِ الْحَاشِيَةِ . وَلِكُلِّ مَنْ حَاشِيَةِ أَوْلَادِهِ وَإِخْوَتِهِ ، وَكَاتِبِ الدُّسْتِ ، وَمُتَوَلِّيِ حُجْبَةِ الْبَابِ ، وَمُتَوَلِّيِ الدِّيَّانِ ، وَكَاتِبِ الدَّفْتَرِ ، وَالنَّائِبِ لِكُلِّ مِنْهُمْ رَسْمٌ يُضْرَفُ قَبْلَ مَجْلُوسِ الْخَلِيفَةِ ، وَعِنْدَ انْقِضَاءِ الْأَسْمِطَةِ لِغَيْرِ الْمَذْكُورِينَ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَةِ كُلِّ مِنْهُمْ .

ثُمَّ حَضَرَ أَبُو الْفَضَائِلِ بْنِ أَبِي اللَّيْثِ <sup>٤</sup> ، وَاسْتَأْذَنَ عَلَى طَيَّافِيرِ الْفِطْرَةِ الْكِبَارِ الَّتِي فِي مَجْلِسِ الْخَلِيفَةِ ، فَأَمَرَهُ الْوَزِيرُ بِأَنْ يَعْتَمِدَ فِي تَفْرِيقَتِهَا عَلَى مَا كَانَ يَعْتَمِدُ فِي الْأَيَّامِ الْأَفْضَلِيَّةِ ، وَهُوَ لِكُلِّ مَنْ يَصْعَدُ الْمِثْبَرُ مَعَ الْخَلِيفَةِ طَيِّفُورٌ .

- ١٥ فَلَمَّا أَخَذَ الْخَلِيفَةُ رَاحَةً بَعْدَ مُضِيِّهِ إِلَى التَّرْبَةِ ، جَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ الْمَائِدَةُ اللَّطِيفَةُ الذَّهَبُ بِالْمِينَا مَعْبُوءَةٌ بِالزُّبَادِيِّ الذَّهَبِ ، وَاسْتَدْعَى الْوَزِيرَ ، وَاصْطَفَى النَّاسَ مِنَ الْمَدُورَةِ <sup>٥</sup> ، إِلَى آخِرِ السِّمَاطِ مِنَ الْجَانِبِينَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَرَفَعَتِ الشُّتُورُ وَأَسْتَفْتَحَ الْمُقْرَنُونَ ، وَوَفِي الدَّوْلَةِ إِسْعَافٌ مُتَوَلِّيُ الْمَائِدَةَ مَشْدُودُ الْوَسَطِ ، وَمُقَدَّمُ خِزَانَةِ الشُّرْبِ بِيَدِهِ شَرْبَةٌ فِي مَرْفَعِ ذَهَبٍ وَغِطَاءٌ مُرْصَعَيْنِ

(a) بولاق : دخل .

<sup>١</sup> أي التربة المعزية أو تربة الرُعْفَرَانِ (انظر فيما تقدم ٣٥٢ ولعل أبا المحاسن نقله من كتاب «أساس السياسة» ، الذي نقل عنه أبو المحاسن في ترجمة المعز (النجوم الزاهرة ٤ : ٤٩ س ٦) . (٤٦٢) .

<sup>٢</sup> قارن مع أبي المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ : ١٧٦-١٧٨ ومصدره هو تاريخ ابن أبي المنصور المعروف بعلي بن ظافر الأزدي (انظر القاسي : العقد الثمين ٤ : ٧٢ ، ٧٥) . والنص غير موجود فيما وصل إلينا من كتاب أخبار الدول المنقطعة ،

<sup>٣</sup> الشيخ أبو الفضائل هبة الله بن أبي الليث متولي الدفتري .

<sup>٤</sup> المدورة . انظر فيما تقدم ٢٩٤ .



بالجوهر والياقوت، ومُتَوَلِّي خَزَائِن الإِنْفَاق بيده خَرِيْطَةٌ مَمْلُوءَةٌ دَنَانِيرَ لَمَن يَقِفُ يَطْلُبُ صَدَقَةً وَإِنْعَامًا، فَيُؤَمَّرُ بِمَا يُدْفَعُ / إِلَيْهِ، وَتَفَرِّقَةُ الرُّشُومِ الْجَارِي بِهَا الْعَادَةُ.

وَلَعِبَتِ الْمَثَافِقُونَ<sup>(a)</sup> وَالبَحْتِيَارِيَّةُ<sup>(١)</sup>، وَتَنَاقُوبَ الْقُرَاءِ وَالْمُنْشِدُونَ وَأُزْحِيَّتِ الشُّتُورُ، وَعُجْبَى السَّمَاطُ ثَانِيًا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلًا، ثُمَّ رُفِعَتِ الشُّتُورُ، وَجَلَسَ عَلَى الْمُدْوَرَّةِ وَالسَّمَاطُ مِنْ جَزَتِ الْعَادَةُ بِهِ، وَفُرِّقَتِ الدَّنَانِيرُ عَلَى الْمُقَرَّرِينَ وَالْمُنْشِدِينَ وَالبَحْتِيَارِيَّةِ وَالْمَثَافِقِينَ<sup>(a)</sup>، وَمَنْ هُوَ مَعْرُوفٌ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ. وَنُهَيْتَ قُصُورُهُ الْحَلَاوَةَ<sup>(b)</sup>،<sup>(c)</sup> وَانْقَضَى حُكْمُ السَّمَاطِ<sup>(c)</sup> وَأُزْحِيَّتِ الشُّتُورُ، وَأَخْضَرَ مُتَوَلِّي خِزَانَةَ الْكُشُورَةِ الْخَاصَّ لِلْخَلِيفَةِ بَدَلًا إِلَى أَعْلَى السَّرِيرِ حَسَبَ مَا كَانَ أَمْرُهُ، فَلَيْسَهَا وَخَلَعَ الثِّيَابَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَى الْوَزِيرِ بَعْدَ مَا بَالَعَ فِي شُكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

وَتَوَجَّهَ إِلَى دَارِهِ، فَوَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْخَلِيفَةِ الصَّوَانِي الْخَاصَّ الْمَكْلُومَةَ مَعْبُوءَةً عَلَى مَا كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَوَائِدِ، وَكَذَلِكَ إِلَى أَوْلَادِهِ وَإِخْوَتِهِ صِينِيَّةَ صِينِيَّةَ، وَلِكَاتِبِ الدُّسْتِ وَمُتَوَلِّي<sup>(d)</sup> حُجْبَةِ الْبَابِ مِثْلَ ذَلِكَ. وَبَكَرَ<sup>(e)</sup> الْوَزِيرُ بِجُلُوسِهِ فِي دَارِهِ مُعَلِّسًا<sup>(f)</sup>، وَيُسَارِعُ النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ لِهِنَائِهِ<sup>(g)</sup> بِالْعِيدِ وَالْخِلْعِ، وَبِمَا جَزَى فِي صُغُودِ الْمَنِيرِ، وَحَضَرَ الشُّعْرَاءُ<sup>(١)</sup> وَأُسْنِيَّتِ لَهُمُ الْجَوَائِزُ.

وَجَزَى الْحَالُ يَوْمَئِذٍ فِي مَجْلُوسِ الْخَلِيفَةِ وَفِي السَّلَامِ لَجَمِيعِ الشُّيُوخِ وَالْقُضَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَمُقَدَّمِي الرُّكَّابِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ بِالْجَوَامِعِ وَالْفُقَهَاءَ وَالْقَاهِرِينَ وَالْمَصْرِيِّينَ وَالْيَهُودَ بِرُئُوسِهِمْ وَالنَّصَارَى بِبَطْرِيْقِهِمْ، عَلَى مَا جَزَتْ بِهِ عَادَتِهِمْ، وَخَتَمَ الْمُقَرَّرُونَ، وَقَدِمَتِ الشُّعْرَاءُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَجُدَّدَ لِكُلِّ مِنَ الْحَاضِرِينَ سَلَامُهُ.

وَانْكَفَأَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْبَادِئِ لَأَدَاءِ فَرِيضَةِ الصَّلَاةِ وَالرَّاحَةِ بِمِقْدَارِ مَا عُجِبَتِ الْمَائِدَةُ الْخَاصَّ، وَاسْتَحْضَرَ الْمَأْمُونُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ،<sup>(h)</sup> وَالْخَلِيفَةُ جَالِسٌ وَأَخْوَاهُ جَعْفَرُ وَعَبْدُ الصَّمَدِ عَلَى يَسَارِهِ، وَأَجْلَسَ الْمَأْمُونُ عَنْ يَمِينِهِ وَأَوْلَادَهُ<sup>(h)</sup> عَلَى عَادَتِهِمْ، وَاسْتُدْعِيَ مِنْ شَرَفٍ بِحُضُورِ الْمَائِدَةِ - وَهُمْ:

(a) بولاق : المنافقون . (b) بولاق : الخليفة . (c-c) زيادة من مسودة المواعظ . (d) بولاق : متولي . (e) بولاق : يكبر . (f) بولاق : معلنا . (g) زيادة من المسودة . (h-h) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> البختيارية (النختيارية) . قوم لا نعرف على وجه التحديد دورهم أو وظيفتهم انفرادي بذكرهم ابن المأمون وابن الطوير، ويبدو من خلال نص ابن الطوير (فيما يلي ٤٩٤، وكذلك ٥٥٦) أنهم كانوا يؤدون ألعابا بهلوانية أثناء سير موكب الخليفة في موسم فتح الخليج .

<sup>٢</sup> حدّد المقريري هؤلاء الشعراء في المسودة وهم : أحمد ابن مفرج بن سابق وظافر الحداد والقاضي أبو الفتح بن قادوس ومجير الدين أبو جعفر ومسعود الدولة أبو علي حسن ابن حيدرّة المقدم على الشعراء .



الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ كَاتِبُ الدُّسْتِ ، وَأَبُو الرِّضَا سَالِمُ ابْنِهِ ، وَمُتَوَلِّي حُجْبَةِ الْبَابِ ، وَظَهِيرُ الدِّينِ الْكُتَامِي - عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْحَالُ قَبْلَ الصِّيَامِ ، وَانْقَضَى حُكْمُ الْعِيدِ <sup>١</sup> .

وقال ابن الطَّوَيْرِ : إِذَا قَرَّبَ آخِرَ الْعَشْرِ الْأَخْرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، خَرَجَ الزُّيُّ مِنْ أَمَاكِنِهِ عَلَى مَا وَصَفْنَا - يَعْنِي <sup>(a)</sup> فِي رُكُوبِ أَوَّلِ الْعَامِ - وَلَكِنْ فِيهِ زِيَادَاتٌ يَأْتِي ذِكْرُهَا ، وَيُرَكَّبُ فِي مُسْتَهْلِ شَوَّالٍ بَعْدَ تَمَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَعِدَّتُهُ عِنْدَهُمْ أَبَدًا ثَلَاثُونَ يَوْمًا <sup>٢</sup> . فَإِذَا تَهَيَّأَتِ الْأُمُورُ مِنَ الْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ وَالْأَمْرَاءِ وَأَرْبَابِ الرُّتَبِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَصَارَ الْوَزِيرُ بِجَمَاعَتِهِ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ ، رَكِبَ الْخَلِيفَةُ بِهَيْئَةِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْمِظَلَّةِ وَالْيَتِيمَةَ وَالْآلَاتِ الْمَقْدُمِ ذِكْرُهَا ، وَلِيَأْسُهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ - <sup>(b)</sup> الَّذِي هُوَ عِيدُ الْفِطْرِ <sup>(b)</sup> - الثِّيَابُ الْبِياضُ الْمَوْشَحَةُ الْمَجُومَةُ وَهِيَ أَجَلٌ لِبَاسِهِمْ ، وَالْمِظَلَّةُ كَذَلِكَ فَإِنَّهَا أَبَدًا تَابِعَةٌ لِثِيَابِهِ كَيْفَ كَانَتِ الثِّيَابُ كَانَتْ <sup>٣</sup> ، وَيَكُونُ خُرُوجُهُ مِنْ بَابِ الْعِيدِ إِلَى الْمُصَلَّى ، وَالزِّيَادَةُ ظَاهِرَةٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ فِي الْعَسَاكِرِ <sup>(c)</sup> وَالْأَجْنَادِ وَالْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ <sup>(c)</sup> ، وَقَدْ انْتَضَمَ الْقَوْمُ لَهُ صَفِّينَ مِنْ بَابِ الْقَصْرِ إِلَى بَابِ الْمُصَلَّى .

وَيَكُونُ صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ قَدْ تَقَدَّمَ عَلَى الرَّسْمِ لِقَرَشِ الْمُصَلَّى - <sup>(c)</sup> كَمَا عَمِلَ فِي الْجَوَامِعِ <sup>(c)</sup> - فَيَقْرَأُ الطَّرَاحَاتِ عَلَى رَسْمِهَا فِي الْمِحْرَابِ مُطَابِقَةً ، وَيَعْلَقُ أَيْضًا <sup>(d)</sup> سَتْرَيْنِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً : فِي الْأَيْمَنِ «الْبِسْمَلَةَ وَالْفَاتِحَةَ» وَ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» [الآية ١ سورة الأعلى] ، وَفِي الْأَيْسَرِ مِثْلَ ذَلِكَ وَ «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ» [الآية ١ سورة الغاشية] ، ثُمَّ يَرْكُزُ فِي جَانِبِ الْمُصَلَّى لَوَاعَيْنِ مُشْدُودِينَ <sup>(c)</sup> مِثْلَ ذَلِكَ <sup>(c)</sup> عَلَى رُمُحَيْنِ مَلْبَسِينَ بِأَنْبَابِ الْفِضَّةِ ، وَهُمَا مُسْتَوْرَانِ مَرَّخِيَانِ .

(a) زيادة من المسودة . (b-b) ساقطة من بولاق . (c-c) زيادة من المسودة . (d) زيادة من المسودة .

<sup>١</sup> المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٩٤ ؛ حميد الدين الكرمانى : «الرسالة اللازمة في صوم رمضان وحينه» ، تحقيق وتقديم محمد عبد القادر عبد الناصر ، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ٣١ (١٩٦٩) ، ١ - ٥٢ ، De Smet, D., «Comment déterminer le début et la fin du Jeûne de Ramadan ? un point de discorde entre sunnites et ismaéliens en Égypte fatimide», *Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk* Eras, Leuven 1995, pp. 71-84 ، وفيما يلي ٥٩٨ .

<sup>٢</sup> الفلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٩ ؛ وفيما تقدم

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٨٤ - ٨٩ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ ٢٢٩ - ٢٣٩ .

<sup>٢</sup> تبعًا للمذهب الإسماعيلي يتم صوم رمضان وفطره بالرؤية والحساب جميعًا ، واعتبروهما كالظاهر والباطن ، إذا أشكل الأمر في أحدهما التمس في الآخر . فالهلال كالظاهر لأنه مُشَاهَدٌ ، والحساب كالباطن لأنه معقول وهو يستعمل من أول كل سنة ثم يراعى طلوع الهلال ، فإن وافق الحساب الرؤية فقد اتَّفَقَ الظاهر والباطن وزال الإشكال . (المجالس المستنصرية ، تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٧ ، ١٢٨ - ١٢٩ ؛ وانظر المقرئزي : اتعاظ ٢ : ٦٧ ، ٨٧ ؛ أبا



فَيَدْخُلُ الْخَلِيفَةُ مِنْ شَرْقِي الْمُصَلَّى إِلَى مَكَانٍ لِيَسْتَرِيحَ فِيهِ دَقِيقَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مَحْفُوظًا كَمَا يُحْفَظُ فِي جَامِعِ الْقَاهِرَةِ - <sup>(a)</sup> يَعْنِي أَنَّهُ يَخْرُجُ مَاشِيًا وَخَوَالِيَهُ الْأُسْتَاذُونَ الْمُحْتَكُونَ وَالْوَزِيرُ وَرِأْءَهُ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْخَوَاصِّ وَبِأَيْدِيهِمُ الْأَسْلِحَةُ مِنْ صِيَّانِ الْخَاصِّ وَهُمْ أُمَرَاءٌ وَعَلَيْهِمْ هَذَا الْاسْمُ <sup>(a)</sup> - فَيَصِيرُ إِلَى الْمِحْرَابِ ، وَيُصَلِّيُ صَلَاةَ الْعِيدِ بِالتَّكْبِيرَاتِ الْمَسْنُونَةِ ، وَالْوَزِيرُ وَرِأْءَهُ وَالْقَاضِي ، وَيَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مَا هُوَ مَرْقُومٌ فِي السِّتْرَيْنِ تَذْكَارًا <sup>(b)</sup> .

فَإِذَا فَرَغَ وَسَلَّمَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ لِلْخُطَابَةِ الْعِيدِيَّةِ يَوْمَ الْفِطْرِ ، فَإِذَا جَلَسَ فِي الدُّرُوزَةِ - وَهَنَاكَ <sup>(c)</sup> طُرُوحًا سَامَانًا أَوْ ذَيْقِيًّا عَلَى قَدْرِهَا ، وَبَاقِيَهُ يُسْتَرُّ بِبِيَاضٍ عَلَى مَقْدَارِهِ فِي تَقْطِيعِ دَرَجِهِ ، وَهُوَ مُضْبُوطٌ لَا يَتَغَيَّرُ - فِيرَاهُ أَهْلُ ذَلِكَ الْجَمْعِ جَالِسًا فِي الدُّرُوزَةِ . وَيَكُونُ قَدْ وَقَفَ أَسْفَلَ الْمِنْبَرِ الْوَزِيرُ ، وَقَاضِي الْقُضَاةِ ، وَصَاحِبُ الْبَابِ وَإِسْفَهْسَلَارُ الْعَسَاكِرِ ، وَصَاحِبُ السَّيْفِ ، وَصَاحِبُ الرِّسَالَةِ ، وَزِمَامُ الْقَضْرِ ، وَصَاحِبُ دَفْتَرِ الْمَجْلِسِ ، وَصَاحِبُ الْمِظَلَّةِ ، وَزِمَامُ الْأَشْرَافِ الْأَقْرَابِ ، وَصَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ ، وَحَامِلُ الرُّمْحِ ، وَنَقِيبُ الْأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ ، وَوَجْهُ الْوَزِيرِ إِلَيْهِ ، فَيُشِيرُ إِلَيْهِ بِالصُّعُودِ <sup>(d)</sup> فَيَصْعَدُ إِلَيْهِ <sup>(d)</sup> وَيَقْرُبُ وَقُوفَهُ مِنْهُ ، وَيَكُونُ وَجْهَهُ مُوَازِيًا رِجْلَيْهِ فَيَقْبَلُهُمَا بِحَيْثُ يَرَاهُ الْعَالَمَ ، ثُمَّ يَقُومُ وَيَقِفُ عَلَى يَمَنِهِ الْخَلِيفَةُ <sup>(e)</sup> .

فَإِذَا وَقَفَ أَشَارَ إِلَى قَاضِي الْقُضَاةِ بِالصُّعُودِ <sup>(d)</sup> ، فَيَصْعَدُ إِلَى سَابِعِ دَرَجَةٍ ، وَيَتَطَّلَعُ إِلَيْهِ صَاحِبًا لَمَّا يَقُولُ ، فَيُشِيرُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ <sup>(d)</sup> ، فَيَخْرُجُ مِنْ كُمِّهِ مُدْرَجًا قَدْ أَحْضَرَ إِلَيْهِ أَمْسٌ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بَعْدَ عَرْضِهِ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ ، فَيُعْلَنُ بِقِرَاءَةِ مَضْمُونِهِ ، فَيَقُولُ :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ثَبَّتْ بِنِ شَرْفٍ بِصُغُودِهِ الْمِنْبَرَ الشَّرِيفِ فِي يَوْمِ كَذَا - وَهُوَ عِيدُ الْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ كَذَا - مِنْ عَبِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَبْنَائِهِ الْأَكْرَمِينَ ، بَعْدَ صُغُودِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، وَتُعَوَّتِهِ الْمَقْرُورَةَ وَدُعَائِهِ الْمَحْرُورَ» .

فَإِنْ أَرَادَ الْخَلِيفَةُ أَنْ يُشْرِفَ أَحَدًا مِنْ أَوْلَادِ الْوَزِيرِ وَإِخْوَتِهِ ، اسْتَدْعَاهُ الْقَاضِي بِالتَّثْبِتِ <sup>(f)</sup> الْمَذْكُورِ ، ثُمَّ يَتْلُو ذَلِكَ ذِكْرَ الْقَاضِي الْمَذْكُورِ <sup>(d)</sup> - وَهُوَ الْقَارِيءُ - فَلَا يَتَّسِعُ لَهُ أَنْ يَقُولَ عَنْ نَفْسِهِ تُعَوَّتِهِ وَلَا دُعَاءَهُ ، بَلْ يَقُولُ الْمَمْلُوكُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ . وَكَانَ <sup>(d)</sup> قَرَأَهُ مَرَّةً الْقَاضِي ابْنُ أَبِي

(a-a) زيادة من المسودة . (b) زيادة من المسودة . (c) المسودة : المذكورة . (d) زيادة من المسودة . (e) المثبت من المسودة ، وفي بولاق على يمينه . (f) بولاق : بالنعث .



عقيل<sup>١</sup>، فلمَّا وَصَلَ إِلَى اسْمِهِ قَالَ: «العَبْدُ الدَّلِيلُ الْمُعْتَرِفُ بِالصَّنْعِ الْجَمِيلِ فِي الْمَقَامِ الْجَلِيلِ أَحْمَدُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ»؛ فَاسْتُحْسِنَ ذَلِكَ مِنْهُ. ثُمَّ خَذَا حَذْوَهُ الْأَعَزُّ بْنُ سَلَامَةَ<sup>٢</sup> - وَقَدْ اسْتَقْضِي فِي آخِرِ الْوَقْتِ - فَقَالَ: «الْمَمْلُوكُ فِي مَحَلِّ الْكِرَامَةِ، الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الْوَلَاءِ أَصْدَقُ عَلَامَةً، حَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ سَلَامَةَ»<sup>٣</sup>. ثُمَّ يَسْتَدْعِي مَنْ ذَكَرْنَا وَقَوْفَهُمْ عَلَى بَابِ الْمِنْبَرِ بِنُغُوتِهِمْ وَذَكَرَ خِدْمَتَهُمْ وَدُعَائِهِمْ عَلَى التَّرْتِيبِ.

فَإِذَا طَلَعَ الْجَمَاعَةُ - وَكُلُّ مِنْهُمْ يَعْرِفُ مَقَامَهُ فِي الْمِنْبَرِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً - (أ) فَإِذَا لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ يَطَّلِعُ (أ) أَشَارَ الْوَزِيرُ إِلَيْهِمْ، فَأَخَذَ مَنْ هُوَ فِي (ب) كُلِّ جَانِبٍ بِيَدِهِ نَصِيئًا مِنَ اللَّوَاءِ الَّذِي بِجَانِبِهِ، فَيَسْتُرُ الْخَلِيفَةَ وَيَسْتَرُونَ، وَيُنَادِي فِي النَّاسِ أَنْ يُنصِتُوا. فَيُخْطَبُ الْخَلِيفَةُ الْخُطْبَةُ (ج) مِنَ الْمَسْطُورِ عَلَى الْعَادَةِ، وَهِيَ خُطْبَةٌ بَلِيغَةٌ مُوَافِقَةٌ لِذَلِكَ الْيَوْمِ<sup>٣</sup>. فَإِذَا فَرَّغَ الْقَيِّ كُلُّ مَنْ فِي يَدِهِ مِنَ اللَّوَاءِ شَيْئًا خَارِجَ الْمِنْبَرِ، فَيُنكَشِفُونَ (أ) كَمَا كَانُوا قَبْلَ يُسْتَرُونَ (أ)، وَيَنْزِلُونَ أَوَّلًا فَأَوَّلًا الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ إِلَى الْقَهْقَرَى.

فَإِذَا تَخَلَّى الْمِنْبَرُ مِنْهُمْ، قَامَ الْخَلِيفَةُ هَابِطًا، وَدَخَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، فَلَبِثَ يَسِيرًا (د) وَرَكِبَ فِي زِيَّةِ الْمَفْخَمِ، وَعَادَ مِنْ طَرِيقِهِ بَعِينَهَا إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ (ج) الْقَصْرِ، فَيَتَقَدَّمُهُ الْوَزِيرُ كَمَا سَرَّحْنَا<sup>٤</sup>. ثُمَّ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ الْعِيدِ فَيَجْلِسُ فِي الشُّبَّاكِ وَقَدْ نُصِبَ مِنْهُ إِلَى فَسْتَقِيهِ كَانَتْ فِي وَسَطِ الْإِيوَانِ (ع)، بِمِقْدَارِ عَشْرِينَ قَصَبَةً سِمَاطٍ مِنَ الْحُشْكَنَانِ وَالْبَسَنْدُودِ وَالْبَرِّمَاوَزْدِ مِثْلَ الْجَبَلِ الشَّاهِقِ، وَفِيهِ الْقِطْعَةُ وَزْنُهَا مِنْ رُبْعِ قَنْطَارٍ إِلَى رطل. فَيَدْخُلُ ذَلِكَ الْجَمْعَ إِلَيْهِ، وَيُفْطِرُ مِنْهُ

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : من . (c) زيادة من المسودة . (d) المسودة : ثم يلبث لبثة يسيرة . (e) المسودة : الفسقية التي كانت في وسط الإيوان .

<sup>١</sup> قاضي القضاة الأعز أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن ابن أحمد بن أبي عقيل تولى القضاء في المحرم سنة ٥٣١ إلى حين وفاته في شعبان سنة ٥٣٣. (ابن ظافر: أخبار: ١٠١) ابن ميسر: أخبار: ١٢٨، ١٣١ المقرئ: المقفى: ٤٩١:١ واتعاظ: ٣: ١٧٢ ابن حجر: رفع الإصر: ٥٩ - ٦٠.

<sup>٢</sup> القاضي الأعز أبو محمد الحسن بن علي بن سلامة المعروف بابن العوريس، تولى القضاء في شهر ربيع الأول سنة ٥٥٩ عوضًا عن أبي القاسم هبة الله المعروف بالقاضي

المفضل ضياء الدين بن أبي كامل. (المقرئ: اتعاظ: ٣: ٢٧٨ ابن حجر: رفع الإصر: ١٢٨ - ١٢٩ السيوطي: حسن المحاضرة: ٢: ١٥٣).

<sup>٣</sup> انظر نص عدة خطب للأمر بأحكام الله في عيد الفطر عند عماد الدين إدريس: عيون الأخبار: ٧: ٢٢٣ - ٢٣١.

<sup>٤</sup> انظر فيما تقدم ٤٧٦: ١-٥، وقد أورد المقرئ بعد ذلك في المسودة ما سبق شرحه.



من يُقَطِر ، وَيَنْقَلِ مِنْهُ مِنْ يَنْقَلِ ، وَيُبَاحُ وَلَا يُحَجَّرُ عَلَيْهِ ، وَلَا مَانِعٌ دُونَهُ . فَيَمُرُّ ذَلِكَ بِأَيْدِي النَّاسِ ،  
وَلَيْسَ هُوَ مِمَّا يُعْتَدُّ بِهِ وَلَا يُغْنِي عَمَّا<sup>(a)</sup> يَفْرُقُ لِلنَّاسِ وَيُحْمَلُ إِلَى دَوْرِهِمْ . وَيُعْمَلُ فِي هَذَا الْيَوْمِ سِمَاطٌ  
مِنَ الطَّعَامِ فِي الْقَاعَةِ - يَعْنِي قَاعَةَ الذَّهَبِ<sup>(b)</sup> يَحْضُرُ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ .

فَإِذَا انْقَضَى ذُو الْقَعْدَةِ ، وَهَلَّ هَيْلَالُ ذِي الْحِجَّةِ ، اهْتَمَّ بِرُكُوبِ عِيدِ النَّخْرِ فَيَجْرِي حَالَهُ كَمَا  
جَرَى فِي عِيدِ الْفِطْرِ مِنَ الرِّزِيِّ وَالرُّكُوبِ إِلَى الْمُصَلَّى ، وَيَكُونُ لِيَأْسُ الْخَلِيفَةِ فِيهِ الْأَحْمَرُ الْمَوْشَحُ ،  
وَلَا يَنْحَرَمُ مِنْهُ شَيْءٌ<sup>١</sup> . انتهى .

وَصَعِدَ مَرَّةً الْخَلِيفَةُ الْحَافِظُ لِدِينِ اللَّهِ أَبُو الْمَيْمُونِ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْمُنْبَرِّ يَوْمَ عِيدِ ، فَوَقَفَ الشَّرِيفُ بْنُ  
أَنْسِ الدَّوْلَةَ بِإِزَائِهِ ، وَقَالَ مُشِيرًا إِلَى الْحَاضِرِينَ :

[الطويل]

حُشُوعًا فَإِنَّ اللَّهَ هَذَا مَقَامُهُ      وَهَمْسًا فَهَذَا وَجْهُهُ وَكَلَامُهُ  
وَهَذَا الَّذِي فِي كُلِّ وَقْتٍ بُرُوزُهُ      تَحْيَاتُهُ مِنْ رَبِّنَا وَسَلَامُهُ

فَضْرَبَ الْحَافِظُ الْجَانِبَ الْأَيْسَرَ مِنَ الْمُنْبَرِّ ، فَرَقَى إِلَيْهِ زِمَامَ الْقَصْرِ ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ لِلشَّرِيفِ  
حَسْبُكَ قَضَيْتُ حَاجَتَكَ ، وَلَمْ يَدَعِهِ يَقُولُ شَيْئًا آخَرَ .

وَكَانَتْ تُكْتَبُ الْمَخْلَقَاتُ<sup>٢</sup> بِرُكُوبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَصَلَاةِ الْعِيدِ ، وَيُنْعَثُ بِهَا إِلَى الْأَعْمَالِ . فَمِمَّا  
كُتِبَ بِهِ مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ الصَّيْرِفِيِّ :

« أَمَا بَعْدَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِمَادَ الْإِيمَانِ وَثَبَّتْ  
قَوَاعِدَهُ ، وَأَعَزَّ بِخِلَافَتِهِ مُعْتَقِدَهُ وَأَذَلَّ بِمَهَابَتِهِ مُعَانِدَهُ ، وَأَظْهَرَ مِنْ نُورِهِ مَا  
انْبَسَطَ فِي الْآفَاقِ وَزَالَ مَعَهُ الْإِظْلَامُ ، وَنَسَخَ بِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَلَلِ فَقَالَ :  
﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [الآية ١٩ سورة آل عمران] ، وَجَعَلَ الْمُعْتَصِمَ بِحَبْلِهِ  
مَفْضَلًا عَلَى مَنْ يُفَاخِرُهُ وَيُيَاهِيهِ ، وَأَوْجَبَ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَخُلُودَهَا لِمَنْ عَمِلَ  
بِأَوَامِرِهِ وَتَوَاهَى بِهِ .

(a) بولاق : ولا يعب مما . (b) زيادة من المسودة .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٧٦-١٨٣؛ المقرئزي :  
<sup>٢</sup> عن المخلقات انظر فيما تقدم ٤٣٦ .



وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ الَّذِي اصْطَفَى لَهُ الدِّينَ ، وَبَعَثَهُ إِلَى الْأَقْرَبِينَ وَالْأَبْعَدِينَ ، وَأَيَّدَهُ فِي الْإِرْشَادِ حَتَّى صَارَ الْعَاصِي مُطِيعًا ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي التَّوْحِيدِ فُرَادَى وَجَمِيعًا ، وَغَدَوْا بِغُرُوتِهِ الْوُثْقَى مُتَمَسِّكِينَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَيْمًا مِثْلَ مِثْلَةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الآية ١٦١ سورة الأنعام] . وَعَلَى أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ أَيْنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِمَامِ الْأُمَّةِ ، وَكَاشِفِ الْعُمَّةِ ، وَأَوْجِهِ الشُّفَعَاءِ لِشِيعَتِهِ يَوْمَ الْعَرْضِ ، وَمَنِ الْإِخْلَاصِ فِي وِلَايَتِهِ قِيَامٌ بِحَقِّ وَأَدَاءٌ فَرَضٍ ، وَعَلَى الْأَثَمَةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهَا سَادَةِ الْبَرِّيَّةِ ، وَالْعَادِلِينَ فِي الْقَضِيَّةِ ، وَالْعَامِلِينَ بِالسِّيَرَةِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَسَلَّمٌ وَكَرَمٌ ، وَشَرَفٌ وَعَظَمٌ .

١٠ وَكِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا إِلَيْكَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ عِيدَ الْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قِيَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِحَقِّهِ وَأَدَائِهِ ، وَجَزِيهِ فِي ذَلِكَ عَلَى عَادَتِهِ وَعَادَةِ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ آبَائِهِ ، مَا يُنْبِئُكَ بِهِ ، وَيُطْلِعُكَ عَلَى مَسْتَوْرِهِ عِنْدَكَ وَمُغَيَّبِهِ . وَذَلِكَ أَنْ دُنِسَ ثَوْبُ اللَّيْلِ لَمَّا يَبِضُّهُ الصُّبْحُ ، وَعَادَ الْحَرَّمَ الْمَحْظُورَ بِمَا أُطْلِقَهُ الْحَلَّلُ الْمُبَاحُ ، تَوَجَّهَتْ عَسَاكِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَظَانِّهَا إِلَى بَابِهِ ، وَأَفْطَرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْدَ مَا حَازَتْهُ مِنْ أَجْرِ الصِّيَامِ وَثَوَابِهِ .

١٥ ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى مَصَافِهَا فِي الْهَيْئَاتِ الَّتِي يَقْصُرُ عَنْهَا تَجْوِيدُ الصُّفَاتِ ، وَتُغْنِي مَهَابَتُهَا عَنْ تَجْرِيدِ الْمُرْهَفَاتِ ، وَتَشْهَدُ أَسْلِحَتُهَا وَعُدَدُهَا بِالتَّنَافُسِ فِي الْهِمَمِ ، وَتُعَلِّقُ مَوَاضِيهَا فِي أَعْمَادِهَا شَوْقًا إِلَى الْمُطْلَى وَالْقَمَمِ . وَقَدْ امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ بِازْدِحَامِ الرَّجُلِ وَالْحَيْلِ ، وَثَارَ الْعَجَاجُ فَلَمْ يُرْ أَعْرَبُ مِنْ اجْتِمَاعِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ .

٢٠ وَبَرَزَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قُصُورِهِ ، وَظَهَرَ لِلْأَبْصَارِ عَلَى أَنَّهُ مُحْتَجِبٌ بِضِيَائِهِ وَثَوْرِهِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمُصَلَّى فِي هَدْيِ جَدِّهِ وَأَبِيهِ ، وَالْوَقَارِ الَّذِي اِرْتَفَعَ فِيهِ عَنِ النَّظِيرِ وَالشَّبِيهِ . وَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ قَصَدَ الْحِرَابَ وَاسْتَقْبَلَهُ ، وَأَدَّى الصَّلَاةَ عَلَى وَضْعِ رَضِيئِهِ اللهُ وَتَقَبَّلَهُ ، وَأَجْرَى أَمْرَهَا عَلَى أَفْضَلِ الْمَعْهُودِ ، وَوَفَّاهَا حَقَّهَا مِنْ الْقِرَاءَةِ وَالتَّكْبِيرِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ .



وانتهى إلى المنبر فعلاً وكبراً/ الله ، وهلله على ما أولاه ، وذَكَرَ الثَّوَابَ  
على إخراج الفِطْرَةَ وبَشَّرَ به ، وأنَّ المسارعة إليه من وسائل المحافظة على الخير  
وقُزِّبه ، ووَعَّظَ وَعَظًّا يَنْتَفِعُ قَابِلُهُ في عاجلته ومُنْقَلِبِهِ . ثم عادَ إلى قُصُورِهِ  
الزَّاهِرَةِ ، مَشْمُولًا بِالرِّقَايَةِ ، مَكْنُوفًا بِالكَفَايَةِ ، مُنْتَهِيًا في إرشاد عبيده ورعاياه  
أَقْصَى الغَايَةِ .

أَعْلَمَكَ أمير المؤمنين خَبَرَ هذا اليوم لتَعْلَمَ منه ما تَسْكُنُ إليه ، وتُغْلِنُ  
بِتِلَاوَتِهِ على الكافَّة ليشتركوأ في مَعْرِفَتِهِ وَيَشْكُرُوا الله عليه فاعلَمَ هذا ،  
واعْمَلْ به إن شاء الله .

وكان من أهل بَرَقَةَ طائفة تُعْرَفُ بـ « صِبْيَانِ الخُفِّ » ، لها إقطاعاتٌ وجراياتٌ وكُسُواتٌ  
ورُسُومٌ . فإذا رَكِبَ الخَلِيفَةُ في العيدين مَدُّوا حَبْلَيْنِ مَسْطُوحَيْنِ من أعلى باب النَّصْرِ إلى  
الأرض : حَبْلًا عن يمين الباب ، وحَبْلًا عن شماله . فإذا عادَ الخَلِيفَةُ من المَصَلَّى ، نَزَلَ على  
الحبلين طائفةً من هؤلاء على أشكال خَيْلٍ من خَشَبٍ مَدَّهون ، وفي أيديهم راياتٌ ، وخَلَفَ  
كُلُّ واحدٍ منهم رديف ، وتحت رِجْلَيْهِ آخر مُعَلَّقٌ بيديه ورجليته . ويعملون أعمالاً تُذْهِلُ  
العُقُولَ .

ويركب منهم جماعةٌ في المَوْكِبِ على خِيُولٍ ، فَيَزُكُّضُونَ وهم يَتَّقَلَّبُونَ عليها ، وَيَخْرُجُ  
الواحدُ منهم من تَحْتِ إبْطِ الفَرَسِ وهو يَزُكُّضُ ، ويعود يَزُكُّبُ من الجانب الآخر ، ويعود وهو  
على حاله لا يَتَوَقَّفُ ، ولا يَسْقُطُ منه شيءٌ إلى الأرض ، ومنهم من يَقِفُ على ظَهْرِ الحِصَانِ  
فَيَزُكُّضُ به وهو واقِفٌ<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> هذه إشارة نادرة إلى محترفي الألعاب البهلوانية في العصر الفاطمي ، وإن لم يُحدِّد لنا المقرئ المصنوع الذي نقل عنه هذه  
المعلومات ، وانظر فيما تقدم ٤٨٨ ؛ وفيما يلي ٥٥٦ (البختيارية) .



## ذكر القصر الصغير الغربي

وكان تجاة القصر الكبير الشرقي - الذي تقدم ذكره - في غربيه ، قصر آخر صغير يُعرف بـ « القصر الغربي »<sup>١</sup> . ومكانه الآن حيث المارستان المنصوري وما في صفه من المدارس ، ودار الأمير يتسري ، وباب قبو الخرنشف ، ورُبِع الملك الكامل المُطلّ على سوق الدجاجين اليوم - المعروف قديماً بالتبّانين - وما يُجاوره من الدّرب المعروف اليوم بدّرب الحُضيري تجاه الجامع الأقمّر ، وما وراء هذه الأماكن إلى الخليج<sup>٢</sup> .

وكان هذا القصر الغربي يُعرف أيضاً بـ « قصر البحر » ، والذي بناه العزيز بالله نزار بن المعز قال المسبّحي : ولم يُبن مثله في شرق ولا في غرب<sup>٣</sup> .

وقال ابن أبي طيّ في « تاريخ حلب »<sup>(a)</sup> : أخبار سنة سبع وخمسين وأربع مائة : ففيها تمّ الخليفة المُستنصر<sup>(b)</sup> بناء القصر الغربي وسكّنه ، وعزّم عليه ألف دينار ، وكان ابتداء بُنيانه في سنة خمسين وأربع مائة . وكان سبب بنائه أنه عزّم<sup>(c)</sup> على أن يجعله منزلاً للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد ، ويجمع بني العبّاس إليه ، ويجعله كالمجلس لهم . فخانه أمّله ، وتمّمه في هذه السنة ، وجعله لنفسه وسكّنه<sup>٤</sup> .

وقال ابن ميسر : إن بيت الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم ، وإن والدها العزيز بالله كان قد أفردها بسكنى القصر الغربي ، وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون بـ « القصريّة »<sup>٥</sup> . وهذا يدلّك على أن القصر الغربي كان قد بُني قبل المُستنصر وهو الصّحيح ، وكان هذا القصر يشتمل أيضاً على عدّة أماكن .

(a) زيادة من المسودة . (b) المسودة : صاحب مصر . (c) المسودة : عوّل .

<sup>١</sup> عن القصر الفاطمي الغربي الصغير انظر Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de L'Égypte*, pp. 300-22. وفيات الأعيان ٥: ٣٧٢ ، أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤: ١١٣ .

<sup>٢</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ٥٢ ، ١٢٧ ، وفيما تقدم ٦: ٢٤٧ .

<sup>٣</sup> نفسه ، ١٢٧ ، وحدد أنه ذكر ذلك في ترجمة بيت المسبّحي : نصوص ضائعة ١٧ ، وقارن : ابن خلكان : الملك ، وقارن مع ابن ميسر : أخبار ١٧٣ .



## الميدان

كان بجوار القصر الغربي ومن حقوقه الميدان، ويعرف هذا الميدان اليوم بالخرنشف وإسطنبول القطبية<sup>١</sup>.

## البستان الكافوري

وكان من حقوق القصر الصغير الغربي البستان الكافوري، وكان بستاناً أنشأه الأمير أبو بكر محمد بن طنج بن جف الإخشيد أمير مصر، وكان مطلقاً على الخليج، فاعتنى به الإخشيد وجعل له أبواباً من حديد، وكان ينزل به ويقيم فيه الأيام. واهتم بشأنه من بعد الإخشيد ابنه الأمير أبو القاسم أونوجور بن الإخشيد، والأمير أبو الحسن علي بن الإخشيد في أيام إمارتهما بعد أيهما. (أفلماً استبد من بعدهما<sup>٢</sup>) الأستاذ أبو الميثك كافر الإخشيدي بإمارة مصر، كان كثيراً ما يتنزه به، ويواصل الركوب إلى الميدان الذي كان فيه، وكانت خيوله بهذا الميدان. فلماً قدم القائد جوهري من المغرب بجيوش مؤلاه المعز لدين الله لأخذ ديار مصر، أتاخ بجوار هذا البستان وجعله من جملة القاهرة.

وكان متنزهها للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم، وكانوا يتوصلون إليه من «سراديب مبنية تحت الأرض»، ينزلون إليها من القصر الكبير الشرقي، ويسرون فيها بالدواب إلى البستان الكافوري ومناظر اللؤلؤة بحيث لا تراهم الأعين.

وما زال البستان عامراً إلى أن زالت الدولة فحكرك، وبني فيه في سنة إحدى وخمسين وست مائة، كما يأتي ذكره إن شاء الله، عند ذكر الحارات والخطط من هذا الكتاب<sup>٣</sup>.

وأما الأقباء والسراديب فإنها عملت أسرية للمراجيح<sup>٣</sup>، وهي باقية إلى يومنا هذا تصب في الخليج.

(a-a) ساقطة من ظ.

Zaki Pacha, Ahmad, «Les الأقباء والسراديب راجع، BIE 5<sup>e</sup> série = VI (1912), pp. 1-10, 195-97; Fu'ad Sayyid, A.,

<sup>١</sup> المقريري: مسودة المواعظ ١٣١ وفيما يلي ٢: ١٩٧.

<sup>٢</sup> نفسه ١٣١، ٣٥٩، وفيما يلي ٢: ٢٥.

<sup>٣</sup> المقريري: مسودة المواعظ ٣٢٨-٣٢٩، وعن هذه



- ١ كانت للخلفاء الفاطميين ممرات من تحت الأرض معقودة عُقودًا مُحَكَمَةً ليسيروا فيها رُكبانًا من القصر إلى الميدان والبشتان الكافوري ومنظرة اللؤلؤة وغيرها. فلما زالت الدولة الفاطمية هُجرت المسارب فتركت. وكان من جملة ما أُخِذ في الدولة التركية من جهات المكوس التي استجدها على الناس الوزير الفائزي<sup>٢</sup> في سلطنة الملك المعز أئيك التركماني أول ملك من ملوك الترك بمصر، ضرائب مقررّة في ديوان السلطان على كسح المراحيض تُعرف بمقرر المشاعلية<sup>٣</sup>.
- ٥ فلما رآك الملك الناصر محمد بن قلاوون الديار المصرية في سنة خمس عشرة وسبع مائة، أُبطل عدة مكوس منها «مكس الأشرية»<sup>٤</sup>: وقد سلطت مراحيض المارستان المنصوري والجامع الحاكيمي وغيره من المسامط والمسالح وغيرها على الأشرية التي كانت ممرًا للخلفاء وصارت تخرج من الأشرية إلى الخليج الكبير الذي تُسميه العامة «الخليج الحاكيمي».
- ١٠ قال ابن الطوير عن الخلفاء الفاطميين: وكان من قضاياهم أنه لا سبيل أن يركب أحد في القصر سوى الخليفة ولا ينصرف ليلاً ولا نهارًا إلا كذلك، وله في الليل شدادات من النسوة يخدمن البغلات والحمير الإناث للجواز في السراييب القصيرة الأقباء، والطلوع على الزلاقات إلى أعالي المناظر والمساكن<sup>٥</sup>.
- وقال ابن عبد الظاهر: وكان للخلفاء تحت الأرض مكان يركبون من القصر إلى الميدان منه، ولما بُنيت المدارس الصالحية رأيتها<sup>٦</sup>، وهو مكان واسع كبير وجعل مضرًا لما يخرج من المياه وغيرها من المدارس<sup>٧</sup>.

(a) عند ابن عبد الظاهر: رأيت أنا هذا المكان.

op. cit., pp. 215-17. =

الماليك ١: ٦٨، ١٦٣، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة  
٥٨:٧.

٣ مقرر المشاعلية: هو ما يجب لهم على تنظيف  
الشرايات التي في البيوت والحمامات والمسامط وغيرها مما يلي  
مجراها (فيما يلي بعد أسطر).

٤ فيما تقدم ١: ٢٤١.

٥ ابن الطوير: نزهة المقتنين ٢١٠، وفيما تقدم ٢٩٢-٢٩٣.

٦ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٦٢، المقريري:

مسودة المواعظ ٣٥٨.

١ وردت النصوص التالية حتى نهاية ص ٤٩٨ في  
مسودة المواعظ والاعتبار ٣٢٨-٣٣٠ تحت عنوان «أشرية  
القاهرة» وهي غير موجودة في الإصدار الأخير للمواعظ  
والاعتبار. وقد رأيت أن أثبتها هنا لاتصالها بموضوع تحويل  
الأقية والسراييب التي كانت تربط القصر الفاطمي الشرقي  
بالبشتان الكافوري، إلى أشرية للقاهرة.

٢ الوزير صاحب الأسعد شرف الدين أبو سعيد هبة الله  
ابن صاعد الفائزي المتوفى سنة ٦٥٥ هـ. (المقريري: السلوك  
١: ٤٠٦-٤٠٧، العيني: عقد الجمان - عصر سلاطين



وقال في « السيرة الناصرية » ، وقد ذكر ما أبطله الناصر من المكوس عندما عمل الروك في سنة خمس عشرة وسبع مائة : وأيضاً مقرر المشاعلية ، وهو ما لهم على تنظيف الشرايات التي في البيوت والحمامات والمساميط وغيرها مما يجري في مجراها . وكان إذا امتلأ سرب في مكان ، حتى في المدارس والخوانق والمساجد ، لا يمكن أن يتصرف في شيله إلا بحضور أحد من جهة ضامن الجهة ليقول عليه <sup>١</sup> . فإذا حضر أحد من جهة الضامن قدر في أجرة شيله ما يجب ويختار بحسب ما يراه ، فإن لم يوافق صاحب المكان فارقه <sup>(a)</sup> وترك السرب مملوئاً حتى يحتاج إلى مساءلته ويتذلل له ما طلب ، فأبطل ذلك السلطان .

ونودي بأن لا يمكن مشاعلي من عمل شيء من ذلك فانفرج الناس في أمرهم وصاروا يرفعون أسريتهم إلى الكيمان من غير حجة عليهم فيها ولا زيادة كلفة من ضريبة سلطانية تؤخذ منهم على ذلك وكانوا في غمة من ذلك المكس ، واستمر إبطال هذه الجهة حتى بطلت والله الحمد . ولقد سمعت من غير طريق أن السرب الذي بمئذنة الجامع الحاكمي مما يلي باب الفتوح نزل فيه شخص فانتهى به المسير في مكان متسع ، إلى أن سمع قزع يعال الخيل بعثة باب النصر ولم ينته إلى آخره فغلب عليه الوهم ورجع .

وسمعنا مشايخ من أدركنا يقولون : إن هذا السرب ينتهي بسالكه إلى الجبل الأحمر . وانحسف مرة مكان من الشوارع المسلوكة فيه تجاه قبو الخرنشف فزني منه سرب كبير ثم عمد الناس إليه فسدوه ، وكذلك بخارج باب زويلة سرب عظيم قد سلط عليه ما هنالك من الأشرطة التي للمساميط والجوامع وغيرها . وأخبرني من تولى الإشراف على كشحه أنه نزل إليه الفعلة لتخليص ما سد الماء عن المرور فيه وأنه وجد في غاية الكبر والسعة ، فلما فتح السد مر ما كان محبوباً هنالك كالسيل العظيم . وهذا السرب ينتهي إلى الخليج أيضاً وعهدت قديماً ، أيام كان الماء قريباً من بر القاهرة ، قبل أن يتحسر عن ما هو الآن من الرمال ، إذا جاءت زيادة النيل في سنة كبيرة وكان نيلاً عالياً ، أن البلايع التي خارج باب زويلة تطف حتى تفيض على الطرقات <sup>٢</sup> .

(a) خزينة : وإلا فارقه .

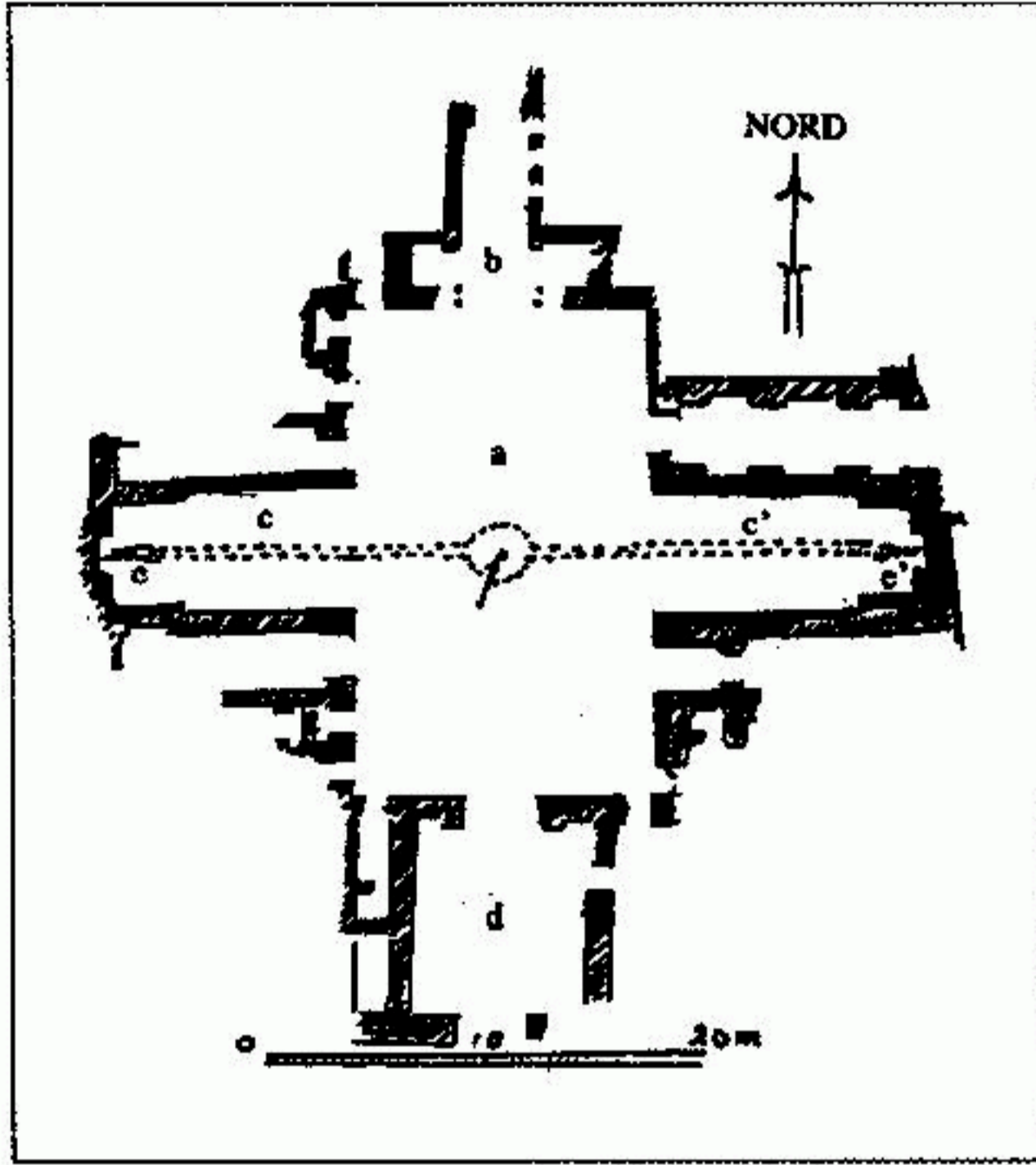
<sup>٢</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ٣٢٨ - ٣٣٠ .

<sup>١</sup> المقرئزي : السلوك ٢ : ١٥٢ .



## القاعة

وكان من جملة القصر الغربي قاعة كبيرة - هي الآن المارستان المنصوري حيث المرصعي - كانت سكن سِتِّ الملك أخت الحاكم بأمر الله<sup>١</sup> وكانت أحوالها مُتَّسِعة جدًا.



مُحَطَّط قاعة سِتِّ المُلْك ( عن Gabriel )

قال في كتاب «الدخائر والتُّحف»: وأهدت/ السَّيِّدة الشَّريفة سِتِّ المُلْك<sup>(a)</sup> أخت الحاكم بأمر الله إلى أخيها في<sup>(a)</sup> يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سَبْعٍ وثمانين وثلاث مائة، هدايا من جُمَلَتِها ثلاثون فرَسًا بمراكبها ذَهَبًا، منها مَرَكِبٌ واحِدٌ<sup>(b)</sup> مُرْصَعٌ ومَرَكِبٌ من حَجَرِ البِلُّور، وعشرون بَغْلَةً بِسُروجِها ولُجْمِها، وخمسون خادِمًا منهم عشرة صَقالِيَّة، ومائة تَخْت من أنواع الثَّياب وفاخِرِها، وتاج مُرْصَعٌ بِنَفِيسِ الجَوْهَرِ وبَدِيعِها،

٤٥٨:١

(a) ساقطة من بولاق . (b) نهاية نسخة الظاهرية (ذ).

كل جنب من جوانبه «رواق» ذو ثلاث فتحات تختلف في الضيق والسعة، فالفتحة الوسطى أوسع من الفتحتين الجانبيتين ويفصلها عنهما كتفان مبنيان بالآجر، ويتراوح عرض هذا الرواق بين متر وثمانين سم ومترين. وفي سمت الرواق «القاعة»، وهي قاعة كبيرة مستطيلة وتكتنفها من جانبها حجرتان صغيرتان منعزلتان عنها. وفي الجوانب الثلاثة الأخرى من الصُّخْن - في محور كل جانب - «أواوين» تختلف في الامتداد إلى الداخل. وأطلق الباحثون على هذا =

<sup>١</sup> حُفِظَت لنا بقايا هذه القاعة بسبب اتصالها بمجموعة قلاوون الأثرية، قبة ومدرسة ومارستان، (فيما يلي ٣٧٩:٢-٣٨٢، ٤٠٦). ففي خلال الحفائر التي قام بها هرتس باشا في مطلع القرن العشرين في المارستان المنصوري كشفت قاعة ست الملك، الأمر الذي مكن بعد ذلك كلاً من ألبير جابرييل وإدموند بوتلي من إعادة بناء التخطيط الأصلي لهذه القاعة التي تتكون من نظام هندسي قائم على محورين متعامدين يلتقيان في وسط «صُخْن» مكشوف مستطيل، في



وشاشية مُرَصَّعة ، وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه ، وبُشتان من الفضة مزروع من أنواع الشجر<sup>١</sup> .

قال : وخلفت [السيدة ست مصر بنت الحاكم بأمر الله]<sup>(a)</sup> حين ماتت ، في مستهل جمادى الآخرة من سنة خمس وخمسين<sup>(b)</sup> وأربع مائة ، ما لا يُحصى كثرة ، وكان إقطاعها في كل سنة يُغل خمس مائة دينار ، ووُجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف جارية ،<sup>(c)</sup> منها بُنَيَات ألف وخمس مائة<sup>(d)</sup> . وكانت سَمْحَةً نَبِيلَةً كَرِيمَةً الأخلاق والفِعل . وكان في جُملة مَوجودها نيف وثلاثون زِيْرًا صينيًّا مملوءًا جميعها مسكًا مسحوقًا ، ووُجد لها جوهر نفيس من جملته قِطْعَةٌ يَقُوتُ ذِكْرُ أَنْ فيها عشرة مثاقيل<sup>٢</sup> .

قال المسبّحي : وُلِدَتْ بالمغرب في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وثلاث مائة<sup>(d)</sup> .

ولما زالت الدَّوْلَةُ عُرِفَتْ هذه الدار بالأمير فخر الدين جهاز كس ثم<sup>(e)</sup> مؤسك ثم<sup>(f)</sup> الملك المُفضَّل قُطب الدين<sup>(f)</sup> ابن الملك العادل .

فلما كان في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاثٍ وثمانين وست مائة ، شرع الملك المنصور قلاوون الألفي في بنائها مارستانًا ومدرسةً وثُربَةً ، وتولَّى عِمَارَتَهَا الأميرُ عَلَمُ الدين سِنَجِر الشُّجَاعِي مُدَبِّرُ الممالك<sup>٣</sup> . ويُقال : إنَّ ذَرَعَ هذه الدار عشرة آلاف وست مائة ذراع .

(a) زيادة من الذخائر والتحف . (b) في جميع النسخ : وعشرين ، والتصويب من الذخائر . (c-c) هذه العبارة ساقطة من الذخائر . (d) بولاق : سنة خمس وثلاث مائة . (e) ثم : ساقطة من بولاق . (f) هكذا بياض في جميع النسخ .

(A., op.cit., pp. 306-11 .

<sup>١</sup> الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٦٨ .

<sup>٢</sup> نفسه ٢٤٠ .

<sup>٣</sup> انظر فيما يلي ٣٧٩:٢-٣٨٢ ، ٤٠٦-٤٠٨ .

=العنصر The T-Plan أي المخطط على شكل الحرف T .  
(راجع Gabriel, A., *Les fouilles d'al-Fustat et les origines de la maison arabe en Égypte*, Paris 1927, pp. 64-68; Pauty, Ed., *Les palais et les maisons d'époque musulmane au Caire*, MIFAO LXII, 1932, pp. 64-68; Fu'ad Sayyid,



## أبواب القصر الغزني

كان لهذا القصر عدة أبواب : منها باب الساباط ، وباب التبانين ، وباب الزمرد<sup>١</sup> .

### باب الساباط

هذا الباب موضعه الآن باب سير المارستان المنصوري الذي يُخرج منه الآن إلى الخرنشف وكان من الرسم أن يذبح في باب الساباط المذكور مدة أيام النحر وفي عيد الغدير ، عدة ذبائح تُفَرَّق على سبيل الشرف .

قال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمس مائة : ومجمل ما نَحَرَه الخليفة الأمير بأحكام الله وذبحه خاصة في المنحَر وباب الساباط دون الأجل - يعني المأمون وأولاده وإخوته - في الثلاثة الأيام ألف وسبع مائة وست وأربعون رأساً ، فذكر ما كان بالمنحَر .

قال : وفي باب الساباط ، مما يُحتمل إلى مَنْ حَوَّته القصور وإلى دار الوزارة والأصحاب والحواشي ، اثنتا عشرة ناقة ، وثمانية عشر رأس بقر ، وخمسة عشر رأس جاموس ، ومن الكباش ألف وثمان مائة رأس ويُتصدَّق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يُذبح من الثوق والبقر<sup>٢</sup> .

وقال ابن عبد الظاهر : كان في القصر باب يُعرف باب الساباط ، كان الخليفة في العيد يخرج منه إلى الميدان - وهو الخرنشف الآن - ليتنحر فيه الضحايا<sup>٣</sup> .

### باب التبانين

هذا الباب مكان باب الخرنشف الآن ، ويجعل في موضعه دار العلم التي بناها الحاكم ، الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى .

### باب الزمرد

كان موضع إسطنبول القطبية قريباً من باب البستان الكافوري الموجود الآن<sup>٤</sup> .

<sup>١</sup> راجع ، Fu'ād Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 303-5 . <sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٠٢ ؛ وفيما يلي

<sup>٣</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٤١ ، ٤٢ ؛ المقرئ : مسودة ٨٠ : ٢ .

<sup>٤</sup> وانظر فيما يلي ٥٣١ باب رابع للقصر الصغير = المواعظ ١٧٨-١٧٩ ، وفيما تقدم ٤٣٣ .



## ذكر دار العلم

وكان بجوار القصر الغربي من بحريه دار العلم ، ويُدخَل إليها من باب التبانين - الذي هو الآن يُعرف بقبة الخرنشُف - وصار مكان دار العلم الآن الدارُ المعروفة بدار الخُضيري ، الكائنة بدرب الخُضيري المقابل للجامع الأقرم . ودارُ العلم هذه اتخذها الحاكمُ بأمر الله <sup>١</sup> ، فاستمرت إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش <sup>٢</sup> .

قال الأمير المختار عز الملك مُحَمَّد بن عبيد الله <sup>(a)</sup> بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز <sup>(a)</sup> المسبُحي <sup>(a)</sup> في تاريخه الكبير ومنه نقلتُ من الجزء الرابع والثلاثين ما نصه <sup>(a)</sup> : وفي يوم السبت هذا - يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاث مائة - فتحت الدارُ الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة ، وجلس فيها الفقهاء ، ومجئ الكُتب إليها من خزائن الفقهاء المعمورة . ودخل الناس إليها ، ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسَه ، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها . وجلس فيها القراء والفقهاء <sup>(b)</sup> والمتجُمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء ، بعد أن فرشت هذه الدار وزُخرقت ، وعُلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور ، وأقيم قوامٌ وخدماءٌ وفراشون وغيرهم وسُموا بخدمتها .

وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ، من الكُتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ، ما لم يُر مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك ، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يُؤثر قراءة الكُتب والنظر فيها . فكان ذلك من المحاسن الماثورة أيضاً التي لم يُسمع بمثلها ، من إجراء الرزق السنِّي لمن رُسم له بالجلوس فيها والخدمة لها ، من فقيه وغيره . وحضرها الناس على طبقاتهم : فمنهم من يحضر لقراءة الكُتب ،

(a-a) زيادة من المسودة . (b) ساقطة من بولاق .

Institutions under the Fatimids» in *The Fatimids and their Traditions of Learning*, London 1997, pp. 71-93; Walker, P., «Fatimid Institutions of Learning», *JARCE* 34 (1997), pp. 179-200  
فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ٥٨٣ - ٥٩٠ .

<sup>٢</sup> انظر فيما تقدم ٤٦٠ - ٤٦١ .

<sup>١</sup> عن دار العلم ودورها الثقافي راجع ، Eche, Y., *Les bibliothèques arabes publiques et semi - publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Égypte au Moyen - Age*, Damas 1967, pp. 74-97; Halm, H., «Al-Hakim's House of Knowledge and Scientific

= هو «باب مُراد» .



ومنهم من يحضر للتشخ، ومنهم من يحضر للتعلم، ويجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر. وهي الدار المعروفة بمختار الصقلي<sup>١</sup>.

قال: وفي سنة ثلاث وأربع مائة، أخصر جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق، وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغني بن سعيد<sup>٢</sup>، وجماعة من الأطباء، إلى حضرة الحاكم بأمر الله، وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه، ثم خلع على الجميع ووصلهم<sup>٣</sup>.  
ووقف الحاكم بأمر الله أماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع، وضمنها كتابًا ثبت على قاضي القضاة مالك بن سعيد - وقد ذكر عند ذكر الجامع الأزهر - وقال فيه وقد ذكر دار العلم:

« ويكون العشر وثمان العشر لدار الحكمة، لما يحتاج إليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون دينارًا. من ذلك ثمن الحضر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير، ومن ذلك لورق الكاتب - يعني الناسخ - تسعون دينارًا، ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون دينارًا، ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر دينارًا، ومن ذلك للفراش خمسة عشر دينارًا، ومن ذلك للورق والحبر والأقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر دينارًا، ومن ذلك لمرمة الستارة دينارًا واحد، ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر دينارًا، ومن ذلك لثمن لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير، ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنانير ».

١ المسبحي: نصوص ضائعة ٢٢؛ المقريري: مسودة المواظ ٣٠٠-٣٠١؛ واتعاظ الحنفا ٢: ٥٦.  
٢ الحافظ أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي الأزدي المصري محدث وفقه مصري لم يكن بعد الدارقطني أحفظ منه، استتر بعد أن قتل الحاكم زميليه في دار الحكمة: ابن أبي أسامة جنادة اللغوي وأبو علي المقرئ الأنطاكي، وظل مختلفًا حتى ظهر له الأمن، وتوفي سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م وكانت له جنازة عظيمة بالفسطاط (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٢٢٣-٢٢٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٧: ٢٦٨-٢٧٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات

Bianquis, Th., «Abd al-Ghanî Ibn Sa'îd, un savant sunnite au service des Fatimides» dans *Actes du XXIX<sup>e</sup> Congrès International des Orientalistes. Études arabes et islamiques, I-Histoire et Civilisation, Paris 1975, (I, pp. 39-47*  
٣ المسبحي: نصوص ضائعة ٢٢؛ المقريري: مسودة المواظ ٣٠١، واتعاظ الحنفا ٢: ٥٧، وفيما يلي ٢: ٢٨.  
٤ فيما يلي ٢: ٢٧٣-٢٧٥، وابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٤٣-١٥٠.



وقال ابن المأمون : في هذا الشهر - يعني شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسة مائة - جرت نوبة القصار - وهي طويلة وأولها من الأيام الأفضلية ، وكان فيهم رجلان يُسمّى أحدهما بركات ، والآخر حميد بن مكّي الإطفيحي القصار - مع جماعة يُعرفون بالبيديّة ، وهم على الإسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة ، وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة . فاعتمد بركات من جملتهم أن استفسد عقول جماعة ، وأخرجهم عن الصواب - وكان ذلك في أيام الأفضل - فأمر للوقت بعلق دار العلم والقبض على المذكور ، فهرب .

وكان في <sup>(a)</sup> جملة من استفسد عقله بركات المذكور أستاذان من القصر . فلما طلب بركات المذكور واشتر ، دقق الأستاذان الحيلة إلى أن أدخلاه عندهما في زيّ جارية اشتريها ، وقامًا بحقه وجميع ما يحتاج إليه ، وصار أهله يدخلون إليه في بعض الأوقات . فمرض بركات عند الأستاذين ، فحارا في أمره ومداواته ، وتعدّر عليهما إحصار طبيب له ، واشتدّ مرضه ومات ، فأعملا الحيلة ، وعرفا زمام القصر أن إحدى عجائزهما قد توفيت ، وأن عجائزهما يُغسلنها على عادة القصوريات <sup>(b)</sup> ويُشيعنها إلى تربة النعمان بالقرافة <sup>(c)</sup> ، وكتبا عدّة من يخرج . ففسيح لهما في العدّة ، وأخذًا في غسله ، وألبساه ما أخذاه من أهله - وهو ثياب معلّمة وشاشيّة ومنديل وطيلسان مقوّر - ودَرَجوه <sup>(c)</sup> في الدّيقى ، وتوجّه مع الثابت الأستاذان المشار إليهما . فلما قطعوا به بعض الطريق أراد تكميل الأجر له على قدر عقولهما ، فقالا للحمالين : هو رجل تربيته عندنا ، فنادوا عليه نداء الرجال واكتموا الحال ، وهذه أربعة دنانير لكم ، فسرّ الحمالون بذلك . فلما عادوا إلى صاحب الدكان عرّفوه بما جرى وقاسموه الدنانير ، فحافت نفسه ، وعلم أنّها قضية لا تخفى ، فمضى بهم إلى الوالي وشرح له القضية . فأودعهم في الاعتقال ، وأخذ الذهب منهم ، وكتب مطالعة بالحال .

فمن أوّل ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك - الذي قيل له بعد ذلك المأمون - بالقضية - وكان مدبّر الأمور في الأيام الأفضلية - قال : هو بركات المطلوب . وأمر بإحضار الأستاذين والكشف عن القضية ، وإحضار الحمالين والكشف عن القبر بحضورهم ؛ فإذا تحقّقه أمرهم

(a) بولاق : من . (b) بولاق : القصور . (c) بولاق : أدرجوه .

<sup>1</sup> هذه الإشارة الوحيدة إلى تربة النعمان بالقرافة في كتاب الخطط نقلًا عن ابن المأمون ، ولم يفردا المقرئ بمدخل مستقل عند حديثه على القرافة .



بلغته : فمن أجاب إلى ذلك منهم أطلقوه ، ومن أبى أخضروه فحققوا معرفته : فمنهم من بصق في وجهه وتبرأ منه ، ومنهم من هم بتقبيله ولم يتبرأ منه .

فجلس الأفضل واستدعى الوالي والسياف ، واستدعى من كان تحت الحوطة من أصحابه ، فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله ، وبقي من الجماعة ممن لم يتبرأ منه خمسة نفر وصبي لم يبلغ الحلم ، فأمر بضرب رقابهم ، وطلب الأستاذين فلم يقدر عليهما . وقال للصبي من لفظه : تبرأ منه وأنعم عليك وأطلق سبيلك . فقال له : الله يطالبك إن لم تلحقني بهم ، فأني مُشاهد ما هم فيه . وأخذ بسيفه على الأفضل ، فأمر بضرب عنقه<sup>(a)</sup> .

فلما توفى الأفضل أمر الخليفة الأمر بأحكام الله وزيره المأمون بن البطائحى ، باتخاذ دار العلم وفتحها على الأوضاع الشرعية .

١٠ ثم عاد حميد القصار المشنى بذكره ، وظهر ، وسكن مصر يدق الثياب بها ، ويطلع إلى دار العلم ، وأفسد عقل أستاذ وخياط وجماعة وادعى الربوبية . فحضر الداعي ابن عبد الحقيق إلى الوزير المأمون ، وعرفه بأن هذا قد تعلق<sup>(b)</sup> بطرف من علم الكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري<sup>١</sup> ، ثم انسلخ من<sup>(c)</sup> الإسلام وسلك طريق الخلاج<sup>٢</sup> في الثمويه ، / فاستهوى من ضعف عقله وقلت بصيرته ، فإن الخلاج في أول أمره كان يدعى أنه داعية المهدي ، ثم ادعى أنه المهدي ، ثم ادعى الإلهية وأن الجرن تخدمه ، وأنه أخصا عدة من الطيور .

١٥ وكان هذا القصار تنمس بالدين<sup>(d)</sup> ، وجرت له أمور في الأيام الأفضلية ، ونفي دفعة واعتقل أخرى ، ثم هرب بعد ذلك ، ثم حضر وسار يواصل طلوع الجبل ، واستصحب من استهواه من

(a) المسودة : ضرب رقبته . (b) بولاق : تعرف . (c) بولاق : عن . (d) بولاق : شيعي الدين .

٢: ٣٥٦-٣٦٠ ما كتبه المقرئ عن الأشعرية .

٢ الخلاج ، أبو المغيث الحسين بن منصور بن مخمي البيضاوي متكلم ومتصوف إسلامي عاش في القرن الثالث الهجري ، تعد حياته وتجربته نقطة تحول هامة في تاريخ حركة التصوف الإسلامي ، توفي سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م . (الصفدي : الوافي بالوفيات ٧٠: ٧٤-٧٠ وما فيه من مصادر؛ Massignon, L. & Gardet, L., art. *al-Hallâdj* III, pp. 102-106.

١ المذهب الأشعري (ويقال لأتباعه الأشعرية والأشاعرية) نسبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى في بغداد سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م مؤسس مدرسة علم الكلام السنّي (راجع ، Montgomery Watt, W., *El<sup>2</sup> art. al-Ash'ari I*, pp. 715-16; id., art. *Ash'ariyya I*, pp. 717-18؛ جلال محمد موسى : نشأة الأشعرية وتطورها ، بيروت - دار الكتاب اللبناني ١٩٧٥ La؛ Gimaret, D., *La doctrine d'al-Ash'ari*, Paris 1991 وانظر فيما يلي



أصحابه . فإذا أبعَدَ قال لبعضهم بعد أن يُصَلِّي ركعتين : نَطْلُبُ شيئاً تأكله أصحابنا . فيمضي ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أعدّه مع بعض خاصّته الذين يطلعون على باطنه . فكانوا يهابونه ويُعظّمونه حتى إنهم يخافون الإثم في تأمل صورته ، فلا ينكفون مُطرقين بين يديه . وكان قصيراً دميم الخلق ، وأدعى مع ذلك الربوبية . وكان ممن اختصّ بحميد رجل خياط وخصي ، فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع أصحابه . فهرب الخياط وطلب فلم يوجد ، ونودي عليه ، وبذل لمن يحضر به مال فلم يقدر عليه ، واعتقل القصّار وأصحابه ، وقرروا فلم يقرروا بشيء من حاله .

وبعد أيام تماوت في الحبس فلما استؤمِر عليه أمر بدفنه ، فلما حُمِلَ ليُدفن ظهر أنه حي ، فأعيد إلى الاعتقال ، وبقي كل من تَبَرَأ<sup>(a)</sup> منه مُعتقلاً ، ما خلا الخصي فإنه لم يتبرأ منه . وذكر أن القتل لا يصل إليه ، فأمر بقطع لسانه ورُمي قدامه وهو مُصِرٌّ على ما في نفسه ، فأخرج القصّار والخصي ومن لم يتبرأ منه من أصحابه ، فصلبوا على الخشب وضربوا بالنشاب ، فماتوا لوقتهم . ثم نُودي على الخياط ثانياً ، فأخضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له : ها أنت تنظره . فلم يتبرأ منه ، وُصِّلَ إلى جانبه .

وذكر أن بعض أصحاب هذا القصّار - ممن لم يُعرف<sup>(b)</sup> - كان يشتري الكافور ، ويؤميه بالقرب من خشبته التي هو مصلوب عليها ، فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق ، ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصّار قد أضلّه . فأمر المأمون أن يُخطوا عن الخشب ، وأن تُخلط رمتهم ويُدفنوا متفرقين حتى لا يُعرف قبر القصّار من قبورهم .

وكان قتلهم في سنة سبع عشرة وخمس مائة ، وابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة وخمس مائة .

قال : وكان الشريف عبد الله يُحدّث عن صديق له مأمون القول ، أنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصّار وما ظهر منه ، أراد أن يمتحنه ، فتسبب إلى أن خالطه ، وصار في جملة أصحابه ومن يُعظّمه ويطلع معه إلى الجبل ، فأفسد عقله وغير معتقده ، وأخرجه عن الإسلام . وأنه لامه على ذلك وردّعه ، فحدّثه بعجائب منها أنه قال : والله ما من الجماعة الذين يطلعون معه إلى الجبل أحدٌ إلا ويسأله ويستدعيه ما يُريد على سبيل الامتحان ، فيحضره إليه لوقته . وأن يده سكيناً لا

(a) بولاق : من لم يتبرأ . (b) بولاق : ممن لم يعرف أنه ، وفي المسودة : وكان بعض أصحاب القصّار يشتري ....



تَقَطَّعَ إِلَّا بِيَدَيْهِ ، وَإِذَا أَمْسَكَ طَائِرًا وَقَبَضَهُ أَحَدًا مِنَ الْحَاضِرِينَ ، يَدْفَعُ السُّكَيْنَ الَّتِي مَعَهُ لَهُ وَيَقُولُ لَهُ : اذْبَحْهُ ، فَلَا تَمْسِي فِي يَدِهِ ، فَيَأْخُذُهَا هُوَ وَيَذْبَحُهَا بِهَا وَيَجْرِي دَمُهُ ، ثُمَّ يَعُودُ وَيَمْسِكُهُ بِيَدِهِ وَيُسْرِحُهُ فَيَطِيرُ ، وَيَقُولُ : إِنَّ الْحَدِيدَ لَا يَعْمَلُ فِيهِ ، وَيُوسِّعُ الْقَوْلَ فِيمَا يُشَاهِدُهُ مِنْهُ وَيَسْمَعُهُ .  
فَلَمَّا اغْتَقَلَ الْقَصَّارُ ، بَقِيَ هَذَا الرَّجُلُ مُصِيرًا عَلَى اعْتِقَادِهِ ، فَلَمَّا قُتِلَ وَخَرَجَ إِلَيْهِ وَشَاهَدَهُ وَتَحَقَّقَ مَوْتَهُ ، عَلِمَ أَنَّ مَا كَانَ فِيهِ سِحْرًا وَزُورًا وَإِفْكًا ، فَتَصَدَّقَ بِجَمَلَةٍ مِنْ مَالِهِ ، وَعَادَ إِلَى مَذْهَبِهِ وَصَحَّ مَعْتَقَدُهُ<sup>١</sup> .

وقال ابن عبد الظاهر : دار العلم كان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطلها ، وهي بجوار باب التبانين ، وهي متصلة بالقصر الصغير ، وفيها مذقون الداعي المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الأعجمي<sup>٢</sup> ، وكان لإبطالها أمور سببها اجتماع الناس والخوض في المذاهب ، والخوف من الاجتماع على المذهب النزارى .

ولم يزل الخدام يتوصلون إلى الخليفة الأمر بأحكام الله حتى تحدث في ذلك مع الوزير المأمون ، فقال : أين تكون هذه الدار ؟ فقال بعض الخدام : تكون بالدار التي كانت أولاً ؛ فقال المأمون : هذا لا يكون لأنه باب صار من جملة أبواب القصور<sup>٣</sup> وبرسم الحوائج ، ولا يمكن الاجتماع ، وما<sup>٤</sup> يؤمن من غريب يتحصل به . فأشار كل من الأستاذين بشيء ، فقال<sup>٥</sup> بعضهم : أن تكون في بيت المال القديم ؛ فقال المأمون : يا سبحان الله قد منعنا أن تكون متاخمة القصر<sup>٦</sup> الكبير الذي هو سكن الخليفة نجعلها ملاصقة<sup>٧</sup> . فقال الثقة زمام القصور : في جوارى موضع ليس ملاصقا للقصر ولا مخالطا له ، يجوز أن يُعمر ويكون دار العلم . فأجاب المأمون إلى ذلك

(a) بولاق : القصر . (b) بولاق : ولا . (c) بولاق : فأشار . (d) بولاق : متاخمة للقصر . (e) بولاق : ملاصقة .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٤٤ - ٤٦ ؛ المقرئ : المسودة ٣٠٣ - ٣٠٧ ، وراجع أخبار بركات وحميد القصار عند ابن ميسر : أخبار مصر ٩٥ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٦٢ ؛ المقرئ : المفى الكبير ٥٧١ : ٢ - ٥٧٢ ، ٦٨٤ : ٣ - ٦٨٥ .

<sup>٢</sup> داعي الدعاة الفاطمي المؤيد في الدين أبو نصر هبة الله ابن موسى بن داود الشيرازي ، المتوفى في شوال سنة ٤٧٠ هـ (راجع ، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة - ترجمة حياته بقلمه ، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة - دار الكاتب المصري ١٩٤٩ ؛ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة - دار الكاتب المصري ١٩٤٩ ؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار Poonawala, I.K., El<sup>2</sup> art. at- ٣٧ : ٧ - ٨٣ ؛ (Mu'ayyad fil-Din VII, pp. 272-73 .



وقال : بشرط أن يكون متوليها رجل دين<sup>(a)</sup>، والداعي الناظر فيها ، ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن . فاستخدم فيها أبو محمد حسن بن آدم فتولأها ، وشُرطَ عليه ما تقدم ذكره ، واستخدم فيها مقرئون<sup>١</sup> .

### ذكر دار الضيافة

٥ خَرَجَ مالِكُ في « الموطأ » عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال : كان إبراهيم - عليه السلام - أول من ضيَّف الضيِّف .

وأول من اتخذ دار ضيافة في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في سنة سبع عشرة ، وأعدَّ فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره ، وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنقطعين من ماء إلى ماء حتى يوصلوهم<sup>(b)</sup> إلى البلد .

١٠ فلما استخلف عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أقام الضيافة لأبناء السبيل والمتعبدين في المسجد .

وأول من بني بمصر دار الضيافة للناس عثمان بن قيس بن أبي العاص السهمي ، أخذ من شهد فتح مصر من الصحابة<sup>٢</sup> .

١٥ وكان ميدان القصر الغربي - الذي هو الآن الخرنشف - دار الضيافة بحارة بزجوان . وكانت هذه الدار أولاً تُعرف بدار الأستاذ بزجوان ، وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة بزجوان . ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر من عكا واستبد بأمر الدولة ، أنشأ هناك داراً عظيمة وسكنها ، ولم يسكن بدار الدياج التي كانت دار الوزارة القديمة .

٢٠ فلما مات أمير الجيوش بدر ، واستقر في<sup>(c)</sup> سلطنة ديار مصر ابنه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش ، وأنشأ دار القباب - التي عُرفت بدار الوزارة الكبرى - قريباً من رحبة باب العيد ، أقره أخاه أبا محمد جعفر المنعوت بالمظفر بن أمير الجيوش بدار أمير الجيوش من حارة بزجوان ،

(a) بولاق : رجلاً ديناً . (b) بولاق : يوصلهم . (c) بولاق : استولى على .

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ٣٢-٣٣ ، ٤٥ - <sup>٢</sup> ابن عبد الحكم : فوح مصر ٢٣١ .

٤٦ : المقرئ : مسودة المواظ ٣٠١-٣٠٣ .



فَعَرِفَتْ بَدَارَ الْمُظْفَرِ ، وَمَا زَالَ بِهَا حَتَّى مَاتَ وَقَبِرَ بِهَا ، وَإِلَى الْيَوْمِ قَبْرُهُ بِهَا ، وَتُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ جَعْفَرًا الصَّادِقَ <sup>١</sup> .

وَلَمَّا مَاتَ الْمُظْفَرُ أُتِّخِذَتْ دَارُهُ الْمَذْكُورَةُ دَارَ ضِيَافَةٍ بِرِسْمِ الرَّسُلِ الْوَارِدِينَ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَاسْتَمَرَّتْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ ، فَأَنْزَلَ بِهَا السُّلْطَانُ صَلاَحُ الدِّينِ أَوْلَادَ الْعَاظِدِ ، إِلَى أَنْ نَقَلَهُمْ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ .

فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، تَقَدَّمَ أَمْرُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ لَوْكَيْلِ يَمِينِ الْمَالِ الْقَاضِي مَجْدِ الدِّينِ عَيْسَى بْنِ الْخَشَّابِ ، بِبَيْعِ دَارِ الْمُظْفَرِ ، فَبَاعَ الْقَاعَةَ الْكَبْرَى وَمَا هُوَ مِنْ حَقُوقِهَا ، وَبِيعَتِ دَارُ الْمُظْفَرِ الصُّغْرَى ، وَهَدَمَهَا النَّاسُ وَبَنَوْا فِي مَكَانِهَا دُورًا .

وَمَوْضِعُهَا الْآنَ دَارُ قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الطَّرَابُلْسِيِّ الْحَنَفِيِّ ، وَمَا بِجَوَارِهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي بِهَا سَكَنِي الْيَوْمَ <sup>٢</sup> ، وَهِيَ مِنْ حَقُوقِ دَارِ الْمُظْفَرِ الصُّغْرَى ، عَلَى مَا فِي كُتُبِهَا الْقَدِيمَةِ .

وَلَمَّا أُنشَأَ قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ الْمَذْكُورُ دَارَهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ ، أَوْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ ، ظَهَرَ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ عِنْدَ حَفْرِ الْأَسَاسِ حَجَرٌ عَظِيمٌ ، قِيلَ إِنَّهُ عَتَبَةُ دَارِ الْمُظْفَرِ الْكَبْرَى . وَكَانَ إِذْ ذَاكَ الْأَمِيرُ جِهَازَكَسَ الْخَلِيلِي يَتَوَلَّى عِمَارَةَ مَدْرَسَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ الَّتِي فِي حُطِّ بَيْنِ الْقَصْرَيْنِ <sup>٣</sup> ، فَلَمَّا بَلَغَهُ خَبْرُ هَذَا الْحَجَرِ بَعَثَ إِلَيْهِ ، وَأَمَرَ بِحَجْرِهِ إِلَى الْعِمَارَةِ ، فَعَمَلَ عَتَبَةَ بَابِ الْمُرْمَلَةِ الَّتِي لِلْمَدْرَسَةِ .

وَكَانَ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ رَحْبَةُ الْأَفْيَالِ ، أُدْرِكَتْهَا سَاحَةٌ ثُمَّ عُمرَ فِيهَا . قَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ : الْحِدْمَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِـ « النَّيَابَةِ لِلِقَاءِ الْمُرْسَلِينَ <sup>(a)</sup> » - وَهِيَ خِدْمَةٌ جَلِيلَةٌ - يُقَالُ لِمُتَوَلِّيِّهَا : « النَّائِبُ » ، وَيُنْعَتُ بِـ « عَدِيِّ الْمُلِكِ » ، وَهُوَ يُثَوَّبُ عَنْ صَاحِبِ الْبَابِ <sup>٤</sup> فِي لِقَاءِ الرَّسُلِ الْوَافِدِينَ عَنْ مَسَافَةٍ ، وَإِنْزَالِ كُلِّ وَاحِدٍ فِي دَارٍ تَصْلُحُ لَهُ ، وَيُقِيمُ لَهُ مَنْ يَقُومُ بِخِدْمَتِهِ ، وَلَهُ نَظِيرٌ فِي دَارِ الضِّيَافَةِ - وَهُوَ يُسَمَّى الْيَوْمَ بِمِهْمَنْدَارٍ - وَيُرْتَّبُ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ

(a) بولاق : المرسلين .

<sup>١</sup> فيما يلي ٥٢:٢-٥٣ .

<sup>٢</sup> عن دار المقرئ بحارة برجوان انظر فيما يلي

المقتلين ١٢٢-؛ *Sâhib al-* art. *El* Ayman F. Sayyid, *٣٩:٢٥٣* ، ومقدمة المجلد الأول ١:٣٩ .

<sup>٣</sup> فيما يلي المسودة .

<sup>٤</sup> صاحب الباب . من الأمراء المطوقين وهي وظيفة تلي

رتبة الوزارة ويقال لها : الوزارة الصغرى (ابن الطوير : نزهة

٣٣٩) .

*bâb VIII p. 860* ؛ وفيما تقدم (٣٣٩) .



الاجتماع بهم ، ويُذكَر صاحبُ الباب بهم ، ويُبالغ في نِجَازِ ما وَصَلُوا فيه .  
وهو الذي يُسَلِّمُ بهم أبداً عند الخليفة والوزير ، ويُتَفَضَّلُ بهم ويستأذن عليهم . ويدخل الرسولُ  
وصاحبُ الباب قابضُ على يده اليمنى ، والنائب بيده اليسرى ، فيحفظ ما يقولون وما يُقالُ  
لهم ، ويجتهد في انفصالهم على أحسن الوجوه ، وبين يديه من الفَراشِين المقدم ذكرهم عدَّة  
لإعانتة ، وإذا غابَ أقامَ عنه نائباً إلى أن يعود ، وله من الجاري خمسون ديناراً في كلِّ شهر ، وفي  
اليوم نصف قنطار خُبز ، وقد يَهْدِي إليه المرسلون طرفاً فلا يتناولها إلا بإذن<sup>١</sup> . انتهى .  
وفي هذه الدولة التركية يُقالُ لمتولِّي هذه الوظيفة : « مِهْمَنْدَار » ، ولا يليها عندهم إلا صاحبُ  
سَيْفٍ من الأُمراء العَشْرَاوات . وكانت في الدولة الفاطمية ، على ما ذَكَرَهُ ابنُ الطَوَيْرِ ، لا يليها إلا  
أعيانُ العُدول وأزبَابُ العمائم ، ويُتَعَتُّ أبداً بـ « عَدِيّ المُلْك » . وأصلُ هذه الكلمة بالفارسية  
مِهْمَان دار ( ومعناها : مُتَلَقِّي الضيوف ) .

### زَكَرَ إِسْطَبْلُ الحُجْرِيَّةِ

وكان بجوارِ دار الضيافة إِسْطَبْلُ الصُّبْيَانِ الحُجْرِيَّةِ المقدم ذكرهم<sup>٢</sup> . ومَوْضِعُ هذا الإِسْطَبْلِ  
اليوم يُعْرَفُ بِخَانِ الوِرَاقَةِ ، داخل باب الفُتُوحِ القَدِيمِ بِسُوقِ المُرْتَحِلِينَ ، على يَسْرَةِ من أَرَادَ الخُروجَ  
من باب الفُتُوحِ القَدِيمِ ، تِجَاهَ زيادةِ الجامعِ الحَاكِمِيِّ .  
ومن مُحَقِّقِ هذا الإِسْطَبْلِ أيضاً المَوْضِعُ الذي فيه الآن القَيْسَارِيَّةُ المعروفة بقَيْسَارِيَّةِ السُّتِّ<sup>٣</sup> ،  
التي هي اليوم تِجَاهَ المَدْرَسَةِ الصُّبَيْرِيَّةِ والجَمَلُونِ الصُّغِيرِ . وكانت بهذا الإِسْطَبْلِ نُحْيُولُ الصُّبْيَانِ  
الحُجْرِيَّةِ ، إحدى طوائفِ العَسَاكِرِ في زَمَنِ الخُلَفَاءِ الفَاطِمِيِّينَ .

### زَكَرَ مَطْبَعُ القَصْرِ

وكان بجوارِ القَصْرِ العَرَبِيِّ ، قُبَالَةَ بابِ الزُّهُومَةِ من القَصْرِ الكَبِيرِ « مَطْبَعُ القَصْرِ » ومَوْضِعُهُ  
الآن الصَّاعَةُ تِجَاهَ المَدَارِسِ الصَّالِحِيَّةِ . ولَمَّا كانت مَطْبَعًا كان يُخْرَجُ إليه من بابِ الزُّهُومَةِ . وذَكَرَ

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزعة المقتلين ١١٨ ؛ ابن الفرات : تاريخ  
وفيما تقدم ٣٣٩ .  
الدول ١/٤ : ١٤٧ ؛ القلقشندي : صبح ٣ : ٤٨٤ ؛  
المقريزي : المسودة ٢٥٠-٢٥١ واتعاظ الحنفا ٣ : ٣٤٢ ،  
<sup>٢</sup> فيما تقدم ٤٥٣ - ٤٥٤ .  
<sup>٣</sup> لم يفردھا المقريزي في ذكر القياسر .



ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ، ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام ، تُفَرَّقُ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى أَرْبَابِ الرُّسُومِ وَالضُّعْفَاءِ <sup>١</sup>.

### دَرْبُ السُّلْسِلَةِ

وكان بجوار مطبخ القصر دَرْبُ السُّلْسِلَةِ <sup>٢</sup>. قال ابن الطَّوَيَّر: ويبيتُ خارج باب القصر في كلِّ لَيْلَةٍ خمسون فارسًا. فإذا أُذِنَ بالعشاء الآخرة داخل القاعة ، وصَلَّى الإمام الراتبُ بها بالمقيمين فيها من الأُستاذين وغيرهم ، وَقَفَ على باب القصر أميرٌ يُقالُ له سِنَانُ الدَّوْلَةِ بن الكَرْكَندِي <sup>٣</sup>، فإذا علم بفراغ الصَّلَاةِ أَمَرَ بِضَرْبِ الثُّوبَاتِ مِنَ الطُّبُلِ وَالْبُوقِ وَلِتَوَاتُفِهِمَا مِنْ عِدَّةٍ وافرة ، بطرائق مستحسنة مُدَّةَ سَاعَةٍ زمانية <sup>٤</sup>. ثم يخرج بعد ذلك أُستاذُ برشم هذه الخِدْمَةِ فيقول : أميرُ المؤمنين يَرُدُّ على سِنَانِ الدَّوْلَةِ السَّلَامَ ، فيصقَعُ <sup>٥</sup> وَيَغْرِسُ حَزْبَةَ على الباب ، ثم يَرَفَعُهَا بيده ، فإذا رَفَعَهَا أُغْلِقَ البابُ ، وسارَ حوالي القصر سبع دورات . فإذا انتهى ذلك جَعَلَ على الباب البيَّاتين والفَرَّاشين المقدم ذكرهم ، وانضوى <sup>٦</sup>(a) المؤذنون إلى خِزانتهم هناك ، وتُرْمَى السُّلْسِلَةُ عند المضيق آخرَ يَمِّنِ القَصْرَيْنِ من جانب السُّيُوفِيِّين <sup>٧</sup> فينقطع المارُّ من ذلك المكان إلى أن تُضْرَبَ الثُّوبَةُ سَحْرًا قرب الفَجْرِ ، فتصرف النَّاسُ من هناك بارتفاع السُّلْسِلَةِ <sup>٨</sup>.

(a) بولاق : انصرف .

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٨؛ المقرئزي: المسودة ٢٤١؛ القلقشندي: صبح ٣: ٣٤٦، ٤٧٦؛ أبو المحاسن: النجوم ٤: ٥٣؛ وفيما يلي ٢: ١٠٢؛ و Fu'âd Sayyid, A., op.cit., pp. 237-39.

<sup>٢</sup> فيما يلي ٢: ٣٨.

<sup>٣</sup> أضاف القلقشندي أنه يقوم مقام أمير جاندنار في عصر المالِك (صبح ٣: ٥١٨)، وانظر فيما يلي ٢: ٢٢٢.

<sup>٤</sup> منع الحاكم بأمر الله في سنة ٤٠٣ هـ من ضرب الطبول والأبواق حول القصر في الليل - لأنها كانت تؤزق النائمين في أغلب الظن - فصار الحراس يطوفون بغير طبل ولا بوق . (المقرئزي: اتعاظ ٢: ٩٦).

<sup>٥</sup> يصقَعُ أي يصيح (الزبيدي: تاج العروس ٥: ٤١٤).

<sup>٦</sup> انضوى أي لجأ (الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٦٨٤).

<sup>٧</sup> المقصود سوق السيوفيين الذي كان يقع عند المدخل الجنوبي الغربي لميدان بين القصرين . وكانت السلسلة تقع في الموضع الذي يحدده اليوم التقاء شارع المعز لدين الله مع شارع جوهر القائد .

<sup>٨</sup> ابن الطوير: نزهة ٢١٠-٢١١؛ المقرئزي: المسودة ٧٥-٧٦، وفيما يلي ٢: ٢٨، وقارن مع القلقشندي: صبح ٥١٨، ٥١٩؛ ناصر خسرو: سفرنامه ٨٩ (كيفية حراسة القصر سنة ٤٤٠ هـ)؛ Fu'âd Sayyid, A., op.cit., pp. 298-99.



وقال ابن عبد الظاهر: دَرَبُ السُّلَيْمَةِ الذي هو الآن إلى جانب الشيوئين، كانت عنده سُلَيْمَةٌ منه إلى قُبائِهِ تُعَلَّقُ كلَّ يومٍ من الظهر حتى لا يَعْبُرَ رَاكِبٌ تحت القصر. وهذا الدَّرَبُ يُعْرَفُ بِسِنَانِ الدَّوْلَةِ بن الكزكندي. وهذا الدَّرَبُ هو المختص بالثَّقِيرَةِ<sup>(a)</sup>.

وهذه الثَّقِيرَةُ<sup>(a)</sup> أمرها مستظرف لا من قِبَلِ الحُسْنِ بل من قِبَلِ التعجب من العقول، ولها خمسة أوقات، وهي: ليالي العيدين، وعُزَّةُ السَّنَةِ، وعُزَّةُ شهر رَمَضَانَ، ويوم فتح الخليج. وهو أنه يقف راكباً في وَسَطِ الزَّلَاقَةِ التي لباب الذهب قبالة الدار القُطَيْبِيَّةِ، فيخرج إليه السلام من الخليفة، ثم تخدم الرَّهَجِيَّةُ، ثم يَصْعَدُ على كَنْدَجَةٍ<sup>(b)</sup> باب الزُّهُومَةِ وقُدَّامَهُ دَوَابُّ المِظَلَّةِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، والرَّهَجِيَّةُ تَخْدُمُ، وأزباب الصُّوءِ ومستخدمو الطُّرُقِ على السُّلَيْمَةِ.

فإذا كان الطُّوفُ وَصَلُوا إليه، واجتمعت الرَّهَجِيَّةُ كلُّهم، وَرَكِبَ فَرَسًا وعليه ثيابٌ حَسَنَةٌ، وَكَشَفَ عن رايته وَأَخَذَ بيده رُمُحًا، واجتمعت الرَّهَجِيَّةُ حَوْلَهُ، ويعبر مشورًا وأولئك خَلْفَهُ بالصُّرَاخِ والصُّيَاخِ بِشِعَارِ الإِمَامِ، ثم يسير بذاك الجَمْعِ وَخَيْلِ المِظَلَّةِ إلى أبواب القصر، فيقف عند كلِّ بابٍ وتخدم الرَّهَجِيَّةُ إلى أن يعودوا إلى باب الذهب، ثم إلى دارِ الوِزَارَةِ للهتاء. فلم يزالوا كذلك إلى قُبائِهِ باب<sup>(c)</sup> ابن الكزكندي فَبَطَلَتْ هذه السُّنَّةُ في الأيام الأَمْرِيَّةِ.

وصاحب الثَّقِيرَةِ<sup>(a)</sup> مَن وَصَلَ أبَاؤُهُ صُحْبَةَ المُعِزِّ لدين الله من بلاد المغرب، فكانت هذه سُنَّتُهُمْ<sup>٢</sup>.

### ذِكْرُ الدَّارِ المَأْمُونِيَّةِ

وكان بجوار دَرَبِ السُّلَيْمَةِ الدَّارُ المَأْمُونِيَّةُ وهي المَدْرَسَةُ الشَّيْوِيَّةُ<sup>٣</sup>، وكانت هذه الدَّارُ سَكَنَ المَأْمُونِ بن البَطَّائِحِيِّ، وعُرِفَتْ قَدِيمًا بِقَوَامِ الدَّوْلَةِ حَبُوبٍ ثم عُرِفَتْ بِالمَأْمُونِ مُحَمَّدِ بن فَاتِكٍ.

(a) بولاق وسائر النسخ: التقيزة، والمثبت من ابن عبد الظاهر. (b) بولاق: كندرة. (c) بولاق وسائر النسخ: ولاية، والمثبت من ابن عبد الظاهر.

<sup>١</sup> كَنْدَجَةٌ. كَمْرَةٌ تستخدم لبناء الأقبية والعقود (عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية ٣٢٧).  
<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ٥٩-٦٠.  
<sup>٣</sup> فيما يلي ٢: ٣٦٥.



ذِكْرُهُ<sup>(a)</sup> المأمون البطائحي - هو أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبي شجاع فاتك بن الأمير منجد الدولة أبي الحسن مختار المشتصيري<sup>١</sup>. اتَّصَلَ بِخِدْمَةِ الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ فِي شَهْرِ شَوَّالِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِ مِائَةٍ عِنْدَمَا تَغَيَّرَ عَلَى تَاجِ الْمَعَالِي مُخْتَارَ الَّذِي كَانَ اضْطَنَّعَهُ وَقَحَّمَ أَمْرَهُ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ خَزَائِنَ أَمْوَالِهِ وَكُشُوتِهِ ، وَسَلَّمَ مَا كَانَ بِيَدِهِ مِنَ الْخِدْمَةِ لِمُحَمَّدِ بْنِ فَاتِكِ ، فَتَصَرَّفَ فِيهَا .

وَقَرَّرَ لَهُ الْأَفْضَلُ مَا كَانَ بِاسْمِ مُخْتَارٍ مِنَ الْعَيْنِ خَاصَّةً دُونَ الْإِقْطَاعِ ، وَهُوَ مِائَةُ دِينَارٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَثَلَاثُونَ دِينَارًا عَنِ جَارِيِ الْخَزَائِنِ ، مُضَافًا إِلَى الْأَصْنَافِ الرَّائِيَةِ مِائَةً وَمِشَاهِرَةً وَمُسَانِهَةً . فَحَسَّنَ عِنْدَ الْأَفْضَلِ مَوْقِعَ خِدْمَتِهِ فَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ جَمِيعَ أُمُورِهِ ، وَصَرَّفَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ . فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ الشُّغْلُ ، اسْتَعَانَ بِأَخَوَيْهِ أَبِي ثُرَابِ حَيْدَرَةَ وَأَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرَ ، فَأَطْلَقَ الْأَفْضَلُ لِهَمَا مَا وَسَّعَ بِهِ عَلَيْهِمَا مِنَ الْمِائِوَةِ وَالْمِشَاهِرَةِ وَالْمُسَانِهَةِ . وَنَعَتَهُ الْأَفْضَلُ بِـ « الْقَائِدِ » ، فَصَارَ يُخَاطَبُ بِـ « الْقَائِدِ » وَيُكَاتَبُ بِهِ ، وَصَارَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأُسْتَاذِ .

فَلَمَّا قُتِلَ الْأَفْضَلُ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، قَامَ الْقَائِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَاتِكِ لَخِدْمَةِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ ، وَأَطْلَعَهُ عَلَى أَمْوَالِ الْأَفْضَلِ ، وَبَالَغَ فِي مُنَاصَحَتِهِ حَتَّى لَقِدَ أَتُهُمُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي دَبَّرَ فِي قَتْلِ الْأَفْضَلِ بِإِشَارَةِ الْخَلِيفَةِ . / فَخَلَعَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ فِي مَسْتَهْلٍ ذِي الْقَعْدَةِ بِمَجْلِسِ اللَّعْبَةِ مِنَ الْقَصْرِ<sup>٢</sup> ، وَهُوَ الْمَجْلِسُ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ الْخَلِيفَةُ ، وَلَمْ يُخْلَعْ قَبْلَهُ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ ، وَخَلَّ الْمِنْطَقَةَ مِنْ وَسْطِهِ ، وَخَلَعَ عَلَى وُلْدِهِ وَخَلَّ مِنْطَقَتَهُ ، وَخَلَعَ عَلَى إِخْوَتِهِ .

(a) ساقطة من بولاق .

من نال الوزارة ١٠٣-١٠٧؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٨٧-  
١٠٥؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٨٨-٢٩٢؛ المقرئ:  
المقفى الكبير ٦: ٤٧٨-٥٠٠. Dunlof, D. M., *El*<sup>2</sup> art. ٥٠٠-  
*al-Batâ'ihî*, I, pp. 1124; Fu'âd Sayyid, A., *La*  
*capitale de l'Égypte*, pp. 483-537 وفيما تقدم  
(٤٤٦-٤٤٧).

<sup>٢</sup> انظر فيما تقدم ٤٤٦.

<sup>١</sup> المصدر الرئيس لترجمة الوزير محمد بن فاتك المعروف  
بالمأمون بن البطائحي هو كتاب «أخبار مصر» أو «السيرة  
المأمونية» الذي كتبه ابنه الأمير جمال الملك أبو علي موسى بن  
المأمون، المتوفى سنة ٥٨٨هـ (المقرئ: السلوك ١: ١١١).  
وحفظ لنا المقرئ القسم الأكبر من هذه السيرة فيما نقله  
عنها في الخطط واتعاظ الحنفا والترجمة المطبوعة التي خصصها  
للوزير المأمون البطائحي في كتابه المقفى الكبير. (راجع، ابن  
المأمون: أخبار مصر ٣-١٠٥؛ ابن الصيرفي: الإشارة إلى



واستمر تنفيذ الأمور إليه إلى أن استهلَّ ذو الحِجَّة ، ففي يوم الجمعة ثانياً خُلِعَ عليه من الملابس الخاصَّة [الشَّريفة] <sup>(a)</sup> في فَرْد كُمْ مَجْلِس اللُّعْبَةِ ، [وطُوق ب] <sup>(a)</sup> طُوقِ ذَهَبٍ مُرْصَعٍ وَسَيْفِ ذَهَبٍ كَذَلِكَ ، وَسَلَّمَ عَلَى الخَلِيفَةِ .

وَتَقَدَّمَ الأَمْرُ للأَمْرَاءِ وكَافَّةِ الأُسْتَاذِينَ المُحْتَكِينَ بالخُرُوجِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنْ يَرَكِبَ مِنَ المَكَانِ الَّذِي كَانَ الأَفْضَلُ يَرَكِبُ مِنْهُ ، وَمَشَى فِي رِكَابِهِ القُوَادُ عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَهُ ، وَخَرَجَ بِشَرِيفِ الوِزَارَةِ ، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ العِيدِ رَاكِبًا . وَوَصَلَ إِلَى دَارِهِ ، فَضَاعَفَ الرُّسُومَ وَأَطْلَقَ الهِبَاتِ .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ خَامِسَهُ ، اجْتَمَعَ الأَمْرَاءُ بَيْنَ يَدَيْ الخَلِيفَةِ ، وَأُخْضِرَ السُّجْلُ فِي لُفَاةِ خَاصِّ مَذْهَبَةٍ ، فَسَلَّمَهُ الخَلِيفَةُ لَهُ مِنْ يَدِهِ ، فَقَبَّلَهُ وَسَلَّمَهُ لِزِمَامِ القَصْرِ ، فَأَمَرَهُ الخَلِيفَةُ بِالجُلُوسِ إِلَى جَانِبِهِ عَنْ يَمِينِهِ ، وَقُرِئَ السُّجْلُ عَلَى بَابِ المَجْلِسِ ، وَهُوَ أَوَّلُ سِجْلٍ قُرِئَ هُنَاكَ ، وَكَانَتْ سِجْلَاتُ الوِزَرَاءِ قَبْلَ ذَلِكَ تُقْرَأُ بِالْإِيوَانِ <sup>١</sup> .

وَرُسِمَ لِلشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ ، كَاتِبِ الدَّسْتِ ، أَنْ يَنْقُلَ نِسْبَةَ الأَمْرَاءِ وَالمُحْتَكِينَ مِنَ الأَمِيرِ إِلَى المَأْمُونِي ، وَكَذَا النَّاسَ أَجْمَعِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَنْتَسِبُ إِلَى الأَفْضَلِ وَلَا لِأَمِيرِ الجُيُوشِ ، وَقُدِّمَتْ لَهُ الدَّوَاةُ فَعَلَّمَ فِي مَجْلِسِ الخَلِيفَةِ . وَنُعِتَ بِـ « السَّيِّدِ الأَجَلِّ المَأْمُونِ تاجِ الخِلَافَةِ ، وَجِيهِ المَلِكِ ، فَخْرِ الصَّنَائِعِ ، ذُخْرِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عِزِّ الإِسْلَامِ ، فَخْرِ الأَنَامِ نِظَامِ الدِّينِ ، أَمِيرِ الجُيُوشِ ، سَيْفِ الإِسْلَامِ نَاصِرِ الإِمَامِ <sup>(b)</sup> ، كَافِلِ قُضَاةِ المُسْلِمِينَ ، وَهَادِي دُعَاةِ المُؤْمِنِينَ » .

وَكَانَ يَجْلِسُ بِدَارِهِ فِي يَوْمِي الأَحَدِ والأَرْبَعَاءِ لِلرَّاحَةِ وَالثَّقَقَةِ فِي العَسْكَرِ الفَارِسِ <sup>(c)</sup> البَسَاطِيَّةِ إِلَى الظُّهْرِ ، ثُمَّ يَرْفَعُ الثَّقَقَةَ وَيَحْطُ السَّمَاطَ ، وَيَجْلِسُ بَعْدَ العَصْرِ وَالكُتَابِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيُنْفِقُ فِي الرَّاجِلِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ .

وَفِي يَوْمِ الجُمُعَةِ يُطْلَقُ لِلْمُقَرَّرِينَ بِحَضْرَتِهِ خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، وَلِكُلِّ مَنْ هُوَ مُسْتَمِرُّ القِرَاءَةِ عَلَى بَابِهِ مِنَ الضُّعْفَاءِ والأَجْرَاءِ مِمَّا هُوَ ثَابِتٌ بِأَسْمَائِهِمْ خَمْسَ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَلِبَقِيَّةِ الضُّعْفَاءِ وَالمَسَاكِينِ خَمْسَ مِائَةِ دِرْهَمٍ أُخْرَى . فَإِذَا تَوَجَّهَ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى القَرَاةِ يَكُونُ المَبْلَغُ المَذْكُورُ مُسْتَقَرًّا لِأَرْبَابِهِ .

(a) زيادة من المفضي الكبير . (b) بولاق : الأنام . (c) ساقطة من بولاق .



ولم يزل إلى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمسة مائة ، فقَبَضَ الأمير المذكور عليه وعلى إخوته الخمسة مع ثلاثين رجلاً من خواصه وأهله واعتقله ، ثم صَلَبَهُ مع إخوته في سنة اثنتين وعشرين . وقيل : إنَّ سَبَبَ القَبْضِ عليه ما بَلَغَ الأميرَ عنه أَنَّهُ بَعَثَ إلى الأمير جَعْفَرِ بنِ المُشْتَعَلِيِّ يُغْرِيهِ بِقَتْلِ أَخِيهِ لِيُقِيمَهُ مَكَانَهُ فِي الخِلافةِ ، وكان الذي بَلَغَ الأميرَ ذلكَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ بنِ أَبِي أُسامَةَ . وَبَلَغَهُ أيضًا عنه أَنَّهُ سَيَّرَ نَجِيبَ الدَّوْلَةِ أبا الحَسَنِ إلى اليَمَنِ لِيضْرِبَ سِكَّةً عَلَيْهَا «الإمام المختار محمد بن نزار» . وَذُكِرَ عنه أَنَّهُ سَمَّ شَيْئًا وَدَفَعَهُ لِقِصَادِ الخَلِيفَةِ فَتَمَّ عَلَيْهِ الفِصَادُ . وكان مَوْلِدُ المأمُونِ فِي سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مائة ، وكان من ذَوِي الآراءِ والمعرفةِ التامةِ بتدبيرِ الدُّولِ ، كَرِيمًا وَاسِعَ الصُّدْرِ ، سَفَّاكًا لِلدَّماءِ ، كَثِيرَ التحَرُّزِ والتَطَلُّعِ إلى معرفةِ أحوالِ النَّاسِ مِنَ العَامَّةِ والجُنْدِ ، فَكَثُرَ الوُشاةُ فِي أَيامِهِ .

### حبس المعونة

وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة ، وموضعه اليوم قيسارية العنبر<sup>١</sup> . قال ابن المأمون : في سنة سبع عشرة وخمسة مائة ، تقدم أمر المأمون إلى والي مصر والقاهرة<sup>(a)</sup> ياخضار عرقاء السقائين وأخذ الحجج على المتعيشين<sup>(b)</sup> منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة إليهم ليلاً ونهاراً ، وكذلك يعتمد في القربيين -<sup>(c)</sup> الذين يحملون الماء في القرب<sup>(c)</sup> - وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة<sup>(d)</sup> من الفعلة بالطواري والمساحي ،<sup>(e)</sup> وألزم والي مصر<sup>(e)</sup> أن يقوموا لهم بالعشاء من أموالهما بحكم فقرهم<sup>٢</sup> . انتهى .

وكان حبس المعونة هذا يُسَجَّن فيه أزباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بخزانة شمائل<sup>٣</sup> ، وأما الأمراء والأعيان فيُسَجَّنون بخزانة البُود كما تقدم<sup>٤</sup> . ولم يزل هذا الموضع سجنًا مُدَّة الدولة الفاطمية ومُدَّة دولة بني أيوب ، إلى أن عمَّره الملك المنصور قلاوون

(a) المسودة : لكل من والي القاهرة ومصر . (b) المسودة : وإلزام المتعيشين . (c-c) زيادة من المسودة . (d) المسودة : عدة .

<sup>١</sup> فيما يلي ٢ : ٨٩ .  
<sup>٢</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٦٩ - ٧٠ ؛ المقرئ : المسودة ٤٢٧ ، وقارن اتعاظ الحنفا ٣ : ١٠٠ .  
<sup>٣</sup> هدم هذا السجن في سنة ٨١٨ هـ عندما بدأ السلطان  
<sup>٤</sup> فيما تقدم ٣٩٧ - ٣٩٨ .

المؤيد شيخ في بناء المدرسة المؤيدية على يسار الداخل من باب زويلة ، مما يدل على أن المقرئ كتب هذا القسم من الخطط قبل هذا التاريخ ، وانظر فيما يلي ٢ : ٣٢٨ .



قَيْسَارِيَّةٌ أَشْكَنَ فِيهَا الْعَنْبَرَانِيَيْنِ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ<sup>١</sup>.

### ذِكْرُ الْحِسْبَةِ وَدَارِ الْعِتَابِ

وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة ومكانها اليوم يُعرف بالأبازرة ومكسر الخطب، بجوار سوق القصارين والفحامين<sup>٢</sup>.

قال ابن الطوير: وأما الحسبة فإن من تُسند إليه لا يكون إلا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين؛ لأنها خدمة دينية، وله استخدام الثواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كثواب الحكم، وله الجلوس<sup>٣</sup> بجامعي القاهرة ومصر يوماً بعد يوم<sup>٤</sup>.

ويطوف ثوابه على أزباب الحرف والمعاش، ويأمر ثوابه بالحثم على قُدور الهراسين ونظر لخبهم ومعرفة من جزاره، وكذلك الطباخون، ويتبعون الطرقات، ويمنعون من المضايقة فيها، ويلزمون رؤساء المراكب ألا يحملوا أكثر من وسق<sup>٥</sup> السلامة، وكذلك مع الحمالين على البهائم.

/ويأخذون<sup>٦</sup> السقائين بتغطية الروايا بالأكسية - ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلوًا، كل دلو أربعون رطلًا - وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهي زرق، ويؤذرون معلّمي المكاتب بألا يضربوا الضبيان ضربًا مبرحًا ولا في مقتل، وكذلك معلّمو العوم بتحذيرهم من التفرير بأولاد الناس، ويقفون على من يكون سئى المعاملة فينهونه بالزّذع والأدب، وينظرون المكابيل والموازن.

(a) مسودة المواعظ: جلوس. (b) المسودة: حد. (c) بولاق: ويأمرون.

<sup>١</sup> انظر فيما يلي ٢: ٨٩، ١٠٢، ١٨٨، والمقريري: مسودة المواعظ ٣٩٥، ٤٢٨.

<sup>٢</sup> المقريري: المسودة ٣٢٠، وفيما يلي ٢: ٣٦. ويعادل موقع خط دكة الحسبة اليوم المكان الواقع بين جامع الأشرف برسباي عند تقاطع شارع القائد جوهر مع شارع المعز لدين الله، والمكان القائم عليه الآن جامع الغوري وما وراءه تجاه الجنوب.

<sup>٣</sup> عن وظيفة المحتسب في العصر الفاطمي راجع، المسيحي: أخبار مصر ١٣-١٤؛ المقريري: إغاثة الأمة ١٣-١٤، واتعاظ الحنفا ١: ١٢٠، ٢: ١٣٥، ١٦٤، ١٦٥؛ سهام مصطفى أبو زيد: الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، القاهرة ١٩٨٦، ٧٢، ٧٨؛ أيمن فؤاد سيد: «تنظيم العاصمة المصرية وإدارتها في زمن الفاطميين»، حوليات إسلامية ٢٤ (١٩٨٨)، ١٢.



وللمحتسب النظر في دار العيار، ويُخلع عليه ويُقرأ سِجْلُهُ بمصر والقاهرة على المنبر، ولا يُحال بينه وبين مصلحة إذا رآها، والولاية تُشد منه<sup>(a)</sup> إذا احتاج إلى ذلك، وجاربه ثلاثون ديناراً في كل شهر<sup>١</sup>. انتهى.

وكان للعيار مكان يُعرف بدار العيار تُعير فيه الموازين بأسرها وجميع الصنج. وكان يُنْفَق على هذه الدار من الديوان السلطاني فيما تحتاج إليه من الأصناف، كالنحاس والحديد والخشب والزجاج، وغير ذلك من الآلات وأجر الصناع والمشارفين ونحوهم. ويحضر المحتسب أو نائبه إلى هذه الدار ليُعير المعمول فيها بحضوره، فإن صحَّ ذلك أمضاه، وإلا أمر بإعادة عمله حتى يصح.

وكان بهذه الدار أمثلة يُصحح بها العيار، فلا تُباع الصنج والموازين والأكيال إلا بهذه الدار، ويحضر جميع الباعة إلى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم، ومعهم موازينهم وصنجاتهم ومكاييلهم، فتُعير في كل قليل. فإن وُجد فيها الناقص استهلك وأخذ من صاحبه لهذه الدار، وألزم بشراء نظيره مما هو محرر بهذه الدار والقيام بثمنه. ثم شويح الناس، وصار يلزم من يظهر في ميزانه أو صنجه خلل بإصلاح ما فيها من فساد فقط والقيام بأجرته فقط.

وما زالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية، فلما استولى صلاح الدين على السلطنة، أقر هذه الدار، وجعلها وفقاً على شور القاهرة مع ما كان جارياً في أوقاف الشور من الرباع والنواحي الجارية في ديوان الأشوار<sup>٢</sup>. وما زالت هذه الدار باقية إلى<sup>(b) ٣</sup>.

وكانت بدار العيار خرايب يُعرف بها الأوزان منها أن السَّمَاق زنة الأردب منه ما بين مائة قنطار مصري وثلث إلى مائة وأربعين رطلاً، والقلة الزيت الحار مائة واثنا عشر رطلاً مصرياً، والحمل الحطب السنط مائة وعشرة أرطال، والبندق يصح من الجيد فيه ثلاثة أرطال ونصف

(a) بولاق: معه. (b) ساقطة من بولاق، وبعدها في آياصوفيا بياض مقدار سطرين.

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة ١١٦-١١٧؛ ابن الفرات: تاريخ الدول ١/٤: ١٤٦-١٤٧؛ القلقشندي: صبح ٣: ٤٨٣، وأضاف: «ورأيت في بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشرطة بهما أحياناً»؛ المقرئزي: المسودة ٣٢٠-٣٢١، واتعاظ ٣: ٣٤٢.

<sup>٢</sup> المقرئزي: مسودة المواعظ ٣٢١-٣٢٢؛ وانظر أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٥٤٨-٥٤٩.

<sup>٣</sup> موضع هذه العبارة في مسودة المواعظ: «وكانت هذه الدار في الموضع الذي يعرف اليوم [ببلاط]».



وربع من الثلث ، واللوز يصح من قلبه نحو ألفي رطلٍ من كل قنطار ، والفستق يصح من كل عشرة أرطال أربعة أرطال من القلب ، والبيعة العنبر بمصر سبع مثاقيل ونصف ورُبْع ، وبالإسكندرية عشرة مثاقيل ، والزّعفران الشعر كل من منه مائتان وستون درهمًا عنها أربعة وعشرون أوقية كل أوقية عشرة دراهم ونصف وثلث . والطحون المنّ مائتان وأربعون درهمًا ، أربعة وعشرون أوقية كل أوقية عشرة دراهم . والحمل البقم الآمري ، وهو الرقيق منه والكولمي وهو الجافي منه ست مائة رطل بالمصري . والحمل الفلفل خمس مائة رطل ، والحمل القطن المحلوج خمس مائة وخمسون رطلًا وثلث رطل ، والراوية القطران مائتان وثمانون رطلًا جزويًا والمطر الزيت بالإسكندرية أحد وعشرون رطلًا وثلث رطل جزوي وهو أربعة أقساط وثلث كل قسط خمسة أرطال وثلث بالجزوي ، والأرز الروي الويبة ستة عشر قَدْحًا وزنها ثلاثون رطلًا بالجزوي يكون القنطار ثلاث وئيات وثلث والأردب مائة وثمانين رطلًا بالجزوي ، والأرز الغشيم الزاحي بغير تبييض يصح إذا بُشر أرز بياض بالمليح خمس وئيات عن المائة أردب ثلاثة وثمانون أردبًا ، والذراع الحام ثلاثة أشبار وذراع الحصر شبران والذراع الذي يُقاسُ به الحبل السميل ثلاثة أذرع<sup>١</sup> .

### إِسْطَبْلُ الْجَمِيْزَةِ

وكان بجوار القصر الغربي من قلبه<sup>(a)</sup> « إسْطَبْلُ الْجَمِيْزَةِ » ، من جانب باب الساباط الذي هو الآن باب سيرّ المارستان المنصوري . وقيل له إسْطَبْلُ الْجَمِيْزَةِ من أجل أنه كان في وَسْطِهِ شَجَرَةٌ جَمِيْزٌ كَبِيرَةٌ<sup>٢</sup> .

وكان مَوْضِعُ هَذَا الْإِسْطَبْلِ تَجَاهَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَابِ السَّابِاطِ ، فَيَنْزِلُ مِنَ الْحَدْرَةِ الَّتِي هِيَ الْآنَ تَجَاهَ بَابِ سِرِّ الْمَارِسْتَانَ الْمُتَوَصِّلِ مِنْهَا إِلَى حَارَةِ زَوَيْلَةَ ، وَيَمْتَدُّ فِيهَا حَاذَاهُ يَسَارِكُ إِذَا وَقَفَتْ بِأَوَّلِ هَذِهِ الْحَدْرَةِ حَيْثُ الطَّاحُونُ الْكَبِيرَةُ الَّتِي هِيَ الْآنَ فِي أَوْقَافِ الْمَارِسْتَانَ وَمَا وَرَاءَهَا ، وَيُحَاذِيهَا إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِالْبُنْدُقَانِيْنَ .

(a) في المسودة : كان غربي القصر الصغير .

<sup>١</sup> هذه الفقرة أضافها المقرئ في مسودة المواعظ في  
 طائرة غير واضحة كتبت بطول الورقة ولم يثبتها في المبيضة .  
<sup>٢</sup> قارن المقرئ في مسودة المواعظ ٤٥ ، ونصه في غابة  
 الاختصار ، وأيضًا Fu'ād Sayyid, A., op. cit., pp. 305-6 .



وكانت بئرُهُ تُعْرَفُ بِبَيْرِ زَوَيْلَةَ ، وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول وموضع هذه البئر اليوم قيسارية تُعْرَفُ بقيسارية يونس تجاه دزب الأَنْجَب . وقد شاهدتُ هذه البئرَ لما أنشأ الأمير يونس الدوادار هذه القيسارية والرَّبْعَ علوها ، فرأيتُ بئرًا كبيرةً جدًّا ، وقد عُقِدَ على فوهتها عَقْدٌ رُكِبَ فوقه بعضُ القيسارية ، وترك منها شيءٌ ؛ ومنها الآن النَّاسُ تشقي بالدلاء .

وما زال هذا الإسْطَبْلُ باقياً إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحُكِرَ ، وبُنِيَ في مكانه الأدرّ التي هي موجودة الآن ، وجكّره جارٍ في أوقاف الصّلاح الإزبلي<sup>(a)</sup> الكاملي<sup>(b)</sup> ، وقد تقدّم ذكرُ هذا الإسْطَبْلِ عند ذكر إسْطَبْلِ الطَّارمة ، فانظر رُسومَه هناك<sup>١</sup> .

### دار الديباج

وكان بجوار إسْطَبْلِ الجُمَيْزَةِ<sup>(c)</sup> من غربيه دارُ الديباج ، وهي حيث المدرّسة الصّاحبية بشوئقة الصّاحب ، وما جاوَزَها من جانبها وما خلفها إلى الوزيّية ، وكانت هي دار الوزارّة القديمة<sup>٢</sup> . وأوّل من أنشأها الوزيّ يُعْقَبُ بن يوسُف<sup>(d)</sup> بن كلّس وزير العزيز بالله ، ثم سكّنها الوزيّ النَّاصِرُ للدين قاضي القضاة وداعي الدّعاة علّمُ المجدّ أبو محمد الحسَن بن عليّ بن عبد الرَّحْمَن اليازوري .

وما زالت سكّن الوزراء إلى أن قدّم أميرُ الجيوش بَدْرُ الجَمالي من عَمّا ، ووَزَرَ للمُستَنصِرِ<sup>(e)</sup> ، وصارَ وزيراً مستبداً ، فأنشأ داره بحارة بَرَجوان وسكّنها<sup>٣</sup> ، وسكّن من بعده ابنه الأفضَلُ بن أمير الجيوش بدار القباب التي عُرفت بدار الوزارّة الكبرى<sup>٤</sup> .

وصارت هذه الدار تُعْرَفُ بدار الديباج ، لأنّه يُعْمَلُ فيها الحرير الديباج ، ويتولّاها الأمائل والأعيان . فممن وليها أبو سعيد بن قِرْقَةَ الطّبيب مُتَوَلّي خزائن السّلاح وخزائن الشّروج والصّناعات<sup>٥</sup> .

(a) بولاق : الأزبكي . (b) إضافة من المسودة . (c) في بولاق وسائر النسخ : الطارمة وهو سبق قلم . (d) بولاق : يونس . (e) بولاق : ووزره المستنصر .

<sup>٤</sup> فيما تقدم ٤٣٨ .

<sup>٥</sup> فيما يلي ٢ : ٦٣ ، ٨١ .

<sup>١</sup> فيما تقدم ٤٥٧ - ٤٥٩ .

<sup>٢</sup> فيما يلي ٢ : ٣٧١ .

<sup>٣</sup> فيما يلي ٢ : ٥٢ .



فلما انقضت الدولة الفاطمية ، بنى الناس في مكان دار الديباج المدرسة السيفية ، وما وراءها من المواضع التي تُعرف أماكنها اليوم بدرب الحريري ، وما جاور هذا الدرب إلى المدرسة الصاحبية وما بجوارها وما هو في ظهرها . فصار يُعرف نخط دار الديباج في زمننا بخط سوية الصاحب<sup>١</sup> .

### الأهراء السلطانية

وكانت أهراء الغلال السلطانية ، في دولة الخلفاء الفاطميين ، حيث المواضع التي فيها الآن خزانة شمائل<sup>٢</sup> ، وما وراءها إلى قرب الحارة الوزيرية .

قال ابن الطوير : وأما الأهراء فإنها كانت في عدة / أماكن بالقاهرة هي اليوم إسطبلات ومناجات ، وكانت تحتوي على ثلاث مائة ألف أزدب من الغلات وأكثر من ذلك . وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغداد<sup>(a)</sup> ، وآخر الغول ، وآخر القرافة . ولها الحمأة من الأمراء والمشارفون<sup>(b)</sup> من العُدول ، والمراكب واصله إليها بأصناف الغلات إلى ساحل مصر وساحل المنس ، والحمالون يحملون ذلك إليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية ، وأكثر ذلك من الوجه القبلي .

ومنها إطلاق الأقوات لأزباب الرتب والخدم وأزباب الصدقات وأزباب الجوامع والمساجد ، وجرايات العبيد السودان بتعريفات<sup>(c)</sup> ، وما يُتفق في الطواحين المعلقة<sup>(d)</sup> برسم خاص الخليفة ، وهي طواحين مداراتها<sup>(e)</sup> سفل وطواحينها علو حتى لا تقارب زبل الدواب<sup>(٣)</sup> ، ويُحمل دقيقها للخاص ، وما يختص بالجهات في خرائط من شقق حليية .

ومن الأهراء<sup>(f)</sup> تخرج جرايات رجال الأسطول - وفيها ما هو قديم يُقطع بالمساحي ، ويُخلط في بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين - وجرايات السودان ، ومنها ما يُستدعى بدار الضيافة

(a) بولاق : بغداد . (b) بولاق : المشارفين . (c) المسودة : بتعريفات الجرمين . (d) زيادة من مسودة المواظ . (e) النسخ وبولاق : مدارها والمثبت من المسودة . (f) مسودة المواظ : ومنها .

<sup>١</sup> فيما يلي ٢ : ٣٢ ، ١٠٤ : المقرزي : مسودة المواظ التي أنشأها السلطان المؤيد شيخ الحمودي على يسار الداخل من باب زويلة . (فيما يلي ٢ : ٣٢٨ ، وفيما تقدم ٥١٥) .

<sup>٢</sup> خزانة شمائل حل محلها بعد سنة ٨١٨ هـ المدرسة المؤيدية <sup>٣</sup> القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٤٧٦ .



لأخباز الرُّسُل ومن يتبعهم، وما يُعْمَل من القَمَح برِسم الكَكْكَ لَزاد الأَشْطُول. فلا يفتَر  
مستخدِموها من دَخَل وخَزَج، ولهم جامِكِيَّات<sup>a</sup> مميِّزة وجرايات برِسم أقواتهم وشَعير  
لدوابهم<sup>b</sup>. وما يُقْبَض من الواصِلين بِالغِلال<sup>c</sup> إلا ما يُماتل العيون المختومة معهم، وإلا دُرِّي وطُلِب  
العَجْزُ بالنسبة<sup>١</sup>.

وذكر ابنُ المأمون أن غَلَّت الوجْه القبلي كانت تُحْمَل إلى الأهراء. وأمَّا الأعمال البحريَّة  
والبحيريَّة والجزيرتان<sup>٢</sup> والغريَّة والكفور والأعمال الشَّرقيَّة، فيُحْمَل منها اليسير، ويُحْمَل باقيها  
إلى الإسكَنْدريَّة وِدْمياط وتَيْس، لِيُسَيَّر إلى ثَغْر عَشَقْلان وثَغْر صُور. وأنَّه كان يُسَيَّر إليهما في  
كُلِّ سنة مائة وعشرون ألف أَرْدب: منها لِعَشَقْلان خمسون ألفاً، ولِصُور سبعون ألفاً، فيصير  
هناك ذَخيرة، ويُباع منها عند الغني عنها. قال: وكان يُتَحَصَّل للديوان في كلِّ سنة ألف ألف  
أَرْدب<sup>٣</sup>.

وذكرَ جَامِعُ «السِّيَرَةِ اليَازوريَّة» أنَّ المَتَجَرَ كان يُقامُ به للديوان من الغلَّة، وأنَّ الوَزيْرَ أبا محمد  
اليَازوري قال للخليفة المُستَصر - وهو يومئذٍ يتقلدُ وظيفَةَ قاضي القضاة، وقد قَصُر النَّيل في سنة  
أربع وأربعين وأربع مائة، ولم يكن بالمخازن السلطانية غِلالاً فاشتدت المشغبة -: يا أمير المؤمنين، إنَّ  
المتَجَرَ الذي يُقامُ بالغلَّة فيه أوفى مَضْرَّة على المسلمين ورُجماً انْحَطَّ<sup>d</sup> السَّعْرُ من مُشْتراها، ولا يمكن

(a) بولاق: جامكية. (b) المسودة: والشعير برسم دوابهم. (c) المسودة: بالغللات. (d) بولاق: أقحط.

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة ١٣٩-١٤٠؛ المقرئ: مسودة  
المواعظ ٢٤٦-٢٤٧.

<sup>٢</sup> الجزيرتان. هما جزيرة بني نصر وجزيرة قوسنيا،  
وكانتا تقعان بين فُرْقَتَي النَّيل الشرقيَّة والغريَّة. كانت جزيرة  
بني نَصْر - وهي من المدن المندرسة الآن - تشمل المنطقة  
الواقعة على الشاطئ الشرقي لفرع رشيد من محلة اللين التي  
بمركز كفر الزيات شمالاً إلى زاوية رزين بمركز منوف جنوباً.  
ذكر المقرئ أنها منسوبة إلى بني نَصْر بن معاوية بن بَكْر بن  
هوازن، كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى  
ملكوا أسفل الأرض وغلبوا عليها حتى قويت عليهم قبيلة لؤائة  
فتركوا الخيام وصاروا أهل قرى في مكان عرف بهم وسط  
النيل هو هذه الجزيرة (فيما تقدم ٢٢٦:١). وسُميت جزيرة

لأن ماء النيل كان يحيط بها فكان يحدّها من الغرب فرع  
رشيد ومن الشرق ترعة الباجورية وفروعها (ابن ممتي: قوانين  
الدواوين ٩٥؛ القلقشندي: صبح ٥٠٤:٣-٥٠٥؛ أبو  
الحاسن: النجوم ٩:٣٨٨هـ<sup>٢</sup>؛ محمد رمزي: القاموس  
الجغرافي للبلاد المصرية ١:٢١٣-٢١٤).

أما جزيرة قوسنيا أو قوسينا فهي مدينة قوسينا الحالية أحد  
أعمال الغريَّة (ابن ممتي: قوانين ١٦١؛ المقرئ: اتعاط  
٣:٨٨؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٢  
ص ٢٠٤).

<sup>٣</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٩٥-٩٦؛ المقرئ: مسودة  
المواعظ ٢٤٧-٢٤٨ مع خلاف في العبارة.



يَبْعُهَا ، فَتَتَغَيَّرُ فِي الْمَخَازِنِ وَتَتَلَفُ . وَأَنَّهُ يُقَامُ مَتَجَرِّزًا لَا كُفْلَةَ فِيهِ عَلَى النَّاسِ ، وَيُفِيدُ أضعاف فائدة الغلَّةِ ، وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ تَغْيِيرٍ فِي الْمَخَازِنِ وَلَا انْحِطَاطٍ سِغَرٍ ، وَهُوَ الْخَشَبُ وَالصَّابُونَ وَالْحَدِيدُ وَالرَّصَاصُ وَالْعَسَلُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . فَأَمَضَى الْخَلِيفَةُ مَا رَأَاهُ ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ ، وَدَامَ الرَّخَاءُ عَلَى النَّاسِ وَتَوَسَّعُوا <sup>١</sup> .

## ذِكْرُ الْمَنَاطِرِ الَّتِي كَانَتْ لِلْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ

### وَمَوَاضِعُ تَرْهَاتِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ أُمُورٍ جَمِيلَةٍ

وَكَانَ لِلْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ مَنَاطِرٌ كَثِيرَةٌ بِالْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ وَالرَّوْضَةَ وَالْقَرَّافَةَ وَبِرْكَةَ الْحَبَشِ وَظَوَاهِرَ الْقَاهِرَةِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ عِدَّةٌ مُتَنَزِّهَاتٍ أَيْضًا . فَمِنْ مَنَاطِرِهِمْ الَّتِي بِالْقَاهِرَةِ : مَنَظَرَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، وَمَنَظَرَةُ اللُّؤْلُؤَةِ عَلَى الْخَلِيجِ ، وَمَنَظَرَةُ الدُّكَّةِ ، وَمَنَظَرَةُ الْمَقْسِ ، وَمَنَظَرَةُ بَابِ الْفُتُوحِ ، وَمَنَظَرَةُ الْبَعْلِ ، وَمَنَظَرَةُ النَّاجِ وَالْخَمْسِ وَجُوهِ ، وَمَنَظَرَةُ الصَّنَاعَةِ بِمِصْرَ ، وَدَارُ الْمَلِكِ وَمَنَازِلُ الْعِزِّ وَالْهَوْدَجِ بِالرَّوْضَةِ ، وَمَنَظَرَةُ بِرْكَةِ الْحَبَشِ وَالْأَنْدَلُسِ بِالْقَرَّافَةِ ، وَقُبَّةُ الْهَوَاءِ ، وَمَنَظَرَةُ الشُّكْرَةِ .  
وَكَانَ مِنْ مُتَنَزِّهَاتِهِمْ : كَسْرُ خَلِيجِ أَبِي الْمُتَّجَا ، وَقَصْرُ الْوَزْدِ بِالْخَرْقَانِيَّةِ ، وَبِرْكَةُ الْجُبِّ .

### مَنَظَرَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ

وَكَانَ بِجِوَارِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ مِنْ قِبَلِهِ مَنَظَرَةٌ تُشْرَفُ عَلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ <sup>٢</sup> يَجْلِسُ الْخَلِيفَةُ فِيهَا لِمُشَاهَدَةِ لِيَالِي الْوَقُودِ .

ذِكْرُ لِيَالِي الْوَقُودِ - قَالَ <sup>(a)</sup> الْأَمِيرُ الْمُخْتَارُ عِزُّ الْمَلِكِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ <sup>(a)</sup> الْمَسْبُوحِي فِي <sup>(a)</sup> «تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ» ، وَمِنْهُ نَقَلْتُ <sup>(a)</sup> : شَهْرُ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ وَفِيهِ - يَعْنِي خَرَجَ

(a-a) زيادة من مسودة الخطط .

<sup>١</sup> المقرئزي : إغائة الأمة ٢٠ والاتعاظ ٢: ٢٢٥ ، وفيما تقدم ١ : ٢٩٤ ؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٤٩٤ - ٤٩٥ .  
<sup>٢</sup> وهي غير المنطرة الموجودة بالجامع والتي كان الخلفاء يجلسون فيها حين يأتون إلى الجامع للخطابة في شهر رمضان (المقرئزي : المسودة ٢٧٩) .



النَّاسُ فِي لِيَالِيهِ ، عَلَى رَسْمِهِمْ فِي لِيَالِي الْجُمُعِ وَلَيْلَةِ النُّصْفِ ، إِلَى جَامِعِ الْقَاهِرَةِ - يَعْنِي الْجَامِعَ الْأَزْهَرَ - عِوَضًا عَنِ الْقَرِافَةِ ، وَزَيْدٌ فِيهِ فِي الْوَقِيدِ عَلَى حَافَاتِ الْجَامِعِ وَحَوْلَ صَخْنِهِ التَّنَائِيرِ وَالْقَنَادِيلِ وَالشَّمْعِ عَلَى الرَّسْمِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَالْأَطْعِمَةَ وَالْحَلْوَى وَالْبَخُورَ فِي مَجَامِرِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَطِيفَ بِهَا .

- ٥ وَحَضَرَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ التُّعْمَانِ فِي لَيْلَةِ النُّصْفِ فِي الْمَقْصُورَةِ<sup>(a)</sup> وَمَعَهُ شَهْوَدُهُ وَ<sup>(b)</sup>جَمَاعَةٌ مِنْ<sup>(b)</sup> وَجُوهِ الْبَلَدِ ، وَقُدِّمَتْ إِلَيْهِ سِلَالُ الْحَلْوَى وَالطَّعَامِ ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْقُرَّاءُ وَغَيْرِهِمْ وَالْمُنْشِدُونَ وَالنَّاحَةُ . وَأَقَامَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ ، وَأَنْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ إِلَى مَنْ مَعَهُ أَطْعِمَةً مِنْ عِنْدِهِ وَبَخَّرَهُمْ .

- ١٠ وَقَالَ فِي شَعْبَانَ : وَكَانَ النَّاسُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ وَلَيْلَةِ النُّصْفِ ، عَلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي رَجَبٍ وَأَزِيدٍ . قَالَ<sup>(c)</sup> : وَفِي لَيْلَةِ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ كَانَ/ لِلنَّاسِ جَمْعٌ عَظِيمٌ بِجَامِعِ الْقَاهِرَةِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْقُرَّاءِ وَالْمُنْشِدِينَ ، وَحَضَرَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ التُّعْمَانِ فِي جَمِيعِ شَهْوَدِهِ وَوُجُوهِ الْبَلَدِ ، وَوَقِدَتِ التَّنَائِيرُ وَالْمَصَابِيحُ عَلَى سَطْحِ الْجَامِعِ وَدَوَّرَ صَخْنَهُ ، وَوُضِعَ الشَّمْعُ عَلَى الْمَقْصُورَةِ وَفِي مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِمُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ الْأَطْعِمَةَ وَالْحَلْوَى وَالْبَخُورَ ، فَكَانَ جَمْعًا عَظِيمًا<sup>١</sup> .

- ١٥ قَالَ : وَفِي شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِ مِائَةِ قُطِعَ الرَّسْمُ الْجَارِي مِنَ الْخُبْرِ وَالْحَلْوَى الَّذِي يُقَامُ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَشْهُرِ لِمَنْ يَبِيتُ بِجَامِعِ الْقَاهِرَةِ فِي لِيَالِي الْجُمُعِ وَالْأَنْصَافِ ، وَحَضَرَ قَاضِي الْقَضَاةِ مَالِكُ بْنُ سَعِيدِ الْفَارِقِيِّ إِلَى جَامِعِ الْقَاهِرَةِ لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ رَجَبٍ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ بِالْقَرِافَةِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ رُسُومُهُمْ مِنْ كَثْرَةِ اللَّعِبِ وَالْمِزَاحِ<sup>(d)</sup> ٢ .

- ٢٠ رَوَى الْفَاكِهِيُّ فِي كِتَابِ « [تَارِيخ] مَكَّةَ »<sup>(e)</sup> أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ يَصِيحُ فِي أَهْلِ مَكَّةَ وَيَقُولُ : يَا أَهْلَ مَكَّةَ أَوْقِدُوا لَيْلَةَ هِلَالِ الْمُحَرَّمِ ، فَأَوْضِحُوا فِجَاجَكُمْ لِحَاجِّ بَيْتِ اللَّهِ ، وَاحْرُسُوهُمْ لَيْلَةَ هِلَالِ الْمُحَرَّمِ حَتَّى يُضْبِحُوا . وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ بِمَكَّةَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ حَتَّى كَانَتْ وِلَايَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ عَلَى مَكَّةَ ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُوقِدُوا لَيْلَةَ هِلَالِ رَجَبٍ ، فَيَحْرُسُوا

(a) بولاق والنسخ : بالمقصورة والمثبت من مسودة الخطط . (b-b) زيادة من مسودة الخطط . (c) زيادة من مسودة الخطط .

(d) بعد ذلك بياض في الأصل . (e) زيادة اقتضاها السياق .

<sup>١</sup> المسيحي : نصوص ضائعة ١٢-١٣؛ القرظي : نفسه ٣٠؛ القرظي : اتعاظ الحنفا ٢ : ٨٩ .

مسودة المواظ ١٢٠ ظ (بطاقة) .



عُمَار أهل اليمن ، ففعلوا ذلك في ولايته ، ثم تركوه بعد <sup>١</sup> .

وفي ليلة النصف من رَجَب سنة خمس عشرة وأربع مائة ، حَضَرَ الخَلِيفَةُ الظَّاهِر لإعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحَاكِم بأمر الله ومعه السيِّدات ، وَخَدَمَ الخاصَّة وغيرهم وسائر العامة والرعايا ، فجلَسَ الخَلِيفَةُ في المنْظَرَةِ <sup>٢</sup> .

وكان في ليلة شَعْبَانَ أيضًا اجتماع لم يُشْهَد مثله من أيام العزیز بالله ، وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد ، وكان مشهَدًا عظيمًا بعد عهد الناس بمثله <sup>٣</sup> ، لأن الحَاكِم بأمر الله كان أبطل ذلك فانقطع عمله .

وقال ابن المأمون : ولما كانت ليلة مستهل رَجَب - يعني من سنة ست عشرة وخمس مائة - عُيِّنَت الأسمطة الجارية بها العادة ، وجلَسَ الخَلِيفَةُ الأمير بأحكام الله عليها ، والأجل المأمون الوزير ومن جرت عادته بين يديه . وأظهر الخَلِيفَةُ من المسرة والانشراح ما لم تجر به عادته ، وبألغ في شكر وزيره وإطرائه ، وقال : قد أعدت لدولتي بهجتها ، وجددت فيها من المحاسن ما لم يكن ، وقد أخذت الأيام نصيبها من ذلك ، وبقيت الليالي - وقد كان بها موايسم قد زال حكمها ، وكان فيها توسعة وبر ونفقات - وهي « ليالي الوقود الأزبع » ، وقد آن وقتهن ، فأشتهي نظرهن . فامتل الأمر ، وتقدم بأن يُحمَل إلى القاضي خمسون دينارًا يصرفها في ثمن الشمع وأن يعتمد الركوب في الأزبع الليالي - وهي ليلة مستهل رَجَب ، وليلة نصفه ، وليلة مستهل شَعْبَانَ ، وليلة نصفه - وأن يتقدم إلى جميع الشهود بأن يركبوا ضحبتهم ، وأن يُطلق للجوامع والمساجد توسعة في الزيت برسم الوقود ، ويتقدم إلى متولي بيت المال بأن يهتم برسم هذه الليالي من أصناف الحلاوات ، مما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة <sup>٤</sup> .

وقال : في سنة سبع عشرة وخمس مائة وفي الليلة التي صبيحتها مستهل رَجَب ، حَضَرَ القاضي أبو الحجَّاج يوسف بن أيوب المغربي <sup>٥</sup> ، ووقع له بما استجد إطلاقه في العام الماضي ، وهو

<sup>١</sup> ولي أبو القباس عبد الله بن محمد بن داود بن

عيسى القباسي ولاية مكة سنتي ٢٤٠ و ٢٤١ ، وأورد

القاسي هذا الخبر أيضًا عن الفاكهي . (القاسي : العقد

الشمين ٢٤٥:٥) .

<sup>٢</sup> المسيحي : أخبار مصر ٤٨ ؛ المقرزي : اتعاظ

٢: ١٥١ ؛ مسودة الخطط ١٢٠ ظ ؛ وانظر وصف ناصر

خسرو ليليالي الوقود سنة ٤٤٠ هـ (سفرنامه ١٠٢) .

<sup>٣</sup> نفسه ٤٨ ؛ نفسه ٢: ١٥١ ، نفسه ١٢٠ ظ .

<sup>٤</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٣٦ ؛ المقرزي : اتعاظ

٣: ٨٢ .

<sup>٥</sup> القاضي أبو الحجَّاج يوسف بن أيوب بن إسماعيل =



خمسون دينارًا من بيت المال لا يتباع الشمع برسم أول ليلة رَجَب . واستدعى ما هو برسم<sup>(a)</sup> الخليفة وجهاته ووزيره مما يُصنع بالإيوان وهي عدَّة أصناف وكذلك<sup>(a)</sup> ما هو برسم القعبتين<sup>(b)</sup> : إحداهما للقُصُور<sup>(c)</sup>، والأخرى للدار المأمونية - بحكم الصيام من مستهل رَجَب إلى سلخ رَمَضان - مما يُصنع في دار الفِطْرَة خُشْكَنانج صَغير وبَسَنُدود ، في كلِّ يوم قنطار سكر ومثقالان مسكًا وديناران مؤونة .

وكان يُطلق في الأزب ليالي الوُقود - برسم الجوامع الستة : الأزهر والأنور والأقمر بالقاهرة والطولوني والعتيق بمصر ، وجامع القرافة ، والمشاهد التي تضمَّنت الأعضاء الشريفة<sup>١</sup> ، وبعض

(a-a) ساقط من بولاق . (b) بولاق : التعبتين . (c) بولاق : إحداهما للمقصورة .

*An. Isl. XVII (1981), pp. 1-30; Williams, C., «The Cult of Alid Saints in the Fatimid Monuments of Cairo»- Part II: «The Mausolea», Muqarnas III (1985), pp. 39-60 .*

وتقع هذه المشاهد اليوم على يمين ويسار شارع الأشرية فيما بين مشهد السيدة نفيسة جنوبًا وشارع الصليبية شمالًا . ويطلق لفظ «المشاهد» أيضًا على تسعة من المشاهد الشريفة المدفون بها رفات آل بيت رسول الله ﷺ ، تقع بين جبل المقطم والقرافة الكبرى هي : مشهد القاسم الشيبه ، ومشهد السيدة كلثوم ، ومشهد يحيى الشيبه ، ومشهد الحسن والحسين (أو المحسن) ، ومشهد السيدة آمنة ، ومشهد علي بن عبد الله ، ومشهد محمد بن عبد الله ، ومشهد السيدة أم كلثوم ، ومشهد السيدة زينب (راجع ، ابن المأمون : أخبار مصر ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ؛ ابن ميسر : أخبار مصر ٩١ ؛ المقرئزي : اتعاظ ٣ : ٨١ والمقفى الكبير ٦ : ٤٩٣ وفيما يلي ٢ : ٢٦٤ و ٤٣٦ - ٤٤٢ ؛ Ragib, Y., «Les Sanctuaires des gens de la famille dans la cité des morts du Caire», *RSOLI* (1977), pp. 47-76; Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. (644-57) .

= الأندلسي كان قد أقرأ المؤمن حيدرة بن فانتك أخوا المأمون القرآن والنحو فولاه قضاء الغربية ، ثم قرره الوزير المأمون في القضاء في ذي القعدة سنة ٥١٦ . ولقب جلال الملك تاج الأحكام ، واشتمل سجله على توليته القضاء والخطابة والصلاة وديوان الأحباس ودار الضرب . وكانت وفاته في جمادى الآخرة وقيل في شوال سنة ٥٢١ هـ . (ابن ميسر : أخبار مصر ١٠٦ ؛ المقرئزي : اتعاظ ٢ : ١١٩ ؛ ابن حجر : رفع الإصر ٤٧٣ - ٤٧٤) .

<sup>١</sup> المشاهد . هذه أقدم إشارة إلى منطقة المشاهد الواقعة على الطريق المؤصل بين القاهرة والفسطاط (امتداد الشارع الأعظم) تمثل مشهد السيدة سكينه ومشهد عاتكة والجعفرى ومشهد السيدة رقية ، بالإضافة إلى المشاهد الثلاثة المعلقة التي شيدها الخليفة الحاكم بأمر الله (فيما يلي مسودة) . وعرفت هذه المنطقة ازدهارًا عمرانيًا مع مطلع القرن السادس الهجري . (أبو عبيد البكري : جغرافية مصر من كتاب الممالك والمسالك ٧٥ ؛ مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ٨٣ ؛ الإدريسي : أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام ٥٤ ؛ ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢١ ؛ المقرئزي : السلوك ٢ : ٥٤٣ ؛ Ragib, Y., «Les mausolées fatimides du quartier d'al-Masâhid»,



المساجد التي لأزبابها وجاهة - جملة كبيرة من الزيت الطيب ، ويختص بجامع راشدة ، وجامع ساحل الغلة بمصر<sup>١</sup> ، والجامع بالمقس ، يسير<sup>٢</sup> .

قال : ولقد حدثني القاضي المكين بن حيدر - وهو من أعيان الشهود - أن من جملة الخدم التي كانت بيده مشاركة الجامع العتيق ، وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة إلى أن يكملوا ثمانية عشر ألف فتيلة ، وأن المطلق برسمه خاصة ، في كل ليلة برسم وقوده ، أخذ عشر قنطارًا ونصف قنطار زيت طيب<sup>٣</sup> .

وذكر رُكوب القاضي والشهود في الليلة المذكورة على جاري العادة قال : وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثاني الشهر بموكبه إلى مشهد السيدة نفيسة وما بعده من المشاهد ، ثم إلى جامع القرافة ، وبعده إلى الجامع العتيق بمصر . وقد عمَّ معروفه جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد ، وصلى الجمعة . وعند انقضاء الصلاة ، أحضر إليه الشريف الخطيب المصحف الذي بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فوقع بإطلاق ألف دينار من ماله ، وأن يصاغ عليه فوق الحلية<sup>(a)</sup> الفضة جليلة ذهب ، وكتب عليه اسمه .

وفي الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود ، جرى الحال في رُكوب القاضي وشهوده على الترتيب الذي تقدم في أول الشهر . ولما وصل إلى الجامع وجدته قد عُيئ في الرواق الذي عن يمين الخارج منه ، سباط كعك وحشكناج وحلوى ، فجلس عليه بشهوده ، ونهته الفقراء والمساكين ، وتوجه بعده إلى ما سواه من جامع القرافة وغيره ، فوجد في رواق الجامع المذكور سباطًا مثل السباط المذكور ، فاعتمد فيه على ما ذكر . وله أيضًا رسم صدقة في هذا النصف للفقراء وأهل الربط ، مما يفرقه القاضي ، عشرة دنانير<sup>(b)</sup> وخمسة مائة - درهم ، ولمسجد الفتح وغيره تسعة دنانير<sup>(b)</sup> يفرقها القاضي<sup>٤</sup> .

وقال ابن الطوير : إذا مضى النصف من جمادى الآخرة - وكان عدده عندهم تسعة وعشرين يومًا - أمر أن يُسبك في خزائن دار أفتكين ستون شمعة ، وزن كل شمعة منها سدس قنطار

(a) بولاق : حلية . (b-b) ساقطة من بولاق .

<sup>٢</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٦٩ ، وفيما يلي ٢ : ٢٦٤ .

<sup>٣</sup> نفسه ١٠٤ ، وفيما يلي ٢ : ٢٥٦ .

<sup>٤</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٦٣ - ٦٤ .

<sup>١</sup> جامع ساحل الغلة هو جامع العشكر ، فقد كان العشكر قد خرب في ذلك الوقت وحملت أنقاضه وصار الجامع بساحل مصر (فيما يلي ٢ : ٢٦٤) .



بالمصري، وحملت إلى دار قاضي القضاة لركوب ليلة مستهل رجب. فإذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتم الشهود أيضا، فمنهم من يركب بثلاث شمعات إلى اثنتين إلى واحدة. ويمضي أهل مصر منهم إلى القاهرة، فيصلون المغرب في الجوامع والمساجد، ثم ينتظرون ركوب القاضي؛ فيركب من داره بهيئته وأمامه الشمع المحمول إليه موقودا مع المندوبين لذلك من الفراشين من الطبقة السفلى، من كل جانب ثلاثون شمعة، وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى، ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدر محفوظ<sup>١</sup>. ويندب في حجبته ثلاثة من نواب الباب، وعشرة من الحجاب، خارجا عن حجاب الحكم المستقرين وعدتهم خمسة في زي الأمراء، وفي ركابه القراء يطربون بالقراءة، والشهود وراءه على الترتيب في جلوسهم بمجلس الحكم الأقدم فالأقدم، وحوالي كل واحد ما له من شمع؛ فيشقون من أول شارع فيه دار القاضي إلى بين القصرين، وقد اجتمع من العالم في وقت جوازهم ما لا يحصى كثرة رجالا ونساء وصبيانًا؛ بحيث لا يعرف الرئيس من المرءوس وهو ما زال إلى أن يأتي هو والشهود باب الزمرد من أبواب القصر في الرحبة الوسيعة تحت المنطرة العالية في السعة العظيمة من الرحبة المذكورة، وهي التي تقابل درب قراضيا.

فيحضر صاحب الباب ووالي القاهرة والقراء والخطباء - كما شرحنا في المواليد الستة<sup>٢</sup> - ويرجلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع وبين شخصه، ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون كالمواليد، ويذكرون استهلال رجب وأن هذا الركوب علامته، ثم يسلم الأستاذ من الطائفة الأخرى استفتاحًا وانصرافًا كما ذكرنا.

ثم يركب الناس إلى دار الوزارة، فيدخل القاضي والشهود إلى الوزير فيجلس لهم في مجلسه ويسلمون عليه، ويخطب الخطباء أيضًا بأخف من مقام الخليفة، ويدعون له ويخرجون عنه، فيشق القاضي والجماعة القاهرة، وينزل على باب كل جامع بها ويصلي ركعتين؛ ثم يخرج من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام، ووالي القاهرة في خدمة القوم<sup>٣</sup>، مستكثرا من الأعوان والحفظة

(a) بولاق: في خدمته اليوم.

<sup>١</sup> حاشية بخط المؤلف: وكانت عادة خلفاء بني العباس ببغداد أن تعمل دعوة في رجب لجماعة من أهل العلم وأهل التصوف ويعمل السماع، فيقيمون يومين وليلة؛ فلما ولي الناصر أبطل ذلك ثم أعاده.  
<sup>٢</sup> فيما تقدم ٤٢٢ - ٤٢٥.  
 وكان يفرق في العلماء والفقهاء والصوفية عشرة آلاف، فسار يقال للدار التي يجتمعون بها: دار الدعوة والسماع!



في الطُّرُقَات إلى جامع ابن طولون ، فَيَدْخُلُ القَاضِي إليه للصَّلَاة فيجد والي مصر عنده للقاء القَوْمِ وِجْدَمَتِهِمْ ، فَيَدْخُلُ المَشَاهِدَ التي في طَرِيقِهِ أيضًا . فَإِذَا وَصَلَ إلى باب مصر تَرْتَبُ كما تَرْتَبُ في القَاهِرَةِ ، وَصَارَ شَاقًّا الشَّارِعَ الأَعْظَمَ إلى باب الجامع من الزِّيَادَةِ التي يَحْكُمُ فيها ، فيوقَدُ له التَّنُورَ الفِضَّةَ الذي كان مُعَلَّقًا فيه ، وكان مَلِيحًا في شكله وتعليقه غير مُنَافِرٍ في الطُّولِ والعَرْضِ ، واسِعَ التَّدْوِيرِ ، فيه عَشْرَ مَنَاطِقٍ في كُلِّ مَنطَقَةٍ مائة وعشرون بُزَاقَةً ، وفيه سَرَوَاتٌ بارِزَةٌ مثل النَّخِيلِ ، في كُلِّ وَاحِدَةٍ عِدَّةٌ بُزَاقَاتٍ ، تقرب عِدَّةٌ ذلك من ثلاث مائة ، ومعلَّقٌ بدائِرٍ سِفلُه مائة قِنْدِيلٍ نَجُومِيَّةٍ . وَيَخْرُجُ من الجامع<sup>٥</sup> فَإِن كَانَ سَاكِئًا بِمِصْرَ اسْتَقَرَّ بِهَا ، وَإِن كَانَ سَاكِئًا بِالقَاهِرَةِ وَقَفَ له والي القَاهِرَةِ بِجَامِعِ ابن طولون ، فيودِّعُه والي مصر ، ويسير معه والي القَاهِرَةِ إلى دارِهِ .

فَإِذَا مَضَى من رَجَبِ أَرْبَعَةِ عَشْرٍ يَوْمًا ، رَكِبَ لَيْلَةَ الخَامِيسِ عَشْرٍ كَذَلِكَ ، وفيه زِيَادَةُ طُلُوعِهِ - بعد صَلَاتِهِ بِجَامِعِ مِصْرَ - إلى القَرَاةِ لِيُصَلِّيَ في جَامِعِهَا ، والنَّاسُ يَجْتَمِعُونَ له لِيَنْظُرُوهُ وَمَنْ مَعَهُ في كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَا يَمَلُّونَ من ذلك .

فَإِذَا انْقَضَتِ هَذِهِ اللَّيْلَةُ ، اسْتُدْعِيَ مِنْهُ الشَّمْعُ لِيُكَمِّلَ نَقْضَهُ<sup>٦</sup> ، حتى يركب به في أوَّلِ شَعْبَانَ وَنِصْفِهِ على الهَيْئَةِ المَذْكُورَةِ ، والأسواقُ مَعْمُورَةٌ بِالْحُلُوءِ ، ويتفرَّغُ النَّاسُ لذلك هذه الأَرْبَعِ اللَّيَالِي<sup>١</sup> .

### مَنْظَرَةُ اللُّؤْلُؤَةِ

وكان للخلفاء الفاطميين مَنْظَرَةٌ - تُعْرَفُ بِقَصْرِ اللُّؤْلُؤَةِ ، وبمَنْظَرَةِ اللُّؤْلُؤَةِ - على الخَلِيجِ بِالقُرْبِ من باب القَنْطَرَةِ . وكان قَصْرًا من أَحْسَنِ القُصُورِ وأَعْظَمِهَا زَخْرَفَةً ، وهو أَحَدُ مَنَازِلِ الدُّنْيَا المَذْكُورَةِ ، فَإِنَّهُ كان يُشْرِفُ من شَرْقِيهِ على البُيُوتَانِ الكافُورِيِّ ، وَيُطَّلُ من غَرْبِيهِ على الخَلِيجِ<sup>٢</sup> . وكان غَرْبِيُّ الخَلِيجِ إِذْ ذَاكَ لَيْسَ فِيهِ من المَبَانِي شَيْءٌ ، وَإِنَّمَا كان فِيهِ بَسَاتِينٌ عَظِيمَةٌ وَبِرْكَةٌ تُعْرَفُ

(a) بولاق : ويخرج له الحاكم . (b) بولاق : بعضه .

<sup>١</sup> وقد كانت قد استمرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربع مائة وإلى زمننا هذا .

<sup>٢</sup> يدل على موضع منظر اللؤلؤة اليوم مدرسة الفرير بالخرنفش المطلة على شارع بورسعيد بالقرب من ميدان باب الشعرية . (انظر أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ٤ : ٤٦ ، ٢٥٤-٢٥٥) .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة ٢٢٠-٢٢٣ .

حاشية بخط المؤلف : قال ابن كثير : أُبْطِلَ الوَقِيدُ

بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان - يعني سنة إحدى

وخمسين وسبع مائة - بمزئوم السلطان ، وكنت رأيت قُتْبِيَا

عليها خط (؟) وجمال الدين الزمكاني بإبطال هذه البِدْعَةِ



يَبْطِنُ البَقْرَةَ ، فَيَرَى الجَالِسُ فِي قَصْرِ اللُّؤْلُؤَةِ جَمِيعَ أَرْضِ الطَّبَّالَةِ وَسَائِرِ أَرْضِ اللُّوقِ وَمَا هُوَ مِنْ قِبَلِهَا ، وَيَرَى بَحْرَ النَّيْلِ مِنْ وَرَاءِ البَسَاتِينِ .

قال ابن ميسر: هذه المنظرَةُ بناها العزيزُ بالله ، ولما وليَ يزجوانَ وزارةَ الحاكمِ بأمرِ الله ، بعد أمينِ الدولةِ ابنِ عمّارِ الكُتاميِّ ، سَكَنَ بِمَنْظَرَةِ اللُّؤْلُؤَةِ فِي جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ إِلَى أَنْ قُتِلَ <sup>١</sup> .

وفي السَّادِسِ والعَشْرِينَ مِنْ ربيعِ الأخرِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، أَمَرَ الحاكمُ بأمرِ الله بِهَدْمِ اللُّؤْلُؤَةِ وَتَهْيِئِهَا ، فَهَدِمَتْ وَنُهَبَتْ وَبِيعَ مَا فِيهَا .

وقال المُسَبِّحِي/ : وفي سادسِ عَشْرِي ربيعِ الأخرِ - يعني سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ - أَمَرَ الحاكمُ بأمرِ الله بِهَدْمِ الموضعِ المعروفِ بِاللُّؤْلُؤَةِ عَلَى الخَلِيجِ مُوَازَاةَ المَقْسِ ، وَأَمَرَ بِنَهْبِ أَنْقَاضِهِ ، فَنُهَبَتْ كُلُّهَا ، ثُمَّ قُبِضَ عَلَى مَنْ وُجِدَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ نَهْبِ أَنْقَاضِ اللُّؤْلُؤَةِ وَاعْتَقَلُوا <sup>٢</sup> .

وقال ابنُ المأمونِ : ولما وَقَعَ الاهتمامُ بِسَكَنِ اللُّؤْلُؤَةِ والمَقَامِ فِيهَا مُدَّةَ النَّيْلِ عَلَى الحُكْمِ الأَوَّلِ - يعني قَبْلَ وَرَاةِ أميرِ الجيوشِ بَدْرَ وابنه الأفضَلَ - أَمَرَ بِإِزَالَةِ مَا لَمْ تَكُنِ العَادَةُ جَارِيَةً بِهِ مِنْ مُضَايِقَتِهَا بِالْبِنَاءِ <sup>٣</sup> .

ولما بَدَتْ زِيَادَةُ النَّيْلِ ، وَعَوَّلَ الخَلِيفَةُ الأَمِيرُ بِأحكامِ الله عَلَى السَّكَنِ بِاللُّؤْلُؤَةِ ، أَمَرَ الأَجَلَّ الوَازِرَ المأمونَ بِأَخْذِ جَمَاعَةِ الفَرَّاشِينَ ، الموقوفين بِرِشْمِ خِدْمَتِهَا ، بِالمَبِيتِ بِهَا عَلَى سَبِيلِ الحِرَاسَةِ لِأَنَّ سَبِيلَ السَّكَنِ بِهَا ، (ثم أَحْضَرَ وَكَيْلَهُ أبا البَرَكَاتِ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى دَارِي الفَلَكِ وَالدُّهَبِ اللَّتَيْنِ عَلَى شَاطِئِ الخَلِيجِ وَيُضْلِحَ مَا فَسَدَ مِنْهُمَا وَيُضَيِّفَ إِلَيْهِمَا دَارَ الشَّابُورَةِ <sup>٤</sup> ) .

وعندما بَلَغَ النَّيْلُ سِتَّةَ عَشْرٍ ذِرَاعًا أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الخَيْمِ ؛ وَعِنْدَمَا قَارَبَ النَّيْلُ الوَفَاءَ تَحَوَّلَ الخَلِيفَةُ فِي اللَّيْلِ مِنْ قُصُورِهِ ، بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ وَإِخْوَتِهِ وَأَعْمَامِهِ وَالسَّيِّدَاتِ كَرَائِمِهِ وَعَمَّاتِهِ ، إِلَى اللُّؤْلُؤَةِ ، وَتَحَوَّلَ المأمونُ إِلَى دَارِ الدُّهَبِ <sup>٥</sup> ، وَأَسْكَنَ الشَّيْخَ أبا الحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي أُسَامَةَ الغَزَالَةَ عَلَى شَاطِئِ

(a-a) إضافة من المسودة .

<sup>١</sup> هذا النص في الجزء الأول من تاريخ ابن ميسر الذي لم

يصل إلينا . مما يدل على أن ابن ميسر تناول الفترة التي دُونَهَا

المُسَبِّحِي ؛ المقرئِي : مسودة المواعظ ٢٨٠ .

<sup>٢</sup> فيما يلي ٢ : ٢٤ .

<sup>٣</sup> دار الذهب . انظر فيما يلي ٢ : ٦٣ .

<sup>٤</sup> المسيحي : أخبار مصر ٣٠ ؛ المقرئِي : مسودة



الخليج<sup>١</sup> ، ولم يسكن أحد قبله فيها ممن يجري مجراه ولا كانت إلا سكن الأمير أبو القاسم ابن الإمام المستنصر والد الخليفة الحافظ<sup>(a)</sup> ، وسكن حسام الملك صاحب<sup>(b)</sup> الباب داره على الخليج .

وأمر متولي المعونة<sup>٢</sup> أن يكشف الآدر المطلة على الخليج قبلي اللؤلؤة ، ولا يمكن أحدًا من السكن في شيء منها إلا من كان له ملك ، ومن كان ساكنًا بالأجرة يُنقل ، ويُقام بالأجرة لرب الملك ليُسكن بها حواشي الخليفة مدة سنة .

وقرر من التوسعة في التفقات ، وما يكون يرسم المستخدمين في المبيتات ، وما يختص بزواتب القصور مدة المقام في اللؤلؤة في أيام الليل ، مياومة من الغنم والحيوان وجميع الأصناف ، وهي جملة كبيرة . وأمر متولي الباب أن يندب في كل يوم<sup>(c)</sup> حاجبًا وثلاثين من صبيان الركاب إلى مسجد الليمونة قبلي اللؤلؤة ويُطلق لهم في كل يوم<sup>(c)</sup> خروف شواء وقنطار خبز . وكذلك جميع الدروب من بحريها<sup>(d)</sup> ، ويُطلق لهم يرسم الغداء مثل ذلك ، وتكون نوبة دائرة بينهم ، وبقية مستخدمي الركاب مُلازمون لأبواب القصر على رسمهم ، وفي يومي الركوب يجتمعون للخدمة إلا من هو في نوبته فيما ريسم له .

وأمر متولي زم<sup>(e)</sup> الممالك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة ، وفي الليل يبيت منهم عدة يرسم الخدمة تحت اللؤلؤة ، ولهم في كل يوم مثل ما تقدم . والرهبانية تُقسم قسمين : أحدهما على أبواب القصور ، والآخر على أبواب اللؤلؤة ، وأصحاب الضوء مثل ذلك . وقرر للجماعة المقدم ذكرها في الليل ، عن رسم المبيت وعن ثمن الوقود ، ما يخرج إليهم مخنومًا بأسماء كل منهم . ويعرضهم متولي الباب في كل ليلة بنفسه عند زواجه وعوده . وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة ومن باب الخوخة ، ولهم رسوم كما تقدم

(a-a) إضافة من المسودة . (b) النسخ وبولاق : حاجب . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق من يحرسها . (e) بولاق : زمام .

<sup>١</sup> منظرة الغزالة . انظر فيما يلي ٥٣٣ - ٥٣٦ .  
<sup>٢</sup> متولي المعونة . موظف يعاون متولي (صاحب) الشرطة في إقامة الأحكام وتثبيت الأيدي في الأملاك أو انتزاعها بناءً على أحكامه . (ابن المأمون : أخبار ١١٨ ؛ المقرئ : اتعاظ ٣ : ٦٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المؤسسات العامة في المدينة الإسلامية ، مجلة الأبحاث ٢٧ (١٩٧٨) - (١٩٧٩) ، ١٧-١٨) .



لغيرهم ، والمتفرجون يخرجون كل ليلة للترهة عليهم ، ويُقيمون إلى بعض الليل حتى ينصرفوا ، من غير خروج في شيء من ذلك عمّا يوجب الشرع .

وفي يومي السلام يمضي الخليفة من قُصوره بحيث لا يراه إلا أستاذوه وخواصه ، إلى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقي ويحضر الوزير على عادته إليه ويكون السلام بها عليه<sup>(a)</sup> على مستمر العادة ، والأسمطة بها في يومي الاثنين والخميس ، وتكون الركوبات من اللؤلؤة في يومي السبت والثلاثاء إلى المتنزّهات<sup>١</sup> .

وقال في سنة سبع عشرة وخمس مائة : ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعًا ، أمر بإخراج جميع<sup>(b)</sup> الخيام والمضارب الدبقي والدياج ، وتحوّل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة بحاشيته<sup>٢</sup> . وأطلقت التوسعة في كل يوم لما يخصّ الخاصّ والجهات والأستاذين من جميع الأصناف . وانضاف إليها ما يُطلق كل ليلة عتيًا وورقًا وأطعمة للبيّاتين بالثوبة برسم الحرس بالنهار والشهر في طول الليل ، من باب قنطرة بهادر<sup>(c)</sup> إلى مسجد الليمونة ، من البرّين<sup>(d)</sup> من صبيان الخاصّ والركاب والرّهجية والشودان والحجاب ، كل طائفة بنقيبها . والعرض من متولّي الباب واقع بالعدة في طرفي كل ليلة ، ولا يُمكن بعضهم بعضًا من المنام ، والرّهجية تخدم على الدوام<sup>٣</sup> . وتحوّل الوزير المأمون إلى دار الذهب ، وأطلقت التوسعة ، والحال في إطلاق الأسمطة لهم في الليل والنهار مستمرّ .

وقال ابن عبد الظاهر : المنظرّة المعروفة باللؤلؤة على برّ الخليج ، بناها الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم - يعني بعد ما هدمها أبوه الحاكم - وكانت معدّة لترهة الخلفاء ، وكان التوصل إليها من القصر - يعني القصر الغربي - من باب مراد<sup>٤</sup> . وأظنه ، فيما ذكره لي علّم الدين بن مماتي الوراق ، أنّه شاهد في كُتب دار ابن كوخيا العتيقة أنّه بابها .

(a) زيادة من المسودة . (b) زيادة من المسودة . (c) بولاق والنسخ والمسودة : القنطرة بما دار ، والتصويب مما يلي ٢٥ : ٢ . (d) بولاق : التزين .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٩٨ - ٩٩ : المقريري : مسودة الحنفا ٣ : ٨١ .  
<sup>٢</sup> المواظ ٢٨١ - ٢٨٤ .  
<sup>٣</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٥٧ ، وفيما يلي ٢٤ : ٢٥ - ٢٤ : ٢٥ .  
<sup>٤</sup> حدّد محمد رمزي موضع باب مراد في عرض مدخل شارع سوق السمك بالخرنقش لجهة الشرق من مدخل شارع خان أبي طافية بقسم الجمالية (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٢٥٤ : ٤ هـ ؛ Fu'ad Sayyid, A., op.cit., p. 303) .



وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل ؛ ولما حصل التوهم من النزارية والحشيشية قل<sup>(a)</sup> تصرفهم - لا سيما إليها<sup>(b)</sup> لصغر سن الخليفة وقلة حواسيه - وأمر بسد باب مراد المذكور - الذي يتوصل منه إلى الكافوري وإلى اللؤلؤة - وأسكن في بعضها فراشون<sup>(c)</sup> لحفظها .

فإذا كان في صبيحة كسر الخليج ، استؤذن الأفضل بن أمير الجيوش في فتح باب مراد ، الذي يتوصل منه إلى اللؤلؤة وغيرها ، فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء ، ثم يعود ويسد الباب ، هذا إلى آخر أيام الأفضل . فلما زوج<sup>(d)</sup> الوزير المأمون في ذلك سارع / إليه ، فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سيذكر في مكانه إن شاء الله<sup>١</sup> ، انتهى .

ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الأمير بأحكام الله ، والحافظ لدين الله ، والفائز ؛ وحملوا إلى القصر الكبير الشرقي من السرايب<sup>٢</sup> .

ولما قدم نجم الدين أيوب بن شاذي من الشام على ولده صلاح الدين يوسف ، وخرج الخليفة العاضد لدين الله إلى لقائه بصحراء الهليلج بأخر الحسينية عند مسجد تبر<sup>(e)</sup> وأكرم غاية الإكرام<sup>(e)</sup> ، أنزل بمنظرة اللؤلؤة ، فسكنها حتى مات في سنة سبع وستين وخمس مائة . واتفق أن حضر يوماً عنده الفقيه نجم الدين عمارة اليمنى ، والرضي أبو سالم يحيى الأهدب بن أبي حصينة<sup>٣</sup> الشاعر في قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد ، فأنشد ابن أبي حصينة نجم الدين أيوب فقال<sup>٤</sup> :

[البسيط]

يا مالك الأرض لا أرضي له طرفاً	منها وما كان منها لم يكن طرفاً
قد عجل الله هذي الدار تسكنها	وقد أعد لك الجنات والغرفاً
تشرفت بك عمن كان يسكنها	فالبس بها العز وتلبس بك الشرفاً
كانوا بها صدفاً والدار لؤلؤة	وأنت لؤلؤة صارت لها صدفاً

(a) بولاق : قبل . (b) ساقطة من بولاق . (c) النسخ : فراشين . (d) بولاق : راجع . (e-e) زيادة من المسودة .

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١١٠-١١١ ، وانظر كذلك ١٢٣-١٢٤ ؛ المقرئ : مسودة المواظ ٢٨٠-٢٨١ ، وقارن أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٢٥٤ .

<sup>٢</sup> انظر ابن ميسر : أخبار ١١٠ ، وفيما تقدم ٤٩٦ .

<sup>٣</sup> يحيى بن سالم بن أبي حصينة الأهدب الشاعر مفرج الكروب ١ : ١٨٧ .

المتوفى سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م (العماد الكاتب : خريدة القصر (قسم مصر) ٢ : ١٥٧ ؛ ابن شاعر : فوات الوفيات ٤ : ٢٧٢-٢٧٥ ؛ ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٣٣٩) .

<sup>٤</sup> عمارة اليمنى : النكت العصرية ٢٩٣ ؛ ابن واصل :



فقال الفقيه عمارة يرد عليه <sup>١</sup>:

[البسيط]

أَيْمَتِ يَا مَنْ هَجَا السَّادَاتِ وَالْخُلَفَا  
جَعَلْتَهُمْ صَدَفًا حَلُّوا بِلَوْلُوَّةِ  
وَأَمَّا هِيَ دَارٌ حَلٌّ جَوْهَرُهُمْ  
فَقَالَ لَوْلُوَّةٌ عُجْبًا بَبَهَجَتِهَا  
فَهُمْ بِسُكْنَائِهَا<sup>(a)</sup> الْآيَاتُ إِذْ سَكَنُوا  
وَالجَوْهَرُ الْفَرْدُ نُورٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ  
لَوْلَا تَجَسُّمُهُمْ فِيهِ لَكَانَ عَلَيَّ  
فَالكَلْبُ يَا كَلْبُ أَسْنَى مِنْكَ مَكْرَمَةٌ

وَقُلْتَ مَا قُلْتَهُ فِي ثَلِيهِمْ سَخَفًا  
وَالعُرْفُ مَا زَالَ سُكْنَى اللُّوْلُوَّةِ الصَّدَفَا  
فِيهَا وَشَفٌّ فَأَسْنَاهَا الَّذِي وَصَفَا  
وَكَوْنِهَا حَوَتْ الْأَشْرَافَ وَالشَّرَفَا  
فِيهَا وَمِنْ قَبْلِهَا قَدْ أُسْكِنُوا الصُّحُفَا  
مِنَ الْبَرِيَّةِ إِلَّا كُلُّ مَنْ عَرَفَا  
ضَعْفِ الْبَصَائِرِ لِلأَبْصَارِ مُخْتَطِفَا  
لَأَنَّ فِيهِ حِفَاطًا دَائِمًا وَوَفَا

فَلله دَرُّ عُمَارَةٍ ، لَقَدْ قَامَ بِحَقِّ الْوَفَاءِ ، وَوَفَى بِحُسْنِ الْحِفَاطِ كَمَا هِيَ عَادَتُهُ ! لَا جَرَمَ أَنَّهُ قُتِلَ فِي حُبِّ<sup>(b)</sup> مِنْ يَهْوَى كَمَا هِيَ سُنَّةُ الْمُحِبِّينَ ، فَاللهُ يَزْحَمُهُ وَيَتَجَاوَزُ عَنْهُ <sup>٢</sup>.

### منظرة الغزالة

وكان بجوار منظره اللؤلؤة منظره تُعرف بالغزالة على شاطئ الخليج ، تُقابل حُمَامَ ابْنِ قِرْقَةَ ،  
وقد خربت هذه المنظره أيضًا ، وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغربي<sup>٣</sup> الذي من ناحية  
الخليج . وقد خربت أيضًا حُمَامُ ابْنِ قِرْقَةَ ، وصارَ مَوْضِعُهَا فُنْدُقًا بجوار حُمَامِ السُّلْطَانِ<sup>٤</sup> التي هناك  
يُعرف بِفُنْدُقِ عِمَادِ . ومَوْضِعُ مَنْظَرَةِ الْغَزَالَةِ الْيَوْمَ رَبْعٌ يُعرف بِرَبْعِ غَزَالَةٍ ، إِلَى جَانِبِ قَنْظَرَةِ  
المُوشِكِيِّ فِي الْحَدِّ الشَّرْقِيِّ <sup>٥</sup>.

وكان يَسْكُنُ بِهَذِهِ الْمَنْظَرَةِ الْأَمِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ بِنِ الْمُسْتَنْصِرِ وَالِدِ الْحَافِظِ لِدِينِ اللهِ ، ثُمَّ  
سَكَنَهَا أَبُو الْحَسَنِ بِنِ أَبِي أُسَامَةَ كَاتِبِ الدَّسْتِ ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْزِلُهَا مِنْ يَتَوَلَّى

(a) بولاق : بسكانهم والنكت العصرية : فهي بسكانها . (b) بولاق : واجب .

<sup>١</sup> عمارة اليمنى : النكت العصرية ٢٩٢ ؛ ابن واصل :  
مفرج الكروب ١ : ١٨٧ .  
<sup>٢</sup> المقرئ : مسودة المواعظ ٢٨٥ - ٢٨٦ .  
<sup>٣</sup> انظر فيما يلي ٢ : ٣٢٨ .  
<sup>٤</sup> انظر فيما يلي ٢ : ٨١ .  
<sup>٥</sup> وهو يُعَادِلُ الْآنَ الْمَنْطِقَةَ الْوَاقِعَةَ شِمَالِ تَقَاطَعِ شَارِعِ  
الأزهر مع شارع بورسعيد .



الخدمة في الطراز أيام الخلفاء<sup>١</sup>.

قال ابن المأمون ، لما ذكر تحوّل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة : وأسكن الشيخ أبو الحسن ابن أبي أسامة ، كاتب الدّست ، الغزاة التي على شاطئ الخليج ، ولم يسكن أحد قبله فيها ممن يجري مجراه ، ولا كانت إلا سكن الأمير أبي القاسم ولد المشتنصر والد الإمام الحافظ<sup>٢</sup> .

قال : وأما تذكرة الطراز فالحكم فيها مثل الإستيمار<sup>٣</sup> ، والشائع فيها أنها كانت تشتمل في الأيام الأفضلية على أحد وثلاثين ألف دينار ، فمن ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار ، قيمة الذهب العراقي ، والمصري ستة عشر ألف دينار . ثم اشتملت في الأيام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار ، وتضاعفت في الأيام الأميرية<sup>٤</sup> .

وقال ابن الطوير : الخدمة في الطراز ويُنعت بالطراز الشريف<sup>٥</sup> ، ولا يتولاه إلا أعيان

262; Marzouk, M. 'Ab., «The Tirâz Institution in Mediaeval Egypt» in *Studies in Islamic Arts and Architecture in Honour of K. A. C. Creswell*, London 1965, pp. 157-162; Yedida K. Stilman & Paula Sanders, *El<sup>2</sup> art. Tirâz X*, pp. 573-78.

<sup>١</sup> المقرئزي : مسودة المواعظ ٢٨٧ ، وقارن ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٤ .

<sup>٢</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ١٠٠ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ ٢٨٢-٢٨٣ .

<sup>٣</sup> انظر عن تذكرة الطراز والإستيمار فيما تقدم ٣٢٣ .

<sup>٤</sup> نفسه ٧٠ ، ١٠٠ ، المقرئزي : المسودة ٢٨٨ ، وفيما تقدم ٣٢٦ .

<sup>٥</sup> الطراز . كلمة فارسية معرّبة تعني في الأصل المذبذب (البرودري) أو المؤسّي أو المزركش ، ثم أصبح يقصد بها بعد ذلك ملابس الخليفة الرسمية وأصبحت رمزاً من رموز السيادة ، فمتى تولّى الإمام أو سُمّي وليّ العهد نُقش اسمه على الطراز ، وتُطلق كذلك على ملابس كبار الشخصيات المطرزة وعلى الأخصّ المزدانة بشرائط الكتابة المزركشة . وتُطلق أحياناً على الدار التي تُصنع هذه الملابس وهذه المنسوجات . Bahgat, 'A., «Les manufactures d'étoffes en Égypte au Moyen Âge», *BIE* (1903) pp. 351-361; Grohmann, A., *El<sup>2</sup>*, art. *Tirâz IV*, pp. 825-834, Suppl. pp. 266-68; Serjeant, R. B., *Islamic Textiles*, Beirut 1972, pp. 138-160, 261-

وكانت العادة في الدولة الإسلامية أن يصحب سجل تولية كبار رجال الدولة منحهم خلعاً أو أكثر على سبيل التشريف ، كما كانوا يمنحون على الأقل خلعاً في كل مناسبة أو عيد على مدار السنة . وكانت هذه الخلع تُصنع عادة ، في العصر الفاطمي ، في دار الطراز بدمياط وتُنس وشطاً وغيرها ، والقماش الشائع استخدامه في عملها هو عادة ما يُطلق عليه الدبقي (نسبة إلى مدينة دبيق من ضواحي دمياط الحالية ، وكانت تقع هي وشطاً وتونة في الموضع الذي غمرته بحيرة المنزلة الآن ، فيما تقدم ٦١٢:١-٦١٣) . وتبعاً لما وصل إلينا من المنسوجات الفاطمية فيمكننا التمييز بين نوعين من دور الطراز : طراز الخاصة حيث كانت تُعمل ملابس الخليفة وخواصه . Combe, E., & Wiet, G., *RCEA* n° 1852, 1886,) (1899, 1924, 1957, 2013, 2023, 2045, 2053, 2055 وطراز العامة حيث كانت تعمل ملابس بقية رجال الدولة (Ibid., n° 2041, 2048, 2056) .



المُستخدَمين من أرباب العَمائم أو الشُيوف ، وله اختِصاصٌ بالخليفة دون كافة المستخدمين ، ومُقامه بدمياط وتينيس وغيرهما ، وجاربه أُميرُ الجوارى ، وبين يديه من المُتدوينين مائة رَجُل لتنفيذ الاستعمالات بالقُرى ، وله عُشارى ديماس مجرد معه ، وثلاثة مراكب من الدُّكاسات <sup>١</sup> ، ولها رؤساء ونواتية لا يترحون ، ونفقاتهم جارية من مال الديوان .

- ٥ فإذا وَصَلَ بالاستعمالات الخاصة التي منها : المِظلة وبَدَلَتِها والبَدَنَة <sup>٢</sup> واللِّباس الخاصَّ الجُمعي وغيره ، لُقِيَ <sup>(a)</sup> بكرامة عظيمة ، ونُدِبَ له دابةٌ من مراكيب الخليفة لا تزال تحته حتى يعود إلى خِدْمَتِه ، وينزل في « الغزاة » على شاطئ الخليج - وكانت من المناظر السلطانية ، وجددها شجاع <sup>(b)</sup> بن شاور - ولو كان لصاحب الطراز في القاهرة عَشْرُ دُور لا يُمكن من نُزوله إلا بالغزاة ، وتجري عليه الضيافة كالغُرباء الواردين على الدَّولة . فيتمثل <sup>(c)</sup> بين يدي الخليفة بعد حَمَلِ الأَسْفاط المشدودة على تلك الكساوي العظيمة ، ويُعرض جميع ما معه ، وهو يُنبه على شيء فشيء بيد قرّاشي الخاص في دار الخليفة مكان سكّنه ، ولهذا حُرْمَةٌ عظيمة ، ولا سيّما إذا وافق استعماله غرضهم . فإذا انقضى غرض ذلك بالمدّرج الذي يحضره ، سُلمَ لمستخدمي خزائن <sup>(d)</sup> الكسوات ، ونُخِلَ عليه بين يدي الخليفة باطنًا ، ولا يُخلع على أحدٍ كذلك سواه ، ثم ينكفئ إلى مكانه .

٤٧٠:١

(a) بولاق : هي . (b) بولاق : شعاع . (c) بولاق : فيتمثل . (d) ساقطة من بولاق .

*Politics : The Impact of Fatimid Uses of Tiraz Fabrics*, Ph. D. Dissertation, The Univ. of Chicago 1980.

<sup>١</sup> دُكاسَة ج. دُكاسات . لم يرد هذا المصطلح في أي مصدر سوى ما ذكره ابن الطوير هنا . ويبدو من وصفه أنه نوعٌ من المراكب النيلية المخصصة لاستخدام كبار رجال الدولة في العصر الفاطمي .

<sup>٢</sup> البَدَنَة . ثوبٌ من ثياب الخليفة الفاطمي كان يصنع بطراز تينيس «لا يدخل فيه من الغزل سداء ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تتحوّج إلى تفصيل ولا خياطة ، وتبلغ قيمته ألف دينار (فيما تقدم ١: ١٧٧ ، وفيما يلي ٥٥٦) .

Wiet, G., «Un nouveau tissu ، وراجع كذلك ، fatimide», *Orientalia* V (1936), pp. 388; Kühnel, E. & Bellénger, L., *Catalogue of Dated Tiraz Fabrics in the Textile Museum*, Washington 1952; Marzuk, M. 'Abd al-'Aziz, «Four Dated Tiraz Fabrics of the Fatimid Kalif al-Zâhir», *Kunst des Orients* II (1955), pp. 45-51; El-Habib, Mustafa, «Notes sur un Tirâz au nom de Abil-Mansûr al-'Aziz bil-Lâh, le fatimide (365-386 H./ 975-996 ap. J. C.)», *La Revue du Louvre* 23<sup>e</sup> année (1973), pp. 299-302; Lombard, M., *Les Textiles dans le Monde musulman du VII au XII siècle* (Etudes d'Economie Médiévale III), Paris 1978, pp. 164-166; Bierman, I., *Art and*



وله في بعض الأوقات التي لا يتسع له فيها<sup>(a)</sup> الانفصال « نائِب » يعمل عنه بذلك غير غريب منه ، ولا يُمكن أن يكون إلا ولداً أو أختاً ، فإن الرتبة عظيمة ، والمطلق له من الجامعية في الشهر سبعون ديناراً ، ولهذا « النائب » عشرون ديناراً ؛ لأنه يتولى ذلك<sup>(a)</sup> عنه إذا وصل بنفسه ، ويقوم إذا غاب في الاستعمال مقامه .

ومن أدواته أنه إذا عَبَّأ ذلك في الأسفاط ، استدعى والي ذلك المكان ليُشاهده عند ذلك ، ويكون الناس كلهم قياماً لحلول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة في مجلس دار الطراز ، وهو جالس في مرتبته ، والوالي واقف على رأسه خدمة لذلك . وهذا من رسوم خدمته وميزتها<sup>١</sup> .

### دار الذهب

وكان بجوار الغزاة دار الذهب ، وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة ، وكانت مظلة على الخليج ، وفي مكانها اليوم دار تُعرف ببهاذر الأعسر<sup>٢</sup> . وبقي منها عقْد بجوار دار الأعسر ، يُعرف الآن بقبو الذهب ، من خط<sup>(b)</sup> بين الشورين<sup>٣</sup> .

قال ابن المأمون لما ذكر تحوّل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى اللؤلؤة : ثم أحضر الوزير المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان ، وأمره أن يمضي إلى داري الفلك والذهب اللتين على شاطئ الخليج - فالدار الأولى التي من حيز باب الخوخة ، بناها فلك الملك - وذكر أنه من الأستاذين الحاكيمة - ولم تكن تُعرف إلا بدار الفلك . ولما بنى الأفضل بن أمير الجيوش الدار الملاصقة لها التي من حيز باب سعادة ، وسماها بدار الذهب ، غلب الاسم على الدارين - ويضليح ما فسّد منهما ويضيف إليهما دار الشابورة<sup>٤</sup> . وذكر أن هذه الدار لم تُسم بهذا الاسم إلا لأن جزءاً منها بيع في أيام الشدة في زمن المستنصر بشابورة حلواء<sup>(a)</sup> .

(a) زيادة من المسودة . (b) بولاق : خطة .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة ١٠١ - ١٠٤ ؛ المقرزي : المسودة

٢٨٨ - ٢٩٩ ؛ وانظر كذلك ابن ممتي : قوانين الدواوين

٣٣٠ - ٣٣١ ؛ محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة

٤٦ - ٤٩ ؛ ونقل سرجنت هذه الفقرة إلى الإنجليزية

Serjeant, R. B. *Islamic Textiles* p. 152.

<sup>٢</sup> فيما يلي ٢ : ٧٤ .

<sup>٣</sup> فيما يلي ٢ : ٦٣ - ٦٤ ، ٣٢٨ . ويحدّد موضعها اليوم

المكان الواقع بين محكمة باب الخلق وجامع الفخري (جامع

البنات) في شارع بورسعيد .

<sup>٤</sup> دار الشابورة انظر ابن عبد الظاهر : الروضة ١١٣ .



قال: وعندما قارب الليل الوفاء تحوّل الخليفة في الليل من قُصوره بجميع جهاته وإخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعمّاته، إلى اللؤلؤة، وتحوّل الأجلّ المأمون بالأجلاء أولاده إلى دار الذهب وما أضيف إليها<sup>١</sup>.

- وقال ابن عبد الظاهر: دار الذهب بناها الأفضل بن أمير الجيوش، وكانت عادة الأفضل أن يشتري بها إذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو بدار الذهب، وكذلك كان المأمون من بعده.
- وكان حرس دار الذهب يُسلم للوزيرية: من باب سعادة يُسلم لهم، ومن باب الخوخة للمصامدة أزباب الشعور وصبيان الخاص. وكان المقرّر لهم في كل يوم سباطين: أحدهما بقاعة الفلك للممالك الخاص والحاشية وأزباب الرسوم، والآخر على باب الدار يرسم المصامدة، حتى إنّه من اختار ورأى أنّه يجلس معهم على السباط لا يُمنع، والضّعفاء والضّعاليك يقعدون بعدهم، وفي أول الليل بمثل ذلك. ولكلّ منهم رسم لجميع من يبيت من أزباب الضوء إلى الأعلى<sup>٢</sup>.

### منظره السكره<sup>(a)</sup>

- وكان من جملة مناظر الخلفاء، منظره تُعرف بمنظره السكره في برّ الخليج الغربي، يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج، وكان لها بُستان عظيم، بناها العزيز بالله بن المعز.
- وقد دثرت هذه المنظره، ويُشبهه أن يكون موضعها في المكان الذي يُقال له اليوم المريس<sup>٣</sup> قريباً من قنطرة السد.

(a) آياصوفيا: ذكر السكره.

«المريس» اليوم المنطقة التي يتخذها من الشرق شارع بورسعيد ومن الغرب شارع علي يوسف بالقرب من القصر العيني. (أبو المحاسن: النجوم ٩: ١٩٦هـ<sup>١</sup>، ١١: ١٣٨هـ<sup>١</sup>). أما قنطرة السد التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٣هـ، على خليج القاهرة بالقرب من فمه فكانت تقع تجاه النقطة التي يتلاقى فيها شارع الخليج (بورسعيد) بشارع مدرسة الطب (نفسه ٦: ٣٨١).

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ١٠٠: المقريري: مسودة المواعظ ٢٩١-٢٩٢.

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٣: المقريري: المسودة ٢٩٠-٢٩١: وانظر فيما يلي ٢: ٦٤.

<sup>٣</sup> المريس. هو مكان بستان الخشاب وعرف بذلك لأن كثيراً من السودان والمريس والنوبة كانوا يسكنون به فعرف بهم (ابن دقماق: الانتصار ٤: ١٢١)، ويحدد موضع



وكانت الشُّكْرَةُ من جَنَّاتِ الدُّنْيَا المَزْحَرَفَةِ ، وفيها عِدَّةُ أَمَاكِنَ مُعَدَّةٌ لِنُزُولِ الوَازِرِ وغيره من الأُسْتَاذِينَ .

ذِكْرُ مَا كَانَ يُعْمَلُ يَوْمَ فَتْحِ الخَلِيجِ - قال ابنُ زُولَاقٍ في كتاب « سيرة المُعزِّ لدين الله » : وفي ذي القعدة - يعني من سنة اثنتين وستين وثلاث مائة ، وهي السنة التي قَدِمَ فيها الخَلِيفَةُ المُعزُّ لدين الله إلى القَاهِرَةِ من بلاد المَغْرِبِ - رَكِبَ المُعزُّ لدين الله - عليه السَّلَامُ - لِكَشْرِ خَلِيجِ القَنْطَرَةِ ، فَكَسِرَ بين يديه . ثم سارَ على شاطئِ النَّيْلِ حتى بَلَغَ إلى بني وائِلَ ، ومَرَّ على سَطْحِ الجُرْفِ في موكبٍ عَظِيمٍ ، وَخَلَفَهُ وُجُوهُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ ، ومعه أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بنُ نَضْرٍ يَسِيرُ معه ، وَيُعَرِّفُهُ بالمَوَاضِعِ التي يَجْتَازُ عليها ، وَتَجَمَّعَتْ<sup>(a)</sup> له الرِّعِيَّةُ بالدُّعَاءِ ؛ ثم عَطَفَ على بِرْكَةِ الحَبَشِ ، ثم على الصُّخْرَاءِ على الخَنْدَقِ الذي حَفَرَهُ القَائِدُ جَوْهَرٌ ، ومَرَّ على قَبْرِ كَافُورٍ<sup>١</sup> وعلى قَبْرِ عبدِ الله بنِ أَحْمَدَ بنِ طِبَّاطِبَا الحَسَنِيِّ<sup>٢</sup> وَعُرِّفَ<sup>(b)</sup> به ، ثم عادَ إلى قَصْرِهِ .

(a) بولاق : ونجعت . (b) بولاق : وعرفه .

الوافي بالوفيات ١٧:٤٢-٤٣؛ المقرزي: المقفى الكبير ٤:٤٤١-٤٤٩). وقبره يقع في الموضع المعروف الآن بمشهد آل طباطبا، والذي دفن فيه مجموعة من أشرف آل طباطبا والذي يرجع تاريخه إلى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٣م. ويقع الآن على بعد ٥٠٠ متر غربي قبة الإمام الشافعي ونحو ٢٣٠ متراً شمالي عين الصيرة. وهو الأثر الوحيد الباقي من الفترة الإخشيدية. ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة تحت رقم ٣٩١٤ بكتابة محفورة على الخشب قادمة من هذا المشهد، تحدد تاريخ وفاة الشريف أبي محمد عبد الله بن طباطبا (راجع، الموفق بن عثمان: مرشد الزوار ٢٤٩-٢٥٣؛ ابن الزيات: الكواكب السيارة ٥٩-٦٣؛ سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين ٢٩٩-٣٠١؛ فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية Creswell, K. A. C., MAE I, pp. 11-15; ٥١٥ Weil, I. D., Les bois à épigraphes jusqu'à l'époque mamelouke, p. 49 et pl. n° IX; Fu'ad (Sayyid, A., La capitale de l'Égypte, pp. 70-71

<sup>١</sup> ذكر أبو المحاسن (النجوم ٤: ١٠) أن كافوراً بعد وفاته حمل تابوته إلى القدس فدفن بها ولم يحدد المقرزي في ترجمته لكافور (فيما يلي ٢: ٢٦-٢٧) موضع قبر كافور وإن اتفق مع أبي المحاسن في أنه وجد مكتوباً عليه:

ما بال قَبْرِكَ يا كَافُورُ منفردًا

بالصُّخْرَاءِ المَرْتِ بعد العَشْكَرِ اللَّجْبِ

يدوس قَبْرَكَ أَحَادُ الرِّجَالِ وقد

كانت أشودُ الشَّرِي تَخْشَاكَ في الكُتُبِ

وحدَّد الموفق بن عثمان موضع قبر كافور شرق قبَّة الإمام الشافعي بالقرب من تربة الشيخ أبي عمرو عثمان بن مرزوق ابن سلامة القرشي (مرشد الزوار ٥١٣، ٥٢٣) وعند الخندق الذي حفره عبد الله بن جحدم سنة ٨٦هـ وأعاد حفره القائد جوهر الصقلي (فيما يلي ٢: ٤٥٨).

<sup>٢</sup> الشريف عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم طباطبا، كان عَيْنَ بَنِي عَلِيِّ كُلِّهِم بِمِصْرَةَ توفى سنة ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م (ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣: ٨١-٨٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٥: ٤٩٦-٤٩٧؛ الصفدي:



وَذَكَرَ الْأَمِيرُ الْمَسْبُوحِيُّ فِي «تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ» رُكُوبَ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ بْنِ الْمُعِزِّ، وَرُكُوبَ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ بْنِ الْعَزِيزِ، وَرُكُوبَ الظَّاهِرِ لِإِعْرَازِ دِينَ اللَّهِ بْنِ الْحَاكِمِ، فِي كُلِّ سَنَةٍ لِفَتْحِ الْخَلِيجِ<sup>١</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْمَأْمُونِ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ: وَعِنْدَمَا بَلَغَ التَّيْلُ سِتَّةَ عَشْرَ ذِرَاعًا، أُمِرَ بِإِخْرَاجِ الْحَيِّمِ، وَأَنْ يُضْرَبَ الثُّوبُ الْكَبِيرُ الْأَفْضَلِيُّ الْمَعْرُوفُ بِـ «الْقَاتُولِ» - وَهُوَ أَعْظَمُ مَا فِي الْحَاصِلِ<sup>٢</sup> - بِأَرْبَعَةِ دَهَالِيزٍ / وَأَرْبَعِ قَاعَاتٍ خَارِجًا عَنِ الْقَاعَةِ الْكَبِيرَةِ، وَمِسَاحَتَهُ عَلَى مَا ذُكِرَ أَلْفُ ٥ أَلْفِ ذِرَاعٍ وَأَرْبَعُ مِائَةِ ذِرَاعٍ<sup>٣</sup> بِالذِّرَاعِ الْكَبِيرِ خَارِجًا عَنِ سُورِدِقِهِ، وَعَمُودُ الْقَاعَةِ الْكَبِيرَةِ مِنْهُ ارْتِفَاعُهُ خَمْسُونَ ذِرَاعًا.

وَلَمَّا كَمُلَ اسْتِعْمَالُهُ فِي أَيَّامِ الْأَفْضَلِ وَنُصِبَ، تَأَدَّى مِنْهُ جَمَاعَةٌ وَمَاتَ رَجُلَانِ، فَسُمِّيَ بِـ «الْقَاتُولِ» لِأَجْلِ ذَلِكَ. وَمَا صَارَ<sup>٤</sup> يُضْرَبُ إِلَّا بِحُضُورِ الْمُهَنْدِسِينَ، وَتُنْصَبُ لَهُ أَسَاقِيلُ عِدَّةٌ بِأَخْشَابٍ كَثِيرَةٍ، وَالْمُسْتَعْمَدُونَ يَكْرَهُونَ ضَرْبَهُ وَيُرْغَبُونَ فِي ضَرْبِ أَحَدِ الثُّوبَيْنِ الْجَيُوشِيِّينَ، وَإِنْ كَانَا عَظِيمَيْنِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَا يَصِلَانِ بِجَمَلْتَهُمَا إِلَى مُقَابَلَتِهِ وَلَا مَثَوْنَتِهِ وَلَا صَنْعَتِهِ، وَأَقَامَ هَذَا الثُّوبُ فِي الْاسْتِعْمَالِ عِدَّةَ سِنِينَ مَعَ جَمْعِ الصَّنَاعِ عَلَيْهِ، وَمَا يُضْرَبُ مِنْهُ سِوَى الْقَاعِدَةِ الْكَبِيرِ<sup>٥</sup> لَا غَيْرَ وَالْأَرْبَعَةَ الدَّهَالِيزِ وَبَعْضَ السُّرَادِقِ الَّذِي هُوَ سُورٌ عَلَيْهِ، لِضَيْقِ الْمَكَانِ الَّذِي يُضْرَبُ فِيهِ، وَكَوْنِهِ لَا يَسْتَعُ بِجَمَلْتِهِ<sup>٤</sup>.

١٥ قَالَ: وَلَمَّا<sup>٦</sup> وَصَلَتْ كُشُورَةُ مَوْسِمِ فَتْحِ الْخَلِيجِ، وَهِيَ مَا يَخْتَصُّ بِالْخَلِيفَةِ وَأَخِيهِ وَبَعْضِ جِهَاتِهِ

(a) بولاق: وما زال لا. (b) بولاق: القاعة الكبيرة. (c) ساقطة من بولاق.

١ وانظر عن خيمة «القاتول» التي عملها الوزير الأفضل

المسبحي: نصوص ضائعة ٤٠.

٢ والتي تعرف أيضًا بخيمة الفرج: ابن المأمون: أخبار

٢ ذكر المقرئ في ما تقدم ٣٨٤ أنه أخرج من بين ما

مصر ١٠٢-١٠٣؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨٥:٢٨-

أخرج من القصر الفاطمي وقت الشدة فسطاط كبير يسمى

٢٨٧؛ ابن ميسر: أخبار مصر ٨٥-٨٦؛ المقرئ: اتعاظ

«المدورة» أمر بعمله الوزير الحسن بن عبد الرحمن البازوري

٣: ٧٢-٧٣؛ ابن الصيرفي: الأفضليات ٢٠٩-٢١٩.

على مثال «القاتول» الذي كان العزيز بالله أمر بعمله أيام

وقارن كذلك مع القلقشندي: صبح ١٣٨:٢، ٤٧١:٣.

خلافته وأنه سمي بـ «القاتول» لأنه ما نصب قط إلا وقتل رجلاً

٣ حاشية بخط المؤلف: «كذا ذكر، وعندني في هذا

أو رجلين ممن يتولى إتيانه. وهو يشبه بذلك «القاتول» الذي

القول نظر، فلعله مائة ألف ذراع».

أمر بعمله بعد ذلك الوزير الأفضل والذي يشير إليه نص ابن

٤ ابن المأمون: أخبار مصر ٥٥-٥٦.

المأمون.



والوزير . فأما ما يختص بالخليفة خاصة فبدلة ، شرحها : بدنة طميم ، منديل سلفه مائة وعشرون دينارًا ، أحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعًا ذهبًا عراقياً دمجاً لَوْحًا واحدًا ، والثاني ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون دينارًا ، ثوب طميم سلفه خمسون دينارًا ، والذهب الذي في الثوب والمنديل والحنك ألف دينار وخمسة دنانير . فتكون جملتها بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعون دينارًا .

شاشية طميم للسلف ديناران وسبعون قصبه ذهبًا عراقياً ، فتكون جملة سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنانير . منديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبه ، قيمته كذلك . وسط برشم المنديل بخص ذهب سلفه اثنا عشر دينارًا وسبعون قصبه ، قيمة ذلك عشرون دينارًا . شقة ديبقي وسطاني حريري ، السلف اثنا عشر دينارًا . غلالة ديبقي حريري السلف عشرة دنانير .

منديل كم مذهب السلف خمسة دنانير ومائتا قصبه وأربع قصبات ذهبًا عراقياً ، قيمة ذلك خمسة وعشرون دينارًا ، منديل كم ثان حريري خمسة دنانير ، حجزه<sup>a</sup> أربعة دنانير ، عرضي لفافة خاص خمسة دنانير وستة عشر مثقالاً ذهبًا مصرية ، فيكون سلفه وذهبه خمسة وعشرين دينارًا ، عرضي ثان برشم تغطية التخت دينارًا واحدًا ونصف .

تخت ثان ضمنه بدلة خاص حريري برشم العود من السكره ، شرحها : منديل حريري سلفه ستون دينارًا ، وسط شرب رسمه اثنا عشر دينارًا ، شقة ديبقي وكم عشرون دينارًا ، شقة وسطاني اثنا عشر دينارًا ، غلالة خمسة عشر دينارًا ، غلالة عشرة دنانير ، منديل سلام ديناران ، منديل كم خمسة دنانير ، منديل كم ثان أيضًا خمسة دنانير ، شاشية حريري ديناران ، حجزه<sup>a</sup> أربعة دنانير ، عرضي لفافة خمسة دنانير ، عرضي ثان برشم لفافة التخت دينارًا واحدًا ونصف .

قال : ورأيت شاهدًا أن قيمة كل حلة من هذه الحلل وسلفها إذا كانت حريري ثلاث مائة وستة دنانير ، وإذا كانت مذهبة ألف دينار . واختصر ما باسم أبي الفضل جعفر أخي الخليفة وأربع جهات .

وأما ما يختص بالوزير فبدلة مذهبة شرحها : منديل سلفه سبعون دينارًا وخمس مائة وسبعون قصبه عراقي ، جملة سلفه وذهبه مائسة وأربعة عشر دينارًا ، شقة ديبقي وكم السلف ستة عشر دينارًا وثمانية وعشرون مثقالاً ذهبًا عاليًا ، يكون جملة ذلك خمسين دينارًا ، نصف شقة ديبقي

(a) بولاق : حجره .



(a) لِلعَجْزِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ، سُقَّةٌ دَيْقِي (a) وَسَطَانِي اثْنَا عَشَرَ دِينَارًا ، وَنِصْفُ سُقَّةٍ وَسَطَانِي بِرَسْمِ العَوْدِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ، غِلَالَةٌ دَيْقِي سَبْعَةَ دَنَانِيرَ ، وَنِصْفُ سُقَّةٍ بِرَسْمِ الغِلَالَةِ دِينَارَانِ ، وَنِصْفُ مِثْدِيلِ كُتْمِ سَبْعَةَ دَنَانِيرَ وَاثْنَا عَشَرَ مِثْقَالًا ذَهَبًا ، تَكُونُ قِيمَتُهُ تِسْعَةَ عَشَرَ دِينَارًا ، حِجْرُهُ (b) ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ، عَرْضِي أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ وَأَحَدَ عَشَرَ مِثْقَالًا ، تَكُونُ سُلْفُهُ وَذَهَبُهُ سَبْعَةَ عَشَرَ دِينَارًا .

- ٥ ثم ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَكُونُ لِجِهَةِ الوَازِرِ ، وَمَا يَكُونُ بِرَسْمِ صِبْيَانِ الحَمَامِ ، وَمَا يُفْضَلُ بِرَسْمِ المَمَالِكِ الخَاصِّ صِبْيَانِ الرِّيَاضِ وَالرَّمَاكِ : خَمْسَ مِائَةِ سُقَّةٍ سَقْلَاطُونَ دَارِي تَكُونُ قِيمَتُهَا سَبْعَ مِائَةِ وَخَمْسِينَ قَبَاءً ، يُحْمَلُ مِنْهَا بِرَسْمِ غُلْمَانِ الوَازِرِ مِائَةَ قَبَاءً ، وَيَفْرَقُ جَمِيعُ ذَلِكَ .
- قَالَ : وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْحَوَاشِي وَغَيْرِهِمْ فِي هَذَا المَوْسِمِ شَيْءٌ فَيُذَكَّرُ ، بَلْ لَهُمْ مِنَ الهِبَاتِ العَيْنِ وَالرَّسُومِ الخَارِجَةِ عَنِ ذَلِكَ مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ .
- ١٠ وَفِي صَبِيحَةِ هَذَا المَوْسِمِ خُلِعَ عَلَيَّ ابْنُ أَبِي الرَّدَادِ وَعَلَى رُؤَسَاءِ المَرَاكِبِ وَغَيْرِهِمْ ، وَحُمِلَ إِلَى المِقْيَاسِ - بِرَسْمِ المَبِيْتِ ، وَرُكُوبِ الخَلِيفَةِ بِتَجْمُلِهِ وَمَوَاكِبِهِ إِلَى الشُّكْرَةِ (c) - مَا فَضَّلَهُ وَبَيْنَهُ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرَهُ .

١٥ وَقَالَ فِي سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ : وَلَمَّا جَرَى النِّيلُ وَبَلَغَ خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الخِيَامِ وَالْمَضَارِبِ الدِّيَقِي وَالدِّيَاجِ ، وَتَحَوَّلَ الخَلِيفَةُ إِلَى اللُّؤْلُؤَةِ بِحَاشِيَتِهِ ، وَتَحَوَّلَ المَأْمُونُ إِلَى دَارِ الذَّهَبِ .

وَوَصَلَتْ كُشُورَةُ المَوْسِمِ المَذْكُورِ مِنَ الطَّرَازِ ، وَإِنْ كَانَتْ يَسِيرَةَ العُدَّةِ فَهِيَ كَثِيرَةُ القِيمَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ لِلْعُمُومِ مِنَ الحَاشِيَةِ وَالمُسْتَعْدِمِينَ ، بَلْ لِلخَلِيفَةِ خَاصَّةً وَإِخْوَانِهِ وَأَرْبَعٍ مِنَ خَوَاصِّ جِهَاتِهِ وَالوَازِرِ وَأَوْلَادِهِ وَابْنِ أَبِي الرَّدَادِ .

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : حجره . (c) بولاق : الكرة .

الرَّادِ (الكندي : ولاية مصر ٢٢٩ ؛ المسيحي : أخبار مصر ٣٧-٣٩ ، ٤١ ؛ ابن خلكان : وفيات ٣ : ١١٢ ؛ الصفدي : الوافي ١٧ : ٢٥٧ ؛ الفلقشندي : صبح ٣ : ٢٩٥ ؛ أبو المحاسن : النجوم ٢ : ٣٧٥-٣٧٦ ، Fu'ad Sayyid, A., *op.cit.*, pp. 89-91 ، وفيما تقدم ١ : ١٥٢ ، وفيما يلي ٢ : ١٨٥) .

١ ابن أبي الرِّدَادِ متولِّي قِياسِ النِّيلِ . كَانَتْ النُّصَارِيُّ تَتَوَلَّى قِياسَ مَاءِ النِّيلِ حَتَّى عَزَلَهُمُ المَتَوَكِّلُ العَبَّاسِيُّ بِإِشَارَةِ القَاضِي بَكَارِ بْنِ قُتَيْبَةَ . ثُمَّ رُتِبَ وَاليَ مِصرَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّرْكِيِّ فِيهِ أبا الرَّدَادِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ المَوْدُبِ فِي سَنَةِ سَبْعِ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَاسْتَقَرَّ قِياسَ النِّيلِ فِي بَنِيهِ إِلَى العَصْرِ العُثمانيِّ ، وَصارَ كُلُّ مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ المِقْيَاسِ يَعْرِفُ بِابْنِ أَبِي



فَلَمَّا وَفَى النَّيْلُ سِتَّةَ عَشْرَ ذِرَاعًا ، رَكِبَ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ إِلَى الصَّنَاعَةِ بِمِصْرَ ، وَرُمِيَتِ الْعُشَارِيَّاتُ  
بَيْنَ أَيْدِيهِمَا ، ثُمَّ عَدَّيَا فِي إِحْدَاهَا إِلَى الْمِقْيَاسِ وَصَلَّيَا ، وَنَزَلَ الْفَقِيهُ<sup>(a)</sup> صَدَقَةَ ابْنِ أَبِي الرَّدَّادِ مِنْزَلَتَهُ  
وَوَخَّلَقَ الْعَمُودَ<sup>١</sup> .

وَعَادَ الْخَلِيفَةُ عَلَى فَوْرِهِ ، وَرَكِبَ الْبَحْرَ فِي الْعُشَارِيِّ الْفِضِيِّ وَالْوَزِيرُ صُحْبَتَهُ ، وَالرَّهَجِيَّةُ تَخْدِمُ  
بِرًّا وَبَحْرًا ، وَالْعَسَاكِرُ طُولَ الْبَرِّ قُبَالَتَهُ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْمَقْسِ .

وَرُتِبَ الْمَوْكِبُ ، وَقَدِمَ الْعُشَارِيُّ لِلْخَلِيفَةِ<sup>(b)</sup> الْآمِرَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَالْوَزِيرَ الْمَأْمُونَ ، وَسَارَ الْمَوْكِبُ  
وَالرَّهَجِيَّةُ تَخْدِمُ وَالصَّدَقَاتُ وَالرُّسُومُ تُفَرَّقُ ، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْقَنْطَرَةِ وَقَصَدَ بَابَ الْعِيدِ ، وَاعْتَمَدَ  
مَا جَرَّتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ تَقْدِيمِ الْوَزِيرِ وَتَرْجُلِهِ فِي رِكَابِهِ إِلَى أَنْ دَخَلَ مِنْ بَابِ الْعِيدِ إِلَى قَصْرِهِ .

وَتَقَدَّمَ بِالْخَلْعِ عَلَى ابْنِ أَبِي الرَّدَّادِ : بَدَلَةٌ مُذَهَّبَةٌ ، وَثَوْبٌ دَيْقِي حَرِيرِي ، وَطَيْلَسَانٌ مُقَوَّرٌ بِيَاضٍ  
مُذَهَّبٌ ، وَشُقَّةٌ سَقْلَاطُونَ ، وَشُقَّةٌ عَتَّابِي<sup>(c)</sup> ، وَشُقَّةٌ خَزَّ ، وَشُقَّةٌ دَيْقِي ، وَأَرْبَعَةٌ أَكْيَاسٌ دِرَاهِمٌ .  
وَنُشِرَتْ قُدَامَهُ الْأَعْلَامُ الْخَاصَّةُ الدَّيْقِيَّةُ الْمَجَاوِمَةُ بِالْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي لَا تُرَى إِلَّا قُدَامَهُ لِأَنَّهَا مِنْ  
جَمَلَةٍ تَجْمَلُ الْخَلِيفَةَ ، وَأُطْلِقَ لَهُ بِرِسْمِ الْمَبِيتِ مِنَ الْبُخُورِ وَالشُّمُوعِ وَالْأَغْنَامِ وَالْحَلَالَاتِ كَثِيرٍ .  
(d) ذَكَرَ مِنَ التَّجْمَلَاتِ وَتَرْتِيبِ الْعَسَاكِرِ فِي الرُّكُوبِ وَنَزُولِ الْخَلِيفَةِ بِالسُّكَّرَةِ إِلَى أَنْ كُسِرَ الْخَلِيجُ  
مَا قَدْ اخْتَصَرْنَا ذَكَرَهُ<sup>(d)</sup>

قَالَ : وَهَيَّئَتْ الْمَقْصُورَةُ فِي مَنْظَرَةِ السُّكَّرَةِ بِرِسْمِ رَاخَةِ الْخَلِيفَةِ وَتَغْيِيرِ ثِيَابِهِ<sup>٢</sup> ، وَقَدْ وَقَعَتْ  
الْمِبَالِغَةُ فِي تَغْلِيْقِهَا وَفَرْشِهَا وَتَعْبِئَتِهَا ، وَقُدِّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ الصُّوَانِي الدَّهَبُ الَّتِي وَقَعَ التَّنَاهِي فِيهَا مِنْ  
هِمَمِ الْجِهَاتِ ، مِنْ أَشْكَالِ الصُّوَرِ الْأَدْمِيَّةِ وَالْوَحْشِيَّةِ مِنَ الْفَيْلَةِ وَالزَّرَافَاتِ وَنَحْوِهَا ، الْمَعْمُولَةُ مِنَ  
الدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْعَنْبَرِ وَالْمَرْسِينَ الْمَشْدُودِ وَالْمَظْفُورِ عَلَيْهَا ، الْمَكْلَلُ بِاللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ ،  
وَمِنْ<sup>(e)</sup> الصُّوَرِ الْوَحْشِيَّةِ مَا يُشْبِهُ الْفَيْلَةَ جَمِيعَهَا عَنَبَرٌ مَعْجُونٌ كَخَلْقَةِ الْفَيْلِ ، وَنَابَاهُ فِضَّةٌ وَعَيْنَاهُ  
جَوْهَرَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا مِشْمَارٌ ذَهَبٌ مَجْرِيٌّ بِسَوَادٍ<sup>(f)</sup> ، وَعَلَيْهِ سَرِيرٌ مَنُجُورٌ مِنْ عُودٍ  
بِمَتَكَاتٍ فِضَّةٌ وَذَهَبٌ ، وَفِيهِ<sup>(g)</sup> عِدَّةٌ مِنَ الرِّجَالِ رُكْبَانٌ ، وَعَلَيْهِمُ اللَّبُوسُ تَشْبِهُ الزَّرْدِيَّاتِ ، وَعَلَى

(a) بولاق : الثقة . (b) بولاق : بالخليفة . (c) بولاق : تحتاني . (d-d) هذه العبارة ساقطة من بولاق . (e) الواو  
ساقطة من بولاق . (f) بولاق مجرى سواده . (g) بولاق : عليه .

<sup>١</sup> هو ما يعرف بركوب تخليق المقياس (انظر فيما يلي <sup>٢</sup> فيما تقدم ٥٣٧ .



رءوسهم الخُوذُ ، وبأيديهم السُّيُوفُ المجرَّدة والدَّرَقُ ، وجميع ذلك فِضَّةٌ . ثم شَبَّه<sup>(a)</sup> صُورَ السُّبَاعِ مَنْجُورَةً من عُودٍ ، وَعَيْنَاهُ ياقوتتان حَمْرَاوان وهو على فَرِيستِهِ ، وبقية الوَحْشِ<sup>(b)</sup> وَأَصْنَافُ تُشَدُّ من المُرْسِينَ المَكَلَّلِ باللُّؤلؤِ شَبَّهَ الفَاكِهَةَ .

قال : ومن جُمْلَةٍ ما وَقَعَ الاهتمامُ به في هذا المَوْسِمِ ما صارَ يُسْتَعْمَلُ في الطُّرازِ ، وإن لم يتقدَّم نظيرُهُ للولائم التي تُتَّخَذُ برِسمِ تغطية الصُّواني ، عِدَّةٌ من عَرَضِي دَبِيْقِي ، ثم قَوَّاراتِ شَرْبٍ تكون من تحت العَرَضِي على الصُّواني ، مَفْتَحُ كُلِّ قَوَّارَةٍ منهن دَوْرٌ<sup>(c)</sup> أربعة أشبار ، سُلْفُ كُلِّ واحدةٍ منهن خمسة عشر دينارًا ، ورِقْمٌ في كُلِّ منهن سَجْفُ ذَهَبٍ عراقي ثمنه من أربعين إلى ثلاثين دينارًا ، تكون الواحدة بخمسين دينارًا .

ويُسْتَعْمَلُ أيضًا برِسمِ الطُّرْحِ ، من فوق القَوَّاراتِ الإسْكَندَرَانِي التي تُشَدُّ على الموائِد التي تُحْمَلُ من عند كُلِّ جِهَةٍ ، قَوَّاراتٌ دَبِيْقِي مقصور من كلِّ لَوْنٍ مُجاوِمَةٌ بالرُّقُومِ الحَرِيرِي ، مَفْتَحُ كُلِّ قَوَّارَةٍ أربعة أذرع ، يكون الثَّمَنُ عن كُلِّ واحدةٍ أربعين دينارًا .

ولقد بيعت عِدَّةٌ من القَوَّاراتِ الشَّرْبِ ، فسارِعَ التَّجَّارُ العِراقيون إلى شِرائِها ، ونهاية ما بَلَغَ ثَمَنُ كُلِّ واحدةٍ منهن ستة عشر دينارًا ، وسافروا بها إلى البلاد ، فلم يَبِعْ لهم منها سوى اثنتين ، وعادوا بالبقية إلى الديار المصرية في سنة ستٍّ وثمانين وخمسة مائة<sup>١</sup> وحَمَلُوا<sup>(d)</sup> منهن شيئًا عن الشُّوقِ فلم يُحْفَظْ لهم رأسُ مالهنَّ .

قال : وكان ما تقدَّم من الزُّبَادِي في الطُّيَافِيرِ من الصُّيني إلى آخر أيام الأفضَلِ بن أمير الجيوش وأيام المأمون ، وإنما اسْتُجِدَّتِ الأواني الذهب في أواخر الأيام الآميرية . والذي يُعَبَّأ بين يدي الخليفة قوائمٌ ضُمَّنْها عِدَّةٌ من الطُّيَافِيرِ المحمولة بالمرافع الفِضَّةِ برِسمِ الأطباقِ الحارَّةِ .

وليس في الموائِمِ مائدةٌ بغير سِماطٍ للأمرءِ ويجلس عليها الخليفة ، غير هذا المَوْسِمِ . وإن كان يجري مَجْرَى الأعياد ، وله البَخُورُ مُطْلَقٌ مثلها ، وينفرد بالجلُوسِ معه الجُلُساءُ المميَّزون والمستخدمون . وعند كمال تبعثها وبخورها جلَسَ الخليفة عليها ، عن يمينه وزيره ، وعن يساره

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : الوحوش . (c) بولاق : دون . (d) بولاق : حفظوا .

<sup>١</sup> هذا التاريخ يدل على أن ابن المأمون كتب تاريخه جمادى الأولى سنة ٥٨٨ هـ (المقرزي : السلوك ١ : ١١١) . وأضاف إليه حتى آخر أيامه فقد توفي بعد ذلك بعامين في ١٦



أخوه ومن شرف بحضوره؛ وفي آخرها فرق منها ما جرت به العادة على سبيل البركة<sup>١</sup>.

وقال في سنة ثمان عشرة وخمس مائة: ووصلت الكشوة المختصة بفتح الخليج، وهي برسم الخليفة تختان ضمنهما بذلتان: إحداهما مندليها وثوبها طميم برسم المضي، والأخرى جميعها حريري برسم العود. وكذلك ما يخص إخوته وجهاته بذلتان مذهبتان، وأربع محلل مذهبة. وبرسم الوزير بذلة موكبية مذهبة. وبرسم جهته حلة مذهبة في تخت. وهؤلاء المُمَيَّرُونَ لكل منهم تخت، وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبي الرِّدَادِ في تَخُوت، كل تخت فيه عدة بذلات.

وحضر متولي الدفتر، واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة، وما يفرق وما يفصل برسم الخلع، وما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل، وهو ما يفصل برسم الغلمان الخاص عن سبع مائة قباء خمس مائة وشقتان سقلاطون داري، وبرسم رؤساء العشاري من الشقق الدمياطي والمناديل الشوسي والفوط الحرير الأحمر<sup>(a)</sup>، وبرسم التواتية التي برسم الخاص من العشارية من الشقق الإسكندراني والكلوات.

فوقع بإنفاق جميع ذلك وتفصيل ما يجب منه، ثم اتبع ذلك بمطالعة ثانية، برسم ما هو مستمر العموم من الهبة<sup>(b)</sup> العين والورق للموسم المذكور، وهو من العين أربعة آلاف وخمس مائة/دينار، ومن الورق خمسة عشر ألف درهم. فوقع بإطلاق ذلك. وذكر تفصيل الكشوات والهبات بأسماء أربابها.

وحضر متولي المائدة الأميرية بمطالعة يستدعي ما جرت به العادة في هذا الموسم من الحيوان والضأن والبقر، وغير ذلك من الأصناف، برسم التفرقة والأسمطة. وحضر متولي دار التبعية يستدعي ما يتناع به الثمرة والزهرة وهبة<sup>(c)</sup> المتعينين لتعبئة السكر، لأجل حلول الركاب بها ومقامه فيها، وتعبئة جميع مقاصيرها التي برسم الأستاذين والأصحاب والحواشي، وهو مائة دينار، فوقع بإطلاقها.

وفي العاشر من الشهر المذكور - يعني شهر رجب - وفي النيل ستة عشر ذراعاً، فتوجه المأمون إلى صناعة العمائر بمصر، وزميت العشاريات بين يديه، وقد جددت وزينت جميعها بالستور

(a) بولاق: الأحمر. (b) بولاق: النقد. (c) بولاق: هبة.

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٧١-٧٣.



الدِّيَقِي المَلُونَةُ وَالكَوَابِجُ<sup>(a)</sup> وَالْأَهْلَةُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةُ، وَشَمَلُ بِالْإِنْعَامِ<sup>(b)</sup> أَرْبَابُ الرُّسُومِ عَلَى عَادَتِهِمْ.

وَعَدِّي فِي إِحْدَى العُشَارِيَّاتِ إِلَى المِقْيَاسِ، وَخَلَقَ العَمُودَ بِمَا جَرَّتْ بِهِ عَادَتُهُ<sup>(c)</sup> مِنَ الطُّيْبِ<sup>(١)</sup>، وَفَرَّقَتْ رُسُومُ الإِطْلَاقِ، وَانْكَفَأَ إِلَى دَارِ الذَّهَبِ، وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ مَا يَخْصُ المَبِيَّتِ فِي المِقْيَاسِ بِجَمِيعِ الشُّهُودِ وَالمُتَّصِدِّرِينَ وَهِيَ العَشْرَاتُ: مِنَ الخُبْزِ عَشْرَةَ قَنَاطِيرَ، وَعَشْرَةَ خِرَافِ شَوِيٍّ، وَعَشْرَ جَامَاتِ خَلَوِيٍّ، وَعَشْرَ شَمْعَاتِ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَحْضُرُ المَبِيَّتَ الشَّرِيفُ الخَطِيبُ سَيِّدُ المَقْرَبِينَ وَإِمَامُ المَتَّصِدِّرِينَ، وَلَهُ وَلِلْجَمَاعَةِ مِنَ الدَّرَاهِمِ الَّتِي تُفَرَّقُ أَوْفَى نَصِيبِ.

قَالَ: وَخَرَجَ الخَلِيفَةُ بَزِيَّ الخِلَافَةِ وَوَقَارِهَا وَنَامُوسِيهَا: بِالثِّيَابِ الطَّمِيمِ الَّتِي تُذْهِلُ الأَبْصَارَ، وَالمُنْدِيلِ بِالشَّدَّةِ العَرَبِيَّةِ<sup>(d)</sup> الَّتِي يَنْفَرِدُ بِلِبَاسِهَا فِي الأَعْيَادِ وَالمَوَاسِمِ خَاصَّةً لَا عَلَى الدَّوَامِ - وَكَانَتْ تُسَمَّى عِنْدَهُمْ «شَدَّةُ الوَقَارِ»<sup>(٢)</sup> - مَرَّصَعَةً بِغَالِيِ اليَاقُوتِ وَالرُّمُودِ وَالجَوْهَرِ؛ وَعِنْدَ لِيَابِسِيهَا<sup>(e)</sup> يَتَحَقَّقُ لَهَا الأَسْمُ<sup>(٣)</sup> وَيَتَجَنَّبُ الكَلَامَ وَبُهَابَ، وَلَا يَكُونُ سَلَامٌ قَرِيبٌ مِنْهُ وَجَلِيلٌ غَيْرَ الوَازِرِ إِلَّا تَقْبِيلَ الأَرْضِ مِنْ بَعِيدٍ مِنْ غَيْرِ دُنُوٍّ، ثُمَّ يَبِينُ يَدَيْهِ مِنْ مَقْدَمِي خَزَائِنِهِ مِنْ يَحْمَلُ سَيْفَهُ وَرُمَحَهُ المَرَّصَعِينَ بِأَفْخَرِ مَا يَكُونُ، ثُمَّ المَذَابُ الَّتِي كُلُّ مِنْهَا عَمُودُهَا ذَهَبٌ وَيَنْفَرِدُ بِحَمَلِهَا الصُّفَالِيَّةِ.

وَيَمْشِي بَيْنَ الصُّفَيْنِ المَرْتَبِينَ رَاجِلًا عَلَى بُسْطٍ خَرِيرٍ فُرِشَتْ لَهُ، وَكُلُّ مِنَ الصُّفَيْنِ يَتَنَاهَى فِي مُوَاصَلَةِ تَقْبِيلِ الأَرْضِ، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَجْلِسِ خِلَافَتِهِ، وَصَعِدَ عَلَى الكُرْسِيِّ المَغْشَى بِالدُّبَابِ المَنْصُوبِ بِرِشْمِ رُكُوبِهِ. وَقَدْ صَفَّتِ الرُّوَاضُ وَأَزِمَّةُ الإِسْطَبَلَاتِ خَيْلَ المِظَلَّةِ بَعْدَ أَنْ أزالَتْ الأَغْشِيَّةَ الحَرِيرَ وَالشُّقَّ الدِّيَقِي المَذْهَبَةَ عَنِ الشُّرُوجِ، وَبَقِيَتْ كَمَا وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ<sup>(٣)</sup>، فَقُدِّمَ إِلَيْهِ مَا وَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ بِأَنْ تُجَنَّبَ البَقِيَّةُ فِي المَوْكِبِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَلَمَّا عَلَا مَا قُدِّمَ إِلَيْهِ اسْتَفْتَحَ مُقَرَّبُو الخَضْرَاءِ، وَتَسَلَّمَ جَمِيعُ مَقْدَمِ الرُّكَّابِ رِكَابَهُ وَالرُّوَاضَ الشُّكِيمَةَ، وَزَالَ حُكْمُ الأُسْتَاذِينَ المَسْتخْدَمِينَ فِي الرُّكَّابِ وَعَادَتِ المَوَالِي وَالأَقَارِبِ إِلَى مَحَالِّهِمْ،

(a) بولاق: الكوامخ. (b) بولاق: الإنعام. (c) بولاق: عادتهم. (d) بولاق: العربية. (e-e) بولاق: تخفق لها الأعلام.

<sup>١</sup> انظر الاحتفال بتخليق المقياس فيما يلي ٤٧٦:١-٤٧٧.

<sup>٢</sup> عن شدة الوقار، انظر فيما تقدم ٤٣٣، ٤٦٨.

<sup>٣</sup> يقصد الآية الكريمة ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْقَشِيِّ الصُّفِينَتِ الْجِيَادِ﴾ [الآية ٣١ سورة ص].



واستُدعي بالوزير بجميع نُعوتِهِ ، فواصلَ تقبيل الأرض إلى أن قَبَلَ رِكابه ، وشرفَه بتقبيل يده  
بحُكْم خُلُوتِها من قَضيبِ المُلْك في هذا المَوسِم<sup>(a)</sup> .

ولمَّا أَدَّى ما يجب من فَرَض السَّلام ، أَخَذَ السَّيْف من الأميرِ افْتِخارِ الدَّوْلَة - أَحَد الأَمراءِ  
الأُسْتاذين المُمَيَّرين المَحْكُومين - مُتَوَلِّي خِزانةِ الكُشُورَةِ الخاصِّ ، وسَلَّمه بعد أن قَبَله لأخيه الذي يتولَّى  
حمله في المَوكِب بعد أن أُرْحِيَتْ عَذْبَتُهُ تَشْرِيفًا له مُدَّة حَمَلِه خاصَّة وتُرْفَع بعد ذلك ، وشَدَّ وَسَطَه  
بالمِنطَقَة الذهب تَأْدُبًا وتَعْظِيمًا لما معه ، وسَلَّم الرُّمَحَ والدَّرَقَة لمن يتولَّى حَمَلهما بلِواءِ المَوكِب . ولم  
يكن لِلخِدْمَة المذكورة عَذْبَةٌ مُرْحاةٌ ولا مِنطَقَة . واستدعى رُكوبَ الوَزيز وأولاده من عند باب  
قاعةِ الذهب .

وخرَجَ الخَلِيفَةُ من القاعةِ المذكورة إلى أوَّل دِهليز ، فتلقَّته جَماعَةُ صِبيانِ رِكابه العشرةِ المقدمين  
أزبابِ المِئَمَّةِ والمِيسرةِ ، وصِبيانَ وراءِ صِبيانِ الرِّسائلِ ، وصِبيانَ السَّلامِ ، كلُّ منهم في الخِدْمَة  
المعيَّنة لا يخرج عنها لسواها ، وجميعُهم بالمناديلِ الشُّروبِ المُعلَّمةِ ، وبأوساطِهم العراضِي الدِّيقي  
المقصورةِ ، وليس الجميعُ عبيدًا بِشراءٍ ولا سُودانَ ، بل مُولَّدةٌ وأولادُ أَعْيانٍ وأهلُ فَهْمٍ ولسانٍ .  
ثم اختاطَ بِركابه بَعْدَهُم مَنْ هو على غيرِ زِيَّهم ، بل بالقناديرِ<sup>(b)</sup> المُفَرَّجةِ والمناديلِ الشُّوسِي ،  
وهم المتولِّون لحَمَلِ السَّلاحِ الخاصِّ - الذي لا يكون إلا في مَوكِبِه خاصَّةً على الاستمرارِ - من  
الصُّواريِ والفَرَنْجِيَّاتِ والدَّبابيسِ واللُّتوتِ والصَّماصِمِ بالدَّرَقِ الصِّينيِ واليَمَنِي بالكوابِجِ<sup>(c)</sup> الفِضَّةِ  
والذهبِ .

ويَحْضُلُ الاستدعاء من صِبيانِ السَّلامِ في مَسافَةِ الدَّهاليزِ ، لكلِّ من هو مُسْتَخْدَمٌ في المَوكِبِ  
ركوبه من محلِّ حُجْبَتِهِ إلى أن خَرَجَ الخَلِيفَةُ من بابِ الذهبِ ، وقد ضُرِبَتِ الغَرِيبةُ<sup>١</sup> وأبواقُ  
السَّلامِ ، واجتمع الرُّهَجُ من كلِّ مكانٍ ، ونُشِرَتِ المِظَلَّةُ ، فاجتمع إليها الزَّوِيلِيَّةُ بالعُدَدِ الغَرِيبةِ ،  
وظلَّلَ بها عليه<sup>(d)</sup> وسارت بِسِيرِهِ ، والقُرْآنُ الكَرِيمُ عن يمينه ويساره ، والحُجْرِيَّةُ الصِّبْيَانُ المُنْشِدُونَ .  
واجْتَمَعَ المَوكِبُ بِجَمَلَتِهِ على ما ذُكِرَ أوَّلًا ، والترتيبُ أمامَهُ لمتولِّي البابِ وحُجَّابِهِ وتَلُوهُ لمتولِّي  
السَّثَرِ ، وكلُّ منهم على حُكْمِ المَدارجِ التي وَصَلَتْ إليه ، لا سَبِيلَ إلى الخُروجِ عَمَّا رُسِمَ فيها .

(a) بولاق : هذه المواسم . (b) بولاق : القنايز . (c) بولاق : بالكوامخ .

<sup>١</sup> الغريبة . بوق لطيف من ذهب معوج الرأس مُتَّخَذُ من الذهب صوتُه مخالف لصوت الأبواق . (فيما تقدم ٣٠٤) .



وسارَ بجَملة مَوْكِبِهِ على ترتيب أَوْضَاعِهِ بين حِصْنَيْنِ مانعين من طَوَارِقِ عَسَاكِرِهِ فَارِسِيهَا وراجِلُهَا/ كُلُّ طَائِفَةٍ يَقْدُمُهَا زِمَامُهَا ، وقد اَزْدَحَمُوا في المَصَفَّاتِ بِالْعُدَدِ المَذْهَبَةِ الحَرَبِيَّةِ والآلاتِ المَانِعَةِ المَضِيئَةِ ، وليس بينهم طَرِيقٌ لِسَالِكٍ ؛ وقد زُيِّنَ لَهُم جَمِيعُ ما يَكُونُ تَلَوَهُمْ<sup>(a)</sup> من الطُّرُقِ جَمِيعِهَا ، حَوَانِيئِهَا وآدَرُهَا وَجَمِيعِ مَسَاكِنِهَا وَأَبْوَابِ حَارَاتِهَا ، بِأَنْوَاعِ مِنَ السُّتُورِ وَالدُّيَاجِ وَالدُّبِّيقي على اختلاف أجناسها ، ثم بأصنافِ السِّلَاحِ .

وملأتِ النَّظَارَةُ الفِجَاجَ وَالبِطَاحَ وَالوَهَادَ وَالرَّهْيَ ، وَالصَّدَقَاتُ وَالرُّسُومُ تَعْمَ أَهْلَ الجَانِبِينَ من أربابِ الجَوَامِعِ وَالمَسَاجِدِ ، وَبَوَابِ الأَبْوَابِ وَالسَّقَائِينَ وَالفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ في طُولِ الطَّرِيقِ ، إلى أن أَطْلَقَ على الخِيَامِ المَنْصُورَةِ<sup>(b)</sup> فَوْقَ مَوْكِبِهِ ، وَاسْتَدْعَى الوَازِرَ بَعْدَهُ<sup>(c)</sup> من مُقَدِّمِي رِكَابِهِ ، فَاجتازَ رَاكِبًا بِمُفْرَدِهِ ، وَجَمِيعِ<sup>(d)</sup> حَاشِيَتِهِ بِسِلَاحِهِم رَجَالًا في رِكَابِهِ ، بَعْدَ أن بَالَغَ في الإيماءِ بِتَقْبِيلِ الأَرْضِ أَمَامَهُ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ بِكُفِّهِ<sup>(e)</sup> السَّلَامَ .

وَعادَ الخَلِيفَةُ في سَيْرِهِ بِالمَوْكِبِ بَعْدَ أن حَصَلَ الوَازِرُ أَمَامَهُ ، وَترَجَّلَ جَمِيعُ من شَرَفَ بِحُجْبَتِهِ في رِكَابِهِ وَآخِرِهِم مُتَوَلَّى حَمَلِ سَيْفِهِ وَرُمُوحِهِ ، وَصِبيانِ السَّلَامِ يَسْتَدْعُونَ كَلًّا<sup>(f)</sup> مِنْهُم إلى تَقْبِيلِ الأَرْضِ بِجَمِيعِ نُعُوتِهِ ؛ إكْبَارًا لَهُ وَتَمييزًا وَاحْتِطَاوًا بِرِكَابِهِ ، وَوَصَلَ إلى المَضَارِبِ في الحَرَسِ الشَّدِيدِ على أَبْوَابِهَا وَشُرَادِقَاتِهَا من كُلِّ جَانِبٍ ، وَقد تَبَيَّنَ وَجَاهَةٌ من حَصَلَ بِهَا وَمُكِّنَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهَا .

وَترَجَّلَ الوَازِرُ في الدُّهْلِيزِ الثَّالِثِ من دَهالِيزِهَا ، وَتَقَدَّمَ إلى الخَلِيفَةَ وَأَخَذَ شَكِيمَةَ الفَرَسِ من يَدِ الرُّوَّاضِ ، وَشَقَّ بِهِ الخِيَامَ الَّتِي جَمَعَتِ جَمِيعَ الصُّورِ الأَدْمِيَّةِ وَالوَحْشِيَّةِ ، وَقد فَرِشَتْ جَمِيعُهَا بِالبُسُطِ الجَهْرَمِيِّ وَالأَنْدَلُسِيِّ<sup>(g)</sup> ، إلى أن وَصَلَ إلى القَاعَةِ الكَبْرِيِّ فِيهَا . وَترَجَّلَ على سَرِيرِ خِلَافَتِهِ ، وَجَلَسَ في مَحَلِّ عَظَمَتِهِ ، وَأَجْلَسَ وَزِيرَهُ على الكُرْسِيِّ الَّذِي أُعِدَّ لَهُ ، وَاحْتِطَاَ المُسْتَعْدِمُونَ حَمَلَةَ السِّلَاحِ المُنْتَصِبِ جَمِيعِهِ ، وَحَجَبُوا العُيُونَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَصَفَّ بَيْنَ يَدَيْهِ الأَمْرَاءَ وَالصُّيُوفَ وَالمُشْرِفُونَ بِحُجْبَتِهِ ، وَخَتَمَ المُقَرَّرُونَ القُرْآنَ العَظِيمَ ، وَقدَّمَ عَدِيَّ المَلِكِ النَّائِبِ شُغْرَاءَ المَجْلِسِ على طَبَقَاتِهِمْ .

وَعند انْقِضَاءِ خِدْمَةِ آخِرِهِم ، عَادَتِ المُسْتَعْدِمُونَ وَالرُّوَّاضُ مُقَدِّمَةً ما أَمَرُوا بِهِ مِنَ الدُّوَابِ ، فَعَلَاهُ الخَلِيفَةُ وَالوَازِرُ يُمَسِّكُ الشَّكِيمَةَ بِيَدِهِ ، وَانْتَضَمَ مَوْكِبًا عَظِيمًا ، وَالفُقَرَاءُ عِوَضَ الرُّهْجِيَّةِ ،

(a) بولاق : أمامهم . (b) بولاق : المنصوبة . (c) بولاق : بعده . (d) بولاق : وجمع . (e) بولاق :

بكلمة . (f) بولاق : كل . (g) بولاق : الجهرمية والأندلسية .



والجماعة في ركابه رجالة على محكم ما كانوا عليه أولاً ، وصعد من القاعة التي<sup>(a)</sup> ذهاليز الباب القبلي فيها<sup>(b)</sup> ، فخرج منه ، وانفصلت خدمة جميع الأمراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الأرض .

وصعد الخليفة ووزيره وأولاده وإخوته والأصحاب والحواشي إلى السكرية - وهي من جنات الدنيا المزخرفة - وتلقاه أخوه بعظمة سلامه وتقبيل الأرض بين يديه ، وجلس لوقته ، وفتحت الطاقات التي في المنطرة ، وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان ، واعتمد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبيل الأرض له وإدامة النظر نحوه . والمستخدمون جميعهم على الشد مشدودو الأوساط واقفون عليه ، فلما أمرهم الوزير أن يكسروه ، قبلوا الأرض جميعاً وانصرفوا عنه ، وتولته الفعلة في البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين ، والقرآن والتكبير من الجانب الغربي حيث الخليفة ، والرهج واللعب من الجانب الشرقي<sup>١</sup> .

ولما كمل فتحه انحدرت العشاريات منه عن آخرهم<sup>(c)</sup> ، اللطيف منها يقدم الكبير ، والجميع مزينة بالذهب والفضة والستور المرقومة ، ورؤساؤهم وخدائهم بالكشوات الجميلة .

وبعد ذلك غلقت الطاقات ، وحل الخليفة بالمقصورة التي لراحته ، وكذلك الوزير وأولاده وإخوته ، وجميع الأمراء الأستاذين والأصحاب والحواشي . واشتدعي للوقت والي مصر من البر الشرقي ، وخلع عليه بدلة منديلها وثوبها مذهبان ، وثوبان عثابي وسقلاطون ، وقبل الأرض من تحت المنطرة ، وعدى في البحر إلى حفظ مكانه . ثم اشتدعي بعده حامي البساتين ومشارفها ، فخلع عليهما بدلتين حريري وثوبين سقلاطون وعثابي . ثم متولى ديوان العمائر كذلك<sup>٢</sup> ، ثم مقدمي الرؤساء كذلك .

واعتمد كل من سلم إليه الإثباتات المشتملة على أصناف الإنعام من العين والورق وصواني الفطرة<sup>(d)</sup> ، والموائد التي يهتم بها جميع الجهات ، والخراف الشواء<sup>(e)</sup> ، والجامات الحلوى ، تفرقة ذلك على ما رسم ، وهو شامل غير مخصص : من أخي الخليفة والوزير ، إلى الأصحاب

(a) بولاق : التي في . (b) بولاق : منها . (c) بولاق : العشاريات على آخرها . (d) بولاق : البطرة . (e) بولاق : المشوية .

<sup>١</sup> هو الاحتفال بركوب كشر (فتح) الخليج (فيما يلي) أي : متولي ديوان الجهاد المشرف على الأسطول (فيما

يلي ٥٧١ ، ٢ : ١٩٣) .

(١٤٣ : ٢ ، ٥٥٥) .



والخواشي من أزباب الشُّيُوف والأقلام، ثم الأمراء الغير مُسْتَعْدَمِينَ<sup>(a)</sup> والضُّيُوف المميّزين من الأجنّاد، وغيرهم من الأذوان مَن يتعلّق به خِدْمَةٌ تختصّ بالمؤسّم من البَحَّارة، وأزباب اللَّعِب وغيرهم.

وَعُيِّنَتِ الْأَسْمِطَةُ فِي الْمُسْتَطْحَاتِ الْمَنْصُوبَةِ لَهَا بِالْجَانِبِ مِنَ الْبَابِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْخِيَامِ، وَأَمَرَ الْوَزِيرُ أَخَاهُ بِالْمَضِيِّ إِلَيْهَا وَالْجُلُوسِ عَلَيْهَا، فَتَوَجَّهَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مُتَوَلَّى حُجْبَةَ الْبَابِ وَنُؤَابَهُ وَالْمَعْرُوفِيَّةَ وَالْحُجْبَابَ، وَاسْتَدْعَيْتِ الْأُمَرَاءَ وَالضُّيُوفَ بِالسَّعَاةِ<sup>(b)</sup> مِنْ خِيَامِهِمْ، وَأَجْلَسَ كُلَّ مِنْهُمْ عَلَى السَّمَاطِ فِي مَوْضِعِهِ عَلَى عَادَتِهِمْ، وَتَلَاهُمُ الْعَسَاكِرُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعِ حُضُورَهُمْ مَا يَسِيرُ لِكُلِّ مِنْهُمْ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرَ عَلَى حُكْمِ مَيَّزَتِهِ.

وَلَمَّا انْقَضَى حُكْمُ الْأَسْمِطَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ، عَادَ أَخُو الْوَزِيرِ إِلَى حَيْثُ مَقَرَّ الْخِلَافَةَ، وَبَقِيَ مُتَوَلَّى الْبَابِ / جَالِسًا لِأَسْمِطَةِ الْعَبِيدِ وَجَمِيعِ الْمُسْتَعْدَمِينَ مِنَ الرَّاجِلِ وَالشُّودَانِ، وَعُيِّنَتِ الْمَائِدَةُ الْخَاصَّةُ بِالشُّكْرَةِ الَّتِي مَا يَحْضُرُهَا إِلَّا الْعَوَالِي الْخَاصَّةُ الْمُسْتَعْدَمُونَ فِي الْخِدْمِ الْكِبَارِ، وَيُجْمَعُ لَهُ حَالَتَانِ: مُحْضُورُهُ فِي أَشْرَفِ مَقَامٍ، وَجُلُوسُهُ فِي مَحَلٍّ تَحْضُلُ لَهُ بِهِ حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ.

وَجَلَسَ الْخَلِيفَةُ عَلَيْهَا، وَأَخُوهُ عَلَى شِمَالِهِ وَوَزِيرُهُ عَلَى يَمِينِهِ، بَعْدَ أَنْ أَدَّى كُلُّ مِنْهُمَا مَا يَجِبُ مِنْ سَلَامِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَحَضَرَ أَوْلَادُ الْوَزِيرِ وَأَخُوْتَهُ، وَالشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ كَاتِبُ الدُّشْتِ وَابْنُهُ سَالِمٌ، وَمِنَ الْأُسْتَاذِينَ الْمُحْتَكِينَ أَزْبَابَ الْخِدْمِ. وَجَرَى الْحَالُ فِي الْمَائِدَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى مَا هُوَ مَأْلُوفٌ، وَفُرِّقَ مِنْ جَمَلَتِهَا لِكُلِّ مِنْ أَزْبَابِ الْخِدْمِ الَّذِينَ لَمْ يَحْضُرُوا عَلَيْهَا مَا هُوَ لِكُلِّ مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الشَّرْفِ. وَتَمَيَّزَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ خَاصَّةً مَا يَخْتَصُّ بِالْقَاضِيِ وَشُهُودِهِ وَالِدَّاعِيِ وَرَجَالِهِ<sup>(c)</sup>، الَّذِينَ يُخَصَّصُونَ عَنْ سِوَاهِمُ بِمَقَامِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ فِي قَاعَةِ الْحَيْمَةِ الْكَبْرَى أَمَامَ سَرِيرِ الْخِلَافَةِ الْمَنْصُوبِ مُدَّةَ النَّهَارِ، مَعَ مَا يُحْمَلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَوَائِدِ وَغَيْرِهَا مِمَّا هُوَ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الْإِثْبَاتَاتِ مَذْكُورٍ. وَلَمَّا تَكَامَلَ وَضِعَ الْمَائِدَةُ وَانْقَضَى حُكْمُهَا قَبْلَ كُلِّ مِنَ الْحَاضِرِينَ الْأَرْضِ، وَانصَرَفَ بَعْدَ أَنْ اسْتَصْحَبَ مِنْهَا مَا تَقْتَضِيهِ نَفْسُهُ عَلَى حُكْمِ الشَّرْفِ وَالْبَرَكَاتِ. وَيَقْضَى بَعْدَ ذَلِكَ الْفَرَايِضَ الْوَاجِبَةَ فِي وَقْتِهَا، وَلَا بَدَّ مِنْ رَاحَةٍ بَعْدَهَا.

وَحَضَرَ مُقَدِّمًا الرُّكَّابَ وَحَاسِبًا كَاتِبَ الدُّفْتَرِ عَلَى مَا مَعَهُمَا بِرِسْمِ تَفْرِيقَةِ الرُّسُومِ وَالصَّدَقَاتِ فِي مَسَافَةِ الطَّرِيقِ، فَكَمَّلَ لَهَا عَلَى مَا بَقِيَ مَعَهُمَا مِثْلَ مَا كَانَ أَوَّلًا. وَلَمَّا اسْتَحَقَّ الْعَوْدَ، عَادَ كُلُّ مَنْ

(a) بولاق: المستخدممين. (b) بولاق: السقاة. (c) بولاق: وابن خاله.



المُسْتَخْدَمِينَ إِلَى شُغْلِهِ مِنْ تَرْتِيبِ الْمُؤَكَّبِ وَمَصَفَّاتِ الْعَسَاكِرِ ، وَتَرْتِيبِ مَنْ يُشْرَفُ بِالْحُجُبَةِ<sup>(a)</sup> مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالصُّيُوفِ .

وَفُرِّقَتِ الصَّوَانِي الْخَاصَّةُ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ مَدَّةَ النَّهَارِ ، الْجَامِعَةَ لِلثَّرْوَةِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَالزَّيْنَةَ مِنْ كُلِّ مَعْنَى ، وَالغَرَبَةَ مِنْ كُلِّ صَنْعَةٍ<sup>(b)</sup> ؛ وَقَدْ جَمَعَتْ مَلَاذَّ جَمِيعِ الْخَوَاسِّ ، وَالْعُدَّةَ مِنْهَا بِسِيرَةٍ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِتَقْصِيرٍ مِنْ هِمِّ الْجِهَاتِ الَّتِي تَتَنَوَّعُ فِيهَا بِالْغَرَائِبِ ، بَلْ لِلتَّعَبِ الشَّدِيدِ عَلَيْهَا ، ثُمَّ لَضَيْقِ الزَّمَانِ ، لِأَنَّ كَلًّا مِنْهَا لَا مَنْدُوحَةَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا زَهْرَةٌ وَثَمَرَةٌ ، وَطُولِ الْمُكْثِ كَذَلِكَ يُتْلَفُ مَا فِيهَا . وَإِذَا شَمِلَتْ - مَعَ قَلْتِهَا - مِنْ لَهْ الْوَجَاهَةِ الْعَالِيَةِ مِنْ أُخِي الْخَلِيفَةِ وَالْوَزِيرِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ غَيْرُ صَيْنِيَّةٍ وَاحِدَةٍ .

وَأَخَذَ كُلُّ مِنَ الْحَاشِيَةِ أَهْبَةَ تَجَمُّلِهِ لِمَوْضِعِ مِيزَتِهِ ، وَغَيَّرَ الْخَلِيفَةُ ثِيَابَهُ بِمَا يَقْتَضِيهِ الْمَوْكِبُ وَهُوَ بَدَلَةٌ حَرِيرِيَّةٌ بِشَدَّةِ الْوَقَارِ وَعَلَمُ الْجَوْهَرِ .

وَسُيِّرَ إِلَى الْوَزِيرِ ، صُحْبَتُهُ مَقْدَمُ خِزَانَةِ الْكُشُوفَةِ الْخَاصَّةِ عَلَى يَدِ الْمُسْتَخْدَمِينَ عِنْدَهُ مِنَ الْأُسْتَاذِينَ ، مِنْ جُمَّلَةِ بَدَلَاتِ الْجَمْعِ الَّتِي يَتَوَجَّهُ فِيهَا إِلَى رَبِّهِ<sup>(c)</sup> وَيَوْمَ يَمُرُّ<sup>(d)</sup> يَسْعَى إِلَيْهِ ، بَدَلَةٌ مَكْمَلَةٌ حَرِيرِيَّةٌ وَمُنْدِيلُهَا بَيَاضٌ بِالشَّدَّةِ الدَّائِمَةِ غَيْرِ الْعَرِيَّةِ<sup>(e)</sup> . وَلَمَّا لَبَسَ مَا سُيِّرَ إِلَيْهِ ، وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ لَشُكْرِ نِعْمَتِهِ ، أَمَرَهُ بِرُكُوبِ أُخِيهِ فِي إِحْدَى الْعُشَارِيَّاتِ ، فَاثْتَمَلَ أَمْرَهُ ، وَتَوَجَّهَ صُحْبَتَهُ مِنَ الشُّكْرَةِ بِجَمِيعِ خَوَاصِّهِ وَحَوَاشِيهِ ، وَفُتِحَ لَهُمُ الْبَابُ الَّذِي هُوَ مِنْهَا بِشَاطِئِ الْخَلِيجِ ، وَقُدِّمَ لَهُ إِحْدَى الْعُشَارِيَّاتِ الْمَوْكِبِيَّةِ ، وَفِيهَا مُقَدَّمُ رِئَاسَةِ الْبَحْرِيَّةِ فَرَكِبَ فِيهَا بِجَمْعِهِ ، وَالْوَزِيرُ وَقَفَّ رَاجِلًا عَلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ خِدْمَةً لَهُ ، إِلَى أَنْ انْحَدَرَتِ الْعُشَارِيَّاتُ جَمِيعُهَا قُدَّامَهُ ، وَمَرَكَبُ اللَّعِبِ بِغَيْرِ أَحَدٍ مِنَ أَرْبَابِ الرَّهَجِ ، وَالْمُسْتَخْدَمُونَ فِي الْبَرِّينِ يَمْنَعُونَ مِنْ يُقَارِبُهُ ، وَالْمَتَفَرِّجُونَ لَا يَصُدُّهُمْ وَيُرُدُّهُمْ مَا يَحِلُّ بِهِمْ ، بَلْ يَزْمُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ عَلَى الدَّوَابِّ ، وَيَسِيرُونَ بِسَيْرِهِ .

وَعَادَ الْوَزِيرُ إِلَى الشُّكْرَةِ ، فَلَمَّا شَاهَدَ الْخَلِيفَةُ الدَّوَابَّ الْخَاصَّةَ الَّتِي بِرِشْمِ رُكُوبِهِ ، أَمَرَهُ بِمَا وَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارُهُ مِنْهَا وَعِلاَهُ ، فَاحْتَاطَ بِرُكُوبِهِ مُقَدِّمُ الرُّكَابِ ، وَاسْتَفْتَحَ الْقُرَّاءَ ، وَخَرَجَ مِنْ بَابِ الشُّكْرَةِ ، وَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ<sup>(f)</sup> الْقِبْلِيِّ وَسَقَّ قَاعَتَهَا عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ ، وَخَصَّ بِالسَّلَامِ فِيهَا شُيُوخَ الْكُتَّابِ الْعَوَالِيِّ وَالْقَاضِيَّ وَالِدَّاعِيَّ وَمَنْ مَعَهُمَا ، وَلَهُمْ بِذَلِكَ مِيزَةٌ عَظِيمَةٌ يَخْتَصُّونَ بِهَا دُونَ

(a) بولاق : بالحضرة . (b) بولاق : والغرابة من كل صنف . (c) بولاق : منها إلى زيه . (d) بولاق : ما يؤمر به من . (e) بولاق : الدانية غير العربية . (f) بولاق : الخليفة .



غيرهم . وخرَجَ منها إلى البُستان المعروف بِنزار ، وسارَ في مَيدانه وجميعه من الجانبين سورَ معقودٍ من شَجَرِ نارِجِ أصولها مُفَرَّقة<sup>(a)</sup> وفروعها مُجتمِعة قد<sup>(b)</sup> ظلَّت الطَّرِيق ، وعليها من الثَّمرة التي آخِرَ جَمِيعها في وقتِه<sup>(c)</sup> إلى هذا اليوم ، وقد خَرَجَت بِهَجَّتِها عن المعتاد ، وحَصَلَ عليها ثَمرةٌ سنتين : إحداهما انتهت ، والأخرى في الابتداء . وهو بهيئته وزِيه وتَرتيب عَساكِرِه وأَمَرائِه ، وخرَجَ من الباب بعد أن عَمَّ مَنْ له رَسَم يأنعامه ، وعاد الرَّهَجُ والمُوكِبُ على ما كان عليه ، فلمَّا وَصَلَ إلى السِّدِّ الذي على بِرْكةِ المَقسي<sup>(d)</sup> كُسيرَ بين يديه<sup>١</sup> .

وقال في كتاب «الذخائر» : إنَّ مَّا أُخْرِجَ من القصر في سنة إحدى وستين وأربع مائة في خِلافة المُسْتَنصِرِ ، قُبَّةُ العُشاري وفازتُه<sup>(e)</sup> وكُشوةٌ رَحَله . وهو مَّا استعمله الوَزيزُ أحمد بن عليّ الجَزجرائي في سنة ست وثلاثين وأربع مائة ، وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفًا وسبع مائة دِرْهم فِضة نُقْرة . وأنَّ المُطَلَقَ للصِّناع الصِّبَاغَةَ من أُجْرة ذلك وفي ثَمَنِ ذَهَبٍ لِطِلائِه خاصَّةً ، ألفان وسبع مائة دينار . وعَمِلَ<sup>(f)</sup> (أبو سَعْدِ إبراهيم بن) سَهْلُ التُّشْتري لوالِدَةِ المُسْتَنصِرِ عُشاريًّا يُعْرَفُ بالفِضِّي ، وحلَّى رِواقَه بِفِضةٍ تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، ولزِمَ ذلك أُجْرة للصِّبَاغَةِ<sup>(g)</sup> ولِطِلاءِ بعضه ألفان وأربع مائة دينار ، واستعمل كُشوةً بِرَسْمِه/ بِمالِ جَليل .

٤٧٦:١

وأنْفَقَ على العُشاريَّات التي بِرَسْمِ التُّزهِ البَحْرية - التي عِدَّتْها ستة وثلاثون عُشاريًّا بالتقدير ، بِجَمِيعِ آلاتِها وكُساها ومُحلاها من مَناطق ورءوس مَنجوقات وأهْلَّةٍ وصُفُريَّات وغير ذلك - أربع مائة ألف دينار<sup>٢</sup> .

وقال ابنُ الطَّوَيِّرِ : إذا أذِنَ اللهُ سبحانه وتعالى بِزيادةِ النَّيلِ المبارك ، طالَعَ ابنُ أبي الرِّدَّادِ بما استقرَّ عليه أذْرعُ القاعِ في اليومِ الخامسِ والعشرين من بَؤونةٍ ، وأرَّخه بما يُوافقه من أيامِ الشَّهرِ<sup>(h)</sup> العربي . فعَلِمَ ذلك من مُطالعتِه ، وأُخْرِجَت إلى ديوانِ المَكاتِّباتِ ، فنزَلت في المَسيرِ المرْتَّبِ بأصلِ القاعِ ، والزِيادةُ بعد ذلك كلُّ يومٍ مُؤرَّخًا بيومِه<sup>(i)</sup> من الشَّهرِ العربي ، وما وافقه من أيامِ الشَّهرِ القِبْطِيِّ ، لا

(a) بولاق : مفترقة . (b) بولاق : و . (c) بولاق : أخرجها من . (d) بولاق : الحبش . (e) بولاق : قاربه . (f-f) ساقطة من بولاق . (g) بولاق : الصناعة . (h) بولاق : الشهور . (i) بولاق : في كل يوم تؤرخ بيومه .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٧٤ - ٨٠ . «الذخائر والتحف» ، وأعاد المقرئ استخدام نفس النص

<sup>٢</sup> هذا النص غير موجود فيما وصل إلينا من كتاب فيما يلي ٥٦٠ .



يزال كذلك وهو محافظٌ على كِثْمَانِ ذلك لا يَعْلَمُ به أَحَدٌ قبل الخليفة وبعده الوزير . فإذا انتهى في ذراع الوفاء ، وهو السادس عشر ، إلى أن يبقى منه إضبع أو إضبعان ، وعَلِمَ ذلك من مطالعته ، أمر أن يُحْمَلَ إلى المقياس في تلك الليلة من المطابخ عشرة قناطير من الخبز السמיד ، وعشرة من الخراف المشوية ، وعشرة من الجأَمَاتِ الحَلْوَى ، وعَشْرُ شَمْعَاتٍ .

ويؤمَّر بالمبيت في تلك الليلة بالمقياس ، فيحضر إليه قُرَاءُ الحَضْرَةِ والمتصدِّرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ، ومن يجري مجراهم . فيستعملون ذلك ، ويقْدُونَ الشَّمْعَ عليهم من العشاء الآخرة ، وهم يثْلون القرآن برفق ويَطْرَبُونَ مَكَانَ التَّطْرِيبِ ، فيخْتَمُونَ الخِثْمَةَ الشَّرِيفَةَ . ويكون هذا الاجتماع في جامع المقياس <sup>١</sup> ، فيوفي الماء ستة عشر ذراعًا في تلك الليلة .

ولوَفَاءِ النَّبِيلِ عندهم قَدْرٌ عَظِيمٌ ، ويتهجون به ابتهاجًا زائدًا . وذلك لأنه عمارة الديار ، وبه التثائم الخلق على فضل الله ، فيحشِن عند الخليفة موقعه ، ويهتم بأمره <sup>(a)</sup> اهتمامًا عظيمًا أكثر من كلِّ المَوَاسِمِ . فإذا أصبح الصُّبْحُ من هذا اليوم ، وحَضَرَتِ مُطَالَعَةُ ابن أبي الرِّدَادِ إليه بالوفاء ، رَكِبَ إلى المقياس لتخليقه ، فيشتدعي الوزير على العادة فيحضر إلى القصر ، فيركب الخليفة بزِّيَّ أيام الرُّكُوبِ ، من غير مظلة ولا ما يجري مجراها بل في هيئة عظيمة من الثياب ، والوزير تابعه في الجمع الهائل على ترتيب المؤكِّب . ويخرج شاقًا القاهرة <sup>(b)</sup> من باب زويلة ، وسالكًا الشارع إلى آخر الرُّكْنِ من بُسْتَانِ عَبَّاسِ المعروف اليوم بسَيْفِ الإسلام <sup>٢</sup> ، فيعطِف سالكًا على جامع ابن طولون - والجِشْرَ الأعْظَمَ بين البركتين <sup>(c)</sup> - إلى السَّاحِلِ بِمِصْرَ ، إلى الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ على طَرْفِ الحَشَّابِينَ الشَّرْقِيِّ على دار الفاضل إلى باب الصُّنَاعَةِ <sup>(d)</sup> بجوارها - وله دَهْلِيزٌ مَادٌّ بِمَسَاطِبِ مَفْرُوشَةٍ بالحُصْرِ العَبْدَانِيِّ بُسْطًا وتَأْزِيرًا - فيشقها والوزير تابعه ، ويخرج منها مُنْعَطِقًا على الصُّنَاعَةِ <sup>٣</sup> الأخرى - وكانت برسم المَكْسِ - إلى الشُّيُوفِيِّينَ ، ثم على مَنَازِلِ العِزِّ التي هي اليوم مَدْرَسَةٌ <sup>٤</sup> ،

(a) بولاق : بأمره . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : الركنين . (d) بولاق : الصاغة .

<sup>١</sup> عن جامع المقياس انظر فيما يلي ٢ : ٢٩٠ . الآن .

<sup>٢</sup> حاشية بخط المؤلف : «بستان عباس هذا موضعه اليوم يعرف بدرب ابن الباطنة المدرسة البندقارية وجوار حمام الفارقاني قرب الصليبة» . وفي صبح الأعشى ٣ : ٥١٣ بعد ذلك : «عند رأس الصليبة بالقرب من الخانقاه الشيخونية

<sup>٣</sup> حاشية بخط المؤلف : «منظرة الصناعة موضعها الآن بستان يعرف ببستان الطواشي على يسرة السالك من المراغة إلى مصر» .

<sup>٤</sup> انظر فيما يلي ٥٧٦ ، ٢ : ٣٦٤ .



ثم إلى دار الملك<sup>١</sup>، فيتدخل من الباب المقابل لسلكه، فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيًا إلى المكان المعد له. ويكون قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشاري الخاص<sup>٢</sup>. وهو بيت مثنى من عاج وأبنوس، عرض كل جزء ثلاثة أذرع، وطوله قامة رجل تام، فيجمع بين الأجزاء الثمانية فيصير بيتًا دؤره أربعة وعشرون ذراعًا، وعليه قبة من خشب مُحكَّم الصنعة، وهو وقبته ملبس صفائح الفضة المذهبة<sup>٣</sup> فيتسلمه رئيس العشاريات الخاص، ويُرْكَبه على العشاري المختص بالخليفة، ويُجعل باكر ذلك اليوم الذي يركب الخليفة فيه على الباب الذي يخرج منه للركوب إلى المقياس.

فإذا استقر الخليفة بالمتظرة بدار الملك التي يخرج من بابها إلى العشاري وأسند إليه، استدعى الوزير من مكانه، فيخضِر إليه ويخرج بين يديه إلى أن يركب في العشاري، فيدخل البيت المذهب وخذَه، ومعه من الأستاذين المُحكِّين من يأمره من ثلاثة إلى أربعة، ثم يطلع في العشاري خواص الخليفة خاصة، ورسم الوزير اثنان أو ثلاثة من خواصه؛ وليس في العشاري من هو جالس سوى الخليفة باطنًا والوزير ظاهرًا في رواق من باب البيت الذهبي<sup>٤</sup> بقرانيس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف الخشب، وهي مدهونة مذهبة، وعليها من جانبيها ستورٌ معمولٌ يرسمها على قدرها.

فإذا اجتمع في العشاري من جرت عادته بالاجتماع، اندفع من باب القنطرة طالبًا باب المقياس العالي على الدرج التي يعلوها النيل<sup>٥</sup>، فيدخل الوزير ومعه الأستاذون بين يدي الخليفة إلى الفسقية، فيصلي هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده. فإذا فرغ من صلاته، أُحضرت الآلة التي فيها الزعفران والمِسك، فيديفها في إناء بيده بألة معه<sup>٦</sup>، ثم<sup>٧</sup> يتناولها صاحب بيت المال، فيناولها لابن أبي الرِّدَاد، فيلقي نفسه في الفسقية وعليه غلالتة وعمامته، والعمود قريب من درج الفسقية، فيتعلق فيه برجليه ويده اليسرى، ويخلقه بيده اليمنى، وقراء الحاضرة من الجانب الآخر يقرأون القرآن نوبة بنوبة؛ ثم يخرج على فؤره راكبًا في العشاري المذكور، وهو بالخيار: إمَّا أن

(a) بولاق: بصفائح الفضة والذهب. (b) بولاق: الذي هو. (c) ميونخ: والذي يعلوها الماء فيه. (d) بولاق وآياصوفيا: فيديفها بيده بألة والمثبت من نسخة ميونخ. (e) بولاق وآياصوفيا: ويتناولها والتصويب من ميونخ.

<sup>١</sup> حاشية بخط المؤلف: دار الملك بجوار المدرسة ٥٧٣-٥٧٦.

المعزية... جدار يجلس إليه تجار الحناء... وانظر فيما يلي <sup>٢</sup> انظر عن العشاريات فيما يلي ٥٥٩.



يعود إلى دار الملك ويركب منها عائداً إلى القاهرة، أو ينحدر في العشاري إلى المقس فتتبعه المراكب<sup>(a)</sup> إلى القاهرة؛ ويكون في البحر في ذلك اليوم ألف قزقورة<sup>١</sup> مشحونة بالعالم فرحاً/ بوفاء النيل وبنظر الخليفة. فإذا استقر بالقصر اهتم برُكوب فتح الخليج، وفيه همة عظيمة ظاهرة للائتهاج بذلك.

ثم يصير ابن أبي الرِّداد باكر ثاني ذلك اليوم، إلى القصر بالإيوان الكبير الذي فيه<sup>(b)</sup> الشُّباك إلى باب الملك بجواره، فيجد خلعة معبأة هناك، يؤمر بلبسها، ويخرج من باب العيد شاقاً بها يتن القصرين من أوله قَصْداً لإشاعة ذلك - فإن ذلك من علامة وفاء النيل، ولأهل البلاد إلى ذلك تطلع - وتكون خلعة مذهبة.

وإذا كان من العُدول المحتكين، فيشرف في الخلعة بالطيلسان المقور، ويُنْدَب له من التغيرات<sup>٢</sup> ولن يُريده خمس تغييرات مركبات بالحلي، ويُحْمَلُ أمامه على أربع بغال مع أربعة من مُستخدمي بيت المال أربعة أكياس في كل كيس خمس مائة درهم ظاهرة في أكفهم، وتحجبه<sup>(c)</sup> أقاربه وبنو عمه وأصدقائه، ويُنْدَب له الطبل والبوق، ويلتف إليه<sup>(d)</sup> عدة كبيرة من المتصرفين الرجالة. فيخرج من باب العيد، ويترك إحدى التغيرات - وهي أميرها - وشرف أمامه بجملين من الثقارات التي قدّمنا ذكرها - يعني في رُكوب أول العام - من زيّ الموكب<sup>٣</sup> فيسير شاقاً القاهرة، والأبواق تضرب أمامه كباراً وصغاراً والطبل وراءه مثل الأمراء، وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة، ويخرج من باب القصر فيقبله ويركب، وهكذا يعمل كل من يُخلع عليه من كبير وصغير من الأمراء المطوقين إلى من دونهم سيفاً وقلماً.

(a) بولاق: فيتبعه الموكب. (b) بولاق: في. (c) بولاق: وتصحبه. (d) بولاق: ويكتنف به.

وإشارة ابن الطوير هنا هي الوحيدة التي تفيد استخدام هذا النوع من السفن بغرض النزهة في النيل (النخيلي: السفن الإسلامية ١٢٠-١٢٥).

<sup>٢</sup> حاشية بخط المؤلف: «التغيرات خيول تحضر من الإسطبلات يركبها من يُخلع عليه أو يتركب في ركوبات الخليفة ثم تُعاد إلى مكانها».

<sup>٣</sup> فيما تقدم ٤٦٥.

<sup>١</sup> قزقورة ج. قراقر وقرابير. ورد اللفظ في معظم المعاجم العربية وبعض المصادر خالياً من الهاء في آخره: قزقور كحُضفور: السفينة (الفيروزآبادي: القاموس ٥٩٣). وذكر الجواليقي أنه ضرب من السفن أعجمي وقد تكلمت به العرب. (العرب ٢٧١).

وتفيد المصادر الإسلامية - كما ذكرها النخيلي - أن

القرار كان منها الكبير والصغير وأنها تستخدم في التجارة.



وَيَخْرُجُ مِنْ بَابِ زَوِيلَةَ طَالِبًا مَصْرًا مِنَ الشَّارِعِ الْأَعْظَمِ إِلَى مَسْجِدِ عَبْدِ اللَّهِ<sup>١</sup> إِلَى دَارِ الْأَنْمَاطِ<sup>٢</sup>، جَائِزًا عَلَى الْجَامِعِ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، فَيَعْدِي إِلَى الْمِقْيَاسِ بِخَلْعِهِ وَأَكْيَاسِهِ. وَهَذِهِ الْأَكْيَاسُ مُعَدَّةٌ لِأَرْبَابِ الرُّشُومِ عَلَيْهِ فِي خَلْعِهِ وَلِنَفْسِهِ وَلِبَنِي عَمِّهِ بِتَقْرِيرٍ مِنْ أَوَّلِ الزَّمَانِ<sup>٣</sup>.

فَإِذَا انْقَضَى هَذَا الشَّأْنُ شَرِعَ فِي الرُّكُوبِ إِلَى «فَتْحِ الْخَلِيجِ» ثَانِي يَوْمٍ - وَقَدْ كَانَ وَقَعَ الْاهْتِمَامُ بِهِ مِنْذُ دَخَلَتْ زِيَادَةُ النَّيْلِ ذِرَاعَ الْوَفَاءِ اهْتِمَامًا عَظِيمًا - فَيُعْمَلُ فِي بَيْتِ الْمَالِ مَوَائِدًا<sup>(a)</sup> مِنَ التَّمَائِيلِ، شَكْلُ الْوُحُوشِ مِنَ الْغِزْلَانِ وَالسَّبَاعِ وَالْفَيْتَلَةِ وَالزَّرَافَاتِ عِدَّةٌ وَافرةٌ: مِنْهَا مَا هُوَ مُلْبَسٌ بِالْعَبْتَرِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُلْبَسٌ بِالصُّنْدَلِ، ثُمَّ شَكْلُ التُّفَاحِ وَالْأَثْرَجِ اللَّطَافِ، وَالْوُحُوشِ مُفَسَّرَةُ الْأَعْيُنِ وَالْأَعْضَاءِ بِالذَّهَبِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ تَخْرُجُ الْخَيْمَةُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: «الْقَاسِثُولُ»<sup>٤</sup> - لِأَنَّ فَرَّاشًا سَقَطَ مِنْ أَعْلَى عَمُودِهَا فَمَاتَ فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ - وَطُولُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَأَعْلَاهُ صُفْرِيَّةٌ فِضَّةٌ تَسَعُ رَاوِيَةَ مَاءٍ، وَعَلَيْهِ الْفَلَكَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْإِيوَانِ إِلَى قَرِيبٍ. ثُمَّ يُعْمَلُ فِي أَوَّلِ الْعَمُودِ شُقَّةٌ دَائِرَةٌ، ثُمَّ أَوْسَعُ مِنْهَا، وَيَتَوَالَى ذَلِكَ إِلَى إِحْدَى عَشْرَةَ شُقَّةً، فَتَصِيرُ سَعَةُ الْخَيْمَةِ مَا يَزِيدُ عَلَى قَدَّانَيْنِ مُسْتَدِيرَةٍ، وَتُنْصَبُ فِي بَرِّ الْخَلِيجِ الْغُرْبِيِّ عَلَى حَافَتِهِ مَكَانَ بُسْتَانِ الْحَلِيِّ<sup>(b)</sup> الْيَوْمِ<sup>٥</sup>.

وَكَانَتْ تَمَّ مَنظَرَةٌ يُقَالُ لَهَا السُّكْرَةُ، بِرَسْمِ جُلُوسِ الْخَلِيفَةِ لِفَتْحِ الْخَلِيجِ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ<sup>٦</sup>. وَيُنْصَبُ أَرْبَابُ الرُّتَبِ مِنَ الْأَمْرَاءِ مِنْ بَحْرِيٍّ تِلْكَ الْخَيْمَةِ الْكَبْرَى خِيَامًا كَثِيرَةً، وَيَتَمَازِوْنَ فِيهَا عَلَى قَدْرِ رُتَبِهِمْ<sup>(c)</sup>، وَضَرْبِهِمْ إِثَّاهَا فِي الْأَمَاكِنِ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ عَلَى قَدْرِ رُتَبِهِمْ.

فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ، وَعَزَمَ الْخَلِيفَةُ عَلَى الرُّكُوبِ ثَالِثَ يَوْمِ التَّخْلِيْقِ أَوْ رَابِعَهُ، أَخْرَجَ كُلٌّ مِنْ الْمُسْتَعْدِمِينَ فِي الْمَوَاضِعِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهَا - <sup>(d)</sup> يَعْنِي خَزَائِنَ السَّلَاحِ وَخَزَائِنَ الشَّرُوجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْخَزَائِنِ - مِنَ السَّلَاحِ وَالْمَرْكَبَاتِ الْحَلِيِّ لِلتَّغْيِيرَاتِ وَجَنَائِبِ الْخَلِيفَةِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهَا<sup>(d)</sup> فِي رُكُوبِ أَوَّلِ

(a) ساقطة من بولاق. (b) بولاق: الحلبي. (c) بولاق: همهم. (d-d) ساقطة من بولاق.

<sup>١</sup> عن مسجد عبد الله انظر فيما تقدم ١٢٥.  
<sup>٢</sup> حاشية بخط المؤلف: «دار الأنماط من جملة زقاق القناديل الذي تحترق اليوم».  
<sup>٣</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ١٨٩-١٩٥؛ القلقشندي: صبح ٥١٢:٣-٥١٤.  
<sup>٤</sup> انظر فيما تقدم ٣٨٤، ٥٣٩.  
<sup>٥</sup> حاشية بخط المؤلف: «بستان الحلبي هذا موضع يعرف اليوم بالمريس وما جاوزه إلى نحو قنطرة السد من حافة الخليج» وانظر ابن دقماق: الانتصار ٤: ١١٩، ١٢٠، ١٢١.  
<sup>٦</sup> فيما تقدم ٥٣٧.



العام و<sup>(a)</sup> آلات المواكب على تمامه<sup>(b)</sup>، ويزاد فيه إخراج أربعين بوقاً، عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة، ويكون بواقوها رُكبائاً، وأزباب الأتواق النحاس مُشاةً، ومن الطبول الكبار التي مكان خشبها فضة عشرة.

فإذا حضر الوزير إلى باب القصر خرج الخليفة في هيئة عظيمة وهمة عالية، وقد تضاعفت <sup>٥</sup> عُدَدُ<sup>(c)</sup> الأجناد في ذلك اليوم فارسها وراجلها، ويخرج زبي الخليفة من المظلة والسيف والرمح والألوية والدواة، وغير ذلك من الأستاذين المحنكين.

ويركب في ذلك اليوم من الأقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون، وهم بالتوبة في كل سنة فيتقدمون إلى المنطرة في مكان لهم ضحبة أستاذين لخدمتهم وحفظهم، ويكون قد لُفَّ <sup>١٠</sup> عمود الخيمة الكبرى المشار إليها إما بدياج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه إلى أسفله، ويُصب مُسنداً إليه سريز الملك، ويُعشى بقرقوبى، وعرانيسه ذهب ظاهرة.

فيخرج الخليفة للركوب ويركب، فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يُقال له: «البدنة»<sup>١</sup> - وهو كله ذهب وحرير مزقوم، والمظلة من شكله، ولا يلبس هذا الثوب في غير هذا اليوم - ويسير <sup>١٥</sup> المؤكب الهائل، شاقاً القاهرة من الطريق التي ركب منها لتخليق المقياس، إلا أنه لا يدخل طرق مصر من الخشابين، بل خارجها من طريق الساحل. فإذا جاز على جامع ابن طولون، وجد قد رُبط من رأس المنارة - من مكان العشاري النحاس - حبلًا طويلاً قويًا موضوعاً آخره في الطريق، وفيه قوْم يُقال لهم البختيارية<sup>٢</sup>، واحد في زي فارس على شكل فرس وفي يده رُمح وبكتفه ذرقة، فينحدر على بكرة وفي رجليه آخر ممسكها، وهو يتقلب في الهواء بطنًا وظهراً حتى يصل إلى الأرض.

ويكون قاضي القضاة وأعيان الشهود جلوساً في باب الجامع من هذه الجهة، فإذا أزازهم الخليفة - وكانوا قد ركبوا - وقف لهم وقفاً، فيسلم على القاضي، ثم يدخل فيقبل الرجل التي <sup>٢٠</sup> من جانبه لا غير، ويدخل بالشهود/ في الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبته المساحة، فيسلم عليهم، ويترجعون إلى دوابهم فيركبون.

٤٧٨:١

(a) الواو ساقطة من بولاق. (b) بولاق: على عادته. (c) بولاق: هم. (d) بولاق: حبل ... موضوع.

<sup>١</sup> فيما تقدم ٥٣٥. <sup>٢</sup> البختيارية (أو النختيارية)، انظر عنهم فيما تقدم ٤٨٨، ٤٩٤.



ويكون قد نُصِبَ لهم بالقرب من الخيَمة الكبرى خيَمتان : إحداهما ديباج أحمر ، والأخرى ديبقي أبيض بصفاري فضة لكل واحد ، فيتم الخليفة بهيئته إلى أن يدخُل من باب الخيَمة ، ويكون الوزير قد تقدّمه على العادة ليخدمه ، فيجده راجلاً على باب الخيَمة ، فيمشي بين يديه إلى سرير الملك ؛ فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه ، ويحيط به الأستاذون المحنكون والأمراء المطوقون بعدهم . ويوضع للوزير الكرسي الجاري به عادته ، فيجلس عليه ويرجلاه تحك الأرض ، ويقف أرباب الرتب صافين من ناحية سرير الملك إلى ناحية الخيَمة ، والقراء يقرأون القرآن ساعةً زمانية ؛ فإذا ختموا قراءتهم ، استأذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يُطابق<sup>a</sup> هذا اليوم ، فيؤمر بتقديمهم واحداً بعد واحد ، ولهم منازل على مقدار أقدارهم ، فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الإنشاد ، وهو أمرٌ معروف عند مُستخدم يُقال له «النائب»<sup>١</sup> . وتقدم شاعرٌ يُقال له ابن جبر<sup>٢</sup> ، وأنشد قصيدة منها :

[الكامل]

فُتِحَ الخَلِيْجُ فسال منه الماءُ      وَعَلَّتْ عليه الرأيةُ البيضاءُ  
فصفت موارده لنا فكأنه      كف الإمام فغرفها الإغطاءُ

فانتقد الناس عليه في قوله : «فسال منه الماء» ، وقالوا : أي شيء يخرج من البحر غير الماء ؟ فضيغ ما قاله بعد هذا المطلع .

وتقدم شاعرٌ ، يُقال له مسعود الدولة بن حريز<sup>b</sup> ، وأنشد :

[الكامل]

ما زال هذا السدُّ ينظر فتحه      إذن الخليفة بالتوال المؤسل  
حتى إذا برز الإمام بوجهه      وسطا عليه كل حاملٍ معولٍ  
فجزي كأن أديف<sup>c</sup> فيه عنبرٌ      يعلوه كاقورٍ لطيب المنذل

فانتقد<sup>d</sup> عليه أيضاً قوله في البيت الثاني ، وقالوا : أهلك وجه الإمام بسطوات المعاول عليه ،

(a) بولاق : بطلق . (b) بولاق : ابن جرير . (c) بولاق : قد ديف . (d) بولاق : فانتقدوا .

الكاتب : خريدة القصر (قسم مص ٢ : ٢٣١ - ٢٣٢) ؛ ابن

<sup>١</sup> انظر فيما تقدم ١ : ٤٦١ ، ومسودة المواعظ ٢٥٠ . سعيد : النجوم ٣٤٤ - ٣٤٥ .

<sup>٢</sup> شرف الدولة أبو محمد يحيى بن حسن بن جبر ،

شاعرٌ معاصرٌ للوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رزيك (العماد ابن سعيد : النجوم ٣٤٤ .



وإن كان قصد فتح السد بالمعاول ، لكنه ما نظمه إلا قليلاً .

ثم تقدم له شاعرٌ شاهدٌ يُقال له كافي الدولة أبو العباس أحمد ، وأنشد قصيدةً شهده له جماعةٌ منهم القاضي الأثير بن سنان ، أنه<sup>(a)</sup> عملها بحضوره بديها :

[الكامل]

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد  
أم لاجتماعكما معاً في موطن  
ليس اجتماع الخلق إلا للذي  
شكروا لكل منكما لوفائه  
ولمن إذا اعتمد الوفاء ففعله  
هذا يفي ويعود ينقص تارة  
وقواه إن بلغ النهاية قصرت  
فالآن قد ضاقت مسالك سعيه  
فإذا أرذت صلاحه فافتح له  
وأمر بقصد العروق منه فما ابثلي<sup>(b)</sup>  
واسلم إلى أمثال يومك هكذا

٥

١٠

١٥

فأمر له على الفور بخمسين ديناراً ، وخلع عليه وزيد في جارية .

ثم يقوم الخليفة عن السرير راكباً ، والوزير بين يديه ، حتى يطلع على المنظرة المعروفة بالسكرية ، وقد فرشت بالفرش المعدة لها ، فيجلس فيها ، ويتهيأ أيضاً للوزير مكاناً يجلس فيه ، ويحيط بالسد حامي البساتين ومشارفها لأنه من حقوق خدمتها ، فتفتح إحدى طاقات المنظرة ، ويطل منها الخليفة على الخليج ، وطاقةً تُقاربها يتطلع منها أستاذ من الخواص ، ويشير بالفتح فيفتح بأيدي عمال البساتين بالمعاول ، ويُخدم بالطبل والبوق من البرتين .

٢٠

فإذا اعتدل الماء في الخليج ، دخلت العشاريات اللطاف - ويقال لها العشاريات<sup>(c)</sup> - وكانت

(a) بولاق : فإنه . (b) بولاق : شكا . (c) بولاق : السماويات .

<sup>١</sup> العشارية ويقال أيضاً شميرية جد. عشاريات وسميريات . تطلق في مصر على نوع من العشاريات اللطاف - أي الصغار - ونص ابن الطوير هو الوحيد الذي يشير إليها (النخيلي : السفن الإسلامية ٦٩ - ٧٠ ، ٩٩) .



خَدَمَ بين يدي العُشارِيِّ الذَّهَبِيِّ المُقَدَّم ذكره ، ثم العُشارِيَّات الخَاصَّ الكبار<sup>١</sup> وهي سِتَّة : الذَّهَبِيُّ المذكور ، والفِضِّي ، والأخْمَر ، والأضْفَر ، واللَّازُورْدِي ، والصِّقْلِي - وكان أنشأه نَجَّارٌ من رُؤساء الصَّنَاعَةِ صِقْلِي ، وزادَ فيه على الإنشاء المعتاد فُنِيبَ إليه - وهذه العُشارِيَّات لا تَخْرُج عن خِدْمَةِ<sup>a</sup> خَاصَّ الخَلِيفَةِ في أيام النيل وتحوِّله إلى اللُّؤْلُؤَةِ لِلْفُرْجَةِ ، وسارت في الخَلِيج ، وعلى تَيْت كلُّ منها السُّتور الدِّيقي الملوَّنة ، وبرءوسها وفي أعناقها الأهلَّة وقلائد من/ الخَرْز ، فُتْسند إلى البَرِّ الذي فيه المَنْظَرَةُ الجالِس فيها<sup>b</sup> الخَلِيفَةُ .

فإذا استقرَّ جُلُوسُ الخَلِيفَةِ والوزير بالْمَنْظَرَةِ ودَخَلَ قاضي القضاة والشُّهود الخَيْمَةَ الدِّيقي البيضاء ، وَصَلَت المائِدَةُ من القصر في الجانب الغربي من الخَلِيج ، على رءوس الفَرَّاشين صُحْبَةَ صاحب المائِدَةِ ، وعِدَّتْها مائة شِدَّة في الطِّيافِيرِ<sup>٢</sup> الواسِعَةِ ، وعليها القَوَّارات الحرير ، وفوقها الطَّرَاحات<sup>٣</sup> ، ولها رِواءٌ عَظِيمٌ ومِسْكٌ فائِحٌ ، فتوضع في خَيْمَةٍ واسعة منصوبة لذلك . ويُحْمَل للوزير ما هو مستقرُّ له بعادة جاريه ومن صَواني التَّمائيل المذكورة ثلاث صَوانٍ ، ويُخَصَّصُ منها أيضًا لأولاده وإخوته خارجًا عن ذلك إكرامًا وافتقارًا ، ويُحْمَل إلى قاضي القضاة والشُّهود شِدَّة من الطَّعام الخَاصَّ من غير تَمائيل توقيرًا للشَّرْع ، ويُحْمَل إلى كلِّ أمير في خَيْمَتِه شِدَّة طَعام وصينية تَمائيل ، ويَصِل من ذلك إلى النَّاس شيءٌ كثيرٌ .

ولا يزالون كذلك إلى أن يُؤذَّن بالظُّهر ، فيُصَلُّون ويُقيمون إلى العصر ، فإذا أُذُن به صَلَّي ، وَرَكِبَ الموكب كلَّه لانتظار رُكوب الخَلِيفَةِ ، فيركب لا يَسًا غير البَدَنَةِ بل بهيئته ، والمِظَلَّةُ مُناسبة لِشبابه التي عليه ، واليَتِيمَةُ والترتيب بأجمعه على حاله . وَيَسِيرُ في البَرِّ الغربي من الخَلِيج ، شاقًّا

(a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : فيه .

<sup>١</sup> أورده المسبحي (أخبار مصر ٤٥) أن العشاريات كانت تستخدم كذلك مع المراكب الحربية حيث أرسلت في عام ٤١٥ هـ لحفظ الحصون الشامية . (راجع ، المسبحي : أخبار مصر ١١ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٩٥ ؛ درويش النخيلي : السفن الإسلامية ٩٥-١٠١) .

<sup>٢</sup> الطِّيافِير انظر فيما تقدم ٣٢٨ ، ٤٠٥ .

<sup>٣</sup> القَوَّارات والطَّرَاحات ، انظر فيما تقدم ٤٠٣ .

<sup>١</sup> عُشاري ج. عُشاريات . نوع من السفن كان يستخدم في البحر المتوسط والبحر الأحمر والنيل . ويبدو أن المستخدم منه في البحر نوع من القوارب الصغار التي تلحق بالمراكب الكبيرة بغرض نقل المسافرين فيها من الساحل وإليها والعكس .

أما النوع المشار إليه في نص ابن الطوير فهو من المراكب النيلية وخاص باستخدام الخلفاء الفاطميين وعلى الأخص في موسم الاحتفال بوفاء النيل وكسر الخليج . ويفهم مما



للبناتين هناك ، حتى يدخل من باب القنطرة [فيعطف على يمينه ويسير]<sup>(a)</sup> إلى القصر ، والوزير تابعه على الرسم المعتاد ، ويمر فيه للقوم أحسن الأيام ويمضي الوزير إلى داره مخدوماً على العادة<sup>١</sup> .

وقال في كتاب «الذخائر والتحف» : إن المشتغل من الفضة في<sup>(b)</sup> قبة العشاري المعروف بالمقدم وفازته<sup>(c)</sup> وكسوة رخله ، في سنة ست وثلاثين وأربع مائة في وزارة علي بن أحمد الجزجرائي ، مائة ألف وسبعة وستون ألفاً وسبع مائة درهم نقره . وإن المطلق للصناع عن أجره الصياغة<sup>(d)</sup> ، وفي ثمن ذهب لطلائه خاصة ، ألفان وتسع مائة دينار ، وسعر الفضة في ذلك الوقت كل مائة درهم ستة دنانير ورُبُع ، سعر ستة عشر درهماً بدينار .

ولما تولى أبو سعد [ إبراهيم بن ] سهل التشتري الوساطة سنة ست وثلاثين وأربع مائة ، استعمل لأم المشتغل عشارياً يعرف بالفضي ، وحلي زواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، ولزم ذلك أجره الصياغة<sup>(d)</sup> ولإطلاء بعضه ألفان وأربع مائة دينار ، سوى سنة له بمال جليل .

والمثقف على ستة وثلاثين عشارياً يرسم الثزّه البحرية لآلاتها وحلاها ، من مناطق ورعوس منجوقات وأهله وصُفريات وغير ذلك ، أربع مائة ألف دينار<sup>٢</sup> .

وكانت العادة عندهم إذا حصل وفاء النيل أن يكتب إلى العمال . فمما كتب من إنشاء تاج الرئاسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الصيرفي :

«أما بعد ، فإن أحق ما وجبت به التهنئة والبشرى ، وغدت المسار منتشرة تتوالى وتترى ، وكان من اللطائف التي غمرت بالمئة العظمى والنعمه الجسيمة الكبرى ، ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه ، وظلت النعمة به عامّة لصايمت الحيوان وناطقه . وتلك المؤهبة بوفاء النيل المبارك الذي يشره الله تعالى - وله الحمد - يوم كذا ؛ فإن هذه العطية تؤدي إلى خصب البلاد وعمارتها ، وشمول المصالح وعزارتها ، وتفضي بتضاعف المنافع

(a) زيادة من صبح الأعشى . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : قاربه . (d) بولاق : الصناعة .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٩٥ - ٢٠٣ ، وقارن القلقشندي : صبح ٣ : ٥١٤ - ٥١٧ ؛ أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩٩ - ١٠٠ ؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٤٤٧ - ٤٦٠ .

<sup>٢</sup> هذا النص غير موجود في نسخة «الذخائر والتحف» التي وصلت إلينا ، وقد استخدمه المقرئ في ما تقدم ٥٥١ .



والخيرات ، وتكاثر الأرزاق والأقوات ، ويتساهم الفائدة فيها جميع العباد .  
وتنتهي البركة بها إلى كل داب وناء وكل حاضِر وباد . فأذع هذه النعمة  
قبلك ، وانشرها في كل من يتدبر عمَلك ، وحُثهم على مواصلة الشكر  
لهذه الألفاظ الشاملة لهم ولك . فاعلم هذا ، واعمل به إن شاء الله .

وكتب أيضًا:

«أولَى ما تضاعف به الابتهاج والجدل ، وانفتح فيه الرجاء واتسع الأمل ،  
ما عمَّ نفعه صامت الحيوان وناطقه ، وأحدث لكل أحد اغتياطًا لزمه وأبى  
أن<sup>a</sup> يفارقه . وذلك ما من الله به من وفاء النيل المبارك الذي تحيا به كل  
أرض موات ، وتكتسي بعد اقشعرارها حلة النبات ، ويكون سببًا لتوافر  
الأقوات . فإنه وفي المقدار الذي يحتاج إليه . فلئذع هذه المنية في القاصي  
والداني ، لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر والثماني ، إن شاء الله» .

وكتب أيضًا:

«من لطف الله الواجب حمده ، اللازم شكره وفضله ، الذي لا يُمل  
بشره ، ولا يُشام ذكره ومثله ، الذي استبشر به الأنام ، وتضاعف فيه  
الإنعام ، ومثل الله الحياة به في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ  
أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ﴾ [الآية  
٢٤ سورة يونس] ، أمر النيل المبارك الذي يعم النجود والثماني ، وتنتفع به  
الخلائق ، وترتع فيما يُظهره البهائم .

وقد توجه إليك بهذا الكتاب بهذه البشيرة فلان ، فأجره على رسيه في  
إظهاره مجملًا وإصاله إلى رسيه مكملًا ، وإذاعة هذه الثقة على الكافة  
ليتساهموا الاغتياط بها ، ويبالغوا في الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها  
وعلى حسيها . فاعلم ذلك ، واعمل به إن شاء الله» .

(a) بولاق : وآلى ألا .



### مَنْظَرَةُ الدُّكَّةِ

٤٨٠:١

وكان من جُمْلَةِ مَنَاطِرِ الخُلَفَاءِ الفَاطِمِيِّينَ مَنْظَرَةُ تُعْرَفُ بالدُّكَّةِ<sup>١</sup>، لها بُسْتَانٌ عَظِيمٌ بجوار المَقْصِ، فيما بينه وبين أراضي اللُّوقِ، وما زالت باقية حتى زالت الدَّوْلَةُ، وحُكِرَ مكان البُستَانِ وصارَ خِطَّةً تُعْرَفُ إلى اليوم/ بِخُطِّ الدُّكَّةِ، فَخَرِبَتِ الْمَنْظَرَةُ وزالَ أثرُها.

قال ابنُ عبد الظَّاهِرِ: الدُّكَّةُ بالمَقْصِ كانت [أولاً<sup>٢</sup>] بُسْتَانًا، وكان الخُلَيْفَةُ إِذَا رَكِبَ من كَشْرِ الخَلِيجِ من الشُّكْرَةِ بِمِظْلَتِهِ يَسِيرُ في البَرِّ العَرَبِيِّ، وَمَضَارِبُ النَّاسِ والأَمْرَاءِ وَخِيَمَتُهُمْ عن يمينه وشماله، إلى أن يصل إلى هذا البُستَانِ المعروف بالدُّكَّةِ، وقد عُلقَت أبوابُه ودَهاليزُه، فيدخل إليه بمفرده، وَيَسْقِي منه الفَرَسَ الذي تحته- وهي قِصِيَّةٌ ذَكَرَ المَوْزُخُ للسَّيْرَةِ المَأْمُونِيَّةَ<sup>٣</sup> أَنَّهُمْ كانوا يعتمدونها إلى آخرِ وَقْتٍ، ولم يُعْلَمَ سببُها- ثم يَخْرُجُ ويسير إلى أن يَقِفَ على التَّرْعَةِ الآتِي ذكرها<sup>٤</sup>، ويدخل من باب القَنْطَرَةِ، وينزل إلى القصر.

والدُّكَّةُ الآن أَدْرُ وحرارة شَهْرَتها تُغْنِي عن وَصْفِها، فسُبْحان من لا يَتَغَيَّرُ!<sup>٥</sup>  
وقال ابنُ الطَّوَيْرِ عن الظَّاهِرِ لإِعْزَازِ دين الله أبي هاشِمِ عَلِيِّ بنِ الحَاكِمِ بأمر الله: كان بِمَنْظَرَةِ يُقَالُ لَهَا الدُّكَّةُ بِسَاحِلِ المَقْصِ- يعني أَنَّهُ ماتَ بها.

### زَكَرَ مَنْظَرَةَ المَقْصِ

وكان من جُمْلَةِ مَنَاطِرِهِمْ أَيْضًا مَنْظَرَةُ بجوار جامعِ المَقْصِ الذي تُسَمِّيهِ العَامَّةُ اليومَ جامعِ المَقْصِيِّ<sup>٥</sup>، وكانت هذه الْمَنْظَرَةُ بِحَرِيِّ الجَامِعِ المذكورِ، وهي مُطَّلَةٌ على النَّيْلِ

(a) زيادة من ابن عبد الظاهر.

<sup>١</sup> مَنْظَرَةُ الدُّكَّةِ. يحدّد موضعها اليوم الموضع الذي يمر به شارع قنطرة الدكة عند تلاقيه بشارع عماد الدين قرب شارع رمسيس حيث كان يجري النيل قديماً.

<sup>٢</sup> أي جمال الدين أبو علي موسى بن المأمون مؤلف «السيرة المأمونية» أو «أخبار مصر».

<sup>٣</sup> حاشية بخط المؤلف: «هذه الترععة كان يقال لها بطن أولاد عنان يقع في أول شارع الجمهورية من جهة ميدان=

<sup>٤</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٢٥؛ المقرئ: مسودة المواعظ ٣٠٧.

<sup>٥</sup> كان جامع المقص الذي أصبح يعرف بعد ذلك بجامع



الأعظم، وكان حينئذٍ ساحل النيل بالمنقس.

وكانت هذه المنظرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الأسطول إلى غزو الفرج، فتحضر رؤساء المراكب بالشواني<sup>١</sup> وهي مزينة بأنواع العدد والسلاح ويلعبون بها في النيل، حيث الآن الخليج الناصري تجاه الجامع، وما وراء الخليج من غريبه<sup>٢</sup>.

قال ابن المأمون، وذكر تجهيز العساكر في البر عند ورود كُتب صاحبني دمشق وحلب، في سنة سبع عشرة وخمس مائة، ما يحدث على غزو الفرج ومسيرها مع حسام الملك: وركب الخليفة الأمير بأحكام الله وتوجه إلى الجامع بالمنقس، وجلس بالمنظرة في أعلاه، واستدعى مقدم الأسطول الثاني، وخلع عليه، وانحدرت الأساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والأسلحة، واعتمد ما جرت العادة به من الإنعام عليهم. وعاد الخليفة إلى البستان المعروف بالبغل إلى آخر النهار، وتوجه إلى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجاري بها العادة في الركوبات<sup>٣</sup>.

وقال ابن الطوير: فإذا تكملت الثقة، وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر، ركب الخليفة والوزير إلى ساحل النيل بالمنقس<sup>(a)</sup>. وكان هناك على شاطئ البحر بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة يرسم وداعه - يعني الأسطول - ولقائه إذا عاد. فإذا جلس هو والوزير للوداع، جاءت القواد بالمراكب من مصر إلى هناك للحركات في البحر بين يديه، وهي مزينة بأسلحتها ولبوسها، وفيها المتجنقات تلعب، فتتحدر وتقلع بالمجاديف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر الملح.

(a) بولاق والنسخ: ساحل المنقس، والمثبت مما يلي ٢: ١٩٣.

بأبراج وقلاع تستخدم لأغراض الدفاع والهجوم، ولعظمتها كانت تشتمل على أهراء لحزن الماء العذب. وكان يرمى فيها النار والثقل على العدو؛ وانظر كذلك: درويش النخيلي: السفن الإسلامية ٨٣-٨٥؛ أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٧٤٤.

<sup>٢</sup> المقريري: مسودة المواعظ ٢٩٣، ٣٢٥-٣٢٦.

<sup>٣</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٦٩؛ المقريري: مسودة

المواعظ ٣٢٦؛ وفيما يلي ٥٦٨.

=رمسيس، وحل محله الآن جامع الفتح المطل على ميدان رمسيس، وكان النيل في العصر الفاطمي يمر إلى الغرب حيث شارع عماد الدين الآن.

<sup>١</sup> شيني ج. شواني (ويقال أيضًا شاني أو شينية أو شونة). السفينة الحربية الكبيرة، وكانت تطلق عليها أحيانًا أسماء معينة مثل «الغراب» الذي ذكر ابن تيماتي أنه كان يجذف بمائة وأربعين مجدافًا وفيه المقاتلة والجذافون. (قوانين الدواوين ٣٤٠) والطريدة والجفنة والحراقة. كانت مزوذة



ثم<sup>(a)</sup> يَحْضُرُ بين يدي الخليفة «المقدم» و«الرئيس» فيوصيهما ويدعو للجماعة بالسلامة والنصرة<sup>(b)</sup>، ويُعطي المقدم مائة دينار، والرئيس عشرين دينارًا. وينحدر إلى دمياط ويخرج إلى البحر الملح، فيكون لها بيلاذ العدو صيتٌ وهيبة. فإذا وَقَعَ لهم مركبٌ لا يسألون عمَّا فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح، وما عدا ذلك فللأسطول.

واتَّفَقَ مرَّةً أن قُدِّمَ على الأسطول سيفُ الملك الجمل فكُبِّسَتْ<sup>(c)</sup> بُطْسَةٌ<sup>١</sup> عظيمةٌ فيها ألف وخمس مائة شخص بعد أن شنت عليهم بالقتال، وقُتِلَ منهم نحو من مائتين<sup>(d)</sup> وعشرين رجلًا، وحضروا إلى القاهرة. ففرَّح الخليفة وركب إلى المقس وجلس بالمنظرة للقائهم، وأطلقوا الأسرى بين يديه تحت المنظرة من جانب البر. فاشتدَّ عيت الجمال لركوبهم، وشقُّ بهم القاهرة ومصر،<sup>(e)</sup> فما وُجِدَتْ في الحال جمال كعدتهم فركبوا الرجال<sup>(e)</sup> منهم كل اثنين على جمل ظهرًا لظهر. وعاد الخليفة إلى القصر<sup>(e)</sup> وما كفاه نظره لهم في المنظرة فرحًا بهم<sup>(e)</sup>، فجلس في إحدى مناظره لتظرهم في جوازهم.

فلما عادوا من مصر، صاروا بهم إلى المناخات، فصَحَّ منهم ألف رجل. فانضافوا إلى من في المناخ. وأما النساء والصبيان فإِنَّهم دَخَلُوا بهم إلى القصر، بعد أن حُمِلَ منهم للوزير نصيب وإفر، وأخذت الجهات والأقارب بقيتتهن، فيستخدمونهن ويعلمونهن الصنائع، ويتولَّى الأستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية<sup>(e)</sup> ويموت أكثرهم لتغير العادات<sup>(e)</sup>، ويُقال لهم: «الشرايبي». <sup>(e)</sup> فمن هؤلاء الشرايبي من كَبُرَ وانتشأ وتميَّز في الرماية والمعارف فصار أميرًا من صبيان خاص الخليفة منهم: غلامُ الله وباتكين وشومان وميمون وتروس القصريان<sup>(e)</sup> ٢.

(a) بولاق: و. (b) بولاق: بالنصرة والسلامة. (c) بولاق: فكسب. (d) بولاق: مائه. (e-e) زيادة من مسودة المواظ.

<sup>١</sup> بُطْسَةٌ أو بُطْسَةٌ ويقال أحيانًا: بُطْسَةٌ. وتجمع على بُطْسَاتٍ وِبُطْسٍ. تعني مركبا حربية أو تجارية بلغة الأسيان، وهي سفينة كبيرة الحجم كثيرة القلوع، قد يصل عدد القلوع في البطسة الواحدة إلى أربعين قلعة، وكانت تختص بشحن الغلال والأقوات والمير والإمدادات الحربية. (ابن واصل: مفرج الكروب ٧٧:٢ هـ؛ النخيلي: السفن الإسلامية ١٤-١٧) وقد تحمل عددًا كبيرًا من الرجال كما في النص قد يصل إلى ألفين وخمسمائة شخص. (ابن واصل: مفرج ٢:١١٣-١١٤).

<sup>٢</sup> أسماء هؤلاء الأعلام غير واضحة ولم ترد سوى في مسودة المواظ.



ومن اشترى به من الأسرى، ونُبّه عليه بقوة، أوقع به؛ والشَّيخ الذي لا يُنتفع به يُمضى فيه حُكْم الشَّيخ بمكانٍ يقال له: «بئر المنامة» في الخراب قريب مصر<sup>١</sup>. ولم يُسمع على الدَّولة قَطَّ أنها فادبت أسيرًا بمالٍ ولا بأسيرٍ مثله<sup>٢</sup>. وهذه الحال في كلِّ سنةٍ آخذةٌ في الزيادة لا النَّقص. وقُدِّم على الأسطول مرَّةً أميرٌ يُقال له خزب بن فوز، صاحب الحاجب لؤلؤ، فكَبِسَ بَطْسَةً حَصَلَ فيها خمس مائة رجل<sup>٣</sup> (a) فاعتمد فيها كذلك (a). انتهى.

وقد خربت هذه المنظرة، وكان موضعها بُرْج كبيرٌ صار يُعرف في الدَّولة الأيوبية بقلعة المقس، مُشْرِفٌ على النيل. فلَمَّا جَدَّدَ الصَّاحِبُ الوَزِيرُ شَمْسُ الدِّين عبد الله المقسي جامع المقس، على ما هو عليه الآن في سنة سبعين وسبع مائة، هَدَمَ هذا البرج وجعل مكانه جُنَيْتَةً شرقي الجامع، وتحدَّث الناسُ أنه وجد فيه مالاً، والله أعلم<sup>٤</sup>.

### منظرة البغل

وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منظرةٌ في بُسْتَانٍ أنيقٍ يُعرف بالبغل، أنشأه الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي. وموضعُ هذا البستان إلى اليوم يُعرف بالبغل، وصارت أرضه مزرعةً/ في جانب الخليج الغربي بحري أرض الطُّبَّالَة في كُوم الرِّيش مُقابل قناطر الإوز<sup>٥</sup>. وقد خربت المنظرة وبقي منها آثارٌ أدر كُثُها يعطِن بها الكُتَّان، تدلُّ على عِظَمِها وجَلالَتِها في حال

(a-a) زيادة من مسودة المواعظ.

<sup>١</sup> يغلب أن يكون في المنطقة المعروفة بعمل فوق، شمال شرق القسطاط.

<sup>٢</sup> انظر عن فداء الأسرى فيما يلي ١٩١:٢-١٩٣.

<sup>٣</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ٩٧-١٠٠؛ المقرئ: المسودة ٢٩٧-٢٩٩؛ وفيما يلي ١٩٣:٢.

<sup>٤</sup> كانت أجزاء من سور القاهرة الذي أقامه صلاح الدين بين باب الشعرية وباب البحر قائمة في مطلع القرن العشرين، مبينة على خريطة آثار القاهرة، وبما أن قلعة المقس كانت واقعة في نهاية هذا السور على امتداده من الجهة الغربية، وموقع جامع المقس حل محله الآن جامع الفتح المطل على ميدان

رمسيس، فيكون مكان القلعة اليوم عمارة الأوقاف المجاورة لجامع الفتح بأول شارع الجمهورية (أبو المحاسن: النجوم ٤:٣٩٩هـ، ٧:٣٠٨هـ<sup>٢</sup> تعليقات محمد رمزي بك).

<sup>٥</sup> البغل. كل شجر أو زرع لا يسقى، ودخل أغلب أرض منظرة البغل في التربة الإسماعيلية وبقيتها مع سائر المناظر الأخرى الموجودة بهذا المكان، يحدد مكانها اليوم الأرض الممتدة بين منطقة غمرة وشارع رمسيس والوالي الكبير على التربة الإسماعيلية المعروفة الآن بالسواح. (أبو المحاسن: النجوم ١٠:١١٤هـ<sup>٣</sup>، تعليقات محمد رمزي بك).



عمارَتِها . وكانت مَنْظَرَةُ البُغْلِ من أَجْلِ مُتَنَزَّهَاتِهِمْ ، وكان لَهُمْ بِهَا أَوْقَاتٌ عَمِيمَةٌ المَبْرَاتِ جَلِيلَةٌ الخَيْرَاتِ .

قال ابنُ المأمون : فأما يومُ السَّبْتِ والثلاثاءِ فيكونُ رُكوبُ الوَزيزِ من دارِهِ بالرَّهَجِيَّةِ ، ويتوجَّهُ إلى القِصرِ . فيركبُ الخَلِيفَةُ إلى ضواحي القَاهِرَةِ لِلنُّزْهَةِ في مثلِ الرُّوَضَةِ والمُشْتَهَى ودارِ المُلِكِ والتَّاجِ والبُغْلِ وَقُبَّةِ الهَوَاءِ والخَمْسَةِ والأُوجِهَةِ<sup>(a)</sup> والبُستَانِ الكَبِيرِ . وكان لِكُلِّ مَنْظَرَةٍ مِنْهُنَّ فَرَشٌ معلومٌ مستقرٌّ فيها من الأيامِ الأفضليَّةِ للصَّيفِ والسَّتَاءِ .

وتُفَرَّقُ الرُّسومُ ، وتُسَلَّمُ لمَقْدَمي الرُّكابِ اليَمِينِ والشِّمالِ لِكُلِّ واحدٍ عَشْرُونَ دِينَارًا وخمسونَ رُباعِيًّا ، ولتالي مُقَدِّمِ الرُّكابِ اليَمِينِ مائةٌ كاعْدَةٌ في كُلِّ كاعْدَةٍ ثلاثةَ دراهِمٍ ، ومائةٌ كاعْدَةٌ في كُلِّ كاعْدَةٍ درهمانٌ ، ولتالي مُقَدِّمِ الشِّمالِ مثلُ ذلكِ . أمَّا الدَّنائِرُ فلكُلِّ بابٍ يَخْرُجُ مِنْهُ مِنَ البَلَدِ دِينَارٌ ، ولكُلِّ بابٍ يَدْخُلُ مِنْهُ دِينَارٌ ، ولكُلِّ جامِعٍ يَجْتَازُ عَلَيْهِ دِينَارٌ ، ما خِلا جامِعِ مِصرَ فَإِنَّ رَسْمَهُ خَمْسَةُ دَنائِرٍ ، ولكُلِّ مَسْجِدٍ يَجْتَازُ عَلَيْهِ رُباعيٌّ ، ولكُلِّ مَنْ يَقِفُ كاعْدَةٌ ، والفُقَرَاءُ والمَساكِينُ مِنَ الرُّجالِ والنِّساءِ لِكُلِّ مَنْ يَقِفُ كاعْدَةٌ ، ولكُلِّ فَرَسٍ يَرَكِبُهُ<sup>(b)</sup> الخَلِيفَةُ دِينَارَانِ . ويكُونُ مَعَ هَذَا مُتَوَلَّى صِنادِيقِ الإِنفاقِ يَحْجُبُ الخَلِيفَةَ ، ويِيدهُ خَريطَةَ دِيباجٍ فيها خَمْسُ مائةِ دِينَارٍ لِمَا عَساهُ يُؤَمَّرُ بِهِ .

فإذا حَصَلَ في إِحدى المَنائِظِ المَذكُورَةِ ، فَرَقَّ مِنَ العَيْنِ ما مَبْلَغُهُ سَبْعَةٌ وخمسونَ دِينَارًا ، وَمِنَ الرُّباعِيَّةِ مائةٌ وَسِتَّةٌ وثمانونَ دِينَارًا لِلحَواشيِ والأُسْتاذِينِ وأَصْحابِ الدَّواوِينِ والشُّعراءِ والمُؤدِّينِ والمُقرِّينِ والمُنْجَمِينِ وغيرِهِمْ ، وَمِنَ الخِرافِ الشُّواءِ خَمْسُونَ رَأْسًا : مِنْها طَبَقانِ حارَّةٌ مُكَمَّلَةٌ مَشُورَةٌ بِرِسمِ المائِدَةِ الخاصِّ - مُضَافًا لِمَا يُحْضَرُ مِنَ القُصُورِ مِنَ المَوائِدِ الخاصِّ والحِلاواتِ - وَطَبَقٌ واحدٌ بِرِسمِ مائِدَةِ الوَزيزِ ، وَبَقِيَّةُ ذلكِ بِأَسْماءِ أَرْبابِهِ ، ورَأْسًا بَقَرٍ بِرِسمِ الهَرائِسِ .

فإذا جَلَسَ الخَلِيفَةُ على المائِدَةِ ، اسْتَدعى الوَزيزَ وَخِواصَّهُ وَمَن جَزَتْ العادَةُ بِجُلُوسِهِ مَعَهُ . وَمِنَ تَأخَّرِ عَنِ المائِدَةِ مَن جَزَتْ عادَتُهُ بِحُضُورِها ، حُمِلَ إِليه مِنَ بَيْنِ يَدَيِ الخَلِيفَةَ على سَبيلِ التُّشْرِيفِ ، وَعَندَ عَودِ الخَلِيفَةَ إلى القِصرِ ، يُحاسِبُ مُتَوَلَّى الدَّفْتَرِ مَقْدَمي الرُّكابِ على ما أُنفِقَ عَلَيْهِ في مَسافَةِ الطَّرِيقِ مِنَ جامِعِ وَمَسْجِدِ وَبابِ وَدابَّةٍ . وَأما تَفْرِقَةُ الصَّدَقاتِ فَهِيَ فيها على حُكْمِ الأمانةِ .

(a) بولاق : وجوه . (b) بولاق : ولكل من يركب .



قال : وإذا وَقَعَ الرُّكُوبُ إلى الميادين ، جَرَى الحَالُ فيها على الرُّسْمِ المستقرِّ من الإِنعام ، ويُؤمَرُ مُتَوَلِّي خَزَائِنِ الخِصِّ وصِنَادِيقِ الإِنفاقِ أن يكونَ معه خَرِيطَةٌ في السَّرْجِ دِياج ، تَسْمَى «خَرِيطَةُ المَوْكِبِ» ، فيها ألفُ دينارٍ معدَّةٌ لمن يُؤمَرُ بالإِنعامِ عليه في حالِ الرُّكُوبِ<sup>١</sup> .

### منظرة التاج

- ٥ هي من جُمْلَةِ المناظِرِ التي كانت الخُلَفَاءُ تنزلها للتُّزْهَةِ ، بناها الأفضَلُ بن أمير الجيوش ، وكان لها فَرْشٌ مُعدٌّ بها<sup>(a)</sup> للشتاء والصَّيْفِ . وقد خَرِبَتْ ولم يَبْقَ لها سوى أَثَرِ كُومٍ ، تُوجدُ تحتَه الحِجَارَةُ الكِبارُ ، وما حَوَّلَها هذا الكُومُ صَارَ مَزَارِعٌ من جَمَلَةِ أراضِي مُنيَّةِ السَّيرِجِ .
- قال ابنُ عبد الظَّاهِرِ : وأما التَّاجُ فكان حَوْلَهُ من<sup>(b)</sup> البساتينِ عِدَّةً ، وأَعْظَمُ ما كان حَوْلَهُ قُبَّةُ الهَوَاءِ ، وبعدها الخَمْسُ وَجُوهُ التي هي باقية الآن<sup>(b)</sup> .

### منظرة الخمس الوجوه<sup>(c)</sup>

- ١٠ كانت أيضًا من مناظيرهم التي يتنزّهون فيها ، وهي من إنشاء الأفضَلِ بن أمير الجيوش ، وكان لها فَرْشٌ مُعدٌّ لها ، وبقي منها آثارٌ بِناءٍ جليلٍ على بَئْرِ مُتَّسِعَةٍ كان بها خَمْسَةٌ أوجهٍ من الحِمالِ الخَشَبِ التي تَنقِلُ الماءَ لسَقْيِ البُشْتانِ العظيمِ الوَصْفِ البَدِيعِ الزَّيِّ البَهِيجِ الهَيْئَةِ . والعامَّةُ تقولُ : التَّاجُ ، والسَّبْعُ وَجُوهُ . إلى الآن .
- ١٥ ومَوْضِعُها إلى وقتنا هذا من أعظمِ مُفْتَرِجاتِ القَاهِرَةِ ، وَيَبْتُ هناك في أيامِ النَّيْلِ عندما يعمُّ تلكَ الأراضِي البَشْنين<sup>٣</sup> ، فَتَفْتِنُ رُؤْيَتَهُ وتُبْهَجُ النَّفُوسَ نِضارَتَهُ وزِينَتَهُ ، فإذا نَضِبَ ماءُ النَّيْلِ زُرِعَتْ تلكَ البَسَطَةُ قُرُوطًا وَكثَانًا يقصر الوَصْفُ عن تَعْدَادِ حُسْنِهِ . وأدركت حَوْلَ الخَمْسِ الوجوه<sup>(c)</sup> غُرُوسًا من نَخْلِ وغيره تُشْبِهُ أن تكونَ من بقايا البُشْتانِ القديمِ ، وقد تلاشت الآن<sup>٤</sup> .

(a) بولاق : لها . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : وجوه .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٩٦ - ٩٨ .

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ١٢٨ ؛ المقرئ :

<sup>٣</sup> البشنين هو النيلوفر .

<sup>٤</sup> يقع مجموع هذه المناظر التي أنشأها الوزير الفاطمي =



ثم إن السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي الظاهري، جدد عمارة منظره فوق الخمس الوجوه، ابتداء بنائها في يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة<sup>١</sup>.

### منظره باب الفتوح

وكان للخلفاء الفاطميين منظره خارج باب الفتوح، وكان يومئذ ما خرج عن باب الفتوح براحا فيما بين الباب وبين البساتين الجيوشية. وكانت هذه المنظره معدة لجلوس الخليفة فيها عند عرض العساكر ووداعها إذا سارت في البر إلى البلاد الشامية<sup>٢</sup>.

قال ابن المأمون: وفي هذا الشهر - يعني المحرم سنة سبع عشرة وخمس مائة - وصلت رسل ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق، وآق سنقر صاحب حلب، بكتب إلى الخليفة الأمر بأحكام الله وإلى الوزير المأمون إلى القصر، فاستدعوا لتقيل الأرض كما جرت العادة من إظهار التجمل.

وكان مضمون الكتب - بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة - أن الأختار تظافرت بقله الفرج بالأعمال الفلسطينية والثغور الساحلية، وأن الفرصة قد أمكنت فيهم والله قد أذن بهلاكهم، وأنهم ينتظرون إنعام الدولة العلوية وعوائد أفضالها، ويستنصرون بقوتها، ويحثون على نصره الإسلام، وقطع شأفة الكفر، وتجهيز العساكر المنصورة والأساطيل المظفرة، والمساعدة على التوجه نحوهم لئلا يتواصل مددهم، وتعود إلى القوة شوكتهم.

فقوي العزم على الثقة في العساكر فارسها وراجلها وتجريدها، وتقدم إلى الأزمة بإحضار الرجال الأقوياء، وابتدى بالثقة في الفرسان بين يدي الخليفة في قاعة الذهب، وأحضر

(a) بولاق: الخمس وجوه. (b) النسخ وبولاق: دابر والمثبت من مسودة المواعظ.

de l'Égypte, pp. 477-82.

<sup>١</sup> المقرئ: السلوك ٤: ٥٢٦، وأضاف أنه جعل ذلك عوضاً عن قصور سيزياقوس وليسرح إليها كما كانت الملوك تسرح إلى سرياقوس؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤: ١٩٤ وانظر فيما يلي ٢: ٤٢٢.

<sup>٢</sup> المقرئ: مسودة المواعظ ٣٢٣.

= الأفضل شاهنشاه وزير المستعلي والأمر بأحكام الله، على الشاطئ الغربي للخليج المصري الذي حل محله الآن بعد ردمه سنة ١٨٩٦ شارع بورسعيد (الخليج المصري سابقاً) في المسافة ما بين كوبري غمزة وشارع مصر والسودان وما بين الوابلي الكبير على التربة الإسماعيلية. وانظر عن المناظر التي أنشأها الوزير الأفضل Fu'ad Sayyid, A., *La capitale*



الوزانون وصناديق المال، وأفرغت الأكياس على البساط. واستمر الحال بعد ذلك في الدار المأمونية، وتردد الرأي فيمن يتقدم، فوقع الاتفاق على حسام الملك البزني، وأحضر مقدم الأساطيل الثانية لأن الأساطيل توجهت في الغزو، وخلع عليه، وأمر بأن ينزل إلى الصناعتين بمصر والجزيرة، ويُنْفِق في أربعين شيئًا، ويُكْمِل نفقاتها وعُدَّدها، ويكون التوجه بها صُحْبَةَ العسكر.

وأنفق في عشرين من الأمراء للتوجه صُحْبَتَهُ فكمَلت النفقة في الفارس والراجل، وفي الأمراء السائرين، وفي الأطباء والمؤذنين والقراء، وندب من الحُجَّابِ عِدَّةً، وجعل لكل منهم خِدْمَةً: فمنهم من يتولى خزانة الخيام، وشيْرَ معه من حاصل الخزائن - برسم ضعفاء العسكر ومن لا يقدر على خيمة - خيم، ومنهم حاجب على خزائن السلاح. وأنفق في عِدَّة من كتاب ديوان الجيش لعرض العساكر، وفي كتاب العُزبان. وأحضر مُقَدِّمَو الجذاميين بالجِفَّار<sup>a</sup>، وتقدّم إليها بأنه من تأخر عن العرض بعشقلان وقبض النفقة، فلا واجب له ولا إقطاع.

وكتبت الكتب إلى المستخدمين بالثغور الثلاثة: الإسكندرية ودمياط وعشقلان، بإطلاق واتباع ما يُسْتَدْعَى برسم الأسيطة على ثغر عشقلان للعساكر والعُزبان من الأضناف والغلال، ووقع الاهتمام بنجاز أمر الرُسل الواصلين.

وكتبت الأجوبة عن كتبهم، وجَهَّزَ المال والخلع المذهبات، والأطواق والسيوف والمناطق الذهب، والخيل بالمراكب الخي الثقال وغير ذلك من التجملات. وخلع على الرُسل، وأطلق لهم التفسير<sup>b</sup>، وسُلِّمَت إليهم الكتب والتذاكير، وتوجهوا صُحْبَةَ العسكر.

وركب الخليفة الأمر بأحكام الله إلى باب الفتح ونزل بالمنظرة، واستدعى حسام الملك وخلع عليه بدلة جليلة مذهبته وطوقه بطوق ذهب، وقلده ومنطقه بمثل ذلك. ثم قال الوزير المأمون للأمراء، بحيث يسمع الخليفة: هذا الأمير مُقَدِّمكم ومُقَدِّم العساكر كلها، وما وعد به أنجزته، وما قرره أمضيته فقبلوا الأرض، وخرجوا من بين يديه.

وسلم متولى بيت المال وخزائن الكسوة لحسام الملك الكتب بما ضمنتها الصناديق من المال وأعدال الكسوات، وحملت قدامه.

(a) بولاق: الحراسين بالجفار. (b) بولاق: التغيير. (c) بولاق: نظر.



وَفَتِحَتْ طاقُ<sup>a</sup> المنظرَة ، فلَمَّا شاهدَ العساكِرُ الخليفةَ قَبَلُوا الأرضَ ، فأشارَ إليهم بالتوجهِ ، فساروا بأجمعهم . وَرَكِبَ الخليفةُ وتَوَجَّهَ إلى الجامعِ بالمَقَسِ وجَلَسَ بالمنظرَة ، واستدعى مُقَدِّمَ الأُسْطُولِ وَخَلَعَ عليه ، وَاثَحَدَرَتِ الأَساطيلُ مَشْحُونَةً بالرجالِ والغُدَّةِ<sup>١</sup> .

### مَنْظَرَةُ الصَّنَاعَةِ

وكان من جُمْلَةِ مناظرِ الخلفاءِ مَنْظَرَةُ الصَّنَاعَةِ في السَّاحِلِ القَدِيمِ من مصرَ ، يجلسُ بها الخليفةُ تارةً حتى تُقَدِّمَ له العُشاريَّاتُ ، فيركبها وَيَسِيرُ لِلِمِقْيَاسِ حتى يُخَلِّقَ بين يديه عند الوفاء . وكان بهذه الصَّنَاعَةِ ديوانُ العَمائِرِ<sup>٢</sup> .

وَأُنشِأَ هذه المنظرَة - والصَّنَاعَةُ التي هي فيها - الوَازِرُ المأمونَ ، ولم تَزَلْ إلى آخِرِ الدولةِ ، وِدَهْلِيْزُها ما دُمَ بِمَساطِبِ مَفْرُوشَةٍ بِالْحَضَرِ العَبْدَانِيِّ بَشْطًا وتَأْزِيرًا . وقد خَرِبَتْ هذه الصَّنَاعَةُ والمنظرَة ، وصارَ موضعُها الآنَ بُسْتانًا كان يُعْرَفُ بِبُستانِ ابنِ كَيْسانَ ، ويُعْرَفُ في زَمَنِنا هذا الذي نحن فيه الآنَ بِبُستانِ الطَّواشي ، وهو بأوَّلِ مَرَاغَةِ مصرَ تَجاهَ غَيْطِ الجُزْفِ ، على يَسْرَةِ من يَسْلُكُ من المَرَاغَةِ يُريدُ الكِبارةَ وبابِ مصرَ<sup>٣</sup> .

قال ابنُ المأمونِ : وكانت جميعُ مَراكِبِ الأَساطيلِ ما تَنشَأُ إلا بالصَّنَاعَةِ التي بالجزيرةِ ، فأَنكَرَ الوَازِرُ المأمونُ ذلكَ وأَمَرَ بأن يكونَ إنشَاءُ الشَّواني<sup>٤</sup> وغيرها من المراكِبِ النَّيليةِ الدِّيوانيةِ بالصَّنَاعَةِ بِمصرَ ، وأضَافَ إليها دارَ الرِّيبِ ، وأنشَأَ المنظرَة بها ، واسمُه باقٍ إلى الآنَ عليها . وقَصَدَ بذلكَ أن يكونَ مُحلُولُ الخليفةِ يومَ تَقْدِمَةُ الأَساطيلِ ورَمِيها بالمنظرَة المذكورةِ ، وأن يكونَ ما يُنشَأُ من الحَرايِبِ<sup>b</sup> والشَّلنديَّاتِ<sup>٥</sup> في الصَّنَاعَةِ بالجزيرةِ .

(a) بولاق : طاقات . (b) بولاق : الجرائي .

<sup>١</sup> ابن المأمون : أخبار مصر ٦٠ - ٦٢ ؛ المقرئزي : مسودة المواظ ٣٢٣ - ٣٢٥ .

<sup>٢</sup> انظر عن هذا الديوان الذي يعرف أيضًا بديوان الجهاد ، ابن الطوير : نزهة المقلتين ٩٤ - ١٠٠ ، الفلقشندي : صبح ٣ : ٥١٩ ؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ٧٤٠ - ٧٤٢ ، وفيما يلي ٥٧١ ، ١٩٣ : ٢ .

<sup>٣</sup> عن بستان الطواشي انظر فيما يلي ٢ : ١٣٣ ، ١٩٧ .

<sup>٤</sup> الشيني . انظر فيما تقدم ٥٦٣ هـ .

<sup>٥</sup> الحزبي والحربية (ج. حرايبي وحريبات) نوع من المراكب الحربية التي استخدمها الفاطميون منذ كانوا بإفريقية ونقلوها معهم إلى مصر (التخيلي : السفن الإسلامية ٣٧ - ٤٠) .

<sup>٦</sup> الشلندي ج. الشلنديات . ذكر ابن مماتي (قوانين =



قَالَ: وَلَمَّا وَقَى النَّيْلُ سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، رَكِبَ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ إِلَى الصُّنَاعَةِ بِمِصْرَ، وَرُمِيَتِ الْعُشَارِيَّاتُ بَيْنَ أَيَدَيْهِمَا، ثُمَّ عَدَّيَا فِي إِحْدَاهَا إِلَى الْمِقْيَاسِ<sup>١</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الطُّوَيْرِ: الْخِدْمَةُ فِي «دِيْوَانِ الْجِهَادِ»<sup>٢</sup> - وَيُقَالُ لَهُ «دِيْوَانُ الْعَمَائِرِ» - وَكَانَ مَحَلُّهُ بِصِنَاعَةِ الْإِنشَاءِ بِمِصْرَ لِلْأَسْطُولِ وَالْمَرَائِكِبِ الْحَامِلَةِ لِلغَلَّاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْأَخْطَابِ وَغَيْرِهَا، وَكَانَتْ تَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ عُشَارِيًّا، وَيَلِيهَا عَشْرُونَ دِيمَاسًا /، مِنْهَا عَشْرَةٌ بِرَسْمِ خَاصِّ الْخَلِيفَةِ أَيَّامَ الْخَلِيجِ وَغَيْرِهَا. وَلِكُلِّ مِنْهَا رَئِيسٌ وَنَوَاتِي لَا يَبْرَحُونَ يُتَّفَقُ فِيهِمْ مِنْ مَالِ هَذَا الدِّيْوَانِ.

وَبَقِيَّةُ الْعُشَارِيَّاتِ الدَّوَامِيْسُ بِرَسْمِ وِلَاةِ الْأَعْمَالِ الْمُمَيَّرَةِ، فَهِيَ تُجَرَّدُ لَهُمْ، وَيُتَّفَقُ فِي رُؤْسَائِهَا وَرِجَالِهَا أَيْنَمَا كَانُوا مِنْ مَالِ هَذَا الدِّيْوَانِ، وَتَقِيمُ مَعَ أَحَدِهِمْ مُدَّةَ مَقَامِهِ، فَإِذَا صُرِفَ عَادَ فِيهِ، وَخَرَجَ الْمُتَوَلَّى الْجَدِيدُ فِي الْعُشَارِيِّ الْمَرْسِيِّ بِالصُّنَاعَةِ، وَلَا يَخْرُجُ إِلَّا بِتَوْقِيعِ بِإِطْلَاقِهِ وَالْإِنْفَاقِ فِيهِ، وَلِلْمُشَارِفِينَ بِالْأَعْمَالِ عُشَارِيَّاتٍ دُونَ هَذِهِ.

وَفِي هَذَا الدِّيْوَانِ، بِرَسْمِ خِدْمَةِ مَا يَجْرِي فِي الْأَسَاطِيلِ، نَائِبَانِ مِنْ قِبَلِ مُقَدِّمِ الْأَسْطُولِ، وَفِيهِ مِنَ الْحَوَاصِلِ لِعِمَارَةِ الْمَرَائِكِبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَإِذَا لَمْ يَفِ ارْتِفَاعُهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ اسْتَدْعَى لَهُ مِنْ يَتِّتِ الْمَالِ مَا يَسُدُّ خَلْلَهُ<sup>٣</sup>.

قَالَ: وَكَانَ مِنْ أَهَمِّ أُمُورِهِمْ احْتِفَالُهُمْ بِالْأَسَاطِيلِ وَالْأَجْنَادِ، وَمُوَاصَلَةُ إِنشَاءِ الْمَرَائِكِبِ بِمِصْرَ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَدِمْيَاطَ، مِنْ الشُّوَانِي الْحَرَبِيَّةِ<sup>٤</sup> وَالشُّلَنْدِيَّاتِ<sup>٥</sup> وَالْمُسْطُحَاتِ<sup>٦</sup>،

فؤاد: الدولة الفاطمية ٧٤٠-٧٤٢). وأورد الفلقشندي: صبح الأعشى ١٠: ٤٠٦-٤١٦ نسخة تقليد للإمارة على الجهاد صادرة عن أحد الخلفاء الفاطميين.

<sup>٣</sup> ابن الطوير: نزهة المقلتين ٩٤-٩٥؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ١/٤: ١٤٩؛ الفلقشندي: صبح ٣: ٤٩٢.

<sup>٤</sup> الشواني، انظر فيما تقدم ٥٦٣هـ<sup>١</sup>.

<sup>٥</sup> الشلندي ج. الشلنديات. انظر هـ<sup>٦</sup> صفحة ٥٧٠.

<sup>٦</sup> المسطح ج. مسطحات. نوع من السفن الحربية الكبيرة يشبه بالشلندي، كان يسع نحو خمسمائة راكب. وذكر المقرئ (فيما يلي) أن عدد مراكب الأسطول =

=الدواوين ٣٤٠) أنه مركب مسقف تقاتل الغزاة على ظهره والمجدفون يجدفون تحتهم، وهي تعادل في أهميتها الشونة والحراقة. عرفها الأوربيون وهي في اللاتينية Chelandium وحرّفها العرب عنهم فقالوا أيضًا: صندل ونقلوه عن البيزنطيين (درويش النخيلي: السفن الإسلامية ٧٨-٨١؛ أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر ٧٤٤).

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ١٠٠-١٠١.

<sup>٢</sup> استجد هذا الديوان الوزير الشني رضوان بن ولخشي في ذي القعدة سنة ٥٣١هـ / ١١٣٧م (ابن ميسر: أخبار مصر ١٢٨-١٢٩؛ المقرئ: اتعاظ الخفا ٣: ١٦٣؛ أيمن



[وإنفاذها]<sup>(a)</sup> إلى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم ، مثل صور وعمكا وعسقلان<sup>١</sup> .

وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدونة : منهم عشرة أعيان<sup>(b)</sup> يُقال لهم : «القواد» واحدُهم «قائد»<sup>(b)</sup> تصلُ جامكيته كلُّ منهم إلى عشرين دينارًا ، ثم إلى خمسة عشر ، ثم إلى عشرة دنانير ، ثم إلى ثمانية ، ثم إلى دينارين وهي أقلُّها . ولهم إقطاعات تُعرف بـ «أبواب الغزاة» بما فيه من التطرون ، فيصل دينارهم بالمناسبة إلى نصف دينار وحواليه . ويُعيّن من هؤلاء القواد العشرة من يقع الإجماع عليه لرئاسة الأسطول المتوجّه للغزو<sup>(c)</sup> ، فيكون معه المقدّم<sup>(d)</sup> والفانوس ، وكلُّهم يهتدون به ، ويُقلعون بإقلاعه ، ويؤسسون بإرسائه .

ويُقدّم على الأسطول أميرٌ كبيرٌ من أعيان الأمراء وأقواهم نفسًا و<sup>(d)</sup> جنانًا ، ويتولّى النّفقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير ؛ فإذا أراد النّفقة فيما تعين من عدّة المراكب السائرة - وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شينيا ، وعشر حُمالات<sup>(e)</sup> - فيتقدّم إلى النّقباء بإحضار الرجال ، ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة ، فيدخل إليها . ولهم المشاهرة والجرايات المستقرّة<sup>(f)</sup> مدة أيام السفر ، وهم معروفون عند عشرين نقيبا ، ولا يعترض أحدٌ أحدًا إلا من رغب في ذلك من نفسه .

فإذا اجتمعت العدة المغلقة للمراكب المطلوبة ، أعلم المقدّم بذلك الوزير ، فطالع الخليفة بالحال ، وقرّر يومًا للنّفقة ، فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة . فيجلس الخليفة على هيئته في مجلس ، ويجلس الوزير في مكانه ، ويحضر صاحب ديوان الجيش وهما المستوفي ، وهو أميرهما<sup>(g)</sup> ، ويجلس داخل عتبة المجلس - وهذه رتبة له مميّزة - وكاتب الجيش الأضل ويجلس

(a) زيادة يستقيم بها المعنى . (b-b) إضافة مما يلي ٢ : ١٩٣ . (c) مسودة المواعظ : أسطول الغزو . (d) زيادة من مسودة المواعظ . (e) النسخ وبولاق : حمالة والتصويب من المسودة . (f) بولاق : المتقررة . (g) بولاق : أميرهما .

<sup>٢</sup> حمالة ج. حمالات . من مراكب النّقل المخصصة في الأساس لنقل الغلال ، وتضاف كذلك إلى ملحقات الأسطول العربي لتقوم بنقل مئونة الجيش وأزواده . وكانت الواحدة منها تسع ١٢٥ رجلا ، وكانت الحمالات تستخدم كذلك في حمل الخيول (درويش النخيلي : المرجع السابق ٤٠-٤١) .

= الفاطمي في آخر عهده بلغت خمسة وسبعين شينيا وعشر مُستطحات وعشر حمالات . وعرف المسلمون والفرنج في العصور الوسطى هذا الضرب من السفن واستعملوه في مياه البحر المتوسط . (النخيلي : السفن الإسلامية ١٤١-١٤٣) ؛ أمين فؤاد : الدولة الفاطمية (٧٤٤) .

<sup>١</sup> انظر كذلك فيما يلي ٢ : ١٩٣ .



بجانبه تحت العتبة على حُضْرٍ مفروشة بالقاعة . ولا يخلو المُسْتَوْفِي أن يكون عَدْلًا ، أو من أَعْيَانِ الكُتَّابِ الْمُسْلِمِينَ . وَأَمَّا كَاتِبُ الْجَيْشِ فَيَهُودِيٌّ فِي الْأَغْلَبِ !

وَيُقْرَشُ أَمَامَ الْمَجْلِسِ أَنْطَاعٌ تُصَبُّ عَلَيْهَا الدَّرَاهِمُ ، وَيَحْضُرُ الْوَزَّانُونَ بَيْنَ الْمَالِ بِذَلِكَ . فَإِذَا تَهَيَّأَ الْإِنْفَاقُ أُذْخِلَ الْقَابِضُونَ مِائَةَ مِائَةٍ ، وَيَقْفُونَ فِي آخِرِ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ نِقَابَةً ، وَتَكُونُ أَسْمَاؤُهُمْ قَدْ رُتِبَتْ فِي أَوْرَاقٍ لِاسْتِدْعَائِهِمْ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ وَيَسْتَدْعِي مُسْتَوْفِي الْجَيْشِ مِنْ تِلْكَ الْأَوْرَاقِ <sup>(a)</sup> الْمُنْتَقَى عَلَيْهَا <sup>(a)</sup> وَاحِدًا وَاحِدًا ، فَإِذَا خَرَجَ اسْمُهُ عَبْرَ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ إِلَى الْجَانِبِ الْخَالِي ، فَإِذَا تَكَمَّلَ عَشْرَةَ رِجَالٍ وَزَنَ الْوَزَّانُونَ لَهُمُ الثَّقَّةَ - وَكَانَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ خَمْسَةَ دِنَانِيرٍ ، صَرَفَ كُلُّ دِينَارٍ سِتَّةَ وَثَلَاثُونَ دِرْهَمًا - فَيَتَسَلَّمُهَا <sup>(b)</sup> النَّقِيبُ ، وَتُكْتَبُ بِيَدِهِ وَبِاسْمِهِ وَتَمْضِي الثَّقَّةُ كَذَلِكَ إِلَى آخِرِهَا .

فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، رَكِبَ الْوَزِيرُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ ، وَانْقَضَ ذَلِكَ الْجَمْعُ ، فَيُحْمَلُ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ مَائِدَةٌ يُقَالُ لَهَا «عَدَاءُ الْوَزِيرِ» ، وَهِيَ سَبْعُ مَخْفِيَّاتٍ <sup>(c)</sup> أَوْسَاطٍ ، إِحْدَاهَا بَلْحَمِ دَجَاجٍ وَفُسْتَقٍ وَالبَقِيَّةُ مِنْ شِوَاءٍ ، وَهِيَ مَكْمُورَةٌ بِالْأَزْهَارِ ، فَتَكُونُ هَذِهِ عِدَّةُ أَيَّامٍ تَارَةً مُتَوَالِيَةً وَتَارَةً مُتَفَرِّقَةً .

فَإِذَا تَكَمَّلَتِ الثَّقَّةُ ، وَتَجَهَّزَتِ الْمَرَائِكِبُ وَتَهَيَّأَتِ لِلسَّفَرِ ، رَكِبَ الْخَلِيفَةُ وَالْوَزِيرُ إِلَى سَاحِلِ الْمَقْسِ <sup>١</sup> .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي طَيِّبٍ أَنَّ الْمُعِزَّ لَدَيْنَ اللَّهِ أَنْشَأَ سِتَّةَ مِائَةِ مَرَكَبٍ لَمْ يُرْ مِثْلُهَا فِي الْبَحْرِ عَلَى مَدِينَةٍ ، وَعَمِلَ دَارَ صِنَاعَةٍ بِالْمَقْسِ <sup>٢</sup> .

### دَارُ الْمَلِكِ

وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنَازِلِهِمْ دَارُ الْمَلِكِ بِمِصْرَ ، وَهِيَ مِنْ إِنْشَاءِ الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجِيُوشِ . ابْتَدَأَ فِي بِنَائِهَا وَإِنْشَائِهَا فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِ مِائَةٍ ، فَلَمَّا كَمَلَتْ تَحَوَّلَ إِلَيْهَا مِنْ دَارِ الْقِبَابِ بِالْقَاهِرَةِ وَسَكَنَهَا ، وَحَوَّلَ إِلَيْهَا الدُّوَابِينَ مِنَ الْقَصْرِ فَصَارَتْ بِهَا ، وَجَعَلَ فِيهَا الْأَسْمِطَةَ ، وَاتَّخَذَ بِهَا مَجْلِسًا سَمَّاهُ «مَجْلِسَ الْعَطَايَا» كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ .

(a-a) زيادة من مسودة المواعظ . (b) المسودة : فيسلمها لهم . (c) النسخ وبولاق : مجنقات والمثبت من المسودة .

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة ٩٥-٩٨ ؛ المقرئ : مسودة يلي ١٩٣:٢ ، وقارن مع القلقشندي : صبح ٥١٩:٣ .  
<sup>٢</sup> المقرئ : مسودة المواعظ ٢٩٩ . وفيما ٥٧٠-٥٧١ وانظر فيما تقدم ٢٩٤-٢٩٧ ؛ وفيما ٥٧٠-٥٧١ وانظر فيما تقدم ٢٩٤-٢٩٧ .



فلَمَّا قُتِلَ الْأَفْضَلُ صَارَتْ دَارُ الْمَلِكِ هَذِهِ مِنْ جَمَلَةِ مَتَنَزَّهَاتِ الْخُلَفَاءِ ، وَكَانَ بِهَا بُشْتَانٌ عَظِيمٌ ، وَمَا زَالَتْ عَظِيمَةً إِلَى أَنْ انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ ، فَجَعَلَهَا الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ دَارَ مَتَّجِرٍ ، ثُمَّ عُيِّنَتْ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ رُكْنُ الدِّينِ بَيْبُوسَ الْبُنْدُقْدَارِي دَارَ وَكَالَةَ . وَمَوْضِعُ دَارِ الْمَلِكِ مَا وَرَاءَ رَحْبَةِ الْحُرُوبِ بِجِوَارِ الْمَدْرَسَةِ الْمُعْزِيَّةِ ، وَبَقِيَ مِنْهَا جِدَارٌ يَجْلِسُ تَحْتَهُ يَتَّاعُو الْحَيَاءَ <sup>١</sup> .

قال ابن المأمون : ومن جملة ما قرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة ، وتفخيم أمر السلطنة ، أن/ المجلس الذي يجلس فيه الأفضل بدار الملك يُسمى «مجلس العطايا» <sup>٢</sup> ، فقال القائد : مجلس يُدعى بهذا الاسم ما يُشاهد فيه دينارٌ يُدفع لمن يسأل! وأمر بتفصيل ثمانية ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين ، وجعل في سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار ، في كل ظرف خمسة آلاف دينار سكب ، وبطاقة بوزنه وعدده وشراية تحرير كبيرة : من ذلك ستة ظروف دنانير بالسوية عن اليمين والشمال في مجلس العطايا الذي يرسم الجلوس ، وعند مرتبة الأفضل بقاعة اللؤلؤة ظرفان : أحدهما دنانير ، والآخر دراهم جدد . فالذي في اللؤلؤة يرسم ما يستدعيه الأفضل إذا كان عند الحرم . وأما الذي في مجلس العطايا فإن جميع الشعراء لم يكن لهم في الأيام الأفضلية ولا فيما قبلها على الشعر جارٍ ؛ وإنما كان لهم ، إذا اتفق طرب السلطان واستحسانه لشعر من أنشد منهم ، ما يُسهله الله على حكم الجائزة . فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف . وكذلك من يتضرع ويسأل في طلب صدقة أو يُنعم عليه ابتداءً بغير سؤال يُخرج ذلك من الظروف . وإذا انصرف الحاضرون نزل القائد المبلغ بخطه في البطاقة ، ويكتب عليه الأفضل بخطه «صح» ، ويُعاد إلى الظرف ويُختَم عليه .

فلَمَّا اسْتَهْلَ رَجَبٌ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَجَلَسَ الْأَفْضَلُ فِي «مَجْلِسِ الْعَطَايَا» عَلَى عَادَتِهِ ، وَحَضَرَ الْأَجَلُ الْمُظَفَّرُ أَخُوهُ لِلْهَيَاءِ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَشَاهَدَ الظُّرُوفَ ، وَالْقَائِدُ وَوَلَدُهُ وَأَخُوهُ قِيَامًا عَلَى رَأْسِهِ ، وَتَقَدَّمَتِ الشُّعْرَاءُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ - أَمَرَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بِجَائِزَةٍ . وَشَاعَ خَبْرُ

<sup>١</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ٧٦-٧٧؛ النويري: نهاية الأرب ٢٨: ٢٧٤-٢٧٥؛ المقرئ: اتعاظ ٣: ٣٧؛ أبو المحاسن: النجوم ٤: ٩٢هـ .  
حيث حل محلها اليوم جامع عابدي بك الشهير بجامع الشيخ رويش في آخر شارع مصر القديمة من جهة النيل ، فيكون موضع دار الملك مجموعة المباني المجاورة للجامع المذكور .

<sup>٢</sup> انظر كذلك عن مجلس العطايا فيما تقدم ٤١٩ .

ولم تزل المدرسة المعزية التي أنشأها الملك المعز أيبك التركماني في سنة ٦٥٤ خارج حدود دار الملك معروفة ،



الظروف ، وكَثُرَ القَوْلُ فيها ، واستُعْظِمَ أمرُها ، وضُوِعِفَ مبلغُها . واتَّسَعَ هذا الإِنعامُ بالصَّدقاتِ الجاريةِ بها العادةُ في مثلِ هذا الشَّهرِ لفقهاءِ مصرِ والرِّباطاتِ بالقرافةِ وفقرائها<sup>١</sup> .

وقال ابن الطَّوَيْرِ ، وقد ذَكَرَ رُكُوبَ الخليفةِ في أوَّلِ العامِ وحُضُورَ العُرَّةِ : ولا يَنْقَطِعُ<sup>(a)</sup> الرُّكُوبُ بعدَ هذا اليومِ الذي هو أوَّلُ العامِ ، فيركبونُ في أَحَادِ الأيامِ إلى أن يَكْمُلَ شهرٌ ، ولا يتعدَّى ذلكَ يومي السَّبْتِ والثلاثاءِ . فإذا عَزَمَ الخليفةُ على الرُّكُوبِ في أَحَدِ هذه الأيامِ أَعْلَمَ بذلكَ - وعلامتهُ إنفاقُ الأَسْلِحَةِ في صِيَّانِ الرُّكَّابِ من خِزَانَةِ السِّلاحِ خاصَّةً دونَ ما سواها ، وأكثرَ ذلكَ إلى مصرَ - ويركبُ الوَزيزُ صُحْبَتَهُ من ورائِهِ على أَنحَصَرِ من النُّظامِ المُتَقَدِّمِ - يعني في رُكُوبِ أوَّلِ العامِ - وأقلُّ جَمْعٍ ، فيخرجُ شاقًّا القَاهِرَةَ وشوارعها على الجامعِ الطُّولونيِّ على المُشَاهِدِ<sup>٢</sup> ، إلى دَرْبِ الصِّفا - ويُقالُ له : «الشَّارِعُ الأَعْظَمُ» - إلى دارِ الأَنْمَاطِ إلى الجامعِ العتيقِ<sup>٣</sup> .

١٠ فإذا وَصَلَ إلى بابِهِ ، وَجَدَ الشَّرِيفَ الخَطِيبَ قد وَقَفَ على مَسْطَبَةٍ بجانبِهِ فيها مِخْرَابٌ ، مفروشةٌ بِحُضْرٍ مُعَلَّقٍ عليها سِجَّادَةٌ ، وفي يَدِهِ المُصْحَفُ المنسوبُ خَطُّهُ إلى عليِّ بنِ أبي طالبٍ - رضي اللهُ عنه - وهو من حاصِلِهِ ؛ فإذا وازاه وَقَفَ في موضِعِهِ وناوَلَهُ المُصْحَفَ من يَدِهِ ، فيتسلَّمُهُ منه ويُقبِّلُهُ ويتبرَّكُ به مِرارًا ، ويُعْطِيهِ صَاحِبَ الخَريطةِ المُرسومةِ للصلواتِ ثلاثينَ دينارًا ، وهي رَسْمُهُ متى اجتازَ به ، فيؤَصِّلُها الشَّرِيفُ إلى مُشارِفِ الجامعِ ، فيكونُ نَصيبَهُما منها خمسةَ عشرَ دينارًا ، والباقي للَقَوْمَةِ والمُؤدِّينِ دونَ غيرِهِم . وَيَسِيرُ إلى أن يَصِلَ دارَ المُلكِ فينزلُها والوَزيرُ معه . ومنذَ يَخْرُجُ من بابِ القَصْرِ إلى أن يَصِلَ إلى دارِ المُلكِ ، لا يَمُرُّ بِمَسْجِدٍ إِلاَّ أُعْطِيَ قِيَمَهُ من الخَريطةِ دينارًا .

١٥ فلا يَزَالُ بدارِ المُلكِ نهارَهُ ، فتأتيهِ المائدةُ من القصرِ ، وعِدَّتُها خمسونَ شِدَّةً على رءوسِ القَرَّاشينَ مع صَاحِبِ المائدةِ<sup>٤</sup> - وهو أستاذٌ جليلٌ غيرُ مُحَنَّكٍ - وكلُّ شِدَّةٍ فيها طَيِّفُورٌ فيها الأواني الخَاصَّةُ ، وفيها من الأَطعمَةِ الخَاصَّةِ من كُلِّ نَوْعٍ شَهِيٍّ وكلُّ صِنْفٍ من المطاعِمِ العالِيَةِ ، ولها رُوائَةٌ ورَائِحَةٌ المِسْكِ فائِحَةٌ منها ، وعلى كُلِّ شِدَّةٍ طَرِحةٌ خَريِرٌ تعلو القَوَّارَةَ التي هي الشِدَّةُ . فيَحْمَلُ إلى

(a) النسخ وبولاق : وينقطع ، والمثبت من المسودة .

١ ابن المأمون : أخبار مصر ١٠١-١٠٢ .  
٢ المشاهد . انظر فيما تقدم ٥٢٥ .  
٣ الشارِعُ الأَعْظَمُ ، انظر فيما تقدم ٨٦ .  
٤ صاحب المائدة هكذا أطلق عليه أيضًا ابن الطوير في موضع آخر (فيما يلي ١٤٣:٢) ، أما ابن المأمون فسماه «متولي المائدة» ، وذكر أن متولي المائدة في زمن الخليفة الأمر كان يدعى وفي الدولة إسعاف (فيما تقدم ٣٦٣:١٢ ، ٤٨٧ : ١٧ ، ٥٤٤ : ١٦ ، ٤٥٤ ، ٤٧٣) .

٤ صاحب المائدة هكذا أطلق عليه أيضًا ابن الطوير في



الوزير منها جزءاً وافراً، ولمن صحبته وللأمراء ولكافة الحاضرين في الخدمة، ويصل منها إلى الناس بمصر من بعضهم بعضاً شيئاً عظيماً<sup>(a)</sup>.

ولا يزال إلى أن يؤذن عليه بالعصر فيصلي، ويتحرك إلى العود إلى القاهرة، والناس في طريقه لتظره، فيركب وزيه في هذه الأيام أنه يلبس الثياب المذهبة البياض والملونة، والمندبل من النسبة، وهو مشدود شدة مفردة عن شدات الناس، وذوآبته مريحة من جانبه الأيسر، ويتقلد بالسيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يمينه، فإن ذلك في أوقات مخصوصة.

ولا يمر أيضاً بمسجد في سلوكه في هذه الطريق بالساحل إلا ويغطي قيمته ديناراً أيضاً كما جرى في الزواجر، وينعطف من الخرق<sup>(b)</sup> ويدخل من باب زويلة، شاقاً القاهرة حتى يدخل القصر، فيكون ذلك من المحرم إلى شهر رمضان إما أربع مرات أو خمس مرات<sup>(c)</sup>.

ومن شعر الأستعد أسعد بن مهذب بن زكريا بن أبي مليح يمماً في دار الملك هذه<sup>(d)</sup>:

[الطويل]

حللت بدار الملك والنيل آخذ  
بأطرافها والموج يوسعها ضرباً  
فخيلته قد غار لما وطئتها  
عليها فأضحى عند ذاك لها حرباً

### منازل العزة

٤٨٥:١ / بنيتها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز<sup>(١)</sup>، ولم يكن بمصر أحسن منها، وكانت مبطلة على النيل لا يحجبها شيء عن نظره. وما زال الخلفاء من بعد المعز يتداولونها، وكانت معدة لتزتهم، وكان بجوارها حمام، ولها منها باب، وموضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية؛ منسوبة للملك المظفر تقي الدين عمر<sup>(b)</sup> ابن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي<sup>(c)</sup>.

(a) بولاق: كثير. (b) بولاق: باب الحرف. (c) بولاق: عمرو.

<sup>١</sup> ابن الطوير: نزهة ١٦٨-١٧١؛ وقارن مع القلقشندي: صبح ٥١٧:٣، أبي المحاسن: النجوم

<sup>٢</sup> ٩٢-٩١:٤. اشترى الملك المعظم تقي الدين عمر بن شاهنشاه منازل

<sup>٣</sup> عن السيدة تغريد أم العزيز بالله يزار، وتدعى دوزان (انظر فيما يلي ٥٨٠، ٣١٨:٢).

<sup>٤</sup> وردت هذه الأبيات عند الإدريسي: أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام ٥٤.

العزيز بمصر في شعبان سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م (أبو المحاسن: النجوم ٣٨٦:٥)، بعد أن أنزله بها السلطان صلاح الدين=



## الهَوْدَجُ

وكان من مُتَنَزَّهاتهم العَظيمة البناء الغربية البديعة الرُّبِّي ، بناءً في جزيرة الفُسطاط - التي تُعرَف اليوم بالروضة - يُقال له : «الهَوْدَجُ» . بناءُ الخليفة الأمير بأحكام الله لمحبوته البدوية التي غلب عليه حُبُّها بجوار البُستان المُختار ، وكان يتردُّ إليه كثيرًا ، وقُتِل وهو مُتَوَجِّهٌ إليه <sup>١</sup> ، وما زال مُتَنَزَّهًا للخلفاء من بعده .

قال ابنُ سَعِيدٍ في كتاب «المُحَلِّي بالأشعار» : قال القُرظي في تاريخه : تذاكر الناس في حديث البدوية وابن مِيّاح من بني عَمِّها ، وما يتعلَّق بذلك من ذِكر الأمير ، حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البَطال وألف ليلة وليفة وما أشبه ذلك . والاختصاصُ منه أن يُقال : إنَّ الأمير كان قد يُليي بعشق الجوّاري العزبيات ، وصارت له عُيونٌ بالبوادي . فبلغه أن جارية بالصعيد من أكمل العرب وأظرفهم شاعرةً جميلةً ، فيقال إنّه تزوّجها بزوي بُداة الأعراب ، وكان يجول في الأحياء ، إلى أن انتهى إلى حبيها ، وبات هناك في ضائفة ، وتخيّل حتى عاينها هنالك ، فما ملك صبره ، ورجع إلى مقرِّ ملكه ، وأرسل إلى أهلها يخطبها وتزوّجها .

فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته ، وأحبت أن تُشرح طرفها في الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة . فبني لها البناء المشهور في جزيرة الفُسطاط المعروف بالهَوْدَج ، وكان غريب الشكل ، على شطِّ النيل <sup>٢</sup> .

وبقيت متعلقة الخاطر بابن عمِّ لها رُبيت معه يُعرَف بابن مِيّاح ، فكتبت إليه من قصر الأمير :

[الرمل]

يا ابن مِيّاح إليك المُشْتَكِي      مالِكٌ من بعدكم قد مُلِكا

=يوسف بن أيوب ، ولما ولّاه نيابة حماة وما معها سنة

٥٨٢هـ / ١١٨٦م ، وقفها على فقهاء الشافعية (فيما يلي

٣٦٤:٢) ؛ وهي التي يقول فيها عمارة اليمني :

<sup>١</sup> ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٥: ٣٨٦هـ .

<sup>٢</sup> كتاب «المُحَلِّي بالأشعار» لابن سعيد لم يصل إلينا ؛ وانظر المقرئزي : اتعاظ الحنفا ٣: ١٣١ ؛ وفيما يلي

١٨١:٢ - ١٨٢ .

منازل لم تزل عندي عجزات

وكانت منازل العز تقع على شاطئ النيل بمصر القديمة



كنتُ في حَيِّي مُطْلَقًا آمِرًا<sup>(a)</sup>      نائِلًا ما شئتُ منكم مُدْرِكًا  
فأنا الآن بقَصْرِ مُرْصِدِ      لا أرى إلا حَبِيئًا<sup>(b)</sup> مُسْكًا  
كم قد<sup>(c)</sup> تَنَنَيْنا كأغْصان اللّوا      حيث لا نَحْشَى عَلَيْنَا دَرْكًا

فأجابها :

[الرمل]

بِئْسَ عَمِّي والتي غَدَيْتُهَا      بِالهُوَى حتى عَلَا واحْتِنَا<sup>(d)</sup>  
بُحْتِ بالشُّكْوَى وعندي ضِعْفُهَا      لو غَدَا يَنْفَعُ مِنَّا المُشْتَكَى  
مَالِكُ الأَمْرِ إليه أَشْتَكِي      مَالِكًا<sup>(e)</sup> وهو الذي قد مَلَكَا

قال : وللناس في طلب ابن مِيّاح واحتيفائه أخبارٌ تطول . وكان من عَرَبِ طَبِئٍ في عَصْرِ<sup>(f)</sup> الأَمرِ  
طَرَادِ بنِ مُهَلِّهِلِ السُّنَيْسِي ، فبَلَّغْتُهُ هذه القَصِيَّةَ فقال :

[المتقارب]

أَلَا بَلِّغُوا الأَمرِ المُصْطَفَى      مَقَالَ طَرَادِ وَنِعْمَ المَقَالَ  
قَطَعْتَ الأَلْيَفِينَ عند أُلْفِيَّةِ      بها سَمَرُ الحَيِّ بين الرِّجَالِ  
كذا كان أَبَاؤُكَ الأَكْرَمُونَ<sup>(g)</sup>      سألت فقل لي جَوَابَ السُّؤَالِ

فقال الخليفةُ الأَمرِ لما بَلَّغْتُهُ الأَبيات : جوابُ سؤَالِهِ قَطَعُ لِسَانِهِ على فُضُولِهِ . وَطَلِبَ في أَحْيَاءِ  
العَرَبِ فلم يُوجَد ، فقالت العَرَبُ : ما أَحْسَرَ صَفْقَةَ طَرَادِ ، باعَ أُنْبِياءَ الحَيِّ بثَلَاثَةِ أُنْبِياءِ !  
وكان بالإسْكَندَرِيَّةِ مَكِينُ الدَّوْلَةِ أبو طالبِ أحمدِ بنِ عبدِ المَجدِ بنِ أحمدِ بنِ الحَسَنِ بنِ  
حَدِيدِ ، له مُرُوَّةٌ عَظِيمَةٌ ، ويحتذي أفعالَ البَرَامِكَةِ ، ولشُعْرَاءِ فيه أمداخٌ كثيرةٌ ، مَدَحَهُ ظَافِرُ  
الحَدَّادِ ، وَأُمِّيَّةُ بنِ أَبِي الصَّلْتِ وغيرهما<sup>٢</sup> .

وكان له بُسْتَانٌ يَتَفَرَّجُ فيه به جُرُونٌ كَبِيرٌ من رُخامٍ ، وهو قطعةٌ واحِدَةٌ ، وينحدر فيه الماءُ فيبقى  
كالْبِرْزَكَةِ من كِبَرِهِ . وكان يَجْدُ في نفسه برؤيته زيادةً على أهلِ التَّنْعُمِ والمباهاةِ في عَصْرِهِ . فَوْشِي

(a) بولاق : مطاعًا آمرا ، وفيما يلي ١٨٢:٢ أمرا مطلقا . (b) بولاق : خبيثًا . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق :  
واحتبكا . (e) بولاق : مالك . (f) بولاق : قصر . (g) فيما يلي ١٨٢:٢ : الأقدمون . (h) بولاق : يفرج .

<sup>١</sup> فيما يلي ١٨٢:٢ .  
<sup>٢</sup> القاضي مكين الدولة وأمينها أبو طالب أحمد بن عبد  
المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد بن حمدون الكتاني  
قاضي الإسكندرية ، توفي بئر رشيد وهو عائد من مصر في  
٥٠٧ ، ٢ : ٢٩٧-٢٩٨ .



به للبدويّة محبوبه الأمر، فسألت الخليفة الأمر في حمل الجزن إليها، فأرسل إلى ابن حديد بإحضار الجزن، فلم يجد بُدًا من حمله من البستان. فلما صار إلى الأمير، أمرَ بعمّله في الهودج. فقلق ابن حديد، وصارت في قلبه حرارة من أخذ الجزن، فأخذ يخدم البدويّة ومن يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة، حتى قالت البدويّة: هذا الرجل أحببنا بكثرة تحفه، ولم يكلفنا قطّ أمرًا نقدر عليه عند الخليفة مولانا.

فلما قيل له هذا القول عنها قال: ما لي حاجة، بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها في عِزٍّ، غير ردّ الفسقية التي قُلبت من داري التي بنيتها/ في أيامهم من نعمتهم، تُردّ إلى مكانها. فتعجبت من ذلك، وردتها عليه، فقيل له: حصلت في حدّ أن خيّرتك البدويّة في جميع المطالب، فنزلت همّتك إلى قطعة حَجْرًا فقال: أنا أعرفُ بنفسي، ما كان لها أمل سوى ألا تُغلب في أخذ ذلك الحجر من مكانه، وقد بلّغها الله أملها<sup>١</sup>.

٤٨٦:١

وكان هذا المكين يتولّى قضاء الإسكندرية ونظرها في أيام الأمر، وبلغ من علو همّته وعظم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة، أخا الوزير المأمون بن البطائحى، لما قلده الأمر ولاية ثغر الإسكندرية في سنة سبع عشرة وخمس مائة، وأضاف إليه الأعمال البحرية، ووصل إلى الثغر، ووصف له الطبيب دهن شمع بحضور القاضي المذكور، فأمر في الحال بعض غلمان به بالمضي إلى داره لإحضار دهن شمع. فما كان أكثر من مسافة الطريق إلى<sup>(ب)</sup> أن أخضر حُقًا مختومًا فك عنه، فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مذاف بلور فيه ثلاثة بيوت، كل بيت عليه قبة ذهب مُشبّكة مرصعة بياقوت وجوهر: بيت دهن بمسك، وبيت دهن بكافور، وبيت دهن بعنبر طيب. ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته.

ف عندما أحضره الرسول، تعجب المؤمن والحاضرون من علو همّته. فعندما شاهد القاضي ذلك بالغ في شكر إنعامه، وحلف بالحرام إن عاد إلى ملكه. فكان جواب المؤمن: قد قبلته منك لا حاجة إليه، ولا لنظر في قيمته، بل لإظهار هذه الهمة وإذاعتها. وذكر أن قيمة هذا المذاف وما عليه خمس مائة دينار.

(a) بولاق: متولي. (b) بولاق: إلا.



فانظر - رَحِمَكَ اللهُ - إلى مَنْ يكون دُهنُ السَّمْعِ عنده في إناءٍ قيمته خمس مائة دينار ، ودُهنُ السَّمْعِ لا يكاد أكثرُ النَّاسِ يحتاجُ إليه البتَّةُ ، فماذا تكون ثيابه وحليّ نسائه وفرش داره وغير ذلك من التَّجَمُّلات . وهذا إنما هو حالُ قاضي الإسكندرية ، ومن قاضي الإسكندرية بالنسبة إلى أعيان الدَّولة بالحضرة ، وما نسبة أعيان الدَّولة - وإن عَظُمَت أحوالهم - إلى أمر الخِلافة وأُبهتها إلا يسيراً حَقيرٌ . وما زال الخليفةُ الأمرُ يتردّد إلى الهُودَجِ المذكور ، إلى أن رَكِبَ يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسة مائة يُريد الهُودَجَ ، وقد كَمُنَ له عِدَّةٌ من التُّزاريّة في فُزْنٍ عند رأس الجِسر من ناحية الرُّوضَةِ ، فوثبوا عليه وأثخنوه بالجراحة حتّى هَلَكَ ، وحُمِلَ في العُشاري إلى اللؤلؤة فمات بها ، وقيل قبل أن يصل إليها <sup>١</sup> .

وقد خرب هذا الهُودَجُ وجُهِلَ مكانه من الرُّوضَةِ ، والله عاقبةُ الأمور .

### قَصْرُ الأُنْدُسِ بالقِرافَةِ (a)

وكان لهم بالقِرافَةِ قَصْرٌ بَنَتْهُ السَّيِّدَةُ تُغْرِيدُ أُمُّ العَزِيزِ بالله بن المُعِزِّ في سنة ستِّ وستين وثلاث مائة على يد الحُسَيْنِ بن عبد العَزِيزِ الفارِسِيِّ المُحْتَسِبِ ، هو والحَمَّامُ الذي في غريبه ، وبَنَتِ البِئْرُ والبُستَانُ وجامِعُ القِرافَةِ <sup>٢</sup> .

وكان هذا القَصْرُ نُزْهَةً من النُّزه من أحسن الآثار في إتقان بُنيانه وصِحَّةِ أركانِه ، وله مَنْظَرَةٌ مَلِيحَةٌ كبيرةٌ محمولةٌ على قَبْوٍ مادُّ تجوز المارَّةُ من تحته ، ويقبلُ المسافرون في أيام القَيْظِ هناك ، ويركبُ الرَّاكِبُ إليه على زَلَّاقَةٍ . وكان كأحسن ما يكون من البِناء ، وتحتُه حَوْضٌ لسَقْيِ الدُّوابِ يوم الحُلُولِ فيه ، وكان مكانه بالقرب من مَسْجِدِ الفَتْحِ <sup>٣</sup> .

ولمَّا كان في سنة عشرين وخمسة مائة (b) جَدَّه الخليفةُ الأمرُ ، وعمل تحتَه مَسْطَبَةٌ للصُوفية ، وكان يجلسُ في الطَّاقِ بأعلى القصر ، ويَرْتَقِصُ أهلُ الطَّرِيقَةِ من الصُوفية ، والمجَامِرُ بالألوية

(a) النسخ وببلاق : قصر القرافة ، والصواب ما أثبتناه كما في آخر الفقرة . (b) ببلاق والنسخ : وأربع مائة ، وهو غير صواب .

<sup>١</sup> حول وفاة الخليفة الأمر وتفاصيل مقتله انظر ابن الطوير : نزهة المقتلين ٢٤ - ٢٦ ؛ ابن القبطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان . تحقيق محمود علي مكّي ، بيروت ١٩٩٠ ، ٢١٧ - ٢٢١ ، ٢٣١ - ٢٣٣ ؛ المقرئزي : اعطاء ٣ : ١٢٨ - ١٢٩ ؛ أبا المحاسن : النجوم ٥ : ١٨٤ - ١٨٥ ؛ وفيما يلي ٢ : ١٨٢ ، ٢٩٠ .  
<sup>٢</sup> انظر فيما يلي ٢ : ٣١٨ ، ٤٥٣ .  
<sup>٣</sup> فيما يلي ٢ : ٤٤٧ .



موضوعة بين أيديهم ، والشُموع الكثيرة تزهر ، وقد بَسَطَ تحتهم حُضْرَ من فوقها بُسَطَ ، ومُدَّت لهم الأَسْمِطَةُ التي عليها كلُّ نوعٍ لذيذٍ وشهيٍّ من الأَطْعَمَةِ والحَلْوَى أصنافًا مصنَّفةً .

فاتفق أن تواجد الشيخ أبو عبد الله <sup>(a)</sup> بن الجوهري الواعظ <sup>١</sup> ، ومزق مُرَقَعته ، وفُرِّقَت على العادة خِرْقًا ، وسأل الشيخ أبو إسحاق إبراهيم - المعروف بالقارح المقرئ - خِرْقَةً منها ووضَعها في رأسه . فلَمَّا فرغ التمريق قال الخليفةُ الأميرُ بأحكام الله من طاق بالمنظرة : يا شيخ أبا إسحاق ؛ قال : لبيك يا مولانا ؛ قال : أين خِرْقَتِي؟ فقال مُجيبًا في الحال : ها هي على رأسي يا أمير المؤمنين . فاستحسن الأمير ذلك وأعجبه موقَّعه ، فأمر في الساعة والوقت من أخصر من خزائن الكُشُوات ألفَ نِصْفِيَّةٍ ، ففُرِّقَت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ، ونثر عليهم مُتَوَلَّى بيت المال من الطاق ألفَ دينار ، فتحاطفها الحاضرون ، وتعاهد المغربلون الأرض التي هناك أيامًا لأخذ ما يُواريه التراب <sup>٢</sup> .

وما برح قصر الأندلس بالقرافة حتى زالت الدولة ، فهديم في شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمس مائة .

### المنظرة ببركة الحبش

وكانت لهم منظرَةٌ تُشْرِفُ على بركة الحبش . قال الشريف أبو عبد الله محمد [بن أسعد] <sup>(a)</sup> الجواني في كتاب «النقط على الخطط» : إن الخليفة الأمير بأحكام الله بنى على المنظرَةَ التي يُقال لها بِئر دِكَّةِ الخَزَاةِ ، منظرَةً من حَشَبٍ مدهونة فيها طاقات تُشْرِفُ على حُضْرَةِ بركة الحبش ، وصوِّرَ فيها الشُعراء كلُّ شاعرٍ وبلَّده ، واستدعى من كلِّ واحدٍ منهم قطعةً من الشعر في المدح وذكر الخَزَاةِ ، وكتب ذلك عند رأس كلِّ شاعرٍ ، وبجانب صورة/ كلِّ منهم رَفٌّ لطيفٌ مُذَهَّبٌ .

٤٨٧:١

(a) بياض بالأصول . (b) زيادة اقتضاها السياق .

<sup>١</sup> دمياط ، وبها مات في جمادى الأولى سنة ٥٢٨هـ (ابن ميسر) : أخبار مصر ١٢٠؛ المقرئ : تعاض ٣: ١٥١-١٥٢ ، والمقفي الكبير ٣: ٥١٦؛ وفيما يلي (٤٤٨:٢) .

<sup>٢</sup> المقرئ : تعاض ٣: ١٣١ .

<sup>١</sup> الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أبي الفضل عبد الله بن الحسين الزاهد الناطق بالحكم ، ابن بُشْرَى ، المعروف بابن الجوهري ، قال ابن ميسر : «واعظ ابن واعظ ابن واعظ ، قرأ عليه السلفي وكان لُحْلُو الوَعظ لم يكن في بيتهم أحلى كلامًا منه ، وتعرض في آخر عمره لما يعنيه ، فوشى به إلى الخليفة فسيره إلى



فلما دخل الأمير وقرأ الأشعار، أمر أن يُحطَّ على كل رَفْ صُرَّةٍ مختومة فيها خمسون دينارًا، وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صُرَّته بيده. ففعلوا ذلك وأخذوا صُرَّتهم، وكانوا عدَّة شعراء.

### البساتين

وكان للخلفاء عدَّة بساتين<sup>١</sup> يتنزّهون بها، منها البساتين الجيوشية، وهما بُستانان كبيران : أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح إلى المطرية، والآخر يمتدُّ من خارج باب القنطرة إلى الخندق وكان لهما شأنٌ عظيم<sup>٢</sup>.

ومن شدة غرام الأفضل بالبستان الذي كان يجاور بُستان البغل، عمِلَ له سورًا مثل سور القاهرة، وعمِلَ فيه بحرًا كبيرًا وقُبَّة عُشاري تحمل ثمانية أراذب، وبنى في وسط البحر منظرًا محمولةً على أربع عواميد من أحسن الرخام، وحفها بشجر النارج، فكان نارنجها لا يُقطع حتى يتساقط، وسلط على هذا البحر أربع سواق، وجعل له معبرًا من نحاس مخروط زنته قنطار، وكان يملأ في عدَّة أيام. وجلب إليه من الطيور المسموعة شيئًا كثيرًا، واستخدم للحمام الذي كان به عدَّة مطيرين، وعمَّر به أبراجًا عدَّة للحمام والطيور المسموعة، وسرح فيه كثيرًا من الطاووس.

وكان البستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بُستان الخندق، لكل منهما أربعة أبواب من الأربع جهات، على كل منها عدَّة من الأزمن. وجميع الدهاليز مؤزرَّة بالحضر العبداني، وعلى أبوابها سلاسل كثيرة من حديد، ولا يدخل منها إلا السلطان وأولاده وأقاربه<sup>٣</sup>.

قال ابن عبد الظاهر: وانتفقت جماعة على أن الذي يشتمل عليه بيوعهما<sup>(a)</sup> في السنة، من زهر وثمر، نيف وثلاثون ألف دينار، وأنها لا تقوم بمؤنهما على حكم اليقين لا الشك. وكان

(a) بولاق: مبيعهما.

<sup>١</sup> حاشية بخط المؤلف: «البستان أصله بالفارسية براستان ومعناه معادن الروائح، وذلك أن منوشجر ابن لهرج ابن فريدبُست بن أتفنيان (كنا) أحد ملوك الفرس الأول الذين يقال لهم النيشدانية نقل من الجبال أنواعًا من الرياحين وأحاط عليها فلما فاحت روائحها سمي تلك الحيطان براستان».

<sup>٢</sup> يعادل زقاق الكحل اليوم الشارع المعروف بسكة الظاهر أو شارع المنسي خارج باب الفتوح وجنوب جامع الظاهر ببيرس. والخندق يُعادل منطقة الديمرداش الآن خلف شارع رمسيس.

<sup>٣</sup> هذا النص نقله المقرئ بتصرف عن ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١١٣٩؛ المقرئ: مسودة المواعظ ٣٩٠.



الحاصل بالبستان الكبير والمحصل إلى آخر الأيام الآمرية - وهي سنة أربع وعشرين وخمسة مائة - ثمان مائة وأحد عشر رأساً من البقر، ومن الجمال مائة وثلاثة وعشرون، ومن العمال وغيرهم ألف رجل -

وذكر أن الذي دار سور البساتين<sup>(a)</sup>، ومن سنط وجميز وأثل، من أول حدهما الشرقي - وهو ركن بركة الأزمن - مع حدهما البحري والغربي جميعاً، إلى آخر زقاق الكحل في هذه المسافة الطويلة سبعة عشر ألف ألف<sup>(b)</sup> ومائتي شجرة، وبقي قبلهما جميعاً لم يحصن. وأن السنط تعطن<sup>(c)</sup> حتى لحق بالجميز في العظم، وأن معظم قرضه يسقط إلى الطريق فيأخذه الناس، وبعد ذلك يُباع بأربع مائة دينار. وكان به كل ثمرة لها ذويرة مفردة، وعليها سياج، وفيها نخل منقوش في ألواح عليها برسم الخاص، لا تجنى إلا بحضور المشارف، وكان فيهما ليمون تُفاجي يؤكل بقشره بغير شكر.

وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التي لهم مدة أيام الوزير المأمون، لم تخرج عنهم، وكُشف ذلك في أيام الخليفة الحافظ، فكان فيها ست مائة رأس من البقر، وثمانون جملاً. وقوم ما عليهما من الأثل والجميز، فكانت قيمته مائتي ألف دينار. وطلب الأمير شرف الخلافة<sup>(d)</sup> - وكانت له محزمة عظيمة - من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط، فأبى عليه، فتشفع إليه وقومت بسبعين ديناراً، فرسم الخليفة إن كانت وسط البستان تُقطع وإلا فلا.

ولما جرى في آخر أيام الحافظ ما جرى من الخلف، دُبِحت أبقاره وجماله، ونُهبت ما فيه من الآلات والأنقاض، ولم يبق إلا الجميز والسنط والأثل لعدم من يشتريه<sup>١</sup>. انتهى.

وكان هذان البستانان من جملة «الحبس الجيوشي»؛ وهو أن أمير الجيوش بَدْرًا الجمالي حبس عدة بلاد وغيرها - منها في البر الشرقي ناحية بهتيت والأميرية والمنية، وفي البر الغربي ناحية سَفَط ونهيا ووسيم - مع هذين البستانين المذكورين على عقبه. فاستأجر هذا الحبس الوزراء

(a) بولاق: البستانين. (b) ألف الثانية ساقطة من ابن عبد الظاهر. (c) النسخ: تعقر، بولاق: تغصن والمثبت من ابن عبد الظاهر. (d) بولاق: الأمير شرف الدين.

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٣٩ - ١٤٠؛ المقرئ: مسودة المواعظ ٣٨٩ - ٣٩١.



مُدَّة سنين بأجرة يسيرة ، وصار يُزرع في الشَّرقي منه الكَثان ، ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنانير ونصفاً ورُبْعاً عن كلِّ فدان ، فيتناولون فيه رِبْحاً جزيلاً لأنفسهم . فلَمَّا بَعُدَ العَهْدُ انْقَرَضَتْ أعقابُه ، ولم يَبْقَ من ذُرِّيته سوى امرأة كبيرة ، فأفتى الفُقهاء بأنَّ هذا الحَبْس باطلٌ ، فصارَ للديوان السلطاني يتصرف فيه ، ويَحْمِلُ مُتَحَصِّله مع أموال بيت المال . وتلاشت البساتين ، وبني في أَمَاكِنها ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى <sup>١</sup> .

وبنى العزيز بالله بُشتاناً بناحية سرُدوس .

### قُبَّةُ الهَوَاءِ

وكان من أحسن متنزهات الخلفاء الفاطميين قُبَّةُ الهَوَاءِ ، وهي مُسْتَشْرِفٌ بِهِجٍ بديع فيما بين النَّجَّاحِ والخَمْسِ وَجُوهٍ ، يُحِيطُ به عِدَّةُ بساتين لكلِّ بُشتانٍ منها اسم ، ولهذه القُبَّةُ فُرْشٌ مُعَدَّةٌ في الشِّتَاءِ والصَّيْفِ ، ويركب إليها الخليفةُ في أَيَّامِ الرُّكُوباتِ التي هي يَوْمِي السَّبْتِ والثَّلَاثاءِ .

### بَحْرُ أَبِي المُنَجَّجَا

وكان من مُتَنَزِّهَاتِ الخُلَفَاءِ يَوْمَ فَتْحِ بَحْرِ أَبِي المُنَجَّجَا . قال ابنُ المأمون : وكان الماء لا يَصِلُ إلى الشَّرْقِيَّةِ إِلَّا من السَّرْدُوسِي ومن الصَّمَاصِمِ ومن المواضع البعيدة ، فكان أكثرها يَشْرُقُ في أكثر السنين . وكان أبو المنججا اليهودي مُشَارِفَ الأعمال المذكورة <sup>٢</sup> ، فَتَضَوَّرَ المزارعون إليه ، وسألوا في فَتْحِ تَرْعَةِ يَصِلُ الماءُ منها في ابتدائه إليهم ، فابتدأ بحفر خَلِيجِ أَبِي المُنَجَّجَا في يومِ الثَّلَاثاءِ السَّادِسِ من شَعْبَانَ سنة ستِّ وخمسة ومائة <sup>٣</sup> .

٤٨٨:١ وَرَكِبَ الأَفْضَلُ بنُ أميرِ الجيوش ضُحَى وَصُحْبَتُهُ القَائِدُ أبو عبد الله محمد بن فَايَكِ البَطَائِحِي وَجَمِيعُ إِخْوَتِهِ ، والعساكر تُحَاذِيهِ في البَرِّ ، وَجُمِعَتِ شُيُوخُ البلادِ وَأَوْلَادُهَا ، وَرَكِبُوا فِي المراكبِ وَمَعَهُم جِزْمُ البُوصِ فِي البَحْرِ ، وَصَارَ العُشَارِيُّ والمراكبُ تَتَّبِعُهَا إِلَى أن رَمَاهَا المَوْجُ إِلَى

<sup>١</sup> Documents ثقة الملك وسني الدولة وأمينها أبو المنججا شلومو بن شعيا (Goitein, S. D., A Med. Soc. pp. 356, 358, 377).

<sup>٢</sup> المقرئزي : اتعاظ ٣ : ٥٠ .

<sup>١</sup> فيما تقدم ٢٩٦:١ ، وفيما يلي ١٢٩:٢ - ١٣٠ ، وقارن : ابن نماتي : قوانين الدواوين ٣٣٦-٣٣٩ ، ومحمد رمزي : القاموس الجغرافي ٤٤ : ١ .

<sup>٢</sup> ورد اسمه في أوراق الجنيزة Cairo Geniza



المَوْضِعُ الَّذِي حَفَرُوا فِيهِ الْبَحْرَ، وَأَقَامَ الْحَفْرَ فِيهِ سَنَتَيْنِ، وَفِي كُلِّ سَنَةٍ تَتَبَيَّنُ الْفَائِذَةُ فِيهِ، وَيَتَضَاعَفُ مِنْ اِرْتِفَاعِ الْبِلَادِ مَا يُهَوِّنُ الْغَرَامَةَ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا عُرِضَ عَلَى الْأَفْضَلِ مُجْمَلَةٌ مَا أُتْفِقَ فِيهِ اسْتِعْظَمَهُ، وَقَالَ: غَرِمْنَا هَذَا الْمَالَ جَمِيعَهُ وَالْإِسْمَ لِأَبِي الْمُتَّجَا. فَغَيَّرَ اسْمَهُ وَدُعِيَ بِـ «الْبَحْرِ الْأَفْضَلِيِّ» فَلَمْ يَتَمَّ ذَلِكَ، وَلَمْ يُعْرَفْ إِلَّا بِأَبِي الْمُتَّجَا<sup>١</sup>.

ثُمَّ جَرَى بَيْنَ أَبِي الْمُتَّجَا وَبَيْنَ ابْنِ أَبِي اللَّيْثِ صَاحِبِ الدِّيَّانِ، بِسَبَبِ الَّذِي أُتْفِقَ، خُطُوبٌ أَذَتْ إِلَى اِعْتِقَالِ أَبِي الْمُتَّجَا عِدَّةَ سَنِينَ، ثُمَّ نُفِيَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ<sup>(a)</sup> نَفْسَهُ تَتَلَفَ، وَلَمْ يَزَلِ الْقَائِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَايَكٍ يَتَلَطَّفُ حَالَهُ إِلَى أَنْ<sup>(b)</sup> تَضَاعَفَ مِنْ عِبْرَةِ الْبِلَادِ مَا سَهَّلَ أَمْرَ النُّفْقَةِ فِيهِ<sup>٢</sup>.

وَرَأَيْتُ بِخَطِّ ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ: وَهَذَا أَبُو الْمُتَّجَا هُوَ جَدُّ بَنِي صُفَيْرِ الْحُكَمَاءِ الْيَهُودِ، وَالَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْهُمْ<sup>٣</sup>.

وَلَمَّا طَالَ اِعْتِقَالُ أَبِي الْمُتَّجَا فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي مَكَانٍ بِمَفْرَدِهِ مُضَيِّقًا عَلَيْهِ، تَحَيَّلَ فِي تَحْصِيلِ مُصْحَفٍ وَكَتَبَ خَتْمَةً، وَكَتَبَ فِي آخِرِهَا: «كَتَبَهَا أَبُو الْمُتَّجَا الْيَهُودِي»، وَبَعَثَهَا إِلَى السُّوقِ لِيَبِيعَهَا. فَقَامَتِ قِيَامَةً أَهْلُ الثُّغْرِ، وَطَوَّلَ بِأَمْرِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، فَأُخْرِجَ وَقِيلَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ: طَلَبْتُ الْخَلَاصَ بِالْقَتْلِ. فَأُدْبَ، وَأُطْلِقَ سَبِيلَهُ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِي مَحَبَّتِهِ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ، فَأُخْضِرَ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لَبَنٌ، فَرَأَى الْحَيَّةَ وَقَدْ شَرِبَتْ مِنْهُ وَدَخَلَتْ مُجْحَرَهَا، فَصَارَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُخْضِرُ لَهَا لَبَنًا فَتَخْرُجُ وَتَشْرَبُ مِنْهُ وَتَدْخُلُ مَكَانَهَا وَلَمْ تُؤْذِهِ.

وَلَمَّا وُلِيَ الْمَأْمُونُ الْبَطَّائِحِيَّ وَرَازَةَ الْأَمِيرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ، بَعْدَ الْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ، تَحَدَّتِ الْأَمِيرُ مَعَهُ فِي رُؤْيَةِ قَتْحِ هَذَا الْخَلِيجِ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ يَوْمٌ كَخَلِيجِ الْقَاهِرَةِ. فَتَدَبَّ الْمَأْمُونُ<sup>(c)</sup> مَعَهُ عَدِيَّ الْمَلِكِ أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ عُثْمَانَ وَكَيْلَهُ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يَبْنِيَ عَلَى مَكَانِ السَّدِّ مَنظَرَةً مُتَّسِعَةً تَكُونُ مِنْ بَحْرِي السَّدِّ، وَشَرَعَ فِي عِمَارَتِهَا بَعْدَ كَمَالِ النَّيْلِ.

(a) بولاق: كانت. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: الأمر معه.

<sup>١</sup> المقرئزي: اتعاظ الحنفا ٣: ٥٠. <sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة ١٢٩؛ ابن دقماق:

<sup>٣</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ١١؛ ابن عبد الظاهر: الانتصار ٥: ٤٦.

الروضة البهية ١٢٩؛ ابن دقماق: الانتصار ٥: ٤٦.



وما زال يوم فتح سدّ هذا البحر يوماً مشهوداً إلى أن زالت الدولة الفاطمية ؛ فلما استولى بنو أيّوب من بعدهم على مملكة مصر أجزوا الحال فيه على ما كان <sup>١</sup>.

قال القاضي الفاضل في «متجددات» سنة سبع وسبعين وخمسة مائة : وركب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب لفتح بحر أبي المنجّا وعاد <sup>٢</sup>.

وقال : وفي سنة تسعين وخمسة مائة ، كسير بحر أبي المنجّا بعد أن تأخر كسره عن عيد الصليب بسبعة أيام <sup>٣</sup> ، وكان ذلك لقصور النيل في هذه السنة ، ولم يباشِر السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين بنفسه ، وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشي لكسره . وبَدَت في هذا اليوم من مخايل القنوط ما يُوجبه سوء الأفعال ، من المجاهرة بالمنكرات ، والإعلان بالفواحش . وقد أقرط هذا الأمر ، واشترك فيه الأمر والمأمور ، ولم يتسليخ شهر رمضان إلا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله في الإسلام .

وبدا عقابُ الله في الماء الذي كانت المعاصي على ظهره ، فإن المراكب كان يركب فيها في رمضان الرجال والنساء مختلطين مكشّفات الوجوه ، وأيدي الرجال تنال منها ما تنال في الخلوات ، والطبول والعيّدان مُرتفعات الأصوات والصنجات ، واشتتابوا في الليل عن الخمر بالماء والجلاب ظاهراً ، وقيل : إنهم شربوا الخمر مستورا ، وقربت المراكب بعضها من بعض ، وعجز المنكر عن الإنكار إلا بقلبه . ورُفِع الأمر إلى السلطان ، فتدب حاجبه في بعض الليالي ، ففرق منهم من وجدّه في الحالة الحاضرة ، ثم عادوا بعد عودته . وذكر أنّه وجد في بعض المعادي حمرا فأراقه .

ولما استهلّ سؤال ، وهو مطموخ فيه ، تضاعف هذا المنكر ، وفشت هذه الفاحشة . ونسأل الله العفو والعافية عن الكبائر ، والتجاوز عما تسقط فيه المعاذير .

وقال في سنة اثنين وتسعين وخمسة مائة : كسير بحر أبي المنجّا ، وباشِر العزيز كسره ، وزاد النيل فيه أضبعاً وهي الأصبغ الثامنة عشرة من ثماني عشر ذراعاً ؛ وهذا الحد

(a) بولاق : القبوط .

<sup>١</sup> ابن عبد الظاهر : الروضة ١٢٩ - ١٣٠ ؛ ابن دقماق :

<sup>٢</sup> المقرئزي : السلوك ١ : ٧٣ .

<sup>٣</sup> نفسه ١ : ١١٩ ، وانظر عن عيد الصليب فيما تقدم الانتصار ٥ : ٢٦ ؛ ابن المأمون : أخبار مصر ١١ - ١٢ ؛ المقرئزي :

اتعاط الحنفا ٣ : ٥٠ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ٣٠١ - ٣٠٢ . ١ : ٧٢١ - ٧٢٤ .



يسمى عند أهل مصر «اللجة الكبرى»<sup>١</sup>.

وقد تلاشى في زمننا أمر الاجتماع في يوم فتح سد بحر أبي المنجبا، وقل الاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة.

## قصر الورد

### بالخرقانية

وكان من أيام مُتَنَزَّهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخرقانية<sup>٢</sup>، وهي قرية من قرى قليوب كانت من خاص الخليفة، وبها جنان كثيرة للخليفة، وكانت من أحسن المتنزهات المصرية، وكان بها عدة دويرات يُزرع فيها الورد. فيسير إليها الخليفة يوماً، ويُصنع له فيها قصر عظيم من الورد، ويُخدم بضيافة عظيمة.

١٠ قال ابن الطوير عن الخليفة الأمر بأحكام الله: وعمل له بالخرقانية - وكانت من خاص الخليفة - قصر من ورد، فسار إليها يوماً، وخدم بضيافة عظيمة. فلما استقر هناك خرج إليه أمير - يُقال له: حُسام الملك - من الأمراء الذين كانوا مع المؤمن أخي المأمون البطائحي وتخاذلوا عنه، فوصل إلى الخرقانية وهو لا يس لأمة حزه<sup>٣</sup>، والتمس الثول بين يديه - يعني الخليفة.

٤٨٩:١

١٥ فاستثقل ما جاء به في ذلك الوقت، مما يُنافي ما فيه الخليفة من الراحة والنزهة، وحيل بينه وبين مقصوده، فقال لجماعة من حواشي الخليفة: أنتم مُناقفون على الخليفة، إن لم أصل إليه فإنه يُعاقبكم بذلك. فأطلعوا الخليفة على أمره وحليته بالسلاح وقوله، فأمر بإحضاره. فلما وقعت

٨٥؛ ابن واصل: مفرج ١: ١٧٦؛ ابن الجيعان: التحفة السنية ٨؛ المقرئ: اتعاظ ٣: ٢٦، ٢١٠، ٢٦٠، ٣١٢؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية ١٠: ٩٧؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي ق ٢ ج ١ ص ٥٤).

وذكر ساويرس بن المقفع أن الخرقانية كانت إقطاعاً لمؤمن الخلافة في زمن خلافة العاضد الفاطمي (تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٣: ٦٥).

٣ لأمة وجمعها لؤم كضرد. الذرع (الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٤٩٢-١٤٩٣).

١ المقرئ: السلوك ١: ١٣٨، وانظر فيما تقدم ١٦١:١.

٢ الخرقانية أو الخرقانية. من أعمال القليوبية على الشاطئ الشرقي للنيل، تقرب من القناطر الخيرية... وهي من القرى القديمة ورد اسمها محرفاً في كثير من المصادر، فهو يرد تارة الخرقانية وتارة أخرى الخرقانية، بينما ذكرها ابن نماتي وابن الجيعان والمقرئ وقبلهم ابن الطوير باسم الخرقانية، ويبدو أن هذا هو اسمها الذي عرفت به في العصر الإسلامي. وعرفت باسمها الحالي: الخرقانية ابتداءً من سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م (راجع، أبا شامة: الروضتين ١: ٤٥٠؛ ابن نماتي: قوانين



عينه عليه قال : يا مولانا لمن تركت أعداءك - يعني الوزير المأمون بن البطائحي وأخاه ، وكان الأمر قد قبضَ عليهما واعتقلهما - وهذا والعهد قريب غير بعيد ، أئمنت الغدر؟ فما أجابه إلا وهو على الرهاويج من الخيل . فلم تمض ساعة إلا وهو بالقصر ، فمضى إلى مكان اعتقال المأمون وأخيه ، فزادهما وثاقاً وحراسة .

وفي أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة<sup>١</sup> الذي كان سيّره المأمون في وزارته إلى اليمن ، ليحقق<sup>٢</sup> نسبه أنه ولد من جارية نزار بن المشتصر لما خرجت من القصر وهي به حامل ، ويدعو إليه بقية الناس . وأحضر إلى القاهرة على جمل مشوه به<sup>٣</sup> ، فأذخل خزانة البُنود ، وقُتِل هو والمأمون وجماعة في تلك الليلة وضُلبوا ظاهر القاهرة<sup>٤</sup> .

### بِرْكَةُ الْجُبِّ

بظاهر القاهرة من بحريها ، وتسميها العامة في زمننا هذا الذي نحن فيه «بركة الحاج» ، لتزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج في كل سنة ، ونزولهم عند العود بها ، ومنها يدخلون إلى القاهرة<sup>٥</sup> .

ومن الناس من يقول : جب يوسف ، وهو خطأ ، وإنما هي أرض جب عميرة . وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء التميمي من بني القرناء ، نُسبت هذه الأرض إليه ، فقيل لها : «أرض جب عميرة» ، ذكره ابن يونس .

(a) بولاق : لتحقيق (b) بولاق : مشوه .

<sup>١</sup> انظر عن علي بن نجيب الدولة ومهمته في اليمن ، عمارة اليمني : تاريخ اليمن ٧٥ - ٨٠ ؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار ٧ : ٢٣٩ - ٢٤٣ ؛ أمين فؤاد : تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ١٦٠ - ١٦٤ .

<sup>٢</sup> ابن الطوير : نزهة المقلتين ١٨ - ١٩ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك - خ ١ : ٢٠٧ ظ - ٢٠٨ و ؛ المقرئزي : انعاظ ٣ : ١٢١ - ١٢٢ .

<sup>٣</sup> بركة الجب أو بركة الحاج . محلها اليوم القرية التي

تعرف باسم البركة من قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية في الشمال الشرقي من القاهرة شرقي محطة المزج وبالقرب منها . عرفت قديماً بـجب عميرة نسبة إلى عميرة بن تميم التميمي صاحب الجب المعروف باسمه في الموضع الذي يبرز إليه الحجاج عند خروجهم من مصر إلى مكة . (أبو المحاسن : النجوم ١٨٠ : ٥ هـ ؛ المسيحي : أخبار مصر ٦٩ هـ ، وفيما يلي ١٦٣ : ٢) .



وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بن الحاكم ، في كل سنة أن يركب على التَّجْب مع النساء والحشم إلى جُبِّ عَمَيْرَة هذا - وهو موضع نُزْهَة - بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل اللُّعب والمجانة ، ورُبَّمَا حَمَلَ معه الحَمْرَ في الرِّوَايا عَوْضًا عن الماء ، وَيَشْقِيهِ من معه<sup>١</sup>.

وَأَنشَدَهُ مرَّةً الشَّرِيفُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَيْدَرَةَ الْعُقَيْلِيِّ<sup>٢</sup> فِي يَوْمِ عَرَفَةَ<sup>٣</sup> :

[البسيط]

قُمْ فَانْجِزِ الرَّاحَ يَوْمَ النَّخْرِ بِالماءِ      وَلَا تُضَحَّ ضُحًى إِلَّا بِصُهْبَاءِ  
وَأَذْرِكْ حَجِيجَ النَّدَامَى قَبْلَ نَفْرِهِمْ      إِلَى مَنَى قَضَفَهُمْ مَعَ كُلِّ هَيْفَاءِ  
وَعُجْجِ عَلَى مَكَّةَ الرُّوحَاءِ مُبْتَكِرًا      فَطُفَّ بِهَا حَوْلَ رُكْنِ الْعُودِ وَالنَّاءِ

١٠ قال ابنُ دِحْيَةَ : فَخَرَجَ فِي سَاعَتِهِ بِرِوَايا الحَمْرَ تُزْجِي بِنَعَمَاتِ حُدَاةِ المِلاهِمي وَتُسَاقُ ، حَتَّى أَنَاخَ بَعَيْنَ شَمْسٍ فِي كَبْكَبَةِ مِنَ الفُسْأَقِ ، فَأَقَامَ بِهَا سُوقَ الفُشُوقِ عَلَى سَاقِ . وَفِي ذَلِكَ العَامِ أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى وَأَهْلَ مِصرَ بِالسَّنِينِ ، حَتَّى بِيَعَ فِي أَيَّامِهِ الرِّغِيفُ بِالثَّمَنِ الثَّمِينِ ، وَعَادَ ماءُ النِّيلِ بَعْدَ عُذُوبَتِهِ كَالغِشَلِينِ ، وَلَمْ يَتَّقِ بِشَاطِئِهِ أَحَدٌ بَعْدَ أَنْ كَانَا مَخْفُوفِينَ بِحُورِ عَيْنِ<sup>٤</sup>.

١٥ وقال ابنُ مَيْسَرٍ : فَلَمَّا كانَ فِي جُمادَى الآخِرَةِ - مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ - خَرَجَ المُسْتَنْصِرُ عَلَى عَادَتِهِ إِلَى بِرْكَةِ الحُبِّ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ الأَثْرَاقِ جَرَدَ سَيْفًا فِي سُكْرِ مَنْهَ عَلَى بَعْضِ عَبِيدِ الشُّراءِ ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ العَبِيدِ وَقَتَلُوهُ . فَاجْتَمَعَ الأَثْرَاقُ بِالمُسْتَنْصِرِ ، وَقَالُوا : إِنْ كانَ هَذَا عَنِ رِضاكَ فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَإِنْ كانَ عَنِ غَيْرِ رِضاكَ فَلَا نَرُضِي بِذَلِكَ ؛ فَأَنكَرَ المُسْتَنْصِرُ ما وَقَعَ وَتَبَرَّأَ مِمَّا فَعَلَهُ العَبِيدُ ، فَتَجَمَّعَ الأَثْرَاقُ لِحَرْبِ العَبِيدِ ، وَبَرَزَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ . وَكانَ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ قِتالٌ شَدِيدٌ عَلَى كُومِ شَرِيكَ<sup>٥</sup> انْهَزَمَ فِيهِ العَبِيدُ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ عَدَدٌ كَبِيرٌ .

<sup>٣</sup> وردت الأبيات في الديوان ٤٢ وعند ابن سعيد:

المغرب ٢٠٧؛ ابن شاعر: فوات الوفيات ٣: ١٨-١٩،

وانظر فيما يلي ٢: ١٦٣-١٦٤.

<sup>٤</sup> ابن دحية: النبراس في تاريخ بني العباس ١٤١.

<sup>٥</sup> كوم شريك. إحدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة

البحيرة، عرف هذا الكوم بشريك بن سمي عبد يغوث بن

جزء المرادي أحد صحابة رسول الله ﷺ، كان على مقدمة

جيش عمرو بن العاص عند فتح الإسكندرية (أبو المحاسن: =

<sup>١</sup> ابن ميسر: أخبار مصر ٢٤؛ المقرئ: اتعاظ ٢: ٢٦٥.

<sup>٢</sup> شاعر مصري من أهل القسطنطينة توفي بعد سنة

٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، راجع العماد الكاتب: خريدة القصر

(قسم مصر) ٢: ٦٢؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب

(قسم مصر) ٢٠٥-٢٤٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٠

(تحت الطبع)؛ ابن شاعر: فوات الوفيات ٣: ١٨-٢٣،

ونشر ديوانه زكي المحاسني في القاهرة دون تاريخ.



وكانت أمُّ المُسْتَنْصِر تُعين العبيد وتمُدُّهم بالأموال والأسلحة ، فاتَّفَق في بعض الأيام أن بعض الأتراك ظفِرَ بشيءٍ مما تَبَعَتْ به أمُّ المُسْتَنْصِر إلى العبيد ، فأَعْلَمَ بذلك أصحابه - وقد قَوِيَتْ شوكتهم بانهزام العبيد - فاجتمعوا بأشرهم ، ودَخَلُوا على المُسْتَنْصِر ، وخاطبوه في ذلك وأغْلَطُوا في القَوْل وجَهَرُوا بما لا يُبغى . وصار السَّيْفُ قائمًا ، والحروبُ متتابعة ، إلى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفتن ما كان . وكان مَنْ قَبْل المُسْتَنْصِر يتردَّدون إلى بِرْكَة الجُبِّ<sup>١</sup> .

قال المُسَبِّحِي : ولائتي عشرة نَحَلت من ذي القعدة سنة أربع وثمانين وثلاث مائة ، عَرَضَ العَزِيزُ بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سَطْح الجُبِّ ، فنُصِبَ له مَضْرِبُ دِياج رومي فيه ألف ثوب بصفريّة فضة ، ونُصِبَتْ له فَازَة مُثَقَّلَةٌ وَقَبْطَةٌ مُثَقَّلَةٌ بالجواهر ، وضُرِبَ لابنه الأمير أبي عليّ مَنصور مَضْرِبٌ آخر . وعُرِضَتْ العساكرُ ، وكان عدُّتها مائة عَشْرِي ، وأقْبَلَتْ أسارى الروم وعدَّتهم مائتان وخمسون ، فطيفَ بهم . وكان يومًا عَظِيمًا حَسَنًا لم تَزَلْ العساكرُ تَسِير بين يَدَيْهِ من صُحُوة النَّهار إلى صَلاة المغرب<sup>٢</sup> .

وما زالت بِرْكَة الجُبِّ مُتَنَزِّهاً للخلفاء والملوك من بني أيُّوب ، وكان السُّلْطَانُ صلاح الدين يُوَزُّ إليها للصَّيْد ويُقيم فيها الأيام ، وفَعَلَ ذلك الملوك من بَعْدِهِ . واعتنى بها الملك النَّاصِرُ محمد بن قلاوون ، وبَنَى بها أخوانًا ومَيدَانًا كما سيأتي ذكره إن شاء الله<sup>٣</sup> .

(a) وبِرْكَة الجُبِّ وما يليها في أَدْرَاك بني صَبْرَة . وهم يُنسبون إلى صَبْرَة / بن بطيح بن مغالة بن دَعْجَان بن غَمِيْت بن الكَلْبِ بن أَيْي بن عَمْرُو بن دَمِيمَة بن حَدَس بن أَرِيْش بن أَرَاش بن جَزِيلَة ابن لَحْم . فهم أَحَدُ بَطُون لَحْم ، وفيهم بنو جُذَام بن صَبْرَة بن نَضْرَة بن غَنَم بن غَطْفَان بن سَعْد بن مالِك بن حَرَام بن جُذَام أَخِي لَحْم (a) .

### المَشْتَهَى

وكان من مواضعهم التي أُعِدَّت لِلتَّزْهَةِ المُشْتَهَى<sup>٤</sup> .

(a-a) هذه الفقرة حاشية بخط المؤلف .

= النجوم ٥: ١٨٠ هـ<sup>٢</sup> ، وفيما تقدم (٤٩٦: ١) . وعند ابن

الأثير : الكامل ١٠: ٨٢ أن هذه الواقعة كانت على كوم

الريش ، وهي بلدة فيما بين أرض البعل ومُنْبِية السَّيرج .

<sup>١</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ٢٤ - ٢٥ : المقرئ : اتعاض

<sup>٢</sup> الحنفا ٢: ٢٦٥ - ٢٦٧ .

<sup>٣</sup> أعاد المقرئ هذا الخبر فيما يلي ٢: ١٦٣ - ١٦٤ .

<sup>٤</sup> انظر فيما يلي ٢: ١٤٣ .



## ذِكْرُ الْأَيَّامِ الَّتِي كَانَ الْخُلَفَاءُ الْفَاطِمِيُّونَ

يَتَّخِذُونَهَا أَعْيَادًا وَمَوَاسِمَ تَتَّبِعُ بِهَا أَحْوَالَ الرَّعِيَّةِ وَتَكْتُمُ نِعْمَهُمْ

وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعيادٌ ومواسمٌ<sup>١</sup>، وهي: مؤيسم رأس السنة، ومؤيسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، ومولد الحسن، ومولد الحسين - عليهما السلام، ومولد فاطمة الزهراء - عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، ومؤيسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسباط رمضان، وليلة الختم، ومؤيسم عيد الفطر، ومؤيسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكشوة الشتاء، وكشوة الصيف، ومؤيسم فتح الخليج، ويوم الثوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العَدَس، وأيام الركوبات.

١٠

### مؤيسم رأس السنة

وكان للخلفاء الفاطميين اعتناءً بليلة أول المحرم في كل عام لأنها أول ليالي السنة وابتداء أوقاتها. وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يُعمل بمطبخ القصر عدّة كثيرة من الخراف المقموم، والكثير من الرؤوس المقموم، وتُفرق على جميع أزباب الرتب وأصحاب الدواوين من العوالي والأدوان أزباب السيوف والأقلام، مع جفان اللبن والخبز وأنواع الحلواء. فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته والأستاذين المحنكين إلى أزباب الضوء وهم المشاعليّة، ويتنقل ذلك في أيدي أهل القاهرة ومصر.

١٥

١٠ - ٤٦٠ - ٤٦٤؛ وكذلك مقال إسبيرونييه عن الأعياد القومية

في العصر الفاطمي Espéronnier, M., «Les fêtes civiles et les cérémonies d'origine antique sous les Fatimides d'Égypte», *Der Islam* 65 (1988), pp. 46-59؛ أمين فؤاد: المرجع السابق ٤٤٧ - ٤٦٠.

انظر حول هذا الموضوع مقال دي سميت الذي

خصّصه فقط للأعياد الشيعية في مصر الفاطمية وهي: عيد عاشوراء وعيد غدِير حُتم والموايد الستة De Smet, D., «Les fêtes Chiites en Égypte fatimide», *AOB* X (1995-96), pp. 187-96؛ أمين فؤاد: الدولة الفاطمية في مصر



## موسم أول العام

وكان لهم بأول العام عناية كبيرة، فيه يزكّب الخليفة بزیه المفتح وهيته العظيمة كما تقدم، ويفرق فيه دنائير الغرة التي مرّ ذكرها عند ذكر دار الصروب، ويفرق من السّماط الذي يُعمل بالقصر لأعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف والأقلام، بتقرير مرتّب: خرفان شواء، وزبادي طعام، وجامات خلّواء وخبز، وقطع منقوخة من سكر، وأرز بلبن وسكر. فيتناول الناس من ذلك ما يجلب وصفه، ويتبسّطون بما يصل إليهم من دنائير الغرة من رسوم الزكوب كما شرح فيما تقدم<sup>١</sup>.

## يوم عاشوراء

كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الأسواق، ويُعمل فيه السّماط العظيم المسمّى «سِمَاط الحزن». وقد ذكّر عند ذكر المشهد الحسيني فانظره. وكان يصل إلى الناس منه شيء كثير<sup>٢</sup>. فلما زالت الدولة، اتّخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور، يُوسعون فيه على عيالهم، ويتبسّطون في المطاعم، ويصنعون الحلّوات، ويتخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون ويدخلون الحمام، جزياً على عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان، ليؤغموا بذلك آناف شيعة عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه - الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن عليّ؛ لأنه قتل فيه. وقد أدركنا بقايا ممّا عمله بنو أيوب من اتّخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسّط. وكلا الفعلين غير جيّد، والصواب ترك ذلك والافتداء بفعل السلف فقط<sup>٣</sup>.

وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر<sup>٤</sup> يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الأهراء، وكتب بها إليه لئلا عاشوراء عندما أحر عنه ما كان من جاريه في الأهراء:

[الرجز]

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي      والشيد بن الشيد بن الشيد

<sup>٤</sup> أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار (ابن سعيد:

<sup>١</sup> فيما تقدم ٤٦١ - ٤٧٧.

المغرب (قسم مصر) ٢٩٦ - ٣٤٨؛ ابن شاعر: فوات

<sup>٢</sup> فيما تقدم ٤١٧ - ٤٢١.

<sup>٣</sup> راجع عن احتفال عاشوراء وصومه عند أهل السنة الوفيات ٤: ٢٧٧-٢٩٣.

<sup>٤</sup> *El*<sup>2</sup> art. 'Āshūrā I, p.



أُقِيمَ بِالْفَرْدِ الْعَلِيِّ الصَّمَدِ      إِنَّ لَمْ يُبَادِرْ لِنَجَازِ مَوْعِدِي  
لَأَحْضُرَنَّ لِلهِنَاءِ فِي عَدِ      مُكَعَّلَ الْعَيْنَيْنِ مَخْضُوبَ الْيَدِ

يُعْرَضُ لِلشَّرِيفِ بِمَا يُزَمَى بِهِ الْأَشْرَافُ مِنَ التَّشْيِيعِ ، وَأَنَّهُ إِذَا جَاءَهُ بِهِيئةَ الشُّرُورِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءِ غَاطَهُ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ مِنْ أَفْعَالِ أَهْلِ النَّصَبِ <sup>(a)</sup> . وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا سَمِعْتُهُ فِي التَّعْرِيفِ فَلِلَّهِ دَرُّهُ !

### عيد النضر

وَهُوَ السَّادِسُ عَشَرَ مِنَ الْحَرَمِ ، عَمِلَهُ الْخَلِيفَةُ الْحَافِظُ لِدِينِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ مِنَ مَحَبَّتِهِ ، وَيُفْعَلُ فِيهِ مَا يُفْعَلُ فِي الْأَعْيَادِ مِنَ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ وَالزُّيْنَةِ وَالتَّوْبِيعَةِ فِي النَّفَقَةِ <sup>١</sup> .

وَكَتَبَ فِيهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الصَّيْرَفِيِّ إِلَى بَعْضِ الْخُطَبَاءِ :

«عِيدُ النَّضْرِ ، وَهُوَ أَفْضَلُ الْأَعْيَادِ وَأَسْنَاهَا وَأَعْلَاهَا ، وَأَدْلَاهَا عَلَى تَقْصِيرِ

الْوَاصِيفِ / إِذَا بَلَغَ وَتَنَاهَى . وَنَحْنُ نَأْمُرُكَ أَنْ تَبْرُزَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ السَّادِسِ

عَشَرَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَاتِ عَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ

بِمَثَلِهَا فِي الْأَعْيَادِ ، وَتُوْعَدُ بِأَنْ تَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ الْخُطْبَةَ الَّتِي سَيَزِينَانَهَا إِلَيْكَ قَرِينِ

هَذَا الْأَمْرِ بِشَرْحِ هَذَا الْيَوْمِ وَتَفْصِيلِهِ وَذِكْرِ مَا خَصَّه اللَّهُ بِهِ مِنْ تَشْرِيفِهِ

وَتَفْضِيلِهِ ، وَتَعْتَمِدُ فِي ذَلِكَ مَا جَرَى الرَّسْمُ فِيهِ فِي كُلِّ عِيدٍ ، وَتَنْتَهِي فِيهِ إِلَى

الْغَايَةِ الَّتِي لَيْسَ عَلَيْهَا مَزِيدٌ . فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .»

### المواليذ الشنة

كَانَتْ مَوَاسِمَ جَلِيلَةً يَغْتَمُّ <sup>(b)</sup> النَّاسُ فِيهَا مَبْرَاتٍ <sup>(c)</sup> مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَخُشْكِنَانِجٍ وَحُلُوءٍ كَمَا مَرَّ

ذَكَرَهُ <sup>(d)</sup> ٢ .

(a) بولاق : الغضب . (b) بولاق : يعمل . (c) بولاق : ميزات . (d) بولاق : ذلك .

<sup>١</sup> فيما تقدم ٣٠٢ - ٣٠٣ ؛ وابن الطوير : نزهة المقلتين

<sup>٢</sup> فيما تقدم ٤٢٣ - ٤٢٥ .

٣٤ - ٣٥ ؛ المقرئزي : مسودة المواعظ ١١٢ - ١١٣ .



## ليسابي الوقود الأربع

كانت من أبهج الليالي وأحسنيها ، يُحشَر النَّاسُ لمشاهدتها من كلِّ أوب ، ويصلُّ إلى النَّاسِ فيها أنواعٌ من البرِّ ، وتَعْظُمُ فيها مميِّزة أهل الجوامع والمشاهد ، فانظره في موضعه تجده <sup>١</sup> .

## موسم شهر رمضان

وكان لهم في شهر رمضان عدَّة أنواع من البرِّ ، منها كَشَفُ المساجد . قال الشَّريفُ الجَوَّاني في كتاب «النَّقَط» : كان القضاة بمصر إذا بقيَ لشهر رمضان ثلاثة أيام ، طافوا يوماً على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر ، فيبدأون بجامع المُقَسِّ ، ثم بجوامع القاهرة ، ثم بالمشاهد ، ثم بالقرافة ، ثم بجامع مصر ، ثم بمشهد الرأس لنظر حَصِير <sup>(a)</sup> ذلك وقناديله وعمارته وإزالة شَعْبِهِ وكان أكثر النَّاسِ ، مَن يُلُوذُ بباب الحُكْمِ والشُّهُودِ والطُّفَيْليُّون ، يتعيَّنون لذلك اليوم والتَّطَوُّف <sup>(b)</sup> مع القاضي لحُضُور السُّمَاط . ١٠

## إبطال المنكرات <sup>(c)</sup>

قال ابنُ المأمون : وكانت العادة جارية من الأيام الأفضليَّة ، في آخر جمادى الآخرة من كلِّ سنة ، أن تُغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتُختَم ، ويُحذَر من بيع الخمر . فرأى الوزير المأمون لما وليَّ الوزارة بعد الأفضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك في سائر أعمال الدولة . فكتب به إلى جميع ولاة الأعمال ، وأن يُنادى بأنَّه من تعرَّض لبيع شيءٍ من المنكرات أو لشرائها سراً أو جهراً ، فقد عرَّض نفسه لتلافها ، وبرئت الذمَّة من هلاكها <sup>٢</sup> . ١٥

## ومنها غزوة رمضان

وكان في أوَّل يوم من شهر رمضان يُرسل لجميع الأمراء وغيرهم من أزياب الرُّتب والخدم ، لكلِّ واحدٍ طبق ، ولكلِّ واحدٍ من أولاده ونسائه طبق ، فيه حلواء وبوسطه صبرة

(a) بولاق : حصر . (b) بولاق : الطواف . (c) بولاق : المنكرات .



من ذهب . فيعم ذلك سائر أهل الدولة ، ويُقال لذلك : «غرة رمضان» .

### ومنها ركوب الخليفة في أول شهر رمضان

قال ابن الطوير : فإذا انقضى شعبان ، اهتم بركوب أول شهر رمضان - وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين - فيجري أمره في اللباس والآلات والأسلحة والعروض والركوب والترتيب والمؤكب والطريق المشلوكة ، كما وصفناه في أول العام ، لا يختل بوجهه ويكتب إلى الولاة والثواب والأعمال بمساطر مخلقة يُذكر فيها ركوب الخليفة<sup>١</sup> .

### ومنها سماء شهر رمضان

وقد تقدم ذكر السماط في قاعة الذهب من القصر<sup>٢</sup> .

### سحور الخليفة

قال ابن المأمون - وقد ذكر أسبطة رمضان وجُلوس الخليفة بعد ذلك في الرؤسن إلى وقت السحور ، والمقرئون تحته يتلون عشرًا ويُطربون بحيث يُشاهدتهم الخليفة - : ثم حضر بعدهم المؤذنون وأخذوا في التكبير وذكر فضائل السحور ، وختموا بالدعاء ، وقدمت الخاد للوعاظ ، فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات ، وقام كل من الجماعة للرقص ؛ ولم يزالوا إلى أن انقضى من الليل أكثر من نصفه ، فحضر من<sup>٣</sup> بين يدي الخليفة أستاذ بما أنعم به عليهم وعلى الفراشين ، وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلاب برسيمهم ، فأكلوا وملاوا أكمامهم ، وفضل عنهم ما تحطفه الفراشون .  
ثم جلس الخليفة في السدلا<sup>٣</sup> التي كان بها عند الفطور ، وبين يديه المائدة معبأة بجميعها من جميع الحيوان وغيره ، والقعبة الكبيرة الخاص مملوءة أوساط بالهئة المعروفة ، وحضر الجلساء

(a) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> (الجواليقي : المعرب ٢٣٥) . وذكر ابن منظور أن السدلي

<sup>١</sup> ابن الطوير : نزهة المقتنين ١٧١ .

على فعلني معرب وأصله بالفارسية سهذلة ، كأنه ثلاثة بيوت في

<sup>٢</sup> فيما تقدم ١ : ٣٨٧ .

بيت كالحيري بكئين (لسان العرب ١٣ : ٣٥٥) . =

<sup>٣</sup> السدلا ويقال : السهدلي والسدلي : لفظ فارسي معرب



واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه ، وأوماً الخليفة بأن يُشتغل من القعبة فيفترق الفراشون عليهم أجمعين . وكل من تناول شيئاً قام وقبل الأرض وأخذ منه على سبيل البركة لأولاده وأهله - لأن ذلك كان مستفاضاً عندهم غير معيب على فاعله - ثم قُدمت الصُحونُ الصيني مملوءة قطائف ، فأخذ منها الجماعة الكفاية .

وقام الخليفة وجلس بالبادهنج ، وبين يديه الشحورات المطيبات من لبابين<sup>(a)</sup> رطب ومحمص<sup>(b)</sup> ، وعدة أنواع عصارات وأقطلوات ، وسويق ناعم وجريش جميع ذلك بقلوبات وموز ، ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سُفوفاً . وحضر الجلساء ، وأخذ كل منهم في تقبيل الأرض والسؤال بما يُنعم عليه منه . فتناولوه المستخدمون والأستاذون / وفرقوه ، فأخذ القوم في أكمامهم ، ثم سلم الجميع وانصرفوا<sup>(c)</sup> .

٤٩٢:١

### ومنها الختم في آخر رمضان

وكان يُعمل في التاسع والعشرين منه ،<sup>(c)</sup> الأضل في عمل الختم في شهر رمضان ما رواه ابن وهب : حدثني يحيى بن أزر عن الحجاج بن شداد ، أن أبا صالح سعيد بن عبد الرحمن الغفاري أخبره أن أبا هريرة كان إذا كانت ليلة ثلاث وعشرين من رمضان ذبح جزرة فعرقها ثم أحضر أهل الصغير منهم والكبير ليلة ثلاث وعشرين<sup>(c)</sup> . قال ابن المأمون : ولما كان التاسع والعشرين من شهر رمضان ، خرج الأمر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم الشحور ، بحكم أنها ليلة ختم الشهر . وحضر الأجل الوزير المأمون في آخر النهار إلى القصر للقطور مع الخليفة والحضور على الأسيطة على العادة ، وحضر إخوته وعمومته وجميع الجلساء ، وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عاداتهم ، وجلسوا تحت الرؤشن .

وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور ثلاثي وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة في عراضي ديبقي ، وجعلت<sup>(d)</sup> أمام المذكورين لتشملها بركة ختم القرآن

(a) بولاق : لبين . (b) بولاق : مخص . (c-c) حاشية بخط المؤلف . (d) بولاق : جعلها .

= والسيداً الفاطمية أشبه ببناء مغلق من ثلاثة جوانب ومفتوح على التقريب في وسط القصر بين باب العيد وباب البحر .  
من الجانب الرابع حيث كان يوجد «الشباك» . وكانت تقع  
١ ابن المأمون : أخبار مصر ٨٢-٨٣ .



الكريم، واستفتَحَ المُقَرَّبُونَ من الحَمْدِ إلى خاتِمةِ القُرْآنِ تِلاوَةً وَتَطْرِيحًا.

ثم وَقَفَ بعد ذلك من خَطْبِ فَأَسْمَعَ، وَدَعَا فَأَبْلَغَ، وَرَفَعَ الْفَرَّاشُونَ ما أَعَدُّوه بِرِسْمِ الْجِهَاتِ، ثم كَبَّرَ الْمُؤَذِّنُونَ وَهَلَّلُوا، وَأَخَذُوا فِي الصُّوفِيَّاتِ إلى أن نُثِرَ عَلَيْهِمَ مِنَ الرَّوْشَنِ دَنَانِيرٌ وَدَرَاهِمٌ وَرُبَاعِيَّاتٌ، وَقُدِّمَتْ جِفَانُ الْقَطَائِفِ على الرِّسْمِ مع البَسَنْدُودِ وَالْحَلْوَاءِ، فَجَرَّوْا على عَادَتِهِمْ وَمَلَأُوا أَكْمامَهُمْ. ثم خَرَجَ أُسْتَاذٌ من باب الدَّارِ الجَدِيدَةِ بِخَلْعٍ خَلَعَهَا على الخَطِيبِ وَغَيْرِهِ، وَدَرَاهِمٌ تُفَرَّقُ على الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَالْمُؤَذِّنِينَ<sup>١</sup>.

### ذِكْرُ مَذَاهِبِهِمْ فِي أَوَائِلِ الشُّهُورِ<sup>(a)</sup>

اعْلَمَ أَنَّ الْقَوْمَ كانوا شِيعَةً، ثم غَلَّوْا حتى عُذُّوا من غُلَاةِ أَهْلِ الرَّفْضِ. وللشَّيْعَةِ في أثناءِ الشُّهُورِ عَمَلٌ أَحْسَنُ ما رَأَيْتُ فِيهِ ما حَكَاهُ أَبُو الرَّيْحَانِ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ البَيْرُونِيُّ في كِتَابِ «الآثارِ الباقِيَةِ عن القُرُونِ الخالِيَةِ» قال: <sup>(b)</sup> ثم منذ سنين نَبَتَتْ نَابِتَةٌ وَنَجَمَتْ نَاجِمَةٌ وَنَبَغَتْ فِرْقَةٌ جاهليَّةٌ فَتَنَظَرُوا إلى <sup>(b)</sup> أَخَذِهِمَ بالتَّأْوِيلِ، <sup>(c)</sup> وَوُلُوعِهِمَ بِسَبَبِ الآخِذِينَ بِالظَّاهِرِ بِزَعْمِهِمْ<sup>(c)</sup> إلى اليَهُودِ والنَّصَارَى، فإذا لَهُمَ جَدَاوِلٌ وَحُسباناتٌ يَسْتَخْرِجُونَ بِها شَهْرَهُمْ، وَيَعْرِفُونَ مِنْها صِيامَهُمْ - والمُسلمُونَ مُضْطَرِّفُونَ إلى رُؤيةِ الهِلالِ، وَتَفَقُّدُ ما اِكْتَسَاهُ القَمَرُ مِنَ النُّورِ <sup>(c)</sup> وَاشْتِرَاكَ بَيْنَ نِصْفِهِ المَرْتَبِيِّ وَنِصْفِهِ المَسْتَوْرِ<sup>(c)</sup> - وَوَجَدُوهُمُ شاكِّينَ في ذلك، مُخْتَلِفِينَ فِيهِ، مَقْلُدِينَ بَعْضُهُمَ بَعْضًا في عَمَلِ رُؤيةِ الهِلالِ بِطَرِيقِ الرُّيُجَاتِ.

فَرَجَعُوا<sup>(d)</sup> إلى أَصْحابِ عِلْمِ الهَيْبَةِ، فَالْفُؤُوا زِيجاتَهُمْ وَكُتُبَهُمْ مَفْتُوحَةً بِمَعْرِفَةِ أَوَائِلِ ما يُرادُ مِنَ شُهُورِ العَرَبِ بِصُنُوفِ الحُسباناتِ <sup>(c)</sup> وَأَنْواعِ الجَدَاوِلِ<sup>(c)</sup>، فَظَنُّوا أَنَّها مَعْمُولَةٌ لِرُؤيةِ الأَهْلِ، فَأَخَذُوا بِعَضِّها وَنَسَبُوهُ إلى جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ سِرٌّ مِنْ أَسْرارِ النُّبُوَّةِ. وتلكِ الحُسباناتُ مَبْنِيَّةٌ على حَرَكَاتِ النُّيُزِينَ<sup>(e)</sup> الوُسْطَى دونَ <sup>(c)</sup> المُعَدَّلَةِ - أو مَعْمُولَةٌ على أن<sup>(c)</sup> سَنَةُ القَمَرِ التي هي ثلاثُ مائةٍ وأربَعَةٍ وخمسونَ يَوْمًا وَخُمْسَ يَوْمٍ وَشُدُسَ يَوْمٍ، وَأَنَّ سَنَةَ

(a) بولاق: أول. (b-b) بولاق: وفي سنين من الهجرة نجت نجمة لأجل، والعبارة المثبتة من الآثار الباقية

للبيروني. (c-c) زيادة من الآثار الباقية. (d) عند البيروني: ثم رجعوا. (e) بولاق: التدبير.

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٨٣، وفيما تقدم ٤٨١ - ٤٨٢.



أشهر من السنة تامة، وستة أشهر ناقصة، وأن كل ناقص منها فهو تالي لتام. فلما قصدوا استخراج (أ) أول الصوم وأول (أ) الفطر بها، خرجت قبل الواجب يوم في أغلب الأحوال، فأولوا قوله عليه السلام: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته». وقالوا: معنى صوموا لرؤيته، أي صوموا اليوم الذي يري الهلال (ب) في عشيته، كما يقال تهيأوا لاستقباله، فيقدم التهيؤ على الاستقبال. قالوا (ج): و(أ) إن شهر (أ) رمضان لا ينقص عن ثلاثين يوماً أبداً<sup>١</sup>.

### قافلة الحاج

قال في كتاب «الذخائر والتحف»: إن المتفق على الموسم كان في كل سنة تُسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار: منها ثمن الطيب والخلوق (د) والشمع راتياً في كل سنة عشرة آلاف دينار، ومنها نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة أربعون ألف دينار، ومنها في ثمن الحمايات والصدقات وأجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وأمير (ع) الموسم وتخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار. وأن النفقة كانت في أيام الوزير اليازوري قد زادت في كل سنة، وبلغت إلى مائتي ألف دينار، ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول<sup>٢</sup>.

### موسم عيد الفطر

وكان لهم في موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات: منها تفرقة الفطرة، وتفرقة الكسوة، وعمل السباط، وركوب الخليفة لصلاة العيد. وقد تقدم ذكر ذلك كله فيما سبق<sup>٣</sup>.

(a-a) زيادة من البيروني (b) زيادة من البيروني (c) بولاق: قال (d) بولاق: الحلواء (e) بولاق: كبير.

<sup>١</sup> البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية ٦٤-٦٥، والبيروني توفي سنة ٤٤٠ هـ فقوله: ثم منذ سنين نبت... وصل إلينا.  
<sup>٢</sup> لا وجود لهذا النص في الذخائر والتحف الذي  
<sup>٣</sup> فيما تقدم ٢٩٣-٢٩٤، ٤٠١، ٤٠٥-٤٧٨، - تقدم ٤٨٩.  
٤٩٤.



## عيد النحر

فيه تفرقة الرؤوم من الذهب والفضة ، وتفرقة الكسوة لأزباب الخدم من أهل السيف والقلم ، وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد ، وفيه تفرقة الأضاحي <sup>(a)</sup> وعمل الأسمطة <sup>(a)</sup> ، كما مر ذلك مبيّنًا في موضعه من هذا الكتاب <sup>١</sup> .

## عيد القدير

فيه تزويج الأيامي ، وفيه الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وأمرائها وضيوفها والأستاذين المحنكين والمتميزين ، وفيه النحر أيضًا وتفرقة التحاير على أزباب الرؤوم ، وعشق/ الرقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم <sup>٢</sup> .

٤٩٣:١

## كسوة الشتاء والصيف

١٠ وكان لهم في كل من فصلي الشتاء والصيف كسوة تُفرق على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم . وقد مرّ ذكر ذلك <sup>٣</sup> .

## موسم فتح الخراج

١٥ وكانت لهم في موسم فتح الخليج وجوة من البر : منها الركوب لتخليق المقياس ، ومبيت القراء بجامع المقياس ، وتشريف ابن أبي الرّداد بالخلع وغيرها ، وركوب الخليفة إلى فتح الخليج ، وتفرقة الرؤوم على أزباب الدولة من الكسوة والعين والمآكل والتحف . وقد تقدم تفصيل ذلك <sup>٤</sup> .

---

(a-a) ساقطة من بولاق .

<sup>١</sup> فيما تقدم ٤٣٦:١ - ٤٣٨ .

<sup>٢</sup> فيما تقدم ٢٩٨ - ٣٠٥ .

<sup>٣</sup> فيما تقدم ٣٥٩ .

<sup>٤</sup> فيما تقدم ٥٣٨ - ٥٥١ .



## ذِكْرُ التُّورُوزِ

وكان التُّورُوزُ القِبْطِيُّ في أيامهم من جُمْلَةِ المَوَاسِمِ ، فَتَتَعَطَّلُ فِيهِ الأَسْوَاقُ وَيَقِلُّ فِيهِ سَعْيُ النَّاسِ فِي الطَّرِيقَاتِ ، وَتُفَرِّقُ فِيهِ الكُشُورَةَ لِرِجَالِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَأَوْلَادِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَالرُّسُومَ مِنَ المَالِ وَحَوَائِجِ التُّورُوزِ

قال ابنُ زُولاقي : وفي هذه السَّنَةِ - يعني سنة ثلاث وستين وثلاث مائة - مَنَعَ المُعِزُّ لِدِينِ اللهِ مِنْ وَقُودِ النَّيِّرَانِ لَيْلَةَ التُّورُوزِ فِي السُّكَّكَ ، وَمِنْ صَبِّ المَاءِ يَوْمَ التُّورُوزِ <sup>١</sup> .

وقال في سنة أربع وستين وثلاث مائة : وفي يوم التُّورُوزِ زَادَ اللَّعِبُ بِالمَاءِ وَوَقُودِ النَّيِّرَانِ ، وَطَافَ أَهْلُ الأَسْوَاقِ ، وَعَمِلُوا فَيْلَةً وَخَرَجُوا إِلَى القَاهِرَةِ بِلَعِبِهِمْ ، وَلَعِبُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَظْهَرُوا السَّمَاجَاتِ <sup>٢</sup> وَالحُلِيِّ فِي الأَسْوَاقِ . ثُمَّ أَمَرَ المُعِزُّ بِالنَّدَاءِ بِالكَفِّ ، وَأَلَّا تُوقَدَ نَارٌ ، وَلَا يُصَبَّ مَاءٌ ، وَأُخِذَ قَوْمٌ فَحَبِسُوا وَأُخِذَ قَوْمٌ فَطِيفَ بِهِمْ عَلَى الجِمالِ <sup>٣</sup> .

وقال ابنُ مَيْسَرٍ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ : وَفِيهَا أَرَادَ الأَمِيرُ بِأَحْكَامِ اللهِ أَنْ يَخْضُرَ إِلَى دارِ المُلْكِ فِي التُّورُوزِ الكائِنِ فِي جُمادَى الآخِرَةِ فِي المَرَاكِبِ ، عَلَى ما كان عليه الأَفْضَلُ بنُ أميرِ الجُيُوشِ ، فَأَعَادَ المَأْمُونُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ ، فَإِنَّ الأَفْضَلَ لَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مَجْرَى الحَلِيفَةِ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ الفَاخِرَةِ بِرِسْمِ التُّورُوزِ لِلجِهَاتِ ما له قِيمَةٌ جَلِيلَةٌ <sup>٤</sup> .

وقال ابنُ المَأْمُونِ : وَحَلَّ مَوْسِمُ التُّورُوزِ فِي التَّاسِعِ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ مِائَةٍ ، وَوَصَلَتْ الكُشُورَةُ المَخْتَصَّةُ بِهِ مِنَ الطَّرَازِ وَتَغْرَ الإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، مَعَ ما يُنْتِجُ مِنَ اللِّذَاتِ <sup>(a)</sup> المَذَهَبَةِ وَالحَرِيرِي وَالسَّوَادِجِ ، وَأُطْلِقَ جَمِيعُ ما هُوَ مُسْتَقَرٌّ مِنَ الكُشُورَاتِ الرُّجَالِيَّةِ وَالنِّسَائِيَّةِ وَالعَيْنِ وَالعُورِقِ ، وَجَمِيعِ الأَصْنَافِ المَخْتَصَّةِ بِالمَوْسِمِ عَلَى اِخْتِلَافِهَا بِتَفْصِيلِهَا وَأَسْمَاءِ أَرْبَابِهَا .

(a) بولاق : المذاب .

<sup>١</sup> ابن ميسر : أخبار مصر ٩٢ ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا

فيما تقدم ١ : ٧٢٧ .

٨٧ : ٣ .

<sup>٢</sup> انظر عن السماجات فيما تقدم ١ : ٥٦٤ .<sup>٣</sup> اللاذ ج. اللاذات . نسيج حرير أحمر .<sup>٣</sup> فيما تقدم ١ : ٧٢٧ .



وأصناف التوروز: البطيخ، والرمان، وعراجين الموز، وأفراد البشر، وأقفاص التمر القوصي، وأقفاص السفرجل، وبُكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر، من كل لون بكلة مع خبز برّ مازق<sup>١</sup>.

قال: وأحضر كاتب الدفتر الإثباتات بما جرت العادة به من إطلاق العين والورق والكشوات على اختلافها في يوم التوروز، وغير ذلك من جميع الأصناف، وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة، والكشوات عدّة كثيرة من شقق ديبقي مذهبات وخريرات ومعاجر وعصائب يساويّات<sup>(a)</sup> ملوّنات وشقق لاذ مذهّب وخريري ومشفّع، وقوط ديبقي خريري. فأما العين والورق والكشوات، فذلك لا يخرج عن تحوزة القصور ودار الوزارة والشيوخ والأصحاب والخواشي والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبحارتها، ولم يكن لأحد من الأمراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب.

وأما الأصناف من البطيخ والرمان والبشر والتمر والسفرجل والعناب والهرايس على اختلافها، فيشمل ذلك جميع من تقدّم ذكرهم، ويشركهم في ذلك جميع الأمراء أرباب الأطواق والأقصاب وسائر الأماثل، وقد تقدّم شرح ذلك، فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك بالإتفاق<sup>٢</sup>.

وقال القاضي الفاضل في «تغليق المتجددات» لسنة أربع وثمانين وخمسة مائة: يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم التوروز القبطي، وهو مستهل ثوت - وثوت أول سنتهم - وقد كان بمصر في الأيام الماضية والدولة الخالية - يعني دولة الخلفاء الفاطميين - من موايسم بطالاتهم، ومواقيت ضلالتهم. فكانت المنكرات ظاهرة فيه، والقواجش صريحة في يومه. ويؤكد فيه أمير مؤسوم بأمير التوروز ومعه جمع كبير<sup>(b)</sup>، ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبته على دور الأكابر بالجمل الكبار، ويكتب مناشير، ويندب مترسّمين، كل ذلك يخرج مخرج الظنن<sup>(c)</sup>، ويقنع بالميسور من الهبات.

(a) بولاق: مشاومات. (b) بولاق: كثير. (c) بولاق: الطيز.

<sup>٣</sup> الظنن: السخرية.

<sup>١</sup> انظر فيما تقدم ١: ٧٢٧-٧٢٨.

<sup>٢</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٦٥، وفيما تقدم ١: ٧٢٨.



وَيَجْمَعُ الْمُؤْتُونَ وَالْفَاسِقَاتُ تَحْتَ قَصْرِ اللُّؤْلُؤَةِ بِحَيْثُ يُشَاهِدُهُمُ الْخَلِيفَةُ ، وَبِأَيْدِيهِمُ الْمَلَاهِي ، وَتَرْتَفِعُ الْأَصْوَاتُ ، وَتُشْرَبُ الْخَمْرُ وَالْمِزْرُ شُرْبًا ظَاهِرًا بَيْنَهُمْ وَفِي الطَّرِيقَاتِ ، وَيَتَرَاشُ النَّاسُ بِالْمَاءِ ، وَبِالْمَاءِ وَالْخَمْرِ ، وَبِالْمَاءِ مَمْرُوجًا بِالْأَقْدَارِ . فَإِنْ غَلِطَ مَسْتَوْرٌ وَخَرَجَ مِنْ دَارِهِ ، لَقِيَهُ مَنْ يَرُشُّهُ وَيُفْسِدُ ثِيَابَهُ ، وَيَسْتَخْفُ بِخُرْمَتِهِ ، فَإِمَّا قَدَى نَفْسِهِ وَإِمَّا فُضِحَ . وَلَمْ يَجْرُ/ الْحَالُ فِي هَذَا النَّوْرُوزِ عَلَى هَذَا ، وَلَكِنْ قَدْ رُشَّ الْمَاءُ فِي الْحَارَاتِ ، وَأُخِيَا الْمُنْكَرُ فِي الدُّورِ أَرْبَابُ الْخُسَارَاتِ ١ .

وَقَالَ فِي [مَتَجَدِّدَات] <sup>a</sup> سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ : وَجَزَى الْأَمْرُ فِي النَّوْرُوزِ عَلَى الْعَادَةِ مِنْ رَشِّ الْمَاءِ ، وَاسْتُجِدَّ فِيهِ هَذَا الْعَامُ التَّرَاجُمُ بِالْبَيْضِ وَالتَّصَافِحُ بِالْأَنْطَاعِ ، وَانْقَطَعَ النَّاسُ عَنِ التَّصَرُّفِ ، وَمَنْ ظَفِرَ بِهِ فِي الطَّرِيقِ رُشٌّ بِمِيَاهِ نَجِسَةٍ وَخُرِقَ بِهِ ٢ .

وَقَالَ كَاتِبُهُ <sup>b</sup> : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ النَّوْرُوزَ جَمَشِيدَ - وَيُقَالُ فِي اسْمِهِ أَيْضًا : جَمَشَادَ - أَحَدُ مُلُوكِ الْفُرْسِ الْأَوَّلِ ، وَمَعْنَاهُ : «الْيَوْمُ الْجَدِيدُ» . وَلِلْفُرْسِ فِيهِ آرَاءٌ وَأَعْمَالٌ عَلَى مُصْطَلَحِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ .

وَقَدْ صَنَّفَ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْأَصْفَهَانِي كِتَابًا مَفِيدًا فِي أَعْيَادِ الْفُرْسِ ٣ .

وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ ، مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي رَدَّ اللَّهُ فِيهِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ خَاتَمَهُ يَوْمَ النَّوْرُوزِ ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينُ بِالتَّحْفِ ، وَكَانَتْ تُحْفَةُ الْخَطَّاطِيْفِ أَنْ جَاءَتْ بِالْمَاءِ فِي مَنَاقِيرِهَا فَرَشَّتْهُ بَيْنَ يَدَيْ سُلَيْمَانَ . فَاتَّخَذَ النَّاسُ رَشَّ الْمَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ٤ .

وَعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ : سُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ نَيْرُوزًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَافَقَ هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ النَّيْرُوزَ ، فَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَتِيْمُنُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَاتَّخَذُوهُ عِيدًا ، وَكَانُوا يَرُشُّونَ الْمَاءَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَيُهْدُونَ كِفْعَلَ الْخُطَّافِ ، وَيَتِيْمُنُونَ بِذَلِكَ .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

(a) إضافة مما تقدم . (b) بولاق : مؤلفه .

<sup>١</sup> فيما تقدم ١ : ٧٢٨ - ٧٢٩ . <sup>٣</sup> أورد المقرئ ذلك فيما تقدم ١ : ٧٢٦ نقلًا من كتاب

<sup>٢</sup> المقرئ : السلوك ١ : ١٣٦ - ١٣٧ ، وفيما تقدم «أعياد الفرس» لحمزة الأصفهاني .

<sup>٤</sup> فيما تقدم ١ : ٧٢٥ .

١ : ٧٢٩ .



[البيط]

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سَكْنِي  
فناؤه كلهب النار في كَيْدِي  
وكل ما فيه يحكيني وأحكيه  
وماؤه كتوالي دَمْعِي فِيهِ

وقال آخر :

٥ [الرميل]

نَوَّرَ النَّاسُ وَنَوَّرَ  
وَذَكَتْ نَارُهُمُ وَالنَّارُ  
ثُ وَلَكِنْ بِدُمُوعِي  
سَارُ مَا بَيْنَ ضُلُوعِي

وقال غيره :

[الطويل]

ولما أتى النوروز يا غَايَةَ الْمُنَى  
بَعَثَتْ بِنَارِ الشُّوقِ لَيْلًا إِلَى الْحَشَى  
وأنت على الإغراض والهجر والصد  
فتوززت صبغًا بالدموع على الحد

## الميلاد

وهو اليوم الذي وُلِدَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
والتُّصَارِيُّ تَتَّخِذُ لَيْلَةَ يَوْمِ الْمِيلَادِ عِيدًا ، وَتَعْمَلُهُ قِبْطُ مِصْرَ فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ كَيْهَكَ ، وَمَا  
بَرِيحَ لِأَهْلِ مِصْرَ بِهِ اعْتِنَاءً .

١٥

وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الجَمَامَاتِ المملوءة من الحلاوات القاهرية ، والمتارد  
التي فيها السَّمَكُ ، وَقَرَابَاتِ الْجَلَّابِ وَطَيَافِيرِ الزُّلَايَةِ وَالبُورِي . فيشمل ذلك أرباب الدولة  
أصحاب الشيوف والأقلام ، بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون في تاريخه<sup>٢</sup> .

## الغطاس

٢٠ ومن مواسم النَّصَارِيِّ بِمِصْرَ عَمَلُ الْغِطَاسِ فِي الْيَوْمِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ طُوبَةِ .  
قال المشعُودِي فِي «مُرُوجِ الذَّهَبِ» : وَلِللَّيْلَةِ الْغِطَاسِ بِمِصْرَ شَأْنٌ عَظِيمٌ عِنْدَ أَهْلِهَا لَا يَنَامُ النَّاسُ  
فِيهَا ، وَهِيَ لَيْلَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنْ طُوبَةِ . وَلَقَدْ حَضَرْتُ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثَ مِائَةِ لَيْلَةَ الْغِطَاسِ بِمِصْرَ

١ فيما تقدم ١: ٧٢٩ .  
صبح ٢: ٤٢٦ ؛ وفيما تقدم ١: ٧١٧ .

٢ ابن المأمون : أخبار مصر ١٠٤ ، وقارن الفلقشندي :



والإخشيدي محمد بن طنج في داره المعروفة بالمختار في الجزيرة الراكبة على النيل، والنيل مطيّف بها. وقد أمر فأُشْرِجَ من جانب الجزيرة وجانب القُسطاط ألف مشعل غير ما أُشْرِجَ أهل مصر من المشاعل والشُّمع.

وقد حَضَرَ النيل في تلك الليلة مئو ألف من الناس من المسلمين والنَّصارَى، منهم في الزواريق، ومنهم في الدُّور الدانية من النيل، ومنهم على الشُّطوط. لا يتناكرون [الحضور ويُظهرون]<sup>(a)</sup> كل ما يمكنهم إظهاره في المأكِل والمشارِب [والملايس]<sup>(a)</sup> وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف. وهي أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سُروراً، ولا تُغلق فيها الدُّروب، ويُغَطس أكثرهم في النيل، ويَزْعَمون أن ذلك أمان من المرَض ونُشْرَة للداء<sup>١</sup>.

وقال المُسَبِّحِي في سنة ثمانٍ وثمانين وثلاث مائة: كان غِطاسُ النَّصارَى، فضربت الخيام والمضارب والأشْرَعَة في عدّة مواضع على شاطئ النيل، فنصبت أسيرة للرئيس فهد بن إبراهيم النَّصراني كاتب الأستاذ بَرْجوان، وأوقدت له الشُّموع والمشاعل، وحضَرَ المغنُّون والمُلهون، وجلس مع أهله يشرب إلى أن كان وقت الغِطاس، فغَطس وانصرفت<sup>٢</sup>.

وقال في سنة خمس عشرة وأربع مائة: وفي ليلة الأربعاء رابع ذي القعدة، كان غِطاسُ النَّصارَى، فجَزَى الرَّسْم من الناس في شراء القوايك والضَّان وغيره، ونزل أمير المؤمنين الظَّاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم لقصر جدّه العزيز بالله بمصر، لنظر الغِطاس ومعه الحرَم.

ونودي ألا يختلط المسلمون مع النَّصارَى عند نزولهم إلى البحر في الليل، وضربت بدو الدولة الخادم الأسود، متولّي الشرطتين خيمة عند الجسر/ وجلس فيها.

وأمر الخليفة الظَّاهر لإعزاز دين الله بأن تُوقد المشاعل والنار في الليل، فكان وقيداً كثيراً، وحضَرَ الرهبان والقُسوس بالصُّلبان والنيران، فقَسَّسوا هناك طويلاً إلى أن غَطسوا<sup>٣</sup>.

(a) إضافة من مروج الذهب.

<sup>١</sup> المسعودي: مروج الذهب ٦٩:٢ - ٧٠؛ وفيما تقدم ٧١٨:١.

<sup>٢</sup> المسبّحي: أخبار مصر ٧٠؛ وفيما تقدم ٧١٩:١.

<sup>٣</sup> المسبّحي: نصوص ضائعة ١٨-١٩، وفيما تقدم



وقال ابن المأمون: إنه كان من رسوم الدولة أنه يُفَرَّق على سائر أهل الدولة التُّرُجُج والتَّارِجُج والليثيون المراكبي، وأطنان القصب والسَّمَك البوري، برُسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيف والأقلام<sup>١</sup>.

### خميس العهد

ويُسَمِّيهِ أهل مصر من العائمة خميس العَدَس، ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام، ويتهادون فيه. وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خميس العَدَس ضرب خمس مائة دينار ذهباً عشرة آلاف خرووبة، وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدّم<sup>٢</sup>.

### أيام الركوبات

وكان الخليفة يركب في كل يوم سبب وثلاثاء إلى مُتَنَزَّهَاتِهِ بالبساتين والتَّاج وَقُبَّة الهَوَاء والخمس وجوه وبُشْتَان البغل ودار الملك ومنازل العز والروضة، فيعمُّ النَّاس في هذه الأيام من الصَّدَقَات أنواع ما بين ذهب وماكِل وأشربة وحلاوات، وغير ذلك كما تقدّم بيانه في موضعه من هذا الكتاب<sup>٣</sup>.

### صلاة الجمعة

وكان الخليفة يركب في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس: في جامع القاهرة - الذي يُعرَف بالجامع الأزهر - مرّة، وفي جامع الخطبة - المعروف بالجامع الحاكمي - مرّة، وفي جامع عمرو بن العاص بمصر أخرى. فينال النَّاس منه في هذه الجُمُع الثلاث رُسوم وهبات وصدقات، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى عند ذِكر الجامع الأزهر<sup>٤</sup>.

ولله درُّ الفقيه عُمارة اليمنى، فقد صمَّن مرثيته أهل القصر جُملاً ممَّا ذِكر؛ وهي

<sup>١</sup> ابن المأمون: أخبار مصر ٦٣؛ وفيما تقدم ١: ٧١٩.

<sup>٢</sup> فيما تقدم ١: ٧١٩ - ٧٢٠.

<sup>٣</sup> فيما تقدم ٥٦٢ - ٥٧٦.

<sup>٤</sup> ذكر المقرئ هيبة صلاة الجمعة في أيام الخلفاء

الفاطميين فيما يلي ٢: ٢٨٠ - ٢٨٢ عند ذكر الجامع الأنور

(جامع الحاكم) لا الجامع الأزهر.



القصيدَةُ التي قال ابنُ سعيد فيها : «ولم يُسمع في ما بُكيت به<sup>a</sup> دولةٌ بعد انقراضِها أحسن منها»<sup>١</sup> :

[السيط]

وجيدُهُ بعد حُسن الحلي بالعطلِ  
قدّرت من عثرات الدهرِ فاستقلِ  
ينفكُ ما بين قزع الشين والحجلِ  
شقيتُ ، مهلاً أما تمشي على مهلِ  
على فجيعتها في أكرم الدولِ  
من المكارم ما أرتى على الأملِ  
كَمالِها أنها جاءت ولم أسلِ  
رأس الحِصانِ بهاديه على الكفلِ  
وخلة حُرست من عارض الخللِ  
لك الملامة إن قصرت في عدلي  
عليهما لا على صفيين والجميلِ  
فيكم جراحي ولا قرحي بمندملِ  
في نسل آل أمير المؤمنين علي  
ملكتمو بين حكم الشبي والنقلِ  
محمّد وأبوكم غير مُنتعلِ  
من الوفودِ وكانت قبلة القبلِ  
من الأعادي ، ووجه الودِّ لم يملِ  
رحابكم وعدت مهجورة السبلِ  
حال الزمان عليها وهي لم تحلِ  
واليوم أوحش من رسمٍ ومن طللِ  
تشكو من الدهر حيفاً غير مُحتملِ

رَميت يا دهرُ كفَّ المجدِ بالسَّلِ  
سَعيت في منهج الرأى العثورِ فإن  
جدعت مارنك الأفتى فأنفك لا  
هدمت قاعدة المعروف عن عجلِ  
لهفي ولهف بني الآمالِ قاطبةً  
قدمتُ مضراً فأولتني خلائفها  
قومٌ عرفتُ بهم كسب الألفِ ومن  
وكنتُ من وزرء الدُست حين سَمَا  
ونلتُ من عظماء الجيش مكرمةً  
يا عاذلي في هوى أبناءِ قاطمةِ  
بالله! زُر ساحة القصرين واثك معي  
وقل لأهليهما : والله ما التَحمتُ  
ماذا عسى كانت الإفرنجُ فاعلةً  
هل كان في الأمر شيءٌ غير قسمة ما  
وقد حصلتم عليها ، واسمُ جدكم  
مررتُ بالقصر والأركان خاليةً  
فملتُ عنها بوجهي خوفٌ مُتقيدِ  
أسبلتُ من أسفي دَمعي غداة خلت  
أبكي على مآثرات من مكارمكم  
(دار الضيافة) كانت أنس وافدكم  
(فطرة الصوم) إذا أضحت مكارمكم

(a) بولاق : فيما يكتب في .

<sup>١</sup> نص ابن سعيد (النجوم الزاهرة ٩٨) : «ولم أسمع في ما بُكيت به دولة بعد انقراضها أحسن من قصيدة عمارة اليميني» .



و(كشوة الناس) في الفضلَيْن قد دَرَسَتْ  
ومؤسِسَم كان في (يَوْم الخَلِيج) لَكُمْ  
و(أَوَّل العام) و(العِيدَيْن) كَمْ لَكُمْ  
/والأَرْضُ تَهْتَرُ في (يَوْم العَدِيدِ) كما  
والخَيْلُ تُعْرَضُ في وَشِي وفي شِيَّةِ  
وما<sup>(a)</sup> حَمَلْتُمْ فَرَى الأَضْيَافِ من سَعَةِ الأَطْ  
وما خَصَصْتُمْ بِيْرَ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ  
كانت رَوَاتِبِكُمْ للذمتين وللض  
ثم (الطَّرَانُ) يَتَنَسَّ الذي عَظُمَتْ  
ولللجوامع من إِحْسَانِكُمْ<sup>(b)</sup> نِعَمٌ  
ورُبَّمَا عَادَتْ الدُّنْيَا فَمَعْقِلُهَا  
والله! لا فَازَ يَوْمَ الحَشْرِ مُبَغِضُكُمْ  
ولا سَقِي المَاءَ من حَرٍّ ومن ظَمًا  
ولا رَأَى جَنَّةَ الله التي خُلِقَتْ  
أَيْمَتِي وَهَدَاتِي والدَّخِيرَةُ لي  
تالله لم أَوْفَهُم في المَدْحِ حَقَّهُمْ  
ولو تَضَاعَفَتْ الأَقْوَالُ وَاتَّسَعَتْ  
بَابُ النُّجَاةِ هُمْ دُنْيَا وَأَحْرَةُ  
نُورُ الهُدَى وَمَصَابِيحُ الدُّجَى وَمَحْ  
أَيْمَةٌ خُلِقُوا نُورًا فَنُورُهُمْ  
والله ما زِلْتُ عن حُبِّي لَهُمْ أَبَدًا

وبسبب هذه القصيدة قُتِلَ عُمَارَةُ - رحمه الله - وتُحِلَّتْ له الذُّنُوبُ .

(a) بولاق وتمعاض : ولا حملتم ، والمثبت من صبح . (b) اتمعاض : أحباسكم ، وصبح : أحماسكم .

<sup>1</sup> انظر ديوان عمارة اليمني ٦١٢-٦١٦؛ أبا شامة :  
الروضتين ١: ٥٧٠-٥٧١؛ ابن واصل : مفرج ١: ٢١٢-  
٢١٦؛ القلقشندي : صبح ٣: ٥٢٦-٥٢٨؛ المقرئ :  
اتعاض ٣: ٣٣٢-٣٣٤؛ عماد الدين إدريس : عيون الأخبار  
٧: ٣١٧-٣١٨.



## عمارة

## ذكر ما كان من أفر القصرين والمنظر بعد زوال الدولة الفاطمية

ولما مات العاضد لدين الله في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمس مائة، احتاط الطواشي قراقوش على أهل العاضد وأولاده - فكانت عدّة الأشراف في القصور مائة وثلاثين، والأطفال خمسة وسبعين - وجعلهم في مكانٍ أُفرد لهم خارج القصر، وجمع عُمومته وعثرته<sup>(a)</sup> في إيوان بالقصر واحترز عليهم، وفرّق بين الرجال والنساء لئلا يتناسلوا، وليكون ذلك أسرع لانقراضهم.

وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرها من الأموال والنقائس، وكانت عظيمة الوصف، واشتغرض من فيه من الجوّاري والعبيد، فأطلق من كان حُرّاً، وهب واستخدم باقيهم، وأطلق البيع في كل جديد وعتيق، فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين. وأخلى القصور من سكانها، وأغلق أبوابها، ثم ملكها أمراءه وضرب الألواح على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور والرباع، وأقطع خواصه منها وباع بعضها، ثم قسم القصور: فأعطى القصر الكبير للأمراء فسكنوا فيه، وأسكن أباه نجم الدين أيوب بن شاذي في قصر اللؤلؤة على الخليج، وأخذ أصحابه دور من كان يتسبب<sup>(b)</sup> إلى الدولة الفاطمية، فكان الرجل إذا استحسن داراً أخرج منها سكانها ونزل بها<sup>٢</sup>.

قال القاضي الفاضل: وفي ثالث عشرينه - يعني ربيعاً الآخر سنة سبع وستين - كُشف حصيل الخزائن الخاصة بالقصر، فقيل: إن الموجود فيه مائة صندوق كسوة فنجرة من موشع ومرضع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة، وغير ذلك من ذخائر جمّة الخطر، وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش وبيان<sup>٣</sup>.

وأخليت أمكنة من القصر الغربي سكن بها الأمير مؤسك، والأمير أبو الهيجاء السمين<sup>(c)</sup> وغيره من الغز، ومليت المناظر المصونة عن التواظر<sup>(d)</sup>، والمنشآت التي لم يخطر ابتدؤها في

(a) بولاق: عشيرته. (b) بولاق: ينسب. (c) بولاق: السمني. (d) بولاق: الناظر.

<sup>١</sup> كتب المقرئ اسم عمارة على أن يترجم له في نسخته، وتركت النسخ المنقولة عن أصله بعد ذلك بياضاً كان في الأصل.  
<sup>٢</sup> قارن المقرئ: اتعاط الحنفا ٣: ٣٣٠-٣٣١.  
<sup>٣</sup> فيما تقدم ٣٧٠.



الخواطر<sup>a</sup>، فسُبْحان مُظْهِر العَجَائِب ومُحَدِّثها، ووَارِث الأَرْضِ ومُورِّثها!

قال: ومِقْدَار ما يُحَدِّس أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ القَصْرِ، ما بين دينار أُخِذ<sup>b</sup> وِدْرهم ومِصاغ وجَوْهر ونُحاس ومَلْبوس وأَثاث وقُماش وسِلاح، ما لا يفي به مُلْك الأَكاسِرَة ولا تَتصوَّرُه الخِواطِرُ الحاضِرَة، ولا يَشتمَل على مثله المَمالِك العامِرَة، ولا يَقْدِر على حِسابِه إلا مَنْ يَقْدِر على حِساب الخَلْق في الآخِرَة.

وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليعموري<sup>١</sup>: وَجَدْتُ بِحَطِّ المَهْدَبِ أَبِي طالِبِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحِمْي: / حَدَّثَنِي الأَميرُ عَضُدُ الدِّينِ مُرْهَفُ بْنُ مَجدِ الدِّينِ مُؤَيَّد<sup>c</sup> الدَّوْلَة بن مُنْقِد، أَنَّ القَصْرَ أُغْلِقَ على ثمانية عشر ألف نَسَمَة: عشرة آلاف شَرِيف وشَرِيفَة، وثمانية آلاف عَبد وخادِم وأُمَّة ومَوْلِدَة وتَرْبِيَة.

٤٩٧:١

١٠ وقال ابنُ عبد الظَّاهِرِ عَنِ القَصْرِ لَمَّا أَخَذَهُ صَلاحُ الدِّينِ وَأَخْرَجَ مَنْ بِهِ: كان فيه اثنا عشر ألف نَسَمَة ليس فيهم فَحْلٌ إلا الخَلِيفَة وأهلُه وأولادُه، ولَمَّا أُخْرِجَهُمْ<sup>d</sup> مِنْهُ أَشَكُّوا في دارِ المَظْفَرِ<sup>e</sup> بِحارَة بَرَجوان، وكانَت تُعْرَف بِدارِ الضِّياقَة<sup>e</sup>.

١٥ وَقَبَضَ أَيْضاً صَلاحُ الدِّينِ على الأَميرِ دَواودِ بْنِ العاضِدِ - وكان وَلِيَّ العَهْدِ، وَيُنْعَتُ بِالحامِدِ لَهِ - وَاغْتَقَلَ مَعَهُ جَميعَ إِخوَتِهِ: الأَميرِ أبو الأمانَةِ جَبْريلَ، وأبو الفُتُوحِ، وابنُه أبو القاسِمِ، وسُلَيْمانُ ابنُ دَواودِ، وَعَبدُ الظَّاهِرِ بْنِ<sup>b</sup> حَيندَرَة بْنِ العاضِدِ، وَعَبدُ الوَهَّابِ بْنِ إِبْراهِيمِ بْنِ العاضِدِ، وإِسْماعيلَ بْنِ العاضِدِ، وَجَعْفَرَ بْنِ أَبِي الظَّاهِرِ بْنِ جَبْريلَ، وَعَبدُ الظَّاهِرِ بْنِ أَبِي الفُتُوحِ بْنِ جَبْريلَ ابنِ الحافظِ، وَجَماعَةً مِنْ بَنِي أَعْمامِهِ. فلم يَزالوا في الاغْتِقالِ بِدارِ الأَفْضَلِ مِنْ حارَة بَرَجوان، إلى أنِ انْتَقَلَ المَلِكُ الكامِلُ مُحَمَّدُ بْنُ العادِلِ أَبِي بَكرِ بْنِ أَيُّوبِ مِنْ دارِ الوَزارةِ بِالقاهِرَة إلى قَلْعَة الجَبَلِ، فَنَقَلَ مَعَهُ وَوَلَدَ العاضِدِ وإِخوَتَهُ وأولادَ عَمِّهِ وَاغْتَقَلَهُم بِالقَلْعَة، وبها ماتَ<sup>f</sup> (داود بن) العاضِدِ؛ واستمرَّ البَقِيَّةُ حَتَّى انْقَرَضَتِ الدَّوْلَة الأيُّوبِيَّة<sup>٣</sup>.

٢٠

(a) بولاق: الخاطر. (b) ساقطة من بولاق. (c) بولاق: سويد. (d) بولاق: أخرجوا. (e-e) زيادة من مسودة المواعظ ومما تقدم ٢٨٥. (f-f) ساقطة من بولاق.

<sup>١</sup> فيما تقدم ١٦:١. المواعظ ٦٨، ١٣٠.

<sup>٢</sup> ابن عبد الظاهر: الروضة ١١٤؛ المقرئ: مسودة <sup>٣</sup> فيما تقدم ٢٨٦.



وَمَلَكَ الْأَثْرَاكَ إِلَى أَنْ تَسَلْطَنَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ رُكْنَ الدِّينِ بَيْبِزَسُ البُنْدُقَادِي ، فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ  
 سِتِينَ وَسِتِّ مِائَةِ أَشْهَدَ عَلَيَّ مِنْ بَقِيِّ مَنْهُمْ - وَهُمْ : كَمَالُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْعَاضِدِ ، وَعِمَادُ  
 الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْأَمِيرِ أَبِي الْفُتُوحِ بْنِ الْعَاضِدِ ، وَبَدْرُ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْعَاضِدِ -  
 أَنَّ جَمِيعَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي قَبْلِي الْمَدَارِسُ الصَّالِحِيَّةُ مِنَ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ ، وَالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالثَّرْبَةِ ظَاهِرًا  
 وَبَاطِنًا بِحُطِّ الْخُوحِ السَّبْعِ ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْقَصْرِ النَّافِعِي بِالْحُطِّ الْمَذْكُورِ ، <sup>(a)</sup> وَجَمِيعِ  
 الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْجُبَّاسَةِ بِالْحُطِّ الْمَذْكُورِ <sup>(a)</sup> ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِسَكَنِ أَوْلَادِ شَيْخِ الشُّيُوخِ  
 وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقَصْرِ الشَّارِعِ بَابِهِ قُبَالَةَ دَارِ الْحَدِيثِ الثَّبَوِيِّ - الْكَامِلِيَّةِ ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ  
 بِالْقَصْرِ الْغَرْبِيِّ ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الْفِطْرَةِ بِحُطِّ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ ، وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ  
 الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الضِّيَافَةِ بِحَارَةِ بَرْجَوَانَ ، <sup>(a)</sup> وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِدَارِ الذَّهَبِ بِظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ <sup>(a)</sup> ،  
 وَجَمِيعِ الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِاللُّؤْلُؤَةِ ، وَجَمِيعِ قَصْرِ الزُّمْرُدِ ، وَجَمِيعِ البُسْتَانِ الْكَافُورِيِّ مِلْكُ لَيْتِ  
 الْمَالِ بِالنَّظَرِ <sup>(a)</sup> الْمُؤَلَّوِيِّ السُّلْطَانِيِّ الْمَلِكِيِّ الظَّاهِرِيِّ مِنْ وَجْهِ صَحِيحِ شَرْعِيٍّ لَا رَجْعَةَ لَهُمْ فِيهِ ، وَلَا  
 لَوَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهُ ، وَلَا مَثْنَوِيَّةٍ <sup>(b)</sup> بِسَبَبِ يَدٍ وَلَا مِلْكٍ وَلَا وَجْهِ مِنْ الْوَجُوهِ  
 كُلِّهَا ، نَحْلًا مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَوْ مَدْفَنٍ لِآبَائِهِمْ .

وَوُرِّخَ ذَلِكَ الْإِشْهَادُ بِثَلَاثِ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى <sup>(c)</sup> سَنَةِ سِتِينَ وَسِتِّ مِائَةِ ، وَأُثْبِتَ عَلَيَّ قَاضِي  
 الْقَضَاةِ الصَّاحِبِ تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ بِنْتِ الْأَعَزِّ الشَّافِعِيِّ . وَتَقَرَّرَ مَعَ الْمَذْكُورِينَ أَنَّهُ مَهْمَا  
 كَانَ قَبْضُوهُ مِنْ أَثْمَانِ بَعْضِ الْأَمَاكِنِ الْمَذْكُورَةِ الَّتِي عَاقَدَ عَلَيْهَا وَكَلَاؤُهُمْ ، وَاتَّصَلُوا إِلَيْهِ ،  
 يُحَاسِبُوا بِهِ مِنْ جُمْلَةِ مَا يُخْرَزُ ثَمَنُهُ عِنْدَ وَكَيْلِ بَيْتِ الْمَالِ .

وَقُبِضَتْ أَيْدِي الْمَذْكُورِينَ عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمَاكِنِ الْمَذْكُورَةِ وَغَيْرِهَا وَرُسِمَ بِبَيْعِهَا . فَبَاعَهَا  
 وَكَيْلُ بَيْتِ الْمَالِ كَمَالُ الدِّينِ ظَافِرٌ أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، وَنُقِضَتْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ <sup>(d)</sup> ، وَبُنِيَ فِي أَمَاكِنِهَا مَا  
 يَأْتِي ذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَاشْتَرَى قَاعَةَ السُّدْرَةِ بِجَوَارِ الْمَدْرَسَةِ وَالثَّرْبَةِ الصَّالِحِيَّةِ قَاضِي الْقَضَاةِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ  
 إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَشْرُورِ الْمُقَدِّسِيِّ الْحَنْبَلِيِّ ، مُدْرِّسُ الْحَنَابِلَةِ بِالْمَدْرَسَةِ

(a-a) ساقطة من بولاق . (b) بولاق : مثوبة . (c) بولاق : ربيع الأول ، وانظر فيما تقدم ٢٨٧ . (d) بولاق :



الصالحية<sup>١</sup>، بألف وخمسة وتسعين<sup>(a)</sup> ديناراً في رابع شهر ربيع الآخر<sup>(b)</sup> سنة ستين وست مائة، من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال، ثم باعها المذكور للملك الظاهر<sup>(c)</sup> ركن الدين<sup>(c)</sup> يبيزس في حادي عشرين ربيع الآخر<sup>(b)</sup> المذكور.

وقاعة السدرة هذه<sup>(c)</sup> هي قاعة الذهب<sup>(c)</sup>، وقد صارت هي وقاعة الخيم المدرسة<sup>(d)</sup> الظاهرية الركنية البيبرسية البندقارية.

قال القاضي الفاضل<sup>(e)</sup> في «تعليق المتجددات» لسنة أربع وثمانين وخمس مائة ومن خطه نقلت ما نصه<sup>(e)</sup> : يوم<sup>(f)</sup> الاثنين سادس رجب<sup>(g)</sup> ، يعني من سنة أربع وثمانين وخمس مائة : فيه ظهر تسحب رجلين من المعتقلين في القصر : أحدهما من أقارب المشتنصر، والآخر من أقارب الحافظ ؛ وأكبرهما سناً كان معتقلاً بالإيوان ، حدث به مرض وأثخن فيه ، ففك حديدته ونقل إلى القصر الغربي في أوائل سنة ثلاث وثمانين ، واستمر لما به ولم يشتغل من المرض ، وطلب فقيد واسمه موسى بن عبد الرحمن بن حيدرة بن أبي الحسن أخي الحافظ . واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبي محمد بن أبي البشر<sup>(i)</sup> بن محسن بن المشتنصر ، وكان طفلاً في وقت الكائنة بأهله ، وأقام بالقصر الغربي فعمر به<sup>(l)</sup> إلى أن كبر وشب .

قال : وذكر أن القصر الغربي قد استولى عليه الخراب ، وغلا على جذرانه التثعب والهدم ، وأنه يجاور إسطنبولات فيها جماعة من المفسدين ، وربما تسلق إليه للتطرق للنساء المعتقلات . والمتسلق منه إذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلة في القصر المذكور مانعة من التسحب<sup>(k)</sup> .

(a) بولاق وليدن : سبعين . (b) بولاق : جمادى الآخرة . (c-c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق : أصل المدرسة . (e) زيادة من مسودة المواعظ . (f) بولاق : وفي يوم . (g) بولاق وليدن : شهر رجب . (h) ساقطة من بولاق . (i) بولاق : ابن أبي اليسر . (j) بولاق : مع من أسر به . (k) مسودة المواعظ : مانعة منه .

<sup>١</sup> القاضي شمس الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع المقدسي الجماعلي الحنيلي، قاضي قضاة الحنابلة بالديار المصرية وشيخ الشيوخ بخانقاه سعيد الشعاء. دمشق الأصل قدم إلى مصر سنة أربعين وست مائة وهو في السابعة والثلاثين من عمر وتولى تدريس المدرسة الصالحية النجمية. وهو أول من تولى قضاء القضاة الحنابلة بمصر عندما قرّر السلطان

الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م إمامة قضاة أربعة، وتوفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م (ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة، وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقي، القاهرة ١٩٥٣، ٢: ٢٩٤-٢٩٥؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ٩: ٢-١٠؛ المقرئ : المقفى الكبير ١٠٣: ٥-١٠٧).



قال : وعدد من بقي من هذه الدرية بدار المظفر والقصر الغربي والإيوان ، مائتان واثنان وخمسون شخصاً . ذكور ثمانية وتسعون ، وإناث مائة وأربعة وخمسون ، تفصيل ذلك :  
المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون : / ذكور أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه ، إناث :  
عشرون بنات العاضد ، خمس : إخوته ، أربع : جهات العاضد ، أربع . بنات الحافظ ، ثلاثة :  
جهات يوسف ابنه ، وجبريل عنه أربع .

٤٩٨:١

المعتقلون بالإيوان خمسة وخمسون رجلاً ، منهم الأمير أبو الطاهر بن جبريل بن الحافظ .  
المقيمون بالقصر الغربي مائة وستة وستون شخصاً : ذكور اثنان وثلاثون أكبرهم عمره  
عشرون سنة ، وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة ؛ إناث مائة وأربع وثلاثون ؛ بنات أربع وستون ؛  
خالات وعمات وزوجات سبعون .

قال : وفي جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسة مائة ، كانت عدة من في دار المظفر  
بحارة برجان والقصر الغربي والإيوان ، من أولاد العاضد وأقاربه ومن معهم مضافاً إليهم : ثلاث  
مائة واثنان وسبعون نفساً ؛ دار المظفر أحرار وماليك : مائة وستة وستون نفساً . القصر الغربي  
أحرار مائة وأربعون نفساً ؛ الإيوان تسعة وسبعون رجلاً بالغون .<sup>١</sup>

وأما منازل العز فاشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن  
شاذي في نصف شعبان سنة ست وستين وخمسة مائة ، وجعلها مدرسة للفقهاء الشافعية واشترى  
الروضة وجعلها وقفاً على المدرسة المذكورة .<sup>٢</sup>

هذا آخر ما وجدته في هذا الجزء المبارك المنقول منه

هذا الجزء والذي يليه وهو بخط مؤلفه

تعمده الله برحمته آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

ووافق الفراغ من كتابته يوم الأحد المبارك

الموافق للثامن والعشرين من شهر رجب الفرد

سنة ثمان وسبعين وثمان مائة

<sup>١</sup> المقرئ : مسودة المواظ ١٢٩ - ١٣٠ Fu'ad :  
آخر الموجود في المجلد الثاني من المواظ والاعتبار ، وجاء  
بعد ذلك : يتلوه فوائد إذا المستحق الطلق ....

<sup>٢</sup> فيما تقدم ٥٧٦ ، وفيما يلي ٣٦٤ .



على يد الفقير إلى الله تعالى أبي الحسن علي  
ابن حسن بن علي بن أحمد بن نعيم الأزهرى  
الشافعى الخطيب البشبيشى الجدد المعروف

بالسرورى، غفر الله له

ولوالديه ولكل المسلمين. آمين

ولمن كان السبب في ذلك ولمن نظر فيه

ودعا لكاتبه بالمغفرة ولكل

المسلمين أجمعين

آمين<sup>١</sup>.

••

آخر الجزء الثانى ، تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

على يد فقير رحمة ربه على بن عيسى المرحومى

لطف الله به وغفر له وللمسلمين أجمعين

وكان الفراغ من كتابته في يوم الأحد المبارك

الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر

سنة خمس وثمانين و[ثمان] مائة<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> نص خُرُودِ المِثْنِ (Colophon) نسخة الأصل المعتمدة في النشر.

<sup>٢</sup> نص خُرُودِ المِثْنِ (Colophon) نسخة مكتبة حسين جليبي.



•  
•

تَمَّ الجزء الثاني من خَطِّ مُؤَلِّفِهِ رحمه الله  
وبتمامه تَمَّ النُّصْفُ الأوَّلُ ، وحسبنا الله  
ونعم الوكيل وصلى الله على سيِّدنا  
محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم  
تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم  
الدين<sup>١</sup> .

•  
•

تَمَّ الجزء الثاني من خَطِّ مُؤَلِّفِهِ رحمه الله تعالى  
وبتمامه تَمَّ النُّصْفُ الأوَّلُ على يد أقلِّ عبید ربِّه  
وأخوَّجهم إلى غَفْرِ ذَنْبِهِ الفقير سالم  
السَّنْهَوْرِي المالكِي لَطْفَ الله تعالى به  
وغَفَرَ له ولوالديه ولجميع المسلمين  
آمين . وحسبنا الله ونعم الوكيل  
وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلِّم .  
وكان القراعُ من ذلك بُعِيدُ عَصْرِ الجُمُعَةِ المباركَ سادسٍ محرَّمٍ  
الحرام سنة سَبْعٍ وسبعين وتسع مائة<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> نصُّ خزود متن (Colophon) نسخة مكتبة جامعة

<sup>٢</sup> نصُّ خزود متن (Colophon) نسخة مكتبة